

العدد ٧٣١ — الاثنين ٧ يوليو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

من تجارب المؤلفين ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٧٤٧
على ثلوج (حزرين) ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ٧٤٩
رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٧٥٢
فى أساس البلاغة ... ... : الأستاذ السهمى ٧٥٤
سعد الله الجابرى ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ٧٦٥
ابنى ! ... ... : السيدة الفاضلة منية الكيلانى ... ٧٥٧
حنانر يا سيدتى ... ... : الأستاذ سعيد الأفغانى ٧٥٩
لماذا ينتحر الناس؟ ... ... : الدكتور أحمد موسى ٧٦٢
البحر والقمر ... ... (قصيدة) : الأستاذ على محمود طه ٧٦٤
«من وراء المنظار» : يا خسارة : الأستاذ محمود الخفيف ٧٦٥

« تعقيبات » : العربية الفصحى والنحو العربي — هل هى أزمة ثقافية ؟ ٧٦٦
— هنرى فورد والشعر ٧٦٧

« الأدب والفن فى أسبوع » : بين أدبائنا الكبار — أقدم مسرحية ٧٦٨
— تمثيلية عربية — التعاون الإذاعى العربى — معهد عربى بأمريكا — بالعربى
— مأدبة وأدب ٧٧٠

« البريد الأدبى » : هذا ضمير مطمئن له أهميته — كلمة أخيرة حول خطأ ٧٧١
عروضى شائع — شخصية عمرو بن العاص — نشيد فلسطين — حول تاريخ
النوبة — إلى الجاحظ ٧٧٢
القطة الصغيرة ... ... (قصة) : الأديب مصطفى محمود ٧٧٣



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 731

Lundi — 7 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣١ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٧ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من تجـــارب المؤلفين

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

يكتب المؤلفون عن تجارب الناس في مناحي الحياة والتفكير. فمن حقهم بل من واجبهم أن يكتبوا عن تجاربهم التي تعنيهم وتعني القراء، سواء في حياتهم الخاصة أو في علاقتهم بأولئك القراء. لأن هذه التجارب أقرب إليهم وأمس بعملهم، وهي — بعد — موضوع كسائر الموضوعات

ومن هذه التجارب التي تتكرر عندي في السنوات الأخيرة تجربة استهداء الكتب التي يطلبها من لا يستطيعون شراءها

وإنما أكتب في هذا الموضوع عسى أن أصل منه إلى نتيجة ترضي المؤلفين والقراء، وتعينني على تحقيق الغرض من كل تأليف، وهو الاطلاع الصحيح

فمن الحقائق التي أعبر بها عن شعور جميع المؤلفين أنهم يحبون أن تصل كتبهم إلى من يفهمها ويتبصر معانيها. ويؤثرون القارئ الواحد من هؤلاء على ألف قارئ يشترون الكتب لأنهم قادرون على شرائها، ثم يتصفحونها تصفح العابر الذي لا ينفذ إلى طواياها، أو يتخذونها زينة على الرفوف. وكأنهم نقلوها من تلك الرفوف إلى عالم القبور

وأقرب الأمثلة إلى تصوير هذه الحقيقة مثل المغني الذي يصغي إليه سميع واحد من وراء الجدران، ولكنه يرى أمامه في قاعة الغناء ألف أصم يحملون التذاكر التي اشتروها بأغلى الأثمان. فإن ذلك المغني ليعني بذلك السميع الواحد ولا يعني بمجموع هؤلاء الصم الكثيرين، وإن بلغ منه حب المال أشد ما يبلغه في نفس بخيل

ولو كان كاتب هذه السطور من الأغنياء لما طبع كتاباً إلا خصص منه نصف النسخ على الأقل للقراء الذين ينقدون ولا ينقدون... ينقدون المعنى ولا ينقدون الثمن الكثير أو القليل، ولكني لست من الأغنياء

ولست مع هذا أتولى طبع كتبي بنفسي، بل أكل طبعها إلى الناشرين الموكلين بهذا العمل، كما يفعل معظم الأدباء في مصر وفي الأقطار التي تأسست فيها صناعة النشر والتأليف

وهنا العثرة كما يقول صاحبنا القديم شكسبير

فإذا جاءني طلب من قارئ يحب الاطلاع على بعض كتبي ولا يملك ثمنها فليس في وسعي أن ألبي طلبه على رغبتي في التلبية إذا تبين لي من لهجة الخطاب أن صاحبه يحسن الكتابة ويحسن الاطلاع. لأن حصتي من النسخ لا تتجاوز بضع عشرات، منها ما أحفظه للمراجعة وإعادة الطبع، ومنها ما أهديه إلى الصحف أو إلى الزملاء الذين يبادلونني مؤلفاتهم ويحق لهم عندي ما يحق لي عندهم في عرف الزمالة والمجاملة، وما بقي وهو قليل أرسله إلى من

يصادفه حظ القبول من طلابه الأدباء

والناشرون من جانبهم معذورون إذا نشروا مطبوعاتهم للبيع فى الأسواق . لأن صناعة النشر لا تقوم على توزيع الكتب بغير ثمن ، وليس فى طاقة الناشر أن يفتح مكتبته لتوزيع نسخة بالثمن ونسخة بالمجان ، وتدبير الوسيلة للتفرقة بين من يطالب فيجاب ومن يطلب فلا يجاب

وتبقى بعد ذلك تلك الحقيقة التى لا شك فيها ، وهى أن فريقاً من القراء يحبون الاطلاع ويحسنونه ولا يملكون ثمن الكتب التى يتشوقون إلى مطالعتها فى كثير من الأحيان

فما الحيلة فى أمر هؤلاء ؟

أعرف حيلة قد تدل على مثيلاتها وإن لم تكن هى بذاتها صالحة للتطبيق والتعميم فى جميع الأحوال

فمنذ نيف وثلاثين سنة طبع العالم المشهور الدكتور شبلى شميل مجموعة رسائله وفصوله وهى شرح يختر على مذهب داروين وبعض المباحث فى عالم النفس والاجتماع . وقدر لها ثمنا مائة قرش لجزأى المجموعة ، وهما مجلدان حافلان

وكنت يومئذ فى أسوان ، شابا ناشئاً أفتتح طريقى إلى الأدب والسياسة بجهد جهيد

فكتبت إليه أقول ما فحواه : انك من دعاة الاشتراكية كما فهمت من مقالاتك وأحاديثك فى الصحف والمجلات . ومعنى الاشتراكية أنك تستكثر المال على الأغنياء ، وتود لو يتساوى فيه نصيب المجدودين ونصيب المحرومين . فما بالك أيها العالم الفاضل تضيف نصيب العلم إلى نصيب المال فتجعلهما معاً من حق الأغنياء دون الفقراء ؟ أتظن أن الفقير لا يحق له أن يطلع على كتبك ؟ أم تظن أن بذل الجنيه المصرى فى كتابين أمر ميسور لكل فقير ؟

وأصاب الخطاب مقنعاً من الدكتور الأريحى ، فجاءتنى منه نسخة مهداة ، وقرأت فى الصحف أنه خصص مائة نسخة للفقراء من القراء ، ولا أذكر كيف تصرف فى تفضيل طالب على طالب من طلابها الكثيرين

إلا أن الدكتور شبلى شميل قد استطاع أن يفعل ذلك لأن الغيورين على العلم والثقافة أعانوه على طبع المجموعة ، واكتتبوا بمبالغ من المال لتيسير الطبع الذى يليق بالكتاب . فنشر أسماءهم وما تبرعوا به فى ذيل الجزء الأول وشكر لهم ذلك الصنيع

ولست أقول إن طبع الكتب على هذه الطريقة نظام يتيسر العمل به لجميع المؤلفين ، أو يغنى عن طريقة النشر التى جرت عليها أمم الحضارة وفضلتها على كل طريقة أخرى ، مع ما بها من عيوب

ولكنى أقول إن الأغنياء الغيورين على الثقافة يستطيعون أن يقيموا المكتبات العامة وأن يشتروا من كل كتاب نسخاً يوزعونها على معارفهم من الأدباء والناشئين النجباء ، وإنهم مطالبون بهذا « الحل » الذى لا حل غيره لمسألة الاطلاع بين القادرين عليه بالفهم والعاجزين عنه بالفاقة . فإن رعاية السادة الأعلياء للأدب والأدباء معهودة فى جميع العصور وبين جميع الأقوام ، وهذه هى الرعاية التى تلائم أساليب الزمن ولا تشق على أحد من ذوى الأريحية واليسار

* * *

على أننا فى صدد الاستهداء نشير إلى ضرب من استهداء الكتب لا نقره ولا نرضاه ، ولو قدرنا على تلبية الطلب فيه

ذلك هو استهداء الأندية والجماعات ، وهى فى هذا الزمن تنتشر بين كثير من البيئات ، وتتمدد فى كل حاضرة ، وتضم إليها ألوفا من المشتركين

فطلب الكتاب بغير ثمن مفهوم من الأديب الفرد الفقير ، ولكنه غير مفهوم من مائة أو مائتين أو بضع مئات يتبرعون بالكثير أو بالقليل لإدارة الأندية وتأثيثها وتزويدها بوسائل الراحة وتزجية الفراغ

فلو أنصف أصحاب هذه الأندية لبذلوا فى النسخة الواحدة ثمن عشرين أو ثلاثين نسخة أو أكثر من عشرين وثلاثين !

لأن النسخة الواحدة يقرؤها عشرات بعد عشرات ، وثمن النسخة الواحدة يتعاون عليه عشرات بعد عشرات . فليس الانصاف أن يطلبوها بغير ثمن كما يطلبها الفرد الفقير ، وإنما الإنصاف أن يبذلوا ثمنها على الأقل ، إن لم يتجاوزوا ذلك إلى

على ثلوج (حَزْرين)

للأستـــاذ علي الطنطاوي

قال لي صديق :

خطر لي من سنوات أن أرى لبنان في الشتاء ، ولبنان في الشتاء له فتنة الراهبة الصبوح بجلبابها الأبيض الذي لا يبدى من جمالها إلا قليلا يثير الرغبة في الكثير ، كالجرعة من الكأس لا تبل الصدى ولكن تزيد العطش ، والفصل من الرواية لا يغنيك عنها ، ولكن يشوّقك إليها ، فرحلت بالسيارة مع جماعة من الإخوان من بيروت إلى عاليه ، حتى إذا بلغناها ، تركنا الطريق المعبد الذي يمرّ على بحمدون وصوفر ، وصعّدنا في الجبل ، نمشي على غير طريق ، وكان الصعود أول النهار سهلا : وكنا أقوياء أولى نشاط ، فما قارب المساء وجاوزنا قرية (حزرين) حتى توعرت السبل ، وتبددت القوى ، وتشابهت المسالك ، فلم نعد نرى من حولنا على مدّ البصر إلا ذرى متعممة بالسحاب ، وتلالا مكسوّة بالثلج ، تبدو القرى في سفوحها البعيدة ، وكأن بيوتها المتفرقة بمداخنها ، بواخر تمخر العباب ، فجعلنا نفتش عن طريق نعود منه ، فلم نجد إلا ثلجاً منبسطاً ، يخفي السبل ويغطي الأرض ، فلا نتبين مواضع الهُوى لنتجنبها ، ولا نرى الحفر لنحيد عنها ، فلم تكن تمر لحظة حتى نقع في حفرة ، أو نقدم على السقوط في هوّة ، فآنا نرى التفوق على واحداً منا يرى منزلا فيدل عليه إخوانه ، وأظلم الليل ، وانفردت في مهامه الجبل ، واختلطت عليّ الأرض بالسماء ، والتقى الثلج بالسحاب ، وهبت الرياح متجمدة من القرّ ، كأنها المبارد الخشنة ، تحمل برداً ثقيلا جعل يسّاقط على وجهي ، كالرصاص المندفع من الرشاشات

وألهب الخوف أعصابي وإن كاد البرد يجمد أطرافي ، وصوّر لي الوهم أشباحاً مرعبة تحيط بي ، فكنت أعدو هارباً منها حتى تكلّ قواي ، فأقف لأستريح قليلا ، فأحسُّ كأن جنياً جباراً يسوقني فأعود إلى العدو ... وطال السير وطال الليل ، وتهت فما أهتدي إلى منزل ، وتاه الفجر فما يهتدي إلى مطلع ، ونفدت قواي وحطمني الجهد ، فتمنيت الموت وعزمت عليه ، وجعلت

شراء نسخ كثيرة يتداولها القراء ، ويتخذوا من التعاون بينهم سبيلا إلى الاطلاع الذي لا سبيل إليه للآحاد المتفرقين

ويتخيل القارىء ما يكون لو أجيبت الأندية إلى طلبها العجيب من المؤلفين

فقد تتسع المدينة لعشرات من الأندية يؤمها أعضاؤها الذين يعرفون تأسيس الأندية والاجتماع فيها ، وهم على الأغلب من طبقات المثقفين والمكفيين ، ان لم يكونوا من طبقة الموسرين والأعلياء

وقد يبلغ هؤلاء الأعضاء عدة مئات أو عدة ألوف ، وقد يعم الطلب من المدن كلها لا من مدينة واحدة أو مدينتين . فإذا استوفى هؤلاء أو بعض هؤلاء قراءة الكتب بغير ثمن فمن الذي يشتري الكتاب ، وعلى من يعول المؤلفون والناشرون ! ولماذا يأبى النادي على مشتركيه أن يطلبوا المرطبات بغير ثمن وأن يلعبوا البليارد بغير ثمن وأن يولموا الولائم بغير ثمن ويستثني الكتب وحدها من هذه القاعدة فيجملها تبرعاً مباحاً لا يدخل في الحساب !

إن الاستثناء الوحيد الذي يجوز في هذه الحالة هو استثناء الأندية الخيرية التي يختلف إليها فقراء الشعب للقراءة وسماع المحاضرات ، ولكن العبء الأكبر في هذا الاستثناء ينبغي أن يحال على ذوي الأموال قبل أن يحال على ذوي الأقلام ، لأن ذوي الأقلام ينهضون بعبء الفكر ويحتاجون إلى من ينهض بأعباء معيشتهم في كثير من الأحوال

* * *

هذه تجربة التأليف ، وليست هي بأعجب التجارب ولا بأحوجها إلى التدبر والملاحظة ، ولكنها شيء من أشياء ، قد نعرضها « شيئاً فشيئاً » على شركاء المؤلفين في مهمة الثقافة والاطلاع ، وهم جمهرة القراء .

عباس محمود العقاد

أفتش عن واد أتردّى فيه ، فرأيت من بعيد نوراً خافتاً ، يحاول أن يخترق حجب الظلام ، فيعجز ويرتجف كأنه مقرور مثلى يقضقض عظامه القرّ ، وأعصابه من التوتر والفزع كالأسلاك المحماة بالنار ، أو كأنه خائف مثلى من الوحدة فى هذه الأعالى الموحشة فهو يرتجف من الخوف ، فأسرعت إليه إسراع المشرف على الغرق فى اللجة الهائجة إلى السفينة المنجية يرى ضوءها ، أو إلى الشاطىء الآمن يبصر مناره ، وهبطت وادياً كأنما تعزف فيه الشياطين من أصوات رياحه ، ثم صعدت جبلا كأنه من استوائه صرح قائم ، حتى وصلت إلى النور ، فإذا بيني وبينه سور كأنه كان يوماً ... سور حديقة ، فعالجت بابه لأفتحه فإذا هو صدىء المفاصل كأنه لم يفتح من دهور ، فخبطت عليه بمنكبي ، ودفعته دفعة الآيس ، فصرّ صريراً مخيفاً ، رددته هاتيك البطاح ، فكان له مائة صدى انبعثت كلها معاً ثم حملتها الرياح إلى بطون الأودية ، وعاد السكون ، فولجت أحسب أن الرحمة فى باطن الباب ، الذى كان فى ظاهره العذاب ، وإذا أنا بشبح أسود يثب إلى وجهى ، ويتعلق بى ، وله صوت لم يقع فى أذنى أفظع منه ، فنظرت إليه وقد شل الفزع أعضائى ، وسمّرت قدماى بالأرض ، فإذا هو كلب ضار ، يهم بأن ينشب فىّ مثل أنياب الذئب الكاسر ، فتبلد حسى واستسلمت للقضاء ، وتوقعت الشر ... ولكنى رأيت الكلب يدعنى ويبتعد عنى ، قد دعاه صوت من داخل البيت فانصرف إليه مزمجراً ثم أقعى غير بعيد . ومشيت إلى البيت فدخلت إلى ردهة دافئة ، فيها كهل وامرأة وشيخان عجوزان ، فسلمت فلم يردّ أحد منهم ، ولبثوا يحدقون فىّ جميعاً بعيون فيها الدهشة والبغضاء ، شاخصة لا تطرف ، كأنهم يرون فىّ مخلوقاً عجيباً انشقت عنه الأرض ، فلما طال ذلك منهم ، ملكتنى الحيرة وأخذنى من الخوف ما لم يأخذنى وأنا معلق بين السماء والأرض ، فإنه لا أعرف لى متجهاً ، وهممت بالفرار ثم خفت أن يلحقنى الكلب ، وذكرت الكلب فنظرت إليه فإذا هو رابض يزمجر يريد أن يثب علىّ فيكفّه الكهل بقدمه ، وتجلدت فقلت لهم :

— أنا غريب ضل فى هذه الجبال حتى وقع عليكم ، وأنا أعتذر أن أزعجتكم ، وأرجو أن تمنوا علىّ بقدح شاى أطفىء به حر جوفى الذى ألهبه الخوف ، وأدفىء به أطرافى التى جمّدها البرد .

فنظرت المرأة إلى الكهل نظرة لمحت فيها خليطاً من الحب والبغض ، والشفقة والرهبة ، ولبثت لحظة متسائلة ، فهز رأسه كالموافق ، فقامت تعدّ الشاى ، وألقيت بنفسى على مقعد قريب من النار ، وجعلت أسارق القوم النظر ، فأرى الكهل قوياً متين البناء ، لم يجاوز الخمسين ، ولكن الهم الذى تبدو عليه ظواهره قد شيّخه قبل أوان الشيوخة(1) ، وأرى المرأة فى نحو الأربعين ، ذات جمال وادع قد حجبه ستار من الكآبة والغم ، فهو يضىء من ورائه كما تضىء الحلية النفيسة من تحت الغبار المتراكم ، وجاءت بالشاى فشعرت وأنا أشربه أنه يمشى فى عروق كما يمشى الرىّ فى النبتة الذاوية تسقيها الماء . ثم قلت لهم : هل تأذنون لى أن أرقد ما بقى من الليلة على هذا الكرسى ؟

فقال الكهل بيده أن لا ، وأشار إلى الخادم الشيخ ، فسلك بى ممرات وجاز أبواباً كأنها ممرات قصر كبير ، لا كوخ منقطع فى رأس جبل لا يبلغه جنّ ولا بشر ، حتى دخل بى بهواً فسيح الجوانب ، تفوح منه رائحة القدم والهجران ، أحسست لما ولجته أنى ولجت جوف مقبرة من المقابر ، فوضع الشمعة التى كان يحملها على الموقد ، وأحنى رأسه وخرج ، وتلفت فرأيت الشمعة قد رسمت ظلالا على الجدران صورها لى الرعب شياطين ذات قرون وأنياب فذهبت إلى الباب أريد الخروج فوجدته مقفلا علىّ ، فلعبت بى ظنون السوء ، وزاد بى الفزع حتى رأيت الجدران تنأى عنى ، والمكان يكبر ، ووجدت أن الأرض تدور بى ، فصرخت ، فعاد الخادم الشيخ فقال : مالك ؟

فاستحييت أن أقول له إنى خائف . فقلت : ألا تتكرم بإيقاد النار ؟

قال : إن الموقد لم يستعمل من عشرين سنة .

قلت : كيف تهملونه عشرين سنة ؟

قال : لقد أهملنا البهو كله ، منعنا هانى أن ندخله بعدها ؟

قلت : بعد من ؟

فانتبه وقد كان غافلا ، ونظر حوله جزعاً يخاف أن يكون قد

(1) الشيوخة هى الشيخوخة .

سمعه أحد ، ثم قال لى :

— تصبح على خير .

وانحنى وخرج مسرعاً .

وغطى التعب أخيراً على مخاوفى،وخفق رأسى،فجئت الفراش لأنام فإذا عليه أرطال من الغبار ، فنفضته فهبت زوبعة محملة تراباً فأغمضت عينىَّ وغصت فى الفراش ، لم أعد أبالى من الونى أن يكون مثواى قبر أو مزبلة أو جحر ثعبان . فلم أكد أغفى حتى سمعت مثل أصوات المدافع، تدوّى فى أذنى فتبدد النوم من عينىَّ ثم ضعف الصوت حتى سمعت منه وأنا بين النائم واليقظان : هانى . هانى . ففتحت عينىَّ ، فرأيت الفجر قد بدا ، ورأيت الرياح تحرك باب النافذة فيكون منه هذا الصوت ، فأغلقته ، ولكن الصوت لم يبرح يطنُّ فى أذنى ينادى : هانى . هانى . فذهبت إلى آخر البهو ، وهو يلاحقنى ، فعاودنى الفزع فصرخت ، حتى سمعنى أهل الدار كلهم ، وأقبل الكهل مغضباً يقول : ما هذا ؟ قلت : هل فى هذه الدار مَن اسمه هانى؟ ففتح عينه وقال : ولِمَهْ ؟

— قلت : صوت لا يفتأ ينادى : هانى . هانى .

— قال : سمعته ؟ أنت سمعته ؟ أهو صوت امرأة ؟

وجعل يهزنى كالمجنون .

— قلت : نعم .

فأرسلنى وفتح الباب ، وعدا يخب فى الثلج ...

ولحقته المرأة كأنها تحاول ردّه ، ولكنها وقفت فى الباب ، وألجم الخوف لسانها فلم تنطق ولكن نطقت عيناها ، فأبانتا ، وأطل منهما الحب لحظة ثم ارتد ، كما يرتد عن النور سجين طال عهده بالظلام ... وقرأت فى وجهها صحائف تاريخ لم أفهم منها شيئاً ، فتركتها وأقبلت على العجوز ، وقد انتحت ناحية تبتسم ابتسامة غريبة ، كأنها تقول : أنا أفهم ما لاتفهمون ، وأنتظر من زمان هذا الذى ترونه الآن وتعجبون منه !

فأشرت إليها أسألها .

قالت : سأحدثك . سأشرح لك . إنه تاريخ طويل ختم فى هذه اللحظة . إنها قصة هائلة مشت بأحاديثها الركبان ، وكتبتها الأقلام ، وصورتها (الأفلام) وصارت من روائع الأدب ، لقد مثلت على هذا المسرح قبل أن تمثل فى (السينما)[1] ولكن انتهت الرواية ولم يزح الستار ، فلبث الممثلون حائرين لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وعيون النظار تكاد تأكلهم . تصور ثقل هذه اللحظات وشدتها ، إنها لا تحتمل وإن كانت لحظات قصاراً ، فكيف إن دامت عشرين سنة ...

عشرين سنة ونحن نعيش بلا عمل ، ننتظر أن يرخى الستار على هذه المأساة التى مثلناها ، فلم يزح إلا الآن ...

— قلت : وأين ذهب الرجل ؟

— قالت : ذهب يلبى نداءها .

— قلت : وأين هى التى كانت تناديه ؟

— قالت : لقد ماتت !

— قلت : ماتت ؟ وهل يرجع من مات ؟ !

— قالت : نعم إن فى الوجود قوة ترجع الموتى : إنها قوة الحب . فإن كنت فى شك فاستمع قصتها :

(البقية فى العدد القادم) على الطنطاوى

(١) مثلت باسم (مرتفعات وذرنج) . (قالوا) وهى محرفة عن (حزرين)

٢ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

هذه دهلى الجليلة القديمة ، دهلى ذات الخطوب والغِـيَر ، وأم الوقائع والعبر ، وسجلّ الملوك والدول .

دهلى المماليك والتغلـقية والخلجية واللودية والتيموريه[1] ، دار قطب الدين ، وظهير الدين ، ونصر الدين ، وجلال الدين ، ومحيى الدين[2] .

دهلى التى ضمت تراث الأعصار ، من جلائل الآثار ، يكاد القلم يجمح على منطلقه فى الكتابة عنها ، كما يستنّ الجواد حين يرى حلبة السباق ، أو تُمرحه فسحة المروج ؛ ولكنى أؤخر الكتابة عن هذه المدينة العتيقة حتى أفرغ من حديث المؤتمر الذى سافرت إلى الهند من أجله :

دعا « المعهد الهندى للشئون العالمية » إلى مؤتمر للعلاقات الأسيوية ، فأجابت الدعوة أمم آسيا . ودعيت مصر لأنها إحدى الأمم العربية فهى آسيوية وإن كانت أفريقية فى جغرافيتها

وقد دعيت الأمم كلها المستقلة وغير المستقلة . وكانت الأمم التى تجاهد لاستقلالها أحرص على شهود المؤتمر لتعان عن نفسها ، وتنشر بين المؤتمرين دعوتها . وكان عدد المندوبين مشتركين ومراقبين زهاء مائتين . وقد اختلفت الأمم فى عدد مندوبيها ، وكانت مصر خاصة ودول الجامعة العربية عامة ممثلة باثنين مراقبين ، وكنت ممثل مصر ، وشاركنى نائب القنصل المصرى فى الهند .

وكان موعد المؤتمر الثالث والعشرين من شهر آذار (مارس) الماضى ، ودام اجتماعه عشرة أيام . فاجتمعت هنالك وفود الأمم ، بل حشرت آسيا ألوانها وأزياءها ولغاتها وعقائدها وحضاراتها فى صعيد واحد .

وشهد المؤتمر من الأوربيين والأمريكيين أحد عشر مراقباً .



مدخل برانا قلعة وهى القلعة التى كانت فيها حفلات المؤتمر العامة

وكانت لغة المؤتمر الإنكليزية ، وهى لغة العلم فى الهند اليوم ولغة الخطاب ، يتحادث ويتراسل بها الهنود الذين تختلف لغاتهم . ولم أسمع فى المؤتمر هندياً يخطب بغير الإنكليزية حاشا جوا هرلال نهرو ؛ خطب فى حفلات الافتتاح والاختتام بالأردية والإنكليزية. وكانت رياسة المؤتمر للسيدة ساروجينى نايدو خطيبة الهند وشاعرتها وبحث المؤتمر فى أمور كثيرة قسمت إلى هذه الطوائف :

١ — مساعى الأمم إلى الحرية

٢ — والهجرة ومسائل الأجناس البشرية

٣ — والتطور الاقتصادى والمساعى الاجتماعية

٤ — والمسائل الثقافية

٥ — والمسائل النسائية

وقد بحثت كل طائفة من المسائل لجنة خاصة من أعضاء المؤتمر ، وسجلت ما انتهى إليه بحثها . وتلى تقرير كل لجنة فى لجنة عامة من الأعضاء ، ووُضع بعد المجادلة فى صيغته الأخيرة .

وكان للمؤتمر ثلاث حفلات للافتتاح والاختتام ؛ شهد حفلتى الافتتاح زهاء عشرة آلاف ، وشهد الحفلة الخاتمة نحو خمسة عشر ألفاً وحضرها غاندى .

---

(١) أسماء دول تداولت دهلى فى العصر الاسلامى .

(٢) قطب الدين أيبك ، مؤسس دولة المماليك . وظهير الدين بابر ونصر الدين همايون ، وجلال الدين أكبر ، ومحيى الدين أورنك زيب ، من ملوك الدول التيمورية (المغولية)

وكان النظام محكما فى هذه الاجتماعات الحاشدة ، وكانت الصبايا الهنديات يرشدن الوفود إلى مقاعدهم من المؤتمر ، وكنّ فى اجتماعات اللجان العامة كذلك يتولين التنظيم والخدمة .



رئيسة المؤتمر ونهرو وبينهما شهريار رئيس وزراء أندنوسيا

وكانت حفلات الافتتاح والاختتام فى قلعة كبيرة قديمة من آثار الدول الإسلامية تسمى « برانا قلعة » أى القلعة العتيقة . وهى بقايا قلعة فسيحة عالية الأسوار رفيعة الأبواب

وقد طبع المؤتمر كثيراً من أبحاثه وفرقها على الأعضاء ، وفيها أبحاث قيمة جديرة بالعناية ، وهى مفيدة فى تعرف مستوى الثقافة فى الأمم الآسيوية وتبين الوجهات الفكرية والنزعات الاجتماعية فى هذه الأمم .

وقد حرص القائمون على المؤتمر ، ولا سيما نهرو ، على أن يشكل معهد آسيوى دائم له فروع فى الأقطار الآسيوية كلها ، ليقوم على الصلات الثقافية والاجتماعية التى عنى المؤتمر بالنظر فيها

وقد نص فى القانون المقترح للمعهد على أن يكون له رئيس وأمينان أحدهما من البلد الذى اجتمع فيه المؤتمر أول مرة والثانى من البلد الذى يجتمع فيه المؤتمر اجتماعه الثانى ، فكان رئيس المعهد ، وأحد أمينيه من الهند ، وأمينه الثانى من الصين ، وهى القطر الذى يجتمع فيه المؤتمر للمرة الثانية سنة ١٩٤٩ م .

والحق أن خطط المؤتمر فى استقبال الوفود وإنزالهم ونقلهم إلى مجامع المؤتمر ، وفى ترتيب اللجان وتوزيع المنشورات ، وفى تنظيم المعارض وزيارة الآثار والمتاحف — كانت خططاً محكمة .

وأحسب القائمين على المؤتمر أرادوا فيما أرادوا من الدعوة إليه ، أن يعظموا شأن الهند ، ويبينوا مكانها فى آسيا فى طور الانتقال الحاضر ، وفى هذا ما فيه من إعظام شأنهم فى مفاوضة الإنكليز . ولست أدرى أقصدوا كذلك أن يظهروا الهند مظهر الأمة المجتمعة الكلمة ، الموحدة القصد ، ويخفوا جهد الطاقة ما كان يضطرب به الهند من صدام بين دعوة الهنادك ، وهم الدعاة إلى المؤتمر ومعهم قليل من المسلمين ، وبين دعوة الرابطة الإسلامية إلى إقامة دولة إسلامية مستقلة فى مواطن الكثرة الإسلامية .

وقد اهتم الداعون إلى المؤتمر باشتراك الأمم الإسلامية فيه ، وبعثوا رسلا إلى بعضها ليطمئنوا إلى إجابة دعوتهم . وأرسلت طائرة خاصة إلى أندنوسيا لتحمل سلطان شهريار رئيس وزرائها . وأحسب لهذا الاهتمام صلة بهذا الاختلاف بين حزب المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية كما أبين من بعد ...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

فى أساس البـــلاغة

للأُستـــاذ السهمى

جاء فى (أساس البلاغة) للامام الزمخشرى فى الطبعتين وفى مخطوطة :

« ... وتقول : بات فلان فى الشفق ، والفلق من الشفق إلى الفلق أى فى الخوف والمِـقطرة ، وهى خشبة تُفلق لأرجل اللصوص والدُّعّار يُقطّـرون فيها ، ومن المجاز قول النابغة :

فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت قسيم ما أفدت »

لم تملق الطبعة الأولى على القول ، وروايته فيها هى :

« فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت له قسيم »

وقالت الطبعة الثانية : « هكذا ورد بكل النسخ فليحرر » .

فيبدو قول النابغة بهذا الرسم كأنه بيت شعر ، وهو ليس كذلك ، إلا أن يعد كل ما يكتب من الأقوال كما يكتب الشعر شعراً(١) ...

كلام الذبيانى هو قسم من خبر هدانى الله إلى مظنته ، ولولا (أبو القاسم) ما اهتدينا . قال الزمخشرى فى إحدى مقاماته :

« ثم خوّلك من جزالة الفضل ما حلّق على هام أمانيك(٢) ولم تطمح إليه ظنون عشيرتك وأدانيك » .

وقال الإمام فى الشرح :

« حلق على هام أمانيك نوع من المجاز لا تراه إلا فى كلام من هو من البلاغة بالمنظر الأعلى كما حكى عن النابغة أنه استأذن على النعمان ، فقال له الحاجب : إن الملك على شرابه . فقال النابغة : فهو وقت الملق تقبله الأفئدة وهى جذلى للرحيق والسماع ، فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت قسيم ما أفدت » .

فى هذا الخبر قول النابغة الذى بلبل ناسخى (الأساس) وطابعيه ...

(١) رأى القراء فى الرسالة (٧٢٨) كيف تبسم (العباس ...) وضحك من ذلك الشىء الجديد ... الخلق ...

(٢) فى الأمانى لغتان مشددة ومخففة ، وقد خفف الإمام كما خفف شاعرنا فى البقرية الكافورية الأولى :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ولما أطلعت الأستاذ (أحمد زكى العدوى)(١) والأستاذ (عبد الرحيم محمود)(٢) — وهما من البقية المحققة — على الهدية الزمخشرية طربنا كلنا طرباً يعجز القلم عن وصفه . وأبو الطيب المتنبى يقول فى مثل هذه الحال : « رب مالا يعبر اللفظ عنه » .

وجاء فى (الأساس) فى الطبعتين وفى المخطوطة ، والخطب هنا هين ، لا بلبلة فيه ...

« ومن المجاز درع دِرمة : ملساء قد ذهبت خشونتها وقَـضَـضُ جدتها وانسحقت قال :

يا خير من أوقد للأضياف ناراً زهمه

يا فارس الخيل ومجتاب الدلاص الدرمه

زهمة كثيرة ودك ما يطبخ بها ، ومكان أدرم مستو أملس »

القول شعر حقاً ، ولكنه بيتان لا بيت واحد ، وقد سطرا فى الكتاب كما ترى ، وهما فى مقطوعة رواها أبو على فى أماليه ، وهذا تصور المقطوعة بكمالها :

يا مُرَّ ، يا خير أخ نازعت در الحَلَمهْ
يا خير من أوقد للأضياف ناراً جحمه
يا جالب الخيل إلى الخيل تَعادى أَضِمَه
يا قائد الخيل ومجتاب الدلاص الدرمه
سيفك لا يشقى به إلا المسير السنمه
جاد على قبرك غيث من سماء رزمه
يُنبت نَوراً أرِجاً جرجارُه واليَنمه (٣)

قال أبو على : الحلمة : طرف الثدى . والدرمة : اللينة التى لا حجم لها . وأضمة غضابى يقال : أضم عليه أضما أى غضب عليه ورزمة : مصوتة » .

فى طبعتى (الأساس) ومخطوطته مشكلات ستُحل بحول الله ومعونته .

السهمى

(١) رئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية .

(٢) من رجال الدار ، ومن الأعضاء فى (لجنة إحياء آثار أبى العلاء) ومن الكرام الكاتبين فى مجلس الشيوخ .

(٣) فى طبعة الأمالى فى الشرح — وهو للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى بدار الكتب المصرية : « هذه الأبيات لامرأة ترثى أخاها كما فى لسان العرب . جحمة متقده . مجتاب الدلاص الدرمة : لابس الدرع الملساء . الجرجار نبت طيب الرائحة . الينمة : عشبة طيبة » .

سعد الله الجابري

في ذمة الله

للأستاذ أحمد رمزي بك

رغت الرعود وتلك هدة واجب جبل هوى من آل عبد مناف

غمرتني موجة حزن وتشاؤم قلما أشعر بمثلها ، حينما حملت إلى الصحف في عزلتي الريفية نبأ وفاة الجابري ، وأنا الذي لم أره منذ غادرت أراضي سورية إلا لماماً ، فإذا كتبت عنه بعد وفاته ، فإنما أستعيد ذكرى الأيام التي عرفته فيها فأثرت صداقته فيَّ لا كسياسي أو زعيم أو رئيس حكومة بل كرجل مجاهد شاء وده أن يعدني في يوم مضى من بين من يثق بهم ، ممن اتصلوا به وأنسوا بوده ولمسوا شمائله وغمرهم بعطفه وأخوته ومحبته ، فمن أول يوم تلاقينا فيه ، وكان ذلك في بلدة صوفر من أعمال لبنان عام ١٩٤٠ ، كنت أشعر دائماً في حضرته بشيء يجذبني نحوه ويجعلني أطمئن إليه وأنصت لما ينطق به ، ومرت الأيام والسنوات وهي تحمل بين طياتها الحوادث الجسام وأعمال الجهاد المتتابعة المتلاحقة لإقرار الدستور وعودة الحياة النيابية ثم مفاوضات الوحدة العربية التي انتهت إلى ميثاق الإسكندرية ، فإذا هذه المنزلة له في نفسي تعلو كل يوم وتثبت : فلا تؤثر فيها روعة المركز ولا تباعد الأيام لأنها كانت هبة من هبات الله …

وأذكر أنني حضرت معه في الطائرة من دمشق وأمضينا أياماً بالقاهرة وأخرى بالإسكندرية ، فإذا بنا نكتشف أشياء في مصر ، بقيت غامضة عني بعد أن قضيت عشرين عاماً متغرباً تجاه الاتصال بالحقائق مراً على النفس في أيام كانت تمر سراعاً وتجعلنا كل يوم أمام جديد ، وسرعان ما أقنعت نفسي بالبقاء في مصر والتخلف عن العودة إلى دمشق ، وذهبت إلى قصر الزعفران فوجدت الجابري هناك ، ولمحت في نظراته أشياء قرأتها على وجهه ولمستها من إشعاع عينيه ودار الحديث عاماً ، ولما استأذنته قلت إنكم تسافرون غداً ، أما نحن فوالله قاعدون ، فتجهم وجهه وقال لي كلاماً لن أنساه ولم يأت الوقت للافصاح عنه .

فأمسكت بيديه وضغطت عليهما وقلت : كتب على الذين آمنوا أن يصبروا ويصابروا ، فبالله عليك لا تحمل لهذا الكلام تتمة لا بالقول ولا بالعمل ، فوعدني واتجه سعدالله الجابري اتجاهاً أملاه عليه اجتهاده واتجهت وجهة أملاها الله عليّ ، وجاء موعد سفر الوفد السوري في اليوم التالي فرافقته إلى المطار وبقيت بمصر أنتظر الخروج من وقائع الدهر ، فإذا بالأقدار تدفعني دفعاً إلى غاية لا أعلمها لأن صروح الحياة الاستقلالية اندكت في لبنان ، وإذا أنا بين قرارين : الإقدام والسفر ، أو النكوص والبقاء ، وفي الثاني الخير كل الخير وفي الأول مواجهة الأخطار والمستقبل المظلم ، فاخترت ركوب الأخطار وسافرت على بركة الله . وفي ليلة من الليالي الكالحة السواد ، دخلت قبل انتصاف الليل مدينة دمشق فما علم بمقدمي حتى أذن لي بالدخول عليه . فقال إن مجيئك في هذه الساعة من الليل لا بد أن يكون لأمر خطير . قلت نعم هو لخدمة أؤديها . قال وكيف تركت بيروت والفرنسيون يمنعون التجول بعد السابعة وأراك تركتها بعد ذلك بزمن طويل ، قلت حرستني سيارتان مدرعتان على كل واحدة منهما مدفع رشاش استلمتني واحدة من وسط البلد وأخرى من فرن الشباك ، وتركتني الثانية عند عاليه ، ولازمتني الأولى حتى ظهر البيدر كأنهما تتوهمان أن طريقي سيكون إلى بيشامون . ولما عرضت عليه ماجئت من أجله قام فوراً إلى قصر رئاسة الجمهورية وأطال المكث هناك ، وتمت مستريحاً لأني وضعت الأمر بيد رجل إذا اقتنع فعل . وفي الصباح المبكر أعلمني دولة جميل بك بما طمأن قلبي ، وفي المساء لقيت الجابري فإذا هو يمزح كعادته ويقول : تصور لو تأخرت مجازفتك دقائق معدودة إذن لضاع الوقت منا .

ثم تغيرت الأيام وتبدلت ، أما سعد الله الجابري وطائفة من أهل سورية فلم يتبدل لهم موقف معي . لقيته بعد ذلك بمصر فما إن وقع نظره علي حتى خف إلى لقياي وأخذني بالعناق على مشهد من رجال مصر الذين دهشوا من هذا اللقاء . إنهم لن يعرفوا ما كان بيننا في طريق الجهاد الوعر لتحقيق المثل والأهداف .

ومات سعد الله وكتب عنه الكتاب وإذا بكثيرين يقولون إنه كان عظيما في مواقفه الحاسمة وتصريحاته الجريئة ، أما أنا الذي عرفته قبل أن يعتلي المراكز ويحكم ، فأقول إن مواقفه وتصريحاته

كانت أمراً عادياً يأتيه كل يوم ، كانت جزءاً من شخصيته وفكره وروحه لا يشعر بخطورتها ولا تشغله لحظة واحدة بعد إتمامها وهذا سر عظمته وتفوقه ...

والآن وقد أغمض عينيه واستراح بعد أن كان ملء عين الزمن ، لا يهمني أن أسوق المدح إليه وأن أشيد به وأقول إنه من أولئك الذين جاءت إليهم العظمة تسوقها الأقدار دون أن يكلفوا أنفسهم أن يلفتوا الأنظار إلى أفعالهم وأقوالهم وإشاراتهم ليقر لهم الناس بالعظمة والعلياء ، وإنما هو رجل جاء إلى الدنيا والعظمة والبروز والعلياء عنصر كامن فيه ، تراه فى خلقته ومظهره وحديثه ، فيدفعه إلى الخطير من الأمور فى كل يوم ليعالجه بفكره وعقله وأعصابه وإيمانه ، ويعرف عنه الناس هذا من أهله وعشيرته وقومه وأصدقائه قبل أن تعرفه عنه المناصب العليا وترفعه الزعامة والسياسة إلى مراكز الحكم والاقتدار .

ولقد رأيته سهلا حتى إذا اقتنع بأمر وملك عليه فؤاده وفكره اندفع إليه دفعته التى لا تبالى ، واقتحم العقبة وراء العقبة والناس حيارى من أمره يتساءلون أهى دفعة عن حق وعقيدة وإخلاص أم هى لغاية فى نفسه ؟ أما أولئك الذين عرفوا وفهموا وأحبوا هذا الرجل فلم يكن لهم أن يتساءلوا لأنهم عرفوا البطولة والإخلاص يجتمعان فى قلبه ، ولمسوا المحبة والإيمان يلتقيان فيه ، فهم لن يتساءلوا ، إذ هو فى مخيلتهم كما هو فى نفسه : سيف من سيوف الحق جاء والناس فى حاجة إليه ، فأدى ما عليه ولمع لمعاناً فى حياة أمة لاشك أنها نحن لذكراه وتحمل له أطيبها فى القلوب

فى مدينة حلب ولد ونشأ سعد الله الجابرى فى بيت قديم لمع أفراد منه فى القرن الماضى الهجرى والقرن الحالى وأدوا للدولة العثمانية والخلافة جليل الخدم ، نجد تراجمهم فى أعلام النبلاء وفى تاريخ حلب للبالى .

وحلب قلعة قائمة فى الخطوط الأمامية للعروبة ، ولأهلها المكانة البارزة والمنزلة الراسخة فى تاريخ العرب والإسلام ، أما نحن أهل مصر فقد ارتبطنا بهم منذ جمعنا وإياهم رجل مصر الكبير أحمد بن طولون ، وعدا فترات قصيرة ، اشتركنا مع أهل حلب فى كتابة تاريخ الإسلام لعصور مضت ، وحاربنا الأمم من مختلف شعوب الأرض وهم معنا فى المصاف كتفاً لكتف ، فامتزجت دماء شهدائنا بدماء شهدائهم ، وما من شدة لقيتها قلعة حلب إلا شاركتها فيها قلعة مصر ، وكانت نيابة حلب ثالثة المراكز الكبرى فى الدولة المصرية القاهرة [1] ، وفى تاريخ مصر عدد من ملوكنا بدأوا حياتهم كنواب للسلطنة فى حلب .

فهذه حلب درة فى جبين العرب ، ولأهلها المكانة السامية جزاء ما قدموا فى سبيل العروبة والإسلام ، ولذا لا تعجب أن يكون ابنها البار سعد الله الجابرى فى مقدمة هذا الرعيل من العرب الذين آمنوا بأن الوحدة العربية وجامعة الدول العربية هى حلم من الأحلام بغير مصر العربية ، لأن بلادنا هى قلب العروبة ، بل العروبة ومصر صنوان . وذلك موقف للجابرى وجيل مردم وغيرهما من رجال سورية يجب أن يعرفه كل مصرى ولا ينساه . بل أمانة فى أعناقنا أن نحفظ لهؤلاء القادة الجيل الذى أسدوه إلينا فى وقت كان عدد المؤمنين بمصر يعد على الأصابع وفى زمن كان من يجاهر بعروبة مصر يعد عندنا مارقاً من الوطنية خائناً للقومية المصرية . فلنذكر هذا جيداً ولا ننسه .

لم يكن سعد الله الجابرى ممن تستهويهم القيادة والسيطرة على الجماهير والتحرك من مكان إلى مكان وفى ركابهم « القبضايات [2] » بل كان رجلا وضع مايملك من مال وعمل فى خدمة أمته ، معتمداً على ماض ناصع أبيض ، وعلى نفسه الكبيرة وما تحمل من آمال كبار ، وكان فى أدوار حياته مجموعة أعصاب وارادة تدفعها صراحة متناهية وإخلاص وتفان فى سبيل المصلحة العامة .

وأول مايبدو فى شخصيته هو توفر عدد من الصفات الممتازة التى يربط بينها نوع من التوازن والانسجام نلمسها من حديثه معك ومظهره وتأنقه وابتسامته ، فهو قد نشأ فى العز والسعة فظهرت أقواله وإشاراته وحركاته طبيعية لا أثر للتكلف فيها ، ولذلك اندثرت من قرارة نفسه ، وتوارت كل آثار مركب النقص الذى يشكو الكثيرون منه ، وتحرر بهذا من طائفة من مواطن الضعف التى لا يقدر على التحرر منها من لم ينشأ نشأته ويذهب مذهبه فى فهم الدنيا .

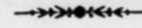
وكان مؤمناً بحق بلاده وعظمتها ، وهذا الايمان يجعله يستبق الحوادث ويطلب من قومه الاسراع فى السير أو يستحثهم على

---

(١) هكذا ورد وصف مصر فى الوثائق الرسمية (٢) الفتوات

إبـــنى !

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى



لا أدرى لماذا ترجع بى الذاكرة إلى الوراء ، إلى يوم فى شارع ضريح الملك فى الأعظمية حيث تقوم « دار لنا بمدرجة الريح » . فى أمسية هادئة ساجية وقد جلست أنظر فى شمعتين اثنتين هما رمز العامين الأولين من عمر « ابنى » ولا أدرى لماذا تستقيم لى نظرة الوراء . وكيف لا أذكر إلا ذلك العيد الذى احتفلت به بين وفاة الوالد وميلاد الولد : شمعتان اثنتان فى ضوئهما الخافت المتراقص ... وقرص من الكعك صغير ، وطفل غرير يزدهيه منظر الشمعتين يريد اطفاءهما ... وأم تنظر كيف تسير فى وادى الزمن مع وحيدها متوجسة متسائلة : ترى كم عيداً تستقبل هى وهو ؟ وعند أية شمعة من شموع حياته تخبو شمعة حياتها ؟ ... هكذا كانت ترتسم الصورة فى ذاكرتى : لون من الليل فاحم ولون مغمور بضوء الشمعتين البرتقالى تخالطه الدكنة فى أكثر حواشيه . . . والصمت يحيط بالمكان والمناسبة والنفوس ، فلا موسيق ولا مهنئون ، وقد انتهى العيد بأن نام « ابنى » فى أول يوم من عامه الثالث من عمره المديد السعيد .

وما أدرى لماذا أستشعر الكآبة العميقة من هذه الصورة فأجاوزها إلى سابقتها وإلى لاحقتها فأنظر إلى اللاحقة .. لا شمع ولا فرح وإنما هى صورة فى القطار يطوى الشقة الشاسعة ... إلى مصر ... يطويها قليلا حتى تنتهى .. وينام « ابنى » فى أول يوم من عامه الرابع من عمره المديد السعيد ! فأحس لذعة فى نفسى ، ولذعة فى هيكلى ، فأشكو الأخرى شكاة مؤزرة بالأولى مؤكدة بها . ثم أشكو الصداع ثم أتخاذل فينظر إلى « ابنى » وأنظر إليه ... ثم يأتى الطبيب يفصل فى شكاتى الأولى بأن أسكن دار الحميات زمناً .. وأن يحاط بى فلا أرى « ابنى » ولا ألمسه ولا أقوم على خدمته أبداً .

وقال قلبى : ودعى أيتها الأم طفلا ، وقال الشيطان ... إلى

الوصول إلى درجة من النظام والرقى والضبط والربط لا يمكن أن تحتملها طاقة الناس فى المشرق الذى بدأ يستيقظ من سنة الكرى عن قرب ويفتح حديثاً عينيه إلى النور . هنا تتلاقى الدوافع النفسية للوصول إلى المثل العليا مع قوة الارادة والشكيمة التى يحملها سعد الله الجابرى ، وتواجه كلها الواقع المؤلم فيبدو أحياناً مندفعاً لا تلاحقه أفكار الناس ولن تقدر أن تلاحقه فهو يحمل قبساً من نور الحقيقة ومن نور الالهام ويشعر بالأخطار القادمة ويريد أن يدعم الأساس ويقوى البنيان وهم تشغلهم حوادث اليوم وتلهيهم مشاكل الساعة فلا يرون ما يراه ولا يتبعونه فى خطواته ، لذلك أصبح الرجل الذى يجاهد ويكافح ولكن فى الطريق الذى اختاره هو لنفسه وأفرغ عليه المبادىء والمقاييس التى فرضها هو على نفسه ، وجعل منها قواعد وحدودا لم يكن يحيد عنها ولا يخرج منها . لما أراد أن يأخذها الناس ويقيدوا أنفسهم بها ، رأوا أنه يحملهم فوق طبيعة البشر وفوق طاقتهم .

إن الذين انتقدوا سعد الله الجابرى فى حياته لم يفهموا هذه الناحية من نفسه الكبيرة ولو فهموها لأدركوا أى خسارة تحتملها الآن سورية والبلاد العربية باختفاء شخصية نافذة مخلصة ، تمتاز بحماستها الهائلة للفكرة العامة واندفاعها لأجل المصلحة العامة

لقد كان سعد الله من بناة الاستقلال السورى ومن الذين جاهدوا فوصلوا إلى مراكز القيادة ، وكانت الدنيا بين أيديهم فاذا هم يخرجون منها وهم أقل ثروة مما كانوا قبل دخولهم الحياة العامة

كثيراً ما كانت تخونه أعصابه ، ولكنى لم أعرف لحظة واحدة خانه فيها إيمانه . كثيراً ما تحمس وانفعل ولكن كثيراً ما تحمل لأن قلبه كان كبيراً وعامراً بالدوافع الكبرى : فهو قد حقق مع زملائه لوطنه مارسمه فى مخيلته من حرية واستقلال ، وكان يؤمل أن ينقل أمته إلى المكانة التى كان يحلم بها . حقق الله آماله من بعده

إنى أعزى الشعب السورى الشقيق وفخامة رئيس الجمهورية ودولة جميل بك مردم وزملاء الفقيد وآل الجابرى وأعد فقده خسارة للعرب ولمصر التى أحبته وأنزلته فى قلبها لما ظهر من حبه لها ولأهلها ، أسمى منزلة وأكرامها .

أحمد رمزى

غير لقاء ، وقال آخرون عرفوا بالرأفة والحنان : سنكفل الطفل ونرعاه ، فذريه معنا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون .

وتجاوبت لغة التشاؤم في نفسي المثقلة بذكرياتها ، واشتجرت في قلبي شجرة طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، ولم يبق في حسي إلا بقية الآية : ان ليحزنني أن تذهبوا به ... !

أجل ! . إني ليحزنني أن يذهبوا به .. وإن كان القوم ذوى أطفال ، وإن كانوا ذوى نفوس كريمة وطبع سمح جميل ... !

وأعود من هذا إلى ما سيحس هو به فأقول :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه قبيل الكرى عيناه تنهملان

ولقد ذهبوا به في رأد الضحى بجدائله التي عقصتها له بيدي المتخاذلتين وقلبي المستخذى الخفاق يمد عيني المحمومتين بالدمعة المهراقة التي لا ترقأ . وأضحى كل ألم في كل مفصل له بولدى صلة ؛ فأنا آلم برأسي ألم رأس وألم حس بفراق « ابنى » ؛ وأنا آلم بحسي ألماً يكبر عن الألم المألوف لأنه مزيج من ألم الحس المثخن وألم الأم تريد ابنها ترى فيه آلامها الكبار السابقة لينحط هذا الألم بفعل المقارنة إلى ما يجوز استمراؤه وقبوله . فهل أكون عقصت شعره لآخر مرة ؟

وتمظم هذه الآلام وتبسق وتمد ظلالها فتساقط على نفسي الحالة بذكرياتها كسفاً من الليل المقمر بأعاصير الكدر ، وتتزلزل قواعد الصبر في نفسي وتلقى بها الريح في مكان سحيق فأرتد خاسئة الطرف ذاوية ، وأضؤل وأضوى .

وهنا تنفتح عيني على غير إرادة ، وأرفع كفى إلى رأسي المسجور ، لأنى أرى في ضعفى هذا وبؤسى هذا .. ويأسي هذا « ابنى » الذى حملوه مع الحقائب إلى دار الكرام الذين قالوا ذريه معنا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ... وأدير رأسي رويداً رويداً لأسكب على الوسادة دموعاً ثقالا بعد اليوم ، لا حراراً كما اصطلح عليها ، دموعاً ثقالا من ذوب القلب الحنون تنفض البؤبؤ السقيم فأطرحها على الوسادة طرحاً ، وأراها تتدحرج قطرة قطرة ... وتفرغ عيني منها فأستجلى صورة ابنى على مقربة من رأسي . ثم يختلج في نفسي تساءل هين رقيق . رفقه المرض كثيراً وأمسك عليه الاجابة ، ترى علام خلق الدمع ؟ الأجل أن يضفى على ألم جديداً فأرى من خلال ودقه صورة ابنى متراقصة وأراها متحركة وأراها ناطقة بدون كلام ، وأراها ضاحكة تهون على الصعب ، وأراها باكية تشاركني الخطب وتقاسمني الكرب . ولقد أراني الدمع صورة ابنى من مشتقات معانيه يزم جبينه وشفتيه شروعاً في جهشة ... وأراني صورة أمي بجانبه صابرة متجلدة كشأنها ، وأراني أمسى دا كناً إلا شمعتين ، وأراني غدى في لون الضباب ... ولون الضباب كلون الكفن ! !

ولقد يطلب للمريض في فرش الضنى أن يرقب مواكب المنى تمر مستأنية في وخدها وإرقالها ، مثقلة بأوقارها وأحمالها ... تقبل من الأفق الأيسر وتذوب في الأفق الأيمن مارة عبر جسمه المسجى الضعيف يحدو حداتها فيهم طرفه الفاتر ونظره الغائر في الحدوج ويستلهم الأحمال ويتنخل ما فيها لأيامه الحسان المقبلة ، وأنا .. أرقب هذه المواكب زاخرة بأمانيها ، ملأى بما فيها ، يقودها الدمرداش من أفق العباسية إلى أفق الزمالك – حيث ابنى – فلا أرى ما يستفزني في الأفانين إلا ركوب يستوى على متنه شيء يشع فيمسك الرمق ، يدنو في أخريات الموكب فاذا هو طفل بسام الثغر مصفف الشعر هو « ابنى » فأصيح وأريد اللحاق فيقال : لا : أنت رهينة التيفوئيد . أجل لقد ذهب الموكب صداحاً لين اللحن عبق الخطو والحداء . وقد رأيت ابنى فيه بسام الثغر مصفف الشعر ... فأبسم لنفسي وأهزأ من دموعي وأجد القدرة على الشفاء . أين الدكتور الدمرداش أشكره على ما أتاح ، وأين زوجي أسأله عن ابنى فيقص على الأمر فأرتاح .

لقد قيل لى منذ أيام إن — ابنى — عنى سأل ، ولا بد أنه ألقى سؤاله ذلك خجلا أحمر الوجنتين ، خائب الشفتين ، فأجابوه بأن أمه في المدرسة . فما أحسن الاجابة ! انني في مدرسة الصبر ، أتعلم الموت كيف يهون ، وفراق الابن كيف يكون . أما أن ابنى أحمر الوجنتين خجلا ، خائب الشفتين أملا ، فلك الله يا مناى ، ولى . ما ودعتك أمك وما قلت ، ولا نسيتك أمك ولا سلت .

منيرة الكيلاني

عبرة من كتاب :

حذار يا سيدتي (*)

للأستاذ سعيد الأفغاني

الآن ، وقد بلغت بك نهاية الحديث عن السيدة عائشة ومغامراتها السياسية ، وآثارها القريبة والبعيدة في حياة المسلمين أودعك موصياً أن تجعل بالك أبداً — كلما قرأت التاريخ — إلى عبره وتجاربه ، فتأخذ من كل شيء أحسنه ، وتربأ بنفسك وبأمتك أن تغامر في تجربة ثبت ضررها وفسادها ، وخاصة إذا كان الثمن الذي قدمناه فيها دماء عشرات الألوف . وأنا أريد أن أختم كلامي بالنص على عبرتين اثنتين من هذه العبر الكثيرة التي تعرض لقارىء هذا الكتاب ، تنقذاننا مما نحن فيه اليوم من تخبط ، وتنيران لنا طريقاً طال تعسفنا في المتاهات دون أن نهتدي إليه.

أما الأولى : فهي أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها في المنازعات السياسية . إن لها أن تنصح وتبصر القريبين منها بعواقب الأمور ، وليس لها أن تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتن . إن بيدها مفاتيح خطرة في التأثير في نفوس الجماهير وفي استغلال حميتهم ونخوتهم ومشاعرهم ، وهذا السلاح غير حميد في العواقب ولا يصح استعماله بحال . وقد أبنت لك أنه لولا موقف السيدة عائشة في أمر عثمان ثم المطالبة بدمه من بعد لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا التغير كله ، ولسارت سيراً مأموناً مطرد الرقي مباركا ، فيه الخير كل الخير للأقطار الإسلامية ...

وكأن الله الذي جعل النساء لتنشئة الرجال وتربية الأجيال وإدارة البيوت ، أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية لا تنسى ، كلفتهم كل تلك الدماء المهراقة ، وفجعتهم بالألوف من الصحابة الأجلاء المهاجرين والأنصار ومن الفحول المذاويد من أبطال الفتح وأعاظم الفقهاء وأساطين القراء ورؤوس الناس ... ليعلموا : أن لو كان أمر من أمور الرجال الخاصة بهم يقوم بامرأة ، لقام بعائشة أم المؤمنين ، تلك السيدة الحصيفة التي أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والبلاغة والصلاح ... ما لم يؤته رجال كثيرون مجتمعين ، والتي جمع الله فيها من المآثر العظام ما تفرق في العدد العديد من الفحول .

لقد خلدت حرب الجمل مناراً في تاريخ المسلمين : كلما نزغ بهم نزغ من تقليد أعمى لغيرهم من الأمم ؛ أو مس من رجعية ذميمة ، فهبطوا بالمرأة من الصيانة إلى الابتذال ، أو هموا أن يخرجوا بها عما خلق لها وخلقت له ... قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة في صدر تاريخنا ؛ فما بنا من حاجة إلى أن نعيدها عبثاً ، أو أن نهرق في سبيلها ثانية دماء جديدة ونخرب بيوتاً عامرة ... ومن لنا مع هذا بمثل عائشة .

وليذكروا أبداً أقوال عائشة بعد ما عاينت هول ما جرته مغامراتها السياسية على الأمة من ويلات ، إنها قضت عمرها حسرة وندامة ، حتى أذابت الحسرة قلبها وكبدها وحتى قتلها الحزن قتلا . وفي هذه الكلمات البليغات منها عبرة لنا أي عبرة :

« ليتني لم أخلق » ، « ليتني كنت شجرة » ، « ليتني مت قبل يوم الجمل بعشرين سنة » وقد كانت آخر كلماتها التي ودعت بها الحياة قولها : « إن يوم الجمل معترض في حلقي ، ليتني لم أخلق »

* * *

إن هناك مجالاً واسعاً لنشاط المرأة حين تجد وقتاً فاضلاً عن شؤن التربية وإدارة المنزل ، تستطيع به أن تملأ الأجواء خيراً ورحمة وإحساناً . هذه وجوه الخير مفتحة الأبواب في وسع المرأة أن تلجها فتمارس أموراً عظاماً وتبذل مجهوداً مشكوراً يعود على أمتها بما لا يقل عما يأتيه الرجال المحسنون ثمرة وغناء وطيب أثر.

أمامها من ميادين الخير : التمريض وإسعاف الفقيرات من بنات جنسها بالعلاج والدواء والطعام والكساء . وفي مجتمعنا من المحتاجات ما يشغل عشرات الجمعيات الخيرية من النساء ولا يفي بحاجتهن عشرات المستشفيات .

وأمامها أيضاً كفاح الجهل في بنات جنسها ، فلتنشىء لهن المعاهد ذوات المناهج الصالحة لتنشئة الأمهات على ألا تستعير لها برامج الذكور (ببعض التعديل) فقد ثبت مع الزمن أنا حتى

(*) الفصل الأخير من كتاب (عائشة والسياسة) تصدره لجنة التأليف والترجمة والنشر قريباً

الآن لم نقم التعليم الصالح للبنات [١]

وهناك أمام المرأة العناية بتربية اليتيمات وإنشاء (المياتم) وتمهد أمهاتهن بالرعاية والتوجيه ثم إشاعة الثقافة الصحية بين النساء عامة ...

ويجب أن ينشأ فيهن المتخصصات فى جميع الفروع التى يحتاج إليها النساء والأطفال، وأن يكون منهن العدد الوافى بالحاجة بحيث يسددن عوز النساء فى علاج أمراض العين والأسنان والأمراض الداخلية والجلدية وفى حاجات التوليد .

فإن كان ولا بد من زيادة فإلى المساهمة فى كفاح ما يتفشى فى المجتمع من امتهان المرأة وإشقائها عن طريق البغاء والقمار والخمور وغيرها من المفاسد التى ضاق بشرورها المفكرون فى الغرب والشرق ...

لدى المرأة إذن كثير من أعمال الإحسان تنتظر من يقوم بها ، وفى ذلك الخدمة المخلصة للأمة وإعمارُ البيوت وإفاضة الخير والسعادة فى المجتمع ...

ونحمد الله على أن فى فضليات نسائنا من تحاول سد هذه الثلمة ، إلا أن نسبتهن قليلة جداً بالقياس إلى اللائى تنكبن الجادة متخبطات على غير بصيرة ، فهجرن بيوتهن وأكلات أمورهن إلى الخوادم ، وطفقن يمارسن ما لا يعود عليهن وعلى أسرهن وأمتهن إلا بالضرر الخالص والإفساد الكبير : من إقامة حفلات ساهرة مخجلة ، وغشيان مجتمعات وأندية ، واقتحام أسفار ، وعقد مؤتمرات لا يبلغن فيها أمراً نافعاً ، بل كثيراً ما رجعن وقد سبقتهن أشأم الحوادث وأسوأ الأخبار ... مما يدع السامع ينشد قول جرير يخاطب الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عاراً

(١) ينبغى أن تكون أكثر مواد هذا التعليم بحوثاً واسعة تجريبية فى كل ما تحتاج إليه الأم فى الصحة والدين وشؤون المنزل وتربية البنين وحسن العشرة ... لا خليطاً غير منسجم من نظريات الرياضيات ومعادلات الكيمياء وقوانين الطبيعة . ولنجعل التاريخ الذى يدرسنه مملوءاً بسير الذين ضربوا المثل العليا للبشر فى سمو النفس وابتغاء الخير وخدمة الناس ، وفى الفضائل الحية ممن أشاعوا الرحمة والصلاح والعدل والخير ، وكانوا للانسانية حماتها الأبطال المخلصين من رجالنا ونسائنا على السواء . ولنتجنب شحنه لهن بأخبار القلاقل والاضطرابات والفتن والحروب ومثل الفساد والطغيان .

يقلدن بذلك نساء ضج عقلاء أممهن من أحوالهن [١] وسقط مقامهن فيها من كثرة هذا التبذل والعبث ، وعدن على بنات جنسهن من البريئات بأبلغ الضرر لما لوثن من سمعة المرأة عامة . ليتنا إذا جئنا بالتقليد اخترنا من نقلد ، ففى كل أمة من فضليات النساء النافعات من يحسن الاقتداء به ، ولكننا ننتقى أحط المبتذلات ثم نسبقهن فى الابتذال أشواطاً يخجلن هن أنفسهن من السعى إليها .

وأبعد من هذا ، أننا إذا أممنا فى البيت وما يحتاج إليه تدبيره على خير نسق من علم واسع غزير فى الصحة والأخلاق والتربية وعلم النفس ، وسياسة الزوج والأطفال ، وسياسة المورد والمصرف ورعاية ذلك كله . . وجدنا أن علم ذلك وإتقانه وحسن إمضائه لا يكاد يبقى للمرأة القديرة ذات المواهب الجمة من فراغ أو جهد فكيف المتوسطات بله الضعيفات . إن ما يلزم لتصبح الأنثى امرأة (مثقفة) ليتضاءل أمامه — فى اعتقادى — كل ثقافة ثانية مهما كانت رفيعة مفيدة .

وعلى المرأة الجادّة بعد ذلك واجبات عديدة تستطيع أن

(١) وددت لو تفرغ طائفة من علماء النفس إلى دراسة نفسية عميقة للنسوة اللاتى يطالبن بالحقوق السياسية فى أوروبا وأمريكا واللاتى استغرق (نشاطهن) الاجتماعى كل وقتهن ، فلعل فى أعماق نفوسهن هوى سحيقة ومرارات أليمة وعللا وشذوذاً ... وشعوراً صارخاً بنقص ماثل لأعينهن كيفما توجهن ، فآثرن تناسيه والهرب منه بذلك (النشاط الإجتماعى) . والطريف أن هؤلاء لم يكثر عددهن إلا فى هذه السنين الثلاثين الأواخر ، حين فقدت أوروبا الشعور بدفء الأسرة ونعيمها وروحها ، وخلت البيوت من جوها الجميل الجذاب ، جو التآلف والاجتماع والتحاب والتعاطف ، وأصبحت مائدة البيت قلما يجتمع عليها اثنان بعد أن تشرد أفراد الأسرة وتبعثروا فى المطاعم والسهرات . فلو كان بناء الأسرة متماسكاً متيناً حبيباً كعهده الأول ، ما كان المطالبات بحقوق الانتخاب والنيابة والوزارة والتمثيل السياسى وما إلى ذلك . وإذا أساغ التصور السليم مثل هذا الشذوذ فى روسيا السوفيتية ، حيث يراد إقامة مجتمع لا بناء للأسرة فيه ، فإنه لا يتخيل بحال امرأة عضواً عاملا فى أسرة ثم تكون مندفعة فى تيارات السياسة وما إليها فى وقت معاً .

ووددت أيضاً لو شرع الفنيون من رجال الإحصاء بدراسة تعرفنا نسبة ربات الأسر اللائى أنعم الله عليهن بالزواج والولد بين الطالبات بحق الانتخاب مثلا ، ثم أحصوا نسبة الجميلات منهن ، ثم .. ثم .. إنى لأخشى أن تكون الكثرة الكاثرة منهن ممن حرمهن الله الجمال والزوج والولد ، فنقمن على المجتمع نظامه ، وعلى الأخلاق قوانينها ، وعلى السعادة وجودها على الأرض ، وآلين على أنفسهن ألا يضعن الحرب حتى يعم العدل وجه الأرض ، وما العدل عندهن إلا هدم الأسر وأنظمة الزواج ، وسلطان الضمير ، ومحو السعادة جملة ...

تشارك فى شرف الخدمة فيها ، على شرط واحد : هو أن تتم كل ما عليها من واجب نحو بيتها وأسرتها أولا ، وإنما يكون التطوع والصداقة والإحسان فيما فضل عنك من مال أو وقت أو جهد .

* * *

هذا ، ولست أقول إن المرأة لا نفع منها فى باب السياسة ، أستغفر الله ، إن منها النفع كل النفع من طريق واحد فقط : هو أن تتحلى بكل فضيلة رسمها لها دينها ثم تنشىء عليها أولادها ، فما فى امرأة فرطت بفضائل دينها من خير قط . والناس على حق حين يهملون كل أدب واحترام إذا رأوا امرأة جامحة على الآداب النسوية التى شرعها الله . والدين للمرأة هو كل شىء فى نظر زوجها وولدها وأسرتها والناس أجمعين ، فإذا جاهرت بشىء من الخروج عليه فقدت كل احترام فى النفوس ، وانتقلت نظرة الناس لها دفعة واحدة من التقديس إلى الزراية .

إن من لم تكن أمينة على دينها لن ينتظر منها إلا الشر والخيانة لأسرتها ووطنها ، مثلها فى ذلك مثل الرجال : رق دينهم فلما مارسوا الشؤون العامة مالئين الدنيا صخباً بدعوى إخلاصهم ووطنيتهم ، كان بلاء الأوطان منهم وحدهم إذ كانوا لا يخافون الله ولا يرعون لدين عهداً ولا لضمير حرمة ، فانطلقوا يشحنون الأرض خسفاً وكسفاً ونهباً وسلباً واحتكاراً وغلاء وإهداراً للكرامات والقيم وتضييعاً للأمانات والحقوق . وبذلك ضربوا أسوأ الأمثال وأظهروا وطنهم بشر المظاهر ... ومن مات وازعه الدينى ونسى يوم الحساب فلن يرده عن طغيانه رادع من الناس ولا رقيب ...

وأنا على يقين من أن أمهاتهم مسؤولات — إلى حد بعيد — عن هذا الخزى الذى ارتطموا فيه ، إذ أهملن فيهم تربية الوازع وإحياء الضمير وإشعارهم خوف الله والحساب . لقد حرمتهم النشأة الدينية الفاضلة فلم يعرفوا لذتها ، ولم يتعهدن ذممهم وأخلاقهم ففقدوا فى أنفسهم الكرامة الإنسانية ، فلما تغلبوا وسيطروا كانوا فوق الوحوش ضراوة وشراسة وقسوة قلب ، فعم البلاء البلاد والعباد ...

إلى هذا الحد تبلغ جريمة المرأة الناشئة على غير دين ، وتعظم المصيبة بها ، وتستفحل آثار شرورها فى مستقبل الأمة وسلامة المجتمع فلها إذن آثار بعيدة فى السياسة ، وهى تسدى لوطنها أعظم الفضل أو تبلغ منه أعظم النكاية ، لا بنفسها مباشرة فقط ، ولكن بنفسها وبما تنشىء عليه أبناءها سياسى الغد من فضائل أو رذائل ، وبما تنال ضمير الناشىء ووازعه الدينى من عناية أو إهمال

* * *

ذلك وقد أعان على تردى المرأة فى الخروج على أنوثتها وفطرتها فريق من أشباه الكتاب حملوا أقلاماً ولم يحملوا إخلاصاً ولا أمانة ولا نصحاً . دفعهم الرياء المغشوش على أن يغرقوا فى مجاملة المرأة المشتطة الطائشة ابتغاء العبث بها وبكرامتها ، فحملوها فوق ما تستطيع من السخط على الطبيعة التى فيها لكل كائن عمل خاص . وكان حق المرأة على هؤلاء أن يأخذوا بيدها إلى ما يسمدها من علم وخلق ، وإلى ما يعزها فى المجتمع سيدة بيت ومربية أجيال . وكان من حقها أيضاً على من يزعم نصرتها أن يمسكها عن أن يهوى بها الطيش فى مكان سحيق فتفقد ما لها من حرمة هى ملاك أمرها كله فى المجتمع . ليتنا فى غمراتنا اليوم نسترشد بتجارب الماضى ونسير غير متخبطين : نبصر مواطىء أقدامنا ونتقى المزالق ، ونجند كلا فى ميدانه الذى يصلح له . لقد تداعت علينا الأمم ، وطمع فينا حتى (الصهاينة) من شذاذ الآفاق ، وغزينا فى أخلاقنا وبلادنا وأموالنا ... وليس فى جهودنا فضل ننفقه فى رد العابثين عن عبثهم ؛ فليتق الله حملة الأقلام وليصونوا الشاردات عن القطيع ، وليرجعوا بهن عن طريق وضمن أقدامهن فى أوله وما آخره إلا مستقبل أسود حالك للأنثى أولا ، ثم خراب البيوت وهدم الأسر وارتكاس المجتمع وموت كل كرامة امتاز بها الإنسان من دون الحيوانات الدنيا .

وما الانهيار السريع الذى قضى على بعض دول الغرب العظمى فى مثل لمح البصر بسبب فساد المرأة ، ببعيد فينسى . ولنا فيه درس وموعظة وبلاغ (١)

سعيد الأفغاني

(١) أما العبرة الثانية فقد كنا نشرناها فى العدد (٧٠٣) من الرسالة بعنوان (من نكبات المرأة فى تاريخنا) .

لماذا ينتحر النـــاس ؟

بحث نفسى اجتماعى

للدكتور أحمد موسى

لم يكن الانتحار معروفاً فى مصر قبل ربع قرن ! وكان الناس على الأرجح أكثر قناعة واحتمالا وأرحب صدراً لمقابلة آلام الحياة وأقل تبرماً بها ! أما اليوم ولاسيما خلال العشر السنوات الأخيرة فقدبدت ظاهرة مخيفة ، هى إقدام الكثيرين على الانتحار سواء فى ذلك الشبان والشابات والنساء والرجال دون فرق ظاهر بين متعلم وجاهل وبين فقير وغنى وبين صحيح ومريض وبين متزوج وأعزب .

ولبيان خطورة هذا المسلك ودراسة الدوافع إليه والنتائج المترتبة عليه يجدر بنا أن نلقى نظرة بسيطة على الإحصاء الدقيق المعمول فى أمريكا وأوربا .

وخير ما يمكن أن يدرس هو الإحصاء الذى سجله الدكتور فردريك هوفان أحد مديرى شركات التأمين الكبرى فى نيويورك ، وهو بحكم دراسته ووظيفته ومدة اشتغاله بالإحصاء أكثر من ثلاثين عاماً يُعد من الثقاة فى هذا الموضوع . يقول هوفان إن عدد المنتحرين بلغ فى سنة ١٩٣٥ سبعة آلاف ، ويقرر بعد عمل المقارنة أن هذا العدد الهائل يعادل ما حصل فى بحر عشر سنوات من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٨ ، وهذا دليل على أن ترمومتر الانتحار آخذ فى الارتفاع .

ومع الاعتراف بفضل تقدم الوسائل الاقتصادية وتأمين العمال ومساعدة العاطلين مالياً وإيجاد سبل العمل لأكبر عدد منهم والتقدم العمرانى العام وانتشار التعليم إلى جانب انتشار وسائل التلهية والتسلية ؛ فإن هذا كله لم يكن ليمنع ازدياد الانتحار بين الناس على غير ما كان منتظراً ومأمولا .

هذا ما وقع فى أمريكا ولكنه قد لا ينطبق تمام الانطباق على ما يحدث فى أوربا ، وقد يخالف ما يحصل فى الشرق على وجه الخصوص .

والشىء الذى يجب ملاحظته هو أن الانتحار يكثر عادة فى البلاد المتمدينة عنه فى البلاد المتأخرة ، وفى العواصم والمدن الكبرى عنه فى البلدان الصغيرة والقرى ، أى أن حوادث الانتحار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانتشار المدنية ؛ ولذلك فلا غرابة إذا وجدنا أن الانتحار غير معروف عند السود فى جنوب الولايات المتحدة وفى أواسط أفريقيا . والسبب فى ذلك أن مطالب الحياة فى البلاد المتمدنة أكثر تنوعاً وأشد إلحاحاً منها فى البلاد البعيدة النائية حيث الحياة بسيطة أقرب إلى الفطرة .

وسكان جنوب الولايات المتحدة وإن كان معظمهم من الزراع وعمال مصانع النسيج الفقراء فإنهم يعيشون فى أمان من الانتحار إذ لم تزد نسبة المنتحرين عندهم عن اثنين فى كل مائة ألف من السكان ، على حين قد ثبت أن هذا العدد بلغ ثمانية فى كل مائة ألف فى الأماكن المجاورة حيث توجد المدنية !

والإحصاء العام يدل فى غير شك على أن معظم المنتحرين كانوا من بقاع النصف الشمالى للكرة الأرضية بنصفيها الغربى والشرقى حيث سارت المدنية بخطى أوسع وبسرعة أكبر ، وحيث العوامل الجوية دائمة الانقلاب والتغير والتباين ، وهو نفس الجو الباعث على النشاط والعمل والانتاج ، فكأن الشعوب التى نالت القسط الأوفى من التعليم والثقافة والتى لديها الأسس الاقتصادية ، امتازت أيضاً بزيادة عدد المنتحرين فيها .

وثبت من الاحصاء أن انتحار النساء يكون على أشده بين سن ١٥ و٤٥ والرجال بين سن ٢٥ و٦٠ ، إلا أن عدد المنتحرات كان دائماً أقل من عدد المنتحرين ، لأن المرأة بطبيعتها المولودة معها أكثر جلداً وصبراً واحتمالا لآلام الحياة ، وهى كأم أقل تبرماً بالقدر وأكثر تضحية بنفسها لأولادها ، فضلا عن أن مسئوليتها فى الحياة أقل نسبياً من مسئولية الرجل المولود للكفاح والقوامة على المرأة ، وليس فى مكنته التحرر من واجبات الزوجية أو إهمالها ، كما أن من واجباته الأولى مساعدتها على البقاء وتأدية رسالتها التى خلقت من أجلها وهى الأمومة ، ولذلك فعند ما تصادف المرأة من مرارة العيش قدراً مساوياً لما يصادفه الرجل كالآلام النفسانية أو الجسمانية أو الصدمات الحيوية العنيفة ؛ فإنها لا تفكر فى الانتحار أو على الأقل لا تميل إليه بمقدار قوة ميل الرجل ، لأنها أمهر منه فى إيجاد نوع من السلوى وأكثر رضوخاً للتعاليم الدينية وأميل للانحياز نحو الآمال التى قد تتحقق حيناً وتخيب أحياناً .

نعم إن هناك مشكلة التقدير لهذه المتاعب ، فقد يصيب المرأة ما يصيب الرجل ، وكلاهما يختلف عن الآخر في التقدير .

ويمكن التأكد من صحة هذه المعالجة بالنظر إلى عدد المنتحرين في مصر عام ١٩٢٧ مثلا ، فقد بلغ مائة وستة أشخاص بيانها :

السن من — إلى		ذكور	أناث
١٠	١٩	١٠	١٤
٢٠	٣٩	٤٠	١١
٤٠	٥٩	١٤	٦
٦٠	فا فوق	٤	٥

المجموع ٦٨ ذكوراً ، ٣٦ أناثاً .

يضاف إلى ذلك اثنان انتحرا في سن أقل من العاشرة .

ومن هذا البيان يتضح أن المرأة أقدمت على الانتحار بنسبة أكثر في وقت كانت فيه أبعد عن الرزانة وأقرب إلى الآمال ، على حين أقدم الرجل بكثرة عند ما شعر بالمسئولية . وكذلك يلاحظ أن عدد المنتحرين قل إجمالا بعد سن الأربعين وتساوى مع الرجل بعد سن الستين . وهذا يؤيد أيضاً أن المرأة أقل اندفاعاً نحو الانتحار من الرجل ، وذلك بالنظر إلى مجموع الرجال ومجموع النساء ولا يختلف هذا عن نتائج الإحصاء في أمريكا وأوربا .

وقد كثرت حوادث الانتحار في العهد الأخير بين المتعلمين في القارتين الأمريكية والأوربية ، ولاسيما بين الأفراد الذين نالوا قسطاً وافراً من المعارف ولم يكن ميسوراً لهم الانتفاع بمعارفهم سواء في خدمة المجموع أو خدمة أنفسهم ، وكان الباب في غالب الأحيان موصداً في وجوههم لتفشى داء المحسوبية الوبيل الذى كان من أكبر أسباب انهيار فرنسا بجيشها الباسل ورجال العلم والعمل فيها . وإن كلمة بيتان في سبب الانحلال الأخلاق لأكبر دليل على ما أصاب هذا البلد العظيم من عوامل إخفاء الأكفأ والأحسن والأسمى ، ولو اتعظ الناس في بلادنا لأعرضوا جميعاً عن تشجيع المحسوبية بل لعملوا على محاربتها ، لأنها تقتل الكفاءات وتثبط العزائم وتحارب العاملين وتدفع ببعضهم إلى الانتحار مللا وضجراً ورغبة في نهاية فيها الراحة مهما كانت مرارتها

ولوحظ أن حوادث الانتحار تكثر في أوقات الأعياد ولاسيما الدينية منها كعيد الميلاد ورأس السنة المسيحية ، وكذلك عقب الامتحانات العامة وخصوصاً في مصر ، والانتحار سواء بالغرق وهو أكثر ما يلجأ إليه أو بتناول السموم أو بقطع الشريان أو بالرصاص قد كثر في عهدنا الحاضر كثرة تبعث على القلق وتحفز ذوى الهمم إلى وجوب الدرس والفحص والعناية

ودلت التجارب على أن حوادث الانتحار منتشرة في البلدان التى يكثر فيها العاطلون من ذوى النفوس الحساسة والعقول التى تقدر المسئولية ؛ لذلك قامت الحكومات المتمدينة بمحاربة البطالة بمختلف الوسائل ووفق بعضها توفيقاً ماثلا إلى ماقبل الحرب الأخيرة

ومن الغريب أن معظم حوادث الانتحار أقدم عليها أفراد من الريف انتقلوا إلى المدن الكبرى والعواصم مأخوذين بسحرها وأضوائها واتساع شوارعها وسهولة العيش فيها ، فإذا ما استقر بهم الحال هبوا سعياً وراء الرزق والعمل ، ولكن سرعان ما يصطدمون بصخرتها القاسية فيفروا من ذلك السحر وهذا الجمال إلى حيث النهاية التى لا عودة بعدها .

والانتحار عمل ناشىء عن اختلال التوازن العقلى واضطراب المجموع العصبى ، فيختل تقدير الإنسان للمسئولية الأدبية والاجتماعية فيندفع إلى تلك الخاتمة الأليمة التى لو ساعدت الظروف الخارجة عن إرادته على منعه لعاد إليه صوابه وندم على ما كان شارعاً فيه

وتكاد كل حالات الانتحار تتشابه من حيث الدافع إليها ، أى أنها تسلط فكرة « التخلص » من متاعب لا نهاية لها ، سواء في ذلك المتاعب الجسمية أو النفسية ، والجسمية مرضية معظمها ميئوس من شفائه كالسرطان والتدرن الرئوى والأمراض التناسلية ، أما النفسية فهى مع تنوعها لا تحتاج إلى إيضاح كثير ولكنها مع كل حال لا تخرج عن يأس وقنوط لإيجاد حل « معقول » لمشاكل لا حدود لها .

وكم من مرة سمعنا بعض الناس يقول « إن الحياة عندى لا تساوى مليما » أو « إنى أفضل الموت على الحياة » أو « لماذا ولدنا وكل ما في الحياة عذاب » وهذه الكلمات لا تصدر عفواً ولا يقولها القائل تلهياً وعبثاً ؛ فواجبنا جميعاً يقضى بدرس هؤلاء الناس والعمل على تخفيف آلامهم ، ولا ننسى أن بعض هؤلاء انتحر فعلا بعد أن التمس من الحكومة الأخذ بيده ليتمكن من القيام بواجبات الأبوة لأطفال صغار .

إن مما يؤسف له حقاً أن تكون المدنية السبب الأول لهذا البلاء لأنها هى التى جرت على الناس مصيبة الترف ودقة الإحساس والمبالغة في تقدير المتاعب ، وقربتهم إلى « النعومة » فأصبحوا خائرى القوى لا يرغبون في المقاومة بل ويستسلمون لأقل قوة ، فترى البعض يثور إذا ما أصاب مصعد العمارة التى يسكنها أى خلل مؤقت يترتب عليه بذل جهد بسيط في الصعود إلى الطبقة الرابعة أو الخامسة ، وزاد بالناس التبرم بالحياة إلى حد

الرغبة في إحداث « ثورة » منزلية إذا ما وجدوا ماء الحلاقة بارداً أو فاتراً أو شربوا الماء وهو في درجة ترتفع عن الصفر !

لقد فقد الناس الجلد وقوة الاحتمال بفضل المدنية الحديثة واختراع الآلات الميكانيكية التي تؤدى كل عمل ؛ ولذلك فلا غرابة إذا زادت نسبة المنتحرين بين الطبقة المتمتعة بمثل هذه « النعم » أو الراغبة فيها أو الساعية إليها !

ويظهر أن هنالك علاقة وثيقة بين الموقع الجغرافي والجو في بلد ما وبين عدد المنتحرين فيه . فمثلا نجد أن منطقة سان دیجو في كاليفورنيا أكثر من غيرها بالنسبة إلى عدد المنتحرين ، فقد بلغ هذا العدد ٤٦ في كل مائة ألف ، وبعدها سان فرانسسكو ٣٨ ولوس انجلوس ٣٣ وأوكلاند ٣٠ فقط ، والتباين بين هذه المناطق ظاهر وراجع إلى اختلاف الموقع واختلاف الجو .

ولم يلاحظ أن جمال البقعة أو الوسط مما يخفف من اندفاع الناس نحو الانتحار ، فمدينة واشنطون معروفة بجمالها وبكثرة بساتينها وأنها بلد محوط بالحدائق ، ومع ذلك ازداد عدد المنتحرين فيها عن بايون في نيوجرسى التي لا تدانيها في جمال الطبيعة فيها ؛ فنرى في الأخيرة أن عدد المنتحرين كان خمسة في كل مائة ألف على حين وصل في واشنطون ١٨ .

ويظن بعض الناس أن سكان البلدان الحارة وهم أقرب إلى الاندفاع العصبي وسرعة الغيظ والغضب لأقل الأسباب أسرع من غيرهم شروعاً في الانتحار ، وهذا مخالف للواقع ؛ إذ أن نسبة عدد المنتحرين في إيطاليا والبرتغال وأسبانيا ومصر أقل بكثير عن نظيرتها في البلدان الشمالية .

وإذا عد الانتحار دليلا على الفشل في الحياة وعلى اليأس والقنوط فإن البعض يعده أنانية ، وسواء أكان هذا أو ذاك فإن ذلك لا يمنع من درسه والعناية به ؛ لأن الدافع إليه تسلط فكرة واحدة وانحلال قوة التفكير أمامها ، وهذه الفكرة هي « التخلص » من الحياة .

ولا أصدق من موليير عندما قال في مقطوعته Dépit amoureux أن الموت أشبه شيء بزجاجة الدواء ، يمكن لكل فرد أن يتناول منها في وقت معين ، فمن اندفع نحوها قبل الأوان فقد اندفع بعد ما فقد عقله[1] !

أحمد موسى

(١) La mort est un remède à trouver quand on veut
Et L' on s'en doit Sevvir le plus tard que l'on peut, uolière. 1656 A,4 Sc 1 Frosine

البحر والقمر

للأستاذ علي محمود طه

« من ذكريات مدينة « كان » بالريفييرا الفرنسية صيف عام ١٩٤٦ وقد أقيمت في خليجها الفاتن حفلة شائقة للسباحين والسباحات ذات ليلة مقمرة استمرت حتى مطلع الفجر » .

تساءل الماء فيكِ والشجرُ ... من أين يا « كانُ » هذه الصورُ ؟
البحر والحور فيه سابحة ... رؤًى بها بات يحلُمُ القمرُ !
أطلَّ والضوء راقصٌ غزِلٌ ... دعاه قلب ، وشاقه بصرُ
يهمسُ فيما يراه من فِتَنٍ ... آلهــةٌ هؤلاءِ أم بشرُ ؟
يقفز من لجــةٍ إلى حجَرٍ ... كأنما مسَّ زوحَه الضَّجرُ
مربداً لا يريم سابحــةً ... إلّا ومنــهُ بثغرها أثرُ
من كل حواء مثلما خلقت ... يعجب منها الحرير والوبر
ألقته عنها غلالة ونضَتْ ... جسما تحامى نداءه القدر
في حانة ما علت بها عمد ... ولا استوى في بنائها حجر
جدرانها الماء ، والسماء لها ... سقيفة ، والنسائم السُّترُ
خمَّارُها منشد ، وسامرُها ... حور تلوَّى ، وفتية سكروا
لم تبق في الشط منهم قدم ... قد خوَّضوا في العباب وانتثروا
وشيَّعوا العقل حينما شربوا ... وودَّعوا القلب حينما نظروا
والسابحاتُ الحسانُ حولهمو ... كأنهنَّ النجوم والزهرُ
يزيد سيقانهنَّ من بهج ... لون عجيب الرواء مبتكر
يضيء ورداً وخمرة وسنى ... ذوب من المغريات معتصر
تغاير الموج إذ طلعن به ... وثار من حولهن يشتجر
بهنَّ يلتفُّ مرتقًى ويُرى ... ينشقُّ عنهن فيه منحدَرُ
منفتلات قدودُهنَّ كما ... ينفتل الغصن آده الثمرُ
ملوحات بأذرُعٍ عجب ... تحذرهن النهودُ والشعرُ
والضوء فوق الخصور منهمرٌ ... والماء تحت الصدور مستعرُ
ما زِلنَ والبحر في توثُّبهِ ... يُرغِي كما راع قَلْبَهُ خطرُ
قد جاوز الليلُ نصفَهُ فمتى ... تؤمُّ فيه أصدافَها الدُّرَرُ
فليصخبِ البحرُ ولتئن به ... رماله ، وليثرِ الشجَرُ
ولتعصف الريحُ فوق مائجه ... ولينبجسْ من غمامه المطَرُ
أقسمنَ لا ينتحين شاطئَهُ ... وإن ترامى بمائه الشرر
حتى يُرَى وهو فضةٌ ذهبٌ ... تمازجَ الليل فيه والسَّحَرُ !



يا خســـــارة !

المجلس حافل كعهده كل ليلة بالشخصيات من كل نمط ، ففيه القاضي والمحامي والأستاذ والنائب والكاتب والشاعر والصحفي وغير هؤلاء ممن أداروا ظهورهم للعمل وركنوا إلى المعاش أو إلى الراحة ...

يتشقق الحديث حتى لينسى المجلس كيف بدأ ولا أين اتجه ، ثم لا يلبث أن ينتهي بنكتة أو ينقطع بسلام قادم يأبى على عادتنا إلا أن يصافح الجالسين من يعرف منهم ومن لا يعرف في حماسة وشوق ...

وظل هـذا حال المجلس ساعة ثم انتظم الحديث وأخذ سمته إلى غايته ، واتجهت الأنظار إلى شاب من صحابتي لم أقدمه إلى أحد وإن كان هو يعرف الكثيرين بأسمائهم وأشخاصهم .

أخذ هذا الفتى يتكلم بعد صمت ، وأنصت السمار إليه أول الأمر يتبينون من هذا القادم الجديد ، وإني لأعلم من قبل أنه سوف يأسرهم بحديثه ، ففي صوته ما ترتاح إليه الآذان من إشباع في غير غلظ ، ومن رنين في غير حدة ، وفي منطقه ولهجته من الظرف والهدوء وحسن السياق ما يجذب إليه النفوس من حيث لا تشعر ؛ وفي محياه من الفتوة والقسامة ، وفي عينيه من البريق والدعة ، وفي فمه من الابتسام والسلام ، في كل أولئك وفي حسن إشارته وإيمائه ما يجعله حديث مجالس من طراز نادر ..

هو في الخامسة والثلاثين أو زاد عليها قليلا ، مهندم الثياب في تواضع يدل على رقة الحال أكثر مما يدل على السعة ، ولكن خفة روحه وبراعة تحدثه يصرفان الأعين عن ثيابه إلى شخصه ثم عن شخصه إلى حديثه ...

واتجه الحديث بعد أن انتهى شوط منه إلى السياسة بعد الأدب ، فأعجب هذا الشاب الواسع الاطلاع سامعيه على اختلاف مذاهبهم إذ أشار إلى أن بعض النقص في كمال هذا الزعيم يعوضه بعض الكمال في نقص ذاك .

وانتقل الكلام إلى الاقتصاد فأنصت مليا ثم أدلى برأيه فلخص ما سمع من آراء تلخيصاً جميلا فكأنما أتى برأي جديد وهو لم يأت بشيء إلا ما نسقت فطنته وأدت بلاغته ...

ومال الحديث بالسامر إلى قضية المرأة والرجل ، فقال إنه لا الرجال صالحون للحكم على النساء ، ولا النساء صالحات للحكم على الرجال ، وهذه هي القضية التي لا يوجد فيها حكم من غير الطرفين . ولسوف تنعقد جلساتها ثم تؤجل إلى أجل غير مسمى ، وذلك لأن الرجال والنساء لا يرضون الحكم الأول الذي صدر من الغيب على آدم وحواء ...

وضحك السامرون وخرجوا من الجد إلى المزاح ، وراح كل يدلي بما يحفظ من نكتة أو يذكر من نادرة ، ثم أنصتوا إلى صاحبي الشاب فأضحكهم جميعاً بنكاته وأقاصيصه ، وراعهم بحافظته وسرعة انتقاله من نكتة إلى نكتة وهو ينسبها جميعاً لأصحابها بل ويذكر الصحف التي نشرتها والمناسبة التي أخرجتها .

وبدا لأحد الجالسين فسأل هـذا الشاب ما عمله ؟ وابتسم الشاب ابتسامة عريضة تجلت فيها خفة روحه ولكن مازجها شيء من الدعابة الناقة وقال أنا ناظر مدرسة ...

وعاد سائله يستفهم أثانوية أم ابتدائية هذه المدرسة ؟

ورد الشاب بقوله « لا يافندم إلزامية بس »

وصاح أحد الجالسين من غير وعي قائلا « ياخسارة » !

وضج بعض الجالسين بالضحك ؛ ونظر آخرون في ساعاتهم يريدون أن ينصرفوا ؛ وصمت في غيظ وعبوس شخص كان يناديه تارة يا أستاذ وتارة يا بك ، وانتحى البعض جانباً مزورّين وهم ينظرون نظرات كريهة إلى هذا الذي أعجبوا به منذ دقائق .

وارتفع صوت أحد الفضلاء يقول للذي أعلن الخسارة : حسبتك والله تقول « ونعم » ... حتام ياقوم تغرنا الألقاب والرتب؟ وكم عندنا من نظار المدارس الابتدائية أو الثانوية من نضمهم إلى جانب هذا الأستاذ في سعة اطلاعه ورجاحة عقله ... ألا إن المرء بأصغريه ... ألا إن المرء بأصغريه

أما صاحبي فلم يأبه بما حدث لأنها كما حدثني ليست أول مرة يلقى فيها مثل ما لقي ، وما زاد على أن ضحك ملء نفسه من المزورين جميعاً وإن كنت أحسست في ضحكه المرارة والألم ...

الخفيف

تعقيبات

العربية الفصحى والنحو العربي :

الأستاذ أحمد خاكى باحث أديب عرفه قراء الرسالة منذ سنوات بما كان ينشر من بحوث ثقافية تمتاز بالعمق وبالإحاطة ، وهو الآن وكيل مكتب البعثات المصرية فى لندن ، وله هناك نشاط ثقافى جدير بالحمد والثناء . وقد كتب الأستاذ خاكى مقالا فى العدد الخاص الذى أصدره مكتب البعثات عن التطورات والاصلاحات التى نالتها مصر من يدى الملك فاروق ، وقد عنيت جريدة «المانشستر جارديان» بالتعليق على هذا المقال تعليقاً شاملا عرضت فيه لمسألة العربية الفصحى وإصلاح النحو العربى فقالت :

« إن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، مما جعل ملايين من الناطقين بالعربية أصلا لا يستطيعون فهم الفصحى إذا سمعوها من أفواه المتحدثين بها فضلا عن قراءتها وكتابتها ... وستكون لجهود العلماء المصريين فى سبيل إصلاح النحو فى العربية آثار بعيدة المدى ، ولكن من سبق الحوادث أن يتكهن المرء بالفائدة التى ستعود على النشء من إصلاح النحو العربى ، وفى وسعنا أن نقول مع ذلك إنه لن تتحقق الآمال المعقودة على هذا الإصلاح إلا بعد أن تقيم مصر نظاماً للتعليم الابتدائى أوسع مدى وأحسن توزيعاً من النظام الحالى ، ولا نزاع فى أن النحو الجديد سيجعل التعليم بين مختلف طبقات الشعب عاماً ميسوراً ... »

هذا ما قالته الجريدة الإنجليزية ، وهو كلام لا جديد فيه ، ولكنه ترديد لرأى طائفة من المستشرقين ، وطائفة من أبناء العربية يتلقون كل كلام وافد من الخارج بالتقديس والتسبيح

والواقع أن مسألة إصلاح النحو العربى ، أو على التحديد تيسيره وتسهيله ، حقيقة تملأ أذهان العلماء من أبناء العربية ، وقد أثيرت هذه المسألة منذ سنوات وتناولتها الأقلام والأحاديث بالمناقشة ، وكانت صفحات « الرسالة » مجالا لهذا ، وإذا كان القوم لم يصلوا حتى اليوم إلى طريقة مثلى ، فإن الأفكار متعلقة بالوصول إلى هذه الغاية ، وتعميم النفع بها على أوسع نطاق .

أما مسألة العربية الفصحى فلا زلنا نقول إنها ليست بمشكلة كما يتصورها المستشرقون وأتباعهم ، « وليست بمانق فى سبيل نشر التعليم » كما تقول الجريدة الإنجليزية ، لأن للعربية الفصحى مراتب فى التعبير ، فكما أن فيها المرتبة العالية الصاعدة ، فإن فيها أيضاً المرتبة السهلة القريبة ، فمثلا الصحف العربية تكتب بأسلوب عربى فصيح ، وهو أسلوب لا يتعذر فهمه على العامة وجمهور الشعب ، بل إننا كثيراً ما نجد رجلا أمياً يستحضر قارئاً يتلو عليه الجريدة وهو منصت لما يتلو عليه ، فلا يجد أدنى مشقة فى فهم ما يسمع وإدراك ما ينطوى عليه من التلميحات والإشارات.

ومنذ سنوات مثلت فى مصر روايات شوقى ، وهى بالعربية الفصحى العالية ، فأقبلت عليها جماهير الشعب إقبالا كبيراً ، وكانوا يفهمون قصائدها ومقطوعاتها فهماً طيباً ، وكثير من العامة يحفظون مقطوعات كاملة وأبيات سائرة من هذه الروايات ويفهمون ذلك فهماً لم يعنهم عليه مدرس أو شارح .

إن الصلة بين العامية الدارجة والعربية الفصحى ليست بالبعد الذى يتصوره أولئك الثائرون على العربية الفصحى ، وإن الشعب ليس بمنقطع عن هذه العربية كما يخيل لأولئك الناس ، فإن بين العامية والفصحى صلة وثيقة فى النطق وفى استعمال كثير من الألفاظ والتعابير ، ويمكن أن يكون الاختلاف التام بينهما فى الإعراب ، وهو اختلاف لا تأثير له فى هذه الناحية ، ولا يصح لباحث أن ينسى فى هذا المقام أن القرآن الكريم وهو أفصح ما نزل فى العربية يتلى على جموع الشعب ليل نهار ، وأن خطب الجمعة تلقى فى كل أسبوع بالعربية الفصحى ، وأن عامة الشعب يؤدون صلواتهم ويرددون أورادهم وكلها بالأسلوب العالى الرفيع ، وأن خطباء المحافل فى الوعظ والارشاد وفى التأبين والرثاء ، وفى الدعايات الانتخابية والسياسية إنما يتحدثون إلى الشعب بهذا النمط من الأسلوب ، وكل هذا مما طبع ذوق العامة بطابع عربى ، وقرب المسافة فى إدراكهم إلى حد كبير بين العامية الدارجة والعربية الفصحى ... فكل الكلام الذى يثار فى هذا

الشأن ، ويصور مسألة العربية الفصحى على أنها معضلة يجب التغلب عليها بالتدلى إلى العامية إنما هو كلام متَّهم وتصوير مبالغ فيه لا يقوم على إدراك الحقيقة ومعالجة الأمر بنزاهة ...

هل هى أزمة ثقافية :

تقول الأنباء الواردة من أمريكا إن « الفـلم » السينمائى هناك يعانى أزمة كالتى فى مصر ، وإن رجال هذا الفن يجتهدون فى التدبير لملاج هذه الأزمة والتغلب على أسبابها حماية لهذا الفن من نكسة تضر بنموه وتقدمه ...

والمسألة ليست مسألة الفن السينمائى فحسب ، بل إنها كذلك مسألة المسرح ، وهى أيضاً مسألة الـكتاب ، وكل الوسائل التى تحمل إلى الناس ألوان الثقافة المختلفة . فهناك شكوى عامة من قلة الإقبال على هذه الوسائل والرغبة فى القراءة والاطلاع عما كانت عليه الحال فى الأيام الأخيرة ، أعنى سنوات الحرب الماضية

وعندى أن هذه الحال الطارئة ليست مظهر أزمة ثقافية تدل على انصراف الناس وقلة رغبتهم فى الاطلاع كما يقدر بعض الباحثين ، ولـكنها فترة يقف فيها الجمهور موقف التروى والتمهل للاختيار وإيثار النافع وما يجد فيه من الفائدة ما يوازى ، بل ما يزيد ، على ما يدفع فيه من الثمن ...

وهذه لا شك نتيجة طبيعية للحال التى شاهدناها أيام الحرب ولمسنا فيها الرواج المظيم فى جميع وسائل الحياة ، ومن بينها وسائل الثقافة المختلفة ...

فالجمهور أيام الحرب كان يتلهف على كل شىء ، ويرضى بأى شىء ، سواء فى غذائه أو فى ملبسه أو فى ثقافته ، فـكان حسبه أن يجد ما يطلب ، لا أن يختار فيما يطلب ، وعلى هذا طعم الخبز المخلوط بالرمل والحصى والتراب ، ورضى الملبس الخشن الغليظ الذى لا يجزىء فى تفصيل الثياب ، وتقبل كل ما يقدم إليه من ألوان الثقافة ما دام يجد فيه تزجية للوقت وتسلية عما يحيط به ، أما وقد زالت دواعى تلك الحـال وضروراتها فإن الجمهور اليوم يتخير ، وإنه ليتروى فى هذا التخير ، فهو لا يرضى إلا بالرغيف الأبيض الصالح للغـذاء ، ولا يطلب إلا الثوب الجيد الملائم للمقام ، ولا ينشد إلا الـكتاب الذى يتحرى فيه النفع والفائدة ، ولا يقبل على أى لون من ألوان الثقافة إلا إذا وجد فيه بما يجزى وما يغنى ...

هذه حقيقة يجب أن يقدرها القائمون على نشر الثقافة ، والذين ينتجون فيها ، ويظهر أن أصحاب المتاجر كانوا أسرع فهماً وأحسن تقديراً لهذه الحال ، فقد أصبحوا يعلنون عن بضائعهم بأنها من « أجود الأنواع وأرقى الأصناف » لأنهم أدركوا أن الجمهور الآن إنما يطلب الجودة والرقى ... فخير للقائمين بأمر الثقافة أن يدركوا هذه الحقيقة ، وأن يجعلوها مدار المعاملة بينهم وبين الجمهـور حتى لا يصدمهم الـكساد الذى يحسبونه انصرافاً من الجمهور ، وما هو إلا البوار الذى يصيب كل بضاعة مزجاة

هنرى فورد والشعر :

مات منذ قريب هنرى فورد ملك السيارات ورجل الصناعة كما يصفه الصحفيون ، وقد كتبت عنه جريدة « نهضة العرب » التى تصدر فى المهجر كلمة بهذه المناسبة قالت فيها : « وكان هنرى فورد محباً للشعر ، وخاصة للشعراء الذين جعلوا مثلهم الأعلى وحدة الإنسانية ونشدوا حكومة عالية تسهم الأمم كلها فى إنشائها ، وكان من مبادئه أن الثقافة والدين يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب »

يالله ... هنرى فورد العظيم كان يحب الشعر ! ؟

ولـكن ماذا وهب مالك خزائن قارون فى سبيل هذا الحب ، وماذا أجدى من ملايينه فى تشجيع أولئك الشعراء الذين يدعون إلى وحدة الإنسانية ؟ !

ألا ما أكثر المحبين الذين ليس عندهم إلا كلمـات الإعجاب والإطراء ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بين أدبائنا الكبار:

كتب الأستاذ محمود تيمور بك مقالا في « الهلال » عن « طه حسين » في باب « صور وصفية لشخصيات لامعة » قصد فيه إلى تصوير حياة الدكتور طه حسين بك منذ طفولته. والواقع أن الدكتور طه لم يغادر في حياته الأولى « من متردم » بصنيعه في كتاب « الأيام » وقد جنى هذا الصنيع على الشطر الأول من مقال الأستاذ تيمور ، فهو يبدو لقارئ الأيام وصفاً موجزاً مجملا لتلك الحياة التي فسلها صاحبها وحللها صادقاً مجيداً .

ولكن الأستاذ تيمور أجاد حقاً في تصوير شخصية « طه حسين » من حيث أنه « مزاج قوي بين حضارتين متغايرتين : حضارة الشرق وحضارة الغرب ، وعصارة طيبة من معهدين مختلفين : الأزهر ، وجامعة باريس » كما قال الأستاذ في مقاله ، وكما قال أيضاً : « وإذا كان طه حسين قد جمع في شخصه بين الشيخ والدكتور ، فقصارى ما فعل أنه لاءم بين نشاطين من ضروب النشاط الذهني للانسان ، وكان بهذه الملاءمة نموذجاً مثالياً للأديب الشرقي المعاصر .

« وحسبنا ، لكي تتجلى مزية هذه الملاءمة ، أن نتمثل طه أزهرياً استأثرت به أزهريته ، أو جامعياً لم يفز من الثقافة العربية في غمارها الملتطم بنصيب .

« فإن الأزهري أو الجامعي وحده قد يكون له أثره وخطره ، ولكنه لن يكون تلك الشخصية المثالية المكتملة التي نسميها طه حسين » .

وختم الأستاذ تيمور مقاله بالإشادة بأسلوب الدكتور طه حسين الذي عده مظهراً رائعاً من مظاهر ازدهار البيان العربي في الوقت الحاضر .

وأخلص من هذا كله إلى كلمة صريحة : هي أن الأستاذ محمود تيمور ، وهو بصدد التصوير الوصفي لشخصية طه حسين وأدبه ، قد أعطى له كتابه بيمينه ... وأهمل شماله إهمالا تاماً ، فهل يعتقد فيه وفي أدبه الكمال المطلق الخالص ، أو هو يجامله ، وهل تتفق هذه المجاملة مع رسالة الفن والأدب التي نعتقد أن الأستاذ تيمور من أخلص الناس لها ؟

ولعله ذهب في ذلك مذهب الدكتور طه الذي جرى عليه أخيراً في الكتابة عن بعض المعاصرين ، ذلك المذهب الذي يكاد يخرج عن نطاق النقد ذي الكفتين ...

وإذا كان كبار أدبائنا من طبقة الكهول قد رضوا لأنفسهم (ولا أقول للأدب) هذه المجاملات ، فما أظن أن هذا مما ينبغي أن يتأثرهم فيه الجيل الجديد .

أقدم مسرحية :

أثبتنا في عدد مضى من الرسالة ما قال به الأستاذ سليم حسن بك من أن المصريين الأولين هم أول من كتب الدرامة التمثيلية والقصة الخرافية ، لا اليونان كما هو شائع .

ولا بد أن يكون للدرامة التمثيلية مسرح تمثل عليه . ويدلنا على هذا المسرح مقال بجريدة « المصري » عنوانه « مصر أول من أقام المسرح في العالم » قال كاتبه : « كان الشائع أن الإغريق هم الذين أوجدوه (يعني المسرح) ولكن الحقيقة المكتوبة على ورق البردي وعلى جدران المعابد المصرية القديمة أنارت السبيل للمؤرخين وأثبتت أن المصريين لا الإغريق هم أول من أقام المسرح في العالم » .

وذلك أنه كان في التاريخ المصري القديم أشياء لم يفهم لها المؤرخون تعليلا مقبولا ، مثل الساحات الواسعة أمام المقابر والأهرام وبعض المعابد . فلما أصبح من المستطاع قراءة اللغة الهيروغليفية أسفر البحث عن أن تلك الساحات كانت مسارح .

وقد وقف الباحثون على بعض المسرحيات التي كانت تمثل بتلك المسارح ، منها « مسرحية الأهرام » وتعد أقدم مسرحية في العالم ، لأن بعض نصوصها يرجع إلى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وموضوعها جزء من العقائد المصرية القديمة يدور حول صعود روح المتوفى وبعث الجسد الميت . والأدوار الرئيسية فيها هي « أوزوريس » وهو رمز للجسد الميت ويؤديه أحد الكهنة و « حورس » ويمثله رئيس الكهنة أو فرعون نفسه ؛ وتظهر فكرة المسرحية عند ما يقف الكاهن أمام جسد الميت مخاطباً

روحه قائلا : « أيها الملك أونيس ، إنك لن ترحل ميتاً بل حياً » وذلك عندما يكون التمثيل فى الجزء الخاص بصعود الروح . أما فى الجزء الخاص بالبعث فيقول الكاهن للجسد الميت « انزع لفائفك وانفض عنك الرمال ، ثم ألق عنك الحجارة ، هيا ... قياماً أيها الجسد المسجى » .

وقد أثبت البحث أن المصريين القدماء استخدموا الأقنعة و (الماكياج) فى تمثيل الشخصيات المختلفة أو فى أدوار الحيوان

تمثيلية عربية :

ومن المعروف أن العرب لم يكن لهم شغل بالتمثيل ، ولم يلقوا إليه بالا ، ولكنى وقفت على خبر غريب أتى به صاحب « العقد الفريد » فى (أخبار الممرورين والمجانين) بالجزء الرابع .

ذلك الخبر هو ما أعنى بالتمثيلية العربية ، وذلك أنه كان فى زمن المهدى رجل صوفى ، وكان عاقلا عاملا ، وكان يتلمس السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلا يتخذه مسرحاً . ثم يبدأ فينادى بأعلى صوته : هاتوا أبا بكر الصديق . فيتقدم إليه غلام ويجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام أحسن الخلافة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين . ثم ينادى : هاتوا عمر . فيجلس بين يديه غلام فيقول : جزاك الله خيراً أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفىء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت فى الرعية ، اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبى بكر . ثم يأتى عثمان ، فيقول له : خلطت فى تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » اذهبوا به إلى صاحبيه فى أعلى عليين . ثم يتقدم على بن أبى طالب ، فيقول له : جزاك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن ، فأنت ولى النبى ، بسطت العدل ، وزهدت فى الدنيا ، واعتزلت الفىء ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين الفردوس .

ومما يقول لمعاوية : أنت الذى جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفىء ، وحكم بالهوى ، واستبطر بالنعمة ، وقام بالبغى ، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة ويقول ليزيد : أنت الذى قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله ، وآويت الملحدين ، وتمثلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسيناً ، وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الإبل ، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار . وهكذا يتتابع أمامه الخلفاء حتى يأتى دور عمر بن عبد العزيز ، فيقول له : جزاك الله خيراً عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ولما بلغ دولة بنى العباس سكت ، فقيل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا إلى بنى هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة ، واقذفوا بهم فى النار جميعاً .

وإذا كان لا بد لهذه التمثيلية من اسم كسائر التمثيليات ، فليكن اسمها « مسرحية الخلفاء » أما مؤلفها ومخرجها وممثلها فلم يسمه الرواة ، واكتفوا بأنه رجل صوفى عامل عاقل وإن كان ذكره ورد فى أخبار المجانين !

التعاون الإذاعى العربى :

كانت بعض الصحف اللبنانية قد رددت فكرة التعاون الإذاعى العربى بإيجاد برامج عربية مشتركة ، كأن تخصص جميع محطات الإذاعة العربية يوماً فى الأسبوع مثلا لتنقل إلى مستمعيها برنامج محطة عربية واحدة .

وقد قيل إن مديرى الإذاعات العربية ينتظرون سنوح الفرصة لهم لعقد مؤتمر إذاعى كبير يدرسون فيه المسائل الإذاعية ، من حيث البرامج المشتركة وتقريب الفنون والثقافات العربية بعضها إلى بعض بوساطة المذياع .

ولما كان من أهداف الجامعة العربية الثقافية تنوير الجمهور العربى ورفع مستواه الثقافى بالوسائل العامة كالصحف والسينما والإذاعة - فقد فكرت الإدارة الثقافية بالجامعة فى الإذاعة العربية العامة ، فوجدت أنه وإن لم يكن ميسراً لها فى الوقت الحاضر إنشاء محطة عربية كبرى تضم هيئات أدبية وفنية من كافة الدول الأعضاء بالجامعة ، إلا أنه يمكن تنظيم إذاعتين شهريتين : إحداهما

للثقافة والأخرى للتسلية ؟ تذيعهما كل من المحطات العربية مرة كل شهر .

وعرضت الفكرة على ممثلى الدول العربية فصادفت ارتياحاً وموافقة منهم جميعاً ، وفوتحت فيها محطة الإذاعة المصرية فرحبت بها ، ولكنها اشترطت أن تقوم الأمانة العامة للجامعة بالنفقات اللازمة للتسجيل وغيره . ولم تجتز الفكرة هذه المرحلة ، ونرجو أن تسرع إلى الظهور ، فلا أقل منها فى تحقيق التعاون الإذاعى العربى .

معهد عربى بأمريكا :

من أنباء نيويورك أن إدارة « معهد آسيا » بها قررت إنشاء فرع يسمى « معهد الدراسات العربية » إلى جانب فروع المعهد الحالية وهى « المعهد الإيرانى » و « المعهد الصينى » و « المعهد الهندى » .

وقد اختير الأستاذ اسماعيل راغب الخالدى مساعداً لمدير المعهد الجديد ، وسيقوم فى هذه الأيام برحلة إلى الأقطار العربية ، لعرض هذا المشروع على حكوماتها ، وليجتمع بالأدباء العرب البارزين ممن يهمهم تحقيق هذه الأمنية . وسيعنى « معهد الدراسات العربية » بدرس حاضر العالم العربى من جميع نواحيه العلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وسيعمل فيه نخبة من الأدباء والمختصين العرب والأمريكيين .

وهذا المعهد الجديد ، المأمول له التمام والنجاح ، سيكون صفحة جديدة تضاف إلى صفحات الجهود الجيدة التى يقوم بها مهاجرو العرب لإعلاء شأن الأدب والثقافة العربية ونشرهما فى العالم الغربى ، تلك الجهود التى توازن ما يقوم به الغربيون من نشر ثقافاتهم ببلاد الشرق ، وهى جهود توسع آفاق الدراسات العربية وتكسبها صفة العالمية أو تزيد فيها .

بالعربى :

يعجبنى من القائمين بأمر الإذاعة إفساح صدورهم للنقد ، وإعلانهم الترحيب به والانتفاع بالحق الممكن منه . وقد عددت من هذا القبيل ما أفضى به مدير الإذاعة الجديد إلى بعض الصحف من أن اللغة العربية فى مقدمة ما تعنى به إدارة الإذاعة من وجوه الإصلاح ؛ وهذا على أثر ما كتبناه عن الإذاعات العامية وعن عدم الاهتمام بلغة الأحاديث وصحة النطق .

سرنى ذلك الذى أفضى به الأستاذ محمد قاسم بك وبعث فى نفسى الأمل ، ولكن فى ليلة من الليالى الفائتة سمعت محدثاً فى المذياع عن (الكتلة الاسترلينية) فأصغيت لعلى أفهم شيئاً فى هذا الموضوع الذى لا أرانى أجهل شيئاً أكثر منه ... سمعت المتحدث يقول : إذا أراد أحد أن يرسل نقوداً إلى قريب له فى بلد من غير بلاد الكتلة الاسترلينية ، فإنه يسأل ، فيما يسأل عن قرابته ويطلب منه أن يحدد مداها . ثم يقول : (يعنى بالعربى أريبه أوى ولا أرابه كده من بعيد ...) .

يا سبحان الله ! كأن أخانا كان يتكلم بلغة أعجمية ، فلما أحس أنها غير مبينة أراد أن يعبر بكلام عربى مبين ، فأتى بما بين القوسين !!!!

مأدبة وأدب :

دعا الدكتور زكى المحاسنى وقرينته الأديبة السورية المعروفة السيدة وداد سكاكينى ، طائفة من رجال الأدب والصحافة ، إلى مأدبة شاى ، فى دار الاتحاد العربى .

وقد قصد الداعيان أن يهيئا فرصة اجتماع أدبى ودى بين أصدقائهما من أدباء سوريا وأدباء مصر ، قبيل انتهاء إقامتهما فى مصر التى ختمت بنيل الأستاذ المحاسنى دكتوراه الآداب من جامعة فؤاد الأول .

وما فرغ الجميع من المأدبة حتى ائتلف منهم مجلس أدبى تناقلوا فيه الطرف وتناشدوا الشعر ، ومما كان أن السيد نزار القبانى أنشد قصيدة من شعره كان يقف فى بعض أبياتها على كلمات بالسكون ، فلم تعجب هذه الطريقة الأستاذ خليل بك ثابت ، وسأل الشاعر : لم لا تضبط الكلمات بحركاتها وتقف عند آخر الشطرات والأبيات ؟ وقال إنه يلاحظ شيوع هذه الطريقة فى الإنشاد بين كثير من شعراء الشباب ، وقد دارت المناقشة فى هذه المسألة بين محبذ للتسكين ومنكر له ، وأهم ما استند إليه مؤيدو التسكين أنه وقوف عند الكلمات التى يعمق إحساس الشاعر بمدلولها ، وكان من رأى المنكرين أن التسكين إخلال بالوزن العروضى وبموسيقى البيت . وأخيراً وفق الأستاذ عادل الغضبان بين الرأيين بأنه يمكن الوقوف الخفيف مع التحريك ، فيؤدى الشاعر غرضه مع الاحتفاظ بسلامة الوزن وموسيقاه .

« العباس »



هذا ضمير مطمئن له أهميته :

كتب الأستاذ الشاعر محمود عماد كلمة بالعدد « ٧٣٠ » ينحى فيها باللائمة على من يستعمل هذه الجمل : « هذا كلام له وزنه ، وهذه مسئلة لهاخطورتها ، وهذا رجل له رأيه »وما ماثلها. وحجته فى ذلك : أنه لم يعثر على أمثال هذه التراكيب فى كلام عربى قديم ؛ على أنه قبل إيراده هذه الحجة علل بطلان هذه الجمل : بأن الضمير المجرور باللام فيها يفيد الملكية ، فإعادته مرة أخرى فى الكلمة التى تليه تكرير لا فائدة فيه . وعزا استعمال هذه الجمل فى أساليب الكتاب والأدباء ، إلى سقطة سقطها أحد الكتاب المتأخرين فتبعه فيها كثيرون بغير تحرز .

والذى أراه : أن أمثال هذه التعبيرات إنما ترد فى مقام القصر، أوالتقرير ، ويستدل لهذا بقوله تعالى فى سورة (الكافرون) « لكم دينكم ولى دين » أى أن دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلى غيركم ، ولى دين مختص بى لا يتخطانى إلى غيرى ، وعلى هذا يصح لنا أن نستعمل هذه الجمل فى مقاماتها وكفى بالقرآن حجة فى مثل هذا المقام ، ولا أحسب الأستاذ بعد هذا إلا مصدقاً ، ومذعناً ، وراجعاً عن تخطئته ، ولنا عذرنا إن أسمدتنا الرسالة الغراء ، ونشرت لنا هذه الكلمة الموجزة .

محمد غنيم

كلمة أخيرة حول خطأ عروضى شائع :

... لقد أثار نقدى لقصيدة « الأستاذ مختار الوكيل » ؛ التى بعنوان « إلى أخى » ؛ جدلاً بين نفر من الكتاب .

إذ قلت — ولا أزال أقول — بأن القصيدة خليط من بحرين مختلفين ، وهما : بحر الهزج ، ومجزوء الوافر .

ولقد قال بعض المقبين بخطأ ما ذهبت إليه ، ولكن « الرسالة » تولت الإيضاح ، وأعتقد ، كما يعتقد غيرى ، بأنها أماطت اللثام عن الحقيقة الساطعة ، ودعمت وجهة نظرى ، بالقواعد العروضية المنصوص عليها .

وأما استشهاد أولئك المقبين بأبيات لشعراء معاصرين فأمر لا يعتد به ..!

ولتسمح لى الرسالة ببعض البيان ... فأقول :

إن النقص (— الذى هو مركب من العصب والكف — كتسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن من مفاعلتن فتنقل إلى مفاعَلْتُ) ؛ زحاف مُركب ، يلحق ثوانى أسباب الأجزاء للبيت الشعرى — كما هو معلوم — ويدخل عروضياً على سبيل القياس فقط ، مفاعَلتَنْ ، فى البحر الوافر ؛ فتصبح تلك التفعيلة : (مفاعَلْتَ) كما قدمت سابقاً ، وهذه يقابلها مفاعيلُ ، من التفاعيل المستعملة ، وهى صورة ثابتة لِ (مفاعيلن) التى هى إحدى التفعيلات الأصيلة فى بحر الهزج ؛ ولكنها (أى مفاعيل) مصابة بالكف ، والوافر لا يدخله الكف مطلقاً ، فمندها يحمل البيت على الهزج ، لا على مجزوء الوافر ، لأن هذه التفعيلة أصيلة فيه . ولهذا قالت (الرسالة) : إن النقص لا يلحق مفاعَلَتُنْ ، فى الوافر ، فى حالة الشعر الصحيح ، وإنْ لحقها قياساً وظاهرياً . وهو أمر واضح لا غبار عليه .

وإنى لأشكر للرسالة ، حسن إيضاحها .

(المجدل) خليل ابراهيم الخطيب

شخصية عمرو بن العاص :

قرأت للأستاذ الجليل على الطنطاوى مقالا تحت عنوان : « وقفة على الفسطاط » وقد لاحظت أنه انتقد تمثيل شخصية عمرو كرجل قمىء ثعلبى ... الخ وقال إنا ما عرفنا عمراً وأننا قرأنا ما كذبه عليه المؤرخون يوم التحكيم ولم نقرأ الحقيقة التى رواها المحدثون فى مثل « كتاب القواصم والعواصم للقاضى أبى بكر ابن العربى » .

فهلا كان من الواجب على حضرته أن يوضح شيئاً مما فى هذا الكتاب ؟ أم رأى أنه يجب أن يكون لدى كل إنسان نسخة من القواصم والعواصم ؟!

أفيدونا أفادكم الله . وللأستاذ الطنطاوى تحياتى وإجلالى .

(قوص) محمد محمد حسن الديب

نشيد فلسطين :

اطلعت على مقال للأستاذ حنا فارس مخول حول نشيد فلسطين القومى فى عدد الرسالة ٧٢٨ — وقد رأيت ولا عجب كلة تثار حول النشيد القومى ...

ولا أدرى كيف نسى الكاتب أن هناك أناشيد فلسطينية ونشيداً قومياً واحداً نشرته صحيفة (الوحدة) فى أحد أعدادها (الممتازة)، والنشيد قوى السبك، متين الأسلوب لا ينقصه سوى التلحين ... وواضعه شاعر فلسطينى هو الأستاذ محمد حسن علاء الدين ...

وفى كتابى (شعراء فلسطين العربية فى ثورتها القومية) يرى الأستاذ الفاضل أكثر من نشيد واحد يتغنى به أبناء هذا القطر. فأرجو ألا يتسرع فى الكتابة عن موضوع يجهل عنه الكثير. إذ بتصريح كهذا يرسم للأقطار الشقيقة صورة أدبية نائية عن الصواب.

ابراهيم عبد الستار
رئيس نادى الإخاء العربى بحيفا

حول تاريخ النوبة :

إذا كان القارىء الفاضل يسأل عن كتاب فى تاريخ النوبة فقد أجابته « الرسالة » الغراء حين أشارت إلى كتابى « صحائف مطوية من تاريخ النوبة » ولست أعرف كتاباً صدر فى هذا الموضوع غير هذا الكتاب.

أما إذا كان يريد المراجع، فهذه هى الكتب التى رجعت إليها :

١ — مصر والسودان فى نظر العلم والتاريخ للدكتور أحمد فؤاد.

٢ — العقد الثمين لأحمد باشا كمال.

٣ — تاريخ السودان لنعوم بك شقير.

٤ — الأثر الجليل لأحمد بك نجيب.

٥ — تقارير مصلحة الآثار عن حفائر النوبة.

٦ — دليل المتحف المصرى.

٧ — الخطط المقريزية.

٨ — البيان والإعراب للمقريزى.

٩ — الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك.

١٠ — مذكرات لم تنشر للمؤرخ البحاثة الأستاذ سليمان عبد الرحمن كبير محضرى محكمة الإسكندرية الوطنية عن القبائل العربية فى وادى النيل.

هذه هى المصادر التى رجعت إليها عند ما وضعت كتابى منذ أربعة عشر عاماً، مضافاً إليها دراساتى الشخصية لآثار بلاد النوبة وحفائرها التى تمت قبل تعلية خزان أسوان الأخيرة.

وثمة مراجع أخرى ظهرت بعد ذلك يجدر بالباحث أن يطلع عليها، وأهمها مؤلفات المرحوم عبد القادر حمزة باشا والأستاذ الكبير سليم بك حسن عن تاريخ مصر القديم.

وقد يعتبر كتابى « صحائف مطوية من تاريخ النوبة » أحد المراجع التاريخية فى هذا البحث رجع إليه الأستاذ عبد الله حسين المحامى عند وضع كتابه عن السودان، ومعالى الأستاذ مكرم عبيد باشا فى بحثه القيم الذى يعده الآن للطبع عن « الوحدة الطبيعية الوطنية لوادى النيل ».

وللرسالة الغراء، أصدق الشكر وخالص التقدير.

محمد كامل حته

إلى الجاحظ :

حينما نشرت مقالى عن عبد المطلب توقعت أن الأستاذ الجاحظ سيعقب عليه، لما أعرفه من إلمامه الواسع بتاريخ أدبنا المعاصر، ويسرنى أن أعلن فى اغتباط زائد — كالدكتور زكى مبارك — أن الحق كل الحق فيما كتب، راجياً أن يسمدنى دائماً بتعقيبه المفيد، وسلام عليه.

محمد رجب البيومى



القطة الصغيرة

للاديب مصطفى محمود

أرسلت القطة الصغيرة مواء ضعيفاً وهى تتنقل بين الكراسى وتتمسح بالأرجل وتتلقف الفتات المتناثر تحت الموائد ، فقد كان اليوم يمثل وليمتها الأسبوعية الفاخرة ، فالكازينو النيلى الجميل كان عامرا زاخرا برواده شأنه دائماً فى ليالى الأحد ... والفضلات كانت ترى هنا وهناك فى كثرة ووفرة . فأقبلت عليها تلتهمها فى شهية ونهم حتى أتخمها الشبع فتكاسلت فى مشيتها تداعب الأرجل وتتسمع إلى أحاديث الناس وترقب جوعهم العديدة فى فضول . وطال مكثها تحت إحدى الموائد دون أن تظفر بعناية أو اهتمام أو حتى بلقمة صغيرة تلقى عفوا فرفعت عينيها الخضراوين لترقب ما يجرى على هذه المائدة القريبة :

كان سطح المائدة نظيفا خاليا إلا من فناجين للقهوة وحقيبة من الجلد وقد جلس إليها رجلان قد خيم على وجهيهما العبوس وبدت عليهما سيماء رجال المال والأعمال ... وأنشآ يتبادلان حديثا جديا ... قال الأول وهو يعض شفتيه .

— إن كرم اسحق قد قدم للمناقصة بسعر خمسة قروش ومليم للقطعة

— ومليم

— سيفوز بها ما فى ذلك شك

— وحليم سمعان

— خمسة قروش وأربعة مليمات

— عجيب ... لست أدرى كيف يفيد كرم اسحق من هذا المشروع بهذا السعر الضئيل

— خامات الجيش

— فعلا ... خامات الجيش

— لن يقل مكسبه الصافى عن خمسة آلاف جنيه

— ونحن نبيت ونصحو على خمسمائة جنيه فى الشهر .

— لقد فعلت كل ما بوسعى

— والنتيجة أننا لا زلنا نحيا كمتسولى التجار

— إن مفاجأة كرم اسحق لم تكن فى حسابى

— عليه اللعنة

وهنا رشف الرجل الأول رشفة من القهوة ثم أبعد الفنجان قائلا

— قهوة رديئة

— ومع ذلك فالمكان مزدحم ... والإيراد حسن

— مشروع ناجح ... لقد فكرت فيه من قبل، وكان فى نيتى أن أهيىء فيه حماما للسباحة فإن هذا يدر أرباحا حسنة فى الصيف حيث يقل مرتادوه فى حر النهار

— وهو يصلح « كباتيناج » فى أمسيات الشتاء الباردة

— أو « كباريه »

— إن المكان صالح للاستغلال فى كل أوقات السنة .

وسكت الرجل الأول ثم عاد يداعب مقبض الحقيبة الجلدية وقال متململا

— إن الجو راكد

— والمكان مزدحم

— وهذه الحيوانات القذرة لا تنقطع عن التمسح بالأرجل . يا للقذارة .

وركل القطة الصغيرة فى قسوة فولت هاربة ثم هب فى ملل ودفع الحساب واختفى مع زميله .

وراحت القطة تمسح رأسها المرضوض فى الأرض وتموء فى ألم ثم لجأت إلى مكان متطرف منعزل من الكازينو حيث يجلس على مائدة صغيرة فتى وفتاة ورفعت إليهما رأسا مريضا فألقى إليها الشاب بقطعة من الخبز وراح يدللها ويداعبها بقدمه ... فارتاحت القطة إلى هذا الحنان ولذ لها أن تستمع إلى الحديث الخافت وترقب العيون المتناجية . قال الشاب .

— إن الجو قطعة من السحر

— حقا ... ؟ إذن لن نجلس هنا مرة أخرى

— لماذا

— لأنك تذوب فى سحر الجو وتنسانى

— أيها الحبيبة أنسيت أنك جزء من هذا السحر

— جزء

— بل كل هذا السحر

— إن حبك على شفتيك دائماً

— إن قلبي لا يسعه ولذلك يفيض على شفتي

— ألا تخونك شاعريتك أبدا

— إنها ليست شاعرية بل شعور والشعور الصادق لا يخون ، ولمعت عينا الشاب وهو يتكلم ثم رفع كأس البيرة ورشف منها رشفة طويلة ثم عاد يقول

— إن هذه البيرة جميلة ... جميلة كشفتيك

— بودى لو أعرف كم من ألوان البيرة تتذوق شفتاك

— مهما تذوقت فأنت اللون الوحيد الذي يسكرنى

— إنك دائماً تجيد الكلام ... إنى أحبك ... ولكنى أخشى على ثروتك التي تتبدد في سبيلي

— أيها الحبيبة ... دعى شئون المال ... وهل يذكر المال والجمال معا ... إن المال هو العبد الذي يجود بكل شيء ... والجمال هو السيد الذي يرخص في سبيله كل شيء ... والحب ... الحب هو النافذة الوحيدة التي يطل منها الإنسان على الجمال ... إنى أدفع مالى وروحى ونفسى لتظل هذه النافذة مفتوحة أمامى إلى الأبد

— أمين !

— بثينة !

وتلامست الأيدى واقترب الوجهان وامتزجت العطور الغالية فى لحظة من الحنان الغامر فانسحبت القطة الصغيرة فى سكون بعد أن أدركت أن هذين المخلوقين فى حالة لا تسمح لهما بالالتفات إلى أى شيء ... وسارت تتثاءب وتتمطى بين الموائد ، ثم اجتذب انتباهها مائدة يجلس عليها شيخان قد ملأت وجهيهما التجاعيد وألقت عليهما الشيخوخة ظلا من الهدوء والوقار ... فجلست غير بعيدة ترقب ما يدور بينهما وتتبع الحديث دون أن تفهم شيئا .

قال الشيخ الأول

— لقد رسب محمد فى الحساب ... لا أدرى متى يلتفت هذا الولد إلى دروسه ... لقد يئست من إصلاحه

— إن أولاد هذا الزمن جميعهم على شاكلته ... ولهم العذر ، إن مباهج هذا العصر وشواغله أكثر مما كان فى أيامنا

— أيامنا ... ما أجملها ... لم يكن هناك من المباهج إلا خيال الظل ... واللونابارك .

— والموالد ... هل نسيت أنك كنت من هواة الموالد .

— حقا ... وأذكر أنك وشيت بى يوما أيها اللعين ... وكانت « علقة » لا زلت أذكر أوجاعها .

— أرأيت أن ابنك له عذره

— ولكن هذا الكلب لا يصلى !

— ومن يصلى الآن غيرنا ؟

— وهو لا يفتأ يجادلنى فى الجنة والنار

— إن الحرية تؤدى إلى الحرية

— ما ذا تعنى ؟

— فلسفة العجائز

— يعلم الله إلام نسير

— إن العالم بخير ... وكفى ... أما نحن فنسير إلى القبر

— إلى القبر ؟

— نعم ... أكنت تظن أنك تسير إلى « لونابارك » آخر

— لا ... إنه القبر أيضا ... من يدرى فقد يكون مكانا طيبا

— إنه راحة على أى حال

— راحة ...

واستبدت بالشيخ سبحة فلسفية ... فأرسل نظره إلى الأفق البعيد ... ثم أوغل فى التفكير ... وثقلت أجفانه ... فمال برأسه ونام ... شأن العجائز يناموں فى كل مكان ... ونظرت القطة إلى سكونه وأنفاسه البطيئة ... ثم انسحبت فى اشمئزاز وهى لا تدرى ما شأن هؤلاء الأموات بهذا المكان ... وأدارت رأسها فوجدت أن الكازينو قد خلا تقريبا إلا من أشباح قليلة متناثرة .

ومن هذه الأشباح ... رجل جلس منفردا فى نهاية المكان وهو يكتب ثم يمزق ما يكتب ... بأصابع عصبية ثائرة ... فاقتربت منه فى حذر ثم لمست قدمه ... فانتفض غاضبا ودفعها بعيداً فى قسوة ... وعاد يكتب ويمزق ... وتناثرت بعض القصاصات تحت مصباح منعزل ... فاقتربت القطة تتذوقها وتقلبها ... وتتأمل الخطوط السوداء العجيبة التى تملؤها ... وقرأت بلا وعى أو فهم (إن الحياة التى أحياها ... خاوية ... باردة ... مظلمة ...

إنى لا أجد نورا ضعيفا أسير فيه ... ولا أشعر بلذة أعيش من أجلها ... ولا بمخلوق واحد يهمنى أمره ... فالناس تتجنبنى وأنا أتجنبهم ... وقد أسمعهم يهتفون « ما أجمل هذا » فأدير عينى فلا ألمس فيما يشاهدون جمالا ... فأدرك أننى ميت فى عالم حى، وأشعر بالعذاب والنقص والحرمان وألوى وجهى لأنتحر ... ثم أعود فأجبن وأتردد وأرجع آملا أن أعيش كما يعيش الناس.

ولكنى الآن سأختار المكان الذى يناسبنى ... نعم سأنتحر ... لن أتردد هذه المرة ... بل إنى لأشعر أننى قد مت من زمن طويل وأننى أسير كالآلة الصماء ... فماذا يضيرنى إذا أرقفت هذه الآلة البغيضة ... لن أشعر بأى شىء أكثر مما أشعر به ... نعم سأنتحر ... سأنتحر هنا فى هذا البحر الساكن الداكن ...)

وانتهت القصاصة عند هذه الكلمات ولم تجد القطة العابثة أى شىء يثير اهتمامها فى هذه الأوراق الممزقة فغادرتها وهى ترمق الرجل التعس الأحمر العينين وهو يغادر المائدة ويسير إلى الخارج فى عزم وتصميم ... ولم تعرف أين ذهب فأمره لم يكن يهمها فى قليل أو كثير.

وأدارت القطة عينيها مرة أخرى فى المكان فوجدت أنه قد خلا إلا من جماعة الندل والخدم ... وهؤلاء لم يكونوا يوما على علاقة طيبة معها ... فآثرت الاكتفاء بهذه السهرة الممتعة وولت وجهها شطر بيتها الدافىء اللين.

وفى الطريق شاهدت رجلا نحيلا ضئيلا يجلس فى ركن مظلم، ودهشت عندما وجدته يلقى إليها بقطع كبيرة من الخبز واللحم. ولكنها لم تجد غضاضة فى أن تنتقى اللحم وتترك الخبز وراحت تدور حول قدميه وقد رفعت ذيلها فى سرور ... ثم انطلقت نحوه حينما وجدته يقوم ويتركها ... ولكنه كان فى نفسه يحفظ لها جميلا كبيرا فقد أوحت له فى هذه الجلسة الهادئة بقصة لم يكن يحلم بها ... فبينما ذهبت تتنقل من مائدة إلى أخرى ترك عقله يسير فى خطواتها ... ورأى الحياة من عينيها كالكرة المضاءة تدور حول محورها ... وقد راح كل إنسان يرى منها وجها لا يراه الآخر ... شاهد فى هذه الساعات القليلة ما كان يحتاج لسنين ليفهمه ... شاهد نظرات الناس إلى الحياة ... وقد تباينت واختلفت، وكأن كلا منهم يحيا فى عالم من صنعه ومن خلقه.

مصطفى محمود

مطبعة الرسالة



العدد ٧٢٢ — الاثنين ١٤ يوليو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
رحلة إلى الهند	الدكتور عبد الوهاب عزام بك ...	٧٧٥
هذه بلادنا	الأستاذ محمود محمد شاكر	٧٧٧
على ثلوج (حزرين)	الأستاذ على الطنطاوى	٧٨٠
تفسير الأحلام	العلامة سجموند فرويد ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن	٧٨٤
رأى الأكثرية فى السياسة الشرعية	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ...	٧٨٧
الفلسفة العربية وكيف تدرس؟ ...	الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى ...	٧٨٩
هذه الألفاظ الأثرية	الأستاذ أحمد رضا	٧٩١
«من وراء المنظار»: طلاب لهو وطلاب قوت وطلاب موت	الأستاذ محمود الخفيف	٧٩٣
فى سيدى بشر ... ... (قصيدة)	الأستاذ خليل شيبوب	٧٩٤
« تعقيبات » : واحد من ثلاثة — الفن للاشتراكية		٧٩٦
« الأدب والفن فى أسبوع » : بشار فى الإذاعة — هنا كما هناك — هل فى مصر أدبيات؟ — الاتحاد الثقافى المصرى — الطالب يساهم فى بناء عالم جديد		٧٩٦ / ٧٩٩
« البريد الأدبى » : الفروسية — إلى الأديب محمد الديب — إلى الأستاذ محمود عماد — ما زال الضمير قلقاً — سؤال		٨٠٠ / ٨٠١
« القصص » : قصة المواجس ...	الأديب مصطفى محمود	٨٠٢

٢٩٠٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 732

Lundi — 14 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٦ — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

٣ — رحلة إلى الهـــند

اليهود فى المؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

كان بين وفود المؤتمر وفد من اليهود فيه ثمانية رجال وامرأتان. ليس بينهم من ولد فى فلسطين أو نشأ بها إلا رجل وامرأة ...

وقد رأى ممثلو مصر والجامعة العربية أن يكونوا لهم بالمرصاد حتى لا يتخذوا من المؤتمر فرصة لنشر دعوتهم، وتزيين أباطيلهم فعملنا على أن يعرف المؤتمرون أنهم لا يمثلون فلسطين. فقال مندوب الجامعة العربية فى كلمته إنه يمثل دول الجامعة، وإن لم يكن فى فلسطين دولة فممثل الجامعة العربية يمثلها. ثم ذهبنا إلى رئيسة المؤتمر فقالت إنها تعرف بأن هؤلاء اليهود إنما يمثلون الجامعة العبرية، وأن فلسطين إنما يمثلها مندوب الجامعة العربية. وقالت إنها أمرت أن يسجل هذا فى سجلات المؤتمر. وأعربت عن حبها العرب وإعجابها بهم ...

وكذلك حرصنا على أن نرد على اليهود كل كلمة يتحدثون فيها عن حقوق لهم فى فلسطين أو أعمال لهم فيها ...

وقد نشروا فى بعض جرائد الهند مقالات عن صلتهم بآسيا ومكانتهم فى فلسطين فنشرت بالإنكليزية كلمة وقعتها أنا ومندوب الجامعة العربية هذه خلاصتها بالعربية.

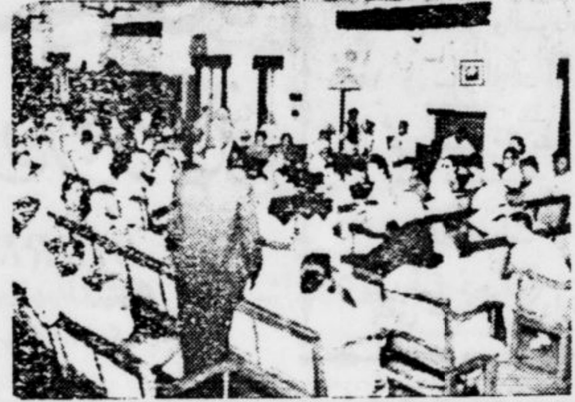
اطلعنا على بيان فى الجرائد نشره بعض اليهود المشتركين فى مؤتمر العلاقات الآسيوية. وقد حاول ناشرو البيان أن يحرفوا الحقائق، ويصوروا فلسطين بغير صورتها.

قالوا: « إن الأوربيين يكرهون اليهود لأنهم يمثلون روح آسيا، وأن الأوربيين فى بغضهم اليهود إنما يعربون عما يكنونه من الكراهة والاحتقار للأمم الآسيوية التى يمثلها اليهود »

والحق أن هؤلاء المدعين أنهم من آسيا وأنهم يمثلون روحها إنما جاءوا إلى فلسطين أوشاباً من أمم أوربيـة مختلفة لا يحملون روح آسيا ولكن يحملون كل ما فى الروح الأوربى من بغى وعدوان وظلم، فما هم إلا جماعة أوربية تحاول اغتصاب قطر آسيوى ويزعمون « أن العرب استفادوا كثيراً من أعمال اليهود فى فلسطين »

ونحن لا نريد أن نفصل اليوم ما أصاب العرب على أيدى اليهود الوافدين على بلادهم، وحسبنا أن نقول إن أعمال اليهود هناك تقصد إلى أن يحولوا العرب من سادة فى بلادهم إلى عبيد، ومن ملاك إلى عمال لا يملكون شيئاً. وكل أمم الأرض تعرف حرص اليهود على أن ينفعوا أنفسهم وقلة مبالاتهم بمنافع غيرهم، فإن ظن اليهود أن لهم على العرب فضلاً فالعرب فى غنى عن هذا

الفضل ، وأعظم فضل لديهم أن يتركهم اليهود أحراراً فى وطنهم وأن يحرموهم من هذه النعم التى ينعمون بها .



الدكتور عبد الوهاب عزام يتكلم فى اللجنة الثقافية

ويقول أصحاب البيان :

« إنه ليس بين اليهود فى فلسطين حتى جماعات الإرهاب ، من يريد أن يسلب العرب بلادهم »

فإن لم تكن هجرة اليهود إلى فلسطين الصغيرة أفواجاً تضيق بها البلاد ، وإصرارهم على أن تستمر الهجرة حتى تكون لهم الكثرة فيها ، ومحاولتهم أخذ الأرض من العرب بكل وسيلة ظاهرة وخفية — إن لم يكن هذا سلباً لبلاد العرب فكيف يكون سلب البلاد من أيدى أهلها . إن دعوى اليهود أنهم لا يريدون أن يحلوا محل العرب فى أرضهم لا قيمة لها ما دامت أفعالهم تكذب هذه الدعوى تكذيباً صريحاً بيناً لا خفاء فيه ، ما ذا يقصد إذن بهذه الهجرة التى يصرون عليها بكل الوسائل وهم يعلمون أن فلسطين مزدحمة بأهلها وقد رمى إليها اليهود نصف مليون زادوها ازدحاماً ثم هم لا يكفون عن الهجرة ؟ ألهذه الهجرة غرض سوى غلبة العرب على أرضهم ، وإخراجهم من ديارهم ؟ إنهم بتجارتهم وصناعتهم ، وهى لخير اليهود وحدهم ، يبغون أن تكون لهم الكثرة فيتسنى لهم بهذا وذاك أن يسيطروا على البلاد . ثم هم مع هذا يزعمون أنهم محسنون إلى العرب .

ينبغى أن نذكر اليهود بتاريخ العرب — وهم بسجاياهم أحرار كرام لا يستعبدون ولا يستعبدون ، ولا يبخلون أن يشركوا الناس فى خيراتهم — هؤلاء العرب كانوا على مر العصور حماة اليهود . لجأ اليهود إلى ظل العلم العربى حيثما كان . وقد دخلوا إسبانيا فى كنف العرب ، فلما أخرج العرب منها خرجوا ، ويوم قامت للعرب دولة فى فلسطين كان اليهود مشردين فى الأرض وكانت معابدهم مزابل ، فطهر العرب معابدهم ، ومكنوهم أن يرجعوا إلى فلسطين ، وأن يعيشوا أحراراً فى رعاية العرب وسماحة الإسلام . وهكذا أحسن العرب إلى اليهود على مر العصور واختلاف الأقطار . فلما رأى اليهود المحن تتوالى على العرب ، والمصائب تحيط بهم بأيدى الأوربيين جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية باغين على بنى عمومتهم ، ناسين كل فضل لهم ، يجزونهم شر الجزاء بما أحسنوا إليهم كل الإحسان . لقد جاءوا ممتزين بوعد بلفور ليكونوا أعواناً لأعدائهم على أصدقائهم . فخسروا آخر صديق لهم على وجه الأرض ، إنهم لم يأتوا إلى فلسطين بروح الآسيوى المعترف بالفضل ، المقر بالحق ، المؤثر للعدل ، بل جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية أعواناً لبغى أوربا يجدون فى ضعف العرب فرصة ليسلبوهم أرضهم وديارهم ، ثم يدعون أن الأوربيين يكرهونهم لأنهم آسيويون حملوا إلى أوربا روح آسيا .

وقال أصحاب البيان آخراً : « إن يسيراً أن نجد الحل السلمى الملائم » …



نهرو قائماً للخطابة وغاندى قاعداً وبجانبه عبد الغفار خان الذى يسمى غاندي الحدود

نعم نحن نعرف الحل العادل الملائم . وقد دعونا إليه وනادينا به واقترحته جامعة الدول العربية فى مؤتمر لندن . هذا الحل هو أن يعيش الناس فى فلسطين كما تعيش الأمم كلها فى هذا العصر . وأن تكون فلسطين لمن فيها اليوم ، ويكف سيل الهجرة المتدفق ويعيش العرب واليهود على النظم الديمقراطية التى تسيطر على العالم كله . يقبل العرب هذا ويتجاوزون عن كل ما وقع ، ويعدون اليهود الذى هم فى فلسطين اليوم وقد جاءوا إلى البلاد فى السنوات

هذه بلادنا

للأستاذ محمود محمد شاكر

هذه بلادنا : العراق ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين وشرق الأردن ، وجزيرة العرب ، واليمن ، ومصر والسودان ، وبرقة ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش — هذه بلاد العرب التى ينطق أهلها اللسان العربى ويدين أكثرهم بالإسلام ، فهما من أجل ذلك جبهة واحدة ممتدة من الشرق إلى الغرب ، وتملأ رحابها أكبر قارة على وجه هذه الأرض . وهى جميعاً أرض بكر لم ينبش العلم ذخائرها المدفونة تحت ثراها الغنى، ولم تنل يده إلا قليلا مما تقله أرضها من حيوان ونبات ، ولم تنفطر روحها بعد عن الإنسان الجديد الذى انساح فيها من قبل يوما ما ، فملأها عدلا وكانت ملء جنباتها ظلماً وعدواناً وبغياً وكفراً بالله ثم بالطبيعة البشرية المطهرة من أدران الحقد والأثرة والجشع وقلة الإنصاف .

فلنلق نظرة عليها جميعاً بلداً بلداً ، لنرى ما ذا فعل الله بأهلها ، وماذا كتب عليهم ، وماذا قدر لهم .

فالعراق أغنى مشارف الجزيرة العربية وأكرمها تربة ، وقد نزلت عليه بريطانيا محتلة وسامته الخسف سنين حتى عقدوا معه معاهدة لم تمنع بريطانيا من التدسس بسلطانها إلى جميع مرافقه، فهو لا يستطيع أن يؤدى حق أرضه عليه كما يجب ، وسلطان بريطانيا هناك سلطان جائر عنيف لا يزال كما كان على أول عهد الاحتلال ، ويخشى أن يزداد فيه سلطانها وسلطان شريكتها ووارثتها أمريكا ، بما جد من شئون النفط والبترول وما إليهما .

وأما سورية ولبنان ، فقد جلت عنهما فرنسا جلاء تاماً على أثر الأحداث العالمية التى جاءت مع الحرب الماضية ، فاستردتا استقلالهما بغير قيد ولا شرط . ولكن يخاف عليهما ما يخاف على سائر البلاد العربية من تسرب السلطان البريطانى والسلطان الأمريكى ، وطغيان هذا السلطان بالضرورة الملحة الملزمة ، إذا قدر لهما أن تظلا محاطتين من جميع النواحى بالمواقع التى فيها لهذا السلطان أثر قوى .

وأما فلسطين، فهى الأرض المظلومة المضطهدة التى أراد بغى بريطانيا وأمريكا أن يجعلاها وطناً لأعوانهم من نسل إسرائيل ، ومعنى ذلك أن تصبح فلسطين كهف الجشع البريطانى الأمريكى ، يعمل له وفيه جيل من خلق الله الذين عرفوا بالخسة وقلة المبالاة وعدم الورع فيما يأتون وما يذرون ، وهم ولا ريب يؤيدون سياسة بريطانيا وأمريكا فى فرض سلطان القوة وسلطان المال على هذه البقعة من الأرض المقدسة ، وعلى كل مكان آخر يحيط بها من قريب أو بعيد .

وأما شرق الأردن ، فقد كفتنا المعاهدة التى عقدت بينه وبين بريطانيا أن نقول فيه قولا يصفه بأفضل مما وصفته هذه المعاهدة ، وهو أنه أرض بريطانية فى قلب البلاد العربية

وأما جزيرة العرب ، فقد تدفق عليها سلطان بريطانيا وأمريكا من كل مكان ، لأنه فرض أن آبار البترول تكاد تكون حقاً خالصاً لهما ، يدفعان فى سبيل أخذه مالا قليلا زهيداً ، ثم ينقلانه إلى بلادهما ليكون ذخيرة من ذخائر القوة التى تحرك الآلات ، وتنتج المصنوعات وتمد أمريكا وبريطانيا بكل أسباب القوة والغلبة فى هذه الدنيا الجديدة التى لا حظ فيها إلا للقوى الناصب. واستقلال جزيرة العرب أصبح اليوم مهدداً بتغلغل نفوذ ملوك البترول الذين يخدمون ولا شك سياسة بلادهم على أى وجه كانت هذه السياسة .

الأخيرة من أقطار أوربية مختلفة — يمدون هؤلاء الأوربيين المتمدين المغيرين شركاء لهم فى فلسطين ، ويقبلون أن يقيموا معاً دولة على أسس ديمقراطية .

فهل يقبل اليهود هذا ؟ كلا إن الحل السلمى الملائم عندهم أن يوالوا الهجرة إلى فلسطين بغياً وعدواناً حتى يكثروا العرب ، ثم يقيموا بكثرتهم دولة يهودية كما يشاؤون . هل هذا حل سلمى؟ كلا إنه الوسيلة لزلزلة السلم فى الشرق الأدنى ، وإشعال الفتن والحروب فى هذا القسم من العالم بل فى آسيا والعالم كله ...

إن خيراً لليهود أن يعدلوا عن هذه المطامع الظالمة ، ويعترفوا للعرب بحقهم الحاضر وفضلهم الماضى ، ويعيشوا فى سلام وأمان فى رعاية العرب فى فلسطين وغيرها » .

عبد الوهاب عزام

(للكلام صلة)

وأما اليمن فلبريطانيا هناك بعض السلطان ، ويخشى بعد قليل أن يتدسس إليه سلطان أمريكا أيضاً وتصبح اليمن مضطرة إلى الخضوع لما خضعت له جاراتها العربية من سلطان هؤلاء الأقوياء.

وأما مصر والسودان ، فمن الذى يجهل سلطان بريطانيا فى أحد شقيه ، وهو مصر ، إنه سلطان قد ظلت السياسة البريطانية تمهد له منذ ستين عاماً بكل أسلوب من أساليبها فى اتخاذ الصنائع، وإضعاف الأخلاق ، وابتزاز الأموال ، وفتح أبواب الهجرة لصعاليك الأمم ، وقذف الأرض بكل سخافة من سخافات المدنية ، وحجبها عن كل جد وكل عمل يراد به خير هذه البلاد. وأما السودان ، فلم يزالوا به حتى كادوا ينتزعونه جملة واحدة ، وحتى قسموه إلى جنوب وشمال ، وحتى حرموا على أهل الشمال أن يخالطوا أهل الجنوب ، وحتى حرموا على أبنائه أن ينالوا قسطهم من العلم والحرية والتجربة فى هذه الدنيا المملوءة بالعلم والحرية والتجربة .

وأما برقة وطرابلس فقد انتهت بهما الحرب إلى أن صارتا تحت سلطان بريطانيا المباشر ، ولا يدرى أحد ماذا يجرى فيهما هناك الآن على وجه التحقيق ، ولكنهما على كل حال تحت سلطان بريطانيا وشريكتها أمريكا .

وأما تونس والجزائر ومراكش فهى أسوأ بلاد العربية كلها حالا بوقوعها تحت سلطان فرنسا . وفرنسا هذه أمة أهل جبروت وحماقة وجهل ، فهى تتخذ العسف وتصطنع القسوة فى كل عمل تعمله فى تلك البلاد . ولكن ليس يدرى على وجه التحقيق ما الذى تضمره بريطانيا وأمريكا لفرنسا وحكمها فى تلك البلاد . أتريد حقاً أن تؤازر فرنسا مرة أخرى على استعادة بعض مجدها وسلطانها فى هذه الدنيا ، وبذلك يزداد طغيانها وبغيها على أهل تونس ومراكش والجزائر ؟ أم تراهما يريدان أن يحتالا حتى يزيلا فرنسا عن تلك البلاد ليفرضا معاً عليها سلطاناً بريطانياً أمريكياً — إما متعاونتين وإما منفصلتين ؟ ومهما يكن من شىء فالذى فيه هذه البلاد اليوم ، أو الذى يخشى أن يقع عليها غداً هو أن السلطان الأجنبى هو السائد فيها قوة واقتداراً .

فأنت ترى غير مرتاب أن هذه الأمة العربية التى تعيش فى كل هذه البلاد العربية ، قد أصبحت هدفاً لأطماع دولتين متحدتين فى أغراضهما وأهدافهما : هما بريطانيا وأمريكا . فهل يشك فى هذه الحقيقة أحد ؟ كلا ولا ريب ، وإذن فنحن أمة واحدة مقسمة اليوم إلى أمم متعددة تواجه فى الميدان جبهة واحدة لها أغراض لا تختلف ولا تفترق . وهذه الجبهة الواحدة لم تزل تتعاون بأسلوب بعد أسلوب فى تنفيذ أغراضهما فى كل بلد من بلادنا ، وتتآزران على فرض سلطانهما مجتمعاً أو مفترقاً ، وتتوسلان إلى ذلك بالوسائل التى تتاح لكل منهما فى كل بلد من هذه البلاد

فالآن وقد تبين أننا أمة واحدة مقسمة إلى أمم ، وأننا نلقى عدواً واحداً هو بريطانيا وأمريكا مجتمعتين يضربان بسلاحهما غدراً هنا وهناك وثمة بلا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية ، فقد أصبح لزاماً علينا وفرضاً لا مخلص لنا منه أن ننظر إلى الحقيقة الواحدة التى لا يختلف عليها إلا من نزع الله من قلبه البصيرة الهادية إلى سبل الرشاد ، ألا وهى الاتحاد التام فى لقاء هذا العدو .

ومنذ سنوات أجمعت طائفة من أمم العرب على تكوين الجامعة العربية ، واشترطوا فى الأمة التى تصير عضواً فى هذه الجامعة أن تكون مستقلة . ومعنى ذلك هو الاستقلال المعترف به دولياً ، لا الاستقلال الحقيقى ، فإنهم لو طلبوا ذلك لما كان فى الجامعة العربية عضو واحد من هذه الأمم التى ذكرنا . فالجامعة العربية كما هى الآن لا تفى البتة بحاجة العرب ، ولا تقوم على الأساس الصحيح الذى ينبغى أن تقوم عليه . نعم إن الجامعة العربية لم تقصر فى الدفاع عن حق العرب جميعاً تقصيراً تلام عليه، وهى تبذل غاية جهدها فى صد عدوان المعتدين عليها ، وتبذل أقصى جهدها فى أم المشاكل العربية ، وهى مشكلة فلسطين التى سوف تكون يوماً ما ، أول شرارة تنطلق فى تاريخ العرب الحديث لتنير لنا الطريق السوى الذى ينبغى للعرب أن يسلكوه.

ولكن لا بد منذ الآن أن تعمل الجامعة العربية على ضم سائر البلاد العربية الأرض واللسان ، لتكون شعوب هذه البلاد كلها جبهة واحدة ، ذات سياسة واحدة ، وأهداف واحدة ، وقيادة واحدة ، حتى نلقى فى الميدان ذلك العدو الواحد المتآزر على هلكة العرب ، وهو بريطانيا وأمريكا . وإنه لا معنى لأن

تبقى فلسطين وتونس ومراكش والجزائر وبرقة وطرابلس غير ممثلة فى جامعة الدول العربية تمثيلا صحيحاً كسائر الدول العربية ، فإن مهمة الجامعة هى أن تعمل على أن تجعل هدفها الأول أن تتخذ كل وسيلة لضم شتات العرب فى هذه الدنيا ، كما فعل اليهود من أهل الأجناس المختلفة فى توحيد قيادتهم وجعل قضيتهم قضية واحدة ، وهم معتدون على أرض ليست لهم ، ونحن أهل أرض واحدة نملكها نحن العرب ملكا لن ينازعنا فيه أحد . وليس من الرأى ولا من الحكمة أن نترك هذا العدو الواحد يلقانا فى أكثر من جهة واحدة وهو صاحب القوى الطاغية الباغية ، وأن نظل نحن متفرقين ليس يجمعنا نظام واحد تحت قيادة واحدة تعمل لهدف واحد هو تحرير البلاد العربية كلها جملة واحدة من هذا النير المضروب عليها . وكما قلت من قبل إننا شعب واحد ، وقضيتنا قضية واحدة ، فلا معنى لأن نجعل هؤلاء يتلعبون بنا ، ويقسموننا ويفرقون بين قلوبنا ، ويشغلوننا حيناً بهذه القضية ، ثم يمملون فينا حتى نيأس ، فإذا بقضية أخرى تستنفد جهودنا ، ثم أخرى ثم رابعة . كلا ! هذا فساد فى الرأى وضلال قديم قد جربناه فألفيناه وبالا علينا ونقضاً لقوانا وتمكيناً للعدو من أنفسنا

إنه لابد من تجديد النظر فى شأن الجامعة العربية ، فإن العرب قد هبوا بعد هذه الحرب من رقدة طالت عليهم ، وهم مقبلون على العالم شعثاً غبراً كما أقبل آباؤهم من قبل ، وهم ينظرون إلى مدنية عظيمة قد بلغت غايتها وهى اليوم فى سبيل الانحدار إلى الهوة العميقة التى طمرت فيها مدنيات سالفة لم تكن أقل منها شأناً ولا أضعف خطراً . وينبغى أن تعلم جامعة الدول العربية ، أو الجامعة العربية ، أن عملها ليس سياسة محضاً بل هو أيضاً حض وتحريض وبعث لهذا الجيل من الناس المعروف باسم العرب ، حتى تتم يقظته وحتى يعرف أى شيء يستقبل وأى شيء يستدبر ، ليرث هذه المدنية التى أوشكت أن تزول عن وجه هذه الأرض .

إنه قول جرىء ، ولكنه حق ملء السمع والبصر ، حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلنأخذ أهبتنا قبل أن تأتى الساعة التى نضطر فيها إلى العجلة التى كان لنا عنها مندوحة ، إن كل عربى قد فرض عليه واجب هو أقدس الواجبات فى هذه الدنيا — ألا وهو الأمانة التى يرث بها الأرض ويكون فيها خليفة يصلح فيها ولا يفسد ولا يسفك الدماء ولا يأ كل حقوق الناس بالبغى والعدوان . والجامعة العربية إذا بنيت على هذا الأصل وقامت على هذه الفكرة ، فقد أدت للبشرية أكبر خير أدى إليها على وجه الدهر ، وقد استنقذت حضارة الإنسان من الهلاك المحقق على يد الجنس الأوربى ، بل لعلها لم توجد فى هذا الوقت من هذا العصر إلا لتؤدى هذه المهمة وحدها بعد أن تجمع شمل العرب وتقف بهم صفاً واحداً يقاتل طغيان عدوها المستبد الذى يلقاها بسلطانه الجائر ، ويقاتل أيضاً ذلك السلطان الذى انفجر من ملتقى القارتين ، أوربة وآسية ، لكى يكون دماراً لنفسه وللحضارة الأوربية الفاسدة الضحلة .

ونحن العرب — فيما أرجو — لن نباع منذ اليوم فى سوق الرقيق التى يسمونها « هيئة الأمم المتحدة » ، فقد عرفنا بالتجربة كيف فعلت هذه الهيئة فى مسألة فلسطين وسواها من عربدة القوى الذى أطارت صوابه نشوة السلطان المسكر .

محمود محمد شاكر

على ثلوج (حِزّين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٢ —

قال :

بدأت هذه القصة منذ أربعين سنة ، ولم تكن هذه الضهور (١) موحشة مقفرة كما تراها اليوم ، ولم يكن القصر مهجوراً خرباً ، بل كان حافلا بالأنس ، فياضاً بالنعيم ، يمرح فيه الصِّبا ، ويضحك الطهر ، وإن كان قد خلا من هيبة السلطان ، وهجره الجند والأعوان ، بعد ما قضى بـ (مذبحة عين داره) (٢) الأمراء التنوخيون سادة الجبل ، ودالت دولتهم وذهبت أيامهم ، فلم يبق لسيدى الشيخ ناصر رحمه الله (مشيخة) بعدهم على هذى البقاع ، وكان هو (شيخها) وحاكمها — فما خلا من النبل والفضل ، ولا هجره العافون ولا الوافدون ، بل كانوا يؤمونه أبداً فينصرفون وقد حَفِل وطابُ كل واحد منهم بمايشتهى ومايريد من مال الشيخ ومن طيب قلبه ، ونبل نفسه ، وإشراق وجهه ، فكان مجده فى عزلته أكبر من مجده فى إمْرته .

وكانت ربّة القصر قد مضت جميلة طاهرة كزنبقة الجبل ، شابة ناضرة كطلائع الربيع ، وكانت تنشر عطر الحب أينما سارت فتترك حبّها فى كل قلب ، فلما توات أبقت فى كل قلب أعطر الذكريات ، وأحرّ اللوعات ، ورعى سيدى الشيخ عهدها ، وحفظ ودّها ، فلم يحلّ محلها من قصره أو فؤاده امرأة غيرها ، ووقف نفسه على ولديها : علام وليلى ، فكان لهما من بعدها أباً وكان لهما أماً ، ولم يكن فى القصر امرأة إلا أنا ، وكنت غضة الإهاب ، ريّانة الشباب ، فكنت أقوم على خدمتهما وتربيتهما .

وكنا نعيش سعداء لاندرى ما الهموم ، ولا نسأل عن الغد ، كنا كالمسافر يقف على العين الباردة ، يتمتع بالماء العذب ، والظل الظليل ، ثم يسير لا يحمل معه قربة من ماء ، ولا يتزود زاداً ، لأنه لا يعلم أن الطريق أمامه شمس كله وعطش وجوع وضلال ، ولا بدّ له من سلوك هذا الطريق …

كانت حياتنا كالبركة الساكنة ، ولكن الأيام ألقت فى بركتنا حجراً كبيراً ، أزعج سكونها ، وعكر ماءها ، فلم تصفُ من بعدُ أبداً ، وكان الحجر الذى رمتنا به الأيام غلاماً قذراً حمله سيدى من أزقة بيروت …

وهنا تبدأ القصة التى أروى لك مقاطع منها ، لأنها لا تروى كلها : ومن يستطيع أن يروى قصة حب ، بكل ما فيها من عواطف وأفكار ، وآلام وآمال ؟

إن النفس البشرية أعمق من البَحر ، فمن دخل البحر غرق فيه فلم يخرج منه ليخبر عما رأى ، ومن وقف على الشاطئ لم يلمس منه إلا الزبد الذى يحمله إليه الموج ، وإن أعظم القصص التى كتبها الأدباء ، لم تكن إلا زبداً يلقيه الموج إلى الشاطئ ، أما اللجة الكبرى فلم يصل إليها قلم أديب ، ولا غاص على جواهرها ، ولا وصل إلى عجائبها .

هل رأيت الأفق عند الغروب ، والشمس تلونه كل لحظة بلون ، تخلق فيه عجائب لم تعرفها الأرض ثم تبيدها وتأتى بغيرها ، وتخط فيه خطوطاً سحرية بألوان ما عرفها الفنُّ ثم تمحوها وترسم سواها ، كذلك النفس البشرية ، إنها تبنى وتهدم فى (الثانية) من الأفكار والعواطف ، والخواطر والتأملات ، مايعجز أدباء الأرض جميعا عن حبسه فى القرطاس . فكيف يصف حياة امتدت أربعين سنة ، من عجز عن وصف حياة ثانية واحدة ؟ وكيف يصوّر ألوان النفس الخفية من لم يستطع أن يصوِّر ألوان الأفق الظاهرة ؟

إن الأدباء لم يأخذوا من قصص الحياة إلا حوادثها ، وما الحوادث ؟ ما خطرها ؟ إنها جسم القصة ، فهل رأيت محباً يقتل حبيبته ثم يعانق جسدها يحسب أن الجسد هو الحبيبة ؟

هذا ما يصنعه الأدباء !!

* * *

أروى لك حوادث هذه القصة وأدع لك أن تفهم ما وراءها ، وأن تلمس بيد بصيرتك روحها حتى لا تكون جسما بلا روح ،

---

(١) الضهور جمع ضهر : وهوظهر الجبل من عامى لبنان الفصيح .

(٢) يسأل عن خبرها الرجل الذى لم يبق من سلالة الأمراء التنوخيين إلا هو وآله فهو ذو الامارتين : إمارة الأدب وإمارة النسب ، صديقنا أبو قيس عز الدين علم الدين التنوخى .

وأن تسمعها بأذن نفسك لا بأذن رأسك ، فإن النفوس متشابهات ورب إشارة أو كلمة أدل عند النفس من كتاب ضخم عند العقل .

بدأت حوادث هذه القصة يوم عاد سيدى الشيخ من بيروت راكباً فرسه ، إذ لم تكن قد وطئت حرم الجبل الأشم هذه السيارات ... وقد لف عباءته على غلام وضمه بين يديه لا يبدو منه إلا رأسه ، فلما وصل كشفها عنه فإذا غلام (شحاد) عمره نحو عشر سنين ، وسخ الجسم ، قذر الأسمال ، فقال لنا :

— إنى وجدته فى رأس بيروت يهم بأن يلقى نفسه فى البحر فحملته معى

وحمل الولد يتفلت منه كأنه قط وحشى يريد أن يفر من الصياد ، فشد يده عليه ، ودفعه إلى وقال لى :

— خذيه فأطعميه .

ويا ليته تركه يرمى بنفسه فى البحر ، أو يا ليته خلاه ليهرب ولا يعود ، إذن لما شقينا به ولما شق بنا أربعين سنة كوامل ، لم نستمتع فيها بشباب ، ولم نعرف فيها السعادة ولا الاطمئنان .

وسحبته من ذراعه ، وهو يحاول التملص منى ، ويعض يدى ، وينطحنى ويثبت قدميه مستمسكاً بالأرض كالتيس العنيد ، حتى بلغت به المطبخ ووضعت له الطعام فأكل أكل من لا يخشى الفزر (١) ، فلما شبع عدت به إليه — وكان يحدث الولدين ويدفع إليهما هداياه التى طلباها منه : القيثارة للصبى والسوط المرصع اليد للبنت — فلما رأته ليلى ، قالت :

— بابا . إنه قذر .

ورحمته . أما علام فقد أبغضه منذ اللحظة الأولى .

فقال لى سيدى الشيخ :

— خذيه فأغسلى جلده ، وألبسيه .

ففعلت فرأيته قد استحال إنساناً آخر ، وخيل إلى أنى لمحت على وجهه وميض نبل قديم ، فلما أنعمت النظر فيه وجدته قد انطفأ وعاد وجهاً عادياً لغلام وضيء رائع المحيا .

وعدت به إلى الشيخ ، فسر به وقال :

— لقد أسميته (هانى) وجعلته منى كولدى .

ونظرت إلى الولد فأبصرت عينيه تلمعان ، ثم رأيته يسرع إلى الشيخ فيخبيء وجهه فى طيات جبته ويبكى ، يعبر بالدمع عن الشكر الذى يقصر عن التعبير عنه اللسان .

وكانت ليلى ترمقه باسمة ، أما علام فكان يأكل قلبه البغض ويجلل وجهه الغضب .

***

ومرت الأيام ، وألفته ليلى إذ كان فى مثل سنها وألفها ، أما علام فلم تزده له الأيام إلا كرهاً ، وكان الشيخ قد اشترى لكل من الثلاثة فرساً . فأقبل علام يوماً على هانى وكان يساير بفرسه ليلى ، فقال له آمراً :

— انزل عن الفرس وهاته ، فإن فرسى قد أصابه العرج .

فأبى ، فسبه وأخذ الفرس منه قسراً ، وآلمه عدوانه عليه ، وأنساه كرم الوالد أصله ، وأنه لقيط من الطريق ، وأن (علام) هو الولد والوارث والفرس فرس أبيه ، وأنه أكبر منه سناً ، وأقوى ساعداً ، فهجم عليه يريد أن يسترجع الفرس منه فضربه علام على وجهه وصدره ، ثم أخذ حجراً ضخماً فرماه به ، فشجه وكاد يقضى عليه ، لولا أن أقبلت ليلى تدافع عنه بسوطها ، تنزل به على وجه أخيها حتى حجزته عنه ...

فى هذه اللحظة ولد المخلوق الجبار الذى اسمه الحب .

أشفقت عليه ، وشفقة الفتاة على الفتى الجميل بذرة الحب تختفى فى قلبها ، فلا تحس هى بها ، كما تختفى حبة الصنوبر الصغيرة فى حدور الجبل تطؤها الأقدام ، وتتجاوزها الأبصار ، ولا يدرى بها أحد ، ثم لا تلبث أن تكون شجرة باسقة الفرع ، ممتدة الأصل ، شامخة الهام .

وجعلت تواسيه فيعرض عنها ، يستحى برجولته (الصغيرة) أن تراها كليمة مهزومة ، وهى تلح عليه ، حتى قالت له :

— هلم نقطف (أزهار الجبل) .

فأبى . فرفعت ذيلها وانحنت له متشبهة بالعقائل على عادتهن فى تلك الأيام ، فاستلت بدلالها غضبه ، وابتسمت فأنارت بابتسامتها قلبه ، فأطاعها وغلبت أنوثتها رجولة الرجل ... ولا تزال المرأة غالبة ما حاربت بالأنوثة ، فإن زهدت فيها وحاولت أن تجارى الرجل فى ميدانه ، وتسابقه فى حلبته ، وتقاتله بسلاحه ، اصطكت ركبتاها ، وكلت قدماها ، وعجزت يداها ، وسقطت .

(١) الفزر من العامى الفصيح وفى الشمائل : (كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر) .

ومسحت دمه ، وعصبت جرحه ، وأركبته فرسها ، ومشت به الهوينى ، تلقى فى أذنه كلاماً من كلام الطفولة العاشقة ، يرفعه فى عين نفسه ويحقق فيه عندها ما تتمناه هى فى رجل أحلامها ، ولكل بنت حلم ولو كانت بنت عشر ، ولا يخلو حلم بنت من رجل ، ولو كان (رجلا) ابن عشر ! حتى إذا اقتربا من هذه الصخرة التى تراها قائمة على شفير الوادى ، كأنها قلعة من قلاع الجن ، أمامها خندق لا تبلغ قرارته الشياطين ، ولا تصل إلى ذروته المردة ، قالت له :

– اسمع ما أنت بالوضيع ولا اللقيط ، أنت سليل الأمراء التنوخيين ، أنت الذى نجا يوم (عين دارة) وهذا قصر أجدادك .

فنظر مشدوهاً ، وقال : هذه صخرة !

– قالت : كلا . أنعم النظر إنها قصر أجدادك ، وهذا الفارس الأسود بالباب يمنعك من دخوله فخذ هذا السيف واعد إليه فاقتله ، اعُدُ ... اعُدُهْ ...

– قال : هذا سوط !

فصاحت متحمسة ، وضربت الأرض دلالا بقدمها ، وانتثر شعرها الذهبى ، وزادها الغضب جمالا على جمالها ، فأراه غضبها الصخرة قصراً ، والسوط سيفاً ، وأى رجل لا تخدعه الجميلة عن الأوهام حتى يراها حقائق ، ولا يندفع من أجلها إذا دفعته إلى المهالك ؟

وعثر به الفرس ، وكاد يهوى إلى الأعماق المظلمة ، ولكنه قفز إلى الأرض ، وانطلق يقارع بسوطه الهواء ، وهو يرى أنه يجالد الفارس الأسود ، حتى إذا قتله ... مسح سيفه من دمه ... ووضع قدمه على عنقه ... وصرخ بها صرخة الظافر ، فأقبلت إليه وقالت :

– أنت الملك ، وأنا أمتك .

– قال : بل أنت مليكتى .

وانحنى أمامها فقبل يدها ، وذهب يقطف زهور الجبل ليصنعها لها تاجاً ...

ونما الحب الوليد فجأة ، فكانت له قوة هذه الصخرة وسموها ، وله طهارة هذه الثلوج ونقاؤها ، وله خلود هذه الجبال وبقاؤها .

***

قال صديقى :

وسكتت العجوز حيناً ، ثم قالت لى :

– انظر إلى ما تحت قدميك .

فنظرت وإذا أفتن منظر وقعت عليه عينا سائح وأبدعه .

قالت :

– هذا هو المشهد الذى كنت تراه فى ظلام الليل أسود مخيفاً ، يبعث الرعب ، ما تبدل ، ولكن غابت عنه الشمس فاستحال جماله قبحاً ، وكذلك الدنيا : تكون فى عين سوداء وفى عين بيضاء ، وتكون يوماً حلوة حبيبة ، ويوماً مرة كريهة ، ولقد اسودت دنيانا منذ مات سيدى الشيخ ، وغربت عنها شمسه المضيئة فشملها الظلام ، وذهبت منها حلاوة نفسه ، فصارت مرة لا تطاق .

تبدلت هذه (الدنيا) مذ مات ، وشب الصغار ، فلم يعد فى القصر ثلاثة أطفال يلعبون قد ساوى بينهم كرم الوالد ، بل سادة وخدم ، وظالم ومظلومون ، صار علام سيد القصر ، فكشفت منه السيادة عن نفس عبد ، وأظهر السلطان منه طبع سوقة ، فاستبد بأخته واستأثر بالخير من دونها ، وجعل هانى خادم الاصطبل ، وسائس الخيل ، يمسك له فرسه ، وينحنى له ليضع نعله الدنسة على كتفه ليركب ، ويعدو معه فى ركابه ، ويذيقه ألوان الذل ، ويتعمد أن يحمله صنوف الأذى ، وهو صابر من أجل حبه ، وهى ترى هذا فيقطع نفسها حسرات ، ويمزق فؤادها أن ترى حبيبها و (ملكها) ذليلا ممتهناً ، ولا تدرى ما اللذة ولا تعرف طعم الحياة إلا إذا غاب الأخ ، فهرعت إلى الصخرة تسبقه أو يسبقها إليها ، فألقت بنفسها بين ذراعيه ، ما تبالى حطة منزلته ولا وساخة بزته ، لقد كانت هذه الصخرة ملاذهما ، وعش هواهما ، يستندان إليها ، فإذا الصخرة التى كانت صماء خرساء ، قد عاشت بالحب ، وعدتها حياته الخالدة ، فصارت قلباً كبيراً أحنى من قلوب الأمهات ، ولساناً أحلى من ألسنة العشاق ، وعز كل شىء حواليها وغلا ، فالشمس عندها أضوأ فى عينيهما من شمس القصر ، والليل أعذب ، والورد أعطر ، والثلج أطهر ، وكان يحس وهو يعانقها أن هذه السفوح المتسلسلة إلى سيف البحر ، وهذه القرى المنثورة على السفوح ، وهذه الأحراج المطيفة بالقرى ، وهذه السواقى المنبثقة من الأحراج ، وهذه الذرى العالية ، وهذه الحدور المتتالية وهذا البحر المظلم الذى يمتد حتى يصعد إلى السماء أو تنزل هى إليه ، فيكون البحر سماء والسماء ماء – كل ذلك ملك له وحده!

ويشعر بالقوة قد ملأت نفسه حتى كادت تتفجر نشاطاً واندفاعاً ، وبالعاطفة يكاد يتمزق من طغيانها قلبه ، وأنه لم يعد

يحتمل السكون والانطواء على نفسه بعد ما حركه الحب ؛ فهو يريد أن يصنع المعجزات ، أن يزيح الجبال ، أن يكون قائداً فيفتح بحبها الأرض ، أن يكون شاعراً فيملأ بتقديسها الأسماع ، أن يكون كاتباً فيخلدها بروائع الآداب : بكل مقالة هي أعظم من قلعة يشيدها ملك ، وأمتن منها بناء ، وأعلى ، وأبقى على وجه الدهر ، تتخرب القلاع وهي باقية ، وتنسى أسماء الملوك ، وأسماء قائلها درر في صحائف التاريخ ، وجمال للماضي ...

وتنالها من خمرة الحب مثل نشوته ، وتغيب معه في سكرة الغرام ، فيهمس وشفتاها على خده :

— هل في الدنيا أسعد منا يا هاني ؟ هل في الوجود متعة أعظم مما نحن فيه ؟

— فيقول : نحن الوجود يا ليلى ، نحن المحبة والمحبة سرّ الوجود . هذه الصخرة ما رست هنا منذ الأزل إلا لنأوى إليها ، هذه السفوح ما بسطت إلا لنطل عليها ، والقمر ما طلع من وراء الأفق إلا لينظر إلينا ، والنجوم ما أطلت من فُرج السماء إلا لتناجينا ، والفلك كله يدور من حولنا . نحن قطب الوجود ، أنا وأنت يا ليلى . لقد كنا متحابين من قبل ان نلتقى ، وقبل أن نولد ، وسنبقى متحابين بعد أن نموت ، وهذا هو الحب .

الحب أن يعرف الحبيبة قبل أن تقع عليها عينه ، ويسمع باسمها أذنه : يعرفها في سبحات التأمل في ليالي الوحدة ، في ثوَران الميل في أعصاب الشباب ، في خفقات القلب للجمال ، في تطلع الفكر للمجهول ، في فراغ النفس ، في صراخ الأعصاب ، في كل فرحة ، وفي كل ألم ، وكل ذهول . هذا هو الحبُّ الضالُّ الذي لا يعرف طريق الحبيب

ليس الحب ضمَّة ولاشمَّة ولاقبلة ، الحب أن يرى المحبوبة فيحس في نفسه جوعاً سماوياً إليها ، رغبة جامحة في أن يفتح قلبه ويضمها فيه ويضمه عليها ، الحب أن تفنى هي فيه ، وأن يفنى هو فيها ، أن لا يفرق بين الحبيبين الزمان ولا المكان ولا الميول ولا الأهواء ، فيكون أبداً معها ، هواه هواها ، وميوله ميولها ، ويكون في رأسه صداعها ، وفي معدته جوعها ، وفي قلبه مسراتها وأحزانها ، وأن تكون له ويكون لها ، وأن يدخلا معاً مصنع القدرة الإلهية مرة ثانية ويخرجا وقد صارا إنساناً واحداً ، في جسمين اثنين . فأين تروى جرعات اللذائذ الحسية هذا الظمأ الروحى ؟ ! إنها كالخل للعطشان ، يشربه فيحرق أمعاءه ، ويزيد ظمأه .

— فتقول له : يا ليتنا نموت الآن يا هاني ، حسبنا هذا من العمر . أو يا ليت الزمان يقف فلايدور أبداً ، ولا نعود إلى القصر ولا نرى الناس .

— فيقول : ما الناس ؟ وما القصر ؟ كله باطل ! كل ما عند الناس أوهام ! الحق هنا ، هذا وحده الحق ، هذا هو الواقع ، هنا الدنيا !

ويعجز النطق ، وتضيق اللغة ، فيتكلمان باللغة التي يفهمها البشر كلهم ، لأن لغة البشرية ليست لغة أمم ولا أقوام ، اللغة التي ليس فيها إلا كلمة واحدة ولكن معانيها أوسع من كل ما حوت المعاجم ، اللغة التي لا يفهم الرجل عن المرأة ، ولا تفهم المرأة عن الرجل ، إلا بها : لغة القبل !

وتكون وسوستها الخافقة أبلغ من كل ما قال الشعراء

(البقية في العدد القادم)

علي الطنطاوي

٩ - تفسير الأحلام

للعلامة سيجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

والأشياء التى تمثل فى الحلم بالرموز ليست كبيرة العدد ، وهى تنحصر فى : جسم الإنسان كمجموعة ، والآباء ، والأبناء ، والإخوة ، والأخوات ، والولادة ، والعرى - وثمت شىء آخر[1] . والتمثيل النموذجى الوحيد ، أى الذى يتكرر ظهوره باستمرار ، لجسم الإنسان كمجموعة هو « المنزل » ، كما يقرر ذلك الفيلسوف « شرنر » الذى أراد أن ينسب إلى هذا الرمز دلالة شاملة فوق ما يستحقها . والناس يرون فى أحلامهم أنهم يهبطون الدرج الخارجى للمنزل وقد انتابهم شعور من الفرح أحيانا ومن الفزع أحيانا أخرى . والمنزل إذا كان أملس الحائط فهو يرمز إلى رجل ، أما إذا كان يحتوى على بروزات وشرفات تصلح للتعلق بها فهو يرمز إلى امرأة . والأب والأم يظهران فى الحلم على شكل « إمبراطور » و « إمبراطورة » أو « ملك » و « ملكة » أو أية شخصية عظيمة أخرى . أما الأبناء والإخوة والأخوات فإنهم يعاملون فى الحلم برقة أقل ، فيرمز إليهم « بحيوانات صغيرة » أو « حشرات » . والولادة تمثل غالباً بإشارة إلى « الماء » ؛ فنرى أننا إما نقع فى الماء أو نخرج منه ، أو ننقذ أحداً من الغرق أو ينقذنا منه ، أى أن العلاقة بين الأم والطفل تبدو فى صورة رمزية . أما الموت فيمثل بالاستعداد للقيام « برحلة » أو « سفر » بالقطار ، بينما ترمز « الملابس » و « البزة الرسمية » إلى العرى . وهنا ترون أن الخط الذى يفصل بين التمثيل الرمزى والتمثيل التلميحى يميل إلى التلاشى .

ونحن لا يسعنا بجانب هذا الفقر فى الإحصاء إلا أن نعجب أيما عجب عند ما نرى أن أشياء كثيرة من التى تنتمى إلى أفق آخر من الأفكار تمثل بعدد وافر من الرموز ، وهذه الأشياء التى أعنيها هى كل ما يختص بالحياة الجنسية من أعضاء التناسل والعمليات الجنسية والجماع . فكمية فائقة من الرموز فى الأحلام عبارة عن رموز جنسية ، ومن هنا يختل التوازن إذ أن الأشياء التى تعالجها الرموز قليلة العدد بينما الرموز نفسها عديدة بشكل غريب ، بحيث يمكن لكل من هذه الأشياء القليلة أن يعبر عنه برموز كثيرة متماثلة تقريباً من الوجهة العملية . ولذا فإننا عند ما نقوم بتفسير هذه الرموز فإن هذه الخاصية تتسبب فى جرح الشعور العام لأن هذه التفسيرات كلها تعتبر واحدة إذا قسناها بالأشكال المختلفة التى تمثل بها فى الأحلام . وهذا من غير شك لا يسر كل من يقدر له أن يعرفه ، ولكن ماذا فى وسعنا أن نعمل ؟ .

ولما كانت هذه هى المرة الأولى التى أتكلم فيها عن الحياة الجنسية ، فإننى أجدنى مديناً لكم ببعض الشرح عن الخطة التى سأتبعها فى معالجة هذا الموضوع . فالمحلل النفسانى لا يرى أى داع لأن يخفى شيئاً أو يلمح إليه بطريقة غير مباشرة ، وهو لا يجد غضاضة فى الاهتمام بمادة غزيرة كهذه المادة ، وإنما هو من الرأى القائل بأن من الأصوب والأفضل لنا أن نسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية آملين بذلك أن نأمن جانب التأويلات المختلفة . ولئن كنت أتحدث إلى خليط من الرجال والنساء ، فلن يغير هذا من الموقف شيئاً . فليس هناك من العلوم ما يمكن معالجته بطريقة تصلح لفتيات المدارس ، كما أن النساء الموجودات قد عبرن بحضورهن إلى هذه القاعة تعبيراً ضمنياً عن رغبتهن فى المعاملة كالرجال سواء بسواء .

والجهاز التناسلى للذكر يمثل فى الحلم برموز كثيرة قد نستطيع أن نتبين فى معظمها وجه المقارنة بوضوح . فمثلا العدد المقدس « ثلاثة » عبارة عن رمز للجهاز بأكمله . أما الجزء المعروف منه وهو ما يهم الجنسين على السواء ، أعنى القضيب ، فيرمز إليه أولا بأشياء تشبهه فى الشكل أى طويلة منتصبة مثل « العصا » و « المظلة » و « الأعمدة » و « الأشجار » وما شابه ذلك . كما أنه يرمز إليه كذلك بأشياء لها مثله خاصية الاختراق ، ومن ثم إيذاء

(١) الأعضاء التناسلية . المترجم

الجسم أى الأسلحة المدببة من أى نوع كانت مثـل « المدية » و « الخنجر » و « الرمح » و « السيف » . والأسلحة النارية أيضاً « كالبندقية » و «الطبنجة» و «المسدس» يستخدم كثيراً لما لها من شكل يجعلها رموزاً صالحة للاستعمال . فتجد أن المطاردة بواسطة رجل مسلح بمدية أو بندقية فى آخرها حربة تلعب دوراً كبيراً فى أحلام القلق للفتيات الصـغيرات . وربما كان هذا الرمز أكثر الرموز ظهوراً فى الأحلام ، وها أنتم الآن تستطيعون ترجمته من تلقاء أنفسكم . والاستعاضة عن القضيب بأشياء يفيض منها الماء مثل « الصنبور » و « الينبوع » وكذلك الاستعاضة عنه بأشياء لها القدرة على الاستطالة مثل « المصابيح التى تعلق على بكرة » و « الأقلام التى ينزلق فيها الرصاص داخل وخارج الغلاف » تعتبر من الرموز السهلة الفهم . ومما لا شك فيه أيضاً أن «المطرقة» و «قلم الرصاص» و «مبرد الأظافر» و « البنة » وغير ذلك من « الأدوات » عبارة عن رموز جنسية مذكرة من السهل جداً معرفة وجه المقارنة بينها وبين القضيب .

ولهذا العضو صفة خاصة (وهى جزء من ظاهرة الانتصاب) تمـكنه من القيام من تلقاء ذاته غير مكترث بقانون الجاذبية ، وهذه الصفة تؤدى إلى أن يرمز إليه فى الحلم « بمنطاد » أو « طائرة » وأخيراً فقط « زبلن » . بيد أن الأحلام لها طريقة أخرى أشد غرابة فى الرمز إلى الانتصاب وذلك بأن تدمج العضو الجنسى فى الجزء الرئيسى من الشخص بحيث يرى الحالم «أنه نفسه يطير» . أرجو أن لا تقلقوا لسماعكم لأول مرة أن الأحلام الجميلة التى نعرفها كلنا والتى نرى أنفسنا نطير فيها ، يجب أن تفسر على أنها تهيج جنسى أو أحلام انتصاب ، فهذا التفسير قد أثبته أحد علماء التحليل النفسى وهو «ب . فيدرن» بشـكل لا يدع مجالا للشك . هذا علاوة على أن « مورلى فولد » وهو رجل يثنى عليه كثيراً لأحكامه الرزينة ، قد أجرى تجارب كثيرة على أوضاع اصطناعية للأيدى والأقدام فوصل إلى نفس النتيجة مع العلم بأن نظرياته كانت تبعد فى الواقع كثيراً عن نظريات التحليل النفسى (بل لعله فى الحقيقة لم يكن يعلم شيئاً بالمرة عن هذا العلم) كما يجب عليكم أن لا تفـكروا فى المعارضة باعتبار أن المرأة ترى أيضاً أنها تطير فى الحلم ، فالأفضل لـكم أن تتذكروا أن الغرض من الأحلام هو إشباع الرغبات ، وأن الرغبة فى أن تصير رجلا كثيراً ماتقابل فى المرأة سواء شعرت بها أم لا . وفضلا عن ذلك فإن الشخص الذى له إلمـام بعلم التشريح لن تستطيعوا التمويه عليه إذا قلتم له إنه من المستحيل على المرأة أن تحقق هـذه الرغبة عن طريق إحساسات تشبه إحساسات الرجل ، لأنه يعلم أن الجهاز التناسلى للمرأة يحتوى على عضو صغير يشبه القضيب ، وهذا العضو الصغير ، المسمى بالبظر ، يلعب فى الطفولة وفى السنوات التى تسبق المباشرة الجنسية نفس الدور الذى يلعبه القضيب .

وهناك رموز جنسية مذكرة يصعب فهمها قليـلا مثل « الأفاعى » و « الأسماك » ومثل الرمز المشهور « الثعبان » . كما أن من الصعب علينا فعلا أن نتـكهن بالسبب الذى من أجـله تستخدم « القبعات » و « المعاطف » بنفس الطريقة ، غير أن معناها الرمزى لا ريب فيه من غـير شك . وأخيراً فإن لنا أن نتساءل إذا كان من الممكن أن نعتبر تمثيل القضيب بأحد الأعضاء الأخرى مثل اليد أو القدم تمثيلا رمزيا ؟ أظن أن سياق الحوادث وما نصادفه من الرموز المؤنثة المقابلة لذلك سيضطرنا إلى الاعتراف بهذه النتيجة .

أما الجهاز التناسلى للأنثى فيرمز إليه بكل الأشياء التى تشترك معه فى صفة الإحاطة بفراغ أو التى تصلح للاستعمال كأوعية مثل «الحفرة» و «الجب» و «المغارة» وكذلك «الجرة» و «الزجاجة» و « الصناديق » من مختلف الأحجام والأشكال ، و « الخزانة » و « الأدراج » و « الجيوب » وما شابه ذلك . و « السفن » أيضا تدخل ضمن هـذا الاعتبار . وكثير من الرموز حرية بأن تشير إلى الرحم أكثر من أى عضو تناسلى آخر ، مثل «الدولاب» و « الموقد » وأهم من ذلك كله « الحجرة » . والتمثيل الرمزى بالحجرة هنا يرتبط مع التمثيل بالمنازل ، بينما « الأبواب » و « البوابات » تمثل الفتحات التناسلية . وهناك أيضاً مواد من أنواع مختلفة ترمز إلى المرأة « كالخشب » و « الورق » والأشياء المصنوعة منهما مثـل « الـكتب » و « الموائد » . أما من عالم الحيوان « فالقواقع » و « أم الخلول » يجب أن تدخل على أى حال ضمن الرموز المؤنثة التى لا يخطئها الظن . وأما من أجزاء الجسم نفسه « فالفم » يمثل الفتحة التناسلية ، بينما نجـد أن

« الـكنائس » و « المعابد » بين الأبنية عبارة عن رموز للمرأة . ومن هذا ترون أن هذه الرموز كلها ليست على درجة واحدة من سهولة الفهم .

والنهود كذلك يجب أن تدرج ضمن الأعضاء الجنسية وهى تمثل « بالتفاح » و « الخوخ » و « الفوا كه » على العموم . أما شعر العانة فى الجنسين فيرمز إليه فى الحلم « بغابة » أو « أيكة » . وترجع العلة فى تمثيل الجهاز التناسلى للأنثى غالباً « بأصقاع » تحتوى على غابات وصخور ومياه إلى طبيعته التبوغرافية المعقدة ، بينما التركيب الميكانيكى الدقيق للجهاز التناسلى للذكر يؤدى إلى الرمز إليـه بكل الأنواع المعقدة والتى لا يمكن وصفها من « الآلات » .

غير أن هناك رمزاً آخر للجهاز التناسـلى للأنثى يستحق الذكر هنا وهو «صندوق الجواهر» بينما «الجواهر» و «الـكنوز» تستخدم فى الحلم كرموز تمثل الشخص المحبوب ، و « الحلوى » تقوم غالباً مقام اللذة الجنسية . أما التلذذ الجنسى الناتج عن اللعب فى الأعضاء التناسلية للشخص نفسه فيرمز إليه بأى نوع من أنواع « اللعب » ومن بينها (اللعب)[١] على البيان . والتمثيل الرمزى « للعادة السرية »[١] « بالانزلاق » و « التزحلق » وأيضاً « بجذب فرع من الشجرة » يعتبر تمثيلا نموذجياً . ومن الرموز التى تستحق النظر أيضاً « سقوط أو اقتـلاع الأسنان » ومعناها المبـدأى من غير شك هو الخصى كعقاب للادمان على العادة السرية . ومن الغريب أن عملية الجماع نفسها تمثل فى الحلم بدرجة أقل ممـا كنا نتوقع بعد كل هذا ، ولـكننا نستطيع أن نذكر هنا أنواع الرياضة ذات النغم المطرد مثـل « الرقص » و « ركوب الخيل » و « التسلق » ، وكذلك « تعرض الإنسان للشدائد » كأن تدهمه مركبة كما أن فى إمكاننا أيضاً أن نضيف إلى ذلك بعض الأشغال اليدوية و كذلك التهديد بالأسلحة من غير شك

(يتبـع) محمد جمال الدين حسن

(١) آثرنا استعمال الترجمة الحرفية لـكلمة « Play » فقلنا اللعب بدلا من العزف حتى لا نبعد عن الغرض الذى أراده فرويد من إدخالها ضمن أنواع اللعب الأخرى .

(١) الـكلمة المستعملة فى الأصل هى « onanism » ومعناها « الأونانية » أو سغم أو نان وهى أن يجامع الرجل المرأة ثم يفضى إلى الخارج لمنع الحمل . وسميت بذلك نسبة إلى « أونان » ابن النبى « يهوذا » وهو أول من مارس الجماع على هذه الطريقة كما يقال غير أن هذه الكلمة شاع استعمالها خطأ فى بلاد كثيرة بمعنى التلذذ الجنسى الذاتى (auto—etotism) بأنواعه المختلفة وأهمها النوع المعروف بالعادة السرية (masturbation) وقد نبه « هافلوك أليس » فى سفره العظيم « دراسات فى سيكولوجية الجنس » إلى هذا الخطأ فقال فى ص ١٦٣ من الجزء الأول للكتاب الأول ما يأتى : « يجب أن لا تستعمل « الأونانية » فى هذا المعنى إطلاقا ولو لسبب واحد فقط وهو أن طريقة « أونان » لم تكن للتلذذ الجنسى بل كانت مثلا من الأمثلة المتقدمة لعملية إخراج القضيب قبل الإنزال أو (Coitus interruptus) . » اهـ لذا آثرنا استعمال كلمة « العادة السرية » لأنها تؤدى المعنى الذى يريده فرويد أكثر من « الأونانية » .

رأى الأكثرية
فى السياسة الشرعية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

ذكر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ رزق الزلباني فى مقال له (السياسة الدستورية الشرعية) نشر فى عدد صفر سنة ١٣٦٦ ﻫ من مجلة الأزهر حكماً فى رأى الأكثرية لا يصح أن يترك من غير أن تبين حقيقته الدينية، لأنه يتعلق بأمر له خطره فى نظام الحكومات الدستورية الحاضرة، وقد أخذت به الحكومات الاسلامية فى هذا العصر، فتألف فى كل حكومة منها مجلس نيابى يقوم نظامه على الأخذ برأى الأكثرية، وقد رأى فضيلة الأستاذ أن هذا يخالف السياسة الدستورية الشرعية، لأنها توجب رد المتنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة، ولا توجب الأخذ برأى الأكثر كما توجبه الحكومات الدستورية فى عصرنا، ثم ذكر أن ما درجت عليه الشريعة من ذلك أدنى إلى الصواب، وأجدر بتحقيق المصلحة واتفاق الكلمة، لأن الأكثرية قد تكون من حزب واحد ينصر بعض أفراده بعضاً فى الحق وفى الباطل، فمتى شاء زعماء الحزب تقرير أمر ولو بباعث المصلحة الشخصية تبعهم الباقون من أعضائه، فيصبح ما قرروا واجب الاتباع لأنه رأى الأكثر، وإن كان ظاهر الضرر قبيح الأثر، فتضيع المصلحة العامة، وتنتزع ثقة الأمة بأمثالهم، وتجد الفتنة والتفرق طريقها إلى النفوس، وفى ذلك الخطر كل الخطر، وفى الرد إلى الله والرسول اطمئنان كل نفس وراحة كل ضمير، وضمان وحدة الأمة وسيرها على صراط مستقيم.

ولا شك أن ما ذهب إليه فضيلة الأستاذ من رد المتنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة هو ما جاء فى قوله تعالى فى الآية — ٥٩ — من سورة النساء (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكر المفسرون أن ذلك خاص بأمور الدين، فهى التى يرجع فيها عند التنازع إلى كتاب الله عز وجل، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حياً، فإن مات ردت إلى سنته، فإن لم توجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فسبيلها الاجتهاد، وقيل الرد إلى الله ورسوله أن يقولوا لما لا يعلمون: الله ورسوله أعلم.

فأما أمور الدنيا فقد فوض الأمر فيها إلينا، نحكم فيها بما فيه مصلحتنا، ونرجع فيها إلى ما يراه أولو الأمر فينا، كما قال تعالى فى الآية — ٨٣ — من سورة النساء: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأدخل هنا أولى الأمر فيما يجيئهم من أمور الأمن والخوف، لأنه من أمور الدنيا، قال المفسرون: أولو الامر هم ذوو العقول والرأى والبصيرة، أو أمراء السرايا والبعوث.

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فى الآية — ١٥٩ — من سورة آل عمران، فقال (وشاورهم فى الأمر) وقد اختلف العلماء فى المعنى الذى من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم، مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على الخلق كافة فيما أحبوا أو كرهوا، فقيل هو عام مخصوص، والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد، وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا، لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه، وقيل إنه أمر أن يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شىء، لأن النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسرى بدر وهو من أمر الدين، وقد اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة، وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك

وقد مر النبى صلى الله عليه وسلم على قوم يؤبرون نخلهم، فقال لهم. لو تركتموه لصلح. فتركوه ففسد، فأتوا إليه فأعلموه بفساده، فقال لهم. أنتم أعلم بأمور دنياكم

فهناك إذن أمور كثيرة لا يجب على المسلمين أن يرجعوا عند التنازع فيها إلى الكتاب والسنة، وهى أمور الحكم التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيها، لأنها هى محل الشورى، وهى التى تؤلف المجالس النيابية فى الحكومات الدستورية للرجوع إليها فيها، أما أمور الدين فشأنها فى ذلك

شأن القوانين الوضعية ، ولا شك أن وجود القوانين الوضعية لا يمنع من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، فكذلك لا يمنع وجود القوانين السماوية من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، لأن المجالس النيابية ليست محاكم تنظر فى مسائل القوانين السماوية أو الوضعية ، وإنما هى رقيبة على حكوماتها ، تمطيها ثقتها إن عدلت فى الحكم ، وتعزلها من الحكم إن جارت فيه

وقد سار النبى صلى الله عليه وسلم على الشورى فى حكمه ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أنه فى غزوة الأحزاب أراد أن يصالح عُيينة بن حصن والحارث بن عوف على ثلث ثمار المدينة ، فعرض ذلك على سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة سيدى الأوس والخزرج ، فقالا له : يا رسول الله ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعاً وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف . فقال لهما : لو أمرنى الله ما شاورتكما . ثم اختار ما أشارا به ، ورجع عما أراده من ذلك الصلح

وإذا كان الإســلام قد جاء بالشورى التى تقوم عليها الحكومات الدستورية فى عصرنا ، فقد جاء أيضاً بالرجوع إلى رأى الأكثرية عند اختلاف أهل الشورى ، وبهذا لا يكون هناك خلاف فى هذا الأمر بين السياسة الدستورية الشرعية وغيرها من السياسة الوضعية ، بل تتفق السياستان فى الأخذ برأى الأكثرية فيما ثبتت فيه الشورى من أمور الدنيا كلها ، ومن بعض أمور الدين على ما ذهب إليه بعض العلماء فيما سبق

وقد أتى الإسلام بالأخذ برأى الأكثر فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة ، وذلك حين اقترب المشركون من المدينة فنزلوا بذى الحليفة ، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها

فقال رجال من المسلمين ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا . وقال آخرون : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فو الله ما خرجنا منها إلى عدولنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا !

فانقسم المسلمون بذلك إلى فريقين : فريق على رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيوخ المهاجرين والأنصار ، يرون البقاء فى المدينة ، وفريق أكثرهم من الشبان الذين لم يحضروا غزوة بدر ، وأرادوا أن يعوضوا مافاتهم منها بغزوة أحد ، يرون الخروج من المدينة إلى العدو

وقد نظر النبى صلى الله عليه وسلم فرأى الأكثرية فى جانب الذين يرون الخروج من المدينة ، فلم ير إلا أن يترك رأيه إلى رأيهم ، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأنه قد أمر بالشورى ، والشورى تقتضى أن يأخذ برأى من يستشيرهم إن اتفقوا عليه ، فإن اختلفوا فيه أخذ برأى أكثرهم ، حتى تمشى الشورى على قاعدة مطردة ، وتجرى على منهاج معروف ، تجتمع عليه كلمة الأمة ، ولا تكون الشورى معه سبباً لانقسامها واختلافها ، وقد عمل النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقاعدة ارتكاب أخف الضررين ، لأن ضرر مخالفة رأى الأكثرية فى الخروج من المدينة أشد من مخالفة رأيه فى البقاء فيها . وقد بعث صلى الله عليه وسلم معلماً ومرشداً ، فضرب بهذا مثلا فى حكم الشورى ، ليأخذ المسلمون به بعده ، وتكون القاعدة فيه الأخذ برأى الأكثر عند الاختلاف فى الرأى

فكيف مع هذا يرى فضيلة الأستاذ أن الأخذ برأى الأكثر ليس من السياسة الدستورية الشرعية ، وفى الإسلام مجال واسع للأخذ برأى الأكثر ، وذلك فى كل ما يؤخذ فيه بالشورى من أمور الدنيا ، ومن بعض أمور الدين التى لا يوجد فيها نص قاطع من الكتاب أو السنة ، ولا شك أن تقييد الأخذ برأى الأكثر بذلك لا شىء فيه ، لأن المجالس النيابية فى الحكومات الحديثة لا يصح لها أن تتدخل فى كل شىء من أمور الدولة ، بل تقف سلطتها عند حدود لا تتعداها ، ولا تطغى بمجاوزتها على غيرها من السلطات التى تتألف منها الحكومة

وأما ما ذكره فضيلة الأســتاذ من ضرر الأخذ برأى الأكثرية عندما تكون من حزب واحد فهو أمر قد يعرض لهذا النظام ، ولا يصح أن يؤخذ به ، كما لا يصح أن يؤخذ كل أمر نافع بسوء استعماله . بل يجب أن يعالج هذا فيه بما يصلحه

عبد المتعال الصعيدى

الفلسفة العربية وكيف تدرس

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

تعم الشرق العربي نهضة تشمل مختلف نواحي الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. ولكي نسير بهذه النهضة إلى الأمام يجب أن نقيمها — ونحن في بدايتها — على أسس وطيدة تلائم استعداداتنا العقلية وتقاليدنا الاجتماعية. وذلك يلزمنا بأن نتوجه إلى حضاراتنا العربية نبعث تراثها من جديد؛ ونستكشف من بين ثنايا مخلفاتها مقوماتنا النفسية، واتجاهات ميولنا الفكرية، ومعاييرنا الخلقية، وعاداتنا الاجتماعية. فيجب علينا أن نجد في بحث تراثنا العربي لانترك فيه علماً أو فناً من غير أن نستوفي دراسته، ونسرع في نشر أبحاثه في جميع أنحاء العالم العربي، حتى يدرك كل عربي ما هي المبادىء المقومة لفكره، وما هي الاتجاهات الثابتة التي ينزع إليها دائماً عقله؛ فيأخذ في تنمية مواهبه، ويشغلها بالموضوعات التي تتفق مع نزعاته الفكرية الصحيحة؛ وكل ذلك يؤهل الشعوب العربية لأن تقوم وتؤسس حضارة عالية تنشأ في أحضان الأصول الروحية الشرقية وترتقي بنضوج الخصائص الرئيسية لعقليتنا العربية ...

علينا إذن نحن العرب واجب مقدس نحو مستقبلنا الحضاري، وهو أن نتعاون جميعاً على تحليل علوم العرب وآدابهم وفنونهم إلى عناصرها الأولية، قاصدين معرفة محتوياتها وأصولها وبواعثها ومناحي مذاهبها. وأحسب أن تحقيق ذلك يتطلب دراية واسعة وفهماً عميقاً لكل التيارات الثقافية التي أثرت في العقلية العربية، حتى يمكننا أن نميز بين ما هو أصيل في الحضارة العربية وما هو دخيل عليها، ولذلك قبل أن نقدم على مثل هذه الدراسات، يجب أن نتزود بالزاد الثقافي الذي يعدنا للاشتغال بتراث العرب، وأن نحدد لمختلف العلوم والآداب والفنون البرامج الثقافية التي تعين كل باحث في تفهم مادة بحثه وفي هذا المقال سأحاول أن أضع البرنامج الثقافي الذي أرى أنه يفيد كل من يرغب في الإشتغال بالفلسفة العربية ...

نشأت هذه الفلسفة في بيئة ثقافية معقدة أشد التعقيد، وتطورت في ربوع شعوب متباينة الاتجاهات، وتأثرت بحضارات متعارضة النزعات. فلقد كان العالم العربي يمتد من غرب الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ويضم بلاد الأندلس والمغرب ومصر والشام وشبه جزيرة العرب والعراق وفارس وما وراء النهر، فتلاقت ثقافات هذه البلاد وتمازجت، كما تسربت إليها الأفكار الهندية، وتأثرت بما ترجم من التراث اليوناني إلى اللغة العربية، وأخذت عن الدين الإسلامي، وعرفت تعاليم الدين المسيحي وتعاليم الدين اليهودي. فنبت التفكير الفلسفي العربي من فلسفة وتصوف وعلم كلام وترعرع في كنف ذلك المجمع الثقافي والمتحف الحضاري، ونحن لا ندري إلى الآن أي هذه الثقافات كان أقوى تأثيراً من غيره في الفكر العربي، وإلى أي حد كان أخذ العربي ومحاكاته لثقافات غيره من الشعوب، ولا نعرف ما هو نصيبه الحق في تراثه الحضاري ...

لكي نكشف عن حقيقة هذه المسائل العويصة، يجب أن نسترشد بكل ما يقال إنه من العوامل التي أثرت في كل من الفلسفة والتصوف وعلم الكلام إذ قد تدلنا على قسط كل ثقافة في الحضارة العربية، وتحدد لنا نصيب الفكر العربي فيها.

أولا: يلاحظ على الفلسفة العربية أن هناك من لم يقتنع بوجودها، ويشك في قدرة العقلية العربية على التفلسف، ويرى أن الفلسفة العربية ما هي إلا خليط مشوه من الأفكار اليونانية لا نصيب فيها للفكر العربي؟ وأن هناك من يدعي بأن للعرب إضافات مبتكرة تشهد بأن الفكر السامي في قدرته أن يضع نظريات ويقيم كليات، وأن هناك من يقول بأن هذه الإضافات ليست مبتكرة وإنما هي مأخوذة من الأفكار الهندية والفارسية ولكي نتوصل إلى الرأي الصواب؛ يجب قبل أن نشتغل بهذه الفلسفة، أن نجيد فهم الفلسفة اليونانية، ونتتبع تاريخ تطورها من يوم ظهورها إلى أن ترجمت إلى اللغة العربية، وأن نعرف مراحل تطور الفكر الفارسي من قبل نهضة زرادشت إلى أن استولى العرب على بلاد فارس، وأن نلم بكل الديانات الهندية من هندوسية وبوذية سواء في أصولها أو في صورها التي وصلت إلى العرب. وبعد أن نحيط علماً بكل ذلك يمكننا أن نبحث في الفلسفة العربية، وأن نحدد موقف العقلية العربية منها.

ثانياً : أما عن التصوف فتضاربت الأقوال شتى المذاهب فى نشأته وتطوره ، فمن يرى أنه هروب من ارتباك الحياة السياسية وانحطاط الحياة الاجتماعية ، ورجوع الحياة الصوفية القديمة التى كانت فى الهند وفارس ، ومن يرى أنه محاكاة للرهبنة المسيحية ، وأنه استمد تفسيراته للأحوال الصوفية من أفكار الأفلاطونية المحدثة ، ومن يرى أن دين الإسلام برىء منه ، لأنه دين جاف لا يلين للمواطف الصوفية ، بينما يستند الصوفية دائما فى أقوالهم إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . فكل هذه الآراء تجبرنا وتلزمنا بأن نلم بالأصول الثقافية التى دعت إلى ظهور التصوف وساعدت على نموه ؛ وأن نعرف قبل أن نقبل على دراسته تاريخ الإسلام السياسى وأثره فى الحياة الصوفية ، وتعاليم الدين المسيحى ونظم رهبنته ومدى نفوذه فى العالم العربى ، ونظريات الأفلاطونية المحدثة ، ودين الإسلام وروح تعاليمه فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتاريخ التصوف الهندى والفارسى .

ثالثاً : إن كان هناك من يؤكد بأن نشأة علم الكلام دعت إليها الحياة العربية ، وحاجتها للدفاع عن تعاليم الإسلام ، ومقاومة كل الحركات التى ناهضت الإسلام ، وعملت على تقويض نفوذه وهدم تعاليمه ؛ إلا أن هناك أيضاً من يعتقد أن علم الكلام كان مجرد محاكاة للجدل اللاهوتى المسيحى ، وأن حججه وبراهينه كلها مأخوذة من الفلسفة اليونانية . ولكى نمتحن هذه المزاعم يتطلب منا أن نحيط علماً بمختلف التيارات الثقافية التى ناهضت الإسلام وتعاليمه ، وبنوع الجدل اللاهوتى الذى كان يدور بين المسيحيين ومدى شيوعه فى المملكة العربية ، وبالفلسفة اليونانية وطرق إقامتها للحجج وأسلوب جدلها المنطق وروح براهينها .

نستنتج مما تقدم أن الباحث فى الفكر العربى لن يصل إلى شىء ذا خطر علمى ، ما لم يمون نفسه بالزاد الثقافى الذى يحتاج إليه ، حتى يكون دقيقاً عميقاً فى أبحاثه ، صادقاً مصيبا فى أحكامه ولكى نسهل عمل كل من يرغب فى أن يشتغل بهذا الفكر ، نخطط له برنامجاً ثقافياً ، عليه أن يستوعبه قبل أن يبدأ فى تناول أى بحث فلسفى عربى أياً كان نوعه ، ويتلخص هذا البرنامج الثقافى فى الخطوات الآتية : —

١ — أن يبدأ الباحث بدراسة تاريخ الفكر الفارسى ، وتاريخ الفكر الهندى فى أصولها ، ثم على حالتيهما اللتين وصلتا للعرب .

٢ — ثم يدرس الفلسفة اليونانية دراسة تفصيلية فى مختلف أطوارها ، منذ نشأتها إلى يوم أن نقلت إلى اللغة العربية .

٣ — ثم يدرس تعاليم الديانات السماوية الثلاث ، وهى الإسلام والمسيحية واليهودية ، ويدرسها أولا فى أصولها ، ثم على حالتها التى كانت عليها فى العصور العربية .

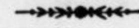
٤ — أن يتتبع تاريخ الإسلام السياسى ، ومدى أثره فى الحياة الثقافية .

وبعد أن يعطى الباحث هذه العلوم حقها من الدراية والفهم ، يسمح لنفسه بأن يتناول الفكر العربى بالبحث ، لأنه فى ضوء ثقافته هذه ، يمكنه أن يتتبع نشأة كل أنواع هذا الفكر ، ويتلمس أماكن ظهورها فى مختلف البلاد العربية ، ويدرك أدوار تطورها ، بل يمكنه أن يعين العوامل التى أدت إلى رقيها أو التى عاقت تقدمها ، وأن يوضح مكانة العقلية العربية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى . وكل ذلك يساعده مساعدة فعالة فى شرح تفاصيل الفلسفات العربية شرحا وافياً دقيقاً غير متأثر فى أحكامه بأى عاطفة سوى حب الحقيقة ، كما يساعده فى تحديد عناصر الحضارة العربية ومقومات روحها الحق .

عبد العزيز محمد الزكى
ليسانسيه فى الفلسفة

هذه الألفاظ الأثرية

للأستاذ أحمد رضا



تحت هذا العنوان كتب (الجاحظ) فى مجلة الرسالة الغراء كلمة وصف بها ما اخترته من الأسماء للمعانى المستحدثة الطارئة . فقال إنها ألفاظ أثرية مجفوة ميتة ، ولم أهتد إلى وجهة نظره فى توجيه هذا النعت .

ألأن هـذا المختار غير مألوف فى الذوق عنده أو عند أدباء هذا الدور من هذا العصر ؟؟ ولماذا ؟ والألفة الذوقية وحدها لا تكون ميزاناً للوضع والاختيار ، وإلا لما كان من حاجة إلى الوضع ، ولا سيما إذ كانت الكلمات المختارة فصيحة فى أصلها جارية على ألسنة الفصحاء زمن ازدهار اللغة ونموها .

وربما كان المألوف لك عامياً صرفاً أو أعجمياً ، فهل تفضله لمجرد الألفة وأنس الذوق به على الصحيح الفصيح لأنه غير مألوف ؟ والألفة وأنس النفس إنما يكونان بطول الصحبة وكثرة المزاولة فحيث تكون كانتا .

أو لأن هذا المختار ألفاظ نابية فى السمع لتعقد تراكيبها ، وسماجة لفظها ، وتنافر حروفها ؟ ولست أشعر بشىء من ذلك فيما اخترته ولا نبه الناقد إليه .

انتقد [الدَّرْمَك] للدقيق المُحَوَّر وهو لفظ فصيح استعمله فصحاء العرب بل جاء فى كلام أفصح من نطق بالضاد ، فقد قال صلوات الله عليه فى وصف الجنة « وتربتها الدَّرْمَك » وفسره ابن الأثير فى النهاية بالدقيق الحوّارى .

وأنكر [الدَّغرى] للحرب المفاجئة . وقد وردت فى كلام فصحاء العرب من غير استغراب ولا استهجان ولا نكير « قالت امرأة من العرب لولدها : إذا رأت العين العين فدغرى ولا صَفّى » تقول إذا رأيتم عدوكم فادغروا عليهم أى اقتحموا بغتة واحملوا ولا تصافّوهم [كما فى اللسان والأساس والتاج] .

ثم هل ترى فى مادة (دغ ر) أو تركيب دغر شيئاً من تنافر الحروف ونبوّ المخارج أو ما ينفر منه السمع ، وهل فرق بينها وبين مثيلاتها كالدغم والرغم والوغم الوغر والرغد ، فهل رأيت أحداً يشكو منها ، أو يتأفف من مكانها فى اللغة ؟

أنكر إطلاق [الدَّلَق] على ثوب القضاة والمحامين ، والدلق دويبة كالسَّمور تتخذ جلودها للفراء ، واستعير لثوب القضاة لأنه يعلّم به ، قال فى صبح الأعشى : الدلق ثوب متسع الأكمام طويلها ، مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج ، سائل على القدمين ، يلبسه القضاة فى الدولة الأيوبية ، وهذا الذى أطلقناه على الروب .

فما ينكر من هذه الكلمة ؟ وهل مثلها إلا مثل الفلق والأرق والعلق والدمث فى هذا الشأن ، أوليست هى أولى بالاستعمال (وإن كانت معربة فى الأصل عن الفارسية) من الروب من حيث أن قدماءنا استعملوها ونحن نجرى مجراهم ؟

وتنكر للربِيذة وهى فى كتب الأئمة قطر السجلات (أى المحاضر) وقد كان مجمع نادى العلوم فى مصر وضع لها (الملف) ولكننى اخترت الربيذة لأنها أخص بالدلالة على المراد ، فهل الدوسيه الأعجمية خير منهما ، وهل التجافى عنهما وعن أمثالها واللجوء إلى الكلمات الأعجمية الغريبة عن لغتنا ، يبلغ بنا الآمال فى تهذيب لغتنا ، وتطهيرها من الأدران .

وجئت بالكِنْف لجزدان الطبيب ، وقد استعمله الراعى العربى فى أداته التى يضع فيها مبراته ومقصه ، والصائغ لأدواته ، والتاجر للخفيف من متاعه ، وها أنا أريده هنا لمقص الطبيب وسكينه وملقطه وقطنه ، فأى محذور فى ذلك سوى أن ذهن منتقدى الفاضل ولسانه لم يألفه مع أنه كلمة مفردة ثلاثية ساكنة الوسط وحروفها معدودة من الدرجة الأولى فى استعمال حروف الهجاء العربية .

وانتقد إطلاق الشوذر والعلق على القميص بلا كمين ، وقد نص الأئمة على أن الشوذر برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وأن العِلقة قميص بلا كمين ، أفلا تكون إحدى اللفظتين خيراً من الشورت التى هى غريبة عنا وعن لغتنا ؟

وكذلك القنع للطبق الذى توضع فيه الفاكهة على الموائد ، (وقد أقره المجمع العلمى العربى الدمشقى واختاره على القناع لتقليل الاشتراك) وجاء فى الحديث أتيته بقناع من رطب ، قال فى النهاية ويقال القنع بالكسر والضم ، وقال الأئمة القُنع الطبق من عُسُب النخل تجعل عليه الفاكهة .

وقد كنت عارضت بعض ما وضعه مجمع اللغة العربية بمصر فى الأوضاع العامة بعد أن فسح المجال مدة سنة لمن يريد ذلك من الباحثين فى اللغة ، فاخترت مثلا الطِرْز وزان علم على الطَرَز وزان قلم للبيت الصيفى (الفيلا) والجناح مكان الشقة ، والحيفة

موضع البراءة وكلمات أخر، فرد على فيها اللغوي النحرير الأب أنستاس الكرملي، وناقشني غيره فيها وفي غيرها نقاشاً لم يكن اعتباطاً بل كان مستنداً إلى الحجة والبرهان (١) وحبذا مثل هذا الجدال الذي يمحص الحقائق ويرشد إلى الصواب. وأرى في مزيد إيضاح لهذا البحث:

إن كل عربي غيور على أمته ولغته ينظر ما آل إليه أمر اللغة الفصحى في العصور المتأخرة حتى أواخر القرن الثالث عشر يجدها قد انهزمت انهزاماً مؤلماً أمام طغيان اللغة العامية المستعجمة منذ استولى سلطان الأعاجم على الدولة وملكوا قيادها. وإنما الرعية على دين ملوكها. حتى تعدى ذلك إلى المؤلفين من هاتيك العصور فتجد في النجوم الزاهرة مثل قوله « وعندما ينزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان ويروح يقعُد في ديوان الإنشاء » ونجد في نشوار المحاضرة، من الكلمات الطارئة الأعجمية التي حلت محل مرادفاتها من الفصيح ما تنوسي معها الفصيح ولم يبق مألوفاً، كالدقدان والكردناج والشامرغ والسكردان وغير ذلك ثم ما نرجو من زمن أو دولة زمامها بيد طرنطاي ومنكوتمر أن تنهض باللغة وتطهرها من مثل هذا الفساد وترجعها إلى ما كان عليه أولها من بلاغة في الأسلوب، وفصاحة في الكلمات وعذوبة في اللفظ، ورشاقة في المعنى.

آلم ذلك الكرام البررة أهل الغيرة على لغة الكتاب والسنة، لغة البيان والبلاغة التي خص الله بها هذه الأمة النجيبة فكانت مفخرة من مفاخرها، وآية في إعجازها وإيجازها وبراعة أسلوبها، آلمهم ذلك وهم يرونها في هزيمة شنعاء أمام هذه اللغة الفاسدة القائلة فحاولوا تطهيرها من هذه الأدران، وكانت محاولتهم تعلو وتنحط وتذكو وتخبو ثم تتراجع بتأثير الزمان والمكان والأحوال الطارئة، إلى أن قيض لها ثلة من الأبرار الأطهار من رجال مصر في أخريات القرن الهجري الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة، ودعا المرحوم عبد الله فكري في سنة ١٨٨١ إلى إنشاء مجمع لغوي فحالت دونه الثورة العرابية، ثم دعا إليه ثانية في سنة ١٨٩٣ فلبى دعوته العلماء البررة كالشيخ محمد عبده والشنقيطي والمويلحي وفتح الله وحفني ناصف فلم يوفقوا كل التوفيق، وقام نادي دار العلوم بالعبء، حتى التأم السبي بنشاط الدولة المصرية لهذا الأمر، فتألف مجمع اللغة العربية بمصر، ونشطت قبل ذلك الحكومة الفيصلية بالشام، فكان المجمع العلمي العربي، وشمرت اللغة العربية منذ سرت هذه الروح الطيبة في علماء سائر الأقطار العربية وعلى الأخص مصر والشام بانتعاش سيرجع بها إلى سيرتها الأولى إن شاء الله لولا ما يعترض ذلك من تفنن بعض أدبائنا وتملقهم بالأساليب الأجنبية التي لا تتمشى مع استقلال اللغة ومميزاتها القومية الخاصة، ولست أعني بذلك أننا نجمد على القديم، بل علينا أن نماشي التطور الذي لا يدفع بنا إلى نكران ميراثنا، بل يعيننا على تحسينه وتهذيبه بما لا يذهب بمقوماته وخصائصه، وهل يتم لنا ذلك ما لم نتقن لغتنا وخصائصها، بياناً وأسلوباً، ونعرف ما كان عليه قومنا الأولون في نهضتهم الأولى ونجري على سننهم.

نعم إن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفي ألفاظها لكل معنى مستحدث وفي كل غرض جديد، كما يقول المنتقد الفاضل، فهل اختيار الأسماء لهذه الطوارىء المستحدثة يؤثر في أصل معناها المراد، وإلام يرجع الناشد لهذا في اختياره؟ ألى الكلمات القديمة التي استعملت زمن العرب، وفي العصور الأولى، عصور النهضة وقد نعى ذلك المنتقد الفاضل علينا وضرب لها مثلا بالدراهم والدنانير المضروبة زمن هارون الرشيد؟ أو نصوغ لها ألفاظاً جديدة تكون من ضرب هذا العصر وليست من لغة القواميس العتيقة؟

وهل ضر الدينار العراقي اليوم كون اسمه ديناراً لأن الموضوع له حديث والاسم قديم من ضرب زمن الرشيد؟

نعم، إن على من يعنى بهذا الأمر، وهو من أهله، إذا سنح له الاختيار، أن يختار الأخف الأعذب من الكلمات العربية التي هي أقرب في معناها الأول الذي وردت به عن العرب إلى معناها المستحدث، الذي يراد وضعها له. فإذا أغلق عليه ذلك، ولم يوفق له، انتحى ناحية النحت والاشتقاق والتعريب في الوضع، ولا يتعدى في ذلك كله طريقة الاقتراح، فلا يبت في شيء ما لم يقره أحد المجامع اللغوية، التي لها القول الفصل، فإن خرج الأمر عن هذا وعمل كل أديب أو من يشدو شيئاً من الأدب على ذوقه كانت هي الفوضى وأشكل الأمر، والله الموفق للصواب.

النبطية: جبل عامل (لبنان)

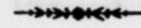
أحمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١٦ : ١٨ ورد الكرملي ج ١٦ : ٥٣٨ وجوابي له ج ١٧ : ١٨٥.



طلاب لهو وطلاب قوت وطلاب موت



كل أولئك رأيتهم فى ليلة واحـدة وفى شارع واحد لعله أكبر وأحفل شوارع عاصمتنا ، وكل أولئك قل أن يخلو منهم شارع من الشوارع الكبيرة فى عاصمتنا العظيمة ...

أما طلاب اللهو فهم أنماط حسب ما يبتغى كل لنفسه مما يلهو به أو يزجى به فراغه ، وأكثرهم بادون للأعين فى غير حاجة إلى منظار فالشوارع بهم مكتظة ، ومنهم فريق هم طلاب اللهو الخفى والعياذ بالله لا يكاد يتبينهم المنظار حتى يرتد عنهم فراراً أو يختفوا هم عنه ...

وأما طلاب القوت فهم كذلك طوائف وأنماط من الخلق ، ولكن دع عنك أصحاب الملاهى والمتاجر ، فهؤلاء فى الحق طلاب ذهب لا طلاب قوت ...

وإنما أعنى بطلاب القوت أولئك الذين « يسرعون » من بنين وبنات وفتيان وكهول بأوراق « اليانصيب » أو بالصحف أو بصناديق مسح الأحذية أو بصناديق الحلوى أو أدوات الحلاقة أو السكائر أو غيرها ؛ ثم أولئك الذين لا تجد فى أيديهم شيئاً من هذا وتراهم يتساقطون على الموائد تساقط الذباب ، أو يقعون على مقربة منها إقعاء القطط وغير القطط من الدواب ينتظرون لقمة أو يفتشون فى قمامة أو يلتقطون ما يلقى من أعقاب السكائر ...

وطلاب القوت هؤلاء وبخاصـة من يطلبونه بغير عمل قذى فى العيون بأسمالهم وأذى للنفوس بألفاظهم ومماركهم وصخبهم ...

ولكن أكبر ظنى أن ولاة الأمر قد اقتنعوا أنهم زينة ينقص بغيرهم جمال العاصمة نقصاناً كبيراً ، أو لعلهم أيقنوا أنهم باتوا بحق من ميراثنا القومي ومن تقاليدنا الأهلية ، فلو خلت الشوارع منهم بمعجزة من المعجزات لبثت الحكومة عيونها وأرصدت أعوانها حتى يأتوا بهم طائعين فيعود للعاصمة جمالها الذى غاضت بشاشته ورونقها الذى انطفأت بهجته ...

وأما طلاب الموت فأحسب ذهنك أيها القارىء قد وثب إلى أولئك الجنود الذين كانوا يدبون بالعاصمة كالجراد المنتشر ، ولكنى لست أقصد هؤلاء. فقـد أراحنا الله سبحانه من عفاريتهم الحمر والسمر والسود إلى غير رجعة إن شاء الله ...

وإنما طلاب الموت هم أولئك المظام الملقاة على طوارى الشارع ، والذين يعـدون فى الأحياء وهم من الموتى لولا أنفاس ضئيلة فى صدورهم تتردد ...

رأيت خمسة من هؤلاء على مسافات متقاربة ، أما أولهم فقد تكور فى ثيابه كالقنفذ وبجانبه زجاجة لعله كان يدور بها فى نهاره على المستشفيات وتحسبه فى الثمانين وقد لا يزيد عن الأربعين .

وأما ثانيهم فغلام فى نحو الخامسة عشرة بسط إحدى ذراعيه على الأرض ووضع الثانية على بطنه ، حيث موضع الألم أو موضع الجوع وفى وجهه الذابل المتجه إلى السماء صفرة الموت وفى ساقيه أو فى عظمتيه المدودتين فقاقيع حمراء مخيفة تشيع فى صفرتها ، ولقد حسبت أنه لن يرى وجه النهار ...

وأما ثالثهم فكهل ضرير ناحل البـدن ، خائر القوة تدور حول صدغيه من أسفل ذقنه إلى قمة رأسه لفائف بيضاء تحتها قطع من القطن ، ولعله قدم بها من إحدى « العيادات الخارجية » واستلقى هنا يطلب الراحة لبدنه بالموت ...

وأما رابعهم فشيخ تدل لحيته البيضاء ويداه المعروقتان وجبينه المغضن على أنه جاوز السبعين ، وقد ألقى عصاه بجانبه ووضع تحت رأسه بعض العلب من الصفيح لعله كان يلعق ما ترك فيها من طعام .

وأما خامسهم فقد آلمنى مرآه أكثر مما فعل مرأى سابقيه جميعاً فهو مقطوع اليـدين والرجلين كأنه بقية تمثال قديم ، ولست أدرى كيف يتحرك المسكين وكيف يأكل إن وجد ثمة من أكل ! .

وقلت لصاحبي ، وقد زفرت زفرة طويلة أيرى الناس هؤلاء كما أرى ؟ فضحك وليس المجال مجال ضحك وقال أف لمنظارك ، فأجبته بل أف لهؤلاء الذين يملأون الصحف بأسماء المؤسسات والمبرات ، والذين يتكلمون كثيراً عن أوجه الإصلاح وأنماط المشروعات ...

ومضيت وأنا أسأل نفسي فى أى بلد من بلاد العالم يجتمع فيه شارع واحد بين اللاعبين بالذهب وبين الذين يعيشون كما تعيش الكلاب والقطط ، والذين يطلبون الموت فلا يظفرون حتى بالموت ؟ ...

الخفيف

فى سيدى بشر

للأستاذ خليل شيبوب

سلوتُ أحلامى وآمالى … فما كسبتنى راحة السالى
وحينما عدتُ إلى العقل لم … أجد بديلَ الحال من حالى
ما قيمةُ العقل أرانى به … أهتاجُ بالتفكير بلبالى

إن الورى حربٌ على جانح … كما يريدون إلى السِّلْم
كلأُهم أسخفُ من صمتهم … يجرى على ألسنةٍ عجْمِ
هذا وذا ويلٌ ألا إنهم … كالببغاوات بلا فهْمِ

يا خلجات الصدر طال الأسى … وطال هذا الدقُّ فى صدرى
إن كنت آليتِ لتحصينَ لى … عمرى لقد أفسدتِ لى عمرى
فعلتِ فى صدرى بالدقِّ ما … تفعله القطرةُ فى الصخر

نزلتُ سيدى بشر مستشفياً … مما بصدرى من أسىً نازلِ
فى جنةٍ صيَّرتُها عُزلةً … ليس بها غيرى من آهلِ
طريدةُ الجنات يثوى بها … طريدُ همٍّ لازبٍ قاتلِ

ينعشها البحرُ بأنسامه … نهبٌ والشاطئ منها بعيدْ
هنالك الأقوامُ قد آثروا … عيش اصطخاب وزحامٍ عهيدْ
وههنا الأمنُ لمستنجد … بالأمن من ذاك الصراع العتيدْ

صحراءُ إلا أن واحاتها … معروشة الأشجار بين الرمال
مثل بقايا الحبِّ فى مهجة … أحرقها اليأسُ وكرُّ الليال
قد حفلت بالحسن داراتُها … واتسقت فى صدرها كاللآل

تطيف بى منعرجاتُ اللوى … كل كثيبٍ معقلٌ ناهضُ
والرمل معقودُ الثنايا به … يستمسك الرافعُ والخافضُ
ألقى بجسمى فوقه متعباً … يثورُ فيه قلبىَ النابضُ

قلبى أداريه هنا عاكفاً … عليه وهو الهادئ الوادع
أخشى عليه رجعات الهوى … إنَّ الهوى أقتلُه الراجع
يلزم الصمتَ ولكننى … روَّعَ ابى صمتُه الرائع

ألم تزلْ تذكرُها بعد ما … عرفتَها فى الحب خوَّانه
حبيبةٌ كانت وزالت وهل … تدومُ للانسانِ إنسانَه
والحب لو صفَّيتَه وازناً … لرجَّح الزائفُ ميزانَه

يا هذه لو ينفعُ العقل فى الهوى لحكَّمتُ لك العقلا
وهبتك العمر فلم تُحسنى … أخذاً له بل زدته خَبْلا
وإنَّ حسن الأخذِ فضلٌ وما … عرفتِ يوماً ذلك الفضلا

لاحقنى طيفُك فى عزلتى … ماذا يريدُ الطيفُ من ناسى
ألا أرى لى راحةً بعد ما اعتصمْتُ بالبعدِ عن الناس
إن ضلالى لىَ عينُ الهدى … ووحشتى مبْعثُ إيناسى

ياليلَ سيدى بشر رفرفْ على … وجهى بشف من نسيم البحار
ينتعش القلبُ به بعد ما … أوقد فيه اليأسُ أتونَ نارْ
روائعُ الأمواج والرمل فى … برديه تشفى من لهيب الأوارْ

ترمقنى هذى النجومُ التى … فوق بعين الشاهد المشفِق
والأفق مبهوتُ الحواشى به … يختلطُ الأسودُ بالأزرق
والغيمُ قد راحت جماعاتُه … طرائدَ المغرب والمشرق

وخيَّم الصمتُ فلا نبأةٌ … إلا قطارٌ صافرٌ يعبرُ
له صدًى فى الرمل ترجيعُه … هريرُ كلبٍ جاثمٍ يخفر
وغارت الأعلام فى حلكةٍ … تحدجها العينُ ولا تبصر

ثم تراءى قمرٌ طالعٌ … فى الشرق خلفَ الغيم مستهلاَ
أكدرُ إلا أنهُ كلما … علا صفت صفحتُه وانجلى
وفضَّض الرمل بأضوائه … فرقَّ ثوبُ الليل مسترسلا

يا ربِّ هذى ساعةٌ سرها … يملأ نفسى فيضُه الغامر
يكاد ينشقُّ بها الغيبُ لى … عما حواه العالم الآخرُ
إن كان نام الكون حولى فهل … يكفيكَ منه قلبى الساهرُ

خليل شيبوب

تعقيبات

واحد من ثلاثة :

كتب إلى أديب فاضل يقول : « رأيتك أيها الجاحظ فى عدد الرسالة السابق تحمل على جريدة المانشستر جارديان فيما زعمته من أن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، ثم دعوتها إلى الانحدار بالفصحى إلى مدارج العامية ، ولكنك تغاضيت عن رأى مماثل أبداه الأستاذ أحمد أمين فى مقال كتبه منذ شهور بمجلة المستمع العربى التى تصدر فى لندن ، وزعم فيه أن جمهور الشعب فى مصر لا يصل إليه الأدب .. الذى يثقفه ويعلى مستواه ويرق ذوقه ويهذب عواطفه ، وذلك لأنه ليس عندنا أديب للعامة وإنما كل أدبائنا للخاصة ، والسبب فى ذلك — كما يقول — هو وجود لغتين : لغة عامية ولغة فصحى . وأننا إلى الآن لم ننجح فى التوفيق بينهما . فماذا تقول أيها الجاحظ فى هذا الرأى الذى يراه شيخ من شيوخ الأدب فى مصر؟! وكيف تسكت عن هذا الرأى يخرج من مصر ولا تسكت عنه إذ يأتى من أوروبا ؟ ! »

وأنا أحب أن أقول « للأديب الفاضل » قبل كل شىء إن الأستاذ أحمد أمين ليس من شيوخ الأدب ، وإن من الظلم أن نحشره بين الأدباء ، وإنما هو رجل باحث يتحلى بصبر العلماء ، فغاية ما تؤهله إليه مواهبه أن يعكف على مراجعة آراء السابقين ، فيقابل بينها ، ويرتبها ، ويعلق عليها بما يبدو له فى ثناياها ، وإنه ليظلم مواهبه ويتكلف الشطط إذ زج بنفسه فى مضمار الأدب ، وإنه ليخرج على طبيعته خروجاً متكلفاً إذ يمضى على طريقة الأدباء فيمد بصره إلى « النظر فى النجوم » ، أو يجلس لمداعبة « صندوق الكتاكيت » ...

وإذا كان الأستاذ أحمد أمين يقول إن وجود لغة عامية ولغة فصحى هو العائق فى سبيل توصيل الأدب إلى العامة ، وأن الواجب ، كما يفهم من قوله ، أن نوفق بينهما ، فإنى لا أناقشه فى هذا الكلام ، ولكنى أسأله أن يتقدم فيأتى لنا بأسلوب خليط من العامية والفصحى لنرى أى شىء يكون هذا الأسلوب الخليط ، ولعله يوفق فى هذا فيكون صاحب طريقة فى الأسلوب تؤثر عنه ، وتعرف فيما بعد بالطريقة الأحمدية الأمينية ، كالطرق الجاحظية والعميدية والفاضلية التى عرفت فى أساليب الجاحظ وابن العميد والقاضى الفاضل ...

ألا رحم الله الرافعى ونضر قبره ، فقد كشف عن العلة فى هذا الرأى المريب إذ قال فى إحدى مقالاته : « إنى لا أعرف من السبب فى ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللغة دون منزلتها . إلا واحداً من ثلاثة ، فإما مستعمرون يهدمون الأمة فى لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذى هى به أمة ولن تكون أمة إلا به ، وإما النشأة فى الأدب على مثل نهج الترجمة فى الجملة الإنجيلية والانطباع عليها وتمويج اللسان بها ؛ وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف ، فإنه ليس كل كاتب ببليغ ، ولا كل من ارتهن نفسه بصناعة نبغ فيها وإن هو نسب إليها وإن عد فى طبقة من أهلها ، والكتابة صناعة لها أدواتها ، وفيها النمط الأعلى والأوسط وما دون ذلك ... أفمن الرأى أن نمين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا أو نتخذ فى اللغة أدياناً شتى ، أو نجعل قياس العلم من الجهل فى بعضه والضعف عن بعضه ، وإلا فماذا بقى بعد هذه الثلاثة مما ينفسح له جانب العذر إذا نحن قلنا بمذهب جديد فى اللغة ... !!

« أحَسب إخواننا فى مصر أنهم كانوا يحسنون اليوم شيئاً من الكتابة الفصيحة لو لم يكن فى العصر الذى خلا من قبلهم أمثال السيد جمال الدين ومحمد عبده وعلى يوسف والبارودى والمويلحى وغيرهم ممن دفعوا الاستعمار عن اللغة ببلاغتهم وردوا أساليب السياسة اللغوية بأساليب الفصاحة ، وأشرعوا دون الميراث العربى أقلامهم ، وحاطوه بألسنتهم ، وحفظوه بعقائدهم حتى أمنوا عليه أن ينتقص أو يمحق » ...

وبعد ، فتلك هى العلة ، وذلك هو الأصل فى هذه الدعوى المريبة ، وإن من دلائل الريبة أن تظهر هذه الدعوة وتتطاول بها رءوس دعاتها فى وقت يجاهد فيه أبناء العروبة لدعم الروح العربية وتآلفها وإقامتها رباطاً وثيقاً بين أبنائها وأقطارها فيأبى هؤلاء إلا أن ينقضوا ذلك الرباط بالدعوة إلى العامية ... والأمية ...

على أنى لا أتهم الأستاذ أحمد أمين ، ولكنى رأيته ينادى بدعوة مريبة فكان لابد أن أكشف عن الأصل فيها . وإنى لمنتظر من الأستاذ الفاضل أن يقدم لنا نمطاً من ذلك الأسلوب الذى يراه فى التقريب بين العربية والعامية ...

الفن للاشتراكية !!

تقول برقية من موسكو : إن الحزب الشيوعى قد قام بحملة فى الأشهر الأخيرة لتخليص الفن السوفيتى من آثار البرجوازية الغربية ، وتقول البرقية : إن هذه الحملة قد كللت بالنجاح ، فأصبحت الكتب والروايات والمراقص ودور الأوبرا والسينما وغيرها من معارض الفن مصبوغة بصبغة الجهاد الاشتراكى ، فهى لا تعرض إلا إلى إظهار سمو المواطن الروسى والدعاية للسياسة الشيوعية فى تذليل مصاعب الإنتاج والحياة المنزلية والشئون الدولية ، فإن جاوزت هذا الهدف فإلى إظهار الأخطاء التى ارتكبت فى معالجة هذه المسائل فى دول الرأسمالية .

وقد ذكرنى هذا الصنيع بما عمدت إليه النازية الهتلرية فى ألمانيا من قبل ، إذ أصدر « جوبلز » أمراً يحرم به على النقاد الحكم على الآثار الأدبية ، وطلب منهم أن يقفوا فى عملهم عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء الرأى فيها ، وقال فى تعليل هذا الصنيع : « إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار والاحتفاظ بكرامتهم الفنية » ، والواقع أن ذلك الداعية النازى لم يكن يقصد بهذا العمل إلى حماية « أصحاب العظمة الحقيقية » وإنما كان يقصد إلى وضع الإنتاج الأدبى تحت سيطرة السياسة ، وتسخيره للدعاية النازية ...

وهذه محاولات باطلة ، لأنها مصادمة للأدب فى طبيعته ، ومصادرة له فى مهمته ، فإن الأدب — كما يقول مكسيم جوركى أديب روسيا الشيوعية — يجب أن يتلمس الإنسانية من جميع أطرافها ، وأن يخاطبها بالإخلاص المنبثق من أعماق الروح الطاهرة ، وأنت إذا ما نظرت ملياً إلى هذا الاتجاه ظهر لك الغرض الخطير الذى يقصد إليه الأدب ، وهو الذهاب بسائر الفروق ووجوه الخلاف والنزاع القائم بين الناس وإنقاذ الإنسانية من شر هذا التنازع ، والتغلب على قوى الطبيعة الغامضة المرهوبة ، ويوم يحقق الأدب ذلك يصبح دين الإنسانية جمعاء . ديناً يشمل كل ما حوت الكتب المقدسة فى عبادات الهند القديمة ، وفى كل ما جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن ...

وما ذا يصير إليه الأدب أو يمكن أن يكون إذا ما عمدت كل حكومة فى كل دولة إلى جعله أداة مسخرة لأغراضها ، وحتمت على الأدباء أن لا يتكلموا ولا ينتجوا إلا فى حدود مرسومة وأغراض معلومة مثل رجال السياسة ، إنه لا شك سيفقد صفته الإنسانية ، ويصبح مثار الحزازات والخلافات ، ومبعث الأحقاد والمداوات ، ولن يكون الأدب أدباً يومذاك ، ولكنه سيكون الجحيم الذى لا يطاق ...

إن روسيا لا تخدم حياتها الفنية بهذا العمل ، ولن تستطيع إذا ما أصرت على هذا الصنيع أن تجعل أدبها صلة تربطها بالعالم الإنسانى ، وعن قريب سيفقد الأدب الروسى الروح الإنسانية التى تجعله قريباً إلى كل نفس ، حبيباً من كل قلب ، وإنها لخسارة على روسيا لا يعوضها أى نظام اشتراكى أو شيوعى فى الأرض ...

الفن للفن ، تلك هى الحقيقة الأزلية التى كان بها الأدب صورة للطبيعة الإنسانية ، أما الفن للاشتراكية أو لأى نزعة سياسية . فذلك لا يكون إلا فى تقدير الجشع السياسى ، على أنه تقدير لن يثبت أبداً

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بشار في الإذاعة :

أذاعت محطة الإذاعة موضوعاً عن « بشار بن برد » أعد على النسق الذي تسميه « برامج خاصة » والذي يقوم على الرواية والتمثيل ..

وكانت المحطة قد أعلنت عن هـذا الموضوع على أنه فاتحة برامج من نوعه تصور رجال الأدب والشعر الماضين ، ولا بد أنها أرادت بذلك أن تجدَّ في عهدها الجديد ، وتقدم للمستمعين من محبي الأدب مادة نافعـة تستعين على جذبهم إليها بحسن العرض في هذا النسق التمثيلي الإذاعي ؛ وهي رغبة محمودة ، ولـكن هل تحقق المرجو منها ؟

بدأ (الراوية) يحدث عن نسب بشار ، واستمر يسرد بعض أخباره وقام المثلون والممثلات في أثناء ذلك بتمـثيل كل حال تنبيء عنها تلك الأخبار التي اختارها واضع البرنامج من أخبار بشار المنتثرة في كتب الأدب ...

وهـذا الذي اختير وتألف منـه الموضوع لم يكوِّن لبشار الشاعر هيكلا حياً ، ولم يعط صورة صادقة لحياته وشعره ، بل كان أهم ما قام عليه البرنامج أن بشاراً نشأ صبياً يقول الشعر في شتم الناس فيضربه أبوه بالعصا ، وكبر وهو يهاجي الشعراء ، ثم يهجو الخليفـة ووزيره ، مما أدى إلى اتهامه بالزندقة وضربه بالسوط حتى يموت . ويلخص (الراوية) حياة بشار بقوله في آخر البرنامج : وهكذا قضى حياته بين العصا والسوط !

وقد تعودنا أن نسمع اللحن أي الخطأ في نطق الـكلمات العربية من إذاعتنا ... ولـكن كنت أتوقع أن يتجنبوا هـذا ويتحروا الضبط ويلازموا صحة النطق في مثل هـذا الموضوع الأدبي العربي البحت ، ولـكنهم لم يفعلوا ... ولو تجاوزنا عن لحن الرواية وغيره فلا يصح التجاوز في ذلك لبشار نفسه ، فلا يليق به أن يلحن وألا يحسن ضبط شعره ، فقد آذى أسماعنا الذي مثله أو مثل به — بقوله في صوت مجاجل :

(ويحك) بضم الحاء .. وكررها في مواقف مختلفة متعددة ولما أنشد هذه الأبيات :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها ... وما خير سـيف لم يؤيد بقائم

نطق كلمة (نصيحة) في البيت الأول بالنصب ، ولفظ كلمة (الغل) في الثالث بفتح الغين .

وأكتفي بتلك الأمثلة ، وهي قليل من كثير ، لأذكر بعض اللاحظات في التأليف والتمثيل ، فقد ذكر أن « عبدة » صاحبة بشار أتت إليه في خمس نسوة يطلبن منه شعراً يندبن به قريباً لهن قد مات . والذي نعلمه أن عبدة كانت إحدى القيان المتأدبات اللائي كن يقصدن بشاراً ليسمعن شعره ، وكن يمازحنه ويغنينه ؛ ولعل هذا كان فرصة يحسن انتهازها في موضوع الإذاعة لتقديم إحدى المغنيات لتغني قطعة رقيقة من شعر بشار .

ولم يكن من السائغ أن يرفع النسوة الخمس أصواتهن بضحكة مفردة وقد جئن حزينات على فقيدهن يطلبن شـعراً لندبه .. ولم يكن من المفهوم أن يقول أحد الذين جاؤوا يشكون بشاراً إلى أبيه لهجائه إياهم : « فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار » قبل أن يقول لهم برد : إنه أعمى وقد قال الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) وما أظن هذا المثل كان يعي ما يقول !

وبعد فإذا كانت « البرامج الخاصة » التي تريد محطة الإذاعة أن تذيعها عن أعلام الأدب ، ستكون على هذا المنوال ، فخير لها وللأدب ألا تستمر فيها ، بل يجب إعدام (تسجيل) بشار وعدم تـكرار الإساءة بإذاعته

هنا كما هناك :

كتب الأستاذ فرج جبران إلى « الأهرام » من امستردام يصف زيارته للمعهد الشرقي في ليدن الذي يشرف عليه بعض المستشرقين ، فقال « وفي هذا المعهد يجد الزائر نفســه محاطاً بالـكتب العربية ، ويسمع هؤلاء الأساتذة يتكلمون العربية ، ويسألونه عن أحدث المؤلفات التي ظهرت وعن أخبار المؤلفين المصريين وغيرهم من أبناء العروبة » ثم قال إنه يقصد إلى أن يوجـه انتباه ولاة الأمور في مصر إلى مجهود ضخم هو وضع « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » الذي شرع فيه

المستشرقان ونسنك ومنسج ، ولكنه لم يتم إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية وأدبية منتظمة ، وقال الكاتب : «وإن هذه المستعمرة العربية التي تعمل هنا في صمت دون أن يسمع عنها أحد لتتطلع إلى مصر ، رافعة لواء الأدب العربي في الشرق، لكي تقدم لها يد المعونة »

وعلقت « الأهرام » على ذلك بدعوة وزارة المعارف إلى الاهتمام بهذا المشروع عن طريق مجمع فؤاد الأول للغة العربية « لأن وضع مثل هذا المعجم المفهرس داخل في اختصاصه وفقاً لأحكام المرسوم الملكي بإنشائه »

ولا أظن أن لدى المجمع من الجهد والمال ما ينفع في ذلك المشروع ، على أن الأعمال الداخلة في اختصاصه إنما يقوم هو « لا غيره » بها ، وفي المجمع نفسه مشروعات وأعمال لم تتم بعد، رغم مضي الزمن الطويل عليها ، كالمعجم الوسيط ، ومعجم فيشر ، ولا يتوقع تمامها للتقتير عليها في الجهد والمال

وفي غير المجمع أعمال أدبيـــة معطلة شملها بطء الأداة الحكومية ، كالكتب العربية التي كان يقوم بإحيائها القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

فهنا كما هناك ، بل أكثر ، وإن كان لما هنا لون خاص ، يكسبه من التراخي مع وفرة الوسائل .

هل في مصر أديبات ؟ :

وجهت بعض المجلات اللبنانية هذا السؤال إلى قرائها ،فعلق عليه كاتب في مجلة « صوت المرأة » بأن هذا السؤال يحمل في طياته الشك في وجود أديبات بلبنان ، وقابل "سؤال بسؤال مثله : هل في لبنان أدباء ؟ وهو يقصد بالأدباء الذين يشك هو أيضاً في وجودهم بلبنان — المثاليين الذين ذكر وصفهم ، وقد نقلته « الكاتب المصري » في عددها الأخير ، كما نقلت عن مجلة « المرأة » الدمشقية ما كتبته بها « نديمة المنقبادى » في مثل ذلك قالت : « فالمجهود الأدبي يقوم الآن في كافة نواحيه على الرجل وحده ... أما المرأة في بلادنا فما أعتقد أنها سارت في ذلك شوطاً بعيداً أو قريباً ، وإذا حدث أن ظهرت مؤلفات أدبية لبعض الكاتبات فهي من الندرة بحيث تعد في يسر وسهولة»

وأنا أيضاً أسأل : هل في مصر أديبات ؟

أستطيع أن أعد نحو ثلاثين أديباً في مصر لهم شأن وأثر في العالم العربي ، فهل لدينا أديبات من هذا الطراز ؟ كدت أرجع عن هذا السؤال لأني ذكرت واحدة . . . ثم ذكرت أخرى (على سبيل جبر الخاطر) ولكني أصررت عليه لأن هاتين اثنتان وأنا أسأل عن « أديبات » وأقل هذا الجمع ثلاث . . . فهل من مجيب ؟

الاتحاد الثقافي المصري :

وأخيراً حل « الاتحاد المصري الانجليزي » وتقرر أن يقوم على أنقاضه « الاتحاد الثقافي المصري » وهي فكرة موفقة من غير شك ، ولكننا لا نحب أن يعقب إشادتنا بفكرة الاتحاد الثقافي الجديد ما أعقب الإشادة بفكرة ذلك الاتحاد المنحل . .

والذي أعقب ذلك أن ارتمى بعض كبار المصريين من المستوزرين و « المتمهدين » في أحضان الانجليز ، فكان ما كان.

أما الذي نريده الآن فأن لا تعلو القبعة ثقافتنا ... عندنا قوم يروجون للثقافة الفرنسية ، وآخرون للانجليزية ، وغيرهم لغيرها؛ وهم يستهلكون أنفسهم في ذلك غير مرتكزين على قاعدة من الثقافة العربية

نريد أن تكون ثقافتنا هي ذات الحجم الأكبر الذي تنجذب إليه الأجرام الصغيرة .

الطالب يساهم في بناء عالم جديد :

نظمت جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة مؤتمراً للطلبة اشتركت فيه وفود الطلاب التي تمثل فروع الجمعيـة في الأقاليم . وكان موضوع هذا المؤتمر « الطالب يساهم في بناء عالم جديد » وقد ألقى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف كلمة في حفلة افتتاح المؤتمر ، أشاد فيها بفكرته ورجا أن تتسع في المستقبل حتى تشـــمل طلبة سائر الأقطار العربية ليتحقق بينهم التعاون الثقافي المنشود :

وفي اليوم التالي ألقى الدكتور ابراهيم سلامة محاضرة في موضوع « الطالب يساهم في بناء عالم جديد — في محيط الأسرة والنادي والجماعة » بين فيها واجبات الطالب في الأسرة من النواحي الاقتصادية والثقافية ، بأن يكون منتجاً ، فطالب الآداب — مثلا — يمكن أن يشتغل بالصحافة ، ويمكن الصحف أن تستعين به في تكوين معلومات تحفظ لديها (أرشيف) عن العلماء

والسياسيين وغيرهم من كبار الرجال .

ومن واجب الطالب أن يذيع فى الأسرة مايتلقاه فى المدرسة والجامعة من ألوان الثقافة والمعرفة ، وعلى الطالب والطالبة أن يسهما فى تربية الذوق الفنى فى الأسرة بإشاعة الهوايات الطيبة فيها كالرسوم والموسيقى ، حتى لا تشترى الأسرة السرور الرخيص من السوق فى أفراحها ومجتمعاتها ، وحتى لا يندفع الشاب إلى دور الملاهى اندفاعه الخطر على الأسرة من الناحيتين الخلقية والاقتصادية .

ثم قال الدكتور إن الطالب يمكنه أن يحدث فى النادى تفكيراً جديداً فى عالم جديد ، من حيث إزالة الفوارق لأن النادى تسوده الديمقراطية ، والديمقراطية الحقيقية أساسها نبل العمل لا نبل الوراثة؛ ومن حيث الاحترام المتبادل بين الأعضاء المشتركين فى الفكرة والغاية ؛ ومن حيث المساهمة العقلية التى تتاح لها الفرصة فى النادى أكثر من المدرسة ، لأن عضو النادى يجد لذة فى إظهار المعرفة ، بخلاف ما يكون فى الجامعة حيث تدفعه المنافسة إلى الأنانية .

وقد عرض الدكتور سلامة لمسألة تعدد النوادى ، فتساءل: هل الأوفق أن يكون النادى لأبناء الثقافة الواحدة أو لأبناء الثقافات المختلفة ؟ ثم قال : تلك مسألة خطيرة لأنها أسفرت فى بلادنا عن تمزيق لا ينفع عالم اليوم ولا يمكن أن ينفع عالم الغد . وظهر هذا التمزق فى الأحزاب السياسية ، وجبر السياسيون هذا النقص بالبرلمانات ، فلا بد لنا إذن أمام تمزق النوادى من عمل اتحادات جامعة لكل مجموعة منها ابتغاء الانسجام وتكوين الوحدة التى تعتبر أساساً للقومية والعالمية ...

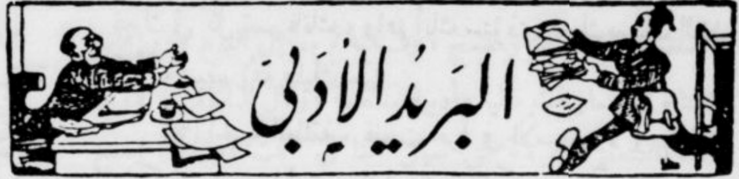
وانتقل بعد ذلك إلى واجب الطالب فى محيط الجماعة فقال : يخرج الطالب من الأسرة إلى النادى ومنه إلى الجماعة وهى هنا الوطن والقومية ، انتظاراً لإعداد النفوس للعالمية ، والطالب فى غمار الجماعة لا بد من أن يلتزم مبادىء ثلاثة :

(١) أن يلحم الاتصال بقومه وأن يعتز بعصريته ويعتقد أنها مدنية ككل المدنيات وأنه ليست هناك مدنية واحدة نموذجية تفرض فرضاً على مدنيته ، ومن هنا يتكون رأى عام للقومية السياسية والقومية الخلقية .

(٢) روح النظام ، والنظام أحياناً معناه الحرمان ، فتمثل غيرك فى كل تصرفاتك ، واعلم أنك ستؤذى غيرك بمسلك الضار كما أنه سيقع إثمه عليك حتماً .

(٣) الحرية المطلقة ، فلست حراً فى الأسرة ولا فى النادى ولكنك حر فى الحياة ، والعلوم تحرر الفكر من الأوهام ، ومتى تحرر الفكر تحرر الخلق ، ومتى شاعت الحرية أتى اليوم الذى يؤمر فيه الجندى بقتل أخيه الجندى فلا يفعل ، لأن الحرية التى فهمها ستضع عقله فى رأسه لا فى رأس السياسيين الذين يجرونه إلى الحرب كما تجر السائمة إلى المجزرة .

« العباس »



الفروسية :

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن القيم (إمام الجوزية[1]) فى كتابه (الفروسية) :

الفروسية أربعة أنواع :

أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها. الثانى الرمى بالقوس. الثالث المطاعنة بالرماح . الرابع المداورة بالسيوف .

فن استكملها استكمل الفروسية . ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة (رضى الله عنهم) وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس فى الشهادة وبذل نفوسهم فى محبة الله ومرضاته، فلم تقم لهم أمة من الأمم البتة ، ولا حاربوا أمة إلا قهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها ، فلما ضعفت هذه الأسباب فى من بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها دخل عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدموه من هذه الأسباب ، والله المستعان !

قلت : لكل وقت سلاح و « السلاح ثم الكفاح »[2] ولكل وقت فروسية حاشى فروسية اليقين والإيمان فإنها لكل زمان ، والمدرسة العظمى (الجامعة الكبرى) لهذه الفروسية وتحصيلها وحذقها انما هى مدرسة [القرآن] . وقد كان أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم (رحمه الله) يقول لقائده قتيبة بن مسلم :

« خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن ، فأنه أمنع لهم من حصونك » .

وكان التالون يفقهون ما يتلون ، فيجسرون ويقدمون ذلك الاقدام ، وتفر الجن وتهرب الغيلان من قدامهم .

ثم صرنا — نحن معشر الخلف الصالح — نتلو (الكتاب) كتلاوة صاحب النخعى .

« قال رجل لابراهيم النخعى : إنى أختم القرآن كل ثلاث ليال .

قال : ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شىء تقرأ ... »

***

يا أيها العرب ، يا أيها المسلمون ، اقرأوا القرآن ، افهموا القرآن فهما صحيحاً عربياً لكى تبلغوا السماء قوة وفروسية وسطوة وعزة وسلطانا وهناءة وسعادة ومجداً [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] !!!

السهمى

---

(١) المدرسة الجوزية فى دمشق بجنب قصر آل العظم فى البذورية جددت بناءها بعد احتراقها جمعية الإسعاف الخيرى فى دمشق

(٢) وقالوا أيضاً : « قد يجبن الشجاع بلا سلاح ، ويشجع الجبان بالسلاح » .

إلى الأديب محمد الديب :

يا أخى . أنا لا أوجب على كل قارىء أن يكون عنده نسخة من كتاب (العواصم من القواصم) ولكن أوجب على كل قارىء للرسالة فى مصر أن يكون عنده الداعى إلى البحث عن الرجل الذى جعله ينطق العربية ، ويدين بالإسلام ، وجعل بلده (بلد الأزهر) و (مقر جامعة الدول العربية) ، وصاحبة اليومين الخالدين فى إنقاذ الحضارة الإنسانية : (يوم عين جالوت) و (يوم المنصورة) ، والذى لولاه لكانت مصر اليوم مثل إيطاليا أو اليونان ، وأن يعرف هذا الرجل على حقيقته لا من كتاب العواصم والقواصم وحده ، بل كل كتاب ذكر فيه ثم يوازن ويحقق ويميز الصحيح من الموضوع ، وأن يؤلف عنه فى مصر من الكتب بمقدار ما ألف عن شكسبير فى إنكلترا ، ونابليون فى فرنسا ، وإن لم يكن لهما فى الدنيا درهم من كل قنطار من أثره الخيّر فيها ، وأن يكون (يوم الفتح) ، أعظم عيد وطنى فى مصر بلا استثناء ...

أما كتاب العواصم (وما فيه إلا صفحة عن عمرو ، فيها تحقيق خبر التحكيم) ، فإنك حين تريد الاطلاع عليه حقيقة لا تجد أسهل من الوصول إليه ، لأنه مطبوع مملوءة بنسخه المكتبات . والسلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته .

على الطنطاوى

إلى الأستاذ محمود عماد :

جاء في كلمة الأستاذ محمود عماد في بريد الرسالة (٧٣٠) قوله (وما الضمير الثاني إلا ضميراً قلقاً نابياً) على نصب (ضمير) وتأكيد النصب بالصفتين ، مع أن الصواب الرفع لأن الاستثناء يمنع عمل (ما). ولولا أن الأستاذ حريص على تصحيح كلام الناس ماصححت له هذه الكلمة . ولعلها من سبق القلم . وله تحياتي

(ع)

ما زال الضمير قلقا :

قلت في كلمتي (ضمير قلق) المنشورة في العدد (٧٣٠) من الرسالة الغراء ، إن الضمير الثاني المضاف الذي نراه هذه الأيام في مثل قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) إنما هو ضمير قلق يفيد ملكية سبقه إليها الضمير المجرور باللام قبله . وقلت إني لم أر مثله في كلام عربي قديم ، إلا أن يكون غيري قد رآه فيتفضل بالإرشاد

وقد انبرى للارشاد الأستاذ محمد غنيم فقال إن هذا الضمير مطمئن (له أهميته) واستشهد على اطمئنانه بالآية الكريمة (لكم دينكم ولي دين) .

والذي رأيته بعد هذا الإرشاد أن الضمير مازال قلقاً ، ودليلي على قلقه قول الأستاذ نفسه ، تفسيراً للآية (أي أن دينكم مختص بكم ، لايتعداكم إلى غيركم ، ولي دين مختص بي لا يتخطاني إلى غيري) . فإن الاختصاص الذي أشار إليه الأستاذ في الآية غير ملحوظ في قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) ، وإلا فهل هو يعني أن هذه المسئلة مختصة وحدها بأهميتها ، وأن أهميتها لا تتعداها إلى غيرها من المسائل ، كما أن الكافرين مختصون وحدهم بدينهم ، لايتعداهم دينهم إلى الرسول الكريم؟ إن كان هذا ماعناه فاجدواه وقصاراه ؟ إن عمل الضمير في الجملة غير عمله في الآية . فلم يقصد من الجملة إلا أن المسألة لها أهمية مطلقة ، أي أنها مسألة مهمة فحسب ، لا قصر أهميتها هي عليها ، وعدم إشراك غيرها معها فيها ، كما قصرت الآية دين الكافرين على الكافرين .

فالضمير المصري يفيد الملكية المكررة ، وضمير الآية يفيد القصر بعد الملكية . ولهذا مازال الضمير المصري قلقاً في رأيي ، وما زلت أرجو التدليل على اطمئنانه وصحته بمثال آخر من القرآن الكريم ، أو الكلام العربي القديم ، على أن يكون المراد بالمثال (الوصف) الذي أريد وحده في الجمل المصرية ، لا (القصر) الذي لا موضع له فيها على الإطلاق .

محمود عماد

سؤال :

طالعت في عدد الرسالة الأخير ذلك البحث القيم للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحت عنوان (من تجارب المؤلفين) فرأيته قد جاء فيه بكلمة (الغيـورين) مرتين . فقال أولا : (إن الدكتور شبلي شميل قد استطاع أن يفعل ذلك لأن الغيورين على العلم والثقافة أعانوه على طبع المجموعة) وقال ثانياً : (ولكني أقول إن الأغنياء الغيورين على الثقافة يستطيعون أن يقيموا المكتبات العامة) .

والذي تعلمناه أنه يشترط في الصفة التي تجمع هذا الجمع أن تكون مما لا يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل جريح وصبور وغيور . فإنه يقال رجل جريح وامرأة جريح ، ورجل صبور وامرأة صبور ورجل غيور وامرأة غيور . فهل عند الأستاذ الكبير وهو الحجة في الأدب غير هذا فنستفيده منه ونشكره عليه ؟

(الزقازيق) محمد عبد المقصود هيكل



قصـــة الهواجس

للأديب مصطفى محمود

انفض الأصدقاء والصديقات وخلا « الصالون » إلا من سيدة البيت التي جلست منزوية في أحد الأركان وكأنها ما زالت تتحدث إلى صديقة وفية لم تشأ أن تتركها كما تركها الآخرون فجلست إليها تبادلها الهمس وتسر إليها كوامن الأشجان ... ولم يكن الحديث إلا حديث النفس تهمس به في ساعات الوحدة فتكشف به ما انطوى في أعماقها البعيدة .

هتف بها ابليس وقد وجد طريقه إلى عقلها الواعي

— ألست جميلة ؟

فرفعت رأسها إلى المرآة لتتأمل السحر الأسود الذي يكمن في عينيها الواسعتين والعقيق الذي يحتل شفتيها الرقيقتين وهتفت في ألم .

— نعم جميلة ... رائعة !

فأردف ابليس وقد وجد طريقه ممهداً

— وهذا الجمال ألا يذبل ؟

فقطبت حاجبيها وامتلأ جبينها بالتجاعيد وغاضت الدماء من خديها وطالعتها مئات من الصور البشعة ولم تجب ، فاسترسل ابليس وقد شاع الحزن في نبراته

— نعم إنه يذبل ... ويترك وراءه الأسى والأحزان .

ثم صمت فترة وتركها بين أشتات الهواجس . ثم عاد يقول:

— ولكنك جميلة الآن ... ألا ما أجمل هذه الكلمة « الآن » إنها الكلمة الوحيدة التي تحوى كل شيء ... فما أشد غفلة الإنسان حينما ينسى بهجة الحاضر ويتعزى بلذائذ الأوهام.

— جميلة ... وما الجمال ، ولماذا خلق؟

— الجمال ولماذا خلق؟. وهل خلق الجمال إلا لاجتذاب الفراش

— الفراش ... يا للشرير ... حقاً لقد ذكرتني أنه لا يفتأ يتهافت على كما يتهافت على النور الساطع ... ولكن هناك زوجي ... زوجي دائماً

— آه ، هذا الفراش العجوز الذي فقد جناحيه ، يا للمأساة كم أضحك حينما أراه يتودد إليك وأسمه يفتح فمه الواسع الخالي من الأسنان ويقول « أحبك » ... كم يبدو بشعاً قبيحاً ثقيل الظل ... أليست هذه سخرية مريرة من سخريات الحياة ، أين هو من فهمي وصبحي وصفوت من هؤلاء الشباب ذوي الخدود الوردية والدماء الحارة .

— والضمير ... أنسيته ؟

— هذا المخلوق الهزيل الذي لا يني يحدثنا بالأباطيل ويهرب بنا من الواقع ليجد كنفاً أميناً في أحضان الخيال والوهم ... إنه ألذع السخريات التي ابتكرها العقل ليحارب بها فطرة الجسم وطبيعته ... اني أربأ بك عن الخضوع لهـــذا المرض الذي يسمونه الضمير .

— مرض ؟! ... يا للبشاعة !

— نعم إنه مرض عقلي ... يقضي على كل راحة ولذة وصفاء وهناء في الحياة

وسكت الشيطان بعد أن أوقعها في أحابيله وتركها تعاني الوساوس وتتقلب بين نوازع الشر وتبحث في أعماق نفسها المضطرمة عن الملاذ الأمين الذي تسكن إليه وترتاح إلى نجواه.. وأخيراً جاءها صوت الخير رقيقاً ملائكياً .

— أنت أيتها الباحثة عن اللذة ... هل وجدت لذة فيما سلف من أيامك .

— لا ... ما وجدت إلا الألم

— وحينما كنت تبلغين أمانيك

— كانت تبدو هزيلة أمامي وتفقد سحرها الماضي فلا يسعني ابقاء على اللذة وخيالها الحبيب إلا الاستسلام إلى أماني ورغبات جديدة .

— وهكذا ظلت حياتك رغبات وآمال كاذبة ، ولذة مفقودة لا تورث إلا الألم والحسرة .

— نعم هكذا ظلت دائماً ... رغبة جائعة نهمة لا تشبع .

— ولن تشبع

— نعم لقد بدأت أرى أنها لن تشبع

— وهكذا الحياة ... آلام تتفاوت مقاديرها ... فحسب العاقل أن يخرج منها بالقليل من الألم .. أما اللذة فهى غاية الأحمق ولن يحصل منها إلا على غاية الألم .

— لقد فهمت الآن .. فهمت الآن ... ما أجمل كلامك.. انك حكيم

وسكت الخير نائماً وانطوى فى أعماق النفس بينما أخرج ابليس لسانه السليط وعاد يقول :

ولكن بالرغم من كل هذا الكلام فهناك لذة ... وأولى بالضعيف أن يقول :

« إننى بائس » من أن يقول : « إن الحياة مليئة بالبؤس»

نعم صدقينى يا سيدتى إن الحياة مليئة باللذة وهى تنتظر إعادة من رأسك الجميل لتقدم إليك الحب ، تحية الجمال ، واللذة ثمرته اليانعة النضة. فلا ترددى وتذكرى أن الزمن يرسم خطوطه الكريهة على الوجه الجميل ، وينزع السواد عن الشعور الفاحمة ويطفىء بريق الحياة من العيون المليئة بالحياة .

— كفى أيها الشرير ... كفى

— ويقوس الظهور التى لم تتعود ذل الإنحناء ويقتل الأصدقاء ويشتت الأحباء ، ويقدم الصاب والعلقم فى كؤوس الوحدة والسأم والمرض وأخيراً يفتح لنا باب القبر على مصراعيه ويهيل علينا التراب ... ذلك التراب الذى كنا نطؤه بأقدامنا .

— رفقاً بالنفس الضعيفة يا رسول السوء .

— وهو لا يرحم ... فأولى بنا ألا نرحمه ... وأن نقتله كسباً ولذة وحياة فعقارب الساعة لن تقف دقيقة واحدة من أجلنا والشمس لن تقف عن دورتها يوما لتعطينا فسحة للتفكير .

— أنت ... أنت هو العذاب والجحيم نفسه فكفانى من لهيب ألسنتك يا هاتف الشر .. فلو لم تتكلم لكنت الآن سعيدة قانعة راضية .. أما الآن .. فالويل لى من جحيم النفس .. الويل.

— عجباً من هذا الإنسان ومن منطقه الأعرج ... أدفعه إلى اللذة فيقول إننى ابليس اللعين ... ويسمع هاتفاً آخر يدفعه إلى الألم والعذاب والحرمان فيقول هذا ملاك الخير .. أليست هذه كبرى مهازل العقل .

وسكت ابليس وهو يبتسم ويرقب الصراع الأليم والعذاب يتجسمان فى ملامح المرأة التعسة والدموع تطفر من عينيها والعناء النفسى يبدو فى أصابعها الشاحبة الباردة وهى تتصلب وترتعد فى عصبية وسمعها تهمس وهى تبكى .

— حقاً ما أضعف الإنسان يشقى فى الحياة ويعانى حتى إذا ما سكن وهدأ واستقر .. شقى فى نفسه .

وتيقظ الخير من نومه العميق فقال فى نبراته الحزينة .

— نعم ... لقد أدركت الآن لم أجر ورائى مواكب الألم والحرمان لأنى أفضلها على مواكب الوهم .

وسكت هاتف الخير وهاتف الشر وغرقت أصوات النفس فى أصوات الحياة حينما امتلأت الحجرة بأشباح صغيرة .. وقامت المرأة المعذبة تمسح دموعها وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الكفاح والعناء .

ومرت الأيام والشهور وتزوجت الشابة الجميلة من شاب جميل ... فهل ماتت الهواجس ... وهل حصلت النفس على راحتها ؟ لا يا سيدى ... إن قصة الهواجس قصة حية خالدة ما خلدت النفس فيها هى صاحبتنا التعسة فى « صالون » آخر ربما كان أبهى وأجمل من زميله القديم ولكنها لا ترى هذا الجمال ولا تشعر به بل ترى بعين النفس وفى مرآتها عشرات من أشباح النساء الجميلات تلتف كالأفاعى حول الزوج الجميل .. وتسمع صوت ابليس يصرخ .

— إنه لم ينم هنا البارحة وتعلل بالأسباب والمعاذير . . . ولكن من يدرى فى أى أحضان قضى تلك الليلة ... يا لك من ساذجة ... لماذا لا تقابلين الخيانة بالخيانة ... إن أمين يتمنى لو..

وتكاد تضعف وتخضع حينما تسمع صوت الخير يهتف .

— يا للمسكين . لقد بات ليلته مسهداً يفكر فيك ويستعجل أنوار الصبح ليلقاك ... يا له من زوج وفى .

وتحار الزوجة التعسة وتتعذب ، وليست هذه هى المرة الأولى التى تحار فيها وتتعذب ... فقصة الهواجس تكون حياتها كما تكون حياة كل انسان وحياة كل نفس فما أشقى نفوسنا نحن البشر وهى تتمزق تحت ضغط القوى الهائلة التى ركبت فيها .

مصطفى محمود



العدد ٧٢٢ — الاثنين ٢١ يوليو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
الأدب بين الوجدان والتفكير ...	الأستاذ عباس محمود العقاد	٨٠٣
رحلة إلى الهند	الدكتور عبد الوهاب عزام بك	٨٠٥
فرنسا ومستعمراتها	الأستاذ أحمد رمزي بك	٨٠٧
لسان الدين بن الخطيب	السيدة الفاضلة منية الكيلاني	٨٠٩
تفسير الأحلام	العلامة سجموند فرويد ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن	٨١١
إلى عنيبة	الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود...	٨١٤
نهاية دجال	الأستاذ حسني كنعان...	٨١٦
كتاب مقاييس اللغة لابن فارس ...	الأستاذ حامد مصطفى	٨١٨
«من وراء المنظار»: ولكني كسبت القضية ...	الأستاذ محمود الخفيف	٨٢١
«تعقيبات» : جناية أدبية — ولكنها الأوضاع المقلوبة		٨٢٢
«الأدب والفن في أسبوع» : بين الشباب والشيوخ — الاتحاد		٨٢٤
الثقافي المصري — الشعر والصور — ذكرى محمد عبده — ذكرى حافظ		٨٢٦
هوى وفقر... ... ... (قصيدة)	المرحوم التيجاني يوسف بشير ...	٨٢٧
جراح ... ... «	الأستاذ محمد برهام	٨٢٧
أحلام وردة ... ... «	الأستاذ أحمد عبد الحفيظ سلام ...	٨٢٧
«البريد الأدبي» : أسف واعتذار — إلى الأستاذ (أبو بكر النمرى)		٨٢٨
من يكون إذن ؟ — إلى الشيخ أبي العيون — طرائف — المرأة والمساواة — في قصيدة — إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهواني		٨٢٩
«القصص» : العمل والموت والمرض ...	الفيلسوف الروسي ليو تولستوي / بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي...	٨٣٠

٢٩٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 733

Lundi — 21 — 7 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأدب بين الوجدان والتفكير

للأســتاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . إن القارىء يفهم من بعض الكتب الحديثة أن الأدب فن ، والفن يختص بالوجدان ، فعلى ذلك ماذا يكون حكمنا على الإنتاج الذى يغلب عليه الطابع الفكرى ؟ أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة ، ولكم وافر الشكر والسلام .

فتحى السمان محمد

***

إذا قلنا إن الأدب « يختص » بالوجدان ففى هذا القول جانب كبير من الصواب .

ولكننا إذا قلنا هذا وسكتنا عليه فقد يفوتنا أكثر الصواب ، وكأننا لم نقل شيئاً يجمع الفائدة من المعنى المقصود فى هذا الباب .

فأى وجدان هو هذا الوجدان الذى يعتمد عليه الأدب أو يعتمد عليه الفن أو الفنون على التعميم ؟

إن الإنسان الهمجى له وجدان وشعور ، ولكن وجدانه يكتفى بما يكفى غريزة الحيوان أو يزيد قليلا على غريزة الحيوان .

والإنسان « الصوفى » له وجدان وشعور ، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره على عقول الكثيرين أو الأكثرين فليس شرط الوجدان أن يكون مقصوراً على أجهل الناس وأعجزهم عن التفكير .

لأننا لا نرادف بين معنى الجهل ومعنى الوجدان فى اللغة ولا فى مصطلحات الفنون والعلوم .

***

هذه حقيقة من الحقائق التى يحسن بنا أن نحضرها فى أخلادنا حين نعرض لحديث الفن والوجدان .

وحقيقة أخرى ينبغى أن نحضرها فى أخلادنا أبداً لأن إغفالها يفسد كل تعريف مفيد فى هذا الباب ، وهى أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وشاهدنا على ذلك أدب الفحول من شعراء الأمم العالميين ، ومنهم أمثال شكسبير وجيتى والخيام وأبو الطيب .

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة فيهم يجعلها أقمن بالصدق على الأدباء الناثرين .

فأغانى شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التى يمتزج فيها الفهم بالشعور ، ودع عنك قصائده التى نظمها فى الروايات أو أجراها على ألسنة الرجال والنساء . فإن شعر الأغانى أحق شعر أن يقصر على « الوجدان » إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير .

وقصة « فاوست » الكبرى — وهى أعظم أعمال جيتى — هى فلسفة الحياة والبقاء ، وفلسفة الخير والشر ، وفلسفة المعرفة والضمير .

وليس فهمها بأيسر من فهم قضـايا المنطق أو معادلات الرياضة والـكيمياء

ورباعيات الخيام يصح أن تسمى « فـكر الخيام » لأن الرباعية منها تدور على فـكرة أو خلاصة أفـكار ، ولا يمنعها الشعور أن تـكون شعور إنسان من المفـكرين .

والحـكم على المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات .

وليس فى قصائد المتنبى قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفـكر فيها ، أو إنها وجدان بغير تفـكير .

ومن أمثلة ذلك هذه « القضية » التى صاغها فى بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أو هذه القضية التى صاغها فى هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

أو هذه التقسيمات الوافية التى يقول فيها .

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

فإن التفـكير إذا ذهب فى هذا المعنى إلى غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة فى الحقائق . وهى شروط صفاء العيش فى حكمة هذا الحـكيم ، أو فى شعور هذا الإنسان .

وندع الشعر إلى الغناء والموسـيقى ، وقد يخلوان من اللفظ ولا يخلوان من التفـكير .

فنشيد الرعاة وجدان .

وألحان فاجنر وجدان .

ولـكن الفرق بين الوجدانين كأبعد فرق بين شيئين بوجدان فى طبيعة إنسان .

* * *

ومن الحقائق التى تحضر فى هذا السياق أن نقص الفـكر ليس زيادة فى الحس والوجدان ، وأن زيادة الفـكر لا تمنع الإنسان أن يحس وأن يتسع وجدانه لأوسع آفاق الحياة .

فقد ينقص فـكر الإنسان وينقص حسه على السواء ، ومزية الإنسان دائماً أن يحس أنه يفـكر وأن يفكر أنه يحس ، وأن يكون نصيبه من الإنسانية على قدر نصيبه من الفكر والإحساس ، فليس هو بإنسان كامل إذا خلا من التفـكير ، ولا يكون الأدب كاملا وهو يعبر عن إنسان ناقص فى ألزم مزاياه

* * *

وللأدب بحوث غير بحوث العلم والدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية .

فهل تحسب هذه من الأدب أو لا تحسب منه لأنها تحتاج إلى التفـكير ؟ وهل يمكن أن يتم بحث بغير تفكير ولو كان من البحوث فى الشعر والإحساس ؟

فالبحوث الأدبية أدب وليست علماً بالمعنى المعروف للعلوم التجريبية ، لأن البحوث العلمية تتفق فى النتيجة ولو جرت على أيدى مئات من العلماء . وقد يبحث ألف ناقد فى ديوان واحد ثم يخرجون منه وكل منهم ينقض أقوال الآخرين أو لا يلتقى بهم فى موضع لقاء . وإنما يفعلون ذلك لأن الباحث منهم يعتمد فى فهم المعنى على مرجعه من الإحساس ، فيفهم الإحساس على وجه ويفهمه غيره على وجوه . ولا يقال من أجل ذلك إنهم ينبغى ألا يفهموا أو لا يفكروا لأنهم يحسون !

وبعد ، فإن الإحساس طبقات وليس بطبقة واحدة بين جميع النـاس .

وكل طبقة من هذه الطبقات فهى لغز مغلق بالنسبة إلى من يقفون دونها ولا يرتفعون إليها ، فإذا عبر أحد منها عن شعوره ولم يفهمه الذين يقصرون عنها ويهبطون دونها فليس ذلك بمخرجه من أفق الشعور الذى هو فيه ، ولـكنه يخرجهم هم من ذلك الأفق الرفيع .

ولعلنا بحاجة إلى التنبيه إلى سخافة شائعة فى مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ممن لا يحسون ولا يفكرون ، وهى اعتقادهم أن الإحساس والتخنث مترادفان . ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس ، لأنه يحس فى زعمه بمقدار ما يتراخى ويتخاذل ويئن وينوح !

وأحوج ما يحتاج إليـه هؤلاء التأنثون « مزعج » قوى ينقذهم من « فرط الإحساس » على مذهبهم الذى لا فرق فيه بين فرط إحساسهم وبين الموت ... أو الإغماء على أهون تقدير :

صفحة على القفا هى « جرعة » نافعة ناجعة فى علاج هذا الداء . صفعة على القفا بقلم الكاتب ، إن لم تكن بالقلم المعهود فى لغة الأكف والأقفاء !

ونخلص من هذا جميعه إلى قول واحد يجمل جميع الأقوال فى الفن والأدب ، وهو أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان ، ولا يكمل الإنسان بغير ارتفاع فى طبقة الحس وارتفاع فى طبقة التفكير ، فلا يخلو الأدب المعبر عنه من هذا وذاك ، ولا يقاس نصيبه من الحس بمقدار نقصه فى التفكير ، ولا يقال إنه أحس تماماً لأنه لم يفكر تماماً ؛ بل يقال إن التمام فى مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير .

عباس محمود العقاد

٤ – رحلة إلى الهند

المسلمون والمؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

فى الهند اليوم حزبان يسيطران على شئونها : حزب الرابطة الإسلامية « Muslim Leeg » وحزب المؤتمر « All India Congress » . والأول يمثل مسلمى الهند إلا قليلا . والثانى يمثل الهنادك وقليلا من المسلمين . وكان الحزبان على وفاق ، كلٌّ يسير فى طريقه غير محادٍّ الآخر . وكان زعماء الرابطة ، ومنهم السيد جناح ، عاملين فى حزب المؤتمر .

وقد حدثت شئون انتهت إلى القطيعة بين الحزبين سنة ١٩٣٧ وأبانت عن اختلافهما كل الاختلاف على الهند بعد استقلالها . أتقوم فيها دولة واحدة أم دولتان إحداهما إسلامية فى أقاليم تسمى باكستان ، والأخرى هندوكية فى أقاليم أخرى تسمى هندوستان .

ولست فى مجال الإبانة عن هذا الخلاف ، فقد تكلمت فيه من قبل ، ونشرت فى الصحف ما يغنى عن إعادة القول ، وحسبى أن أقول هنا : إن المؤتمر الآسيوى دعا إليه معهد يسمى « المعهد الهندى لشئون العالم » ، وهو ذو صلة وثيقة بحزب المؤتمر . وكان لهذا الحزب الإشراف على المؤتمر الآسيوى والسيطرة عليه ، فرأت الرابطة الإسلامية أن تقاطعه .



الكاتب يوقع لبعض الصبايا الهنديات فى المؤتمر

وكانت وفود الدول الإسلامية فى حرج من هذه المقاطعة ، وكثيراً ما سئلوا : ألم تعلموا أن المسلمين قاطعوا هذا المؤتمر ؟ ألا تعطفون على مسلمى الهند ؟ الخ .

وقد اختلفت الإجابة عن هذه الأسئلة ، واتفق المسئولون على أنهم يهتمون كل الاهتمام ، ويعطفون كل العطف على مسلمى الهند .

وقد انتهى الجدال إلى الإجماع على أن قدوم الوفود الإسلامية إلى الهند فى ذلك الحين ، وشهودها هذا المؤتمر ينفع مسلمى الهند ولا يضرهم ، إذ يبصر البلاد الإسلامية بأحوال الهند ، ويعرفهم بحقيقة الأمر فيما شجر من خلاف بين المسلمين والهنادك .

ونشر بعض الوفود الإسلامية كلمة أعربوا فيها عن رأى الوفود الإسلامية كلها ، هى أن اشتراكهم فى المؤتمر لا يدل على تأييدهم حزباً من أحزاب الهند ، وأن هذا المؤتمر كما دُعوا إليه

وشهدوه ليس سياسياً .

وكان من الداعين إلى المؤتمر والمناصرين له جمعية علماء الهند ، وقد حرصت طائفة منها على الاتصال بالوفود الإسلامية والتحدث إليهم فى الخلاف بين الرابطة والمؤتمر ، ثم دعوا وفود البلاد الإسلامية إلى حفلة فى فندق كبير حضرها مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف فى الحكومة الموقوتة ، وشهدها كذلك جواهرلال نهرو رئيس هذه الحكومة ، ووزعت على الحاضرين صحيفة كبيرة بالأردية فيها ترحيب بالوفود وبيان لمكانة جمعية العلماء فى الهند وتاريخها فى الجهاد للاستقلال ، ورسالة صغيرة بالعربية فى هذا المعنى .



الدكتور عبد الوهاب عزام مع السيد محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية فى داره بدهلى الجديدة

وبعض المعاهد الإسلامية كالجامعة الملية الإسلامية فى دهلى ضالعة مع المؤتمر أيضاً ؛ ولكن الجمهرة العظمى من المسلمين يؤازرون الرابطة الإسلامية .

وقد حرص القائمون على المؤتمر الآسيوى ، لهذا الخلاف بينهم وبين الرابطة ، على أن تشترك الحكومات الإسلامية فيه ، وأرسلوا دعاتهم إلى بعض الأقطار ليعملوا على استجابة المسلمين دعوتهم ، ولا سيما البلاد العربية .

وقد حرصنا على لقاء زعماء الرابطة لنزيل استياءهم من حضورنا المؤتمر ، ولنعرف حقيقة الخلاف بينهم وبين حزب المؤتمر .

وقد زرت رئيس الرابطة فى داره أنا والسيد تقى الدين الصلح مندوب الجامعة العربية والساعة إحدى عشرة ونصف من صباح يوم . فتكلمنا عن اشتراكنا فى المؤتمر ، فسأل هل قرأت جريدة الفجر « Saun » — وهى لسان الرابطة باللغة الأنكليزية — ثم تناول عدداً منها قرأ فيه شيئاً عن اشتراك الوفود الإسلامية فى المؤتمر وتقدير مسلمى الهند نواياهم ، واعترافهم بأن شهود المؤتمر عسى أن يكون خيراً : وقال إن هذا ينهى الكلام فى هذا الموضوع .

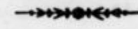
وقد تحدثت عن مؤتمر إسلامى يجتمع فى الهند أو حيث يشاء المسلمون ويتناول البحث فيه شئوناً إسلامية كثيرة ولا سيما شئون مسلمى الهند . وتحدثنا فى أمور كثيرة كلها متصلة بالشئون الإسلامية ، وانتهى حديثنا والساعة واحدة وربع على أن نلتقى يوم السبت الآتى .

ولما التقينا فى الموعد حدثناه عن عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود ، والذى يتقيَّل غاندى ويصاحبه كثيراً حتى سمى غاندى الحدود . وكان عبد الغفار قد حدثنى مرة والمؤتمر على مائدة حضرها نهرو وبعض أعضاء المؤتمر ، ومرة أخرى حيث يقيم مع غاندى فشكا من الرابطة وقال إنه كتب إليهم طالباً أشياء يسيرة تكفل له إذا قامت دولة باكستان فلم يظفر منهم بجواب . وقال إن الإنكليز اضطهدونا فاستنجدنا الرابطة فلم تبال بنا ، وتطوع حزب المؤتمر لنصرتنا والدفاع عنا فكان ميل الناس من ولايته إلى حزب المؤتمر طبيعياً . فنقلت هذه الشكوى إلى السيد جناح آملا أن أقرب بينهما . فقال السيد جناح إنه لم يتلق رسالة ما من عبد الغفار خان وإن الحوادث التى يشير إليها الخان كانت سنة ١٩٢٩ ولم يكن للرابطة إذ ذاك قدرة على النجدة ولم تكن بلغت من الشأن والنظام ما بلغت . ثم قال ومع هذا كافحت كثيراً من أجلهم حتى نالوا ما نالوا من النظام الذى يتمتع به الأقليم اليوم . وقال فليدخل عبد الغفار خان فى الرابطة ثم يطلب ما يشاء . ولست مسيطراً على الرابطة ولكنى واحد منها فلا أستطيع أن أمنح

القسم السادس :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك



بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحى على مراحل فى مراكش ، فقد نقلت إلينا الأنباء البرقية طرفاً من أخبارهم وهى تتلخص فى بعض تغييرات إدارية أدخلوها ذراً للرماد فى العيون فقالوا إن الوزارة ستتألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة من الفرنسيين واختير مستشار فرنسى يبحث القوانين واللوائح قبل عرضها على السلطان ، وصرح فرنسى مسئول بأن فرنسا تريد تحويل مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة كما ترغب بإخلاص فى زيادة مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم . وهذه نواح جديرة بالبحث والتأمل .

ولقد كنا أول من أذاع شيئاً عن اجتماع الدار البيضاء الذى حضره روزفلت وجيرو وديجول الفرنسيين وقلنا إن أراضى تونس والجزائر ومراكش كانت ودیعة بيد الحلفاء ، وقد أعيدت للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع فى ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير ؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وإنما تحت ستار الإصلاحات الجديدة وتحويل مراكش إلى دولة حديثة وزيادة مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم ، تقدم فرنسا للعالم المتمدين مشروعاً استعمارياً له خطورته لأنه ضربة جديدة موجهة إلى استقلال مراكش وحريتها ومستقبلها ، ولذلك لم نستغرب أن رفض الأحرار المراكشيون هذه السياسة ونددوا بها وقالوا عنها « إنها تريد أن تغتصب البقية الباقية من مظاهر وجودهم . ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل الحلفاء جنودهم ، وأنصتوا طويلا إلى أقوال قواد الحلفاء وبعض رجال السياسة الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد وعرفوا الكثير من تحمس رجال فرنسا وتمسكهم بوحدة أمبراطوريتهم ورفضهم الدخول فى أى حديث يشتم منه طلائع الحرية والاستقلال لشعوب المغرب ، ولم نتردد فى أن نجهر بالقول

أو أعد بما لم تأذن به .

وحدثته فى تقسيم الهند وفى انحياز إقليم فى باكستان إلى دولة هندوستان أو العكس ، وفى دعوة المؤتمر والرابطة فى ولاية الحدود الشمالية الغربية . فقال إنه لا يملك أن يمنع الناس من الانحياز إلى الجانب الذين يرغبون فى الانحياز إليه ، وإنه يعترف لأهل هذه الولاية بحقهم فى الانحياز إلى هندوستان إن أرادوا . ولكن الرأى فى هذا الأمر ليس لعبد الغفار خان وأمثاله ولكنه لجمهور الناس . هم الذين يفصلون فى انضمامهم إلى أحد الجانبين .

وتكلمنا عن مصر والسودان ، فقال لا ترجعوا عن مطالبكم فى السودان قيد شعرة . وانتقل الحديث إلى فلسطين فوكد حق العرب فيها وأوصى بألا تكون موضع مساومة .

وعدنا إلى الحديث عن مؤتمر إسلامى فاستحسن الرأى وقال سننظر أيكون فى كراتشى أو دهلى أو مكان آخر .

ورجع إلى حديث عبد الغفار خان فوكد ما قاله من قبل غاضباً متحدياً . وفى ختام الحديث قال أبلغ رئيس الوزراء النقراشى باشا أنى لا أزال أذكر حديثه الودى وحفاوته بى ومبالغته فى إكرامى حينما مررت بالقاهرة ؟

ثم سأل كاتبه هل أعدَّ رسالة عزام باشا ، فعرض عليه صحيفة مرقومة[1] فأخذ عليه بعض الغلط وردَّها إليه فأصلحها . وقد حمل هذه الرسالة السيد تقى الدين الصلح مندوب الجامعة العربية فى المؤتمر .

وقد تحدث عن باكستان فى المرتين حديث المجاهد الموفى على غايته ، الواثق بظفره . وكان فى حجرته لوح صغير عليه خريطة باكستان الغربية والشرقية من الذهب أو مذهبة .

وهو رجل طويل نحيف معروق بجلل رأسه شعر أشمط يوحى إلى محدثه العزم والمضاء بكلماته وإشاراته .

وقد جزى الله جهاده وإخلاصه هو وأنصاره أن ظفروا بما أرادوا وبلغوا ما رجوا والله ولى توفيقهم .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

---

(١) مرقومة : مكتوبة بالرقم وهى كلمة وضعتها للآلة الكاتبة المسماة تايبرايتر .

لإخواننا أهل المغرب[1] أن الخطر الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا لإقناع العالم أن سياسة الاتحاد الفرنسى مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى الشعوب ويعد تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء. أو أنه مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ومراكش ليست دولة فى مجاهل الدنيا حتى تدرب على حكم نفسها . وقد عاصرت القرون وكانت أمجادها وبطولتها مضرب الأمثال ، فهى دولة مستقلة ذات سيادة وصولة وتاريخ وشخصية قبل أن تعرف فرنسا شيئاً من ذلك ، وهى أمة موحدة قبل أن تحقق فرنسا وحدتها الإقليميــة فى قارة أوروبا ، ولإخواننا المراكشيين جولات فى إفريقيا وفى القارة الأوروبية ، وبين ملوك مراكش وملوك فرنسا مكاتبات ومعاهدات قديمة عامل فيها كل واحد الآخر معاملة الند للند .

لهذا كله دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم فى سياسة المقيم العام التى يريد أن يفرضها على دولة قائمة ذات سيادة وسلطان وشخصية دولية . وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضى بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، شيئاً من أساليبهم وعقليتهم ، ومراكش بلاد لم تفتح وإنما تعاهد سلطانها معهم وحالفهم على شروط معلومة ، فإذا هم ينتزعون البلاد انتزاعاً ، ويصبح المقيم العام سلطاناً وحكومة ، يجمع السلطات كلها بين يديه من تنفيـذ وتشريع وقضاء ، ويسيطر رجاله على الشئون المالية والاقتصادية والإنشائية ، ويضع يده على الحبوس والأوقاف ، وينتزع أملاك الدولة فيوزعها على المستعمرين من الفرنسيين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ضربت بالمواثيق والعهود التى أخذتها الدول عليها عرض الحائط ، فهى لم تحترم ما جاء باتفاق الجزيرة سنة ١٩٠٧ ، ولا ما جاء بالاتفاقات التى أعقبت حادث أغادير المشهور ، وكلها تنص على احترام سـيادة سلطان مراكش ووحدة بلاده وبقائها بلاداً مفتوحة لتجارة الدول وميداناً للنشاط الأممى .

ولقد رأينا الأسلوب الفرنسى فى حكم البلاد التى نـكبت به ينتزع السلطات جميعاً من أيدى الحـكام الوطنيــين فتصبح الحـكومة المراكشية التى يطلق عليها إسم « المخزن » صـورة لا تملك من الأمر شيئاً . وإذا بدار المقيم العام بيدها السلطات الفعلية : يتولاها بواسطة مستشاريه على الطريقة الفرنسية المباشرة التى رأيناها فى سوريا ولبنان أيام الانتداب . فتصور هذه الدار تتولى الأمن العام والجمارك والضرائب وتدير الأوقاف وتفتح المدارس وتغلق الـكتاتيب ، وبيدها التشريع والبرق والبريد ، وتسيطر على النقد ووسائل المواصلات ، وتمنح الأراضى لمن تشاء وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار .

هذه هى مناطق القانون العام أى التى يسود فيها الحكم المدنى . أما المناطق العسكرية فهى تخضع لجبروت الجيش وضباطه السياسيين ، فهناك يجمع القائد الفرنسى كل السلطات فى يده ولا مرد لحـكمه : إذ تـكفى إرادته لنزع الأملاك وتنفيذ حكم الإعدام والسجن ونقل قرى بأكملها وإخلائها من السكان ، ولا يمكن مراجعة حكمه أو الاعتراض عليه أمام سلطة مدنية ، وأهالى البلاد من المسلمين حيارى بين براثن الاستعمار الفرنسى فى مراكش ، هم فى حالة حرب منذ عام ١٩١٢ لا يرتفع عن كاهلهم سوط الأحكام العرفيـة ولا يشعرون بالراحة يوماً ، تؤخذ أولادهم للحروب ، ويرسل بشبابهم إلى المعتقلات والسجون .

لقد آن للعالم المتمدين أن يفهم حقيقة الحال فى أفريقيا الشمالية ، وحسناً فعل المجاهدون المراكشيون من المبادرة إلى أمريكا وتعريف العالم بقضيتهم لأنها قضية عادلة : فهم لن يقبلوا أن يدخلوا اتحاداً فرنسياً يفرض عليهم فرضاً ، وقد شرحنا أساليبه ومراميه وأهدافه ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم أجيالا من الزمن لا تزال فى عالم الغيب أو المستقبل .

إن كفاح أهل مراكش سيكون طويلا وصعباً لا هوادة فيه ، لأن بلادهم موطن الثروة المعدنية ، وإليها تتجه أنظار الاستعمار الفرنسى للحصول على المواد الخام من البترول والفحم والحديد ، فهذا الاستعمار يفرط — كما قلنا — فى ولايات من أوروبا ولا يتنازل عن شمال أفريقيا ، وهو يعلم تماماً أن أى تساهل أو اعتراف من جانبه باستقلال أو حكم ذاتى يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها فى أفريقية الشمالية

فعلى الذين يتصدرون الحركة الاستقلالية فى مراكش أن

(١) عدد الرسالة ٧٢١ الاثنين ٢ يونية ١٩٤٧ نهاية القسم الثانى

يفهموا أن العراك سيكون شديداً وقاسياً ، وعليهم أن يكتسبوا المعركة الخارجية ، وهى معركة الدعاية لقضيتهم فى أمريكا وفى بقية أنحاء العالم ، عليهم أن يظهروا مساوئ الاستعمار وأضاليله ، وأن يجعلوا الدعاية قائمة فى كل مكان ، وأن تمتاز بالثبات والرسوخ والهدوء والمداومة .

ففى مصر لا يكفى شعور الناس بالعطف على قضيتهم ، بل يجب إبرازها كل يوم فى ثوب جديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل نريد أن نسمع رأيهم وصوتهم ، ونرى مناظر بلادهم ومساجدها وأسواقها ، ونقرأ لأدبائهم وزعمائهم كل يوم ، ونود أن نشاركهم أفراحهم وأيامهم ، ونسمع أغانيهم ، ونرتل شعرهم ، ونظهر على مطبوعاتنا صور معاهدهم ورجالهم ومظاهر الحياة عندهم إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أهل المغرب ، لأننا فى مصر نحن أهلها أقرب أهل الشرق إليهم .

لقد تلاقت النفوس قبل اليوم ، وارتبطنا بهم بروابط لا تنفصم عراها ، لأن فى مصر أسراً بأكلها تنحدر من تلك الأصول العربية التى جاءت من أرض المغرب

إننا لا تطمئن نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل على حريته

أحمد رمزى

لسان الدين بن الخطيب

الصفحة الأخيرة من حياته

للسيدة الفاضلة منية الكيلانى

مد الليل أروقته السوداء فى غرناطة الأندلسية العظيمة ، واتشحت سماؤها المرصعة بالنجوم الزاهرة تلك الليلة بالغمام ، وتضاحك البرق من عربدة الرعد المدوى ، وتهادى الثلج نازلا بأناة وكرم يكسو بالبياض كل ملون... ويتراكم طبقات بعضها فوق بعض ، وخلت الدروب من كل صوت ونأمة ...

ومرت عدوى السكون العميق إلى قصر ابن الخطيب الباذخ فما كان يسمع فيه شىء مما اعتاد أن يزخر به القصر المتيد من صوت القيان أو نداء المزاهر ، وما كان يرى فى أكنافه الرحيبة من وراء الكوى ، إلا ضوء واحد يمرق من نافذة فى غرفة رب القصر ، وإن كان قد انتصف الليل من وقت طويل .

وهدر الرعد من جديد ، ففتحت على ابن الخطيب بابه فتاة فى مقتبل العمر وانزاحت من الباب رفيقة إلى حيث يجلس الكهل ، وتقدمت إليه تحييه وتقول له فى دل :

— أو لا تزال يا عماه مسهد الجفن تكتب والناس رقود ؟

فيرفع ابن الخطيب رأسه ويمد بصره إلى ابنة أخيه ، وقد أضنى عينيه ضوء الشموع وصفحة الكتاب ويقول لها :

— إن الذى ميزنى يا بنتاه عن الناس الذين تسمين ، إنما هو هذا السهاد وهذا الاعتكاف ، وما بلغ امرؤ يا بنتاه فى غطيطه ما يبلغ الساهر فى سبيل العلم ، ولو درى أولئك السادرون فى غواياتهم أية لذة أطعم ، وأية سعادة أذوق ، لاستبدلوا بالفراش المحابر ، ولأرغلوا فيما أنا فى سبيله ... ألا يستوى جاهل وعالم ، وساع إلى الراحة ومتشبث بأذيال العلم ... وهذه غرناطة تملم أن شيخها يسهر والناس من حوله نيام ، فيصيب من سهره ما يميزه عن النائمين والغافلين ...

ثم يعود الشيخ إلى نفسه فيستدرك ويقول :

— وأنت يا ابنتى ما بالك بارحت الخدر وأنت إلى الرقاد أحوج من شيخ غرناطة ؟ ... أهو حلم لذيذ أرسلك إلى عمك تقاسمينه خبره ؟ فتجيبه : لقد أيقظتنى جلجلة الرعد ، فما استطعت من بعد اليقظة إغفاءة !

وتجلس الفتاة ، فيسألها عمها أن تكتب له الصحائف الباقية من كتابه « الأصول لحفظ الصحة من الفضول » . فتكتبها وهو يمليها عليها ... وتنتهى فتعلق الفتاة عليه بأنه عمل متعب قد يؤذى صحته الغالية . فيقول لها : « يا بنتاه ، العجب حتى مع تأليفى لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب ، فإنى لا أقدر على مداواة داء الأرق الذى بى » . فتقول مجيبة : « ولكنه يا عماه أرق مفيد على كل حال ، وهل تنكر فضل الأرق الذى خرجك فى الفلسفة والطب والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وعلوم العربية من شعر بارع ونثر بديع ؟

فيبتسم الشيخ ابتسامة استكبار وتيه ... ولم تكن الفتاة مجاملة ولا مراوغة فى هذا الذى قالت ، فقد عرفته الليالى طالب علم ورجل جد ، وعرفه أساتيذ غرناطة ذكى الفؤاد ، واعى البصيرة ، سديد التفكير .

ويغرق لسان الدين فى فكرة طارئة ، وتسهم مقلتاه الزرقاوان فى غير وعى ... فتقول له ابنة أخيه : « ولقد فرغت يا عم من مطالعة ما زودتنى به من كتاباتك ، فراقنى منك شعر الغزل الجميل فى هذه الموشحات التى رصعتها بما يعيا به الصاغة الماهرون ، وأعجبنى كلام الأتقياء ، ولكننى وجدت فى رسائلك التى تتندر بها على الحال الاجتماعية سجعاً غريباً ، وإطالة لا عهد لك بمثلها ، فقد أطلت فيما كتبت وأطنبت فى التصوير إطناباً خيل إلىَّ معه أنك قد ملأت من الفكرة الصغيرة صفحات ، فهل ستنسيك السياسة ذياك الأسلوب والنغمة التى فتنت بها غرناطة وأرقصت عذاراها زمناً ؟

وهنا يتبسم لسان الدين مرة أخرى ، ويهيب بفتاته أن تعود إلى مخدعها ، فقد انقطع الرعد ، ولم يبق من الليل إلا رمق ، وإنه ليرى أن السهاد قد يضر جمالها الضحيان ... وإذ تذهب يقيم لسان الدين يفكر ، ويعمل الرأى فى هذه الأحداث التى توالت دراكا ، ويبحث هذه القلاقل السياسية التى أوشكت أن تودى بأدبه الغض وخياله الرائع ... لقد صدقت بنت أخيه ، فإن السياسة التى فتنته قد انبرت تخرس تلك النغمة السائغة المنسابة التى أرقصت عذارى غرناطة زمناً ، وهذه فتنة لا يدرى هو أيضاً كيف استحوذت عليه ، فتبدل بالعلم والأدب السياسة ومشتقاتها ، وأقام برهة يتفكر فى عواقب الأمور وما قد تجره عليه من وبال ، ووقر فى نفسه أن ينتقل إلى الهامش إن هو استطاع إلى ذلك سبيلا

ثم يعود فيمد بصره فى الماضى ، حيث كان السلطان أبو الحجاج يوسف يعطف عليه ، ويقرب مجلسه ، ويستأنس برأيه ، وقد اختصه بكتابته ، وأجرى عليه صنوف الرفد والعطاء ، فأنتج ما شاء له الإنتاج ، وأبدع ما وسعه الإبداع .

ثم يموت أبو الحجاج يوسف ، فيخلفه ابنه محمد بن أبى الحجاج وهو الفتى الذى خدمه ابن الخطيب أصدق خدمة ووفاه أقصى حقوق الولاء ، فجزاه معروفاً بمعروف وخيراً بخير ، وأبقاه فى مكانه وضاعف له الرعاية ، ولكن الفتنة الراقدة تململت ، وحبب الناس لأخى الملك الجديد أن يناوئ أخاه ويزعج نفسه ، فهو لا يدرى كيف يأخذ ولا ما ذا يصنع . وقد قال له هذا الأمير المحق أن يتبين له وجهاً من الرأى ودرباً من الرشاد ينفذ منهما إلى صرع الباطل والحسد الأثيم ، ولابد لابن الخطيب من نصيحة يسديها لمولاه ضحى الغد ، وهو الذى عرف عنده أصالة الرأى وسداد الفكر ، فما ذا تجدى عليه هواجسه من السياسة ومشتقاتها ومغبتها ، وهى مفروضة عليه يحتمها الولاء والوفاء لمن والاه ووفاه حقوقه .

هنا ينبلج الصبح ويقطع على لسان الدين التأمل رسول الملك فقد جاءه يخبره بأن الملك يريد البراح بعد أن أخفقت كل محاولة فى تحسين الحال ، فيخف إليه ابن الخطيب تاركا المهاة فى خدرها والكتب فى أدراجها وبيارحان المملكة ... وقد تقطع قلب لسان الدين لكلمة وداع لابنة أخيه المساعفة وكلمة وصية يكتبه فما أفلح

ولم يكن الهروب لينجى ابن الخطيب ، فقد وقع فى قبضة السلطان الجديد ، وأراد التنكيل به لولا أن سلطان المغرب الذى شغف بأدبه وعلمه يحميه من البطش ، ويمهد له من مدينة فاس أرضاً صالحة خصيبة تواتى قريحته ، فيرسل زفرته الخالدة :

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً ... فى الكرى أو خلسة المختلس

وتلقفها ابنة أخيه ، وتقرؤها على أترابها ، وتتيه بها إعجاباً وفرحاً .. فلقد أرقص لسان الدين عذارى غرناطة من جديد .

هنا يتأزم الوضع فى غرناطة تأزماً جديداً ضد لسان الدين ، ويعمل العلماء والفقهاء من أعدائه ضده ويرسلون فيه هجر القول ويرمونه بكل نقيصة ، ويروجون فيه أنه كافر ، وهم إذ يفعلون ذلك ينتقمون لمنازلهم التى احتلها هو فى قلب السلطان الماضى ، وينافقون للسلطان الحاضر ، وكلا الأمرين يؤتى بالثمرة المحرمة ، التى يريدونها .

وأمر ما لقى لسان الدين من هذه البلوى أن يقود هذه الفئة المعادية والفتنة العمياء تلميذه ابن زمرك وهو الذى نشأ وترعرع على يديه .. فقد وكل هذا المخلوق المنحوس قلمه فى شرح وتبسيط كفر لسان الدين الذى علم الله أنه منه براء .

١٠ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

ولكن يجب أن لا تظنوا أن هذه الرموز سهلة الاستعمال أو سهلة الترجمة فنحن أينما تلفتنا عثرنا على مالم نكن نتوقع . فقد لا تصدقوا مثلا أنه لا يوجد فى الغالب حد فاصل بين الجنسين فى هذا التمثيل الرمزى ، فكثير من الرموز تقوم مقام الأعضاء الجنسية على العموم ، سواء أكانت للذكر أم للأنثى مثل طفل « صغير » أو ابن أو ابنة « صغيرة » كما أننا قد نجد فى حالات أخرى أن أحد الرموز التى تشير فى الغالب إلى عضو جنسى مذكر قد استخدم فى هذه الحالة للدلالة على عضو مؤنث أو بالعكس . وهذا القول قد يظل غير مفهوم حتى نستطيع أن نحصل على بعض المعلومات عن نضوج التفكير الإنسانى فيما يختص بالعلاقات الجنسية ، فهذا الغموض قد يكون فى كثير من الأحيان غموضاً ظاهرياً فقط وليس حقيقياً ، وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن أشد هذه الرموز لفتاً للنظر مثل الأسلحة والجيوب والصناديق لا تستخدم أبداً للدلالة على الجنسين .

والآن دعونى أقدم لكم بياناً موجزاً مبتدئاً بالرموز نفسها بدلا من الأشياء التى ترمز إليها ، لأطلعكم على المصادر التى اشتقت منها هذه الرموز الجنسية فى الغالب ، وسأضيف إلى ذلك بعض الملاحظات خصوصاً عن تلك الرموز التى يصعب فيها تحديد وجه المقارنة بينها وبين الأشياء التى ترمز إليها « فالقبعة » مثلا أو أغطية الرأس على العموم تعتبر من الرموز الغامضة ، وهى فى العادة رمز مذكر وإن كانت تجىء من الحين للحين كرمز مؤنث . و « المعطف » بالمثل يدل على رجل ولو أنه قد يدل فى بعض الأحيان على الأعضاء الجنسية عموماً من غير تمييز ، ولكم

ويعود لسان الدين — وهو لا يدرى بما حدث ، ويجتمع الفقهاء والعلماء يقررون مصير لسان الدين . ولا بد من الفتيا وقد أقام لسان الدين ينتظرها فى السجن الذى زجوه به حتى إذا جاءته كانت تحتم قتله .

عرف لسان الدين أن الأمر قد تم ، وأن السهم قد نفذ ، وأن لا مرد لأمر الله ، فحن من بين مصائبه وآلامه وإحنه وسلاسله وأغلاله إلى نظرة فى كتبه ، وإلى كلمات يريد أن يضيفها على آخر كتاب لما يكمله . وتلهف إلى جامع غرناطة وجامعتها ، حيث كان يلقى دروسه قبل أن يقرر كفره .

وقطع هذه التأملات جلجلة السلاسل ، وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل يتقدمهم رجل فيه بسطة فى الجسم لا قبل للسان الدين وهو فى الثالثة والستين من العمر بمثلها . تقدم هذا العملاق من السيامى الشيخ الفيلسوف الطبيب العالم الفقيه الشاعر الأديب نزع لحيته التى وخطها الشيب ، فلم يبق من سوادها إلا ما بقى من سواد تلك الليلة .. نزع لحيته ليمهد لقبضته الخشنة القوية من عنقه مكاناً يخنقه منه ، ووضع ركبته على صدر الرجل وأخذ عنقه وتحسس فيه البلعوم فقبض عليه قبضة شديدة منكرة تزايلت لها وتلاينت وتقلص وجه الرجل واختلفت سحنته ورفس من احتباس النفس رفساً شديداً فما رحمه . واحتقن الدم احتقاناً مروعاً وجحظت عيناه جحوظاً غريباً كأنها تفتش عن الكفر الذى رمى به ... ثم تخافتت نفسه ... وفاضت روحه التى ملأت الأندلس أدباً وعلماً وفناً

وزفت بشرى خنقه إلى من حكم بقتله ، فأمر بإخراج جثته وإحراقها علناً ... وهكذا كان ... فما بقى للسان الدين غير اسم عظيم وتراث خالد .

وعرفت ابنة أخى لسان الدين هذا ... فاتشحت بالبياض حداداً (١) ... وخرجت هى وأترابها حيث أحرق ... وهناك قرأت عليهن قوله :

لم يكن وصلك إلا حلماً فى الكرى أو خلسة المختلس

وأسكبت على الأرض التى قد يكون فيها شىء من رماده دمعات من مقلة زرقاء .

منية الكيلانى

---

(١) حداد الأندلسيين البياض ، وحداد المشارقة السواد .

أن تتساءلوا عن السر فى هذا . أما « ربطة الرقبة » فباعتبارها شيئاً يتدلى إلى أسفل ولا ترتديه النساء فهى بلا شك رمز مذكر بينما « الملابس الداخلية » أو « الكتان » على العموم يمثل الأنثى . و « الملابس » و « البزة الرسمية » كما قلنا تمثل العرى أو جسم الإنسان . و « الأحذية » (والشباب) تمثل الأعضاء التناسلية الأنثى . و « الموائد » و « الخشب » قلنا عنها إنها رموز محيرة ولكنها مع ذلك رموز مؤنثة ؛ ومن المحقق أن « عملية تسلق » السلالم أو الأماكن الوعرة عبارة عن رمز للعملية الجنسية . وقد نلاحظ إذا دققنا النظر أن اطراد النغم أثناء التسلق هو النقطة المشتركة بين العمليتين ، وربما أيضاً ازدياد اللهفة الذى يصحبهما، واحتباس النفس كلما أوغل المتسلق فى الصعود .

رأينا أن « الأصقاع » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، والجبال والصخور عبارة عن رموز للقضيب . و « الحديقة » وهى رمز يتكرر ظهوره باستمرار تشير إلى الجهاز التناسلى للأنثى بينما « الفاكهة » تقوم مقام النهود لا الطفل . « والحيونات المتوحشة » تدل على الأشخاص المنفعلى الحواس ومن ثم على الدوافع الشديدة والعواطف الآثمة . و « النوّر » و « الأزهار » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، وعلى الأخص وهى عذراء . وبهذه المناسبة أذكركم بأن النور فى الحقيقة عبارة عن أعضاء التناسل فى النبات .

ونحن نعلم من قبل كيف تستعمل الحجرات كرموز ، وقد نستطيع أن نتوسع قليلا فى هذا التمثيل فنقول إن : « النوافذ » و « الأبواب » (وهى المداخل إلى الحجرات والمخارج منها) قد تعنى فتحات الجسم ، ومما يتفق مع هذا التمثيل الرمزى أن الحجرة تكون « مفتوحة » و « مغلقة » . والمفتاح » الذى يفتحها هو من غير شك رمز للقضيب .

هذه مادة لا بأس بها تصلح لدراسة الرمزية فى الأحلام ، وهى ليست مادة كاملة ، فقد نستطيع أن نتوسع ونتعمق فيها مماً. ولكنى مع ذلك أظن أنها قد تبدو لكم أنها أكثر من اللازم وربما لا تحوز لديكم القبول فيتساءل الواحد منكم قائلا : « أترانى حقاً أعيش وسط رموز جنسية ! ؟ أكل هذه الأشياء التى تحيط بى ، والملابس التى أرتديها ، والأدوات التى أستعملها عبارة عن رموز جنسية دائماً ولا شىء غير ذلك ؟ » . وهناك فى الواقع أسباب وجيهة تدعو إلى هذه الدهشة والتساؤل ، وقد يكون أول هذه الأسباب هو : كيف ندعى أننا استطعنا الوصول إلى معنى هذه الرموز التى تظهر فى الأحلام فى الوقت الذى نقول فيه إن الحالم نفسه لا يستطيع أن يمدنا عنها بمعلومات تذكر ؟

وجوابى على ذلك أننا نستقى معلوماتنا من مصادر كثيرة مختلفة : نستقيها من الأساطير والخرافات ، والملح والنوادر ، وقصص الأولين ، أى نستقيها مما نعرف عن أقوال وأغانى الشعوب المختلفة والعادات والأخلاق التى كانوا عليها ، ومن طريقة استخدامهم للغة فى الشعر وفى الكلام الدارج . ففى كل من هذه المجالات المختلفة نعثر على نفس الرموز ، وقد نستطيع فى كثير منها أن نقف على المعنى المراد فى غير حاجة إلى دراسة سابقة لها . فإذا نظرنا إلى هذه المصادر المختلفة كل على حدة فسنعثر على كثير من الرموز التى تطابق ما يظهر فى الأحلام مما يضطرنا إلى الاقتناع بصحة طريقتنا فى التفسير .

قلنا إن جسم الإنسان كما يقرر « شرنر » كثيراً ما يرمز إليه فى الأحلام بمنزل ، فإذا توسعنا فى هذا التمثيل الرمزى قليلا ، فإن النوافذ والأبواب والبوابات تقوم مقام فتحات الجسم ، والجدر كما قلنا إما أن تكون ناعمة ملساء ، أو تحتوى على بروز وشرفات تصلح للتعلق بها . وهذا التمثيل الرمزى نفسه نراه فى اللغة الدارجة ، فنحن مثلا نتكلم عن « سقف من الشعر » ، كما إننا نقول عن شخص ما إن « طابقه الأعلى » ليس على ما يرام(١) . وفى علم التشريح كذلك تسمى فتحات الجسم « بالبوابات »(٢)

وقد ندهش لأول وهلة عندما نجد أن الآباء والأمهات يظهرون فى أحلامنا كملوك وملكات ، ولكنا نجد شبيها لهذا فى (الحواديت) . ألا نشعر عند ما نسمع كثيراً من (الحواديت) التى تبدأ بالكلمات : « يحكى ذات يوم أن ملكا وملكة » أنها

---

(١) الزميل القديم يلقب فى ألمانيا « بالبيت القديم » (altes Haus) والاصطلاح « ضربة واحدة على سقفه » (einem aufs geben) يقابل عندنا الاصطلاح « ضربه على أم رأسه » .

(٢) الوريد « البابى » يحمل الأغذية من الأمعاء إلى الجسم عن طريق الكبد . و « البواب » (pyrotus هو المدخل إلى الأمعاء الدقاق كما أن فتحات الجسم تسمى باللغة الألمانية Leibespforter ومعناها الحرفى هو « بوابات الجسم » .

تعنى بكل بساطة « يحكى ذات يوم أن أبا وأماً . » ؟ كما أننا نجد الأطفال فى الحياة العائلية يلقبون بالأمراء على سبيل المزاح ، والأكبرفيهم يلقب بصاحب السمو . والملك نفسه يدعى أبا الشعبة ، وكذلك نجد الأطفال فى كثير من الممالك يتحدث الناس عنهم كحيوانات صغيرة ، فيقولون مثلا : « ضفدع صغير » أو « حشرة صغيرة » كما فى ألمانيا .

والآن دعونا نعد مرة ثانية إلى التمثيل الرمزى بالمنزل . إذا كنا فى أحلامنا نتخذ من البروز التى فى المنازل حوامل نتعلق بها ألا بذ كرنا هذا بقول عامى معروف جدا فى اللغة الألمانية للدلالة على المرأة ذات الصدر الناضج وهو : « لأن لها شيئاً يستطيع المرء أن يتعلق به » [1] (Die hsf efwas zkm anhalfen) بينما هناك قول عامى آخر للدلالة على نفس المعنى وهو : « أن هناك كثيراً من الخشب أمام منزلها » . (Die haf viel holz vovdem hanse) كأنما كان هذا القول على بالنا عند ما قلنا فى تفسيراتنا إن الخشب يرمز إلى المرأة أو الأم .

وهناك شىء آخر يجب أن يقال بخصوص الخشب ، فليس من السهل أن نرى على الفور كيف صار استخدامه للدلالة على المرأة أو الأم ، ولكن المقارنة بين عدة لغات قد تفيدنا فى هذه الحال . يقال إن الكلمة الألمانية holz (خشب) مشتقة من نفس المصدر الذى اشتقت منه الكلمة الإغريقية التى معناها المادة الخام . وهذا مثل لعملية ليست نادرة الحدوث ، وهو أن اسماً يدل على المادة على العموم قد صار استخدامه أخيراً للدلالة على مادة معينة فقط . والآن لعلكم تعرفون جزيرة « ماديرا » (Madeira) التى تقع فى المحيط الأطلنطى والتى أطلق عليها البرتغاليون هذا الاسم عند ما اكتشفوها لأنها كانت فى ذلك الوقت مغطاة بغابات كثيفة ، إذ أن كلمة Madeira فى اللغة البرتغالية معناها الخشب . ولكنى أحسبكم لن تغفلوا عن أن تلاحظوا أن كلمة Madeira ما هى إلا صورة منقحة من الكلمة اللاتينية Madeira التى تدل أيضاً على المادة عموماً . ولكن Madeira مشتقة من Mafer ومعناها الأم . والمادة التى يصنع منها أى شىء يمكن أن ينظر إليها على أنها قد تسببت فى ولادة هذ الشىء . وعلى هذا فنحن فى استخدامنا الخشب كرمز للدلالة على المرأة أو الأم إنما نحيى هذه الفكرة القديمة .

والولادة يعبر عنها غالباً بأشارة إلى الماء ، فأما أننا نغوص فيه أو نخرج منه ، أى أننا نلد أو نولد . وهذا الرمز يجب أن لا ننسى أنه يشير إشارة مزدوجة إلى الحقائق الثابتة فى نظرية التطور . فالثدييات البرية ، التى نشأ عنها الجنس البشرى ، لم تهبط من كائنات تسكن الماء فحسب ، بل إن كل ثدبيّ ، أو كل كائن حى ، قد أمضى الفترة الأولى من حياته فى الماء — أى كجنين فى السائل الأمنيونى الذى يملأ رحم الأم وبذا يكون عند الولادة قد خرج من الماء . وأنا لا أقرر أن الحالم على علم بشىء من ذلك ، بل إننى على العكس أصرح لكم أنه لا حاجة به إلى هذا العلم ، فهو فى الغالب يعلم شيئاً آخر مما كان يحكى له وهو طفل ، ولكنى أقرر كذلك أنه حتى هذا لا دخل له فى تكوين الرموز . فالطفل تقول له مربيته إن طائراً كبيراً (أبو حديج) هو الذى يقوم باحضار الأطفال ، فإذا سأل : ومن أين يأتى بهم ؟ قيل له من البئر أو من (الفسقية) أى من الماء مرة أخرى . وقد حدث لأحد مرضاى الذين قيلت لهم هذه الحكاية وهم أطفال (وقد كان فى هذا الوقت « كونتاً » صغيراً) أن اختفى طيلة بعد الظهر وأخيراً وجد راقداً على حافة البحيرة التى فى القصر وقد انحنى وجهه الصغير على صفحة الماء الرائقة وأخذ يحدق فى لهفة عله يستطيع أن يلمح الأطفال الذين فى قاع الماء .

وفى الأساطير التى تروى عن ولادة الأبطال ، وقد قام « أو . رانك » (O. Knka) بدراسة وافية لها ، نجد أن التعرض للماء والنجاة منه يلعبان دوراً كبيراً . وقد أدرك « رانك » أن هذا يرمز إلى الولادة بطريقة شبيهة بالطريقة المستخدمة فى الأحلام . فالشخص الذى يرى فى الحلم أنه ينقذ أحداً من الماء ، يجعل هذا الأحد أماً له ، أو أماً على أية حال . وفى الأساطير نجد أن من تنقذ طفلا من الماء تعتبر نفسها أمه الحقيقية . وهناك نادرة تروى عن طفل ذكى من بنى إسرائيل ، وهى أنه عند ما سئل من تكون أم موسى ، أجاب على الفور : « الأميرة » . فقيل له : « كلا إنها التقطته من الماء فقط » . فأجاب : « هذا ما تقوله هى » . وقد دل بذلك على أنه قد وقع على التفسير الصحيح للأسطورة .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

(١) ونحن فى الواقع نقول : « فلان متعلق بفلانة » فكأنما الحلم يجسم هذه الفكرة .

من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

إلى عنيبــــة ! !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

ما كاد القطار يتحرك من أسوان متجها إلى الشلال . حتى أحسست وزملائى براحة لا تدانيها راحة ، وهدوء لا يماثله هدوء فقد مكثنا بأسوان خمسة أيام بلياليها على الرغم منا . إذا أننا لم نجد أمكنة فى الباخرة التى ستقلنا إلى ذلك المكان النائى البعيد فى بلادنا المصرية .

وعجيب أن نشعر بالراحة والطمأنينة ، ونحن فى طريقنا إلى بلدة لا نعرف عنها شيئا ، ولا ندرى من أمرها إلا ما رغب عنها مما استمعنا إليه من أفواه المتحدثين — ولكن هذا دائما شعور كل مسافر ، فإنه يود أن يصل إلى غايته بأى ثمن .

ولا يمكننى بوجه من الوجوه أن أعبر عن مقدار الرهبة التى سيطرت علينا ، والخوف الذى ملأ قلوبنا عندما وصل القطار إلى الشلال . وعندما شارفنا النيل ، باتساعه وروعته ... ووقف القطار وزكت أنوفنا رائحة الشواء العجيب .. شواء السمك ، والطعمية وألوان مختلطة من الأطعمة الملوثة بالتراب ، والرمال التى تهب مع الريح من فوق السفح والجبل من هنا وهناك ..

وركبنا الباخرة البطيئة (توشكى) وهى إحدى البواخر المصرية التى استولت عليها الحكومة السودانية ظلما سنة ١٩٢٥ ، وأخذنا أنا كنا فى ثلاث مقصورات متجاورة ، وسارت الباخرة فى الثانية مساء رويداً رويداً ، تشق صفحة الماء فى بطء ، وكأنما هى شيخ محطم أثقلته الخطوب ، وآدته فوادح الزمن ، فمضى يعدو ، ويجمع قواه المتهدمة ، ويلهث ويحشرج ، ومع هذا تخونه دائما قواه ، ولا يحصل من هذا كله إلا على ما يكفيه ليسير بطيئا ، متئد الخطا ، كأنما يجر وراءه جبال الدنيا بأرسان من حديد .. !

يا لله : إننا لا نرى من هنا أو هناك ، سوى جبال شامخة ، بينها تلول من الرمال .. ما أروع هـذا المنظر العجيب .. جبال سمراء ، وأخرى حمراء قانية ، وبينها رمال منسابة متحدرة ، تخالها أنهارا من الذهب الوهاج . !

وهنا وهناك على الشاطئ من الجانبين نُجوع تختلف باختلاف طبيعة الأرض ، فهذا نجع يرتفع عن شاطئ النيل بمتر واحـد أو مترين على الأكثر ، ويحتضنه الجبل فى حنان ودعـة ، كما يحتضن الأب الرحيم ولده فى حرارة الشمس اللاذعة خشية أن تفتك به ، وتضربه ضربة لا يفيق منها مدى الحياة .

وهذا نجع آخر يسير مع الشاطئ فى تتابع وتناثر .. بيوت متواضعة متفرقة إن صح أن تسمى هـذه الأكواخ المتواضعة بيوتا وتسير مع الشاطئ إلى متر أو تزيد ، بيد أنها ليست عريضة عامرة بالسكان ، آهلة بالناس ، ولكنها ضيقة لا تكاد ترى فيها أثراً من آثار الحياة ، اللهم إلا أشباحا هزيلة ضعيفة ، تبدو عليها آثار الفاقة ، وسيما الضنى واللوعة ، والأسى والهمود .

وهذا نجع ثالث تخاله ميتا لا يتنفس فيـه حى ، ولا يعيش فيه مخلوق ، ولكن الباخرة إذا وقفت ، وارتفع صفيرها فى الجو ، انبعث الرجال والنساء من كل حدب وصوب ، يتلقون (القافلة) المائية . التى تسير فى عرض النيل على بركة الله ، تحمل لهم الزاد والمؤنة ، والكسى والمتاع .. إنهم ينتظرونها مرة فى كل أسبوع قادمة من الشلال ، ومرة أخرى قادمة من حلفا ، وفيها البريد .. حتى إذا ارتفع فى الهواء لها دخان ، وعلا لهـا صوت ، انطلقت الحناجر مدوية من هنا وهناك ، فى فرح ومرح وبشر وسرور ، فهذا موعد الرسائل من الأحباب والأزواج ... والآباء والأعمـام .

أجل فأهل هذه النجوع بحيون وأكثرهم نساء مترملات أو فى حكم المترملات ، فهن لم يفقدن العائل بالموت ، ولكنهن فقدنه بالبعد والفراق ، وطول المسافة التى يضل فيهـا الرسول ، والنوى الذى يكاد تتقطع معه سبل الوصل واللقاء ..

وهذا نجع رابع — ومثله كثير — مرتفع جدا ، فهو على ارتفاع خمسين مـترا تقريبا من سطح النيل ، على ربوة مرتفعة صخرية ، عليها المساكن شامخة على الرغم من حقارتها ، عزيزة مع ما هى فيه من ضآلة الشأن ، وقلة القيمة . إن الباخرة لتقف أمام هذه النجوع كأنما هى سائلة حقيرة تستجدى الأكف ،

وتطلب من الناس المعونة والاحسان . !

يا لله ! ما أعجب هؤلاء الذين يقبلون من فوق الجبل من الرجال والنساء ، والبنات والأولاد الصغار فى سرعة عجيبة ، يقفزون فوق الصخور ، على مسافات شاسعة ، بسرعة توقعك فى الحيرة والخوف ، تظن بأن أحدهم سينحدر إلى الهوة العميقة لاقيامة له منها ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل . وكأنما بينهم وبين هذه الصخور المحدبة الدقيقة عهد وميثاق ، لا تؤذى أحدا منهم أو تناله بمكروه . وما أعجب مظاهرهم وهم يفدون زرافات ووحدانا فى ثياب بيض ، وعمائم مثل الثياب . تتماثل كلها فى طرازها وهيئتها وحيا كتها . وما الثوب إلا قميص له جيب واسع ، وأكمام فضفاضة ، والعمامة مكورة فى ضخامة تأبى القلة ، وتأنف من البخل والتقتير ، ومن تحت العمامة ترى هذه الوجوه السود ، وتلمع تلك الأسنان الناصعة البياض ، وتلك العيون الحوراء . وتلوح من جيب القميص ، تلك الصدور السود .. ومن أسفل القميص تلك الأرجل المفلطحة .. إنه لمنظر يستهوى الأفئدة . ويسبى العقول ، وخاصة تلك السذاجة التى تدفعك دفعا لاحترام هؤلاء ، أوبالحرى الرثاء لحالهم ، والإشفاق بهم ، والعطف عليهم أجل . فانك إذا تفقدت أحوالهم ، واطلعت على مواردهم ، أخذ العجب منك كل مأخذ ، وملك الدهش عليك عواطفك . ووجدت نفسك متسائلا فى إلحاح : من أين يعيش هؤلاء ؟

ولن تجد جوابا شافيا على تساؤلك ، سوى الإيمان المطلق والتسليم المطلق . الإيمان بالله الخالق الأكبر ، والتسليم لله الذى لاينسى ، ومحال أن ينسى عبدا خلقه وسواه ، وشق سمعه وبصره ، فخالق الكون كفل الرزق والحياة لكل فرد من الناس ، مادام له عمر ممدود ، وأجل محدود ، كائنا من كان ، صدق الله العظيم . « وفى السماء رزقكم وماتوعدون »

وكأنى بهذا الشيخ المقبل من نجع (السبوع) لناية فى نفسه ، فاهى يا ترى هذه الناية ؟ إن منظره ليثير فى النفس عوامل الأسى واللوعة ، والشفقة والحزن .. إنه قد جاوز الثمانين دون ريب .. أحناه الدهر فكأنما هو قوس متحرك . يتوكأ فى بطء شديد على عصاه . وكأنما هذه العصا رجل ثالثة يدب بها على الأرض ، لارتيابه فى رجليه واعتقاده أنهما لم يحملاه إلى ما يريد ، ومع ذلك فهو يهرول بشدة ، ولكنه لايبلغ السرعة التى يريدها ويتمناها ، فإن أنفاسه منقطعة ، وعبئه شديد الوطأة ، أليم الخطر ..

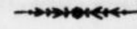
ويلاه .. لقد وصلت الباخرة ورست على الشاطىء أمام نجع (السبوع) ووصل الشيخ المهدم إلى المرفأ ، وجلس متكئا على عصاه أيضا ، واعتمد برأسه عليها فى اطمئنان عجيب .. ولكنه لم يسافر ؟ ولم ينزل إليه من الباخرة أحد ؟ حتى أن من نزل لم يعرج عليه .. ترى أكان ينتظر بريدا ؟ أم تموينا ؟ أم عزيزا لديه من ولد أو حفيد ؟ لم يبد عليه شىء من ذلك ، بيد أن ملامحه كانت تنطق بشىء خفى غريب ، ذلك أنه يأنس بالباخرة ، وأصوات من فيها ، ويطرب بذلك الهرج الذى يحدثه الركاب حينما تقف بين حين وحين . إنها تذكره بعهد الشباب والصبا ، يوم أن كان يقفز هنا وهناك دون حاجة إلى سند أو معين ولا افتقار إلى تلك العصا اللعينة التى تضيق عليه الخناق فهى تلازمه فى كل مكان وزمان .. ومن يدرى فربما تذكره هذه الباخرة بابن له افتقده فى ميعة صباه فهو يحن إليها كلما ترسو ، فيقبل وكأنما ليلقى فيها ابنه الراحل ، وفلذة كبده العزيز .. وارتفع صفير الباخرة وأخذت تبتعد عن المرفأ ، فجمع الشيخ أطراف نفسه ، وقام متحاملا عليها ، وعاد كما جاء ، ولا يزال بصره عالقا بالباخرة ومن فيها وكأنما يودعهم الوداع الأخير .

عبد الحفيظ أبو السعود

للعبرة والتاريخ

نهاية دجال

للأستاذ حسني كنعان



ظهر منذ سبعة عشر عاماً في غوطة دمشق، إحدى جنان الدنيا، رجل أمي يدعى «طه أبا الورد» تخرج في «الطريق» على بعض مشايخ الصوفية، ثم جمع حوله فئة من القرويين الجهال وقطاع الطرق. فتزيا بزي العلماء وأخذ يخرق عليهم وينشر عن نفسه الدعاوى المضللة في قرى الغوطة على يد طائفة من الأتباع الذين أذاعوا عنه الأخبار الملفقة كادعاء أنه هو النبي المنتظر في آخر الزمان الذي يطهر البشرية من أدرانها وأوشابها، وأنه من الملهمين الذين يوحى إليهم، وأنه يبرئ المرضى ويحيي الموتى ويطعم الجائعين، فأصبح في قريته «عربين» مليكا غير متوج، وشاد مسجداً في ضاحية القرية وجعل فيه «زاوية» له بين الخمائل الوارفة ومنحدرات السواقي والأنهار وبين الورود والرياحين، ونصب فيها كعبة مزوقة يتوسطها صندوق من زجاج فيه حجر أسود. وجعل الطواف حولها يغني عن شد الرحال إلى الكعبة في مكة، فجازت هذه الشعوذات على بعض القرويين السذج ولقيت عندهم سوقاً رائجة، ونال صاحبنا بمر الأيام شهرة فائقة وصيتاً بعيداً تجاوز الغوطتين الشرقية والغربية إلى جبال القلمون، وأقبل عليه الناس زرافات ووحداناً وقدموا إليه الهدايا والأموال فغنى بعد فقر، وأثرى بعد إملاق.

وعلم بأمره علماء دمشق فثارت ثائرتهم، وذهبوا إليه في قريته يستطلعون طلعة ليقفوا على خبره، ولكنه كان يتظاهر أمامهم بالورع والتقوى، ويدعي أنه استطاع أن يجعل من اللصوص وقطاع الطرق قوماً متعبدين متنسكين بعد أن استتابهم وأصلحهم ولم يستطع أحد من الوافدين على هذا «المخلوق» أن يقف على جلية أمره.

وبدا لي أن أزوره في يوم جمعة. وكان رسولي إليه من أشد أتباعه تعصباً له، وكان لا يألو جهداً في أن يحدثني — ونحن في طريقنا إليه — عن معجزاته وخوارقه، ويحذرني من الظهور أمامه بمظهر غير لائق بمقامه الرفيع أو الشك في أعماق نفسي بصدق دعوته ونبوته، لأن الرجل يعرف خفايا القلوب وأسرار النفوس، فإذا لقي أمامه إنساناً جاحداً أو كافراً مسخه قرداً أو ابن آوى، ثم قال لي: أنت رجل «ابن حلال» حسب ما يبدو لي فافهم ما قلت لك. فأجبته ضاحكا: لا تخف، فأنا لم أقصد صاحبك إلا من أجل أن أهتدي بهديه وأطهر نفسي مما علق بها من الرجس، فبرقت أسارير صاحبي واطمأن إلي وطمع في رضا سيده عنه وتقريبه إليه. ولما بلغنا المكان الأقدس سمعنا أصوات المؤذنين تتجاوب بها المآذن، وشهدنا زحاماً عظيما على بابه، فشق لي صاحبي طريقاً للوصول إلى المصلى فدخلته ورأيت الناس ما بين قائم وقاعد ومتوضئ، ودنا وقت الخطبة، فخرج على القوم شيخهم غائر العينين، وتراكض القرويون إليه يقبلون يده فحسبته صاحبهم وهممت أن أفعل فعلهم لولا أنني سمعته يقول: استعدوا فنبيكم قادم، فأدركت أنه أحد صحابته المقربين، وما لبث الشيخ أن أقبل على مهل، وروائح الند والكافور والطيب تضوع من أردانه، فخر القوم سجداً وبكيا، فرأيت عملا بوصية ديدباني أن أفعل فعلهم، ولم أدر ما ذا كانوا يقولون في سجودهم غير أنني سمعت رجلا إلى جانبي يقول: «يا أبا الورد، يا منير الظلمة في اللحود، ويا منقذ الصحب في اليوم الموعود، كن لنا شفيعاً للغفور الودود»! وقد طال سجودهم ولم يرفعوا منه رؤوسهم إلا بعد دقائق عشر، ولما نهضوا تقدم فوج النسوة يلثم الأيدي الشريفة، وتبعهن الرجال وأنا في مؤخرتهم، ومذ وقع بصره علي وصافحت عيناه عيني حدجني بطرف موقر وأدرك بثاقب بصره أنني ما أتيت متجشما المصاعب إلا من أجل الوقوف على جلية أمره، فتظاهر أمامي بالورع والسذاجة وأبدى لي الاحترام ورحب بي، وصعد المنبر وأخذ يتدفق في خطابه تدفق السيل وأورد من الأحاديث العجيبة ما لم يسمع به إنسان، ولو أن «سيبويه» سمعه لفضل الموت انتحاراً..

وبكى المستمعون ما وسعهم البكاء، وبدا لهم بثوبه الأبيض الناصع الحريري، وعمامته الضخمة المكورة على رأسه والمنتهية بعذبة طويلة كأنه ملك من الملائكة.. واختتم خطبته ونزل إلى الصلاة وهم يتسابقون إلى التمسح به والسعيد منهم من حظي بلمس

طرف ردائه ، ووقف للصلاة وسبحته الطويلة تهتز على صدره ، ويبدو الكحل في عينيه خطوطاً سوداء براقة ، وما كاد يقرأ الفاتحة حتى اهتز القوم طرباً لبراعته بالتلحين والتطريب حتى كدت أحسب أنه يغني «العتابا» أو «الميجانا» ، وانبعثت من حناجرهم الفولاذية الصرخات المدوية ، وأخذوا يبكون في الصلاة ويجهشون في البكاء ويقفزون في الهواء قفزات بهلوانية ويقلدون أصوات الحيوانات فكنت لا أسمع إلا الثغاء والمواء والعواء والجئير والزئير والهدير . فقت في ساعدي وأسقط في يدي وهممت أن أنفلت من بين الصفوف هارباً ولكني خشيت سوء العاقبة ، وقضيت الصلاة بعد ساعة شعرت فيها أن الأرض قد دارت بي مما عراني من الإعياء والتعب ، فلقد كان يطيل ركوعه وسجوده ويتنطع ويتقعر في القراءة ، وتلمست طريقاً للخلاص متسللا من بين الصفوف دون أن يشعر بي أحد ناجياً بنفسي ، وفور وصولي إلى دمشق أذعت في الصحف نبأ ما سمعت وما رأيت محذراً أولى الأمر والرأي العام من خطر هذا الأفاك الأثيم ، فلم تلق صرخاتي آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية لأن الحكومة الفرنسية كانت تشجعه وتشجع أمثاله وتلقى لهم الحبل على الغارب وبقى هذا الطاغية يعبث بعقول السذج البسطاء من اتباعه فيسلبهم العقل والمال والعرض منذ بدء العهد به حتى يومنا هذا . وقد مد الله ليتيح له فرصة التوبة ولكنه لم يتب برغم بلوغه الستين من العمر ، فأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وألقى الرجل منذ أيام في غياهب السجن بين جدران حاشرة لا يرى فيها نور الشمس ، وها هو ذا اليوم يدان بفضيحة جديدة تثبت سطوه على أعراض النساء اللواتي كن يستسلمن له ، فضيحة جرت فضائح ، كان لها ريح خبيث ، ودوى مزعج ، وصور لا يستطيع أن يرسم أخس منها إبليس نفسه

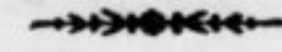
ولقد ثار العلماء وأعلنوا البراءة منه ومن أمثاله ، ونرجو أن يكون مصيره عبرة لكل مخرق يريد أن يخدع الناس باسم الصوفية والدين ، تحسب هذه الشريعة البيضاء النقية ، ما أصابها من سواد ، وما مسها من عكر !

دمشق حسني كنعان

كتاب مقاييس اللغة (*)

لابن فارس

للأستاذ حامد مصطفى



تكثر المخطوطات العربية فى مكتبات أوربا كثرة تدعو إلى الإلتفات إلى هذه الثروة العظيمة من أدب العرب وتاريخ العرب وعلوم العرب. ومها كانت الوسائل التى اجتمعت بها هذه الثروة فى خزائن الكتب الغربية فإن هناك ما يبرر الإرتياح إلى انتقالها إلى تلك البلاد. ذلك أن النهضة العلمية التى قامت فى أوربا على أثر اختفاء نور الحضارة العربية كانت مأخوذة بالحرص على أسباب النهضة ومقومات الثقافة فوجدت فى هذه الكنوز العربية ما يغذى الحركة العلمية ويؤلف عنصراً مهماً من عناصر البحث فأقبلت عليها درساً واهتماماً وحاطتها بكل أسباب العناية والحفظ. هذا على حين كانت العقلية العلمية فى الشرق على الضد من ذلك: فتن وقلاقل وغزوات وانشغال بهذه الحوادث عن العلم والأدب والفنون، فهجر العلماء والأدباء مواطنهم وفقدوا خزائن كتبهم بسبب هذه الهجرة (١) واغتصبت منهم أحياناً فأحرقت أو رميت فى الأنهار. وما أصاب خزائن الكتب العربية لم يكن إلا بقايا هذه الكتب التى بعثرت فى الأرض فأخذت من أيدى الصبيان والجهلة أو استخلصت من لهيب النيران.

وربما كان أول البلاد التى فقدت ثروتها من الكتب العراق وسورية وأحسنها حظاً فى هذا مصر، والحوادث السياسية والاجتماعية هى التى تؤول أسباب فقر ذينك البلدين من الثروة العلمية وحسن حظ هذه منها. على أن الأيام قد عادت بنا إلى الأمل بإمكان العثور على بعض من الكتب القيمة التى لم يكتب لها حظ الطبع والانتشار. ففى بعض المكتبات الشخصية فى العراق يمكننا أن نجد مخطوطات تعد فى طليعة الكتب العربية أثراً وفائدة، منها كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب المحيط للصاحب بن عباد، والمجمل لابن فارس وغيرها ومن بين هذه كتاب المقاييس فى اللغة لابن فارس. ولا بد من الكلام على شىء من سيرة ابن فارس مع الكلام على مؤلفه الذى نحن فى عرض ذكره. فهو أحمد بن فارس الرازى. ينسب إلى الرى. عاش فى أواسط القرن الرابع الهجرى ومات سنة ٣٩٥ عاصر الصاحب بن عباد وابن جنى وأخذ عنه بديع الزمان الهمذانى الأسلوب المعروف بأسلوب المقامات. وفى عصره ظهر مؤلفو المعاجم الأولى مثل الصاحب بن عباد صاحب المحيط والجوهرى صاحب الصحاح والأزهرى صاحب التهذيب.. وكان أديباً حسن الأدب والشعر ومن شعره قوله:

وقالوا كيف أنت فقلت خير ... تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمى هرتى وسرور قلبى ... دفاتر لى ومعشوق السراج

وقوله:

إذا كان يؤذيك حر المصيـ ... ـف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيـ ... ـع فأخذك للعلم قل لى متى

ومن لطيف نظمه قوله:

يا دار سعدى بذات الضال من إضم ... سقاك صوب حيا من واكف العين (١)
إنى لأذكر أياماً بها ولسنا ... فى كل إصباح يوم قرة العين (٢)
تدنى مشعشعة منا معتقة ... تسحها عذبة من نابع العين (٣)
إذا تمززها شيخ به طرق ... سرت بقوتها فى الساق والعين (٤)
والأبريق ملآن من ماء السرور فلا ... تخشى توله ما فيه من العين (٥)
وغاب عزالنا عنا فلا كدر ... فى عيشنا من رقيب السوء والعين (٦)
يقسم الود فيما بيننا قسماً ... ميزان صدق بلا بخس ولا عين (٧)
وقائض المال يغنينا بحاضره ... فنكتفى من ثقيل الدين بالعين (٨)

(*) (الرسالة): نجد فى هذا العدد إعلاناً عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد عبد السلام هارون المدرس بجامعة فاروق

(١) من ذلك أن أسامة بن منقذ (٥٨٤) فقد فى طريقه من مصر إلى الشام أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة.

(١) السحاب ينشأ من جهة القبلة (٢) عين الإنسان (٣) ما ينبع من الماء (٤) الركبة الطرق ضعف الركبتين (٥) تعب يكون فى المزادة والتوله التسرب (٦) الرقيب (٧) الميل فى الميزان (٨) المال الحاضر

والمجمل المجتبى تغنى فوائده حفاظه عن كتاب الجيم والعين

ولست تجد شيئاً عن ابن فارس أكثر من مثل هذه الأخبار المتناثرة شأنه من هذا شأن كثير ممن يترجم من رجال اللغة خاصة، ومن مؤلفاته عدا كتاب المقاييس كتاب المجمل وهو أشهر كتبه، أخذه سماعاً عمن تقدمه من علماء اللغة الذين يثق بهم. وكتاب متخير الألفاظ، وكتاب فقه اللغة، وكتاب الصاحبي في اللغة صنفه للصاحب بن عباد وهو مطبوع بمصر (١)، وكتاب نقد الشعر وغيرها من الكتب المفقودة أو الموجودة في بعض المكتبات المصرية والأوربية. وكتاب المقاييس من أهم مؤلفات ابن فارس في اللغة. وقد ذكره له السيوطي في كتابه المزهر وياقوت في معجم الأدباء. ولم يذكره له صاحب وفيات الأعيان من المتقدمين ولا الأستاذ جرجي زيدان من المتأخرين في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وإنما عرض له في الجزء السابع من مؤلفه هـذا في مناسبة الكلام على بعض المكتبات العربية في العراق. وكتب الأستاذ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي أنه عثر على نسخة من كتاب المقاييس وذكر أوصاف هذا الكتاب ورسمه وحجمه ولكن هذا الوصف لا يصدق على النسخة التي نكتب هذه الكلمة عنها وربما كانت النسخ التي رآها ليست كتاب المقاييس أو أنها إيجاز له. فقد قال أنها تبلغ ٧٧٩ صفحة وهي بقطع دون المتوسط وخطها من النسخي الحسن الصغير الحروف وفي الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً. على حين أن النسخة التي نتكلم عليها تقع في ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبير في كل صفحة ٢٧ سطراً يبلغ السطر بين ١٦ - ٢١ كلمة بخط نسخي جميل.

وفيما يلي فاتحة الكتاب وخاتمته لتمتاز بهما النسخة الحقيقية من هذا الكتاب الجليل:

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله وبه نستعين. وصلى الله على محمد وآله أجمعين. أقول وبالله التوفيق. للغة العرب مقاييس صحيحة وأصول تتفرع منها فروع. وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس ولا أصل من تلك الأصول والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل وله خطر عظيم. وقد صدرنا كل أصل بأصله الذي يتفرع منه مسائل حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه. وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوي أكثر اللغة. فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين. أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان بعد أن قرأ عليه قراءة. قال حدثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المدني عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن ميدان بن كبرة الأصبهاني ومعروف بن حسان عن الليث. ومنها كتابا ابن عبيد في غريب الحديث ومصنف الغريب حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد. ومنها كتاب المنطق. أخبرني به أبي ووالدي فارس بن زكريا عن أبي نصر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكيت. ومنها كتاب أبي بكر بن دريد صاحب الجمهرة. أخبرنا به أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهاني على بن أحمد الساوي عن أبي بكر. فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيها. ومنها استنبطنا كتابنا هذا مقاييس اللغة وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها حتى إذا وقفنا على شيء فيها نسبناه إلى قائله إن شاء الله فأول ذلك كتاب الهمزة ٢٢٠

وخاتمة الكتاب تنتهي هكذا:

« قال الشيخ الإمام الأجل السعيد أبو الحسين أحمد بن فارس وأجزل له الثواب. قد ذكرنا ما شرطنا في صدر الكتاب أن نذكره وهو صدر من اللغة صالح فأما الإحاطة بجميع كلام العرب مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى أو نبي من أنبيائه عليهم السلام بوحي الله تعالى وعز إليه ... والحمد لله أولا وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين والحمد لله رب العالمين. تم على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الغني خليفة بن يوسف النجفي في يوم الجمعة ١٨ رجب المرجب من شهور سنة ١١١٧ (كذا) وألف ٢٢

والطريقة التي اتبعها ابن فارس في تأليف هذا الكتاب الطريقة الأبجدية. وذلك أن المؤلف أراد أن يتجنب العيوب التي

(١) وفي أوله ترجمة نفيسة لابن فارس بقلم ناشره الأستاذ محب الدين الخطيب

تعرض لها الخليل فى ترتيب كتاب العين ووقع معه فيها أكثر مؤلفى المعاجم اللغوية حتى ظهور الصحاح للجوهرى . مثل الهروى وأبى عمرو الشيبانى فى كتابى الجيم والجمهرة لابن دريد والأزهرى فى التهذيب وابن سيده فى كتابه المحكم .

والترتيب الذى اتبعه ابن فارس فى المقاييس هو الترتيب الأبجدى الذى يلتزم إحداث كتب بعدد الحروف الأبجدية ثم إنشاء أبواب تحتها بعدد هـذه الحروف ناقصاً ما سبق منها ترتيبه : ترتب الـكلمات فيها على الأصل الثلاثى بحسب ترتيبها الهجائى ، ينقص من هذه الأبواب بطبيعة الحال مالا وجود له من الأصول فى اللغة ومما لا يراه المؤلف صحيحاً (وقد شرطنا فى أول كتابنا هذا أن لا نقيس إلا الـكلام الصحيح) . مثال ذلك كتاب الهمزة . فإنه يبدؤه بالهمزة ومضاعف ما بعدها وهو الباء مثل الأب وأتٌ وأثٌ وأجٌ وأح حتى يستوفى جميع الحروف ، ثم يحدث باباً للثلاثى الذى أوله همزة مثـل أبتَ وأبث وأبدَ وأبر .. الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والتاء وما يثلثهما مثل أتل وأتمَ . الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والثاء والراء وما يثلثهما مثل أثرَ وأثلَ وأثمَ وأثن وأثوى . وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والجيم وما يثلثها مثل أجح وأجد وأجر وأجص وأجل ... الخ وهكذا يجرى المؤلف حتى يستوفى حرف الهمزة وما يكمل معـه الأصل الثلاثى متبوعاً بغيره . وبعد أن يفرغ من باب الهمزة ينشىء كتاب الباء ويستوفيه على النحو الذى استوفى فيـه كتاب الهمزة . وكذلك يفعـل حتى يأتى على عدد من الـكتب بعدد حروف الأبجدية متروكا منها ما لا أصل له فى اللغة . والطريقة التى يسلـكها فى شرح الألفاظ هى الطريقة القاموسية التى تعطى لـكل لفظ ما له من معنى مع شىء من الشواهد وتصنيف المعانى ما وجد إلى التصنيف سبيلاً . وبذلك فهو يجمع بين طريقة المعجم الخالصة وطريقة فقه اللغة . مثال ذلك قوله فى أول كتاب الباء بت . الباء والتاء له وجهان وأصلان أحدهما القطع والآخر ضرب من اللباس . فأما الأول فقالوا البت القطع المستأصل ، يقال بتت الحبل وأبتت . ويقال أعطيته هذه القطعة بتاً بتا والبتة اشتقاقه من القطع غير أنه مستعمل فى كل أمر يمضى ولا يرجع فيه . يقال انقطع فلان عن فلان فابتتَّ وانقبض . قال شعر

نحـل فى جشم وابتت منقبضاً بحبله من ذرى الغر القطاريف

قال الخليل أبتٌ فلان طلاق فلانة أى طلاقاً باتاً .. الخ

وكذلك كلما جاء على أصل من الحروف تتبع له أصوله وإن لم يجد له أصلا أو لم يره نبه على ذلك بمثل قوله : بخ الباء والخاء قد روى فيه كلام ليس أصلا يقاس عليه وما أراه عربياً وهو قولهم عند مدح الشىء بخ وبخبخ فلان إذا قال ذلك مكرراً له . وإذا شذ عن الأصل لفظ عرف بهذا الشذوذ بمثل قوله : وقد شذ عن هذا الأصل كلمتان : قولهم للرجل العظيم الخلق أبد . قال شعر : ألد يمشى مشية الأبد

حامد مصطفى
عضو فى مجلس التميز الشرعى



ولكنني كسبت القضية!

هي قضية أعرضها عليك يا قارئي العزيز بعد أن كسبتها على حد تعبير حضرات المحامين ...

وأحب أن تعلم قبل أن أحدثك عن القضية أنني رجل لا أطيق أن أرى مخلوقاً في موطن من مواطن الضعف أو المذلة ، ولقد يجبهني شخص بما لا أحب فأفضل ذلك على أن أراه يستعطف ويبكي ؛ ولقد أحب من أحد تلاميذي أن يكلمني في شيء من الجرأة وأن يجهر لي بالقول ، ولا أحب منه أن يستخزي ويضعف ويستكين ...

ومن أراد أن يزحزحني عن شيء عقدت العزم على ألا أتزحزح عنه ، ومن أراد أن يستلب مني أي شيء عزيز علي إن كان ثمة عندي ما يستلب ، فليأت إلي ثم فليتصنع الضراعة وليظهر التفجع والتوجع فإنه إذ ذاك يراني تراجعت تراجعاً عجيباً ثم ليجهش إجهاشة واحدة فعندئذ يراني قد سلمت تسليماً ...

وليغفر لي القارىء إسرافي هذا في الحديث عن نفسي فما كنت لأفعل لولا أنه يتصل بسبب قوي من قضيتي التي أريد أن أتحدث عنها ...

دخلت على أحد ذوي قرباي في بيته وهو ممن يشغلون أحد المناصب الكبيرة ، فلمحت في وجهه من أمارات الغضب والتكره ما لم أر مثله من قبل في هذا الوجه السمح ، وما كاد يراني حتى ابتدرني بقوله : أدخل هذه الحجرة فستجد سيدة مع زوجتي فأخرجها وإياك أن تبطىء أو تتهاون ...

فدخلت الحجرة مندهشاً ، فإذا بي تلقاء سيدة في حدود الأربعين غارقة في دموعها كما يقولون ، ويقطر منديلها الدمع وتسح عيناها سحاً وتجهش حتى لا تكاد تبين الكلام ، وإلى جوارها ابنة لها في نحو الخامسة عشرة حسناء رائعة لولا ذبول وصفرة في محياها ونحول في بدنها ، وطفلان أحدهما في العاشرة أو فوقها قليلا والثاني طريده في العمر ، وكانت البنت تجهش لإجهاشات أمها والطفلان ينظران في دهشة وألم ويمسح كبيرهما عينيه بمنديله .

وعلمت أن زوج السيدة مختلس، وأن التحقيق أدانه ، وأن زوجته باعت حليها وأدت عنه ما اختلس ، وأنها علمت أنه سيطرد من عمله وأن قريبي هو الذي أعد مذكرة يقترح فيها هذا الطرد ؛ وأخرجت السيدة صورة طفلين آخرين من أولادها وقالت ما ذا نصنع جميعاً وإلى أين نذهب ؛ ثم أجهشت إجهاشة طويلة استفرغت فيها كل ألمها ووضعت بنتها وجهها بين كفيها وشهقت شهقة طويلة

وما وقعت والله عيناي على صورة الطفلين الصغيرين، وما سمعت بكاء الأم وبنتها حتى انخلع قلبي وأحسست بالدموع تتساقط على وجنتي ساخنة وأنا لا أدري ماذا أقول ، وما أحسبك أيها القارىء إلا تحبس دمعك في جهد الآن أو لعلك تسخر مني وتضحك من ضعفي سامحك الله ...

واستبطأني قريبي فناداني ، فخرجت إليه وأنا على هذه الحال ، ورحت أتوسل إليه أن يخفف العقاب ، قائلا ما ذنب هؤلاء وأين تذهب هذه البنت ؟ وكيف تطعم الأم هؤلاء الصغار ؟

ونظر إلي طويلا وهو يتفكر ثم قال : « ولكنه مختلس وإنه يسلب حق المجتمع ، إنني تلقاء اختلاس محض ... ألم يكن يعلم هذا المختلس السافل أن له زوجة وبنتاً وأطفالا ؟ »

وقلت ناشدتك الله أن تعفيني من سماع هذا كله — ماذا يصنع هؤلاء وما جريرتهم ؟

وتنهد وقال أنت لا تصلح أن تكون قاضياً . فقلت يرحمك الله ما سألت أحداً أن يجعلني قاضياً ، ولو أعطيت أضعاف ما أعطى أجراً على عملي ما قبلت أن أكون قاضياً وإلا فقد أطلقت كل مستعطف ودفعت ما أقبض من أجر لكل باك متوسل .

وضحك قريبي وقال: لم أرفع المذكرة إلى الوزير بعد وسأقترح خصم نصف مرتبه وإنذاره بالرفت ...

وأسرعت إلى الحجرة فما كدت أفضي إليها بهذا النبأ حتى أقبلت على تريد أن تقبل يدي ، فحلت بينها وبين ذلك في رفق ثم سألتها كيف تعيش الشهر بنصف المرتب ؟ فقالت « وعد إخوانه إن وصل الأمر إلى هذا أن يجمعوا له إعانة ... ولكني لن أرضى بهذا وسوف أبيع صيوان الملابس . »

وخرجت ولست أنسى أبداً نظرة الشكر في عينيها وعيني بنتها ، وعدت إلى قريبي فنظر إلي يسخر من ضعفي وأعاد على قوله : أنت لا تصلح أن تكون قاضياً . . وابتسمت وأجبته ولكنني كسبت القضية .

وإياك أن تسخر من ضعفي أيها القارىء ، وخير ما أرجوه لك أن تكون ضعيفاً مثلي وإن لم تبلغ في الضعف حد البكاء .

الخفيف

تعقيبات

جناية أدبية :

لكل شيء في مصر حمى يرعى من رادع القانون أو زاجر الضمير أو حرمة التقاليد إلا مسألة الملكية الأدبية ، فإنها لا تزال كالكلأ المباح ينتهبه الناهبون تحت سمع الناس وبصرهم في غير تحرج ولا تأثم ، وكأن أثر الفكر ، وهو الغالي العزيز ، كتب عليه في هذا البلد أن يكون كالطفل اللقيط ، يصح لأي عقيم من الناس أن يتبناه ...

على أني قد أستسيغ انتهاب الأثر الفكري يتأتى من جاهل يريد أن يتحلى بالانتساب إلى العلم ، لأنه يكون كجرم الجائع إذ يسرق لياً كل ، ولكن كيف يستساغ هذا الجرم من عالم يجب أن يتحلى بأمانة العلم وكرامة العلماء ، وبخاصة إذا وقع من الحي نحو الميت ، ومن الصديق مع الصديق ، وكان الأمر في هذا معلوماً لسائر الناس ؟

وهذه قصة من قصص الجنايات الأدبية التي تقع كثيراً في مصر ، ولكنها غريبة في أطوارها مريبة في تفصيلها ، وإن الأمر فيها ليتجاوز كل ما ألف الناس في هذا السبيل .

يرجع الفصل الأول من هذه القصة إلى أكثر من عشرين عاماً مضت ، إذ كان أستاذنا وصديقنا الأستاذ محمود مصطفى رحمة الله عليه قد تملكته الرغبة في نقل كتاب قصص إلى اللغة العربية بأسلوب جزل يقوى ملكة الأنشاء في الشباب ويقوم ألسنتهم في التعبير ، وما كان الأستاذ محمود مصطفى يعرف لغة أجنبية ، أو قل إنه كان لا يدرك من ذلك القدر الذي يعينه على النقل والترجمة ، ولكنه رأى أن السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وهو أيضاً لم يتملق بلغة أجنبية قد نقل إلى العربية عدة روايات عن الفرنسية وغيرها ، إذ كان يعتمد في هذا على مترجم ينقل له نقلا حرفياً ، ثم يأخذه فيصقله صقلا عربياً مبيناً ، بعد أن يتصرف فيه على هواه ويجرى به في السرد كما يرى ، ومن ثم قوبلت روايات المنفلوطي هذه بالارتياح والتقدير من ناحية أسلوبها العربي ولكنها قوبلت بالاستنكار من ناحية ارتباطها بالأصل الأجنبي ، حتى قال أحد الأدباء إن من الخطأ والإسراف أن يسمى المنفلوطي عمله هذا نقلا وترجمة وإنما الأحرى أن يسميه مسخاً وتشويهاً .

ثم كان أن نهض الأستاذ الزيات (صاحب الرسالة) بترجمة « رفائيل » و « آلام فرتر » عن الفرنسية بأسلوب عربي هو أسلوب الزيات ، وفي رعاية دقيقة للأصل الأجنبي مكنه منها حذقه للغة الفرنسية ، فقوبل هذا العمل ببالغ التقدير والثناء في الدوائر الأدبية ؛ وكان هو الباب الذي دخل منه « الزيات » إلى ما بلغ من مجد أدبي .

وعلى نهج الأستاذ الزيات أراد أن يسير الأستاذ محمود مصطفى في تنفيذ رغبته ، وأن يراعي في نقل الكتاب الذي يريد نقله دقة الارتباط بالأصل الأجنبي حتى يتقي ما وجه إلى المنفلوطي من نقد وأن يكسب ما كسب الزيات من تقدير ، وقد كان واختار « يوميات الفيلسوف القانع » واعتمد على الأستاذ أسعد عبد الملك — وكان زميلاً له في وزارة المعارف — في نقل هذا الكتاب نقلا حرفياً ، ثم ترك أهله وداره وسكن مصر الجديدة ليتفرغ إلى صقل الكتاب في الأسلوب الذي يريد ، وقد تم له ما أراد وظهر الكتاب في طبعته الأولى وعليه اسم الأستاذ محمود مصطفى — وفيه أسلوبه وروحه وجهده ، وإلى جانبه اسم الأستاذ أسعد عبد الملك الذي نقله عن الفرنسية نقلا حرفياً ... وكان الأستاذ محمود مصطفى شديد الاعتزاز بهذا الأثر ، وكان يحدثني كثيراً عما لاقى فيه من العناء ، وقال لي : لا تحسب يا فلان أن الترجمة الصحيحة عمل سهل ، بل إنه عمل أشق من التأليف ...

وفي هذه الأيام ظهر كتاب « يوميات الفيلسوف القانع » في طبعة ثانية ، ولكنه يحمل اسم الأستاذ أسعد عبد الملك وحده ، ويعلل حضرته هذا الاستئثار بملكية الكتاب بأنه أولا رأى أن أسلوب الكتاب في طبعته الأولى أشبه بأسلوب الجاحظ وابن المقفع وكتاب الصدر الأول فعمد إلى تبسيطه وحذف ما فيه من كلمات وتعبيرات رآها غريبة عميقة مما لا يناسب روح العصر كما يقول ، ومن جهة ثانية لأن الأستاذ محمود مصطفى نزل له عن الإسهام في الترجمة بعقد مؤرخ في ٥ — ٩ — ١٩٢٧ م .

أما مسألة تغيير الأسلوب فإنها جناية على الأستاذ محمود مصطفى لأنه مسخ لجهده ، وجناية على الكتاب لأنه حط من قيمته ، على أني قابلت بين الطبعتين فلم أرهذا التغيير إلا في كلمات وتعبيرات كان الأستاذ محمود مصطفى يشرح معناها ، فحسبها

صاحبنا غريبة لا تلائم العصر .

وأما مسألة العقد فقد حدثني الأستاذ محمود مصطفى رحمه الله أنه لما فرغ من الكتاب اتفق مع زميله على أن يتقاضى منه قدراً من المال وينزل له عن الحق المادي فيه ليتولى هو تصريفه وجمع نقوده لأنه لا يصبر على المساومات المادية ، وقد كان هذا شأن الأستاذ محمود مصطفى في جميع ما ألف من الكتب ، وهب أن الأستاذ مصطفى نزل عن حقه الأدبي فهل يكفي هذا العقد لنقل هذه الملكية ، وهل يصح يا أخي لدور النشر التي تشتري حق تأليف الكتب من المؤلفين أن ترفع أسماءهم من عليها وتدعي أنها من تأليفها وعبقرية أموالها ؟ !

إنه في الواقع عمل غير مستساغ ، إنها تجارة بأكفان الموتى إنها جناية أدبية أضع تفاصيلها تحت الأنظار ليرى الناس فيها رأيهم أستاذي يا صاحب الرسالة . أرجو ألا تغير حرفاً من هذا الكلام فيما يخصك أو يخص غيرك ، فإنه حق الأدب والتاريخ ، وإني لأكتب للأدب والتاريخ ، وقد عاش الأستاذ محمود مصطفى يقاسي أهوالا من الجحود ، وأنا لا أرضى — وأنا تلميذه الوفي — أن يلاحقه هذا الجحود في قبره ، نضّر الله قبره ، ورحمه رحمة واسعة ...

ولكنها الأوضاع المقلوبة :

كتب صديقنا الأديب الأستاذ «وديع فلسطين» في جريدة الأنذار التي تصدر بإقليم المنيا يقترح على جامعة فؤاد الأول أن تأخذ بتلك السنة التي استنتها الجامعات الغربية بمنح الأفذاذ من العلماء والساسة درجة الدكتوراه الفخرية دون أن تكلفهم إعداد رسالة خاصة أو أداء امتحان شفهي كما يحدث مع سائر الذين يظفرون بالدكتوراه .

وبعد أن سرد الأديب أسماء بعض العظماء الذين منحوا الدكتوراه الفخرية من الجامعات الغربية والأمريكية مثل الرئيس ترومان والمستر مارشال والمستر بيفن والدكتور تشارلس واطسون والدكتور فارس الخوري ممثل سوريا في مجلس الأمن قال : « أما في مصر فلا نكاد نشعر بأن جامعاتنا تقدر هذه الدرجة الفخرية ، ولذلك لم تمنحها إلا إلى أفراد لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة مع أن في مصر عشرات من الأدباء والعلماء والساسة الذين يخلق أن تفكر الجامعة في منحهم الدكتوراه الفخرية أمثال الأساتذة عباس العقاد وفؤاد صروف وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وأنطون الجميل باشا وخليل ثابت بك وخليل مطران بك ومحمود تيمور بك وإسماعيل صدقي باشا وعبد العزيز فهمي باشا ، فإن جميع هؤلاء وغيرهم يستحقون عن جدارة أن تكرمهم الجامعة هذا التكريم الرمزي بأن تمنحهم شهادة الدكتوراه الفخرية اعترافاً منها بالخدمات الجليلة التي أسداها كل منهم في ناحية من نواحي الحياة العامة » .

وهذا اقتراح حميد في ذاته ، وأنا أرجو أن تأخذ الجامعة بهذا التقليد ، لا لأن الدكتوراه سترفع من قيمة هؤلاء الأساتذة ، بل لأنه سيكون دلالة على أن الجامعة عندنا قد نضجت وأنها تحسن تقدير القيم الفكرية وتعترف للموهوبين بمواهبهم ، وإلا فإن هؤلاء الأساتذة قد أخذوا مكانتهم في تقدير الأمة وفي تقدير الأجيال القادمة ، ولن تستطيع أية دكتوراه في العالم أن تفرض لإنسان مكانة في هذا وإن فرضت له مكانة في وظائف الدولة وأفسحت له مكاناً في مكاتب الحكومة ...

ولكني أرجو أن لا يتم هذا التقليد في هذه الآونة ، لأننا في وقت أفسدت فيه السياسة الحزبية عندنا كل تقدير وكل تصرف ، ولعل لنا في مسألة اختيار الأعضاء لمجمع فؤاد اللغوي أكبر عبرة ، فقد رأينا كيف يختار فلان وفلان أعضاء في هذا المجمع ، على حين ينسى ويهمل الذين هم أهل لهذا من العلماء والأدباء ، ولولا أن أكون عياباً — كما يقول شيخنا الجاحظ — لضربت بالقول رأس فلان وفلان ممن لا يصح أن يكونوا من أهل هذا المجال قلامة ظفر ، ولكن السياسة الحزبية أصرت على أن تربطهم رغم العلم والأدب بهذا المجال .

وكذلك الشأن لو أن الجامعة أخذت بهذا التقليد المقترح ، فإني أتوقع أن تجري الأمور على ما عرفنا وألفنا ، وسينال الدكتوراه الفخرية كل من هو على شاكلة فلان وفلان ، ولن ينالها أولئك الأدباء والعلماء والساسة الذين ذكرتهم .

يا سيدي . اترك الملك للمالك كما يقول أبناء مصر ، وأنشد مع المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من أهل السواد ... يدرس أنساب أهل الفلا

فنحن في كل أمورنا ما زلنا نأخذ بهذه الأضحوكة ، نجعل تدريس أنساب العرب لكل نبطي أعجمي من أهل السواد ، ونعوذ بالله من انعكاس الأوضاع ، وانتكاس الأوجاع .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بين الشبان والشيوخ :

مسألة الشيوخ والشباب فى الأدب بمصر ، مسألة قديمة ، ظهرت بوادرها منذ سنين ، إذ ذهب بعض أدباء الشباب يعلنون أن الشيوخ يستأثرون بمجالات الأدب ، ويتجاهلون الشبان ، ويسدون عليهم الطرق ؛ وقامت إذ ذاك معركة كان هجوم الشباب فيها عنيفاً ، ودفاع الشيوخ متثاقلا غير مكترث ... وسكن عجاجها : ولكن دواعيها وآثارها بقيت كامنة ، تبدو فى أحاديث المجالس وخاصة بين الشباب ، وتحجم عن الظهور فى كتابة منشورة ، لأن فرقاً من الشباب قد انطووا تحت ألوية الأدباء الكبار ، وخاصة من رأوهم بحيث يقدمون ويؤخرون ، وينفعون وقد يضرون ... ومن الشباب من لم يستطع أن يعلن ثورته ، لأن المشرفين على النشر من الشيوخ لا يمكنون له ، إما مجاملة ، أو لأن ما يكتب يند عن اللّيقان

استقرت الحال على ذلك ، ودامت الهدنة طيلة السنين الماضية ، ولكنها الآن أعيدت جذعة ... فمن أثارها ؟ أهو الدكتور طه حسين بك فى « هلال » يونية الماضى ، أم الأستاذ سيد قطب فى « العالم العربى » هذا الأسبوع ؟

قال الدكتور طه فى مقاله بالهلال : إن الشباب يقولون للشيوخ أفسحوا لنا الطريق إلى الأدب والعلم والفن ، والشيوخ لا يصدون الشباب عن أدب أو علم أو فن ، وتساءل : أليس من الممكن أن يكون ما ينفسه الشباب على الشيوخ إنما هو ما قد ينتجه الأدب والعلم والفن من إقبال الناس على الشيوخ أكثر مما يقبلون على الشباب ؟ وقال إن الشهرة لا تكتسب إلا بالعمل الشاق ، والمال يسعى إلى العاملين وهم أشد ما يكونون ابتذالا له واستهزاء به . والشيوخ فى طريقهم إلى الراحة الموقوتة أو الدائمة ، والشباب فى طريقهم إلى أن يأخذوا مكان الشيوخ ، والذوق كل الذوق الا يتعجل الأبناء مصارع الآباء ، والخير كل الخير أن تقوم الصلات بين الأجيال على المودة والحب لا على التنافس الذى يحفظ القلوب ويفسد الضمائر

مر هذا الكلام عابراً سالماً أربعين يوماً ، ولكن الأستاذ سيد قطب عده اعتداء على دولة الشباب ، فأعلن بدء المعركة بين الشبان والشيوخ فى العدد الأخير من مجلة العالم العربى ، قال إنه يواجه الدكتور وسائر الشيوخ بالحقيقة التى يحسها الشبان ويرددونها فى ندواتهم ومجامعهم : « إن هذا الجيل من الشيوخ قد تخلى عن أمانته ، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب ، ولكن للوطن ، وللمجتمع ، وللانسانية ، وأخيراً للضمير الأدبى كله »

وبين هذا التخلى عن الأمانة بأن شيوخ الأدب لم يرعوا قضايا الوطن المعلقة فى خلال الحرب الماضية ، وإنما انصرفوا إلى الدعاية لقضية المستعمرين فى الإذاعة والصحف والكتب ابتغاء الذهب ، وإيثاراً للذائذ الخاصة على مصائر الأوطان ومصالح الأقوام .

ولما وضعت الحرب أوزارها لم يكونوا فى نصرة الشعوب العربية التى نهضت تطالب بحقها ، ولم يكونوا في الميدان القومى ، بل كانوا فى ميدان الحزبية أبواقاً لها ... ولم يناضلوا لتحقيق العدالة الاجتماعية إلا قلة منهم استجابت فى تخاذل لهتاف الشعب ، واندفعت الكثرة وراء أرستقراطية مصطنعة تتظاهر بها ، ووراء رخاء مادى تناله من ذوى السلطان والثراء ، ثم قال : « هجرتم صحفكم الأدبية العلمية النظيفة ، ورضيتم صحفاً أخرى ، وواعدتمونا هناك ، حيث لقيناكم وبجواركم الأفخاذ العارية والموضوعات القذرة » وقال : « إننا لم نجد عندكم الضمير الأدبى الذى كنا نتخيله فى الأساتذة الموقرين . فأنتم لا تحاولون أن تبرزوا على المسرح إلا أذيالكم وبطانتكم ، والذين يؤدون لبعضكم خدمات شخصية قد لا يؤديها الرجل الشريف ! .. وإننا معذورون إذا شككنا فى شهادتكم لبعض الناس ، وفى إغفالكم لبعض الناس ! »

وهذه التهم التى وجهها الأستاذ سيد قطب إلى شيوخ الأدب صحيحة فى جملتها ، وإن كان قد بالغ فى بعضها واشتط فى بعض ..

ولكن هل هى القضية بين الشبان والشيوخ فى الأدب ؟

لقد كان كلام الدكتور طه فى هذه القضية ، أما الغارة التى شنها الأستاذ قطب ، فليس من العدل أن يُخص بها الشيوخ دون

الشبان ! لأنها قضية الوطن مع الأدباء عامة شيخهم وشابهم ، وإن كانت تبعة الشيوخ فيها أكبر ، بحكم الإقبال عليهم في الأعمال التي أخذها عليهم ، وبحكم مكانتهم والثقة بهم . ولم يكن فيما قاله من قضية الشبان والشيوخ في الأدب إلا ما جاء في الفقرة الأخيرة من أن الشيوخ لا يبرزون على المسرح إلا أذيالهم وبطانتهم ، وأنهم ينحرفون في شهادتهم لبعض الناس وفي إغفالهم لبعض الناس ولكن كيف فات الأستاذ قطب أن هؤلاء الذين يسميهم أذيالا وبطانات من الشبان الذين يقود المركة باسمهم ضد الشيوخ ؟

الاتحاد الثقافي المصري :

عرف القراء مما كتبناه في العدد الماضي من الرسالة ، أنه تقرر أن يقام الاتحاد الثقافي المصري على أنقاض الاتحاد المصري الإنجليزي المنحل

ونضيف الآن إلى ذلك أنه تجرى الآن تصفية أمتعة الاتحاد القديم ومحتوياته ليأخذ كل عضو لا يرغب في الانضمام إلى الاتحاد الثقافي — ما يستحقه نقداً أو عيناً ، وفي جملة هذه الأشياء مكتبة الاتحاد ، وهي مكتبة قيمة تحوى عدداً كبيراً من المؤلفات العربية والإنجليزية ، وأكثر هذه المؤلفات تتناول الموضوعات المصرية من مختلف نواحيها ، وكانت الفائدة الوحيدة التي جنتها مصر من ذلك الاتحاد ، استفادة الشباب المثقفين المصريين الذين انضموا إليه من تلك الكتب

وقد أثير موضوع مكتبة الاتحاد قبل نشأة فكرة الاتحاد الثقافي ، من حيث مصيرها والأسف عليها ، فلما استقر الرأى على تكوين الاتحاد الثقافي ، هشت نفوس الآسفين لملاءمة المكتبة لفكرة الاتحاد الجديد ... ولكن التصفية ستحتم عرضها للمزايدات والمساومات ... وهنا تبدد أمل النفوس الهاشة ، ولا يزال الأمر موضع التفكير

ونحن نعلم أن بين الأعضاء المصريين من كانوا يهبون المئات والآلاف لحفلاتنا الأعزاء ... ولإنشاء نادى المليين الذى انكشف بعد الجلاء عن عراء ... ولما أضيفت إلى (المليين) ميم (المليين)[1]

(١) كان نادى المليين في يد الانجليز ، فلما جلوا عن القاهرة سمى (نادى المليين) .

كانت كبهم المساكين ، ومن أولى بالعراء من المساكين ؟

فهلا تفضل أولئك الواهبون بأقل مما كانوا يهبون لإنقاذ المكتبة ؟

ولكن الأمل ضعيف في هؤلاء ، فالمهم أحب إليهم من العلوم والآداب والفنون ، ولا أحسبهم سينضمون إلى الاتحاد الثقافي ، ولا بأس بذلك فحسبنا الشباب المثقفون ومن في حكمهم من الشيوخ ، أما المكتبة فيمكن فداؤها بجزء من ألف الجنيه التي كانت الحكومة تمنحها سنوياً للاتحاد القديم ، وستستمر على منحها للاتحاد الثقافي الجديد .

هذا وستدعى الجمعية العمومية من الأعضاء المصريين إلى الاجتماع في أوائل أكتوبر القادم ، لتكوين الاتحاد الثقافي . والفكرة السائدة أن أعضاء مجلس الإدارة سيكونون جميعاً من المصريين ، وأن غير المصريين الراغبين في الانضمام إلى الاتحاد يعتبرون أعضاء منتسبين .

بقى أمر نحب أن نفضى به إلى المشرفين على تكوين الاتحاد الثقافي ، ذلك أنه ، وقد هدأت الحالة النفسية التي نشأت مما حدث في الاتحاد القديم والتي كان من نتيجتها الشعور الحاد بالمصرية ، يجب أن نشرك شقيقاتنا العربيات في الاتحاد الثقافي ، ويكون اسمه « الاتحاد الثقافي العربي » لأن العرب جميعاً يتجهون إلى الوحدة الثقافية ، بل هي واقعة فعلا ، وجميع الآراء متفقة على تنمية هذه الوحدة ، وأنها ألزم أنواع التعاون العربي لصالح جميع الأمم العربية .

الشعر والصور :

تتحايل مجلات اللهو والتسلية بشتى الحيل والمبررات على نشر صور النساء المغرية بأوضاعها المثيرة ... فهذه ذات نظرة فاتنة ، وهذه ترجل شعرها بطريقة مبتكرة ، وهذه تداعب كلبها ، وهذه صاحبة أجمل (مايوه) وهذه تبدو في (مايوه سنة ١٩٤٧) وهذه لا يرضى عنها الشيخ أبو العيون ...

ولم يقتصر على ذلك نشاط الصحفيين المشتغلين بهذا النوع من الصحافة ، بل امتد إلى الشعراء يستعينون بهم على جديد في ذلك المضمار ...

— ما رأيك يا أستاذ فى هذه الصورة ؟

— وجه حالم .. يوحى بالشعر !

وينزل (الوحى) على الشاعر فيكون « جوازاً » لنشر الصورة ... وقد أ كثرت تلك المجلات فى الأسابيع الأخيرة من نشر هذه الصور مع أشعار الشعراء ، وقد لا يرى فى ذلك بأساً من ينظر إلى المسألة من الناحية الفنية البحتة ، ولكن الواقع أن ما ينشر من الشعر على هذه الطريقة لا يرضى الخاصة ولا يعجب العامة ، لأنه مصنوع لايعبرعن عاطفة ولا ينبىء عن إحساس ، إنما يقال بدافع الرغبة فى شىء ينشر ، فهو أشبه بتصريحات بعض الكبار للصحفيين التى تكذب فى اليوم التالى ، لأنهم ارتجلوها ثم رأوا أنها لا تليق بهم !

ذكرى محمد عبده :

احتفل فى هذا الأسبوع بذكرى المغفور له الشيخ محمد عبده فنشرت الصحف وبعض المجلات كلمات تناولت صاحب الذكرى من نواحيه المختلفة .

والشيخ محمد عبده حقيق بالذكرى ، والناس فى حاجة إلى دروس من حياته ، فقد كان من أوائل المجددين فى العصر الحديث . جدد فى الفكر الإسلامى ، وكان ممن حرروا الكتابة العربية من تكلف السجع ، فقد عدل عما بدأ به من التزامه ، فأرسل كتابته طليقة منه ، فساهم بذلك فى رق الأسلوب الكتابى وخلوصه من أغلال الصنعة ؛ وقد كان الفضل فى ذلك لتوجيه أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان يدعو تلاميذه إلى صرف الجهد عن الزخارف اللفظية فى الكتابة إلى تأدية المعانى والأفكار مع إحكام التعبير ...

ومن آثار الشيخ محمد عبده الأدبية « شرح نهج البلاغة » و « شرح مقامات بديع الزمان » وكتابته فى مؤلفاته ورسائله الخاصة تضعه فى صفوف البلغاء من الكتاب . وتمام صفاته الأدبية براعته فى الخطابة ، فقد كان من خطباء الثورة العرابية البارزين الذين قادوا الجماهير وغرسوا فى النفوس بذور القومية المصرية ...

ذكرى حافظ :

فى مثل هذا اليوم الذى يصدر فيه هذا العدد من الرسالة أى فى (٢١ يولية سنة ١٩٣٢) نعى حافظ إبراهيم ، فنحن اليوم فى ذكراه الخامسة عشرة ، وليت شعرى ماذا يفعل قومنا فى إحياء ذكرى هذا الشاعر الذى قاوم الاحتلال بشعره ، والذى وضع سيفه فى الجندية المغلوبة على أمرها ، وشهر سيفاً آخر لم يكن إلا شعره ، ووجهه إلى صدور المحتلين .

ما أحوجنا اليوم وفى هذه المرحلة التى تمر بها قضية الوطن قاصدة نحو تمام التخلص من احتلال وادى النيل — إلى ذكرى شاعر النيل وإلى شعره الوطنى الذى عبر به عن آلام بلاده وآمالها داعياً إلى الجهاد لتحريرها وإصلاح عيوبها ورفعة شأنها .

وما أحوجنا اليوم ، وفى هذه الآونة التى اتجهت فيها الأمم العربية نحو الوحدة والتضامن فى الدفاع عن حقوقها إلى ذكرى حافظ إبراهيم الذى دعا إلى الوحدة العربية ، وقال الشعر فى شئون الشرق والإسلام ، وغرد فى حفلات التكريم العربية الجامعة .

وما أحوجنا اليوم ، وقد استراح شعراؤنا من الوطنيات والقوميات و « المناسبات » وتعلقوا بذيل فكرة «الفن للفن» إلى الانتفاع بذكرى حافظ إبراهيم .

« العباس »

هوى وفقر

للمرحوم التيجاني يوسف بشير

سما بالهوى فقرى ومن لك بالهوى
سماوى معنى كله أبداً نبـــل
هوى ساوقته النفس والشعر فانتمى
إلى القلب واستولى مقاوده العقل

وهبت له نعمى الحياة وزدته ذخائر أسرار المفاتن من قبل
وهبت له الدنيا فأثرى ولم أهب له التبر منها إن مشرعه ضحل
عجبت لها كم ذا أروح وأغتدى على ظمأ ، يروى سواى ويبتل
وما بى ما أملت منها وإنما تخيرت من دنيا الصبابة مايحلو
ولى فى كنوز الروح حلوى وغنية
بحسبى لا خلف لديها ولا مطل

غفرت لها أنى شقيت وأنها يصح بهامرضى النفوس وأعتل
وهل كان ما أسموا نضاراً وفضة وما كاثروا الدنيا به وهم قل
وما وهموا فيه الزمان ولم يزل يقدس من رحمانه العلم والجهل
سوى الترب وطأناسوانا فصكه دنانير لم يأخذ بناصرها العدل
ضللنا وسامرنا خداعاً وبهرجاً
ونـكب عن نهج الحقيقة من ضلوا

جراح !

للأستاذ محمد برهام

ياويح نفسى . هل عمرى سأقضيــــه
على الأسى ، وشـــبابى النضر أطويه ؟
يقال لى « كل ما فى الـكون مبتسم »
فما لعينى أصابت ظلمة فيـــه ؟

لا الخرد الغيد تسبينى ملاحتها ولا الرياض بمرأى الطرف تسبيه
أعمى وماهوأعمى،غيرأن رؤى عن الجمال،ودنيا الحسن تقصيه
ليت الذى سرمن دنياه ينصت لى حتى أقول الذى عندى وأمليه
أمشى وئيداً بأعصاب محطمة ومن يرانى خطوى ليس يرضيه
يترحم الخطو تصميراً ، فيظلمنى بالقول يطلقه ، والذنب يلقيه
ترى رديئاً ، ولو لم تقض عن عجل لـكنت بالخير لا بالسوء ترميه
ذهن ملول ، فإن يوكل له عمل يروح ينقضه طوراً ، ويبنيه
يستحسن الليل مالم يستسغه ضحى والرأى يرجع عنه ، ثم يبديه
إنى أطل بمنظار برمت به على الوجود وصرف الدهر مهديه
قد أعجز الـكون فى شتى محاسنه عن أن يسوق لعينى أى ترفيه
حاولت تحطيمه لـكن حلوكته أخشى تدور على جهدى فتفنيه
فما حياتى أسواناً ومغترباً إن المليل جوار الناس يشفيه
دعنى من الناس أدناهم وأبعدهم كل أقل شكاة منك تؤذيه
فداو نفسك بالسلوان عن أمل ظللت عمرك مخدوعاً ترجيه
واهاً لدمع يد الآلام تدفعه إلى الأمام ، وكف الحزم تثنيه
هو الصديق الذى أشكو فيرحمنى ويعلم السر فى همى ويخفيه

أحلام وردة

للأستاذ أحمد عبد الحفيظ سلام

هات يا صبح ورقرق فى ريـــاضى نسماتى
وابعث الأضـــواء ترقص حول غصنى ومضـــاتى
وانـثر الطـــل على كأسى وتـــوج ورقاتى
إننى نضرت من فجـــر حيـــاتى أمنيـــاتى
ربما أنساق من مهـدى إلى شـــعر فتاتى

أيهـــا الجدول وافِ الروض بارى النمـــير
واقذف الموجات فى شـــطى ولطف من هجير
واسـق أغصـــانى وسلا ـــل نفحاتى وعبـــيرى
إننى رقشت من أضـ ـواء أحلامى مصـــيرى
ربما اهتز من ســـحر الهـــوى فوق الصـــدور

خضبي يا شمس من لألائـــك البـــاهى وشـــاحى
والثمينى يا فراشـــا تى بأهداب الجنـــاح
واسكبي الأنفاس فى ثغرى كأنفـــاس الصباح
كى أغنى فى هوى أطيـــا فك البيض الوضـــاح
زهرة يروى شذاها صدر أصحاب الجـــراح

غنى يا طـــير وردد نغمـــة العشاق غنى
واملأ الـكون فإنى منـــك قد ألهمت فنى
حينما تهتز بالألحان يا صـــداح دعنى
أنظم الفن الذى ينساب من وحى المرن
كى يدوى غنـــوة فى عالم الأحباب منى



أسف واعتذار :

منذ أسبوعين انتقلت إلى الإسكندرية ، وكان يشرف على تحرير الرسالة صديقنا الأستاذ على الطنطاوى ؛ ولكنه اضطر فى آخر الأسبوع الماضى أن يعود فجأة بالطائرة إلى دمشق . فى هذه الفترة التى ارتفعت فيها الرقابة منى ومنه عن المجلة نشرت فى (تعقيبات) كلمة ينكرها الذوق والحق فى صديقنا الأستاذ الجليل أحمد أمين بك . وليس فى موضع الإنكار النقد فى ذاته ؛ وإنما موضعه ذلك التهكم الكاذب الذى لا يجوز فى رجل يعد عاملا من عوامل النهضة الفكرية ، ومفخرة من مفاخر مصر الحديثة

فنحن نأسف لنشر هذه الكلمة بهذا الأسلوب . ونعتذر لصديقنا الأستاذ من خطأ لم نكن طرفاً فيه ، ولم يكن فى مقدورنا تلافيه ...

رئيس التحرير

إلى الأستاذ (أبو بكر النمرى) :

أرسلت إلىّ ردك الطويل على تعليقى القصير فرأيت ألا أنشره حتى لا يتشكك القراء فى نيتك حين يرونك تنقل الحديث من الأدب إلى الدين ، وتثير الجدل بين عيسى ومحمد . ولا أدرى مالك ولهذا كله وأنا حين أشرت فى كتابى (دفاع عن البلاغة) إلى غثاثة الترجمة الأمريكية للتوراة والإنجيل لم أكن بسبيل البحث فى رواة المهدين مَن هم ، ولا فى اللغة الأصلية (للأناجيل) ما هى ، ولا فى الترجمات المختلفة للكتابين المنزلين أيها أبلغ ؛ إنما كنت بسبيل التدليل على إفساد الترجمة الحرفية الركيكة لبلاغة الأصل ، فضربت المثل بهذه الترجمة المتداولة بين الناس للتوراة والإنجيل ، وهما فى اعتقادنا من كلام الله أنزلها على موسى وعيسى بلسان قومهما فى صورة من صور البلاغة تناسب المتكلم الأعلى . والترجمة الأمريكية وهى التى قصدناها ليس فيها من العربية غير الألفاظ ، أما أسلوبها فغريب عن أساليب اللغات على الرغم من أن الذين نقحوها كانوا من أفاضل الأدباء النصارى .

ذلك أصل الموضوع ، وهو بهذا التحديد لا يقبل الجدل ، لأن قضية الترجمة الحرفية صادقة ، ولأن الترجمة الأمريكية ركيكة . أما نقل المسألة إلى جهة الخلاف بين الأديان ، وتعارُض ما تعتقدونه مع القرآن ، فذلك موضوع رجاله من غير أهل الأدب ، ومجاله فى غير الرسالة .

(صاحب دفاع عن البلاغة)

من يكون إذن ؟

قرأت للأستاذ إحسان عبد القدوس مقالا بمجلة المصور العدد ١١٨٧ — مقالا تحت عنوان (بنات الصيف) ولست أجد وصفاً لذلك المقال غير أنه دعوة خليعة ماجنة ، وتحلل خلق يدنى من النهاية ، وخروج على تعاليم الإسلام الحنيف وآدابه ، فقد قال حضرته بالحرف الواحد : لست من الهاتفين فى موكب الفضيلة ، ولست من أنصار الشيخ أبى العيون ولا من دعاة الحشمة ... الخ (كذا والله) ولست أدرى ماذا يكون الإنسان إن لم يكن من الهاتفين للفضيلة أو من أنصار الشيخ أبى العيون أو دعاة الحشمة ؟ ؟ !

محمد محمد حسن الديب

إلى الشيخ أبى العيون :

يا سيدى : قرأت حديثك المنشور بمجلة آخر ساعة ، ورأيت صورتيك الملتنتين مع هذا الحديث .

فأما الحديث ، فلا غبار عليه ، ولا شِيَةَ فيه .

وأما الصورتان ، فعليهما ما عليهما ، وفيهما ما فيهما !

وأنا أعرف أن الصورتين ملفقتان . وذلك واضح لكل ذى عينين ؛ ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

فإن كنت يا سيدى لم ترض بما كان فعلّمهم أن يوقروا رجال الأزهر ، ويرعوا حرمات الدين .

وإن كنت يا سيدى — ولا إخالك — قد رضيت بهذا الأمر؛ إيثاراً لذيوع الاسم! وطمعاً فى بعد الصيت ! فوا أسفاه ! ثم وا أسفاه !

ابراهيم محمد نجا
العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية

١ — طرائف ! !

طالعت العـدد — ٥٦ من اقرأ « طرائف من الصحافة » للكاتب الصحافى محمد العزب موسى وبرزت لى من بين سطور الطرائف واللطائف « سخائف » لا تقـل عن أختها طرافة، أورد منها على سبيل المثـال لا الحصر « سخيفتين » اثنتين فى الأخلاق واللغة ...

أما التى فى الأخلاق فهو قوله فى ص ٩٣ :

قالا « أمعك الآن مال فى الجيب الوفور »

قلت « نعم »

قالا « إذن هيا »

هيا إلى امرأة عجوز تعيش فى بار متواضع غير معروف لا تبيع فيه غير النبيـذ الرخيص .. فدلفنا إلى بارها . وشربنا ثلاث زجاجات من النبيذ القاتل ... »

وكنا نظن أن الحديث الشريف « وإذا بليتم فاستتروا » له عند الأستاذ فى مجال الصحافة والتأليف مقام واحترام . ولـكن المؤلف وهو الذى يبدأ اسمه بلفظة « محمـد » يأبى الاعتراف بحديث محمـد .. ولا يجد غضاضة فى عرض الحرام فى كتاب يطالعه من الشباب وغير الشباب ألوف وألوف ...

وأما الثانية — وهى فى اللغة — فـكثيرة الوقوع فى أنهر الجرائد والمجلات الإخبارية التى لا تعنى بالأصل والصواب وإنما تقذفها إلى القراء وفيهم السذج البسطاء — قذفاً جريئاً بلا تحقيق ولا تدقيق ، من ذلك ما وقع فى ص ٢٤ :

« كان أصحاب الصحف أخلاطاً من الناس وكانوا (ثقاة) فى الجهل .. الخ » فالأستاذ يجمع (ثقة) على (ثقاة) بالتاء المربوطة شأنها شأن (الدعاة والسعاة والبغاة . .)

٢ — المرأة والمساواة :

اطلعت فى العـدد — ٧٢٨ من الرسالة الغراء على مقال « بين أدب المرأة وأدب الرجل » للـكاتبة العراقية الفاضلة منيبة الـكيلانى ، وليس بودى أن أتعرض للمقال فى قليل أو كثير وإنما أستسمح الـكاتبة الفاضلة فى أن أقتطف من مقالها الماتع بعض أبيات لشاعرة من شواعر العرب لأقدمها إلى بنات الجنس أولئك اللائى يطلبن المساواة مع نقص الأداة ...

تقول الشاعرة عفيدة بنت عفان :

وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لاتعاب من الـكحل !
ودونكموا طيب العروس فإنما ... خلقتم لأثواب العروس والغسل !!
.. .. الخ

أقول إلى بنات الجنس أهدى هذين البيتين على لسان شاعرة لا شاعر يؤخذ كلامه على الظن والاتهام .. وهى بعد أبيات صريحة تقرر حقيقة المرأة ووضعها فى الأسرة الإنسانية إزاء الرجل ثم يأيها الدافعون عن حقوق المرأة من الرجال .. خذوا الحكمة من شعر الشاعرة ، فعند « جهينة » الخبر اليقين ...

٣ — فى قصيدة :

فى مجلة « العالم العربى » العدد الثالث لشهر يونيو الجارى قصيدة للشـاعر السودانى المرحوم التيجانى بشير بعنوان « فى محراب النيل » فيها هذا البيت :

واستفاقوا يا نيل منك لنغا ... م شجى من الهى ربابك

والقصيدة من الخفيف ، والبيت بصورته مكسور ، وأغلب ظنى أن الصواب فى الأصل ... فحبذا لو انبرى من إخواننا السودانيين من يدلنا على الصواب ، إحقاقاً لشاعرية الشاعر ، ودفعاً للشك العارض غير المقصود . والسلام

عدنان (الزيتون)

الى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى :

اسمح لى يا سيدى الدكتور بتقديم الأسئلة الآتية وأنت أهل لأن تجيب عليها بما يشفى الصدور :

١ — يذكر « التنويم المغناطيسى » محاطاً بالغـموض والإبهام فهل هو علم ثابت الأساس أم شعوذة وإبهام وما مدى اتصاله بعلم النفس .

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه وإن كان هناك خطر فما هو ؟ وهل يتعارض والدين ؟

٣ — الا ترى أنه يمصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة ؟

هذه أسئلة نرجو أن يجيب عليها الدكتور مشكوراً .

« ج ع م »
كوستى السودان



أسطورة من روائع الأدب الروسي :

العمل والموت والمرض (*)

للفيلسوف الروسي العظيم ليو تولستوي

للأستاذ مصطفى جميل مرسي

« هذه قصة الإنسانية من قديم الأزل ... وقصة البشرية منذ فجر التاريخ ... تتجلى لنا فيها النوازع التي تضطرب بين أنفس البشر ، والعواطف التي تمور في قلوبهم ، والنزوات التي تختلج في أفئدتهم ...

تناولها تولستوي بيراعته البارعة الملهمة ، وعقله الفذ الجبار — وقد راعه ما بلغته حال العالم من شر وفساد — فتلمس بين تجاربه البعيدة في الحياة ، ودراسته العميقة للنفوس وحياً طريفاً صاغ منه هذه القصة الرائعة ... التي تتمثل فيها — على بساطتها — الدعوة إلى « الحب والخير » ... وهي دعوة طالما نادى بها تولستوي... بل ظل ينادي بها حتى أدركته منيته وقد بلغ الثمانين ... » « م . جميل »

إنها لأسطورة من تلك الأساطير التي يؤمن بها « هنود جنود أمريكا » ... ويتناقلونها خلفاً عن سلف !.

حينما فطر الله البشر — كما يقولون — جعل الإنسان في غير حاجة للعمل والسعي !. فما تعوزه دار يؤوي إليها ولا ثياب يُلقيها على جسده يتقي بها لفحة الحر ونفحة القُر ... بل ما كانت تضطرب في نفسه رغبة إلى طعام ولا شراب !. فامتدت بهم الحياة مئات من السنين .. لا يعرف المرض إليهم سبيلا ..

فلما تجلى «الله» تعالى على الكون — بعد أن تصرمت حقب ودهور — لينظر خلقه كيف يعيشون .. ألفاهم — وقد حسب أن السعادة ضاربة بينهم أطنابها — يتشاجرون ويتضاربون . وراح كل منهم يعني بنفسه دون رعاية لأخيه ... فساءت حالهم وفسدت دنياهم وحاق الشر بهم ...

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسي » يصدر قريباً

فحدث « الله » نفسه ، وهو يتدبر صلاحية لهذه الحال : « إن الذي أوردهم هذا المصير تفرقهم ، وعيش كل منهم على حدة !» فهيأ الله أمور الحياة ، وجعل من المستحيل على الإنسان أن يحيا دون أن يجد ويعمل !

فسخر عليهم الحر والبرد حتى يسعوا في طلب الملبس وبناء المسكن !. وسلط عليهم الجوع حتى يفلحوا الأرض ويبزروها ماركزت فيها الطبيعة من خيرات ورزق ويخرجوا منها الثمرات فيتخذوا فيها غذاءاً لهم ...

وانثنى «الله» يفكر : «إن العمل سوف يوحد بينهم ويجمع شملهم ، فلن يستطيع كل منهم أن يعتمد على نفسه في صنع آلته وحمل أخشابه وبناء داره وغرس حقله وجني محصوله ونسج ثيابه بعد غزلها ... وتهيئة طعامه !. إن ذلك سوف يجعلهم يدركون أنه ما دام الاخلاص سيدهم والود رائدهم في تعاونهم على العمل !. فسيضاعف الله ما يأتيهم به من الخير والنعم . ويعيشون في رغد وبلهنية ... وسوف يزيد ذلك من وحدتهم وتضامنهم في الحياة ! ... »

***

دارت عجلة الزمن ، وتقضت الدهور سراعاً بعضها إثر بعض ... وعاد « الله » يقلب النظر فيما صارت إليه حال الخلق ... ويرى إن كانوا في عيشتهم سعداء أم ما برح الشقاء ينغص حياتهم ... فوجدهم في حال أشد سوءً مما كانوا عليه ... فقد أقاموا يعملون معاً — كما أرادهم « الله » فليس لهم من سبيل في الحياة غير ذلك — بيد أنهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً وانقسموا على أنفسهم جماعات تحاول كل منها أن تحرم غيرها من العمل وتعوقها عنه حتى تنفرد به وحدها !. .

فراحوا يهدرون أوقاتهم في نزاع لا نفع فيه وينهكون قواهم في صراع لا طائل منه .. فاضطربت أمورهم واختلت حالهم ! ..

فلما رأى « الله » ذلك السوء الذي انحدرت إليه حال الخلق عزم على أن يهيىء أمور الحياة بحيث أن المرء لا يلم بالحين الذي توافيه منيته فيه . فيفاجئه الموت على غرة منه في أية لحظة . ثم أوحى بذلك إلى الخلق .. وقال يحدث نفسه :

« إذا علم كل منهم أن الموت سوف يخترمه في أي حين ..

داخلت قلبه الخشية ، وأشفق أن يضيع ساعات العمر فى شغب وعراك لا يرتد بفائدة عليه ! . »

***

فلما آب « الله » — بعد أن طويت صفحات كثيرة من الزمن — ليراجع النظر فى أمور الخلق ، وكيف يعيشون .. ساءه أن يرى الشر قد اتسعت هوته واستفحل شأنه ! فقد أفاد هؤلاء الذين وهبتهم الطبيعة قوة وجبروتاً من الحقيقة الأبدية التى سنها الله للبشر، ألا وهى أن الإنسان عرضة للموت فى أى حين . فسخروا أولئك الضعفاء وسلطوا عليهم نقمتهم ، فقتلوا منهم كثيرين وراحوا يهددون الآخرين بالموت ..

أصبح هؤلاء الأقوياء ينعمون هم وذريتهم دون أن يعملوا شيئاً ... ثم ما لبثت السآمة أن تسربت إلى نفوسهم من البطالة والعطل أما أولئك الضعفاء فلا يبرحون يعملون فوق طوقهم ويتلمسون شيئاً من الراحة فلا يجدونها ويتنسمون ريح السكينة فلا يصادفونها ..

فأخذ كل فريق يضج بالشكوى ويحمل ألواناً من البغضاء وصنوفاً من الحقد للفريق الآخر .. فازدادت الحياة سوءاً على سوء وتتابع الشقاء شراً إثر شر ! .

فلما أحاط « الله » علماً بما حاق بالخلق ، عقد العزم على أن يرأب الصدع ويقيم الأود .. فأخذ يتلمس وسيلة أخرى لذلك .. فلم يلبث أن سلط عليهم الأمراض والعلل .. وجعلها تشيع بين الناس فلا تذر واحداً منهم ! ..

وظن « الله » أن البشر إذا ما اعتقد كل منهم أنه عرضة لأن يخر صريع المرض ضجيع الفراش ، فلسوف يدر كون ما على الأصحاء من واجب الرحمة والعطف ، ومد يد المعاونة إلى من برحت بهم العلة واشتد عليهم السقم ، إذ أنهم — بدورهم — سيقعون يوماً ما فريسة للمرض ! . وحينئذ يلقون من جانب الآخرين شفقة ورحمة وعوناً . ! ومضى « الله » !

***

حتى إذا عاد لينظر حال الخلق ، وقد تفشى بينهم المرض .. رأى أن السوء قد استفحل أمره واستشرى شره ... فالمرض — وقد ظنه « الله » جامعاً لهم موحداً بينهم — أدى إلى تفرقهم وتنافر بعضهم ....

فأولئك الأقوياء الذين يسخرون غيرهم من الضعفاء فى العمل إضطروهم أيضاً إلى رعايتهم والعناية بهم حيناً تنشب فيهم العلة أظفارها ! .. بيد أنهم لا يسمون إلى معاونة الضعفاء إذا ما مرضوا بل يبالغون فى إرهاقهم ، فلا يتيحون لهم فترة من الراحة للعلاج والشفاء ! .

وجعلوا لهم بيوتاً حقيرة فى عزلة عنهم ، يعانى فيها هؤلاء الضعفاء سكرات الموت ، ويلفظون بين جدرانها أنفاسهم الأخيرة بعيداً عن القوم المنعمين ، حتى لا يكدر منظر هذه المجموع التعسة الشقية — وقد أصابها المرض — متعة الأثرياء وبهجتهم ! ... وحتى لا تتسلل إلى أجسادهم العدوى من هؤلاء المرضى المكروبين ..

فقال « الآله » يحدث نفسه — وقد نفض يديه من أمور الخلق « إن كانت هذه الطرائق والأسباب لا تجعل من البشر من يفطن إلى مستقر سعادته .. فلندعهم يدركونها من بعد ما يعانون منها ما يعانون ! . »

وخلى الله بين الناس وبين أنفسهم ! .

***

عاش الناس حقباً طوالا فى بلاء مع أنفسهم ، قبل أن يدركوا أنه ينبغى عليهم أن يكونوا جميعاً سعداء ...

ففى القرون الأخيرة تجلى الخلق عن فئة من البشر ..

يعلمون حق العلم أنه يجب ألا يكون العمل كشبح مخيف لبعض الناس ، وكغنيمة خالصة للبعض الآخر ... بل يجب أن يكون مدعاة للتعاون لصالحهم ، ومبعثاً لخيرهم وإسعادهم ، وسبيلا لوحدتهم وتضامنهم ! ..

ويعلمون أن الموت ، وهو سيف مسلط على قارب العباد فى غير ميعاد ! .. لا يلائمه إلا العمل الحكيم ، فواجب كل إنسان أن يستفيد من سنوات حياته وأيامها وساعاتها بل ولحظاتها التى وهب إياها .. فيبذلها فى الخير والحب والتأليف بين القلوب !

ويعرفون أيضاً أن المرض — بدلا من أن يكون سبباً للتفرقة وأداة للتنافر بين الناس — يجب — على الضد من ذلك أن يؤدى إلى تهيئة المجال للمحبة والمودة ، والتعاطف والإيناس ...

« طنطا » مصطفى جميل مرسى



العدد ٧٣٤ – الاثنين ٢٨ يوليو ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أحمد عرابي المفترى عليه ... ... : أحمد حسن الزيات ٨٣١
رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٨٣٢
الاستعمار الهولندي يعتدي على جمهورية أندونيسيا الحرة... ... ... } الأستاذ أحمد رمزي بك ٨٣٣
شهر النصر ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ٨٣٥
من صميم الواقع ... ... : الأستاذ محمد سليم الرشدان ... ٨٣٧
عشاق الطعام ... ... : الشيخ محمد رجب البيومي ... ٨٣٩
هوى المرأة ... ... : الآنسة نعمت أحمد فؤاد ... ٨٤٢
الأشغال الشاقة المؤبدة ... ... : الأديب فؤاد السيد خليل ٨٤٤
المرأة ... ... : الأستاذ حامد بدر ٨٤٥
« تعقيبات » : الانتحار في مصر – هذه الألفاظ الأثرية أيضاً ٨٤٦
« الأدب والفن في أسبوع » : مصر وسودانها وشعراؤها – حول ٨٤٨
معجم الحديث – رفض تمثيلية – إصدار المطبوعات واستيرادها – الأدب اللبناني في مصر ٨٥٠
الرسالة الأولى ... ... (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم محمد نجا ٨٥١
« البريد الأدبي » : طرائف – ما جرى من أرى ! – أفي مصر أيضاً ؟ ٨٥٢
– ما زال الضمير مطمئناً – إلى الأستاذ محمود الخفيف – نشيد فلسطين أيضاً ٨٥٤
« الكتب » : من وراء الأفق ... تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن : ٨٥٥
الأستاذ على متولي صلاح ... رمضان ... تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان :
الأستاذ عباس حسان خضر ٨٥٦
اشتراك في الإثم ... ... (قصة) { للشاعر الفرنسي بول بورجيه ... بقلم السيد كمال الحريري ... } ٨٥٧

٢٩٠٧

مجلة الموسوعة الرسالة للعلوم والفنون

ظهر فى مكاتب العراق ومصر

كتــاب

مشـــاكل الفلسفة

تأليف برتراند رسل

وتعريب الأســتاذين

محمود إبراهيم محمد ، عبد العزيز الرسام

الأستاذ بدار المعلمين بغــداد — أسـتاذ علم النفس بدار المعلمين ببغداد

وبالكتاب مقدمة تحليلية عن حياة المؤلف وآرائه الاجتماعية والفلسفية .

يطلب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

ومكتبة العـــراق ببغداد

الطبعة الأولى أو شكت على النفاذ

الثمن

ربع دينار عراقى — ٢٥ قرشاً مصرياً

اطلب من دار الرسالة

ومن جميع المكتبات العربية

١ — تاريخ الأدب العربى

٢ — فى أصــول الأدب

٣ — دفاع عن البــلاغة

٤ — آلام فرتر ....

٥ — رفائيــل......

مطبعة الرسالة :

تقــدم كتاب

احمد عرابى

الزعيم المفترى عليه

للأســتاذ

محمود الخفيف

الكتاب الذى بدأ نشره فى الرسالة

وأوقفته الرقابة أثناء الحرب

يبين فى صراحة وجرأة

حقيقة الثورة العرابية

والحركة القومية ... ودسائس انجلترة

وعدوانها الفاجر على مصر

الحرب والاحتلال ، تفصيل لمحاكمة عرابى ونفيه ، عرابى فى منفـــاه ، الزعيم العائد ... الخ ...

أكثر حقائقه لم تنشر من قبل

بحث يستند على وثائق خطية هامة

يقع فى ٦٠٠ صـفحة — ثمنه ٥٠ قرشاً عدا البريد

يطلب من مجلة الرسالة

أخرجته إخراجاً فنياً :

مطبعة الرسالة

15em Année No. 734
Lundi — 28 — 7 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أحمد عرابى المفترى عليه

ذلك عنوان الكتاب الفريد الذى أخرجه للناس فى هذا الأسبوع صديقنا الكاتب الشاعر المؤرخ الأستاذ محمود الخفيف، عن زعيمنا الوطنى الأبى المجاهد المظلوم أحمد عرابى . وهذا الكتاب هو الحق الذى اختفى منذ خمسة وستين عاماً لم يظهر فى خلالها على لسان ولا قلم ، حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع النبيل رائع البيان ساطع الحجة . والحق كالصبح لابد أن ينبلج مهما تطاول الليل واحلولك ظلامه .

استبهمت معالم الحق فى قضية الضابط الفرنسى (دريفوس) اثنتى عشرة سنة حتى جلاه الكاتب الجرىء إميل زولا ، فأجبر القضاء العسكرىّ على رد اعتباره ، وإطلاقه من إساره .

واستعجمت مذاهب العدل فى قضية عرابى ثلثى قرن حتى أبانه الكاتب النزيه محمود الخفيف ، فإذا عرابى زعيمنا الصادق، وقائدنا الشجاع ، وموقظنا المبكر !

تاريخ عرابى هو تاريخ الثورة الوطنية ، والنهضة القومية ، و(المسألة المصرية) ، والنكبة الإنجليزية ، وقضية الوادى كله . فإذا كُتب على النهج الواضح ، والمرجع الثقة ، والاستقصاء المحيط ، والتمحيص الكاشف ، والاستنتاج الصحيح ، والتحليل الدقيق ، والتعليل الصائب ، والتبويب المحكم ، كان لمصر من هذا التاريخ نور يضيء لها جوانب الطريق إلى (مجلس الأمن) ؛ لأن عرابى هو اليد البريئة التى سخرها القدر لكشف الستار عن مأساة الاحتلال ، والنقراشى هو اليد الجريئة التى يهيئها الله اليوم لإرخاء السِّتر على فصلها الأخير . ومن المحال أن تدرك مرامى الرواية إذا نمت عن بعض الحوادث أو غبت عن بعض الفصول . والأستاذ الخفيف قد اجتمعت له فى هذا الكتاب أولئك المزايا ؛ فهو من حيث المادة لم يدع مصدراً يعول عليه من المؤلفات والمذكرات والمقالات والوثائق والرسائل والأحاديث إلا استمد منه بعد النظر النافذ والموازنة العادلة . ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق ميزاناً يأخذ به ويعطى ، فهو يروى بالنص الصريح ، ويدّعى بالدليل الناهض ، ويُقنع بالحجة العالية ، ويدافع بالحق المبين، ويستقرى فيحسن الاستقراء ، ويستنتج فيجيد الاستنتاج ؛ ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى تبرئة الجندى الثائر ، فسلسل الوقائع والفصول سلسلة المقدمات الصحيحة ، ثم خرج منها بالنتيجة التى لا موضع فيها للشبهة . ومن حيث الأسلوب قد اختار اللفظ السائغ ، والنظم المتسق ، والسياق المطرد ، والعرض الجذاب ، حتى ليستولى على القارىء المعجلان فيمن فيه لولا أن الكتاب ستمائة صفحة والقيظ مقلق والصيام مرهق ، ولكنه على كل حال لن يفتح كتاباً غيره حتى يفرغ منه !

إن هذا الكتاب أول كتاب فى بابه . ولعله هو و كتاب (الله) للأستاذ العقاد كتابا السنة ؛ لأنهما على اختلافهما فى الموضوع والوضع خطَوا بالكتاب المصرى خطوة سديدة ، وأضافا إلى الأدب العربى ثروة جديدة .

احمد حسن الزيات

٥ - رحلة إلى الهند

غاندى فى دهلى وفى المؤتمر

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

(تتمة)

ارتقب الناس قدوم غاندى إلى دهلى أثناء اجتماع مؤتمر العلاقات الآسيوية ، فإن حدثاً عظيماً كهذا يعوّل عليه الهنادك فى الإبانة عن حضارتهم ومكانتهم ، والتمهيد لدولتهم فى آسيا وفى تأييد آسيا لهم فى العمل للهند المستقلة — لا يغيب عنه الرجل الذى يدعوه الهنادك « أبا الأمة » والذى هو أعظم زعيم سياسى ودينى بينهم .

وكان غاندى قبل اجتماع المؤتمر يطوّف فى أقليم بهار ، وهو إقليم فى شرق الهند غربىّ بنغالة ، ثارت فيه فتنة بين الهنادك والمسلمين ؛ والمسلمون قلة لا حول لها هناك فصال عليهم الهنادك ، وفتكوا بهم وقتلوهم قتلا عاماً لا يفرق بين رجل وامرأة ، ولا بين صغير وكبير . وكان لهذه المذابح دويها فى أرجاء الهند ، وأثرها فى هَيج الشر بين الفريقين ، وقد هاجر كثير من مسلمى بهار فراراً بأنفسهم ويأساً من أن يعيشوا فى ذلك الإقليم بعد ما شهدوه من هول تلك الوقائع . ورأيت للمهاجرين محلّة فى كراتشى كأنهم لم يشعروا بالأمن إلا فى أقصى الغرب فى ولاية السند ، حيث للمسلمين الكثرة والغلبة ، وهاجر جماعات منهم إلى أقاليم أخرى .

ذهب زعماء المسلمين والهنادك إلى بهار حين ثارت الثائرة ، وطوّف غاندى فى أرجائه يسكن الهياج ، ويطفىء الثائرة ، ويحاول أن يصلح ما أفسدته البغضاء والعدوان والقسوة والفظاعة فلبث أشهراً يجول فى الإقليم .

ثم جاء إلى دهلى أيام المؤتمر ونزل فى محلة الكنّاسين وهى تسمى بهنكى كولونى (مستعمرة الكناسين) . وفيها دور صغيرة نظيفة بُنيت لهؤلاء المساكين وهم من المنبوذين . ولغاندى مسكن بينهم فى دار لها فناء واسع فى صدره معبد صغير وحجرات من الحصير نزل غاندى فى واحدة منها ونزل فى حجرة بجانبها عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود الشمالية الغربية الذى يسمى غاندى الحدود .

وكان الناس يجتمعون إلى غاندى كل مساء قبيل الغروب ليشهدوا صلاته ويسمعوا خطبته .

وقد ذهبت مرة فرأيت إلى يمين الداخل جمعاً حاشداً وقوفاً وغاندى على منصة مشرفاً على الحاضرين وإلى يمينه عبد الغفار خان حاسر الرأس كعادته ... فانتبذت مكاناً أرى وأسمع ، سمعت صبية هندية تنشد أناشيد بلغات مختلفة منها سورة الإخلاص بالعربية . وسمعتها تقول فى أناشيدها راما كريم ، راما رحيم . بهذين اللفظين العربيين .

وراما أحد الأبطال أو الآلهة فى الدين الهندى .

وهذه الأناشيد من كتب مقدسة مختلفة للهنادك والمسلمين والفرس القدماء الخ ويريد غاندى أن يقرّب بين الناس ما استطاع باقتباسه فى صلاته من كتب مختلفة .

وقد عارض بعض الحاضرين يوماً فى تلاوة آى من القرآن . فترك الصلاة فى ذلك اليوم .

ولما جاء للصلاة يوماً آخر قال إنه تلقى رسالة تطالبه بأن يكف عن تلاوة القرآن فى صلواته أو يترك معبد بلميكى (حيث يقيم) وسأل الحضور أفيهم من ينكر عليه تلاوة آيات من القرآن ، فرفع نفرٌ أيديهم قائلين إنهم لن يمكنوه من الصلاة إن تليت آيات من القرآن فترك الصلاة وصمت قليلا وقال إن الصلاة ذكر الله لتطهير القلب ويستطيع الإنسان أن يصلى صامتاً .

ثم قال فى خطبته التى يلقيها بعد كل صلاة : إنه ليس بالرجل الذى يحجم عما يراه واجباً ؛ ولكن دعوته إلى ترك العنف أوحت إليه أن يترك الصلاة إذا اعترض عليها أحد ولو كان صبياً واحداً . ولكن هذا لا ينبغى أن يؤول بالجبن . إنه ترك الصلاة ليتجنب الجدال والعنف . إن العنف من عمل الشيطان وقد جاهده طول عمره

ثم قال : على الذين ينكرون صلاتى ألا يشهدوها ، فإن شهدوا فليقتلوه إن شاءوا . إنه لن يقلع عن ذكر رام ورحيم وهما عنده

إله واحد . وإنه يموت مطمئناً ذاكراً هذين الإسمين .

إن كف عن ذكر رام ورحيم فكيف يستطيع أن يلاقى الهنادك فى نوكالى والمسلمين فى بهار ، وهنادك نوكالى ومسلمو بهار قتلوا واضطهدوا فى بعض الفتن .

ولما هم بالإنصراف تنازع الحاضرون نخطب فيهم قائماً خمس عشرة دقيقة وقال فيما قال : إن الغضب لا يجدى نفعاً ؛ وإن عليهم أن يفكروا كيف يداوون جروح البنجاب[1] دون أن يؤذوا أحداً . فإن هذا ليس من دينهم .

وانصرف غاندى إلى حجرته ، وتدخلت الشرطة لحفظ السلام .

وكان ذهابى إلى مُقام غاندى فى مساء الخميس ١٠ أبريل . انتظرت بعيداً حتى فرغ من صلاته وحديثه ؛ فجاءنى عبد الغفار خان وشاب من أنصاره اسمه محمد يونس ، ودعوانى إلى الدخول على غاندى فى حجرته ؛ فوجدته قاعداً على الأرض مستنداً إلى الجدار وعليه إزار قصير ، عارى الصدر والظهر . فتحدث عن اللغة العربية وقال إنه حاول أن يتعلمها . وإنها لغة واسعة جداً ، وقال ضاحكا إن للجمل فيها مائتى اسم . وقال إنه قرأ القرآن بالأنكليزية وبالأردية وإنه يؤثر قراءته بالأردية لأن بها كثيراً من الكلمات العربية . فهو يقرأ فيها كلمات من القرآن يجد فيها روحه .

وسألته : أكشفت فى تجاربك الطويلة بين البؤساء عن دواء ينقذ الإنسانية من البؤس ؟

قال : لم أكشف عن هذا الدواء ، ولكنى أعدت الكشف عنه ، هذا الدواء هو الحق وتجنب العنف . الحق هو الدواء . قلت إن المسلمين كذلك يجلون الحق ويقدسونه حتى يسموا الله تعالى — كما سماه القرآن — الحق . قال أعلم هذا .

ثم قال إنه يتكلم كثيراً ولا يجد من يصغى إليه . ولذا يود أن يطيل معنا الحديث ولكنه على موعد .

***

وشهد غاندى المؤتمر مرتين ، شهد إحدى جلساته وحفلة الختام وتكلم فى المرتين فى اتفاق أمم آسيا وفى توحيد العالم كله .

عبد الوهاب عزام

(١) أظنه يعنى الحوادث التى قتل فيها بعض الهنادك فى البنجاب .

صفحة سوداء :

الاستعمار الهولندى

يعتدى على جمهورية أندونيسيا الحرة

للأستاذ أحمد رمزى بك

قضى الأمر ووقعت الواقعة ، وسالت الدماء فى ربوع أندونيسيا ، بعد أن خُيل إلى كثيرين أن دعائم الاستقلال قد وطدت وأن أعلام الحرية قد رفعت ، فإذا نحن بعيدون عن ذلك اليوم . ونأسف مرة أخرى أن يقع بعض ما تنبأنا به ، فقد جهرنا بالقول : إن الدول الاستعمارية أشد اليوم تمسكا بسلطانها من أى وقت مضى ، وإنها تسالم الحركات القائمة وتسايسها وتخضع لبعض مطالبها لكى تتم أهبتها وتستعيد قوتها ثم تضرب الشعوب القائمة ضربات حاسمة ؛ وإن أوروبا تنتظر حتى تضمد جراحها وتجمع شملها وسيكون لها مع الأمم الناهضة موقف جديد . فعلينا أن نستعد لذلك اليوم .

وفى حديث طويل مع ويلكى الأميركى الذى جاب العالم والتقيت به فى منزل قنصل أميركا حينما أتى بيروت صارحته بما أعتقد وقلت له : إن كيان الدول الصغيرة واستقلالها مثل بلجيكا وهولندة والبرتغال يستندان على المستعمرات ، وأن اليوم الذى تنال فيه الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها ، شيئاً من الحكم الذاتى أو التمتع ببعض ما يتمتع به الإنسان فى القرن العشرين من حرية واستقلال ونهضة ، تزول فيه هذه الدول الصغيرة من الوجود وتصبح إما ولايات أو مدناً ساحلية ، لأن بقاءها يعتمد على حكمها للمستعمرات واستغلالها لأراضيها وتحكمها واستبدادها بملايين من عباد الله ، فهل فى نظام العالم الجديد ما يسمح بتحقيق هذه الأهداف ؟ فلم أسمع جواباً من الزعيم الأميركى .

ولقد مضت ست سنوات على هذا اللقاء ، وانتهى عهد روزفلت وويلكى وهما فى مقدمة الرجال العالميين الذين سيذكرهم هذا الكوكب المسمى بالأرض ، لأجيال قادمة ، وتبدلت فى أثنائها

شؤون الكون وتغيرت وانهارت مبادىء وأفكار وآراء وأنظمة بنيت على الطغيان والجبروت ، ولكن مظاهر الطغيان والجبروت لا تزال قائمة وطيدة الأركان فى بقاء هذه الدول الصغيرة تحكم الأمبراطوريات الضخمة وتتحكم فى مصير الشعوب المظلومة ، وأغرب المتناقضات وأبلغها بروزاً هو أن العالم الذى قام يحارب الطغيان والظلم يقر بحق هذه الدول الصغيرة ويعترف بسيادتها على هذه البقاع ولم يقف ليحول دون تعديها . لماذا ؟

لأن مثل هولندة كمثل الطفل المدلل وسط الديمقراطيات الكبرى لأسباب كثيرة وعوامل متعددة سوف نكشف الغطاء عنها . مثلها كمثل الطفل المدلل الذى لا يعجبه شىء ؛ فهو لا يرضى بما تقدمه إليه أميركا وبريطانيا من مزايا هو لا يعجبه الحيوان الأليف يلهو به ويلعب لأن جمعيات الرفق بالحيوان تخيف الدولتين إذا ما عُذب الحيوان الأليف ، أما إذا عذب الإنسان فليس هناك جمعيات تثور وتحتج .

هذا الطفل المدلل لا يرضى أن يلعب بالدبابات والأسلحة ومدافع التومى إلا إذا كانت حقيقية وهو لا يجمعها من الديمقراطيات ليلهو بها ويلعب أو ليضعها فى متحف الأسلحة . هو بطل صغير يرضيه شىء واحد هو التحكم والسيطرة على ثمانين مليوناً هم سكان أندونيسيا ، يريد استعبادهم واستغلال أراضيهم . أما هذه الأسلحة فليست ليلعب بها الطفل المدلل أو يستعملها للزينة والصيد والقنص وإنما يسره ويضحكه ويسليه أن توجه هذه الأسلحة إلى قلوب أهل أندونيسيا ليفنى جموعهم ويجعل منهم يوم نادوا باستقلالهم ، عبرة لمن اعتبر .

هذا الطفل المدلل على الديمقراطيات لم يجد من يقف أمام عبثه ولعبه ، لم يجد من يمنع جنوده وطائراته من المرور ، ولا من يمنع مدرعاته وسفنه المحملة بالعتاد من الوقوف فى البحر . فلماذا لا يحارب ؟ ولم لا يفرض إرادته على جاوة وسومطرة وبقية جزر الهند الشرقية ؟ هذا ما تنبأنا به من قبل . ولكن هنا يبرز الإسلام فى هذه البقاع كقوة مقاتلة مكافحة لا تلين . ما أتعس الاستعمار ورجاله حينما يواجهونه ، تفنى حيلهم وعلومهم وقوتهم أمام هذه الصخرة التى لا تلين . وسنرى من جهاد أهل أندونيسيا صفحة من الجهاد والكفاح فى سبيل العقيدة يبرز فيها ما يجمع بين الموت والبطولة وهما أعظم ما أخرجته النفس البشرية فى هذا الكون وأعظم ما ورثه الإسلام أهله من عظمة وجمال من يوم أشرقت شمس الرسالة المحمدية .

فتحية منا إلى الشهداء الذين سقطوا فى ميدان الحق . إنهم الطليعة الأولى الذين ستتبعهم الجموع ، إذ بموتهم واستشهادهم سيكون الخير كل الخير ، لا للعالم الإسلامى وحده ، بل سيضربون بموتهم مثلا خالداً للعالم كله ولشعوبه التى تئن تحت الظلم والطغيان . إننا ننحنى أمام هذه الطليعة ونحيي الدماء التى سفكت فى سبيل الحق ، ونصلى صلاة الغائب عليها فى مساجدنا الجامعة ونهتف من أعماق القلوب ونقول إنها حية إلى الأبد فى قلوبنا .

***

وغريب أمر المستعمرين ! إنهم شرذمة واحدة تسير على خطوات منظمة . انظر إلى القائد الذى يقول لجنوده : « إنكم لا تعادون الشعب الأندونيسى ، بل تعملون على تحريره من الطغيان والإرهاب » إنه نبوليونى التفكير ، لأن السر عسكر بونابارت خاطب جنوده بهذا الأسلوب وخاطب به أهل الإسكندرية ، ولم يمنع هذا التحرير من الظلم أن أصاب مصر ما أصابها على أيدى جنوده ، ولا يزال لدينا مائة وثمانون أثراً إسلامياً ومسجداً خراباً من هدم جنوده غير الدماء التى سفكوها والحرم التى انتهكت على أيديهم .

ضع هذا التصريح بجانب منشور الطليان حينما دخلوا طرابلس وحينما بدأ بادوليو وجرانزيانى حملاتهما على أهالى برقة وليبيا ، وتساءل هل كان القتل والتشريد وإفناء السكان إلا لتحريرهم ؟ إنهم شرذمة واحدة تسير على خطوات منظمة : لله درهم ! ولكن مضى الوقت الذى كان يصدق فيه الناس هذه الأقوال .

إن أنظار العالم بأكمله تتجه اليوم إلى أندونيسيا وكفاحها وهو لا شك كفاح مجيد ؛ وسوف تتحطم مرة أخرى أصنام الطغيان وتبرز فى العالم القيم الحقيقية المستمدة من روح الشعوب المجاهدة مهما لاقى الأحرار من عنت .

إننى أحييكم من صميم القلب أيها الزملاء فى القتال ، أيها الرفاق فى السلاح ، إنكم بمعارك اليوم وبأقدامكم وضحاياكم تفتحون طريق الحياة للعالم الجديد ، فطوبى لكم !

أحمد رمزى

شهر النصر

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينبأ رجلا من العرب ، ثم كان أول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . ومن يومئذ صار هذا الرجل من العرب رسول الله الذى وجبت على الناس كافة طاعته والامتثال لأمره فيما نهى عنه وما أمر . وذلك أول الإسلام الذى نفض العرب من بواديهم حتى ملأوا الأرض عدلا وإيماناً وتكبيراً باسم الله العلى الأعلى . .

وقد فجئه الحق وهو بغار حراء فى يوم الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، فيومئذ نزل أول القرآن إذ قال له الملك : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسى ! » فقالت خديجة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » . فكان كما قالت رضى الله عنها ، فلم يخزه ربه الذى أرسله بالحق ليهدى الناس إلى صراط مستقيم . وذلك أول الإسلام .

ثم كانت سنة ثنتين من الهجرة ، ففى يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان كانت غزوة بدر الكبرى ، وهى الوقعة العظيمة التى فرق الله فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام ودمغ الكفر وأهله ، وكانت فيصلا فى تاريخ الإسلام . ويومئذ حقق الله للمؤمنين ماوعدهم إذ يقول: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر القوم الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ثم قال الله تعالى يمن على المؤمنين ما أكرمهم به : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)

فكانت بدر الكبرى هى المنة العظمى على البشر جميعاً ، إذ أتاح الله يومئذ للمسلمين أن يسيحوا فى الأرض ، وأن ينصروا الله وأن يجعلوا كلمته هى العليا ، وأن يردوا العرب إلى شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام وهى الحنيفية السمحة ، فانكشفت خلائق العرب بنبلها وكرمها وعدلها وصفائها حتى لم يبق على ظهر الأرض من بلغته الدعوة ، أو من رأى هؤلاء الأحرار المؤمنين حتى تبع قبلهم وآزرهم بالحب ، فمكن الله للعرب أن يفتحوا الأرض ويثلوا العروش ويملكوا ما أظل ملك كسرى وقيصر فى ثمانين عاماً ، وأقاموا حضارة قامت على العدل والمساواة والإنصاف والتسامح ، وعلى رعاية أهل الأديان وحياطتهم ، وعلى رد بغى الباغين وعدوان المعتدين من أى ملة كانوا .

كان الإسلام فيصلا حقاً فى تاريخ الأديان ، وكان أول أمره فى يوم الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان ، وكانت غزوة بدر الكبرى التى نصر الله فيها أهل الإسلام من العرب فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم شاء الله أن يدور الزمن دورته على مجد العرب وحضارة العرب . وأن تكون مصر والسودان مناط آمال العرب فى هذا العصر ، وشاء ربك أن ينعقد إجماع مجلس الأمن على أن تعرض قضية مصر والسودان فى يوم الثلاثاء بعد أن تخلو من رمضان ثمانى عشرة ليلة من سنة ١٣٦٦ من الهجرة ، وهو اليوم الموافق للخامس من أغسطس سنة ١٩٤٧ من ميلاد المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام . إنها إن شاء الله بشرى الحق بأن الله قد كتب لقضية مصر والسودان أن تخرج من معمعة مجلس الأمن مؤيدة بنصر الله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) . فهذا شهر مبارك قد عود الله فيه

العرب والمسلمين أن ينصرهم على عدوهم ، وأن يمكن لهم فى الأرض ، وأن يؤيدهم بالنصر فى ساعة العسرة حيث هم قليل مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ...

ولا يستهينن أحد بخطر هذه القضية ، فإن مصر والسودان هى قلب إفريقية أولا ، ثم هى قلب العالم العربى ، ثم هى قلب العالم الإسلامى كله . فالنصر الذى سوف تناله إن شاء الله على بريطانيا هو نصر لهذه الثلاثة واجتماع لكلمتها ، وتاريخ جديد لحياة إفريقية وحياة العرب وحياة الإسلام .

إنها ساعة فاصلة فى تاريخنا ، فعلى كل مصرى سودانى أن يعد عدة الجهاد ، وأن يملأ منذ اليوم كنانته ، وأن ينصر هذا الوفد الذى سافر إلى أمريكا بيده وقلبه ولسانه . وهذا فرض واجب لا يكاد يسقط عن أحد منا من ذكر أو أنثى . فإننا فى ساعة يصنع فيها التاريخ ، وإن يخطئ المخطئ المتعمد ، أو يولى المقاتل المتهيب إلا كان ذلك فتاً فى أعضاد المجاهدين الذين رموا بأنفسهم فى وطيس المعركة .

ونحن نناشد زعماء الأحزاب الذين تعودوا الخلاف والنزاع أن يكفوا غرب ألسنتهم عن إخوانهم الذين سبقوهم اليوم إلى جهاد عدوهم ، وأن يوجهوا قدرتهم على الطعان إلى نحور القوم الذين اغتصبوا حقنا وآذونا وضربونا بالذل والهوان أكثر من ستين عاماً ، ولم يرعوا فينا شيئاً من إنسانية أو شرف . وكل كلمة تنال من وفدنا إلى أمريكا هى ضرب من التخذيل يسوء مصر والسودان ، ويسر بريطانيا التى تحاول اليوم أن تملأ الدنيا علينا كذباً ، فلا نكونن إذن حرباً على أنفسنا ، وعوناً على اهتضام حقها ، ونصراً لأعدائنا على أنفسنا .

* * *

وحقيق بمصر والسودان فى هذه الساعة الفاصلة التى شاء الله أن يوافق تاريخها الساعات الفاصلة فى تاريخ العرب والإسلام حقيق بها أن تتوجه إلى الرجل العربى الشريف الأصل الكريم المحتد الطاهر النسب ، والذى إن شاء كان النصر الأعظم الحاسم لقضية مصر والسودان ، وكانت كلمته القضاء الفصل والحجة الدامغة لأباطيل بريطانيا ودعواها ، الرجل الذى هو ثانى اثنين فى السودان ، فشق الانجليز ما بينهما بالدسيسة والوقيعة والتخذيل حتى فرقوا بين الأخوين .

فإلى الرجل الذى مثلت بريطانيا بجثمان أبيه الطاهر ، وإلى الرجل العربى المسلم الذى يؤدى حق ربه وحق عباده خاشعاً متخشعاً لله ، وإلى المصرى السودانى الذى أراد الله أن يمتحنه بأعظم المحن فى هذه الساعة الفاصلة فى تاريخنا ، وفى هذا الشهر المبارك من شهور الإسلام — إلى السيد المهدى :

إنك أيها الشريف رجل من العرب ثم رجل من المسلمين قد أكرمك الله وأيدك وبارك لك وأعانك ، والرجل العربى المسلم لا يتخلف عن نصرة الحق بل هو كما قال له ربه : « وكذلك جعلنا كم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » . والرجل العربى المسلم لا يلدغ من جحر مرتين ، وبريطانيا قد لدغتنا جميعاً مراراً كثيرة . أليس زعمها أنها حريصة على استقلال السودان وكفالة حرية أهله فى تقرير مصيرهم ، هو نفسه ما كان يوم دخلت مصر زاعمة أنها لا تريد استعماراً ولا اعتداء ، وأنها إنما تريد تثبيت العرش صدقة وتبرعاً ، فإذا استتب عادت إلى بلادها وجلت عن بلادنا ؟ فهل فعلت أيها السيد الشريف العربى المسلم ؟ إنى لأنزهك عن أن تخدع بكذب بريطانيا فهى أكذب من هذه الحياة الدنيا وأغدر .

وخلائق الدنيا خلائق مومس   للمنع آونة وللإعطاء
طوراً تبادلك الصفاء ، وتارة   تلقاك تنكرها من البغضاء

فهذه بريطانيا العدو المحتال الذى من شيمته أن يوقع بين المتحابين ليحطم بأسهما جميعاً . وهذه مصر التى ربطها الله بالسودان منذ أقدم الأزل والتى هى قطعة من السودان يراد بترها منه ، فإلى أيهما أنت أقرب ، وفى هوى أيهما أنت أرغب ؟

إننا ندعو الله الذى هدانا وهداك إلى الإسلام أن يهديك إلى الحق ويسددك وينصرك ، وأن يوفقك إلى ما يتمناه قلب كل مصرى وسودانى : أن تكون ناصر الإسلام وقاهر الأعداء ومحق الحق ومبطل الباطل ، فتضع يدك فى يد أخيك السيد الميرغنى وتخرجا على بريطانيا مرة أخرى واحدة تعلنان أن مصر والسودان أمة واحدة وأن بريطانيا كاذبة فيما ادعت علينا وعليكم ، وأن لا حياة لأحدنا إذا اقتطع عن صاحبه . افعل هذا أيها السيد الشريف العربى ، تكن أعظم مجاهد فى تاريخ إفريقية وتاريخ العرب وتاريخ الإسلام . افعل هذا فى شهر رمضان الذى أنزل

فيه القرآن ، والذى نصر الله عباده ببدر وكانوا يومئذ مستضعفين فى الأرض يخافون أن يخطفهم الناس . افعل هذا أيها الشريف العربى تنل بكلمة واحدة مجد الأبطال ومجد الملوك ، ويصبح اسمك هدى ومناراً لكل عربى وكل مسلم ما بقى على الأرض عربى أو مسلم . إننى أدعوك باسمى وباسم الصداقة التى كانت بينك وبين أبى رحمة الله عليه . أدعوك دعوة رجل صائم لله وأدعو الله أن يهديك ويؤيدك بنصرك ويمكن لك ، وفى هذا الشهر الطاهر المبارك يرجو المسلم أن تستجاب دعوته : فاللهم أعنا وانصرنا بالهدى . اللهم خذل عنا أعداءنا . اللهم أنقذنا وارحمنا وكن عوناً لنا ولإخواننا فى الدين والعروبة .

أيها الشريف العربى ، إننا وقوف نترقب ، ونتوق ، ونتلهف . وظنى فيك أنك فاعل ما أراد الله من نصرك لأهله ، وأنت أهل الخير ومعدن الكرم وابن الصناديد الأماجد من بنى قحطان . والسلام عليك أيها الرجل سلام أخ وابن أخ .

محمود محمد شاكر

صور مشهودة :

من صميم الواقع ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

عرفت أديباً ذائع الصيت ، طوّف فى بعيد الأقطار وقريبها ، فأفاد من ذلك علماً فى خلائق الناس ، إلى جانب ما هو عليه من سعة اطلاع ورجاحة عقل . وعرفته كذلك عصامياً ابن نفسه ، لم يعتمد على مال يسنده ، ولا جاه يرفده . خاض ميدان الحياة دائباً صابراً ، وانتهى إلى ما أحب دون ما صخب أو جلبة ، ودون أن يظهر عليه أثر من خيلاء الفوز ببلوغ الغاية .

وعرفته إلى جانب ذلك كله مؤمناً — مفرط الإيمان — فى مبادىء اختطها لنفسه ، ومقاييس وقف عندها لا يعدوها مهما يحوطه من ظروف . وربما خطر لى أن أتهمه بأنه يحمل ذلك عن طريق تربيته الأولى ، فهى أصداء تتجاوب فى قرارة نفسه ، وإمله لا يقوى على دفعها ومغالبتها ، بل ربما ضاق بها أحياناً ، فى إحدى هذه الفترات التى أبصره فيها ساهماً واجماً كأنما هو يلمس مكانها من نفسه (كلما عاد إلى تلك النفس) فيقف عند حدود ما أتهمه به ! وهو مع ذلك لا يتنكر لها ، ولا يتبرم بملازمتها ، حين يرى هذا الإجماع من إخوانه وأخدانه على استهجانها واستثقال ظلها ، فى هذا الزمن الذى تغيرت فيه مقاييس الناس واعتباراتهم !

أجل . كذلك عرفته منذ كشف لى عن دخيلة هذه النفس الغامضة ، وطالما سمعته يتحدث إلىّ بصوته الخفيض كلما جلسنا على انفراد ، فيقول : أتدرى — ويحك — من هى فتاة أحلامى التى لم أجد لها شبيهاً منذ شرعت أبحث عنها ؟! فأبتسم فى وجهه وأنا أعلم من هى ، فقد حدثنى عنها طويلا — وإن اختلفت أساليب حديثه — ولكنى لم أجد بداً من أن أسترسل فى مجاملته فأقول : ومن أين لى أن أدرى — يا حفظك الله — من تكون ! فتبدو على محياه سمات الرضوان لهذا (الجهل) ، الذى سيمكن له من أن يطيل فى الوصف ما شاء خياله الجامح ، ويقول : إنها — يا أخى — فتاة قد أصابت حظاً من العلم ، يكفى لأن يجعل منها أماً صالحة وقد تقول إن هذا أمر ميسور يتفق فيه الفتيات جميعاً !! غير أن فتاتى يجب أن تكون إلى جانب ذلك ، ربيبة بيت ما يزال يتفيأ ظلال الدين والتقوى ، ويتقلب ذووه على مهاد وثير من الفضيلة والخلق العربى الكريم . ولابد من أن يكون لها إخوة كذلك ، ألمس فى نفوسهم جانباً من هذه الأخلاق ، وأتحسس مدى رجولتهم وأنفتهم . فأنا مؤمن بالقول المأثور : « تكاد المرأة تلد أخاها .. » ولا يعزب عنك بأننى شديد الحرص على أن يكون هذا (الخال) الذى أتخيّره لابنى ، موضع اعتزازه حين ينصرف إلى أترابه ولداته . ولست أبالى من هذه الفتاة بعد ذلك ، أن تكون كيف شاءت ، فحسبى أن تستوفى جمال النفس وجمال الخلق ، فتجمع الكمال من أطرافه . علم تزينه الفضيلة ، وخلق يجمله النظام والتدبير . وهل سعادة العيش إلا بذلك ؟!

ولا أعترض ما يقول ، فطالما ألفيته شديد الغيرة على هذه الصورة الجميلة التى رسمها فى خياله وحاطها بسياج من أحلامه الذهبية . وما أزيد على أن أقول : وأين تراك واجداً هذا ؟ وهل تظن هذه المتعلمة ستضع نقاباً على عينيها فلا تبصر من آثار هذه المدنية شيئاً ؟! أم تتوهمها (وقد تعلمت) لم تقرأ شيئاً من هذه المجلات الداعرة التى تعرض عليها ألواناً شتى من ضروب العبث

فى كل أسبوع ، وتريها مختلف الأوضاع فى التبرج والعرى ! ثم هى إن زارت (دار الخيالة) ولو لماماً ، أفلا نظنها تقتبس منها ما يشوه عليك هذه الصورة الشعرية الفاتنة ؟! ولا يكون من صديق إلا أن يحدجنى بنظرة ملؤها الأنكار وهو يقول : ستكون حيث وصف لك ، ما دامت قد نشأت فى ذلك البيت الذى عينته

هذا الحديث لم يكن جديداً علىَّ من ذلك الصديق ، ولكن الذى كان جديداً أن أراه قد أقبل على يوماً ، ووجهه يتهلل بشراً ويتدفق سروراً وهو يبادرنى قائلا : ألم أقل لك إنك تسرف فى تشاؤمك حين تزعم أن الذى أبحث عنه ليس فى عالم الحقيقة ؟! لقد وجدتها على ما خيلت ووصفت ، وكأنما كنت أستلهم الغيب حين تحدثت لك عنها ، فما تزيدت فيما قلت شيئاً !! يا لله ما أعجب !! أتظن ذلك من ضروب المصادفة وليس غير !؟

ولا يكون منى إلا أن أشاطر هذا الصديق سروره حين أعلم أنه تقدم فطلب يدها ، ثم أجابه إلى ما طلب ذلك الصهر الذى لم يدع صفة من صفات الكمال إلا نسبها إليه ، ومما حدثنى به عنه أن قال : ليتك كنت معى ، فتسمع إلى رجل يحدثك بقلبه ولسانه (وقليل ما أولئك) ، تراه وأبناءه جميعاً يلبون داعى الله إذا نودى للصلاة فى أوقاتها ، فيتسابقون إليها من صغير وكبير !! ثم إنهم لا يصيبون من طعام أو شراب ، ولا يأتون عملا صغر أم كبر ، إلا متأدبين بآداب الإسلام مقتفين سنة نبيه الكريم !! وما لك لا تراه نسيج وحده بين أهل هذا الزمان ، حين أقسم لك جاهداً : أننى رأيته يدعو أبناءه ليتعطروا قبل الصلاة من يوم الجمعة ، بعد أن يأخذوا زينتهم يأتسون بالنبى فيما كان يصنع . أرأيت ! ! بل أنى لك أن تكون رأيت أحداً من مثله ؟ !

وقال صديق متحدثا عن هذا الصهر التقى كذلك : وقد أحببت — يا أخى — أن أحتاط للأمر . فحدثته أننى رجل كثير الخصوم ، وإن كنت لا أعرف معظمهم !! فهم يخاصموننى لوجه الشيطان ! وينتقصوننى بما يفثأ سخيمة نفوسهم المضطرمة حسداً وغلا ... فقال الرجل النبيل : وهذا مما يزيد قدرك فى نفوسنا ! فذو العلم والفضل محسود من صغار النفوس ، يتلمسون له العيوب ليجذبوه إلى حضيضهم الذى تردوا إليه ، ورضاء الناس غاية لا تدرك ...

فقلت — منشرحاً لما أصاب صديقى من نعمة الاستقرار — إذن بوسعى أن أقول مع الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى
كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

قال أجل . بوسعك بوسعك ! وإننى منصرف إلى أهلى أزف إليهم البشرى ...

وانقضت أيام بعد ذلك . ثم لقيت هذا الصديق (مصادفة) فى ندى ، فإذا هو قد غاض من وجهه ذلك البشر ، وإذا هو ساهم مطرق حائر . فقلت له : ويحك ماذا ألمَّ بك ؟ ألم تعثر على ضالتك المنشودة ؟ فماذا ترتقب بعد ذلك !! قال لا أرتقب شيئاً ، فقد أضللتها ثانية ، ولن أنشدها (من هذا السبيل) بعد اليوم !! قلت وكيف ؟ لعلك انتهيت إلى غاية غير التى توخيت ؟! قال أجل انتهيت إلى شر غاية ! وإن كنت تعدنى بأن لا تجادلنى بسبب ما صرت إليه فيما أحدثك به حدثتك . قلت أعدك ! قال : فاعلم إذن أن الرجل قد نكث العهد وخاس بالوعد !! قلت : التقى النقى (بقية السلف الصالح) كما قلت ؟! قال : إياه عنيت وكان هذا بعد أن أذعت بالخبر فى أهلى ، ولقيت العنت فى إرضائهم ، ورد ما يعترضون به علىَّ !! واعلم أننى من جراء ذلك تنازلت عن يقين طالما حرصت عليه أشد الحرص ، وهو الإنكار على (أبى العلاء المعرى) مدلول بيت من أبياته ، وأنا — بعد اليوم — ممن يرون رأيه . فلا تعجب إن سمعتنى أردد بلسان الإيمان قائلا ما يقوله عن يقين وتجربة ، « وحسبك بالمجرب من عليم !!.. » .

وهنا ألفيت مدخلا عليه ، فإذا أنا أطمئن فى جلستى ، استعداداً لجدال طويل ، وذلك على نحو مما تعودت أن أصنع معه حين أجادله . ولكنه أدرك ما عزمت عليه ، فإذا هو يبادرنى بقوله : ماذا ؟ أنسيت ما اشترطت عليك ؟ !

وما نسيت ، ولكننى أحببت أن أناول ، فلا تفوتنى لذة المناقشة فى هذا التقلب الذى صار إليه ، فقلت : إننى لم أنس ، غير أنى ... فقال مقاطعاً حانقاً : ولا هذه (النير) تجوز لك ، فانته عند حدودها قبل أن توغل !!

فمزَّ علىَّ أن أضيف إلى ما انتهى إليه سوء العشرة ، فقلت : أفعل ! وانتهيت كما أحب . وفى النفس حاجات ...

(القدس) **محمد سليم الرشدان**
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

من وحى الصوم :

عشـــاق الطعام !!

للشيخ محمد رجب البيومي

النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان على الناس بلا هوادة ، فجفف الحلوق وطوى البطون ، وأخذنا نتلمس الليل فلا نكاد نظفر به لقصر مدته ، وسرعة دورته ، وكم امتدت الأيدى إلى عقارب الساعات تستحثها السير ، وتسألها العجلة ، فتمضى بطيئة ثقيلة ، وما تتم دورتها المحددة حتى تهن العزائم بعد قوة ، وتستسلم الأجسام الفتية إلى الضعف والإعياء.

ولقد بينت فى العام الماضى على صفحات الرسالة كيف وقف فريق من الأدباء موقف العداء الصريح من هذا الشهر الكريم فأوسعوه ما لا طاقة له باحتماله من الذم والقدح ، وأريد اليوم أن أرفه عن القراء بحديث قوم أخلصوا لبطونهم واسترسلوا مع شهواتهم فهم يتفقدون الطعام فى كل زمان ومكان ، حتى إذا اشتموا رائحته سقطوا عليه كالضوارى الفاتكة ، وما أجل أن نشيد بذكرهم فى هذه الآونة ، لنعتاض عن الطعام بالحديث عن أبطاله الأفذاذ وفرسانه المغاوير .

وإن تك قد منعت لقاء ليلى فى أخبارها أرج يفوح

ويحب أن نعلن أن التفنن فى المأكل والمشرب ليس مذمة تشين صاحبها ، فقد أباح الله لنا أن نأكل من الطيبات ما لذ وراق « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» كما حرص عز وجل على أن يسهب فى غير موضع من القرآن فى وصف ما بالجنة من فاكهة ولحم طير وخمر ولبن وعسل . لما يعلمه جل ذكره من لهفة ابن آدم على الطعام ، وتطلعه إليه فى شوق وانكباب .

ونحن نرى رجال الصوفية وهم المثل الأعلى فى التقشف والزهد لا يتحرجون من الطعام الكثير متى وجدوه ، فقد كان عمر بن الفارض رضى الله عنه بطيناً سميناً يأكل ويأكل حتى يلفت إليه الأنظار . وكان إبراهيم بن أدهم يتفق معه فى مذهبه ، فقد دفع إلى بعض إخوانه دراهم عديدة وقال : خذ لنا بهذه زبداً وخبزاً وعسلا . فقال ياأبا إسحاق : بهذا كله ؟ فقال إبراهيم ابن أدهم : ويحك ، إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

كما روى عن سفيان الثورى قصة عجيبة فقد جلس على مائدة مليئة وفوقها حمل شهى ، فأخذ يأكل مع أصحابه بنهم ؛ فقال صاحب المنزل : ياغلام ارفع المائدة إلى الصبيان ، فرفع الحمل إلى داخل البيت. فقام الثورى يعدو خلفه . فقال صاحب المنزل إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال آكل مع الصبيان . فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ثانية إليه

ولقد طالعت فى كتب المتصوفين اصطلاحات عجيبة تدل على كلفهم بالمأكل والمشرب . فالحمل عندهم هو الشهيد بن الشهيد ، والقطائف هى قبور الشهداء ، والفالوذج هو خاتمة الخير ، واللوزينج هو أصابع الحور ، وهذا قليل من كثير جداً ذكره الثعالبى فى كناياته ، والأصفهانى فى محاضراته فليرجع إليهما من شاء

وإذن فالكلف بالطعام ليس بمذموم على إطلاقه ، ولكن لكل شىء نهاية ، فإذا أدى الكلف إلى النهم والشره فذلك ما لا يطاق معه صبر واتئاد . وأذكر أن صحابياً جليلا — أظنه ابن عباس — دخل عليه سائل نهم فأكل أكلا عنيفاً ، فجعل ينظر إليه فى تعجب ، حتى إذا خرج من عنده قال لخادمه إياك أن تدخله مرة أخرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء

ويعجب المطلع على الأسفار الأدبية حين يجدها متخمة بأخبار الكثيرين ممن أطاعوا شهواتهم فجن جنونهم بالطعام ، ينصبون له الحبائل ، ويتصيدونه من مظانه ، باذلين ما يملكون من جهد فى تحقيق رغبات أمعائهم ، سالكين شتى الطرق المباحة والمحرمة ، لا يزعهم وازع من خلق ، ولا يقف أمامهم زاجر من ضمير ، حتى كان من أحدهم أن رفع يده إلى السماء — حين قيل له هذه ليلة مباركة — فقال : اللهم اجمل التخمة دائى وداء عيالى . وسلك نهجه شره آخر فقال : اللهم إنى أسألك ميتة كميتة أبى خارجة ، أكل حملا وشرب معسلا ونام فى الشمس ، فلقى الله شبعان ريان دفآن ملآن ! !

ومن المدهش الغريب أن يجاوز النهم طبقات العامة والدهماء إلى الملوك والخلفاء ، وخاصة رجال العصر الأموى فقد أطلقوا العنان لملذاتهم ، ونضدوا الموائد الدسمة لرغباتهم ، وكان كل خليفة ينظر إلى طعام من قبله فيزيد عليه متفنناً متخيراً ، وكأن الطعام قد صار كل شىء فى الدولة ، فهو الميدان الأول للتنافس والمباهاة !

وقد انتقلت حمى الجشع والنهم من الخلفاء إلى الأمراء والحكام فى هذا العصر الشره ، فكان عبيد الله بن زياد يأكل قبل غدائه أربع خرادق أصبهانية . وكان الحجاج بن يوسف ينسج على منواله ، قال سلم بن قتيبة : عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة ، فى كل لقمة رغيف من خبز ، وفى كل رغيف ملء كفه سمك شهى . وكم تندر العرب بنهم خالد القسرى وعبد الله ابن المغيرة الثقفى ، مما يؤكد لنا أن الناس على دين ملوكهم فى كل زمان .

ونبدأ بمعاوية ، فنذكر أنه كان ذا أنياب حادة ، وأضراس مفترسة ، تأتيه المائدة محملة مثقلة فترجع خاوية خالية . وكانت الوفود تترى عليه من القبائل النائية فتعجب لما تشاهد من طعامه وشرابه ، وتتحدث بذلك فى شتى الأصقاع ، حتى قال فيه الوليد بن عقبة :

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبداً ما دام فيها الجراضم

وأهل اللغة يقولون الجراضم هو الواسع البطن الكثير الأكل

ثم نثنى بهشام بن عبد الملك فنسجل له مهارته النادرة فى هذا المضمار ، فقد خرج للتنزه ذات يوم فرأى راهباً يتحنث فى بستان له ، فدخل عليه فأخذ الراهب يجمع له من الفاكهة ما يقدم عادة للملوك والخلفاء ، وهشام يأتى على ما يجيئه غير مقتصد فى نهمه ، ثم قال له : أتبيعنى هذا البستان ؟ فسكت الراهب ولم يجب ، فقال له : مالك لا تجيبنى ؟ فقال وددت لو مات الناس جميعاً غيرك ، قال : لماذا ويحك ؟ فقال الراهب : عسى أن تشبع !

أما الوليد بن يزيد فلم يكتف بالبطولة فى ميدان الطعام بل ضم إليها بطولة أخرى فى ميدان الشراب ، قال ابن أبى الزناد كنت عند الوليد ذات مساء فدعا بالعشاء فتعشينا ثم جاءت المغرب فصلينا ، وجلس ثم قال اسقنى ، فجاءوا بإناء مغطى وجيء بثلاث جوار فصففن بينى وبينه حتى شرب ودهش . فتحدثنا واستسق ، ثم ما زال كذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً من الشراب ! !

وقد يظن كثير من القراء أن هذه الأخبار ملفقة مصنوعة قد ألصقت بأصحابها إلصاقاً لما يرون من غرابتها العجيبة ، وأنا لا أرتاب فى صحتها لحظة واحدة ، لأننا نشاهد فى عصرنا الذى نعيش فيه من يزيدون شراهة ونهماً عمن ذكرنا من الخلفاء ، فعندك « فقهاء »(١) الريف يجلسون على الموائد المتعددة فى ساعة واحدة دون ملالة أوسأم ، وكأنهم يرحمون الخدم فيغسلون الأطباق غسلا لا يحتاج معه إلى تنظيف وتجفيف . ورحم الله الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى فقد ذكر فى الجزء الثانى من المختار ما رآه بعينه من الجشع والشره دون أن يخبره به مخبر ، وهو عندنا صدوق مصدق . ولم لا أعلن القراء أنى شاهدت نهماً يأكل من سفط مملوء بالخبز اللين والجبن — وكنا نركب القطار من المنصورة إلى الزقازيق — فما كدنا نقطع الطريق حتى كان صاحبنا قد ترك الوعاء خالياً مما فيه ، وكان يستعين على أداء رسالته الجسيمة بالشراب المثلج بين الفينة والفينة حتى وفق فى مهمته أكبر توفيق ! ! فهل نشك بعد ذلك فيما ترويه الكتب من أنباء ؟

أما الطاعم الكبرى فهو سليمان بن عبد الملك فقد فاق من تقدمه فى مضماره ، وتحدث الناس بنهمه كما يتحدثون عن معجزة خارقة أخذت بمجامع الألباب ، وهم يروون له قصة عجيبة نسمعها فتدعنا فى حيرة منها ومنه ، وما ظنك بمن يأكل فى مجلس واحد جدياً مشوياً وخمس دجاجات وقصعة كبيرة من الثريد ثم يقعد ليشتكى الجوع ! ! ولقد كان جشعه هذا سبب موته ببطنته ... قال أبو الحسن المدائنى أقبل نصرانى إلى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق بسلتين ، إحداهما مملوءة بيضاً والأخرى مملوءة تيناً ، فقال قشروا ، فجعل يأكل بيضة بيضة ، وتينة تينة ، حتى فرغ من السلتين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فأكله فأتخمه ، فمرض ومات صريع الطعام ! !

ونعرج على خلفاء العصر العباسى وأمرائه فنذكر أنهم ضربوا فى هذا الباب بأوفر سهم ، ويكفى أن نعلن أن الواثق والمتوكل والمستعين والمنتصر والمعتمد لم يكن يعنيهم من أمور الدولة ومشاغلها غير الطعام والشراب . وكانوا إذا فرغوا من الموائد انتقلوا إلى الحديث عنها مع من يلوذ بهم من الأمراء والسمار ، حتى ليجوز لنا أن نسمى هذا العصر عصر الموائد والولائم — كما يقول الأستاذ العقاد — وهل رأيت قبل المتوكل على الله خليفة غضب على سميره ونفاه من مجلسه لأنه لا يتفنن فى الطعام ؟ وهل رأيت أسفاراً ضخمة كتبت فى هذا الموضوع بذاته فى غير زمان بنى العباس ؟ فقد ظهرت ثلاثة كتب فى فن الطبيخ وحده وضعها أحمد بن يوسف الكاتب ، وجحظة البرمكى ، وإبراهيم بن العباس الصولى ، « وخفت مذمة النهم لأنه أصبح قدرة وعلماً وظرفاً ، وكأنه فى ذلك كله أقرب إلى الفخر منه إلى

(١) فقيه القرية : هو مقرئها الذى يحفظ القرآن .

الملامة ، وربما كان الخليفة وجلساؤه يتواعدون إلى الموعد ، ومع كل منهم طعامه يتفكهون باستعراض ألوانه والمقابلة بين صناعاته وطعومه»[1]

وتسألني لماذا أولع المؤلفون بتسجيل نهم الأمويين ومذمتهم دون العباسيين مع أن بني أمية لم يبلغوا شأوهم في هذا المضمار ؟

والجواب أن خلفاء العصر الأموي مبتدعون مخترعون ، لحقت عليهم الملامة والمذمة دون من ترسموا خطواتهم ، لا سيما وقد حكموا الناس بعد الخلفاء الراشدين مباشرة ، وهم كما نعلم أهل تقشف وورع فكانت عورتهم واضحة ، وسبتهم بلقاء ، وليت شعري أين الأرض من السماء ؟!

هذا ولن يتعجب أحد من ميتة سليمان بن عبد الملك بسبب بطنه ، فكثير من الآكلين يرون من الفخر أن تحين آجالهم في معركة حامية تستخدم فيها الأنياب والأضراس ، وتدور رحى الخضم والمضغ ، وهنا تكون الشهادة في ذمة الشره والنهم ، وإن قائلهم ليصيح :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً وخيلا من البرني فرسانها الزبد
فأقضي فيما بينهن شهـــادة بموت كريم لا يعد له لحد ! !

وخيال هذين البيتين يعطيك فكرة جيدة عن النضوج الذهني لعقلية قائلها ، ويخبرك أن بين المهمومين من صقله الطعام ، وثقفه الشراب فأتى في شعره بالتركيب المتسق والمنى البارع ، والعقل السليم في الجسم السليم !!

وأنت لو نظرت إلى أجوبتهم المسكتة ، وردودهم المفحمة لعلمت أن وراء هذه البطون المكتظة عقولا فذة مفكرة تقتحم مناظرها وتستحوذ على الإكبار والإعجاب ، ودونك فاستمع هذه النادرة :

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو على الكوفة جدي يوضع على مائدته فلا يأكل منه ، فتقدم أعرابي وتعرق عظامه ، فقال : يا هذا أتطالب هذا البائس بذحل ؟ هل نطحتك أمه ؟ فأجابه على البديهة ؟ وأنت شفيق جداً عليه هل أرضعتك أمه ؟

وهذا الجواب من الابداع بمكان وهو ينفي تهمة البلادة التي تلصق بهذه الطائفة إلصاقاً ، مع أن الذكاء والغباء لا يأتيان من

(١) ابن الرومي للأستاذ العقاد

القناعة أو الشراهة ، بل هما مما ركب في النفس يوم أن ذرأها الله وإلا فلدي قصة عجيبة تدل على ذكاء لماح ونضوج فذ ، وما أظنها تدع للقارىء شكا في صحة ما أقول :

استضاف أعرابي صديقه وكان نهماً أكولا ، فقدم إليه فخلا من الأوز ، وكانت الأسرة جميعها تأكل معه ، فأخذ الضيف الرأس وأعطاها لصاحبه ، والعجز فأعطاه لامرأته ، والجناحين فأعطاهما لابنيه ، والساقين فأعطاهما لابنتيه ، ثم هجم على الباقي فما ترك منه شيئاً !! وحين اختلى الرجل بزوجته صمم على أن يكثروا من اللحم ما دام الضيف على هذا الجانب من الشراهة . فأحضر على المائدة في المرة الثانية خمس دجاجات ، وانبرى الضيف للقسمة فقال أأقسم بالشفع أم بالوتر ؟ فقيل له بالوتر ، فأعطى الرجل وامرأته دجاجة وقال ثلاثة ثلاثة (١) وأعطى الولدين دجاجة وقال ثلاثة ثلاثة ، وأعطى البنتين دجاجة وقال ثلاث ثلاث ، ثم أشار إلى نفسه وأخذ دجاجتين وقال ثلاثة ثلاثة !! وهنا صاحت المرأة : نريد القسمة بالشفع ، فأعطى الرجل وابنيه دجاجة وقال أربعة أربعة ، وأعطى المرأة وابنتيها دجاجة وقال أربع أربع ، ثم أشار إلى نفسه وأخذ ثلاث دجاجات قائلا أربعة أربعة !! فأكل الجميع في وجوم ثم انصرف الضيف بعد ذلك مشهوداً له بالبراعة والتوفيق !!

(البقية في العدد القادم) **محمد رجب البيومي**

(١) أي أن الرجل وامرأته اثنان والدجاجة الثالثة ... وهكذا .

هوى المرأة

للآنسة نعمت أحمد فؤاد

ليس جمال الرجل هو كل شيء في عين المرأة ، بل هناك صفات أخرى فيه تستهويها وتستبيها ، فالقوة ، قوة الروح ، وقوة الجسم تأسرها وتروعها ، واللفظ العذب المشرق يحلو في سمعها ويسرى في دمها غبطة ، فتنتشى منه وتسكر .

ولعل الرجل الفنان هو أحب الرجال إلى المرأة وآثرهم عندها . إن العلوم من صنع العقل ، وهى حظ مشترك بين الجميع ، ولكن الفنون هبة من الله يمنحها بقدر .

ولكم رأينا من النساء المترفات من تهجر زوجها الطبيب أو العالم ، وتعلق بموسيقار أو رسام أو شاعر .

إن نفس المرأة تفيض رقة لهزج القيثار ، وتلوين الريشة ، وترنيمة الشاعر ... هذه الروائع الخالدة التى أبدعتها السماء ، فجاءت في صفاء جمال البدر ولألاء النجوم ، وباركتها يد الله وكأنها صيغت من القطر حين ينزله من الغمام .

هذا هو التاريخ اسمعه مى يحكى لنا ولع الغانيات ببشار ابن برد الشاعر .

لم يكن بشار وسيما تأخذه العين ، بل كان كما وصفه الأصمعى ضخما عظيم الخلق والوجه مجدوراً طويلا جاحظ المقلتين قد تغشاها لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد ، صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ، ثم ينشد فيأتى بالعجب !

كان بشار بمجلسه الذى كان يسميه « الرقيق » ، وقد مد بساط الراح وحوله ندامى شرابه وعشاق شعره .

كانت ساعة أصيل تودع الشمس فيها الأرض ، وتمنيها الأمانى أن ترسل إليها البدر يرفدها بنوره حتى تطالعها هى فى صباح الغد الجديد . وراحت الشمس ولم تخلف وراءها فى الأفق غير ألوان منها الأحمر والأصفر والأزرق كأنها تستعرض ألوان الزهر الذى تصنعه بحرارتها ، وتعد له فى الحياة ...

ودارت الكئوس على الرفاق حمراء من لون الخمر كأن الورد أراق فيها شرابه فتضرجت ، وارتفع الصخب حتى كاد يغطى رنين الأوتار ، إذ وافى المجلس غانيات خمس كما يوافى الأمل دنيا موعود ، نخشعت الأصوات وكأنها اطمأنت ، وسكنت الضجة حتى وضح عزف المزاهر ، واستوت القادمات مجلسهن حول بشار ، ثم اندفع المغنى يردد قول شاعرنا :

أيها الساقيان صبا شرابى ... واسقيانى من ريق بيضاء رُود
إن دائى الظما وإن دوائى ... شربة من رضاب ثغر بَرُود

وأخذ الشادى يترفق باللحن تارة فتستنيم القلوب من النشوة ، ويشتد به أخرى فتعصف بها الرغبة ويُسمع لها وجيب .

هذا وبشار فى شغل بضيفاته يميل على هذه ويداعب تلك ، ويهمس فى أذن الأخرى ، ويُسر إليها حديثاً لا يسمعه أحد ، ولكنها تضحك فيفتضح المعنى وينكشف السر . وإذ تستجيب له الغانيات ويتهافتن عليه ، تتمنع واحدة منهن وتزور عنه فى كبرياء يمازجها دلال آسر ... ويرتسم العجب على وجه بشار من أهوائها ، فيقبل على غلامه يسأله عنها فيعلم أنها « عبيدة » .

كانت الفتاة كاملة الصغو للمغنى تكاد تشرب النغم وكأنها لا تروى على كثرة العب وطول الرشيف ، حتى إذا انتهى المغنى أخذت عبيدة تعيد النغم بعده وتقلده تقليداً تاماً راع الجمع وأثار دهشتهم . وبشار فى هذه المرة لا يتلاهى عن الغناء ، بل ينصت ذاهلا بحواسه كلها ، حتى ليخيل إلى من يراه أن بصره ذهب فى هذه اللحظة فقط استجابة لرغبته فى أن يكون له عوضاً عن البصر سمعان .

وتفرغ عبيدة من الغناء وتوىء إلى صاحباتها أن يتهيأن للخروج فيلبين دعوتها ، وتخلف وراءها بشاراً غريقاً فى لجج النشوة ، تائهاً عن نفسه وعن الوجود ، حتى إذا استفاق من غشيته ولم يجد الشادية ، انطوى على نفسه ، شارد اللب ، موزع القلب ، يعبث بعود ريحان فى يده يخط به على الأرض تارة ، ويعبث بوريقاته تارة أخرى ، ثم يسبح له خاطر ، فيضغط على وريقات العود ويعتصرها فى كفه ، فتحتضر المسكينة ولا ذنب لها .

ويتقدم إليـه هشام بن الأحنف راويته يسأله بمن يا ترى يهذى فيتمتم :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ويكمل بشار القصيدة ويأمر راويته أن يكتبها ويـلها لغلامه ليبلغها عبيدة التى هشت له ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأ كلن عنده ويشربن ، وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ، ولا تطمعه فى نفسها .

وظل الحبيبان يتزاوران تارة ، ويتبادلان الرسائل أخرى ، حتى شاع الخبر ورق إلى أهلها ، ففزعوا إلى محتسب الجند بالبصرة وأعلموه نبأ بشار ، فأخذ هذا يضيق عليه الخناق ويراقبه ، فامتنع عن عبيدة ، وأسلم نفسه للجوى والسهاد ... وهل غيرها عزاء للمحبين ... ؟

وإنه لذات يوم مع راويته هشام بن الأحنف يملى عليه شعر هواه ، إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ! عبيدة تقرأك السلام ، وتقول لك : قد اشتد شوقنا إليك ، ولم نرك منذ أيام . فقال : عن غير مقلية والله كان ذاك ... ثم قال لراويته هشام : خـذ هذه الرقعة واكتب فيها ما أقول ثم ادفعه للرسول :

عبدَ إنى إليك بالأشـواق لتلاقٍ وكيف لى بالتلاق ؟
أنا والله أشتهى سحر عينيـ ـك وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرسى محتسب الجنـ ـد يلف البرىء بالفسـاق

أعلمت لما ذا أرسلت إليه عبيدة ؟ لم يكن الشوق وحده هو الذى دفعها ، بل أرادت أن تراه لتفضى إليه بالنبأ الخطير ...

إن أهلها عملوا على أن يزوجوها برجل من عمان لتخرج عن البصرة ليخفت الحديث الذى سار بين الناس وتناقلته مجالسهم .

ويذهب القوم ليحتفلوا بزفاف عبيدة ويشهدوا رحيلها مع زوجها إلى عمان ، ويبقى شخص واحد !

نحن هنا (بالرقيق) أيضاً ، ولـكن لا كئوس ولا أوتار ولا ندامى !

إن شاعرنا اليوم كاسف البال ملتاع الفؤاد ، قد اجتمع عليه الوجد والبعد والأسى ثلاثتهم ، وخيم على البيت الصاخب الـكآبة والسكون ... سكون عميق لم يشقه إلا صوت بشار يسأل هشاماً ابن الأحنف : وهل رضيت عبيدة بالخروج مع زوجها إلى عمان ؟ نعم رضيت ، ولعلها على مقربة من عمان الآن ! فينكب بشار على نفسه ، ويتمتم فى صوت خفيض :

هوى صاحبى ريح الشمال إذا جرت
وأشفى لقلبى أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهى تناهى وفيها من عبيدة طيب

نعمت أحمد فؤاد

الأشغال الشاقة المؤبدة

للاديب فؤاد السيد خليل

قالت : ما هى مدة الأشغال الشاقة المؤبدة ؟ قال : خمس وعشرون سنة ، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة فى السجن ، فهل تريدين ارتكاب جناية ؟ فابتسمت وقالت : لقد ارتكبتها وقضى الأمر ! قال : أعوذ بالله ! ما ذا فعلت ؟ قالت : تزوجت ! وعلى الرغم من محافظتى على النظام والطاعة ، وتبرعى بما هو أكثر من النظام والطاعة ، لم تنته مدة عقوبتى بعد نيف وعشرين سنة ، ولا أظنها تنتهى أبداً ! قال : وما هو أكثر من النظام والطاعة ؟ قالت : العناية والتضحية والتشجيع ، ألم تستقل مرتين وتعرض حياتنا كلها للشقاء فشجعناك ! قال : إنما كنت أعرضها للسعادة ! قالت : هذه أمنية ! قال : على كل حال كانت محاولة لم تنجح ، وشكراً لك . وما هى الأشغال الشاقة التى تفعلينها ؟ ألا يقوم الخدم بأعمال المنزل ؟ قالت : أيقومون بها دون مساعدتى بل اشتراكى الفعلى ؟ ومع ذلك فهذه أمور يسيرة ! قال : أعندك بعد هذا ما يسمى أشغالا شاقة ؟ ! قالت : نعم ! الفكر ، والصبر ، والقهر ! قال : لا تبالغى ! قالت : إنك لا تنكر أننا لا نبلغك « كوارثنا » إلا بالتدريج ، وبعد أن ننتهى من علاجها إن استطعنا ، وإنك قد تأتى من الخارج ، أو تصحو من نومك ، فلا تعلم كيف قضينا النهار أو الليل فى قضايا وإسعاف وتمريض ! قال : ولا تنكرى أننى لا أبلغكم مصائبى أبداً ، وأننى أعمل كالرجل الذى كان إذا أراد أن يدخل منزله ركع وقال للتعب والهم تفضلا فانزلا ! فإذا خرج من عتبة داره ركع ثانياً وقال لهما اركبا الآن يا ابنى الزمان ! قالت : ولكننا نقرأ كل شىء فى وجهك ونخبرك به ! فهل استطعت أنت مرة أن تقرأ ما نخفى عنك ؟ قال : أشهد أننى أمىٌّ فى قراءة الوجوه الناعمة ! تخبرينى بما عندك ، وبالتدريج من فضلك . قالت : ابنك الكبير لم يكتب إلينا منذ بضعة شهور . قال : لأننا نكتب إليه ، ونسأل عنه ، ونحبوه عطفنا قبل أن يحتاج إليه ، فهل تحبين أن نضطره إلى الكتابة ؟ قالت : وهذا الطفل لا (يتعاطى) إلا الماء والشاى والبطيخ ! قال : أخشى أن يأتى يوم تشتكين فيه من أنه (يتعاطى) كل شىء ! قالت : لا تمزح ، فإنى لم أبلغك إلا أخف الأخبار ! قال : فما الأخبار الثقيلة ؟ قالت : هذه البنت تلزمها عملية جراحية وقد تموت فيها . قال : الأعمار بيد الله ، والحكومة (الله يسترها) تنقل الموتى من الموظفين وعائلاتهم إلى بلادهم على نفقتها ، أما الأحياء فإنها تتركهم إلى أن يموتوا ! قالت : فما ذا كنت تريد ؟ قال : كنت أفضل أن تنقل الأحياء كل عشر سنوات (بدل وفاة) ولا تتركهم يموتون من الحر والقهر ! قالت : وإذا ماتوا ؟ قال : تدفنهم حيث يموتون ، فليسوا خيراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالت : لا تخرج عن الموضوع ، فقد تشفى البنت و ... قال : وهذه مصيبة أخرى ! قالت : ألا تنظر أبعد من أنفك ؟ ! ألا تعلم ما يلزم لكل فتاة ؟ إنه هم ثقيل . قال : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . قالت : فإنى لم أبلغك بعد أثقل الأخبار ! قال : هاتى أثقل ما عندك ! فابتسمت بحرارة وهى تقول : ابنك الثانى رسب فى الامتحان كما تعلم و ... قال : نعم ، وسينجح فى الملحق . قالت : كلا ! إنه يأبى أن يذاكر ولا يريد أن يدخل المدارس ! قال : لاشك أنه جُنّ ! قالت : لم يجن بعد ، ولكنه فى دور المراهقة ، وأنت تعلم خطورة هذا الدور عليكم معاشر الذكور . قال : إننى لا أعلم هذا الدور على التحقيق يا عزيزتى ، لأننى ولدت بعده ! قالت : لا يغرنك أن عصمك الزواج المبكر ، فإن بعض الشيوخ يموتون وهم لا يزالون فى دور المراهقة ! قال : أتمنين أنه (كالحصبة) لا بد أن يمر به كل إنسان ؟ قالت : نعم ، وهو على الكبار أخطر ! قال : فما العلاج ؟ قالت : للصغار الرياضة وللكبار الزواج . قال : فهل تنصحين لى إذن بأن أتزوج ؟ فابتسمت وقالت : نعم ! إذا مت أنا ووجدت من ترضى بك ! قال : أرجو إذن أن تموتى الآن أو لا تموتى أبداً ! قالت : أسأل الله أن أموت قبلك ! قال : بل اسأليه أن يعيش أحدنا حتى يربى الأطفال . قالت : وبم أربيهم أنا إذا بقيت لا قدر الله ؟ قال : بالمعاش ! قالت : وكم يكون هذا المعاش ، ومن يستطيع الحصول عليه ؟ ! ألم تقرأ أن والدة كاتب النيابة الذى قتله (الخط) فى العام الماضى لا زالت تسعى للحصول على معاش ابنها بدون جدوى ! قال : أعجزت النساء أن يلدن من يستطيع حل هذه المشكلة ؟ قالت : إن النساء لم تعجز ، ولكن

خواطر مسجوعة :

المـــــــرأة

هي الناعمة الجبارة، واللينة القهارة، ذات الأدوار الغريبة والأطوار العجيبة ...

أردت وصفها فأبدت زيفاً، وتنكرت كمّاً وكيفاً؛ والمرأة إن تنكرت عكرت. وإن تغيرت حيرت. وإن ألغزت أعجزت.

فمعذرة يا قارئي إن بحثت عن حقيقتها فلم أجد، ورسمت صورتها فلم أُجد؛ فليست لها صورة واحدة، بل صور متعددة. وكلما زادت معرفتي لها ازداد الإشكال تعقداً، وزادت الأشكال تعدداً؛ وأي قيس لم تخامره في ليلاه الحيرة، وأي رجل لم تساوره على أنثاه الغيرة؟! وإذا كان ذلك شأن من أبلى وتعلم فما بال من لم..؟!

رأيت المرأة كالضلع على اعوجاجها حانية، وعلى صنوها صلبة قاسية!

رأيتها - إن أخلصت - رحمة، وفضلا من الله ونعمة، ورأيتها - إن تنكرت - ليلا مظلماً، ولغزاً مبهماً!

ترضى فتظهر الجميل، وتقنع بالقليل، وتستر العيب، وتؤمن بالغيب، وتشفي العلة، وتروي الغلة، وتنير الظلام، وتنيل المرام.

وتغضب فتكدر الصفاء، وتجلب الشقاء، وتقبح الحسَن، وتضرم الفتن؛ وتعمد إلى التدمير والتخسير، فتبدد الكثير واليسير

وللمرأة مقدرة في حروبها، وقوة لا يستهان بها؛ تحسبها عزلاء وكلها أسلحة، وكلما حاربت كانت هي المفلحة. وهل ترى سلاحاً أقطع من دموعها الكذابة، وكلماتها الخلابة؟!

تحسن المظاهر، والله أعلم بالسرائر؛ فتبكي إذا شاءت، وتضحك كلما أرادت!

تذهب إلى المناحة كمحزونة ثكلى، وتعود إلى الزفاف كعروس تجلى! وقد تراها في المرقص راقصة لاعبة، وفي المعبد عابدة راهبة!

تتقن المصائد، وتتفنن في المكائد؛ ومن عجب أنها على قسوتها مرحومة، وعلى جنايتها مظلومة، وعلى رقتها مرهوبة، وعلى إساءتها محبوبة!

تبذل الجهود لأجلها، ويستهان بالصعاب في سبيلها. ساكنة وهي الحركة، آمنة وهي أصل المعركة. فهي في خدرها ذات قيادة، وصاحبة سيطرة وسيادة! توقظ الهمة، وتحيي العزمة، وتفتق الذهن، وترفع شأن الفن؛ وهل ننسى ما لها من الأثر الهام، في الوحي والإلهام؟ وأهم من ذلك وأعم، أن كل عبقري ولدته أم؛ فللوالدة فضل المولود، بل عليها قوام الوجود ...

حامد بدر

الرجال عجزوا! قال: كان خيراً لنا والله أن ندفع ما ندفعه في المعاش لإحدى شركات التأمين على الحياة! قالت: ولم لا تنشأ شركة للتأمين على المعاش؟ قال: كيف ذلك؟ قالت: تؤلف شركة رأسها (خواجه) أو على الأقل (باشا) تحصل للمستحقين على معاشهم في مقابل نسبة مئوية من المعاش. وأؤكد أنها ستحصل على أي معاش قبل مضي شهر على تاريخ الوفاة. قال: توجد الآن طريقة أخرى، فقد سمعت أن أحد المحالين على المعاش أمكنه الحصول بسرعة على معاشه بواسطة صديق له من صغار الموظفين أهدى إليه (صفيحة ملوحة)! قالت: إنها تشنيعة من تشنيعاتك! قال: من يدري، فلعل ما خفي أعظم! قالت: وما السبب؟ قال: كثرة اللوائح والتعليمات وقلة المرتبات. قالت: فما العلاج؟ قال: أما عن المستقبل، فالعلاج عدم التوظف وعدم الزواج! قالت: وعن الماضي؟ قال: إني أرى أن كثرة اللوائح والتعليمات والتعقيدات لا لزوم لها، فإن أية مصلحة حكومية في أي بلد يمكنها صرف المكافأة أو المعاش في بضعة أيام، كما تفعل شركات التأمين، بغير أن تلزم الموظف أو أسرته بالجري سنين في وزارة المالية! قالت: وكثرة الموظفين وقلة المرتبات؟ قال: على الحكومة إبقاء الموظفين اللازمين وزيادة مرتباتهم وفصل الباقين! قالت: وما ذا يصنع الباقون؟ قال: صحيح ... وما ذا يصنع الباقون؟ يهاجرون! قالت: إلى أين؟ قال: إلى السودان! قالت: إنهم لا يستطيعون! قال: فإلى انجلترا إذن! قالت: فإن لم يستطيعوا يهاجروا إلى روسيا! قال: هذا إذا لم تهاجر روسيا إليهم!

فؤاد السيد خليل

تعقيبات

الانتحار فى مصر :

فى عدد سابق من الرسالة كتب الدكتور أحمد موسى مقالا عن الانتحار كظاهرة اجتماعية نفسانية قال فى مطلعه : « لم يكن الانتحار معروفاً فى مصر قبل ربع قرن ، وكان الناس على الأرجح أكثر قناعة واحتمالا وأرحب صدراً لمقابلة آلام الحياة وأقل تبرماً بها ، أما الآن ولاسيما خلال عشر السنوات الأخيرة ، فقد بدت ظاهرة مخيفة هى إقدام الكثيرين على الانتحار ، سواء فى ذلك الشبان والشابات ، والرجال والنساء ، دون فرق ظاهر بين متعلم وجاهل ، وبين فقير وغنى ، وبين صحيح ومريض ، وبين متزوج وأعزب ... »

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ، والصواب أن يقول : إن الانتحار لم يعرف فى مصر كظاهرة اجتماعية قبل نصف قرن ، ولم تتمثل هذه الظاهرة للعيان إلا بعد أن اتصلت مصر بأوربا ، وأخذت تعب من شرور المدنية الأوربية أضعاف ما تقتبس من خيرها ، وكان هذا الداء الوبيل ضمن الشرور التى أصابت المجتمع المصرى وتأصلت فيه .

والطريق الذى وصل منه هذا الداء إلى مصر هو الأدب ، أدب القصص الأوربى وما يحمل من انتحار أبطال تلك القصص وبطلاتها ، ثم ما كان يصوره ذلك الأدب من حوادث الانتحار على المسرح ، وقد وجد هذا النبات الغريب فى بيئتنا تربة خصبة وعوامل للنمو مما خلفته العصور المظلمة فى نفوس المصريين فنما وفرع ، ولعل أوضح آثار لهذا الداء هو ما بدا بين تلامذة المدارس الراسبين فى الامتحان من الإقبال على الانتحار بكثرة مخيفة أفزعت أولياء الأمور ، وقد صور المنفور له أمير الشعراء هذه الظاهرة وندد بها فى قصيدة من أروع قصائده إذ يقول :

كل يوم خبر عن حدث ... سئم العيش ومن يسأم يذر
عاف بالدنيا بقاء بعد ما ... خطب الدنيا وأهدى ومهر
حل يوم العرس منها نفسه ... رحم الله العروس المحتضر
ضاق بالعيشة ذرعاً فهوى ... عن شفا الناس وبئس المنحدر
راحلا فى مثل أعمار المنى ... ذاهباً فى مثل آجال الزهر

إلى أن يقول :

لامه النـــاس وما أظلمهم ... وقليل من تغاضى أو عذر
قال ناس صرعة من قدر ... وقديماً ظلم النـــاس القدر
ويقول الطب بل من جنة ... ورأيت العقل فى الناس ندر
ويقولون جفـــاء راعه ... أب أغلظ قلباً من حجر
وامتحان صعبته وطأة ... شدها فى العلم أستاذ نكر
لا أرى إلا نظاماً فاســـداً ... فكك العلم وأودى بالأسر

ولما نظم حافظ ابراهيم قصيدته المعروفة فى شكوى الحياة ، وقال فيها عن نفسه :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندما
سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما
أضرت به الأولى فهام بأختها ... وإن ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبى رياح الموت نكباء واطفئى ... سراج حياتى قبل أن يتحطما !

انتقدته الصحف ونددت بهذه الروح ، وقالت إحدى المجلات الأدبية : حرام على حافظ ابراهيم أن يصور اليأس لأبناء مصر بهذه الصورة ، وأن يكون لهم قدوة فى التلهف على الموت ومفارقة الحياة ، لأن هذا مما يحبب لهم الإقدام على الانتحار .

ولا شك أن ظاهرة الانتحار فى مصر قد تطورت فى مظاهرها وفى أسبابها ، فبعد أن كانت محصورة فى استعمال الشنق أو تجرع المواد السامة ، أصبحت تتم بفنون مختلفة لإزهاق الروح ، وبعد أن كانت قاصرة على التلاميذ الراسبين ، غدت نهباً لكل أسباب المضايقة ونكد الحياة ، وقد دل آخر إحصاء عن حوادث الانتحار والشروع فيه بمصر فى عام واحد على أن الإقدام على هذا الجرم الشنيع يرجع إلى عدة أسباب تبلغ فى النسبة المئوية ٨٦ بدافع المرض المزمن ، و ٥٤ بسبب الفقر المدقع ، و ٣٠ من جراء الشقاق العائلى ، و ٢٤ من المتاعب الزوجية ، و٢٢ لسوء المعاملة ، و١٧ من أثر الحزن ، و١٦ بدافع الكوارث المالية ، و ١٢ لأسباب غرامية ، و ٩ ستراً للعار وخوفاً من الفضيحة . وعلى أى حال فإن هذا المرض ليس من طبيعتنا ، ولكنه لعنة لحقت بنا من لعنات المدنية الأوربية . وما أكثرها

هذه الألفاظ الأثرية أيضاً :

لا أريد أن أدخل فى مناقشة مع الأستاذ أحمد رضا عضو المجمع العلمى العربى الدمشقى ، لأنى على يقين من أنه هو ومن يلف لفه من اللغويين يمسكون أنفسهم بفكرة لا يريمونها ، وهى أن القواميس قد جمعت من الألفاظ ما يكفى لكل معنى مستحدث فغاية البراعة فى التقديم هى أن يبذل الرجل منهم جهد الطاقة ليظفر بكلمة مهما كانت مجفوة ميتة ، ثم يكرهها إكراهاً على أداء معنى حادث ولو لأدنى ملابسة ؛ وإنى إذ أطلب منه ومن أصحابه الاتجاه إلى ناحية أرحب فى توفير مادة اللغة ، فإنى أكلفهم خطة شديدة .

غير أنى أعود إلى هذا الموضوع لأقول لحضرته فى كلمة قصيرة إننى لا أقول إن « الألفة الذوقية وحدها تكون ميزاناً لوضع الكلمات اللغوية واختيارها » كما فهم من كلامى ، ولكنى أقول إن اللغة لا شك ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور الحياة ، وأرجو أن لا يغضبه هذا التعبير ، وهى بهذا المعنى تتأثر بالظواهر الاجتماعية الأخرى ، وتكون صورة لأفكار أهلها وأذواقهم وما يناسب اتجاهاتهم وميولهم نحو الحياة ، ولهذا تموت من اللغة ألفاظ وتعابير وتستحدث ألفاظ وتعابير ، ولولا أن تكون اللغة مطواعة قابلة بمادتها لهذا التطور ، فإنها لا بد أنها تختنق ، ولهذا السبب كم اختنقت لغات ولغات !

ولقد ماتت من اللغة العربية ألفاظ كثيرة ، ماتت لأنها فقدت ما يصلها بحياة الناس من الجرس والأداء والمعنى ، ثم بقيت محفوظة فى المعاجم كأنها قطع الآثار فى المتاحف ، وهى لا شك عربية أصيلة ، وقد تكون وردت فى أمثال من فصيح الشعر والنثر ومأثور الكلام ، ولكننا لا نستطيع أن نبعث فيها الحياة مرة أخرى ، وإلا لظلت هى حية على رغمنا ، فالدرمك والدغرى والمدغرة والدلق والربقة ألفاظ عربية لا أمارى فى عربيتها ، ولكنها ماتت منذ زمن قديم ، وليس فى طبيعتها دلالة الحياة ، أو على الصحيح ليس فى طبيعتنا نحن ما يهيئ لها الحياة ويقدر لها التداول فى الألسن والسير فى أساليب الكتاب والشعراء والخطباء وهم صيارفة الكلام .

ولعل الأستاذ يعرف أن جماعات وأفراداً من الأفذاذ المخلصين قد وقفوا جهودهم على هذه الخطة التى ينتهجها فى خدمة اللغة بإحياء الألفاظ المجفوة الميتة ، ولكنهم لم يجدوا كثيراً ، فنادى دار العلوم والمجمع اللغوى القديم الذى تألف برياسة السيد البكرى ، والمغفور لهما فقيدا اللغة أحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، وغير هؤلاء جميعاً قد جهدوا جهدهم فى اختيار ألفاظ قديمة لتأدية المعانى المستحدثة ، وأرادوا مدافعة الدخيل من أسماء المخترعات والمكتشفات بإحياء ألفاظ قديمة نسيها الزمان ، فما أجدى هذا العناء كما يجب .

اختاروا « البرندج أو الأرندج » لبوية الأحذية ، و« الوهين » لمقدم الفعلة ، و« الدريئة » للهدف الذى يتعلم عليه الرمى ، و« الطريخ » لسمك السردين ، و« الطيلسان » للشال ، وهو الكساء المعروف ، كما اختاروا عشرات من أمثال هذه الكلمات ، فأين هو الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الذى استعمل هذه الكلمات حتى من بين أولئك الذين أضنوا أنفسهم فى إخراجها واختيارها ، وهكذا سيكون الشأن فيما اختاره الأستاذ رضا من الدرمك والدغرى والقنع ، فسيظل الأدباء يؤثرون عليها فى التعبير : الدقيق ، الفاخر ، والحرب المفاجئة ، وطبق الفاكهة ...

وبعد ، فلا يحسب الأستاذ أنى أسد هذا الطريق من بابه ، أو أنقضه من أساسه ، أو أنكر إحياء الألفاظ العربية ، ولكنى أنشد الألفاظ التى تصلح للحياة حتى يمكن أن تحيا ، ولى فى هذا رأى قد أذعته فى « الرسالة » منذ عشر سنوات فى مقال بعنوان « مهجور اللغة » ، ولولا ضيق المقام ، وأن القدر لى فى هذا الباب أن يكون « تعقيبات » خاطفة ، لمددت القول فى تلك الناحية إلى الغاية .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

مصر وسودانها وشعراؤها :

غنت أم كلثوم « أغنية السودان » فى المذياع يوم الاثنين ، بعد أن قدمت لها بكلمة رقيقة قالت فيها : إنه فى هذا الوقت الذى تعرض فيه قضية الوطن على مجلس الأمن أردت أن أقدم هذه الأغنية التى تعبر عما يجيش فى نفوسنا نحن أبناء الوطن .

و « أغنية السودان » التى غردت بها أم كلثوم هى أبيات مختارة من قصيدة « اعتداء » التى قالها شوقى فى تهنئة سعد زغلول بنجاته من حادث إطلاق الرصاص عليه ، وذكر فيها من المسائل الوطنية مسألة السودان .

ومنذ شهور اختيرت لعبد الوهاب أبيات من قصيدة « شهيد الحق » التى قالها شوقى فى ذكرى مصطفى كامل وجاء بها ذكر السودان فى البيت التالى :

وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت   على حال ولا السودان داما

فأخذ هذا البيت ضمن أبيات تندد بما كان فى ذلك الوقت من اختلاف الأحزاب وانقسام الزعماء ، وسميت أيضاً « أغنية السودان » ثم غير هذا الاسم فكان « وحى السودان » ثم سميت « إلام الخلف » ثم طويت ...

أما أغنية أم كلثوم فقد لوحظ فى اختيارها أن يكون ذكر السودان فيها أكثر مما كان فى أغنية عبد الوهاب ؛ ويخيل إلىّ أن الذى قام باختيارها بحث فى شعر شوقى حتى عثر على قصيدة « اعتداء » فتنفس الصعداء وشعر بلذة الظفر ، إذ وجد بها عدة أبيات فى قضية السودان . ولكن كيف يستخلصها ؟

بدأت الأغنية هكذا :

وقى الأرض شر مقاديره   لطيفُ السماء ورحمانها

وموضع هذا البيت هناك فى قصيدته حيث التعبير عن الارتياح لسلامة الزعيم ولطف الله بالبلاد ؛ فنقل البيت كارهاً متبرماً ليكون مطلع الأغنية ! فتبدأ به جثةً مسلوبة الروح ... ويأتى بعده خمسة أبيات هى خمسة أشلاء متقطعة الأوصال فاقدة الحياة ..

ثم يأتى ذكر السودان ، وأصله فى القصيدة هكذا :

ويا (سعد) أنت أمين البلا   د قد امتلأت منك أيمانها
ولن ترتضى أن تقد القنا   ة ويبتر من مصر سودانها
وحجتنا فيهما كالصبا   ح وليس بعمييك تبيانها

فيحذف البيت الذى فيه (سعد) ويبدأ البيت التالى بـ « ولن نرتضى » بتحويل تاء المضارعة إلى نون ، ولا أدرى من يكون المخاطب بقوله « وليس بعمييك تبيانها » بعد حذف (سعد) ؟

ولا أريد أن أطيل بالاسترسال فى بيان الاضطراب والتشويه والمسخ فى هذه القطعة ، وإنما أريد أن أخلص إلى أمرين :

الأول : أن اختيار الأبيات على هذا النحو من قصائد قيلت فى حوادث ماضية ، لمجرد التشابه بينها وبين حال حاضرة ، إنما هو عبث بالآثار الأدبية وجناية عليها ، ليس بالتشويه والمسخ فحسب ، بل كذلك بعدم الالتفات إلى الدقائق الفنية التى تدل على الفوارق بين حال وحال .

الأمر الثانى ، هو أنه ما دامت الرغبة متجهة إلى غناء قطعة موضوعها « السودان » فلم الالتجاء إلى تلك الطريقة ؟ أذلك لاعتبار اقتصادى ؟ أم أن مصر أقفرت من شاعر ينظم فى السودان قطعة مناسبة تغنيها أم كلثوم أو عبد الوهاب ؟

أيصح أن نبتغى الغناء بما يجيش فى صدورنا نحو وطننا فى الوقت الذى تعرض فيه قضيته على مجلس الأمن ، فلا نجد شاعراً يغنينا عما قيل منذ نحو ربع قرن وقد تطورت الأفكار وجدت أحداث ؟ فأين شعراؤنا من قضايا الوطن الحاضرة ؟ ألا يشعرون بها ؟ وأين التعبير عن هذا الشعور ؟

لقد كان الشعراء يحفزون الهمم ويغذون الشاعر ، أما الآن فالناس يتحفزون ويتوثبون وهم لا يحسون للشعراء بوجود ... إنهم يلتهبون عند ما تغنيهم أم كلثوم لشوقى من قصيدة « سلوا قلبى » :

وما نيل المطالب بالتمنى   ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

رأينا الجمهور يفور حماسة من هذا البيت وهو ليس نصاً فيما يريد ... مما يدل على أنه يتلمس الوقود تلمساً ... فلم لا يستجيب

الشعراء لمشاعر الأمة ومطالبها الوطنية ؟

إن من نـكد الأيام على هذه الأمة المسكينة أن الفنون فيها إنما تستعمل لإثارة الغرائز وجلب ما يملأ البطون . أما الشعور بالصالح العام فليس حظ الفن منه بأ كثر من حظ السياسة ... فلك الله يا مصر ...

حول معجم الحديث :

أتينا فى العدد الأسبق من الرسالة ، على فحوى ما كتبه الأستاذ فرج جبران إلى الأهرام فى شأن « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى شرع فيه بعض المستشرقين بليدن ولـكنه لم يتم إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية ودعوته إلى تقديم يد المعونة إليهم لـكى يتسنى لهم إتمامه .

وقد نشرت الأهرام تعليقات على هذا الموضوع تدور كلها حول الإشادة بعمل أولئك المستشرقين والثناء على مجهوداتهم فى خدمة لغتنا وديننا . إلى آخر ما طالما سمعناه من هذا الـكلام ومللناه

وأقول أولا إن ما تضمنته كلمة الأستاذ فرج جبران من أن مصر كانت قد ساهمت قبل الحرب فى دفع النفقات اللازمة لإتمام هذا العـمل — لم أجد له أصلا فى الجهات ذات الشأن فى مثل هذا ، التى رجعت إليها للتحقق من صحته . ويعزز عدم صحته ما ذكره الأستاذ فؤاد عبد الباقى فى الأهرام من أنه راجع مقدمة الجزء الأول ، فلم يطلع فيهـا على ما يدل على تلك المساهمـة . ومما ذكره الأستاذ فؤاد أن الدكتور منسنك أراد قبل أن يبدأ فى وضع المعجم إشراك أكبر هيئة إسلامية فيه فقدم إلى الأزهر نموذجاً منه لأخذ رأيه فيه فألف لجنة قامت ببحثه وقررت ألا فائدة ترجى منه .

إننا لا ننكر المجهودات القيمـة التى قام بها المستشرقون فى خدمة اللغة العربية والتاريخ العربى الإسلامى ، والتى لم يطلبوا مساعدة مالية فيها من الحـكومة المصرية ولا من غيرها ، ولـكنا منذ نحو نصف قرن من الزمان نتلق هذه المجهودات وننظر فيها وننتفع بها ؛ وأ كثرها ، بل كل النافع منها ، ما يتعلق بالترتيب والتنسيق ، ومن أهم ذلك الفهرسة ، أى أن جهودهم النافعة مما لا مشقة فى اكتسابه ، فهل تعلمنا ذلك منهم بعد كل ما تقدم ؟ وهل أصبحنا نستطيع أن نقوم مثلهم بتلك الأعمال ؟ إذا كان الجواب نعم فيجب أن نضع حداً لتلك الطريقة التقليدية فى التنويه بكل ما يرد من الخارج ، وإن لم يكن كذلك ففيم جهدنا طوال تلك السنين ؟

فليصنع القائمون بذلك المعجم ما يصنعون من إتمامه أو تركه حسبما يتفق لهم . أما ما يرجى أن نساعد به من مال أو جهـد فاستغلاله فى بلادنا تحت أعيننا فيما نراه مفيداً خير على أى حال من الرمى به إلى ما وراء البحار ...

رفض تمثيلية :

نشرت « أخبار اليوم » أن محطـة الإذاعة رفضت تمثيلية معربة من مسرحية (كنديدا) للـكاتب الإنجليزى برناردشو وأتت بنص التقرير الذى رفضت به ، وأهم ما فى التقرير من أسباب رفضها أن فيها سخرية بالقسيس زوج (كنديدا) وأنها تصور التهتك النفسى لزوجة تفاضل بين زوجها الطيب وعاشقها ، وأنه ليس من الوفاء لوطننا أن نواصـل الترويج لآداب الأمم الأجنبية فى وقت نحن أحوج فيه إلى تغليب شخصيتنا الفكرية.

ولا شك أن تغليب شخصيتنا الفكرية على الترجمات مطلبنا القومى فى الأدب والفن ، ويسرنا أن تعمل إذاعتنا على تحقيقه بالإكثار من إذاعة تمثيليات مصرية بلغة عربية فصيحة من إنتاج أدبائنا الناضجين .

ولـكن « التغليب » ليس معناه رفض الترجمات كلها وعدم الانتفاع بالجيد منها ، وهل نفهم من ذلك التقرير أن محطة الإذاعة لن تذيع بعد ذلك تمثيليات مترجمة كتلك التى يقوم عليها الركن الثقافى لهيئة خريجى القسم الإنجليزى ؟

إن مسرحية كنديدا يعدها النقاد من الأدب العالمى ، ويقولون إن برناردشو خرج فى هذه القصة على مألوف عادته فى تناول الموضوعات الوقتية وحاول أن يرسم فيهـا شخصية المرأة الخالدة .

على أنه ، بغض النظر عن هذه التمثيلية بالذات ، لا يجوز أن نختط هذه الخطة التى يرمى إليها تقرير الإذاعة ، فلا ينبغى أن يكون العـمل على إبراز شخصيتنا الأدبية مدعاة إلى إغفال الروائع العالمية .

إصدار المطبوعات واستيرادها :

كتبت دار النشر العربية ببيروت إلى « الأهرام » كتاباً

أشارت فيه إلى ما قررته الحكومة المصرية من تقييد الاستيراد ، وقالت إن هذا القرار يطبق على استيراد المطبوعات من البلاد العربية ورجت فيه رفع هذا الحظر ذاكرة أن ما تصدره البلاد العربية كلها إلى مصر من المطبوعات لا يعدل واحداً فى المائة مما تصدره مصر إلى لبنان وحده . وقال المسئولون بوزارة المالية فى ذلك إنه رؤى وقف الإصدار والاستيراد مؤقتاً ريثما تنتهى اللجنة المختصة من وضع القواعد الجديدة التى تقيدهما .

وهذا الذى أجاب به المسئولون لا يزيل الباعث على شكوى دار النشر البيروتية ، فهو يدل على وقف الإصدار والاستيراد ، وهى تشكو من تقييد الاستيراد . ولاشك أن الوقف أو التقييد فى استيراد وإصدار المطبوعات يثير شكوى دور النشر فى البلاد العربية كلها .

وللمسألة وجه آخر غير الناحية المادية التى تقلق لها دور النشر ، ذلك الوجه هو الرباط الفكرى بين البلاد العربية التى تعد من هذه الناحية على الأقل أمة واحدة ، يهيأ لها زاد ثقافى واحد. ولا يجوز مطلقاً أن توهن الاعتبارات الاقتصادية من هذا الرباط فيجب ألا يشمل أى إجراء من وقف أو تقييد فى الإصدار والاستيراد — ما تتبادله بلاد الأمة العربية من جرائد ومجلات وكتب . ولا ينبغى أن يكون هذا موضع بحث لجنة أو رهن الفراغ من عمل لجنة ، إلا أن يكون كذلك إرسال ما يصدر فى القاهرة من صحف ومجلات إلى الاسكندرية أو أسيوط ... إنما هى مسألة بدهية يبت فيها بالفور ولا تحتمل التسويف .

الأدب اللبنانى فى مصر :

تضمن كتاب دار النشر العربية ببيروت الذى أشرنا إليه ، موازنة ما تصدره البلاد العربية كلها إلى مصر من المطبوعات بما تصدره مصر إلى لبنان وحده ... ولا يسعنا إلا الإغضاء عن حصر اهتمامها وقلقها فى تقييد ما تستورده مصر من المطبوعات لأن ما تصدره مصر لا يعنيها فى محيطها التجارى ، ولكن تلك الموازنة تنطوى على أمر وثيق الصلة بما يردده إخواننا أدباء لبنان من أن مصر تهمل الأدب اللبنانى ، وأن الكتاب اللبنانى كاسد فى السوق المصرية ، وأن الأدباء المصريين لا يكترثون به ، على عكس ما يلقاه الكتاب المصرى فى لبنان ...

ومن ذلك كلمة لأديب لبنانى هو الأستاذ سهيل إدريس فى مجلة العالم العربى ، قال فيها : « إن الكتاب اللبنانى يموت فى السوق المصرية ، ويهمل فى الوسط الأدبى ، ولا يتناوله الكتاب المصريون بالنقد أو التعريف ، على الرغم من أنه يضاهى — فى كثير من الأحيان — الكتاب المصرى روعة أدب وسمو فكر وإتقان إخراج ... حتى لقد أصبح الشعور العام فى لبنان أن هناك مؤامرة على الكتاب اللبنانى يدبرها الأدباء المصريون ! »

وجاء فى رد محرر العالم العربى « إن حظ الكتاب المصرى فى هذا ليس خيراً من حظ الكتاب اللبنانى . فحركة النقد هامدة ومعظم الذين يتولونها لا يصلحون لها . وفوق ذلك فكثير ممن يتولونها يرونها وسيلة لإرضاء الأصدقاء والتشهير بالأعداء ، وكثيرون لا يتحركون للتنويه إلا تلبية لأغراض ورداً لخدمات »

ولكن فى ذلك ما يدل على أن حظ الكتاب المصرى خير من حظ الكتاب اللبنانى ... وإنما يتساوى حظاهما إذا جاء المؤلفون اللبنانيون إلى مصر فى أثر كتبهم وطافوا بالصحف والمجلات واصطنعوا بها ما يصطنع المؤلفون المصريون من أصدقاء التنويه .. ولن يفعلوا . قلنا ما علينا ، فهل نقول ما لنا .. ؟

إن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ... ويرون فيه غضاً من شأنهم ، والمصريون أهل حساسية و (ذوق) وهم حريصون على مودة إخوانهم فى العروبة على أن هذا وذاك إنما هو نظر فى واقع ... أما ما يجب أن يكون فلا شك أنك تعرفه .

« العباس »

رسالة حائرة :

الرســالة الأولى ..

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

إليــك بعثت ألحانى   وفيك نظمت أشعارى
ليعلم قلبــك الحانى   بأحــلامى وأسرارى
لعلك تمطفين على   محب نــازح الدار
ترقرق دمعــه نغماً   على أوتار قيثــار

حيــاتى كلها حلم   بأفق غــير منظور
تذيع طيوره سَحَراً   عنــاق الظل والنور
نعيش به كما نهــوى   مع الأملاك والحور
يزف الحب ســاحرة   إلى أحضان مسحور

أحب الحــب لكنى   أعيش بغــير ما حبِّ
شكا قلبي الذى يحيا   على الحرمان والجدْب
وما عندى سوى دمع   به أبكي على قلبي
إليــك بعثت شكواه   وشكوى الروح يا ربى

خلقت الحب فى الدنيا   جِناناً ذات أفيــاء
ونيراناً بها تحيــا   قلوب ذات أهواء
فإن اك طائعاً فاجمل   نعيمى حب عــذراء
وإن اك عاصياً فاحْرقْ   بنــار الحب أحشائى

أحب الدمع أشربه   بكأس مواجعي خمرا
أحب الليــل أسهره   لأنظم لهفتى شــعرا
وحيداً بين أحلام   تمــر بخاطرى مَرًّا
وأطيــاف تراقصنى   على ألحــانى السكرى

وقالوا إنه غــنى   وأنَّ بغــير ما جدوى
وضاع شــبابه فى الشو   ق ، والأحلام ، والنجوى
دعونى ! إننى لا أم   لك النسيان والسلوى
حيــاتى كلها ألم   وعمرى كله شكوى

أنا المحروم ... لكنى   أغذّى بالخيــال دمى

ظمئت ، ولم أجد ماء   فهام إلى السراب فمى !
وغنيت الجمال ، فلم   أجد إلا صدى نغمى
فغنى اليــأس فى قلبى   على قيثــارة الألم

أنا الحيران فى الدنيا   كطير ضل عن فننهْ
يَهيج الفجر صبوته   ويذكى الليل من شجنه
هبيه عشك الحانى   تَرديه إلى وطنه
ويكفيك الذى لاقى   من الحرمان فى زمنه

أنا الروح الذى يهفو   إلى دنيــاك مسحورا
هبيه فراشة حيرى   تؤمل عندك النورا
وضميه إليك يَبُحْ   بسر ظل مستورا
ليفرح فرحة الزهر   عليه الطلُّ منثورا

أنا يا روح أيامى   خيال خافق القلبِ
أوَقِّع لحن أحلامى   على قيثارة الحب
تعالَى واسمعى لحنى   تعالى واجلسى قربى
لنحيا مثلما كنا   معاً فى عالم الغيب

تعالى يا منى عمرى   ويا أحلام أيامى
تعالى يا هدى روحى   ويا روح الهوى السامى
تعالى ؛ فالربيع البِكْ   رُ نادانى بأنغام
فغنى الحب فى نفسى   وغنت كل أحلامى

تعالى إن لى قلباً   يهيم كعطر أزهارِ
وروحاً صيغ من نور   وهذا النور من نار
فإن شئت أكن نوراً   كنور الكوكب السارى
وإن شئت أكن نارا   تطوف بحسنك العارى

فنون علمتنيها   خيالاتى وأفكارى
نعمت بها وحيداً فى   عشياتى وأسحارى
فكانت نور أيامى   وكانت روح أشعارى
فنون أنت غايتها   وما هى ؟ تلك أسرارى !

سأحيا طول أيامى   أناجى حبك النائى
بلحن هاجه دمى   فراح يبث أهوائى
لعل هواك يغمرنى   بفجر منه وضّاء
وإلا عشت منفرداً   بشجوى بين صحرائى



طرائف :

قرأت نقداً أو تعليقاً أو تصويباً أو أى شىء آخر عن كتابى (طرائف) . وما كنت أحب أن أتناول الموضوع من جديد . غير أنه يحلو لى أن أشكر « الذى فكرفى أن يصفنى بالكاتب الصحفى » على هذا الوصف الجميل ثم أقول : إن الكتاب كله « سخائف » ما فى ذلك من شك . والأسخف منه أن يعضى الكاتب فى قراءة « سخائف » ويقينى أنه وهو الرجل الفاضل المتدين المتفقه فى اللغة ما كان يجدر به أن يحمل نفسه عناء القراءة ثم الكتابة لو كان لديه « فسحة » من الفضل والأدب والدين

فالفكر العميق لا يعضى فى قراءة البسائط . ورجل الدين المتملق بإذا بليتم فاستتروا ، ليس له أن يقف أمام أبواب الحادات وأن يتسكع مع «الثقاة» و«السماة» و«البغاة» وإنما عليه أن يمر باللغو كريماً . وقد همس الدين بأذنه هذه الهمسة اللطيفة الطيبة

وليس اسمى « محمداً » وإنما اسمى محمود . فلعل فى هذا التصويب ما يطمئنه على أن اسم محمد من الفضل بحيث لا يقع فى أمور اشمأز لها الناقد أو الملق أو المصوب أو الشىء الآخر .

وماذا أفعل — وقد ازدحمت أخطاء المطبعة — مع ما أنا عليه من أخطاء ، وتكاتفت كلها متعاونة متآزرة حتى ظهر الكتاب على هذا النحو من السخف وضلال الرأى وقلة الحيلة .

والكتاب فيه أكثر من مائة وعشرين صفحة . لم يقع أخو القلم إلا على «غلطة» قد تكون صحيحة منى أو مطبعية من العمال ولكنها واحدة لى لا على . وأحب أن أقول له إننى «بالذات» قد أحصيت أكثر من ألف غلطة بعد أن طبع الكتاب ، فلو أراد صديق الرغبة فى النقد إلى آخره أن يقف على هذا العدد فأنا على استعداد لأضع أصبعه عليها عند ما يريد .

محمد صاحب الرسالة « عليه السلام » لا محمد صاحب السخائف « عليه اللعنة » كان رقيق العاطفة ، واسع الفكر ، كريم الملاحظة ، وكان فى يده السيف يستطيع أن يضرب به عنق من يخرج على أصول الدين ؛ ولكن الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه كان يتناول الأمور بما هو عليه من رقيق العاطفة وواسع الفكر ، وكريم الملاحظة ، فكان يعالج هذه الأمور بروح عالية ، روح العالم بالآداب والأخلاق وما انطبعت عليه النفوس من خصائص ومميزات .

أما محمد صاحب « السخائف » كما أرادته دار المعارف فلا يخرج عن كونه بشراً ، له من الأخطاء فى السلوك والمعاملة ، وفى اللغة والأدب ما يجعله دائماً بشراً ، لا ملاكا ولا قريباً من ملاك . وكنت أحب أن أكون فناناً ، أو مفتناً حتى أشكره على حسن الظن بأن يعقد مقارنة فى الهواء بين الفن ، وبين سخائف ، ولكن شاء القدر أن يسلبنى كل شىء حتى صحيح الاسم . ولذلك قصة لا تخلو من السخافة كنت أود أن أرسلها على صفحات الرسالة . ولكن ما العمل وكتاب الرسالة خطباء منابر ، ورجال دين وفقه وعلم لا ينفع معهم ارتفاع صوت مدنى سخيف اسمه :

محمود العزب موسى

ما جرى من أرى !

من الظواهر الطبيعية فى مصر أن المحسن لا يجد من يقول له متطوعاً «أحسنت» بينما يجد المسىء فوراً من يقول له «أسأت» وهى ظاهرة لا تشجع على الإحسان ، لولا أن المحسنين يستمدون الشجاعة من أنفسهم ، ويرون دليل إحسانهم أن أحداً لم يقل لهم أسأتم

لبثت أربعين عاماً أقول الشعر فى مصر ، لم أظفر خلالها بمن تبرع بتسجيل إحسان لى فى صحيفة ، حتى كدت أحسبنى مسيئاً لولا إيمانى بتلك الظاهرة ، ولولا أن المجمع اللغوى سجل لى هذا الإحسان .

واليوم ، حين يتوهم منى الخطأ ، أسمع كلمة «أخطأت» سريعة مجلجلة . ولا خطأ هناك ، وإنما سقطت كلمة (أرى) من هذه الجملة (وما أرى الضمير الثانى إلا ضميراً قلقاً نابياً) فقرئت (وما

الضمير الثانى إلا ضميراً قلقاً نابياً) والصواب فى الحالة الثانية رفع الضمير كما قال الأستاذ (ع) ولكن ما حيلتى ولم أكن أقدر أن ستسقط (أرى) فيجرى منها ما جرى ؟؟

وسائر الغلطات النحوية التى تقع فى عبارات الكتاب فى الصحف ، مردها إلى وجه كهذا الوجه والأصل فيها صواب الكتاب ، لأن قواعد النحو ميسرة للجميع .

على أنى كنت بسبيل أن أشكر للأستاذ (ع) تصويبه ، فهو وإن لم يفدنى فقد يفيد غيرى ، لولا غمزة خبأها الأستاذ فى قوله ، إنه ما عمد إلى تصحيح كلامي إلا لأنى حريص على تصحيح كلام الناس .

أما تصحيحه كلامى فقد بينت نصيبه منه ، وأما تصحيحى كلام الناس فذلك ما لا أعرف لى منه نصيباً . فقد ظللت طول حياتى الأدبية منصرفاً إلى شعرى وحده ، بعيداً عن المجادلات والمساجلات التى هى سبيل الشهرة فى مصر وأنا أزهد الناس فيها وما أثرت اليوم موضوع (الضمير القلق) لأخطىء به شخصاً بعينه ، ولكن لأتعرف مع القراء وجه الصواب فيه ...

محمود عماد

أفى مصر أيضا ... !؟

لقد قرأت فى العدد ٧٣١ من الرسالة الغراء كلمة للأستاذ الخفيف سطرتها يراعته السيالة من وراء منظاره الذى حمله وأخذ يطوف به بين مجاهل حياتنا الاجتماعية باحثاً مستقصياً عن جراثيم أمراضنا الاجتماعية ، إلى أن هداه بحثه واستقصاؤه إلى مرض خطير ألا وهو مرض الجنون بالألقاب والرتب .

نعم لقد أقبلت على قراءة كلمة (ياخسارة) بشراهة ونهم كعادتى فى تتبع إنتاج الأستاذ الخفيف — ولا سيما من وراء المنظار — وما أن انتهيت من قراءة الكلمة حتى شعرت بوخزات الأسى والألم تحز فى نفسى ، وقلت سائلاً مستفهماً أفى مصر أيضاً ينظر إلى المعلم الإلزامى تلك النظرة المزرية لأنه معدوم السلطان ولأنه لا يحمل لقباً من تلك الألقاب البالية .. !؟

أفى هذا المجلس الذى يضم القاضى والمحامى والأستاذ والنائب والكاتب والشاعر والصحفى هؤلاء النخبة الممتازة من سواد الأمة ومثقفيها يزدرى المعلم الإلزامى ويضحك منه ويزور عنه رغم علمه وثقافته وسعة اطلاعه التى قرها له الجميع . . لا لسبب إلا أنه معلم إلزامى !! قلت فى نفسى « ياخسارة » أن نكون فى مصر مثل هذه المجالس . . « وياخسارتين » أن يكون الجالسون فيها أمثال أولئك الذين فتنوا بزيف الألقاب والرتب . !

البصرة — عراق

أحمد سالم الفرج

ما زال الضمير مطمئنا :

فى العدد الأسبق من الرسالة الغراء لم يقنع الأستاذ محمود عماد ما سقته من القرآن الكريم دليلا ناهضاً على أن تكرير الضمير المفيد للملكية صحيح ، وأنه يراد به مع ذلك القصر ، أو التقرير كما فى قوله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » وقول المصريين : « هذه المسألة لها أهميتها » ولجأ فى رده إلى أن هناك فارقاً بين الآية التى أوردتها ، والمثال المصرى ؛ إذ فى المثال المصرى يسبق الضمير صفة ، والآية ليست كذلك ؛ فإن كان ، ولا بد من إصابة الهدف فما على المرشد أو المجيب إلا أن يتوخى ذلك ، ولا يتعداه ؛ إذ له أهميته ؛ وعلى هذا فما زال الضمير المصرى قلقاً ؛ وخاصة أن الآية تفيد القصر بعد الملكية ، والمثال المصرى يفيد الملكية المكررة ؛ مع أن الإضافة فيهما واحدة تفيد الملكية الخاصة ، وهى تطابق : القصر ، أو التقرير والتفرقة بين الآية والمثال دعوى لا دليل عليها .

وتوضيحاً للمقام نود أن نعرض على الأستاذ ما فيه المقنع ، وها نحن نفتح المصحف فى المرة الأولى فنقع على هذه الآية فى سورة البقرة : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم » وفيها ما ينشده السائل : أى تلك أمة قد مضت لها كسبها ، ولكم كسبكم ؛ إذ أن ما مع الفعل يؤولان بمصدر . ونفتحه مرة ثانية فتصادفنا هذه الآية من السورة عينها : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ونعيده مرة ثالثة فتطالعنا هذه الآية من سورة الشورى : « وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب

وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » ، وهنا أتوهم أن الأستاذ سيعيد ما سبق أن قاله : من أن المراد من المثال الوصف ، وليسمح لى أن أقول له : إن هذا يعد تحكما ولا أدل على هذا من أننا لو قلنا : « هذه المسألة لها أهميتها » على سبيل التعريف لظلت المسألة كما هى ، فتمسكك بالوصف ليس وراءه كبير فائدة ، وإنما الذى يتمسك به هنا هو تكرير ضميرين : كلاهما يفيد الملكية ، وأحدهما ليس له فائدة فى رأيك ، وذا — فى الواقع — هو محل النزاع بدليل ما عللت به فى العدد ٧٣٠ من الرسالة .

على أن أمثلتك التى أوردتها اتفق للضمير وما يليه أن يقع صفة ؛ وأنت لو أوردتها على أن يكون الضمير وما يليه خبراً لما كان هناك بأس ؛ وبهذا وضح لنا أن التمسك بالوصف لا يجدى وإلى هنا صارت الأمثلة على اختلافها تتفق والآيات القرآنية السابقة ، واللاحقة ومفادها كما قلت هو : القصر ، أو التقرير ؛ فمند ما نقول : « هذه المسألة لها أهميتها ، أو هذه مسألة لها أهميتها » أو يقول القرآن الكريم : « فلهم أجرهم » إنما يراد أن هذه المسألة بالذات ، أو المعينة فى ذهن القائل مختصة وحدها بأهميتها ، وكذلك أجر المنفقين بالليل والنهار سراً وعلانية ، والملومين عند الله — مقصور عليهم لايتعداهم إلى غيرهم ، ولعلنا أن نكون قد وفينا المقام حقه ، وفى هذا القدر كفاية .

محمد غنيم

إلى الأستاذ محمود الحفيف :

كان قارئاً للقرآن يطوف بالبيوت وكان له من وراء ذلك أجر ، فكأنما سدت فى وجهه أبواب العمل فلم يجد إلا هذا . رزقه الله ولدين وبنتاً ، فعلم الأكبر ما استطاعت ذات يده أن تمده حتى حاز كفاءة التعليم الأولى وعين مدرساً بالمدارس الإلزامية . كان يضع فيه أمله فى المستقبل ليكون عوناً له ولزوجته وولده الثانى وابنته — على عادية الزمن .

زوجه وأنفق فى سبيل ذلك كل ما يملك ، ولكنه للأسف لم يمش طويلا إذ سرعان ما مات كمداً وأسى فقد هجره ولده بعروسه وتنكر له . ياترى هل خلت الدنيا من الوفاء حتى بين الولد ووالده ؟

واليوم سمعت الابن الأصغر — وهو لم يتعدَّ الثانية عشرة من عمره — يقرأ القرآن فى بيت بجوارنا حتى يستطيع أن يمين والدته وأخته على الحياة بذلك القليل الذى يجود عليه به الناس .

هذا طالب قوت بالريف وليست القاهرة وحدها المليئة بهم فما أحوج الريف إلى نظرة من منظارك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أجا) محمد محمد حسن الديب

نشيد فلسطين أيضا :

إلى الأستاذ ابراهيم عبد الستار :

لست أنكر شاعرية الأستاذ محمد حسن علاء الدين ، ونشيده الذى نشرته « الوحدة » الغراء ، لا شك فى قوته ، ولكنه لم يلحن ، ولم ينشد ، ولم تقره لجنة مسئولة ، فليس يكفى أن يشهد له أديب أو أن تقدمه جريدة . وإنما المعروف فى مثل هذا الموقف أن يعلن عن مسابقة فى الموضوع . ثم تؤلف لجنة من أعلام الأدب للنظر فى الأمر ، تقرر النتيجة على مسئوليتها هى ، لا على مسئولية شخص أو صحيفة .

أما أن فى كتابكم «شعراء فلسطين العربية فى ثورتها القومية» غير نشيد واحد فليس كافياً ، لأن هذه الأناشيد محلية ، وليس فيها واحد يردده جميع أبناء القطر ، فكيف يكون أحدها نشيدنا القومى المنشود ؟!

وأما أننى أجهل الكثير عن الموضوع — كما حكمتم — بدليل أن فى كتابكم المذكور غير نشيد واحد ، فأمر يتوقف على شهرة الكتاب إلى حد بعيد ...

وأخيراً أرجو أن تطمئنوا إلى أن لا خطر من الصورة الأدبية التى أرسمها للأقطار الشقيق — لا الشقيقة كما كتبتم ؛ إذ أن هذه الأقطار أعضاء فى جسم الوطن العربى الكبير الذى أصبح بلدنا موضع الخطر فيه ، وليس عربى عن أخيه بغريب !

(البقية — عكا) منا فارس محول



من وراء الأفــــق

(تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن)

للأُســـتاذ على متولى صلاح

تفضل الصديق الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فأهدى إلىَّ ديوانه « من وراء الأفق » الذى ضمَّـنه بعض قصائده التى قيلت فى مناسبات شتى أغلبها فى التغنى بمفاتن ما جاس الشاعر من بلاد أوربا حيث كان يطلب العلم فى ربوعها وهو بعد فى فورة شبابه ، واكتمال قوته ، وازدحام قلبه ونفسه بالصبوة واللهفة والحب

والأستاذ محمد عبد الغنى حسن شاعر منذ باكورة صـباه ، وقد عرفته لأكثر من عشرين سنة ، وعرفت شعره كله منذ بدأ يقول الشعر على وجه التقريب إلى الآن ، وتبينت فى وضوح وجلاء ملامح نفسه ، وحركات قلبه ، وعرفت طابعه فى الشعر ، وميسمه فيه ، حتى لأكاد أرده إليه ولو لم يكن اسمه إلى جانبه !

وقد عجبت أن أغفل الأستاذ الكثير من شعره الذى نشره على الناس ولم يضمه إلى ديوانه هذا ، على أنه لا يقل عنه شأناً ، ولا يقف دونه عند الموازنة ، إن لم يكن خيراً منه وأعلى كعباً إلا أن يكون أراد لهـذا الديوان معنى خاصاً ، وأراد له طابعاً خاصاً لا يحب أن يعدوه أو يحيد عنه أو ينحرف عما يبتغيه له ...

وشعر ديوان الأستاذ عبد الغنى يمتاز بسهولة عجيبة ، وسلاسة لا نكاد نظفر بها فى شاعر آخر ، فاللفظ يطاوعه ولا يكاد يعصى له أمراً ! والكلمات تواتيه هينة لينة يجر بعضها بعضاً إليه حتى لا أحسبه يحمل مشقة أو مجهدة فى ذلك ، وأنا أضمه فى هذه الخاصة إلى شاعر العراق الكبير الأستاذ جميل صدقى الزهاوى .

وشعر الأستاذ على وجه العموم يمتاز إلى ذلك بجو «الإشراق» الذى تراه وهاجاً فى كل قصائده ، وإنك لتحس هذا «الإشراق» يفيض عليك من كل جوانبك وأنت تقرأ شعره ، وإن هذا الجو المشرق ليرسل إلى نفسك نشاطاً وقوة ، وإنه ليحمل إليك لذة ونشوة ، وإنك لتقرأ وتقرأ فلا تمل ولا تكل ولا تحس رغبة فى الانصراف عنه أو التحلل منه ، وأحسب أن مرد ذلك إلى طبيعة الشاعر نفسه ، فإنك لتجد ذلك كله وأنت جالس إليه وهو متنقل بك فى حديثه هنا وهناك ، فلا سأم ولا ضيق ولا ملال ...

وأغلب ظنى أن الأسـتاذ عبد الغنى تأثر إلى حد كبير — خصوصاً فى صدر حياته — بشوقى ، ألمح هذا فى جلاء ووضوح فى قصائده التى نظمها أول ما نظم الشعر ، وقالها وهو بعد طالب مبتدىء ، وألمحه فى التزامه ما كان يلتزم شوقى من الاستفهام فى مطلع قصائده ، والإكثار من سوق الحكمة فيها ، واتخاذ أغلب البحور والقوافى التى كان يتخذ ، واستعمال بعض ما كان له من عبارات ولازمات ، وإنك لتحس هذا التأثر واضحاً جلياً فى إحدى قصائده « شباب » التى مطلعها :

يا شباباً بارك الله لـكم وتولتكم رعايات القدر

وفى « فى نعش الامتيازات » التى يقدم لها بكلام شـوقى نفسه في سينيته التى عارض بها البحترى فيقول الأستاذ عبد الغنى « تحررت مصر من قيود الامتيازات الأجنبية وأصبح الدوح حلالا على بلابله بعد أن كان محرماً عليها وحلالا للطير من كل جنس » وهذا الـكلام كما قال شوقى هو :

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس ؟

وفى « مهرجان النيل » وفى « إلى الجبل الأشم » التى يقول فيها :

زمان الفرقة النكراء ولى وزال عن العروبة الانقسام

ويقول فيها :

سلوا عنهم أبوة آل حرب وما لأب على الدنيا دوام !

فإن شوقى يبدو هنا للعيان ! وليس بعيب الشاعر أن يتأثر شاعراً آخر ، وأن يتخذه رائداً له وإماماً ، وأن يجعله عمدته فى قراءته ، وإنمـا العيب أن يفنى فيه ، وتمحى ذاته وشخصيته ، ويكون وكده أن ينهج نهجه ، ويحذو حذوه . ويلوك كلامه !! وليس الأستاذ عبد الغنى ممن انتهى إلى ذلك ولـكنه تأثر فأسرف فى التأثر كثيراً !

وفى الديوان قصائد ينبغى الوقوف طويلا عندها ، والتنويه كثيراً بها ، فهى جديرة بذلك حقاً ، ولست أحصيها فذلك أمر يطول ، إنما أنا أقدم للقارىء نماذج من جمال شعر الأستاذ يجد الكثير منه لو قرأ الديوان كله ! فمنها قصيدة « ذكريات نهر » التى يقول فيها :

ألفيت فى واديك أنسا وصفاء عيش ليس ينسى
أمسى طوته يد الغيو ب فمن يرد إلى أمسا ؟
أودعت تلك الذكريا ت لديك بالكتمان رمسا
فاحفظ وديعتك التى خلست من الأيام خلسا ...

خلت الحياة على ضفا فك لا تزول ولا تضيع
فإذا الحياة قصيرة وإذا البطىء بها سريع
وإذا الليالى الذاهبا ت هناك ليس لها رجوع
لا دام - يا نهر - الشتاء بها ولا بقى الربيع ...

وقصيدة « تحت ظل الصنوبر » التى يقول فيها :

سلى وادى الأحلام كيف قطعته وكيف أثارته المواصف من بعدى
تفرقت الأحباب وانفض عقدهم وصرف الليالى لا يدوم على عقد
وأصبح ماضينا خيالاً وأمسنا مناظر لا تشفى الفؤاد ولا تجدى
قنعنا بذكراها وفى القلب حسرة وفى النفس لوعات تزيد على المد
سلى شجرات الغاب ماذا أصابها فعيت وصارت لا تميد ولا تبدى
كأن لم يبا كرنا النسيم بظلها وينفح بأنفاس ألذ من الند
بشاشة هذا العيش ولى زمانها وأصبحت من نار القطيعة فى وقد
ومن عجب يلقى المحبون سلوة بشعرى ... وأشقى دونهم فى الهوى وحدى

وقصيدة « بقية الكأس » التى يقول فيها :

يا خائن العهد عهدى فى الهوى باق تنبيك عنه صباباتى وأشواق
أخلفت بالصد ميثاق الهوى زمناً لكننى فى الهوى أحكمت ميثاق
لم يبق لى من تعلات تعللنى إلا خيالك فهو الدائم الباقى

يا مستخفاً بمشتاق تؤججه حرارة الشوق لا تهزأ بمشتاق
دارت عليه بكأس الهجر ساقية كما يدور بكأس الخمرة الساقى
فما له من حلاوات الهوى بدل وما له من مرارات الجوى واق

فى ذمة الله ليلاتى التى سلفت واخضوضبت بالهوى فيهن أوراق
كم لألأت بمغنانا أى لألأة وأشرقت بهوانا أى إشراق
ما بالنا اليوم ؟ لا بيض المنى بقيت على الحب ولا ليل الهوى باق

وفى الديوان إلى ذلك نواح أخرى من خصب وجمال ، وفيه كذلك مآخذ يسيرة وهنات هينة ، سأكشف عن هذه وتلك فى المقال الآتى إن شاء الله .

(للكلام بقية) على متولى صلاح

رمضـــــان

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)

كتب الأستاذ محمد سعيد العريان الحلقة الأولى فى سلسلة جديدة اسمها « مكتبة الشعب » يقوم بإصدارها الأساتذة محمد ثابت ومحمد عبد الهادى البيومى وأحمد يوسف ، ويقصدون منها إلى تقديم زاد ثقافى مناسب للجمهور الذى لا يرتفع مستوى إدراكه إلى كتب الخاصة ومجلاتهم ، بحيث يجد فى هذه الثقافة الميسرة ما يغنيه عما يكتب لمجرد التسلية واللهو .

وهذه الحلقة الأولى التى بدأ بها الأستاذ العريان موضوعها « رمضان » وقد تناول فيها رمضان من جميع نواحيه : الأحكام الدينية والعادات والصور الشعبية ، فجمع فيها بين الدين والفن والاجتماع بأسلوب سهل ممتع جذاب .

عباس حسان خضر



اشتراك فى الإثم ...

للشاعر الفرنسى القصصى بول بورجيه

بقلم السيد كمال الحريرى

لقيت فى ميلان على رصيف المحطة « آدم ريموند » ، بينما كنت أصعد إلى قطار من تلك القطر التى يتبجح الإيطاليون بتسميتها « البرق » . تصور أن هذه القطر لا توصلك فى أقل من سبع ساعات إلى بلد لا يستغرق الوصول إليه أكثر من خمس . ماذا ، أتسخط أنت أم تتذمر ؟ ؟ إنك إن تفعل يجيبوك بابتسامة رقيقة لا تقاوم « ذلك هو الحظ الإيطالى ! أيسخرون من أنفسهم أم يستهزئون بك ؟ ؟ مهما يكن من الأمر فأنت مجبر على أن تغتفر لهذا القطار « البرق » استراحاته المستمرة على طول الطريق ليتسلم حزم البريد من كل محطة . ومع ذلك ففيم الحنق والإنكار وأنت فى رحلة لذيذة إلى « جه ن » لمشاهدة « القصر الأحمر » و « القصر الأبيض » ؟ ذلك أنى كنت أقصد « جه ن » ، حين دلفت إلى « آدم ريموند » وكان قاصداً إليها أيضاً فسألنى :

— أترغب فى مرافقتى يا صديق ؟ فأجبته وأنا أتقدمه فى صعود القاطرة « ليس أحب إلى من هذا » مع أنى لم أكن مخلصاً فى قولها ، لا لأن شخص « ريموند » كان مقيتاً إلى ، فهو فتى رقيق الحاشية ظريف الطبع ، ما أنكرت منذ العشرين عاماً التى مرت على تعارفنا شيئاً من علاقاتنا الودية معاً ، رغم اختلافنا فى الذوق والمنزع . زد على ذلك أنه حدّيث بارع ظريف الحوار له من ثروته الفائضة عن حاجاته ما يسمح له بالإرتحال والسياحة . ولقد ساح فعلا فى بلاد كثيرة وشاهد ممالك مختلفة . على أنه مهما كان من شأنه فهو « باريسى » ، وعند ما لا يستطيع المرء أن يختلس من شتائه غير عشرين يوماً يخصصها للاستجمام فى حمامات إيطاليا ، يتخوف ويتهرب من كل مُلاقاة من شأنها أن تقذفه ثانية إلى « باريسه » المتروكة .

قص على « رايموند » قصة كانت من التأثير على بحيث أريد أن أقصها بدورى . لأنها تتعلق بسلسلة من « حالات الضمير » وبالرغم مما قاله عنها « باسكال » فإن كل ما فى الحياة الإنسانية من خير وجمال إنما يصدر عن هذه « اليقظات الوجدانية » وعما تؤدى إليه من حلول . لقد كان رفيقى يسرد على هذه الحكاية ، على حين يطوى القطار المسافة من « نوفى » حتى « سمبيه دارينا » فى هضاب مرتفعة متموجة على طول الوادى الضيق الذى تتلوى فيه « سكرفينا » الموحشة ، ولقد كنا نتبادل على مصادفات الطريق كثيراً من المناسبات والأحاديث ، حين طرح على هذا السؤال العارض البسيط :

— أين تنزل فى « جه ن » ؟

فسميت له فندقاً خارجاً بعض الشىء عن منطقة أشباهه من فنادق المدينة . كنت أفضله لبستانه الفينان الواسع .

فقال « رايموند » :

— يؤسفنى إذاً أننا سنفترق . فكر يا صديقى فى أن هذا الفندق يثير فى نفسى ذكرى مؤلمة ، وإنى لأتطير أبداً من العودة إلى مكان جرى لى فيه حادثة مكروهة مزعجة . حادثة ؟؟ إن هذا التعبير مجاوز حده . ولكن مع ذلك ...

وسكت قليلا ثم قال : أتحب أن أذكر لك هذه الحادثة ، خصوصاً وأنى أرغب فى معرفة ما عساك تفعله لو كنت محلى آنذاك ؟ لسوف أبدل لك أسماء أبطال القصة ، وبهذا لا تعلم عن هويتهم شيئاً . ثم ساق لى رايموند القصة فقال :

مضى على هذه الواقعة التى أنا بصددها خمسة عشر عاماً ، وكان ذلك لأول زيارة أزور فيها « جه ن » . هبطت إذاً ذلك الفندق الذى ذكرته أنت ، لنفس الأسباب التى حببته إليك . وكان الوقت خريفاً . وأؤكد لك أنى زرت يومئذ جميع القصور والكنائس الشهيرة : قصر الفنان فانديك ، قصر ده برينيول ، سان بالبى ، به ران ، وكنيسة « سانت أسطفانو » و « سانتاماريا » وتماثيل « ده سانت لورانزو » . من هذا تعلم أنى جوّاب محق ، وفى المساء بينما كنت جالساً إلى عريشة أنيقة من عرائش بستان

هذا النزل ، أدون بعضاً من مشاهداتى وتأثراتى اليوميـة ، إذا برنين صوت نسائى على بضع خطوات منى فى ممشى من مماشى البستان ، يهزنى من محلى . لقد كانت غادة تتكلم وهى تظن نفسها على التأكيد منفردة وفى نجوة من الآذان المتطفلة،وبجانبها فتى يمشى متمهلا مترفقاً . وكانت جمل الحوار التى ردداها ، دارجة كثيرة الاستعمال مما يؤكد أنهما فى حداثة الحب .

— كانت تقول « آه يا حبيبى العزيز . ما كنت لأجسر حتى على الحلم بهذا : أن أكون هنا بجانبك إزاء هذا البحر وتحت هذه السماء وأمامنا ساعات طويلة للمتعة واللذاذات ؟؟ عشرون ساعة ، لأن القطار لن يبرح « جه ن » قبل الظهر !

فأجابها صاحبها :

— أما أنا فلست أقل منك سعادة وسروراً ، لأنى لم أكن أحلم أن باستطاعتك الإنطلاق حرة إلى هنا ... ولكن ليكن رائدنا الحيطة ، ولنعد إلى النزل ، فإنه آمن لنا من هذا البستان المكشوف الذى ربما نلتقى فيه أحداً يعرفنا ، فسألته :

— ومن يكون إذاً ؟ إنه لمن المتع اللذيذ أن أنشق هذا النسيم المنعش وأشهد مغيب الشمس الجميل بصحبتك .

فقال الشاب :

— ومع هذا لقد كنت أحسن صنعاً ، منذ هنيهة لو أنى حين نزولى الفندق ، اتبعت فكرة البحث فى قائمته عمن فيه من السواح . فأجابته الغادة بغنة العتاب الرقيق :

— يا ضنين ؛ أتراك تأسف على عدم اختلاسك منى هذه الخمس دقائق ؟ آه لو كنت مشغوفاً بى كل الشغف ، ما تعاقلت كل هذا التعاقل ، ولما عرفت لك كل هذه الفطنة والحذر .

فأجابها رفيقها :

— ولكن ذلك كله من أجلك يا حبيبتى . وإنما أبغى بكل جهد مستطاع أن أجنبك المخاوف والمتاعب

فتنهدت الفتاة قائلة :

ليأت من يريد أن يأتى ، إنى من الغبطة والإنتشاء بالسعادة بحيث يستوى عندى كل شىء . أسمعت ؟ ؟ كل شىء لا يهمنى . ومر العاشقان بدون أن يلمحا شخصى . وأترك لك الآن الحكم على مبلغ اضطرابى ومبعث ارتجاجى . لقد عرفت فى شخص هذه الصبية المستهامة التى لم تستطع أن تحبس لسانها عن الجهر بسعادتها وهواها ، امرأة صـديق من أعز أصدقائى وأخلص خلصائى . واسمح لى أن أطلق عليه سياقاً للقصة « شارل روتيه » واسم امرأته إن أحببت «مرغريت» أما شريكها فى هذا الموعد الغرامى لدى هذا الفندق المتطرف الضائع « بـ جه ن » فقد كان مجهولا عندى . ولا بأس أن تعلم أيضاً ، أنى أثناء ذهابى فى صباح تلك الملاقاة للبحث فى شباك البريد عما لى من رسائل ، تسلمت من نفس صديق « روتيـه » فى باريس ، رسالة يقص علىَّ فيها أن قرينته تستفيد من سياحتها القصيرة بإيطاليا عند ابنة عم لها دعتها إليها كى تقضى خمسة عشر يوماً فى « فلورنسا » و« روما » ولقد سمى لى فى رسالته اسم هـذه « الابنة العم » بلهجة الامتنان والشكران على ما قدمته لامرأته الحبيبة من متعـة وسرور . لم تكن عائلة صديق « روتيه » معدودة من العوائل الواسـعة الثراء ؛ فهو نفسه كان فى مفتتح مهنة المحاماة التى بدأ يلمع فيها نجمه ويعلو . أما ابنة العم فهى على العكس من ذلك : كان إيرادها فى السنة مائة ألف فرنك . ولقد كنت أعلم كل هذه التفاصيل باعتبارى كنت شاهداً لزواج صديقى « شارل روتيه » وأذكر يومئذ أنى سرت وابنة العم هذه فى موكب القران وقد عقدت ذراعى بذراعها . دخل الحبان بهو الفندق منذ زمن ، حيث أخذا هناك لا شك يتناولان الغـداء على انفراد فى جو من الإيناس المسكر الخطر ، الذى خطره وحده يخلق اللذة والمتعة فى العلاقات المستورة . أما أنا فـكنت ما أزال فى البستان جالساً إلى المنضدة الصـغيرة محدقاً فى دفترى المفتوح ، غارقاً فى لجج التفـكير . وبعد أن ثبت لدى انهيار بناء تلك العائلة ، سأشعر بعض الألم أكثر من شعورى بعاطفة السخرية . ولكن أليس من السخر ما هو الألم مجسماً ؟ إن التناقض الظاهر بين حضورى مراسيم حفلة الزواج تلك ، وهذا الموعد الغرامى ، أفعم قلبى منذ ذلك الحين مرارة غريبة البية . أضف إلى هذا أن « روتيه » كان عنـدى صديقاً عزيزاً . وهو يعبد امرأته التى تزوجته بالرغم من إرادة والديها . كما أنى كنت أعرف تمام المعرفة أن شارل كان يرهق نفسـه فى العمل كل الإرهاق من أجل ترفيهها وتدليلها ، وأنه وهو العقيم الذى لم يرزق ولداً كان توأماً

إلى النسل . وأظنك لو جمعت كل هذه الأسباب جملة ، قدرت الإضطراب النفسى الذى أوقعنى فيه ذلك الإكتشاف الفاجىء : اكتشاف المرأة المعبودة المقدسة تخون زوجها هذه الخيانة النكراء . ترى كم مضى من الزمن على أولى هذه المغامرات ؟ ثم أين التقت بهذا الفتى الذى لا أذكرأنى شاهدته أوصادفته عندهم ؟ وأخيراً ما هو الدور الذى تلعبه « ابنة العم » فى هذه المأساة ؟ أترى «مرغريت» متواطئة معها ، أم أن الزوجة الخائنة استطاعت أن تجد الوسيلة لخداع ابنة عمها ، كما خادعت زوجها ؟ وهل تكون هذه الملاقاة هى الأولى التى بات العاشقان فيها الواحد للآخر؟ من يدرى لعل هذا الولد الذى يهفو صديقى إلى إيجاده مدفوعا بغريزة الأبوة النبيلة ، أن يتولد ويتخلق هنا فى هذا المنزل الذى أرى من خلال أغصان أشجاره واجهته المضيئة بالنقوش والمثقبة بالنوافذ والشبابيك ؟! ثم أى نافذة من تلك النوافذ هى التى تنفتح على الغرفة التى يأوى إليها الزوجان غير الشرعيين ؟ ! كل هذه الأسئلة كانت تخطر على ذهنى دفعة واحدة ، ثم تتجمع كلها حول هذا السؤال الأخير . مجيباً ما هو واجبى أنا ؟ ... هناك حكمة هندية تعلمها جيداً كما أعلمها تقول : لا ينبغى أن تضرب امرأة حتى بزهرة . إن فكرة الشرف والفروسية التى انغرست فى أعماقنا منذ عصور بعيدة كانت من التمكن «والتسلط» على ، بحيث أخذت أردد فى نفسى : إن واجبى هو التزامى حدود الصمت والكتمان ... السكوت ؟ الكتمان ؟ ... ورحت أتخيل « شارل روتيه » كما اعتدت رؤيته غالباً منذ زواجه ، مكباً على أضابير « زبائنه » يستقبلنى فى غرفة أعماله ، بهذه الكلمات أو ما يماثلها : ليس لدى من الوقت ما يمكننى من مصالحتك . إنى لأغص بالأشغال وأرهق بالدعاوى . ومصالحى وأعمالى تزيد وتطرد يوماً فيوماً ، وثروتى الصغيرة تنمو معها أيضاً . ومع ذلك لا شىء يُعجز الإنسان حين يكون له شخص حبيب إليه . كنت أتمثل وجهه وكأنه قناع جعدته المشاغل وحضرته المتاعب ، تضىء من خلاله ابتسامة سعيدة راضية .

يا للجمود ! أفى الوقت الذى ينصب صديقى جسمه ويقتل نفسه بالإنكباب على العمل المرهق ، ليؤمن لامرأته أسباب ترفها وبذخها ، تسلم هذه الأخيرة زمام فؤادها وعواطفها إلى شخص آخر ؟ ! إنها لتنفق على تجملها وتزينها مالا مكتسباً بعرق جبين زوجها . وكل ذلك كى تعجب رجلا غيره وا أسفاه ! وأنا نفسى ، هل يجمل بى أن أسمح باستغلال أتعاب صديقى النزيهة الشريفة على هذه الصورة المخزية ، من قبل هذه السارقة الخبيثة بعد أن سمعت ماسمعت ورأيت مارأيت ؟ أأصمت فلا أنطق ؟ ولكن ذلك اشتراك فى الاثم ! ومرت على الذاكرة عهود صداقتى الطويلة الدى مع شارل : فتمثلته فى سن العاشرة ، بقميصه المدرسى المشابه لقميصى ، وتمثلت ملاهينا وألعابنا آنذاك . ثم تخيلته فى الخامسة عشرة وأنا معه فى سفرة قصيرة لعطلة قضيناها عند أهله فى الريف . لقد كنا طالبين داخليين بمدرسة « لويس كراند » ترى أكنا سعداء ذلك الصيف بانصرافنا عن مرج المدرسة البارد الضيق ، إلى سهل «لوار» الأخضر المرع ؟ ثم تصورت صديق فى العشرين من عمره يمارس معى خدمته العسكرية ، وكيف كانت بعد ذلك حياتنا فى الحى « اللاتينى » ونحن نتابع دراستنا معاً فى كلية الحقوق كل هذه الصحبة الطويلة التى استمرت ما بيننا أربعين سنة ، والتى هى بالأخوة أشبه ، ثارت بى وتمردت على هذا الاشتراك فى الجرم . وفى الحق أن صمتى لا يمكن أن يوصف بأقل من ذلك . فلو فرضنا أن العاشقين اقترفا إثماً أو أتيا منكراً « ونزهتهما الحمقاء فى البستان تبرر ذلك وتؤيده » ... فهل أجد الجرأة على أن أقول لشارل : « لقد كنت أعلم كل شىء من قبل ؟ ... لئن جبهته بذلك القول ألا يسخط لأنى لم أنذره من قبل ؟! ولكن كيف لى بإنذاره وإعلامه ؟. أفى الممكن الوشاية بامرأة ؟ أمن اللائق والذوق فضحها وإشهار أمرها ؟ كان لزاماً على إعلام صديقى شارل برسالة عن كل شىء . ولكن اليس يجدر بقلمى أن ينكسر بدلا من كتابته ما فاجأت به امرأته ؟ وأخيراً أبى حاجة إلى أن أزيدك كلمة على ما ذكرت؟ ... وأظنك الآن فهمت لماذا يثير هذا الفندق الذى أمضيت فيه تلك الأمسية فريسة لتقريع الضمير ، ذكرى أليمة لا تطيقها نفسى أبداً . إن مجرد شعورى بأن الخيانة وقعت على بضع خطوات منى ، وإن مارى كانت بين ذراعى حبيبها ، فى غرفة ربما تكون ملاصقة لحجرتى ، كان يضيف إلى هذا الاضطراب النفسى عذاباً جسميا كاد يطلنى فيتحول إلى آلام لا تحتمل .

البقية فى العدد القادم

كمال الحريرى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٣٥ — الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

ملاحظات وردود على تأملات ونقود : الأستاذ عباس محمود العقاد ٨٥٧
فرنسا ومستعمراتها ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ٨٥٩
عشرة أيام فى الشام ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ٨٦٤
حجة تاريخية ... ... : الدكتور جواد على ٨٦٧
أمان ... ... : السيدة الفاضلة منية الكيلانى ... ٨٦٩
عشاق الطعام ! ! ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ٨٧٢
يوم بدر ... ... (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم محمد نجا ٨٧٤
أنغام الحب ... ... « : الأستاذ أنور العطار ٨٧٥

« **تعقيبات** » : تراث المعرى — ولكنهم المعلمون — كان آباؤنا ٨٧٦
أبر وأكرم ٨٧٧

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : عام التوائم — حكايات (أبو النواس) ٨٧٨
— شخصية الفنان — أبو زيد الهلالى ٨٨٠

« **البريد الأدبى** » : القرآن والفرقان — إلى سائلين — المحاصرة — ٨٨١
أروقة سود — إلى الأستاذ محمود شاكر — إلى الشيخ محمد رجب البيومى —
الأشغال الشاقة المؤبدة ٨٨٢

اشتراك فى الإثم ... ... (قصة) { للشاعر الفرنسي بول بورجيه ... / بقلم السيد كمال الحريرى ... } ٨٥٧

٢٩٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



15em Année No. 735

Lundi — 4 — 8 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ملاحظـــات وردود
على تأملات ونقود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ إسماعيل مظهر فى مجلة « المقتطف » فصلا افتتاحياً ضمنه بعض « التأملات والنقود » حول موضوع كتابنا عن « الله » ثم ألحقه بتذييل عن المصطلحات والأسماء التى « لا يوافق عليها »

وفى هذا وذاك مجال للمناقشة والتعقيب من قبيل التصحيح أو التوضيح .

وهذا بعض ما رأينا أن نناقشه من تلك النقود والملاحظات

***

انتقد الأستاذ مظهر ترجمة الأنيميزم animism بالاستحياء وقال ان حقيقتها الفكرة الروحانية واستشهد على ذلك بمعجم من المعجمات الإنجليزية

ونقول إن هذه المصطلحات لا يرجع فيها إلى المعجمات العامة وإنما يرجع فيها إلى معنى المذهب الذى تدل عليه

فكلمة « الأنيميزم » لها معان كثيرة تختلف باختلاف العلوم التى تدخل فيها ، وهى فى علم وظائف الأعضاء غيرها فيما وراء الطبيعة وغيرها فى علم أصول الإنسان

والمعنى المقصود هنا فى مذهب تيلور أن الهمجى كان يؤله الأشياء والظواهر الطبيعية لأنه كان كالطفل الذى يضرب الباب إذا اصطدم به لأنه يحسبه فى حكم الأحياء . ونحن لا نقول إن الطفل يضرب الباب لأنه يؤمن بالفكرة الروحية وإنما نقول إنه يضربه لأنه يؤمن بالاستحياء ، أو لأنه « يستحيى » الأشياء التى ليست لها حياة

وانتقد الأستاذ مظهر ترجمتنا البوليثزم Polytheism بتعديد الآلهة وقال : « هو الإشراك أو الشرك وهو اصطلاح قديم جار على الألسنة وتضمنته المؤلفات العربية من أقدم عصور البحث الفلسفى فيها »

نقول نعم ... ولكنك لا تقول إن القبائل الهمجية كانت تؤمن بالشرك لأن الإيمان بالشرك يقتضى الإيمان قبل ذلك بوحدانية الله . ولا معنى لأن تصف إنساناً بأنه مشرك قبل أن يظهر على الكرة الأرضية دين يدعو إلى التوحيد ، أو يدعو إلى الإله الواحد الذى يدعو إلى غيره أولئك « المشركون »

وفرق بين كلام الكاتب العربى عن المشركين بعد ظهور الإسلام وبين كلام المؤرخ الذى يرجع إلى أطوار العبادة من التعديد إلى الترجيح إلى التوحيد . فلو قال ذلك المؤرخ إن الهمج أشركوا قبل أن يؤرخ لنا ديانات التوحيد لكان كلامه هذا خطأ فى التاريخ وخطأ فى التعبير

وانتقد الأستاذ مظهر بعض الحروف كقولنا الشيشيميون بدلا من « الخيخيميون » كما يرى . أو كقولنا كرونوس بدلا

من أخرونوس إلى أمثال هذه التصحيفات فى رأى الأستاذ

وجوابنا عن ذلك إن كتاب العربية يكتبون «ارشميدس» كما يكتبون « أرخميدس » أو يكتبون أرشميد وأرخميد بغير سين

وإنهم يكتبون كرستوف كولمبس كما يكتبون خرستوف كولمبس أو كولمب فى الحالتين

وأن العرب أخذوا من الفارسية « خسراو » فجعلوها كسرى مع وجود الخاء فى اللغة العربية

وإن كرونوس بذاتها لا يصح أن تترجم أخرونوس فى المقام الذى ترجمت فيه ؛ لأنها تتصل بمعنى الزمان ونحن نقول اليوم « كرونومتر » ولا نقول « أخرونومتر » كما يريد الأستاذ

ويعيب الأستاذ مظهر ترجمة الديالـكتك Dialectic بالثنائية ويفضل ترجمتها بالجدلية

وهو فى ذلك على خطأ عظيم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى؛ لأننا رددنا ديا « Dia » إلى معناها الأصيل وهو التثنية ومنها الآن كلمة Deux بالفرنسية و Two بالإنجليزية

ولأن مذهب كارل ماركس وهو « الديالـكتك » يقوم على أن المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها ، ولا يقوم على أن المادة جدلية أو يجادل بعضها بعضاً فى أطوارها المتتابعة

وقال الأستاذ مظهر فى مفتتح كلامه : « ما من شيء فى دنيا الفكر ينبغى أن تحدد معانيه تحديداً دقيقاً إذا أردنا أن نأمن العثار ونطوى مراحل الجدل كتحديد المعنى الذى ندركه من كلمة الله والمعنى الذى ندركه من الألوهيـة أو الربوبية ... ولـكن ينبغى أن نتواضع على تفرقة بينهما فى الاستعمال ، وأود لو أننا ندرك إذا قلنا الله إنه موضوع مرده إلى الدين ، وأن ندرك من القول بالألوهية والربوبية أنه موضوع مرده إلى الفلسفة والتأمل »

وقد كان خليقاً بالأستاذ مظهر أن يرجع فى هذا إلى غرضنا من الـكتاب

فنحن قد أردنا به أن نبين كيف وصل الإنسان إلى الإيمان بالله ، ولم نرد به أن نبين كيف وصل إلى مجرد الربوبية ، لأنه قد وصل إلى الإيمان بالربوبية منذ آمن بالطواطم أو منذ آمن برب ما من الأرباب قبل عصور التاريخ

وقال الأستاذ مظهر عن كلمة الوجود ينتقد قولنا « إننا نعطى الوجود ألزم لوازمه إذا قلنا إنه غير المعدوم » فعقب على ذلك قائلاً : « ذلك قول غير مستقيم ذهناً لأن الوجود يقابله المعدم ولا يقابله المعدوم »

نقول نعم ... ولـكننا إذا قلنا الشيبية قصدنا بذلك الشبان ؛ وإذا قلنا العلم قصدنا بذلك المعلومات ، وإذا قلنا : هذا الوجود . قصدنا بذلك هذه الموجودات

ومن أعجب العجب قول الأستاذ مظهر إن الوجود يتوقف على إحساس من يحسونه . فهل معنى ذلك أن الشيء لا يكون موجوداً لذاته إلا إذا وجد من يحس أنه موجود !

وانتقد الأستاذ مظهر قولنا إن الوعى الـكونى هو علة البحث عن العقيدة ، ثم استشهد بكلام « أوغست كونت » حيث يقول: « إن الاعتقاد فى إرادات أو ذوات عاقلة لم يكن إلا تصوراً باطلا تخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية . أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لا بد من أن تعود إلى سبب طبيعى ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلا مبناه العلم الطبيعى فلم يبق ثمت من فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يسوقنا إلى الإيمان به »

ونلاحظ أولا أن الأستاذ مظهر يترجم auguste باوغست فلماذا ترجمها هكذا وليس فى الفرنسية حرف الغين !

ثم نلاحظ أن الأستاذ قد أغفل الجانب المهم من الفلسفة الوضعية كلها وهو أن كونت لا ينفى وجود ما وراء الطبيعة ولا ينفى ضرورة الاعتقاد ، ولـكنه يقول إن العقل قاصر عن معرفة غير المحدود وأنه ينبغى من ثم أن يتخذ له عقيدة إنسانية تؤمن بالإنسان وتنوط الثواب الأعظم بإسداء الخير إلى بنى الإنسان

وقد وجد بعد كونت فلاسفة يعلمون مالم يكن يعلمه فى زمانه ، ولم يكفوا عن البحث فيما وراء الطبيعة ، ولم يذهبوا إلى ذلك السـخف الذى ذهب إليه حين وقع فى ذلك التناقض الذى لا تقبله العقول فضلا عن وجدان الدين

فأى تناقض أسخف من تناقض القائلين بأننا نترك الإيمان بغير المحدود لأنه غير محدود ؟

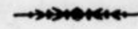
أى كائن أحق بالإيمان به من الـكائن المطلق الـكمال ؟ فلماذا يكون سبب الإيمان الوحيد هو السبب المبطل لـكل إيمان ؟

القسم السابع :

فرنسا ومستعمراتها

الاعتـــداء على الجزائر

للأســـتاذ أحمد رمزى بك



« يا ويلاه ! إن المصائب والنكبات وامتحان الدهر ليست وحدها العائق الذى يعترضنا فى الحياة بل إن أعمالنا وجهودنا نفسها كثيراً ما تكون حرباً علينا » « فاوست »

ليذكر العرب جميعاً والعالم الإسلامى وسائر أمم الأرض أن فرنسا اعتدت بلا مبرر ، بل بسبق إصرار وتربص على حرية الأمة الجزائرية ، وكان ذلك بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة ، وإنما جمعت وحشدت الجنود وأنزلتها فى يوم ١٩ يونية سنة ١٨٣٠ عند الصباح فى مرسى سيدى فرج ، حيث انسحبت قوات والى الجزائر من البرج القائم حقناً للدماء وإثباتاً للتعدى أمام طوفان الفرق التى جاءت من فرنسا بمدافعها وعتادها الحربى .

هذا اليوم يجب أن يبقى خالداً فى ذكريات كل فرد منا ، مهما كانت ثقافته ومهما كانت آماله ، ولأهل الجزائر أن يرفعوا أيديهم بالاحتجاج على هذا العدوان ، وأن تنصت السموات الملا إليهم ، وتستمع الأرض ومن عليها لشكواهم وآلامهم

وليتخذ أبناء المروبة هذا يوم حداد لهم يقفون دقائق معدودة تحية للمجاهدين والقاتلين الذين جادوا بأرواحهم دفاعاً عن حريات الأمة الجزائرية فى كفاحها الطويل وجهادها ، وليبق هذا اليوم الأسود قائماً بينناحتى يصفح الله عن شعبه وأرضه ويرد إليه حقه ، وإلى أن تعود الحياة والنور إلى الشعب الجزائرى على الثرى الذى حمل أمجاده والذى هو له وحده .

كان هذا الاحتلال نكبة كبرى على العروبة والإسلام ، لا للحوادث التى تمخض عنها من ضياع استقلال تونس ومراكش ، ولا للحوادث الكفاح والقتال والتصادم التى دامت سنوات عديدة ، ولا لما أثاره من المعارك والقاتل والأيام المشهودة ، وإنما كان

فإذا كانت المعرفة العلمية قاصرة عن الإحاطة بغير المحدود على زعمه فيجب أن يكون هناك سبيل إلى الشعور به من غير المعرفة العلمية ، وهو سبيل الإيمان

والمسألة ليست من البساطة والسهولة بحيث يقول الأستاذ مظهر إن علم التطور « أثبت أن الإنسان نتيجة مترتبة على النواميس القديمة الأزلية وأن حدوثه ليس أكثر من توليف جديد حدث فى جواهر المادة »

فكيف أثبت علم التطور أن الإنسان توليفة جديدة فقط حدثت فى عالم المادة ؟

هل أثبت علم التطور حتى الآن علة الفرق بين أصغر الخلايا الحية وبين الذرة المادية ؟

وإذا كان علم التطور لم يثبت ذلك فكيف يجزم بالرأى فى حقيقة الإنسان كله وهو أعلى ما شهدناه من ظواهر الحياة ؟

وإذا كان علم التطور قد أثبت ذلك فلماذا لا يخرج لنا خلية حية تنشطر وتلتئم وتتوزع وتتجمع وتدخل فى الرحم بدلا من خلية الإنسان أو خلية الحيوان فينشأ منها مولود جديد على مثال أمه وأبيه ؟

إن أجهل همجى لهو أصدق شعوراً بالعالم من الفيلسوف المصرى الذى يحصر مسألة الحياة هذا الحصر المعيب . لأنه على الأقل يدرك للكون عظمة ورهبة تخفيان على الفيلسوف الذى يظن أن الآزال والآباد كانت فى انتظاره حتى يظهر فى سنة ١٨٠ أو ١٩٠٠ أو ٢٠٠٠ فيضع الكون كله فى تلك العلبة الصغيرة ويغلقه هناك بالمفتاح الأخير

على أننا ندع الخوض فى هذا النهار فقد عرفنا كيف كان وقوف الأستاذ مظهر على الشاطىء بين الماء والرمال ، ونرجع إلى المصطلحات والنقود فلا نزيد على ما تقدم إلا أن نرجو الأستاذ ومن ينقدون على غراره أن ينقدوا بعد أناة طويلة . فقد تبين مما تقدم أننا لم يفتنا شىء مما يقع فى خواطرهم ، ولكنهم هم قد يفوتهم شىء كثير مما توخينا ...

عباس محمود العقاد

محنة إزاء ما تبينه العالم من صمت المسلمين وجمودهم وتفرق كلمتهم .
لقد كشفنا هذا العدوان الفرنسي أمام الدنيا وشعوبها . كنا قوة تخشاها أحداث الزمن ، فإذا نحن لا شيء . كان العالم يحسب ألف حساب للروح التي تفيض حماسة وقوة ورفعة ، تلك الروح التي أفرغتها تعاليم الإسلام على الأفراد والجماعات والشعوب ، فإذا هذه الروح لا وجود لها ، إنها قد ماتت ولم يعد لهـا بقاء ولم تقم لها قائمة ، ولهذا حمل أهل الجزائر عبء القتال وحدهم ، وكان عبئاً ثقيلا عليهم . حقا إنهم ما وهنوا لمـا أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، ولـكن للطاقة البشرية حداً ، إنهم دافعوا دفاع المستميت حتى ألقوا في النهاية أسلحتهم .

هذه ناحية جديرة بالبحث والتحقيق ، نقول ماذا دهى العالم الإسلامي وأهله ؟ ماذا أصاب هذه الشعوب التي عهدناها في التاريخ زاحفة على الأخطار تتلقاها بصدور ملؤها الإيمان ، لا تلين يوم ترجف الراجفة ولا تخضع ولا تستأمن ، وإنمـا تقوم للأحداث وتقعد . أين ذهبت تلك الحيوية التي كانت تتبع الرادفة بالرادفة ، وتهز بعزائم أهلها الدنيا ، وتواجه بصدور أهلها طوفان الحوادث فتعلو عليه والنصر من كل جانب يواتيها ؟

ولقد افتتحت هذا المقال بجملة من فاوست قالها جوته الشاعر الألماني ، وهي تلخص حال المسلمين في افتتاح القرن الماضي ، إذ كانت قد خفتت منذ سنوات وقرون أصوات المعارك الزاحفة ، وانهدت صروح الممالك القوية ، وتفككت عرى الدنيا الإسلامية حينما أطلت طلائع القرن التاسع عشر علينا ، فأصبحت المدن التي كانت عامرة أنقاضاً ، وهبط عدد المسلمين في مصر وفارس وسوريا والمغرب ، وضعف شأن المسلمين في كل جانب ، ومنذ ابتداء القرن الثامن عشر لم يبق لهم إلا دولة آل عثمان التي وصلت جحافلها إلى فينا مرتين ، ثم إذا هي تواجه الهجمات المتتالية في جبهة البلقان والمجر ، وتدافع ببطولة واستماتة ؛ فمن كان بوسعه أن يخترق حجب الغيب قبل وقوع هـذا الحدث الأعظم بثلاثة قرون ، ويجاهر المسلمين بأن مصائب القرن التـاسع عشر وأرزاءه كانت نتيجة للأخطاء التي ارتكبها أسلافهم بحروبهم وسياستهم وتفرق كلمتهم ؟

لم يبق من شك في أن الحروب التي شنها سـليم الأول على مصر وإيران أضعفت الـكيان الإسلامي كقوة فعالة ، ولا سيما إذا حللنا على ضوء المنطق الأسباب التي دفعته إليها ، فقد كانت مشاكله مع الدولتين من الأمور التي كان بوسعه حسمها بدون أن يتورط في معارك مع دول إسلامية هي بطبيعتها حليفة له .

فكان من أثر حروبه أن زالت من الوجود دولة مصر التي كسبت الحروب الصليبية في مواجهة أوربا ، وناهيك بذلك مفخرة لها .

إن الضربة التي وجهت إلى مصر في سنة ٩٢٢ هـ ، كانت ضربة ضد العروبة والإسلام ، إذ كان من أثرها أن انهار ركن من دعائم دنيا المسلمين كان له المقام الأول في الدفاع عن أراضيهم وصد أعدائهم ، وسرعان ما ظهرت للعيان فداحة هذا الرزء حينما لم يمض نصف قرن حتى أعقب ذلك هبوط سريع في عدد السكان ، ونقص في العمران الذي كان قائماً بأراضي مصر والشام ، بل إن أثر الفتح العثماني كان شديداً حتى على الحركة العلمية والأدبية التي كانت سائدة بمدارس القاهرة ودمشق ، فلم نعد نسمع بمصر عن رجال من أمثال ابن خلدون والسيوطي والمقريزي وغيرهم من أئمة الدين والفقه والشريعة ، ثم انظر إلى أثر هذا العدوان ضد بلاد الإسلام في العقلية الأوربية نفسها ، فهـذه جمهورية البندقية استمرت في علاقات حسنة مع مملكة مصر طول القرون الوسطى. وإنك إذا ذهبت إلى المدينة وزرت قصر الدوجات ، تجد في إحدى قاعات العرش رسماً كبيراً يمثل سفراء إيران بين يدي عاهل البندقية ، إن هذه الصورة توحي بأشياء كثيرة ، فإن هذه الجمهورية بعد زوال مصر أخذت تبحث عن حلفاء لها من بين المسلمين .

والمعروف أن دوج البندقية كان عدواً للأتراك العثمانيين ، فهو يضع في مواجهة العالم اعتزازه بتحالفه مع أعداء الدولة العثمانية من المسلمين ، وليس أبلغ للدلالة على تفرق كلمة المسلمين وتشاحنهم بعد حروب سليم من هذه الصورة القائمة حتى اليوم ، درساً وعبرة لمن يريد أن يعتبر .

وما يقال عن إيران ينصب على سلطنة مراكش ، فهي قد عاشت أكثر من ثلاثة قرون في شبه عزلة تامة نتيجة للسياسة العامة التي وضعها سليم بضرورة فرض سيادة الخاقان الأعظم على بلاد المسلمين وممالكهم ، وهي سياسة لم تـكن تسمح بإيجاد علاقات واضحة صريحة مع دولة مراكش المستقلة ، ولم يكن من نتيجتها سوى توالي المحن والنـكبات ، وتحضير الظروف وتوطئة الأحوال الملائمة لذلك الهجوم الفرنسي الذي تمثل في الاعتداء على القطر الجزائري الشهيد

قارن هذه السياسة المبنية على الدعوة إلى السيطرة العامة والخضوع لسلطان الخلافة مع المرونة التى أظهرها ملوك مصر ابتداء من الملك الظاهر بيبرس مع خانات التتار والقبيلة الذهبية وأصحاب عروش القفجاق فى روسيا ، تجد أنهم نقلوا هذه البلاد من الوثنية إلى الاسلام .

أما السياسة العثمانية فلم تنجح مع انها كانت قريبة منهم لأنها جاءت لملوك هذه البقاع وفضلت فرض نوع من الوحدة والسيادة عليهم ، وكان هؤلاء فى عنفوان قوتهم فرفضوا الإذعان لسلاطين آل عثمان ، وكانت دولة الخلافة فى إبان مجدها وفتوتها فتمسكت بسياستها ، وبعد قرنين ضعف الجانبان ، ودخل خانات القرم طوعا تحت كنف السلطان الأعظم ، فإذا هو عاجز عن حمايتهم ، وإذا بالقوى تتجمع ضد الدولة العثمانية وكان أول من جاهر بالعصيان جماعات القوزاق الذين خضعوا لها واستأسد حكام موسكو فأصبحوا بعد ضعفهم وخضوعهم لملوك المسلمين أباطرة وقياصرة ، وكانت قلاع العثمانيين على نهر الدنيبر فى شمالى رومانيا وفى وسط بلاد المجر كافية لصد جموع أوروبا مجتمعة ، ولكن ماذا تفعل الجحافل العثمانية وقد امتدت الجبهة شرقاً وظهر عدو جديد هو الروسيا التى أخذت تكتسح الأمارات الإسلامية حتى وصلت إلى شواطىء البحر الأسود الذى عرفته القرون بحيرة اسلامية ؟

لقد ظهرت للعيان أخطاء قرنين من الزمن لأن حلفاء الدولة العثمانية الطبيعيين هم سكان نهر الفولجا المسلمين وأمراء القرم وهم الذين كان بوسعهم دفع الشر إبان قوتهم ، وكان المنطق والعدل والأخوة تملى بتقوية هذه الأمارات وتشجيعها بدلا من مناوأتها ، فإذا هى أول ضحايا الزحف المسكوبى وإذا بالجبهة العثمانية تنهار بسرعة وإذا بجهود السلطنة والخلافة ينصرف من يوم حصار فينا إلى عهد حملة نابوليون ١٨١٢ فى صد الهجمات المضادة التى شنتها أوروبا . فإذا وقفت فى صدها ، عالجها الذئب الروسى الآسيوى مستعيناً بمن كانوا حلفاءها ، لقد كانت محنة كبرى ولكنها من صنع أيدينا قبل أن تكون من عمل أعدائنا . فالويل لنا إذا تكررت مرة أخرى .

فهل كان من حرج على سلاطين آل عثمان لو اتبعوا أساليب وسياسة سلاطين القاهرة فى علاقتهم مع مسلمى الفولجا والقرم ؟ لقد أثبتت الأيام أن ملوك مصر كانوا أبعد نظراً وأكثر انتباهاً .

ولذلك لم تكسب الدولة العثمانية كثيراً فى سياستها الإسلامية وجاء اتساع رقعة أراضيها فلم يمكنها من أن تصير دولة متماسكة قوية ومع خدماتها الجلى للاسلام جاء وقت كانت هى وحدها الدولة الإسلامية التى تتلقى الصدمات التى يوجهها أعداء الإسلام وخصومه إلى أممه . وفى غمرات هذه الحالة جاءت حملة فرنسا على القطر الجزائرى فإذا القوى مبعثرة والأيدى مغلولة وأراضى المسلمين الشاسعة خالية من السكان .

نذكر هذا ونكرره إزاء الصيحات التى نسمعها نحو الوحدة وتأليف دولة موحدة إسلامية . ونحن نبادر إلى القول بأن التناقضات لا تزال قائمة فى داخلية العالم الإسلامى ، هذه التناقضات التى أورثتها لنا الأطماع والحزازات والعقد النفسية ، فلنحذر من الوقوع فى أخطاء السلف ، لأن هذه الأخطاء قد تكون أكثر وبالا علينا من المصائب والنكبات التى يسببها الأعداء لنا .

وكلمة هادئة نسوقها هنا وهى : أننا من دعاة حرية الشعوب الإسلامية ولكن مع الإسراع فى الأخذ بمدنية القرن العشرين ومع العمل على نقل الشعوب إلى وعى قومى صحيح مبنى على العلم والنور وفهم الحقائق والتثبت منها ، بحيث لا يمكن التأثير عليها وقيادتها إلى أعمال تحمل من المبدأ جراثيم الفشل وتنتهى إلى نكبات ومحن تضعف من شأن المسلمين ، فعلى ضوء تجارب الماضى ودروسه القاسية تبنى وتؤسس دعائم المستقبل ، فنحن طلاب حرية وتقرير مصير واستقلال كل شعب داخل نطاق حدوده القومية والتاريخية ، ولسنا من أنصار الفكرة العثمانية التى رأينا أثرها بعد ثلاثة قرون ممثلة فى ضياع شمال إفريقية ، وإنما ندعو إلى تأسيس علاقات جديدة بين الوحدات العربية والإسلامية تنمو على ضوء التجارب مع الزمن نحو التحالف والتكاتف والتعاون ، حتى يعاد العمران وتنشأ المواصلات وتختفى الأنقاض والخرائب وتحطم أغلال الجهل التى أورثتها لنا أجيال عشنا منها تحت كنف الاستعمار والاستعباد .

هذه ناحية هامة أعادتها إلينا ذكرى احتلال الجزائر وما لمسناه من خمود أية فكرة عليا للدفاع عن هذا القطر الشهيد ؛ فلننظر من ناحية أخرى لهذا الحدث الكبير فى تاريخنا لنعرف الدوافع الكامنة وأثرها .

لقد رأينا جيوش المسلمين تسير لتحرير العالم ، حتى إذا انتهت إلى أسبانيا عبرت جبال البرانس ودخلت فرنسا بقيادة عبدالرحمن

ابن عبد الله الغافقي في سنة ٧٣٢ ميلادية .

وكانت انتصاراته سهلة على حكام البلاد فوصل زحفه إلى وادي نهر اللوار ، ولكن في وسط الوديان الشاسعة بين بلدتي تور وبواتييه ، حيث المروج الخضراء ، التقت جموع العرب لأول مرة مع جموع عنصر أوروبي مقاتل هم الجرمان وعلى رأسهم شارل مارتل ، ودارت رحى معركة قال عنها كتاب أوروبا « هي المعركة الفاصلة بين الإسلام وأوروبا المسيحية على زعامة التمدن » .

ولم تكن هذه المعركة بين الإسلام والمسيحية لأن أغلب مقاتلة الجرمان كانوا وثنيين ، ولكن الدعاية والرغبة في التهويل والتفخيم أسبغت على هذه المعركة ثوباً فضفاضاً ، لأن نتيجتها كانت انسحاب العرب من وسط فرنسا إلى جبال البرانس ، فقالوا هنا التقت أوروبا وآسيا ، وفي هذه المعركة انهزمت قوى الإسلام . ومن الغريب أن يذكر بعض المؤرخين أن بين من حارب في صفوف المسلمين أمراء مسيحيين .

لقد شاعت الروح الصليبية السائدة في أوروبا أن تجعل من معركة تور وبواتييه ، ابتداء الهجوم المضاد على المسلمين ، لا في فرنسا وحدها بل في أسبانيا ، واستمرت هذه الدعوة القائمة على الكراهية والإفناء سائدة لمدة ثمانية قرون وهي تلاحق العرب حتى صُفيت المشكلة الإسلامية في بحر من الدماء والمذابح في أسبانيا وغادر آخر ملوك غرناطة ساحل الجزيرة الخضراء .

ولقد ظن المسلمون أو خيل إليهم أن نكباتهم قد انتهت وأن جحافلهم قد آن لها أن تستريح وكانوا في ذلك من الواهمين لأنه لم تمض ثلاثة قرون حتى لاحقتهم الحروب في عقر ديارهم ، وقذفت فرنسا التي حكمها العرب وفتحوا ديارها بحملة قوامها أربعة وثلاثون ألفاً من خيرة جنودها وحملوها على أسطول عدته أربعمائة سفينة أنزلت مع الحملة مائة وعشرين مدفعاً تجرها الخيل .

ولم تكن هذه أولى الحملات بل تقدمتها محاولات أخرى لقيت فيها مدينة الجزائر الكثير من عبثهم وهدموا أحياء منها ، ويذكر التاريخ مثل هذه الهجمات على مدن السواحل الإفريقية كلها حتى مدينة الأسكندرية وبيروت وسواحل الشام أصيبت في عهد الدول العثمانية وقبلها بشيء من هذا العدوان على أيدي قراصنة الأوروبيين .

ومع ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم تمكن أهل المدن الساحلية وهم أهل الثاغرة والرباط من رد هذه الحملات إلى البحر والمحافظة على السواحل الإسلامية واسترجاع المناطق التي سيطر العدو أحياناً عليها ، ولعل هذه الانتصارات السهلة هي التي جعلت أمراء المماليك بمصر يستصغرون شأن حملة نابليون ، وجعلت أهل الجزائر يستصغرون شأن الحملة الفرنسية عليهم ، وكانوا في هذا من المخطئين فدفعوا الثمن غالياً بهزيمتهم وموتهم وأضاعوا البلاد من أيديهم .

وبهذه الحملة انتقلت حلقات الهجوم المضاد لمارك تور وبواتييه إلى الشاطىء العربي وبدأت حرب الموت والفناء تشنها قوة تعتقد أنها تستعيد مجد روما على الرمال التي حملت أعلام روما القاسية ، وتستوحي في قتال المسلمين ذكريات الحروب الصليبية ومعارك لويس التاسع في إفريقيا ، وهكذا شاءت فرنسا أن نعيش نحن معاشر العرب بأفريقيا الشمالية في غمرات الهجوم المضاد الذي بدأه الجرماني شارل مارتل علينا .

ولم يكن هناك ما يبرر هذا العدوان فقد تقرأ الكثير مما ذكره المؤرخون عن حادث إهانة الوالي حسين باشا للجنرال دوفال قنصل فرنسا حينما قدم عليه للتهنئة بعيد الفطر سنة ١٢٤٣ هجرية وما سبق هذا من النزاع على الديون التي ماطلت فرنسا في دفعها لحكومة الجزائر ، والدور الذي لعبه كل من يعقوب كوهين بلري وميخائيل أبو زناك اليهوديين في هذه القضية ، وهل ترفع إلى مجلس الجزائر ، أو إلى محاكم باريس التجارية للفصل فيها ؟ ثم احتجاج القنصل ومغادرته البلاد ومن معه من التجار الفرنسيين ، وما قيل من أن هذا القنصل تعمد إيجاد هذا الحادث بتوجيه عبارة غير لائقة للوالي حينما طلب إليه إجابة صريحة من حكومته فرد عليه أنه ليس من عادة ملك فرنسا أن يكاتب من هو دونه بغير واسطة فأثار بقوله غضب الوالي .

إذ ما الفائدة في تعرف أسباب العدوان بين القوى والضعيف والنية مبيتة والاستعداد قائم ، ولم يكن اختيار الجنرال لرأسها وهو عسكري إلا توطئة وتحضيراً للأعمال الحربية القادمة .

ووقعت الواقعة في التاسع عشر من يونية سنة ١٨٣٠ إذ أقدمت فرنسا بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة أو إنذار للوالي فأنزلت عساكرها في مرسى سيدي فرج ، وهي بقعة خالية من الناس ، لا يحرسها غير قوة صغيرة من الجنود في برج قائم رأت أن تنسحب بغير قتال حقناً للدماء أمام طوفان الفرق النازلة من الأسطول بمدافعها وعتادها الحربي .

فلنذكر جيداً هذا اليوم ولا ننسه ، لأنه يحمل ذكريات

العدوان الفرنسى على الأرض الأفريقية على بر الجزائر الشهيد .

وبعد مائة عام ، أى فى ١٩ يونية ١٩٣٠ احتفلت فرنسا بهذا اليوم فأثارت بعملها حمية شرذمة من أباة الجزائريين وأحرارهم وخرجوا من ديارهم يجوبون الممالك ، حتى لا يروا بأعينهم فى ديارهم وأوطانهم ذل يوم يحتفل فيه الناصب ويرفع أعلامه على أنقاض الوطن الجريح والشعب الشهيد ، فلقيني جماعة منهم فى مدينة استانبول ، وذكروا لى مشاهد عما يلقونه من عنت وما صارت إليه أوطانهم ومرابعهم ، وهى البلاد العزيزة التى حملت أعلام المرابطين والموحدين وقبائل المسلمين من العرب والبربر ، وكانت لهم السيادة والقيادة والحول والقوة أيام كانت ترتج أمام أمجادهم وعزائمهم جحافل الفرنجة وتخشاهم الدنيا .

وجاء منهم فريق إلى مصر ، فأمضى أياماً من غير أن يسمع لهم صوت أو أنين ، ولما جاء الفوج الثانى أرجعهم بوليس مصر وشرطة الموانى بحجة أن مصر لم تكن موقعة على جوازات سفرهم . وضحكت من الأيام التى جعلت بوليسنا حريصاً على تنفيذ تعليمات حكومة الاستعمار الفرنسية متيقظاً ألا يدخل مصر العربية من هم من أقرب الشعوب إلينا وألصقهم بنا ، ومن يحملون تأشيرة مصرية قانونية ، ولا أدرى من الذى لفت الأنظار إليهم ، ومن حال بينهم وبين مصر ، ومن أعطى التعليمات بإعادتهم .

وارتجت مدن الجزائر فى يونية ١٨٣٠ ، وقامت القائمة فيها ، والوالى يجمع جنده ويحشدهم ويرسل إلى البلاد والأقاليم يدعو للجهاد والدفاع ، ويطلب النجدة من وهران وقسنطينة ، وخرجت الجموع لمهاجمة معسكر الفرنسيين ، فاقتحموا المراكز الأمامية أمام تراجع الجنود الفرنسية ، حتى إذا صاروا تحت مرمى المدفعية حصدتهم بنيرانها حصداً ، فاختلت صفوفهم ، وأخلوا الأماكن التى احتلوها ، وتعقبهم الفرنسيون ، وكانت هذه أول ملحمة على أرض الجزائر فى يوم ٢٥ يونية ١٨٣٠

وكانت قوات والى الجزائر محتشدة داخل حصون فى ناحية أبى جارية ، فخرجت منها للقتال والتحمت مرة ثانية مع الفرنسيين فلم تصبر على النيران ، وارتدت وأخلت هذا المعسكر فاحتله العدو ثم تقدموا منه واحتلوا بساتين المدينة وأطرافها وبدأوا حصارها .

وبعد أيام أخذوا فى إطلاق نيران المدفعية فأصابت قذائفها برج مولاى الحسن وكانت فيه مخازن البارود . فأصابتها قنبلة سببت انفجاراً هائلا ، فاندك البرج على من فيه ، وتطايرت حجارته ، وتهدمت عدة منازل ومات خلق كثير تحت الأنقاض

وبهذه النائبة اهتزت أركان المدينة وفقدت روح المقاومة واستولى الرعب والقلق على السكان فقرر الوالى تسليم المدينة .

وفى صباح يوم ٦ يولية ١٨٣٠ الموافق ١٣ المحرم ١٢٤٦ دخلت جيوش فرنسا من الباب الجديد وأنزلت الأعلام العثمانية من القصبة والأبراج ورفعت الرايات الفرنسية واحتلت الجنود القصبة والقلاع والشواطىء وزالت من الوجود حكومة الجزائر الإسلامية .

وتم العدوان على الأرض التى أمضت فرنسا السنين تحلم بوضع اليد عليها بعد أن فقدت أملاكها فى الهند وأميركا وجزائر المحيطات ، ولم يرد فى ذكر شروط الهدنة والتسليم نص على الاحتفاظ بحقوق الأهالى وتقرير مصيرهم سوى النص الاستعمارى الذى وضعه نابليون فى مصر وهو : احترام الديانة المحمدية وعدم التعرض لنساء المسلمين .

وهو النص الذى ما انفك دعاة الاستعمار يرددونه فى كتبهم وأبحاثهم وخطبهم دليلا على روح التسامح ، ويقولون وماذا يريد المسلمون وقد تركنا لهم حرية التدين وحفظنا لهم أعراضهم ، كأن حياتهم وقف على هذا لا تتعداه أو كأنهم أهل آخرة لا تشغلهم أمور الدنيا فلا تهمهم العاجلة ما داموا قد ضمنوا الآجلة وأخذوا بأيديهم مفاتيح الجنان .

ويقول مؤرخو المسلمين : اهتزت لهذه النائبة المشارق والمغارب وكانت من أعظم النوائب . والحقيقة أن العالم الإسلامى الذى عهدناه يهتز لما يحدث فى كل ركن منه لم يتحرك لهذه الكارثة ولا لما تلاها من نكبات وإنما تحرك القطر الجزائرى وحده أمام العدوان وقامت قبائله ورجاله يذودون عن حياضهم وانضموا تحت لواء الأمير عبد القادر ، يكتبون بدمائهم ملحمة من ملاحم الحروب القاسية ، فى تاريخ الإسلام الذى واجه الحقائق وقال :

« لقد تبينت ما قدر لى وهأنذا مستعد للاقدام » .

ولكن بعد مضى قرن من الزمن يقف أهل الجزائر مرة أخرى للامتحان أمام فرنسا ويرددون هذا القول لقد عرفوا وتبينوا ما كتبته لهم الأقدار فهل هم على عهد الإقدام قائمون ؟

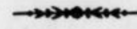
هذا ما ستفسره الأيام .

وسنرى فى القسم التالى ما كان من هذه الواقعة الخالدة

أحمد رمزى

عشرة أيام في الشام (*)

للأستاذ علي الطنطاوي



يمضي المسافر أياماً طوالا لا يقطع فيها إلا أذرعاً من طريقه، ثم يجتاز الفراسخ والأميال في ساعات، ويعيش المرء سنين لا يفهم فيها من أسرار الحياة، ولا يرى من معالم الكون إلا الأقل، ثم يرى في لحظة أخفى المعالم، ويفهم أعمق الأسرار، وكذلك كان شأني:

مرت على طريق العمر قريباً من أربعين سنة، فلم أدرك من حقائق الحياة حولي، ولم أعرف من خلائق الناس، مثل الذي أدركته وعرفته في هذه الأيام العشرة التي (طرت) فيها فجأة إلى دمشق، ثم عدت طائراً منها، وعليَّ دين أكاد أعجز عن قضائه، وورائي عدو ألحّ على بإيذائه وهجائه، وذو سلطان غضبان عليَّ لا أعرف السبيل إلى استرضائه. ولكني مع هذا عدت رابحاً لأني تعلمت فصولا من كتاب الحياة كنت أجهلها، وهذا قليل من كثير مما تعلمت:

— ١ —

كان أقصى علمي بالصديق أنه الذي يألفني وآلفه، ويأنس بي وآنس به، ويسأل عني إن غبت، ويزورني إن حضرت، ويستقبلني إن زرته، ويصغي إن حدثته، وكنت أعتز بصداقات رجال أحسبني نلت بهم ما تمناه المأمون وهو خليفة وعجز عنه، وماعدّه الأولون ثالث المستحيلات، وحشروه مع الغول والعنقاء، ولم أحتج إلى واحد منهم كي أجربه، فلما كانت هذه التجربة (تجربة دخول الانتخابات) رأيت أكثر هذه الصداقات كأنها بقايا ثلوج الشتاء، تحت شمس الصيف، سرعان ما يذهب بياضها ونقاؤها، ثم تذوب ثم تجري على التراب فتكون سواقي عكرة تنحدر إلى الحضيض، بعد أن كانت في العلاء. ما بقي بين يدي من هذه المودات، إلا كالذي يبقى من هاتيك الثلوج على صخور الجبل!

لقد تنكر لي رجال كانوا رفاقي في السفر وفي الحضر، وإخواني في الصبا والشباب، وأعرضوا عني إيثاراً للراحة، أو هرباً من إغضاب الحكومة، أو فراراً من الشا كل، وحبسوا عن مساعدتي أقلاماً لهم وألسنة طالما شددت أزرها، ودافعت عنها بقلمي ولساني، وأمسكوا عن نصرتي أكفاً طالما امتدت إليها — مصافحة مؤازرة — كفي. وقالوا، ما لنا ولمرشح نساعده على الحكومة، ونقويه عليها، وهي ذات السلطان، وبيدها العطاء والحرمان؟

ونسوا أني موظف في الحكومة، لست عدواً لها، ونسوا عهود الإخاء، وأيام الصفاء. هذا وما سقطت السقطة التي لا يرجى لها قيام، ولا كنت تاجراً أفلس، ولا موظفاً عزل، ولا صحيحاً أزمن، ولا حكم على بسجن أو نفي، وبقي عيالي من بعدي أمانة عند الصديق، وإنما هي تجربة هينة، فكيف لو كان شيء من ذاك؟ وعلى من أعتمد بعد اليوم؟

سأعتمد على الله ثم على هؤلاء الذين وجدت من إخلاصهم، وحبهم، وعطفهم عليّ، أيام العسرة، ما هو أثمن عندي من النيابة والوزارة، ومناصب الأرض كلها. ولن أنسى أبداً أن هؤلاء هم الذين أبقوا على القليل من ثقتي بهذا الإنسان وأنقذوني من أن أكفر به كفراً مركباً تركيباً مزجياً كحضرموت ... لا يستطيع أخونا عبد المنعم خلاف أن يحله أو يزيله ولو أنزل عليه في دينه الجديد كتاب آخر؛ وأن أومن بأن الكلاب والحمير أوفى من الناس وأحفظ للوداد.

— ٢ —

وكنت أحسب كل متظاهر بالتقى تقياً، وكل لاهج بذكر التصوف صوفياً، وكل مزهد في الدنيا زاهداً، وكل داع للعبادة عابداً، وأحبهم جميعاً وأراهم أهل الدين، وأرباب الإخلاص، ولا يبلغ وهمي أن يكون في الألف منهم مراء واحد أو خداع، فلما جربتهم وجدت ...

لا أحب أن أقول ماذا وجدت منهم، لأني أظلم العلماء إذا أخذتهم بجريرة نفر تسلطوا على (رابطة العلماء) التي هللنا لظهورها وباركنا يوم إنشائها، وسيروها على هواهم، وكفوا أيدي العلماء الأجلاء من أعضائها

(*) تتمة قصة (ثلوج حزرين) في العدد الآتي إن شاء الله.

ولكن أقول إن الصالح المصلح ، والعالم العامل ، هو من يجعل هواه تبعاً لحكم دينه ، ويضيع منفعته إن كان فيها مضرة أمته ، ويؤخر نفسه ويقدم من هو أصلح منه ، ويحكم الشرع في دقيق أمره وجليله ، وظاهره وخفيه ، أما تكوير العمة ، وتطويل اللحية ، وحسن الكلام ، وسائر هاتيك المظاهر ، فهو آخر ما يستدل به على الصلاح وهو أهون شيء عند الله الذي لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى السرائر ، وعند الناس .

— ٣ —

وكنت أكبر هؤلاء الذين وقفوا أنفسهم على الجمعيات الخيرية ، وقصروا عليها جهودهم وآثروا خدمة أمتهم على راحتهم ، وأراهم مثلا في الاخلاص من أعلى الأمثال ، لأني لا أسمع عنهم إلا الرغبة في إعلاء كلمة الله ، واحقاق الحق ، وإذاعة الخير ، فلما بلوتهم في هذه الأيام العشرة وجدت أكثر الجمعيات يسيرها رجل أو رجال ، يستبدون بها ، ويسمون لها أعضاءها ممن يعرفونهم موافقين لهم ، ووجدت في هؤلاء ، على إخلاص بعضهم وأمانتهم ...

أأقول ماذا وجدت ، فأضع في أيدي خصوم الإسلام سلاحاً جديداً يقاتلون به أهله ؟ أم أسكت عن بيان الحق ؟

المسألة مشكلة ..

وأنا أسأل الله أن يعجل اليوم الذي نجد فيه رجال هذه الجمعيات قد نسوا نفوسهم وأهواءهم فجعلوها كلها جمعية واحدة ، لها فروع وأقسام ، اذ لا يعقل أن تتعدد الجمعيات ما دامت تزعم أن غايتها واحدة هي خدمة الحق والخير ، وأن يكون القائمون على هذه الجمعية أمناء يعلمون أن لكل مسلم حقاً في أموالها يحاسبهم يوم القيامة على كل قرش منه أنفقوه في غير وجهه ، وعلى كل مقعد للجمعية قعدوا عليه لغير مصالحها ، ودار لها أقاموا فيها ساعة لغير خدمتها ، وسيارة لها ركبوها من غير ضرورة لركوبها ، وراتب أخذوه لأنفسهم أو أعطوه موظفاً أقاموه ، ما دامت المصالح العامة تسير بغير هذا الوظف ، وتضمن بغير هذا الراتب.

فهل نرى هذا اليوم ؟

إذا لم أره ، فحسبي أني قد رأيت حقيقة هذه الجمعيات وكنت لا أرى من قبل إلا الستار اللماع الذي يخفيها

— ٤ —

وكنت أقرأ مهاترات الصحف الحزبية في مصر والشام ، وما تسوق من تهم ، وما تصب من فرى ، فأرى المبالغة ظاهرة ، ولكني أقول أنه لا دخان من غير نار : ما كنت أظن أن القحة في الشر تبلغ برجل أن يفتري كذباً يعلم أنه لن يصدقه أحد ، ولا يقبله عدو فضلا عن صديق ، وأحسن الظن بالبشر ، فاحسب أنه لا يزال في نفوسهم بقية من الوفاء والحياء ، فهم يقدرون الاخاء ، ويستحيون من اختراع الكذب المحض ، فلما قرأت ما كتب في الصحف عني وعن غيري وجدتني قد وضعت ظني الحسن في غير موضعه وأنا رجل فيّ نقائص كثيرة ، وعيوب جمة ، ويستطيع من يكتب عني أن يعرض لها ، فيكون قد نال مني وبلغ ما أراد من هجائي ، اما أن تبلغ بكاتب قلة الفهم ، والجهالة بأصول الشتم ، إلى أن ينسى عيوبي كلها ثم لا يلق إلا أشياء أنا أبعد الناس عنها يلصقها بي فيضحك الناس عليه ، فهذا يدعو إلى الأسف على ضياع (فن الهجاء) في هذه الأيام .

لم تجد هذه الصحف ما تقوله عني إلا أن تعرض تعريضاً غامضاً بسيرتي في العراق ، وتقول أني أسأت بقلمي لوطني لأني انتقدت في الرسالة ما كان في احتفال الجلاء من تكشف وبلاء ، وتنقل عن مجلة تصدر في دير الزور أني كنت من صنائع الفرنسيين

أما سيرتي في العراق ، فإن هؤلاء يعلمون أن الرسالة تقرأ في العراق أكثر من جرائدهم ، وأنا أستحلف في الرسالة كل من يعلم عني مخزية في العراق أن ينشرها في الصحف أو يبعث بها إلى هؤلاء الخصوم . وماذا صنعت في العراق ويحكم ؟ هل فجرت؟ هل سرقت ؟ هل كنت جاهلا في العلم الذي أدرسه ، أومهملا في العمل الذي أمارسه ؟ وهل كان في كل من قدم العراق مدرساً ، من هو أحفظ لوده ، وأكثر (بعد الدكتور زكي مبارك) كتابة عنه مني ؟

أما صلتي بالفرنسيين فمن كان يعلم أني عرفت فرنسياً غير من كان معلماً أو مستشاراً في الوزارة فليقل ، ومن كان يعلم أنها خلت سنة مدرسية من نقلي مرتين للخلاف مع الوزارة — وكانت الوزارة

هى المستشار ، أو يعلم أنى مدحت فرنسياً بلسان أو قلم أو أعنته بيد أو يعرف رجلا كتب فى سب فرنسا مثل الذى كتبت ، حتى يوم سقطت باريز وكانت الحرب مستمرة ، والفرنسيون حاكين؟ فليقل

أما أنى أسأت لوطنى فى الرسالة فهذا هذيان لايقبل من محموم . وهل جرى قلم كاتب فى القديم والحديث ، بوصف محاسن الشام ، وتمجيد أيامها ، وتصوير جهادها ، بمثل ماجرى به قلمى فى الرسالة منذ سنة ١٩٣٣ إلى اليوم ، وفى فتى العرب ، واليوم ، والف باء ، والزهراء ، قبل أن تنشأ الرسالة ، وهذا كلام ما كنت أظن أنى سأقوله يوماً من الأيام ، ولكنى اضطررت إليه ، وأنا أعتذر إلى القراء ، وأستغفر الله ، ولن أعود إلى مثله

— ٥ —

وبعد فأنا رجل قاض وأديب ، ولكنى لم أكن أعرف قبل هذه الأيام قيمة ما أنا فيه ، ولقد حمدت الله أن انتهت هذه الأزمة وعدت قاضياً أقول الحق أيا كان أثره ، وأديباً يشرك قراءه فى نعيمه وبؤسه ، وخواطر نفسه ، وحديث يومه وأمسه ، لا يكتم عنهم أمراً ، ولا يمسك سراً ، ونجوت من السياسة وشرورها .

ومالى وللسياسة ؟ وما لبست لها لباسها ، ولا أعددت لها سلاحها ، ولا عرفت مسالكها ، ورب جاهل جال فى الطرقات ، وصاح فى المواكب ، وولج وخرج ، وخالط الكبار والصغار ، وصحب الأعلياء والأدنياء ، وعرف لسان كل مخاطبه بلسانه ، أقدر على السياسة منى ومن كل أديب فى الدنيا وكل عالم . ورب رجل مثل هذا لا يموت حتى يصير اسمه ملء الأسماع ، وملء الصحائف ، ويكون علماً فى طريق التاريخ ، وآلاف مثلى فى (أخصامهم) لا يدرى بهم أحد !

ولكنى راض بما أنا عليه ، قانع به ، لا أبتغى أكثر منه ، وهل أبتغى أكثر من مرتب كاف يريحنى من الكدح للعيش ، والسعى للخبز ، وعمل لا يأخذ من وقتى وذهنى إلا الأقل ، أقوم به بما أستطيع من الأمانة ، فآخذ الراتب بما يمكن من الحل ، ثم أتصل بقراء أشاركهم أفراحى وأتراحى ، وبصحب آنس بهم ويأنسون بى ، وأهل أخلص لهم ويخلصون لى ؟

فما ذا بعد هذا ؟ وهل النائب أو الوزير أو الرئيس ، أسعد نفساً ، وأهدأ بالا منى ؟ وهل السلطان أكبر من الأديب ؟ هل النعمان أعظم من النابغة ؟ وسيف الدولة أجل من المتنبى ؟ والخديو عباس أخلد من شوقى ؟ وهل يبنى الحكومات ويهدمها ، وينشىء الممالك ويدمرها ، ويرفع الأمم ويخفضها ، إلا الأديب ؟

فمالى وللسياسة ، وأنا قد تشرفت بأن أسير فى ذيل ركب الأدباء ، إلى سوح الخلود ؟

***

لقد كانت تجربة لن أعيدها ، ولو جرتنى إليها كل حروف الجر . لقد كانت تجربة تعلمت منها دروساً جمة ، أهمها أنى لست مخلوقاً للسياسة ، إن السياسى هو الذى يقول للحمار : أنت غزال بأذنين طويلتين ! وأنا لا أقول للحمار ، إلا يا حمار ، فإن غضب فدونه (بردى) !

(القاهرة) علي الطنطاوي

وزارة العدل

التفتيش الادارى والكتابى

إعلان

تعلن وزارة العدل فقد دفترى الزواج رقم ٢٥٦٨٧٥ والطلاق رقم ٦٢٢٧٣ مطبعة عملية الشيخ عبدالعزيز حسن بركات مأذون النجيلي وأولاد الشيخ مركز أبو المطامير وبكل منهما أصول ثلاثة عشر عقدا مقيدة والباقى به سبعة عشر وبرانياتها . فكل من عرض عليه هذان الدفتران أوعثر عليهما بأى الطرق أن يعلم أنه لا قيمة لهما وإن إستعمال الأصول والبرانيات أو أحداث أى تغيير فى أصول الاشهادات المحررة يعد تزويراً يعرض مستعملة للمحاكمة الجنائية ٧٦٩٠

حجـــة تاريخيـــة

للدكتـــور جواد على

نعم حجة تاريخية من تلك الحجج التى يتذرع بها المدّعون ولـكنها من أوهى ماعرفه المؤرخون. فلسطين وطن العبرانيين ! فيها نشأ هذا الشعب وإليها يريد العودة بعد هجرة طويلة تزيد على عشرين قرناً . يريد أن يستردها وأن يكون فيها ثقافة يهودية ووطناً يجمع شمل يهود العالم.

لا أعتقد أن رجلا صاحب منطق يجازف بشخصيته فيقول مثل هذا القول ؛ لأن نبش المـاضى السحيق والحـكم عليه معناه تغيير خارطة العالم وتوزيع الأراضى على شكل جديد . ولو أخذنا بهذا المبدأ لوجب علينا ردّ دعوى الصهيونية مقدماً لأن الأرض التى يقال لها عند اليهود « أرز أسرائيل » « Erety israel » أى «أرض إسرائيل» لم تكن أرض إسرائيل بل كانت « أرض الـكنعانيين » و « أرض الفلسطينيين » قبل أن يتبرع متعصبو التوراة بمنح هذه الأرض إلى الإسرائيليين باسم « إله إسرائيل » وقبل أن تعرف عند العبرانيين المتأخرين باسم « أرض الميعاد » « the Promised land » .

وكلة « فلسطين » نفسها حجة قوية تطعن مزاعم الصهيونيين فى الصميم وتردّ دعواهم ، لأنها تشـير إلى نسبة الأرض إلى شعب قديم كان يسكن فى هذا الموضع قبل مجىء العبرانيين وكان يقال له « الفلسطينون » « Philstines » وقد عرفت الأرض التى كانوا يقيمون بها والتى هى السهل الساحلى فى الأغلب فى التوراة باسم « فلسطيا » « Philistia » نسـبة إلى هذا الشعب [١] ثم أطلقت على كل الأراضى التى أقام بها الإسرائيليون فيما بعد .

وقد ذكرت فلسطين فى النصوص العبرانيـــة بلفظة « Pêlishtim » « بلشتيم » و « بلشتييم » « Pêlishtiyyim » وقيل « لفلسطية» وهى المنطقة التى كان يقيم فيها «الفلسطينون» « Pelesheth » « بليشيت » وقيل للفلسطينيين « Pelishti » « بلشتى » [١] وتقابلها فى النصـوص المصرية « Perusit » و « Pelista. » [٢] .

ولابد أن تكون للفلسطينيين قوة وشكيمة دفعت اليهود إلى تسمية « أرز كنمان » أى « أرض كنمان » كما كانت تعرف فى الأسفار الأولى للتوراة باسم « فلسطين » حتى تغلبت على كلمة « أرز إسرائيل » أى أرض إسرائيل . والأرض الموعودة . وقد أطلقها الـكتاب اليهود المتأخرون الذين دونوا الأسفار المتأخرة فشاعت بين الشعوب الأخرى منذ ذلك الحين . وقد ذكر المؤرخ « هيرودوتس » أن العرب كانوا قد تمـكنوا من الدخول إلى منطقة « فلسطية » قبل أن يتمكن من ذلك الإسرائيليون وأنهم كانوا فى تلك المنطقة فى أيامه [٣] .

لم يترك البشر الأولون الذين سكنوا هذه المنطقة قبل العصور التاريخية آثاراً يمكن التعرف منها على طبيعتهم . وكل ما يمكن أن يقال عنهم إنهم كانوا يسكنون المغـاور والـكهوف ويظهر أنها أصبحت فى العصور التاريخية تحت نفوذ «الأكاديين» كما يتبين ذلك من النقوش [٤] .

وفى الألف الثالث قبل المسيح كان يقيم فى فلسطين شعب لا نستطيع أن نعرف عن هويته شيئاً ؛ إذ أن العظام التى عثر عليها فى المغاور والـكهوف وفى الحفريات التى أجريت فى منطقة « جيزر » كانت فى حالة تلف شديد . والظاهر أن ذلك الشعب كان من شعوب البحر الأبيض المتوسط . ولعل « الحوريين » « horitcs » الذين ورد ذكرهم فى التـوراة هم من نسل هذا الشعب القديم [٥] . ويظهر مما ورد فى التوراة كذلك أن « الحوريين » هم سـكنة منطقة « أدوم » و « جبل سـعير » وأنهم من نسل « عيسو » « Essou » الذى هو جدّ الأدوميين « Edonite » وأنهم كانوا من سكنة الـكهوف فى المنطقة التى أطلق عليها اليونان اسم « troglsdytes » والتى كان يسكنها العرب فى أيام «سترابو» ولذلك سماها «troglodyte Arabians»

---

(١) Hastinqs Dictionary of ute Bible, P, 724
التوراة ص ١٥ : ١٤ و ٢٣ : ٣١ مزامير ٦٠ : ٨ و ١٠٨ : ٩ أرميا ٢٥ : ٢٠ .

(١) Hastiuhs Dictionary of the Bible, P 24
(٢) Breasted, Ancient Records lv, 274 ff and Aistory
(٣) Enex, Biblica, P, 3550,
(٤) Patou, history of Syria and Palastinc hastings' Dictionary of the. Bible, P, 673
(٥) التكوين إصحاح ١٤ آية ٦ ، Robinoan' BR P, 2 129,
W. M. müller Asien und Eurofa, 148.

أو « العرب سكنة الكهوف »[١] والذين كان يقال لهم « Erembi » في اليونانية القديمة . ويرى « سترابو » أن هذه الكلمة تصحيف « Arambi » أي « Arabi » بمعنى « عرب » و « عربي »[٢] .

وفي حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد لعبت الشعوب السامية دوراً هاماً في فلسطين ؛ وقد عرف هؤلاء باسم « الكنعانيين » «Canaanites» والذين يقال لهم « العموريون » «amorites» كذلك . وقد أطلقت التوراة وجميع الكتاب على أرض فلسطين اسم « أرض كنعان » وقد عرفوا في النصوص المصرية باسم «Kinahhi» و« Kinahri » . ويرى بعض العلماء أن «العموريين» أقدم من الكنعانيين ، وأن الكنعانيين هم فرع منهم بدليل تشابه اللهجات والأسماء وعدم تمييز التوراة في كثير من المواضع بين الجنسين[٣] .

وكان « حمورابي » من ملوك العموريين في العراق . وهم الذين سكنوا سهل « شنعار » ويرى بعض العلماء أن العموريين هم من أسلاف العرب لوجود تشابه كبير في طرق الحياة والأسماء واللغة فيما بين العرب والعموريين[٤] .

ويرى العلماء أن الكنعانيين والعموريين ظلوا محافظين على خصائصهم الجسمية وإن كانوا قد بدّلوا دياناتهم فاعتنق قسم كبير منهم الديانة اليهودية ثم اعتنقوا بعد ذلك الديانة المسيحية وتثقفوا بالثقافة الآرامية التي تغلبت على اليهودية أيضاً . ولما تحررت فلسطين من ربقة البيزنطيين وعادت إلى أصحابها الشرعيين كان أكثر هؤلاء قد تثقفوا بالثقافة العربية الآرامية فحاربوا في صفوف المسلمين ضد أبناء دينهم البيزنطيين ، ثم اعتنق أكثرهم الديانة الإسلامية وتكلموا باللغة العربية . وأما الذين فضلوا البقاء على دياناتهم وهي المسيحية فإنهم تكلموا باللغة العربية التي تكلموها قبل الإسلام ولا زالوا يتكلمون بها حتى اليوم ، وقد شاركوا إخوانهم في تقدم بلادهم وفي تقدم الخلافة الإسلامية ولم يكن الدين ليميز بين الطرفين . ولما وقعت الحروب الصليبية اشترك هؤلاء مع إخوانهم المسلمين في مقاومة الغزاة وأبلوا في ذلك بلاء حسناً ولا يزالوا يحاربون من أجل فلسطين .

ويمكن ملاحظة الخواص والمزايا الجسمية واللغوية والصور الكنعانية العمورية حتى الآن بين السكان الفلسطينيين الأصليين وهم القرويون والفلاحون الذين يمثلون أقدم شعوب فلسطين والذين لم تذهب عنهم مميزاتهم التي ورثوها عن ألوف من السنين وقبل مجيء المهاجرين من اليهود بكثير . والذين لم تتمكن السنون من تغييرهم على الرغم من الحوادث الدامية الطويلة التي جرت على هذه البلاد[١] .

وبالنظر إلى اتصال فلسطين بمصر اتصالا طبيعياً أصبحت مقدراتها ومقدرات مصر مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً كلياً . وهذا أمر هام يجب الالتفات إليه لأن عدم الاهتمام به معناه تجاهل أمر طبيعي من الأمور المفروغ منها . وقد خضعت فلسطين قبل هذا العهد الذي نتحدث عنه إلى الأسر الفرعونية المختلفة . وقد دخلت في أيام « تحتمس الثالث » « حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد » وفي أيام « أمنهوتب » « أمنحوتب الثالث » حوالي سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد » في حكم المصريين تماماً وأصبحت من المقاطعات الفرعونية يحكمها ملوك محليون يخضعون لفرعون وللحكام الذين يعينهم عليهم[٢] .

وقد شغل الفرعون « امنحوتب الرابع » بالاصلاحات الدينية التي حاول إدخالها إلى الشعب المصري ومن جملة ذلك عقيدة التوحيد عن إدارة أملاك مصر والشؤون الداخلية المصرية فانتهز أعداؤه هذه الفرصة وثار الحكام في الداخل والخارج على « أمنهوتب » لأنه جاء في نظرهم ببدعة جديدة وأخذت الممتلكات المصرية في الخارج تستقل الواحدة بعد الأخرى ومن جملتها مدن فلسطين[٣] .

وتتحدث ألواح « تل العمارنة » عن شعب أخذ يهاجم أرض فلسطين اسمه « Khabiri » « خبيري » وقد ارتأى قسم من علماء التوراة أن هذا الشعب هو «العبري» أو «العبرانيون»

---

(١) Strabo The Geography. tranoslated by hamilton Sordon 1912 - in Three vols. vol, P, 210

(٢) Strapo p qel 1p, 66

(٣) müller, asien and Europe, S—205 patou Early history of Syria and palastine p 63

(٤) زيدان ، العرب قبل الإسلام ص ٤٩
Ency Brita xxl p, 651 art Son Kiug p 140 Dassud p 103 Babylonion Expedition qolz

(١) Hastngs Dictionary of the Bible p 673 Ency Bibl p, 3550

(٢) hastings Dictionary of the Bibla p 673

(٣) Breasted. history of Egypt. paton. histoay of Syria ond palastiee

أمـــان

للسيدة الفاضلة منيبة الـكيلانى

لا أدرى أين قرأت أن أجمل منظر فى الدنيا هو منظر الأم الشابة ، وهو قول ينطبق على الواقع كثيراً ؛ غير أنى فى الوقت ذاته أرانى أتصور أن أقبح منظر فى الدنيا هو منظر الأم الشابة أيضاً !

***

هذه الفتاة الشابة الجميلة تمر من هذا الشارع كل يوم فى ردائها الأسود الجميل فتثير على جانبى الطريق جدالا بين الناظرين إليها ، فى قامتها الأنيقة وانسدال السـواد عليها ، وفى عينيها الباهرتين وبجلالهما بالصمت المبين ، وفى شعرها الذهبى الرائع وإهمال تنسيقه على نحو ما يليق به . تثير جدالا بين الناظرين إليها فينبرى دعى يقول بأن هذه الفاتنة احتسبت أباها أو ماتت عنها أمها فهى تتشح بالسواد على أحدهما . ويقول دعى آخر إن ظهور الحزن عليها وتطامنه فى عينيها الساجيتين ليوحى بأنها احتسبتهما جميعاً . ولا ترجح كفة أحد ؛ فإن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ، وإن القلب لا ينضح بما فيه دائماً ، فتسير الغانية من دارها إلى حيث تريد ، وتعود إلى دارها من حيث انتهت لا يجد فى استشفاف أمرها جديد . والراجح فى الظن أن الغانية جاءت هذا البلد وافدة من مواطن الذكريات لتطوى ماضياً بأحداثه الـكثيرة طى السجل للـكتاب ، ولتجد فى هذا المنهج ذى الوتيرة الجديدة المحدودة بلسما للجرح فى صيدلية الزمن ، فإن فيها أنجع الأدوية لأخبث الجراح .

وما كان ليفوتها أن تلج بيت الله فى أيام الآحاد تنفض فى ساحته الـكبرى خلجات الضمير وتمد بصرها راجية راحة النفس وطمأنينة الحس ، وتسأله العون وتسترفده الرعاية ، فقد ذهب

غير أنه لا توجد هنالك أدلة مقنعة تؤيد أن « الخبيريين » هم « العبرانيون » بالذات (١) . ولو أن جماعة من علماء اليهود تحاول البرهنة على ذلك لتظهر أن اليهود كانوا قد دخلوا أرض فلسطين منذ هذا العهد .

والذى يظهر من التوراة أن « العبرانيين » كانوا أرقاء فى مصر ثم خرجوا منهـا هاربين حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد تحت قيادة زعيم لهم هو « يشوع » « Joshua » الذى حل محل « موسى » وخلفه ، وهو ابن « نون » من سبط « إفرايم » الذى عبر الأردن وقاد جماعة « إسرائيل » إلى « أرض الموعد » وحارب شعب كنعان ست سنين وأخذ أرضهم وقسمها بين الإسرائيليين . وسقطت على يديه أسوار أريحا وست أمارات صغيرة ، غير أن الإسرائيليين لم يتمكنوا من فتح كل فلسطين ومن التغلب على الأمارات الوطنية وعلى مقاومة كل الـكنعانيين (٢) .

ويفهم من الـكتابات القديمة للتوراة أن من الأسفار المكتوبة قبل الأسفار التى أخذنا منها روايتنا الأولى أن الإسرائيليين عبروا إلى حدود فلسطين ولم يكن على رأسهم قائد أو زعيم بل تقدموا على هيئة قبائل متفرقة ثم صاروا يهاجمون المدن الفلسطينية الضعيفة من جهات مختلفة ولم يتمكنوا من الاستيلاء إلا على نواح قليلة من فلسطين ، وهذا ما يلائم ماجاء فى نصوص « تل العمارنة » كل الملاءمة (١) .

لم يتمكن الغزاة من الاستيلاء على كل فلسطين ولم يتمكنوا من احتلال السهل الخصب المهم المسيطر على البحر الأبيض المتوسط وهو سهل « فلسطية » نسبة إلى سكانه القدماء وهم « الفلسطينيون » « Philistines » وظل الفلاحون والقرويون القدماء على تقاليدهم القديمة وفى محلاتهم مثل « الجبعونيين » « Gibeanites » الذين كانوا يقيمون فى مدينة « جبع » « Gileon » والذين ظلوا يقاومون الإسرائيليين مع أن مدينتهم هذه لا تبعد سوى خمسة أميال تقريباً عن جنوب القدس والتى تقع فى موضع « الجب » فى الوقت الحاضر ، وقد اشتركت مع الملوك « الـكنعانيين » فى محاربة « الإسرائيليين » ومهاجمتهم مراراً عديدة ؛ وقد اضطروا إلى مغادرة وطنهم بعد أن دخلت فى حوزة « البنياميين » غير أنهم لم يذهبوا بعيداً عنهم واضطر المعجزة منهم إلى اعتناق الديانة الإسرائيلية غير أن كثرتهم ظلت تحارب الإسرائيليين .

جواد على

(١) Eneh. Bibl. p, 1984. hastinqs . p, 673 hommel A h T - 130, Kohut, memorial Studies p 110

(٢) Èney Bibl p 1717

(١) hastmqs p 704 Stenuig DB 764

الراعى فبدلها ذهابه من حال إلى حال ...

ألا من يكون راعيها الذى تشكو خلو مكانه إلى الله آسى القلوب المحطمة التى لا تُشعب ؟ ومن يكون راعيها هذا الذى تلتقى بطيفه فى ساحة الله الكبرى فتنعم بالذكرى تحيط بالطيف ، وبأنغام الأرغن والصلاة الصاعدة إلى ملكوت السماء تحيط بالذكرى . ثم تخضل عينان من دون العيون بأدمع قليلة بالغة السخونة .. ثم تنفرج شفتان من دون الشفاه بصلاة قصيرة . . . ثم تنهنه الدمعة .. وتطبق الشفتان ، ثم تستدير القامة الفارعة الجميلة فتيمم شطر الباب ثم تمتد اليد بالصدقات للفقراء والمساكين ؛ ثم يتكرر المنهج اليومى محاطاً بالذى يقول أنها احتسبت أباها ، والذى يقول أنها فقدت أمها أو فقدتهما جميعاً .

وإنه ليوم من أيام الآحاد فى الربيع الباسم وقد انتثرت فراشات الحقول وتحمل النسيم رسائل الفل والياسمين وجاءت الساعة التى تقف فيها الفانية فى ساحة الله بقلب رققته الذكرى المفعمة هذه المرة بمعانى الربيع ، وانكفأت الحسناء كمعهدها كل مرة ولكنها ساقها التوت وسقطت على الأرض سقطة غير متوقعة ، فأنهضها رجل بجانبها ورافقها حتى الباب ... ثم تمنى لها العافية وانصرف .

ورآها مرة أخرى فسأل عنها ، ثم كان طريقهما واحداً فتحادثا . وقد يلذ للانسان أن يتحدث عن نفسه ، وقد يلذه أن يسمع .. فتحدثت وسمع ... ثم تحدث فسمعت . . . وقد تقابلا من بعد فعرف منها ما استعصى على الدعى من قبل وما كان خليقاً به وبغيره أن يستعصى عليه ؛ فقد عرف أنها أرملة ، وأن الذى فقدت هو زوجها الذى بنت به فى الربيع الخامس عشر من عمرها والذى تخلو بطيفه فى ساحة الله الكبرى على نغم الأرغن وصلاة الكاهن خلوة الروح .. بالروح ! . وقالت له فيما قالت إنها أم لابنة أيضاً . وكان الرجل يصغى لها وهو يرتشف الكلام ارتشافاً ويسكر من جرسه سكراً لا يعرفه إلا صرعى العواطف المؤججة . وأحيط قلب الرجل بشغاف من حسنها وإخلاصها وعرف أنه باخع نفسه على آثارها إن هو لم يخط الخطوات الأخرى فى إخراجها من دنياها السابقة إلى دنياها اللاحقة ، وينعم بها ويبذل لها النعيم المقيم . وفاتحها فى الأمر مفاتحة الخائف المترقب رفضاً أو إعراضاً وأعاد عليها المفاتحة صابراً متفائلا ، ثم أعاد حتى انتهى معها إلى خاتمة البداية .

فمهدت له زورة فى دارها يحتسيان فيها الشاى ويبحثان الموضوع بحثاً جدياً جديداً .

وكان هذا — فرأى الرجل أن يحمل لابنة الحبيبة هدايا يمقدبها معاهدة التحالف وحسن الجوار ، فقد تحدجه الطفلة غيرى . وقد يحز فى قلبها اللدن الغرير أن تجد رجلا يحل من قلب أمها الحلوة الشابة مكاناً ما . ودخل الرجل خميلتها موقراً بهداياه لابنتها ، هدايا من الألاعيب لبنات خمس أو دونهن قليلا . . . وحفت للقائه .. ثم كان كلام وحديث ، ثم عرض هداياه وسأل عن الطفلة فأخبرته أنها فى حاشية الحديقة تلهو وتلعب ، وأن من الخير له أن يذهب بالهدايا إليها ويفاجئها بها فإن هذا قد يكون أدعى ابهجتها وسرورها . ففعل الرجل هذا وانتهى إلى الطرف الذى أشارت إليه الأم وهتف باسم الطفلة فردت عليه كاعب على المشب فى السابعة عشرة من عمرها وقد استلقت تردد طرفها الأزرق البهى فى أكناف كتاب ، وانبهر الرجل واساقطت اللعَب من يده ، وفهمت الفتاة القصة وتضاحكت من فعلته ؛ ولكن لغة أخرى تتحدث بغير اللعَب ... لأن لغة الكلام انتهت رسالتها . ووقفت الأم الشابة الحلوة ترقب قيام المعجزة .. وتمددها وطغيانها وجمعها القلبين على طرف الحديقة .. فلِم لاتأتى هى بمعجزة أكبر ولم لا تقول ما يخشع له الطرف وقد رأت ابنتها تستملح الفتى ورأت هذا ينعقد لسانه ويزوغ طرفه ... دلفت الأم تجمع اللعَب وقالت وهى تعود إلى البناية ... سأحتفظ بهذه اللعب ملهاة لأطفال ستلهون بهم كثيراً . وانقلبت مسرورة فقد أسعدت قلبين وقد سعدت بالتضحية سعادة لا يعرفها إلا ذوو القلوب الكبرى التى تستطيب الحرمان لتذود عن غيرها الحرمان . فكان منظر هذه الأم الشابة أجمل منظر فى الدنيا ... أجمل منظر فى الدنيا فى ثوبها الأسود وقامتها الهيفاء ... وعينيها الصافيتين وفعلتها السامية ... وستنعم كل يوم بدموعها وتضحيتها لأنها أحيت قلبين وجمعت نفسين ..

***

وهذه فتاة شابة دون الجميلة قيل لها إنها جميلة عشى من هذا الشارع كل يوم فتشير على جانبى الطريق جدالا بين الناظرين إليها فينبرى مدع يقول بأن هذه الفتاة أجنبية جاءت هذا البلد مع الحرب كأنها علة من عللها ... فركنت إلى هذا المنزل الذى تديره

هذه البدينة الأجنبية لصلة بين الاثنتين . ويقول مدع آخر بل هى من أهل البلد تهز مع الغواة بدلوهم وتسوم سرح اللهو حيث أساموا ، فتعود فى أخريات الليالى حينا وفى أواسطها أحيانا أخر ، وتحتسى الخمر حتى تتقطع أحشاؤها ويغيض ماؤها ، ثم تستدرك الفائت على يد الطبيب ، ثم توغل فى حركات منعكسة بعضها عن بعض لا ينتظمها تدارك ولا يخترمها نظام فيضل المدعون . . . لأن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ... وإن القلب لا ينضح بما فيه دائما . فتذهب الوجناء من نزلها حيث تريد وترجع إلى نزلها لا يجد فى استشفاف ما بهـــا جديد ، ويرجح أنها جاءت هذا البلد وافدة تتبدل زماناً ومكاناً ما كانا بالمساعفين ، وقد قيل لها إنها جميـــلة . وإنها مرهفة الحس عصبية كنود بينها وبين أن يجهز عليها الموت شعرة ... وبينها وبين الجنون شعرة . وبينها وبين الانهيار شعرة ... شعرات ثلاث بينها وبين الحياة فلتمرح ولتطرب . فهى جميلة قصيرة العمر لو شاءت ... مديدته لو شاءت ، فحملت هذا فى رأسها وحملته فى قلبها وفكرت بهذين جميعاً فأولتهما أفانين من الأعمـال وضروبا من الأقوال . وخيل إليها أن الناس كلهم خاطبون وأن دنياها ملئت بالمدلهين . هذا بينه وبين الانتحار بسببها قليل ... وهذا خطبه فى رفضها ودلالها جليل ... فلتنأ بنفسها عن الماضى نأياً ولتطو ذكريات حبها وزواجها ... وولادة طفلين حبيبين ... وأمومة ... وفشلا وطلاقاً جاهدت من أجله واستحقته استحقاقاً ... على السجل للكتاب . ولتمش فى هـدأة الليل البهيم فى ثوب أسود حتى لا يراها الشيطان الذى استأجرها لرواحه ومغداه ، ولتسر طويلا ، ولتعبر النهر خائفة مذعورة ، ولتنظر من ورائها ومن جانبيها وليرها القمر الآفل خيالها المقب المتأثر الملحاح المستهزىء ، ولتسر من شارع إلى شارع لا ترى إلا النوافذ المغلقة ولا تبصر إلا السكون المتمطى ، ولتنفذ السيرحافية إن أرادت ، منتعلة إن شاءت ، ولتمش فى نفس المسـالك التى مشت فيها سيارة الخاطب الموهوم ، أو الكاذب المشئوم ، ذلك الذى اتخذ منها ملهاة واتخذت منه مدلها ممعنا فى الغرام ، ولتسمع ضحكاتها من السـيارة التى مرت فى دماغها ، ولتذهب إلى ساحة كبرى ليست من سوح الله لا لتنفض همومها وآلامها ، بل لتقف وقفة المدان تستنزل عليها اللعنة الكبرى باردة فى هجمة الليل وهدأة الظلام . لتذهب فقد أخذ مدى عينها يستوعب بنية سوداء فى المبنى المحيطة بها تحدق بها حديقة ساهمة هاجمة . . والسكوى راجمة إلى طبعها السادر الحالم فى أخريات الليالى لا تفضى بأسرارها . وهنا ؟ هنا . رأت نفسها غير مرة على متن سيارة إلى جانب قريب أو خاطب . . فى ألوان زاهيات لا تقربها من الأمومة أبداً . . فهى توكل السيدة البادنة ربة المنزل بخصائص الأمومة التى برئت منها . . وتنساب هى مع مقتضيات الحديث من جانبها . . جادة أو هازلة حتى تنقضى الزيارة المبتورة بأن حمل للطفلين عن الأم المحمولة على غارب الهوى . فاكهـة يطعمانها عن غير يدها وغير قلبها . فلتقف هنا . . ولتنتظر نزول اللعنة فى منبلج الفجر . !

وجاوزت السياج وارتقت إلى السكوة ارتقاء مزعجاً ، فالسكوة لا تريدها ، ونظرت على خيوط الشفق البيضاء الأولى بين الأطفال الهاجعين فى ذلك الملجأ . . طفلين . . هما الوحيدان اللذان فيهما معنى اليتم . . وما هو باليتم من فقد الأبوين بل من فقد العطف والحنان عند هذه الأم الأغلف قلبها فلا يعقل . . الصم آذانها فلا تسمع . العمى عيونها فلا تبصر ، وطفلاها اللذان حملتهما كرهاً ووضعتهما كرهاً . . فى ملجأ الأطفال الغافلين العاثرة جدودهم . . الطائشة حيلتهم . . صبرهم هباء . . وأفئدتهم هواء .

وتشرق الشمس فتتمطى هـذه الأم مفيقة من الحلم الذى أسرى بها ليلا من المنزل إلى الملجأ . . . من حيث لم تبرح فراشها وإن الأمس بشرابه وسهره والحانه ودعاباته قد أورثها صداعاً لا بد له من الطبيب والحبيب والقريب والخطيب ، ولا بد من صحب ولدات يرون هذا فيغبطون أو يرثون ، ولا بد أن تبدأ عند ما تساعفها أصابعها الواهنة فى خنق شىء . . . هو حب الطفلين . . وإنكار عطفها أو علاقتها بهما . . . للخطيب الموهوم ليتم أقبح منظر فى الدنيا منظر أم شابة مؤتزرة بتضحيتها ، لأنها ضحت بقلبين ، وقربت طفلين للصنم الذى خيل إليها أنه يهب الخير ويتم النعمة . . . وستبقى هـكذا ما بقى خبالها وخيالها ورجالها .

الأم الشابة ! أجمل منظر فى الدنيا . . وأقبح منظر فى الدنيا . . لا أدرى أين قرأت هذا ، ولكنى قرأته وعرفته . . وآمنت به . . فلتنظر الأم أين هى ؟ أهى أجمل منظر ؟ أم أقبح منظر ؟ أما الوسط فى هذا فمحال !

منيبة الكيلانى

من وحي الصوم :

عشـــــاق الطعام !!

للشيخ محمد رجب البيومي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان والعاشق النهم لا يعذر في محبته . فكم من أكول هده العشق ، وبراه الوجد ، ثم هو لا يقدر على التصريح بما يختلج في صدره لما وقر في نفسه أن القلب لا يتسع للطعام والغرام ، وقد يكون نبيهاً فطناً ، فيحاول أن يوفق بين نهمه وولهه فيأتي بما يسميه البديعيون حسن التعليل ، كأن يقول :

وإن طعاماً ضم كفي وكفها لعمرك عندي في الحياة مبارك
فمن أجلها أستوعب الزاد كله ومن أجلها أهوى يدي فأدارك

وأنا لا أدري لماذا تنكر الصبوة من هؤلاء ؟ ولهم عيون تنظر وقلوب تخفق !! ويخيل إلىَّ أن كراهية الناس للأكول جعلتهم يستنكرون جميع ما يأتيه ، ولو كان عادياً مألوفاً ، وإلا فهل من المنطق الصحيح أن يقول الشاعر في صديقه النهم :

ويعجبني من جعفر أن جعفراً ملح على قرص ويبكي على جُمْل
فلو كنت عذرى العلاقة لم يبت سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

ثم ما هي العلاقة بين الحب والامتناع عن الطعام ؟ الحق أن هذا منطق غريب !

ومن جماعة الشرهين من يستغل ذاكرته القوية فيشحنها بشتى الأخبار والأحاديث فإذا استضافه إنسان أخذ يعرض معلوماته عرضاً ، فما يدع صغيرة أو كبيرة مما اختزنه في رأسه إلا كررها مثنى وثلاث ورباع ، فيضيف إلى ثقل بطنه ثقل حديثه ، وهنا يتضاعف البلاء ، وتمدد الكارثة ، وفي هذا الطراز المتكلم يقول حميد بن الأرقط :

يسطرون لنا الأخبار إن نزلوا وكلما سطروا للقم تمكين
باتوا وقصعتنا الصهباء بينهم كأن أيديهمو فيها سكاكين

والغريب أن ألسنتهم تنعقد غب الطعام فما يكادون ينطقون بكلمة واحدة ، بعد التشدق والتفيهق ، وكأن ازدحام المعدة قد عطل مجرى التفكير ، وأوقف دولاب النطق — وقتاً ما — فغدا الأكول صنماً لا يبين ، وصدق عليه قول القائل :

أتانا ولم يعدله سحبان وائل بياناً وعلماً بالذي هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه من العي لما أن تكلم باقل
يجهز كفاه ويحور حلقه إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل

ومن اطلع على هيئة هؤلاء في أثناء تناول الطعام أخذ منه العجب كل مأخذه فإن الدم ليحتقن في وجوههم فتربد ، وإن أيديهم لتسرع في القذف واللقم ، وإن أعضاءهم لا تستقر على حال من القلق ، حتى يبلغوا ما يريدون

« امتنع الحارثي عن مؤاكلة صديقه الأسواري فقيل له في ذلك ، فقال : ما ظنكم برجل نهش قطعة لحم فانقلع ضرسه وهو لا يدري ! وكان إذا أكل ذهب عقله ، وجحظت عيناه ، وسكر ، وسدر ، وتربد وجهه ، وغضب ، ولم يسمع ولم يبصر ، فلما رأيته وما يعتريه ويمتري الطعام منه صرت لا آذن له ... الخ »

وقد أجاد ابن الرومي حين شبه هؤلاء بمن أصيبوا بالحمى فهم معها في تغير دائم ، وانفعال مستمر ، اسمعه إذ يقول :

تعلوه حمى شره ناهض لكن حمى هضمه صالب
كأنما الفروج في كفه فريسة ضرغامها دارب
ذي معدة ثعلبها لاحس وتارة أرنبها ضاغب

وابن الرومي أقدر من غيره على الإجادة في هذا الفن فقد كان كما يقول صاحب زهر الآداب منهوماً شرهاً ، وكان جشعه من أسباب حتفه ، وله في المآكل وصف طويل ، فهو إذن ينطق عن خبرة وابتلاء ، ولا يعرف الشوق إلا مَن يكابده ، وأنت ترى وصفه للمنهومين ينبيء عن حصافة ، ويخبر عن دقة ووعي كقوله :

ألم تره لو شاء بلع تهامة وأجبالها طاحت هناك بلا أرش
على أنه ينمى إلى كل صاحب ضروس له تأتي على الصلب والهش
تخبر عنها أن فيها تثلما وذلكمو أدهى وآكد للجرش
ألم تعلمو أن الرحى عند نقرها وتجريشها تأتي على الصلب والهش

وهو في قوله هذا متخصص متفنن يغوص على المعنى الخفي ويأتي بالتعليل المطابق فيشبه الأسنان المثلمة بالرحى الجرشة ، في القدرة على الطحن والهضم ، وهو يذكرني بابن هانيء الأندلسي

فله فى هذا الباب كلام جيد . وإن كان إلى الوضوح أقرب منه إلى التعمق . ولكنه يلذ القارئ، ويمتعه . ويوقفه على الحقيقة سافرة فى سهولة ورقة كأن يقول :

يا ليت شعرى إذا أوحى إلى فمه أحلقه لهوات أم ميادين
كأنها وحثيث الزاد يضرمها جهنم قذفت فيها الشياطين
لف الجداء بأيديها وأرجلها كأنما افترستهن السراحين
وغادر البط من مثنى وواحدة كأنما اختطفتهن الشواهين
أين الأسنة أم أين الصوارم أم أين الخناجر أم أين السكاكين
تبارك الله ما أمضى أسنته كأنما كل فك منه طاحون

ونحب أن نعلن أن ابن هانىء كان قنوعا راضياً ولكنه يصف حالة رآها فقط دون أن ينطق عن ذات نفسه كابن الرومى ذلك الذى يرضى بالبطنة المرضة والكظة القاتلة ، معللا نفسه بزوالها بعد يوم فيقول مخاطباً لائمته فى شرهه :

دعينى قسطنطين آخذ شهوتى وتبشمنى أنى بذلك راضى
فما كثر ماألقى من الزاد كظة مدى يومها واليوم أسرع ماض

ويخيل إلىّ أن الكظة لو استمرت معه طيلة حياته — لا يوماً واحداً كما يزعم — ما رجع عن نهمه العجيب !!

ويطول بنا البحث لو تقصينا ما ورد عن هؤلاء من النوادر وما قيل فيهم من رائع الشعر . ولكن أحب أن أنصفهم بعض الشيء فأعلن أن شرههم هذا غريزة نفسية ركبت فى طبائعهم فهم معذورون حين يهجمون على الموائد ، وماذا عسى أن يصنعوا وأمعاؤهم تتلوى كالأفاعى القاتلة . لذلك نجد الكثيرين منهم يعلنون عن أنفسهم بالقول حتى لا يفاجئوا الناس بشرههم الجشع قبل التمهيد له . وأظرف ما قرأت فى هذا الموضوع ما حدث به معبد بن خالد الجدلى قال : خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد فجئت لأنظر إليها وكان بينى وبينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن مملوءة لبناً فشربته حتى أكفأته على وجهه وقالت : ياجارية ارفعى السجف فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ، فقالت يا عبد الله ، أنا أسدة من أسد ، وعلىّ جلد أسد ، وهذا طعامى وشرابى، فعلام ترى؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فشأنك ، فقلت أستخير الله فى أمرى وأنظر ، قال فخرجت ولم أعد !!

ولعمرى إن هذه المرأة وأضرابها جديرات بالعطف والإشفاق ! ومن يدرى لعلها تكون خفيفة الظل فكهة الروح كالتى قالت لزوجها وقد أكلت حملا سميناً ، وأراد أن يتغشاها فلم يصل إليها مهلا فبينى وبينك بعير ! !

على أن الرجل لا يرحم امرأته إذا كانت مصابة بهذا الداء الفاجع، وقد رأينا فى كتب الأدب أمثلة عديدة من الهجاء الفاحش الذى صب فوق رءوس النهمات الشرهات من الزوجات ، بل قد تجاوزهن إلى الأمهات على ما لهن من حرمة التربية والرضاع وحسبك أن يقول المجيف فى هجاء صاحبة الفضل الأول عليه

يا ليتما أمنا شالت نعامتها إما إلى جنة إما إلى نار
ليست بشبعى وإن أسكنتها هجراً ولا بريا وإن حلت بذى قار
تلهم الوسق مشدوداً أشظته كأنما وجهها قد ساح فى القار

وأمثال هذه الطعنات الجارحة لا تحصر فى طيات الأسفار !

* * *

وبعد فالطعام كما يقول الأستاذ البشرى فن جميل . وأبطاله النوابغ فنانون مطبوعون ، وقد جحدهم الناس ، وأنكروا ما لبطونهم من مواهب نادرة ، فلا أقل من أن ننصفهم بعض الشيء فنستغفر الله لهم فى شهر طالما حاربهم فى حياتهم ، ثم هاهو ذا يذكرنا بهم فى سباتهم العميق ...

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

يوم (١٧) رمضان :

يوم بــــدر

للأستـــاذ إبراهيم محمد نجا

سوف تبقى على مدى الأيام ... شرعة الخير ... شرعة الإسلام
أنت بعث من البلى ، وشفاء ... لصدور مليئة بالسقام
وهدى يمحق الضلال ، ونور ... سر مدى يشق قلب الظلام
وصعود إلى العُلا ، وسمو ... عن حياة الشرور والآثام

* * *

يا رعاك التاريخ يا يوم بدر ... أنت فى الدهر غرة الأيام
أنت معنى الكفاح فى الحق،لا فى ... باطل موهوه بالأوهـــام
أنت بدر وافى الظلام ،فولَّتْ ... من سناه كتائب الإظلام
إنما أنت يقظة بعد نوم ... وصفاء فى الأفق بعد قتام
إنمـــا أنت قوة بعد ضعف ... وحياة من بعد موت زؤام
إنما أنت عودة النور والآ ... مال ، بعد الظلام والآلام
فيك أصغى الزمان، والتفت الدهـ ... ـر إلى ساحة الوغى والصدام
حيث جند الضلال قد جاء يبغى ... نصرة الشرك بالقنا والسهام
والنبى الكريم بين صحاب ... كل فرد كالصارم الصمصام
لم يروا فى الحياة إلا حطاما ... فاشتروا دينهم بهذا الحطام
كبّروا ثم أرقلوا بقلوب ... ونفوس إلى الحمام ظوامى
وتلاقى الجمعان أى تلاقٍ ... أرأيت الأسود فى الآجام ؟
فتعالى الغبار ، وانعقد النقـ ... ـع فوق الرءوس مثل الغمام
لو رأيت السيوف تلمع فيه ... خِلْتَ ناراً تطايرت فى قتام
وأمد الله النبى بجيـــش ... من جنود مسوَّمين كرام
لم ير المشركون غير سيوف ... تتهاوى بالهـــام بعد الهام
عن يمين وعن شمال ضراب ... وطعان من خلفهم والأمام
ففريق على الرمال صريع ... وفريق تساق كالأغنــــام
وفريق مشردون حيارى ... فى فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوان والذل عقبى ... ورضوا بالنكوص والإحجام
هدّ ركن الضلال ، وانصدع الشر ... ك ، وباءت فلوله بانهزام
واستفاض الرشاد ، وانقشع البغـ ... ـى ، ودالت عبادة الأصنـــام
واستقام الإسلام حصناً قوياً ... ثابت الركن ، مستقر الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم اللـ ... ـه ، لا باسم سلطة وانتقام
أينما سار فالحيـــاة رخاء ... فى ســلام ، وعزة فى وئام

* * *

يا لقومى ممـا أرى فى زمان ... حائر الخطو ما له من زمام
لا أرى فيه للهدى من سبيل ... لا ، ولا للرشاد من أعـلام
قد بغى أهله كأسد ضوار ... هيجتها الرعود فى الآكام
وأحالوا الحياة حرباً ضروساً ... طال فيها تناحر الأقوام
تلك حرب الضلال ... سيان فيها
ـ لو علمنـــا ـ مهاجم ومحام
أرهقتنا ! لا بارك الله فى جنـ ... ـد ، ولا قادة ، ولا حكام
نحن لم نشعل الضرام ... لعمرى
كيف نكوى بنار هـذا الضرام ؟ !
زعموها قد أطفئت ، ولظاها ... لم يزل يستكن تحت الحطام !
قد أضرت بنا سنون عجاف ... صيرتنا خطوبها كالحطام
قلق دائم ، وهم مقيم ... وغـــلاء فى ملبس وطعام
قد شكونا لهم بقلب حزين ... وبكينا لهم بجفن دام
وانتظرنا ، فما أفادت شكاة ... لا ، ولا أجدت الدموع الهوامى
ورجونا الغيث الكثير ، ولكن
قد رجوناه من سحاب جهام
ورأينا الأحكام تترى ، ولكن ... أين تنفيذ هـذه الأحكام ؟
تلك فوضى قد أحدثوها ، ولكن
ألبسوها زوراً لبوس النظام
ضاق صدرى بما أحس ، ولكن
فى فمى الماء يا أولى الأفهام !

* * *

يا لقومى ! لقد تغير قومى ... ورماهم زمانهم باصطلام !
غيروا قوة بضعف ! وعزاً ... بهوان ! وصحة بسقام !
واستعزوا بغيرهم ، فقضى الغيـ ... ـر عليهم بالعسف والإرغام
ورماهم من شره بدواه ... قاتلات ... شلت يمين الرامى

فأقاموا على الهوان، وساروا   فى طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم، وكان حياة   وضياء، بعد الردى والظلام
أين مجد الإسلام ضخما عريضا؟   أين بنيانه المتين السامى؟
لا تقولوا مضى إلى غير رجعى   لا، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه فى كل يوم   فقليل ذكراه فى كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحا   محكم الخلق أيما إحكام
ودعوا اليأس والتعلل بالوهـ   ـم، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمنى؟!   أتريدون مجدكم بالكلام؟!
نعست أمة تحاول بالقو   ل بلوغ المنى، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف   وكلام القوى حد الحسام
فاتركوا الضعف، وارفعوا الذل عنكم   واهجروا الآن مضجع النوام
واعملوا؛ إنما الحياة كفاح   وجهاد فى ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتور، وبثوا   فى النفوس القوى، وفى الأجسام
انزعوا اليأس، حطموا الخوف، هبوا   هبة الأسد روعت فى الموامى
واهزؤوا بالخطوب إن عبس الده   ر، ولا تعبؤوا بكيد الخصام
واحملوا مشعل الهداة، وسيروا   فى طريق الحياة نحو الأمام
وليكن حكمكم بما حكم الله   ، ودستوركم هدى الإسلام

***

سوف نبنى صرح السلام مكينا   مستقراً ... والويل للهدام
سوف نحمى الأخلاق من نزوة الشر   (م) وبغى الهوى، وجهل الطغام
ونعيد الحياة روضا جميلا   يتغنى بزهره البسام
ثمر يانع، ودوح ندى   وارف الظل، ريق الأنسام
ونضم القلوب بعد انفصام   ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجد القديم كما كا   ن، وأنف الطغيان تحت الرغام
ولنا الدين غاية وطريق   وإمام ... أنعم به من إمام
ولنا الله ... ناصر ومعين   وهو نعم النصير، نعم الحامى

إبراهيم محمد نجا

أنغام الحب

ومن الحب عبقرى الأغانى

للأستاذ أنور العطار

عش بقلبى كما تعيش الأمانى   وأنر خاطرى ونضر جنانى
وأعدنى كالناى أسكره اللحـ   ـن ففنى فى رقة وحنان
تتهادى ألحانه مشجيات   ومن الحب عبقرى الأغانى
يا هواى الذى أناجيه لهفا   ن ويا منيتى ويا سلوانى
أمن العدل أن يبيت أخو الحـ   ـب صريع الهموم والأشجان
ينهب الشوق عمره غير وان   ويُقَضى الحياة فى الهجران
يهب القلب للهموم توالى   والأسى والدموع والأحزان
ويبيت الحبيب يغمره الصفـ   ـو وبحبوحة النعيم الدانى
وهو الحب خافق غير مرتا   ع، وقلب مؤجج الخفقان
وخدود مجرحات دموعاً   وخدود نواضر الألوان
وعيون من المسرات ملأى   وعيون مخضلة الأجفان
ها هنا البشر سائغاً مستطابا   وهنا الشجو خالدا غير فان

***

يا هواى الذى أغنيه أحلى   ما تغنت بلحنه شفتان
طف بقلبى كما تطوف البشاشا   ت وجدد على المدى ألحانى
لك من مدمعى ينابيع تهمى   بغزير من ماء قلبى قان
لك من خاطرى نشيد رقيق   طافح بالهيام والتحنان
لك من روحى اللهيف نزوع   كنزوع الغريب للأوطان
لك سر مغيب فى جنانى   لك شدو مفجر من بيانى

***

لك يا ملهمى الأناشيد بكراً   أتغنى بروائع المعانى
ويجوز الخيال أخبية الوهـ   ـم ويمشى على تنور الأمانى

أنور العطار

تعقيبات

تراث المعرى :

منذ ثلاث سنوات تألفت فى وزارة المعارف لجنة من الأساتذة الأفاضل : ابراهيم الأبيارى وعبد السلام هارون ومصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وحامد عبد المجيد لتقوم على بعث تراث الشاعر الفيلسوف أبى العلاء المعرى ونشره مصححا ، وشرحه شرحاً يقربه من الأفهام ، وهو عمل جليل أشدنا به على صفحات الرسالة من قبل ، وباركنا ما بدا من أثر ذلك فى همة اللجنة وعنايتها .

وإنى لأشهد الله أن أعضاء اللجنة الأفاضل قد تجردوا لمهمتهم فى عزيمة صادقة ، وعكفوا عليها فى صبر العلماء وشغفهم بمكاره الدرس والمراجعة ، فانفردوا فى غرفة منعزلة بدار الكتب المصرية بين أكداس من المخطوطات ومجفو الطوامير يراجعون ويحققون ويبذلون ماء عيونهم لإلقاء النور على ذلك التراث المدفون ، فكأنهم جماعة العلماء الذين يعكفون على الأبحاث الذرية فى أمريكا ...

وقد استطاعت اللجنة أن تخرج فى هذه المدة كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » ، والجزأين الأول والثانى من « سقط الزند » وما له من شروح ، وهى الآن بصدد إخراج الجزء الثالث منه ، وستتمه بجزء رابع يتضمن فهارس كاملة ، ثم تأخذ بعد ذلك فى إخراج ديوان ، « لزوم ما لا يلزم » وما عليه من الشروح ...

ولكنى ألاحظ أن اللجنة تمضى بطيئة فى أداء مهمتها وإنجاز عملها ، وقد سألت فقيل لى إنها تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات للفراغ من هذا العمل إذا سارت بهذه الخطوات ، ومعنى هذا أنها ستخرج ذلك التراث للجيل القادم ، على أن اللوم فى هذا البطء لا يرجع إلى اللجنة ، بل إنها نفسها تشكو ذلك وتحرص على أن تسير فى عملها بخطى واسعة ، وإنما اللوم على نظام دار الكتب ، لأن المطبعة لا تسعف اللجنة فى إنجاز الطبع والإخراج بحجة كثرة العمل ، وذلك فى الوقت الذى تجد فيه هذه المطبعة الوقت الواسع جداً لإخراج مؤلفات مدير الدار ومؤلفات المؤلفين الذين يتاجرون بمؤلفاتهم مع أن الواجب يقضى بأن تخصص مطبعة الدار لإنجاز مطبوعات الدار .

ومسألة أخرى تدعو إلى العجب ، وهى أن ما تخرجه اللجنة من آثار المعرى تضع وزارة المعارف يدها عليه وتنقله إلى مخازنها ولا تسمح إلا بإهدائه لذوى الجاه فى الدولة ممن لا يعنيهم المعرى وتراثه فى كثير ولا قليل ، فكأنى بالوزارة قد قررت بعث تراث المعرى لتنقله إلى قبر جديد .

كلا ! إن هذا التصرف ليس بالعمل الذى يؤثر فى خدمة الأدب ، وقد أحسنت الوزارة من قبل يوم أن قامت بطبع ديوان حافظ إبراهيم وعرضه للبيع بنفقات الطبع ، فهل لها أن تؤثر هذا الصنيع فى بعث تراث المعرى ونشره والإفادة به ؟! .

ولكنهم المعلمون :

نشرت إحدى الصحف خبراً زعمت فيه أن المعلمين ألفوا عصابة من بينهم لبيع أسئلة الامتحانات العامة ، وأن التحقيق كشف عن أمور خطيرة من أعمال هذه العصابة ، ولما كانت تلك الصحيفة قد هولت فى إيراد الخبر وتهجمت به على كرامة المعلمين ، فقد أذاعت « جمعية المعلمين » بياناً على الصحف ترد على هذا التهجم وتقول « وما كان للصحيفة المذكورة أن تتسرع بهذا الاتهام حتى ينتهى التحقيق وتظهر براءة البرىء إن كان بريئاً وذنب المذنب إن كان مذنباً ... »

وأنا لا يعنينى هنا تلك الواقعة ، ولا تصحيحها ، ولكنى أشهد الله أنى لا أفهم « براءة البرىء إن كان بريئاً » ولا أعرف ذلك فى أسلوب عربى إلا أسلوب الصحف التى تقول : « وتزوجها زوجها وعاشرها معاشرة الزوجية .. »

ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه ، وقلنا إنه أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولا بتغينا له أوجه التأويل ، ولكنهم المعلمون وصناعتهم العلم ، وهم الذين يتعهدون أبناءنا فى تعليم اللغة والبيان ، فياضيعة الأبناء المساكين ، ويا ضيعة اللغة والبيان ، إذا كانت لغة المعلمين من نحو « براءة البرىء إن كان بريئاً .. »

كان آباؤنا أبر وأكرم :

نشرت مجلة « المسامرات » فى عددها الأخير صفحة مصورة عن إنشاء بيت فى لندن لتأجير مايلزم للعرائس من الثياب ليلة الزفاف نظير مبلغ خمسة جنيهات وذلك تخفيفاً عن الفتيات الرقيقات الحال واللاتى لا يستطعن الحصول على الثياب اللائقة بهن نظراً لشدة قيود التموين التى لا تزال قائمة فى انجلترا ، وقد أشادت المجلة بهذا الصنيع كما أشادت به المجلات والصحف الإنجليزية وقالت إنه عمل مشكور أعاد الإشراق إلى وجوه العرائس وأدخل السرور والانشراح على قلوبهن .

قلت أين هذا من مآثر آبائنا السابقين ومكارمهم التى من هذا القبيل ، فقد كانت أبر وأكرم ، وكان عملهم مما يدل على عراقة الروح الإنسانية فى نفوسهم .

فمن ضمن وثائق الأوقاف الإسلامية وثيقة بوقف خيرى فى مكة المكرمة لإعارة الحلى وأدوات الزينة للفقراء ومتوسطى الحال فى الأعراس والأفراح بحيث يستعيرون منه ما يلزمهم حتى تظهر العروس فى المظهر اللائق جبراً لخاطرها ثم يرد مكانه بعد مضى مدة الفرح المعتادة ، كما كان فى مكة أيضاً وقف لإعارة المفروشات وأدوات السفر فى إقامة الولائم والحفلات .

وذكر ابن بطوطة فى رحلتــه وقفاً فى دمشق اسمه وقف « الزبادى »[1] وهو مكان توجد فيه الأوانى الفاخرة من الصين وقفها أصحابها بحيث إذا كسر خادم آنية فى مطبخ سيده وخاف أن يضربه السيد أو يحسم ثمنها من أجرته قصد إلى ذلك المكان وسلم الآنية المكسورة وتسلم بدلها صحيحة ، وقد علمت أن فى فاس وقفاً مثل هذا الوقف ، وكذلك فى تونس .

ومن ألطف ما يتصل بهذا وقف فى فاس خصص ريعــه لمن وقع على ثيابه زيت من الفقراء أو مادة ملونة تذهب ببهجته وجدّته كالحبر ، فيأخذ منه نقوداً ويشترى ثوباً جديداً مماثلا لذلك الثوب الذى كان يلبسه

وفى تونس وقف لتزويج الشابات الفقيرات ، وآخر لختان الأولاد الفقراء وإعطائهم كسوة ودراهم وثالث لتوزيع الحلوى على المحتاجين بالمجان فى شهر رمضان

وفى مراكش مؤسسة اسمها « دار الذمة » عليها أوقاف كثيرة ، وهى دار تقصد إليها النساء اللاتى يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وليس لهن عائلات ، فيقمن فيها آكلات شاربات متمتعات بكل وسائل الرفاهية حتى يذهب ما بينهن وبين أزواجهن من الجفوة ويعدن إلى دار الزوجية .

وفيها أيضاً مكان اسمه « سيدى فرج » عليه أوقاف كثيرة تدر الأموال الوفيرة ، وقد أوقفها أصحابها لإيواء المجاذيب ولتجهيز الموتى من الفقراء وتكفينهم ، وشراء ملابس توزع على الفقراء فى أول الشتاء .

وروى الكاتبان الفرنسيان الأخوان «جان وجيروم تارو» فى رحلتهما إلى مراكش أنهما شاهدا هناك مؤسسة لا يوجد مثلها فى الدنيا ، وهى دار كبيرة فسيحة تتسع لستة آلاف ممن أصيبوا بمحنة العمى من الفقراء ، فيقيمون فيها يأكلون ويشربون ويقرأون ، ولهم أنظمة وقوانين يسيرون عليها ، وتشرف على شئونهم إدارة كبيرة تدبر لهم كل وسائل الراحة والرفاهية ...

وفى أوقاف مصر وقف لسكنى الأيامى الفقيرات ، ووقف آخر لكسوة أولاد الفقراء ، وثالث لإطعام الكلاب التى ليس لها أصحاب ...

فهذه ، وأمثالها كثير ، مما يطول سرده وعده ، من مآثر آبائنا الكريمة ، وأريحيتهم النبيلة ، التى كانوا يبذلونها استجابة لداعى الإنسانية ، وتلبية لنداء الخير والمروءة ، وما كانوا يرجون عليها أجراً إلا ثواب الله وحسن جزائه ، فكل ما يجرى الآن من صنائع المدنية الحديثة فى الترفيه عن الفقراء وإدخال السرور على نفوسهم لا يعدل قليلا من ذلك الذى كان .

والواقع أن روح الإنسانية التى تملكت آباءنا السالفين ، ووصلت قلوبهم بقلوب الفقراء ، هى التى وقت المجتمع الإسلامى على تطاول العصور من الهزات الاجتماعية العنيفة ، ومن الثورات التى تصطدم بها النفوس المحرومة على أهل السعة وأصحاب الأموال ، وليس من المعقول أن يثور الفقراء أو ينقموا السعادة على الأغنياء ما داموا يجدون فى أموالهم الحق المعلوم للسائل والمحروم ...

« الجاحظ »

(١) وهى السلطانيات بلغة أهل الشام

الأدب والفن في أسبوع

عام التوائم :

توالت على الصحف أنباء ولادة التوائم فى أنحاء البلاد ، وأفاضت الصحف فى الكتابة عن أحوال هذه الولادات ، لما فيها من غرابة وطرافة

وقد لاحظت اقتران هذا الإخصاب فى الولادة ، بإخصاب آخر فى التأليف ، واسترعى نظرى إعلان أحد المؤلفين عن كتابين أخرجهما معاً ، وزاد انتباهى إعلان آخر مماثل .. فقلت فى نفسى : نحن حقاً فى عام التوائم !

ومما يدل على الإخصاب فى التأليف هذا العام أن « الأهرام » هالها ما يرد إليها من المؤلفات ، ولعلها ضاقت بإلحاح أصحابها فى طلب التعريف والتنويه بها ، فكتبت يوم الثلاثاء بعد ثبت طويل من الكتب التى عرفت كلا منها بكلمة — كتبت بعد ذلك تعتذر من عدم استطاعتها التعريف بكل ما ورد إليها ، فقالت إن عدد المؤلفات قد زاد فى هذا العام زيادة لم نعهدها فى السنوات الماضية فقد بلغ ما تلقته الأهرام فى ثمانية الأشهر الأخيرة ٣٨٢ كتاباً بمعدل ٥٠ كتاباً فى الشهر تقريباً ، واعتذرت من التأخير فى الإشادة بكل هذه الكتب ، ووعدت بأنها ستواصل التعريف بها ما استطاعت !

وقد لاحظ بعض الكتاب أن النساء المنجبات هن من الطبقة الفقيرة ؛ ولا عجب فى هذا فالطبقات الدنيا هى العاملة المنتجة المنجبة فى المجتمع . ويلاحظ أيضاً أن أكثر تلك الكتب الوفيرة تدل على أن أصحابها من فقراء الفكر .. وكثير من هؤلاء يوالى الواحد منهم إصدار المؤلفات فى أوقات متقاربة ، والذى أفهمه فى فن التأليف أن الشارع فيه تقوم بذهنه فكرة الكتاب ، يباشرها زمناً ، يقضيه فى التفكير فيها ، وتحقيق مادتها ، وتحين الفرص التى تتيح ما يخدمها ، فى أثناء المطالعات والتأملات ؛ حتى إذا نضجت على مهل ، أخرجها للناس كتاباً سوياً . فيكون كالوليد الذى تتغذى أمه وهى تحمله جنيناً بغذاء كامل ملائم للحامل ، وتتبع فى حياتها النظام النافع للحمل ، وتقضى المدة اللازمة قبل أن تضع حملها

وقد أفضى طبيب « ملوى » بأسباب وفاة ثلاثة من الأربعة التوائم التى ولدتهم أمهم هناك ، فقال إن أهم تلك الأسباب رداءة تغذية الأم وهى حامل ، فهل نأخذ العبرة من هذا للتأليف ، مع فرق واحد ، هو أن الوليد السقيم قد تجدى عليه العناية والمعالجة، أما الكتاب الملفق المرتجل فهو مع الموت فى مهده على ميعاد ..

مطايبات (أبو النواس) :

جاء فى العدد الخاص (بالفرفشة) من مجلة الاثنين ، فصل فى (الفرفشة عند العرب) احتوى على بضع حكايات قدم لها بما يلى : « كان العرب يتذوقون النكتة ويجزلون العطاء لقائلها ، وقد حفلت كتب الأدب العربى القديم بألوان طريفة من الفكاهات ويرى القراء طائفة منها فيما يلى » والقارىء المستنير يتوقع أن يطالع بعد هذه المقدمة ملحاً وطرائف من التى حفلت بها كتب الأدب العربى حقاً ، والتى هى جديرة أن يزود منها عدد خاص بالفكاهة أو (بالفرفشة) كما أطلقوا عليه ؛ ولكن الحكايات التى أتى بها إنما هى من التى يتبادلها العامة ، ويحصلونها من الكتيبات التى وضعها لهم بعض الوراقين ، وخاصة ما كان منها عن (أبو النواس) كما يسميه العوام ؛ وإلا فقل لى أى كتاب من كتب الأدب العربى القديم حكى عن الرشيد أنه أراد أن يفاجىء أبا نواس بزيارته فى داره فاختبأ أبو نواس وراء الباب وأزعج جواد الرشيد وهو يهم بالدخول ، فسقطت عمامة الرشيد ، فتطير من ذلك وأمر بضرب عنق أبى نواس ، فيضحك أبو نواس معللا ضحكه بأنه يقتل بغير سبب ، فيقول له الرشيد :

— إنما أقتلك لأنك مشئوم الطالع . . فقد « اصطبحت » رؤيتك فسقطت عمامتى !

— وأنا اصطبحت بوجهك ففقدت حياتى ، فأينا أكثر شؤماً ؟

فهل كان من طبيعة العلاقة بين الرشيد وأبى نواس ، وهل

يليق بهما، أن يحدث بينهما هذا الذى يشبه لعب الأطفال المسمى « استغماية » ؟ وهل كان خلفاء المسلمين يقتلون للطيرة وشؤم الطالع . . ؟ وهل يصح أن يساق هذا الكلام المسف المبتذل على أنه فكاهات مختارة من الأدب العربى ؟!

لقد كان يمكن تحقيق الرغبة فى الإضحاك بإيراد طائفة من فكاهات الأدب العربى « الحقيقية » التى تزخر بها « الأغانى » و« العقد الفريد » و« عيون الأخبار » و« ذيل زهر الآداب » وغيرها من كتب الأدب . وكان يمكن بهذه الفكاهات الجمع بين (الفرفشة) والمتعة الفنية ، وكان كل ذلك خيراً من حكايات (أبو النواس) التى لا منفعة فيها إلا أن تفغر أفواه الفارغين …

شخصية الفنان :

نشرت بعض الصحف البيروتية خبر حادث أسفت له ، وأشارت إلى سوء موقعه من النفوس ، ذلك أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان فى مجلس فى (عاليه) ضم نخبة من رجال السياسة والأدب ، وفيهم الأمير مجيد أرسلان وزير الدفاع فى لبنان ، الذى طلب من عبدالوهاب أن يغنى ، فرفض . واختلفت الروايات فيما حدث بعد هذا الرفض ، فقيل إنه حدثت مشادة تخللها اعتداء ، وقيل إن الوزير نهض واقفاً كأنه يهم بالاعتداء . . . وتدارك الحاضرون الموقف فانتهى بسلام . وكذبت الحكومة اللبنانية « أن وزيراً حاول ضرب الأستاذ محمد عبد الوهاب فى عاليه » وقالت إنه خبر عار عن الصحة . ونفى الحكومة ينصب على الاعتداء ومحاولته ، أما الاجتماع وما كان فيه من طلب الغناء ورفضه فلم يكذب خبره . وهذا الجزء من الخبر هو الذى يتعلق به موضوعنا . أما الإساءة إذا كانت قد وقعت فاليقين أن إخواننا اللبنانيين قد عالجوا أمرها على خير ما يرجى .

أما الذى أرى إليه فهو « شخصية الفنان » التى حققها عبد الوهاب برفضه إجابة طلب الغناء ، فهو اعتزاز فى موضعه ، وحفاظ على كرامة الفنان أن يكون طوع إشارة وزير أو كبير . وقد مضت العصور التى كانت الفنون فيها تعيش فى ظلال الكبراء ، وصار الفنان (من موسيقى وأديب وغيرهما) يستمد عزته من فنه ومن جمهوره ، كما تستمد الحكومات الدستورية سلطانها من أممها . .

تلك هى روح العصر فى الفن ، وهى أثمن ما كسبناه ، وهى تتمثل فى أولئك الأعلام الذين برزوا فى حياتنا الفنية بأنواعها ، نهضوا على سوقهم ، ومشوا بجهودهم إلى غاياتهم مسددين ، ويسير الجيل الجديد على أثرهم فى هذا السبيل ، من الشعب نحو الشعب ، يرعى الجميع جلالة الفاروق .

أبو زيد الهلالى :

كتب إلىَّ الأستاذ عبد الحميد يونس ما يلى :

« طلب المدير المنتدب للاذاعة المصرية فى عهدها القوى إلى الأدباء والكتاب أن يشاركوا بأفكارهم وأقلامهم فى تدعيم هذه المؤسسة الثقافية العظيمة التى بلغ من خطورتها فى توجيه الرأى العام أن احتفلت بها الهيئات الدولية العليا ، وقد رأيت أن أتقدم إلى هذه الإذاعة بنصيب متواضع من الجهد الفنى ، هو تقريب الآثار الشعبية المعروفة إلى جمهور الخواص . وبدأت بحلقة من حلقات سيرة أبى زيد الهلالى ، ولأمر ما انصرف المعنيون بإخراج هذه الآثار عن اللغة الفصحى إلى اللغة العامية مع أننى كتبتها باللهجة الفصيحة لحكمة ظاهرة ، وهى جعل الخواص والأوساط يتذوقون هذه الآثار الشعبية التى يحفظها العامة عن ظهر قلب ، ثم أخرجت هذه الحلقة دون أن يصلنى كتاب واحد من الإذاعة اللاسلكية القومية التى تشرف عليها الدولة المصرية ينبئنى بقبولها أو رفضها أو يدعونى على الأقل إلى مشاهدة إخراجها وإقرار هذا الإخراج . وقد حضرت التجربة النهائية اتفاقاً محضاً ، وكنت بين المخرج وأعوانه كالتطفل على مأدبة لم يدع إليها . وعند التسجيل سحب الصوت من الغرفة التى أجلس فيها عمداً . وعلمت بعد ذلك أن القصة التى قدمتها قد حورت فى موضعين تحويراً يمس أثراً محفوظاً لدى الشعب ، قد وقف فى تطوره عند صورة متبلورة بعينها ، كما أن الحوار حمل أفكاراً وصوراً لا يمكن أن أقرها بحال . فاضطررت إزاء هذا كله إلى أن أطلب ، بما لى من حق ، الاستماع إلى التسجيل الكامل ، ولولا

وساطة بعض أصدقائى ممن أحترمهم وأوقرهم لوقفت إذاعة هذه الحلقة واحتكمت إلى القضاء ، وبخاصة لأنهم جعلوا المؤلف غيرى وا كتفوا بأن ذ كروا أننى قدمت « المادة العلمية » كما يفعل رجال الدعاية الزراعية مثلا . والإذاعة وإن غيرت هـذا الوضع ببعض التغيير ، إلا أن الأمر لا يزال على حاله من حيث تحوير القصة وتحميل النص مالا يحتمل ...

ولعل هـذا يدعوك إلى تنبيه الإذاعة اللاسلـكية فى هذا العهـد القوى إلى احترام المؤلفين ومحاولة القضاء على ما يشبه الاحتـكار الثقافى والفنى لفرد أو طائفة .

وأملى أن ينال هذا الموضوع ما يستحق من عنايتـكم وعناية الرسالة الغراء »

وقد أصغيت إلى هذه التمثيلية وقت إذاعتها يوم الثلاثاء ، فسمعت أصواتاً تتصايح بلغة لست أدرى ما هي بالنسبة إلى قصة أبى زيد الهلالى ، فلا هى لغة جمهور المستمعين العامية ، ولا هى لغة «شعراء الربابة» التى هى أقرب إلى الفصحى من لغة التمثيلية، ولا هى لغتنا العربية الفصحى ؛ وإنما هى من لغة بعض القبائل البدوية المعاصرة . ولم هذا وقد وضعها مؤلفها معربة فصيحة ؟ يقولون فى مثل هذا : إنه تهيئة للجو الفنى فى القصة .. فهل يطابق هذا الحوار الذى وضع لقصة أبى زيد الهلالى لغة القبائل العربية بنجد فى القرن الخامس ؟ وما أظن لغتهم فى ذلك الوقت كانت قد بعدت كثيراً عن الفصحى

على أننى سمعت فى تمثيـــل القصة غناء ينصت إليه أمراء القبيلة ، فيدخل عليهم أفراد من القبيلة يصيحون بهم : أتنصتون إلى الغناء والطرب والشعب يهلك من الجوع ؟ وسمعت أحد أفراد القبيلة يحاول أن يبيع ابنته ليقرى ضيفانه ، فيعلم بذلك أمير القبيلة فلا يمنح الرجل ما هو فى حاجة إليه ويطلق الفتـاة ، بل يتزوج منها فيعترض عليه أبو زيد ويعلن أن الوقت وقت شدة وعسر ولا يليق أن ينفق فى الأفراح بل يجب أن ينفق فى مصـلحة الشعب ورخائه .

وليست تلك الأفـكار الاشتراكية مما يتفق والروح السائد فى زمن القصة ؛ وتصرف أمير القبيلة مع والد الفتاة ليس من النخوة العربية ، فهل يتفق هذا مع الجو الفنى للتمثيلية الذى يعملون على تهيئته بتلك الأصوات المنـكرة .. ؟

وأكبر الظن أن ذلك مما يقصده الأستاذ عبد الحميد بقوله إن القصة حورت وحمل الحوار أفـكاراً وصوراً لا يمـكن أن يقرها ، ويبدو من تغافلهم عنه فى أثناء الاخراج أنهم كانوا يخفون عنه مايصنعون بقصته حتى ينتهوا ويضعوه أمام الإفساد الواقع .

ومن عجيب الأمر أن ينزل الـكاتب المبين منزلة صاحب « المادة العلمية » الذى لا يقتدر على التعبير فيقـدمها لمن يصوغها فى أسلوب صحيح ..

وبعـد فهل نتفق دعوة مدير الإذاعة الأدباء إلى المشاركة بأفـكارهم وأقلامهم فى تدعيم الإذاعة المصرية فى عهدها القوى مع هضم حقوق المؤلفين والتصرف في إنتاجهم بما لا يقرونه ؟ أو ليس من حق الأدباء أن تعاملهم الإذاعة — فى التقدير الأدبى على الأقل — معاملة المغنين ومن دونهم من الملحنين ... ؟

« العباس »



القرآن والفرقان :

اطلعت فى العدد الأول من مجلة « لواء الإسلام » على مقال رصين للأستاذ الكبير عبد الوهاب حمودة بعنوان « التعريف بالقرآن » جاء فيه قوله « وللقرآن أربعة أسماء . هى القرآن والذكر ، والكتاب ، والفرقان . »

ونحن نوافق الأستاذ فى الأسماء الثلاثة الأولى ، ولكنا نخالفه فى الرابعة وهى كلمة « الفرقان » بمعنى القرآن إطلاقاً ، لأن من معانيه الذكر ، ودليلنا فى ذلك قوله تعالى وهو أصدق القائلين « شهر رمضانَ الذى أُنزلَ فيه القرآنُ هدى للناس وبينات من الهدى و(الفرقان) . » وقوله تعالى « وإذ آتينا موسى الكتاب و(الفرقان) . . »

ثم إن الأستاذ زيادة فى الإيضاح يقول مستشهداً : ثم نزل لفظ (الفرقان) فى سورة (الفرقان) فى قوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » فلو صح ما ذهب إليه الأستاذ فى معنى الفرقان لصح وجود سورة باسم سورة (القرآن) . ولكان القرآن ما نزل على العالمين إلا ليكون نذيراً لا غير . .

ثم إن الآية « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » تنفى ما ذهب إليه الأستاذ فى معنى الفرقان على أنه القرآن نفياً لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه . ويكون الفرقان بمعنى الذكر الذى يفرق بين الحق والباطل من الأقول والأفعال .

وللأستاذ فى الختام ، وافر التحية والسلام ...

(الزيتون) عدنان أسعد

١ — إلى سائلين :

كتب إلىَّ الأفاضل : السيد (سعيد أحمد) من القنيطرة ، والسيد (نهاد عيسى) من حيفا ، والسيد (حنا نصار) من طبريا وشافهنى آخرون ممن ألق ، وكلهم يسأل عن « فصول الأدب فى فلسطين » ولما ذا توقفت عن متابعتها ؟ !

وجوابى إلى هؤلاء السادة : أننى سأتابع هذه الفصول حين يتسع المجال فى (الرسالة) الزاهرة ، فتنشر فصلين وجهتهما للادارة . وذلك ليتسق نظام الحديث .

٢ — الحاصرة :

كتب الأديب « فلسطينى » فى بريد الرسالة الأدبى . يرتأى أن تستبدل بالزنزانة (الحاشرة) . وكتبت آنذاك — وقد توهم بعض إخوانى أننى ذلك « الفلسطينى » — أننى ذلك الوهم ، وأبين أن (الحشر) فى اللغة هو : (الحشد والجمع) ومن ذلك (يوم الحشر) . ولا يكون بمعنى : (الحبس والتضييق) إلا فى مدلول الكلمة العامى عند أهل فلسطين ... ومن هنا كان خطأ اللغوى « فلسطينى » ! ولعل الكلمة التى تؤدى المعنى المراد — هاهنا — هى : (الحاصرة) ...

وفى عدد الرسالة الأخير رأيت الأستاذ حسنى كنعان يستعمل هذه ال(حاشرة) بمدلولها العامى فى فلسطين ، فى موضوعه القيم : « نهاية دجال » ولذا رأيت أن أعود ثانية فأنبه إلى ذلك

٣ — أروقة سود :

جاء فى بداية موضوع السيدة الفاضلة منيبة كيلانى (لسان الدين بن الخطيب) ما يلى : « مد الليل أروقته السوداء فى غرناطة ... » . والمعروف أن (سوداء) وصف لمفرد مؤنث ، ووصف الجمع منه (ومن جمع التكسير) هو (سود) .

فنقول فى الإفراد : ليلة سوداء ، كما نقول : حية رقطاء .
ونقول حين الجمع : ليال سود وأيام بيض وحيات رقط ...
ولعل هذا لا يغيب عن الأديبة الفاضلة .

(القدس) محمد سليم الرشدان

١ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

فى مقال الأستاذ الكبير « محمود شاكر » « شهر النصر » أورد الأستاذ آيات من كتاب الله جاء فيها سهو بين . وتلك الآيات هى قوله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين » والصواب « وإن فريقاً من المؤمنين



اشـــــتراك فى الأثم

للشاعر القصصى (بول بورجيه)

بقلم السيد كمال الحريرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى الصباح صحت عزيمتى ، على الكتمان . لا ، أبداً ، لن أفضح امرأة صديق ، ولن يعلم صاحبى عن خيانتها شيئاً . فما هو أول زوج ولا آخر زوج تخونه زوجه ، ويعيش مع ذلك هادئاً قريراً . شارل صديق ، يذهب فى حب امرأته ، أنزه المذاهب وأقربها من التقديس ، لذلك سيكون فى إطلاعه على خزيها وشنارها . وضع للسلاح فى يده ليقتل نفسه به . فمن الخير إذاً أن يجهل الأمر كل الجهل . أما فيما يتصل بى ، فإنى أرجو أن أتناسى مشهد هذه المصادفة الغريبة ، ولا سيما أن « مرغريت » لم ترنى أبداً ، وتجهل اطلاعى على أمرها ، وسوف تجهله إلى الأبد . إنها ستسافر كما قالت لصاحبها فى قطار ما بعد الظهر ، وإذن فمن الحتم علىّ أن أرحل بقطار معاكس لقطارها يبرح « جه ن » فى نفس الساعة . ولقد عولت على تأخير ذهابى إلى المحطة كيلا أتعرض لملاقاتها هناك برغم تحقق من أنها ستأتى المحطة بمفردها ، فليس من الجائز أن تكرر مخاطرة الأمس الحمقاء فتبرز للملأ مع عشيقها . على أنى لم أقدر نشوة الخطر الخبيثة التى تدفع بالمحبين إلى أن يقتحموا كل خطر مهما كان نوعه أو زمنه . ذلك أن فى المرأة التى تستهيم بصاحبها وتتدله بهواه فتهبه سراً جسمها وقلبها شهوة طاغية للظهور فى ملأ من الناس ، مستندة إليه ، معقودة الذراع بذراعه ، كأنها تبغى الإعلان للناس عن أنها امرأته الشرعية؛ ترى لماذا تفعل هذا ؟ إنى لا أستطيع لذلك تفسيراً . ولكنه يقع غالباً . والمآسى العرضية التى تقوض سعادة الأمر بنسبة ٩٩

لكارهون » وسهو آخر فى قوله تعالى « ويقطع دابر القوم الكافرين » والصواب « ويقطع دابر الكافرين » بإسقاط لفظ القوم وفقنا الله للصواب .

٢ — إلى الشيخ محمد رجب البيومى :

فى مقالك — عشاق الطعام — أوردت ما نصه « وأذكر أن صحابياً جليلا — أظنه ابن عباس — دخل عليه سائل نهم فأكل أكلا عنيفاً لجعل ينظر إليه فى تعجب . حتى إذا خرج من عنده قال لخادمه : إياك أن تدخله مرة أخرى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . المؤمن يأكل فى مع واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » . وأحب هنا أن أذكر — للحقيقة — أن ذلك الصحابى هو ابن عمر لا ابن عباس — كما ذكرت أنت — وذلك كما جاء فى رواية البخـــارى « عن نافع قال : كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه . فأدخلت رجلا يأكل معه فأكل كثيراً . فقال : يا نافع لا تدخل هذا علىّ . سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء »

وأنت ترى — أيها الزميل — أن لفظ مِعًى ورد هكذا فى الرواية الصحيحة بكسر الميم وفتح العين منوناً مقصوراً فأنى لك مخالفة الرواية المشهورة ؟ أقنعنا وفقك الله .

(دميرة) على زين العابدين منصور

الأشغال الشاقة المؤبدة :

جاء فى كلمة للأديب فؤاد السيد خليل بالعدد (٧٣٤) من الرسالة الغراء « أن الأشغال الشاقة المؤبدة مدتها خمس وعشرون سنة ، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة فى السجن »

وتحديد العقوبة بهذه المدة خطأ كثير الشيوع . والصحيح أن الأشغال الشاقة المؤبدة ليست محددة بمدة معينة ، وإنما تكون إلى نهاية حياة المجرم .

على أن نظام الإفراج الشرطى يجيز الإفراج عن المحكوم عليه بهذه العقوبة إذا أمضى فى السجن مدة لا تقل عن عشرين عاماً ، وكان خلالها حسن السير . لذلك رأيت التنويه ، إرضاء للقانون ، وتسكيراً لخواطر المجرمين ...

محمد محمود عماد

فى المسألة ليس له من سبب إلا ما ذكرت . مع أن شدة الحذر واليقظة من الزوج كافية لمنع حدوثها . وأحسن مثال على ذلك واقعة صديق ، على أنى فى تلك الليلة المؤرقة خرجت باكراً من الفندق وفى نيتى ألا أرجع إليه إلا متأخراً حين تكون مرغريت قد غادرته إلى المحطة ، فبعد أن جلست فترة فى المدينة ذهبت فى الساعة العاشرة إلى زيارة «القصر الأحمر» «باله روج» لمشاهدة لوحات الفنان «فانديك» وأدع لك أن تحكم على مقدار ذهولى ودهشتى حين طرق سمعى مجدداً ، فى صالة هادئة من صالات ذلك المتحف ، جرس الصوت نفسه الذى هزنى وزغزنى البارحة مساء تحت أشجار البستان . لقد كانت هى نفسها هناك . نعم ورغم تخوفى واحتسابى من ملاقاتها ولو بمفردها . حبذا لو كانت حقاً وحدها ! ذلك أن صوتاً كان يحاورها ، هو صوت رفيقها فى أمسية البارحة . وكنت أمام لوحة المركيزة «پاؤل» المشهورة . ألا تذكرها ؟ إنها تمسك بكفها البيضاء قرنفلة حمراء وترتدى فستاناً أخضراً غامقاً . كان العاشقان يدنوان منى شيئاً فشيئاً . وكنت أحس ذلك من وضوح حديثهما بالتدريج فى أذنى . فهما يتخاطبان الآن بصيغة الجمع «Vous» وكان هذا التحفظ القليل منهما ، تنبيها لمن عساه أن يسمعهما أو يعرفهما من الأصدقاء والمعارف . عند ذاك يكون فى مقدورهما تبرير نزهتهما المنفردة مع بعضهما بانتحال مصادفة ملاقاتهما فى بهو المتحف . وسكتا على حين غرة ، ولكنى بفضل حاسة السمع اليقظة التى ترهف فى مثل هذه اللحظات ، ميزت وسوسة هامسة فيما بينهما ، لقد خافا فجأة من صوتهما ، لأن مازى أبصرتنى . ولا ريب عندى فى أنها أسرت حينذاك لمشيقها هذه الكلمات المخيفة الهائلة لديها «صديق لزوجى» ومع ذلك لم تغادر الصالة بل كانت خطواتهما تقترب قليلا قليلا منى ، ووقعها على بلاط الصالة ، يجمل صمت الأصوات أكثر وضوحاً وجلاء . هناك تساءلت وعيناى مثبتتان فى اللوحة ، وذراعاى معقودتان إلى صدرى فى تأملة غارقة : أليس الأولى بى الروغان عنها وتجنب محنة ملاقاتها المربكة ؟؟

ليس من المعقول على أى حال استمرارى هكذا جامداً دون حراك ، لأنى بذلك ، أتخذ هيئة من رآها فعلا ، ويتظاهر بعدم رؤيتها ، وتلك وقاحة بلا مراء ، ذلك أن عدم إرادتى النظر إليها هو الاقرار بأنها تصاحب رفيقاً . أما إذا حييتها فسوف أفسح لها المجال لكى تشرح موقفها وتتملل بعذر من واجبى التظاهر بتصديقه ومع أنى فكرت وقدرت كل هذه الحلول لموقفى ، فأنى لم أرم مكانى . ووقف الحبيبان أخيراً ورائى . لا جرم أن المرأة كانت تتساءل عما إذا كنت أمثل دوراً . وعلى أى حال لم ترد أن تكون هى البادئة بالاقتراب منى غير أنها اجترأت أخيرا اجتراء المرأة التى تبغى حماية هنائها . فجهرت بصوتها ، لكى تضطرنى إلى الالتفات إليها . قالت لصاحبها :

— إنك لعلى حق يا سيدى ، فهذه الصورة من أروع وأبدع الصور فى الرواق كله ، ولن أنسى لك جميل تعريفى بها وإظهارى على جمالها . وإنى لجد سعيدة بالمعاونة الطيبة التى جمعتنى بك ، وآمل أن ألقاك فى باريس .. أما الآن فينبغى لى أن أعود سريعة إلى المحطة كى لا يفوت موعد القطار .. لقد كان من المحال ألا أسمع صوتها ، ولكنى لم أتحرك حركة ولم أنقل قدماً ، ولم أكلمها كلمة . فترددت «مرغريت» لحظة ، ثم ابتعدت ، وكأنها هى أيضاً لم تبصرنى «مع أن خطابها المرتفع لم يكن موجهاً إلا إلى» . واقتفى الفتى أثرها بعد بضع لحظات كنت أثناءها ما أزال على هيئة استغراقى الذاهل غير المعقول فى صورة «لادام» للرسام «فانديك» ولما ابتعدت خطوات حبيب مدام ردتيه عن الصاله ، واستأنفت سيرى المتاد ، انتابتنى نوبة من الندم والألم من الصعب وصفها : إنى بتظاهرى عدم مشاهدة مرغريت ، عرفتها بجلاء بأنها آثمة ودللتها على جرمها . ولا ريب فى أن أول عمل سيقوم به الفتى حين رجوعه إلى الفندق ، هو مراجعة قائمة النازلين فيه . وماذا بعد عثورها على اسمى إلا أن يستخلصا أمر اكتشافى وجودها فى هذا الفندق ! أن عدم التفاتى إليهما فى صاله «القصر الأحمر» ، يعنى أنى لم أجد فى مرافقتهما مفاجأة غريبة ، وإلا كانت المباغتة دفعتنى إلى بعض الحركات أو الإشارات ، وإذاً فالنتيجة المنطقية هى : إنى لا أستطيع أبداً الاستمرار فى تظاهرى أمام امرأة «شارل» أنى أجهل علاقاتها بعشيقها . هى تعلم إنى أدرى لها عشيقاً وهى تدرك أنى أعلم من هو جيداً . ليت شعرى كم ضيقة هى

المسافة التي تفصل الواحد منا عن الآخر فى العالم ... لقد كنت أشفق كل الإشفاق من اشترا كى فى الإثم ، وإذا بى الآن أحشر نفسى فيه حشراً . والجرم حين يستوثق من معرفتنا بجرمه ومن حمايتنا إياه بسكوتنا عنه ، له كل الحق أن يعتبرنا متواطئين معه على الجرم . لقد كان الحزم والحكمة يقضيان على أن أشترك « فى الملهاة » التى دعتنى إليها جملتها . فلو كنت ملتفتاً إليها ببساطة ، لقلت لها : أهى أنت يامدام ؟؟ حينئذ كانت تعرفنى بصاحبها ، معلنة مصادفته فى « جه ن » ، ولكانت أنبأت بذلك زوجها بكتاب ، كما كان فى مقدورى أن أكتب أنا إليه أيضاً . على حين أنها الآن ملزمة بالسكوت أمام زوجها كيلا يناقض قولها ما لعلنى أتحدث به أنا إليه « هذا إذا كان فى عزمى أن أتكلم » لسوف تسمم هذه الرعونة التى ارتكبتها أنا ، علاقاتنا إلى الأبد . فهذا الحزم فى غير موضعه منى ، هو أشد شىء يدعو إلى الاتهام . لهذا كان من أثر هذا الموقف الخاطىء ، أن بات من المحال على الرد على كتاب صديقى شارل ، طيلة الأيام التى استغرقتها سياحتى . ولعلها المرة الأولى منذ طفولتنا التى لبثت فيها مدى أسبوعين دون إنبائه بصحتى وأخبارى أو استنبائه عن صحته وأخباره . وحين حللت باريس ، بقيت أسبوعين أيضاً دون أن أكلف نفسى زيارته مع ثقتى بأن ذلك التغيب هو أشد مخالفة للصواب من مسلكى فى رواق « القصر الأحمر » فليس من المعقول أن لا يندهش شارل من انقطاعى عن زيارته ، فلا يستفسرنى عن الأسباب التى كنت مصمماً على كتمانها عنه ، وإذاً فأى ممنى لتأخرى عن زيارته !

كل هذا كنت أعلله وأستخلصه ، ولكن التفكير فى أنى سأشترك فى قذف أخس شتيمة يمكن لرجل أن يتعرض لها فى عرضه كانت تثنى خطاى إلى أن كنت ذات يوم فى منزلى أفكر فى الوقت الذى يجب فيه استئناف علاقاتى مع أسرة « شارل » وإذا بخادمى ينبئنى بأن سيدة ترغب فى لقائى فأمرته أن يدخلها . وإذا بى أبصر « مرغريت روية » تدخل غرفة الاستقبال . وكانت أول كلمة لقيتنى بها « إنى هالكة » ولم تزد عليها شرحاً أو تفسيراً . ثم انفجرت كالمجنونة قائلة : المصادفة وضعت سرى بين يديك ، وأنا أعلم أنك لم تش بى إلى « شارل » وبسبب هذا وحده كان انقطاعك عن زيارتنا . ولكن بين جنبيك قلباً نبيلا ، برثى لحال امرأة تعسة ... أعيد عليك القول بأنى من الهالكات ... نعم وإنى حامل ... لم تكن الشقية تطلب منى الاشتراك السلبى فى الإثم فحسب ، بل الاشتراك الإيجابى أيضاً . فلقد عادت من إيطاليا منذ ثلاثة أيام موقنة من أنها حامل لشهر ... وينبغى لى إضافة ما أقرت به أيضاً خلال العبرات والشهقات ، قالت : إنها من حين تعلقها بصاحبها أخذت تنتحل الأعذار باختلال صحتها كى تعيش بعيدة عن زوجها . ولقد تهددتها هذه الأمومة الآثمة فى الوقت الذى كنت فيه أنا صديق بعلها الوفى وخله الأمين ، هناك فى النزل ولماذا ؟ لكى أكتفى فقط بما رأيته وسمعته ... أما هى فقد فكرت بالفرار مع عشيقها ، وحاولت أن تسلكه فى طريقها بأساليب شتى ، لم تزدها كلها إلا معرفة بالعواطف الكاذبة التى يكنها لها ذلك الرجل . حتى الانتحار فكرت فيه ، لولا أن غريزة صون الحياة ردتها عن فكرتها . لأجل هذا جاءت إلى فى نوبة من نوبات هواجسها وهذيانها تستجدى عطفى وتستنجد رحمتى .

ماذا ؟.. آه ! ما أوهى ذلك الحاجز الذى يفصلنا عن الجريمة ؟ لقد أتت تبتهل إلى أن أرافقها إلى طبيب ، لتستعطفه وتتوسل إليه بماذا ؟ بمساعدتها فى الإجهاض ... أترانى محتاجاً إلى أن أحدثك عن جوابى ونصيحتى لها ورجائى أن تحفظ شبابها وتبقى على ذلك الطفل الذى تحمله فى أحشائها ؟! لقد سمعتنى أردد فى إلحاح :

— الأولى بك إن كنت ترجين لأمرك خلاصاً أن تعترفى « لشارل » بكل ما حدث ... وبهذا تحتفظين بطفلك وثروتك ، وتجدين الوسيلة إلى طلاقك ، ذلك خير من تحمل جريرة القتل ، وبينما كنت أكلمها هكذا ، كانت أمارات الهدوء تعاودها قليلا قليلا . فانسحبت من عندى بعد إذ أعطتنى موثقها من أنها لن تقترف جريمة الانتحار ولا قتل طفلها . وفى الغد وضعت حداً لترددى فى الذهاب إلى منزل « شارل » صديقى . فلم تحن الساعة العاشرة . حتى كنت عنده ، بعد وثوق من لقائه فى ذلك الوقت لقد أشعرنى استقباله الفرح لى بأنه كان فارغ

البال من المأساة الأليمة التى كان منزله لها مرسحاً . قال لى بلهجة المعاتب وهيئة الداعب .

— إنك لا تستأهل منى أن أعرفك بعد الآن . ماممنى هذا التصرف الغريب ؟ إن « مرغريت » لم تعد من هناك ، بل آبت من « إيطاليا » مبتهجة بسياحتها …

ولكن قل لى بحقك ، ما الذى حدث لك أنت ؟؟. أظنها مغامرة غرامية جديدة … لعمرى أليس فى نيتك الاستقرار والانتظام فى حياتك …

ومع ذلك فالسعادة فى الزواج … نعم وكل السرور والنعيم فيه ، ثق بذلك وصدقنى يا صاحبى … أما أنا فلن أعيد عليك الأسباب التى ادعيتها لذلك الزوج المخدوع تبريراً لسكوتى وغيابى عنه … وفى مساء ذلك اليوم كنت أتمشى معه بجانب امرأته ، التى كان فى وجهها الساكن الجامد مايتم على أنها نسيت تماماً نوبة الألم التى جازتها وهول الخطر الذى كان يتهددها … على أنى فهمت أى حل حلت به عقدة هذه المشكلة المؤسية … وذلك أنى كنت عند صديقى «شارل» بعد شهر من زيارتى الأولى ، وكنا ندخن منفردين ، حين بدرنى قائلا :

— إنى لجد مغتبط يا صديقى : لقد كاد حلمى أن يتحقق … فأنا آمل بعد مدة أن أغدو أباً … لوليد ستكون لا شك أنت « إشبينه » …

لم تكد تمضى على هذا ثمانية شهور ، حتى ولد ذلك الطفل الذى أخبرنى أبوه « المدعى » عن زنته البالغة . فقال فى كبرياء وافتخار . لم يخطر لى وقتئذ أن أسخر منهما

— نعم يا صديقى ، إنه يزيد كيلو غراماً عن وزن الطفل العادى . ثم إنه ولد قبل الميعاد المنتظر لولادة الأجنة … ستة شهور ونصف فقط … أليس ذلك عجيباً !؟ لقد تملكنى الخوف منه بادىء الأمر ، ولكن الطبيب طمأننى ، وهو طبيب من النوع الممتاز ، عرفت « مرغريت » عنوانه على سبيل الصدفة بواسطة إحدى صويحباتها لدن عودتها من « إيطاليا » … « واحفظ عنى يا صديقى … لقد تألمت المسكينة بالوضع أشد الألم ، حتى أنى لم آمل أن أصبح أباً … بيد أن ذلك لم يكن له كبير خطر … لأن الطبيب عرف كيف يعتنى بها الإعتناء المطلوب … وبينما كان شارل يفضى إلى بسعادته الكاذبة ، كنت أذوب خجلا وألماً فى نفسى . وفى الواقع لم أ كن واحداً من أولئك الذين انتمروا به حتى يثبتوا فى ذهنه الوهم الفاحش الخادع الذى سيعيش ويموت على ضلاله وبطلانه ؟!.

على أنى علمت من ذلك أن مرغريت حين بارحت منزلى ، ذهبت من فورها إلى طبيب من الأطباء ، وعرضت عليه عملية الإجهاض ، ولكن الطبيب نصح إلى « زبونتــه » المرتاعة بالعودة إلى زوجها ، وبأن تلزم نفسها حين تقترب ولادتها باقناعه بتاريخ لحملها منه … يكون … بعد ذلك مقارباً للحقيقة . أ كنت على حق أم فى ضلال بعيد لعدم إفشائى الحقيقة فى حينها ؟؟ . أمصيباً كنت أنا بالسكوت أم مخطئاً ؟ ! إنى وقد تعاقبت على هذه الحادثة سنون عدة ما أفتأ أتساءل وأقاول نفسى بكل هذه الأسئلة . ولكن دون أن أظفر لها بجواب … ترى هل أصبت أو أخطأت بغمسى فى ماء «التعميد» لذلك الطفل الذى أنا أعرف الناس بأبيه ؟! … لم تمض خمسة شهور على ولادته حتى وجدت أمه الوسيلة إلى إفساد ما بينى وبين زوجها ، الذى لم أنحر أنا منع نزاعى معــه ، لأن التردد على ذلك المنزل كان يسبب لى كثيراً من الغصص والندامة .

ولعلك تفهم جيداً علة عدم مرافقتى لك إلى ذلك المنزل … فى « جه ن » . أمن اللازم اعترافى أنا الآخر بأن عدم حلولى فى ذلك الفندق مراعاة لشعور صديقى رايموند ؟ … ومع ذاك لم أنفك أسائل نفسى منذ ذلك الحين ، ترى ما عسانى كنت فاعلا لو أنى مكانه ؟ ! . تجاه صديق صــدوق ، يعد الصمت عن مثل هـذه الجريمة ، جريمة أبلغ وأنكر ، كما يعد إفشاؤها فظاعة ما بعدها من فظاعة .

وفى هذا ، ما يبرهن ، على أنه يجمل أحياناً ، أن يجهل المرء أسرار غيره ، إن آمن شىء وأسلم عاقبة فى هذه الحياة الدنيا ، أن تغمض عينك فلا ترى ، وتسد أذنك فلا تسمع شيئاً عن مثالب ونقائص الآخرين . ذلك السبيل الأوحد ، كى يظل الإنسان على خالص طهره ونقائه . ولكن هل ذلك مستطاع ؟ .

حلب كمال الحريرى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٣٦ – الاثنين ١١ أغسطس ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

	صفحة
نحن والظالم أمام القضاء! ... ... : أحمد حسن الزيات	٨٥٩
فى الماضى ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر	٨٦٠
على ثلوج حزرين ... ... : الأستاذ على الطنطاوى	٨٦٣
حجة تأريخية ... ... : الدكتور جواد على	٨٦٥
الخلان والزمان ... ... : الأستاذ محمد محمد الحوفى	٨٦٨
العلاقات الدبلوماسية الجديدة بين أيندونيسيا وهولندا ... ... : الأستاذ محمد جنيدي	٨٧٠
« من وراء المنظار » : شيخ وشيخ : الأستاذ محمود الخفيف	٨٧٤
أدب العروبة فى الميزان ... ... : الأستاذ على متولى صلاح	٨٧٥
فى الربيع ... ... (قصيدة) : الأستاذ محي الدين صابر	٨٧٧
« الأدب والفن فى أسبوع » : اتهام الأدباء — دفاع عن الكسل	٨٧٨
— النهوض بالمسرح	٨٨٠
« الكتب » : فى أعقاب الثورة المصرية -- تأليف الأستاذ عبد الرحمن	٨٨١
الرافعى بك : للأستاذ ابن وضاح ... عثمان بن عفان — تأليف الأستاذ صادق	
إبراهيم عرجون : للأستاذ على العمارى	٨٨٣
« البريد الأدبى » : خير الأمور الوسط — الأدب بين مصر ولبنان —	٨٨٤
الاستعمار الثلاثى	٨٨٥
شيخ الأندلس ... ... (قصة) : بقلم الأديب وهبي اسماعيل حق ...	٨٨٦

٢٩٠١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 736

Lundi — 11 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٦٦ — ١١ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

نحن والظالم أمام القضاء!

كان يوم الثلاثاء الماضى يوماً مشهوداً فى تاريخ مصر؛ رددت ذكره الألسنة والأقلام فى كل لغة وفى كل أرض، وستردد ذكراه الألسنة والأقلام على مدى الأحقاب فى كل عهد وفى كل معهد! فى ذلك اليوم وقفت مصر كلها ممثلة فى النقراشى، بجانب انجلترة كلها ممثلة فى كادوجان، أمام العالم كله ممثلا فى مجلس الأمن؛ نَـدَّعى نحن ونثبت، وتغالط هى وتروغ، ويوازن هو بين حجج الإنسان يبسطها لسانٌ فيْصل، وحجج الذئب يؤيدها نابٌ أعصل، والناس فى مشارق الأرض ومغاربها يتتبعون المحاكمة ويترقبون الحكم ليروا بالتجربة أيخضع الأقوياء كما زعموا لسلطان العدل والعقل، أم يظلون كما كانوا يحافظون على الموضوع ولا يغيرون إلا فى الشكل!

قضية وادى النيل قضية الحق الذى لا يمارى فيه إلا الذين يتكئون على الباطل، ويعيشون على الحرام، ويتسمون على الظلم؛ وقد جملها النقراشى بأدلته الواضحة، وحججه الملزمة، من بداته المعقول، فلا يمكن أن تُؤتى من جهة القانون والمنطق؛ إنما يجوز أن تؤتَى من جهة السياسة التقليدية القائمة على تبادل المنفعة وتقارُض المعونة، ويومئذ يعلم المؤمنون بتقدم العقل، والمتفائلون بتغلب المدل، أن العالم يكابد اليوم خدعة أخرى، وأن (هيئة الأمم المتحدة) لم تزده إلا اسماً جديداً للاستعمار فى أخَسِّ معانيه وأقبح صوره

كان النقراشى بإجماع المنصفين عظيما فى موقفه، رائعاً فى بيانه، بارعاً فى خطته، صريحاً فى طلبه، موفقاً فى عرضه؛ فإذا لم يستطع صديقنا الأستاذ الجليل فارس الخورى رئيس مجلس الأمن أن يعصم البصائر من الزيغ، والضمائر من الخدَر، فلن نقول يوم يعمى أعضاؤه عن الحق أننا أسأنا الدفاع، أو أضعنا الفرصة، أو تنكبنا الطريق؛ ولكننا سنقول تعلقنا بالخيال وتركنا الواقع، وتدرعنا بالحق وأهملنا القوة. سنقول للنقراشى يوم يجعلون الحق دَبْر آذانهم: أرِهم أننا أقوياء كما أريتهم أننا محقون. وقل لهم إن شعباً كان تاجه الشمس، ولا يزال علَمه الهلال، ومن بين يديه كتاب الله ينطق بالحق، ومن خلفه دول العرب والإسلام تمده بالقوة، لا يفشل من ضعف، ولا يخذل من قلة.

— ولكن ما بالك تتسلف الخذلان وتتوقع الجور وتغلو فى التشاؤم وسوابق الأقضية فى مجلس الأمن تقوى الثقة به وتنعش الأمل فيه؟ ألم تسمع بما قضى به على الروسيا فى إيران، وعلى انجلترا وفرنسا فى سورية ولبنان، وعلى هولندة وأندونوسيا فى ساحة الميدان؟

— بلى قد سمعت. ولكن لا تنسَ أن الذى تصرف كان الهوى لا القانون، وأن الذى تعفف كان العجز لا العدالة. فهم إذا اختلفوا حكموا على أنفسهم، وإذا اتفقوا حكموا على الناس!

احمد حسن الزيات

في الماضي

للأستاذ محمود محمد شاكر

كنت أتمنى أن يكون لي مكان هذا القلم الأصم قلم حي نابض يصحبني حيثما سرت ، ويلهمه الله من دقة الحس ما يجعله يتلقف كل خاطرة تومض في أعماق نفسي ، ويشمر بكل هاجس يمتلج في سر ضميري ، وإلا فإن الكاتب ذا القلم أعجز من أن يطيق لمّ هذا الشعث المنثال المتتابع من الخواطر والهواجس التي تنتابه وتعتريه وهو يرى أو يسمع أو يفكر . وفي هذا اليوم بعينه كنت أشد الناس ضراعة في التمني أن لو أتاح الله لي مثل هذا القلم النابض الحي حتى يأخذ عني وعما يحيط بي ، ويسجله قبل أن تمسحه عن قلبي يد الدقائق والساعات التي جعلها الزمن رصداً على الأفكار تمحوها بالنسيان ، أو تطمسها بالفتور ، أو تعفيها بتراب الحوادث التي تجد في كل لحظة من لحظات العمر .

* * *

خرجت أنا وصديقان لي ، هما الأستاذ علال الفاسي الزعيم المراكشي الصابر على لأواء الجهاد في سبيل بلاده ، والأستاذ يحيى حقي القصاص المبدع في زمن ليس للابداع فيه قيمة ولا قدر ، وكان الذي دعانا إلى هذا الخروج فنان كهل قد ودع الصبا ولكنه تشبث بعطره ونفحاته وتوهجه ، فلا تزال تشم من فنه حين يتحدث عنه شذاً لطيفاً من عنفوان الصبا والشباب ، وذلك الفنان هو الصديق الأستاذ حسن فتحي المهندس الذي أبى أن يتعبد للهندسة ، بل أرادها أن تكون عبداً له يخدم فنه الذي يعيش فيه ويعيش به .

كان يوم الأحد السادس عشر من رمضان سنة ١٣٦٦ يوماً قائظاً ومداً يحمل العرق ثقيلا كثيفاً يضجر النفس ويأخذ بالأنفاس ، فلما ركبنا السيارة ، وتخففنا من بعض ثيابنا ، واستقبلتنا لفحات الهواء السخن ، انتعشت القلوب ودبت فيها الحركة ، على سكونها وفتورها من شدة الصيام وحاجة الأبدان إلى الماء في مثل هذا اليوم . وعندئذ بدأ الفنان يتحدث عن الوجه الذي يقودنا إليه ، فطاف علينا من حديثه مثل الظل ، حتى نسينا أننا في رمضان في يوم قائظ تحت الشمس . إنه ماض بنا إلى أثر عربي قديم في ناحية « بيت القاضي » يقال له « قاعة محب الدين الشافعي » وتعرف أيضاً بقاعة « كتخدا » . فلما أوشكنا على دخول القاهرة القديمة شممت روائح مصر الإسلامية ، وتمثلت لعيني خوالي أيامها ، ورأيت كأن هذه الجموع التي تسير في الطرقات كأنما انبعثت من الماضي البعيد بلباسها وشمائلها وآدابها رائحة غادية تحت عيني . وكان حديث الفنان يحيي هذه الصور في نفسي حياة جديدة ، حتى كدت إخالني أحدثها وأسمع رجع حديثها ، وأرى الثياب الفضفاضة ، والعمائم البيض ، واللحى المرسلة ، والسمت الوقور ، والمشية الهادئة ، وكأن كل شيء قد انقلب فجأة فصار ماضياً لم تمسخه يد الحضارة الغربية الحديثة ، ولم تمح من بهائه وروائه ذلك الجمال الوديع اللطيف المطمئن القانع بالحياة كما شاء الله أن تكون .

ثم نزلنا من السيارة ، وفتح لنا باب القاعة التي صارت في عداد الآثار ، فما كادت قدمي تطأ بلاطها الضخم حتى أحسست كأن قلبي ينتفض من فجاءة الذكرى ، وكأني دخلت داري التي ألفتها وعشت فيها ، وسمعت في أرجائها غمغمة الحديث وقهقهة الضحكات ، والتي سعيت في نواحيها طفلا وشاباً وكهلا حتى نشأت لها في قلبي مودة لا تبليها الغربة ، ولا تطمس آثارها الرحلة في أرجاء الدنيا ، وتطارح الزمن المشتت المفرق بين الأحباب والأحباب . ففي هذا المكان عهدتني أجلس على أريكة موشاة بالثياب المطرزة ، وأستقبل هذه « الفسقية » الجميلة التي أراها في وسط القاعة ، مزينة أرضها بالرخام الملون المرسوم على أشكال تستريح إليها العين راحة لا يعدلها شيء من متاع هذه الأرض . ومن هذا المكان عهدتني أرى تلك الحلية الهائلة التي كأنها محراب الدهر ، مصنوعة منمقة ، قد أجلها وأدقها الصنع الماهر الذي لم يعبأ بالزمن كيف يمضي ويتصرم ، بل كان كل همه أن يتقن الفن الجميل الثابت الذي يربك الإبداع في صورة حية باقية تشعرك بأن الحياة هي الاستمتاع بفن الحياة لا بأشياء الحياة . ومن هذا المكان كنت أرسل طرفي إلى القبة العالية التي تتوسط السقف كأنها هامة مفكرة كل أفكارها أحلام جميلة سامية لم تتدنس بالمطامع الدنية التي يكدح في سبيلها الإنسان على أديم هذه البسيطة

وجعل صديقنا الفنان يحدثنا وهو يتدفق من نواحيه عن روعة هذا الذى نرى وعن جلاله وعظمته ، وعن هذه الضخامة الهائلة فى البناء ، وكيف استطاع بانيها الفنان أن يحفظ النسب بين ضخامتها وبين سائر ما فى القاعة كالأبواب وغيرها حتى لا يشعر الإنسان بالرهبة والمخافة والارتياع ، بل يشعره بأنه مالك هذا كله والمستولى عليه والمستمتع به ، فهو يروض الضخامة والضخامة حتى تكون أليفة مستأنسة محببة إلى رائيها وصاحبها ، فجعل الأبواب بين بين لا تطول قامة الرجل إلا قليلا ، ولم يجعلها هى أيضاً عالية ضخمة فخمة ، فيحس المرء عندئذ بالقلة والذلة والغربة والوحشة فى البيت الذى هو سكن النفس ومكان ارتياحها ؛

وكنت أسمع هذا ونحواً منه ؛ ولكن لم يأخذنى منه شىء ، فإنى كنت أسمع همسات من هنا وهنا ومن ثم ، هى همسات الآباء والأجداد تذكرنى بما أضعناه من فن نحن أنشأناه وتمهدناه وقمنا عليه وأتقنا دقيقه وجليله ، ثم رحنا نستعير أشياء الناس نتشبع بها ونتصنع ، على غير هدى ولا بصيرة ولا فن ، وأكاد أقول ولا حياة ، فنحن أحياء ولا أحياء ، لأننا نستعير حياتنا ولا ننشئها إنشاء ، ونتزين بزينة مسلوبة نحن فيها كالصعلوك الأشعث الأغبر فى ثياب ملك . كنت أسمع حديث الأسلاف ، وأسمع فى صوت صديقنا الفنان وهو يشرح ويبين بكاء وحسرات وتنهدات وآلاماً كأنه وقف يؤبن أعز أحبابه متجلداً خاشعاً بين أقوام لا يحسون ما يحس ولا يشعرون بما يشعر به . إنه خليق أن ييأس ، ولكنه يجاهد حتى ينتزع الأمل من بين دواعى اليأس ، يريد أن يستنقذ الدرة المضيئة قبل أن تلفها الأمواج الطاغية العاتية وتذهب بها إلى حيث لا رجعة .

كنت كالمأخوذ لا أريد أن أفارق هذا الملك الذى أعيش فى رحابه . إنها قاعة صغيرة ، ولكنها قد اتسعت حتى رأيتها تشمل كل هذه الأرض المصرية لأن كل شىء فيها منتزع من طبيعة الأرض وجوّها وسمائها وأيامها ولياليها واختلاف فصولها ، ومن طبائع أهلها وشمائلهم ونوازع قلوبهم ومن كل شىء يقول أنا مصرى عربى . وأخيراً فارقتها على رغم ، ولم أدر حتى انتهينا أو انتهت بنا السيارة إلى قاعة أخرى أو أثر آخر بنى بعد جيل من زمان هذه القاعة ، فكان الفرق بيناً . فقد أخذ الضعف يغزو القوة ، ولكن القوة أبت إلا أن تتبدى كما هى برغم هذه الطوارىء التى تنتابها أو تعمل فيها . فههنا أثر الضعف الإنسانى إذا بدأ الإنسان يشعر بأنه غير حر وغير مريد للحرية ، وأنه مروع فى حياته بشىء لا يملك له دفعاً ولا رداً ، فهو يتخاذل وكذلك يتخاذل فنه ويتخاذل بناؤه . وهو حائر لا يدرى ما يأتى وما يذر ، فإذا فنه حائر لا يدرى ما يأتى وما يذر ، وهو مختلط الإرادة ، وإذا فنه مختلط يأخذ بأسبابها الأولى ولكنه لا يلبث أن يحيد عنها إلى شىء ليس منه ولا من خاص طبائعه . ومع كل ذلك فإن النفحة الخالدة لا تزال عالقة به تجعله قوة صريحة مصممة مريدة للبقاء .

ثم خرجنا إلى آخر أثر زرناه وهو « بيت السحيمى » ، وهو بيت كامل — لا قاعة ولا جزء من بيت — وأخذنا نطوف فى أرجائه ونواحيه ، فهذه غرفة الضيوف ، وهذا مصلى الرجال ، وهذا مكان الطعام ، وهذه غرفة استقبال النساء ، وهذه غرف النوم ، وهذا مصلى النساء ، وكلها موزعة على مساحة الأرض فى الطابق الأسفل والأعلى على نظام هندسىّ فيه شىء من التحرّر من أسر الهندسة الدقيقة ، فتكاد تشعر بأن بانيه لم يكن يبالى أن يتقيد بشىء ، بل يريد أن يكون حراً طليقاً يفضى من مكان إلى مكان كما يشاء له هواه . وكنت كلما دخلت منها مكاناً أحسست بشىء فيه يناديني ، فلما دخلنا القاعة الأولى هتف بى الهاتف إلى الصلاة ، فقمنا نصلى ، فكأنى ما صليت فى دار قط سوى هذه الدار . إن فى روح البناء إسلامية عجيبة ، فيه ورع وصدق ومحبة وتخفف من ثقل هذه التكاليف الداعية إلى الكدح والطمع والعدوان ، وفيه ألفة لم أحس بمثلها قط ، ولم أشعر إلا يومئذ أن أصدقائى الذين معى هم أصدقائى لا معارفى ، ألقاهم بوجه وأستدبرهم بوجه ، ولم أجد إلا يومئذ تلك اللذة المنعشة بالأخوة تجمع بين الرجلين على اختلاف الدار والنشأة ، وخفق قلبى خفقة كأنه يقول لعلال الفاسى : مرحباً بك من أخ جمعت بينى وبينه أخوة هذا الدين النبيل الذى جعل أهله أمة واحدة فكانت خير أمة أخرجت للناس .

ومضينا نطوف بالدار العجيبة ، فكأنى كنت أسمع حس أهلها وهم يتنادون ، وأراهم وهم يتسمون وأشهد إماءهم وعبيدهم

وهم يطوفون عليهم ، وأرى الضيوف وهم يتسامرون . فلما دخلت غرفة استقبال النساء ، ورأيت الذوق اللطيف والنوافذ عليها المشربيات الدقيقة الصنع ، والخزانات القائمة فى الجدران بنقشها البديع ، ورأيت « الصفَّة » التى يلمع رخامها وتتحلى بزينة من رسومها الدقيقة وأعمدتها القائمة كأنها ساق غانية راقصة ، ورأيت ذلك الزجاج الملون بالألوان الهادئة الناعمة ، وهذا الجو الساطع بالغنى والنعمة ، الساكن بالوقار والطمأنينة ، الناعم بالرقة والجمال؛ عندئذ أخذنى مثل الحلم فرأيت ربة الدار فى حليها الأنيق وثيابها الموشاة ، وضفائرها المرسلة . ووجه ينير فى جنبات هذه القاعة بالنبل والكرم والحفاوة بضيوفة من الأصحاب والأحباب ، وسمعت حديثهن المتخافت باللفظ المرقق والصوت الناعم المنغم ، وانتهت إلى ضحكاتهن الحيية التى كأنها ابتسامة مشرقة من وراء نقاب . رأيت الماضى ينبعث كله بفضائله ورذائله ، ورأيتنى أعيش ساعة أتنسم نسمات من حياة أجدها فى دمى ، كما يجدها كل مصرى وعربى فى دمه ، ولكننا كدنا ننساها بطول الترك وقلة العمل على استحيائها واستنقاذها واستعادتها ، حتى نتعلم منها كيف نكون أحراراً فى التعبير عن سر طبائعنا الكامنة فى أعماق قلوبنا وضمائرنا . إن هذا الفن الذى أوحت به حضارة لها أصول لا تزال قائمة فى نفوسنا ، وفى تربة أرضنا ، وفى جو سمائنا — ينبغى أن ينبعث جديداً مرة أخرى بما يلائم حاجتنا ، وبما يعيننا على تمييز أنفسنا بين الناس فلا ندخل فى غمار حضارات الأمم التى لا يجمع بيننا وبينها وطن ولا خلق ولا دين ولا أدب ولا جنس ولا دم ولا شىء مما يتقارب به الناس أو يختلفون ، وتمنيت عندئذ أن أفيق من أحلامى فأجدنى قد رجعت إلى دارى فإذا هى تنفحنى بهذه النفحات التى تحيى النفس لأن فيها شيئاً من سر هذه النفس . فلما خرجنا من بيت السحيمى حقق الله طرفاً من هذه الأمنية .

لقد حملنا صديقنا الفنان إلى داره ، وهى فى عمارة كسائر عمارات القاهرة فى ظاهرها ، وهو يسكن منها شقة كسائر الشقق التى يسكنها سائر المصريين ، بيد أن المصريين يعيشون عبيداً لهذه الهندسة الغربية الغريبة عن بلادهم ، ويسكنون فيها إلى أنماط من الحياة ليست لهم وليسوا منها فى شىء . أما هو فما كاد يفتح لى الباب حتى هبت تلك النفحة المسكرة من الماضى المنبعث حياً نابضاً كأحسن ما تنبض الحياة . لقد رفعت هذه الأبواب الحديثة الثقيلة ووضعت مكانها الستائر من النسيج العربى الشرقى بألوانه وتقاسيمه وفنه ، ووضع مكان بعضها أبواب مشبكة ، وأقيمت هنا وهنا المشربيات الدقيقة ، وبسطت الأرض بالبسط العربية الرسم المصرية الصنع ، وهذه الأرائك والمناضد والقناديل وكل شىء يجعل البيت عربياً هادئاً مطمئناً فى وسط هذه المعمعة الطاحنة الفوارة التى تسحق طبائعنا ، وتمسخ قلوبنا ، وتحيل أذواقنا ، وتجعلنا عالة على الأمم ، نأخذ منها عارية لا تزيدنا حضارة بل تزيد بؤساً وشقاء وحيرة ونفوراً وقلقاً فى هذه الحياة وفى هذه الأرض ، وفى هذه الطبيعة التى تكتنفنا من حولنا ، وفى هذه الطبائع التى تستولى على دخائلنا وضمائرنا .

هذا بيتى ! هكذا قال لى قلبى ، فاطمأننت وكان الصوم والتعب قد بلغا منا جميعاً ، فآوينا إلى مضاجعنا ، فلما قمنا إلى إفطارنا ، وأضيئت القناديل (بالكهرباء) ورأيت ظلال المشبك على الجدران وطالعتنى المشربية من ناحية البيت ، رأيتنى أحيا فى هذا الغموض الهادىء بقلب جديد نابض مؤمل فى الحياة ، مستبشر راض عنها غير يائس منها . وتمنيت لكل مصرى أن يقضى فى الماضى يوماً من كل أسبوع حتى يجدد حياته ، وحتى يتاح لنا بذلك أن نجدد لأنفسنا فناً وعيشة وسيرة وحضارة ليست مسلوبة ولا منتزعة ولا مستعارة من أحد من خلق الله ، بل هى فننا نحن وعيشتنا نحن وحضارتنا نحن ، تألفها نفوسنا وقلوبنا ، ويعرفنا الناس بها وتكون علماً علينا ، وتدل على أننا نصنع الفن فنجيد ، ونبنى الحضارة فنبدع كما أبدع آباؤنا رضى الله عنهم . يوم واحد تعيشه فى الماضى وتحس أنك قد عشته وتمليت بالعيش فيه ، لهو ذخيرة لا تنفد تعينك على فهم طبيعة الأرض التى تسكنها ، وعلى الوصول إلى كنه ما تنطوى عليه نفسك ، وهو بعث للهمة الراقدة وإحياء للقوة الكامنة ، وتحرير لنا من أسر التعبد للمدنية الغربية على غير هدى وفى غير طائل . يوم فى الماضى يحرر المرء من أسر الحاضر ، فإذا نالت النفس حريتها فهى خليقة أن تعرف طريقها إلى تحرير أمة من استعباد أمة أخرى ، أرادت أن تفرض عليها إرادتها وحضارتها معاً . ونحن مقبلون على اليوم الذى ينبغى أن نملأ فيه قلوبنا حرية مستمدة من أصولنا البعيدة ، لا حرية مستعارة من الأمم المعاصرة ، فلنرجع إذن إلى الماضى قليلا ، ففيه المدد الذى لا ينفد والمعين الذى لا يغيض .

محمود محمد شاكر

على ثلوج (حزرين) (*)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٣ —

ولو استجاب لهما الكون فثبت الفلك ، ووقف الزمان ، لكانا أسعد سعيدين عرفتهما الأرض ، ولكن هيهات ... فالفلك دوار ، والزمان سيار ، والأيام لا تستقر على حال ، ورب يوم يحمل محض السعادة ، يتبعه يوم يحمل محض الشقاء ، ورب فرح بالولادة والموت مترقب على بابه ، ومسرور بالوصل والهجر متربص على أعتابه ، ولو كشف للناس الغطاء لضحك باك ، وبكى ضاحك ، واستحالت مآتم أفراحاً وأفراح مآتم .

لقد غابا عن الدنيا فى عناق لذيذ تهون معه الدنيا وما عليها ، وتدنو به الآمال حتى لا مأمل بعده إلا أن يدوم ، ولكن الدنيا لا يدوم فيها شىء .

لقد وقف هذا الطفل الجبار ، الذى ولد بلا حمل ، ونما بلا زمن ، يعبث بهما ، هذا الطفل الذى اسمه الحب ... فلما شبع من العبث ، نام ، وترك الفتاة لشياطين اللهو والترف والغنى تلعب بها ، كما تلعب بكل فتاة فى الدنيا ، نام فى صدرها الحب أو شبع .

ولقد كانت تستطيع أن تجمع الحب والغنى ، والعاطفة والمال ، لولا أن هذا الطفل كان (على جبروته) أعمى لا يبصر ، أمسك بيد ليلى فانقادت له وهى لا تشعر ، ثم جرها وهو يتلمس طريقه فى الظلام حتى إذا وقعت يده على أول رجل لقيه ، عقد قلبها بقلبه ، عقداً شيطانياً بلا شرع ولا عقل ، وقال لها : هذا هو الحبيب .

وكان أول رجل لقيه هانى ، هانى الذى لا يستطيع أن يصعد إليها ليعقده عليها عقد الشريعة والعرف ، ولا تقدر أن تنزل هى إليه ، ولولا أن سيدى الشيخ رحمه الله أشفق عليه فحمله معه ، ما علقت به ولا علق بها ، ولا كان هذا القيد الذى ألقاهما معاً فى جحيم الدنيا .

(*) انظر العددين ٧٣١ ، ٧٣٢ .

أفرأيت كيف يعلق القدر سعادة الناس وشقاءهم بأوهى الأسباب ؟ .

حكمة إلهية تخفى عن أفهام البشر !

***

هذا هو الحب : ثوب براق تحمله المرأة وتمشى حتى تلقى رجلا ، فتخلعه عليه فتراه به أجمل الناس ، وتحسب أنه هو الذى كانت تبصر صورته من فرج الأحلام ، وتراها من ثنايا الأمانى

مصباح فى يد الرجل ، يوجهه إلى أول امرأة يلقاها ، فيراها مشرقة الوجه بين نساء لا تشرق بالنور وجوههن ، فيحسبها خلقت من النور وخلقن من طين ، فلا يطلب غيرها ، ولا يهيم بسواها ، لا يدرى أنه هو الذى أضاء محيّاها بمصباح حبه .

خدعة ضخمة من خدع الحياة ، خفيت عن المحبين كلهم من عهد آدم إلى هذا اليوم .

هذى هى حقيقة الحب ، فلا تسمعْ ما يهذى به المحبون !

***

لقد قبضت ليلى على الحاضر ، وهى عند الصخرة . واطمأنت عليه ففكرت فى المستقبل ، فقالت لهانى :

— ماذا تنتظر يا هانى ؟ اذهب فاضرب فى الأرض وعد إلىّ غنياً قوياً ، فاحملنى معك إلى حيث تشاء .

— قال : كيف أفارقك يا ليلى ؟ كيف أعيش بعيداً عنك وأنت حياتى ؟ ولكن تعالى نذهب معاً .

ولو سمعت هذه الكلمة قبل لحظات ، قبل أن يشبع هذا (الطفل الجبار) وينام ، لوثب قلبها إلى لسانها ليقول نعم ، ولانطلقت معه إلى البحار لتخوضها ، والجبال لتقطعها ، ولكنها سمعتها والحب شبعان نائم ، فقالت له :

وكيف نعيش يا هانى ؟ ومن أين ننفق ؟ أننام على بلاط الشارع ؟ .

وتصور هذا المصير الذى لا يرضاه لها ، فذابت كبده رقة عليها ، وقال لها :

— إذن أبقى معك ، وأحتمل كل شىء من أجلك .

وسكتا ، وتكلم فى أذنها شيطان اللهو والترف ، وغمز

فؤادها فنظرت تحتها ، فرأت أضواء تلمع فى أوائل الليل تبدو من (عاليه) من بيت فارس أفندى طنوس الذى عاد إليها من أمريكا وفى جيبه نقد جديد لم يألفه أهلوها ، وعلى جسده ثياب لم يلبسوها ، وفى رأسه أفكار لم يعرفوها ، ولمحت بريقاً وحركة فعلمت أنها حفلة من حفلاته الراقصة التى أرقصت أحاديثها صبايا الجبل وشبابه ، وأغضبت مشايخه وكهوله ، فاستطارت قلبها الرغبة فى رؤيتها ، وقالت :

— هذا ما أبتغى، هذا ما أريد ، فتعال ، تعال نرها من قريب

وسحبته من يده وانطلقت به ، يقفزان كغزالين روعهما الصياد ، لايشعران بقسوة الحجر ، ولا بصعوبة المنحدر ، ولا ببعد الطريق ، حتى وصلا (عاليه) وكانت دار فارس افندى التى بناها على الطراز الأمريكي أول دار فيها . فوقفا على صخرة أشرفا منها على الدار ، وطفقا ينظران .

رأيا الأبهاء قد حفلت بنساء يلبسن الثياب الكواشف من الحرير ، ورجال يلبسون السراويل الضيقة من (الجوخ) ، وهم يرقصون متخاصرين حيناً متباعدين حيناً ، ينقلون الخطا على رنات العيدان ، وسجحات المزامير ، ورأت الرجال يأخذون بأطراف أنامل الفتيات وهم يحنون لهن رؤوسهم ، ويبدون إعجابهم فتخيلت نفسها فى هذا النعيم ، وتصورت هؤلاء الرجال ذوى السراويل الأمريكية الضيقة ينحنون لها ، وقابلت فى أعماق سرها بينهم وبين هانى ، ثم طردت هذا الخاطر، وأبعدته عن حسها وحسبت أنها تخلصت منه ، لم تدر أن (السوسة) بدأت تنخر جذع السنديانة الضخم !

— قالت : هلم ندخل .

— قال : ومن أين ندخل يا ليلى ؟

— قالت : أريد أن ندخل . أريد أن ندخل

وألحت إلحاح الولد المدلل ، فأطاعها ، وهل يخالف العاشق معشوقه ؟ إنه لايستحق اسم العاشق حتى يرى كل نزوة للمعشوق حكمة بالغة، وكل رغبة فرضاً لازباً ، وكل نقيصة كمالاً مابعده من كمال

وتسلق الجدار ، وهبط بها ، فلم تكد تستقر على أرض الحديقة ، حتى أحس بها كلبان كأنهما ذئبان ، فوثبا إليها فأنشبا فيها أنياباً من حديد ، ولم يستطع هانى دفعهما عنها ، وأسرع القوم إلى الصوت ، فرأوا المشهد ، رأوا فتاة ناضرة الصبا ، نقية الثياب ، وفتى قذراً ، فحملوها مكرمين ، وأمروا الخدم بالقبض على (اللص) ، فأمسكوا به ونزلوا عليه ضرباً حتى هدوه ...

ثم جاؤوا به إلى البهو ، وكانت على كرسى والخادمات يعالجن جروح قدميها ، فاقترب منها فسألها أن تعود معه ، فاعتذرت بعجزها ، وزجره القوم ، فقام بينهم فاستنزل اللعنة عليهم ، وأوعدهم أنه سيرجع فيهدم هذه الدار على رؤوسهم ، وبصق على الأرض وذهب . وبقيت هى فى الدار التى كانت تحن إليها .

***

لا ، لا تلمها إن فكرت فى الترف ، ومدت عينيها إلى متع المال ، وهى عند الصخرة ، محراب الحب الأقدس ، وجرت هذا البلاء على حبيبها ، فإنه لابد للحبيبين من مشغلة فإن لم يجداها ، وظلا متعانقين العمر كله والحب بينهما ، فإنه يختنق .

وكيف يعيش الحبيبان إن اقتصرا على حديث الحب ؟ وهل فى لغة الحب إلا : (أحبك) و (أحبكِ) ؟ كررها عشرين مرة ثم ... وهل فى دنيا الحب إلا العناق والقبل ؟ فهل تمضى الحياة تقبل وتمانق ؟ ألا تمل ؟ ألا تكل ؟ ألا تجوع ؟ ألا تظمأ ؟ إن حياة كهذه خير منها السجن ، وأحلى منها الموت ، وأولى بالعاشق أن يفر منها ولو إلى سقر .

***

ذاقت ليلى فى هذه الدار لذة الغنى ، وعرفت متعة الترف ، واستمرأت الرقص والغناء ، وتخطرت فى الثياب الغاليات، وأصغت إلى حفيف الحرير من أردانها ، وإلى منمقات الألفاظ من القوم العلية من حولها ، فتملك شيطان الترف روحها فأفسدها كما تفسد جراثيم السل أجساد الأصحاء ، وشغلها بفقاقيع البحر عن جواهره ، وأبداها لها تلمع فى أشعة الشمس فحسبتها أكرم من الجواهر وأغلى ، وزاغت من بريقها عيناها فلم تعد ترى وجه الحب ، ولم تعد تذكر الحبيب ، ولبثت شهراً كاملاً تتقلب فى الحرير ، وتمشى على الذهب وهو ينام على الجمر ، ويخطو على الشوك ، حتى تم شفاؤها ولم يبق بد من عودتها إلى المنزل ، فحملتها العربة الفخمة ، تجرها الجياد المطهمة حتى بلغت بها الباب ، فنزلت منها ، وأقبلت على دنياها التى لم تكن تعرف غيرها ، ولا تطمح إلى سواها ، فرأتها

٢ – حجة تاريخية

للدكتور جواد على

لم يتمكن الغزاة أو المهاجرون الجدد من احتلال كل فلسطين فظل ساحل «فلسطية» بأيدى الفلسطينيين الذين جاءوا إلى هذا المكان من الخارج. ويقال أن أصل هؤلاء من «جزيرة كريت» وقد نزلوا فى أيام الكنعانيين. وظلت أماكن أخرى بأيدى أصحابها القدماء، وقد كان الكنعانيون على ما جاء فى التوراة منقسمين إلى أحد عشر سبطا أو أكثر وكان من أشهرهم «اليبوسيون، والموريون، والجرجاشيون والجويون والفرذيون والمرقيون والسينيون والإروادون والصماديون والحاثيون(١)». وقد اشتركت كل هذه الأسباط فى مقاومة العبرانيين واتحدت مع الأمارات الأخرى فى طرد العبرانيين وفى الدفاع عن أرض فلسطين من هجمات الأمم القوية كالأشوريين والبابليين. وقد عثر فى هيكل الكرنك فى أرض الصعيد على جدول مثلث لمدن كنعان يتضمن ذكر ١١٢٨ و ١١٩ مدينة يظن أنها المدن التى افتتحها «تحتمس الثالث» قبل أيام يشوع أى قبل مجىء الإسرائيليين(١)

كان الإسرائيليون على جانب عظيم من البداوة عند دخولهم «أرض كنعان» وكانوا فى درجة واطئة من الحضارة والثقافة بالنسبة إلى الكنعانيين ولذلك تأثروا عند مجيئهم إلى هذه الأرض بالثقافة الكنعانية ولاسيما أولئك الذين قيل لهم «الإسرائيليون» وهم الذين سكنوا فى الشمال واتصلوا بالفينيقيين وتأثروا بهم وعبدوا الإله «بعل» بدلا من إلههم «يهوه» إله التوحيد. أما أولئك الذى سكنوا المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم «مملكة يهوذا» فإنهم ظلوا على فطرتهم الأولى وعلى جانب من البداوة وقد كان هذا الاختلاف الثقافى من عوامل الإنقسام الذى حدث فى أيام الملك «رحبعام».

قيل لليهود «العبرانيون» «hebrew» وفى اللاتينية

(١) الاصحاح العاشر آية ١٥ — ١٩

Ency. Bibl, P. 640 ff - müller, asien and Europa, S 206

(١) قاموس الكتاب المقدس حـ ٢ ص ٢٧٠.

ضيقة مقفرة، وأحست بأن قلبها قد بقى فى تلك الدار، فتمسكت بأسعد (ابن فارس أفندى) الشاب المهذب الأنيق الذى رافقها إلى منزلها، تتذكر به الشهر الذى مضى كأنه رؤيا منام.

وإنها لفى هذا الشعور، وإذا بهانى قد وقف أمامها بثيابه الوسخة ثياب الأصطبل، فابتعدت عنه، وضمت إليها ذيل ثوبها الأبيض، ولم تكن تعرفه من قبل إلا فى هذه الثياب، ولكن الحب كان (صابونا) يزيل أوضارها، وطيبا يذهب ريحها، وصبغة زاهية تفيض عليها، فأين الحب الآن؟ إنه نائم لم يفق بعد فى قلبها، لذلك أنكرت هذه الثياب، ونفرت منها، وأبدت الترفع والاستعلاء، ولم تذكر إلا أنها ابنة صاحب القصر، وأنه صبى لقيط سائس خيول يقابل أدبارها، ويرفع أقذارها، وتألمت لدخوله عليها أمام أسعد، ورأت فى ذلك صغاراً لها فى عينه وخافت أن يظن أنها ليست من طبقة الأكابر المتمدنين...

غضبت لعدوان هانى على كرامتها، وتخطيه قدره إلى محاذاتها، ولم ير هو فيها إلا الحبيبة قد لبست هذه الثياب التى تكشف مفاتنها التى يعبدها، وأبدت أعضاءها التى يقدسها، لغريب عنها، فغضب للحشمة الجبلية أن ذهب بها هذا التكشف، وللحب أن يهينه هذا العبث، وقال لها:

— ما هذا؟

— قالت: وأنت من أذن لك أن تدخل على؟

— قال: أنا... من أذن لى... يا ليلى؟

— قالت: لا أسمح لك أن تنادينى باسمى لقد عدوت حدك.

ودخلت الخادم فقالت لهانى:

— امسك عربة أسعد أفندى.

— فصاح بها: ليمسكها هو.

وخرج مغضباً.

وقال أسعد: أنا لا أفهم ما صبرك على هذا الخادم القذر.

الخادم القذر؟ لقد كانت هذه الكلمة صرخة عالية أيقظت الحب النائم، فقالت له:

— أنا لا أسمح لك، إنه صديق، لا أسمح لك، أخرج من دارى، أخرج.

وتركته حيران مشدوهاً، وانطلقت إلى (صخرة الملتقى).

(البقية فى العدد القادم) على الطنطاوى

« hebraeus » وقد أخذت هذه الكلمة من « عبراية » « ebráyá » الآرامية . وهذه من « عبرى » « ibri » أو « عبريم » « ibrim. » الواردة في التوراة(١) والتى كانت تطلق بصورة عامة على « بنى إسرائيل » « B'nê israel » أى « أبناء إسرائيل »(٢) .

وقد أطلق الكنعانيون كلمة « العبرانيين » على المهاجرين الذين كانوا يدعون أنهم من صلب « إبراهيم » « إبرام » لتكون لهم علامة فارقة ولتدل على أنهم من الشعوب الغريبة الطارئة على الكنعانيين(٣) .

أما النظرية اليهودية فتقول أنهم إنما سموا « عبرانيين » لعبورهم نهراً أو قطع حد » أى عبورهم من جهة إلى جهة أخرى ... عبرها — ناهار « êber han — nàhàr » أى « عبور النهر إلى الجهة الثانية منه » ويظن أن المقصود من « النهر » نهر الفرات الذى عبره عند « حاران » « haran »(٤) .

ويقال للأرض التى خرج منها إبراهيم وناحور « nahor » « آرام النهرين » « Aram - Naharain »(٥) . ويرى العالم « سايس » « Sayce » أن معنى الكلمة « تجار » لأنهم كانوا يعبرون نهر الفرات لأغراض تجارية »(٦) .

ويرى بعض العلماء أن كلمة « عبرانيين » من « عابر » « Eber » وهو حفيد « سام بن نوح »(٧) . ولعابر على ما جاء فى جدول أنساب التوراة أولاد ولهؤلاء أولاد أيضاً وقد تكونت من ذريتهم قبائل وعشائر . ويرى بعض علماء التوراة أن هذه الأسماء هى أسماء مواضع جغرافية تقع فيما بين النهرين وأن الوطن الأصلى التى انحدرت منه الشعوب السامية هو منطقة « أرارات » « Ararat » انحدرت منه إلى شمال العراق ثم إلى الجنوب فسائر الأنحاء(٨) .

(١) Ency Bibl P 1984

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ges — Gesch der hebr Sprache und Schrift S' qf Kautvgch in Riehms HWB.

(٤) التكوين سفر ١١ آية ٣١

(٥) التكوين سفر ٢٤ آية ٤ ، ٧ ، ١٠ .

(٦) Hastings P 201 Sayce Exp T Xv III 1907 P 233

(٧) Hastings P 201 Ency Bibl P 1984

(٨) ency Bibl P 1984

على كل فقد رأيت أن موطن العبرانيين على ما جاء فى التوراة وهو كتاب اليهود المقدس كان خارج فلسطين وأن « إبراهيم » الخليل وهو الجد الأعلى للعبرانيين لم يكن من أهل فلسطين بل كان من العراق على ما جاء فى التوراة(١) ثم انتقل إلى أرض كنعان فسكن بين الكنعانيين حيث تكونت له ذرية . ثم استرق المصريون الإسرائيليين إلى أن تمكنوا من الخروج من مصر بزعامة « عيسو » حيث اتجهوا نحو الشرق إلى أراضى كنعان

وتفند أسفار التوراة دعوى اليهود فى أرض كنعان أو « أرض فلسطين » كما دعيت فيما بعد . فسكانها القدماء على ماجاء فى التوراة هم الكنعانيون وذلك قبل مجىء العبرانيين بآلاف السنين . واليهود حسب رواية اليهود هم مهاجرون جاءوا إلى أرض فلسطين وعاشوا مدة عيشة « عشائرية » إذ كان يحكم كل عشيرة منهم « قاض » هو شيخ العشيرة وحاكمها ؛ ولذلك عرف الدور الأول من أدوار اليهود فى فلسطين باسم « دور القضاة »

وأما الذين جاءوا من مصر وهم من نسل « يعقوب » فإنهم كانوا قد استعبدوا فى أيام الفراعنة بعد أن غادر « يعقوب » أرض فلسطين ونزح إلى مصر حيث تكاثرت ذريته هناك وتولوا مراكز سامية ولم يفكروا فى العودة إلا بعد أن ساءت حالتهم هناك وبعد أن استرقهم الفراعنة ؛ عندئذ فكروا فى الهجرة إلى مكان جديد فلم يجدوا محلا آمناً غير فلسطين(٢) وقد جاءوا بعدد قليل وعلى دفعات فلم يتمكنوا من الدخول إليها عنوة ولم يتمكنوا من قهر أهل أرض كنعان والتغلب على الكنعانيين ويظهر ذلك بكل وضوح من أقوال التوراة .

ووردت فى التوراة بعض الشهادات التى تفند مزاعم الصهيونية تماماً فما ورد فيه أن الشعب الذى يسكن فى هذه الأرض كان على جانب عظيم من الحضارة وأن العبرانيين كانوا على العكس على جانب كبير من البداوة . « ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى خلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن

(١) التكوين إصحاح ١١ آية ٢٧ وما بعد Ency Bibl P' 24 التكوين إصحاح ٢٥ آية ١٨ وما بعد ، التكوين إصحاح الثانى عشر آية أو ما بعد . التكوين الإصحاح السابع عشر آية ٨ وما بعد .

(٢) Nevill Barbour, Nisi Domimi p, 14

يعطيك إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها ؛ وأكلت وشبعت ، فاحترس لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية »[١] .

فهذه شهادة عبرانية واردة فى أقدس وأقدم كتاب عند العبرانيين وهو الكتاب الذى استشهد به اليهود فى إثبات حقهم فى فلسطين ؛ هى شهادة تتكلم بكل وضوح عن بداوة العبرانيين وانحطاطهم بالنسبة إلى « الكنعانيين » سكان فلسطين القدامى .

وهناك شهادة أخرى تلفت الأنظار حقاً وهى تشرح لنا حالة اليهود عند محاولتهم الدخول إلى فلسطين ودرجة انحطاطهم وحالتهم البدائية وقلة عددهم كذلك ومقدار تفوق الشعوب الأصلية على اليهود . فها هو إله إسرائيل يخاطب « موسى » فيقول « ارسل هيبتى أمامك وازعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وارسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ، لا أطردهم فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثور وتملك الأرض[٢] .

فهذه شهادة تشرح حالة اليهود عند مجيئهم إلى فلسطين وقلة عددهم وانحطاط مستواهم الثقافى والمدنى بالنسبة إلى شعوب فلسطين وهى شهادة لا تصلح أن تكون حجة فى صالح اليهود .

لم يتمكن اليهود من تثبيت أقدامهم فى المناطق التى استولوا عليها من فلسطين إلا بعد مدة طويلة ولم يكن ذلك إلا بعد اتخاذ طرق مختلفة منها التزاوج ومنها التبشير بالديانة اليهودية ولم يتمكنوا من تشكيل حكومة بالمعنى الحديث المفهوم من كلمة « دولة » إلا لمدة قصيرة جداً وتحت عوامل ضغط شديدة ؛ ولم تعمر هذه الدولة طويلا بل عاشت منذ عهد « شاوؤل » فى سنة ١٠٢٠ قبل المسيح وهو أول ملك تولى الملك عند العبرانيين وانتهت مع حكم سليمان حوالى سنة ٩٣٠ قبل المسيح أى أنها عاشت فقط بجهود شاوؤل وداود وسليمان . فلما مات سليمان وانتقل الملك إلى ابنه « رحبعام » وكان ضعيفاً انقسمت المملكة إلى قسمين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل[١] .

هذا هو عمر الدولة العبرانية الموحدة التى يتغنى بها الصهيونيون . ومما يستحق الالتفات كذلك أن ملوك هذه الدولة لم يكونوا ليتمكنوا من تكوين دولتهم هذه لولا المساعدات الخارجية التى كانت تصل إليهم من الأمراء الفلسطينيين عن طريق التقرب والصداقة . فهذا « داود » وكان من قواد الملك شاوؤل ينتهز الفرصة فيتحالف مع ملوك الفلسطينيين للايقاع بالملك شاوؤل ليتولى بنفسه الحكم ، فلما تولى الحكم لاقى مصاعب كبيرة فى سبيل التوفيق بين « إسرائيل » ويهوذا ، لما كان بين الطرفين من تباعد بسبب الاختلاف فى درجة الثقافة والحالة الاجتماعية ؛ ولم يتمكن داود من تعمير قصره فى القدس إلا بمساعدة الفينيقيين والفلسطينيين بل حتى والعرب الذين كانوا على اتصال باليهود كما يفهم ذلك من التوراة وكذلك فى أيام سليمان .

وإذا استعرضنا تأريخ المملكتين الصغيرتين اللتين تكونتا فيما بعد نجد أن العبرانيين لم تكن لديهم فكرة « حكومية » بل كانت عندهما فكرة « دينية » هى الغالبة على كل شىء وكانت هى من عوامل انقسام العبرانيين كذلك . ولذلك نجد قتلا واغتيالا وثورات على الملوك وطلب نجدات من الأمراء الوطنيين ومن الحكومات التى كانت فى العراق أو فى سوريا أو فى مصر للاستعانة بها على محاربة ملوكهم . وكان رجال الدين فى طليعة الثائرين على الحكام عند ظهور أقل شىء منهم يدل على أنهم يريدون الانتقاص من نفوذهم أو ميلا إلى التجدد أو الأخذ بأساليب الثقافة التى كانت عند الكنعانيين أو الفينيقيين ، حتى آل ذلك إلى سقوط مملكة إسرائيل وعاصمتها « السامرة » « Samaria » سنة ٧٢٢ ثم سقوط القدس على أيدى البابليين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .

جواد على

---

(١) التوراة سفر التثنية إصحاح ٦ آية ١٠ فما بعد
Nisi Dominus p. 12

(٢) التوراة سفر الخروج إصحاح ٢٣ آية ٢٩ وما بعد .

(١) راجع شهادة الدكتور حتى أمام لجنة التحقيق الأمريكية الأنكليزية بتاريخ ١١ كانون الثانى سنة ١٩٤٦ بواشنطن .

الخـــلان والزمان

بين أبي فراس والبارودي

للأستاذ محمد محمد الحوفي

تمهيد:

١ — نفسية الأديب هي الشاعرة أو الناثرة ؛ فهي أحق بالدراسة حين نريد أن نفهم الآثار الأدبية للشاعر أو الكاتب .

٢ — المقارنة المفصلة الشاملة بين الآثار الأدبية طريقة طريفة مشوقة ، تميز الجيد من الردىء ، وترينا نوع العلاقة بين الأديب اللاحق والأديب السابق .

٣ — وعن طريق هـذا الأدب النفسي المقارن ، سنعمد إلى تفهم أبي فراس والبارودي إذ وجدنا بينهما تشابهاً عجيباً في نواح كثيرة .

٤ — أبو فراس الحمداني : من آل حمدان ملوك حلب ، ولد ٣٢٠ هـ وتوفي ٣٥٧ .

ومحمود سامي البارودي : من سلالة المماليك بمصر ، ولد ١٢٥٥ هـ وتوفي ١٣٢٧ .

الخـــلان

تركت أبي طفلا وكان أبي[1] من الرجال كريم العود ناضره

هذا بيت لأبي فراس ، وهو صورة لقلب آس دامع ، ودليل على يتم مبكر شعر بهوله ذلك اليافع ؛ فماذا عسى أن يكون هذا اليتم في نفس أبي فراس وفي تفكيره وفي عبقريته ؟

خلفه أبوه في الثالثة من عمره ، فشب أبو فراس في حضانة أمه ، وتلقن منها ذكريات العزة والبسالة التي أثرت عن أبيه .

وما ظنك بطفل أول ما يدرك يعرف أن أباه إنما عاش محارباً ومات محارباً ؟ إن هـذا الناشىء لا بد أن ينطبع على شيمة أبيه فينشأ بازلا باسلا ، ولا سيما أنه في بيئة بني حمدان ، وطابعهم كلهم النزال والصيال .

ثم ما ظنك بصبي يتيم ينشأ في وسط أبناء عمه من الأمراء الذين لم ييتمهم الزمان ؟ إنه يرى هؤلاء الأبناء من حوله مدللين مكرمين مغمورين بعطف آبائهم ، محظوظين برعايتهم ، ويرى الناس يجاملون أولئك الأبناء ، ويعطفون عليهم ؛ رعياً لمكانة آبائهم ، وتزلفاً لهؤلاء الآباء الأمراء .

أما أبو فراس فمن يعوضه عطف أبيه ، وأي الناس يلاعبه ويناغيه ، في حين أن لا أب له يتزلف إليـه الناس بالعطف على ابنه .

وإذن فقد نشأ أبو فراس شاعراً بنوع من النقص — والشعور بالنقص أول مراتب الكمال — فلا بد أن تدفعه الطبيعة إلى استكمال ما نقص ، فينشأ فارساً أي فارس .

ولا بد كذلك أن يعتز بكرامته وشرفه ، ويفخر بنفسه وأهله وأبيه حتى إنك تراه لا ينسى هذا الفخر ، وإن كان يعاني كرب الأسر .

فها هم أولاء آباؤه مغاور ، يقدمون حين يحجم القساور ، ومن ورائهم شهب ثواقب ، وهو أثقبهم شهاباً ، وأحماهم ضراباً :

أنا ابن الضاربين الهام قدما إذا كره المحامون الضرابا
ألم تعلم ومثلك قال حقـا بأني كنت أثقبها شهابا

وها هو ذا يستحث سيف الدولة على فدائه ، بأنه نسيج وحده في المعالي ، وفي الذود عن حمى أسرته :

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى شديداً على البأساء غير ملهد ؟!
فإن تفتدوني تفتدوا لعلاكم فتى غير مردود اللسان ولا اليد
يطارد عن أحسابكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهند

ثم يستحثه بأن الإسلام لا يستغنى عن حراسته :

فإن لم يكن ود قريب نعده ولا نسب دون الرجال قراب
فأحوط للاسلام ألا يضيعني ولي عنك فيه حوزة ومناب

وهو يقرع عشيرته بأنه بازلها الذي يحميها ، وهو ذؤابة أشرافها وأعاليها :

تمنيتم أن تفقدوني وإنمـا تمنيتم أن تفقدوا العز أصيدا
أما أنا أعلى من تعـدون همة وإن كنت أدنى من تعدون مولدا

وهو سيد قومه وعمدتهم :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي وقلدت أهلي من هـدى القلائد
خلائق لا يوجدن في كل ماجد ولكنها في الماجدين الأماجد

وإنه في أسره ليحزنه أن تمر به الليالي آمنة ساكنة لا يغير فيها ولا يجير :

تمر الليالي ليس للنفع موضع لدى ولا للمعتفين جناب

(١) شطر البيت على هذه الصورة غير مستقيم لا في الوزن ولا في المعنى فليراجع (الرسالة)

ولا شد لى سرج على ظهر سابح ... ولا ضربت لى بالعراء قباب
ولا برقت لى فى اللقاء قواطع ... ولا لمعت لى فى الحروب حراب

***

وهكذا تجد ديوانه مليئاً بشعر الفخر والاعتزاز بالكرامة ، وهذا كما قلنا طبيعة نشأها فيه اليتم المشعر بالنقص ، الحافز إلى الكمال .

* * *

وقد جر أبو فراس البلاء على نفسه بسبب عبقريته الحربية : فالناس فى كل زمان يحقدون على المباقرة ، ويتمنون لهم كل فاقرة . وإن عشيرة أبى فراس وأقرانه ليمجبون ! ما لهذا اليتيم يبز أبناء عمه ممن تربوا فى رعاية آبائهم ، وتلقوا عنهم دروس النزال والصيال ، ثم ما له يخنق صيتهم بصيته ، ويعفى على آثار سيوفهم بصليته ، مع أنه — إلى يتمه — ليس أغنامم مالا ؟!

لابد إذن أن يأكل الحقد صدور هؤلاء الناس ، وأن يفرحوا بكل سيئة تصيب أبا فراس .

كما جر أبو فراس على نفســه البلاء بسبب فخره وتعاليه ، وغلوه فى اعتداده بنفســه ، فالناس إن حقدوا على المباقرة فهم أحرى بالحقـد على المتحدثين عن أنفسهم ، الفُخُر بأعمالهم وأحسابهم ، ولا سيما إذا كان الفخر من مثل أبى فراس ، هذا اليتيم الذى لم يسمع من أبيه كلمة مجد أو عزة ، وأى الناس لا يحقد عليه ، ولم يدَع لغيره فضلا ، وكرر دعواه بأنه سيد عشيرته ، والمع شهاب فى سماء أرومته .

وقد كان أسر أبى فراس محكا ميز أصدقاءه الأوفياء من غيرهم فقد حسب الذين كانوا يداورونه أن لا فداء له ، ولا غناء فيه ، فكشفت هذه الشدة خفاياهم ، وكذبت ألسنتهم ومراياهم .

وبعـــد :

فليس بدعا من أبى فراس بعد ما قدمنا أن يشغل بالتحدث عن الصداقات والصحاب والحساد والمرائين ، فى كل مناسبة ، ولا سيما مدة أسره . وقد قرر هو بعد التجربة أن الدنيا خلو من الصديق الوفى الذى يرضيك ما ظهر منه وما خفى .

وهاهو ذا قد خبر أصحابه ، فرأى أنهم كلهم عبيد المنفعة ، وأنهم يضرون ولا ينفعون ، حتى أصبح الخليل هو من يتعمد عنك حتى لا يضرك :

تناسانى الأصحاب إلا عصيبة ... ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإن الذى يبقى على العهد منهم ... وإن كثرت دعواهم لقليل
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب ... يميـل مع النعماء حيث تميل
ومنها نرى أن المتارك محسن ... وأن خليـلا لا يضر خليـل
تصفحت أقوال الرجال فلم يكن ... إلى غير شاك فى الزمان وصول
أ كل خليل أنـكد غير منصف ... وكل زمان بالـكرام بخيل ؟!

والناس فى نظره ذئاب فى ثياب فلا تتخيل أن كل الملاطفين صحاب

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الـكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئاباً على أجسادهن ثياب

وهو يتحسر فى أسره على صاحب فرد ، لا يريم عن وده ، وإن تنكر الزمان واشتد :

أما ليلة تمضى ولا بعض ليلة ... أسر بها هـذا الفؤاد الموجعا
أما صاحب فرد يدوم وفاؤه ... فيصفى لمن أصفى ويرعى لمن رعى
وفى كل دار لى صديق أوده ... إذا ما تفرقنا حفظت وضيعا

وليس بدعاً كذلك من أبى فراس وقد شام الغدر فى الناس أن يكون أول ما يمتدح به الوفاء ، فهاهو ذا يقول لصاحبه أبى الحصين وقد كان من أوفيائه :

أبا حصين وخير القول أصدقه ... أنت الصديق الذى طابت مخابره
أين الخليل الذى يرضيك باطنه ... من الخليل الذى يرضيك ظاهره

وكذلك يمتدح نفسه بأنه يسارّ صديقه بعيبه ، ويجهر أمام الناس بفضله وحبه :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته ... سراً إليه وفى المحافل أشكر

ويقول لأبى زهير ابن عمه :

ابن عمى إنى على شحط دار ... والقريب المحل غير قريب
صادق الود خالص العهد أنـــس فى حضورى محافظ فى مغيبى

وفى توديع أبى الحصين صديقه يقول :

يامن أصافيه فى قرب وفى بعد ... ومن أخالصه إن غاب أو شهدا
أضحى وأضحيت فى سر وفى علن ... أعده والدى إذ عـدنى ولدا

وليس معيار الصداقة عند أبى فراس وعند أحرار الناس ، أن يغدق الصديق على صديقه عطاياه ، أو يطريه إطراء عندما يراه

العلاقات الدبلوماسية الجديدة

بين أيندونيسيا وهولندا

(بمناسبة عرض القضية على مجلس الأمن)

للأستاذ محمد جنيدى

في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ — أعلن الأندونيسيون استقلالهم السياسى التام وقيام حكومة جمهورية ترعى كيان الوطن . وتحفظ حقوق الشعب . وانتخب الزعيم الأندونيسى الشهير الدكتور سوكارنو رئيساً للجمهورية . ثم ناشد الدول العظمى الاعتراف بها كدولة مستقلة ذات سيادة تامة .

إذن … لقد دخلت أيندونيسيا فى عهد جديد . فقد تحررت من الحكم الهولندى ومن الاحتلال اليابانى .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٥ – تدفقت القوات الانكليزية التى تمثل القوات المتحالفة إلى أندونيسيا لتجريد أسلحة القوات اليابانية وتسريح المعتقلين الأوربيين . وتولى قيادتها اللورد مونتباتن . وقد انحشرت القوات الهولندية فى القوات الانكليزية لتقوم باستعادة أيندونيسيا وإرجاعها إلى حظيرة الاستعمار الهولندى . وقد دارت رحى الحرب بين القوات المتحدة والفرق الأيندونيسية المجاهدة . واستمرت هذه الحرب دائرة حتى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٦ — ذهب خلالها ثلاثة ملايين أيندونيسى

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٦ — ظهرت القوات الهولندية فى بعض المدن الأيندونيسية ، فعبثت بالسلام ؛ ثم اصطدمت مع القوات الأيندونيسية فى معارك عنيفة لم تنته حتى الآن . وأن معارك (موجوكارتو) الأخيرة تدل على أن الحكومة الهولندية تريد خلق اضطراب فى أداة الحكومة الأيندونيسية فى جميع ولاياتها ومناطقها وإساءة سمعتها فى الدوائر السياسية العالمية

ومضى الزمن مسرعاً طاوياً فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى .

وهناك الرقباء ومندوبو الدول الشرقية والغربية يراقبون ثم يقررون دقة السياسة السلمية والحربية الأيندونيسية ، وانتشار الروح الديمقراطية بين الشعب وانتظام الحياة الاقتصادية فى أنحاء

ولكن هو الذى يصون الغيب ، ويصفو على البعد والقرب ، والأصدقاء بهذا المعنى أعزاء قلة ؛ ومن ينبئك عن حقيقة الصحاب غير أبى فراس وقد خبرهم :

أعيا علىّ أخ وثقت بوده   وأمنت فى الحالات عقبى غدره
وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد   حتى أنست بخيره وبشره
لا أشترى بعد التجارب صاحباً   إلا وددت بأننى لم أشره
ويجىء طوراً ضره فى نفعه   جهلا وطوراً نفعه فى ضره
وأحب إخوانى إلىّ أبرهم   لصديقه فى سره أو جهره

وإنه ليعرف الصداقة والعداوة تعريفاً جديداً استمده من تجاربه ، كما يعرّف « القريب » و « الغريب » :

أشد عدويك الذى لا تحارب   وخير خليلك الذى لا تناسب
لقد زدت بالأيام والناس خبرة   وجربت حتى هذبتنى التجارب
فأقصاهم أقصاهم من إساءتى   وأقربهم مما كرهت الأقارب
ولا أنس دار ليس فيها مؤانس   ولا قرب أهل ليس فيهم مقارب

وتباً لهؤلاء الحساد الكلاب ، يتلفتون ليتا كدوا أن أبا فراس غاب ، ثم يسلقونه بألسنة حداد ؛ ولكنه يعتبر هذا شرفاً له ؛ فإنما يحسد ذو النعمة :

ومضطغن لم يحمل السر قلبه   تلفت ثم اغتابنى وهو هائب
تردى رداء الظل لما لقيته   كما يتردى بالغبار المناكب
ومن شرف ألا يزال يعيبنى   حسود على الأمر الذى هو عائب
رمتنى عيون الناس حتى أظنها   ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرى إلا عدواً محارباً   وآخر خير منه عندى المحارب
فهم يطفئون المجد والله واقد   وهم ينقصون الفضل والله واهب
ويرجون إدراك العلى بنفوسهم   ولم يعلموا أن المعالى مواهب

وقد كان حرصه على غيظ الحساد مشجعاً له على تجلده فى الأسر :

وإنى لجزاع ولكن همتى   تدافع عنى حسرة وتغالب
ورقبة حساد صبرت اتقاءها   لها جانب منى وللحزن جانب

(يتبع) محمد محمد الحوفى

الجمهورية . فتضطر الحكومة الهولندية إلى إشعار ممثلها الدكتور فان موك بإجراء محادثات سياسية مع زعماء الجمهورية للوصول إلى نتيجة مرضية لها . وفى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٥ اجتمع ممثلو الجمهورية الأيندونيسية مع ممثلى الحكومة الهولندية بمدينة جاكرتا (بتافيا) وترأس مندوبى الحكومة الأيندونيسية الدكتور أمير شريف الدين رئيس الوزارة الأيندونيسية الحالى واشترك معه الدكتور محمد حسنى نائب رئيس الجمهورية والدكتور أحمد سوبارجو وزير الخارجية الأيندونيسية السابق والحاج أغوس سالم وزير الخارجية الأيندونيسية الحالى كما ترأس مندوبى الحكومة الهولندية الدكتور فان موك . وحضر معه المستر فاندرفلاس ، والمستر ايدنبورخ ، وحضر الاجتماع أيضاً المستر ماريلاى ممثلا للورد مونتباتن .

بحث فى هذا الاجتماع الحالة السياسية الأيندونيسية . ثم عرض الدكتور فان موك (الحكم الذاتى) لأيندونيسيا فرفضه المفاوضون الأيندونيسيون . وانفض عقد الاجتماع .

وفى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ — طلب ممثل الحكومة الهولندية من الحكومة الأيندونيسية الدخول فى مفاوضات أخرى لبحث المسائل السياسية المعلقة بين أيندونيسيا وهولندا . واجتمع ممثلو الحكومتين الأيندونيسية والهولندية . وكان رئيس ممثلى أيندونيسيا الدكتور سودان شاهرير رئيس الوزارة الأيندونيسية السابق ، ورئيس ممثلى هولندا الدكتور فان موك . وفى هذا الاجتماع عرض الدكتور فان موك نظام (الدومنيون) لأيندونيسيا فرفضه ممثلو الحكومة الأيندونيسية .

ومضى الزمن مسرعاً طاوياً فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى .

وفى يناير سنة ١٩٤٦ — أثار الدكتور مانوليكى مندوب أوكرانيا المسألة الأيندونيسية فى مجلس الأمن الدولى شارحا لمندوبى الدول المتحدة حالة الجمهورية الأيندونيسية ومدى اشتداد القتال فيها بين القوات الهولندية والبريطانية متحدة ، والقوات الأيندونيسية ، وطلب إرسال لجنة تحقيق دولية إلى أيندونيسيا للوقوف على حالة الجمهورية الأيندونيسية ، والتحقيق عن أسباب القتال . فرفض ممثلو هولندا وبريطانيا طلبه ، كيلا ينكشف عملها الحربى . ثم أسدل الستار على المسألة الأيندونيسية . وقد استفادت أيندونيسية من عرض أوكرانيا لمسألتها فائدة كبرى إذ عرف العالم ماذا يجرى فيها ، وما هو موقفها ، وسياستها السلمية ، إزاء العدوان الاستعمارى المتحد .

وفى فبراير سنة ١٩٤٦ — بعثت الحكومة البريطانية سفيرها فى موسكو السير ارشيبالد كلارك كير إلى أيندونيسيا للاشتراك فى المباحثات السياسية بين ممثلى هولندا وأيندونيسيا

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٦ — عقد ممثلو الحكومتين اجتماعا بدار السير ارشيبالد بجاكرتا . وفى هذا الاجتماع قدم الدكتور فان موك المشروع الذى وضعه مشتركا مع المستر اتلى فى لندن إلى ممثلى الحكومة الأيندونيسية . ويحتوى على خمس عشرة مادة وهو مشروع يخول لأيندونيسيا إنشاء (كومونويلث) على غرار الحكومة الأسترالية ؛ فرفضه ممثلو الحكومة الأيندونيسية قائلين لممثلى هولندا (إننا لن نقبل غير اعتراف حكومتكم باستقلال الجمهورية الأيندونيسية التام) ثم انفض الاجتماع وأسفر عن رفض الحكومة الأيندونيسية لمشروع الحكومة الهولندية .

ومضى الزمن مسرعا طاويا فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى ...

وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦ — تقدم الدكتور فان موك مقترحات أخرى لرئيس الحكومة الأيندونيسية .

وفى أول إبريل سنة ١٩٤٦ — رد الدكتور شاهرير على مقترحات فان موك بشأن العلاقة الجديدة بين هولندا وأيندونيسيا ثم سافر وفد دبلوماسى أيندونيسى إلى هولندا مكون من الدكتور سواندى رئيساً والدكتور سودارسونو والدكتور عبد الكريم فريننغديغدينو أعضاء لشرح غاية استقلال الجمهورية الأيندونيسية للحكومة الهولندية . وقد كانت الحالة السياسية فى هولندا مضطربة فى ذلك الظرف ، لسياسة الحكومة الهولندية المتطرفة إزاء الحكومة الأيندونيسية ، فالشعب الهولندى يريد السلم والاتفاق مع الشعب الأيندونيسى ولكن المستعمرين الرأسماليين منهم أمثال المستر (وولتر) وزير المستعمرات الهولندية السابق يريدون التشدد فى بقاء السيادة الهولندية على أيندونيسيا . بعد

أن أعلنت للعالم حريتها واستقلالها ..

هذه مراحل المباحثات السياسية بين أيندونيسيا وهولندا وقد ظهر منها أن الحكومة الهولندية قد عرضت على الحكومة الأيندونيسية المستقلة أنواعاً من الحكومات بعد أن يئست من الوصول إلى استعادة سيادتها على أيندونيسيا ... وهذه الحكومات هي . . (١) الحكم الذاتي (٢) الدومنيون (٣) الكومونويلث وقد رفضتها أيندونيسيا لأنها متمسكة باستقلالها التام .

ومضى الزمن مسرعاً طاوياً في أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربي .. وفي ١٧ نوفمبر ١٩٤٦ اجتمع ممثلو الحكومة الايندونيسية والهولندية واشترك معهم ممثل الحكومة البريطانية اللورد كايرن . وفي هذا الاجتماع اتفق الطرفان الايندونيسي والهولندي على عقد اتفاق سياسي بين حكومتيهما يوضح علاقة كل منهما بالأخرى . ثم وضعا مواد الاتفاق ، وعرف هذا الاتفاق باسم (اتفاقية لنجرجاتي) وهي تحتوي على سبع عشرة مادة ونحن نقدمها للقارىء العربي ليعرف مدى السيادة الايندونيسية على إيندونيسيا وعلاقة إيندونيسيا بهولندا في المستقبل .

نص الاتفاق السياسي بين إيندونيسيا وهولندا

المتفق عليه في ١٧ نوفمبر ١٩٤٦

المادة الأولى : تعترف الحكومة الهولندية بسلطة الحكومة الجمهورية الايندونيسية على جزيرة جاوا وسومطرا ومادورا وتضم المدن التي تحتلها القوات المتحدة والقوات الهولندية الداخلة في نطاق هذه الجزائر إلى الحكومة الجمهورية الايندونيسية قبل أول يناير ١٩٤٩

المادة الثانية : تتعاون الحكومتان الهولندية والايندونيسية على إنشاء دولة حرة ذات سيادة تامة تسمى (دولة إيندونيسيا المتحدة)

المادة الثالثة : تتكون دولة ايندونيسيا المتحدة من جميع أراضي جزر الهند الشرقية ما عدا الأراضي التي تقرر ذلك . فستنشىء لها علاقة خاصة مع الحكومة الايندونيسية وهولندا .

المادة الرابعة : تنشأ دولة إيندونيسيا المتحدة على النظام الديمقراطي .

المادة الخامسة : القسم الأول . إن قانون دولة إيندونيسيا المتحده تقرره هيئة خاصة لتنظيمه . حسب القواعد الديمقراطية الصحيحة . وهذه الهيئة مكونة من ممثلي الحكومة الايندونيسية وأعضاء الولايات المنضمة في الدولة الايندونيسية المتحدة ، وملاحظة ما يشير إليه القسم الثاني من هذه المادة .

القسم الثاني : إن إنشاء هذه الهيئة يكون باشتراك ممثلي الحكومة الجمهورية وممثلي الولايات . ويسمح أيضاً بالاشتراك في هذه الهيئة لطبقات الشعب التي لم يتم لها وكلاء يمثلونها في هذه الهيئة .

المادة السادسة : تتعاون الحكومتان الايندونيسية والهولندية على إنشاء رابطة بينهما وتحل وصية المملكة الهولندية السابقة المكونة من هولندا ، سورينام ، كاراكاو ، الهند الهولندية وتجزأ إلى قسمين :

١ - هولندا ، سورينام ، كاراكاو .
٢ — إيندونيسيا المتحدة .

المادة السابعة : القسم الأول . لتوثيق العلاقات بين المملكة الهولندية ودولة إيندونيسيا المتحدة يكوّن كل منهما مجلساً خاصاً

القسم الثاني : إن الوسائل لإنشاء دولة إيندونيسيا المتحدة تشترك في القيام بها الحكومة الجمهورية والحكومة الهولندية .

القسم الثالث : إن العلاقات بين دولة إيندونيسيا المتحدة والحكومة الهولندية ستكون في الدفاع والتمثيل الخارجي . وإذا احتاجت الظروف ستكون أيضاً في الاقتصاد والثقافة والمالية .

المادة الثامنة : لتمثيل العلاقات بين هولندا ودولة إيندونيسيا المتحدة يشكل مجلس فيه مظاهر التعاون بين الحكومتين .

المادة التاسعة : تنشأ هيئة عالية من ممثلي دولة إيندونيسيا المتحدة وممثلي الحكومة الهولندية للعمل لتقدم الدولتين .

المادة العاشرة : أن تعاون الدولتين — الهولندية وإيندونيسيا المتحدة — يشمل :

(ا) ضمان كل دولة القيام بواجبها إزاء الأخرى .
(ب) تنفيذ إجراءات الدولتين — الهولندية وإيندونيسيا
(ج) ترتيب كيفية تبسيط الإجراءات إذا كانت هيئة

التعاون لم تتوفق إلى الموافقة فى قرارها .

(د) تنظيم كيفية مساعدة الحكومة الهولندية لدولة إيندونيسيا المتحدة .

(هـ) إن أصول معاهدة التحالف تعرض على هيئة الأمم المتحدة للتصديق عليها .

المادة الحادية عشرة : إن نظام التعاون يضمه مجلس مكون من مندوبى الحكومة الهولندية ودولة إيندونيسيا المتحدة .

القسم الثانى : إن هذا النظام ينفذ مفعوله حينما يصدق عليه مجلس نواب الدولتين

المادة الثانية عشرة : إن الحكومة الجمهورية الإيندونيسية والحكومة الهولندية تبذلان جهودهما لإنشاء دولة إيندونيسيا المتحدة قبل أول يناير ١٩٤٩ .

المادة الثالثة عشرة : تسعى الحكومة الهولندية بضم دولة إيندونيسيا المتحدة إلى منظمة الأمم المتحدة .

المادة الرابعة عشرة : تعترف الحكومة الجمهورية الإيندونيسية بأملاك الأجانب الموجودة فى نطاق دوائرها الجمهورية ، ولإعادتها إليهم تشكل لجنة من الطرفين — الهولندى والجمهورى — للنظر فيها .

المادة الخامسة عشرة : لتغيير وضعية المملكة الهولندية تعدل الحكومة الهولندية تنظيماتها فى الهند الهولندية مؤقتاً حتى يتم التعديل ، وتقرر وضعية هولندا الجديدة .

المادة السادسة عشرة : بعد إبرام الاتفاق ينقص الطرفان قواتهما العسكرية ، ويجتمعان لتعيين سبيل النقص ووقته . وكذا يبحثان مسألة التعاون العسكرى بينهما .

المادة السابعة عشرة : القسم الأول : للتعاون المشترك بين الحكومة الهولندية والحكومة الجمهورية الإيندونيسية ، ينشأ مجلس مكون من ممثلى الحكومتين وهيئة سكرتارية .

القسم الثانى : إذا حدث خلاف بين الحكومة الهولندية والحكومة الجمهورية الإيندونيسية تعرضانه على المحكمة العدلية العليا .

هذه خلاصة مشروع (اتفاقية لنجرجانى) وقد حدثت مناقشات حادة فى الدوائر السياسية الإيندونيسية والهولندية حولها وحاول الهولنديون نقضها ؛ لأنهم غلبوا فى ميدان السياسة واستمروا فى التشبث ببعض المواد والتفسيرات فى هذه الاتفاقية التى تركز سيادتهم فى إيندونيسيا رغم أن الدولة المراد إنشاؤها (دولة إيندونيسيا المتحدة) مؤقتة لنهاية عام ١٩٤٨ .

وفى ٢٥ مارس ١٩٤٧ ، وقع مندوبو الحكومة الهولندية والإيندونيسية على اتفاقية لنجرجانى رسمياً . وقد وضحت موادها العلاقات السياسية والاقتصادية الجديدة بين إيندونيسيا وهولندا ؛ فالمادة الأولى منها تشير إلى أن الحكومة الهولندية تعترف بسلطة الحكومة الجمهورية الإيندونيسية على جزيرة جاوا وسومطرا ومادورا . ومعنى هذه المادة أن الجمهورية الإيندونيسية دولة حرة مستقلة استقلالا تاماً . فبعثت مندوبيها السياسيين إلى ممالك الشرق والغرب لعقد العلاقات السياسية والاقتصادية ، رغبة منها فى تركيز أساس السلام العالمى ، وإنعاش الحياة الاقتصادية المالية ، واشتركت الحكومة الإيندونيسية فى المؤتمرات الدولية لبحث الوسائل المنتجة لتثبيت دعائم السلام فى المعمورة .

وفى يونيو ١٩٤٧ عقدت الجمهورية الإيندونيسية مع الحكومة المصرية معاهدة إخاء وتجارة مؤقتة . وتدل هذه المعاهدة على حرية الجمهورية الإيندونيسية التامة . وسوف تظهر الأيام وقرارات مجلس الأمن مقدرة الجمهورية الإيندونيسية فى الاحتفاظ باستقلالها ، ومركزها الدولى الجديد .

محمد جنيدى



شيخ وشيخ

هأنذا فى الريف أضع على أننى منظار القرية ، وقد تركت فوق مكتبى فى « الرسالة » منظار القاهرة حتى أعود إليـه بعد حين . وكان أول ما وقع عليه فى القرية منظارى الجديد بعض ما صنع هذان الشيخان فى ضحى يوم من أيام رمضان .

أما أولهما فشيخ من حيث الاصطلاح والملبس ، فقد لبث فى الأزهر من عمره سنين ولا يزال فى القرية يضع على رأسه عمامة هى كل حجته على العلم والورع وإن كانت بعض وسائله إلى المال والشبع . وأما ثانيهما فشيخ من حيث العمر فقد تخطى السبعين منذ سنتين وبعض سنة كما ذكر لى حين حدثنى عن سنه ...

جلست أمام دارى عند مخرج القرية إلى الحقول وأنا أعجب كيف يغدو الفلاحون إلى أعمالهم صابرين ، وقد قضى الصوم والحر على كل ما كان من نشاط فى بدنى فما أتحرك لكي أبقى فى الظل إلا فى مشقة وجهد . وبينما كنت أتفكر فى أمر هؤلاء المساكين إذ أقبل على أحدهم فسلم وجلس القرفصاء إلى جانب كرسيي وأسند إلى الحائط ظهره ، ونظرت إليه فإذا هو من فرط نحوله وشحوبه أشبه شىء بعود الذرة جف فاغتدى عوداً من الحطب .

وتكلم فقال : « لن ينقذنى من الشيخ فلان إلا أنت ؛ فقد اضطرتنى الحاجة إلى أن أقترض منه منذ شهرين جنيهين ونصف جنيه على أن أعطيه وفاء لدينى أردباً كاملا من القمح الجديد . ولما كنت أستطيع أن أبيع الأردب اليوم بخمسة جنيهات فقد ألححت عليه أن يأخذ ثلاثة جنيهات ؛ ولكنه تمسك بأردب القمح كاملا . وها هى ذى ثلاثة جنيهات ونصف أرجو منك أن تتوسط لدى الشيخ ليقبلها » ومد الرجل إلىّ يده بالنقود وهى ترتعش ، ولمحت فى وجهه من السخط المكظوم ما زاده بؤساً على بؤس ... ولكننى أخذت منه قيمة الدين ورددت إليه جنيهاً ، فنظر إلىّ دهشاً وسكت .

ومضيت إلى الشيخ وفى خاطرى خيال « شايلوك » يهودى شكسبير ، وسلمت وقلت إن فلاناً ذو عسرة ؛ وقد توسل إلىّ أن أؤدى عنه ما عليه لك من دين . ومددت إليه يدى بجنيهين ونصف جنيه فحسب . فما إن عدها حتى اصفر وجهه وتنكره لى كأنى أشتمه ، ثم أخذته حيرة من أمره وتمتم وعبس وتأفف ودس المال فى جيبه وهو يلعن هؤلاء الفلاحين الذين لا أمانة لهم ولا عهد ولا ذمة . وتعجبت أو تظاهرت بالتعجب وقلت متجاهلا ، ها هو ذا دينه يؤدَّى إليك . فنظر إلى نظرة كلها لؤم وخبث يتبين ما إذا كنت أعلم شيئاً عن قصة أردب القمح . ثم تركته فى غيظه وأله ينتفض انتفاضة من لدغته عقرب ويقسم أغلاظ القسم أن لن يعين أحداً من هؤلاء الفلاحين ناكرى الجميل بعد اليوم ...

ومررت أثناء عودتى بدار عم محمد النجار فأبصرته فى مدخل الدار وبين يديه أدوات عمله وبعض أشياء من الخشب كان يصلحها ؛ فسلمت على الشيخ فنهض للقائى فى خفة ودعانى إلى الجلوس ، فجلست بجانبه على حصيرة وهو يكرر فى بشاشة وترحاب قوله « رمضان كريم » وإنه ليعلم أنى أحبه كما أعلم أنه يحبنى ويأنس إلىّ ؛ وقلما رآه أحد من القرية يقبل على امرىء أو يهش له كما يقبل علىّ ويهش لى ، وذلك أن هذا النجار الشيخ على فاقته الشديدة يظن الظنون بمن يراهم أكبر منه قدراً أو أكثر منه مالا لأنه يكره أشد الكره أن يتكبر عليه أحد مهما بلغ من جاهه أو ثرائه ، والويل كل الويل لمن يغلظ له فى القول من أعيان القرية فإنه عند ذلك ينقلب من شيخ وديع هادىء إلى نمر شرس هائج لا يخيفه شىء ، وقد أحس الشيخ أنى أكبره وأحب حديثه فخفض لى جناحه وبسط لى مودته .

ونظرت إلى وجهه المسنون وإلى عينيه البراقتين وهو يصلح بعض أدوات الزراعة وكأنما يزداد هذا المحيا بشاشة ونضرة كلما علت بصاحبه السن ، وأراد أن يعتذر إلىّ من عدم انصرافه عن العمل احتفاء بى كما كان ينبغى فى رأيه فقال إنه يصلح هذه الأشياء الزراعية الصغيرة بغير أجر فى رمضان من كل عام ليغنم الثواب مضاعفاً على الصوم ، وهو لا يحب أن يخلف الوعد ، فما قليل سيأتى أصحاب هذه الأدوات لأخذها ؛ وأثنيت عليه

«أدب العروبة فى الميزان»

للأستاذ على متولى صلاح

ما حق الأدب على الدولة ؟ وما ينبغى أن تقوم الدولة به للأدب من نصر ومعونة وتأييد ؟ ذلك هو السؤال الذى نبدأ به كلامنا عن « أدب العروبة » الذى أخرجته للناس جماعة « أدباء العروبة » التى تنعقد رياستها للوزير الأديب الشاعر الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا .

نحسب أنه قد مضى الزمن الذى كان الأدب فيه فى نظر البعض نافلة لا ضرورة إليها ، وترفاً لا تدعو إليه حاجة ، وأبهة وبلهنية يزجى بهما الفراغ !

نعم ، عرفت الدول وعرف الناس أن الأدب لسان الكون وتعبيره ، وترجمانه وتفسيره ، وأن الناس شعروا قبل أن يتكلموا ، وتغنوا قبل أن ينطقوا !

وعرفت الدول وعرف الناس أن الحياة لن تكون — إن هى خلت من الأدب — إلا بيداء مجهل ، وصحراء لاحبة ، وجحيما لا ظل فيه ولا ماء !

عرفت الدول وعرف الناس ذلك وصار الكلام فيه معاداً مكرراً فهل أدت الدولة ما لهذا الأدب من حق ؟ وهل قامت بما ينبغى له من واجب ؟

عندما نهض الوزير الأديب الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا بإنشاء هذه الجماعة العاملة ورعايتها -- ولأول مرة فيما أعلم ينهض وزير قائم فى الحكم برياسة جماعة أدبية - شاعت حولها الشائعات ، وكثرت التخرصات والتقولات ، وقالوا : وزير يستخدم مرافق الدولة ويستغل منشآتها لمنفعة جماعة هو رئيسها!

وقالوا : لقد انتفعت هذه الجماعة بسبل المواصلات يستعملها أفرادها بغير الجعل المقرر والأجر المرسوم !

وقالوا لقد أضفى الوزير على أفرادها الفراغ الشامل والتحلل الكامل من واجب « الوظيفة » ، وآثرهم بالدرجات والعلاوات ينعمون بها ويرفلون فى واسع رزقها ! وقالوا انتفعت بالإذاعة تسير معها حيث تسير ، وتمضى معها أنى تمضى !

وأنا أفترض أن كل ذلك قد وقع ، بل قد وقع فى صورة كريمة مسرفة ، وأتساءل بعد ذلك : هل أدت الدولة ما للأدب عليها من حق ؟ وهل قامت الدولة بما ينبغى أن تقوم به له من نصر ومعونة وتأييد ! والجواب الذى لا جواب سواه عندى هو

ماوسمنى الثناء ، فقال إنه يحمد الله على العافية وأنه يرى أعظم أنعم الله عليه أنه لم يقف مرة واحدة موقف الحاجة من أحد ، وأنه لا يذكر لأى امرىء يداً عليه حتى أولاده الأربعة الذين يعيشون كل فى داره عيشة هى أوسع من عيشته . ونظر إلىّ مبتسما وقال : إن خير ما أدعو لك به وأنا أحبك أن يديم الله عليك العافية وألا تحتاج يوماً إلى إنسان ...

وبينما كان يتحدث إلى النجار وهو يصلح تلك الأدوات الزراعية إذ دخل عليه رجل فسلم وقال : ياعم محمد -- علمت أنك تبيع عجلك المزروع فى جهة كيت فجئت لأشتريه ... وتفكر النجار الشيخ قليلا وقال : كم تدفع ثمناً له ؟ فقال الرجل : ستة جنيهات . فنظر إليه النجار وقال انتظر قليلا . وطلب النجار إلى أحد المارة أن يرسل فاطمة بائعة الفجل ، فلما حضرت قال لها ، هذا الرجل يشترى الفجل بستة جنيهات وقد بعته لك ، فما رأيك هل تبيعينه إياه ؟ لقد صرت صاحبته وليس لى فيه شىء وإن لم أقبض منك ثمنه بعد . فقالت المرأة بعته إياه . وتناول النجار الجنيهات الستة ، فأخذ منها أربعة هى ما اتفق مع المرأة عليه ثمناً لفجله ودفع لها جنيهين ...

وازداد فى قلبى قدر هذا النجار الشيخ ، وظللت لحظة أقلب نظرى فى محياه الأبلج السمح وهو منكب على أدوات الزراع يصلحها فى نشاط وهمة ؛ وانصرفت وأنا أدير فى رأسى قصة القمح وقصة الفجل ، أو قصة الشيخ الذى تعلم ويأ كل الربا أضعافاً مضاعفة ، وقصة النجار الذى لم يعرف غير أدوات تجارته ويتصدق بعمله على الزراع فى رمضان ويأبى أن يكون وقد أربى على السبعين كلا على إنسان .

الخفيف

« لا » ... ذلك أن للأدب على الدولة حقاً أخطر من هذا كله، وأجل من ذلك كله ... إن على الدولة أن تمين الأدباء بالمال تغنيهم به من تكاليف العيش وضرورات الحياة ليفرغوا للأدب وللفن ... وإن على الدولة أن تريح الأدباء « الموظفين » من أعباء وظائفهم الثقيلة التي تقتطع أعمارهم وتقتل مواهبهم وتميت أرواحهم ، أو على الأقل أن تجعلهم فيما ينبغي لهم من أعمال تتفق وميولهم وتمكنهم من الإنتاج الأدبي النافع ، فلا يعيش الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حياته في زاوية من زوايا محكمة طنطا ! ولا يقضي الأستاذ محمود عماد عمره في ركن منزو من أركان وزارة الأوقاف !

وإن على الدولة أن تبتاع ما ينتج الأدباء من مؤلفات بأثمان طيبة كريمة وتنشرها على الناس غذاء لأرواحهم وعقولهم فترفع بذلك الذوق العام ، وتربي ملكة تذوق الفن الرفيع بين أفراد الشعب ، وتباعد بينهم وبين الأدب الرخيص المائع الذي يسري في نفوسهم سماً وميوعة وانحلالا ..

وإن على الدولة أن تيسر للأدباء سبل الانتقال لا في أرجاء بلادهم فقط بل في البلاد الأخرى وبخاصة البلاد العربية الشقيقة ليستزيدوا من أدبها ويتعرفوا إلى إخوانهم الأدباء فيها وليكونوا سفراء الفن والحق والجمال إلى أبنائها ..

إن على الدولة للأدب أن تفعل له هذا وأكثر من هذا ، وإن الأدباء لحريون منها بالعناية والرعاية والالتفات ، فإذا نهض وزير أديب يعرف حقوق الأدب ببعض هذا الذي يجب على الدولة أن تنهض به ، صاح به الصائحون من كل جانب ، ورفعوا عقائرهم يضجون بالشكوى من المال المضيع ، والاستغلال القبيح ، والظلم الفادح !

إن هذا الوزير الأديب نهض كريماً مشكوراً يؤلف جماعة منهاجها « أن تعمل على نهضة الأدب بإيقاظ الذهن العربي وحسن توجيهه لأبعد آفاق المجد والسؤدد وتشجيع نوابغ المفكرين النابهين من رجال القلم ، وتجد في توثيق الأواصر بين الأدباء في مصر ثم توثيقها بينهم وبين أدباء العالم العربي والجامعة لا تحتكر الأدب العربي بل هي تغتبط وتبتهج بكل من يدعون للنهوض به أفراداً كانوا أو جماعات وتمد يدها مخلصة لكل جمعية تنحو نحوها وتسير على نهجها بعيدة عن السياسة والحزبية بعدها عن الأغراض الذاتية »(١) وجمع حوله طائفة من كرام

(١) ما بين القوسين من كلام معالي الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظة باشا

الأدباء والشعراء لهم نشاط ملحوظ وآثار عديدة ومشاركة خصبة في الأدب والفن ؛ وأقاموا عدة مهرجانات أدبية لمناسبات قومية ووطنية وأدبية صرخ فيها شعراؤهم ، وخطب فيها خطباؤهم . فاستوى ذلك كله كتاباً سموه « أدب العروبة » كان مجموع نتاجهم في عام !

هذا الكتاب هو ما نقدم للحديث عنه بهذا الكلام ، ونحن — في كلمات متعاقبة — عارضون هذا الكتاب عرضاً عادلا منزها عن الهوى ، ناقدون ما احتواه نقداً مبرأ من الغرض ودخائل النفوس ، لنجلو للناس بذلك آثار أول جماعة أدبية في مصر رأسها وزير قائم ، وأديب حاكم ، لم تشغله حكومته عن الالتفات الكريم إلى الأدب والأدباء .

علي متولي صلاح

أضواء على السين :

فى الربيــــع

للأستاذ محي الدين صابر

« رف فجر ، وتندت أرض ، وتحركت حبة ، وهبط عصفور ··· وعبرت نسمة ··· وأنصت شاعر ! ! »

رفَّ فجرٌ تمثر النور والعطـ   ـر عليــــه كأنه مخمور !
شرقت صفحتاه بالشمس والظلـ   ـل يغـــنى نور ورقص نور
والأمانى فى أفقه يتـــواثـ   ـبنَ كما خفَّ فى الرُّبى عصفور
والأغانى فى ممـبر النسم السا   رب ، همس مصبغ مسحور
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـد حياة ، يمتدُّ فيهـا الربيع !

***

وتندت أرض وأرعشها الخصـ   ـب ابتعاثاً كأنهُ محمـــوم !
زخرت بالحياة ، وامتلأت دفـ   ـئاً كما تحمل السلاف الكروم
واستفاقت ، تناغم الفجر فاندا   ح حنين فى صدرها مكتوم
وسرى من فؤادها العاشق البكـ   ـر ، حديث معطر منغوم !
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـدَ حياة ، يمتدُّ فيها الربيع !

***

وصحت حبـــة ، ودغدغ جفنيـ   ـها ظلام من حولها مرطوب !
فاستجاشت تستلفت النور فارفضـ   ـض خيال فى ذاتها ، مشبوب !!
واستطالت فى الأفق ، فهى حياة   وظلال مصبوغة وطيوب !
بين أفنانها أهازيج ... منهن   شفاه مخمورة وقلوب ! !
إنه البعث راجفاً ، ينفضُ القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع !

***

واستوى . بلبل على غصُن رخـ   ـو .. فهزته خشمة وسجود
نشوة كله ··· وفى العش دنيا   زحمت أفقها الرؤى ووجود !
منشد كله لمـــاة إذا غنى   وحلم فوق الرُّبى ممدود ! !
وهو كالنـــور كله فى جناحـ   ـين : انطلاق وشبحة وشرود !
إنه البعث راجفـــاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتدُّ فيها الربيع ···

***

شهد الغصن أنه راقص الحس ···   فيصغى فى نشوة أو يميـل
ملأت نفسه على العش نجوى   قصـة بها غرام ··· جميل ··
قصة العش كل حين ، وفى كل   مكان ··· على الحياة دليل ! !
فى جناح الفراش ، أو وجنة الزهر ،   ومن حيث للرعاة سبيل !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة ··· يمتد فيها الربيع ···

***

وسَرت نســـمة تسرب فيها   جدول فضٌ ذاته ··· أو غدير !
جرجرَت نفسها على الزهر فى كل   رباة ··· فوقفـة أو عبور . !
لملمت كل خاطر وخيال هو فى المر   ج . دافق مفجـــور ..!
ومشت تنقل الحيــاةَ على كلِّ   طريق فـكله معمورُ ... !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيهـا الربيع

***

وتلاقت .. مواكِب : فحبيب   ينثر الشوقَ فى يديه حبيب !!
وغريب مشى الحنين .. بعطفيـ   ـه خشوعاً يأسوهواه غريب !
إنها صحوة الحيـــاة ··· ففيها   كلُّ معنى من روحها مسكوب
هكذا عاد فى الرَّوابى حديثٌ   كلما آبت الروابى يؤوب .!
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع . .

***

وعلى صــــخرة تجللها العشـ   ـب على الدرب شاعر مسكين!
عبرته الرعاة . . فهى تغـــنى   من بعيد كما استدارت ظنون
وهو ، والناىُ فى يديه ، وفى عيـ   ـنيه جوع وفى الضلوع حنين
ظامئ الحس للحيــاة وللنـو   ر وللغيب وهو فيه دفين . !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع ···

***

أيها الضاربون فى وحشـة الليـ   ـل ··· أماناً ، فللصباح رجوع !
أيهـا الراكبون فى وَقدة البيـ   ـد ··· احتمالا . قد أمكم ينبوع !
أيهـا الراجفون فى غضبة البحـ   ـر ··· سلاماً ، فللرياح هجوع
أيهـا الصاعدون قد دنت القمـ   ـة بشرى ، غداً يجىء الجميع !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيهـا الربيع ···

***

هكذا يطلق الربيعُ المعـانى   وهى فى قبضة الشتاء تنوح ···
رُبَّ معنى يستنبت النور منه   وهو معنى بين الظلام جريح !

الأدب والفن في أسبوع

اتهام الأدباء :

كان الاتهام فى هذا الشهر بمجلة الهلال من نصيب الأدباء ، فقد كتب بها الأستاذ طه خطاب طه بعنوان « أتهم الأدباء » فوجه إليهم أربع تهم :

١ — تمرغهم فى أحضان السياسة الحزبية وتقلبهم مع الوزارات مما انحدر بأدبهم إلى درك التنابذ والتراشق بألفاظ الشتم والسباب .

٢ — الأنانية والاحتكار والقضاء على روح الطموح عند الأدباء الناشئين خشية المنافسة فى الصيت والكسب .

٣ — استغلال الشهرة فى نشر المقالات الهزيلة وإذاعة الأدب الهش الذى خلا من العمق وإعمال الفكر .

٤ — الانحدار بأخلاق الجمهور إلى المنحدر المائل ، بنشر الصور المثيرة والقصص المغرية .

وأنا أخالف الأستاذ طه فى بعض هذه التهم ، وأوافقه فى بعض ، فاشتغال الأدباء بالسياسة الحزبية لا يعيب أدبهم ، ولو نالهم رشاش من إسفاف الأحزاب عندنا ، وهو لون من جهاد الأقلام على أى حال ، على أن الأدباء ليسوا جميعاً مشتغلين بالسياسة بل أكثرهم منصرفون عنها ، أما المتلونون مع الوزارات فما هم بالعدد ولا النوع الذى يؤبه له ، فلا ينبغى أن يوصم بفعلهم مجموع الأدباء ؛ وأما التراشق بالشتائم فقد كان فى أوائل هذا الجيل مستشريا فى الأدب البحت أكثر مما هو فى السياسة اليوم وقبل اليوم ، بل هو يكاد ينعدم الآن بين خواص الأدباء .

وأؤخر التهمة الثانية لطول الكلام عليها ، كما كان يفعل أسلافنا من الأزهريين فى الشروح والحواشى ، فأقول إن التهمة الثالثة صحيحة لاصقة ... فإن كبار الكتاب قد استغلوا حقاً رواج أسمائهم فأجازوا بها الهذر وجعلوه مقالات تنشر ويؤجر عليها

ولكن التهمة الرابعة يا سيد طه ، هشة ... فالذين ينشرون الصور المثيرة والقصص المغرية قوم تميزهم من الأدباء ثرواتهم التى أصابوها من هذا الذى تعيبه !

ثم أعود إلى التهمة الثانية ، وهى المسألة العويصة فى هذه القضية ، إذ تختلط فيها الحقائق بالتهم الباطلة ، يقول الشبان إن الأدباء الكبار يحتكرون سوق الأدب حتى أنهم لا يمكنوننا من عرض بضاعتنا ، ويقول الكبار إنا لا نحتكر وإنما يقبل علينا الناس ، وقد تعبنا حتى وصلنا إلى هذه المنزلة . وتسأل الشبان إيضاحاً فيقولون إن الأدباء الكبار يشرفون على النشر ونقدم لهم فلا ينشرون لنا ويؤثرون علينا الأسماء المشهورة . وهذا حق يقارنه حق آخر : أن كثيراً من الناشئين يريدون أن يزاولوا الأدب بالإنتاج فحسب ... أى من غير درس ولا تحصيل ولا تخرج !

أما إيثار الأسماء المشهورة فهو ضعف بشرى عام ، مصدره الرغبة فى الرواج ، وهو فى الأدب وفى غيره ، وهو عند غيرنا كما هو عندنا ، والسبيل إلى التغلب عليه هو جهاد الناشئين الشاق الدائب . على أنه مما ييسر عليهم هذا السبيل أن هؤلاء الذين اغتروا بشهرتهم قد بدأت عروشهم تهتز لعكوفهم على لذة الكتابة الهينة اللينة وتعلهم بما يصيبون منها . ولكن المعضلة يا سيدى اللبيب الفطن هى : من يحل محلهم ؟ أو بعبارة أخرى هل هناك ثوار يقدرون على البناء إن قدروا على التقويض ؟

إخوانى الشبان ، لقد غضب بعضكم منى لأقل من هذا ، وستتم بهذا غضبتكم ، ولكنى أقول لكم مخلصاً صريحاً : إنكم

كلُّ شيء يهتز من رعشة الحس ... وينساب بين جنبيه روح . !

ومشت يقظة تلفت فيهـا ... ملء روحيها الربى والسفوح !

أنه البعث راجفاً ينفضُ القيـ ... ـدَ حياة يمتدُّ فيها الربيع ...

***

هكذا تجمع الحياة ... معانيها ... وينمو من القديم ... جديد ..!

أبداً تصـعد الحياة فما تنفـ ... ـك صيرورة لها وصعود ...

إنهـا رغبة تضج بجنبيها ... وشوق يلح فيه الخـلود ... ،

وامتـداد ... وليس فيه حدود ... وانطلاق وما عليه قيود ... !

إنه البعث راجفاً ينفض القيـ ... ـدَ حياة يمتدُّ فيها الرَّبيع ...

« باريس » محيى الدين صابر
السوربون

عُزّل ، فتسلحوا بالجد لتكسبوا المعركة ، كما تسلح وكسبها شيوخنا فى شبابهم إذ أجلوا شيوخهم عن الميدان .

وقد ترى أن ندع لغة السلاح والقتال ونتكلم بروح المودة نحو الأساتذة والآباء فنقول : تزودوا أيها الشباب لتأخذوا أماكنكم بجوار آبائكم ، لتحسنوا خلافهم وقيادة جيلكم .

دفاع عن الكسل :

ظهر فى هذا الأسبوع مقالان فى الدفاع عن الكسل لكاتبين كبيرين هما الأستاذ عباس محمود العقاد والفيلسوف الصينى « لن يوتانج » الأول فى مجلة « الهلال » والثانى فى « المختار من ريدرز دايجست » .

ولعل ذلك الدفاع من فعل هذا الحر الذى يغرى بالكسل ، وإن كان لم يمنع من النشاط فى الدفاع عنه !

دافع الأستاذ العقاد عن الكسل ، فكان من أحسن ما جاء فى دفاعه قوله : « وإذا كان الأخيار فى هذه الدنيا هم القلة النادرة وكان الأشرار فيها هم الكثرة الغالبة ، فهل يكون ترك الأعمال فى جملته إلا تركا للخير القليل والشر الكثير ؟ وهل يكون الكسل إلا « عملا » يرجح فيه الكسب على الخسارة ، ويربى فيه الاطمئنان والأمان على الخوف والبلاء ؟

« قال أستاذ يدعى النشاط : إن العصفور المبكر يلتقط الدودة قبل إخوانه ... فأجابه تلميذ قليل الادعاء : ولكن الدودة المبكرة هى التى تموت فى منقار ذلك العصفور » .

وقد ذكرنى قول الأستاذ الكبير « نحسبى الآن أن أرضى بالدفاع عن الكسل كلما أفرطت الحركة من غير بركة ، كما تفرط فى هذا الزمان » بما كتبته فى الأسبوع الماضى عن نشاط كثير من الناس فى تأليف الكتب ، وذكرت ما سمعته مرة من أحد « الناشطين » فى التأليف ، وقد قلت له : إنى أراك تنفق أكثر وقتك فى زيارة دور النشر للحث على إنجاز طبع كتاب أو لعرض كتاب آخر ، فمتى تؤلف هذه الكتب ؟ قال فى استهانة يطل من ثناياها الزهو : إننى أفرغ من الكتاب فى ليلة واحدة !

ألا ليت هؤلاء المؤلفين ، وأمثالهم فى غير التأليف ، يسكنون فما فى حركاتهم من بركة ...

أما الكاتب الصينى فقد جاء فى المقال الذى اقتطفه « المختار » من كتاب له ، فصل عنوانه « فن الكسل » بدأه بقوله « الثقافة بنت الفراغ والراحة . وأهل الصين يرون أن أحسن الناس ممارسة للكسل هو أحسنهم ثقافة ، ويبدو لهم أن هناك تناقضاً بين كثرة العمل والحكمة » وأحسبه يقصد بممارسة الكسل إراحة الذهن ليهضم على مهل وليسلم من الكد فيقوى على التفكير السليم وهو يرى أن من الفن الجميل أن تعرف كيف تدع الأعمال فلا تنجزها ، وأن تعرف كيف تصرف وجهك عن كل شىء لا ضرورة له .

ويقول « لن يوتانج » إن رذائل أهل أمريكا هى عند أهل الصين : قدرتهم على العمل ، ودقتهم فى أدائه ، وشدة حرصهم على النجاح ، ثم يوازن كسل الصينيين بنشاط الأمريكيين موازنة غريبة ظريفة ، لأنه يخالف فيها المقررات الاجتماعية المتفق عليها ، فالأمريكى يرى أن « مقاربة الإتقان ليست بكافية ، أما الصينى فهى عنده كافية كل الكفاية . لأنه يعتقد أن القدرة على العمل لا تدع لأحد فراغاً يروح فيه عن نفسه ؛ وأنها ترهقه بحرصه على إتقان الشىء الذى يعمله وضرب مثلا محرر مجلة أمريكية يقتل نفسه حرصاً على أن لا تظهر فى مجلته أخطاء مطبعية ، أما الصينى الحكيم فيسره أن يتيح لقرائه أن يستمتعوا بالرضى عن أنفسهم حين يعثرون على بضعة أخطاء يهتدون إليها بأنفسهم ، وأعظم من ذلك أن المجلة الصينية تستطيع أن تبدأ فى نشر قصة مسلسلة ، ثم لا تكاد تبلغ منتصف القصة حتى تسقطها من حسابها . ولو حدث مثل ذلك فى أمريكا لكان بلاء ماحقاً على المحرر » .

فهل لأستاذنا رئيس تحرير الرسالة أن يخفف من « أمريكيته » فى الحرص على خلو الرسالة من الأخطاء المطبعية ... ويأخذ بالحكمة الصينية فى ذلك .. على أن لا يكون هذا فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » !!

ووسوس الشيطان فى صدرى ، لأصطنع « فن الكسل » فلا أكتب هذا الأسبوع ولا أعنّى نفسى بجمع الرحيق من هنا وهناك ، وأقضى الوقت فيما يوحيه إلى ذلك « الفن الجميل » ولكنى لم أستطب ذلك لأسباب أهمها شعورى باللذة من انتظام العمل الذى تستريح إليه نفسى . ومن هنا أدركت أن المسألة ليست مسألة حكمة أو قانون يوضع للجميع ، وإنما ذلك يتبع الأمزجة والطبائع ، فالكسل الذى يتمتع به الصينى لا يحب الأمريكى الخلود إليه لأنه يتمتع بالحركة الدائبة . بل يختلف أفراد

الأمة بل الأسرة الواحدة فى الميول والنزعات ، وكما تعمل عوامل البيئات فى اختلاف الأجناس والأمم ، تعمل مفرزات الغدد فى اختلاف الأفراد .

النهوض بالمسرح :

أثيرت مسألة المسرح المصرى فى الأيام الأخيرة ، إذ أبدى بعض رجاله والمهتمين به ألمهم وجزعهم مما وصل إليه ، وعملت بعض الهيئات الفنية على الدعوة إلى النهوض به ؛ فقد كتب الأستاذ يوسف وهبي بك نقيب الممثلين فى مجلة « دنيا الفن » مقالا بعنوان «المسرح المصرى يحتضر» قال فيه إن حالة المسرح المصرى اليوم هى بلا شك حالة النزع ، وألقى تبعة تدهوره على الحكومة لأنها أهملت إعانة الفرق المسرحية ، وقصرت عنايتها على الفرقة المصرية التى وصفها بأنها « أشبه بمؤامرة على الفن المسرحى المصرى » .

وأعلن اتحاد الفنيين المصريين دعوته إلى مؤتمر للمسرح المصرى يعقد بالقاهرة فى منتصف سبتمبر القادم ، تشترك فيه الهيئات الحكومية وكبار المشجعين للفنون الجميلة والمشتغلين بها فى مصر والعالم العربى .

والواقع أن المسرح فى مصر يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فقد انفضت فرقه ، ولم يبق له إلا الفرقة المصرية التى ترعاها وزارة الشئون الاجتماعية ، وهذه الفرقة تضم صفوة الممثلين والممثلات فى مصر ، والحكومة تسخو عليها ، وهى مع ذلك تتعثر فى خطواتها ، ويظهر أنها قد استمرأت التوانى والتثاقل فى ظلال الحكومة فجعلت تعيش الزمن الطويل على بضعة روايات قد حفظ الممثلون أدوارهم فيها ومل الجمهور مشاهدتها ، وهى هى فى الشتاء وفى الصيف ، فقد لاحقتها فى مصيف رأس البر ثم فى الإسكندرية ، فكان من الطبيعى ما منيت به من الإخفاق وفى يوم الأحد تضمن برنامج الإذاعة تمثيل الفرقة المصرية رواية لويس الحادى عشر بمسرح الهمبرا بالإسكندرية ، فإذا بنا نسمع فى الموعد المحدد لهذه السهرة تمثيلية « الموت ياخد أجازة » وهى من « مسجلات » الفرقة أيضاً ، وإذا بنا نسمع صوتاً فى أثناء الفصل الثانى يرتفع قائلا : (عاوزين نسحر !) وهذا يدل على ضيق النظارة بالتمثيل وقد يضاف إليه حر المكان الذى لا يطيقه الوافدون من شاطىء البحر … وقد انقطع التمثيل فترة ، ثم استؤنف !

والذى نراه من أسباب هذه الأزمة المسرحية :

١ - ضعف حركة التأليف المسرحى ، فأكثر الروايات التى تعرض إما مترجمة أومقتبسة ، والجمهور متعطش إلى المسرحيات المصرية القوية التى يرى فيها صورة نفسه .

٢ - إهمال الفرق الأهلية الذى أدى إلى قعودها عن العمل فانعدمت المنافسة بين المسارح .

٣ - عدم وجود المسارح الملائمة وخاصة فى الصيف ، وهذه القاهرة العظيمة ليس بها مسرح صيفى واحد وحبذا لو أنشىء هذا المسرح الصيفى وبجانبه آخر شتوى على أرض ثكنات قصر النيل التى اختلفت الآراء فيما يشغلها .

٤ - ارتفاع أسعار دخول المسارح الذى صرف الناس عنها إلى (السينما) .

وإقالة المسرح من عثرته إنما تكون بتلافى أسبابها ، ونرى من الأسباب المتقدمة أن أكبر الجهد فى إزالتها إنما يرجى من الحكومة ؛ وما دامت الدولة تعترف بأن المسرح اراق من وسائل التثقيف والتنوير فلابد أن تبذل ما فى وسعها لإحيائه وتمكينه من تأدية رسالته . وهى تنفق الكثير فى استقدام الفرق الإيطالية والفرنسية والإنجليزية للتمثيل بالأوبرا لفائدة الطبقات العالية ، فحق سائر الشعب عليها أن تيسر له موارد هذا الفن ، فتحقق « تكافؤ الفرص » فى التثقيف العام كما تعمل على تحقيقه فى التعليم المدرسى .

« العباس »



في أعقاب الثورة المصرية

(تأليف الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك)

وقف بنا صاحب العزة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك منذ عام عند المرحلة الثامنة من مراحل تاريخنا القومي الحديث، بعد أن وضع بين أيدينا المجلدين العاشر والحادي عشر من معلمته التاريخية، وهما اللذان صور فيهما ثورة سنة ١٩١٩ أصدق تصوير، وما كان له أن يدعنا عند هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا حتى يظهرنا على ماوقع في أعقاب هذه الثورة من احداث، وما تقلبت فيه من أطوار

انفجرت براكين الثورة المصرية في عام سنة ١٩١٩ فانبعث فيها غضب أربعين سنة ذاقت فيها البلاد من ظلم الإنجليز ألواناً وأنواعاً، وقد وقفت الأمة في هذه الثورة صفاً واحداً كأنها بنيان مرصوص إذ كان الغرض الذي تجاهد من أجله واحداً وهو إسعاد مصر وتحريرها. وبحسبك أن تعرف أن هذه الثورة قد هزت أركان الأرض، والتفت إليها الدهر، وعلى زمجرة رعودها استيقظ الشرق كله ليأخذ في الحياة حقه ويسترد منها ملكه

ظلت هذه الثورة بروعتها وجلالها عامين كاملين ثم دب إليها داء الشرق المستعصي على الدواء — داء التفرق — فانتقل الجهاد من الميدان القومي إلى الميدان الشخصي، وبعد أن كانت البلاد في ثورتها تسير على نهج مستقيم لا عوج فيه فإنها قد انقلبت في أعقاب الثورة تعتسف في سيرها ولا تهتدي إلى طريق يجمعها وظلت أكثر من خمس سنين على اعوجاجها ثم فاءت إلى رشدها فجمعت شملها ولكنها لم تلبث غير عامين حتى عاودها داؤها فافترقت — ولا تزال وا أسفا ! !

وهذا الذي قد أصاب البلاد بعد ثورتها من فرقة واختلاف قد تولى بيانه ودراسته مؤرخ هذا العصر الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك في مؤلفه الجديد (في أعقاب الثورة المصرية)

ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب وقد بدأه حضرة المؤلف بتفصيل القول في الانقسام الداخلي الذي أصاب البلاد في سنة ١٩٢١ وما جرى على أثره وانتهى إليه ومضى يتحدث عن الوفد الرسمي وما ثار حوله من خلاف كبير أدى إلى خذلان الأمة وضعفها، وتكلم بعد ذلك عن تصريح ٢٨ فبراير الذي استخلصه ثروت باشا من الإنجليز وتأليف حزب الأحرار الدستوريين؛ ثم أشار إلى العقاب التي أقيمت في سبيل ثروت باشا فأودت بوزارته وذلك بعد أن قامت لجنة الثلاثين بوضع مشروع الدستور المصري، وواصل الحديث عن وزارة نسيم باشا وما كانت تحاوله من مسخ مشروع الدستور وإلى كفاح جميع الأحزاب في هذا السبيل حتى ظفرت البلاد بدستورها بعد أن حذف منه كل ما يتصل بالسودان، وأخذ يتقصى ما توالى من الحوادث بعد ذلك من تأليف حزب الاتحاد في سنة ١٩٢٥ والانتخابات التي أجرتها حكومته، وما انتهى إليه الأمر من ائتلاف الأحزاب في سنة ١٩٢٦ والانتخابات التي دعا إليها هذا الاتحاد وتأليف الوزارات الائتلافية، ووزارة عدلي باشا في يونية سنة ١٩٢٦ ووزارة ثروت باشا في ابريل سنة ١٩٢٧، وظل يساير الحوادث ويعللها إلى أن مات سعد في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

هذه لمحة دالة على بعض ما جاء في هذا الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم. وليس الشأن في عرض الحوادث وإيراد الوقائع لأن ذلك أمر يسير على من يتتبعها أو يتطلبها وإنما الشأن كل الشأن في تعليل هذه الحوادث والحكم عليها بالحق والعدل من غير مجاملة ولا خوف رضى الناس عن هذا الحكم أو غضبوا

لقد كانت الحقبة التي بين سنة ١٩٢١ و٩٢٦ من أصعب الحقب التي مرت على البلاد، فيها اجتازت القضية المصرية أشق مراحلها وأوعرها وذلك بما تجلى فيها من الصراع الداخلي بين زعماء البلاد وقادتها، وكان منشأ الخلاف التنازع على رئاسة المفاوضات واستعر لهيب هذا الخلاف حتى شمل البلاد جميعاً فانقسمت الأمة

شيماً وتفرق جمعها بدداً ، والتنازع ولاريب يؤدى إلى فشل الأمة وذهاب ريحها ، ثم امتد هذا الخلاف إلى الدستور وكيف تحكم البلاد ، وقد كان كل حزب يعمل فى هذه الحقبة لنفسه ، ولا يريد إلا أن تكون البلاد تحت حكمه

من أجل ذلك كله وغيره كان تاريخ هذه الحقبة ثقيلا لا تنهض به إلا النفوس الكبيرة التى لا تؤثر على الحق شيئاً ولا تهاب فى سبيل الجهر به أحداً ، وهذه الصفات لا تتوافر إلا فى مثل المؤرخ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك ذلك الذى قضى ما قضى من عمره المبارك فى سبيل خدمة بلاده بإخلاص وأمانة

ولا ريب فى أن مؤرخنا الجليل قد أدى فى هذا الجزء ما يؤدى المؤرخ الصادق الأمين فأخرجه فى أصدق رواية وأوفى بيان وأحسن معرض وهى شنشنته التى عرفناها منه فى سائر المجلدات التى تتألف منها موسوعته التاريخية العظيمة وقد بلغت اثنتا عشرة مجلدة

وإن مثل هـذا العمل العظيم ليوجب على كل مصرى أن يسدى له من أجله أطيب الثناء وأجل الحمد .

ابن وضاح

عثمان بن عفـــان

(تأليف الأستاذ صادق إبراهيم عرجون)

هذا كتاب لم يزل موضعه خالياً فى المكتبة العربية حتى جاء الكاتب النابغة الشيخ صادق ابراهيم عرجون الأستاذ بكلية اللغة العربية فملأ هذا الفراغ . ومنذ قرون طويلة والراغبون فى المعرفة يتلفتون ذات اليمين وذات الشمال ليجدوا مخرجاً يطمئنون إليه فيما أحاط بالخليفة الراشد عثمان بن عفان من فتن وأحداث ، وقد كانوا يجدون الكلمة والكلمتين فى الفينة بعد الفينة ولكن ذلك لم يكن يروى غلة المتعطش إلى وجه الحق فى هذه الأحداث فيبقى حائراً مبلبل الفكر ، مضطرب الرأى ، يضرب على غير هدى ، ويخبط فى ظلمات مضلة ، مما حدا بالعلماء من قديم إلى أن يغلقوا باب الخوض فيما كان بين الصحابة من خصومات ومقاتلات (رحمة بالناس أن تزل بهم قدم الشبهات ، أو ينفلت من يدهم ميزان التقدير للحوادث وبواعثها ، والأشخاص ومقاصدها ، فلقنوا تلاميذهم ، وأخذوا عليهم أن يلقنوا تلاميذهم جيلا بعد جيل هذا المبدأ . وأول التشاجر الذى ورد تمكينا لحسن الظن بأولئك الأسلاف الذين بنوا أضخم بناء فأحسنوا تشييده ، ووطدوا تأسيسه ، فعجز الخلائف عن حراسة هذا البناء العظيم بأعمالهم ، ولم تبق لهم إلا ألسنة لو أطلقت من عقلها بغير رقابة لقالت فى السابقين الأولين [1] » بيد أن هذا الحجر على العقول والأفكار لم يمنع أن يقول الناس وأن يتقولوا وأن يخوضوا فى هذه المعتركات بما شاء لهم العقل والهوى ، والإيمان والكفر، فكان من الحتم أن يتناول الباحثون هذه المسائل بشىء كثير من البسط والإيضاح حتى تطمئن العقول إلى الرأى السديد ، وتبصر الحق واضحاً جلياً ، وكان الأستاذ عرجون أبلغ من تصدى لموضوع عثمان بن عفان فأخذ المسألة من جميع أطرافها ، وتناولها من ألفها إلى يائها كما يقولون ، فدرس درساً مستفيضاً ووازن بين الروايات وأحسن وزنها وأخرج للاسلام وللعربية هذا الكتاب . وقد حاول المؤلف القضاء على كثير مما وقر فى أذهان الخاصة والعامة مما يقدح فى سلامة تصرفات ذى النورين ، وقد وفق فى كثير . وانه ليحسن الحجاج ، ويوفق فى الجدل ، ويرمى برأيه غير هياب ولا متردد ، إقرأ إن شئت قوله ص ٨٦ (لقد وقع فى أوهام كثير من الناس ، وتحدر إلى منازل التاريخ ، ولقن شباب المسلمين فى المدارس، ومعاهد التعليم، أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان ضعيفاً فى موقفه إزاء هذه الأحداث العاصفة ، أو كان مستضعفاً يساق إلى ما يراد . وهذه غلطة تاريخية خطيرة فى حق ثالث عظماء الإسلام ، يجب على كل مسلم سليم العقيدة صحيح الفهم لتاريخ الإسلام أن يعمل على تصحيحها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فما كان أيسر على عثمان — لو أراد — أن يصنع صنيع يزيد بن معاوية فيتخذ له ولاة من نظائر زياد (كذا) وابنه عبيد الله ، أو مثل صنيع عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فيحكم فى رقاب المسلمين أشباه إخيفش ثقيف ممن استباحوا البلاد وأذلوا العباد حتى تدين له الدنيا ويصفو له الملك) ثم يردد هذا المعنى فى موضع آخر فيقول (وهل كان عثمان رضى الله عنه عاجزاً أن يتخذ لنفسه « حجاجاً » يجعله جلدة ما بين عينيه

(١) عثمان بن عفان ص ١٥

ويسلطه على أبشار الأمة بسياط القهر والجبروت ، ويطلق يده في دمائها يعب منها ما يشاء حتى تخضع وتذل ، وحوله من ذؤبان العرب ، وفتيان أمية ، من يستطيع أن يصطنع منهم العدد الكثير ممن غلظت أكبادهم ، وقست قلوبهم ؟) . وهكذا يمضي المؤلف قويا متحمساً يدفع عن عثمان ما « وقع في أذهان كثير من الناس »

ولا يمكن من يكتب عن هذا الكتاب أن يتجاهل أسلوب المؤلف فيه ، هذا الأسلوب الناصع الديباجة ، القوى الأسر ، العربي الرصين ، وإن ذلك تجده في كل صفحة من صفحات الكتاب

هذا وإننا لنقف قصيراً مع المؤلف في هذا النهج الذي انتهجه ، فقد جعل اللبنة التي أقام عليها بناء كتابه دراسته لأخلاق عثمان الشخصية ، وذلك حين يقول : (وقد تأكد عندي أن أعدل ميزان لوزن الرجال وتقدير أعمالهم ، ومعرفة الصحيح من الزائف فيما ينسب إليهم ، وكتابة سيرهم كتابة تقربها من الحق والإنصاف إنما هو دراسة أخلاقهم الشخصية ، وتعرف أحوالهم في حياتهم حتى يمكن الباحث أن يصنع من هذه الدراسة « صنجة » يزن بها كل ما يصادفه في طريق البحث من رأى أو مذهب أو رواية (١)) فمع أن هذه « الصنجة » قد حررت الميزان في كثير إلا أنها لم تنفع في بعض الأحايين ؛ فإن المؤلف درس أخلاق عثمان الشخصية ، واتخذ منها أساساً يبني عليه حياته العامة ، فكان متجهه دائماً تبرير أعمال عثمان ، والتماس الصواب ولو كان بعيداً . وهذا وإن أرضانا كمسلمين فإنه لا يرضينا كباحثين متطلبين لوجه الحق في أحداث التاريخ . وإنه ليسر كل مسلم أن لا يجد مطعناً في أعمال صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف وليس أحد معصوماً إلا الأنبياء ، على أن الباحث حين يصل به البحث إلى أن يأخذ على عثمان شيئاً لا يكون بذلك قد أغضب العقيدة الصحيحة ، ولا يكون إسلامه مدخولا) وإن له في ابن عمر رضي الله عنه لأسوة حين سئل عن فرار عثمان يوم احد فأجاب « أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له » وهذا المذهب الذي ذهبه الأستاذ في التأليف جعله يبرر أعمالا لا يطمئن المنصف إلى تبريرها ، فأي وجه للصواب في موقف عثمان من جهجاه الغفاري الذي يقول الأستاذ في تبريره » ولين عثمان وحلمه أطمعا جهجاها الغفاري في أن يأخذ من يد عثمان وهو على المنبر عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب بها فيكسرها) ؟ وهل تساس الجماهير بمثل هذا الحلم ؟ أن قائلا لو قال : كان هذا منتهى الضعف من عثمان رضي الله عنه ، وكان بعيداً كل البعد عن سداد السياسة الرشيدة الحازمة ، لو قال ذلك لم يبعد عن وجه الحق . كما أن المؤلف أطال الدفاع عن عثمان في إيثاره أقاربه ، واختصاصهم بعطفه وبره دون أهل السابقة من الإسلام ، ولكنه مع ذلك لم يقرطس الهدف ، ولم يبلغ الغاية . ولا يزال هذا الأمر يحيك في النفس . وقد أعجبني من المؤلف أنه قدم بين يدى القول فيما كان بين على وعثمان اعتذاراً عن معالجة هذا الموضوع ، والأخذ فيه « هذا الفصل لم يكن القلم فيه بليل الريق ، طيع القيادة ، ولكنه كان وقافا ، كثير التلفت ، كثير الحذر ، وأنا اشهد الحق أني عذرت قلمي ، وعذرت نفسي ، فإن عذرني الناس فنعما هي ، وإن أبوا فما أحب أن أرضيهم بسخط الله تعالى وسخط البحث ، وإن من حق البحث على الباحث أن يترفق به في المضايق ، وأن يتئد معه في الخطو عند المزالق ، وأن يتثبت عند اشتجار الآراء ، واختلاف المذاهب ، وتضارب الروايات »(١)

ومهما يكن من شيء فلا يسعنا إلا أن نشهد للمؤلف الفاضل بالبراعة ، وقوة الحجة ، وسداد المنطق ، وهي فضائل شاعت في أكثر فصول الكتاب ، وحسب مؤلف في هذه الفتن العمياء من تاريخ الإسلام أن يكون هذا نصيبه ، وأنه لنصيب قل من الرجال من يظفر به .

على العماري

(١) ص ١٦٤

(١) ص ١٦٤



خير الأمور الوسط :

حكمة تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل، وهى محتفظة بصدقها، سعيدة بذيوعها على كل لسان وفى كل مجال ، ولكن الدكتور أمير بقطر جاء أخيراً وتنكر لها ونقضها من أساسها ؛ فزعم أن « شر الأمور الوسط » وأن الناس جروا فى حكمتهم على غير الرأى الرشيد ، وأنها حكمة وليدة الضعف والاستخذاء وفتور الهمة ، وراح يحكم حكمه القاسى على هذا «الوسط» الذى وصفه الحكيم بأنه « خير الأمور » فى مقاله الذى نشر فى عدد سابق من مجلة الهلال الشهرية فيقول :

« إن أسهل الأشياء وأقلها خطراً وأسلمها عاقبة ، الوسط ، ولكنه أقلها إنتاجاً وأبخسها ثمناً ، وأسرعها زوالا ، وأخفها أثراً فى النفوس . وما الرجل الوسط المسالم إلا ذلك الخامل الجبان الذى يخشى النقد ويتفادى الهجوم والدفاع ويسعى إلى السهل » .

من ذلك الطرف الذى نقلناه من صلب كلام الأستاذ فى تجريح « الوسط » يفهم القارىء أنه حمل الكلمة على غير معناها اللغوى المقصود ، وسار بها فى غير وجهها ، وحملها وزر المعنى العامى الذى تداولته الألسن فى معنى الوسط ، فظنوه القناعة من السعى والعمل والجد والدأب بما دون الكمال . ولعمرى ! إن طالباً ينال فى درجات علومه ٦ من ١٠ وهى الدرجة المتوسطة ليس هو بخير التلاميذ .. بل إن خيرهم لهو صاحب العشر الكاملة

وهل يجترىء مجترىء على تسمية الرضا بما دون الكمال « خير الأمور » ؟!.. هذا ما لم يقل به أحد .

فللوسط إذن معنى لغوى حقيقى غير المعنى الذى تبادر إلى ذهن الدكتور .

الوسط محركة من كل شىء خيره وأعدله ، قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » والمقام هنا مقام التمدح بالكمال

ويؤيده قوله تعالى فى آية أخرى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فهذه الأمة التى حكم الله بأنها خير الأمم هى التى جعلها أمة وسطاً .

ومما يدل أيضاً على أن الوسط غير ما فهمه الأستاذ قوله تعالى فى سورة القلم «قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون» وأوسطهم الذى وقف منهم موقف النصح والإرشاد هو خيرهم وأعدلهم من غير شك .

وهذا ابن الرومى يقول فى رثاء أحد أولاده :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد

ولم يرد ابن الرومى أن يخبرنا أن ولده المتوفى هو الثانى أو الثالث ... وإلا كان مضحكا ! . ولكنه يريد أن يقول إن الموت اختار خير صبيته ، ولذلك شبهه بواسطة العقد ، والموت نقاد

فلعل الأستاذ الدكتور بعد الذى أوضحناه يعيد للحكمة اعتبارها بعد أن جرحها وتنكر لها ، والرجوع إلى الحق فضيلة والسلام .

مصطفى محمد ابراهيم

المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية

الأدب بين مصر ولبنان :

علق « العباس » فى العدد ٧٣٤ من هذه المجلة على كلمة لى نشرت فى الجزء الرابع من مجلة « العالم العربى » تحدثت فيها عن عدم احتفال الأدباء المصريين بالأدب اللبنانى . ولست أودُّ هنا أن أثير الموضوع إثارة جديدة على الرغم من أنه ينبغى أن يُثار دائماً لمصلحة الأدبين جميعاً — وإنما يهمنى أن أتناول عبارة وردت فى تعليق « العباس » هى قوله :

« إن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ... ويرون فيه غضاً من شأنهم ، والمصريون أهل حساسية و « ذوق » وهم حريصون على مودة إخوانهم فى العروبة » .

وهذا — فى الحق — كلام عجيب فى مخالفته للواقع وفى منطقه . فأين الدليل على أن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ؟ وأى أديب لبنانى يحترم نفسه

وأدبه غضب وثارحين نقد أحد المصريين كتابه؟ أيكفى «العباس» أن يُلقى القول إلقاء دون ما حجة أو برهان حتى يصدقه الناس؟

وأية تهمة يلصقها «العباس» بالأدباء اللبنانيين، أهم سذّج إلى هذا الحد حتى لا يقدروا النقد النزيه؟ وهل بلغ بهم ضيق الصدر والفكر أن ينكروا النقد الخالى من شوائب الأغراض؟ ثم إن «العباس» يُطلق الكلام إطلاقاً دون ما تمييز ودون ما تفهم لنتائجه، فإن القارىء يدرك من عبارته أن المصريين حين يودون نقد كتاب لبنانى، فينبغى أن يهاجموه ويجرحوه، سواء أكان أهلا للجرح والمهاجمة أم كان أهلا للاطراء والثناء ...

وانظر ما أعجب هذا المنطق فى قول «العباس»: إن المصريين أهل حساسية و«ذوق» وهم حريصون على مودة إخوانهم فى العروبة» فأى شأن للعروبة هنا؟ أترى اللبنانيين يتنكرون للعروبة إذا نقد المصريون أدبهم، بل حتى إذا هاجموه مهاجمة؟ ومن ذا الذى يقول إن العروبة تقتضى المصريين أن يُراعوا اللبنانيين فى أدبهم أو أن يداجوهم أو أن يسكتوا عنهم إذا كان فى الأدب ما يستحق النقد؟

القضية ليست قضية «حساسية» و«ذوق» و«مودة فى العروبة»! بالأمس كان إخواننا المصريون يعللون عدم اكتراثهم للأدب اللبنانى بضعف الدعاية لهذا الأدب، ثم بارتفاع أسعار مؤلفاته ثم بكثير من التعليلات الأخرى ... وها أن «العباس» اليوم يطلع بتعليل جديد: هو أن اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد المصريون مؤلفاتهم نقداً حراً ... وغداً يأتى من يقول غير ذاك وهذا ...

الواقع أنه يجب أن نتكاشف ونتصارح: إن إخواننا الأدباء المصريين مقصرون فى حق آداب البلاد العربية الأخرى، فى لبنان وسوريا والعراق وفلسطين، خلافاً لموقف هذه البلاد من أدبهم ... ويجب أن يعترفوا بهذا التقصير، فهذا وحده يدعوهم إلى تلافيه وإلى سد نقصه ...

(بيروت) سهيل ادريس

الاستعمار الثلاثى:

لعل قراء الرسالة جميعاً قرأوا أو سمعوا بخبر تلك البدعة الفرنسية الجديدة التى ابتدعوها لنا فى السنوات الأخيرة، وهى انتخاب ملكة الجمال فى مصر، فى حفل عام ...

وكان آخرها ما أقيم بأحد (المراقص المشهورة) فى آخر ليلة من الشهر الأفرنجى المنصرم، وفى منتصف شهر رمضان!

ولا نود أن نخوض هنا فى حديث دينى، فلم يكن شهر رمضان لمثل هذه الحفلات، ولكنه كان لشىء أكرم من هذا.

ولقد قام بتنظيم هذه الحفلة، كما لملك قدعلمت، معهد كليتيا للتجميل من باريس، ومعامل عطور لانسيل من باريس أيضاً!

ولماذا كان من باريس؟

ولماذا لم يكن من لندن أو نيويورك؟

لعل هذه القوى الثلاث — باريس ولندن ونيويورك — اتفقت فيما بينها على أن تضطلع كل واحدة منها بناحية من النواحى الاستعمارية التى تجيدها.

أما نصيب باريس فكان فى هذه الحفلات.

وهذا هو نفس ما حذر المارشال بيتان — مرشال فرنسا الجريح — أبناء بلاده منه، وهو ما ادعى أنه كان السبب فى تدهور الفرنسيين وانحلالهم وهزيمتهم الشنيعة، ودعاهم إلى التمسك ببعض الأخلاق!

والذى يعنينى من كل هذا، ويؤلمنى، هو أننا نحن الشرقيين دائماً ميداناً هؤلاء الغربيين وحقلهم الذى يجرون فيه تجاربهم، بل مطاياهم وحميرهم!

فيا أيها الشرقيون عامة، احذروا الاستعمار الأوروبى الثلاثى: السياسة الإنجليزية، والقرض الأمريكى، والجمال الفرنسى!

وبهذا وحده تفلحون ...

حسين الغنام

تطبيع واضح:

ظهر المقال الثانى من عشاق الطعام بالعدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء مبتدئاً بهذه الفقرات «النهار طويل ممل، والقيظ لافح محرق، وقد هجم رمضان» وهذا كلام ليس فى موضعه، وإنما هو تطبيع، أفسد التركيب، ورَبَك السياق.

محمد رجب البيومى



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

« مهداة إلى صديقي وأخي السيد محمود علي عمرو مع تقديري وإعجابي ... ... »

كان الشيخ إدريس بن أحمد يقيم في إحدى المدن الأسبانية الجميلة التي يزدان بها شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، ذلك البحر الذي كان يحق أن يطلق عليه في ذلك العهد « بحر المسلمين » فقد كانت مياهه تتدفق في أراض إسلامية ، وكانت أعلام المسلمين تخفق على شاطئيه بالعدل والحرية والإخاء والمساواة ، وتملأ القلوب هيبة وتوقيراً للمؤمنين الذين عمرت أفئدتهم بالثقة بالله فملكوا الدنيا ودان لهم العالم.

وكان منزل الشيخ في الجانب الساحلي من تلك المدينة كعبة القاصد وملاذ المحتاج ، وقد كان الشيخ واسع الغنى وافر الثروة ، وقد اصطلح الناس على تسميته شيخ الأندلس لغناه الفاحش وثرائه العريض ولم يكن قد ورث الغنى عن آبائه ولا عن أجداده ولا كان من الذين ولدوا وفي أفواههم ملعقة من ذهب كما يقول المثل ، ولكنه جمع هذه الثروة بجده وكده حتى أضحى الذهب يسيل من بين أصابعه

ولد إدريس من أبوين فقيرين في جزيرة العرب ، ونشأ في ظلال الحاجة وتربى في ربوع الفاقة ، لكنه نشأ قوي الإيمان ، صادق العزيمة ، متين الخلق ، وخاض معترك الحياة ، لا يعرف الملل ولا يتطرق إليه اليأس حتى وصل إلى قمة المجد في الغنى والجاه

ولكن في غير وطنه ؛ فقد أبى الحظ أن يبتسم له في جزيرة العرب ، وضن عليه حتى بلقمة الخبز يتبلغ بها ، فكان ينتقل بين المدن والقرى يبحث عن عمل يستدر منه قوت يومه ، ولكن نحس الطالع كان يلازمه أينما حل ، وسوء المصير كان يتعقبه حيثما سار ، ومع ذلك لم يدع اليأس يتسرب إلى قلبه وكان دائماً يردد في ثقة المؤمن ، وإيمان الواثق قول الله تعالى « ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وكان يحس في ترديدها برد الراحة واطمئنان القلب ، وهدوء البال ، وينسى ما يلاحقه من فشل ثم يبدأ جهاداً جديداً ، وهو أتم ما يكون يقيناً أن الله سيجعل بعد عسر يسراً.

ولما طرق كل المناطق في جزيرة العرب ، وانسدت في وجهه كل أبواب الرزق ، شخص إلى الشام ليجرب حظه هناك ، ولينتظر قضاء الله فيه ... ولكن الدنيا وانته في « سوريا » وتحول فيها مجرى حياته ، فقد كان يؤدي صلاة الظهر في أحد مساجد دمشق فلما قضيت الصلاة ، وانتشر الناس في الأرض ، ولم يبق في المسجد إلا أفراد معدودون ، انزوى في ركن من أركانه بجوار أحد الأعمدة ، وغرق في بحر من التأمل والتفكير ، فاسترعى نظره رجل إلى جواره ، مهيب الطلعة ، طلق المحيا ، جسيم وسيم ، فانتقل إلى جواره ، وبعد أن حياه قال له :

— من أي بلاد الله أنت أيها الشيخ ؟ فليس على وجهك طابع هذه البلاد ؟ . فقال له إدريس :

— إني من بلاد الحجاز يا سيدي ، وقد صدقت فراستك .

— ولماذا نزحت إلى هنا ؟

— لأبحث لي عن عمل أرتزق به

— أتجيد القراءة والكتابة ؟

— ما أنا بقارئ ولا كاتب .

— وماذا تمتهن إذن ؟

— إنني ماهر في تربية الخيول وركوبها ، وحاذق في الرماية وإصابة الهدف .

— عجيب جداً ! كيف تكون كما تقول ولا تجد لك عملا ؟

— هي إرادة الله يا سيدي ، وليس هذا عملا مربحاً عندنا ، وعلى المسلم أن يرضى بما قسم الله له ، وأن يكد ويسعى في طلب

العيش من وجه حلال ، وما وراء ذلك فالأمر موكول فيه لله عز وجل .

— اسمع يا أخى !.. إننى غريب عن هذه الأوطان ، وقد جئت هنا للتجارة ، وسأرجع إلى « الأندلس » وطنى ومسقط رأسى بعد أيام قلائل ، وسأكون سعيداً إذا رافقتنى إلى بلادى وقبلت أن تعمل معى .

— إنى أقبل شاكراً ، ولكن أى عمل تكل إلى أداءه ؟

— قد سمعتك تقول آنفاً إنك فارس مبدع، وراشق ماهر. سيكون هذا عملك ، لأنى سأنيط بك حراستى فى حلى وترحالى .

— ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً .

— ذلك ما كنا نبغى .

ولم تمض إلا أيام تعد على أصابع اليد حتى كان إدريس يرافق القافلة الصغيرة إلى بلاد الأندلس ، ويقضى النهار فى حث الإبل على مواصلة السير . فإذا ما جنّ الليل . . . وادلهمت جوانب الكون ، حطوا رحالهم ، ونصبوا خيامهم ، وامتشق إدريس ورفاقه سيوفهم ، وقضوا الوقت فى حراسة المتاع ، والحفاظ على التاجر .

وبعد رحلة شاقة ، وسفر ، بلغت القافلة مرفأ على الشاطىء الإفريقى المواجه لبلاد الأندلس ، اعتاد التاجر أن ينتقل منه إلى الشاطىء الآخر ، وكان إدريس — طوال هذه الرحلة — مثالا للرفيق المخلص ، والحارس الأمين ، دائب السهر على خدمة سيده ، مجداً فى تهيئة الراحة له ، حتى انتزع إعجابه ومحبته ، ونال رضاه وتقديره ، ولقد كان للبيئة الإسلامية التى تربى إدريس فيها كبير الفضل فى غرس الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة فى نفسه ، فنشأ مخلصاً أميناً ، وفياً كريماً ، فانطوت القلوب على محبته ، وامتلأت النفوس له احتراماً .

ولقد تهيأت الفرصة التى تجلى فيها إدريس على حقيقته ، وطبعت فى قلب سيده حبه فى أعنف مظاهره ؛ فقد حطت القافلة الرحال على نصف ميل من المرفأ فى ليلة اعتكر ظلامها ، وخبا نجمها ، وجعلت خيمة التاجر فى الوسط ، وأحاطتها بسائر الخيام وكان عليها أن تعسكر فى هذا المكان أسبوعاً كاملا إلى أن تعود السفينة التى تنتقل بالمسافرين من شاطىء إلى آخر ، وكان التاجر قد طال غيابه عن أهله ووطنه ، فحمل فى عودته كثيراً من التحف النادرة ، والهدايا الثمينة ، والأوانى الذهبية ، ليتحف بها ذويه وعشيرته الذين برح به الشوق إليهم ، وكانوا جميعاً يقضون النهار فى الراحة ورعى الدواب ، ويقضون الليل فى السهر والحراسة .

وإنهم لفى أصيل يوم من الأيام يتأهبون لعملهم الليلى إذ لاح لهم عن بعد نقطة سوداء ، فوق صفحة الماء ، كانت تزداد كبراً ، كلما ازدادت منهم قرباً ، ولقد تبين فيها حراس المرفأ سفينة صغيرة ، « للقراصنة » فبذلوا جهدهم لإبعادها عن الشاطىء ، ووزع الضباط رجالهم على الساحل ، ليتبادلوا الحراسة طول الليل ، وكذلك فعل رجال القوافل الذين كانوا فى انتظار السفينة لتقلهم إلى الشاطىء الأسبانى عند ما علموا أن المركب « للقراصنة » وأنهم سينالون منهم لا محالة ....

وقد أمر التاجر رجاله أن ينظموا خطط الدفاع والمقاومة ، وأن يتبادلوا مع إدريس المشورة والحراسة ، وكان الظلام قد أسدل ستراً كثيفاً على الخيام ، ولف الكون هدوء شامل ، عند ما فوجىء القوم بضجة وجلبة على الشاطىء ، وعلموا أن القراصنة أقرب إليهم من حبل الوريد ، فقد أرسوا سفينتهم ، ونزلوا إلى الأرض فى مكان لم يقدر الحراس أنهم يستطيعون النزول فيه فأهملوا حراسته .

كان إدريس قد غادر موضعه إلى ظاهر الخيام ليقضى حاجته ، وترك رفاقه يحرسون المتاع ، وقد أخذوا الأهبة وأتوا الاستعداد، ولكن القراصنة كانوا حريصين على أن يصلوا إلى أغراضهم عن طريق الحيلة من غير أن يستعملوا سلاحاً ، أو يريقوا دماء ؛ فهم يعلمون أن المسافرين يكثرون من الأتباع لحراستهم ومرافقتهم ، وأن هؤلاء الأتباع يستهويهم المال ، فنادى رئيس القراصنة وقائدهم قائلا :

— أيها الحراس ! يا من ترافقون القوافل من أجل المال ! إنى أعدكم أننا سنشاطركم متاع هؤلاء التجار إن أنتم ألقيتم السلاح وعاونتمونا فى حزم وحمل الأمتعة إلى الشاطىء وسنتحملكم على سفينتنا إلى حيث تريدون .

(يتبع)

وهبى إسماعيل حقى

عضو البعثة الألبانية بالأزهر الشريف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٧ — الاثنين ١٨ أغسطس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة
بين الروحانية والمادية ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٨٨٧
فرنسا ومستعمراتها ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ٨٨٩
على ثلوج حزرن ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ٨٩٢
العيد ... ... : السيدة الفاضلة منية الكيلانى ... ٨٩٥
حول التنويم المغناطيسى ... ... : الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى ... ٨٩٧
« طاعة » الشام ! ... ... : الأستاذ على حيدر الركابى ... ٨٩٩
الحب ... ... : الأستاذ حامد بدر ٩٠١
واضع علوم البلاغة ... ... : الأستاذ على محمد حسن العمارى ... ٩٠٢
سمو ... ... (قصيدة) : الآنسة « دنانير » ٩٠٥
رمضان ... ... « : الأستاذ محي الدين صابر ٩٠٥

« **تعقيبات** » : الدكتور عبد الوهاب عزام بك — هذه المؤتمرات — ٩٠٦
وكم ذا بمصر من المضحكات — الكاتب المتفيء والكاتب الحاسب ... ٩٠٧

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : الفن والبيئة المصرية — السجل الثقافى ٩٠٨
— المؤتمر الثقافى — السينما والأهداف القومية — الأدب بين مصر ولبنان ٩١٠

« **البريد الأدبى** » : فى اللغة فعلاء — خير الأمور الوسط أيضاً — نعم
الضمير معلش — تصحيح بيت — إلى الأستاذ « الجاحظ » ٩١٢
شيخ الأندلس ... ... (قصة) : بقلم الأديب وهبى اسماعيل حقى ٩١٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٣٧ - الاثنين ١٨ أغسطس ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

	صفحة
بين الروحانية والمادية ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد	٨٨٧
فرنسا ومستعمراتها ... ... : الأستاذ أحمد رمزي بك	٨٨٩
على ثلوج حزرين ... ... : الأستاذ على الطنطاوى	٨٩٢
العيد ... ... : السيدة الفاضلة منية الكيلانى ...	٨٩٥
حول التنويم المغناطيسى ... ... : الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى ...	٨٩٧
« طاعة » الشام ! ... ... : الأستاذ على حيدر الركابى ...	٨٩٩
الحب ... ... : الأستاذ حامد بدر	٩٠١
واضع علوم البلاغة ... ... : الأستاذ على محمد حسن العمارى ...	٩٠٢
سمو ... ... (قصيدة) : الآنسة « دنانير »	٩٠٥
رمضان ... ... « : الأستاذ محيي الدين صابر	٩٠٥
« تعقيبات » : الدكتور عبد الوهاب عزام بك — هذه المؤتمرات —	٩٠٦
وكم ذا بمصر من المضحكات — الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب ...	٩٠٧
« الأدب والفن فى أسبوع » : الفن والبيئة المصرية — السجل الثقافى	٩٠٨
— المؤتمر الثقافى — السينما والأهداف القومية — الأدب بين مصر ولبنان	٩١٠
« البريد الأدبي » : فى اللغة فعلاء — خير الأمور الوسط أيضاً — نعم	٩١١
الضمير مطمئن — تصحيح بيت — إلى الأستاذ «الجاحظ»	٩١٢
شيخ الأندلس ... ... (قصة) : بقلم الأديب وهبي اسماعيل حقى	٩١٣

٢٩٠١٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 737

Lundi — 18 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بين الروحانية والمـــادية

للاســـتاذ عباس محمود العقاد

« ... وعلى سبيل الاستفسار أوجه إليكم الأسئلة الآتية بعد قراءة ردكم على نقد الأستاذ اسماعيل مظهر لكتابكم عن الله راجياً أن تتفضلوا بالإجابة عنها في الرسالة الغراء :

١ - أليس هناك وجه من الصواب في وجوب التفرقة بين الوجود والموجود وبين العدم والمعدوم في الكتابات الفلسفية ؟ فإن الكاتب الأديب قد يجوز له أن يستعمل إحدى الكلمتين بمعنى الأخرى من قبيل التجوز المقبول في الكتابة الأدبية . ولكن هل يقبل ذلك في لغة العلم والفلسفة ؟ .

٢ — هل من الضروري أن يخلق العالم الطبيعي خليقة حية ليقول إن النواميس المادية تتسلط على الحياة ؟ ألم يصنع العلماء مادة البروتو بلاسم التي هي مادة الحياة ولا يبق إلا الزمن لتشبه هذه المادة المصنوعة مادة الحياة ؟ ألا يحق لنا في العصر الحاضر بعد كشف الذرة أن نقول إن العلم قد وضع سر المادة في أيدي العلماء ... الخ الخ » .

الإسكندرية صابر . م

***

أما في مسألة الوجود والموجود والعدم والمعدوم فالأديب المستفسر قد عكس الأمر فطلب في لغة العلم والفلسفة ما يطلب من الأديب ، أو طلب من الأديب ما يطلب في لغة العلم والفلسفة

وقد جرت المناقشة في هذا الموضوع من قبل بين الرازي والصابوني فقال الإمام الرازي في مناظراته : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوَّن يكون تكويناً فهو مكون وذاك مكون ، فالتكوين مصدر والمكون مفعول ، والفرق بين المصدر والمفعول معلوم في اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق في الحقائق والمعاني . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول وذلك لا يوجب الفرق بينهما في الحقيقة » .

فالفلاسفة هم الذين سوغوا استخدام كلمة الوجود بمعنى الموجودات ، ولم يمتنع ذلك في اللغة لأن شواهد هذا الاستخدام متكررة في كل مقام .

***

وقد يجارى الأديب المستفسر على رأيه في خلق الخليقة الحية فنقول إن العالم الطبيعي لا يطالب حتماً بخلقها في المعمل ليجوز له أن يقول إنها قوة مادية وليس فيها زيادة على القوة المادية .

ولكنه يطالب حتماً بمعرفة العلة التي تفرق بينها وبين الذرة المادية ليقول إن هذا الفرق من المادة وليس من شيء غيرها . أما أن يجزم بمصدر هذه العلة وهو لا يعرفها ولا يستطيع أن

بوصفها فهذا هو الادعاء بعينه وليس هو العلم الطبيعي المزعوم.

وإذا كانت المصانع قد أخرجت مادة البروتو بلاسم التي هي مادة الحياة كما يقول الأديب المستفسر فهذه المصانع قد أثبتت أن للحياة سراً غير سر المادة ولم تثبت أن الحياة كلها من المادة وإليها؛ لأن البروتو بلاسم الذي أخرجته المصانع لا يتغذى ولا يتجدد ولا يتحرك كما تفعل الخليقة الحية. فهو إذن « بروتو بلاسم ناقصاً الحياة » ... ويبقى السؤال قائماً كما كان: ما هي الحياة؟.

أيقول الأديب المستفسر إنه من فعل الزمن الطويل؟ لقد قال ذلك فعلا حين قال إنه لا يبقى إلا الزمن لتشبه المادة المصنوعة مادة الحياة ».

فمن الواجب أن نذكر هنا أننا نسأل: ما هي الحياة؟ ولا نسأل في كم من الزمن نشأت الحياة؟.

وهي سواء نشأت في دقيقة واحدة أو في عشرين مليون سنة شيء له حقيقة، فما هي هذه الحقيقة؟

على أن الزمن الطويل عنصر داخل في تركيب المادة التي نعرف ما بينها من الفروق والمشابهات.

فلماذا نعرف الفرق بين الحديد والنحاس وقد مضى على تكوينهما ألوف السنين، ولا نعرف الفرق بين البروتوبلاسم الحي والبروتوبلاسم الذي تخرجه المعامل ويصنعه العلماء؟

أقل ما ينبغي للعالم الذي يصون كرامة علمه أن ينتظر ويؤجل حكمه، لا أن يجزم بحقيقة شيء لا يعرفه ولا يستطيع أن يعلل الفرق بينه وبين غيره من الأشياء.

* * *

ومن الادعاء البعيد أن يقال إن كشف الذرة قد وضع سر المادة في أيدي العلماء، أو قد خولهم أن يفسروا كل ظاهرة من ظواهر الوجود بالقوانين المادية

فإن أسرار الذرة قد صنعت نقيض ذلك على خط مستقيم، وقد عمدت إلى الحتمية Determinism للأســـباب المادية — أو القوانين المادية — فعصفت بها عصفاً لم يستقر لها من بعده قرار.

وليس هذا الكلام مستمداً من مذاهب الفلاسفة أو مذاهب رجال الدين أو فروض الأدباء والهواة في المسائل العلمية، ولكنه مستمد من مباحث أقطاب العلم الطبيعي الذين أسسوا قواعد البحث في الطاقة الذرية وفي تركيب المادة وقوانين الإشعاع.

فالعالم الكبير ماكس بلانك Blanck صاحب نظرية الكوانتم التي بنيت عليها المباحث الذرية، وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية في سنة ١٩١٨ يقرر أن حركات الكهارب لا يسيطر عليها قانون معروف، وأنك لا تستطيع أن تتنبأ عن اتجاه الحركة التالية لكهرب من الكهارب حول النواة، وهذا هو عنصر المادة الأصيل يغلب فيه القول بالمشيئة على القول بالحتمية المادية. فكيف يمكن أن يقال مع هذا أن كشوف الذرة قد أبطلت القول بالإرادة الإلهية ووضعت سر الكون كله في أيدي العلماء؟

إنها لم تضع سر الذرة نفسها في أيديهم وهي أصغر ما في الكون من مادة؟ فكيف تضع في أيديهم سر الكون كله وتنفي منه فرض المشيئة الإلهية التي تسيطر على كل « حتمية مادية » كان يدين بها العلماء قبل الآن؟

والعالم الكبير هيزنبرج Heisenberg متمم بحوث بلانك وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية عن سنة ١٩٣٢ يعلن نقض « الحتمية المادية » ويقرر أن التجارب الطبيعية لا تتشابه في النتيجة وإن اتفقت الأدوات واتفقت المواد واتفق المجربون. فكيف يقال إن « دور » المشيئة قد بطل كل البطلان ولم يبق للكون من أسباب غير ما يزعمونه من النواميس؟

والعالم الكبير إدنجتون Eddington من أكبر الباحثين في الكهرباء والطبيعيات يعقب على هذا فيقول « إنني لا أحسب أن هناك انقساماً ذا بال في الرأي من حيث تداعي الأخذ بمذهب الحتمية المادية. فإن كان هناك انقسام فهو الانقسام بين الآسفين لتداعيه والمغتبطين بتداعيه. والآسفون بطبيعة الحال يرجون له عودة ولا يستحيل أن يعود. ولكنني لا أرى سبباً لتوقع عودته في أي شكل وفي أية صورة ».

وهؤلاء جميعاً علماء طبيعيون، وهم جميعاً مختصون بالموضوع الذي يحكمون فيه وهو تركيب المادة. بل هم جميعاً من مؤسسي البحوث في هذا الموضوع.

فأيسر ما يؤمن به الرجل المحقق بعد هذا أن المسألة جليلة

القسم الثاني :

فرنسا ومستعمراتها

الأمير عبد القادر الجزائري

زعيم وأمير وجندي وقائد ثورة

للأستاذ أحمد رمزي بك

« إذا صقلت بارق سيفي »
« وأخذت بالقضاء يدي »
« رددت الانتقام على أعدائي »
« وفرضت القصاص عليهم »

نشيد موسى النبي في سفر التثنية

رأيت كيف تلقى العالم الإسلامي بوجوم أنباء الاعتداء الفرنسي على الجزائر، وكيف احتلت فرنسا السواحل والناس في شغل عن هذا كأن الأمر لا يعنيهم، فألقى عبء الجهاد على أهل الجزائر يقاتلون ويقتلون ويشردون، والقطر الجزائري ساحل ممتد الأطراف على مسافات شاسعة، فأصبح لكل مدينة على البحر جبهة قتال قائمة بذاتها.

ففي جبهة مدينة الجزائر، زحف القائد الفرنسي إلى الداخل واحتل مدينة البليدة وقدم أهلها الطاعة بين يديه، ولكن دعوة الجهاد والدفاع عن الوطن انتشرت بين القبائل في الجبال المحيطة فتجمعت الجموع وزحفت إلى القتال، وفي اليوم الثالث من احتلال المدينة اقتحمت قوات المجاهدين أسوار البليدة، وهزمت جنود فرنسا، فاضطر القائد العام أن ينسحب مع من بقي من جنده عائداً إلى الجزائر، حيث دعي إلى بلاده فآثر أن يعيش بإسبانيا، وجاء قائد آخر، أخذ يدبر الأمور لإتمام الاحتلال، تارة بالسيف وأخرى بالخديعة وبذل الوعود.

في هذه الأثناء اتجهت الأنظار إلى سلطان مراكش واجتمع أهل العقد والحل من سكان الجزء الغربي وأرسلوا وفداً إليه يطلبون معونته فأجابهم إلى مطلبهم وبعث بأمير من أولاد عمه، فلقيه الناس بالطاعة، ووصلت طلائعه إلى ناحية مليانة شرقاً، ولكن فرنسا أسرعت وكلفت ممثلها لدى البلاط الشريفي أن يحتج على هذا التدخل، فاضطر سلطان مراكش أن يسحب جنوده، وأن يستدعي ابن عمه إليه، ويترك أمر الجهاد لأهل البلاد.

***

كانت الدعوة إلى الجهاد عامة يشعر بها الناس كافة من عرب وبربر، ومن أهل الحضر وأهل الجبال والبادية، وكانت الحرب في كل ناحية قائمة، ولكن كانت تنقص الدعوة القيادة المنظمة التي تجمع الشمل وتنظم الجهود، وتحرك المشاعر، وتدفع هذه القوى الروحية نحو الغاية الكبرى.

ولقد شاءت العناية الإلهية أن تختار هذا القائد من جهة وهران على الحدود المراكشية، ففي سنة ١٨٣٢ قامت سرية من المجاهدين عقد لواؤها للسيد عبد القادر بن زيان، بحركة كشفية حول أرباض المدينة، وفي موضع يقال له خنق النطاح، التقت السرية بفصائل العدو، واشتبكت معها في معركة تعرضية، وفي اليوم التالي أدركتها حشود المجاهدين، فدخلت القتال متراصة

مهولة بعيدة الأغوار، وأنها ليست من المسائل التي يفض فيها الإشكال بكلمة وتصرف الاعتراضات فيها بجلسة مريحة بين المحابر والأوراق أو بين المصانع والأنابيب.

وإذا كان هناك فرض أرجح من فرض في مجال الباحث العلمية الحديثة فذلك هو الفرض الذي يعزز الإيمان بالمشيئة الإلهية لأن هذا المجال قد رجع بأصل المادة كلها إلى الاختيار، ورجع بالقوانين المادية كلها إلى سلطان غير سلطان القوانين المدعاة.

فإن لم يكن ترجيح فليكن تريث وانتظار.

أما الجزم بالمزاعم المادية بين هذه الكشوف المتجددة فهو « إيمان مقلوب » ... لأن إيمان المجازف يقوم على أسباب أقوى من الأسباب التي يقوم عليها هذا الإيمان المقلوب ... أو هذا الإنكار الجازم بلا أسباب !!

عباس محمود العقاد

زاحفة ، فانتصرت انتصاراً باهراً ، وفر العدو منهزماً متراجعاً إلى مدينة وهران .

وفى وسط المعركة ظهرت مخايل النجابة والبطولة والقوة والفتوة على الشاب عبد القادر بن السيد محيى الدين الذى ما انفك مع والده يحرض المسلمين على الجهاد ويبوىء المقاتلين مقاعد للقتال . كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد عرف الناس فيه الحزم والعزم والعقل السليم والصبر فى القتال ، فجاءت المعركة فإذا بالشجاعة وقوة البأس تظهران عليه ، وهو يخترق الصفوف ويباشر القتال بيديه لنصرة دين الله . وبينما هو يخوض وسط المعمعة تحامل عليه فارس من فرسان فرنسا برمحه فإذا بالطعنة تمر تحت إبطه الأيسر ، فشد عليه عبد القادر بعزمه وقوته وهوى بسيفه على الفارس ، فإذا بالسيف يقطع كتف الفارس نصفين ، فكانت آية من آيات الله تناقلها الناس وسرى ذكرها بينهم .. وتلقى جواده ثمانى طعنات ثم أصيب بالرصاص تحته فنزل وترجل واستمر يقاتل فى مواجهة العدو وهو على قدميه ثابتاً فى مواقعه حتى جاء النصر من عند الله ، وتقهقر العدو منهزماً لا يلوى على شىء ، وبات المسلمون ليلتهم بين التهليل والتكبير .

هذه بداية القائد الشاب بطل الاستقلال الجزائرى وصاحب المواقف الخالدة بين سنتى ١٨٣٢و١٨٤٧ ، الذى تمثل فى عبقريته عراك أمة وكفاح شعب يقاتل فى سبيل مثله العليا والذى أمضى ستة عشر عاماً فى الحروب لم يدع فيها القتال والتصادم والكر والفر دفاعاً عن حومة الدين وعن حرية الوطن الشهيد .

ظهرت فيها صفاته وميزاته للقيادة والزعامة وضرب للناس مثلا بتمسكه بالمبادىء والأهداف التى قام من أجلها ، فأسبغ عليها عملا متواصلا لا يحيد عنه ولا يرجع ، وبرزت نفسه القوية التى لا ترهبها الأهوال والنكبات ولا تغيرها الانتصارات المتتابعة ولا تنقص من حماسها النكبات والهزائم .

ستة عشر عاماً من المعارك المتواصلة لا تتخللها غير فترات قصيرة من السلم والراحة أفردها للتنظيم والإنشاء والدعوة إلى الله والعمل لبناء دولة ناشئة ألقيت أعباؤها عليه بأكلها ، إذ واجه مشاكل السياسة مع مصاعب الحروب ، وعالج الهزائم والدسائس ، بنفس عالية فيها قبس من أخلاق السلف الصالح وفيها تلك النواحى القوية التى أفرغها الإسلام على قواده وزعمائه من قوة أمام الأخطار وصلابة فى الحق وتمسك بالعروة الوثقى ، مع تواضع وصبر على المكاره وحوادث الزمن .

كان هذا فى وقت عصيب واجهت فيه الجزائر أكبر محنة فى تاريخها يوم دعيت وحدها للدفاع عن أراضيها ، ويوم ضعفت النفوس وتفرقت القوى ، وبين عناصر متشاحنة وقبائل متنافرة وهنا ظهرت شخصية عبد القادر كمنشىء دولة ، وقائد جيش ، وزعيم أمة .

إن عظمة عبد القادر لا تظهر فى انتصاراته وحدها وإنما فى تغلبه على متاعبه وفى شجاعته وسط الهزائم والدعوة إلى الانشقاق والخيـانة وفى مواجهة دعاية الويل والهزيمة ، وزمرة المنافقين والمطففين ومن لازمهم ، هنا تعلو حيوية عبدالقادر على الحوادث حينما نراه مجاهداً لاتهمد عزيمته وسط الأخطار وأمام مكائد العدو والبحر مغلق أمامه والعالم الإسلامى يغط فى نومه ، فلا يخفف عنه إلا ذكر الله والدعوة إليه وإيمانه بأن إرادة الشعب الجزائرى قد تمثلت فى إرادته وأن الله قد اختاره لعمل كبير هو إنقاذ هذه الأمة وقيادتها إلى الجهاد فى سبيل الله .

تقلب صـفحات تاريخه وتسمع أقوال الخصم عنه وتنصت لنظمه وشعره وتقرأ رسائله فتلمس رجلا قد أوتى حظاً من الإيمان والثقة بالله مما جعله فوق المستوى العادى للرجال . كان ممن اختارهم المولى جل وعلا لعمل خالد فقد كان يعلم بأن أمامه دولة قوية قد أفرغت فى القتال كل قوتها وصممت على فتح بلاده واستعانت بما أخرجه الفن والعلم فى الحروب وقد خرجت من تجارب حروب ومعارك ، ومع ذلك وقف وقفته وكان يشعر بأن أعداءه فى داخل بلاده لايقلون خطراً عن أعداء الوطن ، فتقبل بالرضا حكم الأقدار وقاد بلاده هذه السنين وهو واثق من نفسه لا معين ولا حليف له ولا أمل لديه إلا همة السـيوف التى خرجت من أغمادها ووقفت معه .

نعم فى وسط المكائد والهزائم والدعوة إلى الهزيمة تعلو قوة عبد القادر فتتخاذل من الهزيمة قوة وتدعو إلى الله وتعمل على جمع

الشمل فيقود الأمة الجزائرية إلى كفاح طويل إلى المجد .

ذلكم هو بطل الاستقلال الجزائرى وأول مسلم تلقى بصدره حلقات الهجوم المضاد الذى شنه الغرب علينا لانتزاع أراضينا .

حينما أكتب عنه أستعيد ذكرى حادثين أثرا فى حياتى ، أما الأول فصورة زيتية للأمير عبد القادر رأيتها فى السوق الخيرية التى أقيمت بحديقة الأزبكية لنصرة المجاهدين من أهل طرابلس لما اعتدت إيطاليا على أراضيهم ، رأيته على جواده وقذائف المدافع تنفجر من حوله فوقفت مأخوذاً وكنت فى العاشرة فإذا بصاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف يحدثنا عن بطل الجزائر ؛ ومن ذلك اليوم انطبعت فى نفسى صورة القائد الزعيم وحرصت أن أقرأ عنه وأتعرف إلى معاركه وأيامه .

أما الحادث الثانى فيوم وقفت على قبره تحت قبة سيدى محيى الدين بن عربى بمدينة دمشق ، لقد كان الشوق إلى زيارة الضريح شديداً طوال سفرى من أنقرة ، ولما تم اللقاء وقفت أمام هذا القبر استمطر الرحمة على بطل الاستقلال . ومرت أمامى صفحات الجهاد وأسماء البلاد : الجزائر ، وهران ، قسنطينة ، تلمسان ، المعسكر ، مستغانم ، البليدة ، مليانة ، وذكريات المعارك الخالدة فى رأس العين وخنق النطاح ووادى الزيتون وغيرها من مواقفه .

وفى باريس صورتان كبيرتان تمثلان عراك الأمير وجنود فرنسا تقتحم الصفوف أعرفهما : قيل أن الأمير وقف أمامهما عند زيارته للعاصمة الفرنسية وقال أراكم تمثلون جنودنا منهزمة ، فهلا نظرتم ورسمتم المعارك الكبيرة التى ولى فيها جنودكم الأدبار؟ وفى قصر العجزة حيث متحف الجيش الفرنسى مجد الآثار والأعلام والأسلحة من بقايا حروب عبد القادر لقد كنت ألمسها ثم أقبل يدى التى لمستها وأنحنى أمامها وأقول هل أعيش لأرى الجزائر حرة وقد خلعت استعبادها وأسمع أناشيد الأمير من مقصورته اليائية ترتل فى مدارس القطر الشهيد :

ونحن لنا دين ودنيا تجمعا ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوا
وإنا سقينا البيض فى كل معرك دماء العدى والسمر أسمرت الجوى

***

أريد أن أشرح معاركه وأكتبها ليقرأها أبناء مصر العربية ويروا آيات المجد والبطولة ولكن الزمن يسير بخطوات سريعة ، وأريد أن أحدثهم عن يوم تجمعت فيه أحكام القدر فألقى البطل سلاحه واستأمن للخصم على أن يذهب للاسكندرية فخنث فرنسا بأيمانها ومواثيقها وعهودها وقادته أسيراً إلى فرنسا حيث أمضى مع والدته العجوز وأهله خمس سنوات فى الأسر يحن فيها إلى البلاد التى أراد دفع الشر عنها ، ثم أطلق سراحه فإذا طريقه إلى دار الخلافة حيث يلقى السلطان عبد المجيد العثمانى ، وبعد إقامة يسيرة فى بروسة ، يذهب إلى دمشق ، وهناك يعيش حتى يرقد رقدته ليترحم عليه محبوه . أما أنا فقد قرأت حين وقفت على ضريحه قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربّيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » . آل عمران

ذلك لإيمانى أن أمة تنجب عبد القادر لن تموت بل ستبعث بعثاً يهز الأرجاء ؛ لأن الدرس الذى ألقاه علينا كان درساً يحرك النفوس ويدفع للعمل لقرون قادمة : إنه قوة من قوى الذات الإلهية التى بعثها لخير الناس ، ولما خطه تعالى فى سجل القدر من أن تحيا الأمة الجزائرية لتعود إلى أيامها الأول ، أيام المرابطين والموحدين .

أحمد رمزى

على ثلوج (حزين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٤ —

انطلقت إلى (الصخرة) حين لم تجد فى دنياها كلها، أحنى عليها منها، وأروح لقلبها. لقد كانت ملاذها والحبيب راض مواصل، والقصر عامر زاهر، أفلا تكون مثابتها وقد غضب الحبيب، وأقفر القصر، ولم يبق لها فى الوجود غيرها ؟

ولمن تلجأ وقد فقدت صدر الأب الذى كانت تهرع إليه كلما دهتها من الحياة دهياء لم تستطع احتمالها، فتخفى وجهها فيه، وتبثه شكاتها ألماً خفياً، ونشيجاً خافتاً، فيمسح دمع عينها، ويرقأ جرح قلبها، ويرجع إليها سكينة النفس، وفرحة الحياة. وفقدته إلى الأبد، حين احتوته تلك الحفرة الضيقة على شفير الوادى ؟

ولمن تلجأ وقد أغضبت الحبيب، الذى نما حبه فى فؤادها، وخالط لحمها وعظمها، ونشأت عليه، وعاشت به، وكان منبع ذكرياتها، ومجمع آمالها، وغذاء روحها ؟

ولمن تلجأ وما فى القصر ملجأ ولا ملاذ ... لقد أقفر من بعد سيده، وضل طريقه إليه المجد، وانصرف عن أبوابه العافون والزائرون، حين انصرف عن مطالب النبل إلى مطارح الهوى ومشارب الخمر، سيده الجديد.

انطلقت إلى الصخرة، وقد علمت لما تيقظ فى نفسها الحب أن كل ما فى الدنيا من متع المال ونعم الغنى، هو للمحب كأحلام النائم، لا يجد فى يده إذا صحا حبه شيئاً منه، وأنها كموائد الرؤى يفيق الرائى فلا يلقى لها فى معدته أثراً، ولا فى جوارحه خبراً وماذا يفيد العاشق فَقَد الحبيب أن يخطر بغالى الثياب، وأن يأكل أطايب الطعام ؟ وهل تدفىء الثياب قلباً فيه رغبة إلى دفء القلب المحب ؟ وهل تشبع الموائد نفساً فيها جوع إلى ثمر الثغور، وظمأ إلى رحيق اللمى ؟

ولقد علمت الآن أن صخرة منقطعة مع الحبيب أجمل من قصور الأرض، وساعة معه أطول من مدى الدهر، ونومة على نخذه أحلى من نوم على وسائد الحرير بريش النعام على سرير الذهب وشمة منه واحدة أطيب من انتشاق العطور، وأن خفقات قلبه عند العناق أعذب من رنات العيدان، وعبقريات الأغانى ...

ولما دنت من الصخرة نعش نفسها نسيمها، وشفاها مرآها وأحست بعد حياة (الحضارة ...) فى عاليه، أنها كالغريق يخرج من الماء وينشق الهواء، ونظرت إلى قصر فارس افندى فلم تره إلا نقطة ضائعة فى هذه السفوح التى تمتد وكأنها لا آخر لها حتى تتصل بالبحر ثم يصلها البحر بالسماء ... فأحست أن قد صغر مكانه فى قلبها كما صغر منظره فى عينها. ولم تعد تذكر إلا أمانى الحب وليالى الوصل، عند هذه الصخرة التى قدسها الحب

ووجدت هانى قائماً، فأسرع إليها وأسرعت إليه، وألقت بنفسها بين ذراعيه، ما أحست وسخ ثيابه، ولا شمت قبح ريحه إذ لم يدع لها الهوى أنفاً يشم، ولا عيناً ترى ...

وسكرت من رحيق الغرام، وخيل إليها السكر أن لها هذه الدنيا كلها التى تبصرها تحت قدميها، وأنها أسعد فتاة فيها. وأنها قد أمسكت بكفها الأمانى، وقبضت على الأحلام. .

فانتصبت والهواء ينثر الحرير الذهبى من شعرها، ومدت يديها وصاحت نشوى:

— املأ يدى من (أزهار الجبل)

فراح يقطفها ويملأ منها يديها.

* * *

وهبط الليل رفيقاً حانياً، فأحاطها بذراعى أم حنون وردّ عليهما كل همسة حب كان قد سمعها منذ مر على الدنيا، وكل وسوسة قبلة وطلع الهلال رقيقاً زاهياً فعرض عليهما كل مشهد غرام رآه منذ ولد القمر، وكل منظر هوى ؛ فلم يجدا فى حديث الليل، وصور القمر، إلا تاريخهما هما، وقصة حبهما، وأفقر قصة فى الحياة قصة الحب، فهى تتكرر دائماً بمشاهدها وفصولها، لا يتبدل فيها إلا أشخاص الممثلين.

قصة ألفها هذا الطفل الجبار فضاق به الخيال، وقعد به العجز، فلم يستطع خلال ألف قرن من الزمان، أن يزيد عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً، فهى تمثل فى غابة بولونيا وفى مسارب هايدبارك كما كانت تمثل فى مغارات سرنديب، وكهوف بابل.

وهو أبداً يعبث بالحب ويسيّره على هواه ، ويضيق عليه دنياه حتى يجد صدر الحبيب يسند إليه رأسه أوسع من رحب الفضاء وأفسح من جو الأماني ، ويسوّد عليه عيشه فلا يبيض إلا إن بدت فيه طلعة الحبيب ، ويزهده في المجد والجد ، فلا يجدّ إلا لوصوله إليه ، ولا يرى مجده إلا في رضاه عنه ... حتى إذا ملّ العبث ، عاد فنام ...

* * *

وعادت ليلى إلى القصر وقد نام الحب في صدرها كرة أخرى واستيقظت فيه شياطين اللهو والترف . وجاء أسعد يزورها واشتهت أن تلبس الثياب التي أهداها إليها . ما آثرت جمال الثياب على متع الحب ، ولكنها كانت كالغني يأكل الحلوى حتى يشتهي الزيتون ، ويسكن القصر حتى يستحلي الخيمة ، ويركب السيارة حتى يتمنى ركوب الحمار ... هذه هي النفس البشرية ، يطغيها الغنى وينسيها لذةَ النعمة وجودُها ، ولا تعرفها إلا عند فقدها..

لبست الثياب ونظرت في مرآتها ، ومرآة الحسناء من أدوات شيطانها ، فرأت في مكانها فتاة من فتيات بيروت ، وأعجبها جمالها وهذا الصدر البادي إلى سفح النهدين ، وملتقى الثديين ، وذراعاها إلى الكتفين ، ونظرت إلى ثيابها الجبلية التي نضتها عنها ، والتي تستر كل شيء إلا الوجه ، كما ينظر المرء إلى دودة كانت عالقة به وتخلص منها ، وأحست في نفسها الشوق إلى الاطراء الذي ألفته في (عاليه) أذناها ، وترقبت قدوم أسعد ، واستطالت الوقت في انتظاره . .

ثم رأته يفتح الباب ويدخل ، فتهيأت لاستقباله ونظرت فإذا القادم هاني ..

وعاد الخصام ولكنه كان شديداً عنيفاً هذه المرة . .

قال لها :

— ثقي يا ليلى أنك لا تحبينه ، وإنما تحبين مظاهر الترف

— قالت : وأنت ما شأنك بذلك ؟ ولماذا تدخل نفسك فيما لا يعنيك ؟ . .

وامتد الجدال وأطلق لسانه في أسعد .

— فصاحت به : هو خير منك على كل حال . إنه خير ممن يسأل الصدقة بيد قذرة ..

خدعتها ظواهر الحب الناعمة فنسيت الرجولة الخشنة الكامنة وراءها ، فلم تقدرها ولم تحسب حسابها ، لعبت بالقنبلة لما غرها بريقها ولمعانها ، فلمست زرها فتفجرت ، لقد انقلب لما سمع هذه الكلمة من سبع الملعب (السرك) الأليف ، إلى أسد الغاب الضاري ، لم يعذرها ، ولم يضع نفسه في مكانها فينظر ماذا يصنع وهو في مثل حالها النفسية ، وهاله أن تترفع عنه وكان يراها مثله ، لم يجد نفسه دونها لأن الحبّ سوّى بينهما ، والحب (مذ كان الحب) مظهره البذل وحقيقته الأخذ ، ورداؤه الإيثار ، وجسمه الأثرة ، وكان يحتمل منها كل شيء إلا أن تمسّ رجولته ، كالمرأة تحتمل من الرجل كل شيء إلا أن يحقر جمالها وأنوثتها ، ولم يعد يرى أمامه الفتاة التي ألبسها حبه ثوب المَلَك ، وحوّطها بهالة التقديس ورآها مثال الجمال وغاية الآمال ، ولكن امرأة من النساء تهينه ، وهو الرجل المعتد برجولته ، وهو الذي لم يحمل المهانة من أخيها إلا حباً بها ، واشتعل دمه ناراً ، وجنّ قلبه في صدره ، وأراد أن يتكلم فشعر كأن لسانه قد وقف ، وحلقه قد جف ، ولم يع على نفسه إلا ويده ترتفع وتهوى على وجه ليلى بلطمة دوّت في أذنيه كأنها طلقة مدفع ، فصحا فجأة ، وهاله ما فعل ، فانطلق هارباً إلى الإصطبل ، وخلا بنفسه يفكر فيما صنع .

لقد أفرغ غضبه في هذه اللطمة فلم يبق في قلبه إلا الحب ، وما يتبع الحب من تقديس ، فكيف فعل هذه الفعلة ؟ وهل فعلها حقاً ؟ هل لطم محبوبته التي يشتري اللمسة منها بالحياة ، ويدفع عنها بروحه مسّ النسيم ، وشعاع الشمس ؟ أيكسر الوثني صنمه ، ويبصق المجوسي على ناره ؟

وصارت يده أكره شيء إليه ، هذه اليد التي هدمت مستقبله ، وطوّحت بأمانيه . وملكته نوبة هياج ، فضرب يده بالنافذة ، فحطم زجاجها ، وأطار شظاياها ، وغسل كفه بالدم

قالت العجوز :

وسمعت الضربة فاسرعت إليه ، وقلت له :

— ما هذا ؟ ماذا صنعت بنفسك ؟

وخرجت لآتيه بضماد ، وإذا أنا بليلى ، تدخل عليّ بثياب المدنية ، متوثبة فرحى ، تقول :

— اسمعي ، اسمعي البشارة ...

— قلت : أى بشارة ؟

— قالت : لقد خطبنى ، إنه سيتزوجنى .

— قلت : من ؟

— قالت : أسـعد ، لقد أعلن خطبته لى الآن ، وقال : إن أباه موافق وأخى ...

— قلت : وهل تحبينه يا ليلى ؟

وسكت ، وحبست أنفاسى فى انتظار جوابها ، لأنى أعلم أن هانى يستمع إليها ، فأحببت أن أذكرها بحبها . ولـكن الحمقاء اندفعت بلا وعى ، تصيح :

— إننى أحبه ، أحب الأرض التى يمشى عليها ، أحب الهواء الذى ينشقه ، أحب ...

وسمعت الباب يصفق ...

— قالت : ما هذا ؟

فلم أشأ أن أخبرها ، وتريثت وسألتها :

— أتحبينه أكثر من هانى ؟

فتنبهت كأنها كانت فى حلم وأفاقت منه على الحقيقة ، وتصورت حياتها بغير هانى فلم تجد فيها شيئاً جميلا ولا بهياً ، وهل الحياة إلا الذكريات والآمال ؟ وهل لها ذكرى حلوة إلا معه ، وهل لها أمل إلا فيه ؟ وإذا هى تركته وتزوجت أسعد فهل يترك حبه قلبها ؟ هل يذهب من ذاكرتها ؟ ألا تذكرها به صخرة الملتقى كلما نظرت إليها ، والليل كلما اشتمل عليها ، والقمر الذى كان يرعاهما ، والسماء التى كانت تصغى كواكبها لنجواهما ، والبحر الذى كانت تستمع أمواجه إلى أحاديثهما ، والتلول والوهاد ، والنسيم العليل ؛ والثلج وأزهار الجبل . ؟

والتفتت إلىّ فجأة ، وقالت :

— كلا ، لست أحبه ، أحب هانى . إن هانى هو حياتى ، إن الفقر معه هو الغنى ، والجوع معه هو الشبع ، والسجن معه جنة الأرض .

— قلت : فلم إذن ، زعمت أنك تحبين أسعد ؟ لقد سمع هانى منك تلك الـكلمة ، وفتح الباب ، وألقى بنفسه يائساً فى خضم الليل ...

— قالت : ما ذا ؟ ! أسمعنى هانى ؟ !

وشخصت لحظة وقد جمد تفـكيرها ، فما يسيل ، ووقف عند هذه النقطة فما يتحرك .

أهى تحب أسعد ؟

فما هذه الكلمة التى نطق بها لسانها فى غيبة قلبها ، وزورها على نفسها تزويراً ؟ :

أهى تحب أسعد ؟ ومن أسعد ؟ وما ذا بينه وبينها ؟ ما يربطه بها ؟ وهل تنسى هانى وعهود الطفولة ؟ ألم ترضع هواه مع اللبن وليدة وتنشأ عليه ؟ ألم تسلك معه طرق الحياة سهلها ووعرها ؟ ألم تأكل معه على مائدة الحياة حلوها ومرها ؟ ألم تشاركه أفكار الحياة خيرها وشرها ؟ أفتهدم سـعادتها كلها بكلمة رعناء ... أنفخة فى الهـواء تقتلع صرحاً ممرداً ثابت الآساس ، رفيع الشرفات ؟

ووثبت إلى الباب ، ففتحته واقتحمت الظلام .

***

وكانت ليلة قارسة البرد ، عاصفة الريح ، جنت فيها الطبيعة فهى تضرب بيديها ، وتنثر البرد والثلج ، وتلطم الوجوه والبنى . فخرجنا وراءها ننادبها ... وهى تعدو متحدرة ، تثب على الصخور وتقفز إلى الأعمـاق ، تنادى : هانى . هانى . فيضيع صوتها فى عويل الرياح ، وعزيف العواصف ، ثم انقطع الصوت وخفى الشخص ، وضاعت منا ، فلم نجدها ...

ورأينا أخاها مقبلا سكران ، فخبرناه ، فقال :

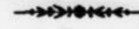
— سأشرب كأسا أخرى على هذه البشرى . وقهقه كأن إبليس يضحك بفيه ، وأمّ القصر ، ولبثنا نفتش حتى بدا الصباح فإذا هى ملقاة فى حفرة ، قد علاها الثلج ، فتعاونا حتى حملناها إلى دار أسعد فى عاليه ، لتلاقى ناساً يعتنون بها ، وطبيباً يداويها ...

أما هانى فلم يعد ولم نسمع عنه خبراً ...

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

العيـــد !

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى



تمر أيام العام مسرعات والناس فى شؤونهم الخاصة من زحمة العيش وتلمس الرخاء ، والضيق والرغبة فى الفرج ، والسقام وأمل الشفاء ، ويأتى العيد فيكون بين المعيد ووسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطلق الوجه . ولقد تنحبس العبرة طول العام من نكبة نازلة فلا ترسل إلا فى مقدم العيد مطلقة غير مقيدة ، فتأخذ فى العيد روعة وشكلا ليسا من شأنها ولا من شأن الأيام الأخرى . وهكذا تصبح جهشة العيد جهشة مزلزلة ، وتغدو دموع العيد جد حرار . ولقد تبقى البسمة خامدة كابية طوال العام أيضاً لا ترى ما يرسلها مجلوة مشرقة حتى يأتى العيد ، فإذا البسمة تاج على الثغر — كالجديد من الأكسية — تتحدث للوسادة عن النصر الذى أحرز ، والعمل الذى أنجز

هذه بسمة العيد ليست من ابتسامات العام ، وهذه جهشة العيد ليست من دموع الحول ، إنما هى فى الحالتين محصّل ما فى العام كله من شدة ورخاء ، وعذاب وهناء ، وعزة وشقاء ، تجتمع فى العيد كما تجتمع أضغاث المنى على الثغر الحالم ، وأضغاث المال فى ثوب جديد وكساء جديد ، كذلك مشاعر النفس وأضغاث خويصاتها تتجمع لتبرز فى العيد فى فرح جديد وحزن جديد .

وضجعة الإنسان ليلة العيد وسهوم فكره ، واتساع مخيلته وشرود ذهنه ، تتسع وتقصر ، وتكبر وتضيق ، بمقدار ما توافر لديه من أسباب وعلل تجتمع كلها فى حقيقتين أساسيتين فيهما جواب هذا التساؤل الذى يدور على الخاطر ويلم بالنفس : وهو لماذا تنطرى نفس وتبتهج للعيد ، وتأسى نفس وتضيق له ، وتذرف فيه الدمع ويحلو لها الصمت والأشجان ؟

تتسع مادة الحوار بين المرء ووسادته ليلة العيد بسمة الجواب على هـذا السؤال . والواقع أنه سؤال فى منتهى الوجاهة وخفة الظل : لماذا تأسى نفس وتفرح نفس وليس بين النفسين إلا قربى وأوجه شبه ... هذه نفس تذرف الدموع ، وهذه نفس توزع الابتسام ؟

العيد يفرض على المعيدين مشاعر خاصة هى التى تملل هذه الظاهرة ... ظاهرة الحزن الجديد والفرح الجديد ...

العيد يقوم من جهة بدور المدسة الكبيرة تتراءى ما بعدها من المرئيات كباراً غلاظاً باذخة الأطراف شامخة الهامات ، ويقوم العيد من جهة أخرى بعقد مقارنات سريعة عاطفية بين المرء والمرء وبين المرء ونفسه ، فمقارنة بين خائب ومصيب ، وبالغ ومقصر ، ومقل ومكثر ، وغنى وفقير ، وجائع وشبعان ، تنتهى بهذا الإحساس الذى نحن بصدده من الشعور

يصاب الإنسان بما يصاب به من لغوب هذه الحياة ووعثائها ، فإذا وافى العيد ، وكانت النعمة التى لديه لا تزدهيه فى سائر الأيام ازدهته فى ذلك اليوم ، لأنه ينظر إليها من خلال العيد فيراها كبيرة باذخة فيرتاح لها ويبتهج ، أما إذا كان ما بين العيد والمعيد حزن وألم ، فإن هذا العيد لن يُرى صاحبه إلا ألماً كبيراً .

أما المفارقات ، فأمرها أشد ووقعها أمض ، مقارنات يعقدها العيد بين شخص وشخص ، وبين شخص ونفسه ، فى زمنين مختلفين ، هذان أليفان آض ما بينهما كلاماً فى غير دقة ، وسلاماً فى غير رقة . وهذه قلوب كانت تحن ، فأضحت تئن . وهذه مسكينة كانت فى العيد السالف فى كلاءة أبوين ، فصارت فى هذا العيد سطراً فى كتاب اليتم ... وهذه أم كان لها فى العيد السابق فتى يملأ دنيا أحلامها بأشتات المنى فاحتسبته وأقامت تندب ذكراه . وهذا أب اغتالت المنية وحيده فتركته لا يقدر على شىء ، وهذا فتى فى ميعة الصبا كان وثيق التركيب جميل المظهر ، ولكن العيد وجده فى مخالب المرض ينفث نفسه وينتظر رمسه . وهذه أمة كانت بالأمس الدابر تملأ حيزاً ومكاناً ينظر إليها الناس أمة فأصبحت أمَة ... كل هذه مقارنات يأتى بها العيد بين شخص ونفسه فى زمنين مختلفين تملؤها غصة وشكاة ودموعاً .

ولقد تكون المقارنة بين شخص وشخص ، فينظر الطفل الفقير وقد عرف الفقر وعرفه طوال العام ، ينظر إلى الثوب المتواضع الذى أنفقت فيه أمه جهد شهر فى الخدمة ... ويقارنه بالثوب المترف الفاخر الذى يرتديه غيره من الأطفال فيستشعر

لأول مرة فى العام خفقة الألم . وينظر الجائع وقد عرف الجوع وخبر بلواه إلى الشبعان الذى عرف التخمة وخبر بلواها ، فيناله من مقارنة العيد ألم جوع وألم غضاضة ، وينال الآخر لذة شبع ولذة مكاثرة !

وينظر اليتامى فى الملجأ إلى هيا كل أجسادهم رممدهم ، وقد كانت ثياب هذه الهيا كل طول الحول قطعاً من فضل المحسنين ، وهذه المعد طول العام وعاء للخيرات ... ولكن العيد يرسل إلى هؤلاء مقارنة بينهم وبين سواهم ممن رداؤهم قطعة واحدة من يد محسنة واحدة ، فتأسى الأنفس وتذكر فى سبيل المقارنة ما فاتها .

هكذا تتقد اللوعة ، وهكذا تزداد الشكاة فى العيد ، وأولئك الغلف قلوبهم لا يعلمون أن فى الناس من يذوق طعم الموت وهو حى . وهكذا يجد الواحد منا كيف تتعاقب الأيام بالسراء والضراء فيفيد من هذه وهذه أن الأمور لا تقيم على حال ، وأن وراء الشدة رخاء ، وبعد العناء عزاء ، وأن العبد إن أساء فقد يحسن ، وأن الصبر أجدر من حلم ضائع ورشاد سليب وفؤاد هواء ، ثم يجد الواحد فوق ذلك — وقد خبر النعمة والنقمة — كيف يسلف اليد المحسنة والساعدة المسعفة ، وينتزع من أحاديس نفسه وخلجاتها ما يشغف به القلب الذى أضاع الشغاف ، والفؤاد الذى برحت به النوب وتخارمته الأوصاب ، وكل إحسان فى العيد عيد فى الإحسان ، فالمصافحة والابتسامة والقبلة والدرهم وبطاقة العيد والهدية والزيارة والتفقد والتسآل وعيادة المريض والإشراف على موطن الألم من المتألم ، وكفكفة دمعة الباكى ومسح رأس اليتيم كل أولئك كجرعة الماء فى المهمه القفر . . وإن كانت ماء فهى لذى غلة به إليها تحنان ، وله إليها تشوف ونزوع ؛ وهى فى مفهوم الصحراء المهلكة ذهب وفضة وخيل مسومة وأنعام وحرث . والقلوب بالفة ما بلغت من الاختلاف والتمايز لا يؤلف بينها ولا يجمع شتاتها ولا يجعل منها وحدة رصينة مثل رباط المشقة وصلة المشكلة ، فلقد يصرف فى سبيل توثيق صلة من صلات الود ما يصرف من وقت ومادة . ثم لا تتوثق هذه الصلة كما تتوثق أخرى لم يصرف فيها إلا تفقد وتسآل واشتراك فى محنة .. وهذا العيد يتيح هذه الفرصة ويمكن لمن يريد أن يشترى قلوب الناس . أن يشتريها بأثمان بخسة لا يستطيع أن يحصل عليها فى الظروف الاعتيادية ، لا تنى هذه الفرصة إلا مرتين فى العام توضع فيهما هذه القلوب البشرية الخفاقة بالمزاد العلنى يشتريها من كان لديه المال الكافى من العطف والرعاية والحنان ، وإنه فى الحق لنصيب عظيم أن تشترى قلباً بابتسامة وقلباً بتفقد وقلباً بمصافحة وقلباً بهدية وقلباً بدمعة وقلباً بزيارة ... وهذه القلوب مهما ضعفت ومهما كانت ذاوية نحيلة ، ومهما كانت منذرة بالفناء فهى تدوم على الأقل خفاقة للعيد القادم يوم تعرض قلوب جديدة بآمال جديدة وآلام جديدة تبتغى شارياً جديداً بعطف جديد وهكذا ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى   بها كبداً ليست بذات قروح

هذا نداء يجسمه العيد .. وفى الطوق والإمكان أن يلبيه كل ذى كبد فيعود بكبد صحيحة وكبد مصححة يبسم لها لأنه صححها وتبسم له لأنها تعترف بالفضل ، وما بين الابتسامتين من معانى الجمال ما لا يقوم له شىء ويعود معنى ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى   بها كبداً ليست بذات قروح

معنى جديداً كالعيد الجديد بين كل اثنين من العيدين مؤداه :

كلى بكلك ممزوج ومتصل   والحادثات التى تؤذيك تؤذينى

ليكن مقياس العيد مقياساً أكبر من مقياس المادية .. فلا تقل وقد أدبر العيد كم ثوباً جديداً لبست ، بل قل كم قلباً اشتريت ، وكم كبداً صححت ، وكم ثغراً بالابتسام ملكت ، وكم دمعة حارة من دموع العيد كفكفت . فذلك أقمن بالإنسانية وأدعى للفخر وأجلب للبهجة وأكثر اتساقاً مع معنى العيد .

منيبة الكيلانى

حول التنويم المغناطيسي (*)

للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني

١ — يذكر التنويم المغناطيسي محاطاً بالغموض والإبهام . فهل هو علم ثابت الأساس ، أم شعوذة وإبهام ؟ وما مدى اتصاله بعلم النفس .

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه ، وإن كان هناك خطر فما هو ؟ وهل يتعارض والدين ؟

٣ — ألا ترى أنه يعصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة ؟

(ج . ع . م)
كوستى السودان

التنويم المغناطيسي ظاهرة طبيعية لا تعد من الخوارق ، فهى كالنوم الطبيعى ، إلا أن النوم المألوف يحدث من الإنسان لنفسه والمغناطيسى يحدث بتأثير شخص آخر . ويسمى النائم فى عرفهم «الوسيط» إذا كان متصلا بالمنوم اتصال تجارب وعمل . ويتم النوم المغناطيسى بشروط ، الشرط الأول قابلية الشخص أو الوسيط للنوم ، إذ ليس كل شخص قابلا للنوم المغناطيسى . ومما يذكر فى هذا الصدد أن المشتغلين بالتحليل النفسانى ونعنى بهم فرويد ومدرسة شاركو فى فرنسا بدأوا حياتهم الطبية فى العلاج بطريقة التنويم المغناطيسى ، ولكنهم عدلوا عنها لأسباب منها أنه ليس جميع المرضى يخضعون للنوم ، ومنها عدم جدوى هذه الطريقة

وهناك بعض الناس يسهل تنويمهم وخضوعهم ، وهؤلاء يكونون خير وسطاء .

وأول من اهتدى إلى التنويم المغناطيسى هو العالم « مسمر » وكانت تسمى طريقته بالمسمرزم Mesmerism نسبة إليه . واشتهر أمره فى القرن الثامن عشر ، واختلف الناس فى أمره ، وافتتنوا بأعماله ، فكلفت الحكومة الفرنسية العالم الكيماوى لافوازييه أن يبحث هذه الظاهرة العجيبة فى ضوء العلم . واستمر افتتان الناس والعلماء بهذا الفن حول قرن من الزمان حتى أصبح مألوفاً وعرفوا أنه لا يثمر نتيجة فى العلاج من الأمراض العصبية ، فانصرفوا عنه فى أواخر القرن الماضى كما ذكرنا ، وأخذوا بطريقة التحليل النفسانى .

والشرط الثانى استعداد المنوم وقوة تأثيره ، وهذا الاستعداد منه طبيعى موهوب ، ومنه صناعى مكسوب : ويكسب المرء قوة التأثير بتدريب نفسه فى إلقاء الصوت النافذ الذى يشبه الأمر الصارم ، وفى حدة النظر ، وحسن الهندام ، وبالجملة اكتمال الشخصية فى جميع نواحيها بحيث تصبح قوية ، فما لا يتسع المجال لتفصيله ...

والشرط الثالث المعرفة بالأساليب الصناعية فى التنويم ، كالجلسة الخاصة ، والوقفة المناسبة ، وتوجيه النظر بالعين أو بالكرة المغناطيسية ، وإحداث السحابات المغناطيسية وهى المرور باليدين من أعلى إلى أسفل بالقرب من جسم الوسيط مبتدئا برأسه .

واعلم أن التنويم المغناطيسى يحدث حولنا دون أن ننتبه إليه ودون أن يعرف المنومون والمنومون ماذا يجرى منهم . فالأم تهدهد طفلها ، وتربت على جسمه بيديها ، وتغنى له وتأمره بعد ذلك بالنوم فينام . وكثيراً ما تلاطف قطة فى دارك ، فتهدأ ، وتغمض عينيها ، وتخضع لك مادمت تمر بيدك على جسمها . ولهذا كان من الجائز وليس من الغريب تنويم الحيوان . وقد رأيت فى السينما ذات مرة شخصا ينوم دجاجة بأن يجمعها على الأرض ويخط أمام منقارها خطا مستقيما فإذا بها تذهب فى النوم .

وللنوم درجات أعلاها التخشب

وهم يدربون الوسطاء على قراءة الفكر وهى ظاهرة مألوفة معروفة ، فينقل النوم مايريد من أسئلة إلى الوسيط كما ينقل إليه الإجابة أيضا . وهؤلاء هم طائفة المشعوذين الذين يوهمون المتفرجين أن فى مقدرة الوسيط أن تسبح روحه فى عالم الغيب فيطلع على المستقبل المخبوء ويعرف أسرار الناس وما تخفى الصدور . وهذا كله وهم وخداع ، إذ ليس فى قدرة الوسيط أن يعلم إلا ما يعلمه له المنوم وينقله إليه .

أما النظرية القائلة بأن التأثير الحادث فى التنويم المغناطيسى يرجع إلى اتصال الروح بالروح ، فهى نظرية لم يقم عليها دليل ثابت أو برهان قوى برغم على الاعتقاد به ، أما النظريات التى يأخذ بها العلماء المتثبتون إلى أن يظهر ما يبطلها أو يكون أقرب

(*) وجه إلينا هذا الأستاذ الكريم الأسئلة المرقومة فى عدد الرسالة ٧٢٣

منها إلى التفسيرات العلمية ، فهى أولا صدور « سيال » Fluid مغناطيسى بين المنوم والمنوم ، ولم يصلوا إلى كنه هذا السيال ولهذا عدل عن الأخذ بهذا التفسير جمهرة العلماء . ونظرية ثانية حديثة تشبه المخ البشرى كأنه « بطارية » كهربائية ، أو كجهاز الارسال والاستقبال مثل المذياع ، فكأن ما يحدث بين المنوم والوسيط هو تبادل الرسائل على أمواج الأثير . وأنا شخصيا أميل إلى الأخذ بهذا التفسير .

ولا نزاع فى أن فن التنويم فيه عنصر مادى وآخر معنوى . فالعنصر المادى هو ذلك الذى بسطناه من قبل كالنظرات والسحابات ...

وأستطيع أن أشبه جسم الانسان بزجاجة ، وما فيه من لحم وعظم ودم ببرادة الحديد . فإذا مر قضيب المغناطيسى بهذه البرادة انتظمت فى داخل الزجاجة وتأثير بالجاذبية . كذلك جسم الإنسان يتأثر بالتيارات المغناطيسية التى يوجهها المنوم توجيها صناعيا فتنتظم ذرات جسمه . ويقال فى هذا الباب إن المرء إذا أراد أن يكسب جسمه قوة مغناطيسية فعليه أن ينام ويجعل رأسه إلى الشمال ورجليه إلى الجنوب ، والشمال كما نعلم هو القطب المغناطيسى للأرض ...

وليس فى تعلم التنويم أى خطر ، وإنما الأولى أن نسأل ما هى الثمرة التى نجنيها من تعلمه ، وهل تستحق أن ينفق فيها المرء الجهد والزمن ؟ ونقول إن للتنويم ثمرتين ، الأولى فى العلاج من الأمراض العصبية ، والثانية فى معرفة المستقبل . وقد ثبتت عدم جدوى التنويم فى العلاج كما ذكرنا ، ولم يثبت أن الوسطاء يعلمون الغيب . وقد نشط العلماء خلال الحرب الأخيرة يجربون تجارب حديثة تختص بفوائد التنويم ، منها الاستغناء فى العمليات الجراحية عن التخدير بالعقاقير ، والاستفادة من التنويم المغناطيسى وما يحدثه من تأثير . ولا تزال هذه التجارب فى البحث .

الخلاصة أن التنويم المغناطيسى علم وفن ، له أعظم الصلة بعلم النفس بل هو فرع منه ، وهو على التحقيق فصل من باب الايحاء ؛ فإذا كان العلم بالنفس يتعارض مع الدين ، فالتنويم المغناطيسى يتعارض بطبيعة الحال . غير أنه لا وجه للتعارض بين علم النفس والدين ، بل العلم بها مطلوب للوصول إلى اليقين ، وفى ذلك قال تعالى «وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون» .

ويمكن أن ننقل القضية إلى ميدان أوسع فنقول : هل يتعارض العلم إطلاقا مع الدين ؟ وهذا بحث شغل أذهان الباحثين خلال القرن التاسع عشر ، ثم خفت حدة الخلاف وتم الوفاق أخيراً بين العلم والدين . وهذه النزعة التى نشاهدها الآن فى أوربا وأمريكا حيث يسود العلم تبين لنا اتجاه الناس نحو الدين بعد موجة الإلحاد والزندقة .

ومع ذلك يقول بعض العلماء إن التقدم فى علم النفس ، وبخاصة فى أحد فروعه وهو التحليل النفسانى ، من الأسباب القوية التى تصرف الناس عن الإيمان ، لأن هذا العلم يستند إلى المبدأ القائل بالحتمية النفسية determinism psycholog ique ، أى اتصال سلوك الفرد بأسباب محتومة تستغرق نفسه منذ الصغر وبحكم البيئة . فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى أن نحاسب السارق أو القاتل ، لأن الأسباب الدافعة للمجرمين فى اعتدائهم لا بد أن تمضى إلى نهايتها فتحدث نتائجها ولا يستطيع المجرم أن يتخلص منها . ولكن هذا بحث آخر لا يدخل فيما وجه إلينا من أسئلة فنكتفى بهذا القدر وفيه الكفاية .

(رأس البر) **أحمد فؤاد الأهوانى**

«طاعة» الشـــام!

[مهداة إلى الأستاذ شفيق جبرى]

للأستاذ على حيدر الركابى

أستاذى الفاضل :

نشرت لكم مجلة (العالم العربى) كلمة بعنوان (طاعة الشام) فى عددها الصادر فى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٤٧ فقرأتها ووقفت أمامها حائراً بين الرد عليها والسكوت عنها . كان يدفعنى إلى الرد أنكم عالجتم موضوعاً خطيراً ومثيراً ، ووجهتم إلى بلدكم الذى هو بلدى تهماً لا يقبلها ذو كرامة . وكان يدفعنى إلى السكوت أنى نشأت على الإعجاب بكم واحترام علمكم والثقة بآرائكم وقات فى نفسى إن أستاذنا الكبير لا ينطق عن الهوى وإن له من سعة الاطلاع وكثرة التجارب وعمق التفكير ما لا يبقى معه مجال لاعتراض معترض . وأخيراً رجح عندى التريث حتى تظهر نتائج الانتخابات العامة فى سوريا وهى أكبر محك للشعب : فإذا رافق الانتخاب ضغط وتدخل وسكت عن ذلك أهل الشام سلمت بنظرية أستاذى الكبير ولزمت الصمت وكلى خجل من طاعة الشام ، وإذا حال أهل الشام دون الضغط والتدخل وتقدموا إلى الانتخاب بحرية وميزوا بين الصالح والطالح كتبت الرد .

وظهرت النتائج الباهرة فإذا بى أتناول القلم لأكتب هذا الرد . ولا أخفى عنكم ياسيدى أننى فى سرى كنت أتوقع شيئاً مما حدث وأدعو الله أن يحققه . فإذا تجرأت الآن على مخاطبتكم على صفحات (الرسالة) فإنما أفعل ذلك بدافع من حبى للشام واعتزازى بأهله وشعورى بواجب الدفاع عنهم بالحق كما أنى من جهة ثانية واثق من رحابة صدركم :

زعمتم يا سيدى أن فى خلق أهل الشام « طراوة وتميعاً » جعلتهم يشتهرون بالوداعة وبالطاعة والمتابعة . واستشهدتم على ذلك بعبارات قالها بعض رجال التاريخ العربى ثم فتشتم عن سبب هذه (الطاعة) فوجدتم السر فى « طبيعة بلاد الشام ... هوائها ومائها وسمائها وأرضها » ولجأتم إلى (أميل لودويغ) لدعم رأيكم وخرجتم من ذلك كله بأن طعنتم رجولة الشام وأهلها وأشرتم إلى اغتيالات مصر وثورات العراق بما يفهم منه ضمناً أنكم آسفون إذ لم تحذ الشام حذو شقيقتها . وكان بودكم أن تطيلوا البحث لولا أن «المجال لا يتسع للتبسط فى الكلام على طبائع أهل الشام» ولولا أن لطف الله و « اقتصرت من هذه الطبائع على واحدة » لقرأنا لكم عن قومكم مالا يبقى ولا يذر ! وختمتم بحثكم بكلام عام عن « تشتت أخلاقنا » وضربتم مثلا عليه تعدد النزعات السياسية بيننا .

أما استشهادكم بالأقول التاريخية فلا أود أن أتعرض له بأكثر من كلمة : ذلك أن كلام القادة والولاة والمؤرخين الذين نقلتم عنهم إما أن يكون وصفاً واقعياً وفى هذه الحالة يكون منطبقاً على عصر القائل وليس شرطاً أن يكون الخلق الموصوف باقيا حتى العصر الحاضر ، وإما أن يكون الوصف ذاتياً أى أنه وصف للصورة التى كونتها فى نفس القائل تجاربه الشخصية والتى حملته على أن يستخلص حكما عاماً من حوادث خاصة وفى هذه الحالة لا يصح الاستشهاد به .

أما نسبتكم طاعة أهل الشام إلى اعتدال مناخهم ، ورقة طباعهم إلى جمال بلادهم فإنه يحوى فى طياته جزءاً من الحقيقة لا كلها . ذلك أن الطبيعة يا سيدى — وسيد العارفين — ماهى إلا عامل واحد من العوامل التى تؤثر فى طباع الناس . ومعاذ الله أن أتعدى على علمكم وفضلكم فأروح أعدد تلك العوامل أو أشير إلى علماء الاجتماع وكتبهم؛ ولا أسمح لنفسى إلا بأن أذكركم — بكل تواضع — بأن الأحداث الخطيرة التى تتعرض لها الأمة ذات أثر قوى فى تكوين طباع أفرادها ، وهو أثر لا يقل عن أثر الطبيعة نفسها لا بل قد يفوقه . ومن هذه الأحداث الحروب والكوارث الوطنية والحكم الأجنبى والأزمات الاقتصادية الخ. ولعلكم تعترفون كذلك بأن الثقافة وانتشار التعليم من العوامل الرئيسية . وعلى هذا فإن طبيعتنا الحلوة إن ولدت فى أمزجتنا اعتدالا وفى شمائلنا رقة فإن تلك الأحداث قد أوجدت فينا إلى جانبها قوة الشكيمة وصلابة العود وإن انتشار التعليم قد خلق فينا وعياً وقدرة على التمييز .

وليس مثلكم من يحتاج لأن تضرب له الأمثال عن صلابة

عود أهـل الشام وأنتم فى طليعة موكب الـكفاح والوطنية . ولا أحب أن أحيلـكم على كتّـاب من أبناء فرنسة سجلوا لنا الفخار واعترفوا لنا بقوة العزيمة . بل أدعوكم إلى رحلة زمنية ومكانية نبدأ فيها بالغليان الفكرى الذى ولد ثورة العرب على العثمانيين والذى كان من أقطابه أبناء الشام البررة الذين أدوا ضريبة الدم على مشانق (جمال باشا السفاح) . ثم نسير فى ركاب (فيصل) من الحجاز إلى الشام لتشاهدوا الشاميين فى عداد أعوانه وجنوده . ونستقر بعد ذلك فى ربوع الشام نفسها حيث قام مُلك عزيز قوى عقد العرب عليـه آمالهم . وما كان لينهار لولم تتآمر الدول المعظمة عليه . ولعلـكم لم تنسوا (ميسلون) وروابيها المخضبة بدماء الأبطال وأنتم تمرون بها فى طريقكم إلى مصيفكم الهادىء فى (بلودان) وننتقل بعد ذلك فى (حلب) وجوارها أيام الزعيم (هنانو) وفى (دمشق) و (الغوطة) و (جبل الدروز) ونحيى معاً التربة التى قدستها أرواح شهدائنا . ثم نتجول فى شوارع مدننا وأزقة قرانا ، فى سهولنا الخصبة وجبالنا الخضراء ونستمع إلى قصص البطولة والمجد المسطرة على كل حجر وفى كل شبر من الأرض — سطرناها فى كل يوم من أيام استعبادنا البغيضة لنسمع الملأ بأننا لا ننام على الضيم . ألا يسعدكم أن تعيشوا ثانية — فى الخيال — تلك الأيام الخمسين التى أضربت فيها البلاد من أقصاها إلى أقصاها حتى أذات الشامخ وأنزلته من عليائه ليمد لها يد الصداقة . ألا يثلج قلبـكم أن ترتقوا ثانية — فى الذهن — منبر الجامعة السورية لتؤبنوا (هنانو) بمرثية دكت عرش الغاشم وأذنابه ؟ وهل تسمون الإعراض عن مغريات المستعمر فى ذلك الإضراب المخيف أو استجابة الشعب لصرختـكم المدوية طاعة ووداعة ؟ وتلك السجون التى ملئت فيما مضى بأحرارنا ، وهذه القلاع الحصينة المشرفة على عاصمتنا وسائر مدننا ، هـل أقامتها فرنسة خوفاً من طاعتنا ووداعتنا ؟ وهذه المخازى الجنونية التى تركت فرنسة لنا أثرها الوحشى فى دار (البرلمان) وفى غيرها من دورنا العامة والخاصة هل تعدونها وثيقة اعتراف منها بأننا كنا طائعين وادعين ؟ وذلك الجلاء الذى تم وهذا الاستقلال الذى ننعم به وهذه المـكانة الدولية المرموقة التى باتت فخراً للعرب كافة هل هذا كله من صنع الطاعة والوداعة ؟

كلا يا سيدى ! لقد خانتكم الذاكرة وما أسعفكم التعبير ، ثم أخطأتم فى الحساب فما كانت ثورة واحدة بل ثورات …

لا إخالـكم تنـكرون ذلك ، وأغلب ظنى أنـكم تأخذون على أهل الشام طاعتهم لحكامهم بعد الاستقلال لا قبله وأنـكم ترون هؤلاء الحـكام « على مقدار من الجهل وكره العلم لا بأس به وحصروا مرافق الدولة فى حزبهم وأصحابهم وحبسوا وظائفها على صنائعهم وعبثوا بالقانون وبددوا بيت المال » . إن كان هذا قصـدكم وإن صح أن هؤلاء الحـكام كما ذكرتم أفما أقنعتـكم الحوادث أن الشعب لم يقف منهم موقف الطاعة والوداعة ؟ لقد رفض الشعب اتفاق (بفن بيدو)[1] وغضب على المرسوم (٥٠)[2] وطالب بتعديل قانون الانتخاب وتأهب للوثوب فيما إذا وجهت الانتخابات توجيهاً خاصاً فانتصر على طول الخط إذا اضطرت الحكومة بعد تبنى الاتفاق المذكور إلى نبذه واللجوء إلى مجلس الأمن ، كما أرغمت على سحب المرسوم (٥٠) وعدل مجلس النواب قانون الانتخاب فأصبح على درجة واحـدة ، وأخيراً جرت الانتخابات فإذا بها تخلو فى الغالب من الضغط والتدخل ، وإذا بنتائجها تدل على أن الشعب لم يكن طائعاً وادعاً . لم تـكن هناك طاعة عمياء بل تمرد واع على كل باطل وقد بلغت البلاد بفضل ذلك درجة من التقدم فى تطورها السياسى لم تبلغه كثير من الدول التى سبقتها إلى الاستقلال .

هذا ما قام به الشعب . أما رد الطعن على هذه الحكومة فى مجالسنا الخاصة وفى مقاهينا فيتلاشى هذا الطعن كما يتلاشى دخان القاهى فى الفضاء » فهو من عمل الخاصة لا العامة — الخاصة التى لا تمثل حقيقة الشعب فى خوفها على تعكير صفو حياتها ، فى تأنيها وبطئها ، فى أبراجها العاجية الرفيعة ، فى أهدافها المجهولة وغاياتها الحائرة ، فى تذمرها (النظرى) ومللها الأرستقراطى ، فى هروبها من الواقع وهجرها ميدان العمل ، فى أثرتها وشذوذها

---

(١) هو اتفاق عقدته بريطانية مع فرنسة فى لندن فى أواخر عام ١٩٤٥ وقررتا فيه مصير سورية ولبنان دون استشارتهما وأقامتا لهما فى البلدين حقوقاً وامتيازات . ولم ينفذ هذا الاتفاق قط .

(٢) هو تشريع حاولت الحكومة إصداره فى خريف عام ١٩٤٦ ويتضمن منحها سلطات دكتاتورية كتعطيل الحريات العامة ووضع القيود الثقيلة على الصحافة .

فى تفرقها وتناقضها .

هل يرغب أستاذنا الفاضل فى أن يثور أهل الشام وأن يقتتلوا من أجل سواد عيون هذه الخاصة المترفة ؟ أفلا يرى الصلاح كل الصلاح — بعد الاستقلال — فى ذلك التطور الطبيعي وذلك التدرج المحمود وتلك الحركات الشعبية السليمة التى أوجدت لنا مجلساً جديداً للنواب يمثل الأمة تمثيلا هو أقرب ما يكون إلى الكمال ؟ إلا يحوى هذا الوضع فى طياته ضماناً كافياً للمستقبل الذى سنتخلص فيه من تلك الأخطاء فى الحكم التى أشار إليها والتى لا ينكر وجودها - أو جلها — والتى لا تنفرد بلاد الشام فيها ؟ وما الذى جنته مصر من اغتيالاتها غير فقد رجل مثل (أحمد ماهر) لا يعوض ؟ وما الذى جناه العراق من ثوراته الداخلية غير الخسارة فى الأموال والأرواح ؟ .

وتقولون إن فى الشام نزعات « فهذا شيوعى وهذا نازى وهذا فاشستى وهذا فرنسى وهذا إنكليزى وهذا تركى وهذا سعودى وهذا هاشمى ، كل واحد على قدر مصلحته وبحسب منفعته ! » وهذا لا ينكر؛ ولكن الشكوى من هذه النزعات ليست منحصرة فى حدود الشام بل تكاد تكون عامة فى جميع البلاد العربية . لا بل فى جميع بلاد العالم . ثم إن أهل الشام جديرون بكل تقدير وإعجاب لأنهم فى الانتخابات الأخيرة أبعدوا عن الندوة النيابية بعض الأشخاص المعروفين بالنزعات المتطرفة فأصبحت دائرة نشاطهم محدودة . هذا فضلا عن أن مكانتهم فى مجتمعهم كانت وما تزال ثانوية وأثرهم فى محيطهم كان وما يزال وسيبقى ضئيلا

سيدى الكريم :

أرى أن الوقت قد حان لإنهاء هذا الكلام الذى آمل أن تكونوا قرأتموه بما عرف عنكم من بعد عن الغضب وتشجيع للشباب وحب لكل ما يتصل بالفكر . وإنى أرجو فى الختام ألا تحرموا وطنكم من ثمرة علمكم وأن تعملوا على قتل النزعات المتباينة بإرشاد أهل الشام إلى الطريق السوى الذى ترون لهم فيه الخير والفلاح .

واقبلوا أصدق عبارات الإعجاب والاحترام .

بغداد — علي حيدر الركابي

١٤ ٥ ٢٩ .

خواطر مسجوعة :

الحب ...

(إلى من آمن بالحب ، ومن كفر به)

الحب كما عرفت ، فإن لم تكن على حقيقته وقفت ، فقد استرحت وأمنت ، وخير لك أن تظل كما أنت . فإن قالوا لك إنه رتبة سامية ، وحياة ثانية ، فقل لهم إنه عنيف جبار ، وشواظ من نار . وإن قالوا إنه أوحى وألهم ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، فقل إنه قرين القلق ، وخدين الأرق ، بل الشغل الشاغل ، والداء القاتل !

فمن عرف الحب طاهراً قاهراً ، بات حائراً ساهراً ، يناجى من حبيبه روحاً دانياً ، وشبحاً نائياً ، قانعاً من الحب بروحه لابذاته ، ومن الحب بنيرانه لا بجناته وبمازعم أن هذا لا يكفيه ، فاستزاد ربه على ماهوفيه ، فقال يامن خلقت قلبى رقيقاً ، وأصليته حريقاً ، أردتنى صباً ، فزدنى حباً ، وهبنى جنوناً هو عندى الهدى ، وفى غيره يضيع العمر سدى ...

هكذا ترى الولهان متفلسفاً فى خباطه ، أو مسرفاً فى اغتباطه ، فإن خير بين سهاد الشجى ، ورقاد الخلى ، آثر الأول ، كارهاً أن يتحول . ولو وهب أيامه للصبر ، وصحب أوهامه إلى القبر ، فإن ذهبت مذهبه ، وأعجبك ما أعجبه ، وآمنت بأن حياة الحب فناء فى رضاه ، فانشد إن شئت فى ذلك الموت تلك الحياة . وإن شئت فاهزأ بالحب والمحبين ، ودعهم فى نارهم معذبين وحسبك دنيا محدودة الأبعاد ، تمرح فيها فارغ الفؤاد ، ضاحكا بملء شدقيك لا لك ولا عليك !

ولست بشارح لك حقيقة الحب ، فالحب يعرفه من أحب . وإن قدر لك الحب ووقعت ، عرفت ما من شرحه امتنعت !

حامد بدر

واضع علوم البـــــلاغة

رأى ابن خلدون فيه

للأســـتاذ على محمد حسن العمارى

تهيأ للبحث التاريخى أن يهتدى لمولد كثير من العلوم ، وأن يتعرف على واضعيها ؛ فهو يعين أول من تكلم فى النحو ، ويؤكد أن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو واضع علم العروض ، وأن أبا معاذ الهراء أول من أفرد الصرف بالتأليـف … وهكذا . ولـكن أصحاب تاريخ العلوم لا يتفقون على رأى فى واضع علوم البلاغة ، ولعل منشأ ذلك كثرة الـكاتبين فيها فى أزمنة متطاولة ، كما أن تأخر التقعيد فيها وظهورها أول الأمر فى مظهر النقد الأدبى جعل الأنظار تتجه وجهات مختلفة ، وسنقدم بين يدى بحثنا كلمة عن نشأتها :—

تـكاد تتفق كلمة العلماء على أن القول فى البيان كان مبكراً ؛ فالخليل المتوفى سنة ١٧٠ هـ تحدث عن الاستعمال المجازى والجناس والمطابقة ، وتلميذه سيبويه المتوفى سنة ١٧٧ هـ تكلم عن التقديم والتأخير ومجاز الحذف ؛ ثم استفاضت هذه البحوث فيما كتبه الجاحظ (٢٥٥) وأبو هلال (٣٩٥) وابن رشـيق (٤٤٧) فكتبوا كتابات ذات بال ولـكنها كانت مختلطة بالمباحث الأدبية. فلما جاء عبد القاهر الجرجانى (٤٧٤) وضع كتابين (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) وتحدث فى الأول بإفاضة عن مباحث علم البيان ، ومال قليلا إلى بعض مباحث البديع ، وخص الثانى بمباحث علم المعانى . وهذان الـكتابان من أحسن ما كتب فى هذين العلمين إلى يوم الناس هذا ؛ فشواهدهما كثيرة ، وأسلوبهما من أقوى الأساليب وأنصعها ، وفيهما ميل واضح إلى التقعيد والتقنين . ونستطيع أن نقول أن مباحث العلوم الثلاثة قد تميزت بعد عبد القاهر ، فابن المعتز (٢٩٦) ألف كتاباً فى البديع ذكر فيه سـبعة عشر نوعاً منها مباحث علم البيان ، وأبو هلال ذكر خمسة وثلاثين نوعاً من البديع وبذلك أصبح لهذا العلم كيان مستقل ، وأما البيان فقد أفاض فيه عبد القاهر فـكان صاحبه ، وكذلك علم المعانى إذا أضفنا ما كتبه العسكرى ، ولو أن علوم البلاغة وصلت إلينا على الحال التى كانت عليها فى عهد عبد القاهر لـكانت ذات غناء وجدوى ، ولـكنها مُنيت بالقيود والأغلال فظلت سجينة فيها حقباً طوالا ، وكان ذلك على يد العالم الجليل أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فوضع كتابه « مفتاح العلوم » وكان صاحب فلسفة فأخضع علم البيان لذهنيته الفلسفية ، وقد نظر فيما كتب السلف من بحوث فنظمها فى قواعد جافة كمواد القانون ، ومنذ ذلك الحين ودراسة البلاغة لا تعدو هذه الدائرة التى صب فيها السكاكى مباحث البيان والمعانى والبديع ، وكذلك التأليف لم يعد أن يكون اختصاراً أو شرحاً أو تحشية على المفتاح أو ما تفرع منه . ونستطيع أن نستثنى بعض كتب قليلة ككتاب الطراز فإن صاحبه لم يطلع على شىء مما كتبه السكاكى فيما يحدثنا عن نفسه .

نستطيع أن نتبين بعد هذا من غير كبير عناء أن صاحب علمى المعانى والبيان هو عبد القاهر وأن صاحب البديع هو عبدالله بن المعتز ، وقد يعيننا على ذلك أمران :

(١) ما كتبه العلوى فى مقدمة كتابه الطراز « وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجانى »

(٢) ما كتبه السكاكى فى فصل أخير من كتابه بعد أن تحدث عن عمله فى علمى المعانى والبيان قال « هذا ما أمكن تقريره من كلام السلف رحمهم الله فى هذين الأصلين ، ومن ترتيب الأنواع فيهما ، وتذييلها بما كان يليق بها ، وتطبيق البعض منها بالبعض ، وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة » ثم قال « وعلماء هذا الفن — وقليل ما هم — كانوا فى اختراعه ، واستخراج أصوله ، وتمهيد قواعدها ، وإحكام أبوابها وفصولها ، والنظر فى تفاريعها ، واستقراء الأمثلة اللائقة بها ، وتلقطها من حيث يجب تلقطها ، فعلوا ما وفت به القدرة البشرية إذ ذاك »[1] وإذا أردنا أن نعرف من هم السلف الذين قصدهم السكاكى هدانا البحث فى كتابه إلى أن عبد القاهر هو المقدم فيهم ، وعليه اتكأ السكاكى فهو يصرح فى موضع من كتابه بفضل عبد القاهر

(١) المفتاح ص ١٧٥ الطبعة الميمنية .

فيقول عند اختلافهم على أن الاستعارة مجاز عقلى أو لغوى « ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدس الله روحه لهذا النوع بين اللغوى تارة وبين العقلى أخرى على هذين الوجهين جزاه الله أفضل الجزاء فهو الذى لا يزال ينور القلوب فى مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليما وإرشادا »[1] وهو يترسم خطاه فى مواضع كثيرة حتى لينقل سطوراً من كتبه بنصها ، وأن تأثره به لبعيد المدى وسنفرد هذا ببحث خاص إن شاء الله .

كل ذلك لابدع عندنا مجالا للشك فى أن عبد القاهر صاحب الفن وممهد قواعده ومهذب مسائله . لكن ابن خلدون هذا الألمعى النابغة جاء برأى فى مقدمته أضل بعض الكاتبين بعده ، وهو رأى ذو خطر لأنه يسلب الإمام الجرجانى كل أثر فى وضع هذه العلوم قال : « وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثانى ، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ، ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب جعفر ابن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها ، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن مخض السكاكى زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ، وألف كتابه المفتاح فى النحو والصرف والتعريف والبيان[2] » .

ولننظر أولا فيما فعله السكاكى حتى نكون على بينة . نظر فيما كتبه المتقدمون فوجد أبحاثاً فى النظم والتشبيه والاستعارة وغيرها من مباحث الفن ، ولكنها لا ترجع إلى ضوابط وقوانين ، فكان كل همه أن يقعد هذه المسائل ويخترع لها الاصطلاحات العلمية ، وهذا المسلك واضح كل الوضوح فى عمل السكاكى وفى قوله ، فهو فيما نقلنا آنفاً يقول : « وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة » . ويقول فى موضع آخر : « ثم ما لهذا العلم من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى علماً لقى من الضيم ما لقى ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، أين الذى مهد له قواعد ورتب له شواهد ، وبين له حدوداً يرجع إليها ، وعين له رسوماً يعرج عليها ، ووضع له أصولا وقوانين ، وجمع له حججاً وبراهين وشمر لضبط متفرقاته ذيله ، واستنهض فى استخلاصها من الأيدى رجله وخيله[3] » .

ومع أن صدر هذا الكلام متابعة للإمام عبد القاهر فى حديثه عن الضيم الذى لحق هذه العلوم — ولا يزال يلحقها إلى عصرنا هذا — إلا أن آخره يدلنا على النهج الذى سلكه السكاكى . وقد تدهش حين تسأل السكاكى ما هى هذه المتفرقات التى لم يشمر لها أحد ذيله ؟ فيجيبك بأنها علم أصول الفقه ، وعلم الحد ، وعلم الاستدلال . وفى ذلك يقول : « علم تراه أيادى سبا ، فجزء حوته الدبور ، وجزء حوته الصبا ، انظر باب التحديد — فإنه جزء منه — فى أيدى من هو ؟ انظر باب الاستدلال فإنه جزء منه فى أيدى من هو ؟ بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أى علم هى ؟ ومن يتولاها ؟ »[1] .

ولا عجب ، فهو يتحدث فى كتابه عن تكملة علم المعانى ، فيذكر باب الحد وباب الاستدلال ، وفى ذلك يقول « الكلام الى تكملة علم المعانى وهى تتبع خواص تراكيب الكلام فى الاستدلال . ولولا كمال الحاجة إلى هذا الجزء من علم المعانى ، وعظم الانتفاع به لما اقتضانا الرأى أن نرخى عنان القلم فيه . اعلم أن الكلام فى الاستدلال يستدعى تقديم الكلام فى الحد »[2] ولكنه يشعر أن صاحب علم المعانى لا حاجة به إلى هذا المنطق ، وأنه لن يتقبل كلامه بالقبول فيقول « وكأنى بكلامى هذا — وأين أنت من تحققه ؟ — أعلج من تصديقك به ، وبقينك لديه باباً مقفلا ، لا يهجس فى ضميرك سوى هاجس دبيبه ، فعل النفس اليقظى إذا أحست بنبأ من وراء حجاب »[3] . ونخلص من كل هذا إلى أن السكاكى رأى علوم البلاغة غير مضبوطة فضبطها ومتفرقة — فى نظره — فجمعها ، وإن كان لم يلحق بكتابه علم أصول الفقه ، والنظرة الفاحصة تدلنا على أن ابن خلدون لم يرد برأيه أن يعطى السكاكى أكثر من هذا ، فإنه أجمل القول فى أول الفصل ، وتحدث عن رءوس مسائل علوم البلاغة ثم قال :—

« وترتيب الأبواب على ما ذكرته آنفاً » وهو إنما تحدث عن تمييز هذه العلوم وضبطها ، وحينئذ تسقط حجة الذين يستدلون برأى ابن خلدون ، فلا وجه له ، ولا حجة فيه غير ما ذكرنا ، لكنهم يقولون إن إهماله لعبد القاهر يدل على أنه لا يراه واضعاً لعلوم البلاغة وإلا لذكره مع أصحابه . وهل يراه دون

(1) ص ١٥٧ الطبعة السابقة (2) ص ٥٥٢ طبعته التجارية
(3) المفتاح ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(1) المفتاح ص ٧٨ ، ١٧٩ .
(2 و3) ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

جعفر وقدامة والجاحظ فى أمر هذا الفن ؟ وللاجابة عن هذا افترض أن ابن خلدون لم يطلع على جهود عبد القاهر فى علم البيان والمعانى ويؤكد هذا الافتراض عندى أمور :—

١ — أن كثيراً من أصحاب التراجم لم يترجموا له ؛ فابن خلكان لم يذكره فى كتابه « وفيات الأعيان » وياقوت لم يترجم له فى معجم الأدباء مع أنه ترجم لنكرات كثيرة ، بل لم يذكره فى كتابه إلا عرضاً عندما ترجم لمحمد بن الحسين الفارسى فقال « ثم استوطن جرجان وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر وليس له أستاذاً سواه »[1] . وكذلك لم يذكره فى معجم البلدان مع أنه نزل جرجان وذكر جماعة من جلة علمائها .

٢ — والذين ترجموا له كالحافظ الذهبى فى تاريخه « دول الإسلام » وكالسبكى فى طبقات الشافعية الكبرى » وكصاحب « شذرات الذهب » وصاحب « فوات الوفيات » والسيوطى فى « بغية الوعاة » لم يذكروا أنه واضع هذه العلوم ، بل لم يذكروا كتابيه فى البلاغة ، ولم يشيروا إلى شىء فيهما .

٣ — ويحيى بن حمزة بن على العلوى أمير المؤمنين صاحب كتاب الطراز (٦٦٩ — ٧٤٩ هـ) — وهو الذى ذكر أن عبد القاهر صاحب هذا الفن — لم يطلع على كتابيه وفى ذلك يقول « وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شىء منهما مع شغفى بحبهما ، وشدة إعجابى بهما ألا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما » وهو بعد قريب عهد بعبد القاهر ، وفى مكنته أن يبعث من يجوب الآفاق يبغيهما له .

ويبدو أن الكتابين كانت لهما شهرة فى بلاد المشرق ، ومن ذلك أمكن السكاكى والزمخشرى وهما من جرجان ، أن ينتفعا بهما ، كما أمكن سعد الدين التفتازانى وغيره من علماء البلاغة المشارقة أن يتتلمذوا على عبد القاهر فى البلاغة ، أما ابن خلدون فقد انتهى به المطاف إلى مصر ولم يجاوزها إلى المشرق إلا فى رحلته إلى تيمورلنك وهى رحلة قصيرة ولذلك لم يتهيأ له أن يطلع عليهما ، وقد يقال أنه رأى شيئاً منهما فى كتب العلماء ولا سيما الإيضاح للخطيب القزوينى فقد أشاد به ولكنا نقول أنه لم يكن يعرف حقيقتهما ، ولو عرف لكان له مسلك آخر فى تأريخ علم البيان .

ولعل السر فى خمول الكتابين أن الأمام لم يخرج من بلده على عادة العلماء فى الرحلة ، كما كان لشهرته « بالنحوى » أثر فى ذلك ، فقد طغى نحوه الواسع العريض على بلاغته .

وإنا لنأخذ على ابن خلدون أن نسب تهذيب البديع إلى السكاكى ، والحق الذى لا يمارى فيه أن المصطلحات البديعية عرفت فى كتاب ابن المعتز كما عرف كثير منها فى كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى .

على محمد حسن العمارى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

[1] جـ ١٨ ص ١٨٧ ط . دار المأمون .

سمو

للآنسة «دنانير»

أحبك للفن ، يسمو هواك ... بنفسى نحو الرحاب العُلى
فيدنى إليها معانى السماء ... وينأى بها عن معانى الثرى
سموت بقلبي وروحى فراحا ... يفيضان بالشعر ، شعر الهوى
ونضرت عيشى فأمسى غضيرا ... ترف عليه زهور المنى
ورفرف فى القلب حلم سعيد ... جميل الخيالات حلو الرؤى
وقد كنت فى وحشة لا ترى لى
أليفاً يبدد عنى الأسى
فلا النفس يسعدها فيض حب
ولا القلب يسطع فيه السنى
إلى أن تجليت روحاً مشعاً ... كنجم تلألأ لابن السرى
فتضوأت أيامى الحالكات ... وأفعمتها بذكى الشذى
وأحييت نفسى بأسمى هوى ... هو الخلد أو نفحات السما
وأرويت روحى بصوب الحنا ... ن كالروض أرواه صوب الحيا
ومن عجب أننى ما رأيتك ... لكن أحسك روحاً هفا
يحن إلىّ ويحنو علىّ ... وينساب حولى هنا أو هنا
إذا ما صحوتُ ، إذا ما غفوتُ
إذا ضجّ يومى وليلى سجا
رقيقاً شفيقاً كنور الصباح ... زكياً نقياً كقطر الندى
فيا أيها الروح ، ما أنت ؟ قل لى
أأنت من الله روح الرضى ؟
وهل أنت ظل الأمان الظليل ... دنا لىَ من سدرة المنتهى ؟
ترى شعّ نور الإله بنفسى ... ليجلو الطريق ويهدى الخطى ؟
وهل للملائك ألحان حب ... فأنت بقلبىَ رجع الصدى !
فإنى أحسك روح الرضى ... وظل الأمان ، ونور الهدى
وأصغى لدقات قلبي فأسمـ ... ـع لحناً طهوراً بعيد المدى
يوقعه حبك المستفيض ... فيذهلنى وقعه المشتهى
وتغمرنى سكرات التجلى ... كأن الإله لعينى بدا
إخالك صورة حب كبير ... جلاها لعينى وحى السما
تهيم روحى لصوفية ... وتنفض عنها غبار الثرى

رمضان

للأستاذ محيي الدين صابر

رمضان ... والأيام تذّكر ... كيف الرفاق عليك والسمر
صور من الماضى أجمّعها ... فتكاد تنطق فى يدى ... الصور
وأكاد ألمح فى معارفها ... كوناً من الأشواق ... ينفجر !!
وأكاد أسمع جنة رجفت ... فى روحها للغيب ... تنحدر ...
تلك المعانى كلما بليت ... فنسيتهن ... يثيرها ... قدر
رمضان ... ما أحلى وأعذبه ... عهداً .. وقد تستروح الذكَر ..
فكأن يومك من ... تألقه ... تسبيحة ... أو خاطر عطر
المؤمنون عليك : مبتهج ... يلقاك بالتقوى ... ومصطبر
يمشون إن هرم النهار بهم ... زمراً تزيف ... وراءها زمر
وتجمع الصبيان واحتشدوا ... وترقبوا مسراك وانتظروا
فكأنهم صاموا ... وما فعلوا ... لكنهم بجلاله ... شعروا
حتى إذا قرع الأذان مضوا ... فتصايحوا فى الحى وانتشروا
والخير أفسح فى النفوس مدى ... بهواه من عجزوا ومن قدروا !
والليل كم طاف الجلال به ... فخلا على محرابه ... السهر
من ضارع لله مبتهل ... للنور فى أعطافه ... أثر
أو سامر نثر الحياة به ... فناً ليوم الفن يدخر
أما المآذن فى جلالتها ... فكأنها الآيات والسور
يعشى الأذان بهن ممتلئاً ... عذباً ... فما ناى ... وما وتر ؟
ومسحر طرب ، يهب له ... من ضجعة الأحلام ... مستحر
تتجاوب الطبلات بينهم ... فى الليل ، كالدعوات تنتثر
صحبى هم ... إن رغوا قدست ... نفسى ولف رحابها طهر
ألقاهم فى الليل ... منطلقاً ... وعلى الطريق إذا هم عبروا
ونقص ما تأتى الحياة به ... ونقول ... ما نبقى ... وما نذر !!
وترى الحديث يكاد أكثره ... بين الصدى والطبل ، ينطمر
رمضان ... ذلك فى مفاتنه ... فكأنه — مما حلا — ظفر
والعيش ذلك ... فى ملاعبه ... كالخمر تحت الكرم تعتصر
واليوم ... ما رمضان ؟ أبصره ... فكأنه فى خاطرى ... خبر !!
أذهلت فيه ... فيومه سفر ... طولا وما فى ليله قصر
وأكاد أنكره — على ورعى — ... وتكاد عنه النفس تعتذر !!
رمضان كيف يصوم مغترب ... لولا التقى ... ونوازل أخر
مضت الحياة ... وكلها نذر ... واليوم ... إن حياتنا ... عبر !

تعقيبات

الدكتور عبد الوهاب عزام بك :

ذلك رجل جمّله الله بالتواضع ، وكمّله بالعلم ، وزينه بكل فضيلة ، وما ذا ترى فى رجل له فى الناس ألف صديق وليس له فيهم عدو واحد ؟ !

شاعر عربى ينفح شعره بأنفاس الإنسانية ، وأديب كاتب تتجلى فى نثره نفحات العبقرية ، وعالم باحث لا يزدهيه الفخر بغزير علمه ، ولا يدخله الغرور بجزيل فضله ، ولكنه دائماً موطأ الجانب ، يلقى إليك بما عنده وكأنه يأخذ منك ويتلقى عنك ، ثم هو بعد ذلك يتوجه بالشكر إليك ...

ذلك هو عبد الوهاب عزام الذى وقع اختيار أولى الأمر عليه أن يكون وزيراً مفوضاً لمصر فى المملكة العربية السعودية ، وإنه لاختيار موفق كسبت به تلك « الوزارة » ، ولن يخسر به الأدب والعلم شيئاً إن شاء الله ؛ ذلك لأن الرجل أديب بطبعه ، وإنسان متفتح الإنسانية ، فصلته بالأدب هى صلة النفس ، فمحال أن تنفك أو تضعف بحال من الأحوال .

إننى لن أكتب عن عبد الوهاب عزام اليوم كما أعرفه ، ولكنى أقتصد ذلك لفرصة قادمة ، وأكتفى اليوم بهذه التحية القصيرة ، وإنها لتحية للأدب والفضل والإنسانية فى شخصيته النبيلة ...

هذه المؤتمرات :

فى ٢٣ أغسطس الحالى يعقد فى سورية « مؤتمر الآثار بالبلاد العربية » الذى قررت عقده جامعة الدول العربية . وقد رشحت وزارة المعارف ثلاثة من أساتذتها لتمثيلها فى هذا المؤتمر . وفى ٣ سبتمبر المقبل يعقد المؤتمر الثقافى الأول الذى قررت جامعة الدول العربية أيضاً عقده فى لبنان ، وقد اختارت الوزارة ستة من كبار أساتذتها لحضور هذا المؤتمر

ولعل القراء يذكرون أنى عرضت لهذه المؤتمرات التى تدعو إليها الجامعة العربية من قبل ، وأشدت بما تؤدى إليه من الفوائد والآثار الطيبة ، ولكن الذى يهمنى أن أشير إليه هنا هو أن الجامعة تجرى فى التدبير لعقد هذه المؤتمرات على نهج الحكومات والوزارات التى تأخذ نفسها بالأوضاع الرسمية ، وكنا نحسب أن الجامعة ستجعل من عقد مؤتمراتها واجتماعاتها مجالا يتلاقى فيه رجالات العرب ومفكروهم وأساتذتهم لا أن تكون مجالا لموظفى الحكومات فحسب ، وإلا فإنها ستكون عديمة الجدوى قليلة الفائدة ...

لقد كان الواجب على الجامعة أن تترك الحكومات وموظفيها جانباً ، وأن تعتمد فى مؤتمراتها على رجال الفكر الأحرار فتتيح لهم الفرصة للبحث والمناقشة وتبادل الرأى ، فإن هذا هو الأليق بمهمة الجامعة وغرضها فى توثيق الروابط الثقافية ، أما أن تجعل مؤتمراتها قاصرة على موظفى الحكومات الذين تعنيهم الرحلة للنزهة أكثر من الرحلة للعلم فأن ذلك مما يذهب بقيمة هذه المؤتمرات ، وسيذهب أولئك الموظفون إلى تلك المؤتمرات ، ثم يعودون ليضعوا تقريراً بما رأوا وشاهدوا ، ثم تمضى الأيام وتمضى ولن يرى ذلك التقرير ضوء النهار ...

وكم ذا بمصر من المضحكات !

فى القرن الرابع للهجرة جاء المتنبى إلى مصر مادحاً لكافور الأخشيدى ، مؤملا أن يجد مقاماً طيباً فى رحاب المصريين ، ولكنه سرعان ماضاق بهذا المقام فهرب ناجياً بنفسه ، وقد أصلى كافوراً والمصريين الهجاء القذع المرير ...

ويقول مؤرخو الأدب : إن المتنبى كان يطلب ولاية من كافور ، فلما أباها عليه لجأ إلى هذا الصنيع الذى صنع ، والواقع الذى يدل عليه شعر الرجل غير هذا ، إنه ضاق بمصر وبالمصريين ، لأنه رأى الأوضاع فيهم مقلوبة : رأى أعجمياً يدرس أنساب العرب فقال :

وكم ذا بمصر من المضحكات (م) ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطى من اهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

ورأى عبداً خصياً ناقص الرجولة يحكم رجالا من المصريين اكتملت لهم كل صفات الرجولة فقال :

لا شىء أقبح من فحل له ... تقوده أمة ليس لها رحم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

وقد كان فى إقليمنا واعظ يعظ الفلاحين فيقول : أيها الناس إياكم وتعاطى الحشيش ، فإنه ضار مهلك ، لا أقصد الحشيش الأخضر الذى تأكله البهائم ، وإنما أقصد الحشيش الذى مثل هذا ... ثم يخرج من لفائف عمامته قطعة من ذلك المخدر القاتل فيطلعهم عليها ...

ورد كل هذا على ذهنى وأنا أقرأ كلمة للأستاذ أحمد الصاوى محمد فى « أخبار اليوم » حمل فيها على معالى وزير المواصلات لأنه يشجع جماعة من الشبان الأدباء على إظهار مواهبهم ، ويسهل لهم سبيل الظهور بآثارهم ، والأستاذ الصاوى يعلم علم اليقين أن التشجيع فى الأدب حافز الظهور والنهوض ، بل حافز الخلق والإبداع ، وأن أرباب الأقلام يطالبون الدولة بأداء هذا الحق ويقدرونه واجباً من واجباتها ، وأن الأمر فى هذا كما يقول أبو حيان التوحيدى : « ولا بد من فتى يمين على الدهر ويجم راحلة الأمل » ! بل إن الناس جميعاً يعرفون أنه لولا تشجيع سيدة بارة كريمة لما كان هذا القلم الذى ينكر اليوم على وزير ما يبذله فى تشجيع شبان أدباء ...

أنا لا أريد أن أدافع عن معالى الوزير ، فللوزير قلم مبين ، ورأى مكين ، ولا أريد أن أدافع عن « أدباء العروبة » ، فكل منهم قادر على أن يدافع عن نفسه وعن جماعته ، ولكن الذى يهمنى أن يقحم الأستاذ الصاوى فى هذه المجلة بموظف صغير — على حد تعبيره — هو الأستاذ محمود السيد شعبان الذى يشرف على تحرير مجلة سكة الحديد لأنه ينشر فيها مقطوعات شعرية فى الغزل ووصف المرأة ...

وليس فى هذا موضع للمؤاخذة من الناحية الخلقية ولا من الناحية الاجتماعية ، فإن جميع الصحف والمجلات تنشر شعر الغزل والتشبيب ، والإذاعة الحكومية تذيع على الناس صباح مساء فنوناً من المغازلات والمعابثات ...

والفن الصحفى يقضى بأن تحلى المجلة العلمية بهذه الطرائف الفنية لتخفف ما فيها من نقل المسائل العلمية وتلطف ما بها من جفاف النظريات !

ولكن العجيب بعد هذا كله أن يكون الأستاذ الصاوى هو الذى ينكر هذا ويندد به وأكثر الموضوعات التى يطرقها هو الحديث عن المرأة فى شتى صورها ومغامراتها

دع إنكار هذا لغيرك يا أخى ، دعه لسماحة الشيخ الصاوى شيخ الطرق الصوفية ، أما أن تتصدى أنت لذلك ، فإنه يكون منطق الأعجمى الذى يدرس أنساب العرب ، وواعظ قريتنا الذى ينهى عن الحشيش !

الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب :

كتب الدكتور زكى مبارك فى جريدة البلاغ مقالا أشار فيه إلى الموازنة الأدبية التى عقدها الحريرى فى إحدى مقاماته بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب ، وقال الدكتور : إن الفكرة فى هذه الموازنة جديدة عند الحريرى فما سبقه إليها باحث من المسلمين

قلت هذا حكم يحتاج إلى التحرير والتصحيح ، فإن الفكرة فى الموازنة بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب قديمة فى الأدب العربى ، وتسبق الحريرى بأجيال وأزمان ، فقد كان الكتاب الحاسبون يعرفون بكتاب الخراج ، وقد أشار عبد الحميد الكاتب فى رسالته التى توجه بها إلى الكتاب إلى هذا المعنى إذ يقول : « ولا تضيعوا النظر فى الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج » . والواقع أن الحريرى وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التى عقدها ، حتى الأوصاف التى خلعها على الكاتب المنشئ والأخرى التى وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع فى التعبير

ولقد كان رجال الأدب والعلم ينظرون إلى الكتاب الحاسبين نظرة إغضاء على العموم ، وكانوا يعتبرون علم الحساب من العلوم التى لا تحتاج إلى موهبة خاصة أو فطرة سمحة ، وكانوا يسمونه علم الصبية ، ولا يحسون على الأخذ منه إلا بقدر ما يعين على معرفة التقسيم فى علم الفرائض . وقد ظلت آثار هذا الرأى بادية بين علماء الأزهر إلى عهد قريب ؛ وكل ما أريد أن أشير إليه هو أن الحريرى لم يكن المبتدع لهذه الفكرة ولا أول من جال فى مجالها كما ذكر الدكتور ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الفن والبيئة المصرية :

جاء في مجلة المصور ما يلي : « كان من مظاهر عناية جلالة الملك بالفن والفنانين أن أمر جلالته بتخصيص قطعة أرض مجاورة لقصر القبة العامر، مساحتها نحو ثلاثة أفدنة، لينشأ عليها مبنى للصغار الذين يظهرون نبوغاً في فن الرسم والنحت وما إليهما . ويرى جلالته أنه ينبغي تنشئة جيل جديد من الفنانين الذين لم يتشبعوا بعد بالفن الأجنبي ليجيء فنهم مصرياً خالصاً من وحي طبيعة مصر وبيئتها »

وهذا الرأي السامي الذي ارتآه جلالة الملك يتضمن لفتة ألمعية بارعة إلى ناحية من أبرز نواحي النقص في الفنون عندنا ، بل لعلها علة القصور في جمهرة الفنانين ، وهي الانشغال بالتقليد والاقتباس عن الإحساس بالبيئة وتأمل الطبيعة والأحوال المحيطة ، وليس هذا في الرسم والنحت فحسب ، بل هو في سائر الفنون . فنرى الروح الغربية تغلب في الرسم والموسيقى والتمثيل وتمتد إلى الأدب ، ولم يقف ذلك عند حد الاستفادة من الفنون الغربية بما يجدد فنوننا ويسير بها نحو التقدم ، بل إننا نستنفد طاقتنا في أكثر النواحي الفنية ، في كل ما هو بعيد عن مجتمعنا وعالمنا ونفوسنا

وما أظن أن لدينا من المرسومات والمنحوتات المصرية البحتة في هذا العصر ما يصح أن يكون إنتاجاً كافياً لأن يقال إن في مصر للرسم والنحت فناً مصرياً له مقوماته وشخصيته

وهذه الموسيقى التي يقال إنها موضوعية أو تعبيرية ، تسمع القطعة منها فلا تحمل إلى إحساسك أي شيء من موضوعها ، وهي وغيرها أصوات متشابهة ، قليل منها ما تستريح إليه الأذن ، وأكثرها ما تستريح منه بوقف المذياع ! وذلك لأنها محاولات تقليدية لم تبلغ أن تكون فناً أصيلا يعبر عن الذات ويصور الإحساس . ولقد كانت لأسلافنا موسيقى نسمع عن تأثيرها البالغ ما يؤسفنا لحاضرنا في هذا الفن ، كموسيقى الفارابي التي أضحك بها وأبكى ، ثم أنام بها الحاضرين وانصرف ...

وأدبنا أيضاً لا يصدر أكثره عن بيئتنا وحياتنا ولا توحيه طبيعتنا . فالشعر « يستغرب » ، والقصة لا تزال غربية ، وحتى الأفكار الاجتماعية تقتبس ، وإلى جانب هذه الروح الغربية تغلب أيضاً الروح العربية السلفية ، فأدبنا يقضي أكثر أوقاته إما في الماضي ، أو في الغرب .

وأصل الداء في كل ذلك أننا ننسلخ عن بيئتنا ونقتلع أرواحنا من منابتها الأولى ، ويتمثل هذا في الناشئ الذي يتعلم في (كتاب) القرية ، ثم في مدرسة المركز الابتدائية ، ثم في الثانوية بعاصمة المديرية ، ثم في جامعة القاهرة أو الأسكندرية ، وقد يذهب إلى ما وراء البحار ؛ وهو في كل مرحلة من هذه المراحل يبتعد عن القرية بعقله وروحه بمقدار ما انقضى من الزمن وما بعد من المسافة ، فإذا رجع إليها وشعر بالفارق بينه وبين أهله وأهلها لم يطب له المقام فيها ... فيهجرها ...

وليس لهذا النقص في فنوننا إلا علاج واحد ، هو الذي أشار به الفاروق ، وهو أن نعيش في مواطننا ونحس بما يضطرب في عالمنا ونستوحي طبيعتنا ، ليكون فننا صورة لنا وعنواناً علينا ، ويكسب بذلك الروح الذي يكون به فنا حياً .

السجل الثقافي :

رأت المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف أن كثيراً من الهيئات الرسمية والحرة تقوم بنشاط ثقافي متصل لا يعرف عنه إلا القليل ، ولو عرض هذا النشاط متجمعاً واضحاً لكان دعاية قوية لمصر ، ولكان مادة نافعة تمكن الدارس من متابعة سير تلك الهيئات وإنتاجها وتوجيهها فيما يزيد الانتفاع بها ؛ فتقرر إنشاء قسم بها للقيام بتجميع نشاط الهيئات الثقافية ، وسمي « إدارة التسجيل الثقافي » وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافي في البلاد من كافة جوانبه ، عدا الجانب الذي تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية ، ليجتمع للباحثين في شئون الثقافة العامة أسباب العلم بما بلغته البلاد من التقدم العلمي ، ومدى وعيها الثقافي ، وما ينتظر أن تبلغه على الأيام في هذا السبيل ، ليؤدي ذلك إلى غايتيه الطبيعيتين :

الأولى تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب، المكانة التي بلغتها مصر من الثقافة العامة.

الثانية إعداد البيانات والوثائق التي تحتاج إليها الحكومة، والهيئات العلمية، والمثقفون في البلاد، لتدعيم النهضة الثقافية، وتوجيهها الوجهة الكفيلة بتحقيق مصلحة البلاد، وتكميل النقص فيها، ومدها بأسباب القوة والاستمرار، حتى تكون مشروعات البلاد وبرامجها الثقافية العامة مستندة إلى أساس، قاصدة إلى هدف.

ولتحقيق هذين الغرضين كان أول ما تهتم به إدارة التسجيل الثقافي إصدار «سجل ثقافي» سنوي يصف مظاهر النشاط الثقافي خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه، وسيشتمل هذا السجل على أبواب النشاط الثقافي في البلاد، وما أدته كل هيئة من الخدمات الثقافية خلال العام، سواء في ذلك الهيئات الرسمية والهيئات الشعبية، كمجمع فؤاد الأول للغة العربية وما يشبهه من المجامع، ودور الكتب في القاهرة والأقاليم، والمتاحف العامة والخاصة، والجمعيات الثقافية، والجامعة الشعبية، والأندية العلمية، والمعارض، والإذاعة، والمسرح، والسينما، وحركة النشر والطباعة، والصحافة، والمحاضرات، والتعاون الثقافي، وما يتصل بذلك من ألوان نشر الثقافة.

وقد استقر الرأي على اعتبار العام الثقافي من أول يناير إلى آخر ديسمبر، ويصدر «السجل الثقافي» السنوي بعد إتمام تجميع مواد العام الثقافي، ويقدر لذلك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء العام.

وقد تكونت الإدارة من الأستاذ محمد سعيد العريان رئيساً، والأستاذ عبد الحميد يونس وكيلا، والأساتذة كامل حبيب وعباس خضر وأنور المداوي أعضاء فنيين. وابتدأت العمل في مكانها الجديد الذي اختير لها بميدان الخديوي إسماعيل بعيداً عن الديوان العام للوزارة وضغط أصحاب الحاجات الذين تزدحم بهم مكاتب الموظفين وردهات الديوان.

المؤتمر الثقافي:

عرف القراء مما كتبناه فيما مضى أن اللجنة الثقافية بالجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم تنفيذاً للمعاهدة الثقافية المعقودة بين دول الجامعة العربية.

وسينظر هذا المؤتمر في وضع حد أدنى مشترك لمواد الدراسة في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البلاد العربية، وذلك في اللغة العربية والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية، كما سيعنى بمعالجة طرق تعليم اللغة العربية. ومنذ قليل فرغت اللجنة المؤلفة بوزارة المعارف المصرية لتيسير تعليم اللغة العربية، من مهمتها ووضعت تقريرها، ولكنها رأت عدم إذاعته انتظاراً لما يسفر عنه بحث المؤتمر الثقافي في هذا الموضوع.

وكانت لجنة المؤتمر التحضيرية قد وجهت إلى الحكومات العربية أسئلة في المواد التي هي موضوع نظر المؤتمر، بقصد إثارة النقط التي ستبحث، ليبدي المختصون آراءهم فيها. وقد تلقت اللجنة أبحاثاً كثيرة من الهيئات والأفراد واختارت ما رأته صالحا منها، ووضعت تقارير عما تضمنته هذه الأبحاث.

ومن الأسس المبدئية التي وضعتها اللجنة التحضيرية لأبحاث المؤتمر بيان العيوب الحالية في طرق التدريس والمناهج، واقتراح ما يراه الباحث من وسائل النهوض بها وخاصة في تيسير القواعد وتيسير الكتابة ووضع خطة نافعة لتدريس تاريخ الأدب ونصوصه

أما في الجغرافيا فيعنى بجغرافية البلاد العربية خاصة ليقف أبناء كل من البلاد العربية على أحوالها المختلفة من طبيعية وعمرانية واقتصادية، ويستعان في ذلك بالمصورات والأفلام والرحلات

وأما التاريخ فتتجه العناية فيه إلى التاريخ العربي والروابط التاريخية بين البلاد العربية في العصور المختلفة

وفي التربية الوطنية سيكون أول أغراضها إعداد المواطن العربي المستنير ليكون مواطناً صالحاً في مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح في أمته، ويهتم بالوسائل التي تكفل تدريبه كالرحلات والجماعات المدرسية

وقد تلقت الأمانة العامة للجامعة العربية من الفنادق اللبنانية بيانات للتخفيضات التي قررتها في أجورها لأعضاء المؤتمر، كما قررت إدارات السكك الحديدية المصرية واللبنانية والفلسطينية

تخفيضات مختلفة فى أجور السفر للأعضاء ، وكذلك بعض شركات الطيران والسيارات .

وقد أذاعت وكالة الأنباء العربية من بيروت أنه سيشترك فى المؤتمر الثقافى العربى أربعون سيدة عربية .

السينما والأهداف القومية :

من أنباء أمريكا أن دعاة صهيونيين قد اتفقوا مع جماعة من الممثلين والممثلات المشهورين للاشتراك فى أفلام تدور حول الدعاية الصهيونية . وقرأت فى إحدى المجلات الفنية أن صناعة السينما فى إيطاليا تتجه فى الوقت الحاضر إلى معالجة الموضوعات التى ترمى إلى النهوض بالأمة من كبوتها ، وإلى خلق مجتمع جديد يتمتع فيه الفرد العادى بحقوقه كاملة .

فهل يمكن أن يعمل القائمون بصناعة السينما فى مصر أفلاماً من هذا القبيل للدعاية لقضيتنا متخذين مما يدور حولها الآن فى مجلس الأمن من عراك ونقاش ، مادة لعملهم ، وإن فى مناظر وفدنا هناك فى اجتماعاته ودعاياته ومواقف رئيسه الخطابية فى المجلس لمجالا واسعاً لذلك ، وقد أنهت إلينا الأنباء أن مندوبى شركات السينما قد نشطوا فى التقاط الصور فى مختلف الأوضاع ، فما نصيب فننا السينمائى من هذا كله ؟ وما جهده فى خدمة هذه القضية ؟

ومن يدرى فقد ينشط الإنجليز فى الدعاية ضد قضيتنا بالأفلام أيضاً . فهل نقف أمام ذلك مكتفين بأضعف الأيمان ..؟

إننا نتخذ السينما اليوم ملهاة فارغة ، أى أنها تسلى الشعب وتروح عنه ولكنها لا تحمل إليه شيئاً ذا بال ، ولكن الشعب لن يصبر طويلا على هذه الحلوى ، فإن وعيه القومى يفتح شهيته لغذاء نافع ، وغاية الرجاء أن يصاحب هذا الوعى نضج السينمائيين والتفاتهم إلى مقتضيات الأحوال .

إننى لست متشائماً ، فالزمن مع الوعى يحقق ما نصبو إليه ، وقد مضى ما يكفى من الزمن واكتملت يقظة الوعى ، فالتحول المنتظر وشيك الوقوع .

الأدب بين مصر ولبنان :

قرأت الكلمة التى كتبها من بيروت الأستاذ سهيل إدريس ونشرت فى العدد الماضى من الرسالة ، والتى عقب فيها على ما كتبته فى العدد (٧٣٤) حول ما يعتب به علينا إخواننا اللبنانيون من إهمال مؤلفاتهم فى مصر . وأجمل ردى على تلك الكلمة ، أو ما أود أن أقوله فيما تضمنته ، فيما يلى :

١ — كتبت فى الموضوع واحداً وثلاثين سطراً ، أكثرها فى بيان تقصير لأدباء المصريين فى حق المؤلفات اللبنانية ، وذكرت فى ثلاثة أسطر ما مجمله أن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً . ففصل الكاتب هذه الثلاثة الأسطر وجال حولها جولة أثارت غباراً أوثر أن أكتفى بالقول أنه حجب عن العيون كيفية تناولى للموضوع ...

٢ — قال إننى أطلقت القول دون أن آتى بمثال لمن غضب من النقد . والحمد لله ، لقد كفانى الأستاذ نفسه هذا الأمر ، إذ حمل علىّ هذه الحملة لمجرد تلك اللفتة الرفيقة التى جاءت بعد كلام شديد فى الإنحاء على الأدباء المصريين ، وقد كفانى الأستاذ بذلك أيضاً مؤونة الخروج عن منهجى فى عدم التجريح بذكر الأسماء .

٣ — كنت أرانى أستحق نفحة طيبة من رُبَى لبنان ، بدل هذا الذى ساقه إلىّ الأستاذ سهيل ، أو بجانبه على الأقل ..

وبعد فأستشمر « الحساسية والذوق والمودة » وأبعث إلى الأستاذ سهيل إدريس ببيروت — تحية :

« العباس »



فى اللغة فعلاء :

نبه الكاتب الباحث الأستاذ الفاضل محمد سليم الرشدان فى الرسالة الغراء (٧٣٥) على وصف الكاتبة الفاضلة الكاملة السيدة منيبة الكيلانى الأروقة -- وهى جمع -- بالسوداء -- وهى مفردة -- فى مقالها (لسان الدين بن الخطيب) .

فى (إرشاد الأريب) لياقوت فى سيرة أبى العلاء :

قال الشيخ أبو العلاء (رضى الله عنه) : لزمت مسكنى منذ سنة (٤٠٠) واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده إلا أن أضطر إلى غير ذلك . فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم — أحسن الله معونته — فألزمنى بذلك حقوقاً جمة وأيادى بيضاء ، لأنه أفنى فى زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ، والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء .

وفى رسالة المنيح لأبى العلاء (رسائل أبى العلاء ص (١٦) ونهاية الأرب ج ١٤ ص ٢٦٥) :

وكم فى أديم الخضراء ، من أشباح مضيئة زهراء .

وفى (المخصص) ج ١١ ص ١٧٢ :

الرُّغْل : حَمضة تتفرش وعيدانها صلاب ، ورقها نحو من ورق الحاجم إلا أنها بيضاء ، وهو أجود الحمض . وقيل هو ذو قضبان ، له ورق[1] مثل الأظافير خضراء غبراء . وقيل : هو بقلة ليست بشجرة »[2] .

إذا قال هذان الإمامان ما قالاه فللسيدة منيبة ، ولكل أديب وأديبة ، الإئتمام بهما ، ولن يضل — إن شاء الله — مهتد بهديهما

(١) الورق بجموع . روى المصباح للأخطل .

فكأنما هى من تقادم عهدها ورق نشرن من الكتاب بوالى

(٢) وصف الجمع بمفرد فى (الكشاف) ج ٢ ص ٣٨٣ وفى (شرح ديوان الحماسة) ج ٤ ص ١٢٠ وفى رسالة للصاحب فى (إرشاد الأريب) ج ٦ ص ٢٩٧ .

لقد شغل العربانى الجرمانى العلامة (كرنكو) اللغويين والأدباء أكثر من عشرين سنة بنقده ما نقده ، ولم يزل يشغلهم .

السهمى

خير الأمور الوسط ... أيضاً :

كتب الدكتور أمير بقطر مقالا فى مجلة الهلال عنوانه : (شر الأمور الوسط) وأخذ يندد بأوساط الأمور ويعتبرها (أقلها إنتاجاً ، وأبخسها ثمناً ، وأسرعها زوالا ، وأخفها أثراً فى النفوس) فجاء الأستاذ مصطفى محمد إبراهيم وكتب كلمة فى العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء ، يحتفظ لهذه الحكمة بكيانها واعتبارها ؛ فحمل كلمة الوسط على أنها خير الأشياء وأعدلها .

ويؤسفنا أن نقول أن كلا من الدكتور العلامة ، والأستاذ الفاضل قد تنكب الجادة ، فليس المراد من الوسط فى هذه الحكمة وسط كل شىء وإلا كان العرب الذين أجروها على ألسنتهم بُلهاً مغفلين ، وليس المراد من الوسط (من كل شىء خيره وأعدله) وإلا كانت الكلمة متهافتة فتئول حينئذ إلى هذه الركاكة (خير الأمور خيرها) وهو ما نبرىء العرب من التورط فيه .

وإنما قصدت العرب من الوسط هنا معنى أدبياً هو الحد بين الإفراط والتفريط ، ولذلك يقولون : الفضيلة حسنة بين سيئتين ، والجود مثلا وسط بين البخل والإسراف ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، وليس الطالب الذى ينال ٦ من ١٠ حائزاً على الوسط الذى قصدوه . ولو أردنا أن نضرب المثل بالطالب لقلنا إن من الطلاب من يعتدل فى استذكار دروسه فيعطى الدرس حقه ويعطى نفسه حقها ، ومنهم المسرف الذى يعمل الليل والنهار ، ومنهم المكسال وخير الثلاثة المتوسط .

ونحن إذا رجعنا إلى أقوال العرب وجدنا فيها ألف دليل على هذا الذى ذهبنا إليه .

فالشاعر يقول :

فرط التناهى غلط خير الأمور الوسط

ومن أمثالهم : (لا تكن حلواً فتسترط ، ولا مراً فتعقى)

أى تلفظ ، وقول مطرف ابن الشخير : (الحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أوساطها) .

فلا حاجة بنا — إذن — إلى حمل الوسط على معناه فى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » كما لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الدكتور بقطر ذهب عليه معنى الوسط ، وفهمه فهماً حسابياً ! !

على العمارى

المدرس بالأزهر الشريف

نعم الضمير مطمئن :

قرأت كلمة الأستاذ الشاعر محمود عماد بعدد الرسالة الغراء ٧٣٢ رداً على الأستاذ محمد غنيم وفيها يقرر أن الضمير الثانى فى « هذه مسألة لها أهميتها » — وما شابهها — لا يزال قلقاً واستدل على قلقه بتفسير الأستاذ غنيم للآية الكريمة . وطلب الاستشهاد بمثال آخر من القرآن أو من مقول العرب .

فاليه أبعث بهذه الأمثلة مقرراً ما قاله الأستاذ غنيم ، وهو أن الضمير مطمئن له أهميته ، ومثل هذا التعبير إنما يرد فى مقام التقرير لأن المسألة لها أهميتها فى ذاتها وهذه الأهمية مقصورة عليها لا تتعداها إلى غيرها .

يقول الله تعالى « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » ويقول : « لهم أجرهم عند ربهم » ويقول : « وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم » .

ويقول ابن الرومى :

لها أجرها إن أحسنت فلنفسها ... وميزانها يوم القيامة أرجح

ويقول مهيار الديلمى :

لى عفتى عنه وما نال له ... وخيرنا من عارك العيش الخشن

ويقول :

له خصبه دونى ولى نوطتى به ... وعون أيامه وهو مجدب (كذا)

ويقول :

تحل بها يا سعد فهى قلادة ... يزيّن فيها فاخرَ الدر ثقبه

لها حسنها لكن أريدك شافعاً ... وخير شفيع لى إلى الجسم قلبه

وعلى هذا فالتعبير بهذه الأمثلة صحيح وسليم . وما أظنه إلا مقراً بأن الضمير له اطمئنانه وأهميته .

(القاهرة) **كمال الخولى**

تصحيح بيت :

فى العدد ٧٣٣ من الرسالة الغراء كلمة للأديب عدنان أسعد من قصيدة للشاعر السودانى المرحوم « التيجانى يوسف بشير » نشرت فى مجلة « العالم العربى » بعنوان « فى محراب النيل » وهو

واستفاقوا يا نيل منك لنَـتَّا ... م شجى من آلهىّ ربابك

إذ قال إنه مكسور لأنه ظن أن لفظة « إلهى » التى وردت فى البيت منسوبة إلى « الإله » والصواب أنها منسوبة إلى « الآلهة » لا إلى « الإله » كما جاء فى الديوان وبذلك يكون البيت بصورته صحيحاً

وهناك الكثير من الأبيات وردت فى ديوان الشاعر السودانى ضمنها هذه الكلمة مثل :

والأخ الحبر .. والفتى الآلهى النفـ ... ـس خلو من الحجا والضمير

(اسكندرية) **محمد مفتاح الفيتورى**

إلى الأستاذ (الجاحظ) :

ورد فى تعقيباتكم فى عدد الأسبوع (٧٣٥) من الرسالة تحت عنوان « ولكنهم الملمون » ما يلى :

« ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه وقلنا أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولا بتغينا له أوجه التأويل ... » .

ولم أجد يا سيدى سبباً يدعوك لتختار جماعة المهندسين وترميهم بعدم الدقة فى التعبير والجهل بقواعد اللغة وتقول (أمر ليس من صميم صناعتهم) . إن المهندس أكثر الناس دقة فى اختيار ألفاظه ومعانيه — ويزداد عنهم إيضاحاً بالتجائه إلى المعادلات والأعداد . وبمصر مهندسون يغارون كل الغيرة على على مهنتهم ولغة بلادهم .

أنا معك يا سيدى فى أن نهضتنا الهندسية حديثة وأنه لم يتم للآن الاتفاق على بعض مصطلحات العلوم الحديثة ولكن أود إحاطتك علماً بالمجهودات التى تبذلها نقابة المهن الهندسية وجمعية المهندسين الملكية فى هذا الباب .

ختاماً إن كنت قد أسأت فهم قصدك فلى منك بيان .

المهندس وحيد مصطفى



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

— ٢ —

وجدت هذه الدعوة طريقها إلى بعض الآذان ، وتهامس كثير من الخدم وقبلوا أخيراً وأعلنوا الموافقة وعمد كل فريق منهم إلى سيده فشد وثاقه وأحكم قيده ، ثم تفرغوا إلى الأمتعة يسلبون وينهبون ما تصل إليه أيديهم .

ولما عاد إدريس وسمع صيحات الخيانة تتردد فى جنبات المعسكر ، انتقى سيفه ، واستعد للنزال ، فاعترضه أحد الخدم وقال له :

— لا تضيع الوقت يا إدريس ، فهذه فرصة قل أن تسنح . إن القراصنة عاهدونا عهداً وثيقاً أننا سنقتسم وإياهم كل ما نسلب ولم يدعه إدريس يتم حديثه فبادره بقوله :

— بماذا تنطق يا هذا ؟ وماذا تريد أن تقول ؟

— أقول إن الظروف قد هيأت لنا أن نسلب متاع هذا التاجر ، ونختص بها دونه ، وسننزل لك عن نصفها ، ونشترك جميعاً فى النصف الآخر ... وها نحن أولاء قد أحكمنا قيد سيدنا ؛ فلا تتردد وسارع إلى معونتنا ...

لم يكن لدى إدريس سوى عمل واحد لإجابة ذلك الخادم ، فإنه لم يكد يتم جملته حتى كان السيف قد فلق هامته ، فسقط على الأرض تتفجر الدماء غزيرة منه ، ثم دلف إدريس إلى إحدى الخيام فوجد سائر الخدم منهمكين فى كسر الصناديق ، وتفريغ الأوانى الذهبية ، وربطها استعداداً للرحيل ، فلما وقع عليه نظرهم حسبوه قد خف لمساعدتهم ، فقالوا فى لفظ واحد :

— مرحباً بك يا إدريس ! ستكون الجمال هنا بعد قليل ، فلم يمهلهم إدريس إلا ريثما لفظوا تلك اللفظة ، فأمسك بسيفه وأجهز على ثلاثة منهم فى طرفة عين ، فلاذ الباقون بالفرار ...

ولما لم ير إدريس سيده ولم يسمع له صوتاً ، انتقل إلى خيمته الخاصة فوجده ملقى على وجهه فى أحد الأركان . وبجواره واحد من المتمردين والسيف فى يده ، فقال له ذلك المتمرد حين رآه بعد أن ركل التاجر برجله :

— ماذا يجب أن نعمل يا إدريس لنتخلص من هذا التعس؟

تأثر إدريس من الحالة التى وصل إليها سيده ، ومن الخيانة التى بدرت من أتباعه ومن هذه الوحشية والقسوة التى عاملوه بها ؛ إنهم قد شدوا وثاقه ، وأحكموا قيده ، وطرحوه أرضاً ، وشهروا عليه سيوفهم ... إن إدريس مسلم ، ودينه لا يبيح له أن يتخلى عن أداء واجبه وإن عرض عليه نصف المتاع ثمناً لتخليه .

حقاً إنه وحده فى هذا المكان أمام زملائه الذين سولت لهم أنفسهم أن يتألبوا على ولى نعمتهم .

وحقاً إن سكوته سيجعل منه بعد ساعات معدودات غنياً كبيراً ، وثرياً عظيماً ، وليس بالهين عليه أن ينقذ سيده ، كما أنه ليس بالهين عليه أن يقف مكتوف اليدين لا يعمل عملا ...

إن ضمير المسلم يهيب به أن يعمل على انقاذ سيده وأن يرعى حقه عليه ، وأن يكون وفياً له ، أميناً مخلصاً ، وأن يربأ بنفسه ، وينأى بدينه عن أن يتسفل إلى هذا الدرك من الانحطاط الخلق .

وهذا ما كان من إدريس فقد وثب على الخادم الذى يحرس التاجر وثبة النمر ، وجرده من سيفه ثم أطاح برأسه ، وبسرعة البرق حل قيود سيده ، وعاونه على النهوض .

أما بقية الأتباع فقد كانوا فى شغل عن ذلك كله بحزم الأمتعة فى الخيام الأخرى . ففاجأهم إدريس وصرخ فيهم صرخة قوية نبهتهم إلى الخطر الداهم ، فلما هموا بالقضاء عليه رأوا بجانبه سيدهم وبيده سيفه البتار ، فغشيهم من الهم ما الله به عليم . وقبل أن يثوب إليهم رشدهم ، أعمل إدريس وسيده فيهم سيفيهما فسقط اثنان منهم يتخبطان فى دمائهما . فلما رأى الباقون ذلك ولوا مدبرين . وتركوا كل شىء على ما كان عليه .

فى الصباح الباكر لاح فى وسط البحر على مد البصر ، مركب القراصنة يمعن فى الهرب ، وهو مشحون بما سرقوه من

أموال ومتاع . وكانت جثث القتلى والجرحى متناثرة حول الخيام في منظر رهيب ترتجف لهوله القلوب ، ولم ينج من التجار سوى سيد إدريس ، فقد كتب الله له السلامة على يد رفيقه الأمين وحارسه المخلص الذي أبى عليه دينه وأبت مروءته أن يترك سيده في محنته . كان إدريس مؤمناً حقاً ، طبعه الإسلام بطابعه ، فنشأ متواضعاً جم التواضع ، كبير النفس ، عالي الهمة كثير الوفاء ، شديد الإخلاص أحرص على تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حرصه على حياته ، فكان يرى أنه لا يليق بالمسلم أن يلوث سمعة الإسلام بالجبن أو الخيانة ، أو القعود عن نصرة الضعيف ... وكان يرد على ثناء سيده عليه بعد تلك الليلة بقوله :

— إنني يا سيدي لم أقم إلا بما يجب عليّ كإنسان مسلم يعلم أن الله يجزي المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

كانت تلك الفرصة هي التي ولدت في التاجر الثقة بإدريس ، وأعلت منزلته في قلبه ، حتى أصبح لا يعمل إلا بمشورته ، ولا يصدر إلا عن رأيه ، وكان الرجل من كبار التجار في الأندلس، له القصور الشامخة ، والمزارع الواسعة ، والحدائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، يحوطه جيش من الخدم والحشم ، ويتمتع بتقدير الناس ومحبتهم

ولما استقر المقام بالتاجر في بلده بين أهله ، أقام حفلا كبيراً ، شكراً لله على سلامته ، ودعا إليه سراة القوم وعِلْيتهم ، وقدم لهم إدريس منقذ حياته ، وامتدح لهم شجاعته ونجدته ، وقص عليهم قصته ، وقال في تمام حديثه : « فلولا إدريس لكنت في عداد الأموات منذ أمد بعيد ؛ فأنا مدين له بحياتي ! » .

جعل كلام الرجل لإدريس مكاناً ممتازاً في نفوس الناس وقلوبهم ، فكانوا يجلونه ويحترمونه ، ويقدرون فيه أخلاقه الإسلامية الكريمة ، التي فتحت له أبواب السعادة في مستقبل حياته ، فلقب بشيخ الأندلس ، وصار أغنى أغنيائها .

وفي مكان منعزل عن المدينة وضوضائها ، كانت الساحة الشعبية التي أعدتها حكومة الأندلس الإسلاميـــة ، لإقامة المهرجانات الرياضية والمباريات في الرماية والفروسية ، وكانت الساحة واسعة ، اكتست أرضها بحشيش أخضر جميل ، وقامت في جوانبها أبنية فخمة في شكل دائري ، واجهتها مكشوفة إلى الملعب ليجلس فيها المتفرجون أيام المباريات ، وكانت الساحة مفتحة الأبواب لجميع المواطنين من غير تمييز بينهم في الجنس

أو الدين ؛ فقد كان للأندلسيين ولع شديد بالرياضة على اختلافها ، فكان البرابرة والعرب واليهود منهم والمسيحيون والمسلمون يؤمون تلك الساحة من كل فج في نشوة الفرح وغمرة السرور .

وكان العلم الإسلامي الوطني يخفق في قمة البناء ، ينشر العدل والإخاء ، ويدعو إلى التسامح والمساواة ، وكانت المباريات الرياضية والمهرجانات الشعبية في المناسبات الدينية ، والأعياد الوطنية ، وكان أعظم تلك المباريات المباراة التي تقام في أيام عيد الفطر من كل سنة ، فقد كان يتقدمها عرض عسكري عام ، تتبعه حركات رياضية ماهرة ، وكان نبلاء المسلمين وأمراؤهم يدعون إليها كبار المسيحيين وعيونهم ليشتركوا في الرماية وسباق الخيل .

وكانت الوفود تتوالى على المدينة من أقاصي البلاد وأدانيها لشهود المهرجانات ، فيقابلهم السكان بالحفاوة والترحيب ويفتحون لهم صدورهم وبيوتهم ، ويقيمون لهم الولائم الفخمة والحفلات العظيمة ، وكانت الحكومة تعد بيوتاً لمن لم يجدوا لهم مأوى . توفر لهم فيها أسباب الراحة ، وتهيء لهم فيها طيب الإقامة .

وفي إحدى السنوات كان شهر رمضان يقترب من النهاية ، حين أخذت المدينة زخرفها وازينت ، وشرع السكان يتأهبون لاستقبال الوافدين عليهم من أعالي البلاد وأسافلها لحضور المباراة الكبرى ، وكانت عادتهم قد جرت بأن الغرباء عن المدينة يكتبون إلى أصدقائهم فيها أنهم سينزلون ضيوفاً عليهم مدة المهرجان ليمدوا لهم أماكن لإقامتهم ، وكانت برامج المهرجان تذاع بين السكان قبل إقامته بأيام معدودات ، وبينها أسماء المشتركين في المباريات الرياضية ، وركوب الخيل ، واللعب بالسيف والرمح ، وإصابة الأهداف بالسهام . لم يبق على العيد إلا يوم وبعض يوم ، وليس لأهل المدينة حديث إلا حديث المباراة ، ومن اشترك فيها من المسلمين والمسيحيين الذين استعدوا لنزال إسحاق بن إدريس ، ذلك الشاب العربي المسلم الذي توالى انتصاره في عامين متتابعين .

إن القارىء ليذكر أن إدريس بن أحمد قد أصبح أقرب المقربين إلى ذلك التاجر الأندلسي الذي التحق بخدمته في سوريا ورافقه إلى بلاده ، وخلصه في الطريق إليها من براثن موت محقق ، ولقد نعم إدريس بجواره بضع سنوات كان فيها موطن سره ، وموضع إعزازه وإكباره ، فلما وافته منيته ولم يكن قد أعقب ذرية تؤول إليها ثروته الطائلة أوصى بها لمنقذ حياته إدريس وفاء لحقه واعترافاً بفضله ، فأصبح إدريس منذ ذلك التاريخ صاحب غنى وجاه عريض . ولقد شكر لله هذه النعمة العظيمة ، فكان ينفق

بسخاء على المعوزين وذوى الفاقة ، وكان يحج كل عام إلى بيت الله الحرام ، ويهدى لأهل الحرمين الشريفين ، ويتنازل لهم عن كثير من الأموال . وقد رزقه الله فى الخامسة والأربعين من عمره طفلا جميل الصورة ، لطيف التكوين ، ورث عنه صفاء العقيدة ، وحدة الذهن ، ونقاوة الضمير ، فاهتم بتربيته وتنشئته على الأخلاق الإسلامية الحميدة ، وعلمه ركوب الخيل والرماية ، فشب نبيل الطباع ، نادر المروءة ، كريماً سخياً . فلما استوى عوده ، واشتد ساعده ، أضحى مضرب المثل فى الفروسية وركوب الخيل . وكان أبوه إدريس قد بلغ من الكبر عتياً ، فعلق على ابنه كل أمل له فى الحياة ، واتخذ منه دعامة قوية ، وعدة صالحة للمستقبل

ولقد نال إسحاق فى سنتين متعاقبتين جائزة البطولة الذهبية فى المباراة الكبرى ، وتردد اسمه فى هذه السنة على كل لسان ، وتساءل الناس متشككين : أيحوز قصب السبق مرة ثالثة وقد احتشد له كبار الرماة من المسيحيين الذين برعوا فى ركوب الخيل وقد هرعوا لنزاله من مناطق شاسعة البعد ؟

حل اليوم الذى تختم به المباراة الكبرى ، وتخفق فيه قلوب المتنافسين رغبة فى الفوز ، ورهبة من الفشل ، وبدأ الناس يفدون إلى الساحة مبكرين ، وقد أخذوا زينتهم ، ولبسوا أبهى حللهم ؛ وكانت السيدات يتباهين بجمال زينتهن وحسن هندامهن وهن فى الطريق إلى مقصوراتهن الخاصة بعيدات عن الرجال ، وكان للنساء الأندلسيات ولع بشهود المباريات ولا يشتركن فى اللعب . وكان للخليفة وكبار الحاشية مقصورات خاصة بهم فى أبنية الملعب .

ولما دقت الساعة العاشرة ، وكانت الساحة غاصة بالرجال والنساء والأطفال يستمعون لأنغام الموسيقى ، ركب المتبارون جيادهم وأخذوا يقطعون الساحة ذهوباً وجيئة ، وهم يتيهون فى ملابسهم الوطنية الزاهية ويتأهبون لاستقبال الخليفة وبدء المباراة .

وما هى إلا دقائق معدودة ، حتى قرعت الطبول إيذاناً بقدوم الخليفة ، فاشرأبت الأعناق ، وشاهد الحاضرون كتيبة من الفرسان تتقدم الموكب ، وكلهم من زهرة الشباب العربى المسلم ، ترقص الخيل تحتهم ، وتلمع السيوف فى أيديهم ، ثم وليها الرجالة وهم من خيرة رجال الحرب ، يحملون الأعلام الوطنية الإسلامية ، وعلى صدورهم الأنواط التى فازوا بها فى المعارك التى خاضوا غمارها وخرجوا منها ظافرين . ثم لاح الخليفة يحيط به الأمراء وكبار رجال الحكم والأمن على خيل أشد بياضاً من الثلج ، وملابسهم وسيوفهم ناصعة البياض ؛ وكان الخليفة يلبس فوق رأسه عمامة كبيرة مرصعة بالجواهر ، وتعلوها ريشة طويلة ذات ألوان عديدة أكسبتها رونقاً وبهاء . وقد استقبلت الجماهير الخليفة أروع استقبال وهتفت له فى حماسة بلغت عنان السماء وهى تردد : « الله أكبر ، الله أكبر » وقذفت السيدات بالمناديل المعطرة في أرض الملعب احتفاء بقدوم الخليفة . رد الخليفة تحية الجماهير بأحسن منها ، ثم أخذ مجلسه وجعل المشتركون فى المباراة يمرون أمامه فى شبه عرض عسكرى يتقدم الأسن منهم ليحيي الخليفة بانحناءة بسيطة ، ثم الذى يليه فى السن ، ورئيس الملعب يقدمهم له بأسمائهم ، فلما كان دور إسحاق — والخليفة يعرفه لأنه فاز بالبطولة مرتين — قال له جلالته : كيف أنت يا إسحاق هذا العام ؟ أخشى أن يعدوك النصر ، فإنك أمام أشهر الرماة وأمهرهم ! فانحنى إسحاق قليلا ثم قال : إننى يا مولاى بحسن تأييد الله ، وجميل رعايتكم بخير والحمد لله ، وأملى فى الفوز كبير ، ما دمتم عنا راضين !

(يتبع) **وهبى إسماعيل حقى**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٨ — الاثنين ٢٥ أغسطس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

صفحة

عبر لمن يعتبر ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ٩١٥

فرنسا ومستعمراتها ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ٩١٨

على ثلوج (حزرن) ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ٩٢٢

حجة تأريخية ... ... : الدكتور جواد على ٩٢٤

مكتبة الأطفال العربية ... ... : الأستاذ كامل كيلانى ٩٢٧

« **من وراء المنظار** » : شرف ! : الأستاذ محمود الخفيف ٩٢٩

تفسير الأحلام ... ... { العلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... } ٩٣١

حيفا تحت أضواء القمر (قصيدة) : الأستاذ حسن البحيرى ٩٣٣

إلى أبى العلاء ... ... « : الشيخ محمد رجب البيومى ٩٣٣

« **تعقيبات** » : لصوصية أدبية — يا قوم حسبكم ٩٣٤

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : اجتراء — الشعر وقضية الوادى — ٩٣٦

زيتون فى قرطاس من الشعر — تظرف بعض الأدباء — أول صندوق للبريد

— السينما بمناسبة « المنتقم » ٩٣٨

« **البريد الأدبى** » : فى التصوف الإسلامى وتأريخه — سؤال وجوابه — ٩٣٩

هل هى : فلا شيب الله قرنه ؟ — الزنزانة وأسماؤها ٩٤٠

شيخ الأندلس ... ... (قصة) : بقلم الأديب وهبى اسماعيل حقى ٩٤١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٣٨ - الاثنين ٢٥ أغسطس ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
عبر لمن يعتبر	الأستاذ محمود محمد شاكر	٩١٥
فرنسا ومستعمراتها	الأستاذ أحمد رمزى بك	٩١٨
على ثلوج (حزرين)	الأستاذ على الطنطاوى	٩٢٢
حجة تأريخية	الدكتور جواد على	٩٢٤
مكتبة الأطفال العربية	الأستاذ كامـل كيلانى	٩٢٧
« من وراء المنظار » : شرف !	الأستاذ محمـود الخفيف	٩٢٩
تفسير الأحلام	للعلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ...	٩٣١
حيفا تحت أضواء القمر (قصيدة)	الأستاذ حسن البحيرى	٩٣٣
إلى أبى العلاء ... ... «	الشيخ محمد رجب البيومى	٩٣٣
« تعقيبات » : لصوصية أدبية — يا قوم حسبكم		٩٣٤
« الأدب والفن فى أسبوع » : اجتراء — الشعر وقضية الوادى —		٩٣٦
زيتون فى قرطاس من الشعر — تظرف بعض الأدباء — أول صندوق للبريد — السينما بمناسبة « المنتقم »		٩٣٨
« البريد الأدبى » : فى التصوف الإسلامى وتأريخه — سؤال وجوابه —		٩٣٩
هل هى : فلا شيب الله قرنه ؟ — الزنزانة وأسماؤها		٩٤٠
شيخ الأندلس ... ... (قصة) :	بقلم الأديب وهبى اسماعيل حقى	٩٤١

٢٩٠١٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 738

Lundi — 25 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٦٦ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عـــبر لمن يعتـــبر

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

في اليـوم الخامس من أغسطس ١٩٤٧ ارتفعت مصر والسودان بقضيتها إلى مجلس الأمن تطلب النصفة من بريطانيا التي اعتدت على استقلالها واحتلت أرضها من منبع النيل إلى مصبه ، ووقف رئيس وفد مصر والسودان محمود فهمي النقراشي باشا يميط اللثام عن السياسة البريطانية منذ سنة ١٨٨٢ ، وكان لابد له من أن يكشف طرفاً من سوءات هذه الدولة التي قام كيانها على استعباد الشعوب وإذلالها واهتضام حقوقها . وكان الذي كشفه شيئاً ضئيلا إذا قيس بما كان يمكن أن يقال أو يكشف من الأساليب الخبيثة التي دأبت بريطانيا على التذرع بها إلى عدوانها الوحشي على الأمم في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلادي . وكان رئيس وفد مصر والسودان يذكر الماضي ويروي عن التاريخ أصدق رواية في أعف لفظ ، فأبى له أدبه أن يصف أفعال بريطانيا باللفظ الذي ينبغي أن توصف به ، والذي سوف يصفها به التاريخ بعد أن تسقط هذه الدولة من عداد الدول التي يكون لها في هذه الأرض سلطان يقوم على القوة الغاشمة ، والدعاية الكاذبة ، وعلى التضليل والافتراء والعبث بعقول الناس .

ولم يكد النقراشي يفرغ من عرض قضية بلاده على أعضاء مجلس الأمن ، حتى هب مندوب بريطانيا السير ألكسندر كادوجان يروي لمندوبي مجلس الأمن تاريخ هذا العدوان البريطاني رواية ملفقة مبتورة حشوها العبث بالتاريخ ، والاستهانة بالجنس البشري ، والاستخفاف بعقول الذين يسمعون روايته المدلسة عن تاريخ حقبة من الدهر يستطيع كل مندوب ممن يسمعونه أن يفتح بعدها أي كتاب من كتب التاريخ الصحيحة ، فيعرف مقدار السخرية التي سخر بها هذا الرجل من سامعيه . وكان يسوق هذه الرواية المزيفة بأسلوب الواثق المطمئن بل بأسلوب الصادق الذي لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا ريب في أن السير ألكسندر كادوجان هو أول من يعلم أن الذي يقوله باطل كله ، ولكنه رجل من ساسة بريطانيا — أي رجل من أعظم الممثلين الذين يجعلونك تحس أن المسرح قد انقلب تحت عينيك حقيقة واقعة .

ونحن لن نعلق على ما قاله النقراشي باشا ولا على ما قاله السير كادوجان ، فالحق أبين من أن يحتاج إلى إيضاح لمن أراد الحق والتمسه وحرص التثبت منه ، ولست أظن أن أحداً من مندوبي أمم مجلس الأمن يخفى عليه وجه الحق في الذي سمع من الرجلين . فإن كان بناء مجلس الأمن قائماً على العدل والإنصاف وإيتاء كل ذي حق حقه ، فقد نالت مصر إذن حقها من غاصبها كاملا غير منقوص ولا مشروط بشرط . وإن كان مجلس الأمن هو سوق

الرقيق الحديثة التى أنشأتها الأمم الغالبة لكى تبيع خلق الله وتشتريهم على الهوى فإن مصر والسودان سوف تعلّم هذا المجلس علماً جديداً لم يكن يتوقعه من أمة ضعيفة أضعفها الاستبداد البريطانى على مدٍّ خمس وستين سنة — لأنها أمة قوية قد علمها هذا الاستبداد أن الحقوق تنال بالجهاد المر ، وبالدم المهراق ، وبالإيمان الذى لا يتضعضع .

ولقد كان فيما قاله النقراشى وفيما قاله كادوجان عبر لمن أراد أن يعتبر ، ونحن العرب أحوج الناس اليوم إلى الاستفادة من العبر المواضى ، فإن جهاد مصر والسودان حلقة من حلقات الجهاد الذى كتب علينا منذ احتلت بلادنا بريطانيا وفرنسا وسواهما من الأمم التى استعانت على ضعفنا وغفلتنا بقوتها ويقظتها وجشعها الذى لا يشبع ولا ينطفىء .

فأول هذه العبر أنه ينبغى للمجاهدين فى سبيل بلادهم أن يحذروا كل الحذر من الخوف، فإن الخوف آفة الجهاد ، وما ساور الخوف قلباً إلا انتزع منه البصيرة التى هى رائد كل مجاهد . وما نفى الخوف امرؤ من قلبه إلا زلزل بجرأته قلب خصمه وجعله يضطرب بين يديه وإن كان أقوى منه بأساً وأشد صولة . وقد نفى النقراشى الخوف من قلبه ، فوقف كادوجان بين يديه مضطرب الحجة حتى لم يجد لنفسه مناصاً من أن يلجأ إلى الأكاذيب القديمة التى ألفتها بريطانيا وبرعت فى تزويقها وتزويرها تريد بذلك أن تسحر عقول الناس . ولو كان الساسة العرب قد حرصوا على أن يكون هذا موقفهم فى كل أمر وفى كل عهد وفى كل ساعة ، لما أتيح للاستعمار البريطانى والفرنسى أن يبقى ضارباً بجذوره فى بلادنا إلى هذا اليوم من أيام الناس . فهذه جرأة اللسان ، فعلى ساستنا منذ اليوم أن يتبعوا ذلك بجرأة أخرى هى جرأة العمل ، ولو فعل الساسة أفعالهم بجرأة وشمم وإباء على الضيم ، لما رأينا اليوم بلداً كمصر والسودان يعج بالمستهترين من الأجانب والمشردين وصعاليك الأمم ، يستولون على أمواله وأراضيه وأخلاق بنيه باسم حرية الهاجرة وحرية التجارة وحرية العمل . لقد أظلهم الاستعمار البريطانى بظله وحماهم بحمايته حتى بات المصرى والسودانى غريباً فى بلاده ، يأكله كل طارىء ، ويدعه جوعان عريان منبوذاً فى بلاده وتحت سمائه .

وعبرة أخرى هى أن التساهل مخافة العواقب شر كله . فقد رأى بعض ساستنا أنهم إنما يفعلون خيراً كثيراً لبلادهم إذا تساهلوا لبريطانيا فى بعض الحقوق ، ظناً منهم أن ينالوا من وراء ذلك حقوقاً أخرى هى أولى بالتقديم والنظر والاهتمام ، فكانت العاقبة أن دخلنا مع بريطانيا فى الدائرة المغلقة التى يسمونها « المفاوضة » . فإذا نحن نضيع حقوقنا كلها جملة واحدة ، وإذا بريطانيا تريد أن تحتج علينا اليوم بما تساهل به أولئك الساسة فى فى حقوق بلادهم ، فتأ كل علينا حقنا كله حين تريد أن تمنعنا من أعظم الحقوق البشرية وهى الحرية . وتريد أن يقطع قلب مصر بقطع السودان عنها ، لأن قوماً من الساسة غفلوا زمناً طويلا عن رفض كل اتفاق لا يشمل السودان كما شمل الجزء الشمالى من وادى النيل وهو مصر ، فارتضوا أن يملقوا مسألة السودان ويأخذوا من عبث بريطانيا مازورته لهم وخدعتهم به ثم هى اليوم تمن علينا أنها أعطتنا تلك الفضلات التى لا يعبأ بها إلا الذليل الخانع المقيم على الضيم

وعبرة ثالثة هى أن زعماء الثورة على العدو ينبغى أن يظلوا أبداً زعماء الثورة ، لا رؤساء حكومات تحت ظل حماية مقنعة تسمى استقلالا كذباً وتضليلا فى العرف الدولى · فكان ينبغى لهؤلاء الزعماء أن يظلوا بمنجاة من إثم الحكم تحت ظل الاستعباد البغيض وأن يكونوا دائماً أيقاظاً لا تنيمهم شهوة الحكم ، وبذلك يضمنون لبلادهم أن تظل يداً واحدة على العدو ، وأن تظل يقظة متنبهة لا يخدعها لفظ «الاستقلال» عن الخبث الذى انطوى عليه وأن يصارحوا الشعب دائماً بالحقيقة التى لا تستر ، وهى أنه صار « مستقلا » فى العرف الدولى ، وأن يكشفوا له ما استطاعوا عن خدع الاستعمار الذى يعبث بهم . وإلا فأى خديعة كانت أكبر على هذا الشعب من خديعة الناشئة فى المدارس والبيوت ، وهم يقرأون ويسمعون أن مصر دولة مستقلة وهى اليوم تقف لتقول للناس على رؤوس الأشهاد فى مجلس الأمن أن الاستقلال الذى ضمنته بريطانيا ! ! كان استقلالا مزيفاً ، لأن الجنود البريطانية كانت لا تزال تحتل بلادنا ولأن السفير البريطانى كان ينصب الحكومات المصريه ويقيلها كما يشاء وتشاء دولته المستعمرة لبلادنا . لقد ظن أولئك الرجال أن هذه سياسة وكياسة وحسن

تدبير ، فإذا هى غفلة وحماقة وسوء تقدير . ولولا يقظة هذا الشعب الأبى الكريم ، لما استيقظ هؤلاء الزعماء البتة ، ولمضوا إلى الغاية فى التنازع على الحكم وشهوات الحكم وفتن الحكم ، فالشعب هو الذى انتهى بنا إلى مجلس الأمن لا الزعماء ولا أولئك الساسة .

وعبرة رابعة هى أنه ينبغى لزعماء الثورة أن لا يقبلوا البتة مفاوضة الغاصب على حق من حقوق البلاد ، فإن حقوق الحرية مترابطة لا ينفك بعضها من بعض ، ففيم يفاوض الإنسان إنساناً قد سلبه حقوقه ؟ إنها كلمة واحدة : « هات حق » ، ولا تدع المطالبة بالحق كاملا حتى يتركه لك أو تموت دونه . وما دام الغاصب لا يستطيع أن يفنى شعباً بأسره ، فالشعب هو الظافر المنصور فى النهاية ، مهما لقى من عذاب وتنكيل واضطهاد وبؤس . ولو كان هذا من فعل مصر والسودان منذ سنة ١٨٨٢ لما انقضت سنوات بعد سنة ١٩١٩ سنة الثورة ، حتى كان الغاصب قد أسلم إلينا حقوقنا كاملة بلا معاهدة ولا مفاوضة . ولكن زعماء الثورة رموا بأنفسهم فى المفاوضات ، فكانت العاقبة أننا بقينا نفاوض بريطانيا سبعة عشر عاماً ، فإذا هى تمطينا معاهدة سنة ١٩٣٦ تحت الضغط والقهر والتهديد ، وإذا هذه المعاهدة احتلال تام ، ولكنه سمى فى العرف الدولى « استقلالا » .

وعبرة خامسة هى أن الذين يدخلون المفاوضات ويعقدون المعاهدات تحت ظلال السيوف ، وبضرورة التهديد والقهر ، كان ينبغى عليهم أن يكونوا ناساً غير زعماء الثورة ، أما زعماء الثورة حين يفعلون ذلك ، فهم بين رجلين : إما مدلس كذاب يخدع الناس ويقول للناس هذه معاهدة الشرف والاستقلال ، وهى ليست سوى معاهدة للاحتلال الدائم ، وإما رجل ضعيف الرأى منخوب الفؤاد يوقع على المعاهدة ثم لا يجرؤ أن يقول لشعبه إن هذا الذى وقعت عليه احتلال لبلادكم فاحذروه وارفضوه وثوروا فى وجهى ووجه من رضيه معى . وهذا الثانى لن يستطيع أن يقول ذلك ، فهو مضطر إذن إلى التلفف والتلفيق والسكوت وادعاء الشجاعة حين يقول . « هذه معاهدة لولا القهر والتهديد لما وقعتها » ، ويقولها فى غمرة تلك الأمواج الهائلة من الخداع والأكاذيب التى اصطلح على نشرها بين الشعب الناقل المنكوب زعماء من أنفسنا ، وساسة من أخبث ساسة بريطانيا فى هذا القرن . يا له من عبث أيها الساسة المخادعون ! وتبت أيديكم يوم وقعتم وثيقة أراد بها الغاصب إذلالكم وإذلال بلادكم فقبلتموها ، وهو اليوم مصر على أخذ بلادكم بما جنت أيديكم من شرور تلك المعاهدة الخبيثة التى زعمتم أنها فرضت عليكم فرضاً . وقد كانت لكم مندوحة عن قبولها لولا الضعف والخور والجبن وشهوة الحكم التى استولت على قلوبكم .

وعبرة سادسة هى أن بريطانيا وكل دولة مستعمرة من هذه الدول الأوربية لا تتورع عن اتخاذ كل وسيلة تبلغ بها غايتها ، فمن أجل ذلك ينبغى للشعب أن يعرف منذ الساعة الأولى رجاله ورجال عدوه ، وأن يسم الخونة بسمة لا تزول ، وأن يتناقل هذا التاريخ عاماً بعد عام وجيلا بعد جيل فى البيت والمسجد والمدرسة والمجالس ، فهذا وحده هو الكفيل بأن يعرف الشعب حقيقة كل زعيم تسول له نفسه أن يستغل غفلة الناس أو ذعرهم أو لهفتهم فيغرر بهم فى مزالق السياسة الاستعمارية ، فإن مصر والسودان ظلت أعواماً تأبى أن تعترف باتفاقية سنة ١٨٩٩ التى فرضتها بريطانيا على مصر والسودان على يد رئيس وزراء كان خليقاً أن يخون بلاده ، ثم جاء الموقعون على معاهدة سنة ١٩٣٦ فقبلوا أن يكون لهذه الاتفاقية الباطلة التى لم تعترف بها مصر قط — ذكر فى معاهدتهم الوبيلة الخبيثة . فلو كان الشعب يومئذ على ذكر لما كان من شئون الخونة السابقين وما فعلوه ، لما جازت عليه الكلمة الملعونة فى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولثار يومئذ على هؤلاء الزعماء لأنهم أهدروا كل جهاده الماضى ، وكل ما أراق من دماء وأضاع من جهود ، وأنفق من سنين بنص موبوء فى معاهدة موبوءة .

ولن نفرغ من ذكر العبر الكثيرة التى توحى بها هذه الساعات فى المعركة الفاصلة بيننا وبين بريطانيا فى مجلس الأمن وفى كل عبرة من هذه العبر خير كثير يرجى أن لا يفوت العرب إذا حذروا وانتبهوا وآثروا السلامة مما وقعنا نحن فيه .. ومن حسن الحظ أن أكثر زعماء العرب اليوم من مراكش وتونس والجزائر وليبية وفلسطين والعراق هم اليوم أشد إحساساً من أسلافهم بالتبعة الملقاة على كواهلهم ، وأقوى إيماناً بالحقوق الإنسانية من بعض زعمائنا فى الماضى ، ولكن ينبغى لهم أن

القسم التاسع :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزي بك

قال ضابط البحرية اليابانى :

« إنك لم تفهم بعد الدرس الذى تلقيناه من أجدادنا بهزيمتهم وموتهم : إنه درس صبر وعناد ويقظة واحتراس ومكر وخديعة . لكى ننتصر على أعدائنا ذهبنا لمدارسهم وكانت عقولنا لا تهضم تعاليم الغرب وأساليبه . فشعرنا بحاجتنا إلى عقلية أوروبية فأقدمنا بكل صعوبة وألم وحسرة على التحرر من أشياء عزيزة علينا للحصول عليها . ولكن هذا التغيير كان لازماً نعم لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكى ننتصر على الأعداء فى الميدان » .

(من كتاب المعركة)

كفاح الجزائر أمام جحافل فرنسا

إننا لا نحاول سرد حوادث هذا الكفاح ، لأن من السهل تتبع معاركه وأدواره وحلقاته من كتب التاريخ فى مختلف اللغات ولذلك سنكتفى بإعطاء فكرة إجمالية ، أو رسم صورة عامة من التى يراها واقف على مرقب أو مركز للرصد من على رابية عالية تشرف على الحوادث والتطورات وعلى مواقع القتال . ونرجو أن نوفق فى إخراج التاريخ صورة حية وذكرى لمن شاء أن يتذكر من دروسه وتجاربه وعبره حتى لا تتكرر الأخطاء مرة أخرى فى تاريخنا وكفاحنا .

كانت حكومة الجزائر الإسلامية من الحكومات التى ليس لها شبيه أو مماثل فى التاريخ إذ كانت تابعة للدولة العثمانية ولكنها تتمتع بسيادة وحرية ، وكانت خارجة على القانون الدولى والعرف السائد بين الأمم الأوروبية ومع ذلك فهى تفرض الأتاوات على دول الغرب وتتقاضى رسوم المرور فى عرض البحر ، وإلا هاجمت أساطيلها المراكب البخارية ، وأحياناً تغزو هذه الدول ومرافئها ، ولهذا سالمتها الحكومات المختلفة وأذعنت لقبول ما تفرضه هذه الحكومة عليها ، فكانت فرنسا ترسل إليها هدايا معلومة مالية أحيانا وأخرى معدات وآلات حربية ، وكان هذا شأن بريطانيا معها والدانيمارك ومملكة صقلية والبرتغال والسويد والنرويج حتى ولايات ألمانيا والولايات المتحدة خضعت لهذا النظام العجيب الذى فرضته حكومة قليلة العدد ولكنها كثيرة البطش .

وكانت قواتها المسلحة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ ألف مقاتل من الجنود الأتراك أو أبناء هؤلاء من أمهات وطنيات وكان ينضم إليها رجال من قبيلة زواوه وهى التى حرفها الفرنسيون فأصبحت فرق الزواف المشهورة التى قامت على متطوعى هذه القبيلة وبقايا جند حكومة الجزائر النظامية .

وعلى هؤلاء الجنود اعتمد الدفاع عن المدن الساحلية عند

يجتنبوا كل الاجتناب أن يقبلوا مفاوضة الناصبين أو معاهدتهم أو الدخول معهم فى حديث السياسة والكياسة واللباقة ، فإن هذا وإن أفاد قليلا ، فإنه شر مستطير على مستقبل الشعب فى الشئون السياسية ، وفى النواحى الأخلاقية وحسب هؤلاء الزعماء العرب ما جربته مصر من مطاولتها والمد لها أكثر من تسع وعشرين سنة باسم المفاوضات والمعاهدات ، حتى فقد الشعب كثيراً من إيمانه بحقوقه ، ولولا أن الله أتاح لنا هذه الحرب الأخيرة لتنفض عن عيوننا النوم والتخدير الذى أصابها باسم المفاوضة لظللنا إلى اليوم نياماً تجرنا بريطانيا وراءها طمعاً منا فى أن ننال شيئاً من حقوقنا بمفاوضتها ومعاهدتها

أيها الزعماء العرب لا تخونوا بلادكم : أى لا تفاوضوا بريطانيا أو سواها من الدول المستعمرة ولا تعاهدوها ولها فى بلادكم ظل من سلطان ، ولا تخافوها ولا تخشوا لها بأساً ولا قوة واحرصوا على أن تبقى شعوبكم عالمة بحقيقة ما يحيط بها بكل أسلوب تستطيعونه ، وإياكم والحكم فإنه الفتنة المبيدة والآفة الحالقة والبلاء المبين . لقد كان لكم فينا عبرة فاعتبروا ، وقفوا منذ اليوم أيقاظاً لا تغفلون ، فربَّ ساعة سوف تأتى علينا وعليكم فنناديكم للجهاد ، فهبوا معنا واحذروا أن يكون بينكم زعيم يسول لكم أن الخير فى الرضى والتراضى والتساهل ، فإن ذلك هو الوبال ، وهو آخرة العرب إن فعلتم . إن مصر والسودان قد بدأت أول الجهاد ؛ فاستعدوا أيها العرب !

محمود محمد شاكر

مهاجمة الفرنسيين ولما ثبتت قواعد حكمهم جندوا من الأسرى أول فرقة وطنية للاستعانة بها .

أما فى الداخل فقد قامت قوة الدفاع على جماعات المقاتلة من رجال القبائل وهم مشاة وفرسان على طريقة حروب البادية ، ولما اشتدت المعارك فكر الأمير عبد القادر فى إدخال النظام العسكرى الحديث مقلداً المحاولات التى حاولها كل من محمد على والسلطان محمود العثمانى ، ولا شك فى أن هذه المحاولات قد بهرت أنظاره وتطلع إليها وحاول تقليدها .

وفى سيرة الأمير ذكر ابتداء هذه الحركة وانتشار الدعوة إلى تجنيد الأجناد وتنظيم العساكر تحت اللواء المحمدى وإيجاد دفاتر لقيد الجنود الذين بدأوا تدريبهم وأتموا تعليمهم ورسم الذين حملوا السلاح منهم ، كما فيها وصف كامل لأصناف الفرق من مشاة وفرسان ومدفعية وطريقة التعبئة والسير والنزول فى المعسكرات ويظهر أن هذه القوة مع اهتمام الأمير عبد القادر بها لم تكن هى التى يقع عليها القتال وحدها وإنما كان الكفاح موكولا إلى رجال القبائل وكانت هى بمثابة قوات ثانوية مساعدة ومكملة .

أما الفرنسيون فكانوا على علم تام بطبيعة الأرض الجزائرية من ناحيتها الجغرافية والطبوغرافية ولديهم الخرائط المفصلة عنها ، فقد أثبتت المراجع الرسمية أن نابليون الأول أرسل ضابطاً فرنسياً إلى الجزائر عام ١٨٠٨ وكلفه أن يدرس بالتفصيل مشروع الحملة الفرنسية ووضع الخطط العسكرية الشاملة ، وقد قام هذا الضابط بمهمته وصحح المواقع على الخرائط ورفع تقريراً وافياً عن الشاطئ الإفريقى والأماكن التى تصلح لإنزال الجنود وأشار إلى الطرق والآبار والوسائل التى تؤدى إلى حشد القوات وربطها والسير فى حلقات الحملة ، ولم يكن لدى الفرنسيين عند عدوانهم سوى إخراج هذا التقرير من ملفات وزارة الحربية وتقييد ما فيه وهذا ما حدث فى عدوان سنة ١٨٣٠ . إذ أنزلت الفرق فى الأماكن المختارة فى هذا التقرير وتحت تجارب حملة مصر عند احتلالها مدينة الإسكندرية واختيارها منطقة العجمى التى تشبه سيدى فرج

ولم يكن الفرنسيون على جهل بأساليب القتال لدى المسلمين ، فهم قد حاربوا المماليك فى معركة أمبابة ورأوا ما يمكن أن تقوم به أساليب القرون الوسطى أمام جنود معبأة على الطرق الحديثة ، ثم هم لم يهملوا تتبع التطور الذى أدخل على أنظمة جيوش المسلمين ، فقد كان من ضباطهم وقوادهم من رافق حملات مصر ضد الوهابيين وكانوا فى الصفوف الأولى يقيدون حركات المصريين ودفاع الوهابيين ويكشفون عورات الجانبين ثم يستفيدون من كل ذلك فى حروبهم بالجزائر .

واختير للقيادة البرية الماريشال بودمون وهو من رجال سنة ١٨١٥ أى من الضباط الذين قاتلوا فى معركة واترلو وحضروا معارك نابوليون فأسندت إليه آمرية حملة بنيت على تقرير ضابط من ضباط نابوليون ، وكان على الأسطول الأميرال دوبريه ولكل منهما طابعه الخاص ورغبته فى الانفراد والتسلط فما لبث أن دب الخلاف بينهما ولولا تعليمات الحكومة الصريحة أنه إذا اختلف الرأيان،فضل رأى المريشال وأسندت إليه القيادتان البرية والبحرية لاستفحل بينهما النزاع ولفشلت الحملة .

ولعل أعظم ما ساعد الفرنسيين على التغلب هو أعمال المدفعية التى تجرها الخيول فقد امتازت منذ الساعة الأولى كما ذكرنا بقوة نيرانها وتوفيقها فى إصابة الأهداف وسرعة حركتها ، فكانت أول عامل من عوامل النصر لديهم ، كانت كمدرعات هتلر وفرقة البانزو الألمانية فى الحرب الأخيرة ، وهى الميزة التى كانت لدى الفرنسيين على جند حكومة الجزائر وعلى العرب المجاهدين ولولا هذه القطع من المدفعية لكانت الحرب بين الفريقين على مستوى واحد من تكافؤ فرص وتكافؤ معدات القتال .

فلننظر إلى ساحل تمتد مئات الأميال عليه مدن ومرافق متعددة ويتكون الداخل من سلاسل جبال ووديان ورمال تصلح للحروب ويسمح للقبائل والعشائر التى تسكنها أن تتولى عملياتها بكل سهولة ضد الجيش المهاجم سيما وهى من جماعات ألفت الحروب على هذا الميدان نزلت قوات فرنسا بمعداتها الثقيلة ومهماتها الأوربية لتواجه أهل البلاد ولديهم ثلاثة أصناف من المقاتلة . جند حكومة الجزائر وحكام المقاطعات الجند النظامى الذى أنشأه الأمير عبد القادر ثم العمود الفقرى للقتال وهم رجال القبائل الذين لبوا دعوة الجهاد .

هذه هى حرب الجزائر التى اشتدت وطأتها على أربعين ألفاً من الجنود الأوروبيين اصطلوا بمعاركها ومشوا إليها تحت وهج

الشمس، فتغيرت سحنتهم وتبدلت لديهم ملابس الميدان وأصبحوا مع الزمن كقطيع منفصل عن العالم لا يعرف سوى الحرب والدمار وإسالة الدماء على الأرض الإفريقية . هذا جيش إفريقيا الفرنسى الذى ولد ونشأ وترعرع فى معارك الجزائر وحروبها القاسية .

ودارت رحى الحرب سنوات والهزائم تتوالى والمصاعب تتضاعف وليس لدى الفرنسيين الخبرة الواسعة بالإدارة والحكم فهم تارة يجنحون إلى الشدة ويقنعون أنفسهم أنها هى الحزم وأخرى يتقربون زلفى إلى الأهالى ، وفى أوقات يقدم قوادهم على عمليات حربية فيها المجازفة والتسرع فترتد عواقبها وخيمة عليهم من وسط هذه النكبات ظهرت فكرتان : الأولى إنشاء فرق من الجنود الوطنيين لخدمة فرنسا والثانية إنشاء المكاتب العربية التى أطلق عليها فى النهاية اسم المكاتب الوطنية .

وقد ظهرت بوادر النجاح فى الناحيتين إذ بالاعتماد على الفرق الوطنية المقاتلة وبعد احتلال مدينتى بون ووهران واتباع خطة الدفاع أمكن إنقاص القوات الفرنسية من ٣٧ إلى ١١ ألفاً فعد هذا نجاحاً للقيادة .

أما المكاتب العربية فهى التى وضعت سياسة التخريب والتشريد وهى إحراق المناطق المزروعة ومصادرة قطعان الماشية التى تملكها القبائل العاصية والاستحواذ على الأطفال والنساء كرهائن والفتك بهم إذا استمرت الحرب وأخيراً تطور هذا النشاط إلى القمة واتجه إلى بذر الشقاق بين عناصر وطوائف الأمة الجزائرية ، وخلق قضية العرب والبربر فكسبت هذه المكاتب فى هذا النشاط من المعارك أضعاف ما كسبته فرنسا بقوة السلاح .

وكان الأمير عبد القادر أول ضحايا عمل هذه المكاتب ، فإن قواد فرنسا حاولوا كثيراً أن يعقدوا اتفاقاً معه ولما توصلوا لذلك واعترفوا باستقلاله وإمارته ، سلطوا مكاتبهم عليه ووجهوا المطاعن بواسطة وكلائهم وخدامهم فقالوا إنه حالف الكفار وأعداء الدين فأصبحت بيعته باطلة ووكالته على الناس غير قائمة ، وعرفت هذه المكاتب السياسية أن تجمل بين أبطالها من هم من رجال الدين والطرق والزعامة ، وجندت من يتظاهر بالجهاد والوطنية ، وأصبحت مع الزمن من أخطر المنظمات الاستعمارية وأشدها وطأة بما تملك من الوسائل والقوى الخفية مما يعجز الناس عن تصديقه

ولقد عشنا فى كثير من بلدان الشرق ورأينا أمثال هذه المنظمات تعمل فى هدم الكيان الإسلامى والاستقلالى ، ورأينا أناساً يقودون المظاهرات الوطنية ويخطبون فى الجماعات ويجاهرون بمبادىء متطرفة ، ويكتبون عن أنظمة للحكم يسارية أو نازية ثم يكتشف بعد زمن طويل وبعد فوات الفرص ، أنهم مقيدون كخدم لهذه المنظمات الخطرة يتلقون وحيها ويعملون بأوامرها ، وقد وصل بعضهم إلى المال والمركز والجاه تحت ستار التضحية والعمل والاخلاص فطوبى لهم .

ولهذا يجدر بالأحزاب والمتصدرين للجهاد فى سبيل المثل العليا أن يرقبوا الأنصار والاتباع قبل الخصوم والأعداء وأن يقوموا من بين وقت لآخر بغربلة صفوفهم وإجراء حركة تطهير لأن الدول الاستعمارية وطدت سلطانها بهذه المنظمات وبمن يتبعها من الرجال المتبثين فى كل جهة والذين يشايعون الاستعمار وتلمنه ألسنتهم ويتظاهرون بالتطرف لإخفاء حقيقة أمرهم .

ولقد تمكن الأمير عبد القادر من إيجاد دولة عربية مستقلة عاهدت الفرنسيين على السلام واحتفظت بقواها كاملة بعد أن حققت ما ترمى إليه بانتصارها فى ميدان القتال ولكن الدولة التى عاهدها كانت تفكر قبل أن توقع على المعاهدة فى نقضها فما أن وقعت عليها حتى بدأت ترسل النجدات تترى وأخذت تثير القبائل عليه ويقول الفرنسيون فى ذلك « إننا لم نعقد مع أمراء المسلمين معاهدة وإنما عقدنا هدنة لكسب الوقت حتى يتم تحطيم الجبهة الشرقية ثم نعود إليهم فى وهران » .

هذا ما حدث فإن ضعفهم تحول فجأة من جبهة الأمير عبد القادر إلى جبهة قسنطينة على حدود تونس حين عبأت فرنسا قواتها بكاملها وزحفت على المدينة فى هجمتين فشلت فى الأولى فبراير ١٨٣٧ وكان ذلك قبل التوقيع على معاهدة تفنا مع الأمير ونجحت فى الثانية بعد نقل حاميات الغرب فاقتحمت المدينة المحصنة فى أكتوبر سنة ١٨٣٧ .

ومن ذلك يتضح أن قواد فرنسا بعد أن أدركوا فداحة حرب الجزائر أخذوا ينسقون بين خططهم الحربية فوضعوها على مراحل إذا أتموا مرحلة انتقلوا لغيرها ، ووضعوا المبدأ الثابت وهو شراء النصر والغلبة بأى ثمن حتى لا تفقد فرنسا جيشها العسكرية ،

ولذلك وصلت جيوشهم إلى ٥٦ ألف مقاتل فى سنة ١٨٤٠ ، واستدعت فرنسا بعض الكتائب الممتازة من أصناف القناصة التى كانت تعد من قبيل فرق الكوماندو فى العصر الحاضر مع اختلاف التدريب أى زهرة الجيوش الفرنسية .

أما الأمير فقد آمن بعد مفاجئة الفرنسيين لعاصمته ، بالفرق الكبير « بين الجنود المنتظمة والجنود المتطوعة » ولذلك انتهز فرصة المعاهدة وعزم على إنشاء جيش نظامى حديث : « فعقد مجلساً عاماً من رجال الدولة وأعيان الرعية وخطب فيهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكر النظامى ومنافعه وأخبرهم أنه اعتزم على تنظيم عدد منه ، فأجابه الجميع ... ونودى أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر ... فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدى ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الأمارة والمعسكر ليقيد اسمه فى الدفاتر الأميرية » .

ومع انتصارات فرنسا فى جهة قسنطينة أخذت تظهر بين جنودها آثار الحروب الإفريقية ومتاعبها ، فقد برهنت سنوات السلم ، ازدياد حوادث العصيان بين الجنود الأوروبيين ومخالفة الأوامر وعدم الإذعان للقواعد المعمول بها فى الفرق الفرنسية بأوروبا نتيجة لاختلاف البيئة والجو ، بل إن مضى السنوات أظهر اختلاف الأنظمة الصحية ، وأساليب التغذية وتموين الفرق مما أدى كما قلنا إلى الاستهانة بتطبيق القواعد العسكرية وظهور حوادث العصيان ، وأعقب ذلك نكبة مليانة التى ظهر للعيان ضعف قوة القتال لدى الفرق الفرنسية الصميمة وفقدان الروح العسكرية ودرجة الضبط والربط التى عرفت عن الجيش الفرنسى إزاء هذه النكبة اضطرت فرنسا إلى تغيير قيادتها العامة فى الجزائر برمتها وأجبرت على إدخال أنظمة جديدة للجيش وإلى العمل على رفع مستوى الحياة فى الثكنات والمعسكرات والتشديد فى المحافظة على روح المقاتلة والكفاح فى المستوى المعتاد بعد أن هبطت هبوطاً ملموساً فى المعارك الأخيرة .

ولم يستفد الأمير عبد القادر من هذه الفوضى الضاربة أطنابها لما ينقصه من خبرة وإلمام بأساليب الأوروبيين وأنظمتهم وإلا لضربهم ضربة مميتة .

ومن كل ذلك نخرج بنتائج مؤلمة :

إن جهاد أهل الجزائر كان مجيداً ومشرفاً لهم ولكنه لم يكن موحداً تتولاه هيئة قيادة عامة كان جهاداً مرتجلا ولم يكن هناك ارتباط أو تفاهم أو تآزر بين مختلف الجهات .

إن الأمير عبد القادر بقى وحده يجاهد فلم تصله أية مساعدة من تركيا أو مصر .

إن عبقريته ظهرت فى المعارك التى انتصر فيها ولكن لم يدعمه أحد من القواد أو الفنيين أو الأوروبيين .

إن متاعب العدو ومشاكله بقيت مكتومة عن علم الأمير وقواده .

إن الكتائب العربية التى أنشأتها فرنسا كانت على علم تام بمشاكل الأمير ومتاعبه ، وكانت تزيدها وتحركها وتشعل نيرانها إذا خمدت .

إن السلم الذى حصلت عليه فرنسا كان هدنة لكى تتمكن من توجيه ضرباتها من جهات أخرى ثم تعود إلى الجهة التى سالمتها لتقضى عليها .

فى وسط هذه الحروب تبدو حكمة الضابط اليابانى أنه أخذ العقلية الأوروبية لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكى ينتصر على الأعداء .

أحمد رمزى

على ثلوج (حزرين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٥ —

أقامت ليلى فى دار أسعد شهرين محمولة على الأكف، مفدّاة بالأرواح، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية، وأحيطت بكل مظاهر الترف، وسيق لإسعادها كل ما وصلت إليه الحضارة، وأبدعه العقل، فلا ترى إلا جميلا، ولا تشم إلا طيباً، ولا تسمع إلا ساراً، ولا تأكل إلا لذيذاً، ولكنها لم تكن سعيدة ... ولم تر حسن ما هى فيه، لأنها افتقدت النور الذى ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب

ولم يكن لها ما تشكو منه، فقد أعطاها أسعد كل شىء، ولم يطلب منها شيئاً. وكان يسرّها محضره، ويهزّها كرمه، ويعجبها أدبه، ولكنها لا تحسّ الفراغ فى نفسها لغيبته، ولا تجد الخفقان فى قلبها لحضوره، ولا يحملها حديثه على أجنحة الخيال، إلى العالم المسحور الذى كانت تحملها إليه أحاديث هانى، على جفوتها وفراغها ...

ولقد أحب أن يتم عليها سعادتها بالبحث عن هانى، فبعث الرسل ينفضون الأرض، ويفلّون المدن، ويبحثون فى الهضاب والشعاب، فلم يقعوا له على أثر، وطفقت ليلى تفكر فيه حتى خدر فكرها وكلّ، وانطوى على هذه (الفكرة) الواحدة، فلا يعنى بغيرها، ولا يفرغ لسواها، وأدركت أن هذا العالم الذى بدا لها أول مرة بهياً فاتناً: عالم الذهب والحرير والزهر والعطر، جميل، ولكنه كجمال الدمية الفنية، لها المقلة الساحرة، والقامة الفتانة، ولكنها باردة ليس فيها روح، وهل روح الحياة إلا الحب ؟

جز بأجمل البقاع، واسمع أحلى الأغانى، وشمّ أطيب العطور، وافتقد الحبيب لا تحس لذلك لذة، ولا تجد طيباً ...

... ولكن الأيام تبدل كل شىء، وقد بدل ليلى كرّ الأيام، فلم يجف الجرح فى قلبها، ولكن مسّ الحنان قد راضه على السكون، ولم يذهب الحب من نفسها، ولكن عرفان الجميل، قد ألقى عليه غطاء فأخفاه، ولم تنس حياة القصر وساعات الصخرة، ولكن غياب هانى قد حملها على الأنس بهذه الحياة الناعمة المرفهة التى نشأت عليها وتعودتها، هذه هى معيشتها لا معيشة هانى، الذى ألقته المقادير أمامها، وقد ولد فى غير بيئتها، وجبل من غير طينتها

ويا ليتها لم تكن عرفت هانى، ويا ليت أسعد كان السابق إليها، إذن لوجدت السعادة كاملة، لا ينقصها شىء، ويا ليت الحب، هذا الطفل الأعمى، لم يكن رماها بهانى، بالغلام القذر الذى جىء به من أزقة بيروت، فتعلقت به، كما يتعلق المرء بكأس الخمر، تهرى أمعاءه، وتشتاقها نفسه، بل هو القدر، القدر الذى جعل جسدها منعماً فى هذه الجنة، وقلبها معذباً فى ذلك (الاصطبل)، وكتب عليها أن تعيش مع أسعد، ويكون حبها لهانى

ولم يكن أسعد وأخته، يدعانها لحظة كيلا ينبثق جرح قلبها، وكانا يطرفانها أبداً بأجمل الطرف، وأرق الأحاديث، ويجددان لها كل ساعة مسرة، ولكنها كانت كلما خلت بنفسها، أو لمحت الصخرة من بعيد، ذكرت ليالى الحب عند الصخرة، وعادت تفكر فى هانى: أى أرض تحمله، وأى سماء تظلله، وهل هو حى لا يزال، أم قد طواه الثرى؟ ويا ليتها تستيقن موته، فتستريح إلى اليأس، وتتعزى بالعجز ...

وكان أسعد يوماً من أيام النقاهة إلى جانبها، وقد أضجعها على أريكة فى الحديقة، تضحى بشمس الصباح تظلها بواسق الصنوبر، وتحف بها فواتن الأزهار، وقعد على كرسى صغير، ينظر إليها كما ينظر الوثنى إلى صنمه، يطل قلبه من عينيه حباً، ويقف لسانه هيبة، وتنقبض يده إكباراً فلا يمسه إن مسه إلا بأطراف الأنامل، وكان يتأمل شفتيها، حتى إذا تحركت طالبته شيئاً جاءها به قبل أن يتم اللفظ، ويلحظ عينيها حتى إذا مالت إلى شىء حمله إليها قبل أن يرتد الطرف، وطغت عليها عاطفة الشكر وعرفان الجميل، فأمرت أصابعها على شعره فأحسّ رجفة الكهرباء العلوية، التى لا تمشى فى سلك ولكن تسير فى الأعصاب، ولا تضىء البيوت ولكن تنير القلوب، ولا تحرك

الآلات ولـكن تحرك الـكون ، الـكهرباء التى اسمها الحبّ ، وتجرأ فقال الـكلمة التى كان يرددها فى نفسه على عدد الدقائق والثوانى ولا يجرؤ أن يقولها ، قال لها :

— هل تقبلين بى يا ليلَ زوجاً ؟

وسكت يرقب الـكلمة التى تعرّفه مصيره فى هذه الدنيا ، إما إلى جنة الحب ، أو إلى نار الهجران ، وسكتت ليلى لحظة ولـكنها لم تذكر ماضياً ولم تفـكر فى مقبل ، وإنما نظرت إلى الحاضر وحده ، واستجابت لندائه ، كما تفعل كل امرأة فى الدنيا وقالت :

— نعم .

وتم الزواج !

***

ومرت سنوات طويلة ، ناعمة هادئة ، كأنها مياه البحر فى خليج جونيه ، واستقر الجرح فى قلب ليلى ، حتى ظنته قد التأم ، ومنعته عناية أسعد ومحبته أن ينفجر أو يتسع ، واتصلت المودة بينها وبين أسعد ، والمودة إن اتصلت بين الرجل والمرأة لا تلبث أن تصير حباً ، وكاد يجىء الحب ، لولا أن عصف البحر فى الخليج فجأة ، وماج واضطرب ، حين دخل الخادم يعلن قدوم هانى .

انفجر الجرح ، وعاش الماضى ، ونظرت ليلى إلى حاضرها الذى كانت تأنس به وتطمئن إليه ، فوجدته يتهدم ويكاد يضمحل حين داهمه هذا الماضى بسيله الدفاع ، فتمسكت بأسعد الذى هو رمز هذا الحاضر ، كما يتمسك الغريق ببقايا الزورق وهتفت به أن يمنعه من الدخول . فأبى أسعد ، وحسب لغروره وجهله بطباع المرأة ، أن الحبّ قد مات ودفن ، لا يدرى أنه دفن فى القلب ، ودفين القلب يحيا إذا ناداه الماضى ، وأذن له بالدخول ، وقام لاستقباله ، وبقيت ليلى جالسة ، ساكنة الجوارح وقلبها فى زلزال ، معرضة عنه وكل شعرة فى جسمها تنظر إليه وتحس به ، قد شحب لونها ، واصفر وجهها حتى لم يبق فيه قطرة واحدة من الدم ، ورفعت إليه عينيها أخيراً ، فوجدته قد عاد بأبهى حلة ، وأكمل زينة ، تبدو عليه مظاهر الغنى ، وعلائم الثروة ، وتخاطبت العينان فى لحظة ، فألقتا ألف سؤال وسمعتا ألف جواب ، وروتا قصصاً وساقتا أخباراً ، ولم يدر حديثهما أحد ، ثم أغضت ، وأخذها مثل الدوار .

وسمعت وهى غيبتها أطرافاً من الحديث ، فعلمت أن هانى قد عاد من أمريكا غنياً ، وأنه اشترى قصر أبيها ، وصار مالكه .

وكان لـكل كلة يقولها ، وحرف ينطق به ، معنى فى نفسها ، لا يدركه الزوج ولا ينتبه له ، لقد كان يفهم معانى الـكلمات فى المعجم وهى تفهم معانيها فى القلب المحب ، وفى الماضى المبعوث ، وتحس أن الحديث بينه وبينها ؛ وإن كان الذى يرد عليه زوجها ، ثم غشى عليها فلم تعد تشعر بشىء .

***

وذهب هانى إلى القصر ، وقعد على كرسى سيدى الشيخ رحمه الله وراح ينظر حوله : لقد خرج من القصر أجيراً ذليلا ، وعاد إليه سيداً مالـكا ، وصار علام تحت يده ، يجرّعه إن شاء المرّ من كأس الانتقام ويجزيه بالسيئة قدمها له عشراً ، وحالفه الحظ ، وسعى إليه المـال ، ولـكن ما فائدة هذا كله ، وفى نفسه هذا الفراغ الذى لا يملؤه مال ولا قصر ، ولا تسدّه لذة الانتقام ، لقد ذهبت نشوة الظفر وعلم الآن أنه لن يسعده شىء مما على ظهر الأرض إلا هذه المرأة التى اسمها ليلى . وقد صارت ليلى لغيره ... فلن يسعده شىء !

وعرض ماضيه كله ، فتمنى أن تعود أيام الفاقة والعوز ، وأن يعود خادماً ذليلا يحيا بقربها ، لقد كان فى الحنان الذى ينبثق من عينيها ، والفتون الذى يبدو فى صـوتها وحديثها ، والعطر الذى يشمه من جسدها الغالى ، ما يغنيه عن المال والجاه فهل يغنيه الجاه والمال اليوم عن حنانها وفتونها ؟ لقد كان يفرّ إلى الصخرة الجامدة ، فينسى القصر وعذابه ، فهل ينسيه القصر ونعيمه اليوم تلك العشايا الحبيبة عند الصخرة ؟

لقد ضرب فى الأرض ، وخاض البحار ، وذهب إلى أميركا ليعود بالمال الذى يشترى به قلبها الذى صبا إلى المال ، فماذا ينفعه الآن إن اشترى القصر وخسر القلب ؟ ألهذا كدّ ونصب ؟ وحمل الجوع والتعب ، وسامر طيف الحب فى ليالى الغربة ، وتجرع مرارة الهجر فى دار النوى ؟

إن كانت هذه هى النهاية ، فيا ضيعة المسعى ، ويا ضلّة المطاف

(الخاتمة فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

٣ – حجة تاريخية

للدكتور جواد علي

وبعد سقوط القدس على أيدى البابليين عام ٥٨٦ قبل الميلاد سبى « نبوخذ نصر » العبرانيين وأخذهم معه إلى العراق إلى أرض بابل وتعرف هذه الحادثة فى التأريخ العبرانى باسم «السبى» وقد استولى « نبوخذ نصر » أربع مرات على القدس ، المرة الأولى فى أيام الملك « يهوياقيم » سنة ٦٠٢ قبل الميلاد[1] وكان هذا الملك ملك « يهوذا » وهو ابن « يوشيا » وأخو «يهوآحاز» الذى خلفه فى الملك وكان أسمه « الياقيم » فغيره فرعون « نخو » إلى يهوياقيم عند ما أجلسه على الكرسى[2] وكان تحت الجزية لفرعون أربع سنين[3] .

ثم سارت عليه جيوش ملك بابل نبوخذ نصر فاستعبده ثلاث سنين « ثم عاد فتمرد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بنى عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذى تكلم به عن يد عبيده الأنبياء[4] .

ثم ما لبث أن أخذه بوخذ نصر وقيده بسلاسل من نحاس ليرسله إلى بابل[5] ثم تولى ابنه « يهوياكين » مكانه وفى أيامه تقدمت جيوش « نبوخذ نصر » للمرة الثالثة ودخلت القدس وأخذ الملك وأمه وعبيده وخصيانه وأكثر اليهود أسرى إلى بابل ومعه ما كان عنده من خزائن وما كان فى الهيكل من أموال وقد فسرت التوراة ذلك لأنه عمل الشر وعصى أو أمر ربه وسار على خطة أبيه[6] وعين نبوخذ نصر « منيا » عم « يهوياكين » بدلا منه وسماه « صدقيا »[1] .

وفى أيام هذا الملك كذلك تقدم نبوخذ نصر هو وجيشه وحاصروا القدس ثم قبضوا على الملك وأخذوه أسيراً إلى بابل وقيدوه بسلسلتين[2] ثم أحرقت القدس والهيكل فى السنة التاسعة عشر من حكم « نبوخذ نصر » وأخذ ما كان قد تبقى أسرى إلى بابل .

وعين البابليون « جدليا بن اخيقام بن شافان » على من تبقى من اليهود وقد جاء هذا الملك نداءاً إلى البقية الباقية من اليهود وناشدهم فيه بوجوب الإخلاص لملك الكلدانيين وامتثال أمره ، ولما قتل خافه كل من فى المملكة فهرب كل اليهود إلى مصر حيث فضلوا البقاء هناك[3] .

ولما قضى الفرس على مملكة البابليين دخل اليهود فى حكمهم وأصبحوا لهم أتباعاً . وغدت فلسطين جزءاً من مملكتهم والواقع وكما تحدثنا التوراة أن العبرانيين كانوا ضد أى نوع من أنواع الحكم وأنهم لم يرتضوا أن يكونوا لهم مملكة لأن صفة البداوة كانت هى الصفة الغالبة عليهم ، وأنهم حتى فى أيام مملكة شاوؤل وداود وسليمان وهى المملكة التى يتغنى بها الصهيونيون لم يكونوا ينظرون إليها نظرة ارتياح وأن عهدهم لم يكن يخلو من اضطراب وثورات ولذلك كانوا عرضة للخضوع إلى الحكم الأجنبى .

ولذلك لم يكن ملوك إسرائيل أو يهوذا فى الحقيقة سوى رؤساء قبائل أو أمراء مقاطعتين صغيرتين تابعتين لحكم الأجانب فحكمهم المصريون وأصبح ملوك المملكتين الصغيرتين «مملكة إسرائيل » و « مملكة يهوذا » يعينون تعييناً حتى أنهم كانوا يتركون أسمائهم ويتناولون أسماءاً جديدة يغدقها عليهم فراعنة مصر . ثم ملوك الكلدانيين فيما بعد وبعد انقراض دولتهم بسقوط « القدس » أصبحوا تحت حكم الدول الأجنبية تماماً . ولم يجد المفكرون من ذلك غضاضة كما نقرأ فى الكتب العبرانية .

ومما يجدر ذكره هو أن العبرانيين لم يكونوا فى يوم من الأيام راضين عن ملوكهم وإذا قرأنا التوراة نرى أن الملوك كانوا عرضة لنقمة رؤساء الشعب والكتاب البارزين وأن الأنبياء كانوا

(١) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ٤١٢ .
(٢) الملوك الثانى إصحاح ٣٣ آية ٣٣ وما بعد .
(٣) الملوك الثانى إصحاح ٣٣ آية ٣٥ .
(٤) الملوك الثانى إصحاح ٣٤ آية ٣ وما بعد وأيام الثانى إصحاح ٣٦ آية ٨ وأرس ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٦ .
(٥) أيام الثانى سفر ٣٦ آية ٦ ودا سفر أول آية ٢ .
(٦) الملوك الثانى سفر ٢٤ آية ٧ وما بعد . اد سفر ٢٢ آية ٢٤ وما بعد :

(١) مل سفر ٢٥ آية ٧ .
(٢) مل سفر ٢٥ آية ٧ .
(٣) الملوك الثانى سفر ٢٥ آية ٢٢ وما بعد .

يتنبأون دائماً بحلول غضب الله على هؤلاء الملوك ، ولم يظهروا كراهية للملوك الفاتحين وهذا ما يفند رأى الصهيونية فى الدولة اليهودية القديمة .

ويلاحظ أيضاً أن العبرانيين القدامى قد استعانوا بالعرب وبغيرهم فى الدفاع عن أرض فلسطين فلما حاصر الملك «سنحريب» مدينة القدس فى أيام « حزقيا » «Hezekiah» لم يتمكن اليهود من حماية أنفسهم تجاه الأشوريين فاستعانوا بالعرب وطلبوا منهم المساعدة لخلاص القدس وقد سجل سنحريب فى أخبار حملته لسنة ٧٠١ قبل الميلاد . وكان اسم الأمير العربى الذى لبى نداء الوطن فدافع عن اليهود وقاوم الأشوريين مقاومة عنيفة أزعجت الملك « سنحريب » هو الملك العربى « مصترى » وملك آخر عربى كذلك هو ملك مقاطعة « ملوخا » وبفضل هذه المساعدة الثمينة تمكن العبرانيين من الوقوف أمام الأشوريين .

وقد دافع العرب مراراً كثيرة عن أرض فلسطين فى أيام الأشوريين والبابليين واليونان والرومان وقد تكبدوا من جراء ذلك خسائر فادحة ومما يذكر هو أن اليهود كانوا بالنظر إلى عدم استطاعتهم الوقوف أمام الأجانب قد اضطروا إلى الاتفاق مع الأمارات العربية لاستئجار جيوش عربية لتتولى الدفاع عما تبقى من الأراضى فى أيدى العبرانيين . ولم يبق بالطبع بعد السبى فى فلسطين جاليات كبيرة من اليهود ، بل أصبح اليهود أقلية خاضعة لحكم الأكثرية تسكن فى أماكن معينة تحت حماية الفرس فاليونان فالرومان ثم البيزنطيين .

ولما احتل البابليون فى عهد ملكهم نبوخذ نصر القدس كان العرب فى ذلك العهد يمتلكون أكثر أراضى فلسطين مثل أرض موآب وأدوم وفلسطين الجنوبية وكانت عزيمة العبرانيين خائرة والنبى « أرميا » يحذر الناس من المقاومة ويطلب منهم الاستسلام[1] وكانت نتيجة ذلك تخريب بيت المقدس والهيكل وأخذ اليهود أسرى إلى بابل ، ومنذ ذلك العهد فقد اليهود عملياً كل كيان لهم فى فلسطين .

أما العرب فقد دافعوا دفاعاً مجيداً أزعج نبوخذ نصر وجعله يقرر الزحف على البادية والحجاز بإشارة من أرميا وكانت المعارك شديدة بين الطرفين .

وقد تولى العرب منذ هذا العهد حتى الآن أمر الدفاع عن أرض فلسطين فكافحوا الحكم الرومانى وحاربوا البيزنطيين ولما قامت جموع العرب فى الحجاز تحت راية الإسلام تحرر البلاد العربية اشتركت القبائل العربية وأكثرها من كلب ولخم وجذام ومن استعرب من سكان فلسطين مع المسلمين فى مقاتلة البيزنطيين إخوانهم فى الدين ، لأنهم كانوا يشعرون بشعور قوى وبشعور الرابطة التى كانت تربطهم بشبه جزيرة العرب وتقدمت الجيوش الإسلامية فى أراضى سورية وتمكنت من طرد الروم[1] . وفى ذلك دليل كاف فى دحض حجج الصهيونيين.

وقد كان المسلمون والنصارى سكنة فلسطين يحاربون سوية جيوش الصليبيين الذين حاولوا باسم الدين احتلال فلسطين ولم يشترك أى يهودى فى مقاومة هؤلاء الغزاة وقد اشترك العرب مسلمون ونصارى فى مكافحة العثمانيين وتحرير فلسطين من حكمهم وفى النهضة العربية فأى حجة تأريخية يتذرع بها الصهيونيون إذاً فى حقهم التأريخى القديم فى فلسطين وهم لم يقاتلوا فى سبيل الأرض المقدسة ولم يحاولوا الوقوف أمام الأشوريين والبابليين والرومان عند ما كانوا يدخلون القدس ويخربون الهيكل وبيت داود .

وقد ادعى الصهيونيون بأن العبرانيين كانوا يحنون دائماً إلى العودة إلى « أرض إسرائيل » وأنهم ما فتئوا يتذكرون أرض الأجداد والآباء وأنهم يريدون إحياء ثقافتهم فى تلك الأرض الموعودة ولكن التوراة والتواريخ تكذب أقوالهم هذه أيضاً ، فإن العبرانيين الذين كان البابليون قد أخذوهم أسرى إلى بابل ثم سمح الفرس لهم بالعودة إلى أرض فلسطين بعد انقراض حكومة بابل ، فى أيام « كورش » فضلوا الإقامة فى أرض العراق على الذهاب إلى «أرز إسرائيل» ولم يلبّ نداء زعماء اليهود وأنبيائهم غير القليل ، لأنهم وجدوا أنفسهم فى أرض طيبة وفى موطن ملائم وقد بقوا فى العراق حتى الآن[2] وقد تولى بعضهم مناصب

---

(١) أرميا سفر ٢١ آية ٣ فما بعد و ٢٥ آية ٩ فما بعد و ٣٢ آية ١ فما بعد .

(١) راجع كتب الفتوحات الإسلامية والجزء الثانى من كتاب « دراسات إسلامية » للمستشرق « بيكر » فى بحث فلسطين .

(٢) Nisi Dominus P. 15.

عالية فى الحكومة ، كما أن اليهود الذين هاجروا إلى مصر فراراً من حكم نبوخذ نصر فضلوا البقاء فى مصر على الذهاب إلى فلسطين وفى ذلك دليل على عدم صحة أقوال الصهاينة فى وجود الحس السياسى والوطن القوى عند العبرانيين .

وأما النداء الذى وجهه الملك « كورش » إلى رؤساء إسرائيل والنداء الذى وجهه الأنبياء فإنه لم يكن ذا طابع سياسى بل كان يحمل الطابع الدينى المعهود فاليهود الذين ذهبوا إلى القدس لبناء « الهيكل » والذين ساعدهم « كورش » بتقديم كل المساعدات اللازمة والذى أمر بإعادة ما كان قد أخذه « نبوخذ نصر » من ذهب وفضة من خزائن الهيكل لم يحاولوا تكوين مملكة سياسية بل ذهبوا لبناء « بيت الرب إله إسرائيل »(١) ولذلك كانت الحكومة التى كونها العبرانيون فى القدس حكومة دينية تحت حكم الفرس ومما يذكر أن « عزرا » الذى فوضه الملك « ارتحشتا » أمر قيادة رجال السبى وإعادة بناء الهيكل اتخذ كل وسائل القوة لإجبار اليهود على العمل بشرائع الرب وعلى العبادة والتوبة(٢) وقد كان من نتيجة ذلك اعتناق جماعة من الفلسطينيين ديانة العبرانيين .

ومع ذلك فإن الأرض التى نزل بها اليهود بعد السبى كانت صغيرة جداً أصغر من أرض « مملكة يهوذا » الصغيرة ذاتها مركزها القدس وتمتد فى الشمال إلى حدود « الرملة » وإلى « حبرون» فى الجنوب . وإلى حدود الأردن فى الشرق والسهول فى الغرب(٣) .

وكانت منطقة « السامرة » التى لا تبعد إلا قليلا عن مدينة « نابلس » مأهولة بسكان من العراق كان الأشوريون قد نقلوهم إلى هذا المكان ومن السامريين الذين لم يعترفوا بزعامة رجال الكهنوت فى القدس واختلفوا عنهم . ثم أصبحوا من أشد الناس خصومة لهم ، فقاوموهم وحاربوهم مع أنهم من أصل عبرانى وهذا ما يدل على أن اليهود لم يكونوا على رأى واحد حتى فى إحياء الهيكل وإعادة الدولة اليهودية بشكل جديد سماه « المستر لويد جورج » والتقرير الذى وضعته اللجنة الملكية التى أرسلت فى عام ١٩٣٦ للتحقيق فى حوادث فلسطين « بأول وطن قوص

(١) راجع أسفار عزرا .
(٢) عزرا إصحاح ٧ آية ١٢ فما بعد .
(٣) Nisi Dominus. P, 15

لليهود » « A firit Jewish national Home »(١) .

ومما يذكر أن اليهود الذين عادوا من السبى ما كادوا يشرعون ببناء السور والهيكل وتحصين القدس حتى ثار سكان فلسطين عليهم وهم الأكثرية فأعلنوا الحرب واشترك فى ذلك «سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون»(٢) وجيشهم العربى وبقية شعوب فلسطين(٣) .

بنى السور وتحصن العبرانيون فى القدس وتكون مجتمع يهودى صغير فى هذه البقعة بجهود « عزرا » وتحميا » وقد أمر « هذان الزعيمان بأن تكون القدس مستعمرة يهودية بكل معنى الكلمة تتكلم اللغة العبرية وتحترم « الشبات » « السبت » وتحتفظ بقوانين العنصرية فأمر العبرانيين الذين تزوجوا بزوجات أجنبيات من الوطنيات بطلاقهن على الطريقة التى اتبعت فيما بعد وبعد ألفى سنة فى قوانين « نورنبرك »(٤) .

لم يستطع هذا « الوطن القومى » الذى خلقه « عزرا » و « نحميا » ولم تتمكن القوانين الصارمة التى فرضاها على العبرانيين من خلق ذلك الوطن فظل صوت اليهود خافتاً لم يرتفع فى فلسطين على الرغم من المساعدات القيمة التى قدمها لهم « ملوك الفرس » الذين تجاهلوا رغبات الأكثرية من الوطنيين ولم يبذل العبرانيون أنفسهم لخلق ذلك الوطن لأنهم لم يفكروا تفكيراً سياسياً بل كانت كل جهودهم متوجهة نحو الاحتفاظ بديانة إله إسرائيل ، ماخلا فترات قام بها بعض الزعماء بالدعاية إلى العنصرية لم تلاق غير رواج مؤقت .

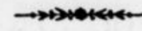
جواد على

(١) Mr Slod George, Quoted in the Royal Commission Repot «1939» P. 24. Nisi Dommiminue, P, 16.
(٢) نحميا إصحاح ٤ آية ٧ فما بعد .
(٣) نحميا إصحاح ٦ آية ١ فما بعد .
(٤) Nini Dominus. P. 14.

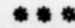
مكتبة الأطفال العربية

بعض الاختبارات الشخصية والملاحظات التوجيهية

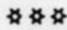
للأستاذ كامل كيلاني



زعموا أن ثلاثة أمراء إخوة أشقاء، خرجوا يتنافسون في مهر بنت عمهم السلطان، بعد أن تواعدوا على الاجتماع آخر العام في مكان بعينه ليروا: أيهم ظفر بأنفس هدية للأميرة. فلما التقوا رأوا أحدهم قد ظفر بمنظار سحري يرى فيه الناظر كل مايدور بخلده، ولو كان في أقاصي الدنيا. وظفر ثانيهم ببساط سحري يحمل راكبه محلقاً به في كل جو من الأجواء فيبلغه غايته في لحظات يسيرة وظفر ثالثهم بتفاحة شافية تبرىء من السم وتعيد الحياة إلى من أشرف على التلف. ونظروا في المنظار فإذا الأميرة على فراش الموت تحتضر. فأسرعوا إلى البساط، فإذاهم عندها في الحال. وأدنوا التفاحة منها، فشفيت على الفور. وحاولوا أن يعرفوا: أيهم صاحب الفضل في شفائها فلم يهتدوا إليه. فلولا المنظار لما عرفوا مرضها الخطير، ولولا البساط لهلكت قبل أن يصلوا إليها، ولولا التفاحة الشافية لما كان لوصولهم فائدة. فإذا نقصت واحدة من هدايا الأسطورة ضاع كل أمل في شفاء الأميرة. ولعل في هذه القصة مثلا دقيقاً يوضح ما يجب على من يتصدى للكتابة للأطفال أن يهدف إليه ويجعله نصب عينيه وحفل أذنيه



إن تحبيب الكتاب إلى نفس الطفل هو أول الوسائل لتمكينه من القراءة. ومتى ظفر بهذه الغاية ظفر بالمنظار السحري الذي يرى صاحبه كل ما يريد أن يراه. أما الأسلوب القصصي الساحر فهو بساط الريح الذي يتنقل بالقارىء إلى أبعد الآفاق الفكرية في لحظات يسيرة، ويطير به على أجنحة الخيال البديع محلقاً به في سماء الحقائق، دون أن يلحق به كلالا ولا جهداً. أما التفاحة الشافية فتتمثل فيما تتركه القراءة النافعة من آثار نفسية رائعة، تشفي سموم الجهالة وتبرىء من النزعات العارمة التي تعجل بصاحبها إلى الهلاك وتقذف به إلى الهاوية. ولنقف عند أول هذه الأهداف الجليلة لحظة قصيرة، فما تتسع هذه الوجازة الخاطفة لغيرها لنقف عند الخطوة الأولى، وهي تحبيب القراءة إلى الطفل، وتمكين الفصحى من نفسه، وحمايته مما كان يغمرنا من البيان المشوه المضطرب، وتجنيبه ذلك الشر المستطير من سيل العامية الجارف الذي كان يغرقنا في مستهل نشأتنا الثقافية، ولا يزال يغمر الكثيرين من ناشئة اليوم ورجال الغد، فيقضي على مواهبهم البيانية — أو يكاد — في زمن حداثتهم. ولنمد لهم بياناً عربياً خالصاً يطبع الطفل على الفصحى منذ طفولته الباكرة، حتى إذا كبرت سنه صارت له الفصحى — كما كانت لغيره من أسلافه العرب في عصور القوة الأولى — سليقة وطبعاً، وأصبح البيان العربي متأصلا في نفسه عادة وملكة. وبرىء من العجمة المتفشية بين شباب العصر وفتيانه.



أما السبيل إلى هذا الحلم الجميل، فتحقيقها ميسور غير مستحيل.

إننا إذا راقبنا كلام الطفل وهو في مستهل طفولته، رأيناه يلجأ — كما قلت في بعض المناسبات منذ عشرين عاماً — إلى تكرار الجمل إذا قص علينا خبراً، كأنما يتثبت من معانيها في ألفاظها المكررة. فلماذا لا نكتب له وهو في هذه السن محاكين أسلوبه الطبيعي في تكرار الجمل والألفاظ لتثبت المعاني في ذهنه تثبيتاً؟ ولماذا لا نكرر له الجمل برشاقة ليسهل عليه قراءتها؟ إذ ذلك أجدر بنا وأليق فإن لكل مقام مقالا.

ومن الحقائق المعروفة أن الطفل — في هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب، فلننزع من نفسه هذا الملل، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة، ولنبسط له الأسلوب تبسيطاً مكثرين من الصور الجذابة الشائقة التي تسترعي انتباهه، لنشعره أن الكتاب تحفة تهدى إليه إهداء، وليس واجباً يكلفه تكليفاً. فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد هذا.

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً في تبغيض القراءة إلى نفوسهم وتنفيرهم من المطالعة، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت، ويهربون من قراءته، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته. ولم ينزلوا أو هم

— على الحقيقة — عجزوا عن النزول إلى مستواه ، ومخاطبته باللغة التي يفهمها وترتاح إليها نفسه . ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج بعينه ، وأنهم في تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه . لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطرباً لا تؤلف بين أجزائه فكرة بعينها ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

***

إن الطفل ميال بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو — بغريزته — مفتون برؤية الصور الجذابة فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق وميوله ورغباته وتفكيره . أما الفكرة التي انتظمت مكتبة الأطفال فهي « التكرار » يكثر في أولها ثم يقل شيئاً فشيئاً — كلما تقدم الطفل في القراءة حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الوجز الذي لا تكرار فيه بلا مشقة ولا إعنات .

وقد تدرجت بالطفل في هذه المكتبة حتى يكون آخر جزء من كل مجموعة ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء المجموعة الأخرى . فإذا أتم هذه المكتبة اسلمته إلى مكتبة الشباب ، وكانت له جسراً يسهل العبور إلى ما تحويه من كتب الأدب ودواوين العرب في سهولة ويسر .

وإنما عمدت في الأجزاء الأولى من مكتبة الأطفال إلى التكرار عمداً بعد أن أقنعتني التجارب العملية والاختبارات الشخصية أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشيء ويشجعه على القراءة . ولا غرو في ذلك فإن الطفل الناشيء لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير . ولا يتم السطر إلا بشق النفس . فلنقتصد جهدنا في استعمال الألفاظ الجديدة . ولنؤلف من الألفاظ القليلة التي يقرؤها الكبير في بضعة أسطر — عدة صفحات كاملة لندخل في روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها في الكتب الأخرى ، بل هي سهلة ميسورة ، وهي — إلى سهولتها ويسرها — ممتعة شائقة ، تملأ نفسه بهجة وانشراحاً ، وثمة يشعر الطفل بثقة في نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثاني والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير في الجمل إلا بمقدار يسير .

***

وقد جعلت نصب عيني قصة الرجل الذي كان يحمل الثور صاعداً به درج سلم عال وهابطاً به دركه ، دون أن يبدو عليه شيء من آثار التعب والجهد . فلما سئل في هذا قال : لقد تعودت حمل الثور منذ ولادته كل صباح وما زلت أكبر ويكبر الثور معي ويزداد نمونا كل يوم زيادة قليلة مضطردة ، حتى اكتمل نماؤنا . ولم أشعر أن وزن الثور قد زاد يوماً عما كان في سابقه ولم أحس له ثقلا إلى اليوم .

***

كانت هذه القصة نواة صالحة لمكتبة الأطفال . فبدأتها بتسلية الطفل متدرجاً به تدرجاً بطيئاً لا يكاد يشعر به ولا يحس له أثراً ، مستعيناً على هذا الغرض بالصور الملونة الجذابة والشكل الكامل والألفاظ السهلة . حتى إذا اطمأن الطفل إلى الأسلوب السهل ، وامتلأت نفسه ثقة بقدرته على القراءة ، انتقلت به إلى المرحلة التالية ، فمزجت له التسلية بالفائدة ثم لا أزال أنتقل به خطوة بعد خطوة حتى يرى في فنون المعرفة وحدها متعة وتسلية ، لا يعدلها شيء من فنون المتع وضروب التسلية . ولم أقصر في تحبيب الفصحى إليه وتعويده النطق بالصحيح من الألفاظ ، وتدريبه على الأخذ بالصحيح من الآراء ، فإن الخطأ اللفظي كالخطأ المعنوي إذا انطبع أحدهما أو كلاهما في ذهن الطفل منذ القراءة الأولى صعب اقتلاعه ، في قابل أيامه . ولا معدى لنا عن ترغيبه — بكل ما نملك من الوسائل — في الأسلوب الرائع والمثل الصالح جميعاً . فلا نتسمح قط في عبارة واحدة تقلل من شأن لغته ، أو تصغر من جلال القيم الأخلاقية .

***

إن تحبيب الكتاب وتخير الأسلوب الصالح وتثبيت الفضائل في نفس الطفل ، هي الأهداف الثلاثة التي ترمي إليها مكتبة الأطفال ولابد من اجتماعها لبلوغ الغاية المرجوة ، كما اجتمعت هدايا الأمراء الثلاثة لشفاء الأميرة . فإذا نقص واحد منها تهدم البنيان كله ، وذهبت جهودنا على غير طائل . وهذه هي الحوافز



شرف . . . !

مشى العمدة فى جلبابه النظيف المهندم وعلى رأسه طربوشه الطويل الأقم ، وفى يده عصاه الغليظة المحلاة بالذهب ، ومن خلفه بعض وجوه القرية وبعض خفرائها ، وإنه ليحرص أبداً أن يسير ومن ورائه عدد من الناس ليوقع الرهبة فى نفوس من يمر بهم من أهل قريته ، وما يلمح أحد من أهل القرية هذه « الزفة » إلا نهض محيياً بتكلف أكثر مايستطيع من التأدب والخشوع ، فإن كان من ذوى المكانة جرؤ على أن يضيف إلى عبارات تحيته : « تفضل يا حضرة العمدة ... شرفنا يا سعادة البك » وقنع من حضرة العمدة رداً على تحيته وعلى دعوته بإشارة خفيفة من يده علامة على الرضاء لا تكاد ترى ، أو بتمتمة خافتة على شفتيه لا تكاد تسمع ؛ وإن كان من عامة الناس فما يستطيع إلا أن ينهض خاشعاً إذا أبصر العمدة من بعد ، ثم يظل فى خشوعه لا يلتفت يمنة ولا يسرة ولا يرفع رأسه حتى يمر به العمدة فيرفع يده إلى رأسه فى ضراعة ، ويرد فى اهتمام تلحظه فى نغمته تحية الإسلام التى قد يلقيها إليه أحد من فى ساقة هذا الركب ، ثم يجلس بعد أن يمر به الركب كله ، وفى خياله شارب العمدة وعبوس وجهه وطربوشه الأقم الطويل وعصاه الذهبية الغليظة ، وحسبه جرأة أنه استطاع أن ينظر إلى ذلك الشارب المهيب ، وإن كان ذلك بعد أن يمر به العمدة أو يكاد فيلمح طرفى شاربيه وهو ينظر إليه من وراء ظهره ...

لم يبق على أذان المغرب إلا ساعة أو بعضها ، ويرى الناس وكأنهم سكارى مما فعل بأبدانهم وأرواحهم الحر والصيام وامتداد النهار وشدة الغلاء ، وطول انقطاع ماء الرى حتى هلكت الذرة الوليدة أو كادت ، وتفتحت بعض لوزات القطن المحترق قبل أوانها ووقفت سوقه فلا تنمو

ووقف العمدة وركبه عند أول السكة الزراعية فى مفرق

التى دفعتنى إلى تأليفها .

وقد سألتنى بعض المجلات كيف أؤلف مكتبة الأطفال ، وكيف أتدرج فيها من السهل إلى الصعب فقلت لسائلى : إن إحساس الطفولة عندى كامن مذخور ، فأنا أستحضره فى كل لحظة ، ولدى من وسائل الاختبار والتطبيق لكل ما أكتبه فى هذه الناحية أولادى وهم ذوو أسنان مختلفة وقد استطعت بفضلهم على توالى السنين أن أتدرج فى هذه القصص من السنة الأولى الابتدائية إلى السنة الرابعة الثانوية .

وقد كنت أروى القصة للصغير منهم — حين أؤلف لصغار الأطفال — فإذا انتهيت من روايتها سألته أن يقصها علىّ ، ثم دونت ما علق بذهنه منها واسترعى انتباهه من حوادثها . فأثبته وأغفلت منها ما أغفله . ثم سألته أن يقرأها أمامى بعد كتابتها ، لا تبين مدى ما ظفرت به من نجاح أو إخفاق . فإذا سألنى عن معنى كلة مما يدق عليه فهمه فسرتها له . فإذا صعب عليه التفسير ، استبدلت به كلة أخرى أسهل وأيسر ، ثم أثبت التفسير الأخير الذى استقر فهمه عليه .

هذا هو المنهج الذى أخذت به نفسى فى تأليف مكتبة الأطفال فإن وفقت فى هذه الخطوة — وأرجو أن أكون — فقد أديت بعض ما يجب أداؤه لهذا الجيل الناشئ الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

ولا أكتم أننى طالما عجبت فى مستهل نشأتى كيف تنكبت كتب المطالعة العربية سبيل الكتب الأجنبية التى وفق الكثيرون من مؤلفيها إلى تحبيب لغتهم إلى نفوس الأطفال بقدر ما وفق مؤلفونا إلى تبغيض القراءة العربية إلى نفوس الناشئة .

وطالما شكوت لبعض أترابى من الطلبة ونحن بالسنة الأولى الابتدائية متبرماً بما فى أيدينا من كتب المطالعة العربية مقابلا بينها وبين الكتب الأجنبية الجذابة الفاتنة . وطالما أجابنى صاحبى مستهزئاً ساخراً : « وما بالك لا تؤلف خيراً من هذه الكتب؟ » وطالما أجبته واثقاً : ذلك عهد على أوفى به إن شاء الله متى كبرت سنى ، وبلغت مبلغ الرجال »

ولعلى بما ألفت من أجزاء مكتبة الأطفال — خلال هذه السنين العشرين ، قد وفيت بهذا النذر ، وحققت منه بعض ما أريد .

كامل كيلانى

الطرق بين قريته وقريتنا وبعض القرى المجاورة ، وهو مكان به عدد من الدكاكين وكثير من الناس ، وما أن وقع بصره على رجل من أهل قريته حتى ناداه فى عنف ، فخف المسكين إليه وهو يتمتم فى صوت سمعه بعض الناس : « يا نهار اسود ... ياخرابى » ويحاول أن يبلع ما أبقى الصيام والقيظ فى فمه من ريق فلا يجد شيئاً ، ووقف المسكين بين يدى حضرة العمدة ، فهل رأيت العصفور الهزيل بين يدى صقر جارح ؟ وراح العمدة ينهره فى صوت كالرعد أكبرظنى أن المسكين لم يسمعه من فرط رعبه .. يا كيت وكيت ويابن كيت وكيت ... من هاتيك الألفاظ التى تجرى بها ألسنة العمد وأصحاب السلطان فى القرى ، وأمسك العمدة هذا المسكين بإحدى يديه وصفعه بالأخرى مرتين على وجهه المصفار فى عنف وغلظة ، فما تركه حتى سقط المسكين على الأرض يعفره التراب ، فركله العمدة كما يفعل بكلب حقير !

ولم أدر سبباً لهذا الضرب ، غير أنى أحسست بالدم يصعد حاراً قوياً إلى وجهى ، وطاف برأسى فى مثل لمحة الطرف طائف مما نلوكه نحن المتعلمين من ألفاظ الحرية والديمقراطية والدستور ومجلس الأمن وأضرابها مما نخادع به أنفسنا ، وهممت أن أنقض على هذا الصقر ، وأبعثها حرباً بين الأسرتين والقريتين حتى ولو كان المضروب من أكبر المجرمين ؛ وما كدت أسمع ممن حولى أنه من المساكين المسالمين ، حتى انتفضت انتفاضة المحموم ، وخطوت أوقد نار الحرب علّى أطفئ بها نار غضبى !

ونهض المسكين يبكى ويئن ويضع يديه على وجهه مكرراً قوله : « أمرى إلى الله ... أمرى إلى الله » ! وكأنما عز هذا على أحد حاشية العمدة فنهره قائلا : « إخرس يا حمار . . بوس يد العمدة وقل له ضربك شرف ياسعادة البك ، وبذلك يصفح عنك »

وسبقنى إلى حيث يقف العمدة وحاشيته شاب يلبس جلباباً أبيض ، ويضع طربوشاً فوق رأسه ، علمت أنه أخو المضروب ، فالتفت إلى ذلك المتكلم الأخير قائلا : « بل اخرس أنت ياسافل » ومرق مروق السهم إلى العمدة ، فوقف يعترض طريقه فى جرأة قائلا : « لماذا تضرب أخى يا حضرة العمدة ؟ » ... وأخذت العمدة أول الأمر ربكة من هذه الجرأة التى لم ير مثلها قط فى سنوات حكمه الثلاثين ، ولكنه نظر إلى هذا المطربش فى استهزاء كما ينظر المرء إلى مجنون لا يحاسب على قوله أو فعله ؛ ولكن هذا المطربش أخذ يقول فى عبارة فصيحة : « ما هذا الجبروت ؟ إلام الظلم ؟ الناس سواسية كأسنان المشط ... نحن فى عهد الدستور ... قضية الحرية تعرض على مجلس الأمن ... يا ناس كفى ظلماً واستعباداً لخلق الله ... فيم هذا الضرب وهذا الجبروت » ! !

وتقدم المضروب بدوره ، فازداد الناس عجباً إذ سمعوه يتوثب أمام العمدة قائلا : « إيه الجبرؤوت ده ... دا ظلم ... داجبرؤوت ! » ودفعهما أعوان العمدة من طريقه ، ومضى العمدة وهو يلعن الدستور والحرية ، ويسخر فى صوت مسموع من هذه البدع التى أفسدت الناس ، ويكظم غيظه من هذا المعلم الإلزامى الثائر الذى غضب لضرب أخيه ، والذى يفسد هو ونظراؤه القرى !

واستمر المعلم الجرئ النبيل يرفع صوته متحدياً معلناً أنه سيرفع إلى النيابة شكواه واستشهد بى وبغيرى ، فقبلت أن أشهد مغتبطاً ، وأنا أقول لنفسى : هؤلاء هم الذين يصلحون القرى لا الذين يفسدونها ، وما يفسدها إلا أمثال هذا المتجبر الطاغية الذى يعيش بجهله وجاهه فى القرن الماضى .. ومضيت إلى دارى قرير النفس - وقد ذهب عنى الغضب - وأنا أقول : لن يكون لمصر دستور بالمعنى الصحيح ، حتى يتعلم أبناؤها ، ولن تقوم الديمقراطية الحق إلا على أساس من العلم !

أما الذين رفضوا أن يؤدوا الشهادة ، فقد انقلبوا إلى دورهم وهم يفكرون فيما سوف يحل بهذا المعلم الإلزامى من نكال أقله تقليع زرعه أو حرقه ، وإهلاك ماشيته بالسم ، ومطاردة أهله وذوى قرباه ، إلا أن تعصمهم من عذاب هذا الطاغية رحمة من الله ! !

(الشهداء) الخفيف

١١ – تفســـير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

والقيام برحلة بعيدة يعبر فى الأحلام عن الموت . وبالمثل جرت العادة أن تقول المربية للطفل عندما يسأل عن مقر شخص مات من زمن وأحس الطفل بفقده أن هذا الشخص قد « سافر » . وهنا أقرر كذلك أنني أعنى إن هذا الرمز يرجع مصدره إلى هذا الرد الملتوى على سؤال الطفل . فالشاعر يستخدم نفس الرمز عندما يتحدث عن الآخرة فيقول : « هذا العالم المجهول الذى لا يؤوب منه المسافر أبداً » ؛ وكذلك من المألوف فى حياتنا اليومية أن نتحدث عن « الرحلة الأخيرة »[١] كما أن الشخص الذى له إلمام بالطقوس الدينية القديمة يعرف بلا شك كيف كان الناس يحملون على محمل الجد هذه الفكرة عن رحلة فى أرض الأموات ، كما هو الحال فى المتقدات المصرية القديمة . ولما كانت القبور تشيد الآن بعيداً عن منازل الأحياء ، فقد صارت « الرحلة الأخيرة » للميت حقيقة واقعة .

والرموز الجنسية ليست قاصرة على الأحلام فقط ؛ فكلكم يعرف أننا نطلق على المرأة كلمة « شنطة »[٢] عندما نريد أن نحتقرها ، ولكن ربما لا يعلم الناس أنهم بذلك يستخدمون فى حديثهم رمزاً جنسياً . ونحن نقرأ فى كتاب « العهد الجديد » أن : « المرأة هى الوعاء الأضعف » وفى الكتب المقدسة لبنى اسرائيل ، وهى تمتاز بأسلوبها الذى يقرب جداً من الأسلوب الشعرى ، نعثر على كثير من التعبيرات التى تحتوى على رموز جنسية ، والتى لم يفسرها النــاس دائما على الوجه الصحيح . أما فى الآداب العبرانية التى جاءت بعد ذلك ، فالمرأة تشبه غالباً بمنزل ، بينما الباب يمثل الفتحة التناسلية ؛ وعلى هذا نرى الرجل يتشكى عندما يكتشف أن المرأة لم تكن عذراء فيقول أنه « قد وجد الباب مفتوحاً » وفى هذه الآداب نرى أيضاً أن « المائدة » يكثر استعمالها كرمز للدلالة على المرأة ، فتقول المرأة عن زوجها : « لقد مددت له المائدة ولكنه قلبها . » ويقال عن الأطفال العرج أن عاهتهم ترجع إلى أن الرجل قد « قلب المائدة . »

وعلماء الكلام يعضدون الاعتقاد بأن السفن فى الأحلام تمثل النساء . فهم يؤكدون أن كلمة Schiff (سفينة) كانت فى الأصل اسما لوعاء من الخزف ، وتؤدى نفس المعنى الذى تؤديه كلمة Sshaff (دنّ أو وعاء من الخشب) . وأما كون « الفرن » يمثل المرأة أو رحم الأم ، فتفسير تعززه الرواية الأغريقية عن « بيرياندر » وزوجته « ميليشيا » ، وذلك أن الطاغية ، كما روى « هيرو دوتس » ، بعد أن قتل امرأته بدافع الغيرة ، وكان قد أحبها حباً جارفاً ، ناشد خيالها أن يخبره بشىء عن نفسه ، وعند ذلك أثبتت المرأة الميتة شخصيتها بأن ذكرته بأنه . أى « برياندر » قد « وضع خبزه فى فرن بارد » وقد عبرت بهذه الصيغة المستترة عن حادث لم يكن أحد على علم به . وفى كتاب للكاتب « رافْ . راسْ . كروسْ » (anthrobophyteia) يدعى « F. S. Kraus » وهو موسوعة لا غنى عنها لمن يريد أن يلم بكل ما يخص الحياة الجنسية عند الشعوب المختلفة ، نقرأ أن الناس فى حى خاص من ألمانيا يقولون عن المرأة عندما تضع طفلا أن « فرنها قد تفتتت أجزاؤه » . وأشعال النار وكل ما يتعلق بذلك تتخلله كثير من الرموز الجنسية ، فاللهب دائما يمثل القضيب ، بينما الموقد أو المدفأة تمثل رحم المرأة .

وإذا كان قد اتفق أن أخذكم العجب لكثرة وقوع « الأصقاع » فى الأحلام كرمز للدلالة على الأعضاء التناسلية للانثى ، فإن فى استطاعتكم أن تعلموا من أساطير الأقدمين كيف كانت « أمنا الأرض » تلعب دوراً كبيراً فى أفكار الناس ومعتقداتهم ، وكيف كان فهمهم للزراعة كله محدداً بهذا الرمز . وإذا كانت الحجرة فى الأحلام تمثل المرأة ، فإنكم قد تميلون إلى إرجاع هذه الحقيقة إلى الكلمة الألمانية Frauenzimmer (ومعناها الحر فى حجرة المرأة) التى تستخدم فى اللغة العامية للدلالة على المرأة (Frau) ، أى أن المرأة تمثل بالمكان المخصص لها لتشغله : ونحن كذلك نتحدث عن « الباب العالى » ونقصد بذلك السلطان وحكومته ، كما أن كلمة « فرعون » التى كان يطلقها قدماء

(١) ونحن نقول في النعى : « انتقل فلان الى جوار ربه » . والانتقال والارتحال واحد .

(٢) اللفظة المستعملة عندنا هى « برميل »

المصريين على الحاكم معناها « الفناء الأعظم » (الفناء الذى يقع بين بوابتى المدينة كان يستعمل فى الشرق قديماً كمكان للاجتماع مثل الأسواق فى العصور الكلاسيكية) ولكنى أحسب أن هذا الاشتقاق سطحى جداً ، وإنما يتهيأ لى أن الأكثر احتمالا هو أن الحجرة قد صار استعمالها كرمز للدلالة على المرأة لما لها من خاصية الاحتواء بداخلها على بنى الإنسان . وقد سبق لنا أن رأينا المنزل يستخدم فى نفس المعنى ؛ وإذا رجعنا إلى الأساطير والشعر فإن فى استطاعتنا أن نعتبر المدن ، والقلاع ، والقصور ، والحصون رموزاً أخرى كذلك تمثل المرأة . وهذه النقطة من الممكن البت فيها إلى رجعنا إلى أحلام الأشخاص الذين لا يتكلمون الألمانية أو يفهمونها . وقد حدث فى السنوات الأخيرة أن أغلب مرضاى كانوا من الأجانب ، وانى لأحسبنى أتذكر أن الحجرة كانت تبدو فى أحلامهم أيضاً للدلالة على المرأة ولو أنه لا توجد فى لغتهم العامية كلمة تقابل كلمة Frauenzimmer عندنا . وهناك دلائل أخرى على أن الرمزية تتجاوز حدود اللغات وهى حقيقة سبق اثباتها قبل الآن على يد الباحث القديم « شوبرت » (Schubert) عام ١٨٨٢ . ومع هذا فإنه لا يوجد بين مرضاى من يجهل اللغة الألمانية جهلا تاماً ، وعلى هذا فإننى أترك هذه النقطة ليبت فيها أولئك المحللون الذين فى استطاعتهم أن يجمعوا شواهد من بلاد أخرى لا يتكلم أهلها إلا لغة واحدة فقط

والرموز المستعملة للدلالة على العضو الجنسى المذكر لا يوجد بينها رمز لم يجر استعماله فى معرض المداعبة أو الحديث المبتذل ، أو فى الأسلوب الشعرى خصوصاً عند القدامى من الشعراء الكلاسيكيين ونحن لا نعثر هنا على الرموز التى تقع فى الأحلام فقط ، بل على رموز أخرى كذلك مثل « الأدوات » المستعملة فى أنواع العمل المختلفة وأهمها « المحراث » . وفضلا عن ذلك فيدان الرموز المذكرة ميدان متسع إذا نزلنا إليه تعرضنا لكثير من المناقشات والجدل ، وعلى هذا فسنتجنب ذلك خوفاً من ضياع الوقت . ولكنى أريد فقط أن أوجه بعض الملاحظات إلى الرمز الذى يظهر كثيراً قائماً بذاته ؛ أعنى العدد « ثلاثة » . فهذا العدد تحيط به هالة من القداسة لا نستطيع أن نقرر بعد إن كانت ترجع إلى دلالته الرمزية ، ولكن يبدو أنه مما لا شك فيه أن الأشياء الطبيعية المثلثة الشكل مثل عود البرسيم تستخدم كشعار لدلالتها الرمزية . وزهرة الزنبق الفرنسية بأجزائها الثلاثة يقال انها ليست إلا صورة تنكرية للعضو الجنسى المذكر ، وكان الناس فى العصور القديمة يعتقدون أن « الأيقونة » منها هى أقوى الوسائل التى تدفع عنهم الشر والأذى ، والدليل على ذلك أننا نجد فى هذا العصر أن الطلاسم التى تجلب الحظ السعيد ما هى إلا رموز تناسلية أو جنسية . دعونا ننظر فى بعض هذه الطلاسم التى تصنع على شكل (دلايات) من الفضة وهى : عود البرسيم ذو الأربع ورقات ، والخنزير ، وعش الغراب ، وحدوة الحصان والرجل الذى يكنس المدفأة ومعه سلمه ، أما عود البرسيم ذو الأربع ورقات فقد حل محل العود ذى الثلاث ورقات الذى كان فى الواقع أنسب للغرض المطلوب وهو الرمزية ، وأما الخنزير فرمز قديم للاخصاب ، وعش الغراب يمثل القضيب من غير شك ، بينما حدوة الحصان ترسم المنحنى الذى تتخذه الفتحة التناسلية للأنثى . وأما « الرجل الذى يكنس المدفأة » بسلمه فينتمى إلى هذه المجموعة لأن وظيفته تقارن دائماً بعملية الجماع فى الأحاديث المبتذلة . وقد تعلمنا من الأحلام كيف يظهر هذا السلم كرمز جنسى ، وهناك تعبيرات فى اللغة تدل على ما للكلمة « Steigen » (يصعد) من الدلالة الجنسية المطبقة مثل قولهم Den Fruen nacheteigen (يجرى وراء المرأة) . وهكذا الحال أيضاً فى اللغة الفرنسية حيث نجد أن كلمة La marche معناها « درجة » وأن الرجل العجوز المتهتك يطلق عليه : un vieux marcheur وربما كان هذا الترابط بين الأفكار يرجع إلى أن عملية الجماع عند الحيوانات الكبيرة تستلزم أن يمتطى الذكر أو يركب على الأنثى .

أما تمثيل العادة السرية رمزياً بوساطة جذب فرع من الشجرة فليس مما يتفق مع الأوصاف العامية المبتذلة لهذه العملية فحسب ، بل إن له كذلك أشباهاً فى الأساطير . ولكن الغريب الذى يلفت النظر حقا هو تمثيل العادة السرية أو على الأصح الخصاء كعقاب للادمان عليها ، بسقوط أو اقتلاع الأسنان ؛ لأننا نجد فى القصص الشعبية مقابلا لذلك لا يمكن أن يلم به إلا قليل من الحالمين . فانى أظن أنه ما من شك فى أن « الختانة » وهى عادة عند كثير من الشعوب ، تعتبر معادلة أو بديلة من الخصاء . وقد وصل إلينا منذ عهد قريب أن بعض القبائل الشاذة فى أستراليا تمارس الختانة كطقس للدلالة على البلوغ بينما بعض القبائل الأخرى التى تجاورها قد استبدلت هذه العادة بعادة أخرى وهى اقتلاع إحدى الأسنان .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

حيفا تحت أضواء القمر

للأستاذ حسن البحيري

إذا نظرت عيناك من بسط النمض
مصابيح (حيفا) وهى باهرة الومض
رأيت السنى لف الدجى ورأيتها   نجوم سماء قد نثرن على الأرض
وإن جلت بالطرف اللموح وأنت من
ذرى (الكرمل) الشم الشعاف على نهض
وشارفت أرجاء (الخليج) بظلها   وأمواجه بين التبسط والقبض
وقطر السنى يهمل من قمر الدجى   فيغسل وجه الماء بالذهب المحض
تصورته صبحاً ... (وحيفا) وسحرها
بقية ليل عند شاطئه الفضى
بقية ليل قد تجمع نجمها
مضى الليل عنها .. وهى بالنجم لم تمض!

(حيفا)   حسن البحيري

مناقشة هادئة:

إلى أبي العلاء...

للشيخ محمد رجب البيومى

أألف دقيقة أم ألف عام   كأنك لم تزل تبدو أمامى
أراك تسير بين الناس مثلى   فأسأل هل فررت من الحمام
وأقسم قد لمحتك ذات يوم   فسرت إلى لقائك فى اهتمام
وجئتك والسرور يقيم نفسى   ويقعدها على غير انتظام
فأوقفنى جلالك فى ذهول   فلم أفطن لإلقاء السلام
ولو أنى ملكت زمام نفسى   لأديت التحية باحترام

لدى إليك أسئلة فأسرع   بأجوبة تبل بها أوامى
علام لزمت بيتك وهو سجن   حمدت بظله طيب المقام
سخطت على الورى فكنت فيه   ورحت تصب نقدك كالسهام
رأيت الذئب يقرب من أخيه   فما لك قد بعدت عن الأنام

عذرتك حين ضقت بأم دفر   وصرت تحن للموت الزؤام
فلو سلمت لك العينان حيناً   لهمت بحبها كل الهيام
فمن ذا يكره الدنيا وفيها   تطالعه الطبيعة بابتسام
لئن تك قد فقدت ضياء عين   فضوء حجاك كالبدر التمام
أنار لك الطريق فسرت فيه   وذو العينين يخبط فى الظلام

أراك مخالفى فى كل رأى   فهل لك من سبيل للوئام
تعاف المال وهو أعز شىء   حرمت لأجله طيب المنام
ويؤلمنى خصامك للغوانى   فما الداعى إلى هذا الخصام
لعلك رمت منهن اتصالا   فمثلك ليس يخلو من غرام
فلما أن صددن وضقت ذرعاً   بهن سلكت خطة الانتقام
رأيت الغيد منية كل فرد   وإن أبدى السلو على الدوام

تبعت الوهم فاستحدثت رأياً   خلطت به الحلال مع الحرام
فهالك أن ترى القصاب يجرى   دم الشاة الضعيفة فى الرغام
فهبها لم تكن ذبحت عياناً   أما سيغولها ليث الحمام
رويدك لست أرحم من إله   تخيرها غذاء للأنام

نقمت على الزواج وأنت أدرى   بحكمته فما هذا التعامى
وقلت لئن رزقت فتى سأجنى   عليه بتركه بين الطغام
حنانك، عله يغدو مليكا   يتيه على الجبابرة العظام
فتاك دعامة لك كيف تبنى   خلودك فى الحياة بلا دعام
جنيت عليه حين سرى لهيفاً   بظهرك يشتكى حجب الظلام

قضيت العمر فى شك ممض   تفتش عن مصيرك فى الرجام
تمر عليك روحك حين تمضى   فتسأل هل تؤول إلى انعدام
شكوك حيرتك فكنت تصلى   بها ناراً مؤججة الضرام
فليتك قد أرحت النفس منها   ولم تنظر إليها باهتمام

تعقيبات

لصوصية أدبية :

كان صاحب مكتبة ... في بيروت قد انتهب ديوان « الجداول » للشاعر المعروف الأستاذ إيليا أبو ماضي فطبعه وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح ، فعمد الشاعر إلى مقاضاته وعهد إلى أحد المحامين في بيروت يرفع دعوى عليه أمام المحاكم ولكن المحكمة ردت الدعوى لأن القانون لا يتضمن نصاً بشأنها ولكن الأستاذ الشاعر كلف محاميه باستئناف النظر في مقاضاة هذا السارق الجرىء .

وكان أن عمد ناشر عراقي إلى هذا الصنيع عينه ، فأخذ ديوان « الجداول » نفسه وطبعه طبعة ثانية وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح فعهد الشاعر إلى أحد المحامين في بغداد لمقاضاة هذا السارق الجديد ...

ثم كان أن غنى الموسيقار المصري الاستاذ محمد عبد الوهاب مقطوعة في إحدى رواياته من شعر إيليا أبوماضي دون أن يستأذنه أو يرجع إليه فغضب الشاعر أبو ماضي لهذا الغبن وأعلنها حملة شعواء في جريدته « السمير » التي يصدرها بنيويورك على لصوص الأدب والمنتهبين للآثار الفنية في غير تورع ولا رعاية للعرف والقانون والذوق ، وقال إنه سيحاسب الموسيقار المصري ويقاضيه قانونياً على استثماره لشعره كما يحاسب صاحب مكتبة العرفان ، إذ قد حان الوقت لوضع حد للصوص الأدب في كل مكان كما يقول .

وقد تناولت مجلة « كل شيء » البيروتية هذه القصة وأوردت طرفاً من فصولها نقلا عن « السمير » ثم علقت عليها قائلة : « إن صاحب الجداول واحد من كثيرين يُغزون في عقر كتبهم كل وقت في العالم العربي ، وليس من المعقول أن يكون للاشياء المادية حرمة وحصانة لا تتمتع بهما القضايا المعنوية ومسائل الفكر وليس من المعقول في شيء أن يحكم القاضي على سارق سطل الحليب بستة أشهر يقضيها في السجن ولا يجد في القانون ما يحكم به على سارق نتاج الفكر ومستثمره دون إذن صاحبه ورضاه . بل ليس من المنطق في شيء أن يحكم على سارق الكتاب كقطعة مادية من الورق بالسجن ولا يحكم على سارق الكتاب كقطعة معنوية من الفكر والرأى والبحث » ...

والواقع أن هذه السرقات التي نحن بصددها ليست بسرقات أدبية ، فالسرقة الأدبية على ما هو مألوف أن يأخذ الشخص أثر غيره وينسبه لنفسه ، وهؤلاء الثلاثة قد نسبوا إلى الأستاذ أبو ماضي شعره وأثره ولكنهم انتفعوا بما أخذوا وربحوا منه مادياً ولم يشركوه في هذا الربح ، بل إنهم ربما فوتوا عليه بهذا العمل ربحاً أكبر وأجزل حتى لو أشركوه معهم ، وإذن فالسرقة سرقة مادية كسرقة المتاع .

وليس من قصدى أن أكيِّف هذه السرقة من الناحية القانونية ، ولكنى أقول إنها على أى حال لصوصية جريئة يجب أن يعاقب مقترفوها كما يعاقب سارقو المال والمتاع ، وإذا كانت قوانين الدول العربية كلها قد أغضت عن اعتبار هذه المسألة وتقديرها فإن من الواجب على الأدباء ورجال الفكر في العالم العربي أن يفزعوا لحماية أنفسهم وصيانة آثارهم بأن يتداعوا لوضع مشروع يدفع عنهم هذا الاستهتار ، ويقرر عقاباً رادعاً لأولئك المستهترين أو فليتوجهوا إلى الجامعة العربية لإنجاز ما هى بسبيله من وضع قانون عام في الشرق العربي لحماية الملكية الأدبية .

لا تنتظروا حتى ينتصف لكم رجال القانون أيها الأدباء ، بل بادروا أنتم بالانتصاف لأنفسكم ، فنحن في زمن يدفع فيه كل إنسان عن نفسه .

ذممت الخمر ثم غرست كرماً ... مددت ظلاله من ألف عام
فها هو شعرك الجذاب يتلى ... فيفعل بالنهى فعل المدام
علام قد التزمت به قيودا ... ألم تك في غنى عن الالتزام
تحاول أن تفوق الناس طراً ... وتلك طبيعة الرجل الهمام
بيان يرتقى بالروح حتى ... يطير جناحها فوق الغمام
تكاد إذا رقيت به مريضاً ... تسرى عنه آلام السقام

رهين المحبسين وددت أنى ... بلغت بمدحتى حد التمام
ولكنى ختمت القول عجزاً ... فما أدنى ابتدائى من ختامى

محمد رجب البيومى

أليس من العجيب أن ترجع الجامعة العربية إلى رجال القانون وإلى موظفى الحكومات العربية فى وضع القانون الذى تريده لحماية الملكية الأدبية ولا ترجع إلى الأدباء وهم الذين يعرفون الأبواب المفتوحة للسطو على هذه الملكية ؟!

يا قوم حسبكم :

فى أواخر القرن الماضى كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق وصفاً للبيئة المصرية وطبيعتها قال فيه : « وإن من خصائص البيئة المصرية البارزة أن الطربوش فيها يضيق ويضيق ثم يضيق ، وأن البرنيطة فيها تتسع وتتسع ثم تتسع » .

والمعنى المقصود فى هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء ، فهم يعيشون فى بلادهم غرباء ، على حين ينعم الأجانب الوافدون بكل ما فيها من خيرات ومبرات ...

ولقد مضى أكثر من نصف قرن على هذا الكلام ولقد تطورت الدنيا وتنورت الأذهان وأصبحت كل أمة تبحث عن نفسها وكل فرد يعمل على تقويم شخصيته ، ولكن يظهر أن المصريين لم يتحرروا بعد من تلك الطبيعة القديمة ، فهم لا يزالون يؤثرون أن يعيشوا فى بلادهم غرباء ، ولضيوفهم كرماء ، أو قل أرقاء ، ومصداق ذلك ما بدا من بلدية الإسكندرية الكريمة الموقرة إذ قررت إقامة تمثال فى حديقة مكتبة الإسكندرية الجديدة للشاعر اليونانى قسطنطين كفافى ...

وقد يعنيك أن تسأل : ومن يكون ذلك الشاعر اليونانى وماذا أسدى للثقافة وأجدى على مصر أو بذله فى خدمتها حتى تؤثره بلدية الإسكندرية بذلك التخليد على أبناء مصر من العظماء والأفذاذ ولكنك لا تلمس أى مبرر من تلك المبررات ، ولعل الأمر لا يخرج عن اقتراح تقدم به عضو يونانى فى القومسيون إكراماً لواحد من بنى جنسه فسارعت البلدية بالموافقة على ذلك نزولا على قاعدة : كرماء لضيوفنا !

لقد أذيع أن رابطة أدباء الإسكندرية غضبت لهذا التصرف العجيب واحتجت لدى وزارة الداخلية على قرار البلدية « بإقامة تمثال لشاعر يونانى لا أثر له فى خدمة القضية المصرية ولا الثقافة المصرية ولم يكتب كلة واحدة لمصلحة مصر قديماً أو حديثاً »

وقالت فى احتجاجها « لقد كان الأولى بالبلدية أن تقيم فى ساحة مكتبتها تمثالا لشوقى أو حافظ أو البارودى أو المنفلوطى أو مصطفى صادق الرافعى أو غيرهم ، فإن لديها الكثير الثمين من تراث عظماء المصريين قديماً وحديثاً الذين حملوا لواء الاستشهاد فى سبيل مصر وإذاعة فضل بلادهم وهم أولى بالتخليد وأجدر بالتكريم .. »

ونحن على يقين من أن وزارة الداخلية ستتلافى هذا القرار ، ولكننا نرجو أن لا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل الواجب أن نؤدب تلك البلدية الغريبة عنا ، والتى لا تحترم كرامتنا ، ولا تعتز بقوميتنا ، فكأنها بلدية أثينا لا بلدية الإسكندرية ..

فيا قوم حسبكم ، اتقوا الله فى وطنكم إن كنتم مواطنين ، واتقوا الله فى مصر التى آوتكم إن كنتم وافدين ..

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

اجتراء :

من نحو أسبوعين كنت قريباً من المذياع ، فاسترعى انتباهي أحد المذيعين يقدم الأستاذ على الجارم بك ليلق قصيدة « السودان » فتوقعت أن يكون الأستاذ الجارم قد حفزت شاعريته قضية الوادي الماثلة في مجلس الأمن ، فاستجابت بقصيدة جديدة لدواعي الظروف القومية الحاضرة . وأصغيت إليه وهو يقول بالقائه المرنم الجميل :

يا نسمة رنحت أعطاف وادينا فني تحييك أو عودي تحيينا

واستمر في إنشاد القصيدة ، ينتقل من التغني بالنسمة التي هبت من جنوب الوادي فأثارت شوقه إلى السودان ، إلى الحديث عن الرحيل في القطار إلى أسوان ، ومنه إلى الباخرة النيلية ، ثم إلى القطار في صحراء العتمور ، حتى يصل إلى الخرطوم ، فيشيد بأهلها الذين تجمعنا بهم شتى الروابط .

قصيدة جميلة ولا شك ، ولكن هل توصف بالبلاغة التي قال البلاغيون إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟ والسؤال بعبارة أخرى : هل هذه القصيدة تطابق مقتضى الحال الحاضرة بمعنى أنها تعبر عن قضية السودان كما هي مثارة الآن من حيث وحدة الوادي ، وإنكار الإنجليز لها ، وحجتنا ، وأباطيلهم ، ومن حيث شعور الشاعر إزاء ذلك وتصويره له ؟

إنها ليست كذلك ، ولكن الجارم شاعر بليغ ، فما السر إذن ؟

السر أن القصيدة قديمة ، قالها الجارم منذ سنين في أثناء زيارته للسودان ، وألقاها في نادي الخريجين بالخرطوم ، وذهب كاتب هذا إلى السودان على أثر ذلك ، فسمع حديث هذه القصيدة هناك ، وحسن وقعها من نفوس إخواننا السودانيين وترديدهم لأبياتها .

وقد يمكن أن يمر الإنسان بأمر إذاعتها في الوقت الحاضر من الكرام ، ملتمساً له أدنى الملابسات ، وملتمساً للشاعر عذراً من الرغبة في التمتع بالكسل ...

ولكن حدث في يوم الأحد الماضي أن سمعت بالمذياع نفس القصيدة مرة أخرى بنفس الصوت والإلقاء ، صوت الجارم وإلقائه الجميل ، وقد تكون أذيعت في وقت آخر ولم أسمعها ، وقد تكون سجلت ، وستتكرر إذاعة المسجل .

وقد نستسيغ تكرار المسجلات الغنائية ، ولكن لم تكرر إذاعة هذه القصيدة ، وهي على ما ذكرنا من القدم وعدم ملاءمة الحال الحاضرة ، ولم تغنَّ ، ولم « يفردها » فتحي بك ..؟

أراك تهم أن تقول غردها الجارم !

الشعر وقضية الوادي :

وقد كان لقضية الوادي في بعض شعراء الشباب بعض العزاء ، فقد أذاع الأستاذ محمود حسن اسماعيل قصيدة ذات نبض وحياة ، عنوانها « النيل ، على ضوء قضية الوادي » ويشتغل الآن عبد الوهاب بتلحينها لغنائها وتسجيلها للاذاعة

وإذا كان العيد ، كما قالت الكاتبة البليغة السيدة منيبة الكيلاني في مقالها بالرسالة ، يأتي « فيكون بين المعيد ووسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطلق الوجه » فيختلف الشعور به باختلاف الأفراد ، وإذا كانت الأمم في ذلك كالأفراد ، فإن شعور الأمة بالعيد الفائت كان مشوباً بالتطلع إلى ما عساه أن يتم في قضيتها الحاضرة ، ولم يعدم هذا الشعور من يعبر عنه ، فقد قال الأستاذ فريد عين شوكة في قصيدة له بالأهرام :

بلية من بلايا الاحتلال وما لديه إلا جنايات وإرهاق
وحسبه ما دهانا من معاهدة بها قيود ثقيلات وأطواق
رمت بنا في لظى حرب مروعة ما كان فيها لنا عير ولا ناق
حتى إذا وضعت أوزارها جحدت
جهودنا في سبيل النصر أرفاق
وأنكروا ما احتملنا في تحالفهم وكم بلينا وذقنا مثل ما ذاقوا
بل يدعى القوم أن كانوا لنا وزراً من الغزاة ! فيا للحق يهراق

يامصر ، ماالعيد إلا أن يطالعنا يوم الجلاء له حسن وإشراق
وأن يوحد وادى النيل مملكة يضمها علم للنيـــل خفاق

زيتون في قرطاس من الشعر :

كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى أخبار اليوم مقالا طريفاً بعنوان « زيتون فى قرطاس من الشعر » قال فيه : إنه ضاقت به الحال فى بعض سنوات الحرب العالمية الأولى ، فاضطر إلى بيع بعض ما لديه من الكتب بالأقة ، وكان فى جملة ماباع النسخ الباقية عنده من مؤلفاته ، واتفق يوماً أن اشترى من بقال زيتوناً ، فلما أفرغه فى البيت وجد قرطاس الزيتون منزوعاً من ديوانه الذى كان فيما بيع بالأقة !

ثم قال : « من ذلك اليوم بدأ رأيي يتغير فى الأدب وقيمته وما قيمة أدب مصيره إلى دكاكين البقالين ومن إليهم ؟ ومازلت أكتب وأنشر ، وإن لى لنصيبى من الغرور الذى لا تطاق الحياة بغير قدر كاف منه ، ولكنى حلت شيئاً فشيئاً حتى صرت أشبه بنجار لا يأسف على حجرة جلوس أو مائدة باعها ، وقد خلت نفسى من ذلك الشعور (بالأبوة) لما أكتب ، فليس يعنينى مصيره » إلى أن قال بعد ما أبان أنه غير راض عما كتبه : « وأتعجب كيف كتبت هذا التخريف ؟ وأتساءل : لماذا عجلت ؟ لم لم أنتظر حتى أنضج ؟ »

ورجل كالمازنى له ماضيه فى الأدب ، من حقنا أن نتعقبه ، فلا ندعه يقول ما يقول عن نفسه دون أن نتبين وجه الحق فيه وإن ما كتبه وألفه أصبح جزءاً هاماً من أدب العصر ، فإذا تخلى عن « أبوته » فإن له أقارب آخرين من حقهم أن يروا فيه وفى أبيه المتخلى ما يرون ...

ولكن ... أراني أنزلق إلى فخ .. وهاهو ذا « المكار » يبتسم ، فقد أوشكت على الوقوع !

لقد ذكرت ما كان قد قاله له الأستاذ العقاد ، بصدد رداءته من شعره ، وكنت قد تحدثت عن ذلك فى عدد مضى من الرسالة قال العقاد إن المازنى مكر بإنكار الشاعرية على نفسه ليتسابق إليه الناس ويضعوه فى مكانه من الطليعة ، ولكنه انتظر عاقبة مكره دون جدوى حتى الآن ...

فهل هى « مكرة » أخرى .. ؟ على أن الأستاذ المازنى ليس بحاجة إلى هذا المكر بالإضافة إلى ما سلف من أدبه ، ولعله يشعر بالحاجة إليه الآن .. فقد نضج قبل اليوم بزمان ، ولم يعجل كما يقول ، وليته يعود إلى ما يدعيه من « العجلة وعدم النضج » وإن كنت أود ألا يعود إليه الزيتون الأسود فى قرطاس من شعره

ظرف بعض الأدباء :

اعتاد لفيف من الأدباء أن يتلهوا بالتفكير فى أشياء يتوقمون أن تستملح وتستطاب وتعد من طرائف الأدب وفكاهاته . وتلقفها منهم بعض المجلات الفكاهية فتنشرها ليضحك منها من تضحكه أمثالها

رأينا مرة أنهم ألفوا « رابطة الفضوليين » ومرة أخرى كونوا « جماعة الثقلاء » واشترطوا للدخول فى هذه وتلك كذا وكذا من الشروط التى تقطر ، بل تنهمر ، ظرفاً .. وهى تنطبق طبعاً على حضرات المؤسسين

والناس يقرؤون هذا كله على أنه من نتاج أفكار الأدباء الظرفاء ، وأنهم أبطاله ، أى أنهم ظرفاء ، وفضوليون وثقلاء . .

وآخر ما أسفر عنه ذلك الظرف « عيد ميلاد فقير الحرب » ومن يكون فقير الحرب عند فقراء الأدب غير « الأديب » المحلى بأل التى هى هنا لجنس الأدباء ؟ ! ومن قول أحدهم فى تكريمه « عيد ميلاد فقير الحرب هو عيد ميلاد الأدباء جميعاً » وعلى هذا المعنى دار المحتفلون حول أنفسهم ... ثم نهض الفقير صاحب العيد — ممثلا فى أحد الأدباء الظرفاء — يعبر عن فقره ويتحسر على سوء حاله ! وكان هذا سمر الأدباء فى رمضان فى « أحد مقاهى الحى اللاتينى القاهرى » الذى استحق أن ينشر باحدى المجلات فى عدد خاص بالعيد ..

لا أنكر على أحد أن يمرح ويتفكه بما يريد ، ولكن ما كل شىء ينشر ، وهذا الذى رآه الناس منشوراً يلصق بالأدباء سمة التسكع ويومىء إليهم بشىء من الازدراء . ومن عجيب المفارقات أن أكثر هؤلاء الأدباء ليسوا من الفقراء ، فمنهم الوظفون ذوو الدرجات العلى ، ومنهم صاحب العمل الناجح ، وفيهم ذو الفن المربح ؛ وليس كل من فاته الثراء الطائل بفقير ، وإذن فما « الأدب

والفقر شقيقان » كما قال أحدهم . والفقراء المتسكعون حقيقة هم الأدعياء المتلصقون بالأدب

على أن ذلك الذى يشغل به أولئك الأدباء أنفسهم ليس فيه قطرة من ماء الظرف ، وإن كان به ماء آخر ينفع فى هذا الصيف القائظ .

أول صندوق للبريد :

كتب الأستاذ حبيب جاماتى بمجلة المصور فى « تاريخ ما أهمله التاريخ » يقول إن أول صندوق للبريد أنشأه المهدى الخليفة العباسى ، وذلك أنه رغب فى استماع شكايات رعاياه دون أن يكون بينه وبينهم وسيط ، فكان يفتح أبواب قصره فى أيام معينة من أيام الأسبوع ليدخلها من يريد بلا استئذان ، ليمثل بين يديه ويخاطبه فى الأمر الذى يشكو منه . ولكنه رأى أنه قد يكون هناك من وقع عليهم ظلم أو من يعانون فقراً ولا يجرؤون على الدخول عليه خشية أن تعقد ألسنتهم الرهبة فلا يستطيعون الإفضاء بشكواهم ، فعول على تسهيل الأمر عليهم بتيسير أسباب الاتصال به بطريق الكتابة ، فأمر أن يوضع على كل باب من أبواب القصر صندوق كبير منقوب من أعلاه مثبت إلى الحائط بمسامير ، لكى يضع فيه كل صاحب شكاية شكايته مدونة فى رق أو قرطاس ، واحتفظ هو بمفاتيح تلك الصناديق ، فكان يفتحها كل يوم بنفسه ثلاث مرات ، ويطلع على الشكايات ، ويفحصها واحدة واحدة ، وينصف أصحابها بقدر ما يستحقون الانصاف

فكان هذا أول صندوق للبريد فى التاريخ ، وكان المهدى أول من أنشأه

والأستاذ حبيب جاماتى يكتب كثيراً من المعلومات التاريخية الطلية ، ويجلوها ويشوق إليها بأسلوب سهل نير ، تحت عنوان « تاريخ ما أهمله التاريخ » ولكن هل هذه المعلومات أهملها التاريخ ؟ ومن استقاها إذن ؟ ! ألا يوافقنى على ضرورة تغيير هذا العنوان ؟

السينما بمناسبة « المنتقم » :

كان إنتاج السينما قد كثر بمصر فى أثناء الحرب الماضية ، وعلى كثرته قلت فيه القيم الفنية ، وكان ذلك انحداراً بالفن المصرى الذى نشأ من قبل ، وكان فى نشأته خيراً مما صار إليه أخيراً

وأبرز عيوب الفلم المصرى ، من حيث التأليف والإخراج ، خلوه من الفكرة ، وقصوره فى تصوير النواحى المختلفة للحياة المصرية ، وعدم طواعية الأبطال للطبيعة البشرية ، فالبطل مثلا هو أبو زيد الهلالى الذى لا يهزم ولا يخطىء ، وتكييف الحوادث بحسب ما يريد البطل الأول من المظاهر الاجتماعية ، والاعتماد فى التأثير على مؤثرات تهريجية لا على الإبداع الفنى

وقد كان الناس فى خلال الحرب ، وخاصة العمال الذين نالهم رخاء ، يبتغون التسلية والترفيه ، ولكن حال الجمهور تغيرت بعد الحرب ، لتنبه الوعى القومى ، وارتفاع نسبة المستنيرين حتى بين العامة ، فهز كتفه إزاء البضاعة المعروضة وأعرض عنها إعراضاً أيقظ أولئك المنتجين من أحلام مكاسبهم ، فقبضوا أيديهم ، وكفوا عن الإنتاج

وكان ذلك بشيراً بتطور جديد فى هذا الفن ، يلتمس فيما يجد من الأفلام . وعلى ذلك اهتممت بمشاهدة رواية « المنتقم » فوجدتها محاولة ليست بذات نصيب كبير من التوفيق ، إذ لم تتغلب على أكثر ما ذكرت من العيوب العامة الحاضرة ، ففكرتها تافهة وهى تقوم على شخص اعتدى عليه فتشبع بفكرة الانتقام ولكنه يقتنع أخيراً بأن المسامح كريم

ومعمل الأدوية الذى بدأت به ودارت عليه حوادث الرواية ليس من الصور المصرية ، والأشخاص بها ليسوا من البشر فالخيرون هم الخير كله والشريرون هم ذات الشر ، وأراد البطل أن يكون أرستقراطياً حتى بعد أن عمى وخرج من العمل فكان له ما أراد . ولكن الرواية مع ذلك اعتمدت على الفن المعبر فى هدوء وانسجام وخلت من المؤثرات التهريجية ، وهذا هو فى رأيى ما يحسب لها فى التطور الجديد المتوقع لفن السينما

ولا شك أن هناك نواحى أخرى لرواية « المنتقم » ليس هنا مكان التعرض لها ، وإنما قصدت إلى بيان عيوب فى بناء قصة السينما على العموم بمناسبة عرض « المنتقم » وبيان موقف هذا الفلم من تلك العيوب ، لتبين الطريق نحو ما يرجى من التطور الجديد.

« العباس »



في التصوف الإسلامي وتأريخه :

أطالع مؤلفاً اسمه (في التصوف الإسلامي وتأريخه) للعلامة (نيكولسون) عربه[1] وعلق عليه العالم (أبو العلا عفيفي) أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول فأجد هذا القول :

« ... ولكن صاحب الفهرست يخبرنا أن أستاذه (أي أستاذ معروف الكرخي) كان يدعى فرقدا السَّنجي وأن فرقدا هذا قد أخذ عن الحسن البصري الذي أخذ عن مالك بن أنس » .

ويعلق الأستاذ المعرب على (السنجي) كما ورد في المتن بهذه التعليقة :

« لا يعرف ضبط هذه الكلمة على وجه التحديد فقد تكون نسبة إلى سنج بالفتح أو سنج بالكسر » .

وقد رأيت أن أتقرب إلى فضل هذين العالمين برواية هذه الأسطر عن (اللباب في تهذيب الأنساب)[2] و (تاج العروس في شرح القاموس) ، جاء في (اللباب) :

« السبخي : بفتح السين والباء الموحدة وفي آخرها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى السبخة وهي معروفة ، والمشهور بهذه النسبة أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي العابد من أهل إرمينية[3] وانتقل إلى البصرة وكان يأوي إلى السبخة بها فنسب إليها ، روى عن الحسن وغيره ، روى عنه العراقيون ، توفي قبل سنة (١٣١) ولم يكن بالحافظ للحديث » .

وقال صاحب التاج :

(١) التعريب هو للفظة وللمقالة وقد أخطأ من قصره على الأولى .

(٢) الأنساب للعلامة السمعاني واللباب مختصرة للعلامة المؤرخ ابن الأثير عنيت بنشره (مكتبة القدسي في القاهرة) .

(٣) في معجم البلدان : إرمينية بكسر أوله وبفتح وسكون ثانيه وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة — اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال ، والنسبة إليها أرمني على غير قياس بفتح الهمزة وكسر الميم ، وحكى اسماعيل بن حماد فتحهما معاً .

« السبخة محركة ومسكنة أرض ذات نز وملح ج سباخ ، والسبخة ع (أي موضع) بالبصرة منه فرقد ابن يعقوب العابد توفي سنة (١٣١) وفي الحديث أنه قال لأنس وذكر البصرة : إن مررت بها ودخلتها فإياك وسباخها ، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر » .

وكان السبخي الصوفي هذا يحرم طيبات ما أحل الله لعباده فلا يأكل الفالوذج ولا يلبس الخز ، قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر) :

« دخل فرقد السبخي على الحسن وهو يأكل الفالوذج ، فقال : يا فرقد ، ما تقول في هذا ؟ فقال لا آكله ، ولا أحب من أكله ، فقال الحسن : لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم » .

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج) : « جاء فرقد السبخي[1] إلى الحسن ، وعلى الحسن مطرف خز ، فجعل ينظر إليه ، وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما بالك تنظر إليَّ وعليَّ ثياب أهل الجنة ، وعليك ثياب أهل النار ، إن أحدكم ليجعل الزهد في ثيابه والكبر في صدره فلهو أشد عجباً بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه » .

[ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم] .

السهمي

سؤال وجواب :

كتب إلي من بغداد أخي الأستاذ علي حيدر الركابي يقول :

« ما هدفك من سلسلة « مرتفعات وذرنج » تقدمها للعربية باسم « ثلوج رحزرين » ؟ هل هي قصة وقعت بالفعل فأردت تدوينها ؟ لقد أغنتك عن ذلك الكاتبة الأنجليزية برونتي التي أصبح لكتابها شهرة عالية ، ومركز ثابت في الأدب وترجم إلى العربية — أم أنت اطلعت على الأصل مترجماً فأجبت بأسلوبك الـ ... أن تشوق قراء العربية إلى قراءته ؟»

(١) جاء السبخي في صيد الخاطر وشرح النهج وغيرهما كما جاء في مؤلف نيكولسون .

وأنا أقول إن شيئاً من ذلك لم يكن ، وإنما رأيت القصة فى السينما فهزتنى وأثرت فىّ فجمعت ما بقى فى ذهنى من حوادثها وشرعت أكتبها على هذا الشكل الذى شمرت أنا (والحق يقال) أنى لم أوفق فيه لأنى أضعت جوهر القصة فى هذا الاختصار الذى لا بدّ منه ، وأنه كان خيراً لى وللأدب لو أفضت هذه الصور والأفكار على قصة أخرى .

هذه هى الحكاية . أما القصة وترجمتها فأحسبك تصدقنى إذا أكدت لك القول بأنى لم أسمع بها إلا منك ، وأنك جعلتنى أخجل من تقديم صورة مشوهة لقصة تقول إنها عظيمة وإنها معروفة ، وعلى كل حال فما أخذت من القصة إلا بعض حوادثها أما الصور والخواطر ، فهى لى وحدى ، لى جمالها وعلىّ قبحها ، ما أخذتها من أحد .

ولك من أخيك أوفى شكره وأجل تحياته ...

على الطنطاوى

هل هى : فلا شيب الله قرنه ؟!

نقل الأساتذة . أحمد أمين بك ، وجاد المولى بك ، وعلى الجارم بك ، والسباعى بيومى ، وأحمد زكى صفوت فى كتاب (المطالعة التوجيهية) الذى قررته وزارة المعارف لطلبة السنة النهائية بالمدارس الثانوية كلة الخوارزمى المشهورة على هذه الصورة

« من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، وأهاجى الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، وقلائص جرير ، وخمريات أبى نواس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبى العتاهية ومراثى أبى تمام ، ومدائح البحترى ، وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، ولم يخرج إلى الشعر ، فلا شيب الله قرنه »

وفسروها بقولهم « أى فلا عاش حتى لايشيب ، يدعو عليه أن يموت شاباً !! » فقلت له إن هذه الجملة قد وردت محرفة ثم خرج الشرح وقد وردت هذه الجملة فى (ثمار القلوب للثعالبى)

« فلا أشب الله قرنه » وجاء فى لسان العرب بعد أن بين معنى الشباب « وأشبه الله وأشب الله قرنه بمعنى » وفى محيط المحيط للبستانى « . وأشب الله الغلام جعله يشب ، وأشب قرنه أطال عمره ، وهو من باب الكناية لأنه إذا شب قرنه وهو مساو له فى العمر شب هو أيضاً ، ويقال للغلام فى الدعاء عليه : لا أشب الله قرنك أى لا جعلك تشب ، ومنه قول الحريرى فى مقاماته للغلام الذى استشاره — قبح الله ظنك ولا أشب قرنك . وفى الأساس لجار الله الزمخشرى « وأشب الله تعالى قرنك وأشب فلان تبين إذا شب بنوه »

هذا وإنى بعد — أن أوردت ما أوردت من بيان لأرجو إلى حجة العرب وإمام الأدب السيد النشاشيبى أن يتفضل فيدل الأدباء على الصورة الصحيحة لكلمة الخوارزمى هذه لأن فى رواياتها اختلافاً كثيراً ، ففى كتاب (المطالعة التوجيهية) « وقلائص جرير » وفى ثمار القلوب « ونقائض جرير والفرزدق » وفى هذا الكتاب كذلك زيادة « وقلائد المتنبى » وله منا ومن أهل الأدب جميعاً خالص الشكر وأطيب التحية .

(المنصورة) **محمود أبو رية**

الزنزانة وأسماؤها :

كانت لهذه الكلمة المسكينة اسم واحد متواضع معروف فأطلق عليها النابغة الأستاذ الطنطاوى فى مقاله الرائع عن (الرب) الرشد الحجيرة . ثم اقترح أديب فلسطينى أن تسمى الحاشرة فاستعملت هذا الاسم فى مقالى خاتمة دجال ، وقد بين الأستاذ الرشدان فى العدد الأخير من الرسالة خطأ استعمال هذا الاسم وقال بلزوم الاستعاضة عنه بالحاصرة لصحة مدلوله على المعنى المقصود . وأنا أخشى غداً أن ينبرى أديب آخر ويرى لزوم إطلاق الماصرة ، أو الصاهرة ، على هذه الكلمة ، ولهذا أرى تثبتاً من الأصح أن نحيلها على المجمع اللغوى فى القاهرة ، فيكون مصيرها مصير كلة « السندوتش » التى كان الناس يشكون من ثقلها على المسامع ، فلطفها المجمع وهذبها ، فأصبح يطلق عليها (شاطر ومشطور وبينهما الكامخ) وبذلك نكون قد انتقمنا من هذه الكلمة شر انتقام جزاءاً وفاقاً على ماشغلت من بال الأدباء والنحاة وأكلت من أوقاتهم ...

حسنى كنعان

تصحيح :

وردت فى المقال المنشور بالعدد الماضى من الرسالة عن الروحانية والمادية للأستاذ العقاد كلة الخليقة الحية ، وصوابها الخلية الحية وكلة Blanck وصوابها Planck



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

— ٣ —

ولما تم تقديم الجميع للخليفة ، وقف اللاعبون فى صفوف منتظمة ، ودقت الطبول تعلن بدء المباراة .

وكان عدد المتبارين قد بلغ نيفاً وسبعين فارساً ، فكانت المباراة فى الدفعتين الأوليين شاقة ومرهقة ولم يفز فيها سوى عشرة منهم لهم الحق فى التسابق الأخير وهو أعنف أدوار المسابقة وأصعبها ؛ فقد ركز عمود فى وسط الساحة بالغ فى الارتفاع ، وثبت فى طرفه الأعلى بأسلاك قوية تمثال طائر كسى جميعه بالحرير الذى جعل النسيم يداعبه فيتحرك ذات اليمين وذات الشمال .

وعلى كل من الفائزين فى الأشواط الأولى أن يسدد سهامه إلى ذلك الطائر من مسافة معينة ، ويحوز قصب السبق من يوقعه على الأرض فى إحدى ضربات ثلاث ، وقد تقدموا جميعاً ما عدا إسحاق فإنه قد بقى للنهاية بحكم قانون اللعب لإحرازه البطولة فى عامين سابقين . وكان كل من يتقدم منهم يتبادل التحية مع الجماهير الحاشدة فى الملعب وهو عظيم الأمل فى الفوز ولكن التوفيق خالفهم جميعهم ، ورجعوا منكسى الرءوس يتصببون عرقاً .

ولما تقدم إسحاق وحيا الجماهير وحيته ، شمل الساحة سكون مطبق ، ورنت إليه الأبصار واشرأبت الأعناق فى تلهف ورغبة فلما أخذ مكانه وأرسل أولى سهامه إلى الطائر تابعته الأنظار وشايعته القلوب حتى استقر فى صدر الطائر وأماله إلى الخلف كثيراً فتزعزع الطائر للسقوط ثم أخذ مكانه الأول ولكن من غير جناحين فقط على الأرض ، فارتفعت الأصوات فى الفضاء بالتهليل والتكبير ، وتعالت بالدعوات لإسحاق . فاهتزت جوانب الملعب ، ثم عاد إليه الهدوء بعد قليل ، ولما صوب إسحاق سهمه الثانى اهتز العمود فى عنف وتقطعت أسلاك كثيرة وتمايل الطائر إلا أنه لم يسقط . فهتفت الجماهير فى صوت واحد :

— مرحى ! مرحى ! يا إسحاق ، أحرص هذه المرة فأنت البطل .

استعد إسحاق ، وسدد سهمه الأخير إلى الهدف فى عناية وإحكام فطار فى الهواء ثم نفذ إلى رأس العمود فأتى على بقية الأسلاك وهوى الطائر إلى الأرض وافترش مساحة صغيرة فى الساحة ، فدوى الهتاف فى جميع الجوانب : الله أكبر الله أكبر ولله الحمد » فرد إسحاق تحية الجماهير بكلتا يديه ثم تقدم إلى مقصورة الخليفة وانحنى أمامه ، فهنأه الخليفة وقدم له القدح الذهبى جائزة الفوز فى ذلك العام ، فانحنى الشاب ثانية ، ثم استأذن الخليفة وانصرف شاكراً ، ثم التف حوله جمع غفير من أصحابه والمعجبين به وخرجوا إلى المدينة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية الجميلة ابتهاجاً بهذا النصر العظيم .

أصبح الشيخ إدريس طاعناً فى السن ، قد وهت قوته ونالت منه السنون ، فضعفت حركته ، وتحللت أوصاله وصارت العزلة محببة إليه ، فابتنى لنفسه منزلا صغيراً أنيقاً فى ظاهر المدينة حيث الهدوء التام وأحاطه بحديقة جميلة زاهرة ، وعاش فيه عيشة وادعة هانئة .

ولقد كان حريصاً على أن يشهد المهرجان فى هذا العام ليقوى روح ابنه المعنوية . ولكن قعد به عن ذلك ضعف الشيخوخة ولقد سرى إليه نبأ انتصار إسحاق بأسرع من البرق . ووفد عليه كثير من الناس يهنئونه قبل أن يعود ابنه . وقد تحامل على نفسه ومشى إلى باب الحديقة ليستقبل ويودع المهنئين ولينتظر ابنه لجاء فى رهط من إخوانه تتقدمهم هتافات وجلبة . فلما بلغوا سور الحديقة ترجلوا عن جيادهم وتقدم إسحاق إلى أبيه فقبل يديه كلتيهما . ثم عانقه عناقاً حاراً وطبع الوالد على جبهة ابنه قبلة تفيض عطفاً وحناناً . وتقدم رفقاء إسحاق فقبلوا يد الشيخ

وقدموا له التهنئة ، ثم تبعوه إلى موائد الشاى والمرطبات فنالوا منها ماطاب لهم . وقبل أن ينصرفوا قام إدريس وشكر للحاضرين صادق تهنئتهم ، ودعاهم لحفلة عشاء ساهرة ، اعتاد أن يقيمها كلما فاز ابنه فى مساء يوم المهرجان . فقبل الحضور الدعوة شاكرين وخرج إسحاق يودعهم إلى الباب ، ثم رجع والمؤذن ينادى لصلاة الظهر فأسرع مع والده إلى المسجد ، ولما رجعا إلى البيت انفرد الرجل بابنه وجلس إلى جانبه وقال له :

— إنك تعلم يا بنى أنى قد بلغت من الكبر عتياً ، وأننى هامة اليوم أو الغد ، فقد انطفأت شعلة القوة فى نفسى ، وسرى الضعف فى أعضائى ، وخطوت إلى النهاية خطوات فسيحة وأصبح لا أمل لى فى الحياة إلا أن أراك رب أسرة ورأس عائلة وإن ابنة الشيخ عبد الكريم ذات نسب ودين ، وليس لها من يدانيها جمالا وأدباً؛ وقد حزمت الأمر أن نعقد لكما فى نهاية هذا الأسبوع والله أسأل أن يكتب لكما التوفيق ...

عقد الحياء لسان إسحاق فلم ينبس ببنت شفة . ولكن بسمة لطيفة ارتسمت على شفتيه تعبر عن سروره وفرحه . ثم دخلت أمه العجوز فضمته إلى صدرها ضمة قوية وطبعت على وجنتيه قبلة حنان وعطف ثم جعلت يده بين يديها وأخذت تمر بهما عليها مراً لطيفاً وقالت :

— بنى العزيز ! نهنىء أنفسنا بفوزك . ونسأل الله أن يحرسك ... إن عمك الشيخ عبد الكريم كان هنا قبل أن تعود وقبلنا دعوته لك لتتناول الشاى عنده بعد عصر هذا اليوم وقد دعا كثيراً من أصدقائك لتأنس بهم . وكثيراً من أصدقائه وأصدقاء والدك لتتعرف عليهم . وإنه أقام هذا الحفل ابتهاجاً بنصرك فاستبدل ملابسك وتهيأ لتلبية الدعوة . ولا تنس أن ترجع قبل غروب الشمس لتستقبل المدعوين للعشاء عندنا .

— أشكرك يا أماه ! وسألبي دعوة عمى . ولكننى لا أملك العودة فى الوقت الذى تحددينه . فذلك موكول للظروف ، فقد لا ينتهى الحفل قبل أن تغرب الشمس !

قد يكون ذلك يا بنى ولكن عمك الشيخ عبد الكريم سيكون فى منزلنا فى نفس الوقت أو بعده بقليل لأنه مدعو للعشاء هو الآخر ...

استبدل إسحق ملابسه . وأعد جواده ، ثم أخذ طريقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم فى قلب المدينة . وكان الشيخ عبد الكريم من سراة القوم والمقدمين فيهم ، ومن ذوى المكانة فى الدولة ولم يبق له من ذريته إلا فتاة جميلة الطلعة لطيفة التكوين ناهزت سن البلوغ ، ولقد كانت الصلة بين الرجل وبين الشيخ إدريس من أوثق الصلات وأقواها وازدادت قوة وتوثيقاً بخطوبة الفتاة لإسحاق بن إدريس ، فأصبحت الأسرتان شريكتين فى السراء والضراء ، وكان الشيخ عبد الكريم يولم كل عام فاز فيه إسحاق بالبطولة وليمة يدعو لها كبار القوم وأشرافهم .

وصل إسحاق منزل الشيخ عبد الكريم فوجدهم فى انتظاره فتقدم إلى المدعوين وحياهم وتقبل تهانيهم شاكراً . ثم التفوا حول الموائد يأكلون ويشربون مما لذ وطاب من الحلوى والشراب وبعد أن فرغوا قام بعض المدعوين من شباب العرب بألعاب رياضية فى الفروسية ولعب السيف وركوب الخيل ... ثم تفرق الجمع شاكرين للداعى دعوته مكررين لإسحاق التهنئة ، واستأذن إسحاق بدوره وأكد على الشيخ عبد الكريم ألا يتأخر عن اللحاق به . ثم ركب جواده ولوى عنانه إلى بيته .

كانت أشعة الشمس على قمم الجبال قد اصطبغت بلون الذهب وكانت الطيور تروح جماعات إلى أوكارها على رءوس الأشجار عند ما كان إسحاق فى طريقه إلى منزله عائداً من حفل الشيخ عبد الكريم ، فما إن بلغ مقابر الخلفاء فى سفح الجبل حتى ركض جواده فى منعطف الطريق . ثم وثب وثبة عالية فى خوف وفزع وكاد إسحاق يسقط لولا أنه فارس ماهر ...

ولما هدأت ثائرة الجواد ، وخفت حدة جوحه تلفت إسحاق حوله فرأى رجلا منبطحاً على الأرض وبيده مقود حمار ، فأيقن أن كلا من الحمار والجواد قد ارتاع لرؤية الآخر فجأة ، فشرد الحمار وجمح الفرس . ووقع الرجل على الأرض .

تقدم إسحاق إلى الرجل وهو يهم بالنهوض وقال له معتذراً :

— لا بأس عليك أيها السيد الفاضل . أرجو ألا يكون قد أصابك مكروه .

فرد عليه الرجل فى كثير من العنف والجفوة فقال :

— هل كنت أعمى أيها الفتى الأحمق ولم تر أى شىء

أمامك !؟. فقال له إسحاق فى استعطاف ولين :

— يلوح لى أنك غريب عن هذه الديار ، فهل أنت آت من بعيد ؟

— وما شأنك بى أيها المغرور ؟ إنه يهمنى أن أقول لك : إن هذه السكرة التى غمرتكم سينمحى أثرها عما قريب ، وسيعلم أولئك الحاكون من المسلمين أن وراء الأكمة ماوراءها ، وحينئذ ستفيقون من غفلتكم ، ويثوب إليكم رشدكم . وتخف وطأة غروركم .

— هون عليك ياصاحبى ، ولا تغضب إلى هذا الحد ، وإنى أكرر لك المعذرة ، وأرجو أن تعتقد أن ذلك وقع رغم إرادتى فاغفر لى هذا الخطأ ... ثم مد يده إلى جيبه وأخرج كيساً به شىء من النقود وقال له : هاك هـذه النقود ، لتجبر بها ما أصابك ولتتبلغ بها فى سفرك .

— إنك مجنون ياهذا ! فقد ظننتنى من مواطينك الأندلسيين تستهويهم فضلات المسلمين ، ألا فاعلم أننى من بلاد يبصق أهلها على الذهب إذا مسته أيد مسلمة .

فاستثار قول الرجل غضب إسحاق فقال له :

— أمسك عليك لسانك أيها الرجل واجعل لهذا الهذيان حداً

— أينا يهذى يا هذا ؟ بحق « فجوف » — إله رومانى — لم يصادفنى من هو أكثر قحة منك .

سر فى طريقك ياصاح ولا تستثرنى بأكثر مما فعلت ، فلولا أن دينى قد أوصى بابن السبيل خيراً لكان لى معك شأن آخر ولقطعت لسانك الذى تلفظ بهذا الهراء .

— يالك من نذل جبان ، أتتجاسر إلى هذا الحد أيها الصعلوك العربى ؟ إن كان يجرى فى دمك نخوة الرجال فترجل عن فرسك لأريك أينا يقطع لسان الآخر ! !

— لا تفه بأكثر من هذا ، وانتظرنى ليصفى كل منا حسابه مع صاحبه ... ثم شرع فى النزول عن ظهر الجواد ، لكن الخائن لم يمهله حتى تستقر رجلاه على الأرض ، فقد سدد إليه سهما طائشاً نفذ إلى صدره ، وأصاب منه مقتلا فخر صريعاً تنزف منه الدماء غزيرة ، وهكذا مات إسحاق فى ميعة الصبا ، وريعان الشباب .

بهت القاتل وتسمرت رجلاه فى الأرض ، فلم يكن فى حسابه أن يموت غريمه هـذه الميتة الوحشية ، ولم يعـد للأمر عدته . فتملكته الحيرة واستبد به الارتباك ولم يدر ماذا يفعل لينجو بنفسه . وبينما هو فى حاله تلك يتلفت ذات اليمين وذات اليسار إذ أقبل من بعيد خادم إسحاق ؛ وكان قد تأخر عنه قليلا ، فلما رآه القاتل يجرى نحوه ، أيقن أنه إن أدركه فسيقضى عليه لامحالة فأطلق ساقيه للريح وأسرع إلى المدينة ...

كانت الشمس قد توارت بالحجاب . وكان الظلام يتكاثف رويداً رويداً ، حين كان الشيخ إدريس قد بدأ يساوره القلق لتأخر إسحاق فى العودة بما لم يسبق له من قبل وهو يعلم أن هذه الليلة بالذات يجب أن يبكر فيها ليشترك مع أبيه فى استقبال الضيوف . ولما استبد به الانتظار وقارب وقت المغرب أن ينتهى طلب إلى خادمه أن يعد له الماء فى الحديقة ليتوضأ . ثم خرج إلى باب الحديقة ونظر هنا وهناك لعله قادم من بعيد ولكنه رجع كئيباً كاسف البال . ومع ذلك لم يدر بخلده أن ابنه فى هـذه اللحظة يسبح فى بحر من الدماء عند مقابر الخلفاء فى سفح الجبل فلما أخذ مكانه ليتوضأ قال له خادمه :

— ستؤدى الصلاة هنا أم فى المسجد يا سيدى ؟

فأجابه الشيخ الكبير :

— سأصلى فى المسجد يا بنى إن شاء الله — مع الإمام . ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وقوله عليه صلوات الله وسلامه « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » ولم يكد الرجل يتم حديثه حتى لاح لهم شبح يجرى خلف سور الحديقة مسرعاً إليهم . فسأل الرجل خادمه قائلا :

— يمكنك أن تتبين هذا الذى يسرع الخطا إلينا ؟

— لا ياسيدى . ولكن حركاته وملامحه ترشد إلى أنه ليس من أهل هذه البلاد .

— إنه يجرى فى ارتياع واضطراب كأن خطراً داهما يتعقبه

(البقية فى العدد القادم)

وهبى اسماعيل حقى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٣٩ – الاثنين اول سبتمبر ١٩٤٧ – السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

عود إلى الردود والنقود ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٩٤٣

رجل فى ملابس النساء ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ٩٤٥

الاستعمار الفرنسى فى الجزائر العربية : الأستاذ أحمد رمزى بك ٩٤٨

الخمرة النصرانية ومجالسها فى العصر العباسى : الأستاذ شكرى محمود أحمد ... ٩٥١

الخلان والزمان ... ... : الأستاذ محمد محمد الحوفى ٩٥٥

أدب العروبة فى الميزان ... ... : الأستاذ على متولى صلاح ٩٥٨

نشوة الخيام ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسن البحيرى ٩٦٠

« **تعقيبات** » : فارس الخوري الشاعر – شيوخ وشبان – سؤال ٩٦٢

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : أدب الأعداء – مناهج اللغة العربية ٩٦٤

– المساهر – حول السجل الثقافى ٩٦٦

« **البريد الأدبى** » : المنشىء والحاسب ، أبو حيان والحريرى – إلى ٩٦٧

الأستاذ (الجاحظ) – الخلان والزمان ٩٦٨

شيخ الأندلس ... ... (قصة) : بقلم الأديب وهبى اسماعيل حقى ٩٦٨

٢٩٠١٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 736

Lundi — 21 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٦٦ — أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عود إلى الردود والنقـــود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

يرى الأستاذ إسماعيل مظهر مرة أخرى فى المقتطف أن ترجمة « أنيميزم » Animism بالاستحياء خطأ لأنها ترجمت فى بعض المعجمات العامة بالفكرة الروحانية .

والأستاذ مظهر يعلم ولا شك أننا لم نكن نعجز عن مراجعة المعجمات كما راجعها . ولكننا فضلنا كلمة الاستحياء لأن المعجمات لا تفسر المعانى الفلسفية ، ولأن كلمة الاستحياء أدل على المعنى المقصود من الفكرة الروحانية فى هذا المقام .

فالفكرة الروحانية تلتبس بالمذهب المعارض للفكرة المادية فى تفسير الطبيعة أو تفسير التاريخ ، وكلتاهما لم تكن تخطر للهمجى على بال ، وإنما كان يؤله الظواهر الطبيعية لأنه كان ينظر إليها كما ينظر إلى الأحياء .

وليست ترجمة « أنيميزم » بالحياة خطأ من الوجهة اللفظية فضلا عن الوجهة المعنوية أو الفلسفية . لأن كلمة أنيما Anima هى أصل كلمة أنيمال Animal ونحن لا نترجم هذه الكلمة بذوات الأرواح بل بالأحياء أو الحيوانات . ولو ترجمناها بذوات الأرواح لأخطأنا فى رأى الدينيين ورأى الماديين على السواء ، لأن الدينيين لا يقولون بالروح فى الحيوان ، والماديين لا يقولون بالروح على الإطلاق .

وليس بصحيح ما قاله الأستاذ مظهر من أن كلمة « أنيما » anima تعنى الروح فى أصل وضعها مستشهداً على ذلك باستخدامها بهذا المعنى فى كتب أرسطو وغيره .

وإنما الصحيح أن أصل معنى « أنيما » anima هو الهواء . ثم استعيرت لمعنى الحياة أو الروح لأن الأقدمين كانوا يربطون بين التنفس والحياة ، وهكذا نشأت كلمات الروح والنفس والنسمة فى اللغة العربية .

***

ويرى الأســـتاذ مظهر مرة أخرى أن كلمة بوليثيزم Polytheism لا تترجم إلا بكلمة الشرك ولا تصح ترجمتها بتعديد الآلهة .

والصحيح أن ترجمتها بالشرك هى الخطأ وأن ترجمتها بتعديد الآلهة هى الصواب .

لأن الشرك يقتضى الإيمان بإله واحد يعتبر الإيمان بإله غيره مشاركة له ملكه .

والذين عددوا الآلهة قبل التوحيد لم يجعلوا بعضها شريكا لبعض فى الملك ، بل ربما اتخذوا إلهاً للبحر وإلهاً للشمس وإلهاً للغاب ولا مشاركة بينها فى عمل من الأعمال !

ومن الخلط المعيب أن نقول أن الشرك يفيد معنى البوليثيزم

Polytheism لأن الذى يعتقد بإلـهين إثنين مشرك ولا يقال فيه إنه Polytheist وإنما يقال فيه إنه ديالـت Dualist كما يعلم الأستاذ .

***

وخذلت المعجمات الأستاذ مظهر أكثر من مرة فى هذه المناقشة لأنه راح يعتمدعليها فى تفسير كلمة الديالـكتيك Dialectic التى ترجمناها بالثنائية ويأبى الأستاذ مظهر إلا أن تترجم بالجدلية ... ولا جدل هناك حيث استخدمت الـكلمة فى مذهب هيجل أو مذهب كارل ماركس أو ما شاء الأستاذ مظهر من المذاهب الفلسفية .

فهيجل يقول بالفكرة ونقيضها فى الثنائية المثالية وكارل ماركس يقول كذلك بالشىء ونقيضه فى الثنائية المـادية .

ومعنى « الاثنينية » ظاهر فى المذهبين بل فى كل اصطلاح يرجع إلى « الديالـكت » حتى الديالوج الذى يجرى الآن على كل لسان ...

وكل أولئك يوحى إلى الذهن أن أصل كلمة اللهجة والحوار ملحوظ فيه الـكلام بين اثنين .

ومهما يـكن من هذا أو ذاك فالثابت قطعاً بغير جدال أن الأثنينية مقصودة فى ديالـكتيك هيجل وماركس، وأن الجدل غير مقصود فيهما إلا فى المعجمات العزيزة عند الأستاذ إسماعيل مظهر ... والتى يوجد عندنا منها بحمد الله عدد لا يقل عن الوجود منها فى مكتبة الأستاذ العامرة أو مكتبة المقتطف الفيحاء .

وقال الأستاذ مظهر : « إن الذهاب إلى أن مذهب كارل ماركس هو الديالـكتيك أمر لم يقل به غير الأسـتاذ العقاد على ما أذكر وبقدر ما يتسع له علمى ... على أنى أكاد أجزم به ، ذلك بأن مذهب كارل ماركس هو المـادية الجدلية ... وشتان بين المذهبين ... » .

والذى قلناه نحن هو « أن مذهب كارل ماركس وهو الديالـكتيك يقوم على أن المـادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها » .

فأين هو الخطأ فى هذا الـكلام ؟

الخطأ على ما يظهر فى طريقة الـكشف عن الـكلمات فى المعجمات ، وهى تقتضى الـكشف عن الديالـكتيك فى حرف الدال ، والـكشف عن المادية فى حرف الميم ... وشتان بين الحرفين ! !

وقد عاد الأستاذ مظهر إلى مسألة الوجود والموجودات فأعاد ما قاله الأديب المستفسر « صابر . م » فى عدد مضى من الرسالة فقال — أى الأستاذ مظهر — « إن ذلك قد يقبل فى غير لغة العلم وفى غير لغة الفلسفة لأن هذه اللغة لا تتجوز فى تحديد المعانى الدقيقة لـكل لفظ ... » .

فلا نزيد على أن نعيد له ما بدأناه فى الجواب على الأديب المستفسر من كلام الإمام الرازى حيث قال فى المناظرات : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التـكوين والمـكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوَّن يكوِّن تـكويناً فهو مكون وذاك مكون فالتـكوين مصدر والمـكون مفعول . والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول . ذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

ونظن أن الإمام الرازى مفسر القرآن ومفسر مذاهب الفلاسفة يعرف فى اللغة والفلسفة ما يجوز وما لا يجوز .

***

وقال الأستاذ مظهر يعنينا : « أما كلامه فى مذهب التطور فظاهر من عباراته التى ساقها أنه لم يفرق بين البحث فى التطور والبحث فى نشوء الحياة ، إن الأمرين مختلفين جد الاختلاف » .

وهـذا كلام لا يجاب عليه إلا بالإيجاز ... ولـكن بلغة التحدى التى تبتدىء من الخط الثلث إلى « بنط ٨ » فى المطابع المصرية .

فنقول للأسـتاذ مظهر : أذكر لنا عالماً واحداً من علماء التطور ، أو كتاباً واحداً من كتب التطور ، أو صفحة واحدة من صفحات كتب التطور ، أو سطراً واحداً من سطورها — يفصل بين التطور وبين نشوء الحياة فى مذهب الماديين .

ونحن فى الانتظار ولا نزيد .

ثم قال : « أما قول الأستاذ أن أجهل همجى لهو أصدق

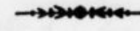
شعوراً بالعالم من الفيلسوف المصرى الذى يحصر الحياة هذا الحصر العجيب ... فهل نصدق حقيقة أن أجهل همجى هو أصدق شعوراً بالعالم من بلاس و كونت وكانت وداروين وبرجسون » .

وعندنا نحن أن الأستاذ مظهر بحاجة إلى مراجعة برجسون وداروين وكانت ولابلاس ليعلم أنهم لا يحصرون العالم، ولا يختمونه فى علبة صغيرة ، كالعلبة التى يملكها الأستاذ مظهر على ما يظهر ، ونفضل له أن يملأها بالوهم — من أى صنف من الأصناف — ولا يملأها « بعلم » لم يستند إلى علم ولا إلى فلسفة ولا إلى عقيدة ... اللهم إلا المعجبات وأشباه المعجبات !

عباس محمود العقاد

رجل فى ملابس النساء !

للأستاذ على الطنطاوى



قرأت فى (أخبار اليوم) أن الشرطة عثرت على (فلان) قتيلا فى داره ... وقالت عن هذا القتيل أنه كان يلبس ملابس النساء ، ويفضلها على ملابس الرجال ، لأن أمه لما ولدته كانت ترجو أن يكون بنتاً لذلك دعته (فلانة) وألبسته ملابس البنات ونشأته على ذلك ، وقالت الجريدة أنه كان غنياً واسع الثروة فأراد يوماً أن يؤلف لجنة فى (حزب سياسى) للسيدات يكون هو رئيسها فأوفدت إليه الشرطة من يهدده بالاعتقال والنفى إلى الطور إن هو فعل .

***

قرأت هذا فوقفت عنده وفكرت فيه ، فوجدت الجريدة قد ساقت هذا الخبر لتعجّب الناس من أمرين هما : لبس الرجل لباس المرأة ، ودخوله فى لجنة السيدات — وما فى واحد منهما عجب ، ولا أدرى ماذا وجدت فيه الجريدة حتى عجّبت منه الناس وما دمنا لا ننكر على المرأة أن تلبس لباس الرجل ، وتستعير سراويلاته (بنطالونه) ، وتجز شعرها تشبهاً به ، وتتخذ مثل قميصه وردائه ؛ فلما ذا ننكر على الرجل أن يلبس ثيابها مرة واحدة ؟

ولماذا ننكر عليه دخوله مرة واحدة فى لجنة السيدات ، ولا ننكر على السيدات دخولهن فى لجان الرجال ومشاركتهم فى أعمالهم ، من سوق السيارة إلى تدريس الجامعة وأيهما أعجب وأغرب ، وأبعد عن سنن الله ومألوف الناس ، ألأن يرأس رجل لجنة السيدات فى حزب من الأحزاب ، أم أن تقعد آنسة جميلة على منبر التدريس مثلاً ... تعلم شباباً كباراً ... علماً لم تختص هى به ، ولم تنفرد بحمله ، ولم ينقرض الرجال حتى لم يبق لتدريسه إلا هى ، وليست أصلح له ولا أقدر عليه من رجال هم مستعدون للقيام به ، راغبون فى أدائه ؟

فلماذا نستضعف الرجل فنحمل عليه ، ونظلمه هذا الظلم البيّن ، ونهاب الجنس (المخيف) أن نقول لأهله كلمة ، أو نشير إشارة ؟

وأين المساواة بين الجنسين التى ندعو إليها دائماً ، ونتجمل بترديدها ، ونتباهى بها ، ونحن لا نفهم معناها ، ولا ندرى علام تدل وإلام توصل ؟

***

وهل انفرد هذا الرجل وحده بلبسه غير لباسه ، وتزيّيه بغير زيّه ؟ ألسنا نرى كل يوم أناساً يتزيّون بزىّ الصالحين ، ويحملون سبحات المسبحين ، ويقومون فى المساجد مع المصلّين ، ثم لا تعاملهم إلا غشوك ، ولا تخبرهم إلا وجدتهم طلاب مراتب ورواتب ، أو باغى منافع ، ولا تراهم إلا متزلّفين لكل صاحب سلطان ، خاضعين له ، يؤثرون رضاه على رضا الله ، ويخافون غضبه أكثر من غضب الله . إذا رأوا الحرام منه خرسوا عنه ، وإن رأوا المكروه من غيره أقاموا الدنيا عليه ...

ومشايخ طرق ظاهرهم مع مريديهم ظاهر الفقراء الزاهدين ، وحقائقهم مع أهليهم وإخوانهم ، حقائق الفساق الذين ينتهكون كل حرمة ، ويبتغون كل لذة ، ويعيشون حياة ليس فيها شىء لله ولا للشرف .

أولسنا نرى كل يوم عملاء للأجانب ، كالذين ذكرهم الأستاذ رمزى بك ، يدرسون على حساب الأجنبى فى مدارسه ، ويتربون على يديه ، ويسبّحون بحمده ، يتوجهون أنّى وجههم ، ويعملون له فيما استعملهم ، ويعرفهم الناس هم وآباؤهم من قبلهم صنائعه وعبيده ، يلبسون فجأة ثياب الوطنيين المخلصين ، أو دعاة الدين

الصالحين ، ثم يدخلون (بأمر الأجنبي) الحزب أو الجمعية ، فلا يلبثون أن يكونوا هم أربابها ، وأن يقصوا عنها أصحابها ، ثم يصرّفونها لمصلحة الأجنبي ، يخدمونه وهم يسبّونه ، قلوبهم وأيديهم معه وألسنتهم عليه ، وعملهم لمصلحته وإن كانت ظواهرهم لمحاربته ؟

أولسنا نرى أغبياء جهلاء يلبسون ثياب العلماء الأذكياء ، وأدنياء يزهون بحلل الأعلياء ، وأعداء يرتدون أردية الأصدقاء ؟

فلماذا نفرد هذا القتيل المسكين بالملامة ، ونخصه بالنقد ؟

***

وهل كل من حمل شارب الرجل ، ولبس لباسه ، كان رجلا ؟ لو كان هؤلاء ... كلهم رجالا فهل كان يمكن أن تبقى بلاد العرب إلى اليوم مجزأة مقطعة ، تفصل بينها حدود وأعلام ، يطؤها الأجنبي ويتحكم فيها ، ويستغلها ويستعبد أبناءها ؟ إن الرجال حقاً هم الأربعون الذين كانوا مستخفين في دار الأرقم في أصل الصفا ، فلم تمر عليهم ثلاثون سنة حتى فتحوا نصف الدنيا ، لا هؤلاء الأربعمائة مليون الذين ناموا منذ ثلاثمائة سنة حتى تجرأت عليهم نصف شعوب الدنيا ؟ لو كان هؤلاء رجالا حقاً واجتمعوا على الأسطول الأنكليزي لحملوه حملا على أكتافهم ، ولو نفخوا كلهم نفخة واحدة لطيّروا الجيش الأنكليزي المرابط عند القناة ولو بصقوا كلهم بصقة واحدة لأغرقوا يهود العالم ...

ولكنهم أشباه الرجال ، ولبسهم لباس الرجال لا يقل عجباً وغرابة ، عن لبس هذا القتيل لباس النساء ...

***

ولماذا ننكر عليه أن يكون رئيس لجنة السيدات ال(حزبيات) ولا ننكر على السيدات أن يؤلفن هذه اللجنة ؟ وما للسيدات وأعمال الأحزاب ؟ إنه إن دخل فيها فهذا عمله ، وهذا مكانه ، ليس هو الطارىء الواغل فيه ، ولكن السيدات المحترمات ... فهن أولى بالإنكار ، وأحق بالمنع ، لا احتقاراً لهن وزراية عليهن بل إكراماً لهن ، وترفعاً بهن أن ينزلن إلى هذه المنزلة ، وينحططن إلى هذه الدركة ، وهل جنى الرجال من الحزبيات في بلادنا خيراً حتى يجنيه منها النساء ؟ هل رأينا فيها إلا الفرقة والانقسام ، واستغلال نفر منا إخلاص المخلصين ، واندفاع المندفعين ، وطمع الطامعين ، للوصول إلى كراسي الحكم ، والتمتع بأموال الدولة ؟ وماذا يرى المراقب البعيد ، من تبدل الحكومات في هذا الشرق العربي ، وتعاقب الأحزاب عليها ، إلا تبدل الوجوه ، وتغيّر الأشخاص ، أما الأسلوب فهو واحد ، والسياسة واحدة ، يتبدل الوزّان ويبقى الميزان ؟ والميزان مختل ، والقب مائل ، والصنجات ضائعات !

***

أو لسنا جميعاً مثل هذا القتيل نلبس لباساً لم يفصّل لنا ، ولم يقس علينا ، ولكنه خيط لغيرنا ، فأخذناه كما هو بلا إصلاح ، ومشينا فيه كما يمشي الطفل بحلة أبيه يتعثر بها فيسقط ، فيضحك أهله عليه ، ويسلّيهم بفعله

لقد أخذنا هذه المدنية كما هي ، لم نحكم فيها عقولنا وشرائعنا وطبائع بلادنا ، ولوازم معيشتنا ، كما تفعل كل أمة في الدنيا ، فتستوي الأمم في أصول الحضارات ، وأسس المدنيات ، ولكنها تختلف في التفاصيل ، فلا تبنى البيوت وتخاط الثياب في البلاد الباردة كما تبنى وتخاط في البلاد الحارة ، ولا تخطط المدن في شماف الجبال كما تخطط في السهول أو على سواحل البحار ، ولا تكون الأطعمة في حدود القطب كما تكون في خط الاستواء ، وما يسوغ ويقبل في بلد قد ينكر ويردّ في بلد ، وما يحسن في لسان من أساليب البيان يقبح في لسان ، وما يجمل في أذن من ألحان الغناء يبشع في أذن ، ليس في الدنيا بلدان متحضران تستوي فيهما هذه الدقائق كلها ، وإلا لما كان معنى لاختلاف الحضارات ، وتعدد الثقافات ، وتكلف مشاق الرحلات ، ولكان السائح الذي يرى فرنسا كأنه رأى ألمانيا ، والذي يبصر أمريكا كأنه أبصر روسيا ، وليس في الدنيا حضارة أصيلة إلا ولها طابع خاص بها ، فما هو طابعنا نحن في حضارتنا الجديدة ؟ ما هو الثوب الذي نلبسه ؟

ادخل أي دار من الدور ، وسر في أي شارع من الشوارع ، في مصر أو الشام أو العراق ، تجد الجواب ، تجد في الدار الواحدة غرفة مفروشة بالبساط والوسادة وفيها فراش على الأرض ، وغرفة فيها أحدث ما صنع من الأرائك والكراسي والمناضد ، ودقق في هذه الغرفة تجد فيها خليطا من الذوق الفرنسي والإنكليزي ، وفي صدرها مرآة من أسلوب عهد لويس الرابع عشر ، وأمامها نضد على الطريقة الأمريكية ، وتجد بين الأم وبنتها في اللباس

والعادات والأفكار قرناً كاملا ، وتجـد بين الدار وأختها فرقاً هائلا ، فى العمارة والفرش والذوق والترتيب ، مع أنك تدخل بيوت عمارة يسكنها إنكليز أو فرنسيون ، فتحسّ على اختلاف الغنى والذوق ، أن لها طابعاً عاماً يبدو على كل منها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره وخفائه ؛ وتجـد فى الشارع ألواناً من الألبسة والأزياء ، يحسبها الغريب أزياء عيد المساخر (الـكرنڤال) ، وادخل المدارس تجد فى المناهج ، وفى المبادئ العلمية والسياسية والاجتماعية التى تعرض على التلميذ ، وفى آراء المدرسين ومذاهبهم (كرنڤالا) آخر ، ولـكنه أغرب وأشـد اختلافاً ، وأ كبر ضرراً ، وفى المبادئ الحقوقية فى التشريع ، وفى المذاهب البيانية فى الأدب ، وفى الصحافة وفى السينما وفى كل شىء (كرنڤال) ضخم ، ليس له يوم واحد ينقضى بانقضائه ، ولـكنه دائم باق لا انقضاء له

وأنا لا أدعو لنبذ الحضارة الغربية ، بل أدعو إلى أخذ ما ينفعنا منها ، وأن لا نأخذها أخذ العامى للرادّ (الراديو) ، لا يفهم منه إلا أنه يأتيه بالأصوات ، فيفتحه على مصراعيه ، ويزعج به الجيران ، ويكرّه إليهم الحياة بجواره ، بل أخذ العـالم الذى يعرف وجوه استعماله ، ويدرك تركيبه ، فيصلحه إذا فسد ، ويكمله إذا وجده ناقصاً ، ويصنع مثله أو يخترع أحسن منه ، أى أن نتعلم علومهم ، ونتقن فنونهم ، وندرس أخلاقهم ، ثم نرى ما يزيدنا منها قوة ، وسعادة للفرد منا والجماعة ، وسهولة فى العمل ، ولذة فى المعيشة ، فنأخذه كما هو ، أو نعدله حتى يصلح لنا ، وأن ننقله إلينا ، ونجعله ملـكا لنا ، لا أن ننتقل به إلى أمة غير أمتنا ، وطبيعة غير طبيعتنا ، وأن ننظر ما فعله أجدادنا فى أول العهد العباسى ، مع الحضارة الفارسية مثـلا فنصنع مثله ، إنهم أخذوا كل نافع فى الطعام والشراب واللباس والمسكن وفنـون القول وطرائق الفـكر ، ولـكنهم لم يصيروا به فرساً ، بل جعلوا به الفرس عرباً ، أما أن نأخذ النافع والضار ، والجليل والحقير ، بلا فهم ولا علم ، فهذا تقليد كتقليد القردة ...

* * *

وبعد ، فلما ذا ننكر على هذا الرجل أنه فقد عزة الرجولة ، واتخذ لباس المرأة ، ولا ننكر على الـكثرة الـكاثرة من هذه الأمة أنها فقدت عزتها ، واعتدادها بنفسها ، وكبرياءها القومية ، وشعورها أنها أمة هى أعظم الأمم فى الجاهلية وفى الإسلام ، وأنها إن قدر عليها أن تذل حيناً ، فما من أمة إلا وقد ذلت مرة ، ولـكنها لن تذل مرة أخرى ، ولن تعود إلى الغفلة والمنام ...

إن رأس أدوائنا هو هذا اللطف ، والحرص على أن نـكون مؤدبين ، لا نؤذى محدثنا أو جليسنا . هذا اللطف وهذا الإكرام للضيف هو الذى جرأ علينا الأجانب ، جنوداً وتجاراً ، حتى ملـكونا بجيوشهم ومعاملهم وشركاتهم ومتاجرهم ، ولا خلاص لنا ، أعنى لا خلاص لمصر من هذا كله إلا بأربع خلائق يجب على كتابها وصحفيها ومدرسيها وصانعي أفلامها أن يملؤوها الناس وأن يخلقوهم بها ، هى حب المال أولا ، وحب المال إن زاد كان مذمة للفرد ونقيصة ، ولـكنه لا يكون للشعب إلا خيراً ، وما أفلح شعب لا يحب فى مجموعه المـال . وحب الأسفار ثانياً ...

كونوا كاخوانـكم الشاميين ، هل طلع كوكب إلا على نفرمنهم؟ اقتحموا البحر والصـحراء ، إلى أمريكا شمالها وجنوبها ، وأفريقية أدناها وأقصاها ، والهند واليابان وأوربة ، وما نزلوا بلداً إلا كانوا من كبار تجاره ، ومن وجوه سراته ، عاشوا تحت كل نجم ، وجابوا كل أرض ، وخالطوا كل أمة ...

وترك هذا اللطف ثالثاً ، وتعود الشدة فى الحق ، والثقل على العدو ، والمزاحمة على العيش ، وأن يحس كل مصرى بعد هذا كله ، بل قبل هذا كله ، أن البلد بلده وأنه أحق به من كل خواجة وكل دخيل ، وأن له هو طيباته وخيراته ، وأنه أكرم من هذا الدخيل (كائناً من كان هذا الدخيل) أصـلا ، وأعز نسباً ، وأبين لساناً ، وأقوم ديناً ، وأجل أثراً فى الدنيا ، فلا يطاطىء رأسه لأحد ، ولا يحنى هامته لإنسان ، ولا يرضى بالدنيّة من مخلوق فى الدنيا .

بهذه الأخلاق ننقلب أمة أخرى ، ويرى هؤلاء الأجانب ماذا يصنع الأسد الجريح ، إذا برىء ، بالثعالب التى كانت تلعق من دمه .

والويل يومئذ للثعالب ! !

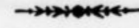
(القاهرة) علي الطنطاوي

القسم العاشر :

الاستعمار الفرنسي
في الجزائر العربية
يولية ١٨٣٠ – يولية ١٩٤٧

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق » قرآن كريم

للأستاذ أحمد رمزي بك



إنه نبأ هذه الأمة الجزائرية العربية التى تسكن أرض الجزائر ولها على هذا الوطن الحق الطبيعي التاريخى الثابت الذى لا تضعفه أقاويل فرنسا وادعاآتها لأنه منبعث من ثنايا القرون العديدة التى أمضتها هذه الأمة على أرضها وهى تتمتع بكامل شخصيتها وميزاتها لا يشاركها فيها أى مشارك ولا ينازعها فى أمجادها أى منازع .

إنها قضية تسعة ملايين نسمة من المسلمين تحاول فرنسا أن تجعل منهم قطيعاً فى بلادهم وعلى الأرض التى حملت تاريخ آبائهم وأجدادهم : أتدرى أنهم محرومون من كل حق سياسى أو اجتماعى أو ثقافى ؟ وأنهم لا يستطيعون أن يجهروا بأقوالهم ومشاعرهم ؟ لأن حرية القول وحرية الاجتماع وحرية الصحافة بل حرياتهم الدينية محرمة عليهم .

ولكى تحتفظ فرنسا بإدارتها الاستعمارية وجبروتها تلجأ إلى فرض نوع من الرقابة البوليسية لا يقل عن أشد أنواع الجستابو الذى فرضته ألمانيا النازية والجيبيو الذى فرضته روسيا السوفيتية على أراضيها : إنها تجعل من إدارة الأمن العام والمكاتب الوطنية أداة للارهاب والتشريد والتجسس وكبت الحريات لدرجة أنها تصرف خمس الميزانية على هذه الأداة البوليسية الجبارة .

تصور حكومة تشترى كيانها وحكمها وإدارتها بأن توزع خمس أموالها على هيئة بوليسية للقمع والارهاب . ماذا يبقى لها أن تفعله في ميادين الحياة العامة ونشر التعليم والصحة ؟ وهى مضطرة أن تحتفظ بجانب هذا بمبالغ للصرف على الجيش والقوات المسلحة الأخرى ؟

لقد عرفنا شاتينيو Chatégneau سكرتيراً عاماً لمفوضية فرنسا بسوريا ولبنان ولمحنا فى أحاديثه وأقواله الرجل الفرنسى المتمسك بمبادىء الثورة الفرنسية وتقاليدها المنبعثة مما أعلنته عن حقوق الانسان . كان يصرح بهذا وبلاده تحت الحكم النازى وسيطرة جيش الاحتلال ودارت الأيام فإذا به يشغل مركز الحاكم الفرنسى العام : إنه ممثل الجمهورية فى بلاد الجزائر وهاهوذا قدلبس لباس الاشتراكية وجاهر بحقوق الأمم المظلومة ولكنها فى نظره وفى عقيدة أمثاله من اليساريين من اشتراكيين وشيوعيين قاصرة على الأمم الأوروبية وحدها . أما شعوب الشرق وأمم الاسلام فهى فى الجزائر أوشمال أفريقية وفى بخارى وأواسط أسيا سواء فى تحمل الضغط والخضوع لسيطرة الاستعمار الفرنسى أو السوفييتى .

ما ذا يقول حاكم الجزائر الاشتراكى ! إنه يقرر فى خطابه الذى ألقاه يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى المجلس المالى الجزائرى « إن تضخم أرقام الميزانية راجع إلى زيادة عدد الموظفين فى إدارة الأمن العام . »

أى أن حكومة الجزائر الاستعمارية الرجعية التعسفية والتى يوجد على رأسها حاكم اشتراكى ، تشترى وجودها بثمن باهظ من حياة الشعب الجزائرى ، إذ تفرض عليه الجهل الدائم لتعيش مع جيش موظفيها ، إنها تترك الأمراض تسرى وسط جماعاته والنون تأكل من أطفاله لكى تعيش هى مع جيش من الموظفين الفرنسيين يخدمون مآربها ويؤكدون سلطانها وجبروتها عليه .

وفى الوقت الذى تصرف فيه فرنسا على بوليسها وعيونها هذه الثروة الطائلة من أموال الشعب الجزائرى ، نجد أن ما خصصته من هذه الميزانية للصحة العامة لا يتجاوز أربعمائة وثلاثين مليونا من الفرنكات وما أرصدته منها للتعليم أقل من ذلك بكثير .

لذلك انتشرت الأمراض بين طبقات الأمة وضج المستعمرون حينما تبين لهم أن نسبة القادرين على حمل السلاح من الجنود الوطنيين قد هبطت لأن الأحوال الصحية لم تعد تسعف الأتون الفرنسى بالآلاف المؤلفة من أبناء العرب الجزائريين لدفعها إلى جوفه فى حملاته الاستعمارية وليحولها إلى أشلاء وهيا كل عظمية إنه يطلب المزيد من ضحاياه .

فهذه القوة الجبارة التى تسمى إدارة الأمن العام ، أداة استبدادية تجدها فى تحفز دائم واستعداد قائم للانقضاض على الشعب الجزائرى ، إذا تحرك أو أظهر امتعاضاً إنها تمكن المستعمرين

من إبعاد أمة بأسرها عن دفة الحكم وعن تولى المصالح العامة فى بلادها ، أى تجعل من شعب يزيد تعداده على تسعة ملايين نسمة غريباً فى بلاده ، طريداً فى وطنه منبوذاً على الثرى الذى حمل سطوة آبائه وأجداده ، بل تفعل أكثر من هذا إنها تقيم بينه وبين العالم سدا لا يجعله يبصر شيئاً مما وراءه لأنها تعزله عن الدنيا كما يعزل الموبوء والمجذوم كيلا يرى نور العالم . ألا فليعلم العالم أجمع أن أهل الجزائر محرومون فى بلادهم من قراءة الجرائد العربية التى تأتى إليهم ، وأن لدى المكاتب العامة قواعد لا تسمح لها أن تمير الوطنيين حتى الكتب الفرنسية التى تتحدث عن الحرية وآمال الشعوب .

فهل رأيتم سدا كهذا السد ؟ .

أما فى الميدان الاقتصادى فما من شعب من شعوب الدنيا تحمل ما تحمله الشعب الجزائرى منذ وضعت فرنسا قدمها فى شمال أفريقيا . إنها أخذت تنهب الثروة الوطنية وتصادر أملاك الأهالى وتجعل أراضى الحكومة والدولة وخيرات الأمة وقفا على المستعمرين الفرنسيين ومن لاذ بهم من طريدى الجنسيات الأخرى ...

ولقد نقل صاحب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر . أن قائد الجنود الفرنسية رتب مجلسا من رؤساء الجند لضبط الخزائن من الأموال والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطها على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ٥٢٧ و ٦٨٠ و ٤٨ فرنكا من الذهب ، ومن الحنطة والشعير ٣ ملايين ومن المدافع والبنادق والبارود والقنابل وغيرها مع ثمن الأملاك الأميرية ٥٠ مليونا .

فهذه الثروة الطائلة التى وقعت غنيمة بأيديهم عند الفتح ، علمتهم طريق الاستحواذ على غيرها فإذا هم من يولية ١٨٣٠ إلى ١٩٤٧ يسيرون على هذا المنوال من المصادرة والاغتصاب حتى انتهوا بأن فرضوا الفقر والفاقة والإملاق على شعب بأسره .

وهذه الثروة الطائلة قد غطت ما تكلفته الحملة الفرنسية الأولى من أعباء مالية علاوة على ضياع الديون التى كانت فرنسا مدينة بها لحكومة الجزائر الإسلامية .

أما مصادرة أملاك الوطنيين فسياسة وضعتها فرنسا وقلدتها فيها إيطاليا وإسبانيا وهى تتلخص فى تحديد منطقة خصبة من الأراضى ونزع ملكيتها اغتصابا ونقل سكانها بالقوة منها .

وقد عمدت فرنسا لأول مرة إلى هذه السياسة فى أقاليم القبائل وفى جهة قسنطينة كعقاب أنزلته بالسكان الجزائريين عقب ثورة عام ١٨٧١ ، إذ نزعت ملكية ما مقداره خمسة ملايين من الأفدنة المصرية ، منها مليون فدان من أجود الأراضى الخصبة شردت أصحابها وجعلت هذه الأراضى لإسكان المهاجرين الفرنسيين خصوصا أهالى الألزاس واللورين ، وهم الذين طلب باسمهم الكردنيال لا فيجرى تسليمهم هذه الأراضي وإخراج الأهالى الوطنيين منها بدون أن يعوض أصحابها بشىء .

وقد سارت حكومة الاستعمار على طريقة فرض الغرامات الباهظة وتحصيلها بالشدة المتناهية فأخذت ملايين الفرنكات من أهالى المقاطعات التى قامت بثورة القبائل وعرف الوطنيون الذلة والمسكنة وبيع الأراضى والدور فى سبيل عتق رقابهم .

ولا يزال بعض الإخوان المغاربة الذين لقوا الويل على أيدى فرنسا يحدثون أهل الشام بهذه الكوارث ويقولون لهم أنتم بخير ما دمتم بعيدين عن حكم فرنسا المباشر وهو الذى يمثله قاضى الصلح الفرنسى وحارس الأحراش فالثانى يكتب المخالفات والأول يصدق غيابيا عليها فما يشعر صاحب الملك الوطنى ألا والتنبيه بنزع الملكية يلاحقه فلا يقدر أن يفلت من يدى القضاء إلا وهو مجرد من كل ما يملك .

وبهذه الأساليب والقواعد التعسفية خرجت أحسن وأخصب الأراضى الزراعية وأجودها من أيدى الوطنيين وأصبحت تحت يد المستعمرين الفرنسيين ونزلت نسبة أملاك الجزائريين إلى ٣٦ ٪ من الأراضى الزراعية التى كان يملكها الجزائريون إرثا عن آبائهم وأجدادهم .

وأدخل الفرنسيون فلاحة الكروم التى شغلت أكثر من ستة ملايين فدانا وهى كروم مخصصة لأنواع الأنبذة فهبطت مساحات الأراضى المخصصة للحنطة والمحاصيل الحيوية لميشة السكان الوطنيين وتعرضت مناطق الجزائر لأخطر المجاعات التى انتابت أفريقيا فى العصور الحديثة نتيجة لتلك السياسة الاستعمارية التى انتزعت من الأهالى أخصب أراضيهم وجعلت منهم عمالا أجراء يعملون لدى الكولون الفرنسى لقاء دراهم معدودة فى أراضى كانوا يملكونها فى الأمس القريب .

فالبلاد الجزائرية التي كانت قبل ١٨٣٠ تكفى سكانها من محاصيلها الزراعية وتصدر من خيراتها الشيء الكثير ، قد أصبحت في موقف اقتصادى يجعلها عالة على غيرها في إطعام سكانها وإعاشتهم ، لأن الاقتصاد الزراعى والإنتاجي الذي فرضته فرنسا عليها لا يتفق مع حياة السكان الوطنيين ومصالحهم وموارد رزقهم وتنظيم أمور معاشهم فهم في فقر مدقع واحتياج دائم ويموت من هؤلاء الآف كل سنة بسبب الإملاق والمرض وسوء التغذية .

وقد مات في سنة واحدة حسب التقارير الفرنسية ما يقرب من نصف مليون جزائرى إبان المجاعات التي انتابت بلاد الجزائر في إحدى سنوات القرن الماضي ولم تحرك هذه النكبة أحداً من الأجانب الذين لم يشعروا بها وكانوا في رغد من العيش دائم .

إن قيام سلطة حكومية فرنسية بالجزائر أمضت أكثر من مائة عام ، لا يهمها شيء من أمور المواطنين أمر لا يقبله نظام العالم الجديد ولا يمكن أن يسلم به دعاة الحرية ومن يتبجحون بمبادىء رفع الظلم عن الشعوب المغلوبة على أمرها . فهذه حكومة تفرض الامتيازات وحقوق الإنسان لفريق من السكان تمنحه كل الخيرات والباقي منهم أي تسعة أعشار السكان وهم أهل البلاد مجردون من كل حق لهم بل تطاردهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وتسير بهم نحو التشريد والإفناء .

وفي سبيل إبقاء هذه الحالة تحرم الحكومة الجزائرية الفرنسية؛ أهل الجزائر من حق التعليم وما يتبعه من حق النفوذ الاجتماعي .

فهي منذ سنة ١٨٣٠ أبطلت كافة المؤسسات الثقافية والتعليمية التي كانت قائمة بمدينة الجزائر وفرضت سياسة الجهل المطبق ومحاربة اللغة العربية ، لغة البلاد الرسمية واعتبرتها لغة أجنبية، بل ذهبت لأكثر من ذلك إذ حرمت تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب إلا إذا علمت معه الفرنسية فكم عدد هذه التي بوسعها أن تعلم لغة أجنبية فيها ؟ كان هذا القانون بمثابة حرمان الأهالى من تعلم الكتاب الكريم ولا يوجد ما يشبه هذا القانون سوى الإجراءات التعسفية التي فرضتها حكومة فرديناند وإزابلا على أهالى غرناطة المسلمين عندما أوقعهم سوء الحظ تحت بطش قوم نزعت كل عواطف الإنسانية من قلوبهم .

ولعل أعظم ما تمتاز به الإدارة الفرنسية بالجزائر هو محاولة نشر الجهل وتعميم الأمية بين طبقات الشعب الجزائرى حتى لا تقوم له قائمة أو يشعر بشخصيته ووجوده .

فقد صرح عميد الجامعة الجزائرية أمام لجنة الإصلاحات الإسلامية في يناير سنة ١٩٤٢ بمدينة الجزائر « أن بين ٠٠٠ر٢٥٠ر١ طفل وطنى في سن الدراسة ٠٠٠ر١٠٠ فقط خصصت لهم ٦٩٩ مدرسة ، وأن عدد الأوربيين حسب الإحصاء ٩٠٠٠٠٠ وعدد أبنائهم الذين يتمتعون بالتثقيف والتعليم الابتدائى ٠٠٠ر٢٠٠ طفل خصصت لهم ١٤٠٠ مدرسة »

هذه أرقام تتحدث بنفسها عن سياسة فرنسا إزاء رعاياها المسلمين بالجزائر ولو شئنا أن نقيس حالتهم في درجات التعليم العالى والثانوى لرأينا العجب العجاب ، فإن النسبة لا تتعدى فيها عشرة في المائة بأى حال من الأحوال ، ولم نكن نصدق شيئاً من ذلك حتى عاينا هذا بأنفسنا في بعض المعاهد الفرنسية التي تفرض لأبناء المسلمين نسبة معينة لا تتعداها مهما كانت ظروف أهليهم

وذلك لكي يقترن الإسلام بالجهل وتلصق بالمسلمين ظلماً وصمات التعصب والتأخر وعدم الرقى والخروج عن ركب الحضارة في القرن العشرين .

هذه سياسة أمة تقول أنها أعلنت حقوق الإنسان وبشرت العالم بدين جديد بمبادئه وبالحرية والعدالة والمساواة ، وأنها هدمت بثورتها صروحاً للاستبداد ويزيد الفرنسيون على ذلك قولهم أنهم حملوا أعلام الحرية والرقى والسعادة إلى بلاد الجزائر، ولقد رأيت فيما تقدم البراهين القوية على سيطرتهم وجبروتهم وإفلاسهم في حكم الجزائر .

ليس لدينا للآن دليل قاطع على توجه العالم نحو المثل العليا بل إن موقف مجلس الأمن إزاء قضايا مصر وفلسطين وأندونيسيا ليس مشجعاً ولعل انقسام الكرة الأرضية إلى معسكرين من أسباب هذه الرجعية القائمة في أنحاء الدنيا .

ولكن الشعوب مهما كانت الظروف القائمة عليها أن تشق طريقها إلى حياة النور وأن تعمل لتتغلب على المصاعب القائمة حتى تفرض شخصيتها وآمالها وأهدافها على العصر الذي تعيش فيه .

سيكون الطريق وعراً أمامنا والعقبات صعبة في صعودنا نحو الحرية والعدالة ولكننا لن نرجع عن طلب معاملة الند للند وأن يعتبرنا العالم مجموعاً حياً راقياً ؛ نملك من حق الرعاية والمعاملة ما يملكه أى مجموع أوربى راق يسير نحو التطور إننا نفضل أن نفنى جميعاً من أن يحاول العالم إرضاءنا بالعرض دون الجوهر أو يلهينا بالاقوال دون الحقائق . إننا نأخذ عقلية أوروبا لنتغلب على جبروت أوروبا .

أحمد رمزى

الخمرة النصرانية ومجالسها في العصر العباسي

للأستاذ شكري محمود أحمد

اشتهرت الخمرة النصرانية بالجودة والقدم ، كما عرفت برائحتها الذكية وطعمها اللاذع ، فتغنى الشعراء بذكرها ، وفتنوا بنعتها ، فوصفوا الكأس والنديم والنقل والزهر والتحايا (١) والصبوح والغبوق وكل مايتعلق بمجلسها من عزف وزف وغناء وقيان وسقاة وتهتك ومجون ، وما يتبع ذلك من حوادث مشهورة ، وأخبار مذكورة وقصائد طريفة ونعوت جميلة حفلت بها كتب الأدب والسير والشعر .

وقد نعتت الخمرة بالقدم ، فهي تذكر نوحاً حين شاد الفلك ، بل هي ترب الدهر في قدمها ، عاشت معه ، ودرجت في حجره ، حتى لو أنها احتبت بين الندامى لقصت عليهم قصة الأمم ، وروت لهم حوادث التاريخ . . . وهي عجوز قد علت على الحقب حتى عكفت عليها بنات الدهر ، وعجمت الغير حتى اختمرت بخمار الشيب وهي في رحم الكرم ... ثم هي شقيقة النفس تنفي الهم وتذهب الحزن فتجعل السقيم صحيحاً ، والقبيح جميلا ، والصغير كبيراً ...

وربما عبدها بعضهم ، فأثنى عليها بآلائها ، وسماها أحسن أسمائها ، ونزهها عن الغر الفدم الذي لا يعرف لها قدرها ، وخص بها السادة الكرام من كل مطير الكف يطرب للندى ...

وكانت الخمرة عندهم لذة العمر وغاية الغايات ، لا تطيب لهم الحياة إلا بها ، ولا يصفو العمر إلا بين كأس وعود وقينة . . . وقد رضي أبو نواس من الدنيا بكأس وشادن . . وكان الغنم عنده أن يتمتعه السكر ، والغرم أن يلقى صاحياً . . بل تمنى بعضهم سكرة شيطانية قبل موته تترك الصبيان خلفه يتصايحون : يا سكران . ثم يغسل بالخمر ، ويكفن بأوراق الكرم ، ويدفن بعد ذلك إلى جنب كرمة لتروى عروقها عظامه ، ويجعل أقداح الخمر حول قبره ..

***

عرف النصارى بتعتيق الخمر ، كما عرفوا بنظافة الآلة وجودة الشراب ، وجمال الحانات ، وتزيين مجالسها بأصناف الزهر والنقل ، ووصفوا بحسن الخلق ولين الجانب ، ولطف المساومة وصباحة الوجوه وجمال القسمات ، لذلك كان الشعراء والمجان وأهل التهتك والتطرح يقصدون الأديار في الليل والنهار ، ويختلطون بالرهبان والراهبات وفتيان الأديار، ينادمونهم ويشربون على وجوههم ، فيطربون ويلتذون ...

وكان الخلفاء أنفسهم يستقدمون من اشتهر من بينهم وعرف منهم لذلك لما أراد الواثق بالله الخليفة العباسي أن يعقد حانتين له ولأصحابه ، إحداهما على شاطىء دجلة والأخرى في دار الحرم (١) « أمر أن يختار له خمار نظيف ، جميل المنظر ، حاذق بأمر الشراب ، ولا يكون إلا نصرانياً من أهل قطربل ، فأتى له بنصراني له ابنان مليحان ، وبنتان بهذه الصفة ، فجعلهم الواثق في الحانتين ، وضم إليهما خدماً وغلماناً وجواري رومية . وأخدم النساء في حانة الحرم ، والرجال في حانة الشط ». (٢)

أما بيوت الشراب التي كانت تخزن فيها الخمور فلم أجد من وصفها لنا غير أحمد بن جعفر بن شاذان في كتابه « أدب الوزير » قال :

« وينبغي لبيت الشراب أن يكون له بابان واسمان و كوتان، فأما الباب الواسع ففي يسار القبلة من قبل ريح الجنوب ، وأما الباب الضيق فمن قبل الشرق عن يمين القبلة من قبل ريح الشمال ».

« وينزه بيت الشراب عن كل ريح كريه وكل قذر ، وليكن بين كل وعائين من أوعية الشراب ذراع ولتكن مواضع الأوعية

---

(١) التحايا جمع تحية وهي الرياحين والزهور التي كانت تزين بها مجالس الشراب وكانت تسمى أيضاً العمارة والعمار ومنه قول الأعشى :

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وكانوا إذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً من الريحان وحيوه به ، وللنابغة في مدح آل جفنة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب عيد للنصارى وهو يوم الشعانين .

(١) تقع دار الحرم بالنسبة إلى خطط بغداد في هذا العهد في محلة « الدهانة » وكانت فيها القبة المعروفة بقبة الحمار .

(٢) مسالك الأبصار ص ٣٩٣

جافة ، فإن كانت ندية فلتفرش بالآجر أو الحجارة ، وتقدير المصرة أن يكون طولها ضعف عرضها ».(١)

وقد كان الرهبان أنفسهم يعصرون الخمرة ، ويحفظونها فى مخازنها التى كانت فى الغالب تحت الأرض ، وقد وصف الشعراء الهينمة حول الدنان وتلاوة المزامير والإنجيل ، ومن ذلك قول أبى نواس :

وخمر كمين الديك أصبحت سحرة — وقد همّ نجم الليل بالخفقان
ندبت لها الخمار فانصاع مسرعاً — إلى عدد من اكؤس ودنان
دراسته الإنجيل حول دنانه — بصير ببزل الدن والكيلان(٢)

وفى مثل هذا المعنى قال عبد الصمد بن بابك :

هينم القس حولها وتغنى — بمزامير دونها الزمار
ثم لما انتمت إلى دين عيسى — شد فى حقو كأسها زنار

ومن طريف ما جاء فى وصف الجودة بالقدم قول شهاب الدين التلمفرى ، فقد جعلها تروى حديث آدم وابليس ، وما كان بين سليمان وبلقيس ، وأن الرهبان يتلون الأناجيل لها إذا احضرت ، ويسبحون ويقدسون بأعظم ما يكون التسبيح والتقديس ، قال :

عج حيث تسمع أصوات النواقيس
من جانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبراً عن كميت اللون صافية — قد عتقتها أناس فى النواويس
مرّ الزمان عليها فهى تخبر عن — ما كان من آدم قدماً وابليس
ترى الرهابين صرعى من مهابتها — إذا بدت بين شماس وقسيس
تتلى الأناجيل تعظيما إذا احضرت — لها بأشرف تسبيح وتقديس
لها أحاديث ترويها إذا مزجت — فى كأسها عن سليمان وبلقيس
يسعى بها من نصارى الدير بدردجى
يميس فى فتيــة مثل الطواويس

وامتاز سقاة الخمر من النصارى بحسن صفتهم ، ونظافة آلتهم ، وطهارة دنانهم ومبازلهم ، لأنهم انفردوا — فى الغالب —(٣) بمصرها وتعتيقها ، لذلك أقبل عليهم المجان والخلفاء ، حتى صارت الأديرة مطارح أهل اللهو ، ومواطن ذوى الخلاعة ، كما أصبحت ملتقى العشاق ومأوى الفساق ، لأن مجالس الشرب واللهو كانت تعقد فى الرياض والبساتين فى جوار الأديرة وخلف البيع والمعابد ، لأن الحانات كانت ملاصقة لها .

حدثنا العمرى فى مسالكه قال : « كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال ، مهما وقع فى يده شىء من المال أتى به دير حنة فيشرب حتى يسكر ثم ينصرف ، وهو القائل :

مالذة العيش عندى غير واحدة — هى البكور إلى بعض المواخير
لخامل الذكر مأمون بوائقه ، — مهل القياد ، مَن العزه المدابير
حتى أحل على دير ابن كافرة — من النصارى ببيع الخمر مشهور
كأنما عُقد الزنار فوق نقا ، — واعتم فوق دجى الظلماء بالنور(١)

وربما أثرت هذه المجالس المرحة والحياة الناعمة رهبان الدير ومن فيه ، فتركوا ماهم عليه من نسك وعبادة وزهد ، وانغمسوا فى ملاذهم ، وتبعوا أهواءهم ، نخلعوا العذار ، ونهزوا مع الغواة بدلائهم ، وأساموا سرح اللهو كيفما شاؤا .

وقد اشتهر من هؤلاء قس كان بالحيرة ، ذكر خبره الخفاجى وياقوت ووصفه بعضهم قائلا :

إن بالحيرة قساً قد مجن — فتن المجان فيــه وافتتن
هجر الإنجيل من حب الصبا — ورأى الدنيا متاعاً فركن

وكان لهذا القس قلاية فى ظاهر الكوفة ذكرها محمد بن عبد الرحمن الثروانى ، وطلب أن يكون ريحانه من قلاية هذا القس قال :

خليلى من تيم وقيس هديتما
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحيــة — فلا تعدوا ريحان قلاية القس(٢)

وكانت هذه الأديار تقصد فى الليل والنهار ، ويقدم إليها أهل الطرب والمتعة من الأماكن البعيدة فى السفن والسميريات أوعلى الخيول . وهناك يختلطون بالرهبان والراهبات ، يشربون معهم ويتغزلون بهم ، وربما صرعوا الراهبات بالخمر ، فيبدلن الخفر

(١) أدب الوزير ص ٣٩ ، ٤٠
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٣٤٢
(٣) ربما كان الساقى من غير النصارى ، بل ربما كان مسلماً . جاء فى الشابشتى ورقة ٢٠ ، ٢١ « ذكر أبو الشبل البرجى قال : صرت وأنا مخمور إلى قطر بل ، فدعونا خماراً فقلنا : ائتنا ببنت عشر قد أنفجها الهجير فجاء بها ، فقلنا : اسقنا ، فسقانا . فقلنا : اسقنا واشرب ، فقال : أنا مسلم وكان يهودياً قد أسلم » .

(١) مسالك الأبصار ص ٣١٢
(٢) شفاء الغليل ص ١٦٢ ومعجم البلدان ج ٧ ص ١٤٣

بالتهتك، والحياء بكشف النحور والسيقان. وفى مثل هذا يقول جحظة البرمكى الذى لا يريد أن يبقى فى حانة واحدة يقضى فيها لذته بل يريد أن ينتقل من البردان إلى أوانا ثم إلى دير العلث. وهو لا يكفيه دن(١) من الخمور بل دنان.. ودنان.. قال:

أيهـا الحاذقان بالله جدا … وأصلحالى الشراع والسكانا(٢)
بلغانى – هديتما – البردانا … وأزلا لى من الدنان دنانا
وإذا ما أقمت شهراً تماماً … فاقصـدا بى إلى كروم أوانا
واحططا لى الشراع بالدير بالعلث … لعـلى أعاشر الرهبـانا
وظباء يتلون سفراً من الانـ … جيل باكرن سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثياباً … جعـل الله تحتها أغصانا
خفرات، حتى إذادارت الـكأ … س كشفن النحوروالسيقانا(٣)

وقريب من هـذا قول أبى نواس وقد خرج إلى دير نهرازان(٤) فى بعض أعياده مع جماعة من عصابته، لـكنه لم يصرع راهبة بل كان «يلهو» بظبى من ظباء الدير كان يدير عليهم الخمر – قال:

بدير نهرازان لى مجلس … وملعب وسط بساتينه
رحت إليـه ومعى فتيـة … نزوره يوم شـعانينه
بكل طـلاب الهوى فاتك … قد آثر الدنيا على دينـه
وجىء بالدن على مرفـع … وخاتم الملح على طيـــنه
وطاف بالـكأس لنا شادن … يدميه مس الـكف من لينه
فـلم يزل يسـقى ونلهو به … ونأخـذ القصف بآيينه(٥)

وربما هاجت بهؤلاء المجان طربات، وثارت بهم نزوات، وهم ينزفون الدنان، على غناء القيان، وعزف الأوتار، ونقر الدفوف، وحث الـكؤوس ... وربما ذكروا الصـلاة وهم فى حالهم هذه، وقد فاتهم أوانها، فيسرعون إليها متعثرين كأنهم يقلعون أرجلهم من طين.. وفى مثل هذه الصفة يقول إسماعيل ابن عمار الأسدى يذكر سكرة له بدير اللج مع صحب من عصابته ومعهم سعدة والزرقاء «سلامة» وربيحة، وهن جوار مغنيات كن لابن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان وهى أبيات ظريفة منها:

ما انس سعدة والزرقاء يومهما … باللج، شرقيه فوق الدكاكين
تغنيانا، كنفث السحر تودعه … منا قلوباً غدت طوع ابن رامين
نسقى شراباً كلون النار عتقه … يمسى الأصحاء منـه كالمجانين
إذا ذكرنا صلاة بعد مافرطت … قمنا إليها، بلا عقل ولا دين
نمشى إليها بطاء، لا حراك بنا … كأن أرجلنا يقلعن من طين
أو مشى عميان دير لادليل لهم … سوى العصى إلى عيد الشعانين
أهوى ربيحة إن الله فضلها … بحسنها، وغناء ذى أفانين(١)

وربما سكر هؤلاء المجان مع قسيس الدير، وقد شمطت يداه وأرعشه الإدمان، فيبكى ويغنى، ويشرب دمعه وخمره، تمده أريحية مخمورة، وعاطفة مسجورة، وفى مثل هذه الحال يقول جحظة فى دير العذارى الذى فى سامراء، وفيها أبيات وجيعة تنتفض ألماً ورقة، قال:

ألاهل إلى دير العذارى ونظرة … إلى الخير من قبل الممات سبيل
وهل لى بحانات المطيرة سكرة … تملل نفسى، والنسيم عليل
إلى فتية ما شتت العذل شملهم … شـعارهم عند الصباح شمول
وقد نطق الناقوس بعد سكوته … وشمعل قسيس، ولاح فتيل
يريد انتصاباً للقيام برغمه، … ويرعشـه الادمان فهو يميل
يغنى وأسباب الصواب تمده … وليس له فيما يقول مثيـل:
(الأهل شم الخزامى ونظرة … إلى الخير من قبل الممات سبيل)
وثنى يغنى، وهو يلمس كأسه، … وأدمعه من وجنتيه تسيل:
(سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى … ويحدث بعـــدى للخليل خليل)
سقى الله عمراً لم تكن فيه عُلقة … لهمّ، ولم ينكر علىّ عذول(٢)

(١) الدن: الراقود العظيم يكون من الفخار أو الصلصال فى أسفله كهيئة قونس البيضة، له عسعس، لا يقعد إلا أن يحفر له فى الأرض. قال ابن دريد: الدن عربى صحيح. وأنشد «وصلى على دنها وارتسم» وقد نقله عنا الغربيون ببعض التحريف فقالوا «Tonne» ثم عاد المعاصرون منا فأخذوه من الغربيين فقالوا «طن»، ويراد به برميل ضخم يسع من السوائل ألف كيلوغرام، وكل ما يزن ألف كيلوغرام يسمى اليوم فى العراق «طن»

(٢) السكان مستعمل اليوم فى عامية أهل العراق بهذا المعنى، وكل ما يوجه آلة يسمونه سكاناً.

(٣) الشابشتى ورقة ٤٣

(٤) لم أعثر على هذا الدير فى معجم ياقوت ولا الشابشتى ولا العمرى ولم أجد هذا الاسم إلا فى شعر أبى نواس، ولعله من ديارات الشام.

(٥) ديوان أبى نواس ص ٣٤٧ والآيين فارسى معرب معناه السياسة والأسلوب.

(١) معجم ما استعجم ص ٦٤٩

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥٧

وقد كان هؤلاء النصارى يتوسلون بكل ذريعة لاجتذاب المجان، وأهل اللهو وعشاق الخمور، وفي طليعة ما يتذرعون به تجويد الشراب واختيار السقاة والمغنين والمغنيات وتهيئة ما يلذ به الشارب والماجن من وسائل التلذذ والطرب، وربما كانت ابنة القس تدير الكأس على أحلاسها، أو راهبة الدير تبيع لهم الخمور، وما أطيب الكأس من كف خود رعبوب... قال شهاب الدين العمري في الدير الأبيض من أديرة مصر:

وكأس المدام علينا تطوف بحمراء صافية كاللهب
يطوف بها من بنات القسو س باخلة الكف ليست تهب
مبتلة بين رهبانها لألحاظها في حشانا لهب
مسيحية طلعت في الصبو ح، كصبح أطل وليل ذهب (١)

وربما جرت في مجالس الخمرة أمور مما «يحسن» الظن عندها كما يقول ابن المعتز «فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر»، وقد يبلغ الفسق منتهاه في غالب الأحيان، فلا رادع للقوم من دين، ولا وازع لهم من أخلاق، يحتسون الخمور على أصوات العود والناي، وتبلغ الفوضى بهم غايتها، فلا تجد إلا قبلاً وعناقاً، وانسان سوء «خلف» انسان ... قال جحظة في دير الزندورد (٢)

سقياً ورعياً لدير الزندورد وما يحوى ويجمع من راح وغزلان
دير تدور به الأقداح مترعة، بكف ساق مريض الجفن وسنان
والعود يتبعه ناي يوافقه، والشدو يحكمه غض من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا وذاك انسان سوء خلف انسان (٣)

وحدث أن مر الشاعر الكندي المنبجي بدير مار ماعوث فاستحسنه ورأى غلاماً في رهبانه جميلا يلثغ بالسين يجمله ثاء

(١) مسالك الأبصار ص ٣٨٣

(٢) كان دير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد، وكانت أرضه مزروعة بالفواكه والأترج والأعناب. أما موقعه بالنسبة لخطط بغداد اليوم فيقع في محلة الباوين والسعدون. وكان بستان الأرفلي ومدرسة الراهبات من ضمن أراضيه، واليوم أصبحت محلة معمورة. وقرب تمثال عبدالمحسن السعدون كانت كنيسة للنصارى هدمتها أمانة العاصمة قبل عشرة أعوام تقريباً.

(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤

قال: «فشددت سميريتي إلى جانب الدير، واشتريت شراباً من الرهبان، وبت هناك منادماً لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل أنشدته:

ومورد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
ذي لثغة فتانة فيسمى الطا ووس حين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فأجابني: لا والمثيح وحرمة الناقوث
حتى إذا ما الراح سهل حثها منه المسير بكاسه المحثوث
نلت الرضى وبلغت قاصية المنى منه برغم رقيبه الديوث (١)

وإذا أردنا استقصاء ما كان يدور في الديارات من تهتك وتطرح ومجون لعز الطلب واحتاج ذلك إلى كتاب في أجلاد

(بغداد) **شكري محمود أحمد**
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) مسالك الأبصار ص ٢٦٢ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٧٦

الخلان والزمان

بين أبي فراس والبارودي

للأستاذ محمد محمد الحوفي

- ٢ -

وبعد فلو أننا قدمنا ذلك الشعر باسم البارودي ، لم نتجن على الحقائق ، ولم نسيء إلى أحد الشاعرين : فإن هذه المعاني التي عرضناها لأبي فراس في موضوع الصداقة — هي بعينها المعاني التي قالها البارودي ، والتي سنعرض شيئاً منها كذلك .

كيف اتفق البارودي مع أبي فراس في الحكم على الناس ؟

وليس الجواب عن هذا السؤال عسيراً ، إذا عرفنا أن البارودي كان كأبي فراس — عبقرياً في الحرب وفي السياسة وفي الشعر . حارب غير مرة فظفر ، ولجيء إليه عند الأزمات السياسية فصفى الماء العكر ، وتمهد الشعر العربي فأجدّه بعد أن نخر .

والناس كما أسلفنا — في كل زمان يكيدون للنابغين كيداً ، ويتربصون بهم الدوائر حقداً ؛ والحق أن أبصر الناس بالناس هم العباقرة ؛ لأنهم هم الذين يتلقون حقدهم ، وتنكشف أمامهم خبايا نفوسهم .

فالبارودي إذ يتحدث عن الصحاب ، إنما يصدر عن تجربة . ثم كان عصر البارودي مشحوناً بمحنه وفتنه على تمييز المخلص في صداقته من المخادع ؛ إذ كانت الفتن الداخلية السياسية على أشدها ، وكان المقربون من الخديو غرضاً يرميه الوشاة بخزعبلاتهم ، وكان بعض هؤلاء المقربين يشي ببعض ، فيتهم أحدهم الآخر بممالأة الشعب ، وتحريضه على الثورة ، أو حثه على إحراج الخديو ، وكان الإنجليز يتسقطون الأخبار ليعرفوا حركات الزعماء ونواياهم ، فكثرت الدسائس والوشايات واستطاع شانئو البارودي أن يدسوا عليه ، وأن يلقوا عليه مع سائر الزعماء تبعة الثورة العرابية .

ثم كان نفيه — كأسر أبي فراس — آخر محك للصداقة ، وأصدق معيار لمن يدعون الوفاء ، حيث تراجع عن صداقتهم المدعون ، وكشفت المحن ضمائر المستورين .

وليس يفوتنا هنا كذلك أن من أسباب كثرة الحساد للبارودي ، غلوه هو أيضاً في الفخر ، وشدة غروره بنفسه وبنسبه ، وقد كان في عصره كثيرون غيره ، يرون أنهم أعرق منه أصلاً ، وأشرف محتدا ، فلابد أن يوغر صدورهم فخره .

وكما خبر أبو فراس الناس خبرهم البارودي حتى مله الاختبار ، فرأى مودتهم كذاباً ، وقلوبهم ليست مثل ألسنتهم ، فيئس من العثور على صديق صدوق !

ولقد بلوت الناس في أطوارهم ... وملت حتى ملني الإبلاء
فإذا المودة خلة مكذوبة ... بين البرية والوفاء رياء
كيف الوثوق بذمة من صاحب ... وبكل قلب نقطة سوداء
لو كان في الدنيا وداد صادق ... ما حال بين الخلتين جفاء
فانفض يديك من الزمان وأهله ... فالسعي في طلب الصديق هباء

والناس أعداء في الغيب ، ولكنهم عند الحضور صحب :

أنا في زمان غادر ومعاشر ... يتلونون تلون الحرباء
أعداء غيب ليس يسلم صاحب ... منهم وإخوة محضر ورخاء
أقبح بهم قوما بلوت إخاءهم ... فبلوت أقبح ذمة وإخاء
وأشد ما يلقى الفتى في دهره ... فقد الكرام وصحبة اللؤماء

وهذه نصيحة يوجهها إليهم عن تجربة :

بلوت سرائر الإخوان حتى ... رأيت عدو نفسي من حبيبي
فلا تأمن على سر صحابا ... فإنهم جواسيس العيوب

ويحرص البارودي على أن يعرفك أنه خبر الصحاب وجربهم ، فقلما يذكرهم إلا يذكر أنه ابتلاهم :

بلوت إخاء الناس دهراً فلم أجد ... أخا ثقة يرعى مغيبي كمحضري

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صاحباً ... يدوم على ود بغير تكلف

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صادقاً ... فأين لعمري الأكرمون الأصادق

ويعتبر البارودي كذلك شرفاً له أن يحسد .

ليضن بى الحساد غيظاً فإننى   لآنافهم رغم وفى أكبادهم وقد
أنا القائل المحمود من غير سبة   ومن شيمة الفضل المداوة والضد
فقد يحسد المرء ابنه وهو نفسه   ورب سوار ضاق عن حمله العضد
فلازلت محسوداً على المجد والعلا   فليس بمحسود فتى وله ند

ونفسه تواقة إلى خل وفى يشكو له فيسمع ، ويحسن إليه فينمو إحساسه ويترعرع .

فمن لى وروعات المنى طيف حالم   بذى خلة تزكو لديه الصنائع
أشاطره ودى وأفضى لسمعه   بسرى وأمليه المنى وهو رابع

وما أشد حاجة الإنسان إلى خلٍّ رضى ، يعاشره على سجية :

متى يجد الإنسان خلا موافقاً   يخفف عنه كلفة التحفظ
فإنى رأيت الناس بين مخادع   لإخوانه أو حاسد متغيظ

الدهر

قلنا إن والد أبى فراس خلفه فى الثالثة ، فشب يتيما يرى كلا يفخر بأبيه وينال حنانه إلا نفسه . أين أبى ؟ ولماذا قتل وحده فى الحرب دون آباء هؤلاء اللدات ، ولم أعجلته المنية قبل أن أملى به عينى ، وألمس عطفه على ؟ يا لك من دهر !!

وقلنا إن نفس أبى فراس كانت طموحاً عالية ، وإنه شمخ على أسرته وسائر الناس ، فكرهوا منه ذلك ، ولا سيما أنه ليس لديه من الأموال ما لدى غيره من الأمراء ، فانصرف عنه الناس إلى أقرانه من أسرته فأحس أن أخلاق الصحاب نفعية ، لا تصمد عند الشدائد ، وقوى هذا الإحساس حينما أسر فتفرق من حواليه مدعو صداقته ، وأمعن الحساد فى شماتتهم به .

وما دام الدهر خلواً من الأخلاء والأوفياء ، مليئاً بكيد الحساد والشامتين ، فهو دهر ثقيل ، يلعنه صاحبه فى كل مقال

ونقول هنا كذلك : إن أبا فراس نشأ فوجد ابن عمه سيف الدولة أمير حلب وهو فيها صاحب العز والغلب ، مهيب جانبه من الروم والعباسيين وسائر دويلات العرب . . . وأبناء العمومة فى مرتبة واحدة يرى كل منهم نفسه نداً للآخرين ، له محامدهم ، وفيه أمجادهم .

ونظر أبو فراس إلى ابن عمه ، فرأى نفسه وإياه فى مرتبة واحدة ، وقارن بين حاله وحال سيف الدولة فلمس فروقاً شاسعة: أمير مملك يحتفى به ويخشى منه ، وأمير يتيم فقير ، لا سلطان له على الناس حتى يرهبوه ولعل أبا فراس فكر فى فضائل سيف الدولة ، وأسباب سيادته على قبيلته ، فوجد الفضائل عنده هو أتم ، وأن سيف الدولة فيه من المعايب ما ليس فى نفسه .

ولعله كذلك ذكر أن أباه — وقد كان عم سيف الدولة — كان هو الأحق بالإمارة من ابن أخيه ، فتقاليد الحكم أن يلى الملك أكبر رجال الأسرة وأقربها إلى أصولها .

وما دام والد أبى فراس كان أحق من سيف الدولة ، وما دام أبو فراس يرى فى نفسه المثل العليا للشجاعة والكرامة والجد — فلابد أن يكون قد حدث نفسه بأن تئول إليه المملكة ، بعد وفاة سيف الدولة .

أقرر هذا معتمداً على شعر أبى فراس نفسه ، ومستعيناً بسياق الحوادث التاريخية وإن لم تُصرِّح .

وما كان لإنسان عادى ، لا يترقب الملك أن يقول :

علىَّ طلاب العز من مستقره   ولا ذنب لى إن حاربتنى المطالب

أيكون للعز مستقر — عند الأمراء — غير الملك ، وإذا لم يكن الملك فلمَ يقول : « ولا ذنب لى إن حاربتنى المطالب » ، إنه يريد بمحاربة المطالب ، مقاومة الظروف وعجزه عن التربع على الإمارة فى حلب ، ووقوف الحساد فى سبيل غايته .

وما كان لغير طامع فى الإمارة أن يقول :

يصان مهرى لأمر لا أبوح به   والدرع والرمح والصمصامة الخذم
إنى أبيت قليل النوم أرقنى   قلب تكاثف فيه الهم والهمم

وأن يقول :

ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها   فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه   كما دافع الدين الغريم المماطل

وأن يقول :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا   بما وعدت جدى فىَّ المخايل

***

على أن ما وقع من أبى فراس عقب موت سيف الدولة

يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أبا فراس كان يحدث نفسه بالإمارة : فقد خرج الشاعر بحمص على أبى المعالى بن سيف الدولة ، وحاول أن يحل محله ؛ ولكن أبا المعالى وقر عويه هزماه ، ويقال إنه قتل فى هذه المعركة وبعد :

فليس بدعا من أبى فراس أن يردد الشكوى من الدهر ، ويحقد عليه فى كل قول ، بعد أن حاربه فى أبيه ، وفى أصدقائه ، وفى أمانيه

***

وليس الذى لفتنا فى شعر أبى فراس مجرد الحديث عن الدهر، ولكنه تكرار هذا الحديث حتى ليصح أن نسمى شعره كله بالشعر الدهرى ثم اتفاق كل هذه الأحاديث الدهرية على لعنة الدهر ، والثورة على صروفه وظروفه .

فترى أبا فراس يصور الدهر المدافع لطموحه مماطلا يدافع غريمه :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا بما وعدت جدى فى المخايل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه كما دافع الدين الغريم المماطل

ويقول لسيف الدولة أول أمره :

وما أنا إلا بين أمر وضده يجدد لى فى كل يوم مجدد
فمن حسن صبر بالسلامة واعد ومن ريب دهر بالردى متوعد

ويذكر أن أصحابه يوم أسره ، كانوا قد أشاروا عليه بأن يحجم فرفض وأن الدهر هو المسئول عن إخفاقه فى هذا اليوم :

يقولون جاهد . عادة ما عرفتها شديد على الإنسان مالم يعود
فقلت : أما والله ما قال قائل شهدت له فى الخيل الأم مشهد
ولكن سألقاها فإما منيـة هى الظمن أو بنيان عز مشيد
ولم أر أن الدهر من عدد المدا وأن المنايا السود يرمين عن يد

ثم يحاول أن يثبت أمام طعنات الزمان ، وأن تصدق فراسته فيه ، فيقول :

وقور وأهوال الزمان تنوشنى وللموت حولى جيئة وذهاب
وألحظ أهوال الزمان بمقلة بها الصدق صدق والكذاب كذاب

ويقول :

ومن ورد المهالك لم ترعه رزايا الدهر فى أهل ومال

وقد حالفته صروف الدهر حتى توهمت نفسه أنه لا يعتد لها ، لأنه ألفها :

لا أقتنى لصروف دهرى عدة حتى كأن صروفه أحلاف

ويقول فى هذا المعنى أيضاً :

وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد حتى أنست بخيره وبشره

ثم يشرك معه بنى حمدان فى عدم المبالاة بالدهر :

نظرنا إلى هذا الزمان بعينه فهان علينا ما يشت وينظم

ولكنه بعد هذا التجلد للدهر والاستهانة به . يكرر التظلم منه . فالشيب عنده أهون رزايا الدهر :

وقلت الشيب أيسر ما ألاقى من الدنيا وأيسر ما أدارى

وهو فى استعطاف سيف الدولة يعده جنة من ريب الدهر :

فقولا له يا صادق الود إننى جعلتك مما رابنى الدهر مفزعا

ويعجب أن ينكر عليه سيف الدولة شكوى الزمان :

أتنكر أنى شكوت الزمان وأنى عتبتك فيمن عتب

ويستعطف سيف الدولة بأن حوادث الأيام جرحت قلبه :

زمانى كله غضب وعتب وأنت علىّ والأيام إلب
فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب

ثم يشكو تعاون سيف الدولة مع الدهر على اضطهاده :

فيا حكمى المأمول جرت مع الهوى
ويا ثقتى المأمول جرت مع الدهر

ثم يستضعف أبو فراس نفسه - على غير عادته - ما لم يعاونه أصدقاؤه على صد هجات الدهر ، ولذا يتغاضى عن ذنوبهم ، لكيلا يذروه وحده أمام الدهر :

واعلم إن فارقت خلا عرفته وحاولت خلا أننى غير واجد
وهل نافعى إن عضنى الدهر مفردا
إذا كان لى منهم قلوب الأباعد

(البقية فى العدد القادم)

محمد محمد الحوفى

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

— ٣ —

ليست علاقة الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا بالأدب قريبة ولا واهية وإنما هى علاقة قديمة وثيقة انحدرت إليه من آبائه وأجداده الذين كانوا يحتفون بالأدب ويحتشدون لأهله ويبذلون لهم المكرمات والروءات بذل السماح . ولعل من أطرف مايروى فى هذا الصدد خبر الغرفة التى أقامها الأستاذ إبراهيم دسوق أباظة باشا فى بيته بقرية « غزالة » لحافظ أبراهيم يلم بها بين الحين والحين فيجد العيش اللاين ، والرزق الوفير ، والحياة الرتيبة ، والتى أطلق عليها اسم « غرفة حافظ » وجعلها حراماً على سواه ، وما زالت مغلقة إلى الآن لا يغشاها إنسان ؟

ولعل بعض القراء ما زال يذكر المقالات الطويلة والفصول الضافية التى كان يدبجها معالى الأستاذ فى جريدة « السياسة الأسبوعية » فى صدر حياتها وفى « السياسة اليومية » فى أول نشأتها بقلم يشهد له بالبلاغة والبيان ، وأنا أعلم أن شوق كان يسعى إليه جاهداً بكل رواية من رواياته الأخيرة ويأبى إلا أن يهدى إليه أول نسخة تخرجها المطبعة ! ولعل الكثير من القراء لا يعرف أنه شاعر تلين له القوافى لأنه لم يجتمع له ديوان منشور ، ولأن أغلب شعره إما أن يكون معارضة لطيفة ، أو نكتة طريفة أو جواباً عن سؤال ، أو تزجية بشرى ، أو إرسال تهنئة ، وما إلى ذلك من مختصر القول ومقتضب الكلام ، وأنا أسوق إلى القراء نموذجاً واحداً منه يدلهم على مبلغ أصالته فى الشعر وعراقته فيه قاله فى تهنئة صديقنا الشاعر طاهر أبو فاشا على زواجه منذ أعوام قريبة فى قصيدة طويلة منها :

بنيت بالأمس سراً   شحا وبخلا وغدرا
هلا دعوت ضيوفاً   لا يسألونك كثرا
غر ميامين جاءوا   دمياط براً وبحراً(١)
إن شئت قدمت فولا   جرى بدمياط ذكرا
« التابعى » (٢) طهاه   فكان فى الصحن تبراً !

(١) كان معاليه يومئذ يصطاف برأس البر ..

(٢) بائع فول شهير بدمياط

إلى أن قال فى ختامها : —

دفنت بالله مهراً   أم كان شعرك مهراً ؟
أعطاك ربك ألفاً   من البنين وعشراً
وصاغ منك ومنها   صنوين : شمساً وبدراً

فكان أمراً طبيعياً أن ينعقد له لواء رياسة جماعة أدبية كل وكدها خدمة الأدب والأدباء « وبعث مجد الضاد وآدابها » كما يقول ، « وإحياء التراث الإسلامىّ والمفاخر العربية » كما يقول سكرتير الجماعة .

والمتأمل فى منهاج هذه الجماعة وهو منهاج حافل حاشد كما صوره رئيسها وبعض رجالها يجد أن الجامعة لم تحقق أو لم تكد تحقق منه شيئاً ! فمن منهاجها « أن تحيى التراث الإسلامى » وهى لم تصنع فى ذلك شيئاً .

ومن منهاجها « تزويد المكتبة العربية بزاد متصل من الآراء الحرة الكريمة » وهى لم تزود المكتبة العربية بعد إلا بكتابها هذا الذى نحن بصدد الحديث عنه .

ومن منهاجها « النهوض بالفكر الإسلامى والبيان العربى » وهى لم تنهض بشىء من ذلك إلا طيفاً لا يكاد يرى !

ومن منهاجها « تقوية الصلات الفكرية والروحية والثقافية بين مصر والبلاد العربية » وهى لم تصنع فى هذا الصدد شيئاً أصلا..

ومن منهاجها « أن تشمل فى الشعب روح النضال والانتصار وأن توحد له الأهداف والأغراض وأن تفسح له آفاق الحياة وأحلام المجد » ونحن نعرف أن ذلك لا يكون إلا بالأناشيد التى تبعث فى الشعب الحياة والطموح والعزة ، وبالروايات التى تعيد إليه سابق مجده ، وماضى تاريخه ، وتستنفره للجهاد فى سبيل استرجاعه وإعادته ، وبقصص البطولة والتضحية — والتاريخ المصرى ملىء بحوادثهما — تذكى فيه العزائم الواهية ، وتحيى منه موات الهمم . وماذا رى جامعة أدباء العروبة فعلت من ذلك شيئاً

ولكن عذرها فى ذلك أنها لم يكد ينقضى على إنشائها إلا عام وهو — عندنا — عذر يشفع لها بذلك ، ولكننا ننبهها إلى ما أخذت به نفسها ، وما عاهدت الله والناس عليه وإنا لمنتظرون على أننا نربد على أن تضيف إلى منهاجها هذا أموراً هى عسية أن تحلها الصدر من منهاجها إن هى كانت جادة فى السعى لرفع

شأن الأدب والأدباء ، فعليها أن تعين رقيق الحال من الأدباء وتمدهم بما يمكنهم من طبع نتاجهم ونشره بين الناس ، وعليها أن تحيي الكنوز الدارسة من كتب الأدب العربي القديم وتعنى بتصحيحها وتنقيحها وإخراجها في ثوب قشيب فذلك أجدى عليها وعلى الأدب من ألف مهرجان ومهرجان . وعليها أن تعمد إلى أمهات الكتب الأجنبية — وبخاصة القصص الرفيعة — فتترجمها إلى اللغة العربية فتزيدها ثروة وذخيرة . وعليها أن تسعى جاهدة لدى الحكومة لتقرر ما ينتجه كرام الأدباء في مكتباتها وفي مدارسها فينتفع الأدباء وينفعون ، أما أن يكون كل عملها الطواف هنا وهناك وإلقاء كلمات مبتسرة ينشئها بعض أصحابها وهم في القطار ثم تجمع ذلك في كتاب تذيعه على الناس دليلا على وجودها وسجلا لجهودها فذلك عمل ضحل قليل الغناء ...

وكتاب « أدب العروبة » الذي نحن بصدد الحديث عنه كله — إلا القليل — من عمل أعضاء جامعة « أدباء العروبة » والمتأمل فيهم لا يجد بينهم واحداً من شيوخ الأدب وسدنته القدامى ، وكلهم لم يجاوز بعد مرحلة الشباب إلا الصديق الدكتور إبراهيم ناجي والصديق الأستاذ محمد مصطفى حمام فقد أوشكا أن يجاوزاها !

ويتألف الكتاب من الكلمات والقصائد التي ألقيت في سبعة مهرجانات أقامتها الجماعة في القاهرة وبعض المدن لمناسبات متفرقة أو للتنويه بشأنها والتذكير بوجودها ، ويفتتح الأستاذ الرئيس كل مهرجان بكلمة منه مختصرة تشرح أغراض الجامعة وتنبه إلى رسالتها وأهدافها ، وتمهد القول لمن يلونه من الخطباء والشعراء ... ويجد القارئ في الكتاب للأستاذ الدكتور محمد وصفي نائب الرئيس سبع كلمات لكل مهرجان كلمة ، وفي كلام الرجل لازمة خاصة يتميز بها ، فهو يجنح جنوحاً قوياً شديداً تدفعه إليه طبيعته الخاصة حتى لايعلك عنه منصرفاً إلى الاستشهاد الدائم بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ، وهذا حسن في ذاته ولكنه هو كل ما يصنع ! فهو يعمد إلى الآيات الكريمة التي تتصل بسبب قوي أو ضعيف إلى المناسبة القائمة ، ويجد في البحث والتنقيب عنها ، ثم يشرح معانيها التي احتوت عليها جميعاً ويسوقها معنى معنى حتى إذا استوفاها جميعاً ذكر نص الآية حتى ليخيل للقارئ أنه أتى بالآية استشهاداً لما قدم من المعاني ومطابقة له والحقيقة أنه اهتدى إلى الآيات أولا وأعدها للقول وأخذ في تفسيرها مقدماً حتى إذا أتمه جاء بالنص !

ولو أننا أخرجنا من كلامه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما بقي بعد ذلك شيء ؟ فليس له وراء ذلك إنشاء أو ابتداع أو كتابة فهو إلى المفسرين أقرب منه إلى الأدباء ..

وعجيب أن يقول الأستاذ طه عبد الباقي سرور سكرتير الجماعة في الكتاب ثماني كلمات ليست بالقصيرة ثم إنك لا تكاد تجد بينها فرقاً يحس أو اختلافاً يشعر به ، فالكلمات متشابهة متماثلة حتى لو أنك وضعت أي واحدة منها تحت أي عنوان منها ما أحسست نبواً ولا قلقاً ولا انحرافاً ! وكلامه — في عمومه — كلام عام لاخاصة له وأكاد أقول لامعنى له ، فهو يسوق الكلام يجر بعضه بعضاً دون حساب ولا تمهل ولا أناة فيقول فيما أسماه « فلسفة الربيع » « والربيع عصر المودة والسلام والإخاء إذا انطبعت روح الإنسان بتلك المعاني . وعهد حروب ودمار وخصومة وبغضاء إذا ثار في الإنسان جانب من جوانب الإلتواء » فأي كلام هذا ؟ وأي شيء فيه يجده القارئ ؟ وما علاقته بفلسفة الربيع هذه ؟؟ وهو يقول كذلك إن الإنسان « إن شاء أحال الوجود نعيما وهناء وسلاماً وإن أراد كان الوجود جحيما ورعداً وحرباً » وذلك كلام معاد قريب أين هو من الربيع وفلسفته ؟ وهو يقول مخاطباً القمر معدداً محاسنه « قد تمنى اسمك بنات حواء » وذلك إلى كلام العامة أقرب ، ويقول عنه إنه « يمين أقسم به الديان » ونسي أن الديان أقسم أيضاً بالتين والزيتون ؟ ولكنه السجع الذي يريد التزامه فتنبهر أنفاسه وتخرج سجعاته قلقة نابية غير مستقرة .

وكلمات الأستاذ ملأى بالأخطاء اللغوية التي كنا نود لو تنزه عنها سكرتير جماعة أدبية نريد لها النهوض والسير الحثيث والتقدم المطرد ، فهو يقول مقدماً الكتاب « هذا بعض تراثنا في عام » والتراث ليس نتاج الأحياء إنما هو ما خلف الأموات . ويقول عن الإنسان أن فيه معجزة كبرى « أودعها الله في روحه » والصواب أن يقول « أودعها الله روحه » . ويقول عن مهرجان القمر إنه « مهرجان النور والضياء » والله يقول « وجعلنا الشمس ضياء والقمر نوراً » . ويقول مخاطباً الإنسان « فانمْ

نشوة الخيام

للأستاذ حسن البحيرى

أدنِ منى ثغرك العذب وقبلنى ودعنى
أشرب النشوة من كأسى : رجاء ... وتمن
فعسى بعد جراحات صباباتى وحزنى
أن يعيد الوصل أفراح ربيعى فأغنى

ضمنى وارو غليلى يا حبيبى من لماكا
اسنى لم يبق لى فى كرَب العيش سواكا
شفنى وجدى ... ودائى ... ودوائى فى هواكا
آه من نار بجنبىّ ورتهـا مقلتاكا

هات من جام الصبا بين عمار (١) ورفيف (٢)
خمرة تذهل روحينا عن العيش الرّفيف (٣)
قبلما تعصف بالعمر أعاصير الخريف
فنروى زمن الأحلام بالدمع الذريف

عمرنا طيف تهادى من زوال لزوال
ولياليا ظلال تترآى فى ظلال
وأمانينا خيال حاكه وهم خيال
ومجالى عيشنا فى الدهر حال بعد حال

فارتشف راح الهوى من كأس حبي واسعد
لا تقل : لذة يومى أجتليها فى غدى
كم هفت فى العمر لذات وضاعت من يدى
هى بانت وأساها ظل فى قلبى الصدى

يا حبيبى أنا ضيعت ليالى الخوالى
فى دجى شكى وأطياف ظنونى وخيالى
حلم فى سانح الأوهام بالصفو بدا لى
ذبلت زهرة أيامى وحالى فيه حالى

لمحات من سنى ثغر أمانى الكذاب
ضيعت عمرى فى الوهم وأودت بشبابى
فأنا فى بحرها اللجى موصول العذاب
لم أنل إلا الصدى منها وبراقَ السراب

ما كفانى أنها ضاعت ليالى سدى
بين أسداف وأوهام ضلال وهدى
ما الذى نلت — على الأيام — من دهر عدا ؟
غير برق فى أضاليل أمانى بدا ؟

(١) الريحان . (٢) السوسن . (٣) السريع .

ولا تشق » والصواب أن يقول « فانعم ولا تشق » بحذف الياء وليس هذا تطبيعاً لأن السجعة التى تليها « وسبّحْ بحمد ربك الأعلى » فيوقعه السجع فى هذا الخطأ غير المقبول . ويقول فى وحي الهجرة « إننا فى مطلع عهد جديد وسعيد يهاجر فيه العالم الإسلامى للمرة الثانية إلى حياة الحرية والعزة والقوة ومن نذره وبوادره هذا المهرجان » والنذر — وهى لغة الإنذار والإبلاغ — لا تكون إلا فى التخويف ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابى ونذر ؟ » ويقول « ولقد كانت القبائل العربية قديماً تتناظر وتتبارز بالبيان واللسان » والمبارزة لا تكون إلا فى الحرب . ويقول متمماً هذا الكلام « فإذا غلب شاعر قبيلة شاعر القبيلة الثانية » والأولى أن يقول « فإذا غلب شاعر قبيلة شاعر القبيلة الأخرى » حيث لا ثالثة لها . ويقول فى عيد الفاروق « فى مثل هذا الشهر من العام الماضى احتفل أدباء العروبة بعيد الربيع » . والصواب أن يقول فى مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، فالفرق بين العام والسنة لا يخفى على أديب .

كثير جداً أن تحتوى كلمات سكرتير جماعة أدبية على أمثال هذا الخطأ ، وأنا أرجو جاهداً من معالى الأستاذ الرئيس أن يراجع هذه الكلمات قبل نشرها وإذاعتها على الناس — وهو الأديب العالم المدقّق الذى لا يجوز عليه هذا الخطأ — حفاظاً على قدر هذه الجماعة وسمعتها بين الناس ؛ وصيانةً لعرضها أن يثلمه إنسان فشعر الفتى عرضه الثانى كما يقول إسماعيل صبرى

(المنصورة) على متولى صلاح

فأدر كأس شمول الصـــفو فالصفو يدال
والليالى لم يدم فيها لذى وصل وصال
كم أتاها قبلنا أنضاء أوهام وزالوا
لا هموا داموا ... ولا بعض رجاء العمر نالوا !

صب من خمر ثناياك سلافاً وحـــبابا
وأذب لذة روحينا بكأسينا شرابا
واسقنى واشرب على شدو المنى تبراً مذابا
حسبنا ما ضاع من ماضي ليالينا تبـــابا

كم حبيبين أضاءا الروض فى حضن التصابى
بشباب حرك الطير إلى نجوى الشـــباب
فانتشى الزهر ... وهام النهر رقاص العباب
وهفا الغصن على مضجع أحلام عذاب

ثم غابا كنجوم الصبح من أفق الوجود
ما درينا أين قرا من دنى النأى البعيد
ذهبا في غمرة الأيام كاللحن الشرود
أو كما تذهب فى الإعصار أنفاس الورود

شعلة النبراس فى حلكة آلام الحياة
تلتظى بين أعاصير الشجون العاصـــفات
يتلالا نورها لمحاً بدنيـــا النائبات
ثم تلقيه يد العُـدم بوادى الذكريات !

يا حزيناً عاش من دنيـــاه فى بحر الدموع
تائهاً بين أواذى هـــلوع وولوع
حائراً فى غلس اليـــأس بخفاق وجيع
ضل عن شاطئه فى زورق الوجد المروع

كفكف الدمع على مافات من بيض الأمانى
وادفن الأنة فى النشوة واصدح بالأغانى
واغتنم ما غفلت عن صفوه عين الزمان
لا تصوح فى بوادى الوجد أزهار التدانى

حسبنا أن صبانا والهوى يملك يدينا
ما علينا لو نهبنا العمر سكراً ؟ ما علينا ؟
هاتها حتى يوافينا الردى فى سكرتينا
قبلما تذوى أزاهير الصبا من جنتينا

من رأى ماذا وراء الغد فى لوح الغيوب ؟
أو درى ما خطت الأقدار فى سفر الخطوب ؟
كلنا نخبط فى تيه من الشك المريب
خبط غشواء ضلول ... فى دجى قفرجديب !

لا يرد الشجو من أعمارنا ما ذهبا
لا ! ولا يمحو الأسى من غيبنا ما كتبا
فانس ما ولى ... ودع للغيب ما قد حجبا
وأحسها صرفاً ... وأغرق فى طِلاها النصبا !

(حيفا) حسن البحيرى

تعقيبات

فارس الخورى الشاعر :

استفاض الحديث فى مصر وفى الشرق العربى ، بل فى العالم أجمع عن فارس الخورى ممثل سورية فى مجلس الأمن ورئيس المجلس فى دورته الحالية ، واستفاض الثناء عاطراً فى جميع الدوائر على ما أبدى فى هذه الرياسة من أصالة وكياسة ، وشهدت البرقيات التى أذيعت فى العالم بأنه « خير من رأس المجلس إلى الآن ، وأنه يدير دفة الاجتماعات بدقة فائقة تتلخص فى التقليل من الكلام والإكثار من العمل وحسم الأمور حتى استطاع أن يعمل فى ثلاثة أسابيع ما لم يستطعه أحد من رؤساء المجلس السابقين .. » .

وفارس الخورى — بارك الله فى حياته — فى الثامنة والستين من عمره الآن ، وهو من الرعيل الأول من رجال الوطنية فى سورية . وكان محامياً فى دمشق ، وكان أستاذاً فى كلية الحقوق ، وكان وزيراً مراراً ، ورئيس وزارة ، ورئيس المجلس النيابى ، ولكن قلّ من أبناء هذا الجيل من يدرى أن هذا السياسى المحنك كان فى مطلع حياته من الشعراء النابغين والكتاب المبرزين ، وأنه فى مطلع هذا القرن ، أى منذ أربعين عاماً ، كان يملأ صحف مصر وسورية بمنظوماته وكتاباته ، وإنى لأذكر له من ذلك تخميساً لنونية ابن زيدون المشهورة نظمه فى سنة ١٩٠٦ وفيه يقول :

الطيف فى النوم يرضينا إذا عبرا
إن عزت العين صرنا نطلب الأثرا
لا تعجبوا إن صبرنا نحمل القدرا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

رضى الهوان بديل العز أكله والجسم ينحل سقما من تحمله
ونرتضى وشلا عن فيض جدوله أما هواك فلم نعدل بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظمينا

أعرضت عنا وأعرضنا على وصب نكتم الناس ما فى القلب من لهب
فما اتخذنا تجافينا بلا سبب ولا اختياراً تجنباك عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا

ضاقت على رحبها الدنيا فلا سعة تحوى فؤاداً وأحشاءاً مقطعة
نأسى إذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك إذا حثت مشعشعة
فينا الشمول وغنانا مغنينا

لاشىء يسكن شيئاً من بلابلنا ولا نرجى عزاء من وسائلنا
ظمائن الأنس شالت عن منازلنا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الأوتار تسلينا

وفى سنة ٥-١٩٠ قامت الحرب بين روسيا واليابان ، وحدث فيها ما حدث من الوقائع والفظائع ، ومنيت فيها روسيا بهزيمة منكرة لم تكن فى الحسبان ، فاتخذ فارس الخورى من مشاهد تلك الحرب الضروس موضوعاً لملحمة شعرية تتألف من أربع قصائد ألم فيها بالأسباب التى دعت إلى إشهار تلك الحرب وذكر المعارك والمواقع البحرية والبرية التى جرت بين الصفر والبيض ، وفتح للانفعالات النفسانية والتخيلات الشعرية مجالا رحباً فى الوصف حتى جاءت تلك الملحمة مزيجاً من التقرير التاريخى والخيال الشعرى ، ولما كان ولى عهد روسيا يومذاك قد ولد أثناء تلك الحرب فقد ختم ملحمته متوجهاً إليه بهذه الأبيات :

ها أنت تنمو فى رعاية والد حان يذود السوء عنك ويطرد
والبعض من أبناء جيلك لا أب يحنو عليهم إن بكوا وتنهدوا
آباؤهم سقطوا بساحات الوغى ليوسموا لك دولة ويمهدوا
فإذا نموا وملكت فارفق ذاكراً حق الذين على ولاك استشهدوا
وعساك تنشأ عادلا لا تدعى أن الجميع لأجل عرشك أوجدوا
فالملك جسم والعدالة درعه درع بمحبوك الحديد مسرد
والملك بستان أعز سياجه عدل به ريح المخاوف تركد
يتوقع الإصلاح منك وليتنا نحيا لنعرف ما يجىء به الغد

ولقد تمت الأمنية للشاعر ، فعاش — بارك الله فى حياته — حتى رأى ما جاء به الغد ، وعلم ما كان من مصير القيصر وولى العهد ، فتغيرت الدنيا وتبدلت الأوضاع ، فقامت دولة مكان دولة وظهرت شريعة على أنقاض شريعة ، ولكن غريزة الوحش فى الإنسان لم تتغير ، فما زال يستعمل نابه وظفره فى قتل أخيه

الإنسان ، وماذا كانت تلك الحرب « الروسية اليابانية » أيها الشاعر إلى جانب ما شاهدت ورأيت بعد ذلك من أهوال حربين عالميتين لا تزال آثارها ماثلة للعيان ، أنت اليوم أيها الشاعر رئيس لمجلس الأمن ، فقل لأندادك فى ذلك المجلس من ممثلى الدول : أحقاً أنتم أيها الإخوان حراس الأمن ، أم مبررون للظلم وأن الحقيقة المرة هى كما يقول شوقى :

وعصر بنوه فى السلاح وحرصه ... على السلم يجرى ذكرها ويدير
ومن عجب فى ظلها وهو وارف ... يصادف شعباً آمناً فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويودى جيوشاً كالحصى ويمير

شيوخ وشباب ...

قال لى الأستاذ العقاد : « إننى لا أفهم معنى لهذا الكلام الذى يقال عن الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ، وإنى لأعجب لفئة من الشبان يتهمون الأدباء الشيوخ بأنهم يظلمونهم ويسدون أمامهم باب الشهرة والظهور ، ويصورون المسألة على أنها حزازة بين الفريقين ، وعداوة بين الطائفتين ، إلى آخر ذلك الكلام الذى يثار ويقال ، والواقع أنه ليس هناك أدب شيوخ وأدب شبان ، وإنما هناك أدب قوة وأدب ضعف ، فالقوة هى عامل الظهور والشهرة ، وضمان البقاء والخلود ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة والاطلاع وبذل الجهد فى ذلك إلى آخر ما تحتمله الطاقة ، ولكن إخواننا الشبان يحسبون أن من الكفاية فى إدراك هذا قراءة كتاب أو كتابة مقالة فى صحيفة ، وهذا هراء فى التفكير ، وهراء فى التقدير .. » .

« لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من أخذ بأيدينا ، أو أفسح لنا الطريق ، ولكننا صمدنا وشققنا طريقنا بدافع القوة والجهد ، ولا زلنا إلى اليوم على هذا ، فأدباء الشيوخ أشد شغفاً بالقراءة والدراسة وبذل الجهد ، وهم يسيطرون على الحياة الأدبية لأنهم يواجهون الحياة الأدبية بما تستحق من حشد القوة وطول الصبر وخير للأدباء الشبان أن يدركوا هذا ، وأن ينصرفوا إلى تقويم شخصياتهم ، وأن يدخروا لأنفسهم قوة من المحصول الثقافى يمكنهم أن ينالوا بها الشهرة التى يريدون .. » .

وإنى — وأنا من فريق الشبان — لأوافق الأستاذ الكبير على ما قال ، فالقوة هى ضمان الشهرة والبقاء ، فإذا ملكها الشبان فلن يكون الشيوخ عائقاً أمامهم ، ولكن يظهر أن إخواننا الشبان لا يدركون المسألة على حقيقتها ، ولا يحبون أن يدركوها على حقيقتها ، ويحسبون أن فى استطاعتهم الصعود إلى القمة بخطوة قدم ، ويحسبون أن هؤلاء الشيوخ قد بلغوا ما بلغوا من المجد والشهرة بمثل هذه الخطوة ! !

كلا أيها الإخوان ...

لقد حدثنى الأستاذ المازنى قال : لقد قرأت كتاب الأغانى فى مطلع حياتى ، وقد عمدت إلى فك أجزائه إلى ملازم ليسهل علىّ حملها أينما سرت ، وقد عنيت أثناء القراءة بتصحيحه وإكمال القصائد التى فيه ، ونسبة الأبيات المجهولة إلى قائليها والاستدراك على تراجم الشعراء ، وكنت أكتب هذا كله فى ورق أبيض وألحقه بالمطبوع ، ثم جلدت الكتاب فكان فى ضعف حجمه ، وكانت هذه النسخة عزيزة على نفسى ، ولكنى فقدتها فى محنة من محن الدهر ، فأورثتنى حسرة لا تزال عالقة بقلبى إلى اليوم .

حدثنى الأستاذ المازنى بهذا الذى صنعه فى مطلع شبابه ، وكنت منذ أيام أتحدث إلى أحد الشبان الأدباء عن كتاب الأغانى هذا فشمخ على قائلا إن من العبث ضياع الوقت فى كتاب الأغانى وغيره من تلك الكتب القديمة البالية التى أصبحت لا تجدى ...

مرة أخرى أقول لكم : كلا أيها الإخوان ، إن الأمر أشق مما تقدرون ، فاصرفوا هذا التمرد إلى ما يجدى من الجهد النافع .

سؤال :

فى العدد السابق من الرسالة قرأت فى مطلع المقال الخامس من تلك السلسلة التى يدبج حلقاتها الأستاذ على الطنطاوى بعنوان « على ثلوج حزرين » ما يلى :

« أقامت ليلى فى دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسيق لإسعادها كل ماوصلت إليه الحضارة وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع

الأدب والفن في أسبوع

أدب الأعداء :

لقد بلغت قضيتنا الوطنية مرحلة دقيقة خطيرة ، وأنا أكتب هذا يوم الثلاثاء الذى حدد لاستئناف النظر والمناقشة فيها ، وقد ظهر من اتجاهات مندوبى بعض الدول فى الجلسات الماضية أن الأمر لايجرى على مقتضى الحق والعدل ، وأن مدّ الدعاية وأمواج الحجج تتناثر عند صخور مجلس الأمن التى تمثل الأغراض الاستعمارية وما يتصل بها من المصالح المشتبكة .

وقد أدركنا أن أكبر جهادنا هو العمل داخل بلادنا ، فدعا بعض الزعماء وقادة الرأى إلى عدم التعاون مع أعدائنا ومن يماوئهم ، وتوثيق العلاقات مع الذين يناصروننا ، وقد شعر الجميع بالارتياح لما فعلته الحكومة إذ منحت بولندا مهلة ستة أشهر بعد الميعاد المحدد لدفع ثمن الأقطان المبيعة لها من مصر . وجاء فى بيان لحافظ رمضان باشا بالأهرام إلى أبناء وادى النيل : « أريد أيها المواطنون الأعزاء أن نجابه الحقيقة وننظر إلى مصلحتنا دون أى اعتبار آخر وألا نمد أيدينا ولا نتعاون إلا مع الدول التى تناصرنا فى قضيتنا أمام مجلس الأمن » وجاء فى حديث له بأخبار اليوم : « ونحطم (قوقعة) الخوف التى وضعتنا فيها سياسة بريطانيا فننشىء علاقات وثيقة ثقافية وسياسية بكل الدول التى أعانتنا فى مجلس الأمن ، فنوفد إليها كتابنا ، ونشجع شبابنا الذين يطلبون العلم فيها »

ومن التصرفات الموفقة فى هذا الصدد ما صنعه الأستاذ على الغاياتى إذ رد الوسام البلجيكى الذى كان يحمله إلى وزير بلجيكا المفوض فى مصر ، على أثر موقف التحيز الذى وقفه الممثل البلجيكى مع أمثاله فى مجلس الأمن ضد القضية المصرية .

أريد أن أخلص من هذا كله إلى أمر يدخل فى هذا الباب الأدبى ، أريد فى هذا الظرف الحرج أن نقطع علاقاتنا الأدبية والثقافية بالإنجليز ومن يساعدهم ضدنا فى مجلس الأمن وفى غيره وننشئ هذه العلاقات أو ننميها مع الدول التى تناصرنا .

حذار أن تقول ماشأن الثقافة والأدب بالخصومات السياسية والنازعات الوطنية ، فنحن الآن فى انفعال شديد وثورة عنيفة لحريتنا وكرامتنا ولا نستطيع أن نسمع هذا الكلام ، وقد ورد فى الأنباء الأخيرة أن صحفاً فى لندن وباريس توجه حملة من السباب والشتائم إلى المستشرقين البريطانيين والفرنسيين لمقالات نشرتها لبعضهم بعض الصحف العلمية والأدبية يشيرون فيها بوجوب اتباع سياسة أميل إلى التسامح مع الأمم العربية ، ونحن فى موقف المدافع عن حريته وكرامته ، فأحرى بنا أن نضحى حتى بالفائدة الفكرية التى تتوقع من استمرار اهتمامنا بآداب أعدائنا

أحدد ما أرى إليه بألا تنشر الصحف والمجلات فى هذه الآونة ، آونة جهادنا الحاضر ، مترجمات ولا دراسات ولا أى شىء آخر من آداب تلك الأمم . وأنا لا أنكر فائدتها وروعة كثير منها . ولكن يجب أن ننظر إلى الحقائق الآتية :

١ — الأدب الحر لا يتفق مع إهدار الحرية والكرامة ولا يجوز أن نرضع أدبنا من أثداء الذين يتعاونون على محاولة قتل حريتنا وكرامتنا ، ويجب أن نشعرهم بتقلص قيمتهم الأدبية عندنا نتيجة سوء سياستهم معنا .

٢ — البلاد فى حاجة إلى أقلام الذين يبذلون أكبر جهودهم فى تلك الآداب ، ليكتبوا فى مسائلها ومشاكلها بعد أن يسودوا إليها بأفكارهم وعواطفهم ، وتكون هذه فرصة حسنة للشعور

إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ، ولكنها لم تكن سعيدة ، ولم تر حسن ما هى فيه ، لأنها افتقدت النور الذى ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب » .

وأنا أحب أن أسأل الصديق الفاضل : مادامت ليلى فى هذه الحالة النفسية « لم تر حسن ماهى فيه » إذن كيف كانت « لاترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ؟ » .

هذا السؤال الذى بدا لى ، وإنى لفى انتظار الرد من الصديق الكريم .

« الجاحظ »

بذاتيتنا ، والتأمل فى أنفسنا ، والعيش فى محيطنا وتركيز أدبنا الذاتى وتنميته وتوفيره .

٣ – يجب أن يكون العمل الوطنى السلبى شاملا لجميع النواحى ، فلا يتخلف فيه الأدب . وفى ذلك تقوية للروح الوطنية وإشراع لشعور العزة والكرامة .

مناهج اللغة العربية :

كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة لدراسة وسائل النهوض باللغة العربية والعمل على توحيدها فى مصر والأقطار الشقيقة . وقد انتهت هذه اللجنة من مهمتها ووضعت تقريراً سيكون موضع نظر المؤتمر الثقافى الذى سيعقد بلبنان فى اليوم التالى لصدور هذا العدد من الرسالة

وقد بين ذلك التقرير أهداف تعليم اللغة العربية فيما يلى :

(١) أن نجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة فى سهولة ويسر وأن يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من أفكار ومعان

(٢) تمكينهم من التعبير عما يجول فى نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة عربية صحيحة

(٣) أن تكون دراسة العربية وسيلة صحيحة للثقافة وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطالب من المعلومات القيمة لا أن تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومفردات عمادها الزينة والزخرف الشكلى

(٤) أن يتصل الطلاب اتصالا وثيقاً بالحياة الأدبية والعلمية المحيطة بهم وأن يسايروا النهوض الأدبى الحديث

(٥) أن تكون الدراسة مثيرة لروح الشوق إلى القراءة والاستزادة من الثقافة والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون فى العصور المختلفة

ويقول التقرير « إن مناهج قواعد النحو والصرف والبلاغة أكثر مما يحتاج إليه الطلبة ولا تلائم استعدادهم ولا تنهض بلغتهم وإنه لو اكتفى من القواعد بما هم فى أشد الحاجة إليه مع كثرة المران عليه كان أولى »

والواقع أن أصل الداء فى المناهج ، فنهج الأدب الحالى – مثلا – غير صالح ، فالطالب فى السنة الأولى الثانوية يبدأ دراسة الأدب ببحث طويل فى معنى الأدب والأسلوب الردىء وغير الردىء ، وهو يحفظ من ذلك ما يلقنه الملقون من العبارات التى لا يفهم معناها مهما بذل المعلم من الشرح والإيضاح ، وفى السنة الثانية يدرس العصر العباسى الثانى ، فيقال له إن النهضة العلمية التى كانت فى صدر الدولة نضجت فى العصر الثانى وأثرت فى الأدب ، وهو لا يعلم شيئاً عن هذه النهضة لأنه سيدرسها فى السنة الثالثة ! ويقال له إن الكتاب استعملوا الجناس والطباق وغيرهما من المحسنات البديعية التى سيدرسها فى السنة الرابعة ! ويشغلون الطالب بالمعلومات التاريخية الكثيرة عن الأدب نفسه ، فيحفظ النصوص كما يحفظ شرحها دون فهم حتى للشرح ، ليدون ما حفظ فى ورقة الامتحان . . وترى أسئلة الامتحان فيهولك منها سؤال فى النقد أو الموازنة تراه أعلى من مستوى الطالب العقلى . . مع أن الأمر أهون مما تظن ، فالطالب يحفظ الإجابة عن ظهر قلب !

وهذه أمثلة يسيرة نسوقها إلى المؤتمر الثقافى وهو يتهيأ للانعقاد ، لننبه إلى أن « القدر المشترك » فى التعليم بجميع المدارس العربية ، ليس وحده الجدير بالبحث ، بل يجب الاهتمام أيضاً بنوع القدر ومقدار نفعه وصلاحيته . ويجب أن توضع المناهج المصرية خاصة موضع التفنيد ، لأن أكثر الشقيقات تتجه إليها وتأخذ بها ، ونخشى أن يتكون « القدر المشترك » من معظمها .

المساهر :

قرأت فى كتاب « أبو الهول يطير » الذى أخرجه أخيراً الأستاذ محمود بك تيمور ما يلى :

« تضم مدينة نيويورك وحدها سبعمائة مبنى بين مسرح للتمثيل ودار للسينما إلى جانبها ثلاثمائة وألف من أندية الليل تلك التى يسمونها بالفرنسية (الكباريهات) ولعلنا لا نخطىء إذا سميناها المساهر »

وكلمة « المساهر » هذه عذبة خفيفة وتنطبق حقاً على هذه الأندية الليلية (الكباريهات) التى يسهر فيها الناس ليستمتعوا بمختلف ألوان اللهو والمرح من رقص وغناء وموسيقى وغيرها وسيجرى المسهر على اللسان كما جرى المسرح والمرقص

وقد ذكرنى ذلك بما كان قد كتبه الزميل « الجاحظ » فى

تعقيباته بصدد وضع الألفاظ للأشياء والمعانى المستحدثة ، إذ قال على ما أذكر إن الأمر فى وضع الألفاظ ليس مجرد العثور عليها بل هو الاهتداء إلى الكلمات التى تصلح للاستعمال وتشق طريقها فى الحياة بأقلام الكتاب والشعراء . والحق ما قال .

حول السجل الثقافى :

كتب إلى أديب ظريف بتوقيع « البسام » يقول :

« قرأت ما كتبته عن السجل الثقافى فأكبرت هذا العمل الجليل الذى شرعت وزارة المعارف تقوم به ، وهو إصدار سجل سنوى يصف مظاهر النشاط الثقافى خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه . ولا شك أن هذا السجل سيكون له من الأثر والشأن ما ذكرت ، ولكنى وقفت عند نقطتين فى هذا الموضوع : الأولى فى قولك « وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد من كافة نواحيه عدا الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق براجها الرسمية » وبما أن السجل السنوى أول ما تهتم به الإدارة المنشأة كما ذكرت ، فمعنى ذلك أنه سيهمل فيه الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق براجها الرسمية ، فلم هذا ؟ ولم لا يكون السجل شاملا للنشاط الثقافى بمعاهد التعليم ؟ وقد قلت إن الغرض الأول منه تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب المكانة التى بلغتها مصر من الثقافة العامة . أفليست المعاهد الرسمية مما يهمنا التعريف بما بلغته من المكانة الثقافية ؟

« النقطة الثانية هى ما يفهم من سياق الكلام وعلى الأخص العبارة السابقة التى بينت فيها أول غرض من السجل : (تعريف ضيوف مصر ... الخ) من أنه سيكون مقصورا على وصف النشاط الثقافى وبيان اتجاهاته ومراميه فى مصر فحسب ، فلا يشمل سائر البلاد العربية ، مع أن الوحدة الثقافية العربية هدف يرى إليه الجميع ، بل هى واقعة فعلا من قديم العصور ، وهى أقوى لبنة فى بناء الجامعة العربية ، وإنى لأستبعد أن تغفل ذلك وزارة المعارف وهى التى تعمل على تنمية التعاون الثقافى بينها وبين الشقيقات العربيات ، بل أقول بصراحة أكثر إنى أشك فى صحة ما ذكرت فى هذا الصدد ... فهل أنت واثق منه ؟ وإذا كنت كذلك فما رأيك ؟ »

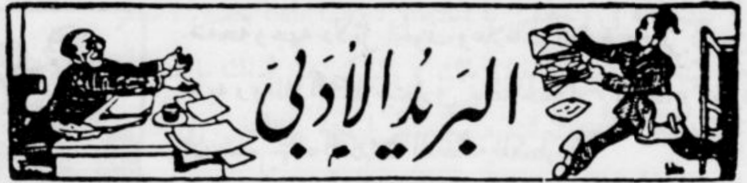
وأقول لك أيها « البسام » إننى لم أكن إلا مقررا للواقع الذى وقفت عليه وموضحا للفكرة التى قصدت إليها وزارة المعارف من السجل الثقافى الذى تعمل فى إعداده ، وأنا واثق من كل ما ذكرته . وقد ارتحت إلى وجاهة اعتراضك رغم ما تعمدته من المماكسة بين « العباس » و « البسام »

ولا إخال وزارة المعارف غافلة عما أثار ذلك الاعتراض ، ولعلها تنظر إلى الموضوع من وجه غير الذى ننظر منه إليه ، فلست أملك مع هذا إلا أن أدع الأمر لأهل الاختصاص فى الوزارة ليجيبوا بما عندهم

تصويب :

فى العدد الماضى جاء عنوان الموضوع الأول فى هذا الباب « اجتراء » وصحته « اجترار » .

« العباس »



المنشيء والحاسب ، أبو حيان والحريري

قرأت فى الرسالة الغراء (٧٣٧) كلمة الأستاذ (الجاحظ) : (الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب) وما رواه فيها من قول للدكتور زكى مبارك . ولقد أنصف الأستاذ الجاحظ ، وجار الدكتور مبارك — وإن لم يكن الظلم من شيمته — بما أراد أن يعطى (ابن الحريرى) أكثر من نصيبه ، وحسبه نصيبه . وفى (الإمتاع والمؤانسة) حديث عن تينك الصناعتين ورد فيه كلام لرجل اسمه (ابن عبيد) نبح فيه البلاغة والمنشئين والمعلمين والنحويين ، وعظم وكبر صنعة الحساب . وقد فرفر أديبنا العبقرى أبو حيان قائله فرفرة ، وفند باطله ، وأعلن من فضائل البلاغة والإنشاء ما أعلن وأغلب الظن أن صاحب (المقامات) أطاع على ذلك الحديث فنتش أشياء من معانيه ومن ألفاظه قال ابن الخشاب البغدادى فى رسالته فى نقد (المقامات) :

« وقد كان ابن الحريرى (عفا الله عنه) مكباً عليها ، صارفا مدة مهله فيها ، ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفها فى كل لحظة ، فهى بنت عمره ، وبكر دهره . ولقد خطف أكثرها من مواضع ، بدل تهديه إليها على فضل بارع . ولم يكن (رحمه الله) مدفوعاً عن فطنة ثاقبة ، وغريزة فى التلفيق مطاوعة مجاوبة » .

ولن يقلل ذاك النتش من فضل (أبى محمد) ولن يصغر هذا الخطف من مقداره . يقول أبو حيان فى كتابه :

« ولما عدت إليه (إلى الوزير) فى مجلس آخر ، قال : سمعت صياحك اليوم فى الدار مع ابن عبيد ، ففيم كنتما ؟ قلت كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه(١) أحوج ، وهو بها أغنى(٢) من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا(٣) الكتابة الأولى جد ، والأخرى هزل » .

« قال : ... فما كان الجواب ؟ قلت : ما قام من مجلسه إلا بعد الذل والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وانتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحق وزرى على المحق ... » .

ومما قاله أبو حيان لابن عبيد : « وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ، فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يقلها ويقل غيرها ، وهذا أمر بديع وشأن عجيب ... » .

والحديث التوحيدى العذب هو فى الجزء الأول من (الامتاع والمؤانسة) فى الصفحة السادسة والتسعين وما بعدها .

السهمى

تصويب :

جاءت همزة هذا المصدر (الائتمام) فى الكلمة (فملاء) فى (الرسالة الغراء) ٧٣٧ - همزة قطع ، وهى همزة وصل .

إلى الأستاذ (الجاحظ) :

أنا أذكر أن فى الكتاب الجليل (الفرج بعد الشدة) للقاضى التنوخى قصة وقعت لبعض وزراء العهد العباسى الأول مع كاتب متعطل ركب معه حراقته فى دجلة ... فيها تصنيف الكتاب وصفاتهم وما ينبغى لكل منهم ، ولم يقتصر فيها على الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب ، بل عدد أنواعاً كثيرة وساق أوصافاً جمة ، وليس تحت يدى الكتاب حتى أدل على موضعها ، فليرجع الأستاذ (الجاحظ) إن شاء إليه . يجد فيها ما يضيفه إلى (تعقيباته) ، ويضمه إلى حسناته .

(على)

الخلان والزمان :

فى العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء مقال بعنوان (الخلان والزمان) للأستاذ الحوفى لفت نظرى فيه أخطاء وقع فيها الكاتب فى روايته لأبيات الشاعر الأمير أبى فراس ... فرأيت إتماماً للفائدة المرجوة من هذا الموضوع الجليل أن أنبه إلى مواضع تلك الأخطاء وأن أرجع الرواية إلى أصلها .

١ — روى الكاتب أن أبا فراس قال :

منعت حمى قومى وسدت عشيرتى وقلدت أهلى من هدى القلائد

وصحة رواية الشطر الثانى هى :

وقلدت أهلى غر هذى القلائد

---

(١) قلت : ربما كانت (إليها) .

(٢) قلت : اليقين أنها (أعنى) بالعين المهملة لا بالغين المعجمة وإن كانت من الشاذ ، وفى كتاب سيبويه : (وهم ببيانه أعنى) وقد ذكره الزمخشرى فى (المفصل) وفى (الأساس) .

(٣) عندى أنها (فإن) .



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

(تتمة)

ثم إن الرجل الغريب دلف إلى الحديقة بعد أن طرق الباب بيد مرتعشة طرقاً مضطرباً ، ولم يتمهل حتى يؤذن له ، وأسرع إلى حيث الشيخ يتوضأ لصلاة المغرب — وقد ارتسمت على صفحة وجهه دلائل الخوف وعلامات الفزع — فركع بين يديه ، وظل الكلام يتمثرق حلقه لحظة ، ثم استطاع أخيراً أن يتمتم بهذه الكلمات المتقطعة المضطربة :

— أيها الشيخ الرحيم ... إني غ ... غريب عن هذه الأوطان ... وأنا الآن ... بعيد عن أهلي وعشيرتي ... و ... و ...

فقال له الشيخ :

— اعتدل في جلستك يابني وتريث قليلا حتى تهدأ أعصابك ويعود إليك اطمئنانك ، فأنت الآن في بيتي ، وسنحول بينك وبين كل مكروه ، فلا تخف ، وقل ما تريد ...

— ارحمني بربك ! اسبل عليّ ستراً من حمايتك بمكانة محمد عندك ، إني برىء فمد يدك لمعونتي ... لجأت إليك ، فكن بي رحيما ...

هزت كلمات الرجل أوتار قلب الشيخ إدريس ، وتأثر بالغ الأثر لهذا الغريب الذي يذوب قلبه فرقاً وقال له :

— إنك آمن الآن يا بني ! فاطمئن ولا تخف ، فإن المسلم

وهو أوضح وأفصح فقد جاء مفسراً لبيت قبله هو :

فإن عدت يوماً عاد للحرب والندى   وبذل اللهى والمجد أكرم عائد

ثم عطف فقال :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي   وقلدت أهلي غر هذى القلائد

٢ — روى قوله :

(ومنها) نرى أن المتارك محسن   وأن خليلا لا يضر خليل

وصحة هذا البيت هكذا :

(وصرنا) نرى أن المتارك محسن   وأن خليلا لا يضر (وَصول)

يقول : أصبحنا في زمن نرى فيه أن الصديق الذي لا يضر ويؤذي محسن وفيّ وصول للعهد أمين في الصداقة .. ومما يؤيد هذه الرواية أن الشاعر قال بعد ذلك :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن   إلى غير شاك في الزمان وصول

فجاء بالجناس بين القافيتين (وَصول ووُصول) وأبو فراس كثير التجنيس في شعره كمثل قوله :

ولا برقت لي في اللقاء قواطع   ولا لمعت لي في الحراب حراب

٣ — روى قوله :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته   سراً إليه وفي المحافل أشكر

وصحة هذا البيت :

وإذا وجدت على الصديق شكوته   سراً ولكن في المحافل أشكر

٤ — روى :

أشد عدويك الذي لا تحارب   وخير خليلك الذي لا تناسب

وصحة الشطر الثاني : وخير خليليك بالتثنية . ٥ — روى قوله :

تردى رداء (الظل) لما لقيته   كما يتردى بالغبار المناكب

والصحيح كلمة (الذل) مكان الظل ، وهو أوضح وأبلغ وأنفذ للمعنى . يقول : إن حاسده اللئيم الجبان يوغل في شتمه وانتقاصه ويغرق في ذمه واغتيابه ، حتى إذا لاح له انخلع قلبه وامتقع لونه واعتقل لسانه فتردى رداء الذل ، ولبس ثوب التملق ، فتوسل وتمدح . فلا وجه لكلمة (الظل) إلا إذا أراد الكاتب الفاضل أن يتمحل أوجه البلاغة ويتعسف طرائق البيان . فالمعنى الواضح البين خير وأبلغ من المعنى الغامض المبهم   ٦ — وقد افتتح الكاتب الفاضل مقاله ببيت رواه لأبي فراس جاء على هذه الصورة :

تركت أبي طفلا وكان أبي   من الرجال كريم العود فاخره

وقد نبهت « الرسالة » أن الشطر الأول غير مستقيم لا معنى ولا وزناً ، ولم أعثر على صحته ، ولكن لعل الشطر الأول أن يكون هكذا (وقد فقدت أبي طفلا وكان أبي) ، فيصح النظم ويتسق المعنى

(طرابلس الشام)   **محمد علي عظاوي**

لا يغلق بابه فى وجه من به استجار ، وهذا ملجأ حصين ، ستقر به عينك ، وسيهدأ فيه بالك ، ولكن هل لديك ما يمنع أن تطلعنى على ما حدث لك ، ولم ينتظر إجابته بل التفت إلى خادمه الذى لم يزل واقفاً وبيده إبريق الماء وقال له :

— هات له شراباً رطيباً ، فهو فى حاجة إلى ما يهدىء أعصابه ، فذهب الخادم ، وعاد وناول الغريب الشراب فروى ظمأه واستطاع بعدئذ أن يهمس هذه الكلمات :

— أعرنى سمعك أيها الشيخ الكريم ... وارحم غربتى وضعفى ، فليس لى فى هذا البلد مساعد ولا معين ... فكن مساعدى ومعينى ... منذ قليل كنت فى طريق المدينة فقابلنى جماعة من شباب المسلمين ، وكنت وحيداً ، فأخذوا يسخرون منى ويستهزئون بى ، فلما لم أرد عليهم قذفونى بسيل من الشتائم مقذع ، فقطع الشيخ حديثه بقوله :

— ترى من كان هؤلاء الأشقياء ؟ فإن الإسلام يعلمنا كيف نحافظ على شعور الناس ، ويحثنا أن نعاملهم بالحسنى ، ولا نعرض لهم بأذى . فقال الرجل :

— هذا ما حدث يا سيدى ، ولا أدرى له تعليلا ... فلما استنكرت فعلهم ، ورجوتهم أن يكفوا عن هذا السباب استشاطوا غضباً ، وازدادوا فى إيلامى ، وبلغ ببعضهم أنه أخرج مدية وهم أن يطعننى بها ، فدفعنى حب البقاء أن أدفع الأذى عن نفسى ، فقذفت بسهمى فى ثورة غضبى وشدة هياجى فطاش وأصاب من أحدهم مقتلا ، وها أنتذا قد علمت أننى لم أبيت لأحد منهم سوءاً ، ولم أقصد أحداً بضرر ، ولم يكن فى حسابى أن السهم سيصيب منهم مقتلا ... وقد لذت بالفرار لأنجو بنفسى ، ولأنقذ حياتى من خطأ لم أتعمده ، فرمت بى المقادير إليك ، ولعل من سعد طالعى أنى وقفت لمن ينصر المظلوم ويأخذ بيد الضعيف

ظن الشيخ أن الذى سمعه من الرجل هو الواقع ، فتحركت فى نفسه عوامل الشفقة ، وثارت فى قلبه نوازع الرحمة ، ولم يخطر له ببال أن الدم الذى سفكه ذلك الخائن إنما هو دم ابنه البرىء ، فأخذ يلاطف الرجل ويتبسط معه فى الحديث ، ليذهب ما ألم بقلبه من فزع ورعب ، وما تملكه من اضطراب وخوف ، وكان مما قاله له :

— إنك وإن لم تكن مسلماً ؛ فقد أوصانا نبينا بأن نعامل مخالفينا فى الدين بالحسنى ، وأن نرعى الأخوة فى الإنسانية حق رعايتها ، فكن على يقين أنك بلغت مأمناً ، وأنه بعون الله لا تستطيع يد أن تمتد إليك بسوء . واعلم أنك الآن فى حماية قوية ، فقد عاهدتك عهداً غير منكوث ، أنى لن أسلمك أبداً ولو حملت فى سبيل ذلك السلاح ... ولكنه رأى فى وجه الرجل أمارات الشك ، وأن به ميلا إلى عدم التصديق فقال له فى رنة التأكيد :

— كن واثقاً بى فالمسلم إذا عاهد وفى ، وإذا أؤتمن أدى ، وإذا قال صدق ، فانحنى الغريب حتى بلغ رِجْلَ الشيخ فقبل أطراف أصابعها ، فجذبها الشيخ بقوة وقال له :

— إننى يا بنى لم أفعل شيئاً أستحق عليه هذا منك ، ولم أزد على أنى أجرت من استجار بى ، وأى مسلم يقعد عن ذلك ؟ ثم التفت إلى خادمه وقال له :

— اصحبه إلى حجرة النوم التى أعدت للاضياف ، ووفر له وسائل الراحة ، فإنه شديد الحاجة إليها ، ثم ابتسم للرجل وقال له :

— فى رعاية الله وحفظه ، رافقتك السلامة ، وصحبك الهدوء والاطمئنان .

أخذ المدعوون يفدون إلى بيت إدريس زرافات ووحدانا ، تعلو وجوههم نضرة السرور ، وترتسم على شفاههم بسمة الفرح ، وكانت الأنوار تتلألأ ساطعة فى أبهاء البيت وطرقات الحديقة وامتلأ البيت ، واكتظت الحديقة بالحاضرين ، وجلسوا جماعات جماعات ، يتناول حديثهم شتى الأمور فى الأدب والتطورات السياسية ، والمعارك التى يخوض جيش المسلمين غمارها لإخضاع الثائرين المتمردين ، واللمح المضحكة ، والطرف المستملحة ، والكل ينتظر عودة إسحاق بفارغ الصبر . وكان الشيخ إدريس أشد الحاضرين قلقاً ، وأكثرهم لهفة ؛ فقد بدأ يتوجس خيفة من تأخر ابنه الذى لم يسبق له مثيل ؛ فإنه لم يتأخر فى المدينة إلى مثل هذا الوقت من الليل ، وخشى أن يكون قد أصابه مكروه فإنه يعلم أن عليه فى هذه الليلة أن يستقبل المدعوين فى منزله من علية الناس وأشرافهم . فلم يستطع الرجل الثبات فى مجلسه ، فكان يكثر من الخروج والقيام والقعود ، والذهاب إلى الباب والعودة منه ينتظر عودة وحيده .

وحانت صلاة العشاء، فقام أحد المدعوين وأذن لها، وبعد أن فرغوا من صلاتها عادوا إلى أماكنهم، وقبل أن يتشعب بهم الحديث فاجأهم صراخ وصياح خارج المنزل لم يلبث أن صار بينهم مصدره، وكان خادم إسحاق الذي رافقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم هو مبعث البكاء والصياح فدخل عليهم وقال لسيده إدريس في تأثر بالغ وهو يبكي، ولا يكاد يتبين السامع شيئاً من كلامه لاختناق صوته، وإلحافه في البكاء والنشيج :

— ألهمك الله الصبر يا سيدي ... ؛ فقد مات وحيدك وسندك إسحاق ...

لم يكد الخادم يتم عبارته حتى ارتسم الهلع على وجوه الحاضرين، واستبد بهم الحزن، وفارقهم الوقار، وتخلت عنهم الشجاعة، فعلا نشيجهم وتصعدت زفراتهم واستسلموا لحزن عميق

أما الشيخ إدريس فقد كاد يصعق في مكانه؛ لأن الخبر قد نال منه أشد منال، ووقع على قلبه وقوع الصاعقة، وأخيراً بعد جهد جهيد استطاع أن يستند على خادمين وخرج إلى الحديقة، يتبعه الأضياف ليروا جثة إسحاق التي وصلت منذ لحظات.

تقدم إدريس إلى ابنه المسجى، وبيد مرتعشة رفع الغطاء الأبيض، فرأى وجه ابنه، ذلك الوجه الذي كان منذ قليل يزخر بماء الشباب، رآه أصفر شاحباً، قد ذوى جماله، وغاضت ملاحته وغارت عيناه. وقد كانتا تشعان بالفرح والتحفز والسرور، فانطفأ بريقهما، وخبا ضياؤهما، وانطبقت جفونهما.

رد الوالد الغطاء على وجه ابنه، والحزن يفتت كبده، ويذيب فؤاده، ولكنه تحامل على نفسه وتمالك أعصابه وردد في ثقة واطمئنان قول الله عز وجل «إن لله وإنا إليه راجعون». «كل نفس ذائقة الموت». «فصبر جميل والله المستعان». ثم التفت إلى القوم الذين جعلوا يتقدمون لتعزيته وقال لهم: ماذا يملك الإنسان غير أن يستسلم للقدر المحتوم، والقضاء النافذ. إن قلبي يهتاج بالأسى والحزن لفراق ولدي الوحيد، ولكنها إرادة الله، الذي لا راد لما قضاه.

تراءى العالم للشيخ إدريس شديد الظلام، وأخذ الألم يحز في نفسه، ولكنه صبر للبلاء، وصمد للقضاء. وانفرد بالخادم الذي كان يرافق إسحاق وقال له :

— قص عليّ يا بني ما جرى لكما كما وقع، ولا تستر عني شيئاً من الحقيقة، وقل من ذا الذي فعل هذا بسيدك إسحاق؟ فقال الخادم:

— أنني قد تأخرت عن سيدي إسحاق قليلا، لأنه أسرع بجواده، ورأيته من بعيد يتحدث إلى رجل غريب، لكني لم أسمع مادار بينهما، إلا أنني رأيت سيدي بعد قليل يحاول النزول عن جواده، وقبل أن يتمكن من ذلك، قذفه الغريب بسهم قاتل، فسقط على الأرض مضرجاً بدمائه، واختفى القاتل بعد أن أدركه، فانتفض الشيخ انتفاضة شديدة كأنما لدغه عقرب، وقال والدمع ينهمر من عينيه: هذا ابتلاء من الله وعلينا أن لا نسخط على قضاء قضاه.

وأخذ الحاضرون يعزون الشيخ إدريس، ويسألون له الصبر ثم ينصرفون إلى بيوتهم والهم يعتلج في قلوبهم والأسى يحز في نفوسهم. ثم اجتمع الأقارب والأصدقاء من الرجال والنساء حول القتيل يبكون شبابه الغض، وفتوته الناضجة، وخرج كثير من أصدقائه يفتشون في طرقات المدينة وأحراشها عن القاتل الأثيم!

في الحجرة الأولى عن يمين الداخل إلى المنزل كان اللاجيء المسيحي يرتجف خوفاً وهلعاً، كلما تعالت أصوات البكاء والعويل، وتنثال عليه الأفكار السوداء والخواطر المثيرة، ويقول في نفسه: ماذا أعمل إذا كانت تلك مناحة القتيل وقد زجت بي المقادير إلى بيته؟ ثم يعاوده شيء من الهدوء ويقول: لو أن الأمر كذلك لدخل عليّ أهله ولمزقوني شر ممزق منذ أن وصل القتيل إلى البيت.

ظلت الأفكار المضطربة تنتاب ذلك اللاجيء شطراً كبيراً من الليل ثم تأكدت مخاوفه وأسرعت خفقات قلبه، عندما عالج الشيخ باب حجرته ثم فتح مصراعيه، ودخل عليه وبيده مصباح مضيء. ثم ابتدر الغريب وقال له :

قل لي بربك يا صاح! أكان الرجل الذي قتلته منفرداً أم كان في جماعة من أصحابه؟

— لا لا! إنه لم يكن وحيداً يا سيدي، بل كانوا أربعة، وقد استثاروني فاستعملت السلاح دفاعاً عن نفسي، ... وإني أستحلفك بالله أن لا تسلمني إليهم فإني بريء، بريء.

— لا تخش شيئاً فلن أسلمك لأحد، ولكن هيا اتبعني قليلا.

قام الرجل متثاقلا. وتبعه متعثراً في مشيته وكأن رجليه تعجزان عن حمله وكان كلما تقدم وراء الشيخ خطوة، اعتقد أنه يقترب من الموت خطوات، وظل كذلك حتى وصل إلى الحجرة التي نقل القتيل إليها، فدخلها وراء الشيخ فوجد بجانبه أربعة يرتلون آي الذكر الحكيم، فتقدم إليهم الشيخ وفتح لهم باباً داخلياً وطلب إليهم أن يلجوه، وأن ينتظروا ريثما يسترجعهم،

ثم طلب إلى الغريب أن يتقدم إلى سرير القتيل ثم رفع الغطاء عن وجهه وقال له :

— هل هذا الرجل هو الذى أصابه سهمك ؟

عرف الرجل فى المسجى على السرير ضحيته ، فاصفر وجهه ، وتصبب عرقه ، وجف ريقه ، وتلاشت الكلمات فى حلقه ، والتاث عليه مسلك القول ، فقال له الشيخ فى هوادة ورفق :

— قل الحقيقة ولا تخف يا بنى . فليس عليك من بأس ، فقال الغريب بصوت متقطع كأنه خارج من جوف بئر :

— ن ... ن ... نعم هو يا سيدى ، ولكن بحق نبيكم محمد ارحمنى واشفق على ؛ فإنى لم أقتله متعمداً ، أنا برىء ، إن هذا الشاب قد ابتدأنى بالشتائم وقد دافعت عن نفسى ...

— لا بأس . لا بأس فلنرجع إلى حجرتك ثانياً ؛ فقد بقى من الليل وقت ليس بالقصير ؛ وأنت فى حاجة إلى قسط من الراحة كبير وفى الصباح الباكر إن شاء الله ندبر وسيلة لإنقاذك .

ثم ودع القاتل عند باب حجرته وتمنى له ليلة هانئة . ثم انثنى إلى حجرة القتيل وجلس إلى جواره مع القراء يسترحمون له بتلاوة القرآن . بينما أغلق القاتل عليه بابه واستسلم للتفكير فى مصيره وما سيأتى به الغد من أحداث .

نادى المؤذن لصلاة الفجر ، فقام الشيخ إدريس وجدد وضوءه ، واستقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال :

« اللهم لا رادّ لقضائك ، ولا سخط على بلائك ، ابتليت فرضينا ، وأمرت فأطعنا ، فالهمنا جميل صبرك ، وثبت قلوبنا على طاعتك ، فلا عون إلا بك ، ولا ملجأ إلا إليك ، إنك أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين » . ثم صلى لربه فى خشوع واستسلام ولما انتهت صلاته ، أمر أحد رجاله أن يعد أسرع جياده ، وينتظر به على باب الحديقة ؛ ومعه إبريق ملىء بالماء . ثم أخذ كيساً ووضع به مبلغاً من المال ، وأحضر سلة وشيئاً من طعام وفاكهة ووضعهما فى السلة ، وذهب إلى حيث الخادم ينتظر بالجواد ؛ وأمره أن تأتيه بالضيف من حجرته .

قضى القاتل ليلة ليلاء لم يغمض له جفن ، ولم يهدأ له بال ، ولم يسكن له خاطر ، فما أن طرق الخادم بابه حتى أيقن أن ساعته قد دنت ، وأن حَيْنه قد حان ، وتلك آخر لحظاته ، فجثا على ركبتيه ، وصلى على طريقته المسيحية صلاة الوداع لحياته ؛ ثم قام وتابع الخادم وهو يترنح كالسكران من هول مايلاقيه . فلما وصل وجد مضيفه وحاميه ممسكا بعنان الفرس ، متكئاً على جدار الحديقة فما أن أبصر هما حتى صرف الخادم ثم وجه الكلام إلى القاتل فقال:

— أيها الشقى التعس ! ألا فاعلم أن الذى استقر سهمك فى صدره هو ابنى ووحيدى وأنه لم يكن متجنياً عليك ، ولم يتدرك بإساءة ! ! إنك لا تستطيع أن تتخيل أى دور لعبت فى تدميرى ، وتحطيم قلبى أنا ذلك الشيخ الفانى ، لقد هدمت بنيانى ، وقوضت أركانى ، وقتلت كبدى . إن الصراع الناشب فى نفسى ، لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه ... هذا وحيدى وسندى فى الحياة جثة هامدة بين عينىّ ، تنادينى روحه من عليائها أن أنتقم له ، وهذا قاتله بين يدى ، وفى حوزتى ، ولكن يمنعنى من الثأر منه ذلك العهد الذى قطعته على نفسى أن أحميه ... كان إسحاق رطيب الغصن ، ناضج الشباب وكنا نبنى عليه صروح الآمال ونعلق عليه كل رجاء لنا فى الحياة ، ولكنك هدمت صروحنا وقطعت رجاءنا ... إن الدم يغلى فى عروقى غضباً عليك ، وإن نوازع الشر تصرخ بى أن أثأر منك ، لكن صوت الضمير يملأ نفسى ، ويغمر قلبى ، إنى عاهدتك باسم الله وبمكانة محمد نبيه ، أن أحميك من كل شر ، وأن أدفع عنك كل سوء ، وقد استجبت أخيراً لنداء ضميرى ، فإنى لا أحب أن يقال: إن مسلماً استهان باسم الله وبكرامة محمد نبيه ، فأخلف وعده ، وغدر فى عهده ولوث سمعة المسلمين .. هاك خير جهادى ، وهذه سلة فيها طعام وفاكهة ، وذى نقود قد تحتاجها فى سفرك . وإن إسحاق كان أحب إلىّ من حياتى ، ولكنى عفوت عنك « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وتعاليم الإسلام أحب إلى قلبى ، حتى من نفسى ...

وهبي إسماعيل حقى

إعلان

وزارة الزراعة تشهر للبيع بالمزاد العلنى ثمار موالح حديقة تفتيش سخا (غربية) بالجلسة التى ستعقد بديوان التفتيش المذكور يوم ١٥ سبتمبر القادم — فعلى راغبى الشراء معاينة الثمار بمحل وجوده قبل الجلسة — وتطلب الاستعلامات والشروط من التفتيش أو من الوزارة (قسم المزارع) .

٧٨٣٦

مطبعة الرسالة



العدد ٧٤٠ - الاثنين ٨ سبتمبر ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
القوة هى الحق !	: أحمد حسن الزيات	٩٧١
اتقوا غضبة الشعب !	: الأستاذ محمود محمد شاكر	٩٧٢
رحلة إلى الهند	: الدكتور عبد الوهاب عزام بك ...	٩٧٥
ما أعرفه عن فارس الخورى ...	: الأستاذ على الطنطاوى	٩٧٧
فرنسا ومستعمراتها : الاستعمار يواجه الإسلام فى الجزائر ...	الأستاذ أحمد رمزى بك	٩٨٠
تفسير الأحلام	للعلامة سجموند فرويد ... ... الأستاذ محمد جمال الدين حسن ...	٩٨٣
مع ميخائيل نعيمة فى (زاد المعاد)	: الأستاذ مناور عويس	٩٨٥
أدب العروبة فى الميزان	: الأستاذ على متولى صلاح	٩٨٧
فى الباخرة !	: الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ...	٩٩٠
١ — نحن والإنجليز ... (قصيدة) ٢ — وحدة وادى النيل «	الأستاذ أحمد أحمد العجمى	٩٩٢
« الأدب والفن فى أسبوع »	: الأدب فى الإذاعة — الأدب والمجتمع —	٩٩٣
السجل الثقافى — كبار الكتاب والسينما		٩٩٥
« البريد الأدبى » : إلى الأستاذ يوسف أسعد داغر — سبق قلم —		٩٩٦
جد أم هزل ؟ — إلى الأستاذ السهمى — إلى الأستاذ الجاحظ — حول الزنزانة وأسماؤها — « بله لا بلهاء »		٩٩٧
« القصص » قبلة الملكة ...	للقصصى الفرنسى ج . ه . روستى بقلم الأديب كمال الحريرى	٩٩٨

٢٩٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 740

Lundi — 8 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦٦ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القـــوة هى الحق !

القوة هى الحق وما سواها باطل . فإذا رابك هـذا القول فعارضتَه بآية من القرآن فى الرحمة ، أو بحديث من السنَّة فى العفة ، أو بمأثور من الحكمة فى البر ، أو ببيت من الشعر فى العدل ، قلت لك ويداى مشبوكتان على صدرى : صدق الله العظيم ، أو برَّ النبى الكريم ، أو أحسن الواعظ الحكيم ، أو أجاد الشاعر النابغ ؛ ولكن للطبيعة طغياناً تكسِر الأديان من غُلوائه ولا تمحوه ، وللحياة سلطاناً تكف الآداب من عاديته ولا تزيله . وما دام الغربيون يحنون إلى حياة الغاب ، ولا يعترفون إلا بالظفر والناب ، فإن كلمتى الحق والعدل تظلان مرادفتين لكلمتى الضعف والعجز ، يجأر بهما المظلوم ويتصامُّ عنهما الظالم !

على أن العـدل والبر والإحسان وأخواتها من مهجورات الفضائل ، إنما يُفهم التعامل بها بين الفرد والفرد ، أو بين الأسرة والأسرة ، لأن الأمر بينهما يقوم أكثره على عواطف الصداقة أو القرابة ، فمظهره الإيثار والتسامح والتعاون . أما التعامل بها بين الشعب والشعب ، أو بين الدولة والدولة ، فإنما يقوم على جلب المنفعة أو دفع المضرة ، فمظهره التفارس بالغيلة والحيلة الماثلتين فى بأس الجيوش ومكر الساسة !

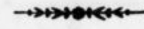
ماذا بيننا وبين انكلترا أو فرنسا أو أمريكا من أسباب المودة ؟ هل بيننا وبينها إلا ما يكون بين حيـوان جائع تحت كفيه حمَل ، وأسد مسعور بين فكيه ناب ؟ كيف ننشد الحق والعدل فى دول الغرب وكل واحدة منها قد جعلت قصدها ووكْدها أن تنفرد بخيرنا أو تشارك فيه ؟ إنها عصبة من دول الشيطان تعاونت على الإثم والعـدوان وتحالفت على العرب والإسلام والشرق !! جرَّبوا آثار القوة فيهم فلم تفدهم التجربة ، وأصابهم الطغيان النازى فى أنفسهم وأموالهم فلم تعظهم الإصابة ، ووقفوا أمام جبار المحور ضعافاً ضارعين ست سنين طوالا ثقالا يطلبون من الله أن يسعفهم بالحق ، ومن القانون أن يؤيدهم بالعدل ، ومن العالم أن يرفدهم بالإحسان ، حتى إذا رأوا القدرَ القاهر يسلب القوة العارمة ، ويعطل الآلة الحاطمة ، استطالوا على الله ، واستهانوا بالقانون ، واستكبروا على الناس ، وقال كل منهم : أنا اليوم وريث هتلر وخليفته ! هاهم أولاء ، لاتزال وجوههم محمرة من لطمات هتلر ، وأشلاؤهم مبعثرة بقذائف هتلر ، وبلادهم مخربة من قنابل هتلر ، وتراهم مع ذلك يجلسون فيما سموه مجلس الأمن جلسة النخَّاسين فى سوق الرقيق ، يساومون فى حريات الأمم ، ويزايدون فى حقوق الشعوب ، وحجتهم المالية أن بلادهم تزخر بالحديد والنار ، ونفوسهم تجيش بالطمع والاستعمار !

القوة هى الحق وما سواها باطل . فمن عاش فى البَرِّيَّة حمَلا أكلته الذئاب ، ومن سار فى القافلة أعزل سلبته اللصوص

احمد حسن الزيات

اتقوا غضبة الشعب!

للأستاذ محمود محمد شاكر



أجلت قضية مصر والسودان فى مجلس الأمن إلى يوم الثلاثاء التاسع من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، بعد أن تمتعت بريطانيا بالخذلان الذى كان مثله أبعد شىء عن بالها منذ عشر سنوات وحسب . فقد تعودت بريطانيا أن تأمر أو تدسّ فيطاع أمرها أو دسُّها ، وتخرج ظافرة من كل معركة تدور بينها وبين أمة من الأمم التى ابتليت بشرها الذى لم تنطفىء له جمرة منـذ نجمت قرون هذه الدولة فى تاريخ العالم الحديث . ونحن نسأل الله أن يتمّ الخيبة على هـذه الدولة الطاغية بانهيار نظامها الاقتصادى ، ليخلص العالم من الأخطبوط الفاجر الذى ضمّ فى أحشائه وبين جوارحه دولا برمّتها من الهند إلى العراق إلى مصر والسودان إلى جنوب أفريقية — إلى عالم كان يتمدّحُ شعراؤها بأن الشمس لا تغيب عن ملكه ، وأنها هى التى حملت أمانة الجنس الأبيض و (عبء الرجل الأبيض) فى تحضير الأجناس الملونة ، أى استعبادها وظلمها ، وإغراء فرنسا وبلجيكا وهولندة وسواها من أقزام الدول باستعباد جزء من هـذه الشعوب ، تسومها الخسف بكل نذالة تدخل فى طوق هذه الأمم .

إن مجلس الأمن هو اليوم بين اثنتين : إما أن يُشهد العالم كله على أنه أقيم على حق ، وأنه حافظٌ وازعٌ ينهى الطغاة عن الإيغال فى طغيانهم ، وإما أن يشهد العالم كله على أنه سوق حديثة للرقيق والنخاسة أقيمت لتتاجر بعباد الله بلا حياء ولا ورع . فكان تأجيل قضية مصر فى هذه المرة ، بعد المناقشات التى دارت فيه دليلا على أن مصر والسودان قد استطاعت شيئاً ما أن توقظ طرفاً من ضمير هذا المجلس ، ومن ضمير الأمم التى اشتركت فيه ، واستطاعت أيضا أن تجمل بريطانيا مغمورة فى ركام الفضائح والفظائع التى ارتكبتها فى مصر والسودان ، والتى تصر على المضى فى ارتكابها بكل جرأة لا تستحى .

ونحن نحب أن نثنى ثناء خالصاً من قلوبنا على الرجل المصرى السودانى ، الذى لم يزعزعه تهديد بريطانيا وترويعها ، ولم ينل من قلبه الخوف ، ولم تثنه عن الهدف الأعظم حِيَل ولا أشراك ولا جدال ولا تغرير ، فانطلق يبين عن أهداف مصر والسودان وعن حقوقها وعن البلاء الذى نزل بها بياناً شفى صدور المصريين والسودانيين جميعاً . إننى لم أعجب بهذا الرجل لأنه سياسى بارع ، ولا لأنه قانونى ضليع ، ولا لأنه خطيب مفوّه ، ولا لأنه رئيس حكومة — كلا بل لأنه أول رجل بعد أن ذهب مصطفى كامل — وقف وحده فى عرين الأسد البريطانى ليسمع الدنيا كلها أن هذا الأسد البريطانى قد اعتدى عليه وبغى وطغى وظلم وتجبر ، وفعل الأفاعيل الخسيسة التى أراد بها استعباد مصر والسودان . إنه الرجل المسئول الوحيد الذى قام فى مجلس دولى يطعن بريطانيا العظمى ! طعنا متداركا غير راحم ولا مشفق ولا هياب ، وهو يعلم أنه يطعن بهذا الطعن دولا كثيرة من أعضاء هذا المجلس . لقد كان محمود فهمى النقراشى رجل مصر ، لأنه كان وطنياً يتكلم بلسان الجروح التى مزقت جسد أمته ، لا بلسان السياسى المحتال الذى يريد أن يرضى هذا ويتجنب غضب ذاك . وهذا وحده هو السر الأعظم الذى جعل قضية مصر والسودان أعظم قضية عرضت على مجلس الأمن وأخطرها ، وهذا وحده هو الذى أوقع التخاذل فى الصفوف التى جمعتها بريطانيا ، وظنت أنها سوف تنصرها فى باطلها نصراً مبيناً ترجع بعده مصر والسودان خاشعة خاضعة تحت ظلال الخذلان الذى أمّلت بريطانيا أننا سوف نمنى به .

لقد ضرب النقراشى مثلا خالداً فى تاريخ مصر الحديث ، فدل بذلك على أنه رجل يركن إليه فى ملمّات الأحداث . فقد مرت على مصر والسودان حقبة كان الذى يقول فيها بمثل الذى قاله النقراشى فى مجلس الأمن يعـد رجلا مخبولا خيالياً تسخر منه الصحف والمجلات ، وتزدريه جماهير من المخدوعين ، ويتخذ هدفاً لكل دعابة تجرى بها ألسنة الهازلين من أحلاس النوادى والقهوات . إن هذا الرجل جدير بأن يرفع اسمه منذ اليوم إلى حيث لا تنـال مكانه أسماء الدجالين والمخادعين والمنافقين الذين ظهروا فى تاريخ السياسة المصرية منذ سنة ١٩١٩ إلى يوم الناس هذا . فحسبه فخراً ومكانة أن يكون هو الذى استطاع أن يجمع إرادته وعزمه وحزمه ، فلم يصرفه خوف أو إغراء عن تحقيق كلمة

مصر والسودان الخالدة ، وعن إعلان هـذه الـكلمة فى أرجاء الدنيا ، وهى : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » .

***

ويقابل هذا الرجل الصادق رجال آخرون من صنائع بريطانيا — كانوا من صنائعها القدماء منذ تحركت مصر والسودان فى سنة ١٩١٩ تطالب الدولة الباغية باستقلالها ، وتريق دماءها وتبذل مهجها ، ويأتى أحدهم فيكون سيفاً مسلولا على أعناق إخوانه المصريين يتعسف بهم عسف الجبار المارد ، وإن كان هو فى نفسه ليس بجبار ولا مارد إلا كما كان أبو حية يسمى قضيب الخشب الذى يحمله سيفاً هندوانياً — وإنما كان جبروته وتمرده يومئذ من جبروت بريطانيا وتمردها — فهو دميـة تلعب بها لا أكثر ولا أقل .

لقد قام النقراشى يعلن ملأ الأمم فى نواحى الأرض ، أن هذه ساعة فاصلة فى تاريخ مصر والسودان ، وأنه قد عزم على طرد الانجليز من بلاده ، وأنه لن يقبـل مهادنة ، ولا مفاوضة ولا مراوغة بعد اليوم ، وأن بلاده توشك أن تنفجر ، وأن البلاء على الأبواب لن يمنعه ضغط الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، وأن مصر والسودان قد أبت إلا طرد بريطانيا من بلادها كلها بلا مهلة ولا تريث ولا مواعيد . ووقف مندوب بريطانيا يصر إصرار البغاة الطغاة على أن المعاهدة تخول له احتلال أرضنا ، ويستدل مرة بعد أخرى بالذى كان فى مفاوضات صدقى — بيفن وكأنه يريد أن يقول إن صدقى قد قبل ما يأبى هذا الرجل — يعنى النقراشى — فينكره ويرفضه ، ويكذب على مصر والسودان فيدعى أنهـا تريد طرد بريطانيا وجلاءها جلاء تاماً ناجزاً عن أرض وادى النيل كله ، على غير ما تدل عليـه مفاوضات صدقى — بيفن .

وفى خلال ذلك يقف صدقى باشا الذى اتخذته اليوم بريطانيا حجة على مصر ، ليقول إن خـير الوسائل لنيل حقوق مصر والسودان من بريطانيا هى المفاوضة ، كأن هـذا الرجل لم يعلم بعد أنه ظل يروح ويغدو ويتلاعب هو وتتلاعب بريطانيا ، وكانت العاقبة أن أفضى الأمر به إلى الاستقالة ، بعد التـكذيب الخبيث الذى كذبت به بريطانيا كل شىء قاله فى تفسير بروتوكول السودان . لقد كان العذر متسعاً لامرئ سواه إن قال بمثل الذى يقول به . ومتى يقول هذا الرجل هذا الـكلام ؟ يقوله فى ساعة الحرب التى شنتها مصر والسودان على بريطانيا !

إننا لا نبالى كثيراً ولا قليلا بما يقوله هذا الرجل وأمثاله ، وليس من همنا أن نقف عنده لنفنّـده ، بل همنا أن نبين أن وراء كلامه معنى آخر ، هو أن بريطانيا لما أحست بتباشير الخذلان الذى سوف تناله فى مجلس الأمن ، وعرفت أنها لن تستطيع أن تواجه العالم بالأباطيل التى كانت تواجه بها المفاوضين فيرهبونها ويخشون بأسها ، فلجأت عندئذ إلى قدماء صنائعها فى وادى النيل ليخذلوا قلوب الناس ويخوفوهم ويوقعوا بينهم يبغونهم الفتنة ، ويكون ذلك فتاً فى عضد النقراشى ، وتمهيداً لانقلاب يحدثونه مرة أخرى بالقهر والتهديد ، وبخيانة من يستحلى موارد الخيانة لبلاده — لمال يناله ، أو جاه يحرزه ، أو أبهة يختال فيها ، أو أمل يعنى بإدراكه على يد بريطانيا صاحبـة النعم الجزيلة والآلاء التى لا تنفد !

إن بريطانيا تبذل الآن كل جهدها فى ردّ مصر والسودان عن الطريق الذى لا طريق غيره لمن أراد أن ينال حقه ، وأن يجعل هذا الحق ذِكراً مذكوراً فى قلوب الأبناء والأحفاد حتى لا تنطمس معالمه ، وحتى لا ينخدع الناس عنه بقليل مدلس عليهم كما حدث فى تاريخ مصر والسودان منـذ سنة ١٩٢٤ إلى هذا اليوم ، حتى بلغ البلاء أن صار الناشئة يقولون : « مصر والسودان دولة مستقلة » ، وكلهم يعلم ويرى ويشهد بعينيه الغزاة فى ثيابهم يروحون ويغدون فى الشوارع والطرقات ، ويغشون دور الملاهى ويقيمون المدارس المعادية لروح مصر والسودان فى قلب بلادنا ، ويحمون لصوص الأجانب ، وينصرونهم على أبناء البلاد بكل ما استطاعوا .

ومصر والسودان لن ترتد مرة أخرى إلى طريق « المفاوضة بين مصر وبريطانيا » ولن ترتد إلى تعليق مسألة السودان وجعلها مسألة قائمة على حيالها ، ولن ترتد إلى الاعتراف بالورقة الباطلة التى كتبت فى سـنة ١٨٩٩ لتشرك بريطانيا مصر فى حكم السودان . فإذا كان صدقى باشا قد علم من الثقة الذى أوعز إليه أن هـذه الخطة هى الباقية ، وأنها هى التى سنصير إليها بعد

انهزامنا فى مجلس الأمن ، وأنه لا محيص لمصر والسودان من المفاوضة قبل الجلاء عن وادى النيل كله — فقد كذب الذى أوعز إليه بذلك . وليعلم صدقى باشا أن الرائد لا يكذب أهله ، وأننا نحن أصدق حديثاً من الذين يعتمد هو على حديثهم ، فمصر والسودان قد علمت اليوم علماً ليس بالظن أن مفاوضات صدقى — بيفن ، كانت زلة وقى الله شرها ، وأن الله سخر النقراشى ليقيل مصر والسودان من تلك العثرة المردية ، وأن مصر والسودان قد عزمت أمرها على أن لا تضع يدها فى يد بريطانيا ما دام لها على أرض وادى النيل ظل تستظل به أفاعيها ، وثعالبها ، ووحوشها — وصنائعها أيضاً .

وخير لصدقى باشا ومن كان على شاكلته أن يعلم أشياء كثيرة ، فلا يغرر بنفسه فى مهالك بريطانيا التى تطأ بأقدامها كل من يخدمها إذا رأت فى ذلك خيراً ينفعها . خير له أن يعلم أن الزمن الذى كان هو فيه أحد أبطال السياسة ، قد انقلب كله وذهب وعفّى عليه الذى عفى على مآرب كثيرة . وخير له أن يعلم أن الجيل الذى يعيش فى هذه الأيام غير الجيل الذى كان يرهب سوط الجلاد ويخاف وشْمَ السياط على أبدانه ، وخير له أن يعلم أن العلْمَ القليل الذى كان يناله الرجل فيتبجَّح به ويخيل إليه أنه صار عقلا وحده ، قد حل محله عقل كثير لا قبل لأحد بدفعه بعد اليوم . وخير له أن يعلم أن الذرة التى تتوهج اليوم بالإخلاص لمصر والسودان ، خير من كل الدُرّ القديم الذى زيفته بريطانيا وملأت قلبه نعمة وجاهاً وسلطاناً ، وخير له أن يعلم أن دَمَ أى صعلوك مصرى سودانى مخلص لبلاده ، قد صار أكرم على مصر والسودان من دماء السادة الذين سادوا بالخيانة والنفاق والخداع . وخير له أن يعلم فى أول ذلك كله وآخره أن احتقار مصر والسودان ، وازدراء هذا الشعب النبيل ووصمه بأنه لم يبلغ بعد المرتبة التى تخوّله أن يتبوأ مكانه فى العزة والكرامة — لن ينفع بعد اليوم صاحبه والمتحدّث به ، والعامل على تثبيته فى أذهان من يحدثهم . وخير له أن يعلم أنه لا يزيد على أن يكون فرداً من أفراد هذا الشعب لا أكثر .

ليس من همّى مرة أخرى أن أتناول قول صدقى بالنقد أو التفنيد ، ولكن كل همى أن أدلّ ناساً من خلق الله الذى نبتت لحومهم ، وجرت دماؤهم ، وامتلأت بيوتهم خيراً من ماء النيل الذى يجمع مصر والسودان ، على أن شعب مصر والسودان قد حزم أمره على أن يستأصل شأفة الماضى كله ويقطع دابر المنافقين المختالين بغير سلطان أتاهم ، وأنه قد أجمع عزمه على أن يحطم سلاسل الاستعباد كلها ، وأنه لن يقف دون غايته لرهبة أو رغبة ، وأنه عرف أن الساسة قد خدعوه زمناً طويلا ، فأيما سياسى من القدماء ، ممن كان من صنائع بريطانيا أو من المخدوعين بشرف بريطانيا ، تسول له شياطين نفسه بعد اليوم أن يظن أنه أهدى من النقراشى وأعظم وأقدر ، وأنه بالغ مالم يبلغه النقراشى بالمفاوضة والمساومة على حقوق مصر والسودان فمصيره أن ينال من بأس هذه الأمة الناهضة المتدفقة العارمة شراً كثيراً كان أحوط له أن يلوذ منه بملاذ كريم ، هو أن يستظل بظل الأمة التى ولدته وأنشأته وكرمته بالانتساب إليها فإذا أبى أحدهم إلا أن يطلب لنفسه مجداً بدعوة بلاده إلى المفاوضة أو خيانة بلاده بقبول عون بريطانيا له حتى يبلغ الوزارة كما بلغها بعضهم من قبل على أسنة الحراب البريطانية ، فإنه سيعلم يومئذ أن الشعب المصرى السودانى أشد منه ومن بريطانيا بأساً وقوة ومصابرة على الجلاد ، وسيعلم أنه قد قدر فخاب فامتحن امتحاناً شديداً كانت له عنه مندوحة .

أيها الساسة القدماء ! احذروا غضبة الشعب ، فلكل شعب غضبة كالنار المشتعلة تأكل الأخضر واليابس ، وهذا أوان غضبة مصر والسودان بعد أن يبس الثرى بيننا وبين بريطانيا ...

محمود محمد شاكر

٦ـ رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

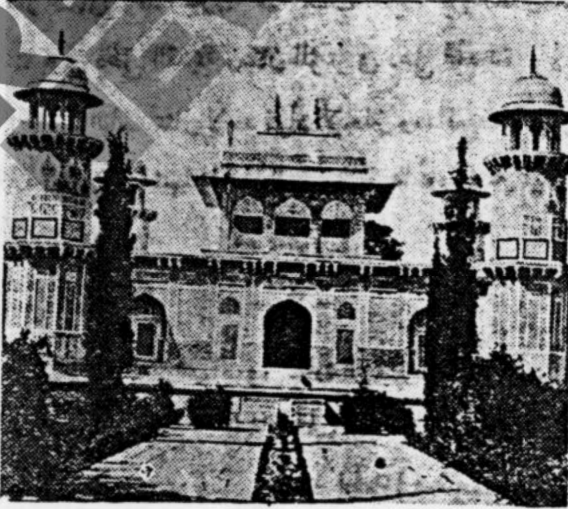
— ١ —

أعود إلى الحديث عن مدينة دهلى ، بعد أن ذكرت طرفاً من أخبار المؤتمر الآسيوى . دخلت دهلى وملء نفسى ما قرأت وسمعت من تاريخها وأحداثها وآثارها . ولم يسعف الزمان ولا الحال بإطالة المقام فيها والتردد فى نواحيها ، واستقصاء مشاهدها وآثارها . وإنما كانت جولات سريعة فى أرجائها . ووقفات قصيرة على بعض مشاهدها .

مدينة دهلى اليوم قسمان : دهلى الجديدة التى خططها الإنكليز على نظام حديث ، وجعلوا فيها دوراً للحكومة ومساكن لكبار الموظفين وهى مدينة واسعة الشوارع والحدائق يحيط بكل دار فيها حديقة كبيرة ، ودورها فى الأكثر ذات طبقة واحدة ، وفيها من الأبنية الفخمة الرائعة دار الحكومة ودار النيابة . ومسكن نائب الملك هناك وما يتصل به من أعظم الأبنية وأوسعها وأجلها ظاهراً وباطناً ...

وأما دهلى القديمة فهى على خط ٧٧° من الطول الشرق و٢٨° من العرض الشمالى فهى تقارب عرض القاهرة ولكنها أشد منها حرًّا . وقد لقينا من حرّها فى شهرى مارس وأبريل أشد مما نجد فى القاهرة فى الصيف المعتاد .

وتقع دهلى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من إقليم البنجاب على الضـــفة اليمنى لنهر جمّنة . وكانت ألحقت بهذا الإقليم سنة ١٨٥٨ م . وهى اليوم فى ولاية منفصلة . ومن العجيب أن هذا الفصل بين دهلى والبنجاب يخرجها من دولة باكستان ، وهى المدينة التى بقيت زهاء ثمانية قرون حاضرة دول إسلامية ، وفيها من الآثار الإسلاميـــة ما يصلها بتاريخ الإسلام دهوراً . وكثير من المدن التى تحفظ الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ليست داخلة فى الباكستان مثل أجرا ولكهنو وأحمد آباد وعليكَره .



صورة مسجد الجمعة فى دهلى

ودهلى ذات تجارة واسعة ، وهى ملتقى طرق حديدية كثيرة وقد اتخذ الإنكليز من دهلى الجديدة وهى متصلة بالقديمة عاصمة للهند فى هذا القرن وكانت العاصمة كلكتا . ولكن دهلى ليست كبرى مدن الهند ؛ أكبر منها كلكتا وهى كبرى المدن الهندية ثم بمباى ولاهور .

— ٢ —

والبقعة التى تشمل دهلى الحاضرة وما حولها قامت فيها مدن عدة باسم دهلى فحول دهلى الحديثة أطلال ست مدائن سميت بهذا الاسم ، تنتشر فى خمسة وأربعين ميلا مربعاً .

وتاريخ المدينة الحاضرة يبدأ من القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أسسها الملك الكبير المعمِّر الذى ترك فى الهند آثاراً لا تضارعها آثار فى الهند ولا غيرها ، شاهجهان ابن جهانكير بن أكبر بن هماون بن بابر . خامس الملوك العظام من هذه الأسرة العجيبة التى نشأت ستة ملوك كبار على نسق واحد سيطروا على الهند مائتى سنة وأورثوا أعقابهم دولة بقيت مائة وخمسين سنة أخرى .

بنى شاهجهان المدينة الحاضرة وسمّاها شاهجهان آباد وكان طولها على ضفة النهر ميلين ونصف .

ولا تزال قطع من أسوارها قائمة يجتاز السائر فى المدينة أبواباً فيها منها باب أجمير فى الجدار الغربى من السور وباب كشمير فى الجدار الشمالى وقد اجتزت هذا الباب كثيراً بين الفندق الذى نزلت به فى دهلى القديمة ومكان المؤتمر فى دهلى الجديدة ، ورى خارج هذا الباب تمثال لأحد قواد الإنجليز ومدافع قديمة هى من بقايا الحروب التى شهدها هذا السور وآخرها ثورة سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) .

— ٣ —

وأعظم ما يرى السائر فى الجادة الكبيرة التى تخترق المدينة فى جانبها الغربى من الشمال إلى الجنوب بناءان عظيمان رائعان : المسجد الكبير الذى يسمى مسجد الجمعة (جمعة مسجد) والقلعة الحمراء (لال قلعة) منظران يفصلهما الطريق فيحتار الطرف بينهما ، القلعة ذات الأسوار العالية والأبراج العظيمة والهندسة المحكمة الجليلة ، والجامع الكبير الرائع ذو القباب الثلاث البيضاء والمنارتين . وكلا البناءين الخالدين مبنى بالحجر الورد وهو يغلب فى أبنية السلاطين التيموريين ويجلب من أجرا . وهما نضيران لم تغير منهما الأحداث ، ولم تنل منهما الغير ثبات الحق على كر العصور ، والمجد المؤثل على مر الدهور .

دخلت الجامع مغرب يوم الخميس ٢٦ ربيع الثانى (١٩ آذار) يوم بلغت دهلى . صحبنا إليه الصديق القديم السيد محمد الفاروق فأدينا به صلاة المغرب ، ثم صلينا الجمعة التالية .

وهذا الجامع بناه شاهجهان بين سنتى ١٠٥٨ ، ١٠٦٠ هـ بعد أن بنى القلعة بسنتين وهو على ربوة تزيده جلالا ورفعة . له بابان كبيران أحدهما يقابل القبلة والثانى إلى يسار الداخل من الباب الأول . والمسجد كله شكل مستطيل طوله نحو ثمانين متراً وهو يزيد على عرضه قليلا . وصحنه فسيح جداً مستطيل فيه ثلاثة صفوف من عمد الرخام الأبيض وجدرانه مغشاة بالرخام كذلك وله محاريب أوسطها أكبرها . ومنبره دَرَج من الرخام قليلة . وكذلك المنابر التى رأيتها فى أجرا ولاهور ليس لها ما يعهد فى البلاد العربية والتركية من الضخامة والارتفاع والحواجز على جانبى الدرج . والنقش والحِلَى .

وأما جمال النقش ، والانسجام بين الرخام الأبيض والأسود فى أرضه ، والحجر الأحمر والمرمر الأبيض فى الجدران فلا أطيل الحديث فى تفصيله .

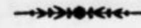
ويصعد إلى المسجد عند بابيه الكبيرين بدرج هائل لم أر نظيرها فى الطول . فهو يشبه مدرّجاً عظيما يتسع لآلاف الناس .

وإجمال الكلام أن هذا المسجد من أكبر مساجد المسلمين وأجلّها وأجملها ، وكان شاهجهان يؤدّى الصلاة فى مسجد فى القلعة ويخرج أحياناً ماشياً للصلاة فى هذا المسجد الكبير ولاسيما صلاة الجمعة

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ما أعرفه عن فارس الخورى

للأستاذ على الطنطاوى



أقيمت فى ردهة المجمع العلمى العربى فى دمشق ، من نحو عشرين سنة ، حفلة لتكريم حافظ ابراهيم حضرتها أنا وأخى سعيد الأفغانى ، وكنا يومئذ فى مطلع الشباب ، نقصد هذه الحفلات لننتقد الخطباء ، ونبتغى لهم المعايب ، فمن لم نعب فكرته عبنا أسلوبه ، ومن لم ننتقص إنشاءه انتقصنا إلقاءه ، وخطب كثيرون فى الحفلة ، وقال فيها حافظ بيتيه المعروفين :

شكرت جميل صنعكم بدمعى ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفنى على ما ذاقه طعم السرور

ولم يسلم من ألسنتنا ... وكان فيمن خطب رجل قصير القامة ، عظيم الهامة (جداً) ... أبيض الشعر ، ألقى قصيدة لا أزال أذكر أن مطالعها ، كان :

ليالى التصابى قد جفانى حبورها ولمّتى السوداء أسفر نورها
ومن لى بإنكار الحقيقة بعد ما تجلّى على وجهى وفودى نذيرها
تذكرت أيام السرور والتى مضت فياليت شعرى هل يعود سرورها
لئن لى مع الأصحاب منهم مسدّد وحظى من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد تثير فؤادى مقلة وفتورها
وأدنتنى الأيام من هوّة الونى فأصبحت منى قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوى صحائفى وهل بعد هذا الطىّ يرجى نشورها

إلى أن ...

وتخلص إلى لقاء حافظ ، وقال إنه جدد له عهد الشباب ... وهى قصيدة طويلة لا أرويها[1] ، وكان صوته قوياً على انخفاض مدوياً على وضوح ، كأن له عشرة أصداء تتكرر معه ، فتحسّ به يأخذك من أطرافك ، ويأتى عليك من الأقطار الأربعة ، فتسمعه بأذنيك وقلبك وجوارحك ، بل تكاد يدك تلمس فيه (شيئاً) ضخماً ... على صحة فى المخارج ، وضبط فى الأداء ، وقوة فى النبرات ، وثبات فى المحطات ، واعتداد بالنفس عجيب ، تشعر به فى هذا الصوت الذى يكون له هذا الدوّى كله ، وهو يخرج من فم صاحبه باسترسال واسترخاء ، لا يفتح له شدقه ولا يحرك لسانه ، ولا يمد نفَسه ولا يجهد نفسه ، وأنسانا بهذا الصوت وهذا الإلقاء ، أن ننقد القصيدة ، أو نجد لها العيوب ، وملك به قلوبنا وقلوب الحاضرين ، فصفقنا له حتى احمرت منا الأكفّ.

وقلت لسعيد : من هذا ؟

قال : هذا فارس الخورى .

وكنت قد سمعت باسم (فارس الخورى) قبل ذلك بزمان ، سمعت به مذ كنت تلميذاً فى السنين الأواخر من المدرسة الابتدائية أيام الملك فيصل (١٩١٩) ، وكنا نعرفه علماً من أعلام السياسة ، ور كنا فى وزارة المالية ، ولكنى لم أره قبل هذه الحفلة .

ومرت الأيام ، وخرجت من الثانوية ، واشتغلت بالسياسة (كما كان يشتغل لداتى يومئذ) ، وصرت سنة ١٩٣١ ، رئيس اللجنة العليا لطلبة دمشق ، ومحرراً فى الجريدة الوطنية الكبرى جريدة (اليوم) التى كان يقوم عليها الكاتب الوطنى الخطيب الأديب ، الذى علّمنا تقديس الشرف ، وتقدير الرجولة ، عارف النكدى ، وكانت اللجنة تأتمر بأمر الكتلة الوطنية ، التى كان لها (فى تلك الأيام) قيادة الأمة ، وكانت هى وحدها تحمل لواء الجهاد ، والعمل على الاستقلال ، فكنت اتصل بكبار رجالها ، وكنت أحضر بعض مجالسهم ، وهناك عرفت فارس الخورى من قرب ، فرأيت فيه رجلا ودبماً ظريفاً ، حليماً واسع الصدر ، ولكنه كان (مع هذا كله) هائلا ، مخيفاً ، تراه أبداً كالجبل الوقور على ظهر الفلاة لا يهزّه شىء ولا يغضبه ولا يميل به إلى الحدّة والهياج ، يدخل أعنف المناقشات بوجه طلق ، وأعصاب هادئة ، فيسدّ على خصومه المسالك ، ويقيم السدود ، من المنطق المحكم ، والنكتة الحاضرة والسخرية النادرة ، والعلم الفياض ، والأمثال والحكم والشواهد ، ويرقب اللحظة المناسبة حتى إذا وجدها ضرب الضربة الماحقة وهو ضاحك ، ثم مدّ يده يصافح الخصم الذى سقط ... لا يرفع صوته ، ولا يثور ولا يعبس ولا يغضب ، ولكنه كذلك لا يفرّ ولا يغلب .

(١) وهى فى الكتاب الذى لم يعمل وفى لشوقى والحافظ ، حق بالأدب ، مثله : (ذكرى الشاعرين) للأستاذ أحمد عبيد طبع (المكتبة العربية فى دمشق) .

وما رأيته يناقش أحداً إلا شبهته بأستاذ يناقش تلميذاً مدللا غبياً، فأنت تلمس فى لهجته ولحظته وبسمته وكلمته، صبره عليه، وتملكه منه، واشفاقه عليه.

***

ثم كنت تلميذه فى السنة الأخيرة من كلية الحقوق (١٩٣٢) وكان يدرس علم المالية، وأصول المحاكمات الدنية، يلقى درسه إلقاء لا تدرى أأنت تعجب وتطرب، لفصاحة لهجته، أم لغزارة مادته، إلقاء غير محتفل به ولا متجمع له، وكانت له عادة (لازمة) هى أن يأخذ قلماً رصاصياً طويلا، فيقيمه على قاعدته وهو يسقط وهو يداريه ويماوده حتى يستقر، ولا يكاد، ولا يبصر ذلك ولا يلقى باله إليه، كأنه يكره أن تبقى يده بلا عمل فهو يشغلها به، أو كأنه يرى هذا الدرس لا يستحق انتباهه كله، ولا يملأ هذا الرأس النادر ... فيأخذه على أنه لهو وتسلية، وكنا نورد عليه فى آخر الساعة أسئلة من كل فنّ ومشاكل فى كل موضوع فيجيب عنها كلها، بتحقيق العالم، أو ببلاغة الأديب، أو بنكتة الشاعر، ومن أجوبته الحاضرة، ونكته السائرة، أن طالباً (ثقيلا ...) سأله :

— ما فائدة هذه الحروف اللثوية، ولماذا نقول ثاء، وظاء، فنخرج ألسنتنا، ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فقال له على الفور، وقبل أن يتم سؤاله :

— لا فائدة لها أبداً، وسنتركها ونجدد فنقول (كسّر الله من أسنالك).

فسكت الثقيل خزيان.

ومن عجائب حلمه، وسعة صدره، ووقاره الذى لا يحركه شىء، أنى أقبلت عليه مرة، بعد الدرس، وكانت لى عليه جراءة فقلت له أمام الطلاب :

— يا أستاذ. ما هذا القرار السخيف الذى وضعته البلدية، لتقسيم أرض الدرويشية ؟ أليس من العار أن يصدر عن بلدية دمشق هذا الجهل وهذا الظلم وهذا ...

فى عشر مترادفات من هذا النمط، ساق إليها نزق الشباب فلما انتهيت منها قال لى، والابتسامة لم تمح عن شفتيه :

— أنا الذى وضع صيغة هذا القرار !

وراح يشرح لى مزاياه، ولكنى لم أفهم منها شيئاً، وشعرت من الخجل كأن دلو ماء حار صبّ علىّ، وقد مرت على ذلك الآن خمس عشرة سنة، ولا يزال صوته (يدوّى) فى أذنى، فأشعر بالخجل من هذا الموقف.

***

وخرجت من الكلية وكنت أراه فى الترام، أو ألمحه فى الطريق، فأجد من إيناسه وسؤاله عنى، وحفاوته بى، ما يملأ نفسى شكراً، وهذه مزية من مزاياه ؛ يشعر كل من يلقاه أنه صديقه الأوحد، وأنه أقرب الناس إليه، وأنه لا يشتغل إلا بذكره ومعرفة أمره، والعناية به، وكنت أزور المجمع العلمى العربى، وهو من كبار أعضائه، فأراه أحياناً فى مناقشات أدبية أو لغوية، فإذا هو فى مجال العلم والحفظ، كما كان فى مجال الرأى والفكر، وإذا هو متسلط غلاب فى مصاولات الأدب واللغة، كما كان الغلاب المتسلط فى مصاولات السياسة.

ومرت الأيام وصار رئيس مجلس النواب، فكانت رياسته عجباً من العجب، وكان الوافدون على دمشق، لا يريدون إذا رأوا جامع بنى أمية، والربوة وقاسيون، إلا أن يروه على منصة الرياسة، ليحدثوا قومهم إذا رجعوا إليهم بجليل ماراوا وماحضروا كان النواب بين يديه (ولا مؤاخذة يا سادتى النواب) كالتلاميذ بل إن أكثرهم كانوا تلاميذه فعلا، وكان يصرفهم تصريفاً لا يوصف ولا يثبت على الورق، وما هم بالذين يصرفون أو يسيرون وإن فيهم لكل باقعة داهية ذرب اللسان حديد الجنان آفة من الآفات، يطيح بالحكومات، وينسف الوزارات، ولكن الحدأة تسطو على العصافير، فإن قابلت النسر المضرحىّ عادت هى عصفوراً ...

وكانت تشتبك الآراء، وتتداخل المقترحات، وتشتد المنازعات، وتثور الحزبيات، فما هى إلا أن يتكلم ويلخص الموقف، ويفسر الأقوال، ويبيّن المقاصد، حتى يقرب البعيدين ويجمع الشتيتين، ويصب على جمرة الغضب سطل ماء، ويستل الرأى الموافق من بين الآراء المشتبكة، سلّ الشعرة من العجين، ويعرضه للتصويت، وكان له فى هذا العرض (فنّ)، ما تنبه له الناس إلا بعد حين، هو أن فى النواب، من لا يشتغل حتى ولا برفع

اليد ، ولا ينال الأمة منه إلا حضوره الجلسة ، وقبضه الراتب ، وكان يعرف هؤلاء ، فتارة يقول (الموافق يرفع يده) ، فيكونون مع المخالفين ، وتارة يقول (المخالف يرفع يده) فيكونون مع الموافقين يكفّ بذلك من جموح الأكثرية ، ويقوم من اعوجاجها …

***

وغضب مني سعد الله الجابري مرة ، وكان رئيس وزارة ، وهو رجل حلبي لا يعرفني ، فاضطررت أن استشهد ببعض من يعرفني من رجال الكتلة ، فما رأيت أقرب إليّ من فارس بك ، وكان رئيس المجلس ، وقطب رحى السياسة العليا ، وكان كثير المشاغل ضيق الوقت ، ولم يكن بدّ من أن أسأله موعداً ، ولكني كنت في عجلة من أمري ، فذهبت إليه بعد العصر في ساعة ينام فيها أكثر الناس ، فحاول الشرطي أن يردني ، فنهرته ورفعت صوتي فسمعني فخرج إليّ ، مبتسما ، وقال له :

— هذا الشيخ علي ! ألا تعرفه ؟ إنه دائماً مشاغب !

وأدخلني ، فرأيت المنصب لم يبدل منه شيئاً . إنما يبدل المنصب من يكون أقل منه فيكبر به ، لا من يكون أكبر من مناصب الأرض كلها ، وقديماً قيل : السنبلة المملوءة تنحني ، والفارغة ترفع رأسها .

ودخلت عليه في مكتبه وهو رئيس وزارة ، فما وجدت إلا أستاذنا فارس الخوري ، الأستاذ العالم الأديب الحاضر الجواب ، الصائد النكتة ، وكنت أظن أني سأجد دولة الرئيس فارس بك الخوري الذي لا يكلم إلا بمعريضة ، ولا يخاطب إلا بالبروتوكول !

***

وفارس الخوري واحد من المشيخة الأجلاء الذين تعتز بهم دمشق ، والذين إن فاخرت انكلترا بتشرشل ، وعمله عمل الشباب وهو في سن الشيوخة ، فإن كل واحد منهم تشرشل لنا ، لا نفخر بأنه بقي شابا في عمر الشيوخ ، بل بما جمع إلى ذلك من العلم والفضل ، والثقافة والعرفان ، كالشيخ عبد المحسن الاسطواني علامة الشام الذي لا يزال موظفاً له همة الشباب ، وهو (حفظه الله) فوق التسعين ، والشيخ كرد علي أبي النهضة الأدبية في الشام ، الذي يعمل اليوم دائباً على المطالعة والبحث والتأليف ، كما كان يعمل منذ خمسين سنة ، عندما كان محرراً في (المؤيد) ، وفي (المقتطف) من قبله ، وكان يصدر مجلة (المقتبس) من بعده ، فكانت دعامة ضخمة في صرح نهضتنا الأدبية والعلمية ، والشيخ الذي لا يزال شاباً يمشي عشرة أميال ، وهو يقر أنه في الثمانين ، والذي لا يُدرى أذهنه أفتى أم روحه أم جسمه ، الذي يكتب اليوم وقد كان يكتب من نصف قرن : المغربي ، والشيخ القوي الأمين ، الذي كان في أول سنة من هذا القرن الهجري قاضياً في دوما ولا يزال عالماً عاملا نشيطاً كيوم كان في دوما : سليمان الجوخدار وهذا الشيخ (الخوري)[1] الذي شهدت بعبقريته الدنيا ، وأكبرته الأجيال[2] على اختلاف ألوانها وألسنتها وبلدانها ، ورأت فيه (شخصية) ضخمة ، لا توزن بها (شخصيات) هؤلاء الذين ألقت إليهم قوة دولهم مقاليد الأرض ، وحكمتهم في رقاب البشر ، واعترفوا بأنه حمل مع عبء الثمانين[3] حمل رياسة مجلس الأمن فكان خير رئيس له وأقواه . هذا ، وليس وراءه أسطول منه جاءت هيبته ، ولا قنبلة ذرية قامت عليها سطوته ، ما وراءه إلا أمة صغيرة كبّرتها عبقريته ، ودولة ضعيفة قوّتها (شخصيته) ، حتى كان صوتها أعلى الأصوات ، وكلامها أبلغ الكلام ، وخطبته عنها هي نقطة التحول في مجرى الرأي في مجلس الأمن ، كما قال الأستاذ الصاوي في (أخبار اليوم) .

ولقد عجب الذين لا يعرفون فارس الخوري لما سمعوا أنه لم يقرأ خطبته من كتاب ، ولا تلاها من ورقة ، بل ارتجلها ارتجالا ولم يكن في يده إلا بطاقة فيها (خرابيش) بالقلم الرصاص ، رآه النقراشي وهو يخطها فحسب أنها مذكرات له في مسائل عادية من مسائل الحياة ، فلما رأى أنها هي الخطبة العظيمة التي هزت أضخم هيئة دولية في الأرض ، بلغ عجبه من هذا الرجل ، وإعجابه به ، أبعد حدوده …

أما نحن فلم نعجب ، لأن الشيء من معدنه لا يستغرب ، وهذا الرجل الذي بدأ يتعلم الانكليزية قبل أن يولد أكثر أعضاء الوفد المصري في مجلس الأمن ، والذي أعطاه الله هذا الذهن العجيب ، فجعله لغوياً أديباً شاعراً حقوقياً مشاركا في كل فروع الثقافة ، وأمدّه بمنطق سديد ، وعقل نادر المثال ، ورزقه ذكاء

(١) وآخرين لم أحصهم

(٢) الجيل : الأمة فالعرب جيل والترك جيل ، والانكليز جيل ، قبح الله هذا الجيل . (٣) لا الثمانية والستين .

ما أعرف أحدٌ منه ولا أمضى ، وبديهة غريبة ، وجمل له مع ذلك كله ، هذا الرأس الكبير ، وهذه الشيبة المهيبة ، وهذا الصوت المدوّى الملىء بالعظمة والثقة بالنفس والتعالى ، وهذا الصدر الواسع ، وهذا الحلم مع القوة ، وهذا الحزم بلا عنف ، هذا الرجل لا يستكثر عليه أن يرتجل خطبة باللغة الانكليزية ، وأن يحوّل بها أفكار وكلاء الدول فى مجلس الأمن .

* * *

وبعد فلا يحسب القارئ أنى غلوت ، أو بالغت ، فما ذكرت إلا ما أراه حقاً ، وما فى الأمر مجال لرغبة تدفع إلى المدح ، ولا رهبة تمنع من القدح ، فأنا لا أرهب الرجل ، ولا أرغب فى شىء منه ، وربما مرت هذه المقالة فلم يقرأها ، وإنما أريد المشاركة فى تأريخ سيرة عظيم من عظماء العرب .

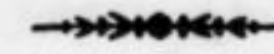
(القاهرة) علي الطنطاوي

القسم الحادى عشر :

فرنســـا ومستعمراتها

الاستعمار يواجه الاسلام فى الجزائر

للأســـتاذ أحمد رمزى بك



« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » . (آل عمران)

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجـــوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . (البقرة)

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » . (الأنعام)

تبرز للعالم قوة الإسلام وعظمة الرسالة المحمدية ، فى هذه الآيات البينات التى دعت المسلمين إلى الصبر والمصابرة للوقوف أمام حوادث الدهر بشجاعة وثبات فلا تلين قناتهم وتذهب ريحهم وإنا لنبعث بها تحية لإخواننا المسلمين بالجزائر الذين وقفوا أمام فرنسا وجبروتها . ولئن كانت صفحات كفاحهم السياسى والحربى فى الجزائر أمرها معروف تداولتها الأيام ، فإن كفاحهم الدينى فى وطنهم وثباتهم معجزة من معجزات الله ، لأن فرنسا فى معاهدة ١٨٣٠ مع حاكم الجزائر تعهدت كما قلنا باحترام الدين الإسلامى وشعائره ، وأخذت على نفسها المواثيق بأن تترك للمسلمين أوقافهم وعوائدهم ثم عقدت عدة معاهدات واتفاقات مع الأمير عبد القادر الجزائرى وغيره من الزعماء وفى نصوصها جميعاً : العهود والمواثيق على إقرار هذه المبادىء وهى حرية العقيدة وترك أمور الدين الإسلامى وشعائره بيد أهله .

ولكن هذه المعاهدات وما تحمله من أيمان ووعود وما أعقبها من تصريحات رسمية صادرة من الحكومة الفرنسية وممثليها ، ثم من الأمبراطور نابليون الثالث نفسه عند زيارته للأقطار الجزائرية كل هذا لم يمنع الاستعمار أن يبسط يده على كل شىء فى هذه البقعة العزيزة علينا ، وكان من جملة ذلك أن مدت فرنسا يدها إلى الدين الإسلامى وإلى الأوقاف الإسلامية ، تراث القرون الماضية ومفخرة المسلمين : لأنها أوجدت ووقفت وبقيت الأزمان واحترمها ملوك المسلمين وأمراؤهم لما يعلمون من أنها أرصدت للصرف على المؤسسات الإسلامية ، وهى هذه المدارس والمساجد الجامعة ، التى تحرص على تثقيف أبناء الأمة وتثبيت قواعد الدين ، وتلقين الناس تعاليم الشريعة الغراء .

فما الذى حدث فى الجزائر ؟

ذكر الدكتور أنريكو انسابانو الإيطالى فى كتابه الإسلام وسياسة الحلفاء (ص ٧٠) ما يأتى بالنص :

ارتبطت الحكومات الأوروبية فى بعض الجهات باحترام أملاك الأوقاف وما أرصد من الأملاك على الزوايا والطرق الصوفية وهذا شرط خطير يحسن بإيطاليا أن تفكر طويلا قبل أن تأخذ به لما ينتج عن احترامه من نتائج وخيمة . سبق لفرنسا أن تحملتها فى الجزائر ، لأنها حينما أعطت هذه المواثيق والعهود لم تكن لديها فكرة واضحة تماماً عن أهميـــة أوقاف المسلمين وأثرها فى إبقاء قوتهم الدينية فكان من نتيجة هذه السياسة المرتجلة أن ارتكبت فرنسا سلسلة من الأخطاء للخروج من هذه السياسة التى فرضتها على نفسها فاضطرت أن تناقض ما أخذت به نفسها وتعهدت للمسلمين باحترامه .

وقد هاجم المستعمرون نظام الأوقاف فى شمال إفريقية عامة ، قالوا إنه نظام رجعى يمنع تداول الثروات ، والقصد من ذلك

حرمان المسلمين من أملاكهم ، ونسبوا إليه أنه نوع من الاستغلال لعمل الإنسان لأنه يفرض الجبر وذلك حينما رأوا الطلبة والمريدين يتلقون العلم فى الزوايا والمدارس الإسلامية ، ويعملون فى زراعة الأراضى الملحقة بالمعاهد ، وكانوا يطلقون على هذا العمل التعاونى الإنسانى اسم المعونة ، ولما ازدهرت أملاك الأوقاف وزاد خيرها ، استكثروا هذا الخير عليها وحاربوها باسم الحرية والعدالة والمساواة ، وهم يعلمون أنهم يقصدون أولا وآخراً هدم قواعد الدين وإفقار أهله ، وهذا ما وصلوا إليه حينما شردوا الطلبة ونزعوا أملاك الأوقاف .

ولم تكن هذه الأوقاف مرصدة للعلم وحده وإنما كانت لوجه الله ، للسائل والمحروم وفى هذه الناحية بالذات يقول صاحب كتاب « التشريع الإسلامى الجزائرى صفحة ١٨٠ ما يأتى :

« إن خمسة أعشار الأراضى الزراعية فى الجزائر كانت أوقافاً ، وأن فرنسا حينما صادرت هذه الأملاك ، بسطت يدها على الدين الإسلامى ، وجعلت آلافاً من الأهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك الأراضى ، جماعات تتجول لطلب العيش فأصبحت تسمى بفيالق الفقراء » .

والحكومة الفرنسية تمثل فكرة لادينية ، لاييكية ، ومعنى هذه السياسة فى العرف الذى نادت به فرنسا هو : الكنيسة الحرة تتعاون مع الدولة الحرة .

وتفسير ذلك أن تمتنع الحكومة عن فرض إرادتها على أنظمة الكنيسة وقرارات رجال الدين ، فيبقى الفاتيكان يقوم برسالته الدينية والسياسية ، بحرية أوسع مما كان فى السابق .

ولما انتقدت سياسة فصل الدين عن الدولة صرح المسيو Thégard فى مجلس الشيوخ « أن هذا الفصل طلاق ولكنه يلزم الطرفين بالعيش تحت سقف واحد ، مع تعاون وتفاهم أوثق مما عهداه قبل صدور حكم الطلاق » .

وقال المسيو Mèline « إن الكاثوليك سيكونون أكثر كاثوليكية تحت هذا القانون ، لأنه يؤكد سلطة البابا ويحترم ممثليه ويترك لهم الحرية أن يقفوا للدفاع عن أعمالهم أمام ممثلى الجمهورية » .

وليس هناك أصرح من هذه الأقوال لترك شؤون الله لله وشؤون قيصر لقيصر ، فما الذى هيأته حكومة الجمهورية التى فصلت الدين عن السياسة ، لرعاياها المسلمين الذين اعترفت لهم بحقوقهم الدينية كاملة .

يقول صاحبا كتاب « بحث التشريع الجزائرى » صفحة ٦٣٢ لارشير Larcher دركتنفالد Decténvald

« إن الأوقاف الإسلامية التى تتولاها الدولة يصرف دخلها على ناحيتين :

الدين الكاثيليكى : ٧٩٠٫٠٠٠ فرنكا .

« الإسلامى : ٣٣٧٫٠٠٠ «

والاعتراض الأساسى هو كيف تتولى دولة ينص دستورها على فصل تام بين شئون الدين والدنيا ، إملاك دين لم يكن له بها صلة فى يوم من الأيام ، فعلى أية قاعدة بنيت هذه السياسة ؟

والاعتراض الثانى هو إذا فرض أن رأت الدولة أن تتبرع من أموالها بهذه المبالغ وهى دولة لادينية ، فالمعروف أن اتباع الديانة الكاثوليكية لا يصلون إلى عشر السكان المسلمين ولكنهم يتمتعون بما يزيد على ضعف المبالغ المخصصة للشئون الدينية لمن هم أكثر من عشرة أضعافهم . فأى قاعدة إنصاف أخذت بها ؟

ويهون الأمر لو كان هذا تبرعاً ولكن يؤخذ من أملاك وأموال وأوقاف المسلمين وهى مرصدة ومحبوسة على هذه الناحية منذ قرون طويلة الأمد ولم يتعرض لها أحد من الدول التى تعاقبت على حكم الجزائر . وهذه ثالثة الاعتداءات التى لا يبررها منطق للآن .

ويفسر لنا كيف ضعفت الحياة الدينية فى الجزائر وفى ذلك يروى لنا «البير ديفوكلى» albert devaucl فى كتابه المؤسسات الدينية فى العاصمة الجزائرية أن مدينة الجزائر كانت تحوى ١٧٦ مسجداً فى سنة ١٨٣٠ ، ولا يوجد فى القطر الجزائرى بأكمله غير ١٦٦ مسجداً جامعاً كما ذكر ذلك صاحب « بحث التشريع الجزائرى » ولا نشك فى أن هذا العدد سيهبط إذا دام حكم فرنسا جيلا آخر .

ولبيان هذه السياسة التعسفية إزاء المسلمين وشريعتهم ودينهم يحسن أن نشرح هذه الفكرة من مراجع الاستعمار الفرنسى نفسه :

فقد جاء فى كتاب جورج هاردى Georges Hardy « نظرياتنا الاستعمارية الكبرى » « أنه فى المناطق التى لم يسدها الإسلام قط أى فى أفريقيا السوداء يجب أن تحاط الأديان

والمذاهب الإفريقية بما يكفل حمايتها وبقاءها وفى مناطق البربر يجب منع تعليم اللغـة العربية منعاً باتاً ؛ وعدم تشجيع نشر المكاتب القرآنية ، ومنع نصب القضاة الإسلاميين والحيلولة دون تنفيذ شريعة الإسلام .

أما فى الجهات التى ثبتت قواعده فى ربوعها فلا مانع من تركه يعيش ولـكن فلنحترس من الاهتمام بأمره أو إظهار الإعجاب به »

فهذه أصول السياسة الإسلامية الفرنسية وهى تحول دون انتشاره فى أفريقيا وتعتبر القبائل من أهل الجزائر ومراكش غير مسلمين ، وتحاول أن تحد من أثر الإسلام فى المناطق الإسلامية الصميمة .

فلننظر إلى ابتداء هذه السياسة وما تركته فى نفس الشيخ محمد بيرم التونسى صاحب كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار الذى طبعه سنة ١٣٠٢ هجرية عن زيارته لمدينة الجزائر فى رحلته عام ١٢٩٥ هجرية وقد مضى على ذلك سبعون عاماً تقريباً إذ قال :

« إن الدول الفرنسية هى القائمة بمصاريف إقامة الجوامع وما فيها من قراءة الأحزاب أو كتب الحديث لأنها استولت على جميع الأوقاف واقتصرت فى كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما ناسبها وحرمت المستحقين من مالهم كأوقاف الحرمين » .

وذكر كيف أقدمت الهيئات التبشيرية عند وقوع المجاعة الـكبرى فى الجزائر، على تنصير عدد من أولاد الأعراب وغيرهم من المسلمين بنات وأطفالا ، وأن بعضهم منهم لما كبروا وعلموا بأن أهلهم مسلمون فروا إلى أهليهم .

وأشار إلى بقية من علوم السلف كانت تدرس فى قسنطينة وتلمسان والجهات الجنوبية ولـكن القلق كان شاملا أفاضل العلماء فقد تقابل مع الشيخ على الخفاف المفتى المالـكى بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الإفريقى الشيخ إبراهيم الرياحى ، وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع فى الفقه والحديث ، ولما أنس بمؤلف الـكتاب فاتحه فى أمر الهجرة إلى بلاد الإسلام فأخبره أن مثله نادر الوجود وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم ، أنفع له وأثوب عند الله من خروجه بنفسه ، وترك تلك الأمة المسلمة خالية من مثله ، بل ربما كانت هجرته سبباً فى خروج غيره ؛ فتحرم عامة المسلمين ممن يلقنهم تعاليم الإسلام وعقائد الفقه ، وقد ورد فى كتب الشريعة ، أنه إذا تعذر على ولى الأمر فداء الأسارى من يدى العدو فليؤخر بينهم العلماء » .

***

فهذه حالة الجزائر من ناحية من أهم النواحى التى فهمنا ، ناحية العقيدة الإسلامية وفيها عبرة وتذكرة لمن يريد أن يفهم حقائق الإسلام فى قطر من أعز الأقطار الإسلامية ، وأقربها إلينا وأبعدها أثراً فى تاريخ أفريقيا العربية التى لن تموت وفيها دعائم الإسلام قائمة .

وإننا لنعدها معجزة أن بقيت هذه الدعائم فى أفئدة ملايين من الناس بعد سنوات الضغط السياسى والمحاربة التعسفية التى أشرنا إليها ، ولـكن الذى نخشاه هو أثر سياسة الافقار التى فرضتها فرنسا على رعاياها المسلمين فهذه أبعد غوراً من أى أساليب الإرهاق التى رآها العالم وهى التى ورد وصفها فى محكم الآيات الواردة بالقرآن بقوله تعالى : « ولنبلونـكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس » فقد أصيب المسلمون فى نـكبتهم بالاستعمار الفرنسى بهذه النوائب : قلة الغذاء ، وكثرة المرض ، وسكنى المنازل التى لا تليق بالإنسان . ثم دهمتهم فى السنوات الأخيرة نـكبات القحط المتتاليـة ، وتفشت فيهم الأمراض القاتلة .

فهناك تفعل قلة الغذاء أو عدم تنظيمه ما تفعله فى كافة بلدان الدنيا التى أصيبت بحكم الأوربيين حتى أصبح الـكلام هنا إعادة لما سبق ذكره وتأثير هذا كبير فى تـكاثر السكان وتناسلهم ، وفى إخراج جيل من الأجناس البشرية ضعيف لا يقوى على البقاء أو الصمود أمام تفوق الأجناس الأوروبية من الناحيتين : العقلية والبدنية .

ويسكن لدينا عدد من السكان فى أكواخ من صفائح الغاز الفارغة ولـكن فى الجزائر يعيش أكثر من نصف مليون مسلم فى أحياء برمتها أو مدن قامت على هذا النوع من المساكن ولهذا لا نعجب أن نسمع إن أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ جزائرى مصابون بالسل وهو يعادل عدد المصابين به فى فرنسا وسكانها يقرب من أربعين مليونا ، ولما كانت الوقاية الصحية غير متوفرة لدى الأهالى وليس لديهم أية خدمات لحمايتهم فقد انتشرت الأمراض الزهرية

١٢ - تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

(تتمة)

الرموز فى الأحلام :

أظن هذه الأمثلة كافية لوضع حد لهذا الموضوع ، وهى ليست إلا أمثلة فقط ، فنحن نعرف أكثر من هذا كثيراً فيما يتعلق بالرموز . وإن فى استطاعتكم أن تتصوروا كيف تكون مجموعة من هذا النوع أكثر دسامة ، وأدعى إلى الاهتمام إذا قام بجمعها أشخاص خبراء فى دراسة الأساطير ، وحياة الإنسان ، وفلسفة اللغات ، والقصص الشعبية ، لا أشخاص مثلنا قليلو العناية بما يدرسون . غير أننا نجد أنفسنا مدفوعين إلى الاعتراف ببعض النتائج التى لا يمكننا أن نستنفد كل ما فيها ، ولكنها مع ذلك تمدنا بالكثير الذى يتطلب الروية والتفكير .

فنحن نواجه قبل كل شىء بالحقيقة الماثلة أمامنا وهى أن الحالم يجد تحت يده أسلوباً رمزياً للتعبير ، لا يعلم عنه شيئاً بل لا يستطيع أن يتعرف عليه وهو يقظان . وهذه الحقيقة لا يعادلها فى الغرابة إلا أن تكتشف فجأة أن الخادم التى عندك تفهم السنسكريتية فى الوقت الذى تعلم فيه أنها قد نشأت فى قرية بوهيمية ولم تتعلم قط هذه اللغة . وليس من السهل أن نوفق بين هذه الحقيقة وبين نظرياتنا فى علم النفس ؛ وكل ما نستطيع قوله هو أن معرفة الحالم بالرمزية ،معرفة لا شعورية تتصل بحياته العقلية الباطنة ، ولكنى أحسب أنه حتى هذا الفرض لن يساعدنا كثيراً فنحن إلى الآن لم نفعل أكثر من أن فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكون مجهولة لدينا لبعض الوقت أو على طول الخط ؛ ولكن المسألة الآن أكثر اتساعاً ، وعلينا فى الواقع أن نعتقد فى وجود معرفة لاشعورية ، وارتباط لاشعورى بين الأفكار ، ومقارنات لاشعورية بين الأشياء المختلفة يمكن بموجبها لكل فكرة أن تستبدل دائماً بأخرى . وهذه المقارنات لا تنشأ من جديد فى كل مرة ، بل هى رهن الإشارة ، صالحة لكل وقت ، وهى نتيجة استخلصناها من التشابه الذى نجده بين الأشخاص المختلفين ، حتى على الرغم من تباين لغاتهم أيضاً .

ما هو المصدر الذى نحصل منه إذاً على معرفتنا بالرمزية ؟ إن استعمال اللغة فى الحديث لا يشمل إلا جزءاً بسيطاً فقط ، بينما الأمثلة المتعددة فى المجالات الأخرى تكون فى الغالب مجهولة لدى الحالم ، وقد عانينا نحن أنفسنا فى مبدأ الأمر مشقة فى تنظيمها والمقارنة بينها .

ونقطة ثانية هى أن هذه العلاقات الرمزية ليست صفة خاصة بالحالم أو بعمل الحلم ، وهو السبب فى التعبير بها ، لأننا اكتشفنا أن نفس هذه الرموز مستعملة كذلك فى الأساطير و« الحواديت » وفى الأقوال المأثورة والأناشيد ، وفى الأحاديث الدارجة والخيالات الشعرية . فميدان الرمزية ميدان غريب الاتساع ، وليست الرمزية فى الأحلام إلا جزءاً صغيراً منه ، وحتى إذا عالجنا الموضوع بأكمله من ناحية الأحلام فقط ، فلن يكون فى ذلك نفع ما .

انتشاراً اجتاح قرى برمتها .

إن أعظم صورة تقدمها فرنسا بعد حكم دام أكثر من قرن من الزمن ، هو مواكب النساء والرجال والأطفال الذين لا يجدون من الكساء إلا ما يسترهم يسيرون نحو بقايا الأطعمة ومزابلها يلتقطونها لسد رمقهم ؛ بعد أن حرمتهم حكومة الاستعمار من زعمائهم وقادتهم ومدارسهم وأوقافهم ، وفرضت عليهم الذلة والمسكنة وحرمتهم من كل مميزات الشخصية : الدين واللغة والتوجيه ؛ لقد بقى لهم شىء واحد هو : الإسلام والإيمان بالله .

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » .

ولقد يضحك الاستعمار من هذا الخضوع والاستسلام ، ويرى فيه أن الأمة التى كانت ترج البحر الأبيض المتوسط قبل احتلال فرنسا قد رقدت رقدتها النهائية وأصبحت فى ذمة التاريخ بعد أن أدت رسالتها ، ولكنه مخطىء لأن الأمة الجزائرية ستحطم هذه الأغلال ، وستخرج من هذه الظلمات بقوة تبهر فرنسا والكولون الفرنسى ، لأن النيران المتأججة لا يزال بريقها وإشعاعها تخفيه تحت الرماد أمة إذا تحركت وثارت ستهز هذا الركن هزة عنيفة لا تقدر على الوقوف إزاءها قوات الظلم والتعسف .

أحمد رمزى

فكثير من الرموز التي تقع باستمرار في نواح أخرى، يندر ظهورها في الأحلام أو ينعدم بالمرة. ومن ناحية أخرى نجد أن الرموز المستعملة في الأحلام لا تمر بنا في كل مجال آخر، ولكنها كما رأيتم، موزعة هنا وهناك. ومن هنا يتولد لدينا الإحساس بأننا نعالج أسلوباً قديماً في التعبير قد بطل استعماله، ولم تبق منه إلا نتف بسيطة متناثرة، واحدة هنا فقط، وأخرى هنالك فقط، وثالثة في مجالات متنوعة، ربما على أشكال مختلفة بعض الاختلاف.

وثمة نقطة ثالثة، فلا شك أنكم ستدهشون لأن الرموز التي تقع في المجالات الأخرى التي ذكرتها لكم، ليست قاصرة على المواضيع الجنسية فقط، بينما نجد في الأحلام أن الرموز يقصر استعمالها في الغالب على تمثيل الأشياء والعلاقات الجنسية. وهذه النقطة من الصعب تعليلها. أيحق لنا أن نفرض أن الرموز التي كانت في مبدأ الأمر ذات دلالة جنسية، قد صار استعمالها أخيراً بشكل آخر، وأن من الجائز أن يكون هناك ارتباط بين ذلك وبين الميل عن الأسلوب الرمزي في التعبير إلى أساليب أخرى؟ أظن من الواضح أننا لا يمكننا الإجابة عن هذه الأسئلة إذا اقتصرنا على معالجة الرمزية في الأحلام فقط، وكل ما نستطيع عمله الآن هو أن نتمسك بما افترضناه من أن هناك علاقة خاصة قريبة بين الجنسية والرموز الحقيقية

وهناك دليل هام في هذا المعنى قدمه إلينا أخيراً الباحث في فلسفة اللغات «إتش. سبيربر» (H. Sperber)، (وهو يعمل مستقلا عن التحليل النفسي) وهو أن الحاجات الجنسية كان لها النصيب الأكبر في نشأة وتطور اللغات. فهو يقول أن الأصوات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت وسيلة للمناجاة والاتصال بينه وبين الجنس الآخر، ثم تطور الحال فيما بعد وصارت عناصر الحديث تصاحب أنواع العمل المختلفة التي يقوم بها الرجل البدائي. فكان الناس يبذلون الجهود المشتركة في القيام بهذا العمل وهم يدندنون بأصوات وترانيم منغمة تسبغ على العمل طابعاً من الاهتمام الجنسي. ومعنى هذا أن الرجل البدائي كان يجعل العمل مستساغاً بأن يزاوله كما لو كان مساوياً أو بديلا من النشاط الجنسي. ولذا فالكلمة التي كان ينطق بها أثناء العمل المشترك كانت تحمل معنيين، أحدهما يدل على العملية الجنسية والآخر على العمل الذي صار مساوياً لها؛ إلى أن جاء الوقت الذي انفصلت فيه الكلمة عن دلالتها الجنسية وصار استخدامها محصوراً في الدلالة على العمل. وعلى ممر الأجيال حدث نفس الشيء لكلمة جديدة لها دلالة جنسية، فصار استخدامها للدلالة على نوع جديد من العمل. وبهذه الطريقة برزت عدة كلمات أصلية كانت كلها ذات مصدر جنسي، ولكنها فقدت جميعاً معناها الجنسي. فإذا كان هذا القول الذي ألممنا بطرف منه هنا صحيحاً، فإنه يفتح أمامنا على الأقل وسيلة لفهم الرموز في الأحلام، فنستطيع أن ندرك السبب في أن الأحلام، وهي تحتفظ ببقية من هذه الصفات البدائية، تحتوي على عدد من الرموز الجنسية أكبر من المعقول، وأن الأسلحة والأدوات على العموم تمثل الذكر، بينما المواد والأشياء التي يجرى عليها العمل تمثل الأنثى. ومعنى ذلك أن العلاقات الرمزية عبارة عن مخلفات هذا التشابه القديم بين الكلمات، فالأشياء التي كان لها في يوم ما نفس الاسم الذي يطلق على الأعضاء التناسلية، تستطيع أن تظهر الآن في الأحلام كرموز لها.

والنقطة الرابعة التي أود ذكرها تكر بنا راجعين إلى المكان الذي بدأنا منه ثم تسلك بنا نفس الطريق الذي سلكناه. فقد قلنا أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام، فإننا سنلاقي مع ذلك صعوبة في التفسير، لأننا سنواجه في هذه الحالة بمشكلة اللغة الرمزية المستعملة في الأحلام والتي تتطلب منا ترجمتها إلى اللغة المستعملة في حياة اليقظة. وعلى هذا فالرمزية تعتبر عاملا ثانياً قائماً بذاته في تحريف الأحلام، وهو يقف جنباً بجنب مع الرقابة ولكن النتيجة الواضحة هي أن الرقابة تجد أن من الملائم لها أن تنتفع بالرمزية، بما أنهما يخدمان نفس الغرض، أي خلع هالة من الغرابة والغموض على الأحلام.

وأما إذا كانت تمت دراسة أخرى للأحلام لن توصلنا إلى معرفة عامل آخر يشترك في التحريف، فهذا ما سوف نراه قريباً. ولكن يجب أن لا أدع موضوع الرمزية في الأحلام قبل أن أمس مرة أخرى الحقيقة المبلبلة وهي أن الرمزية قد نجحت في إثارة معارضات قوية بين أشخاص مثقفين على الرغم من أن تفشيها في الأديان والأساطير، والفنون واللغات، مما لا يقبل الشك. أليس من المحتمل إذاً أن السبب في ذلك يرجع هنا أيضاً إلى الصلة التي بينها وبين الجنسية؟

محمد جمال الدين حسن

مع ميخائيل نعيمه

فى (زاد المعاد)

للأستاذ مناور عويس

« غداً ستغمرنا لجة العدم بأحزابنا وأوصابنا ، بجائعنا ومتخومنا ، بفقيرنا وموسرنا ، بوجيهنا وحقيرنا ، وستقوض الأيام أركان ما شدناه من البنايات السياسية والاقتصادية فلا يبقى إلا الخالد والجميل والحق فينا ... ومن ذا الذى يبقى ليخبر عن الخالد والجميل والحق فينا إن لم يكن ابن الأدب والفن ؟ ! »

« نعيمه »

لك الله يا ميخائيل كم لك على من يد بيضاء !

فى الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٤٧ فجعنى الموت بابن أخى « جمال نورى عويس » فرحت التمس العزاء فى الشعر العربى القديم منه والحديث — فقد كان الأدب وما زال هو الملجأ والمعاذ الذى أهرب إليه فى الأزمات والملمات — فماذا وجدت ؟ وجدت شعراً مفجعاً مؤثراً غير أنه فردى لا يصلح لكل إنسان ولا يسمو به فوق المكان والزمان ، اللهم إلا رائعة رهين المحبسين الخالدة وهل أغنى سوى « غير مجد » ؟

وإذا بيدى تمتد إلى « زاد المعاد » فأفتحه وإذا بى أقع على هذه الآيات فى الموت والحياة :

« وعندى أن من ينوح على ميت إنما ينوح على الله ، ومتى كان الله فى حاجة إلى نوحكم ونوحى ؟ أو ليس الله حياً من الأزل وإلى الأبد ؟ إذن كل ما ينبثق منه يحيا بحياته مهما تبدلت أحواله وكيفما تغيرت أشكاله ، والذى يقول إن الأموات بادوا واندثروا إنما يقول إن الله الذى كان وما يزال حياً فيهم قد باد واندثر .

والذى يؤمن بأن الموت رب الحياة أحرى به أن يعبد الموت ويكفر بالحياة ، والذى يبصر فى الموت نهاية الحياة إنما هو ضرير لا يبصر الحياة ولا الموت ! ...

فما بالنا ونحن الذين حصرنا الزمان بين المهد واللحد نقبل على المهد ونهرب من اللحد ، وما المهد إلا طريق اللحد وبابه ؟ !

ما بالنا نلثم اليد التى كتبت الفاتحة ونعض اليد التى خطت الخاتمة ، واليد التى خطت الخاتمة هى عين اليد التى كتبت الفاتحة ؟ إن تكن خاتمة العمر شراً فالفاتحة التى تؤدى إليها شر مثلها . وإذ ذاك أحرى بنا أن ننوح على من يولد قبل أن ننوح على من يموت .

أترونى أكلمكم بالأحاجى ؟ وبماذا عسانى أكلمكم إن لم يكن بالأحاجى ؟ وتقاليد الناس قد جعلت من وجودهم سلسلة كل حلقه فيها أحجية ؟ أجل . إنها لأحجية أن تفصل بين الحياة والموت وهما متصلان اتصال النهار بالليل ، واليقظة بالمنام ، والزهرة بالثمرة ، وقطرة الطل بقطعة الجليد . إنها لأحجية أن تميت نبات الأرض وطيرها وحيوانها لتحولها لحماً فى جسدك ودماً وعظماً وأن تدعو موتها حياة وعندما تحول الأرض جسدك نباتاً وطيراً وحيواناً أن تدعو ذلك موتاً لا حياة ! إنها لأحجية أن تأكل الموت فى كل ما تأكل وتشربه فى كل ما تشرب وتلبسه فى كل ما تلبس . وأن تنام وتقوم وإياه . وأن تشتهيه فى كل شهوة من شهواتك . وأن تباركه فى كل ذلك باسم الحياة . ومن ثم أن تلعنه عندما يأكلك ويشربك ويلبسك ويشتهيك ! ... الخ

قرأت هذه الآيات التى تزخر بالإنسانية والفلسفة والشعر والمنطق فإذا بى أحس بدبيب التعزية يسرى فى نفسى وإذا بالثورة التى كانت تعتلج فى روحى قد استحالت هدوءاً وسكينة واستسلاماً فخرجت بالنتيجة الآتية :

إن الأدباء صنفان : صنف يرهقك بآرائه وآراء غيره الجافة التى تعتمد على البحث والاستقراء دون أن يعطيك شيئاً من روحه ووجدانه ، وصنف يقدم لك روحه ووجدانه طعاماً شهياً بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه . ومن الصنف الثانى شاعر الإنسانية الشاملة ، شاعر المحبة ، شاعر الحياة وكاتبها الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمه ! ..

فأنت تقرأ حين تقرأه فلسفة عميقة ومنطقاً سليماً وأدباً رائعاً دون أن تحس بإرهاق فى عقلك أو توتر فى أعصابك ، فأنت معه فى بستان حافل بكل ما يعجب ويطرب ويلذ ...

فبينما ترى الصنف الأول من الكتاب يمتح من معين غيره ترى الصنف الثانى يستقى ويسقى من نفسه وروحه ، ومن يستوح نفسه يستوح أرواح الناس جميعاً ؛ الأول يكتب فى كل شىء

ولا يكتب فى شىء ؛ الأول بحاثة والثانى صاحب رسالة ، الأول تقرأه مرة وقل أن تحس بحاجة للرجوع إليه ، والثانى لا تستغنى عنه لأنه منك وإليك ! ... الأول أنانى محدود الآفاق ، والثانى واسع شامل عميق كالحياة ، الأول يشبه البركة الراكدة ، والثانى يشبه الأوقيانوس !

فالأديب الذى لا يكفكف عبرة ، ولا يكشف غمة ، ولا يحل عقدة هو أديب حظه من البقاء قليل ونصيبه من الخلود هزيل ..

قدّر لى أن أنشأ نشأة ريفية صميمة ، فقد تفتحت عيناى على تلك الجبال التى تغزل بها سليمان فى نشيده الخالد : « شعرك كقطيع الماعز الرابض على جبال جلعاد » هذه الجبال جبال جلعاد أو جبال عجلون — كما تدعى اليوم — هى مجلى هواى ومرتع صباى ... كنت أفارقها — مرغماً — العام والعامين — طالباً أو مسترزقاً — وأعود إليها مستروحاً مستجما — لاغتسل من أدران المدنية واتطهر من أقذار المدنية ، ولقد كنت أشعر شعور الحاج أقبل على الأماكن المقدسة ، فن مشاعر غريبة مبهمة وأحاسيس غامضة من الحنين والشوق والحب والشعر والدين ، إلى عواطف متضاربة من الفرح والحزن ، والعبوس والابتسام .

كنت أقف إزاء هاتيك الجبال الأزلية ، التى شهدت فجر الخليقة وستشهد غروبها ، خاشعاً مبهوتاً ، وأهبط إلى تلك الأودية العميقة الرهيبة فأحس بحاجة ملحة إلى السجود والتعبد ، كما كنت أشعر بإشراق فى روحى وفرح وحشى فى قلبى لا يعرفه إلا ابن الطبيعة ، الذى ألف ولولة الرياح وهزيم الرعد وانفجار الصبح ولمع البروق ! ... ولطالما أحسست وأنا أسير بين تلك الجبال الحبيبة التى عرفت طفولتى وصباى وشهدت ملاعبى وهواى بالحاجة إلى نظم الشعر أو كتابة النثر فكانت تعجزنى الأداة وغلبة الإحساس الطاغى على التفكير والتركيز ، فتسيل عواطفى من عينى ، وتستحيل الفكرة فى رأسى إلى نوع من الشرور والذهول ، ولست أدرى أكانت دموعى دموع الفرح بعد طول الفراق ، أم دموع الأسى على هاتيك الأيام والليالى التى بدَّدتها فذهبت إلى غير رجعة ؟ !

ظل ذلك شأنى إلى أن قرأت هذه الآيات من خطاب « نعيمه » إلى أبناء بلدته « بسكنتا » إثر عودته من أمريكا :

« يا أبناء بسكنتا يا لحمى ويا دمى !

منذ عشرين عاماً أدرت وجهى إلى البحر وظهرى إلى صنين واليوم صنين أمامى والبحر ورائى . وأنا بين الاثنين كأنى فى عالم جديد وكأنى ولدت ولادة ثانية .

ما أنا بالنبى يضع المعجائب ، غير أنى منذ عدت إليكم والعجائب تكتنفنى ، فكأننى فى عالم مسحور . أنظر إلى الجبال التى كنت أتسلقها فإذا بها تتسلقنى ! وإلى الأودية التى كنت أهبط إليها وإذا بها تهبط إلى أعماقى ! وإلى البساتين والكروم والحقول التى كنت أتمشى فيها وإذا بها تتمشى بين جنبات ضلوعى ، وكأن كل غرسة فيها غرست فى داخلى . وكأن كل يد تعمل فى تربتها تعمل فى تربة نفسى ! ...

أكاد لا ألمس حجراً إلا تفجرت منه سيول من الطهر والجلال ! أكاد لا أسمع زقزقة عصفور إلا سمعت فيها أجواقاً من الملائكة ترنم بصوت واحد « قدوس . قدوس . قدوس . ! » أكاد لا أرفع بصرى إلى نجم إلا تدلت منه سلالم سحرية . هى سلالم المحبة التى تربط كل ما فى السماء بكل ما على الأرض ! ...

ومن ثم فكيفما انقلبت تجمهرت على ذكريات ما كان من حياتى قبل هجرتى . فهى تثب علىّ من جوانب الطُرق ، وشقوق الصخور ، وخطرات النسيم ، وقطرات عيون بسكنتا الكثيرة »

فأى امتزاج فى الطبيعة هذا الامتزاج ؟ ! وأية صوفية ، وأية روحانية تطالعانك من هذه الفقرات ؟ !

إن الشعور الطاغى الذى كان « سديماً » فى صدرى قد جعله نعيمه شموساً وأقماراً وأرضاً ، والأفكار المشوشة ، والحنين المبهم والشوق المحرق ، قد حوله نعيمه بمقدرته الفنية إلى أدب رفيع وفن رائع !

إن ما كنت أحس بالرغبة للتعبير عنه ولا أستطيع إليه سبيلا بغير الصمت والخشوع والدموع ، قد عبر عنه نعيمه بأسلوب الملهمين وأصحاب الرسالات الروحية الخالدين !

فالكاتب الذى ينطق بلسانك ويشرح ما يكنه جنانك هو أديب وأى أديب ! ...

والأديب الذى يجد الناس فى أدبه بلسما لجراحهم ومتنفساً لخواطرهم ومعبراً عن أحاسيسهم ومشاعرهم هو أديب فيه نبوة وفى أدبه قدسية ! ...

يافا

مناور عويس
مدرس الأدب العربى بكلية ترا سانطة

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

– ٣ –

من كتاب هذا الكتاب الأستاذ كامل محمد عجلان ، وأشهد أن لهذا الأستاذ قلماً ، وأن له كتابة تنبىء عن مستقبل وتبشر بآمال ، وأحسب أن مرد ذلك لا إلى أنه يتولى تدريس علوم البلاغة فى الأزهر ، ولكن لأنه أديب مطبوع له قلب وفيه خيال زادتهما الدراسة عمقاً وأصالة وصقلا ، أنظر إلى قوله عن الربيع إنه « أنفاس الجنة وريش حمائمها ، ونثار الملائك ، وغراس القدرة ، تطله العناية لتمسح بمراياه لغوب الحياة الكالحة ، وهو خطوط رفعها الله معالم ، وصوى تهتف بالقلوب وتنزع عنها لباس الجمود فتسيل إيماناً بالجمال الذى يرقص الإنسان على هدهدات الظلال وميسات الغصون وتغاريد الطيور وخرير الماء . »

هذا كلام له قيمة وله وزن عندما توزن الأقوال ، وهذا كلام أديب أصيل فى الأدب يعرف كيف يصوغ الألفاظ وكيف يصطفيها . وفى الكتاب أربع كلمات أخرى عن الربيع لأدباء آخرين لا توزن جميعها بهذه الكلمة إذا وضعت معها فى ميزان!

وانظر إليه وهو يخاطب القمر فيقول له « ما أنت يا قمر ؟ أنت راهب الأحلام وسواق الأمانى تلقيها فى قلوب الحيارى وتشمشع بها عواطف العاشقين ، وتداعب بها الساهدين فتكون برداً على أفئدتهم الهواء ، وسميراً إذا طال أمد الحبيب ، وشدت الأضالع بالأنفاس المبهورة والزفرات الأسيفة .

يا ابن السماء : إذا غابت عنا شموس الفتنة أرسلتك صفحة تنشر سحرهن وتفتن العابد وتسل عليه من سيوف الأحلام ما يبعث اليقظة الثائرة تهز القلب وتراود الواهى بين الحنايا فينقاد ويعود إلى محاريب الجمال وملاعب الصبوات » . أين من هذا الكلام الجيل كلام صاحب له فى القمر أيضاً يقول فيه « .. هات الناى فصلاتنا اليوم ألحان ، وشرابنا رحيق من كوثر الإيمان طوبى للقمر إنه آية فى الفرقان ، وعين أقسم به الديان تسبح فى الأكوان ، تنادى هيا أيها الإنسان ، أعبد الله لا تكن قرين الشيطان ، لحياة القلوب فى عبادة الرحمن . » هذا كلام مرصوص كالبنيان ، ليس وراءه قلب ولا وجدان ، ولكنه السجع الذى شغف به وعبده الكثير من أدباء هذا الزمان !!

والشعراء فى كتاب « أدب العروبة » هم الكثرة الغالبة فيه حتى كان يمكن أن يسمى هذا الكتاب « شعر العروبة » ووكيل الجماعة الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم له فى الكتاب سبع قصائد لكل مهرجان قصيدة ! ولقد قرأتها جميعاً فى أناة ومهل ، وقرأتها أكثر من مرة ، وفتشت جاهداً على أجد فيها شعراً جميلا يستحق النشر والإعلان بله التنوية والإشادة فما وجدت والله من ذلك شيئاً ! فشعره — ولا حياء فى الحق — ليس فيه سمة واحدة من سمات الشعر إلا أنه موزون مقفى ! أستغفر الله فقد انحرف عن استقامة الوزن فى بعض شعره كقوله فى قصيدة الهجرة : —

هيا اترعى وامنحى الظمأى حلاوتها
هاتى لنا الدنيا ... هاتى لنا الدينا

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن ، وكقوله فى قصيدة مهرجان الفيوم :

بشراً عبقريا بأنى أغنى فأشيع النبوغ فى الأكوان !

فالشطر الأول غير مستقيم الوزن ، وكقوله فى قصيدة مهرجان المنصورة :

الشعر جند لا سبيل لصده لا يخشى ناراً أو يخاف أسوداً

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن كذلك .

وشعر الأستاذ فوق بعده عن الرنين والإيقاع والموسيقى ، وفوق أنه لا يعنى مطلقاً باختيار ألفاظه بل يسوقها سوقاً من أى واد يتفق له ساعة ينظمها فهو لا يحفل بالمعانى ولا يقف عندها ويتأنى لها حتى تخرج للناس شيئاً يمكن أن يقال عنه شعر ، فهو يقول عن القمر مثلا إنه :

عطوف حدبه وسع البرايا ويشفى هديه الجفن القريحا !
ويسهر دائباً طول الليالى ويكبح سحره البحر الجموحا !

فهل يشفى القمر الجفن القريح ؟ وهل يكبح القمر البحر الجموح ؟ أم هو كلام موزون وكفى ؟؟ ويقول عنه أيضاً إنه : —

صموت لا تزعزعه العوادى وكان بصمته معنى فصيحا! « كذا »
ويغضى عن عيوب الناس طراً ويفسح للمحاسن كى تفوحا

فما للصمت وللموادى ؟ أو ما للقمر وللموادى ؟ وما إغضاء القمر عن عيوب الناس طرا ً ؟ هذا خلط من القول يجب أن يوارى.

ويقول فى مهرجان الهجرة عن صاحبها عليه السلام :

مواكب الخير فى دنيا وآخرة كانت لدعوته العليا ميادينا
حتام نشكو الضنا والسعد فى يدنا يكفى جميع الورى طرا ً ويكفينا ؟

فإن كلمة « السعد فى يدنا » هذه أقرب إلى كلام العامة من الناس ، وهل كانت مواكب الخير فى الدنيا والآخرة يوماً ميداناً لدعوة ؟

ويقول فى مهرجان الفيوم عن مصر :

قد بنينا الحياة علماً ومعنى لزكاة الأرواح والأبدان

إلى أن يقول عن مدينة الفيوم :

هاهنا السحر ، هاهنا الشعر والآ داب والدين والمنى والأمانى !

فأى حشد من الكلام هذا ؟ وأى شعر فيه ؟

ويقول فى مهرجان « الفاروق » : —

بالعدل والخلق والإيمان منزله
قد جاوز النجم والأقمار والشهبا « كذا »

قد كنت أعلم أن الشمس عالية مهما الخيال ارتقى للشمس ما اقتربا
جمت كل معانى المجد قاطبة العدل والملك والأخلاق والحسبا

فهذا كلام عام لا سمة فيه ولا معنى له إلى أنه ركيك العبارة فاسد التركيب .

ويقول مخاطباً الناس منبهاً لهم إلى ارتياد الجمال :

نخذوا الجمال إلى الكمال وسيلة وتفيئوه بأقدس النظرات
ومُذْ اطمأنت للجمال نفوسكم ووصلتم الحسنات بالحسنات
ترثون كنز الأنبياء فضائلا وتبادلون الطهر خير صلات !

أنا أرجو القراء الكرام أن يدلونى على معانى هذه الأبيات ومدى ارتباط بعضها ببعض فقد عييت بفهمها وإدراك ما يقصد الشاعر إليه فيها . ولا أسرف أكثر من ذلك فى سوق النماذج من شعر الأستاذ فكل شعره من هذا الطراز هلهلة وتفككا واضطراباً ، وسيجد القارىء مصداق كلامى إن هو اعتمد على الله واحتسب عنده تعالى ساعة يقرأ فيها قصائد الأستاذ فى الكتاب ! ولست أحصى كذلك أخطاءه اللغوية والنحوية فيبدو لى أن الأستاذ لا يأبه كثيراً لذلك ويجد الأخطاء اللغوية والنحوية من الهنات الهينات التى لا يقام لها وزن كبير ! وهل يحفل بالأخطاء النحوية واللغوية من يقول مخاطباً القمر « وأرجع مجدنا الضخم الفسيحا » بهمزة القطع مع أنه قرأ قول الله تعالى « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » وقوله تعالى « قال رب ارجعون » بهمزة الوصل ؟ ثم هو يعكس الأمر حسب هواه أو حسب هوى الوزن الشعرى فيقول « هيا اترعى وامنحى الظمأى حلاوتها » بهمزة الوصل والصواب أن يقول « أترعى » بهمزة القطع فيركب السيئتين معاً ؟

وهل يعنى العناية الواجبة بلغته من يقول « لكنه وهب الحياة خلوداً » والله تعالى يقول « رب هب لى من لدنك ولياً » ويقول « ووهبنا له » أومن يقول مثل عبارته عن القمر « ولكن يضرب المثل النصوحا » أو عبارته عن القمر أيضاً إنه « يفسح للمحاسن كى تفوحا » ؟ أو يقول عنه أيضاً : —

ولو شاء لستكان إلى قعود ولم يسمع لعاوية نبوحا « كذا »

أنا أطلب إلى معالى الرئيس الشاعر الذواقة أن يوارى هذا الكلام ولا يأذن بنشره على الناس ، أو أن يلزم أصحابه التجويد والأناة والمهل إن كان بهم طاقة على ذلك وإلا فليس الشعر هزلا وليس الشعر كلاماً يلقى على الناس دون حساب ودون ضابط فيكون شعراً بإذن الله !

ولو شاء الأستاذ لرأى فى صديقنا الدكتور إبراهيم ناجى من أصالة الشاعرية وسمو الخيال وموسيقى اللفظ ما لو نهج فيه نهجه لكان مثله من الشعراء المجيدين ولكن الله يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور !

وللأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى فى الكتاب ثلاث قصائد فقط لا تعدل قصائد الأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم السبع واحدة منها والدكتور ناجى شاعر بالفطرة وشاعر باللفظ وبالمعنى وبالخيال الفسيح البعيد ، وبالموسيقى التى تشيع فى جو قصائده . والقصائد الثلاث التى احتواها كتاب « أدب العروبة » لا تعبر عنه تمام التعبير ولا تدل عليه تمام الدلالة فأنا أعرف له الكثير من الشعر العذب الرصين السائغ السامى ولكننى لست إلا بصدد الكلام عن كتاب « أدب العروبة » فأنا أعرض نماذج من شعره فيه ليرى القارىء معى ما أرى من جمال الشعر وسمو الخيال ،

فهو يقول عن نفسه فى قصيدة « الربيع » : —

إنى فراش خميلة قد جنَّ فى ... عرس الربيع الضاحك المختال
خلق الربيع له جناحىْ نشوة ... وسقاه كأسىْ فرحة وخيال
حسن وقفت على سناه مباليا ... وأنا الذى ما كنت قبل أبالى
غنيته حتى إذا حجب النوى ... أنواره وجبينه المتلالى
غنيته فى القلب محتفلاً به ... مترقباً عود الربيع التالى ...

ألا ترى أن ذلك شعر يوشك أن يكون غناء ؟ وأن له جرساً وموسيق ورنيناً ؟

ويقول فى قصيدة الفيوم هذه الأبيات البديعة حقاً يخاطب مصر : —

تالله لو فى الخلد كنت بموضع ... أو فى المجرة مصبحى ومهادى
لرنت لشطيك النواظر من عل ... وهفا إليك من الجنان فؤادى

إلى أن يقول : —

خير الوثائق ما كتبت سطوره ... بدم الضحايا المحض لا بمداد
عليه إملاء القوى محطماً ... بيديك أنت مذلة الأصفاد !

ويقول فى مهرجان « الشرقية » من قصيدة عنوانها « المجد الحىّ » ما يأتى : —

أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً ... وأين بالله تيجان ودولات ؟
مروا ومصر على التاريخ باقية ... كصفحة حولها للنور هالات
يد تخط وأخرى غير وانية ... لها على الدهر توكيد وإثبات
هذا هو المنطق العالى وأعجبه ... محض من الزور وشته الضلالات
ومسرح فى الليالى لا جديد به ... لكن يعادعليه الذئب والشاة!

أو لرأى فى صديقنا الشاعر المرح الطروب الأستاذ محمد مصطفى حمام مثلا عالياً فى هذا اللون الطريف من الشعر فى عبارة رنانة أخاذة وموسيق تأخذ بمجامع القلوب ، انظر إليه وهو يقول فى « فلسفة الربيع » هذا الكلام الجميل السهل : —

لى وللناس فى الربيع معانى ... ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر التصابى ... وشباب الأرواح والأبدان
وربيع « الجيوب » إحراز مال ... وامتلاء بالأصفر الرنان !
وربيع « الموظفين » علاوا ... ت ورزق يأتى بغير أوان !
وربيع الأديب لقيا عروس ... زفها الشعر من عذارى المعانى
كم لهذا الربيع فلسفة تحـ ... ـلو وكم للربيع من ألوان !

فهو يصدر فى شعره هذا عن طبيعته المرحة الطروب ، وهو الذى لا تفارق الابتسامة ثغره ، ولا النكتة حديثه ! وانظر إليه وهو يقول فى قصيدته « مناجاة القمر » هذا الشعر الجميل : —

يا بدر ... يا سلوة للقلب شافية ... إذا ألح عليه الهم والضجر
ويا رقيباً على العشاق مؤتمناً ... السر عندك مكنون ومدخر
ويا حسيباً جرت أسطار صفحته ... بالخير والشر مما قدم البشر
يا من تموت وتحيا ... ثم لا هرم ... يبدو عليك ولا ضعف ولا كبر
يا من تعيش بأعمار مجددة ... وكل يوم ترى الأعمار تختصر
يا قيصراً عرشه الدنيا وما وسعت ... وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة ... والشاعر الحق تسبى لبه الصور!
دعنى أسامرك فى جد وفى هذر ... ففى لياليك يحلو الجد والهذر
كم ليلة لحت فيها شاحباً أرقاً ... كأنما شفك التطويف والسهر
أو ضقت بالظلم يغشى الأرض قاطبة ... أأنت مثلى طريد الظلم يا قمر ؟

وبعد : فإن كتاباً يضم بين دفتيه أمثال هذين الشاعرين يجوز أن يتخرص عليه المتخرصون ويأفك به الأفاكون ، ويقولون طبعوه فى مطبعة حكومية ؟ ألا ليت المطابع الحكومية تخرج للناس — على نفقتها لا على نفقة المؤلفين — كل يوم كتاباً هكذا فذلك أجدى على الناس وعلى الدولة مما تخرج من إحصاءات وأرقام ومناشير لا غناء فيها ولا طائل وراءها ...

على متولى صلاح

---

٢ – من ذكرياتي في بلاد النوبة :

في الباخرة !!

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

وتحدث بعض الناس عن عنيبة مادحاً ، فهذا تاجر — أخنى عليه الدهر ، فاضطر ليعمل ساعياً في بعض مصالح الحكومة — يحدثنا فوق ظهر الباخرة حديث الخبير العليم ، عن أحوال عنيبة وظروفها ، وما ينعم به موظف الحكومة ، والمدرس خاصة ، بشتى ضروب النعم ، ومختلف لذاذات الحياة . وأن عنيبة باريس بلاد النوبة عامة ! وأنها جنة الصعيد على الإطلاق ، جواً ، ومنظراً وبعداً عن الحشرات والأمراض ... !!

ووقع هذا القول من نفوسنا موقعاً جميلا ، فماذا يبغى الإنسان من دهره غير حياة هادئة وادعة ، يجد فيها لذاذة العيش ، وراحة البال ؟ !

وهذا رجل آخر يذكر لنا وفرة الطيور ، وكثرة اللحوم ، ورخص الخضر ، وبعض أنواع الفاكهة ، وأنه على استعداد ليوفر لنا كل ما نحتاج إليه ، ويورد لنا كل ما نريد ، دون أن نحرك ساكناً ، أو ننقل قدماً ، وأن الدجاجة الكبيرة التي تساوي في القاهرة ثلاثين قرشاً ، بثمانية قروش ، والزوج من الحمام بسبعة قروش ، والرطل من اللحم الضأن بسبعة قروش أيضاً ، وثمن أربع بيضات قرش واحد ! !

وكانت هذه الأثمان تسترعى انتباهنا ، وتستوجب دهشتنا ، وكان معنا في الباخرة مهندس ميكانيكي ، وقاض شرعي منقول هو الآخر إلى عنيبة ، فأخذ كل منا يعلق على هذا الكلام القريب من كل نفس في هذه الأوقات ، وفي عينه فرحة ، وفي وجهه دلائل الدهش والاستغراب ! فكلنا ذاق مرارة الجشع . وقسوة الطمع ، وارتفاع الأثمان إلى أضعاف ما يجب أن تكون عليه ، ولا يزال علمنا بأثمان الحاجيات ، ليس ما تسعره الحكومة وتفرضه ، وإنما ما نشترى به بالفعل ، من أيدي التجار . الذين لا يخافون الله ، ولا يخشون عين الحكومة ، ولا سطوة القانون . ! مكثنا نضرب مع أولئك الذين يدعون أنهم على علم ببواطن الأمور في عنيبة ، وكأنما فهموا منا هذا الإحساس ، فسمعنا ما جعل الشك يدب إلى نفوسنا في هذه الأحاديث ، وأن ما يقال ليس هو الحقيقة والواقع ، وإنما أراد هؤلاء الانتفاع منا فأعرضنا عنهم ، وبخاصة وأن واحداً من الزملاء كان ناقماً أشد النقمة على هذه الرحلة ، ويرى فيها شؤماً أي شؤم ، وعذاباً أليماً ، وانتقاماً ليس بعده انتقام ، وتوهيناً للقوة ، وتشتيتاً للشمل الجميع ... !

ولهذا كان يناهض كل مادح لعنيبة مناهضة قوية ، ويعارضه في شدة وقسوة ، فهو يريد أن يعيش في القاهرة بنصف مرتبه ! ولا يحب أن يأكل كل زوجاً من الحمام في عنيبة ، ويأكل في القاهرة أو في بلدته نصف حمامة فقط ! ولا يحب أن يأكل في عنيبة رطلا من اللحم ويأكل في القاهرة أو في أي بلدة أخرى ربع رطل فحسب ! ولا يريد أن يدخر في عنيبة ثلاثة أرباع راتبه الشهري ، ويحب أن ينفق كل مليم من دخله في القاهرة أو أي بلدة أخرى ! !

وهكذا مضى يناقش ويناضل في قوة كل من يثنى على هذه البلاد بقليل أو كثير ، وكأنما كل مادح في عنيبة هو الذي قضى عليه أن ينقل إليها ، ليلقى فيها عناء الوحدة القاتل ، ومرارة التعذيب الأليم ... ! !

ولهذا فإن هذا الزميل ، كان يأنس بفريق آخر من الناس ، زم شفتيه عندما علم أننا ذاهبون إلى عنيبة ، ونظر إلينا نظرة رثاء وإشفاق ، ورأى أننا مشردون منفيون لا محالة ، ولا بد أننا قمنا بحركة سياسية لم ترض القائمين بالأمر ، فحكموا علينا بذلك الحكم القاسي ، الذي لا مرد له ، وأننا سنلاقي هناك صحراء جرداء ولن ننعم فيها بشيء ، لأنه ليس فيها شيء ينعم به إنسان . سوى الجبال والرمال ، والعقارب ، و (الطربشة) وهي نوع من الثعابين يتحوى عند ما يشعر بإنسان قادم نحوه ، ثم يقفز إليه ، فإذا عضه ، فلا علاج أبداً غير قطع هذا الجزء الملدوغ في الجسم ، وصب زيت مغلي على موضع الجزء المقطوع ؟ ! !

استمعنا إلى هذا ، فأدركتنا الرهبة ، وملأنا الخوف ، واقشعرت منا الأبدان ، واصطكت الأسنان ، وجحظت العيون ، ونظر بعضنا إلى بعض نظرات تنم عن الجزع والهلع ، واللوعة والاضطراب . وكدنا جميعاً نوافق الزميل الناقم ، وخيل إلينا أن خير طريق نفعله ، وأفضل حل نرتضيه لهذا المأزق الذي نحن

فيه ، هو القناعة بوظيفتنا فى القاهرة ، ومركزنا الذى ارتضيناه ثلاثة أعوام ، وألفنا كل ما يحيط به من بيئة وأساتذة وتلاميذ ، وأنه لا داعى لهذه الترقية التى ستلقى بنا فى أحضان العقارب الشائلة ، والثعابين الرقط ، وسط تلك الصحراء الجرداء ... علينا إذن أن نلوى وجوهنا ثانية نحو القاهرة ، ولتأخذ وزارة المعارف معنا ما شاءت من الإجراءات ، وليفعل الله بعد ذلك ما يريد ... !!

ولكن صوت الواجب هز المشاعر ، ودوى فى الآذان ... الواجب الإنسانى ، وواجبنا كوطنيين مثقفين ، نعمل على رفعة الوطن ، عن طريق تنوير الأذهان ، وتثقيف العقول ، وغرس الفضائل ، ونشر المعارف بين مختلف الطبقات ، وليس بين الطلبة والتلاميذ فحسب .. هذا الواجب الذى أشربته قلوبنا ، وجرى فى أبداننا مجرى الدم فى العروق ... نحيا به ، ونعمل له جادين غير هازلين ، راضين غير كارهين ، مخلصين غير متوانين ولا متكاسلين ... هذا الواجب ارتفع صوته قوياً ، فبدد هذه الأوهام ، وجعل منا قوة دافعة ، وعزيمة وثابة ، فانصرفنا عن هذا الفريق المثبط للهمم ... حتى ذلك الزميل الثائر أفاق إلى نفسه واعتقد أن فى الأمر مغالاة ... !

يا لله ! كيف تضاربت أقوال الناس إلى هذا الحد عن بلاد يدعى كل منهم أنه رآها وخبر أحوالها ، وعاش فيها حقبة من الزمان ؟ ! فمتى نرى بأعيننا خبر ما سمعنا لنحكم لها أو عليها ، فأنا بطبيعتى لا أثق كثيراً بما أسمع ، وخاصة وقد لدغت بضع مرات من هذا السبيل ، على أننى بحمد الله مؤمن كل الإيمان ، فأرجو ألا يتحقق فى قول الرسول الكريم : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ...

وخيل إلى أن الأمر كما يقول أخى جمال ؛ حينما علم بنقلى إلى عنيبة .

— إن كل ما تسمع من مدح وافر ، وثناء مستطاب ، على جميع بلاد الوجه القبلى ومديرية أسوان خاصة ، فهو من قبيل التعزية والتسلية . وتخفيف الألم ، والبلاء . كما يقول الناس للرجل المرزأ ، ما فى رزئه من فضل وخير ، وثواب وأجر ، لأنه لا يرى فى رزئه غير وجهه المظلم ... وهذا كله لن يغير من أثر الرزء شيئاً ، ما لم يكن هناك الاستعداد الكافى لتقبله والرضاء به ..!!

ودخلت إلى مقصورتى ، متزايل الأعضاء ، وقلت فى نفسى :

— صبراً يارب ، فى سبيلك لا فى سبيل المال فحسب ، خرجنا إلى هذه البلاد النائية ، حقاً إننا خرجنا للمنصب والجاه ، والمال والثراء ، ولكن هذا كله سعى وراء الرزق والقوت يا مولاى ، وأنت سبحانك أدرى بخفايا النفوس ، ومكنونات الأفئدة ؛ وبواطن الأمور ، ولقد اقتضت إرادتك تفضلا منك ، أن تجزل الثواب والأجر لمن جاهد فى سبيل العيش والرزق والقوت ، فأجزل لنا من لدنك العطاء . إنك على كل شىء قدير .

ووقعت من نفسى هذه العبارات موقعاً جميلا ، فأحسست ببرد الراحة ، ولذة النعيم ، ومتعة الهدوء ، كأنما أزلت بهذا ما بينى وبين الله من جفاء ، سببه الاعتراض على مجارى القضاء ، وتصاريف الأقدار !!

ها هى ذى الساعة تعلن العاشرة مساء ، ولما تصل الباخرة إلى عنيبة .. إنها الآن فى طريقها إلى (إبريم) ، وربما تصل عنيبة فى منتصف الليل ، أو بعد ذلك بقليل ، فاللهم اكتب لنا السلامة والعافية ، والنجاة من هذه الأخطار ...

النيل جميل ، قد انبسطت صفحته فى رحابة رائعة ، ولقد يتسع أحياناً حتى لا تكاد ترى له شاطئاً ... وقد أخذت أنوار الباخرة تنشر على صفحته الرجراجة ثوباً من النور يأخذ بمجامع القلوب ... والهواء عليل ، ينعش الأفئدة ، ويشرح الصدور ، على الرغم من أننا كنا فى السابع والعشرين من نوفبر ١٩٤٦ ، وقد تركنا القاهرة خلفنا يفتك بردها بالأبدان والجسوم ... والجبال مطبقة علينا أحياناً من الجانبين ، وفى أحضانها نخيل يغمره الماء إلى منتصفه أو يزيد ... ذلك النخيل الذى كان فى يوم من الأيام عماد ثروة طائلة ، وغنى لهذه الربوع والنجوع ولكن مياه الفيضان أضرت به ، فذوى منه الكثير ، وجف الكثير ، ولم يبق منه إلا القليل ، طغت عليه المياه ، فحرمته متعة الحياة !!

لا يزال ضجيج الباخرة ، وخرير المياه المنسابة من بين أجزائها الثلاثة ، يدفع عن عينى لذيذ النوم .

وأخيراً ها هى ذى عنيبة بمبانيها الفاخرة ... مبانيها الحكومية التى تضم عشرات الموظفين ، وها هى ذى الباخرة تقف فى المرفأ بعد الواحدة والنصف بقليل . أى بعد ست وثلاثين ساعة من حين قيامها من الشلال ...

عبد الحفيظ أبو السعود

من أناشيد الحرية والوحدة :

١ — نحن والانجليز

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

هـــؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز
شعب وادى النيل من فجر الزمان مصر والسودان فيه توءمان
يشهد التاريخ أنا أخوان ولدينا العزم فى كل مكان
لنريق الدماء فى سبيل الجلاء
ولملء الفضاء بدم الإنجليز
هـــؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز !

إن الاســـتقلال حق أبلج تفتديه بالحيـــاة المهج
ولــكم فى مصر ظل سمج فدعوها واخرجوا منها اخرجوا
قبل يوم النضال ليرى الاحتلال
فى قبـور الوبال جثث الإنجليز
هـــؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز

قدسنا الغدر والمكر الوضيع يا ذئاباً لبست ثوب القطيع !
فنصرناها على « الليث الصريع » اذكرى للشرق حقاً لن يضيع
يا لئام الأنام يا عداة السلام
يا دعاة الخصام أيها الإنجليز
هـــؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز

يا خصوم الشرق والغرب معاً يا عبيد المال أنى لمعـــا
يا سراباً كاذباً مهما ادعى ! ! يا سموماً وسموماً زعزعا
الجلاء الجلاء إن صوت الدماء
ناطق بالفـداء يسحق الإنجليز
هـــؤلاء الإنجليز غصة الشعب العزيز .

٢ — وحدة وادى النيل

سحر الشرق صدى ألحانها ! وكوى الغرب لظى نيرانها
وحدة النيل تعالى صـوتها كالجبـال الشم فى رجحانها
وحد الله حماها مثلمـــا وحد النيل ذرى شطآنها
مصر والسودان شعب واحد وبد لا شك فى سلطانها !
تقهر الجبـــار مهما غره قوة حمقاء فى عدوانهـــا
ليس للسودان إلا مصره ولمصر الحق فى سودانها ! !
يا دعاة لانفصـــال جائر
كيف فصل العين عن إنسانها ؟
نحن من بيض وسمر كالظبـا وجياد السبق فى ميدانها
جمعتنا روضـــة واحدة فاح طيب النصر من ريحانها
وحدتنا من قديم لغـــة كوضوح الشمس فى تبيانها
ولنـــا دين يؤاخى أمة بالهدى والطهر فى إيمانها
وصلات نشأ التاريخ فى ظلها ينهل من شريانهـــا
استوى الغابر والحاضر وال ـقابل المشهود من أعوانها
ولنا النيل حبانا جنـــة يفرق « التاميز » فى خلجانها !
ولنا الفاروق ، يعـلو تاجه أمم العالم فى تيجانهـــا
هو كالنسر جناحاه هما مصر والخفاق من سودانها
كيف لا نصرع أعداء الحمى
ونجنى النصر من خذلانها ؟
ولنـــا القوة والحق معاً وأمانى مصر فى ريعانها
صوتها فى « مجلس الأمن » له قوة ترنو إلى أقرانهـــا
وحدة تعبر لجاً حالـكا سدد الله خطى ربانها ! !

أحمد أحمد العجمى

الأدب والفن في أسبوع

الأدب في الإذاعة :

نشرت مجلة الهلال مناقشة عنوانها «هل أدت محطة الإذاعة رسالتها ؟» دارت في ناديها بين «محمد توفيق دياب بك ومحمد فتحي بك والأستاذة مفيدة عبد الرحمن والدكتور نور الدين طراف» وقد بدأ فتحي بك الحديث بأن الإذاعة تؤدي غرضين، غرض التثقيف وغرض التسلية والترفيه عن المستمعين ، ثم اقتصر الحديث بعد هذا على الناحية الثقافية بمعناها الأعم الشامل للأدب والسياسة والصحة والنسائيات وغيرها . وأكتفي هنا بالكلام على الناحية الأدبية في هذه المناقشة ، فأورد أهم ما قيل فيها وأناقش ما يستدعي النقاش

قالت الأستاذة مفيدة : الواقع أننا لا نقدر مدى استماع الجمهور وفهمه لما يسمع، فليست إذاعة أقوال هؤلاء الأدباء معناها الثقافة» ثم قالت : «قد جرت عادة الله تعالى في بث الموعظة أن يسوقها في قالب قصصي محبب إلى نفوس العامة قبل الخاصة. والقرآن الكريم وما سبقه من الكتب المنزلة ملآى بأمثال ذلك، فقد ورد فيها من قصص المتقدمين ما فيه عبرة وعظة ، مع أن هذه الكتب لم تنزل لسرد القصص والحكايات بل نزلت لإرشاد الناس لما فيه خيرهم ونفعهم ، فحبذا لو اهتدى أدباؤنا الأفاضل بهدى القرآن في وضع الموعظة في مثل هذا القالب» ومما قاله توفيق دياب بك : «فأنا أخالف الأستاذة مفيدة نوعاً ما فيما ذهبت إليه ، لأنني عرفت من تجاربي ومما سمعته من كثيرين من طبقات مختلفة كالمترددين على المقاهي والأندية العامة أن كثيراً من الجمهور ينتظرون أحاديث الأدباء ، وقد يعلو المتحدث بلغته بحيث ترتفع عن مستوى عامة الجمهور ، ولكنهم يتابعون موضوعه ويفهمونه ، وذلك لكثرة سماعهم القرآن وخطب المساجد وكلام الفصحاء ، فارتفع مستوى فهم الجماهير حتى سبقت أفهامهم معرفتهم بالقراءة والكتابة ... »

وكان فتحي بك قد قال موضحاً مسألة نجاح الإذاعة في تحقيق الغرض الثقافي . «لا شك في أنها خدمت الثقافة خدمة كبيرة، ومثال ذلك أن كثيراً من الأدباء الكبار كطه حسين بك وتوفيق دياب بك والأستاذ العقاد وغيرهم كانوا معروفين في العالم العربي لدى طائفة خاصة من القراء . ولكن الإذاعة زادت أسماءهم لمعاناً وزادت الجمهور تعريفاً بهم ! » وهذا كلام يقف أمامه صف طويل من علامات التعجب والاستفهام ، فهل خدمة الإذاعة للثقافة هي التعريف بطه حسين والعقاد وتوفيق دياب ؟ وهل زادت التعريف بهم حقاً ! يا أخي ... قل غيرهم !

وقد رد توفيق دياب بك على ذلك بقوله : « هل أعتبر هذا الكلام منّا على الأدباء؟» وتساءل الدكتور طراف : «هل تذيع المحطة لهؤلاء الأدباء بقصد إشهارهم أو لأنهم أصـــلا مشهورون ..؟»

ومما قاله فتحي بك : « أنا أقصد الثقافة بمعناها الأعم ، ولكني ضربت مثلا بالناحية الأدبية فقد أصبح الجمهور يتذوق كثيراً من ضروب الأدب التي لم تكن معروفة لديه »

فما هي ضروب الأدب التي أحدثتها محطة الإذاعة ولم تكن معروفة لدى الجمهور ؟ إن ما تذيعه من ألوان الأدب هو الأحاديث الأدبية القليلة، وبعض القصص القصيرة، وقراءة بعض الشعراء شيئاً من أشعارهم ، وقراءة بعض المذيعين فصولا من الكتب ، وإلقاؤهم بعض قصائد شوقي وحافظ في المناسبات ؛ فأي هذا لم يكن معروفاً في جوهره لدى الجمهور ؟ لقد كان يمكن أن تحدث الإذاعة ضرباً جديداً من الأدب لو أنها أذاعت تمثيليات قصيرة باللغة العربية بدل التمثيليات العامية التي تذيعها أو إلى جانبها ، فكانت تحدث في الأدب « فن التمثيلية الإذاعية » ولكنها تخلفت فسبقتها في هذا الفن بعض محطات البلاد العربية الأخرى التي لا تستطيع المحطة المصرية أن تقف إلى جانبها في المفاخرة بما قدمته للجمهور من ضروب الأدب التي لم تكن معروفة لديه

الأدب والمجتمع :

كثيراً ما أشعر بعد الكتابة في موضوع، أنني لم أوفه حقه وأني قصرت في بيان أمر ، وأنه فاتني أن أذكر شيئاً .

من ذلك ما كتبته غير مرة للتنبيه على ضرورة اتجاه الأدب إلى المجتمع لتعرف أدوائه وتصوير أحواله ، وعلى ما ينبغي من تأثر

الأدباء والشعراء، وانفعالهم وغضبهم على الأمور الواقعة والأحوال الراهنة، وتعبيرهم عن ذلك كله بطارقهم الفنية.

خلت بعد ذلك كأن أصداء تقول لى: أتريد أن يكون الأدباء وعاظاً يجاهرون بالأمر والنهى، ويسوقون النصائح المجردة والمواعظ السافرة؟ أو تريد أن يتحول الأدباء جميعاً إلى باحثين اجتماعيين يدرسون الظواهر ويضعون النظريات؟

كان ذلك قائماً بنفسى وأنا أقرأ فى مجلة «الإصلاح الاجتماعى» فصلا عنوانه «تجنيد الأدب فى ميدان الإصلاح» دعا كاتبه الأدباء إلى أن يتركوا الأبراج العاجية ويجندوا أنفسهم فى الحرب الاجتماعية المعلنة على الفقر والمرض والجهل، وبين كيف يعمل الأديب فى هذا الميدان بأنه «لا يكشف النقاب عن مهمته وغرضه، ولا يجهر بنصح أو إرشاد، ولكنه بأسلوبه الفنى يعرض عليك من صور الحياة وحقائق المجتمع وحالات الناس مما تتأثر به نفسك فى غير تصريح أو مجاهرة، فإذا أنت منفعل بما صوره لك وعرضه عليك، وإذا أنت قد أسلمت عنانك لهذه الصور الفنية وأوليتها عواطفك من حب أو كره، ومن رضا أو اشمئزاز» قرأت هذا فوجدته مطابقاً لما أريد من بيان. ويقول كاتب المقال بعد ذلك: «وربما قيل إن الحرية والانطلاق روح الأدب، فليس لنا أن نقسر الأديب على شىء بعينه ولا أن نوجهه إلى ميدان خاص، وإلا خرجت آثاره الفنية ضرباً من التكلف والتعمل لا قيمة له ونحن لا نريد أن نكره الأدباء على الانقياد لخدمة مبدأ من المبادىء خدمة متكلفة ليست منبعثة من صميم النفوس والوجدانات وإنما ندعو الأدباء إلى أن يوجهوا أنظارهم وجهة المجتمع المصرى وأن يتدبروا أحواله الاجتماعية ويفكروا فيها ويشغلوا أنفسهم بها، فإن فعلوا ذلك فإنهم لا محالة يتأثرون ومن ثم يواتيهم الوحى الفنى عن تأثر وانفعال، فتخرج آثارهم الفنية الاجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير»

على أنى أسمع أصداء أخرى تشير إلى مسألة ثار فيها الجدل واعتركت حولها الأقلام، وهى: هل الأدب للأدب أو الأدب للحياة! وأضع بإزاء ذلك ما أراه من أن الأدب المحلق فوق الحياة إنما هو كمال فكرى، أما مطلب الحياة من الأدب فهو من الضرورات. ولا شك أننا الآن — من حيث الجهاد الخارجى والإصلاح الداخلى — أحوج إلى أن يكون أدبنا لحياتنا أكثر ما يكون، وله أن يقضى بعض الوقت فيما يطيب له من ذرى الفن ومواطن الفكر.

السجل الثقافى:

ورد إلىّ الكتاب الآتى من الأستاذ محمد سعيد العريان مدير إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف، وفيه البيان الكافى لما توقفنا عنده من أمر السجل الثقافى فى العدد الماضى:

عزيزى الأستاذ العباس

قرأت ما كتبته من قريب فى الرسالة تنويهاً بالسجل الثقافى الذى اعتزمت وزارة المعارف أن تصدره فى كل عام لتسجل به مظاهر النشاط الثقافى فى مصر؛ فشكرت لك هذا.

ثم قرأت ما اقتبست لقرائك من رسالة للأديب «البسام» يعترض فيها على هذا السجل من ناحيتين:

الأولى: أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى خارج جدران المدارس على حين كان الواجب أن يشمل هذا السجل كل مظاهر النشاط فى المدرسة وخارج المدرسة.

الثانية: أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى فى مصر دون غيرها من البلاد العربية التى تجمعها وحدة الثقافة منذ مئات السنين.

وقد عقبتَ يا صديقى بما عقبتَ على رسالة الأديب «البسام» وأحسبك قد وافقته على اعتراضه من ناحيتيه، ولكنك تركت «لأهل الاختصاص فى الوزارة أن يجيبوا بما عندهم».

وأرى من حق — أو من حقك وحق القراء علىّ — أن أردّ اعتراض الأستاذ البسام واعتراضك؛ فنحن لم نقصد قط حين أخذنا الأهبة لإصدار السجل الثقافى أن نحصره فى هذا الحيز المحدود، ولم يخف علينا قط ما يجمع بين البلاد العربية من وحدة الثقافة التى تأبى القيود والحدود ولا تعترف بهذه الفواصل الصناعية التى تجعل البلاد العربية المتحدة بلاداً ذات أسماء وعناوين — لم نقصد إلى شىء من هذا، ولم يخف علينا شىء من هذه الحقيقة، وقد قصدنا أن يكون السجل الثقافى الذى يصدر عن وزارة المعارف فى مصر صورة صادقة التعبير عن كل مظاهر النشاط الثقافى فى تلك الوحدة الثقافية التى تسميها البلاد العربية.

أما إغفال تسجيل النشاط الثقافى فى نطاق المدارس فلأن

ثمة هيئة أخرى فى وزارة المعارف تقوم عليه وتمنى به وتمد العدة له ؛ فليس من حسن التدبير أن يتكرر العمل ، ولذلك تركنا للقائمين على شئون « تقويم التعليم » أن يمضوا فيما هم بسبيله لنفرغ نحن للجانب الآخر من جوانب النشاط الثقافى .

وأما أن يشمل السجل كل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد العربية جميعاً فهدف نقصد إليه وغاية نتنورها على بعد ، ولكننا لا نريد أن نبدأ العمل قبل أن تتجمع لنا أسبابه ؛ ومن أجل ذلك قصرنا برنامجنا — الآن — على تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى مصر حتى تتهيأ لنا الأسباب الكفيلة بتمام العمل على الوجه الذى يتمناه كل مثقف من أبناء العربية فى أى بلادها .

فهذا ما أردت أن يعرفه قراء الرسالة عن هذا الأمر ، ولعل فيه بلاغاً ، وإنى لأشكر لك ولصديقك ما أتحتما لى من فرصة لبعض الحديث عن هذا العمل الذى آمل أن يبلغ مبلغه من النفع العام إن شاء الله .

كبار الكتاب والسينما :

تضمنت الكلمة التى كتبتها فى عدد مضى من الرسالة بعنوان (السينما بمناسبة « المنتقم ») بيان عيوب فى بناء قصة السينما المصرية كخلوها من الفكرة وقصورها فى تصوير النواحى المختلفة لحياتنا . ويظهر من هذه العيوب أنها ترجع إلى ضعف التأليف أو قل عدم التأليف لأن أكثر الروايات تحور عن أصول غربية ، يفقدها « التصرف » قيمتها الأصلية ، فتجىء لا شرقية ولا غربية

وعندى أن الذين يستطيعون أن يجبروا هذا النقص هم الأدباء الذين يلتفتون إلى هذه الناحية ويدرسون دقائق التأليف للسينما ، بمعاونة مخرجين لهم ذوق أدبى ومشاركة فى الأدب إلى جانب حذقهم فى الإخراج

وقد أثارت هذا الموضوع مجلة « الاستديو » فكتبت بعنوان « أعلام الكتاب فى مصر : لماذا لا يكتبون للسينما ؟ » قالت : « تحمل القصة السينمائية فى مصر طابع الضعف فى التأليف والتفاهة فى الفكرة والعجز فى إحكام العقدة الروائية ووسائل حلها . ولما كان كبار الكتاب والأدباء هم عماد القصة فى كل عصر وجيل فما يثير الدهشة حقاً أن أعلام الكتاب فى مصر قد أعرضوا إعراضاً ظاهراً عن إمداد السينما بوحى أقلامهم » ثم ذكرت المجلة بعد ذلك أنها استطلعت آراء بعض الكتاب والمخرجين فى أسباب ذلك الإحجام ، ونشرت هذه الآراء .

يرى الأستاذ محمود تيمور بك أن رجل الشارع الذى أوتى حظاً محدوداً من الثقافة لا يستسيغ ولا يقبل على ما يكتبه أعيان الكتاب له ، ولكنه يقبل على روايات الكتاب العاديين المؤلفة أو المترجمة لأنه يجد فيها متعته الحلوة وغذاءه المستساغ

وقال الأستاذ المازنى « إن السينما المصرية تعتمد على عنف الحوادث وعلى المواعظ والخطب المنبرية وعلى الغناء والموسيقى إلى آخر هذا . وهذا كله لا يتفق مع فن القصة ، وما دام رجال السينما يطلبون هذا فمن البعيد جداً أن يجدوا فى كاتب يحترم فنه استعداداً لوضع قصة لهم على هذه القواعد »

وقال الأستاذ زكى طليمات : « سيعمل كبار الكتاب للسينما يوم يصبح المنتجون والمخرجون فى عقلية تماثل عقلية كبار الكتاب »

ويستبين من هذه الأقوال أن المنتجين والمخرجين يرون أن الجمهور إنما يقبل على الأفلام المنيفة الحوادث المفعمة بالمواعظ والخطب المنبرية والأغانى ، والتى تعتمد مع ذلك على إثارة الغرائز ، والكتاب يترفعون عن هذه الصغائر

ولا شك أن إقبال الجمهور هو أهم شىء فى هذا الموضوع ، ولكن هل الجمهور لا يريد حقاً إلا هذا الذى يقدمونه له ؟ وهل يعرض حقاً عن إنتاج فنى نظيف يحمل إلى عقله ووجدانه غذاء خفيفاً إلى جانب المتعة التى ينالها من أسباب الدعة والتسلية والطرب والتفكهة ؟ وهل قدم له شىء من هذا فأعرض عنه ؟

إن الإنسان ، كما قلت فى مناسبة سالفة ، فنان بالفطرة ، فهو إن لم تتح له وسائل الإنتاج فى الفنون وأدواته ، فنان « مستهلك » . فمجاراة الجمهور فى ميله إلى هذا البهرج إما أن تكون — مع حسن الظن — غفلة عن استغلال ميله الفطرى إلى جمال الفن أو عجز عن تهيئته له ، وهى — مع سوء الظن — تجارة من أرذل التجارات ...

جربوا أيها المنتجون ... وإذا أردتم ألا تغامروا قبل أن تستوثقوا ، فقدموا للطفل الذى اعتاد أن يفرح بـ « عرائس المولد » لعبة من اللعب ذات الفكرة ، وانظروا هل يعرض عنها ...

« العباسى »



١ — الى الأستاذ يوسف أسعد داغر :

إذا كنت قد تأخرت فى الكتابة عن كتابك الذى أهديته إلىّ (فهارس المكتبة العربية فى الخافقين) فما تأخرت إهمالا ، ولكنى أردت أن أكتب عنه كتابة علمية تليق بهذا السفر القيم الذى أقرر جازماً أنها لم تصدر المطابع العربية فى هذه السنة كتاباً علمياً خيراً منه ، وأنا حين أنشر هذا الاعتذار ، أنشر معه إكبارى لهذا الجهد (الهائل) الذى بذلته فى تأليفه ، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب فى مكتبة كل عالم وكل أديب .

٢ — سبق قلم :

جاء فى الخبر الأول من أخبار بريد « الرسالة » ٧٣٨ كلمة : « الحسن البصرى الذى أخذ عن مالك بن أنس »

وذلك سبق قلم ، لأن الحسن إنما أخذ عن أنس بن مالك الصحابى لا عن مالك بن أنس الإمام الذى جاء بعده بأزمان .

٣ — جد أم هزل ؟

أما (سؤال) الأستاذ الجاحظ ، فى العدد الماضى ، فما أخذته إلا على أنه هزل ، وما أعتقد أن المراد من جملتى يخفى على عامة القراء ، فضلا عن مثل الجاحظ ، أولم يسمع الجاحظ رجلا يقول : « إنى لأرى كل جميل ، وآكل كل طيب ، ولكنى لا أشعر بمسرة » ؟ إن لم يكن قد وجد رجلا هذا حاله ، فليعلم أنى ذلك الرجل .

على الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

اليوم (٢٥ أغسطس) وأنا فى أقصى الشمال من لبنان ، فى بلدة الأرز « بشرّى » ، مثوى العبقرى الملهم (جبران) — وصل إلىّ (السمير الحبيب) مجلة « الرسالة » الزاهرة (عدد ٧٣٧) متأخرة عن ميقاتها ، فطالعنى بين طياتها ما كتبه إمام العربية الأكبر ، أستاذنا الجليل « السهمى » — ومنذا الذى يجهل « السهم » صنو « النشاب » ؟! — معلقاً به على ما نبهت إليه فى بريد (الرسالة) الأدبى ، مخطئاً قول كاتبة فاضلة : « مد الليل أروقته السوداء ... » وقد حملنى على أن أبتغيها : « أروقته السود ... » (حِوَّالا عن « السوداء ») ما أجده فى كتاب الله إذ يصف ما هو من مثل ذلك على نحوٍ منه فيقول : (جدد بيض ...) ويقول : (غرابيب سود ...)

وما أجده كثيراً فى شعر الجاهليين والمخضرمين ، مما لا سبيل إلى الوصول إليه ، وأنا (فى هذا المنعزل) بعيد عن كتبى ... على أننى استظهر من ذلك أمثلة تتقدم فيها (الصفة) أو يستعاض بها عن الموصوف . ومنها قول الطرماح :

وتجرّد الأسروع واطّرد السَّفا
وجرت بجاليْها الحداب القَردَد
وانساب حيات الكثيب وأقبلت
وُرق الفراش لما يشبّ الموقد

***

وكنت أصادف كثيراً ، من مثل ما أشار إليه أستاذنا الجليل — وهو أن يجيء « فعلاء » المفردة وصفاً للجمع فاخاله انحرافاً عن الجادة ، ومسايرة للعامية ! ولكننى — وقد سمعت ما أورد — أشكر له حسن توجيهه ، وكريم تعهده ، وسهره على سلامة هذا اللسان الخالد . ليبقى مبرأ من كل شائبة ، منزهاً عن كل خطل ...

وله منى تحيات أرق من نسائم (صنين) مفعمة بأريج الصنوبر والأرز ...

(بشرى — لبنان الشمالى) **محمد سليم الرشدان**

الى الأستاذ « الجاحظ » :

فى « تعقيبات » الرسالة الغراء عدد ٧٣٩ نسب الأستاذ « الجاحظ » إلى الأستاذ العقاد أنه قال له فى صدد الكلام على أدب الشيوخ وأدب الشبان « لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من

أخذ بأيدينا ، أو (أفسح) لنا الطريق ... »

وأنا قد لا أخطىء الصواب إذا قلت إن نسبة هذا القول إنما كانت فى المعنى المفهوم وليست فى اللفظ المرقوم ... إذ لا يخفى على الأستاذ العقاد خطأ استعمال (أفسح) من الفعل الرباعى دون الثلاثى وهو الأصل ؛ فإنه يقال (فسح له فى المجلس ...) ولا يقال أفسح له فيه ...

عدنان

حول الزنزانة وأسمائها :

فى جزء الرسالة الـ ٧٣٨ البارز نهار الاثنين ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ سنتها الخامسة عشرة كلة للاستاذ حسنى كنعان بخصوص الزنزانة وما أراد لها الأدباء من الأسماء ، وقد خاف الأستاذ الجليل أن يصل بها المطاف إلى ما وصلت إليه كلمة « السندوتش » فى المجمع العلمى . وعلى كل ما تحمل كلمة الأستاذ فى طياتها من التهكم فإنها تدل على إهمال الأدباء لمقررات المجمع الملكى . والذى أراه أن تبقى الكلمة بلفظها أو يستبدل بها (سجن عارم) .

فقد جاء فى القسم الثانى من كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى ما حرفه :

قال أبو الحسن المدائنى : « أسر (زيد عارم) غلام مصعب ابن (عبد الرحمن) بن (عوف) وبنى له بناء ذراعين فى ذراعين وأقيم فيه ، وكان ذلك البناء فى السجن ، فقيل : «سجن عارم» .

فمن هنا نرى أن الكلمة عرفت من صدر الإسلام وأنها تؤدى المعنى كاملا . فأما أن نصير إليها ، وأما أن نبقى على الزنزانة إذ لا خوف منها على اللغة إن شاء الله .

روكس بن زائد العزيزى

معلم العربية وآدابها فى كلية تراسانتة فى القدس

١ — استدراك :

جاء فى كلمة « نعم الضمير مطمئن » بعدد الرسالة ٧٣٧ البيت الآتى :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون أيامه وهو مجدب

ولما كان الشطر الثانى خطأ أشارت الرسالة إليه بكلمة « كذا » والصواب :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون على أيامه وهو مجدب

فلزم التنويه . وللرسالة مزيد الشكر ووافر التحية .

٢ — « بله لا بلهاء » :

كتب الأستاذ الجاحظ فى تعقيبه « يا قوم حسبكم » بعدد الرسالة (٨٣٨) : « والمعنى المقصود فى هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء » والصواب بله بزنة (فُعْل) وهو جمع مطرد فى كل وصف يكون المذكر منه على أفعل . والمؤنث منه على فعلاء فيقال : رجل أبله . وامرأة بلهاء . وفى الجمع بُلْه وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البله » .

كمال الخولى



قبلة الملكة

للقصصي الفرنسي ج ﻫ روسني

بقلم الأديب كمال الحريري

هذه هي عشر سنوات ، وانا راسخ الجذر في هذا المكان البائس « ل » مقيم في هذا المنفى لا أريمه .

ومع ذلك ، فكل الناس كانوا يحسبون حساباً لمواهبي وخصالي ، وكلهم كان يقدر أني سأبلغ أرقى المناصب ، وأنال أرفع الوظائف التي لا تطاولها إلا رتبة الملك حتى أشد أعدائي ، وشر خصومي كانوا لا يغمطون مؤهلاتي . ولكن هذا كله وا لهفتاه ، لم ينجني من الحكم علي بالتعفن في هذا الجحر الضيق الذي يسمونه « ل » ولذلك قصة عجيبة عالية ، تتلخص في أن امرأة كانت سبب نكبتي ، وهذه المرأة هي الملكة

لقد كنت في التاسعة عشرة من عمري ، في فتوة ساخرة . وكان من عادتي ، أن أغازل عرائس أحلامي ، ما بعد الظهر من كل يوم ، في حديقة الملك الوسيعة الملتفة الأدغال ، تحت الجبال الشامخة . مشيت في ذلك اليوم طويلا ، تحت ظلال الزيزفون التي كانت تنمو في أرض تغذيها سواق عذبة صافية ، وتحوطها مروج من الأعشاب السندسية الخضلة الندية ، تعزلها عن أشجار الغابة وأدواحها . وانتهى بي السير ، إلى بساط من الأرض مفروش بأشجار من الحور ، كانت ذوائبها تتراقص وتنثني الواحدة نحو الأخرى . وهناك بين تلك النهيرات ، كان نهير ، يفترش ماؤه فيتحرك إلى بحيرة صغيرة ، تحفها شجيرات من قصب الخيزران المزهرة .

كانت أشباح الغموض والسكون ، تخيم على تلك البقعة الموحشة ، إلا ما كان من خرير ماء النهر وهو يجرى في الأعماق، أو التماع قصور من غيوم السماء كانت ترتسم على مخرفة من أشجار الأرز .

وفي هذا المكان جلست غارقاً في لجة من الأحلام والأخيلة بدأت مشاعري تطغى علىّ وتنتشر في ذهني ، فرحت أمتع النفس والحواس ، بصفاء هذه النزهة . وأنا متخل بروعة الأصيل ، غارق في سحره الجميل . ولكن قلقاً مباغتاً ، انبثق في نفسي فجأة . سمعت على أثره لصدري خفقاناً طغى على هدير النهر خفقة مجذاف كأنها تبرر لي هذا الاضطراب والارتماد فلم ألبث أن تواريت فزعاً مضطرباً خلال دغلة من الدغلات . وانقطعت خفقة المجذاف على الماء . فساد السكون والغموض ، يخيمان على المكان وروعة أشعة الأصيل ، تسترسل من خلل الغصون فلمحت على ضوء شعاع متسلسل بين فجوات الأوراق ، بطة لماعة تمخر الماء ثم تلتها أخرى ذات طوق نحاسي وتغريد حلو . ثم أخذت تتعالى مجدداً ، خفقات المجذاف وبعدها ارتسم أمامي على عطفة الشاطئ ، مقدم زورق للصيد ، نهضت فوقه ، فتاة رائعة الجمال ، تتوهج على يديها أشعة من دماء صيدها للطيور . كان في عينيها نفاذ وحدة وعلى فمها فتنة سماوية وكانت يداها البضتان ، تحركان المجاذيف في مشقة وإعياء بينما رغاء الزبد يتفجر كقطع الثلج أو نثار اللؤلؤ خلف الزورق السحري . أما أنا فقد اهتز كياني من الحنان والأسف ، وانثالت على لساني الدعوات .

وبالغت في التستر والتواري . وقد كتمت أنفاسي وكاد الاضطراب يبلغ بي درجة الإغماء . ذلك أنها إنما كانت هي .. هي الملكة التي كنت أهيم بها في الخفاء ، والتي ما زلت منذ بعد هذه الظهيرة أحلم بها الأحلام السعيدة البهيجة أثناء نزهتي .

وكان في نهاية الزورق ، صبي صغير منتصب ، هو الأمير الجميل د ﻫ ت ابن أخت الملكة .

كان ممسكا بسكان الزورق ، بينما خالته الملكة سابحة في أجواء أحلامها وقد مال عنقها الذي يشبه عنق الإوزة إلى الجانب ، وامتدت ذراعاها الناعمتان الحريريتان إلى الأمام . كانت تجذف على ضوء الأصيل الأصفر إيه يا إلهة الملاحة ، يالك من حلم عجيب وسمعت فجأة صرخة داوية ، ثم أبصرت بالزورق يتقلب على الماء والأمير الصغير يسقط في النهر في حين تعلقت فيه الملكة الملتاعة

الجزعة ، بغصن غليظ من أغصان الحور .

ووثبت إلى الماء بقفزة ، وقبضت على الغلام الذى كاد ينجرف مع التيار ، فوضعته على الشاطىء الأمين ، ثم جدفت بالزورق نحو الملكة . لقد لمست ذراعاى جسمها الذى خلق فقط لكى يضمه أبناء الملوك . أما هى فقد كانت شاحبة الوجه مرتجفة الأوصال . لم تنطق أولا بحرف ، وإنما لبثت ترمقنى بعينيها الساحرتين الفزعتين غير أنها حين أحست بنفسها منتصبة على قدميها فوق الشاطىء ، قذفت بنفسها هلعة فزعة على الأمير الصغير المسكين ، الذى كاد يغمى عليه من روعة الحادث . ثم عانقته بحنان حافل فزع ، وقالت لى : إنه مدين لك بحياته فاطلب منى ما شئت تلقنى أول الملبيات . فصحت : أتمطينى كل شيء ؟ ثم عرانى اضطراب وحشى ثائر ، وماد بأعطافى جنون مضطرم جياش . أما هى فقد شدهت لصرختى وجعلت لحاظها تتلاق مع لحاظى . ثم أسبلت أجفانها حياء وتضرج وجهها بجمرة الخجل

لقد كنت كما أسلفت ، فى ريعان الصبى ، ولى محيا فتان الملامح ، وكانت الملكة تعرفنى جيداً ، لأنها طالما أبصرت نظراتى تتعلق بمفاتنها . وعلى هذا فقد فهمتنى . ولحظت أنا فى نظراتها الثابتة فىّ ، شيئاً من ارتجاف جعلنى أكثر جنوناً بها ، وأشد نشوة وتلذذاً بفتنتها النبيلة ودمها الملوكى . ثم أخذنى ميل لذيذ مشتعل لانتهاك حرمة هذا الجمال الملوكى ، فظللت مرتجفاً هلوعاً . ثم استأنفت قولى : أتقولين إنك تمنحينى كل شىء ، دون أن ترجعى عن كلمتك ؟ ... فأشارت برأسها بالإيجاب ثم اصطبغ محياها بدم الخفر . واستقلتها حمياً من النشوة . وقلت لها ، أرغب منك قبلة . فأجابتنى بلهجة العاتب . أى جنون هذا ؟ . لعمرى أن صغر سنك وحده . هو الذى يبرر هذه الإباحة الفاجرة . ولكنها فى الحق ، كانت تشاطرنى اضطرابى وتقاسمنى شعورى: إذ راحت تتمعن فى جسمى الذى التصقت عليه ملابسى المبللة ، وتنظر إلى نظرات مبهمة غريبة . وعندئذ ، بلغت بى الجرأة حداً كنت بعده موطناً العزم على عدم النكوص ولو أمام خشبة المشنقة .. وهتفت بها مجدداً : اذكرى أنك قطعت على نفسك عهداً .. وقبل أن تتمكن من الدفاع عن نفسها ، تقدمت إليها فى جرأة ، وأمسكت برأسها اللائكى بين كفى ثم أهويت بفمى الحران اللهفان إلى فمها . وحينئذ .. وبعد قبلتى المديدة العميقة شعرت بشفتيها الشهيتين الحلوتين ، تجيبان قبلتى فجأة ، وتنحيان على شفتى بلثمات عنيفة حارة ضاغطة . لم يدم ذلك إلا كلمحة البرق ، ولكن هذه اللحظة على قصرها ، كانت من النفاذ والتأثير فى مشاعرى وحواسى ، بحيث أن فمى لن ينسى أبداً لذاذة هذه القبلة . وحين دفعتنى الملكة أخيراً عن نفسها ، كان أحد نبلاء الحاشية يتقدم نحونا تحت ظلال الحور ..

نمى الخبر إلى الملك ، فعرف كل شىء ، وتحتم على الملكة أن تفسر له جلية الخبر . ومع أنها على التحقيق ، قد أسقطت من فضيحتها (اشتراكها الآثم لحظة فى مبادلتى القبلة) إلا أن ذلك ، لم يقلل من عزم الملك على نفيى وتشريدى .

لم أكن أملك ثروة ، وكانت وسائل مرتزقى متعلقة كلها بأسباب الملك ، الذى قضى بنفيى ، فأبحر بى إلى هذا المكان «ل» الذى شغلت فيه أولا وظيفة « سكرتير » ثم وظيفة قنصل .

إن الملك رجل حقود ، لا يعفو عن زلة فلست آمل أن يغفر لى جريمتى مطلقاً . وعلى هذا ، فقد قضى علىّ أن أدفن فى هذا المكان إن لم ينقذنى موت حاكمى وسيدى الملك

إنه ليعرونى الندم فى بعض الأحيان ، فآخذ نفسى باللوم الشديد على ما ورطنى فيه جنونى . ولكن تأتينى هنيهات ، أشعر فيها بشفتى الملكة كأنها حاضرة تنطبع على فمى وحينئذ لا آسف على شىء فى الوجود

لقد حدث لى ما يلى خاصة فى أمسية عيد الصمود وذلك إنى فى ذاك اليوم ، تلقيت من العاصمة التى فيها الملكة ، هدية غصناً رطباً مزهراً من أغصان الخيزران (ذلك النبات الذى كان يحف بالبحيرة التى أنقذت من مائها الملكة) فعرفت أن هناك شخصاً حبيباً لم ينسنى بعد ... واختلجت لهذه الذكرى شفتاى اختلاجة الوله والمرارة ...

(حلب) كمال الحريرى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤١ — الاثنين ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
الأستاذ فارس الخورى أو عبقرية البيان	الأستاذ عباس محمود العقاد	٩٩٩
رحلة إلى الهند	الدكتور عبد الوهاب عزام بك...	١٠٠١
حجة تأريخية	الدكتور جواد على	١٠٠٢
مستقبل الأدب	الأستاذ على الطنطاوى	١٠٠٥
الشطار والعيارون	الأستاذ شكرى محمود أحمد ...	١٠٠٨
الدولار	الأديب عمر حليق	١٠١١
أدب العروبة فى الميزان	الأستاذ على متولى صلاح	١٠١٣
ليل وقلب ... ... (قصيدة)	الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان	١٠١٦

«الأدب والفن فى أسبوع» : جدل فى الجامعة — افتتاح المؤتمر الثقافى — قصيدة الجارم — ذكرى شوقى فى (الأوبرج) — مالك الحزين — جوائز الآداب والاجتماع ١٠١٧

«البريد الأدبى» : تحقيقات — مخطوط غريب لابن خلدون — هندى طبيعة العرب — حول المسرح الشعبى... ... . ١٠٢٠

«الكتب» : أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه : تأليف الأستاذ محمود الخفيف : بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١٠٢٢

«القصص» داخل أسوار القفر : الأستاذ على حيدر الركابى ... ١٠٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٤١ — الاثنين ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

الأستاذ فارس الخورى أو عبقرية البيان : الأستاذ عباس محمود العقاد... ... ٩٩٩

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك... ١٠٠١

حجة تأريخية ... ... : الدكتور جواد على ١٠٠٢

مستقبل الأدب ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٠٠٥

الشطار والعيارون ... ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ... ١٠٠٨

الدولار ... ... : الأديب عمر حليق ١٠١١

أدب العروبة فى الميزان ... ... : الأستاذ على متولى صلاح ١٠١٣

ليل وقلب ... ... (قصيدة) : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ١٠١٦

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : جدل فى الجامعة — افتتاح المؤتمر ١٠١٧

الثقافى — قصيدة الجارم — ذكرى شوقى فى (الأوبرج) — مالك الحزين

— جوائز الآداب والاجتماع ١٠١٩

« **البريد الأدبى** » : تحقيقات — مخطوط غريب لابن خلدون — هذى ١٠٢٠

طبيعة العرب — حول المسرح الشعبي ١٠٢١

« **الكتب** » : أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه : تأليف الأستاذ محمود ١٠٢٢

الخفيف : بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١٠٢٣

« **القصص** » داخل أسوار الفقر : الأستاذ على حيدر الركابى ... ١٠٣٣

٢٩٠٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 741
Lundi — 51 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأستـــاذ فارس الخورى

أو عبقرية البيان

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

نكتب عن عبقرية البيان عند ما نكتب عن الأستاذ الجليل فارس الخورى مندوب شقيقتنا سورية فى مجلس الأمن ، لأن الرجل ولا شك من أصحاب هذه العبقرية فى طرازها الرفيع ، ومن فرسان ميدان الخطابة فى عالم السياسة وفى عالم الثقافة على الإجمال .

وعبقرية البيان معادن وألوان يعلو بعضها فوق بعض درجات .

فهى على صورتها الشائعة لا تعدو أن تكون ذرابة فى اللسان وانطلاقاً فى القدرة على مجرد الكلام .

ولكنها إذا بلغت ذروتها العليا لم يغنها هذا الزاد وحده من أزوادها الكثيرة ، ومنها ملكة التعبير الصحيح ، ونصاعة الحجة ، وحضور البديهة فى مواقف الارتجال ، والإتيان بجوامع الكلم فى مواضعها ، لقوة التوفيق بين المعانى الراجحة والألفاظ الواضحة ، أو قوة التوفيق بين الفكر واللسان .

وكل ما قرأناه من كلام الأستاذ الجليل ، أو قرأناه من الكلام عنه ، يدل على هذه العبقرية فى أرفع طراز عُرف به خطيب من خطباء هذا الزمان .

فاقتياد أعنة الكلام — ولو فى لسان غير لسانه العربى — سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته — أو شيخوخته — التى نسأل الله أن يبارك فيها .

كتب عنه زميله الكبير الأستاذ خليل ثابت بك فقال إنه لم يكن يعرف التركية فتعلمها بعد إتمام دراسته وملك ناصيتها حتى استطاع أن يخطب بها فى المحاكم وفى المجالس النيابية ، ولم يكن يعرف الفرنسية فتعلمها بعد أن جاوز الخمسين وأصبح من خطبائها المعدودين . وهذا عدا الإنجليزية التى تعلمها فى أيام دراسته بالجامعة الأمريكية فى بيروت .

والبديهة الحاضرة فى الأجوبة المسكتة ملكة لازمة من ملكات هذه العبقرية ، وهى عنده على قسط واف فى مقام الجد ومقام الفكاهة .

روى عنه تلميذه الأستاذ على الطنطاوى فى مقال كتبه بالرسالة أن تلميذاً من تلاميذه فى كلية الحقوق سأله يوماً : ما فائدة هذه الحروف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء ، وظاء ، فنخرج ألسنتنا ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فما هو إلا أن سمع السؤال حتى أجاب متهكما : لا فائدة لها أبداً ... وسنتركها فنقول : كسر الله من أسنانك !!

ومن أصغى إلى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم أن أداة البيان قد تمت له حساً ولفظاً كما تمت له بداهة ومعنى . فصوته من تلك الأصوات « الفنية » كما يقولون فى اللغات

الأوربية ، لا تحس فيه جهداً ولا حاجة إلى الجهد ، لأنه يملأ عليك جوانب السمع كأن له عشرة أصداء تتكرر معه كما قال الأستاذ الطنطاوي في وصفه وهو يلقي قصيدته الرائية التي استقبل بها حافظ ابراهيم رحمه الله .

ومن تمام ملكات التعبير فيه أنه يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ، ولا شك أن الشعر يدخل أحياناً في عداد ملكات الخطابة من حيث هو إبانة وتعبير ، وقد أسلس له قياده بهذا الزمام فجاءت له في تلك القصيدة أبيات من عيون الكلام كقوله :

أحافظ حييت الشام تحية ... يفوق عبير الروض منها عبيرها

وألبستها ثوباً من الحمد دونه ... حدائقها في زهوها وزهورها

وطوقتها بالحب والعطف ربقة ... قلادة أسر لا يفادى أسيرها

وهو نفس في الشعر يقصر عنه كثير من الخطباء ، وكثير من الشعراء .

على أنه يرتفع بك إلى الذروة من ملكات هذه العبقرية حين يفرغ الحجة الدامغة في جوامع الكلم التي تملك السمع والعقل دفعة واحدة ، بغير إعنات ولا مشقة على سامعيه .

فليس أسهل ولا أقوى من تفنيده لدعوى المندوب البريطاني حين زعم أن معاهدة سنة ١٩٣٦ معاهدة صحيحة لأنها أبرمت باختيار الطرفين . فلا حاجة — كما قال — إلى دليل على بطلان هذه الدعوى . لأن أمة من الأمم لا تقبل احتلال الأجنبي لبلادها وهي مختارة راضية .

وليس أجمع ولا أمنع من قوله في هذا الصدد : أن تلك المعاهدة لا تنطوي على التزام تتقيد به بريطانيا العظمى . وإنما هي تفويض من ملك مصر إذا شاءت بريطانيا العظمى أن تنزل عنه فليس في عملها هذا مناقضة لحرمة المعاهدات .

نعم فهي إذا لم تشأ فإنما تفعل ذلك لأنها ذات غرض ترمى إليه ، ولا تفعله لحرمة في تلك المعاهدة تحرص عليها .

ويندر أن تتم أداة العبقرية البيانية هذا التمام لغير الأفذاذ النابهين . ففي عصرنا هــذا لا نعرف مثلا لهذا الأداة التامة بين فرسان المنابر السياسية غير رجلين اثنين : أحدهما باقعة الفال لويد جورج الوزير الإنجليزي المشهور ، والآخر زعيمنا العظيم سعد زغلول رحمه الله

وهما أيضاً كانا يملكان الحجة المسكتة في مقام الجد والفكاهة

كان لويد جورج يخطب عن أعماله التي ينوي القيام بها إذا ظفر بكرسي النيابة ، فتصدى له فحام سليط اقتحم الجمع بلوثة الفحم والشحم في ثيابه ، فسأل الخطيب ليحرجه : دعنا من كل هذا وقل لنا ماذا تنوي أن « ترخص » لنا من ضرورات المعيشة؟

فما هو إلا أن سمعه حتى أجاب بكلمة واحدة : الصابون !

فكان الحرج والسخرية من نصيب السائل دون المسئول

وكان بعض « المتطرفين » يتعمدون إحراج سعد في سياق الكلام عن خزان جبل أوليا ، بالسودان : فسألوه : هل هو ضار أو مفيد ؟

فما زاد على أن قال : هو مفيد مع اتحاد المالك ...

فلم يجرؤ على الاعتراض أحد يطالب بوحدة مصر والسودان

***

ويتشابه هؤلاء العباقرة الثلاثة في خاصة معهودة بين كثير من أصحاب العبقرية البيانية ، وهي اتصال عقولهم بعقول سامعيهم في عالم العيان

فهم لا يعنون بالتأليف عنايتهم بالخطاب والحديث . لأن عبقريتهم تتصل بالنفوس في عالم العيان كما قلنا ، أو حين تتلاقى الحياة بالحياة ، ولم تخلق للاتصال بها في عالم الفكر المجرد أو من وراء الحجاب

فعبقرياتهم جميعاً أكبر من آثارهم المكتوبة أو المطبوعة . ولولا مذكرات للويد جورج لكان بيانه كله مما أثر عنه في المجالس والمحافل ، وفي المساجلات والمحاورات .

وليس لسعد زغلول ولا لفارس الخوري — فيما نعلم — مؤلفات تضارع ما طبع عليه كلاهما من الألمعية والفطنة ، وما حصله كلاهما من المعرفة الواسعة والخبرة الصادقة . لأن طبيعة البيان الناطق أن يمتلئ بالحياة حين يتصل بالأحياء .

أطال الله في حياة العبقري العربي الجليل ، وكثر الله من أمثاله بالثاء المثلثة التي تخرج من جوانب الثلاثة جميعها لا كما أرادها تلميذه المجول !! . ونفع الضاد وأهلها بهذا البيان الساحر الذي يقل نظيره بين الخطباء المفوهين ، من فرسان المنابر العالميين .

عباس محمود العقاد

٧ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

وأما القلعة ، فساحة واسعة جداً وأسوار عالية مشرفة من بعض جهاتها على نهر جمنة وتشتمل على مساكن ودواوين ومقصورات وقنوات . لا يحيط بها الوصف إلا فى كتاب كبير مصوّر يكتبه خبير بالعمارة فحسبى أن أعرض على القارىء مايدركه الزائر غير الخبير فى زيارة قصيرة عاجلة

يلج الداخل الباب الكبير إلى دهليز فيه حوانيت للتجار ثم يدخل إلى ساحة يرى فيها ثكنات بناها الإنجليز وهى باعترافهم دمامة بين هذا الجمال ، وعرّة وسط هذه الغرر .

ثم يجتاز إلى أبنية كثيرة لا أستطيع أن أذكرها على الترتيب . فأذكر الديوان العام ، وهو مجلس السلطان لعامة الرعية للنظر فى المظالم أو غيرها من الأمور العامة . وهو دكة من الرخام عليها سقيفة تحملها عمد من الحجر الأحمر قد أبدع الصناع فى أشكالها ونقوشها [١] وسعته مائة قدم فى ستين . وكان فيه عرش الطاووس (تخت طاووس) وهو عرش يظلله ذنبا طاووسين ألوانهما من الجواهر المختلفة وفيه من دقائق الصنعة والأحجار الكريمة ما يشهد للصناعة والفن فى ذلك العصر . وقد قوّمه من رآه من الخبراء بستة ملايين جنيه وقد حمل هذا العرش فيما نهب من ذخائر دهلى ونفائسها نادرشاه القائد العظيم الذى ملك على إيران بعد زوال الدولة الصفوية واستيلاء الأفغان عليها ، فأخرج منها الأفغان ومد فتحه صوب المشرق إلى الهند .

وفى القلعة ديوان أصغر من هذا وأجمل منحوت كله من الرخام يسمى الديوان الخاص وفيه من النقش والتطعيم بالأحجار الكريمة ما يفتن الناظر ، بجمال الشكل ، ودقة الصنع . وقد بلغ فن العصر المغولى ذروته فى هذا الديوان . ولا أنسى هذا البيت الفارسى الذى يزين هذا الجمال بجودة خطه وتذهيبه ، ويعرب عن هذا الجلال بمعناه . وهو منقوش فى أكثر من موضع من الديوان :

أجر فردوس برروى زمين است همين است وهمين است وهمين است

(إن يكن الفردوس على الأرض فهكذا وهكذا وهكذا) .



الديوان الخاص فى قلعة دهلى

وهناك بناء فيه حجر جميلة يسمى رنك محل (المحل الملون) وهومزين بالنقوش محلى بالأشكال . ولكن ذهب الزمان بأكثر طلاه ويمتد منه إلى بناء آخر مجرى للماء رخامىّ يمثل قاعه ترقرق الماء عليه .

وأبنية أخرى منها البرج المثمن وكان يجلس السلطان فى شرفته كل صباح فيشرف على الجمهور وكانت هذه عادة سلاطين المغول

ومنها الحمام (غسل خانه) وهو حجرات ثلاث فى إحداها حوض صغير يخرج منه بخار معطر وفى الأخريين أحواض للاغتسال من الرخام بينها مجار أنيقة للماء الحار والبارد وفى إحداها قطعة من الرخام كبيرة كانت مصلى للسلطان بعد الفراغ من الاستحمام .

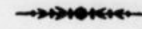
ورأينا حجرات هناك لجلوس السلطان ونومه وفى إحداها وسائد وملابس كأن شاهجهان لا يزال بها . وليس بها إلا الأثر والذكر ويد الزمان الأعسر .

وهناك مسجد صغير يسمى موتى مسجد (مسجد اللؤلؤة) بناه أورنك زيب ابن شاهجهان وهو كاسمه لؤلؤة كبيرة ولكنها من الرخام الأبيض . ويخيل لرائيه أنه قطعة واحدة كبيرة من الرخام فصلتها يد النحات الصنع قباباً وعمداً ومحراباً ومنبراً .

(١) وكان سقفه وجدره منقوشة بالذهب

٤ ـ حجة تاريخية

للدكتور جواد علي



وتتخذ الصهيونية من الصلات الثقافية التي كانت تربط اليهود على زعمها بفلسطين دليلا على وجوب إحياء تلك الثقافة. ونحن لا ننكر على الصهيونية قولها هذا ولكن الثقافة اليهودية لم تظهر بفلسطين وحدها ولم تقتصر على هذه البقعة فقط. والواقع أن أكثر فصول التوراة كانت قد كتبت في الأرض المقدسة. غير أن قسما من هذه الأسفار التي يتألف منها الكتاب المقدس كان قد كتب ووضع في العراق في إقليم بابل أثناء السبي مثل سفر حزقيال « Egebiel » وربما « مراثي أرمياء » « Samentatious » و « التثنية ويشوع كذلك وبعض أجزاء من المزامير »[١].

(١) Hastings Dictionary of the Bibli. P. 96

ويقوم « التلمود » عند اليهود مقام « الحديث » عند المسلمين وبموجب هذا الكتاب يحكمون. « والتلمود البابلي » « Babli » هو المعول عليه عند اليهود حتى اليوم. على حين أنهم لا يعملون « بالتلمود اليورشلجي » أي التلمود الذي وضع في فلسطين. وضعه أحبار العبرانيين وعلماؤهم في منطقة « طبريا » « Tiberias » على الأخص[١].

وقد وضع التلمود البابلي في العراق في وادي الفرات وقد اشترك في وضعه وإتمامه جماعة من أحبار بابل استمروا على ذلك حتى أوائل القرن السادس للميلاد. وعلى التلمود البابلي الطابع العراقي الخاص الذي يتجلى في نزعته العقلية الحرة وفي استعمال الرأي والقياس والاستنباط[٢] على عكس التلمود الفلسطيني الذي يمثل عقلية الفلسطينيين القدماء في محافظتهم وميلهم إلى الأخذ بالحديث والأخبار. وهذا مما يدل على أن الثقافة العبرانية القديمة التي تريد الصهيونية إحياءها لم تكن ثقافة « عبرانية » خالصة نقية من كل شائبة بل كانت متأثرة بالمحيط. فهي عراقية تمثل

(١) Hastings, P. 891. Bacherin J E. XII. 26

(٢) Hostings. P. 891

ويقال أن السلطان بناه حين شغلته شئونه عن الذهاب إلى المسجد الجامع لكل صلاة.

وفي ساحات القلعة أحواض فسيحة تقوم وسطها مقصورات للجلوس وقنوات من الحجر جميلة يجري فيها الماء رقراقاً. ومنها نهر بهشت (نهر الجنة) وهو مجرى على ضفافيه الأزهار والأشجار وفي قاعه صور من الأزهار جميلة تكاد تهتز وتنمو حين يجري الماء عليها. وهذا النهر يبتدىء عند منظرة جميلة مزينة مشرفة عليه وعلى هذا الجمال المفصل في أرجاء القلعة.

ولا أنسى رباعية فارسية رأيتها في إحدى الحجر وأعجبني موضعها بين هذا الجلال والجمال. فأردت إثباتها فلم أجد قلمي. ولم يكن لي بد من نقلها. فقلت لرفيقي الأستاذ اشتياق حسين عميد كلية الآداب بجامعة دهلي وقد تفضل باصطحابي في زيارة القلعة :

سأكلف نفسي، وأمتحن ذاكرتي بحفظ هذه الرباعية ... فوعيتها حتى رجعت إلى الفندق فكتبتها وهي :

أي باي ببندوقفل بردل هشدار — دوخته چشم وباى دركل هشدار
عزم سفرمغرب وروى درمشرق — أي رآه رويشت بمنزل هشدار

وترجمتها : يا من في رجليه قيد وعلى قلبه قفل انتبه، يا من أغمض عينه وقد وحلت رجله انتبه، تريد السفر إلى المغرب ووجهك إلى المشرق أيها السائر وظهره إلى الغاية انتبه

هذه بقايا مما وعيت من هذه الآثار الجليلة الجميلة في زيارتي القصيرة، وقد بقيت في النفس كما تبقى أبيات وأشطار وقواف من قصيدة بليغة حفظت ثم نسيت، أو كما تبقى الصور مبعثرة بعد حلم جميل طويل، أو كما تضطرب في النفس ذكريات السعادة بعد انقضائها

ومن شاء أن يعرف تفصيل هذه الأبنية وصورها ففي كتب الآثار وصفها وتاريخها وصورها. ومن شاء أن يستمتع بها رأى العين فليس عجيباً أن يذهب إلى الهند ليراها

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

عقلية العراقيين في العراق وهي فلسطينية تمثل عقلية سكان فلسطين في فلسطين وهي مصرية تمثل طبع قدماء المصريين في مصر .

ثم إن الكتب الخمسة الأولى من التوراة وهي التي يقال لها « أسفار موسى » وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية » كانت قد نزلت على موسى وموسى لم يكن قد دخل فلسطين[1] فتكون هذه الكتب قد نزلت خارج الأرض المقدسة

وقد جاءت في الكتاب المقدس بعض الاصطلاحات والكلمات الآرامية التي تدل على تأثر العبرانيين بهذه اللغة التي أصبحت اللغة اليومية لليهود منذ أيام السبي ، والتي حلت محل « العبرانية » التي هجرها سواد الشعب وفضل الآرامية عليها ، فاقتصر أمرها على رجال الدين وطبقة الكهنوت فقط وقد ترك الشعب اليهودي العبرانية مختاراً مفضلا « السريانية » لغة الثقافة التي شاعت في كل أنحاء الهلال الخصيب حتى أن أسفار العهد الجديد القديمة كانت قد دونت بهذه اللغة .

وقد استعمل علماء اليهود ومثقفوهم هذه اللغة في كتاباتهم كما استعملوا بعد ذلك اللغة اليونانية التي دخلت إلى فلسطين وسوريا مع اليونانيين فألف بهذه اللغة المؤرخ اليهودي « يوسفوس » « جوزيفوس » « Josephus Flavius » المتعصب لقوميته وهو من مواليد القدس في القرن الأول للمسيح والذي خلد تاريخ قومه في كتبه المهمة التي ألفها في تاريخ « الآثار اليهودية » و « الحروب اليهودية » والذي يعود إليه الفضل في أكثر ما نعرفه عن تاريخ اليهود مما لم يرد في التوراة إلى القرن الأول للمسيح . لم يجد هذا المؤرخ اليهودي المتعصب لقوميته غضاضة من استعمال اللغة اليونانية في تدوين تاريخ قومه ، مما يدل على أن العبرانيين لم يكونوا يستعملون تلك اللغة إلا بصورة محدودة ضيقة ، وعلى أنهم لم يكونوا يعنون بها العناية اللازمة ، وأنهم لم يكونوا يعتبرونها لغة ثقافة أو لغة أدب وكتابة وإنما هي لغة دين ، على عكس ما يدعيه الصهيونيون في دعواهم الحديثة .

وقد استخدم اليهود بعد انتشارهم في الأقطار الخارجية اللغات المحلية ، حتى في الشروح الدينية والتفاسير فكتبوا باليونانية واللاتينية والعربية في القرون الوسطى ولا سيما في الأندلس حيث كانوا يكتبون كتبهم باللغة العربية ولكن بأحرف عبرية كالذي فعله الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون ، مما يدل على أن العبرانيين كانوا يفكرون في كل مكان نزلوا به بعقلية ذلك المكان ولو جمعنا ما أنتجه العقل اليهودي منذ أيام السبي لوجدنا أن اليهود كانوا قد ساهموا في الثقافة العالمية جماء فكونوا ثقافات مختلفة وكانت لهم ثقافة دينية هي الثقافة التي كونها الأنبياء وشرّاح التوراة والتلمود ومعنى هذا أن الثقافة اليهودية كانت ثقافة عالية ولم تكن ثقافة إقليمية اقتصرت على فلسطين ، وأن من الممكن لليهود تكوين ثقافة يهودية في الأقطار التي يسكنون فيها على نحو ما هو جار في الوقت الحاضر .

وقد ذكر المؤرخ اليهودي « سيمون دبنوف » « Simon Dabnow » وهو أعظم المؤرخين المحدثين على الإطلاق أن اليهود كانوا قد تأثروا إلى حد كبير بثقافة البابليين وأن في الكتاب المقدس فصولا كثيرة أخذت من الثقافة البابلية[1] كما يظهر ذلك من المقارنة بين الكتابات المسمارية وما ورد في التوراة[2] .

ظل اليهود يغادرون فلسطين للسكنى في الخارج في أيام الفرس وفي أيام اليونانيين والرومان وعلى الرغم من الحركات اللاسامية التي كانت تظهر في الأمبراطورية البيزنطية الرومانية فإن اليهود فضلوا البقاء في الخارج . ولم يظهروا أي رغبة في العودة إلى هذه الأرض . ولم يبق في فلسطين في العصور المسيحية غير بعض الجاليات التي سكنت في منطقة الجليل و « طبرية » على الأخص . ومما يلاحظ أنهم ساعدوا الجيش الفارسي الذي جاء سنة ٦١٤ للميلاد لفتح سوريا وفلسطين ولطرد اليونانيين . فساعدوهم في فتح القدس وفي مقاتلة إخوانهم المسيحيين الذين كانوا من اليهود قبل نشر الدعوة المسيحية .

ولم يترك كتاب اليهود من بعد « يوسفوس » أي أثر يشير إلى وجود جاليات يهودية كبيرة في فلسطين ، ولما فتح الفرس فلسطين وعذبوا المسيحيين وأخذوا معهم الصليب المقدس وساعدوا الجاليات اليهودية الصغيرة التي كانت هناك لم نسمع من أخبار اليهود في الأراضي المقدسة ما يدل على أنهم كانوا أصحاب كلمة مسموعة وأن عددهم كان محسوساً بينما كان عددهم كبيراً في روما وفي فرنسا وفي المدن اليونانية والمصرية وكانت حالتهم المالية حسنة جداً كذلك .

(١) Hastings, P, 97.

(١) Simon Dubnow, weltgeschichte. des Judischen. Nolkes. Bd. 1. S , 3 oo

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٧ .

Sotor 281 — 262

ولما استعاد القيصر هرقل « فلسطين » من أيدى الفرس لم تبق فى أيدى الروم أمداً طويلا إذ ضجر سكانها من حكم اليونان وفاوض العرب النصارى المسلمين لتخليصهم من أيدى المستعمرين وقد كانت غالبية السكان فى هذا العهد من القبائل العربية المتنصرة مثل جذام وكلب وقضاعة ولخم وغسان وكانت مخيمة ومستقرة فى كل أنحاء سورية كذلك(١) .

وقد فصلت كتب « المغازى والفتوحات » كيفية دخول الجيوش الإسلامية أرض فلسطين وكيف سلم « بطريرك » القدس مفتاح المدينة إلى الخليفة عمر صلحاً . ولم تشر إلى اليهود مما يدل على أن الأراضى المقدسة كانت خلواً منهم ، وهناك إشارة مهمة وردت فى كتاب « ثيوفانس » « Theophane. » وهو من خيرة الكتاب اليونانيين المطلعين على شؤون فلسطين فى هذا العهد وهى ضد مزاعم الصهيونيين تماماً . إذ يقول هذا الكاتب الذى عاش فى هذا العصر « لم تكن حكمة الخلفاء هى التى فتحت أبواب سوريا وفلسطين لجيوش المسلمين بل المسيحيين العرب الذين كونوا قوة عظيمة تقدمت فى طليعة الجيوش الإسلامية تقاتل الجيوش اليونانية مع أنها كانت تدين مثلها بنفس الدين »(٢) .

وليست لدينا معلومات حسنة عن علاقات الرسول بهذه القبائل ، والظاهر أنها كانت سيئة فإن معركة « مؤتة » تشير إلى أنهم كانوا يحاربون إلى جانب البيزنطيين(٣) .

غير أن الأوضاع تبدلت فيما بعد منذ معركة « تبوك » فانحازوا إلى جانب إخوانهم فى الجنس المسلمين وصاروا يقاتلون إخوانهم فى الدين البيزنطيين .

وقد أظهر الآراميون وطنية عظيمة وحماسة كبيرة للجيوش الإسلامية ، فإنهم ساعدوهم مساعدة كبيرة ، وحاربوا فى صفوفهم مع أنهم كانوا من المسيحيين .

وقد ذكر « البلاذرى » أن المسلمين حينما حاصروا « قيصرية » وكان سكانها من السامريين وهم فرع من أصل يهودى ولكنهم يختلفون عن سائر اليهود ويكرهونهم خرج يهودى كان يقيم فى المدينة واسمه « يوسف » إلى المسلمين وأرشدهم إلى موضع نفق سرى يؤدى إلى المدينة فدخل منه المسلمون .

(١) Becker islam Studien Bol 1 , S , 80

(٢) Becker islam vol, 1. S, 80

(٣) نفس المصدر ص ٨٧ .

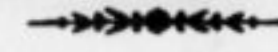
وقد أسلم من أسلم من أهل فلسطين وظل من أراد الاحتفاظ بدينة وقد عاملهم المسلمون معاملة حسنة وعاشوا مع المسلمين إخوانا وأعواناً حتى أنهم اشتركوا معهم فى محاربة « الصليبيين » وقد لاحظ العالم المتخصص بفلسطين « جيمس فرازر » أن ملامح الفلسطينيين القدماء الذين كانوا يقطنون هذه البلاد قبل مجىء العبرانيين لازالت ظاهرة على الفلاحين المسلمين والمسيحيين على حد سواء وإن هؤلاء الفلاحين هم من أقدم السلالات البشرية التى كانت تقيم فى الأرض المقدسة وهم أنفسهم الذين يحاربون الصهيونية فى الوقت الحاضر دفاعاً عن أرضهم وأملاكهم .

وعندما استولى الأسبان على أرض الأندلس وأجبروا المسلمين واليهود على حد سواء على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد فضل أكثرهم الهجرة إلى فرنسا وإيطاليا وشمال إفريقية ولم يذكر منهم أى أحد أرض فلسطين ولو كان اليهود يعطفون على الوطن القومى وعلى إعادة ملك سليمان لكانوا قد فضلوا الذهاب إلى أرض « الميعاد » حيث كانوا يعيشون عيشة راضية . نعم لقد كانوا يعلمون أن أرض فلسطين هى أرض مقدسة كما هى أرض المسيحيين المقدسة وأرض المسلمين . ولكنهم لم يكونوا يشعرون بهذه القومية الاعتدائية المتطرفة التى دعا إليها الصهيونيون .

جواد على

مستقبل الأدب

للأستاذ على الطنطاوى



تزدحم المساجد قبيل الامتحان بجماعات الطلاب ، يتحلقون فيها حلقاً ، يطالعون ويقرأون ، وقد مررت مرة بحلقة فيها نفر فهمت من كلامهم أنهم من طلبة العربية والأدب ، فى المدارس العالية ، فقعدت قريباً منهم استمع إليهم ، وكان واحد منهم يقرأ فى كتاب ، فما رأيته سلمت له خمسة أسطر متتابعات ، وما مرّ على خمسة أسطر إلا رفع فيها منخفضاً ، وخفض مرتفعاً ، وحرف الكلم عن مواضعها ، وأزالها عن منازلها ، ولم يدع لغوياً ولا نحوياً ولا عالماً بالعربية من لَدُنْ أبى عمرو إلى الأشمونى ، إلا نبش قبره وبعثر عظمه ، ولعن بجهله أباه وأمه ، أما الطلاب الحاضرون فكان منهم من يتنبه للّحنة الظاهرة ، ظهور البهتان فى (القبس) ، فيردّه عنها ، ويغفل عن الخفية ، وسائرهم فى عمى عن ظاهرها وخفيها ، ودقيقها وجليلها ، فضاق صدرى ، حتى خفت أن يتفجر بغضبة للعربية ، لا أدرى ما عاقبتها فحملت نعلى وخرجت هارباً أسى ...

وذهبت فسألت المدرسين فعلمت أن هذا القارىء ليس بدعاً فى الطلاب وليس المتفرد فى هذه (العبقرية) فى الجهل ، وهذا (التبرز ...) فيه ، وإنما هو النموذج الصادق لأكثر طلاب المدارس فى هذه الأيام ، واجتمعت بعد ذلك بكثير من طلاب المدارس العالية ، فما كدت أجد فى أكثرهم من يشبه أو يدانى أصحابنا يوم كنا فى أوائل الدراسة الثانوية ، لا أقول هذا فخراً بأصحابنا ، ولكن تذكرة لهؤلاء ، وحثاً على الجد فى طلب العلم ، وبياناً لما هبطوا إليه ، وما رضوه لأنفسهم من ترك العلم اعتماداً على شهادات ينالونها ، أو كراسىّ يركبونها ، أو وظائف(١) يقبضونها ، حتى صارت الشكوى من الضعف فى العربية عامة فى مصر والشام والعراق ، وحتى صار من أبواب التسلية للأدباء ، أن يفكروا فى (تيسير ...) تعلم العربية ، بقلب قواعدها ، وتنكيس أوضاعها ، وابتداع البدع فى نحوها وصرفها ، أو بهدم بنيانها ، وصرم نظامها ، بـ (تسكين أواخر كلماتها) ، و (ترك إعرابها) ، أو بنسفها من أساسها ، وقلعها من جذورها ، باستعمال الحروف اللاتينية أولا ، والكلمات اللاتينية ثانياً ، وما لا يعرفه إلا الله ثالثاً ... وما إلى شىء من ذلك حاجة ، ولا له فائدة ، وما باللغة تعسير حتى نبتغى لها أوجه التيسير ، ولكنْ فى العزائم خور ، وفى الهمم ضعف ، وفى الشباب انصراف عن العلم !

(١) الوظائف الرواتب .

هذى الحقيقة ، وإلا فهل صلحت اللغة برسمها(١) وعلومها هذه القرون الأربعة عشر ، وصبرت على حكم الأتراك أولا ثم الفرس ، ثم المغول ، ثم المماليك العبيد ، ثم الأتراك أخيراً ، ورأت عصور الانحطاط ، وعهود التخاف ، وكانت فى كل ذلك ظاهرة ظافرة ، حتى لم يخل عصر من مؤلفين فى النحو والصرف والبلاغة والأدب ، وحتى وضع القاموس أشهر معاجمنا فى عهد العثمانيين ، وألف شرحه الجليل بعد الألف للهجرة ، وحتى كان طلبة العلم فى الدهور كلها عاكفين على النحو والصرف والبلاغة ، إن لم ينالوا ثمرتها فقد حفظوا قواعدها ، وإن لم يبلغوا مرتبة الأدب ، فقد أحاطوا بعلوم الأدب ... هل صلحت اللغة هذه القرون وبدا الآن فسادها ؟ وهل استسهلها الفرس والروم والأتراك والهنود حتى ظهر منهم علماء أجلاء فيها ، ولم تصعب إلا على أبناء العرب الأقحاح ، بعد ما طلع فجر النهضة ، وبدا النور ؟ وما لشبابنا وحدهم دون شباب العرب فى كل العصور ، هم الذين عجزوا عن تعلمها والتمكن منها ؟ أهم أقلّ ذكاء ، وأضعف عقلا ، منهم جميعاً ، ومنا لما كنا فى مثل أسنانهم قبل عشرين سنة ؟ لا ، بل هم أذكى منا ، ووسائل التعلم فى هذه الأيام أكثر ، وطريقته أسهل ، وربّ بحث كنا نتصيد مسائله من متفرقات الكتب نرى الآن مجموعاً فى كتاب واحد ، ينادى : من يقرأ فىّ ؟ فما لهم يستصعبون العربية ؟

وهل العربية أصعب عليهم من الكيمياء ، والجبر والهندسة وهذه الألسن التى يزحم بعضها فى رأس الطالب بعضاً من تعددها وما لأكثرها من فائدة تلمس ، أو عائدة تحس : اللاتينية التى أخذناها تقليداً بلا علم ، والسريانية والعبرية والفارسية والتركية دعك من الفرنسية والانكليزية وما لست أدرى ماذا أيضاً ؟ أهذه

(١) أى خطها وكتابتها .

العلوم وهذه الألسن كلها سهلة جميلة ، كأنها قصة من قصص الغرام ، يشربها الطالب مع الماء ، ويأكلها مع الحلوى ، والصعوبة كلها في العربية ؟

وإذا كانت هذه العلوم وهذه الألسن صعبة كلها فما هو السهل الذي يذهب الطالب إلى المدرسة ليتعلمه ؟ ولماذا نفتح المدارس ونرهق الأمة بنفقاتها ، ونحمل خريجيها على أعناق الناس حملا ، بما حصلوا من العلم ، وما نالوا من الشهادة ؟

لا ، ليس في العربية صعوبة ، ولا في كتابتها وعلومها تعسير ، هذه ضلالة يجب أن ينتهي حديثها ، وأن لا نعود إلى إضاعة الوقت ، وإفساد النشء ، في الكلام فيها ... ويجب أن نحببها إلى الطلاب ، ونرغبهم في مطالعة كتبها ، حتى يألفوها ، ويسهل عليهم فهمها ، ولقد كنا في المدارس الابتدائية نقرأ الكتب العلمية الكبيرة حتى إني قرأت (حياة الحيوان للدميري) — وقد وقع في يدي اتفاقاً — قبل أن آخذ شهادتها ، وقرأت (الأغاني) كله — متخطياً أسناده ، وما لا أفهم منه — في صيف السنة الثانوية الأولى ، وكنا يومئذ نحسن المراجعة في الخضري وفي المغني ، وكان فينا من ينظم ويكتب ، وعندي مقالات كتبتها في تلك الأيام ، قد لا ترضيني أفكارها ولكن أسلوبها يرضيني اليوم ، ولرفيقي أنور العطار شعر (قاله في ذلك العهد) جيد ، منه قصيدة (الشاعر) التي نشرتها كبرى المجلات الأدبية يومئذ (الزهراء) ، وهي في نحو ستين بيتاً ، أحفظ منها قوله ، وما ذلك من خيارها فكلها خيار :

كتب البؤس فوق خديه سطراً ... تتراءى الآلام في كلماته :
للهوى قلبه ، وللشجو عينا ... ه وللعالمين كل هباته
وهو نهب لحادثات الليالي ... وحلال للدهر قرع صفاته
يتلقى بصبره نزوة الدهر ... ويشكو لربه نزواته

وكنا نختلف إلى بعض العلماء ، نسمع دروسهم العامة في المساجد ، ودروسهم الخاصة في البيوت فما أكملنا الدراسة الثانوية حتى قرأنا مع علومها ، النحو على المشايخ والبلاغة والفقه والأصول والحديث ، وحضرنا كتباً في التفسير والكلام والتصوف ، وعرفنا عشرات من أمات(١) كتب العلم ، قرأنا فيها أو تصفحناها أو رجعنا إليها ، وحفظنا أسماء مئات من أعلام الإسلام ، من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والمفسرين والفلاسفة والقواد والأدباء والشعراء ، حتى صارت أسناد الحديث والأدب مألوفة لنا ، لكثرة من عرفنا من رجالها ، ومن لا نعرفه نرجع إلى ترجمته ، وكنا في الثانوي نرجع إلى الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب ، وتهذيب التهذيب ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وابن خلكان والفوات ومعجم الأدباء ، وطبقات السبكي وتاريخ الخطيب وابن عساكر ، والديباج المذهب ، وطبقات الحنفية والبغية ، وتاريخ الخلفاء ، والقفطي وابن أبي أصيبعة ، وهذه الكتب كلها — وأخرى نسيتها — في مكتبتي وكانت تحت يدي من تلك الأيام ... وإن زادت الآن (بحمد الله) كتباً كثيرة ...

وقد نبغ في صفنا (فصلنا) جماعة من الأعلام ، هم في الشام اليوم واسطة عقد الثقافة ، والحلقة التي كانت مفقودة فوجدت فيهم والطبقة التي ليس لها جمود الشيوخ وإن كان لها بحثهم وتحقيقهم وليس لها نزق الشباب وخفتهم ، وإن كان لها نشاطهم ، كسعيد الأفغاني الأديب المحقق الضليع ، وأنور العطار الشاعر العلم ، ومحمد الجيرودي الأديب العالم الذي جمله أدبه وعلمه نابغة المحاماة في دمشق ، وجمال الفرا ووجيه السمان ، الأديبين الأصيلين اللذين غلبت عليهما الطبيعة وعلومها . وقد نبغ في الصف الذي أمامنا طائفة أخرى من الأعلام . كأسعد الكوراني نابغة المحاماة في حلب ووكيل وزارة العدل اليوم ووزيرها أمس ، الذي ظهرت عبقريته طالباً ومحامياً وموظفاً ، وزكي المحاسني الأديب الشاعر ، الذي لم يمنعه سنه وقدمه أن يعود في الكبر طالباً ، والذي نال بالأمس شهادة الدكتوراه وكان ثامن دكتور في الآداب خرج من الجامعة المصرية ، وجميل سلطان الشاعر المصنف ، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) الشاعر الأديب ...

وما كانت تمر سنة لا ينبغ فيها نابغون في الأدب والعلم ، وممن نبغ في صفنا في كلية الحقوق ضيف مصر الآن العالم البحاثة مصطفى الزرقا ، وهو اليوم من أساتذة الكلية البرزين .

ثم شح الينبوع ، ثم جف أو كاد ، حتى ما نجد في السنين الطوال كاتباً ينبغ في الشام ، أو شاعراً يظهر ، أو محققاً يرى ، وما زال الأمر إلى تخلف . ولقد اشتغلت بالتعليم دهراً في الشام والعراق ولبنان فما فارقت فوجاً من الطلاب إلا استقبلت أضعف منه ، حتى انتهى بي الأمر ، أن دعيت من سنتين إلى تدريس الآداب لطلاب السنة الأخيرة من مدرسة ثانوية ، فدخلت فوجدت رجالا كباراً ، لهم طول وعرض ، وأناقة في الثياب ، ولباقة في

(١) قالوا : الأمهات للناس والأمات للأشياء .

الخطاب ، وسمت ووقار ، فهبتهم وأعددت العدة لتعليمهم ، وحشدت كل ما أعطيت من قوة وعلم ، على ضعف قوتى وقلة علمى ، ومضيت على سننى حتى جاء موعد سؤالهم ، فإذا هم من أئمة الجاهلين ، وإذا هم لا يحسنون قراءة بيت ولا فهمه ولا إعرابه ، ففررت منهم ، حين وجدت أنى إن كلت ثيابهم وهيئاتهم منعتنى جهالتهم ، وإن خاطبت جهالتهم منعتنى هيئاتهم

فالحكاية ليست حكاية كتابة تسهل ، ولا قواعد تيسر ، ولا أعراض خبيثة تحقق من وراء هذه الستر اللماعة ، ولا سموم تقدم فى هذه الكأس البراقة ، ولكنها مشكلة المعلم أولا ، والتلميذ ثانياً .

وما دام المعلمون ، أى أكثر من عرفت من معلمى العربية ، أصحاب شهادات لا علم ، خطفوا مسائل فى المدارس خطفاً ، وحفظوها حفظاً ، ومنهم من تعلمها فى ديار الغرب ، وجاء منها بدكتورات حرب[1] وما دامت دروس العربية تلقى بالعامية ، وما دام مدرس الأدب يتكلم ساعة عن أبى تمام وأدبه وما قيل فيه ، ولكنه لا يفهم بيتين من شعره ، ولا يحسن شرحهما ، ويعلم الأدب وهو ليس بأديب ، وما دام يتصدر للامامة فى (فن القول) من لا يدرى ما يقول — فمن أين يتلقى الطالب العربية ؟

فهاتوا المعلم القوى فى علوم اللغة ، صاحب الاطلاع فيها ، والذوق فى فهمها ، يصلح هو فساد المناهج ، ويقوم اعوجاج الكتب ، وييسر عسر اللغة ، (إن كان فيها من عسر !) وهذا المعلم لا يوزن بميزان الشهادات وحدها ، إلا إذا جاء وقت لا تعطى فيه الشهادات إلا لأربابها ، وتكون شهادة حق لا شهادة زور ، ففتشوا أنتم الآن عن ميزان آخر !.

أما التلميذ فيجب أن نحبب إليه المطالعة ، ونعرفه قيمة العلم ونذيقه لذته ، ولا يكون ذلك ما دامت المجلات والمطابع مفتحة أبوابها ، لكل هذيان وعبث صبيان .

وبيان ذلك أن فى نفس كل ناشىء فى الأدب حباً للظهور ، وهوى للنشر ، فلا يجد أن جد إلا ليلق اسمه على رأس مقالة فى مجلة ، أو على غلاف كتاب ، ولقد كان الواحد من أصحابنا يتمنى أن ينشر ما يكتبه بعد طول الكد ، ومتابعة السهر ، فى جريدة محلية ، ثم يرتقى إلى المجلة الصغيرة ، ثم يتدرج حتى يصل إلى مثل الرسالة أو الثقافة . هكذا كنا ، وهكذا كانت لهذه المجلات هيبة فى نفوسنا ، فلا نقدم عليها إلا بعد الاستعداد ، ولا نقدم لها إلا ما نعتقد أنه جيد ، فتبدلت الحال ، وعلا الشباب بالغرور ، أوهبطت هذه المجلات ، حتى صرنا نرى الغلام المبتدىء ، يكتب مقالته الأولى فلا يراها أقل من أن تنشر فى الرسالة مثلا ، مع مقالة العقاد والزيات ، ولا يعدم بعد إدمان القرع للأبواب من يفتح له باب مجلة من هذه المجلات .

هذا الشاب الذى يرى أنه وصل إلى الغاية بلا تعب ، ونال ما يطلب بلا مشقة ، لا يجد بعد ذلك ما يدفعه إلى سهر الليالى ، وتقريح الجفون ، فى مسامرة الكتب ، والازدياد من العلم .

فليس الخطب خطب ضعف الطلاب فى علم من العلوم ، ولكنه خطب الأدب : إنها إن استمرت هذه الحال ، ومات هؤلاء الكتاب البلغاء ، وكل حى إلى ممات ولو طال به الأجل ، فإنكم ستتلفتون تفتشون عن كاتب بليغ ، أو شاعر مفلق ، فلا تجدون ... فأعدوا من الآن شباباً تدخرونهم لذلك اليوم العصيب ، وإلا فعلى اللغة والأدب والبيان السلام !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

(١) دكتور حرب على وزن (غنى حرب)

الشطار والعيارون

للأستاذ شكرى محمود أحمد

فى المجتمع العباسى طبقات غريبة ظهرت فى فترات مختلفة من الزمن ، نشأت وتجمعت بسبب عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ولكل طبقة منها اسم خاص بها ، ولها تنظيمات وعادات تنفرد كل طبقة بها دون غيرها . وربما كان لبعضها لغة خاصة . فمن هذه الطبقات الشطار(١) والعيارون(٢) والطرارون(٣) والظرفاء والفتيان(٤) واللمابون(٥) والمخنثون(٦) والحرافيش والساسانيون والزواقيل ، وغيرهم وقد ذكر الجاحظ منهم طبقات كثيرة .

وكانت هذه الجماعات أخلاطاً من مولدى العرب والفرس والترك والروم والبربر والديلم والنبط والجركس والأكراد والكرج وغيرهم من الأقوام الذين زخر بهم المجتمع العباسى . وقد تغلبت على هؤلاء اللغة العربية ، وكان للساسانيين لغة خاصة بهم ذكرها الثعالبى فى اليتيمة والخفاجى فى شفاء الغليل .

والذى يعنينا من هذه الطبقات هم الشطار والعيارون ، وقد سجل كثير من مؤرخى الإسلام أخبارهم وأعمالهم وما قاموا به

(١) الشاطر : الذى أعيا الناس حيلة ومكراً .

(٢) العيار الذى لا هدف له فى الحياة ، وعندى أن العيار من عاثر وهو المتردد ومنه سهم عاثر الذى لا يعرف راميه ، وشاة عائرة مترددة بين الصفوف .

(٣) الطرارون الذين يطرون الدروب ويحتالون على الناس لأخذ ما عندهم ، ومنهم نساء ، وكان فى بغداد سجن الطرارات .

(٤) الفتيان من الفتوة ، جاء فى تعريفات الجرجانى : الفتوة فى اللغة السخاء والكرم وفى اصطلاح أهل المعرفة هى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .

(٥) اللمابون ويسمون أيضاً اللعابة وهم طائفة كانت تتخذ المجون والهزل والرقص حرفة لها . جاء فى شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٢ ص ١١٧ « وقال عكرمة : ختن ابن عباس بنيه فأرسلنى فدعوت اللعابين ، فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم .

(٦) المخنثون : كان هؤلاء فى الحجاز قبل الإسلام ، وانتشر فعلهم بعد ذلك فى الأمصار ، كانوا يغشون النساء يتوسطون بينهن وبين الرجال وكان أجسن الغنين منهم .

من قطع الطرق ونهب الأموال وقتل الناس وغير ذلك ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن الأثير والمسعودى والطبرى وأبو الفداء وابن الفوطى وابن الجوزى فى المنتظم وتلبيس إبليس والتنوخى فى الفرج بعد الشدة والأربلى فى خلاصة الذهب المسبوك والبيرونى فى الجواهر والبيهقى فى حكام الإسلام وغير هؤلاء من المؤرخين .

وقد ظهر الشطار والعيارون فى مختلف الأمصار الإسلامية ، فهم يعرفون فى العراق باسم « الشطار » وفى خراسان يسمونهم « سرابدران » وفى المغرب يطلق عليهم اسم «المقورة» ، وسماهم ابن بطوطة « الفتاك » .

كانت هذه الجماعات ترتزق باللصوصية والنهب وقطع الطرق والتحيل على الناس ، وفى الغالب باغتصاب الأموال وفرضها على المدن والمحلات أو الأغنياء . فقد ذكر ابن الأثير « أنهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار »(١) ، أو أنهم كانوا يهاجمون بيوت الأغنياء ويأخذون ما فيها من المال والجواهر ، جاء فى المنتظم « .. وكبست دار تاجر فأخذ منها ما قيمته عشرة آلاف دينار »(٢) .

وفى كثير من الأحوال كان يستفحل أمرهم ويستشرى بلاؤهم حتى تعجز الحكومة عنهم ، وربما استعانت بهم فى الحروب كما حدث فى الفتنة بين الأمين والمأمون والمستعين والمعتز ، قال ابن الجوزى « كان طلاب السلطة يستعينون فى حروبهم ببعضهم على بعض ويمدون بالآلاف ، فقد كان مع أبى دلف عشرون ألفاً منهم »(٣) . يستخدمهم لأغراضه ويسخرهم فى أعماله

سبب ظهورهم :

إن الاضطرابات السياسية التى مرت على العراق تركت أثرها فى الحياة الاقتصادية حيث كسدت الأعمال ، وغلت الأسعار وقلت الأقوات ، فاضطرب نظام الحياة ، وانتشرت المجاعة بين الناس ، وكان الحكام أنفسهم يخزنون الأقوات والحبوب ، لذلك تعمد العامة والسوقة إلى الارتزاق بمختلف الطرق وشتى الوسائل

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٢ ، ١٦٢ .

(٢) ابن الجوزى المنتظم ج ٨ ص ٧٢ .

(٣) ابن الجوزى تلبيس إبليس ص ٣٩٢ .

حتى انتظموا جماعات كثيرة لمناوأة أصحاب المال من التجار وغيرهم، فهم طبقات ضاقت بهم سبل الحياة، وسدت عليهم أبواب العيش، فتوسلوا بطرق الفوضى والاغتصاب للانتقام من مجتمعهم .

وفى كتاب الفرج بعد الشدة قصص كثيرة تصف هؤلاء الشطار والعيارين وكيف انتظموا فى هذه العصابات . ونقل لنا على لسان كردى من هؤلاء التقى به فى الطريق بين واسط والبصرة « .. قلت له : يا هذا كيف بلغت هذه الحال ؟ قال : نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح ، وجئت إلى بغداد أطلب السلطان فما قبلنى أحد ، فانتظمت إلى هؤلاء وطلبت الطريق ، فلو كان أنصفنى السلطان وأنزلنى بحيث استحق من الشجاعة لانتفع بخدمتى وما فعلت هذا .. »(١) .

وقد كان هؤلاء الشطار والعيارون ينقمون على الدولة والسلطان أشد النقمة ، لأنهم أحرجوهم فأخرجوهم ، وتركوهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس أموالهم ، ويصبون الفزع فى قلوبهم ، ففى قصة ابن حمدون اللص تظهر شدة نقمة هؤلاء على السلطان وقد ذكرها التنوخى ، قال هذا اللص : « .. يا هذا ! لعن الله السلطان الذى أحوجنا إلى هذا ، فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل ، ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر أعظم مما يرتكبه السلطان .. أنت تعلم أن ابن شيراز فى بغداد يصادر أموال الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر فلايخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شىء غير الصدقة ، وكذلك يفعل البريدى فى واسط والبصرة والديلم ، ويتجاوز ذلك إلى الحرم والأولاد ... فاحسبونا مثل هؤلاء »(٢)

وربما هاجم هؤلاء الشطار والعيارون المحلات والقرى فنهبوا النساء والصبيان علانية وجعلوهم رهائن عندهم، ففى أخبار سنة إحدى ومائتين يذكر أبو الفداء « ... وفيها اشتد أذى فساق بغداد وشطارها حتى قطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية ، ونهبوا القرى مكابرة ، وبقى الناس معهم فى بلاء عظيم ، فتجمع أهل بعض المحال ببغداد مع رجل يقال له خالد بن الدريوس وشدوا على من يليهم من الفساق والشطار فمنعوهم وطردوهم »(٣)

(١) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٧ .
(٢) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٨ .
(٣) المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ٢٢ .

ولقيت بغداد من هؤلاء الشطار والعيارين أشد أنواع العذاب والإرهاق ، وقد كانت تدافعهم بمختلف الطرق فما أغنى ذلك عنها شيئاً ، ففى سنة سبع عشرة واربعمائة كان « العيارون يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره ، وعمل الناس الأبواب على الدروب فلم تغن شيئاً »(١) .

وكان الشاطر إذا شاخ وعجز عن العمل ربما تاب فتستخدمه الحكومة فى مساعدتها على كشف السرقات ، وكان فى خدمة الدولة العباسية جماعة من هؤلاء يطلق عليهم اسم « التوابون » ولكن هؤلاء كانوا فى الغالب يقاسمون اللصوص ما يسرقونه ويكتمون أمرهم(٢) .

وكثيراً ما كان الوزراء والحكام وأصحاب السلطة والنفوذ يقاسمون الشطار والعيارين الأموال،ففى حوادث سنة ست وثلاثين وخمسمائة يذكر ابن الأثير : « .. وفى هذه السنة وصل السلطان إلى بغداد فرأى تبسط أمر العيارين وفسادهم ما ساءه فأعاد بهروز إلى الشحنكية فتاب كثير منهم ، ولم ينتفع الناس بذلك لأن ولد الوزير وأخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم »(٣) .

وقد ذكر ابن بطوطة استفحال أمر الشطار والعيارين على عهده « القرن الثامن » وأشار إلى اجتماعهم على الفساد وقطع الطرق وهجومهم على مدينة بيهق فملكوها وملكوا غيرها ، فجندوا الجنود وركبوا الخيول ، وجعلوا أحدهم سلطاناً عليهم ، وانحاز إلى هذا السلطان العبيد ، فمن رأى فيه شجاعة أمره وأعطاه مالا وفرساً(٤) .

وكان لهؤلاء الشطار والعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يتبعونهم فى الخانات والقصور والصيارف والجوهريين ، فإذا رأوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه(٥) .

رأيهم فى أعمالهم :

الذى يظهر لنا من دراسة حياة هذه الجماعات أن أعمالهم هذه

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٤٦ .
(٢) المسعودى ج ٢ ص ٣٣٥ .
(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ٤١ .
(٤) ابن بطوطة ج ١ ص ٢٣٥ .
(٥) المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥ .

كانت موجهة إلى أصحاب المال والأغنياء الذين يكدسون ثرواتهم ويخزنون أموالهم ، ويتركون العامة فى عوز وفاقة ، لذلك لم يتعرضوا لأصحاب البضائع القليلة ولم يعرضوا لامرأة ولا إلى من يستسلم إليهم ، وكانت هذه صفة ابن حمدون الشاطر والبرجمى العيار (1) .

ولم يكن هؤلاء الشطار والعيارون يعدون اللصوصية جريمة وإنما هى صناعة يحللونها لأن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة تلك الأموال ، فقد ادعوا أنهم فقراء فإن أخذوا تلك الأموال كانت لهم مباحاً ، وهذا التعليل يسرده لنا ابن سيار الكردى ويذكر خبره التنوخى قال : « كنت مسافراً ببعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردى ، فقطع علينا وكان بزى الأمراء .. فقربت منه أنظر إليه وأسمع كلامه فوجدته يروى الشعر ويفهم النحو ، فطمعت فيه وعملت أبياتاً مدحته بها ، فقال : لست أعلم أن هذا من شعرك ، ولكن اعمل لى على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة وانشدنى بيتاً ، فعملت فى الحال أجازة له ثلاثة أبيات . فقال لى : أى شىء أخذ منك لأرده عليك ؟ فذكرت له ما أخذ منى فرده إلىّ . ثم أخذ من أكياس التجار التى نهبها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لى . فجزيته خيراً ورددته إليه ، فقال لى لِمَ لا تأخذه ؟ فوريت فى كلامى ، قال : أحب أن تصدقنى ، فقلت : وأنا آمن ؟ فقال : نعم ، قلت : لأنك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظلماً فكيف يحل لى أخذه ، فقال لى أما قرأت ما ذكره الجاحظ فى كتاب اللصوص عن بعضهم قال : « إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها فصارت أموالهم بذلك مستهلكة ، واللصوص فقراء إليها ، فإن أخذوا أموالهم كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة . ثم قال لى : خذ الآن الكيس فأخذته وساق القافلة » (2) .

بلاؤهم فى الحروب :

كان للشطار والعيارين فى الحروب والفتن المحل الأول والشأن الكبير ، ففى الفتنة بين الأمين والمأمون لما عجزت جنود الأمين عن الدفاع استنجد بالعيارين والشطار فى الدفاع عن بغداد ، فنظمهم

(1) التنوخى ج ٢ ص ١٠٨ وابن الأثير ج ٩ ص ١١٥ .
(2) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٦ .

نظام الجند على كل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير . وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم الميازر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالرمل والحصى ، وساروا للحروب يضربون المأمونية بالمقلاع والحصى (1) ، وفى هؤلاء يقول الشاعر :

خرّجت هذه الحروب رجالا ... لا لقحطان ولا لنزار
معشر فى جواشن الحصر يغدو ... ن إلى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار إذا الأبطا ... ل عاروا فى القنا للفرار
واحد منهم يشد على ألفـ ... ـين عريان ما له من ازار
ويقول الفتى إذا طعن الطعـ ... ـنة : خذها من الفتى العيار

ومن ظريف بلائهم فى هذه الفتنة ما ذكره ابن الأثير قال : إن قائداً من أصحاب طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوماً إلى القتال ، فنظر إلى قوم عراة فقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلا من نرى ؟ استخفافاً بأمرهم واحتقاراً لهم ، فقيل له : نعم ، هؤلاء هم الآفة ، فقال لهم : أف لكم حين تنهزمون من هؤلاء ، وأنتم فى السلاح والعدة والقوة وفيكم الشجاعة ، وماعسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ولا جنة تقيهم ... وتقدم إلى بعضهم وكانت فى يده بارية مقيرة وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة فكان الخراسانى كلما رمى بسهم استتر منه العيار فيقع السهم فى باريته أو قريباً منها فيأخذه العيار ويصيح دانق — أى ثمن السهم دانق قد أحرزه — فلم يزل كذلك حتى فنى سهام الخراسانى ... ثم حمل عليه العيار ورماه بحجر من مخلاته فى مقلاع فما أخطأ عينه ، ثم خر وكاد يصرعه ، فانهزم وهو يقول : ما هؤلاء بناس (2) .

وحدث مثل هذا من العيارين والشطار فى حرب المستعين والمعتز سنة ٢٥١ هـ إذ حوصر المستعين بالله ببغداد مثل حصار الأمين فاستعان بالعيارين وفرض لهم الأموال وجعل عليهم رئيساً اسمه بينونه (3) .

ومن العيارين رجال خلدهم التاريخ وكتبت حولهم القصص الشعبية مثل الزيبق وقصته مشهورة معروفة تقرأها العامة كما تقرأ قصة أبى زيد الهلالى وقصة عنترة وغيرهما من القصص الشعبية .

(1) المسعودى ج ٢ ص ٢١٨ .
(2) ابن الأثير ج ٦ ص ١١١ .
(3) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٤٤ .

أزياؤهم :

ذكرنا زيهم وسلاحهم فى الحروب وأما فى السلم فقد وصفه لنا ابن منظور قال « خرج أبو نواس إلى مصر فى زى الشطار وتقطيمهم بطرّة قد صففها ، وكمين واسمين ، وذيل مجرور، ونعل مطبق» (١) . وكان للشطار مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بأزرة الشطارة(٢) . وكان لهم سراويل يلبسونها تشبه سراويل الفتوة(٣) . وكانوا يخرجون إلى الأسواق ومحلات الجوهريين بثياب التجار فلا يعرفهم الإنسان حتى يأخذوه(٤) .

هذا مجمل ما استطعنا أن نقف عليه من أخبارهم وأعمالهم معتمدين على أهم المصادر التى ذكرت تاريخهم متفرقاً هنا وهناك فإن فاتنا شىء من أمرهم فمعذرة .

(بغداد) **شكرى محمود أحمد**

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) أخبار ابى نواس ج ١ ص ٢٣٥ .
(٢) الأغانى ج ٦ ص ٩١ .
(٣) جرجى زيدان ج ٥ ص ١٥٣ .
(٤) المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥ .

الـــدولار

للأديب عمر حليق

الدولار ورقة خضراء اللون تطبع بطريقة سرية من مركب كيماوى غريب . ويبلغ طولها ١٤ر٦ انشاً وعرضها ٦١ر٢ انشا . ويبلغ سمر الدولار (ذهب معدن) ٣٥ بالماية من سمر أوقية الذهب . وتطبع الحكومة الأمريكية من الدولارات ٢٤٨٢٠٠٠ دولار يومياً ، وتجمع الحكومة كذلك من الأسواق دولارات بالية تعادل قيمتها مبلغ الدولارات المطبوعة يومياً .

وينفق الأمريكيون كل يوم ٤٣٧ مليون دولار لتسيير أعمالهم وحياتهم اليومية . ويشكو الأمريكيون كل يوم أن الدولار أصبح لا يساوى قيمته الشرائية كما عهدوه فى السنين الماضية . وتبلغ هذه القيمة ٥٨ بالماية من قيمة دولار سنة ١٩٣٩ .

ومع ذلك فإن الدولار هو اليوم أهم وثيقة مطبوعة عرفها تاريخ العلاقات السياسة . هو سلاح مارشال فى محاربة التوسع الشيوعى وسلاح رجال الأعمال فى (وال ستريت) للتسرب إلى معاقل الإشتراكية فى أوروبا لحفظ النظام الإقتصادى المطلق الذى تؤمن به الرأسمالية الأمريكية .

والدولار الأمريكى هو أساس بلية بريطانيا وأزمتها الاقتصادية وهو الشبح المخيف الذى يقلق مضاجع القارة الأوروبية المحطمة .

وقد لعب الدولار فى الأيام الأخيرة دوراً هاماً فى سياسة العالم . فقد كانت قلته فى بريطانيا داعياً لها لانتهاج سياسة مالية جديدة متباينة جوهرياً مع سياستها التقليدية فى الداخل والخارج .

فالدولار مثلا هو العقبة الكبرى فى سبيل اتفاق أمريكا وبريطانيا وفرنسا حول مستقبل فحم الرور الألمانى .

والدولار هو السوط الذى جمع أقطاب الساسة والاقتصاد فى أوروبا على طاولة واحدة لأول مرة فى تاريخ أوروبا الحديث . على هذه الطاولة التقى الجائع مع الاستعمارى ، والشيوعى مع المحافظ المتيد والاشتراكى مع أولئك الذين يميلون إلى أقصى اليمين .

ولم يحتج الدولار لأكثر من إشارة متواضعة فى اليونان لأن يسقط الوزارة الملكية بعد أن ثبت لرؤساء بعثة ترومان التى تشرف على اتفاق مساعدة أمريكا لليونان بأن الحالة السياسة والاقتصادية هناك تتطلب حكومة اميل إلى الوسط منها إلى اليمين المتطرف .

وليست قيمة الدولار مردها إلى قيمة الذهب الأصفر الذى فى استطاعته ابتياعها ، فليس هناك من يبادل الدولار بالذهب سوى تجار المجوهرات وأطباء الأسنان الذين يستبدلون الأسنان المفننة بأخرى ذهبية ولكن قيمة الدولار تعود إلى كمية البضائع والسلع التى يستطيع ابتياعها فى أسرع وقت ممكن — والعالم بأسره فى حاجة إلى السلع والبضائع . فالدولار إذن سيد الموقف فى العالم .

وللدولار قوة سحرية فى توفير الفحم والوقود السائل

والآلات ووسائل النقل ولقد جمت الولايات المتحدة الأمريكية فى يدها الدولار وقوة الدولار السحرية وما يعادله من سلع ومنتجات ذلك لأن الحرب المنصرمة تركت أمريكا فى حالة عكس ما تركت به أوروبا — بلد يضيق به إنتاجه الصناعى بسبب التضخم فى الإنتاج الذى جاء وليد توسع المجهود الحربى وما استلزمه من صناعة موسمة على نطاق لم يمهده التاريخ .

ولكن المصيبة أن موارد العالم — خارج أمريكا — من الدولارات شحيحة خفيفة . ومع أن أمريكا منحت العالم الخارجى ٢٠ بليوناً من الدولارات فى شكل هبات ومساعدات وقروض إلا أن ما بقى لدى العالم الخارجى من هذا المبلغ الضخم لا يتعدى خمسة — أربعة بلايين دولار لا غير ! ولا يزال استنفاد الدولارات جاريا بسرعة فائقة .

وتبتاع أمريكا من العالم الخارجى كل شهر ما مقداره ٨٠ مليون دولار ولكنها تبيعه ما تبلغ قيمته بليون و ٨٠٠ مليون دولار !

وإزاء هذا الموقف الخطير وجدت أمريكا نفسها أمام أمرين

(١) إما أن تستمر فى هذه الحالة فتزداد غنى على حساب أوروبا المحطمة وهذا بالطبع يضعها فى موقف الرأسمالى الجشع ويدفع أوروبا والعالم من ورائها إلى أحضان الاقتصاد المنظم والمساواة الاقتصادية — الشيوعية .

(٢) وإما أن تستنبط الولايات المتحدة طريقة عملية لإعادة قوة أوروبا الاقتصادية والتجارية لتستطيع أن تزيد من تصدرها إلى الولايات المتحدة فتحصل على دولارات أكثر تستورد بها من الولايات المتحدة بضائع وسلع فيستفيد الإنتاج الأمريكى ويظل على مستواه الضخم ويساعد على استيعاب العمال وتقوية الصناعة وإبقاء الإنتعاش التجارى على حالته السليمة .

واختارت الولايات المتحدة الطريقة الأخيرة ولوحت لأوروبا به بما دعته « مشروع مارشال » .

وبقى سؤال واحد على ألسنة ساسة الدول : هل توافق السلطة التشريعية الأمريكية (الكنغرس) على مشروع مارشال هذا فتزداد قوة الدولار السحرية فى السياسة الدولية أم ينتصر أنصار العزلة فى أمريكا وتبقى للدولار سلطته الاقتصادية المجردة من بلاغة السياسيين وألاعيبهم الشيطانية وتظل الولايات المتحدة سيدة العالم فى الحياة المادية البحتة أم أن يزداد المرسام خيلاء فيضم إلى الاقتصاد مزامير المظمة السياسية ..

وهل السياسة غير ضباب التمويه الذى ينشره الاقتصاد ليعمى الأبصار عن قساوة الإقتصاد المجرد .

وهل فى (البرجماتزم) Pragructisem الأمريكى مجال أخصب لهذا الدور الذى يحلو للدولار الأخضر أن يلعبه وأوروبا والقسم الأكبر من العالم معها يعانى آلاماً حادة فى المعدة ودواراً شديداً فى التفكير السياسى .

عمر حليق

أدب العروبة فى الميزان

للأستــــاذ على متولى صلاح

(تتمة)

الشعراء الثلاثة الذين سنتكلم عنهم اليوم هم — دون شك — من شعراء الطليعة والصف الأول فى جامعة أدباء العروبة ، وهم الجوهر والنواة فيها ، كانوا معها أول ما نشأت ، واستمروا على عهدهم لها إلى يومنا هذا يصدحون فى كل مهرجان ، ويتبارون فى كل ميدان ...

هؤلاء هم الأساتذة : أحمد عبد المجيد الغزالى ، والعوضى الوكيل ، وطاهر محمد أبو فاشا .

وثلاثتهم نشأوا نشأة واحدة ، ونهلوا وعلوا من معين واحد وتفيئوا ظل دوحة واحدة ، فكان الصراع بينهم دائماً وكانت المنافسة بينهم أبداً .

والناظر المتأمل فيهم ، الفاحص عن طبيعة قلب كل منهم وحركات نفســه وصور وجدانه يجد بينهم — إلى ذلك — اختلافاً كبيراً .

فأولهم « الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى » شاعر نشهد بأنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولعبارته إشراق . والخصلة التى تبدو فيه واضحة وضوحاً قوياً حتى تكاد تلازمه فى كل ما يكتب هى أنه لا ينسى نفسه أبداً ! لا تنسيه إياها المناسبة أيا كانت ، ولا ينسيه إياها مقتضى الحال كيفما كان ، فهو يفتأ يتحدث عنها ويتكلم فيها حتى تحسبه يوشك أن يقول للناس : هأنذا ...

وليس مما يؤخذ على الشاعر أن يصور للناس نفســه ، وأن يطلع الناس على عواطفه إذا كان يصور نفســه مندمجة فى الشىء الذى يتناوله بالكلام ، ويطلع الناس على عواطفه متأثرة بالموضوع الذى يتحدث عنه فيكون بين نفسه وبين موضوع الحديث كال الاتصال إن جاز أن نستعمل هذا التعبير هنا !

أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلى إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته فى أمر لا علاقة للموضوع بهما فذلك ما نأخذه على الشاعر والأستاذ يقف فى مهرجان الفيوم فلا يتحدث عنها بشىء ولا يسوق من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد شيئاً ، إنما يقف فيسرد على الناس قصة غرامه الشخصى فى غزل يخاطب فيه حبيبة بعينها اعتقادى أنها المقصودة بكل ما قال ، ويترك الناس حيارى لا يدرون ما يقول أو فيم يقول ، ويناديها وهى فى ديارها إلى جانب النيل ويصيح لها قائلا : —

أنا أشــدو لها جراحى شعراً فمساها تضمد الأشــعارا
وعساها فى جانب النيل تصغى لنشـــيد يشع نوراً ونارا

ثم يشــكوها فى صراحة إلى عذارى الفيوم فيقول : —

يا عذارى الرياض من كل شاد أنا أشكو إلى العذارى العذارى

وهو فى مهرجان المنصورة يخلص مجلا مسرعاً من الحديث عنها ولا يكاد يبدأ الحديث عن سيرتها حتى يعبرها غير وان ليتكلم عن قلبه وعن وجده بما لا علاقة له بالموضوع القائم فيقول :

يا لقلبى لمــا اطمأن به الركـ ـب وألقى هنا عصا الترحال
شاركتنى ضلالة الحب قلبى فتبــارى ضلاله وضــلالى
وانتبذنا هنا مكاناً قصــياً وشــكوت الهوى له وشكا لى

وأدع ما قاله فى مهرجان الزقازيق فقد يكون حديثه عن نفســه هناك متلائماً مع طبيعة الموضوع لأن الزقازيق مهد أحلامه كما يقول ومعهد صباه الأول .

والأستاذ الغزالى يخاطب الطيور فى قصيدة « الربيع » بقوله :

يا طيور الروض غنينا النشيدا وانثرى فوق الربى زهر الربيع

وأنا لا أعلم كيف تنثر الطيور الأزهار فوق الروابى ؟

ويخاطب الأزهار — فى نفس القصيدة — بقوله : —

إيه يا زهر الربيع البا كر يا متاع القلب يا أنس الأمانى

وكلمة « يا أنس الأمانى » هذه عامية ولا معنى لها ومتى كان للأمانى أنس ؟

ويصف مهده وهو يتكلم فى مهرجان القمر فيقول : —

أقضى الليــالى أنات مرددة والشاهدان علىّ النجم والسهر

والنجم وحده هو الشاهد . أما السهر فهو العلة والداء ولـكنه الاضطرار !

ويفاضل الأستاذ بين بلدة « غزالة » وبين « بغداد » مفاضلة فيها تعسف شديد وإسراف بعيد ليته مدحها بغير ذلك .

ومفاضلته كذلك بين « الدسوق » وبين « الرشيد » مفاضلة على غير وجهها ، فهذا وزير له صولة القلم وصلصلة البيان ، وذاك خليفة له أبهة الخلافة وجلال السلطان ! فإن كانت الجامعة بينهما عند الأســتاذ هى الأدب فالدسوق آدب من الرشيد وأوفر منه

مشاركة فيه . ولم يعز إلى الرشيد إلا أبيات قليلة لا تبلغ عدد أصابع اليد على أنها لم تثبت له بل نحاها بعض الرواة شاعراً آخر من شعراء الأندلس .

والأستاذ الغزالى نفسه هو الذى ذكر الرشيد عند ذكر الفاروق فى قصيدة عيد الجلوس فقال عن لواء الفاروق بعد كلام آخر : —

فيردّ الليالى الغر للشر ق ويحيى أيامه والرشيدا

وقال قبل ذلك عن هذا اللواء : —

يا لواء الفاروق عشت مليـاً نحن نفدى لواءه المقودا

والملىّ الزمان الطويل والله يقول : (واهجرنى ملياً) وكان الأولى أن يقول « يا لواء الفاروق عشت دواماً » . ويقول عن خمرة الربيع : —

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ريها العذب أوامى

والأوام حر العطش وكيف يتأتى هذا من الرى العذب ؟

ويقول عن قلبه وهو يخاطب القمر :

قلبى الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

والحباء العطاء وأحسبه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع الذى هو شر من سقر !

وللأستاذ شعر كثير حسن وأبيات فيها جمال وصفاء ، وليست الهنات التى قدمنا بمانعتنا أن نقول فيه ما قلناه أولا من أنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولعبارته إشراق

وثانيهم الأستاذ الموضى الوكيل وهو شاعر هادىء وديع حالم وإن كان قصير النفس غير مكثر فى القول ، والخصلة التى تغلب على جميع ما ينظم هى الأنين والبكاء بلا انقطاع ! فهو يقف فى مهرجان « الفيوم » فيقول بعد بيت واحد من القصيدة : —

على شفتى من خمرة الحب نشوة تلهب ترنيمى بهـا وغنائيا

وإن كانت النشوة التى هى السكر فى اللغة لا تكون على الشفة وهو يناجى القمر فى قصيدته عنه فينحرف مسرعاً ليندب صباه ويبكيه فيقول : —

له حسرات ملأن الضمير ووجد تلهب حتى استعر

ويصف شعره فى مهرجان الزقازيق فى صراحة ووضوح فيقول عنه : —

ليس شعرى من الكلام ولكن هو من لهفتى ومن إطراقى

ويبتدىء قصيدته بمهرجان المنصورة ببكاء ليس وراءه بكاء وإن كان المقام لا يقتضى بكاء بل إشادة وتغنياً بالمجد والنصر وأمجاد التاريخ ، فيقول فى مطلعها : —

هو الوجد ما تخفى بنفسك أو تبدى
هو الوجد فاذكر ماالقيت من الوجد

ونهنه ترانيما بقلبك أوشكت تفيض كنهل الدموع على الخد .

وهذه ظاهرة تستوجب التسجيل فى شعر الأستاذ الموضى الوكيل فإن كان يود أن تكون بشعره هذه المسحة دائماً وإن كان يأبى إلا أن يكون شعره على هذا اللون غير مستمد ذلك من طبيعته الخاصة — وهو ما أكاد أقرل به والمحه بين ثنايا كلامه — فإنى أشير عليه بأن يعالج الخلوص من ذلك والتحلل منه .

وللأستاذ فى الكتاب ست قصائد الكثير منها جيد حسن الديباجة أضمه مع شعر الأستاذ الغزالى فى ميزان ، إلا أن قصيدته فى « الربيع » ضعيفة مفككة مختلطة المعانى مهلهلة النسج كان الأولى به ألا ينشرها فى الكتاب فهى دون شعره الآخر بمسافة بعيدة ، يقول فى مطلعها : —

أى صديق الربيع ... عدت وعدنا
فامض فى الكون كيف شئت وأنى

وأنا أفهم أن الربيع يعود كل عام مرة ولكن من أين يعود الشاعر ومتى يعود ؟

ويقول فيها يخاطب الربيع معدداً محاسنه : —

قد عمرت الحياة ركناً فركنا وغمرت القصيد وزناً فوزنا

والوزن ليس هو الشعر وليس هو الكلام الذى يقول الأستاذ إن الربيع يغمره إنما هو الميزان الذى يوزن به الشعر ويقاس به . وفى قصيدة القمر يخاطبه فيقول له : —

جلست معى أيهذا القمر وأحليت من عيشتى ما استمر

يقصد ما مذاقه مر ، وذلك الفعل « استمر » لا يؤدى هذا المعنى وإنما يؤديه الفعلان مرّ وأمرّ ، تقول مرّ الشىء وأمرّ الشىء صار ذا مذاق مر ، هذا إلى أن كلمة « عيشتى » خشنة جافة لا تجوز فى شعر .

وفى قصيدة الفيوم يقول عنها : —

تخيلتها معنى فلما رأيتها حسبت كأنى جئتها اليوم ثانيا

والبيت فى ذاته حسن المعنى إلا أن كلمة « معنىً » بعد

« تخيلتها » حشو اضطر إليه الشاعر فالخيال لا يكون إلا معنى أبداً ، ويقول عن الفيوم أيضاً : —

هدانا إليها فى السباسب طيبها   على أن برح الشوق قد كان هاديا

والمح هنا شبح بيت شوقى : —

ألمّ على أبيات ليلى بى الهوى   وما غير أشواقى دليل ولا ركب

أو شبح البيت القديم : —

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

ويخاطب معالى الأستاذ الرئيس فى نهاية قصيدة المنصورة قائلاً : —

جملت لأيام العروبة رونقاً   يجمله الفاروق ذو العزم والأيدى

والأيدى بالياء صوابها الأيد بحذفها والأيد القوة ولعله تطبيع

وجملة ما يقال فى الأستاذ العوضى الوكيل — رغم ماقدمنا — أن به إحساساً وأن له قلباً ، ولو استطاع التغلب على نزعته الحادة وجنوحه الشديد إلى البكاء والأنين لخطا خطوة فسيحة نحو مكان كرام الشعراء .

وثالثهم الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا وهو شاعر اكتملت له أدوات الشاعر جميعاً ، فبيانه جزل ضخم ممتاز ، وخياله قوى رائع ، والموسيقى تضطرب فى شعره اضطراباً ، أسمع إليه وهو ينفح عن الفن ويجعل منه عصب الحياة وروحها فيقول : —

ربما استغنت الحياة عن العـ   ـلم على رغم ما جنى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدا   دك دهراً وهم به سعداء
إن من أطلقوا المقول علينا   لست تدرى أأحسنوا أم أساءوا
والذى ظنها تراباً وماء   هو فى نفسه تراب وماء !

ويقول فى نفس القصيدة عن «الشاعر» هذا البيت الرائع :

ذو بيان لو عاقرته الندامى   لتناهت عن شربها الندماء

واسمع إليه وقد وقف فى الزقازيق يقص أخبار أيامه الأولى بها :

من ترى أيقظ الخواطر حولى   وأثار المطوى من صفحاتى ؟
وأعاد الأيام والمهد السا   مق مروج بالنجوم الهداة
الفحول الأعلام أمثلة الزهـ   ـد وشيخانه المدول الثقاة
ورفيق كأنه هامش الشر   ح إذا صات يمضغ القافات
حنبلى كأنه الجنـل الأو   رق صخابة كثير اللتات
السراج العليل يشهق فى محرا   به والبلى يروح ويأتى
ونشيج مغلغل لاذع الطعـ   ـمة يشوى أصابعى ولهاتى

يتصبى المجاورين فتنصـ   ـب عليه كالفاتحين الغزاة
اترك المتن واطو حاشية السـ   ـعد وأدرك شيخون قبل الفوات
أنا من مازن ومازن منى   والليالى القمراء من صدحاتى

وللأستاذ طاهر فى الكتاب ثلاث قصائد فقط خيرها قصيدته فى الزقازيق تلك التى قدمنا بعضاً منها وقد بلغ فيها الذروة ، وتليها قصيدة الفيوم وقد كان فيها الشاعر المنافح عن الشعر المبين عن فضله واصالته فى الحياة . وهو يقول فيها عن قافلة الشعراء وهى تسير : —

لو تحسّ البيداء من سار فيها   لتغنت من شجوها البيداء

والشجو فيما تقول به اللغة الهم والحزن فكيف تتغنى البيداء من هذين ، أو كيف يركبها الهم والحزن وقافلة الشعراء تسير بها ؟

وثالثتها قصيدته فى « هلال المحرم » وهى دون الأوليين ولم ترقى كثيراً .

والأستاذ طاهر أبو فاشا شاعر يبشر بآمال كبار ، ولو سألنى سائل من تراه أشعر شعراء جامعة أدباء العروبة لقلت غير متردد إنه طاهر أبو فاشا ، ولولم يكن لجامعة أدباء العروبة إلا فضل إبراز مواهب هذا الشاعر وإظهاره لكفاها ذلك فضلا ..

فليمط الأستاذ طاهر باله إلى الشعر أكثر من هذا ، وليخلع رداء الكسل والراحة ، ولينفق للشعر جهداً أضخم مما ينفق اليوم ، وليعتزل وليخل إلى نفسه يتأمل ويتصور ويقول ، وأنا الزعيم له أن يتبوأ الصدر فى شعراء هذا الزمان .

وبعد : فتلك كلمات جلونا فيها بعض الكتاب والشعراء من جامعة أدباء العروبة أملاها علينا الحق الذى لا يداخله هوى ، والعدل الذى لا يخالطه غرض ، وكشفنا فيها عن مجهود هذه الجماعة فى عام وإنه لمجهود يسير ضئيل نرجو أن يتضاعف ويزيد .

وإن جاز لنا أن نقترح على معالى الأستاذ الرئيس أمراً فهو أن ينظر فى تعديل تشكيل هذه الجماعة حتى يتمكن كبار الكتاب والشعراء من الانخراط فى سلكها ، وأن يعدل منهاجها حتى يكون أوفى بالغرض الذى أنشئت الجماعة من أجله وهو فى كلمتين خدمة الأدب ، وخدمة الأدباء .

ونحن إذ ننتظر منه ذلك نزجى إليه — مرة أخرى — الثناء مضاعفاً والمدح مكرراً ، ثناء الأدب لمناصره ، ومدح الفن لمؤازره . والسلام .

رأس البر   علي متولي صلاح

ليـــل وقلب ...

هو الليل يا قلب ، فانشر شراعـــك ، واعبر خضمّ الظلام العميقْ
وجذّفْ بأوهامك الراعشـــات فى زورقٍ ما به من رفيق
وإنك كالليل ، شىء كبيرٌ ... بعيد القرار ، سحيقٌ سحيق
وفيك كألغاز المبهماتِ أفانين من كل لغز دقيق
هواجس مختلفاتٌ رؤاها تهوم طوراً وطوراً تفيق

—

ولليلِ يا قلب أىُّ امتدادٍ يحيط بهذا الوجود العظيمْ
سرى واحتوى الكونَ فى عمقه فلفّ البحار ولفّ الأديم
وكالليل أنت ، حويت وجوداً من العاطفات كبيراً جسيم
ففيك السماء وفيك الحضيض وفيك الجديد وفيك القديم !
وتنتظمُ الكونَ فى خفقةٍ وأنت بجنبى هنا لا تريم !

—

ودونك يا قلب هذا الفضاء تجوز به السحُبُ العابره
مراكب تمخر إثر مراكب تـــدفعها قــوةٌ قاهره
كأنى أرى فى شكول السحاب نواتىَّ أبصـــارهم حائره
أضلوا المنارَ ، فهم تائهون يغذّون فى اللجج الكافره
كذلك أنت ببحر الحيـــاة توهان فى ظلم سادره

—

ورجرجة النجم كم ساجلتك بصدر السماء خفوقَ الحنينْ
أبالنجم ما بك من لهفـــة أبالنجم مثلك شوق دفين ؟
أيجهش فى قلبه الذكرياتُ وتأخذ منه بحبل الوتين ؟
فمـــا باله قلق خافق يراعى الدُّجى فى سهوم حزين
لعلّ حبيباً له قد هوى وبات كخدنك فى الآفلين

—

وأصغ معى فى سكون الرياض وقد لفّها غسقُ الغيهبِ
طيور توشوش جنح الدجى وتكشف عن همها المختبى
فهذا الخريف يدب خطاه ليعصف بالزهر المعجب
ويخنق ألحانَ أشواقها ويلوى بترجيعها المطرب
وكيف تغنى لزهرٍ ذوى بروض سليب الحلى مجدب

—

وأنت ... وأنت تخاف الخريفَ وتشفق من ريحه العاتيه
تخاف على زهرات الصبى تبددها كفه القاسيه
فلا نورَ يشتاقُ طلَّ الصبـــاح ويوحى بأنغامك الصاديه
تخاف تزايُلكَ الملهباتُ وتخمدُ أشواقُك الطاغيه
ويفرغ نايُك من لحنـــه ويثوى حطاماً بأضلاعيه

—

وسعتَ عوالمَ يا قلب ماجت بجم الطيوف وشتى الصُّور
أحاسيس حيرى تهيج وتطغى هياجَ العبـــاب إذا ما غمر
وأخرى تهب هبوبَ النسيم تنفس فى جانحيه الزَّهَر
وتظلمُ يا قلب حتى كأنك ليـــل بصدرى الكظيم اعتكر
وتشرقُ حتى إخال الضياءَ بأقطار نفسى منك انتشر

—

وتخصبُ طوراً فكلك حبٌّ يعانق قلب الوجود الرحيب
تفيض سلاماً كأن يد الله مرت عليك بنفح رطيب
تحب العدو وتحنـــو عليه وخنجره منك دام خضيب !
وطوراً تفيض سوى من رواســـب كره عمى وبغض رهيب
كأن أكف الشياطين غلغلن فيك فأنت مجوف جديب ...

—

فيا قلبُ ، يا أحد الأصغرين ، كيف اتسعت لهذا الوجودِ
وكيف احتمالك هذا الزحام من خلجات كثار العديد
تحب وتبغض حراً طليقاً فلا من سدود ولا من قيود
تصد نداء المحب القريب وتهوى نداء العدو البعيد !
فيا لك أعمى يقود زمامى كما شاء ، فمل اللجوج العنيد !

—

هو الليل يا قلب ، فانشر شراعـــك ، واعبر خضم الظلام العميق
وجذف بأوهامك الراعشـــات فى زورق ما به من رفيق

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

الأدب والفن في أسبوع

جدل في الجامعة :

كان الأستاذ محمد أحمد خلف الله المعيد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول — قدم رسالة للحصول على «الدكتوراه» موضوعها « القصص في القرآن » وقد أعدها بإشراف الأستاذ أمين الخولى ومعاونته وألفت لجنة من الأستاذين الشايب وأحمد أمين بك للنظر في صلاحية الرسالة للمناقشة ، وكتب كل من الأستاذين تقريره عنها ، أما الأستاذ أحمد أمين فقال إنها لا تصلح لضعف منهجها العلمي ، وأما الأستاذ الشايب فرأى أن بها مايمس الناحية الدينية ، لأن صاحبها يقول فيها إن القصص القرآني لم يراع الحقيقة التاريخية وإن المقصود منه غرض فني فلسنا ملزمين بتصديق حقائق هذا القصص ، وإنما نقدر فيه الغاية الفنية .

ويقول إن القصص مستمد من مصادر أخرى غير عربية كالتوراة والأدب اليوناني والأدب الفارسي ، وإن فيه أساطير لا أساس لها . لذلك رأى الأستاذ الشايب أنه لا يجوز أن تعرض رسالة تتضمن هذه الآراء للمناقشة في لجنة الدكتوراه .

وعلم الأستاذ الخولى بفحوى تقرير الأستاذ الشايب ، فرد عليه بتقرير قال فيه إنه متضامن مع مقدم الرسالة في كل حرف منها وإنه لا ينبغي الوقوف أمام حرية الفكر . وهذه التقارير كلها لدى العميد تنتظر اجتماع مجلس الكلية .

وتتحدث البيئات الجامعية في هذه المسألة ، وأقوم ما يقال فيها أن « الدكتوراه » إجازة من إجازات الدولة التي دينها الإسلام ، فكيف تمنح لمن يرى هذه الآراء في القرآن ؟

افتتاح المؤتمر الثقافي :

افتتح المؤتمر الثقافي العربي الأول في اليوم الثاني من سبتمبر الحالي بفندق بيت مرى بلبنان ، وقد افتتحه رئيس الجمهورية اللبنانية بخطاب ترحيبي أشاد فيه بفكرة المؤتمر وماضي العرب في خدمة الفكر والثقافة ، وتلاه وزير المعارف اللبنانية ومندوبو البلاد العربية بكلمات افتتاحية نوهوا فيها بجهود لبنان في ميدان الثقافة ونشر اللغة العربية وآدابها ، كما نوهوا بأهمية هذا المؤتمر وما يرجى منه من إنهاض الآداب العربية ورفع مستوى الثقافة وتوحيد أهدافها ببلاد العروبة . وألقى بعده الأستاذ على الجارم بك قصيدة خصصها بكلمة نراها بعد هذا .

وقد ألفت لجنتان عامتان ، الأولى للمواد الاجتماعية يتفرع عنها لجنة للتاريخ برياسة الدكتور جواد على (العراق) ولجنة الجغرافيا برياسة الأستاذ وصفي المنبتاوى (فلسطين) ، ولجنة التربية الوطنية برياسة الدكتور قسطنطين زريق (سوريا) .

واللجنة العامة الثانية للغة العربية ، ويتفرع عنها لجنة الأدب برياسة الأستاذ أحمد أمين بك (مصر) ، ولجنة اللغة والقواعد برياسة الأستاذ محمد بهجت الأثرى (العراق) .

وتواصل اللجان اجتماعاتها بفندق بيت مرى الذي تقول الأنباء إنه تحول باجتماع المؤتمر فيه إلى قصر للعروبة تخفق على أبراجه رايات الدول العربية التي تبدو بالليل بين الزينات والأنوار

ولم يشترك في المؤتمر من النساء سوى ثلاث لبنانيات ، وقد ظهر أن ما أذيع قبل من أن أربعين سيدة عربية سيشتركن في المؤتمر مصدره أن هؤلاء السيدات هن زوجات الأعضاء اللائى جعل لهن ما لأزواجهن من تخفيض في نفقات السفر والإقامة مع دفع رسوم المؤتمر .

قصيدة الجارم :

سمعنا هذه القصيدة ، قبل أن تنشرها الأهرام ، من الإذاعة المصرية في مساء اليوم الذي ألقيت فيه بالمؤتمر ، وكان المذيع في حديقة الأندلس يذيع من هناك حفلة ساهرة ، فلما انتهى المطرب أعلن الانتقال إلى « الاستديو » فسمعنا المتحدث يقول : ألقى الأستاذ على الجارم بك اليوم قصيدة «العروبة» في المؤتمر الثقافي بلبنان وقد استطعنا الحصول عليها ، ويقرؤها عليكم الآن عبد الوهاب يوسف ... وابتدأ إنشاد القصيدة ، وإذا الصوت صوت المذيع الذي سمعناه من حديقة الأندلس وهو عبد الوهاب يوسف ! فهل انتقل المذيع على الأثير من الحديقة إلى «الاستديو» ليلقى قصيدة الجارم !

المسألة يا سيدى بسيطة ... الجارم بك قال هذه القصيدة في مصر ودفع نسخة منها إلى محطة الإذاعة فسجلتها بإلقاء عبد الوهاب يوسف قبل ظهر ذلك اليوم ، ثم أذيع «المسجل» في المساء على النحو الذي وصفت ...

وبعد فأعدّى عن هذه «الطريقة التمثيلية» لأقول إن سياق القصيدة يدل على أن الشاعر استوحاها فى لبنان كما فى قوله عن نفسه :

بدت له جارة الوادى الخصيب ضحا
كل الأحبة فى لبنان جيران

ويمكن أن يقال إنه ، وهو فى مصر ، تمثل لبنان وقد تعاهدها أى أنه جرى على (الطريقة التمثيلية) .

أما القصيدة ذاتها فهى سبعة وثمانون بيتاً ، نحو نصفها فى الهوى والغيد وذكريات الشاعر فى لبنان وتحسره على أيام فى عهد الشباب ، وقد أجاد فى ذلك إجادة شيخ يتلفت قلبه إلى ما بلغه وما لم يبلغه من لذات الشباب وأمانيه . يقول :

أين الصبا؟ أين أوتارى وبهجتها — طوت بساط لياليهن أزمان
أرنو لها اليوم والذكرى تؤرقنى — كما تنبه بعد الحلم وسنان
هبنى رجعت إلى أوتارى رنتها — فهل لشرخ الصبا واللهو رجعان
لا الكأس كأسى إذا طاف الحباب بها
بعد الشباب ، ولا الريحان ريحان

ثم انتقل الشاعر من هذا الغزل (السلفى) إلى العروبة فأشاد بمجد العرب وخص كلا من فلسطين ومصر وموضوع المؤتمر ببضعة أبيات ويظهر أنه كان قد استنفد طاقته فجاء كلامه فى الأغراض الأخيرة عابراً قليل الحرارة ، وهذا كل ما قاله فى قضية مصر :

ومصر والنيل ماذا اليوم خطبهما ؟
فقد سرى بحديث النيل ركبان

كنانة الله حصن الشرق يحرسه — شيب خفاف إلى الجلى وشبان
أبوا على القسر أن يرضوا معاهدة — بكل حرف بها قيد وسجان
وكم مشوا للقاء الموت فى جزل — والموت منكمش الأظفار خزيان
لكل جسم شرايين يعيش بها — ومصر للشرق والإسلام شريان

والشاعر من (الشيب) ولكنه لم يخف إلى الجلى ، ولست أقصد أن يمشى للقاء الموت فى الميدان ، وإنما أعنى جلى الشعر . أفتكون هذه الأبيات هى كل بلائه فى هذه الجلى ؟ كان يجب عليه وقد تصدى لقضية مصر أن يشتم الإنجليز بسبعة أو ثمانية أبيات على الأقل ، ولست أدرى كيف يتهيأ لشاعر مصرى أن يقول شعراً فيما نحن فيه الآن دون أن يمس هؤلاء الأعداء بحرف!

ذكرى شوقى فى (الأوبرج) :

منذ أسابيع أقرأ فى بعض الصحف والمجلات أن حفلا سيقام فى «الأوبرج» لتخليد ذكرى شوقى ، وأن هذا الحفل أجل إلى ١٢ أكتوبر القادم بعد أن عين له ١٤ سبتمبر الحالى ، وأنه سيشترك فى الحفل الأدباء والشعراء والطربون والطربات والموسيقيون والراقصات والملهُّون والملهيات(١) .

وأخيراً قرأت فى مجلة «الاستديو» ما يلى :

«يتساءل الوسط الفنى عن معنى إقامة حفلة تخليد ذكرى شوقى بك فى الأوبرج وتحديد أسعار لها ... ويقولون : هل أصبحت ذكرى شوقى وسيلة للاتجار والكسب ؟ » .

ولى فى هذا الموضوع نظرتان : الأولى فى هذه الطريقة الجديدة فى إحياء الذكرى التى ستصبغ الحفل بصبغة اللهو والطرب ، وإذا كان لابد من الطرب فمن المقبول أن يكون إلى جانب الكلمات والقصائد غناء بعض قطع من شعر شوقى وتمثيل فصل من إحدى رواياته ، ولكن ماذا فى هز الأرداف وتحريك البطون وما إلى ذلك من تخليد ذكر شوقى ؟!

النظرة الثانية فى تسمير حضور هذا الحفل بأسمار (الأوبرج) إن الذين يرتادون (الأوبرج) ويدفعون أسماره أكثرهم لا يهتمون بالأدب والشعر ، وعلى خلافهم أكثر الذين يعنون بشهود الحفلات الأدبية .

وعلى ذلك نسأل : هل ستكون حفلة ذكرى شوقى لتمجيده وتقدير شعره ، أو ستكون حفلة طرب ولهو ذات غلة وإيراد ... يخرج منها الجمهور وليس بنفسه من شعر شوقى عُشر مقدار مابها من «الاباريق» و «البسطجية اشتكوا» ... أما تصور حركات الخصور والقدود فإنه يُعفّى على كل أثر للأدب ...

مالك الحزين :

من أبرز الصفات الشخصية فى الأستاذ أحمد أمين بك — الحزن ، ترى سماته بادية عليه ، وتلمس آثاره فى تفكيره وكتابته ، وتمتزج تلك السمات بالوقار والاتزان ؛ ولكن الذى يجالس الأستاذ ويخالطه ، أو يتأمل فيما يكتب من خواطره ، يدرك أنه يضيق بما يغلب عليه من الحزن ، ويعمل للتحرر منه باستجلاب المرح .

وقد كتب الأستاذ كثيراً فى أسباب حزنه ، فبين أنها ترجع إلى نشأته وأحوال أسرته ، وقال فى إحدى المرات إنه رضع اللبن الحزين فامتزج الحزن بدمه . وأخيراً كتب بالهلال مقالا عنوانه

(١) أقصد بالملهين والملهيات (المنولوجستات) .

« كيف تتغلب على الأحزان ؟ » ذكر به عدة وصفات للتغلب على الحزن ، منها الفلسفة القائلة بأن ما يحدث فى العالم من كوارث أمور لابد منها ، وظواهر طبيعية للعالم الذى نعيش فيه كشروق الشمس صباحاً وغروبها مساء ، فيجب أن نوطن أنفسنا على استقبال الأحداث ، وإذا مرنا على ذلك أنفسنا لم نحزن ، ومنها نصيحة علماء النفس بألا يطيل الإنسان التفكير في أسباب الحزن كما نفعل فى سياسة الطفل إذا بكى بتوجيه نظره إلى لعبة أوحلوى لينصرف عن بكائه ويلتفت إلى الشىء الجديد ، ومنها حديث النفس بأن لا فائدة للحزن إلا أن يضعف الجسم ويفسد الصحة ، وأن الزمن سيمسح الهموم أو يضعف شأنها ، فلماذا لا نساعده ونخفف الأحزان عنا فى الحاضر ؟

وصف الأستاذ كل ذلك لمقاومة الحزن ، وأبان « كيفية استعماله » ، وكان ذلك من نتاج ما أسميه « مركب الحزن » ، وإن كنت أود للأستاذ الجليل أن يكون هو قد انتفع بهذا العلاج ، وألا يكون كالك الحزين الذى رأى الرأى للحمامة ولم يره لنفسه ... كما قال بيدبا الفيلسوف ...

جوائز الآداب والاجتماع :

يذكر القراء أنه صدر مرسوم ملكى فى العام الماضى بانشاء جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ، وخصصت الأولى للآداب والقانون ، والعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ، ونص المرسوم على أن تشمل الآداب التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار ، إلى جانب الآداب البحتة .

وخصصت جوائز فاروق الأول لعلوم الحياة ، والعلوم الكيميائية ، والعلوم الجيولوجية .

وقد رأت وزارة المعارف أخيراً أنه لم يرد فى المرسوم ذكر علم الاجتماع وعلم النفس والتربية ضمن المواد التى تمنح الجوائز عن الإنتاج فيها ، مع خطر قدر هذه العلوم وتقدم البحث فيها فى العصر الحاضر عامة وحاجة مصر إلى التزود منها بصفة خاصة فى عهد التطور الاجتماعى والنهضة التعليمية الذى تجتازه البلاد الآن ...

لذلك رأت الوزارة أن تخصص إحدى جوائز فاروق الأول للعلوم الاجتماعية على أن يضم إليها التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار ، لأن هذه المواد تجرى طرائقها على أساليب البحث العلمى المنظم ، فهى بذلك أقرب إلى العلوم .

وبذلك يصبح التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار معدودة من العلوم الاجتماعية ، وتخلص جائزة الآداب للآداب البحتة مثل الأدب القصصى ، والأدب التصويرى ، والأدب الاجتماعى ، والشعر ، والبحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية ، الدراسات الإسلامية الأدبية) .

وقد رفع مشروع مرسوم بهذا التعديل إلى مجلس الوزراء فأقره

« العباس »



تحقيقات :

جاء فى مجلة أسبوعية تصدر بالقاهرة كلمة عن حادث دبلوماسى وقع بين الحكومة المصرية وفرنسا وذكرت المجلة أن أسباب هذا الحادث تتلخص فى أنه عند ما كان للحكومة الفرنسية مفوضية لم يكن من حقها تعيين ملحق عسكرى بها ، لأن المفوضيات ليس لها قانوناً هذا الحق ... وعند ما رفعت فرنسا تمثيلها السياسى من مفوضية إلى سفارة أصبح من حقها أن تعين ملحقاً عسكرياً ، وأنها اتصلت بالسفارة البريطانية قبل الحكومة المصرية فكان هذا الاتصال من أسباب وقوع الحادث المشار إليه

ولا نعرف من المراجع التى بين أيدينا وجود هذا التمييز بين السفارة والمفوضية وليس فيها أى نص أو عرف أو قاعدة تحول بين أية بعثة دبلوماسية مهما كانت درجتها من أن تعين بين أفرادها ملحقاً عسكرياً بشرط أن يكون معتمداً لدى الدولة الموجودة البعثة بأراضيها وباستشارة وإذن هذه الدولة ، ولا يوجد ما يمنع هذا الملحق العسكرى من أن يكون معتمداً لدى عدة دول أخرى ، ولم ترد فى هذه المراجع أية تفرقة فى صفة البعثة السياسية ودرجتها إذا كانت مفوضية أو سفارة ، أو كانت برأسها سفير أو وزير مفوض أو قائم بالأعمال .

ولا نعرف تفاصيل هذا الحادث وإنما يهمنا ألا تقع الصحافة المصرية فى خطأ واضح ، يؤخذ علينا .

أما موضوع الملحق العسكرى فى مفوضية فرنسا بالقاهرة أو وكالتها السياسية كما كانت تسمى قبل سنة ١٩٢٢ ، فقديم وكان يطلق عليه اسم ضابط الاتصال Officier de Siaison أو ضابط ارتباط إذا استعملنا الاصطلاح العسكرى التركى بلغة عربية ، وكان هذا الضابط يمثل جيش الإحتلال الفرنسى بسوريا ولبنان لدى جيش الاحتلال البريطانى بالقاهرة ، وكان هناك ضابط ارتباط فرنسى بمدينة القدس معتمداً لدى قوات بريطانيا بفلسطين وهذه المعلومات أعرفها من خدمتى بهذه البلاد .

كما أعرف أن أول من شغل هذا المنصب بمصر ضابط اسمه اليوتنان دى جاناى ثم ماجور مشاة ثم الكابيتان بيشو ، وهو ممن اشتركوا فى حملات الفرنسيين بسوريا وله مؤلف لشرح هذه العمليات الحربية ثم الكابيتان دى كارد .

وفى عهده ألغى هذا المركز العسكرى بناء على طلب السلطات العسكرية البريطانية فى مصر وفلسطين ، ولم تبد قيادة قوات الاحتلال الفرنسية اعتراضاً على هذا الإلغاء ، ولما قامت الحرب الأخيرة كانت من أسباب إعادة هذا الاتصال العسكرى على نمط أوسع بين الجانبين فجاء إلى بيروت كولونيل بريطانى على رأس بعثة ، غادرت سوريا ولبنان عقب إعلان الهدنة مباشرة ويفهم من كل ما تقدم أن الدولتين كانتا تتبادلان هذا النوع من الضباط طبقاً لروابط التفاهم والتحالف وتغير الأحوال السياسية بينها .

وطبيعى أن هذا الوضع تغير تماماً بالنسبة لمصر بعد استقلالها وبعد إتمام الجلاء وعليه فليس من حق فرنسا أن تعين ملحقاً عسكرياً بالبعثة التى تمثلها بالقاهرة سواء كانت سفارة أو مفوضية قبل أن تستأذن الحكومة المصرية فى إنشاء هذا المنصب ودون أن تستشيرها فى التعيين ، لأن الضابط الذى يشغل وظيفة الملحق العسكرى سيكون معتمداً لدى وزارة الدفاع المصرية وأمام قيادة الجيش المصرى صاحب الولاية على شئون الدفاع عن الأراضى المصرية بأكلها ، ولا شأن للسفارة البريطانية أو السلطات العسكرية الأجنبية بهذا الشأن بعد اليوم .

أحمد رمزى

مخطوط غريب لابن خلدون :

أعلن الأديب المغربى عبد العزيز بن عبد الله بجريدة « العلم » الغراء الصادرة برباط الفتح أنه عثر فى مكتبة النقيب مولاى عبد الرحمن بن زيدان بمكناس على مخطوط غريب فى التصوف الإسلامى لأبى زيد عبد الرحمن بن خلدون ألفه على ما يظن بالديار المصرية ، وحرر فيه فصولاً جامعة عن التصوف وتاريخه وتقسيماته وغاياته ومذاهب المتصوفة ونظريات ابن عربى وابن سبعين وغيرهما فى وحدة الوجود والنسبة وغير ذلك .

هذى طبيعة العرب :

قرأت فى الرسالة الزاهرة قصة (شيخ الأندلس) التى نقلها عن الإنجليزية الأديب الفاضل وهبي اسميل حقي ولم أكد أنتهى من قراءتها حتى وثبت إلى ذهنى قصة عربية واقعية قريبة الشبه من هذه القصة، وهى أن ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك حينما كان مختفياً من العباسيين أول قيام دولتهم، وضيق عليه العباسيون الخناق، خرج هارباً إلى الكوفة، ولكنه لم يكن يعرف بها أحداً، فوجد داراً رحبة منيفة فلجأ إليها، وطلب من صاحبها حمايته، فأجابه إلى طلبه، وهيأ له من داره مكاناً جميلا، وأغدق عليه من نعمه، وأحاطه بكل ألوان العطف، وضروب الكرم، ولم يسأله من هو، ولا ممن يخاف، ولكن إبراهيم لاحظ عليه أنه يركب كل يوم ثم يعود غضبان أسفاً كأنه يطلب شيئاً فاته ولم يجده، فسأله فى ذلك فقال له مضيفه : إن ابراهيم ابن سليمان بن عبد الملك قتل أبى وقد بلغنى أنه مختف من السفاح وأنا أطلبه لعلى أجده، حينئذ صعق ابراهيم وأيقن من الهلاك، ولكنه تشجع وعرف الرجل بنفسه فلم يصدقه بادىء ذى بدء ولكنه أكد له الخبر فقال له الرجل : أما أبى فسيلقاك غداً فيحاكمك عند ما لا تخفى عليه خافية وأما أنا فلست مخفراً ذمتى ولا مضيماً نزيلى ولكن اخرج عنى فإنى لا آمن نفسى عليك، وأراد أن يصله فأبى.

عصام الدين عبد الحميد الهناسى

حول المسرح الشعبي :

١ — المسرح الشعبي بحالته الراهنة مستكمل من كل الوجوه فالمثلون مختارون من طبقة ممتازة ... والمعدات والإضاءة لا بأس بهما بوجه عام ... وقد حصرت عدد المثلين والمثلات فإذا به يربو على العشرين وشاهدت ملابس منوعة الأشكال والهندام تناسب المقام الذى يمثل فيه المثلون ... وتكييف الأضواء وخشبات المسرح تمد بإتقان عظيم يلفت النظر، غير أنى أظن أن الغرض الأهم من المسرح الشعبي قد ضاع بين كل ذلك ... وإلا فأية فائدة تعود على المتفرجين من روايات مقتضبة وفواصل غنائية قصيرة تمر فى وقت لا يساوى ربع الوقت الذى يمر فى إعداد المسرح وتجريب الأضواء وارتداء الملابس وكثرة حركات المثلين هنا وهناك ... إننا كنا نتأفف من طول الانتظار فى فترات الراحة ... حتى ظننا أننا لن ننتهى من البرنامج الموضوع إلا فى الصباح.

٢ — ابتدأت الحفلة فى الساعة السابعة مساء وعُرض على الشاشة دوران غنائيان من روايتين معروفتين ... ثم عرضت ثلاث روايات تمثيلية قصيرة هى « بلال وخضرة أو مصر والسودان – عمدة ميت خلف — ملاك الخير وملاك الشر » وأخيراً وفى الساعة التاسعة والنصف أعلن المذيع أنه انتهى الليلة وأنه سيزورنا قريباً وكأنه أحس بهول الخبر على آذان السامعين! نخفف من وقعه بتأميلهم فى زيارة قريبة ... ولو جمعنا اللحظات التى تفرّج فيها أهل القرية على المثلين وهم على خشبة المسرح لهالنا حساب الزمن ... وأؤكد لكم أنه لم يستغرق فى كل هذه الروايات الثلاث إلا خمسين دقيقة.

٣ — هذا المجهود المظيم الذى حُشِد له بعض كبار رجال الإدارة مع عدد من الخفر ورجال الشرطة ... وهذا الإعداد الهائل من سيارات وممثلين وموظفين وهذه الأجور المرتفعة التى تدفع لكل لوازم المسرح ... أيضيع كل ذلك نظير هذه الفائدة القليلة فى هذا الزمن الوجيز؟ لقد كان أهل القرية فرحين ... وتمنوا أن يجدوا فى هذه المناسبة ترفيهاً يخفف عنهم آلامهم فى سهرة طويلة ... ولكن سرعان ما خاب ظنهم بانتهاء الحفلة بهذه السرعة.

٤ — لماذا لم تمد الوزارة أشرطة سينمية كما تحب ... وتعرض منها ما تشاء فى سيارات متنقلة كسيارات الدعايات الصحية وتوفر هذا المال الذى ينفق فى إعداد المسرح وحمله وتنقلات المثلين! والأشرطة تؤدى الغرض وتحقق غاية الوزارة؟

٥ — لا أكتم إعجابى بالموضوعات التى اختيرت للتثقيف ولا أكتم إعجابى كذلك بالأسلوب السهل الذى يؤدى به المثلون أدوارهم وحبذا لو اختارت الوزارة روايات أوسع من نظير ما مُثّل عندنا أو عند غيرنا .. وحبذا لو اختيرت بعض الأغانى الشعبية والحماسية وزيد من فتراتها فالأغانى تفعل فى النفوس فعل السحر وهى فى نفوس الريفيين أجدى فى الإصلاح.

أحمد حامد سويدان



أحمد عرابي
الزعيم المفترى عليه

[تأليف الأستاذ محمود الخفيف]

بقلم الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

هذا كتاب كان من الواجب أن يكتب من يوم أن تيقظ فينا الوعي القومي، ونهضنا ننشد حريتنا المسلوبة وكرامتنا المثلومة ونطلب لنا مكانة لائقة بين أمم العالم، وكان من الواجب أن يكتب ذلك الكتاب بتلك الروح الحارة الدافقة التي تجلت في أسلوب مؤلفه الفاضل الأستاذ محمود الخفيف، وفي قوة عرضه للمواقف التاريخية التي اقترنت بسيرة ذلك الزعيم الوطني المظيم، وصارت من شواهد التاريخ المصري في أظهر وأحرج مرحلة من مراحله الحاسمة، ثم ما تخلف وراء ذلك من نتائج وآثار لا تزال مظاهرها ماثلة للعيان ...

ذلك لأن التاريخ — حتى في عصور الإنسانية المظلمة — لم يعرف زعيماً مثل أحمد عرابي اصطلحت قوى الشر وتعاونت المآرب المتهمة على تشويه سيرته وتسوىء سمعته وتسفيه آرائه، فقد حاول الإنجليز جاهدين، وحاول صنائعهم وأحلاسهم من الكتاب والصحفيين المأجورين أن يحطموا كيان هذا الزعيم تحطيما، وأن يشوهوا مقاصده تشويها، وأن يقلبوا الحق في أغراضه الوطنية الشريفة إلى ما يروق لهم من باطل مزور، ثم اتخذوا من الحكم عليه في ذلك دليلا في الحكم على سائر المصريين حتى استطاعوا في جرأة ووقاحة أن يلفقوا على التاريخ المصري تلك الفرية الشنيعة، وهي أن عرابياً كان خائناً لوطنه، وأنه كان السبب المباشر في ذلك الاستعمار الذي ضرب على مصر طوال تلك السنين، وأن المصريين ليسوا بأهل لأن ينالوا الحرية وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وهي القالة التي لا يزال الاستعمار يرددها على سمع العالم إلى اليوم ! !

وإن من المؤلم حقاً أن هذه الفرية صارت هي « الحقيقة » التي تلقن لأبناء المصريين في مدارس المصريين، وما تزال سيرة عرابي ومقاصده ومواقف الثورة العرابية عامة تدرس في مدارسنا مشوهة ملفقة ويلقنها أبناؤنا كما صنعها الإنجليز وأعوانهم.

فأحمد عرابي « زعيم مفترى عليه » من غير شك، كأخس وأشنع ما يكون الافتراء، ولقد استطاع الأستاذ محمود الخفيف أن يدفع هذا الافتراء بقوة الحجة وسلامة المنطق وسلاسة البيان ودلالة الروايات الثابتة والوثائق الصحيحة، فجاء كتابه هذا إنصافاً للحق والتاريخ، وجهداً للوطن ولمصر، وتصحيحاً لخطأ غرسته الدعاية المغرضة في الأذهان، ودرساً وطنياً قومياً لأبناء هذا الوادي وإنهم اليوم لأشد ما يكونون حاجة إليه، ولهفة عليه، ويقيني أن هذا الدرس سيظل « إنجيلا » يرتله المصريون جيلا بعد جيل ما دام فيهم روح الاعتزاز بكرامتهم وبقوميتهم.

تناول المؤلف في كتابه سيرة عرابي، فدرج معه وهو طفل في القرية، وسايره حتى شب ودخل في غمار الحياة، ثم انتقل معه إلى ميدان الجندية، وأخذ يتتبع خطوات ذلك الجندي المتمرد على الظلم، الغاضب لكرامته وكرامة قومه ووطنه، حتى استطاع أن يحطم معاقل الطغيان، وأن يأخذ الأمر بين يديه فأصبح « رجل الأمة » و « ملاذ البلاد »، ثم يوضح لك بعد ذلك ما اعترض « أماني المصلح » من « مراوغة وتربص » و « إعنات وإحراج » و « بغي وعدوان »، وبعد أن يمثل أمامك تلك المشاهد بجميع مجاليها وما اكتنفها من « دسائس ومخاوف » ينتقل بك إلى صميم المأساة، فيحدثك عن « مأساة الأسكندرية » وما وقع فيها من « العدوان الفاجر »، ثم يسير بك مع « عرابي بطل الجهاد » ومواقفه في « كفر الدوار » و « التل الكبير »، وأخيراً ينتهي بك إلى نهاية المأساة الأليمة، وما تم فيها من سجن العرابيين، ثم ماجرى من المهازل في محاكمهم ونفيهم إلى سرنديب،

وحياتهم فى ذلك المنفى السحيق ، وفى الخاتمة يقف مع الزعيم الوطنى فى أيامه الأخيرة بعد أن عاد من المنفى حتى قضى نحبه « وأصبح فى ذمة الله ودخل فى سجل التاريخ ولم يكن لدى أولاده من المال ما يكفى لتجهيزه ودفنه ، فاضطروا إلى عدم إعلان نبأ وفاته إلى اليوم التالى حتى قبضوا معاشه » ، ثم شيعوه إلى مقره الأخير ، فلم يمش فى جنازته رجل رسمى واحد أو يحضر مأتمه ، وإنما شيعته أمة أبية ، وشعب تنطوى جوانحه على الوفاء لرجاله العاملين .

وأنت تستطيع أن تسمى هذا الكتاب سيرة زعيم وتاريخ ثورة بما تضمنه من تحقيق تاريخى صحيح وعرض دقيق لجميع الوقائع والمشاهد ودراسة لجميع الوثائق والمقابلة بين مختلف الروايات والآراء والوصول من وراء ذلك إلى الحقيقة التى تبدو لك ماثلة واضحة ، وتستطيع أيضاً أن تسميه قصة من قصص البطولة المجيدة والوطنية الصادقة بما تجلى فيه من سلاسة العرض وروعة الأسلوب وحبكة الفصول والمشاهد وتصوير الوقائع والمواقف بجميع ظروفها وملابساتها ، حتى إنك لتضع يدك فى صفحات الكتاب على أجسام حية من الأشخاص ، وما أدى كل منهم من دور فى تلك القصة للحق أو للباطل ...

وكنت أود أن أنقل لك شيئاً من فصول هذا الكتاب على سبيل التمثيل ، ولكنى رأيت أنى سأنقله كله ، وأحسب أن القراء قد وقفوا على نمط منه نشر فى « الرسالة » من قبل ، وكله نمط واحد ، وسلسلة متصلة الحلقات ، وغاية القول فى هذا الكتاب الجليل أنه ليس من الكتب التى تقرأ ثم تنسى وتهمل ، ولكنه وثيقة تاريخية ناصعة الصفحات فى الدفاع عن القضية المصرية وكرامة المصريين ، وإن المؤلف الفاضل ليضعها بين يدى أبناء وادى النيل فى وقت هم أشد ما يكونون حاجة إليها بما يكتنف قضية بلادهم من أخذ ورد فى مجال الاحتكام الدولى والجهاد الوطنى ، وسيرى المصريون فى هذا الكتاب كيف سرقت بلادهم تحت عين الشمس ، وكيف زور تاريخهم بين سمع الدنيا وبصرها ، وكيف تعاونت قوى الشر والاستعمار على تلويث كرامتهم وكرامة زعمائهم الأبطال ، وإن الكتاب بما تضمن من هذه الحقائق الوطنية سيظل سفراً فريداً خالداً ، وسيصبح — كما قلنا — « إنجيلا » يرتله أبناء مصر جيلا بعد جيل .

محمد فهمى عبد اللطيف



داخل أسوار الفقر

للأستاذ علي حيدر الركابي

كانت حياتها مثل نفسها ، واضحة المعالم وخالية من العقد وكانت لهذه الحياة البسيطة حدود ضيقة عاشت فى داخلها ولم تكد تحس بما وراءها .

ما عرفت لها أماً بل عرفت نفسها أماً لإخوتها الصغار ترعاهم وهى لا تكبرهم إلا قليلا وتقوم على خدمة أبيها . انصرفت إلى أداء واجبها نحوهم جميعاً بكل ما أوتيت من إخلاص وقوة ومعرفة . أما الإخلاص فلم يكن من النوع الذى تعرفه المعاجم أو يعرفه الناس فى مجتمع أرقى بل كان شيئاً مبهماً موروثاً تحركت به غريزة هذه الفتاة الريفية وما كانت لتستطيع تفسيره بالألفاظ حتى لو أرادت ذلك ، بل كان يدفعها دفعاً عفوياً نحو الحدب على إخوتها لأنهم أضعف منها ولأنها أكبرهم ونحو خدمة أبيها لأنه أبوها ، وحسبها أنه أبوها تبذل له الطاعة من جهتها ويتولى من جهته حمايتها من أخطار مجهولة . أما القوة فبدأت ضئيلة ثم نمت بنموها وهى فى الحالين قوة فتاة ريفية سليمة الجسم أما المعرفة فهى مزيج ابتدائى من عادات وتقاليد انتقلت إليها شيئاً فشيئاً من أبيها أو جاراتها أو عابرى السبيل تلتقط من هذا كلمة ومن ذاك أخرى فتتشكل من مجموع ما التقطت فلسفة ابتدائية للحياة أساسها القناعة والتسليم . ولما عجزت تلك (المعرفة) العجيبة عن مقاومة المرض الذى نزل باخوتها ثم الموت الذى اختطفهم الواحد بعد الآخر عملت تلك الفلسفة فى نفسها عملها فطأطأت رأسها للقدر المحتوم وإن دهشت إذ لم يصبها ما أصابهم وأرجعت ذلك إلى عوامل مختلفة ، ولم يكن ليخطر فى بالها أنها إن سلمت فلم يكن ذلك إلا بفضل من الله وحده .

كانت حياتها مع أبيها فى عرف الناس حياة بؤس وشقاء ولكنها ما كانت لتفكر فى ذلك لأنها لم تعرف غير البؤس والشقاء : فى قلبهما ولدت وعليهما فتحت عينيها ثم فى كنفهما نشأت وترعرعت . فكانت حالة البؤس والشقاء هى الحالة الطبيعية ، وأما ماسواها فشاذ . ولم يكن بها تطلع لسواها أو قدرة على المفاضلة بينها وبين سواها . كان السواد هو اللون الطاغى على كل ما يتصل بها من مسكن وملبس ومأكل فإذا دخل على هذا السواد بياض فهو ضئيل ولا يبدل ألوان حياتها القاتمة بما هو أزهى بل جل ما يتوصل إليه هوان يحولها أحياناً إلى لون الرماد !

وكما يعيش الموسرون فى عزلة غافلين عن كل شىء خلا مالهم الموروث أو الكنوز ورفاههم المستقر ، كذلك عاشت هى فى عزلة تامة غافلة عن كل شىء خلا فقرها الموروث وضنكها المستقر ثم دخلت حياتها حالة جديدة رافقها من الأوجاع والظواهر الجسدية ما أفزعها ولكنها ما لبثت أن اطمأنت إليها إثر ماتولتها به إحدى جاراتها من شرح وإرشاد ثم نسيتها تماماً حين انتقلت من دار أبيها إلى دار بعلها فغابت تلك الآلام الجسدية فى نوع جديد من النشوة ما عتم أن احتل مكانه التقليدى بين معالم حياتها الرتيبة.

لم تكن دار أبيها داراً بالمعنى المعروف عند الناس بل كانت بقية من بناء متهدم فى طرف القرية ليس له مالك على ما يظهر ، أو إن كان له مالك ، فلم يكن له به حاجة أو اهتمام . ولم يكن انتقالها إلى دار زوجها عرساً بالمعنى المألوف لأن أباها كان غريباً عن تلك القرية فلم يكن له فيها أهل أو عشير ولم تسمح لها حياة الكدح بأن يكون لها صواحب وأتراب ، وكان زوجها كذلك غريب الدار . فلولا بعض الجيران وبعض رفقاء الزوج ولولا عدد من الناس لا يكاد يتجاوز أصابع اليد لما ارتدى ذلك الانتقال طابعه الخاص ، ولولا محاولات قامت بها بعض جاراتها بدفع من قوة أجيال من التقاليد الموروثة لما أزهرت حياتها قليلا للمرة الأولى والأخيرة ولما اطرحت ألوانها الباهتة إطراحاً قصير الأمد

ولم تكن دار زوجها كذلك داراً بالمعنى المعروف بل كانت واحدة من تلك الأكواخ الضيقة الحقيرة يبتنيها العمال الزراعيون فى أطراف المزارع ليكونوا على مقربة من الحقول التى يعملون فيها مأجورين ، يبنونها بأيديهم من التراب المجبول بعرقهم فلا يكلفهم البناء مالا . وكما يعيش النمل فى حفر يستقطعها من أرض الله

كذلك يعيش هؤلاء العمال فى تلك (الحفر) الطينية المسماة بقرى العمال يستقطعونها من أرض المالك ، وكما يروح النمل ويغدو بصمت وإصرار حاملا إلى تلك الحفر المؤن التى تقيه عاديات الزمان كذلك يروح هؤلاء العمال ويغدون بين الحقل والكوخ صامتين صابرين ساعين إلى الحصول على قليل من الزاد يتبلغون به ولا يكاد يقى أجسامهم المكدودة عاديات الزمان ، وكما يعمل النمل بإخلاص منصرفاً بتمامه عن العالم الخارجى الذى لا يعرفه ولا يفهمه كذلك يفنى العمال فى عملهم ولا يكادون يحسون بما هو خارج عن عالمهم، وكما ينظر العالم الخارجى إلى النمل فيراه مخلوقاً أسود ضعيفاً وحقيراً لا يستحق الاهتمام كذلك ينظر هذا العالم إلى سواد العمال وحقارتهم وضعفهم فيشيح عنهم بوجهه ، وكما أن النمل لم يلق الاهتمام إلا عند طائفة العلماء وهو اهتمام نظرى لا يجنى منه النمل نفعاً بل يعود نفعه على العالم والتاريخ كذلك اهتم بعض العلماء بشئون العمال اهتماماً نظرياً لا ينفع العمال أنفسهم فى قليل أو كثير بل يعود نفعه على العلم والتاريخ ودوائر الإحصاء . وأخيراً ، كما يعبث طفل بحفرة للنمل فيهدمها بقدمه ويسلط عليها الماء أو يعمد رجل إلى هدم الحفرة ليتخلص من تلك الحشرات البغيضة كذلك تعبث قوى الطبيعة بالأكواخ فيجرفها سيل أو يغمرها فيضان وتهدمها ريح أو تدكها صاعقة ، هذا إذا لم يتعمد هدمها السيد المالك نفسه فيجليهم عنها لسبب من الأسباب المتصلة بمصلحته هو التى ليس لها أدنى علاقة بمصلحتهم هم .

وما كانت هذه الأمور — كلها أو بعضها — لتشغل حيزاً من تفكيرها بل راحت تخدم زوجها بدفع من الغريزة ذاتها التى حملتها على خدمة أبيها قبله ، فهو رجلها وهو المكلف بحراستها من الأقطار المجهولة وهى امرأته وعليها له واجبان: الخدمة والطاعة. لم تكن حياتها عند زوجها إلا امتداداً لما اعتادته فى حياتها عند أبيها من جهد متصل وحرمان متأصل وبؤس وشقاء مقيمين . ومع ذلك فقد دخل على حياتها الثانية عنصران جديدان أولهما ذلك الحب الذى يولد فى قلب كل فتاة ليلة زفافها ولا سيما حين تكون فى سن مبكرة وحين يكون الزوج أول رجل عرفته ، وثانيهما الأوجاع التى كانت تتحملها من جراء ضرب زوجها إياها ضرباً قاسياً فى أكثر الأيام عقب عودته من الحقل فى المساء. ولكن بهجة ذلك الحب وأوجاع هذا الضرب ما لبثتا أن استقرتا فى حياتها استقرار العادة المألوفة فتحول الحب بلذته وبما يخلفه من الآم فى الحمل والوضع ، إلى عمل رتيب آلى مثل طهى الطعام وغسيل الملابس وكذلك الضرب ولا سيما أنها باتت تتلقاه بشىء من القناعة لأنها أحست بأن الدافع إليه لم يكن رغبة من رجلها فى الإساءة إليها بل كان ناشئاً عن عوامل مستقلة عنها فما كانت هى إلا أداة طارئة للتنفيذ ، مما أكد لها ذلك أن الضرب لم يبدل شيئاً من العلاقة الاعتيادية القائمة بينهما وأنه كان فى الغالب حين يفرغ من ضربها يتركها برهة تكفكف دموعها ثم يعود إليها ليجرها ، ثم ليطرحها إلى جانبه فى فراشهما الحقير المشترك . ولو أوتيت ثقافة ووعياً لعلمت أن ما أحست به بغريزتها هو الواقع ، وأن ضرب زوجها لها ما كان إلا انتقاماً لا شعورياً من مجتمع ظالم لم يعترف بوجوده كانسان فثار فى نفسه وأراد أن يؤكد وجوده بشكل من الأشكال ، وهو إلى جانب ذلك انتقام لا شعورى من نظام مقلوب لم يعترف له بالقوة والرجولة فثار كذلك وأراد أن يدلل على أنه قوى وأنه رجل .

قضت مع زوجها أعواماً لا تعرف لها عداً أو حصراً لأن الزمان وأقسامه لا يدخل فى حساب من كانت حياتهم تسير على وتيرة واحدة لا فرق بين يومها وأمسها ولا يجىء غدها غاية تحرك شوقاً أو تحيى أملا . كان يمكن أن تعرف تلك السنين من عدد أطفالها وأعمارهم ولكن هذا كان متعذراً لأنها ولدت له عدداً كبيراً من الذكور والأناث اختطف الموت أكثرهم وأبقى بعضهم كما اختطف قبلهم إخوتها وبقيت هى . ولم يترك موتهم أثراً عميقاً فى نفسها وإن حزنت عليهم الحزن الشكلى التقليدى . كذلك فعلت حين أدركت أباها الوفاة . ولم يكن هذا وليد نقص فى حبها له أو لهم بل كان منشؤه ازدحام حياتها بأسباب الحزن والشقاء وهى عوامل لا تؤدى إلى كبير تعلق بالحياة أو عزوف عن الموت ، وفى دنيا رتيبة قاتمة يحتل الموت مكانه التافه بين سائر عناصر تلك الحياة التافهة .

وانتقلت مع زوجها وأطفالها من مكان إلى آخر فى الأرياف تبعاً لأهواء السادة مالكى الأرض والأرواح وسعياً وراء الرزق وهى إذ لم تختلف حياتها بين مكان ومكان ، لم تحزن لفراق كوخ ولا فرحت لاستقبال كوخ فالكل عندها طارىء وعابر والكل عندها موقت ما دامت صلتها بالأرض وأهلها صلة عابرة ولا تربطها بها أو بهم تلك الروابط الضرورية الثابتة التى تجعل من الأرض وطناً وتخلق فى نفوس سكانها عاطفة حب الوطن .

وفى مساء يوم مشئوم غادر رجلها الكوخ ولم يعد وآوت هى إلى فراشها وضمت إليها أطفالها تتولى فى غيابه حراستهم من أخطار مجهولة . وعلكها الشك حين تقدم الليل دون أن يعود ثم استولى عليها الخوف حين سمعت فى جوف الليل طلقات نارية وفى الصباح جاءها وكيل مالك الأرض وأبلغها مقتل زوجها إثر شجار نشب بين بعض الفلاحين وأن القتلى دفنوا حيث وجدوا وأن لا حاجة لإبلاغ الشرطة ما دام عدد القتلى من الطرفين متساوياً فلماذا تحشر الحكومة فى الأمرفتزعج وتنزعج وإن عليها أن تخلى الكوخ فوراً لمن سيحل فيه محلها . قال الوكيل كلمته هادئاً وانصرف مطمئناً وكأنه ما أتى ليخرب بيتاً بل ليوجه تعليماته اليومية حول سقاية أو زرع . لم يكن هناك قانون أو نظام أو عرف أو تقليد يرغم مالك الأرض والأرواح على أن يحول جزءاً يسيراً من ماله الوفير عن سبل صرفه — أو كنزه — الاعتيادية ليعوض به على أسرة بائسة فقد معيلها ، ولم يكن هناك قانون أو نظام أو عرف تقليدى يرغم الفلاحين على أن يمدوا يد المساعدة إلى أسرة كهذه ولا سيما أن ما يملكونه لا يكاد يسد الحد الأدنى من حاجاتهم البسيطة · ولكن المسألة ليست مسألة عرف أو نظام بل هى مسألة شعور الإنسان نحو أخيه الإنسان وهو شعور تسمو به نفوس الفقراء غالباً ولا تستطيع أن تسمو به النفوس الفقيرة قط

وهكذا غادرت الكوخ مع أطفالها مزودة بما جمعه لها الفلاحون زملاء زوجها الراحل من زاد حقير ومال قليل وتوجهت نحو المدينة البعيدة حيث قيل لها أنها قد تجد عملا تتعيش به وتنفق منه على أولادها . كانت الرحلة طويلة وشاقة أدمت على خشونتهما قدميها . ولكن عطف عليها مرة سائق يقود سيارة للشحن رق لحالها وأطفالها فأركبهم جميعاً وجنبهم تعب المرحلة الأخيرة . ودخلت المدينة على ظهر تلك السيارة فلم تحس بأنها دخلتها لأن الراحة النسبية خدرت أعصابها المرهقة فنامت ملء جفونها ولم تستيقظ إلا على صوت السائق يدعوها إلى النزول فنزلت وسحبت أطفالها لا تدرى إلى أين .

مرت فى رحلتها بمزارع غنية وحدائق غناء وقصور متكئة على تلك المزارع والحدائق ومرت بها على الطريق سيارات فخمة بحمولتها الثمينة من رجال أو نساء استدارت وجوههم وتكورت بطونهم ، وهنا فى المدينة سارت لأول مرة بين الأبنية الجميلة وفى الشوارع العريضة المستقيمة وعلى بعد خطوات من معالمها البارزة وعلى مسمع ومرأى من شبابها المتحمسين وقادتها المصلحين ولكنها لم تكد ترى شيئاً أو أحداً لأن انتقالها هذا إلى المدينة لم يكن ليختلف عن تنقلاتها السابقة مذ غادرت بيت أبيها فهى تسير منذ الأزل باحثة عن رزق ومأوى وهى عالمة بأن رزقها الكفاف أو أقل وأن مأواها خرابة أو كوخ — أو ما هو دونها. أما تلك الدور والأبنية التى مرت بها فليست منها فى شىء ولم تخلق لها ولا صلة لها بأهلها فدنياها غير دنياهم وقومها غير قومهم . كانت هذه الحقائق مستقرة فى أعماقها دون أن تتكلف عناء التفكير فيها ولذلك لم تكن لتشمر نحو هذه المجموعة الأجنبية من الناس بكره أو حسد فلو دعاها داع إلى الثورة عليها لما لبث الدعوة ولاتهمت الداعى فى عقله .

وكما عاشت فى غفلة عن القصور وسكانها وعن المدينة وأهلها كذلك أغفلها هؤلاء جميعاً وتابعوا حياتهم اليومية وهم قانعون بأنهم إنما يستوفون حقهم المشروع لأنهم الفئة التى اختارها الله وخصها من دون غيرها بالنعم والميزات . أما تلك الجموع الفقيرة التى تتدافع بالمناكب لتطعم من فتات موائدهم الزاخرة فهى فى نظرهم سوائم لا تستحق غير الفتات . إن هؤلاء السادة الأكارم أشبه بالدول المعظمة فى هيئة الأمم المتحدة . فى أيديهم الحل والعقد وفى جيوبهم مفاتيح الثروة المغلقة أبوابها فى وجه غيرهم ، وكل مايجرى فى العالم يجرى بدفع منهم ولتأمين مصالحهم هم ، وحدهم لا شريك لهم ثم إن هؤلاء السادة الأكارم يتمتعون بما تتمتع به تلك الدول المعظمة من حق (الفيتو) وحق الاحتفاظ بسر القنبلة الذرية والدولار !

ولكن ، إنى لمثلها أن يعى شيئاً من ذلك ؟ ...

لاقت فى المدينة إعراضاً لأن الناس لا يستخدمون أماً مثقلة بعدد من الأطفال ولا سيما إذا كانت ريفية جاهلة قذرة . كانت تطوف فى النهار على البيوت طوافاً مضطرباً فتعرض خدماتها وتتلقى الرفض مصبوباً فى قوالب مختلفة بعضها جميل وجلها بشع مخيف . وكانت تجود عليها بعض البيوت بشىء من الطعام أو اللباس أو بدراهم معدودات أما الليل فكانت تختار له جانباً من طريق تأوى إليه مع أطفالها فإذا ما ناموا ظلت هى ساهرة تحرسهم من المارة والهوام حتى إذا تقدم الليل ونقص عدد العابرين وغلبها التعب

والنماس استلقت على الأرض إلى جانبهم وأحاطتهم بذراعيها ثم استسلمت مرغمة للنوم . ولحظت بعد حين أن بعض المارة يتصدقون عليها بدراهم يلقونها بين يديها دون أن تسألهم ذلك لقد أدهشها الأمر فى البداية ، ولـكنها ما لبثت أن قنعت بأن الاستجداء هو العمل الوحيد المفتوح بابه لها فامتهنته وراحت تطلب الصدقة نهاراً من سكان البيوت وليلا من المارين . وفزعت من الشتاء حين دهمها بمطره وبرده فراحت توزع نهارها بين السؤال وبين البحث عن مكان تقضى فيه الليل بسلامة نسبية . ولـكن الرطوبة الشديدة والبرد القارس لا يرحمان الفقراء الذين لا يعرفون دفء المسكن والملبس والمأكل وليس فى مقدورهم الاسـتعانة بطبيب أو اللجوء إلى مستشفى ففقدت بالبرد أحد أطفالها ووارته التراب فى طرف المدينة دون أن تعلم بأن الدين فرض على الناس عند الوفاة طقوساً وصلوات .

الدين ؟ وما الذى تعرفه هى عن الدين سوى أنه لفظ يفيدها فى القسم أحياناً هو وعدد من الألفاظ الأخرى كاسم الله والنبى وبعض الأئمة والأولياء حفظتها بالسماع دون أن تعلم أن لهم فى الـكون وظيفة تنفع فى غير الإيمان والدعوات . كان هذا كل ما تعرفه عن الدين ، هذا وما سمعته من أبيها وزوجها عن زيارة يقوم بها الناس إلى بعض الأماكن المقدسـة حيث يتعبدون ويدعون الله فيستجيب لدعواتهم . كانت تود أن تقوم بمثل هذه الزيارات لعل الله يمن عليها بما يساعدها على تربية أطفالها ولـكن أنى لها ذلك وهى ما تزال تذكر رحلتها الأخيرة إلى المدينـة بخوف ولا تحس بشجاعة كافية تدفعها إلى المخاطرة برحلة جديدة نحو المجهول .

وانقضى الشتاء نخفت آلامها بعد أن كاد البرد فى شدته يقضى عليها وبعد أن كادت تعتقد أن الموت أدركها ذات ليلة فبكت وضمت إليها من تبقى من أولادها وأسلمت نفسها إلى غيبوبة طويلة أفاقت منها صحيحة قوية وأطفالها من حولها ينتظرون قيامها وقد أضناهم الجوع . ولم تدر مدى الزمن الذى انقضى وهى فى حالة الإغماء ولـكنها تعلم أنها بقيت لأولادها وتغلبت على الشتاء . وأتى الربيع فظنت أن قد زالت الأخطار ولـكن يد الموت امتدت من جديد وتناولت من بين يديها ولداً آخر كان يهذى فى ساعاته الأخيرة وكانت حرارة رأسه كحرارة الجمر ...

وأقبل الصـيف فانتعشت قليلا وراحت تغسل أولادها وملابسهم فى النهر دون أن تخشى عواقب البرد واستمرت تعيش عيشتها البسيطة قانعة بالقليل الذى تجود به أكف المحسنين فإذا ما هل شهر رمضان لم يكن له عندها سوى معنى واحد وهو أن عدد المتصدقين قد يزداد فى الشهر المبارك ولعلها تستطيع بهذه الزيادة أن تبتاع لأولادها مزيداً من طعام أو تحصل لهم على لباس يحل محل الأطمار أو الخرق التى لا تكاد تستر أجسامهم .

وأقبل العيد فقضت ليلته فى طواف الشارع على عادتها وقد انتصبت فى جلستها على الأرض تحرس أطفالها النائمين حولها ، ولماذا لا تقضى ليلة العيد على حافة الطريق وهى واحدة من لياليها لا تفضلها فى قليل أو كثير ؟ لأى سبب من الأسـباب يسهر أطفالها ولم يكن ليؤرق جفونهم شوق إلى مفاجآته ؟ إن أملاً ضعيفاً ليداعب خيال هذه الأم فتتمنى أن يأتى لها العيد بما لم يحققه رمضان لـكى تبتاع لأولادها بعض ما يحتاجون . ولم تـكد عيناها تذوقان لهم النوم فى تلك الليلة : لم يؤرقها ذلك الأمل ولا أقض مضجعها هم فالهموم لا تقض مضجع من لا يعرف غير الهموم ، والأمل لا يؤرق من لا تحقق له الحياة أملا واحداً ، بل هى لم تنم لأن الشارع لم ينقطع ضجيجه فى تلك الليلة وظل زاخراً بجمهور من الناس يهرعون إلى الأسواق فى آخر لحظة ليكملوا نواقص العيد الذى لن يكون عيداً إذا لم تزدحم مائدة الأسرة بكل ما يفرضه العرف ، وإذا لم ينل جميع أفراد الأسرة نصيبهم المقرر من الهدايا . إنهم يتضاحكون ويتدافعون فى تلك الساعات الأخيرة ليحفظوا لصغارهم وكبارهم بهجة العيد . وما يكاد ينقطع عن الطريق سيلهم الصاخب حتى تقذف البيوت بأفواج جديدة من الناس وهم الأتقياء المتعبدون الذين يتسابقون إلى بيوت الله فى الساعات الأخيرة من تلك الليلة الفضيلة ليكونوا فى طليعة المؤمنين الذين يستقبلون فجر العيد بالصلاة والدعاء .

لو شاء إنسان أن يزور الدائرة الرسمية المختصة متسلحاً بعزم العلماء وبصبرهم ، ولو شاء أن يبحث بين أكداس الأوراق والملفات عن سجل هذه الأم وأطفالها — إذن لوجدهم فى عرف الحـكومة ، فى عداد الأحياء من بنى الإنسان الذين يحملون أسماء ولهم جنسية ودين .

بغداد

على حيدر الركابى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٢ — الاثنين ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا !	: أحمد حسن الزيات	١٠٢٧
مؤتمر المتضعفين	: الأستاذ محمود محمد شاكر ...	١٠٢٨
مقالة الخوارزمي في الشعراء ...	: الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٠٣١
تعليق مختصر على خبر	: الأستاذ على الطنطاوى	١٠٣٤
رحلة إلى الهند	: الدكتور عبد الوهاب عزام بك ...	١٠٣٦
مدى الثقة في هيئة الأمم المتحدة	:	١٠٣٨
ليلة الماشوش وليلة الكفشة ...	: الأستاذ شكرى محمود أحمد ...	١٠٤٠
الخلان والزمان بين أبي فراس والبارودى	: الأستاذ محمد محمد الحوفى	١٠٤٣
رين الذكرى ... ... (قصيدة)	: الأستاذ إبراهيم الوائلي	١٠٤٦
« **تعقيبات** »	: واجبنا في الجهاد الثقافي — الاستشراق البريطاني —	١٠٤٧
الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب		١٠٤٨
« **الأدب والفن في أسبوع** »	: أحزبية في الأدب ؟ — ذكرى شوقي	١٠٤٩
في « الأوبرج » — البعثة الثقافية إلى السودان — توصيات المؤتمر الثقافي		١٠٥١
« **البريد الأدبي** »	: ذلك نصيبي من التبعة — فضلاء الحائرة —	١٠٥٢
أكان معاوية كاتب وحي ؟ — بوابة المتولى		١٠٥٣
القبلة .. .. (قصة)	للقصصي الأسباني بلاسكو إبانيز بقلم الأديب فؤاد الونداوى	١٠٥٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٤٢ — الاثنين ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة
قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا ! : أحمد حسن الزيات ١٠٢٧
مؤتمر المستضعفين ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٠٢٨
مقالة الخوارزمى فى الشعراء ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ١٠٣١
تعليق مختصر على خبر ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٠٣٤
رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ١٠٣٦
مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة : ١٠٣٨
ليلة الماشوش وليلة الكفشة ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ... ١٠٤٠
الخلان والزمان بين أبى فراس والبارودى : الأستاذ محمد محمد الحوفى ١٠٤٣
رنين الذكرى ... ... (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم الوائلى ١٠٤٦
« **تعقيبات** » : واجبنا فى الجهاد الثقافى — الاستشراق البريطانى — ١٠٤٧
الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب ١٠٤٨
« **الأدب والفن فى أسبوع** » : أحزبية فى الأدب ؟ — ذكرى شوقى ١٠٤٩
فى « الأوبرج » — البعثة الثقافية إلى السودان — توصيات المؤتمر الثقافى ١٠٥١
« **البريد الأدبى** » : ذلك نصيبى من التبعة — فعلاء الحائرة — ١٠٥٢
أكان معاوية كاتب وحى ؟ — بوابة المتولى ١٠٥٣
القبلة .. .. (قصة) { للقصصى الأسبانى بلاسكو إبانيز / بقلم الأديب فؤاد الونداوى } ١٠٥٤

٢٩٠٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 742

Lundi — 22 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا!

يسىء إلى كرامة مصر من يزعمون أن فيها اليوم جماعة وفُرقة، ثم يحاولون أن يجمعوا المتفرق ويضموا الشتيت بدعاء داع أو سعى ساع أو إذاعة مذيع!

إن فى هذا الزعم اتهاماً لبعض قومنا بالعقوق وقذفاً لهم بالخيانة. ولا يجوز فى الطبع ولا فى الشرع أن نفترض الجريمة ثم نرتب على افتراضها ما نرتب على الأمر الواقع. قولوا استعدوا وانظروا يوم الاستعداد من يتلكأ. وقولوا انفروا وانظروا بعد النفير من يتخلف! أمَّا أن تقولوا اتحدوا وائتلفوا وسووا الصفوف، ثم تنتظروا أن يقبّل زيد رأس عمرو، ويرد عمرو قُبلة زيد، فذلك هو الهزل فى مقام الجد، والعبث فى موقف الخطورة!

ليست الأحزاب السبعة أو الثمانية هم جميع الأمة؛ وليست الزعماء التسعة أو العشرة هم كل القادة؛ وليست الأمة بأضعف غريزة من النحل التى تدفع عن بيوتها الزنابير؛ فكيف تنتظر أن يقول لها هذا الحزب أو ذاك الزعيم دافعى عن أرضك التى منها تأكلين، وعن مائك الذى منه تشربين؟!

هذا يوم الفصل بين الاحتلال والاستقلال أو بين العبودية والحرية؛ فمن تخلف فيه أو خَزَّل عنه قوتل مقاتلة العدو، أو عومل معاملة المريض!

هذا يوم جهاد البغى والجور والاستعمار؛ فمن لم يكن لنا فيه فهو علينا؛ ومن لم يقم للدفاع معنا فليس منا. والخارج علينا مسئول فى نفسه، والتخلف عنا لنكول فى طبعه، لا يردهما إلى الطريق قول معروف ولا عذل منكر

اقرعوا الطبول يا دعاة الجهاد تجدوا الأمة برجالها ونسائها أمامكم، تضمر فى قلوبها الضغينة، وتظهر فى أيديها القوة، لتجرد عدو الله وعدوكم من الباطل هنا، كما جرده النقراشى من الحق هناك!

إن الذين يظهرون الأمة فى هذا المظهر الكاذب من الشقاق والافتراق والتخاذل فريق من الكتاب والساسة، يقولون فنسمع، ويكتبون فنقرأ، حتى إذا اقتربت الساعة وجدّ الجد وحق الجهاد رأيت الأمة صحيحة الكيان قوية البنيان سليمة الوجدان، لا تطيع غير رجل واحد هو القائد، ولا تعرف غير عدو واحد هو الإنجليز!

قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا؛ فإن الأمر بالاتحاد يتضمن اعترافاً بالتفرق؛ وفى ذلك تزييف للحقيقة، وإيهان للعزيمة، وإغراء للعدو!

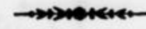
إن من يزعم أن فى الأمة المصرية تفرقاً لأن صاحب العزة رئيس التحرير، أو صاحب السعادة رئيس الحزب، يريد أن يعارض ليضمن نفوذه، أو يخالف ليثبت وجوده، كمن يزعم أن فى الجامعة العربية تصدعاً لأن صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله يريد أن يشرك سورية فى صداقته لبريطانيا ليرتفع عرشه شبرين، ويتسع تاجه إصبعين! كلا الزاعمين ينكر الأمتين المصرية والأردنية، ولا يزال يقول كما قال الأقدمون: إن أهواء السادة هى مصالح الأمة، وإن إرادة الملوك هى شرائع الممالك!

لا يا سادة، قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا، فإن الاتحاد قائم بإرادة الأمة؛ وإن النصر مكفول بمشيئة الله!

احمد حسن الزيات

مؤتمـــر المستضعفين

للأستـــاذ محمود محمد شاكر



كانت جلسة مجلس الأمن فى يوم الأربعاء ١٠ سبتمبر ١٩٤٧ هى الحكم الفاصل فى قدر هذا المجلس وفى بيان قدرته على فض النزاع الذى ينشب بين الدول صغيرها وكبيرها . وكان ظن الذين دعوا إليه وأنشأوه — أو كانت دعواهم — أن هذا المجلس قد أنشئ ليكون فيصلا فى الخصومات التى يخشى أن تفضى إلى حرب ، وأنه هو المهيمن على السلام وحفظه فى هذا العالم المائج المتدافع . فجاءته قضية مصر والسودان ، وليس فى قضايا الدنيا كلها ما هو أوضح منها وأبين ، ووجه العدل فيها ظاهر لكل ذى عينين عمشاوين فضلا عن عينين بصيرتين ، ومع ذلك كانت كل جهود هـذا المجلس العجيب أن يقول للمتخاصمين : اذهبا فاطلبا شيئاً تصطلحان عليه ! وليس فى الدنيا ما هو أعجب من هذا ، متخاصمين أعجزهما أن يجدا للصلح مكاناً بينهما ، فيقول لهما الحاكم الوازع : اذهبا فاطلبا صلحاً ! !

ونحن لا نريد أن نطعن فى هذا المجلس ، ولا أن نقول إنه شىء لا قيمة له ولا غناء فيه ، ولا أنه أوشك أن يصبح سبباً فى فساد العالم ودافعاً جديداً لتقريب ساعة الحرب ، ولا أنه كشف عن قدر من العجز يحل للناس معـه أن يطلبوا حله ويسرّحوا وفود الأمم المشتركة فيه إلى بلادهم ، لا نريد شيئاً من هذا ، بل نرى أنه مجلس لا بد من بقائه على ما هو عليه ، ولا بد من ذهاب كل دولتين متخاصمتين إليه ، فإنه يتيح للمظلوم أن يفضح ظالمه ويكشف عن آثامه التى يسترها عن العالم بالأكاذيب والتمويه . ولـكن كل ما نريده هو أن يتفضل هذا المجلس بأن ينفى عن نفسه نقيصة الغش والخداع ، فإنه أنبل وأعظم من أن يرتضيهما لنفسه ، فقد زوّر عليه الذين أنشأوه فوضعوا له اسماً لا يناسب جلالة قدره ولا حقيقة معناه ، وألصقوا به شيئاً ليس من الإنصاف أن يلصق به ، وهو المحافظة على الأمن العالمى الذى يقتضى أول ما يقتضى أن تتساوى الدول المشتركة فيه فى السيادة على الأرض التى يشملها اسم الدولة ، حتى لا يقع التنازع بين سيادة وسيادة ، فيختل التوازن ويصير الأمن العالمى مهدداً بالزوال .

ونحن نقترح أن يسمى هذا المجلس « مجلس الأجاويد » ، وقد اخترت هذه التسمية لقصة سمعتها : ففى الشطر الجنوبى من وادى النيل المعروف عندنا باسم « السودان » ، والمعروف عند بريطانيا وأشياعها باسم السودان المصرى الإنجليزى ، ألف الناس إذا تخاصموا أن يلجأوا إلى جماعة من أصحاب الرأى يسمونهم « مجلس الأجاويد » ، فيأتى المتخاصمون فيذكرون أسباب خصامهم ، وتنظر الجماعة فى أمر هـذا الخصام ، ثم ترى رأيها فتقول لأحد المتخاصمين : أكرمنا وانزل عن كذا ، وتقول للآخر : وأنت فأكرمنا أيضاً وانزل عن كذا . ولا تزال تأخذ من هذا ومن ذاك ، فإن قبل المتخاصمان أن ينزل كل منهما عن شىء وينزل خصمه عن مثله ، فذاك ، وإلا رفعت الجماعة يدها عن الأمر كله وقالت للمتخاصمين : لقـد نفضت يدى ، فاذهبا فاصنعا ما تشاءان !

فجلس « الأجاويد » هذا أشبه شىء بمجلس « الأمن » ، لولا أن الأول طابق اسمه مسماه ، وأن الآخر كذب اسمه على مسماه ، فمن الحسن كل الحسن أن يغير هذا المجلس اسمه ويبقى هو ، لأنه مكان يتاح للدول فيـه أن يعرف بعضها بعضاً على حقيقته بغير تدليس ولا تجمل ولا مواربة . وهذا فى نفسه غاية مطلوبة ومنفعة لا مراء فى أنها خير ينبغى الحرص على إدراكه وتحصيله ، بل نقول أكبر من ذلك : إن تسريح وفود الدول المشتركة فى هذا المجلس شر ينبغى اتقاؤه ، لأنه يحول بين الدول وبين إدراك هذه الغاية المطلوبة والمنفعة العظيمة .

وندع مجلس « الأجاويد » وما وحل فيه من عجز وضعف واحتيال على تفادى الحزم ، ومن فراره عن وجه الحق فيما يعرض عليه من الخصومة ، فإنه لم يخلق لمثل ما نطالبه به حين نذكر حقوق مصر والسودان أو سواهما من أمم الأرض . ندعه لننظر فى خاصة أمرنا نحن دون أن نعبأ شيئاً بما فعل هذا المجلس ، أو بما سوف يفعله .

وملخص تاريخ القضية المصرية السودانية ، كما يعرفه كل أحد ، هو أن مصر والسودان كانت فيما قبل سبتمبر سنة ١٨٨٢ دولة واحدة لها حدود معروفة معترف بها فى المحافل الدولية كلها

لا ينازعها فيه منازع . وفى سبتمبر سنة ١٨٨٢ اتخذت بريطانيا ما كان من أمر الثورة العرابية التى قام رجالها للمطالبة بحقوق الشعب الدستورية ، ذريعة للتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وكانت نيتها مبيتة على العدوان على استقلال مصر والسودان ، وإخضاع هذه الدولة للسيطرة البريطانية الاستعمارية التى كانت يومئذ فى عنفوان شدتها . فتم لبريطانيا ما أرادت ، وانتهكت حرمة الشرائع الدولية ، وادعت أنها أرادت تثبيت عرش خديوى مصر فى ذلك الوقت محمد توفيق . ولما رأت أن الدول الأوربية المستعمرة قد بدأت تناوئها ، زعمت أنها لن تلبث إلا قليلا حتى تجلو عن أرض مصر والسودان مرة فى أقرب وقت مستطاع ، حددته أحياناً وتجاهلت تحديده أحياناً أخرى . وظلت تماطل وتتعسف وتؤوّل ، وتكذب وتفترى على مصر والسودان أخس افتراء ، وهى فى خلال ذلك تهدم كيان هذه الدولة المصرية هدماً تاماً بحجة الإصلاح حيناً ، وبحجة المحافظة على «حقوق» الأجانب فى مصر وعلى مصالحهم .

فلما جاءت الحرب العالمية الأولى ، انتهزت بريطانيا هذه الفرصة وأعلنت الحماية على مصر والسودان دون أن تعبأ شيئاً بحقوق شعب مصر والسودان ، وهى مطمئنة إلى سكوت الدول الحلفاء على فعلها فى هذه الساعة الحاسمة من تاريخ العالم . ثم انتهت الحرب وهب الشعب المصرى السودانى يطالب بريطانيا باستقلاله ، ولكن بريطانيا لم تلبث أن وجدت منفذاً لتفريق كلمة هذا الشعب ، فلوحت للزعماء بأنها تريد إنصاف مصر والسودان ، وظلت تستدرجهم حتى قبلوا مبدأ مفاوضة بريطانيا فى حقوق مصر الطبيعية ، فأقبل هؤلاء الزعماء على مفاوضة بريطانيا منذ ذلك الوقت ، فكانت زلة وخيمة المواقب فى تاريخ مصر والسودان ، ولو لم يكن لها من الشر إلا أنها أفضت إلى تعليق مسألة السودان فى كل المفاوضات إلى سنة ١٩٣٦ ، لكان ذلك حسبها من البلاء الذى ليس بعده بلاء .

ولما حدثت مفاوضات سنة ١٩٣٦ الخبيثة ، وانتهت بمعاهدة الاحتلال التى فرضت على مصر فرضاً تحت ظل الاستبداد والتهديد والتخويف ، وقعت زلة أخرى أكبر من زلة المفاوضات نفسها ، وهى ذكر الورقة الباطلة المعروفة باسم اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، فكان ذكرها كأنه اعتراف بشرعيتها ، واجتماع كل هذه الأخطاء واحتشادها منذ سنة ١٩٢١ إلى هذا اليوم ، هو الذى مكّن لبريطانيا أن تقف فى مجلس الأمن لتتكلم بالكلام الذى لا معنى له إلا أنه تزوير للحقائق ، ولكنه تزوير اعتمد على هذه الأخطاء نفسها . فلولاها لما كان لبريطانيا كلام يقبله عقل عاقل ، ولشق عليها أن تدلس فى الحقيقة البينة ، وهي أنها دولة معتدية حكمها كحكم سائر الدول المعتدية فى الدنيا . ومع ذلك ، فإن شيئاً من هذا لم ينفع بريطانيا ، فالدول قد علمت ولاريب أن بريطانيا معتدية بعد أن كشف النقراشى القناع عن الفضائح التى كانت مكتومة عن الناس وعن الدول ، وبعد أن أبان فارس الخورى عن أساليب بريطانيا فى قهر الدول الضعيفة وابتزاز حقوقها .

فلما أحجم مجلس الأجاويد عن أن يقطع برأى فى مسألة مصر والسودان ، وخاف أن يمس كرامة بريطانيا الدولة الشريفة النبيلة إذا هو حكم لمصر والسودان بالحق ، وتنزه عن وصف بريطانيا المنيفة الطاهرة بأنها دولة معتدية على حقوق الدول المسالمة — رجعنا من حيث بدأنا فى سنة ١٨٨٢ ، أى أننا وقفنا وحدنا لنقول للعالم مرة أخرى ، هذه دولة معتدية ، فلا بد من رد اعتدائها ودفع عدوانها وبغيها بأى وسيلة تتاح لنا . فينبغى إذن أن ننذر بريطانيا إنذاراً لا رجعة فيه ، بأن تسحب جنودها من كل بقعة كان يرفرف عليها علم مصر والسودان فى سنة ١٨٨٢ دون نظر إلى معاهدات سابقة أو عرف جار ، أو اتفاقات باطلة . فإذا فعلنا فقد نبذنا إليه على سواء ، وأعذرنا أنفسنا أمام هذا العالم الجشع من الدول المستعمرة .

ونحن شعب لا طاقة له بحرب بريطانيا بالسلاح ، لأنها ظلت خمساً وستين سنة تنزع من أيدينا كل سلاح ، وتضعف جيشنا بكل أسلوب ، وتحيط بنا من كل مكان ، حتى لا نجد لأنفسنا منفذاً نستطيع أن نستجلب منه السلاح الحديث الذى يعيننا على حربها . هذا حق ، ولكنه على وضوحه ليس بشىء ، فإن الأمة التى تريد استقلالها وتحرص عليه لن تمنعها قلة السلاح من أن تفعل شيئاً كثيراً تستطيع به أن تنال ما تريد . وبريطانيا لن تستطيع أن تفنى هذا الشعب المصرى السودانى إذا هب لقتالها مجرداً من كل سلاح إلا سلاح العزيمة والتضحية وبذل المهج

وإرخاص النفوس والدماء في سبيل الوطن .

وبريطانيا ترى أن من مصلحتها أن يستقر السلام في هذا الشرق الأدنى ، وهي تتخذ هذا حجة لبقائها في مصر والسودان وفلسطين والعراق ، فينبغي أن نبحث عن الأسلوب الذي يفسد عليها هذا السلام الكاذب الذي تنتهك هي حرمته باحتلال أرض هذه الشعوب ، والعالم العربي كله يعلم أن مصر والسودان هي قلب بلاده . فإذا ظل هذا القلب ضعيفاً مأسوراً في قيود الاستعمار فالعالم العربي عاجز عن أن يفعل شيئاً في سبيل النهضة التي تجيش بها صدور أبنائه ، وهو أيضاً عرضة للبقاء الطويل تحت نير الاستعباد الأوربي الفاجر المتعصب ، وهو أيضاً لحم على وضم ينال منه كل طارىء وأفاق ما يشاء ، ويصب عليه من ازدرائه واحتقاره ما تسول له نفسه الخبيثة ، لأنه يعلم أنه قوي في حماية هذه الدول الطاغية المستعمرة جميعاً . فلزام إذن على هذا العالم العربي كله أن يهب هبة واحدة للجهاد — من أقصى مراكش إلى حدود العراق بغير استثناء — متخذاً كل وسيلة من القاطعة إلى المحاربة الظاهرة والخفية جميعاً .

وهذا الغرض السامي يتطلب منا أن نجمع شملنا ، لا في مصر والسودان وحدهما ، بل في كل مكان من هذا العالم العربي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي . وينبغي أن يتجرد منا جميعاً رجال يجوبون هذه الدنيا لتأليب الشعوب العربية والإسلامية على عدوان هؤلاء المعتدين ، ولعقد المودة بيننا وبين الشعوب التي أظهرت مودتها لنا ودفاعها عنا . وينبغي ألا يفزعنا شيء فإننا ما كولون ، والآكل لا يبالي أن يأكله هذا أو ذاك ، وجرأته هي وحدها الكفيلة بأن تضمن له ضرباً من الحرية في الاختيار . ومع ذلك فعسى أن يحدث شيء لم يكن أحد يتوقعه ، فننال حقنا كاملا دون أن نطوق أعناقنا بمنة يمتنها علينا شعب أو دولة .

وحسبنا أن بريطانيا تريد أن يستقر هذا الشرق وهذا العالم الإسلامي حتى توغل هي في عدوانها ، فلنمنعها هي وأشياعها مما يريدون

هذا العمل الجليل لا يغني غناءه إلا إذا تعاونت الحكومات العربية والإسلامية معاً وتعاونت شعوبها أيضاً مع هذه الحكومات تعاوناً شاملا كاملا لا ثغرة فيه . فأول ما ينبغي أن تقوم مصر والسودان فتدعو إلى عقد مؤتمر عام لكل الشعوب الصغيرة المجاهدة في سبيل الحرية والاستقلال ، وأن يتولى هذا المؤتمر العام تحديد الخطط التي ينبغي أن نسير عليها حتى نبلغ هذه الغاية التي

تقض مضجع بريطانيا ورأس أشياعها أمريكا لنسارع إلى دعوة هذا المؤتمر العام إلى عقد أول اجتماع في أقرب فرصة مستطاعة ، فإن الإرجاء مفسدة للجهود وإضعاف للقوى وإضاعة للوقت ، والإسراع لا يضر بل هو أنفع شيء ما دام الهدف الأسمى هو أن نزعج بريطانيا وأمريكا أولا ، وأن نتفق على الخطط العامة التي تكفل لنا نيل حقنا من هذه الشعوب المستعمرة العادية على استقلالنا وحريتنا .

وهذا المؤتمر لا يتعارض قط مع عمل الجامعة العربية ، لأنه محدد الهدف ، ولأنه يقوم على أساس واحد هو الاتفاق على أساليب الجهاد كلها ، وعلى حشد القوى التي تعين عليه ، وعلى اختيار الفئة الصالحة للتجول في أرجاء العالم لإثارة الشعوب العربية والإسلامية ودعوتها إلى أخذ حقها دون مساومة أو مفاوضة ، وعلى تحديد أعمال القائمين بالدعوة في كل مكان ، وعلى التمهيد لعقد الصلات بيننا وبين الشعوب التي تناصرنا على نزع ربقة الاستعمار عن أعناق الأمم المستضعفة في كل مكان ، مهما اختلفت ألوانها أو أجناسها أو أديانها .

إن هذا المؤتمر ضرورة لازمة ألجأتنا إليها بريطانيا وأمريكا وأشياعهما من الدول الشريفة النبيلة التي قامت لنصرة الحق والعدل والمساواة ! وبريطانيا وأمريكا وأشياعهما لا يريدون أن يدركوا أن هذه ساعة حاسمة في تاريخ العالم العربي والإسلامي ومن يعيش معهما من الأمم التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار ، وهم يماطلون ويراوغون ويتملصون من الفروض التي كتبوها على أنفسهم في ميثاق الأمم المتحدة ، وهم يأبون أن يعترفوا بأننا شعوب تريد أن تعيش حرة لأن هذا هو حقها في الحياة ، فينبغي إذن أن نجيِّش كل قوانا وأن نمد المدة لإقناع هاتين الدولتين ومن يلوذ بهما بأننا قوم نأبى أن نعيش عبيداً في دنيا لم يخلقها خالقها إلا لتكون أرضاً للأحرار ، وأننا أمم لها من الحقوق مثل ما لبريطانيا وأمريكا وأشياعهما ، وأن الله لم يخلق هؤلاء الناس ليسودوا العالم ويستعبدوا أهله بالظلم والعدوان والكذب والتغرير

إننا لا نريد عدوانا على أحد ، ولكننا قد أبينا أن نقبل العدوان من أحد كائناً من كان ، وبالغاً من القوة والبطش والجبروت ما بلغ . وقد أعذر من أنذر .

محمود محمد شاكر

مقالة الخوارزمي في الشعراء

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

الى العالم الأديب الكبير الأستاذ الشيخ محمود أبورية

يا سيدى ، جواب سؤالكم هو فى كتابكم ، فى الكتاب فصل الخطاب ، فمم تسألون ؟ وما المسئول بأعلم فى شىء من السائل ، وهو فضلكم أراد مراده ، وفى القاهرة « أدام الله عمرانها بالمسلمين » !(١) وفى مصر مصدر المدنية وموئل العربية فى القاهرة وفى مصر ألف مالك .

هذا الضعيف لا يعرف للمقالة إلا تلك الرواية فى (ثمار القلوب) وقد اطلعتم عليها ، وأشرتم فى الكتاب إليها . وهى خير رواية ، والثعالبي أصدق رواتها ، فهو يقيد هنا ما سمع ممن قال لا ما قرأ فى الصحف ونقل إليه النقلة . وكل قد أخذ منه ، ثم مشى إليها النقص والزيادة ، وجاء تحريف الناسخ والطابع . ولم تنج رواية (الثمار) من ذلك البلاء . وخدمة للعلم والأدب إذاعة المقالة فى (الرسالة ، رسالة العربية) وتحقيقها كيما يتلقاها صحيحة متلقيها .

قال الإمام أبو منصور الثعالبي فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) :

« ... وعهدى بالخوارزمى يقول : من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، وأهاجى الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض جرير والفرزدق ، وخمريات أبى نؤاس ، وزهديات أبى العتاهية ، ومراثى أبى تمام ، ومدائح البحترى ، وتشبيهات ابن المعتز ، وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، وقلائد المتنبى ولم يتخرج فى الشعر فلا أشب الله (تعالى) قرنه » .

هذه هى (المقالة) وهذا قولى فيها .

الفرزدق :

هذا عندى مزيد ، زاده النساخ ، ولم يذكره أبو بكر ، ولم ينقله أبو منصور ، واجتزأ الخوارزمى بنقائض جرير كما اجتزأ بقصائد لمن سماهم ، ولو ذكر الفرزدق لذكر الأخطل ، ولم يدع هماماً استهانة به فقد قال « والفرزدق فى الفخريات »(١) فى معرض التفخيم فى إحدى رسائله . وقد تكون (نقائض جرير) كتاباً على حدة ، فهنالك نقائض الثلاثة وهى معروفة ، وهنالك (نقائض جرير والأخطل) « تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبى تمام » ذكرها البغدادى فى خزانته ونسب المؤلف إلى حبيب ، وطبعت(٢) سنة (١٩٢٢) .

زهديات أبى العتاهية :

هى زهديات أبى المتاهية ، وهذا واضح .

لم يتخرج فى الشعر :

هى لم يخرج فى الشعر ، وما قصد الخوارزمى إلا هذا المعنى ، و « خرج فلان فى العلم وفى الصناعة إذا نبغ » كما فى الأساس وغيره ، وخرّجه أدّبه وعلمه فتخرج أى تأدب وتعلم ، وشتان ما متخرج وخارج ، ويقال : خرج فلان فى الشعر أو فى غيره لا خرج إليه كما ورد فى إحدى الروايات .

قلائد المتنبى :

لا ريب فى أن با بكر سمى أبا الطيب فى المقالة فقد كان من مكبريه ، وكثرة تمثله فى الرسائل بشعره وحله فيها أبياته واقتباسه من معانيه كل ذلك من أدلة الإكبار ، فقد روى الثعالبي فى كتابه (الإيجاز والإعجاز) هذا الخبر ، وربما كان سمعه منه :

« كان أبو بكر الخوارزمى يقول : أمير الشعراء المصريين أبو الطيب ، وأمير شعره قصيدته التى أولها (من الجآذر فى زى الأعاريب) وأمير هذه القصيدة قوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى
وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى »

---

(١) ابن خلدون فى مقدمته فى أثناء الحديث عن القاهرة وعظمتها . وهو دعاء كل مسلم فى العالم فى كل وقت .

(١) ص١٨٣ طبع الجوائب .

(٢) « عنى بطبعها لأول مرة عن نسخة الآستانة الوحيدة (الفذة) وعلق حواشيها الأب أنطون صالحانى اليسوعي » .

ومن ذكر شعراء درجت أشعارهم قبل أن يدرجوا « يموت رديء الشعر من قبل أهله » وترك المتنبي فقد ضل ضلالا مبيناً ، بل قد كفر . والإشكال عندي هو في (القلائد) فهي في هذا المقام مبهمة ، فقد ذكرها الخوارزمي وعني بها قصائد المتنبي المشهورة « وما الدهر إلا من رواة قلائدي » أم ذكر السيفيات أو الكافوريات فبدل المبدل ، وقد يفضل الكافوريات مفضلون وربما كان أبو بكر منهم ، وهي وحي مصر ، أوحتها إلى المتنبي وقد كبر (احمد) وتمرن واختبر ، وشاهد ما لم يشاهده من قبل ، وعلم ما لم يكن يعلم ، وجاء إلى مملكة كبيرة يسوسها ملك عظيم شهم[1] .

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب
إذا أتتها الرياح النكب من بلد فما تهب بها إلا بترتيب !

ويظاهره وزير كبير عالم ، ذو خلق عال ، عنده أدب الدرس وأدب النفس ، روى ابن خلكان : « ذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب (أدب الخواص) كنت أحادث الوزير أبا الفضل جعفرا ، وأجاريه شعر المتنبي فيظهر من تفضيله زيادة تنبه على ما في نفسه خوفاً أن يرى بصورة من ثناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام ، وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتنبي » .

وقال صاحب الوفيات بعد أن سطر تلك الأبيات : « وبالجملة فهذا القدر ما غض منه ، فما زالت الاشراف تهجى وتمدح » .

وأغلب ظني أن شاعرنا نوى هو وفاتك الملقب بالمجنون أمراً حال القضاء دونه ، ثم هلك فاتك وهرب المتنبي ، وراح يقول : « وماذا بمصر » فاهاالفيه[2] ! فاهاالفيه !

فالكافوريات هن نبات العقل والعلم الكثير ، والسيفيات بنات الشبيبة والنشاط والنفس القوية . ولما أراد ابن أبي الحديد أن يؤلف كتاباً في حل قصائد للمتنبي اختار السيفيات[3] لخطرها البارع في اعتقاده .

وعندي لك الشرّد السائرات (م) لا يختصصن من الأرض دارا
ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
وما تسع الأزمان علمي بأمرها ولا تحسن الأيام تكتب ما أملي

و « وعلى قدر أهل العزم » عند طائفة هي أعظم قصائد المتنبي ، وهي سيفية .

أنا موقن أن الخوارزمي سمى المتنبي ، وذكر عبقريات « سيفيات أو كافوريات » له ولا أستبعد (القلائد) وليس لدىّ اليوم الحكم الجزم .

فلا أشب الله تعالى قرنه :

قد نجت في (الثمار) من كل تصحيف وتطبيع ، روايتها في (الأساس) صحيحة ، وفي (أساس البلاغة) أشياء ، هذه فيه هي من السالمات ، ومن أدب الزمخشري أن يؤيد ما يورده بأقوال مأثورة ، أو أمثال مشهورة أو سجعات يتأنق فيها .

ولما كان الحريري قد أورد تلك الجملة في (البكرية) قال الشريشي شارحاً : « قوله أشب قرنك يدعى بذلك للصبي أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبي في ضد ذلك : لا كبرك الله ، ويقال شب الصبي يشب بكسر الشين شباباً بفتح الشين وكسرها إذا طال ونمى جسمه ، وأشبه الله وأشب قرنه أي جمله أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهي الذؤابة ، وقيل القرن جانب الرأس » .

وإذا صح تفسير الشريشي أو صح ما نقله الاستاذ (المحمود) وهو الأصح ، ومثله في الشرح المختصر[1] للمقامات فالكلمة (أشب) لا (شيب) وروى الجملة (التاج) كما أوردها الذين سماهم الأستاذ في كتابه ، وهذا ما جاء فيه : « الشباب الفتاء والحداثة كالشبيبة ، وقد شب الغلام يشب شباباً وشبوباً وشيباً ، وأشبه الله ، وأشب قرنه بمعنى ، والأخير مجاز ، والقرن زيادة في الكلام »[2] ومراد (التاج) بقوله : « والقرن زيادة في الكلام »

---

(١) الشهم : السيد النجد النافذ الحكم في الأمور وقال الفراء : الشهم في كلام العرب الحمول الجيد القيام بما حمل الذي لا تلقاه إلا حمولا طيب النفس بما حمل (التاج) .

(٢) فم الحية أو فم الداهية ، ونصبه على إضمار فعل .

(٣) أورد فصولا مما حله في كتابة (الفلك الدائر على المثل السائر) وقد لخصت هذه الفصول ونشرتها في (مجلة المجمع العلمي العربي) الغراء ، الجزء (٩) المجلد (١٤) سنة ١٣٥٥

(١) قال : أي لا أطال عمرك وهو من باب الكناية لأنه إذا لم يشب قرنه وهو تربه لم يشب هو أيضاً

(٢) وقال محمد بن حبيب : زمن الغلومية سبع عشرة سنه منذ يولد إلى أن يستكملها ثم زمن الشبابية منها إلى أن يستكمل إحدى وخمين سنة ثم هو شيخ إلى أن يموت ، وقيل : الشاب البالغ إلى أن يكمل ثلاثين وقيل ابن ست عشرة إلى اثنتين وثلاثين ثم هو كهل (التاج)

— وقد جاء هذا فى اللسان أيضاً — أن العرب تزيد فى كلامها فى أشياء منه تقوية وتفنناً ، فأشبه الله كاف فى الدعاء له ، وأشب قرنه كما فسروا — توسع فى القول ، ولكل لغة سنن وأساليب ، وفى (الصاحبى) لابن فارس و (فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبى و (المزهر) للسيوطى أمثلة لذلك .

نقائض جرير :

هى (نقائض جرير) لا قلائص جرير ، وقد اطلع الشيخ ابراهيم اليازجى — كما أوقن — على رواية للمقالة فى غير (ثمار القلوب) وأخذ منها لكتابه (نجعة الرائد) ما رأى أخذه ، وهو يذكر فى النجعة نقائض جرير ، وهذا ما سطره :

« وتقول شعر فلان أحسن من حوليات زهير ، وأحسن من حوليات مروان بن أبى حفصة ، وأحسن من اعتذارات النابغة ، وحماسيات عنترة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض جرير وخمريات أبى نؤاس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبى العتاهية وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، وهذا أحسن من ابتداءات أبى نواس ، ومن مخلصات المتنبىء ، ومقاطع أبى تمام »

كان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى يجمع لمصنفه عدته (مادته) من كتب اللغة والأدب فرأى فى كتاب ابتداءات أبى نؤاس ، وفى كتاب مخلصات المتنبىء ، (والظاهر أنه وجد الاسم مهموزاً أوهمزه هو) وفى كتاب مقاطع أبى تمام فنقل أمثال ذلك وهو تعب مشغول البال ورتب منقوله كما رتب ، ولو روأ فى أمره لربأ بنفسه عن تسطير هذه الخربشات والتخاليط ، فما ابتداءات أبى نؤاس ؟ ما هى ؟ وهل فضيلة المتنبى فى تخلصاته ؟ وهل مزية حبيب فى مقاطعه ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا إليه راجعون !

ومثل تخليط اليازجى فيما نقل تخليط الخوارزمى فى قوله الذى رويته قبل : (إن أمير القصيدة البائية البيت : أزورهم) .

آمنا بالقصيدة وعبقريتها ، وبوصف لظباء الفلاة فيها ، وبسائر معانيها ولكنا لا نرى (أزورهم) أفضل أبياتها بل لا نراه يضارع الأبيات البارعات فى القصيدة ولو تضاعفت تلك المقابلة التى لم تسلم من كلام النقدة ، وقد كان ابن نباتة السعدى أبرع من غيره وأحذق حين قرأ هذا البيت :

إذا ما مررت فى آثار قوم تخاذلت الجماجم والرقاب(١)

فوقف عنده وأطال تأمله ثم قال :

« نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول » .

إن (السعدى) لا يحفل بالخزعبيلات ، بالترهات ، بالبديعيات وابن نباتة هو صاحب البيت المشهور « ومن لم يمت بالسيف » .

طولت فى الجواب ، ولم أجب ، ولم أقدم ثمراً من غير (الثمار) وإذا لم أعلم — يا أخا العرب — فماذا أعمل . وأنا عائذ بالله وبالتى سماها السلف الصالح نصف العلم(٢) والسلام .

محمد اسعاف النشاشيبى

---

(١) أخذه الخوارزمى فقال :

وكنت إذا نهدت لغز قوم وأوجبت السياسه أن يبيدوا
تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
وطلقت الجماجم كل قحف وأنكر صحبة العنق الوريد
قصة طويلة ...

(٢) قال عبد الله بن عمرو بن العاص العربيان المصريان (رضى الله عنهما) : من سئل عما لا يدرى فقال : لا أدرى . فقد أحرز نصف العلم

تعليق مختصر على خبر

للأســـتاذ علي الطنطاوى

هذا الخبر الذى جاء فيه أن معيداً فى كلية الآداب ، أعدّ أطروحة ينال بها لقب (دكتور)(١) فلم يجد لها موضوعاً إلا (القصص فى القرآن) ولم يجد ما يقوله عن القصص فى القرآن ، إلا أنه أساطير الأولين ... وأنه كذب مفترى ، وأنه مستمد من التوراة ، ومن أدب فارس ويونان ، وأن الأستاذين الأحمدين الفاضلين ، حكما بردّ الأطروحة وإسقاطها ، واختلفا فى تعليل الحكم ، فكانت العلة عند الأستاذ الأمين الجهل ، وعند الأستاذ الشايب الكفر ، وعندنا أنهما معاً ، لأن هذا لا يجىء إلا من ذاك

وفى الخبر أن الذى أشرف على إعداد الأطروحة ، وأعان عليها ، شيخ بعمامة بيضاء من أساتذة الكلية ، وأن هذا الشيخ عزّ عليه إسقاط الأطروحة فغضب (والغضب لله وللحق من الفضائل) وقال : « إنه متضامن مع مقدم الرسالة في كل حرف منها ، وأنه لا ينبغى الوقوف أمام حرية الفكر » .

***

ولو انتهت القصة عند ردّ الأحمدين ولم يكن صاحب الأطروحة مدرساً ، ولم يدخل نفسه فيها هذا الشيخ لينصر الكفر ، ويدفع عن الإلحاد ، ويؤيد الجهل ، لقلنا شاب أراد أن يتعجل (الشهرة) قبل أوانها ، ورأى طريق العلم والتحقيق طويلا ، فسلك طريق جهنم وأراد اجتياز الصراط فسقط ... وسكتنا ، ومرّت الحادثة كما مرّت أحداث أمثالها وشرّ منها ، ظنّ محدثوها أنهم هدموا الإسلام ، ونسفوه نسفاً ، وصرفوا الناس عنه صرفاً ، والإسلام لم يشعر بها ، ولم يحسّ بوقعها ، ولم يزدد عليها إلا قوة وانتشاراً ، ولكن دخول هذا الشيخ فى المجادلة على صدق القرآن وكذبه وكون طالب الأطروحة موظفاً رسمياً ، ومعيداً فى الكلية ، أمر لا يسكت عنه ... وهذا الذى نقوله اليوم أول الغيث .

***

ومقالنا اليوم هو تذكير لهذا الشيخ بأنه ليس من أصحاب العقول الكبيرة ، والبحث العلمى ليكفر إذا كفر عن بينة ، وما به إلا أنه رأى أديباً زلّ من عشرين سنة ، وأى أديب لا يزلّ ؟ فقال كلاماً مثل هذا ... فلاثَ اسمه الدنيا ، وشغل الناس ، فأحب أن يكون مثله ، وشتان مابين الرجلين . وإلا فهل ثبت له بعد البحث والتحقيق ... أن قصص القرآن مأخوذ من التوراة ومن الأدب الفارسي واليونانى ، وأن فيه أساطير لا أساس لها ، وهل وقعت له النسخة المخطوطة بخط مؤلف القرآن الذى هو الله – إذا كان فضيلة الشيخ لا يزال يعتقد أن القرآن من عند الله – فعضّ عليها بالنواجذ ، ليفضح المؤلف ، ويكشف عن سرقاته ، ويشفى غيظه منه . أستغفر الله ، وتعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

ولندع الدين ما دمت يا مولانا الشيخ تحسب أن الخروج عليه مدنيـة وتقدم ... وأن الأخذ به رجعية ، وأنك أعلنت الكفر ، وجهرت به ، واخترته والعياذ بالله لنفسك ، ولنأخذ العلم والمنطق والتاريخ ، فهل فى العلم والتاريخ شىء يؤيد ما جاء فى الخبر أن الأطروحة اشتملت عليه ، وما أعلنت أنك مع المؤلف فى كل حرف منه ؟ وبأى دليل من أدلة العلم ، وفى أى كتاب من كتب التاريخ ، ثبت لك ولصاحب الأطروحة أن الله قد اقتبس قرآنه من أدب فارس ويونان ، ومن كاذب الأساطير ؟

وإذا لم يكن القرآن كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا من جهة فارس ولا من جهة يونان ، وكان من تصنيف محمد ، وكان قد اقتبسه من التوراة ، ومن آداب الأمم ومن أساطيرها ، فكيف خفى ذلك على أسلافك من أنصار حرية الفكر ، من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة وكل عدوّ للاسلام خصيم للقرآن – فلم يؤلف فيه أحد ولم يثبته حتى جاء تلميذك هذا فكتبه لتكافئه الدولة على كفره بدينها الرسمى ، وطعنه بقرآنها ، بإعطائه شهادة الدكتوراه ، وتسليمه أبناء المسلمين ليلقنهم هذه الآراء ، على أنها علم وفضل ، وأن الذى لا يحفظها ، ويعيدها يوم الامتحان ، يرسب فى صفه إن طفا الطلاب؟

وحرية الفكر ؟ ما حرية الفكر يا هذا ؟ كيف تفهمها ؟ أ كلما طاف برأسك طائف من هوى ، أثبته على الورق ، وخرجت به مزهواً على الناس ، وقلت ، هذى حرية الفكر ؟

---

(١) وقد عربه بعضهم بـ (العليم) ، وبعض العجمة أفصح من بعض التعريب!

أما إنه ليجيء فى فكرى أنا الآن كلام عنك ، لولا أنى لم أعرض هذه المقالة على الأستاذ الزيات ، وأنى أخاف أن يغضب إن حططت عليك بثقلى — لقلته ، فما تركتك تستطيع أن تمشى فى الجامعة ، أو تتراءى للطلاب ... فارتقبه فكل شىء له أوان ... وما أنت بمعجز الله فى الجامعة وقد أهلك فرعون وهامان وأبا جهل ...

ومالك تكره أن أسبّك بعلم ، وتسب أنت الله عدواً بغير علم ؟ ولا تحب أن أقول فى كتابك الذى لفقته كلمة الحق ، وتقول أنت فى كتاب الله كلمة الباطل ؟ وما لك لا تجرؤ أن تقول لواحد من هؤلاء الكتاب ، أخرج كتاباً تلقاه الناس بالقبول : إنك تكذب ، وتنسب الكذب إلى الله المنتقم الجبار ؟

أغرك ويلك حلمه عنك ، وأنه مدّ لك حتى صرت تعطى الدكتوراه وأنت لم تأخذها ، وتمنح العلم وأنت لاتملكه ، وتؤلف فى البلاغة ، وما أنت منها فى شىء ، ولا أثر عنك بيان غطى على بيان الجاحظ وأبى حيان والرافعى والزيات ، ولا أنت صاحب شعر ولا نثر ، وقصارى أمرك أنك أدخلت على طلاب لايفهمون من البلاغة إلا بمقدار ما يفهم من الصحافة صاحب (القبس) ، فخرقت عليهم ، وزعمت لهم أنك إمامها وأنك مؤذنها وخطيبها ، ورأيتهم صدقوا قولك فزدت فادعيت أنك بانى مسجدها ورافع منارتها ، ولو أنت ادعيت النبوة فيهم ، ماوجدت منهم من يكذبك أو يكفر بك ، ما داموا يأخذون منك الدرجات فى الامتحان ، ثم يخرجون كما دخلوا لا أنت علمتهم ولا هم تعلموا منك ... وكيف يتعلمون وقد جعلت دروس البلاغة عياً ، والفصاحة عامية وكانت دروسك ذلك الخزى ... الذى نشره فى الرسالة الأستاذ المهارى فكان تسلية لقراء الرسالة وفكاهة ضحكوا عليك به شهراً ؟

لقد كان كفراً مبتكراً منك حين زعمت فى تلك الدروس ... أن الله قال لمحمد يا أخى ، فكيف قعدت بك القريحة اليوم ، فلم تأت إلا بكفر عتيق قيل فى مصر من عشرين سنة ، وقيل فى مكة قبل الهجرة ، فكان سخرية الأولين والآخرين ؟ ولقد بعثت يومئذ من يدافع عنك فى الرسالة ، فلم يبلغ به أدبه مع الله ودينه ، ولاعلمه وبلاغته ولا معرفته بتصريف الكلام ، إلا أن يحتج على جواز زعمك أن الله قال لمحمد ، يا أخى ، يقول الحمّار لحماره ، يا أخى ... ولم أردّ عليه لأنى لم أكن أعرف ، قبل أن أسمع ردّه هذا ، شيئاً من لغة الحمارين والحمير ... ولا قواعد المناظرة فى لسانهم .

* * *

وبعد ، فما أريد اليوم الرد على هذين الرجلين ولا تأديبهما إنما أردت تنبيه رجال المعارف فى المملكة التى دينها الرسمى الإسلام وعميد الكلية العربى المسلم الذى اسمه الدكتور عزام ، إلى هذين المدرسين اللذين يملنان الكفر بالله ، والطعن فى القرآن ، والإهانة لكل مسلم يرى فى مصر دار الأزهر ، ومثابة العلم ، ومنزل الملك الصالح الفاروق ، وهما يأخذان أموال الأمة ليلقنا أبناء مصر وأبناء الشام والعراق والحجاز واليمن والمغرب ، وكل بلد يبعث بأبنائه إلى هذه الجامعة مثل هذه الكفريات ، التى يعتقدانها ويكتبانها ويصران عليها ولا يخافان فيها الله ولا الحكومة ولا العلماء ولا العامة ..

وأنا أرقب ماتصنع وزارة المعارف ، ومايصنع الأزهر وعلماؤه ، لأستخير الله فيما أصنع أنا بعد ، وما يصنعه هذا القلم الضعيف فى نفسه القوىّ بالله وبدينه وبقرآنه .

وما بسيفى أضرب ، ولكن بسيف محمد !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

---

٨ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

قطب منارة (منارة قطب)

على عشرة أميال إلى الجنوب من دهلى بين أطلال دهلى الغابرة يقوم مسجد قوّة الإسلام . ومنارة قطب (قطب منارة) . بناهما قطب الدين أيبك . وكان قطب الدين هذا مملوكا للسلطان محمد الغورى الذى مدّ فتوح الغزنويين فى الهند حتى فتح شمالىّ الهند كله . واتخذ مدينة دهلى داراً للولاية . وولّى قائده قطب الدين على ، فتح من الهند .

فلما توفى الغورى سنة ٦٠٢ هـ استقلّ هذا الوالى بما وليه من الهند ، وتملّك عليه . وهو أول ملك مسلم ينشأ ملكه داخل الهند ويقتصر على أرض هندية . فأول دولة فتحت الهند وهى الدولة الغزنوية نشأت فى أفغانستان وكانت غزنة دار ملكها . ثم غلبها عليها الغوريون فاتخذت لاهور داراً . والدولة الغورية نشأت فى إقليم الغور من أفغانستان ثم غلبت الغزنويين على البلاد واقتفت آثارهم فى فتح الهند .

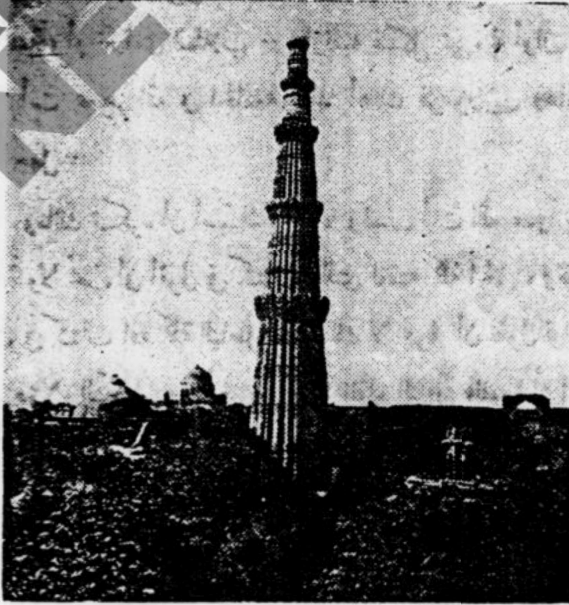
فالدولة التى أقامها قطب الدين أيبك - دولة المماليك - أول دولة إسلامية نشأت فى الهند .

وكانت دهلى دار سلاطينها وسلاطين أربع دول أخرى توالت بعدها حتى فتحها بابر مؤسس الدولة التيمورية سنة ٩٣٢ هـ وقد تسلطت دولة قطب الدين هذا زهاء ثمانين عاماً .

وكأن قطب الدين أراد أن يثبت سلطان الإسلام فى الهند ويظهر عظمته بإقامة الأبنية الضخمة الرائعة . فأنشأ هذا المسجد وسماه « قوّة الإسلام » . وأقام فيه هذا البرج العجيب المسمى منارة قطب . وهو فى رأى الخبراء بالعمارة أعظم برج فى العالم .

أدَع البرج إلى أن ألقى نظرة جامعة على هذا الجامع الفسيح .

لا تزال بقايا الأسوار والعَمَد والقباب تحدّد مساحة الجامع . وقد زاد فيه من بعد شمس الدين التتمش الذى تولى الملك بعد قطب الدين (٦٠٧ - ٦٣٣ هـ) وعلاء الدين الخلجى (٦٩٥ - ٧١٦ هـ) حتى صار فيما أظن أوسع جامع فى العالم .



منارة قطب (قطب منارة) فى دهلى

وإليك صورته الحاضرة كما يراها من يدخل من الباب الشرقى المقابل للقبلة تدخل من باب فى بقايا سور إلى ساحة واسعة تمشى فيها قليلا ثم تصعد دَرَجاً إلى مستوى آخر فترى ذات اليسار المنارة وقبة جميلة على باب من أبواب المسجد ، ويقال أنها سميت « قبة الإسلام » وبها سمى هذا المسجد « قبة الإسلام » لا قوة الإسلام .

ولكن لا يلتفت الداخل إلى هذه القبة فيسير إليها يهبط على الدرج الذى تحتها إلى المدخل فيستغرق فى تأمل علوها وجمال هندستها ونقوشها لا يستطيع أن يفعل هذا قبل أن يطمح ببصره معجباً مرتاعاً إلى هذه المنارة الشاهقة العجيبة . وسأحدث القارىء عنها بعد طواف سريع فى هذا المسجد العظيم ؛ بل هذا المجد الأبىّ والمآثر الخالدة التى تأبى أن تُقِرّ للخطوب على كثرة ما نالت منها .

وإذا نظر الداخل إلى اليمين رأى كومة من الحجر هرميّة هى أساس خَرِبٌ لمنارة حاول أن يناظر بها منارة قطب علاء الدين الخَلْجى حينما زار فسحة الجامع . ولم يتهيأ له إكمال المنارة . وفى الساحة قبور لم أعرف عنها شيئاً .

ويمشى الزائر إلى المصلى فإذا ساحة فيها ثلاثة أروقة ذات طبقتين على عمَد صغيرة . وإذا تأمل النقوش على هذه العَمَد رأى صُوَر حيوان وناس . وقد نقلت العمد من معابد هندية قديمة . وفى جهة القبلة من المصلى عمود من الحديد قطعةٌ واحدة طوله ثلاثة وعشرون قدماً . ومحيطه قدمان وهو من أقدم الآثار الهندية فى دهلى أو أقدمها عليه كتابة تشيد بمآثر أحد أمراء الهند القدماء . وتاريخه يرجع إلى سنة ٤٠٠ ق م .

وتمضى بعد هذا العمود جهة القبلة إلى عقد رفيع جداً يُفضى إلى القسم القبلىّ من الجامع وقد هُدِمت جُدُره .

وينزل السائر جهة الشمال إلى الساحة التى زادها على المسجد شمس الدين التتمش وهى مساحة لا بناء فيها اليوم . وينظر شطر القبلة إلى حجرة عالية سقطت قبتها وفى وسطها ضريح رهيب هو ضريح ايلتتمش . وفى الحجرة ثلاثة محاريب أكبرها أوسطها وعلى المحاريب آيات من القرآن منحوتة بخط واضح . فى وسط المحراب الكبير « إنه لقرآن كريم — الآية » وعلى حافته : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — الآية »

قد قرأتها ومن معى من وفود المؤتمر يتعجبون من مصرى يقرأ خطاً أثرياً فى دهلى ، حتى عرفتهم أنه كتابى ولغتى .

وبعد ساحة التتمش ساحة زادها السلطان علاء الدين الخلجى . وليس بها إلا حطام البناء الشامخ أتت عليه يد الزمان .

ثم منارة قطب إحدى عجائب الأبنية فى الهند بل العالم كله منارة جليلة رفيعة تعلو فى الجو ٢٣٤ قدماً بعد أن سقطت ذروتها . وهى خمس طبقات تنتهى كل واحدة بشرفة دائرة حول المنارة . ولها درج واسع صعدت فيه إلى الشرفة الأولى مائة وخمسين درجة .

والمنارة فى شكل مخروطى . والطبقة الأولى لها واحد وعشرون ضلعاً تختلف أشكالها بين مدور على هيئة نصف دائرة يليه محدد على شكل زاوية قائمة . وهكذا على التوالى . والطبقة الثانية كل أضلاعها مدورة . والثالثة أضلاعها على زاوية قائمة ثم طبقة ملساء والخامسة مضلعة تضليعاً خفيفاً يكاد لا يرى

شاد المنارة قطب الدين إيبك حوالى سنة ٦٠٠ من الهجرة وكان لا يزال نائباً عن السلطان محمد النورى وأتمها مملوكه وصهره وخليفته إلتتمش الذى ذكرناه آنفاً . وقد تصدعت طبقتها العليا بصاعقة فى القرن الثامن فى عهد فيروز شاه فرممها ثم سقطت هذه الطبقة فى زلزال سنة ١٨٠٣ م . وقد رأينا على مقربة من الجامع برجاً صغيراً مستطيلا له أربعة أركان بينها أبواب علوه نحو خمسة أمتار . وقيل لى أنها صنعت فى عهد الانكليز لتوضع على المنارة تكملة لها . فلما وضعت ألفيت غير ملائمة لها فأنزلت .

وحول المنارة كتابة عربية منها آيات من القرآن وقد جعلت نطاقات جميلة زادت فى جمال المنارة وجلالها . وقيل لى إن الكتابة قد نحتت على أحجام مختلفة ونِسَب متعددة تجعل الرائى يراها فى حجم واحد ما بعد منها وما قرُب . كلما بعدت الكتابة زاد حجمها على نسبة بعدِها .

وألوان المنارة تتوالى فى طبقاتها من أحمر إلى ورد إلى أصفر قاتم يلائم زرقة السماء فى فن الجمال .

والخلاصة أن فى هذه المنارة من إبداع الهندسة ، وإتقان الصنع ، وجمال الشكل وفخامته ، وحسن النقش والخط ما يسير رائيها طائفاً ، أوعكسه واقفاً ، يصعد الطرف ويصوبه فى إعجاب بل دهش من هذا الأثر الخالد الذى جمله المسلمون فاتحة آثارهم العظيمة فى الهند . فكان جديراً أن يكون عنواناً لكتاب الحضارة الزاهرة الذى خطه تاريخهم فيها .

عبد الوهاب عزام

مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة

لا جدال فى أن ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة لا تكون بذاتها جزءاً منفصلا بل تندمج مع الميثاق نفسه فى مقاصده ومبادئه.

وتقول الديباجة: « نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للانسانية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء وللأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً فى سلام وحسن جوار وأن نضم قوانا كى نحتفظ بالسلم والأمن الدولى وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها ألا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة .. الخ »

ولقد أخذت هذه الديباجة من صدر الدستور الأمريكى وكتبها الرشال سمطس رئيس حكومة جنوب أفريقيا وقصد بعبارة « نحن شعوب الأمم المتحدة » الإشارة إلى أساس الحكم الديمقراطى وهو رغبة الشعوب التى تنطق باسمها الحكومات المختلفة ...

ومن أهم مقاصد هيئة الأمم المتحدة: حفظ السلم والأمن الدولى وإنماء العلاقات الودية بين الأمم وتحقيق التعاون الدولى على حل المسائل الدولية.

والقارىء لمبادىء الميثاق يحس بأنها فى جملتها تطابق مبادىء عصبة الأمم القديمة، غير أن الميثاق كان صريحاً وقوياً فى تقريره لمبدأ المساواة فى السيادة بين الأمم كبيرها وصغيرها وهذا المبدأ من أهم الحجج التى اســـتندت إليها مصر فى دعواها لدى مجلس الأمن.

والمعروف أن الميثاق قد دخل فى دور التنفيذ منذ يناير سنة ١٩٤٦ ومعنى ذلك أن عمر الميثاق أقصر جداً من أن يحتمل حكماً عليه بالنجاح أو بالفشل .. غير أننا لا نهتم فى الحكم بالمقاييس الزمنية وسننظر من زاوية أخرى وهى كية العمل: ولقد جاء فى تقرير المسيو تريجف لى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة فى تقريره السنوى إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يأتى:

« إنه على الرغم من أن ١٦١١ إجتماعاً من التى عقدت حتى نهاية ٣٠ يونيو من عام ١٩٤٧ دلت على الاعتماد على الهيئة الدولية. فإن الحالة الدولية لم تتحسن فى خلال العام »

ويبدو أن هـذه الاجتماعات الكثيرة قد طويت فى زمن قصير جداً، وكان يمكن توزيعها على سنوات معدودة لو أننا قارناها بعدد الاجتماعات فى عصبة الأمم الماضية. ولعله يكون من المناسب ألا يفوتنا تمليل هذه الكثرة بالسياسة الملتوية التى تجرى عليها هيئة الأمم المتحدة والتى لا تتسم بميزة الصراحة وحسن النية ... ولقـد اكتوت مصر — وما زالت — بسياسة المساومات والمصالح التى يجرى عليها مجلس الأمن والتى تتطلب عادة وقتاً طويلا فى أخذ ورد كما فى البيع المعتاد ومهما كان الأمر فسنسجل على هيئة الأمم ما لاحظناه فى عملها، ومقدار التطابق بين ما هو على الورق وما خرج إلى حيز التنفيذ، وسنرى التيارات المختلفة التى تسرى الآن فى أروقة هذه الهيئة، وهل هذه التيارات فى جانب الميثاق أم أنها هادمة له؟

ولا يخفى أن الإيمان بميثاق هيئة الأمم قد خفت حدته وأصبح الكتَّاب يشبهونه بميثاق الاطلنطى الذى غرق فى المحيط ومازال الغواصون يبحثون عنه فى القاع حتى إن برناردشو الكاتب الإيرلندى الساخر قد لاحظ أن الرئيس روزفلت وهو المقترح للميثاق نسى أن يضع إمضاءه عليه!

ومن الواضح أن إيمان الشعوب بالميثاق هو القوة الحقيقية التى يرتكز عليها فإذا ما قل هذا الإيمان ولو بمقدار ذرة نزلت حتما قيمة الميثاق مهما كانت عظمة ما فيه من مبادىء ...

وستكون المسألة فى نظر الشعوب عوداً لقصة عصبة الأمم التى دمغها المؤرخون بالفشل ونعتوها بالتهريج الدولى.

إن ميثاق الهيئة جميل جداً .. تقرأه فيحملك إلى عالم تتمتع فيه حقاً بحلاوة المعانى الإنسانية .. إنه يكرر دائماً فى فقراته مايؤكد فى الذهن بأننا على وشك تحقيق أسرة عالية حقة يسودها حكم القانون الدولى .. وهذا الميثاق كان حجة فى يد أغلب الفقهاء

الذين يعترفون بوجود قانون دولى وكان فى الوقت نفسه ضربة قاصمة لمن أنكر ذلك منهم وعاش فى تشاؤمه وشكه من وجود عالم دولى يكون أسرة واحدة لها قانون محتوم .

هذا الميثاق يعيبه أمر جوهرى . فهو ما زال على الورق لم ينتقل بروحه بعد إلى ميدان التطبيق . ولقد دل العمل على أن هناك بوناً شاسعاً بين المكتوب والمعمول به . وكل الظواهر الدولية التى يلمسها القارىء حجة قوية فى يده تؤيد ما نقول .. على أنه يهمنا كثيراً أن نبين علة وجود هذه الشقة أو الفارق الملموس الذى أشرنا إليه وقد تخلبنا بعض البوارق العارضة التى تبدو فى المحيط الدولى . وهذه قصيرة العمر أشبه شىء بحبب الماء سرعان ما يتلاشى .. لذلك ستكون نظرتنا ممتـــدة إلى الماضى تصل به ما هو كائن فى زماننا هذا . لأننا نعلم أن القصة الإنسانية بطيئة السرد تتشابه حوادثها . وقليلا ما تتغير . والتاريخ يعيد نفسه دائماً ...

ولقد رأينا أن النقص ليس فى الميثاق نفسه بل فى تطبيقه والفشل فى التطبيق نتيجة لوجود عاملين هامين يبرزان جلياً لكل من يتتبع أعمال هيئة الأمم المتحدة . وقد توجد عوامل ثانوية أخرى غير أنه لا شك أن تضارب المذاهب المختلفة فى العالم وتفشى وباء عدم الاكتراث بين الدول هما أخطر الفواتك بالميثاق وإذا كان العامل الأول وهو تضارب المذاهب يبدو للقارىء جديداً فى السياسة الدولية لم نألفه مثلا منذ ربع قرن ! إلا أننا كما قلنا لا نقف أمام الأمور العارضة ، ونرى بحق أن تضارب المذاهب من ديمقراطية وشيوعية وفاشية هو صورة جديدة لما هو راسخ فى التاريخ السياسى لسياسة توازن القوى منذ القرن السابع عشر ... والمعروف أن سياسة توازن القوى برزت جلية فى صورة شديدة الوضوح أثناء القرن التاسع عشر ، وخاصة منذ هزيمة نابليون فى واترلو .. إذ أن كل ما عقد بعد ذلك من مؤتمرات كان لتقسيم أوربا تقسيما روعى فيه إيجاد التوازن بين القوى المسيطرة على السياسة الأوربية حينذاك ، ومما لا شك فيه أن إضعاف فرنسا كان نتيجة لهذه السياسة .. على أن هذا لا يهمنا تقريره بالقدر الكبير الذى نلاحظ به نتائج التمسك بهذه السياسة . والملاحظ أن سياسة التوازن أدت إلى حروب كثيرة فى القرن التاسع عشر . كما أن هذه السياسة هى التى جرت إلى الحرب العالمية الأولى متخذة فى أثناء ذلك كله صوراً مختلفة من سياسية إلى اقتصادية إلى اجتماعية .. وكانت صورتها الأخيرة فى الحرب العالمية الثانية بارزة جلية فى ناحيتها الاجتماعية من التضارب بين نظم الحكم المختلفة .. فترددت قوية كلمات الديمقراطية والنازية والشيوعية والفاشية والدكتاتورية .

ولقد قضى على أكثر هذه النظم كنتيجة محتومة لفوز غريمتها من النظم الأخرى ولم يبق ظاهراً فى محيطنا الدولى الآن سوى نظامين قويين هما الديمقراطية والشيوعية . وانقسمت تبعاً لذلك دول العالم إلى معسكرين متقابلين يتقاسمان النظر فى المسائل الدولية . وخلاصة القول أن مصير العالم الآن تتنازعه كتلتان : الكتلة الشرقية ومقاليدها بيد روسيا والكتلة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .. ويقف الميثاق بينهما .. فإذا ما أراد أحد الطرفين أن يأخذ بتطبيق نص فى الميثاق لم ينس أن هناك فى الجانب الآخر غريمه يتربص به الدوائر الأمر الذى جعل نظرات كل من الطرفين فى تفسير الميثاق مغرضة لا تتوائم مع التفسير الصحيح بقدر ماهى مشبعة بالحذر والشك من الطرف الآخر

فى مسألة إيران قامت الكتلة الغربية بتطبيق مبادىء الميثاق خير تطبيق . فقالت : إن وجود جنود دولة أجنبية فى أراضى دولة عضو فى الهيئة مما يخل بمبدأ المساواة فى السيادة المنصوص عليه بين الدول . وقال مستر بيفن فى أثناء نظر المسألة أمام مجلس الأمن :

« إن الحكومة البريطانية لتأسف لأى اتفاق يبدو كأنه قد انتزع من الحكومة الإيرانية كرهاً فى وقت كانت فيه الحكومة السوفيتية لا زالت تحتل جزءاً من الأراضى الإيرانية فإنه لم يكن مستساغاً أن تجرى مفاوضات بين دولة عظمى ودولة صغيرة أو أن يشرع فيها أو أن تسعى فيها دولة عظمى فى الحصول على مزايا من دولة صغيرة متوسلة فى ذلك باحتلال أراضى هذه الدولة احتلالا عسكرياً »

(البقية فى العدد القادم)

عبد الحميد عثمان عبد المجيد
كلية الحقوق

ليلة الماشوش وليلة الكفشة

للأستاذ شكرى محمود أحمد

اختلف المؤرخون فى أصل لفظة الماشوش وضبطها كما اختلفوا فى نسبتها إلى طائفة معينة ونحلة مخصوصة . وقد نسبت هذه الليلة إلى النصارى كما نسبت إلى بعض أصحاب البدع من المسلمين ، فمن هذه الملل والنحل : النصارى والفرس والساسانية والقرامطة والبابكية والصفاة والمازرية والقلم حاجية والصابئة واليزيدية والشبك والنصيرية والكاكائية ، وربما نسبت إلى غير هؤلاء . وسميت عند النصارى وبعض فرق المسلمين بليلة الماشوش ، وعرفت عند غيرهم بليلة الكفشة . وربما كانت هذه الليلة فى الأصل فارسية ثم انتقلت إلى غيرهم من الأقوام والمذاهب.

جاء ذكر هذه الليلة فى شعر أبى نواس وشعر ابن مقرب وشعر الفقيه عمر الأندلسى صاحب الموشحات ، وذكرها عدد كبير من المؤرخين كالبيرونى فى الآثار الباقية والشابشتى فى الديارات وياقوت فى معجم البلدان والعمرى فى مسالك الأبصار وصفى الدين بن عبد المؤمن فى مراصد الإطلاع والمقرى فى نفح الطيب والكتبى فى عيون التواريخ والبغدادى فى مختصر الفرق بين الفرق وغير هؤلاء الأعلام .

وأقدم من استعمل هذه اللفظة فيما وصل إلينا من النصوص التاريخية والأدبية هو أبو نواس فى القصيدة البهروزية ، وهذه القصيدة مثقلة بالغريب والألفاظ الفارسية والسريانية . قال فى بهروز المجوسى :

حانى وصل أبناء القسوس   بحبيب الفرس بهروز المجوسى
نق فى الولادة عن مشوش   ترخصه النصارى للقسوس [١]

قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى جامع شعر أبى نواس وشارحه فى تفسير كلمة مشوش : الماشوش لفظة سريانية ، ومعناها الاجتماع ، ويزعمون أن للنصارى ليلة يجتمع فيها العزاب من القسان والرهبان لافتضاض الأبكار ، والفرس يسمونها شب كامذاران «أى ليلة المذارى» ثم قال «والنصارى لا تعترف بذلك» [١] . فقد نص الاصفهانى على أن هذه الليلة للنصارى والفرس دون غيرهم من الطوائف ، وسماها أبو نواس والاصفهانى « مشوش » لكن الأب أنستاس الكرملى زعم أنها ليلة « الحاشوش » بالحاء المهملة ، وهذا خطأ منه ، وزعم أنها من وضع نصارى العرب ، ومعناها المتألم والمغمول والمنفعل ، ويشيرها إلى الجمعة التى تألم فيها المسيح أو جمعة الصلبوت [٢] ، وهذا خطأ أيضاً .

وعندى أن هذه اللفظة مشتقة من الكلمة الأرمية «مشوشا» وهى اسم فاعل من الفعل « مَشْ » بمعنى مس ولمس وجس ، وهذا قريب من المعنى الذى ذكره حمزة الأصفهانى من اجتماع الرجال والنساء على الفجور .

وقد أخطأ الكرملى أيضاً فى قوله : أن البيرونى أقدم من ذكر هذه الليلة [٣] وذلك لأن وفاة البيرونى كانت فى شهر رجب من سنة ٤٤٠ للهجرة ، بينما كانت وفاة أبى نواس على الترجيح فى سنة ٢٠٠ للهجرة ، ووفاة حمزة بن الحسن الأصفهانى شارح الديوان كانت على الترجيح فى سنة ٣٦٠ للهجرة لأنه ذكر فى آخر ما كتبه من تأليفه وهو كتاب « سنى ملوك الأرض والأنبياء » تاريخ جمادى الآخرة من سنة ٣٥٠ هـ وقال « وهو وقت الفراغ من إتمام هذا الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه »

ولكن النصارى ينكرون وجود هذه الليلة ويدعون أن كتاب المسلمين افتروها عليهم ، ونسبوها إليهم ، وألصقوها بهم وهم براء منها . قال الأصفهانى « والنصارى لا تعترف بذلك [٤] » لكن حبيب زيات شاء أن ينقل هذا النص بتحريف مقصود « قال والنصارى لا تعرف بذلك [٥] »

(١) هذه القصيدة غير موجودة فيما طبع من شعر أبى نواس فى الدواوين ، وهى موجودة فى المجلد الثالث من ديوانه المخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٨٣١ ورقة ٣٤٧ وهى فى الأصل عشرون بيتاً ووجدتها مطبوعة فى كتاب الفكاهة والائتناس المطبوع فى القاهرة سنة ١٣١٦ ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١) المصدر نفسه .
(٢) مجلة لغة العرب ج ٥ سنة ١٩٣١ ص ٣٦٨ .
(٣) مجلة لغة العرب ج ٥ سنة ١٩٣١ ص ٣٦٨ .
(٤) ديوان أبى نواس ج ٣ ورقة ٣٤٧ .
(٥) الديارات النصرانية فى الاسلام ص ٣٩٧ .

لكن الحوادث التاريخية والروايات الكثيرة تثبت على أن للنصارى ليلة عيد يجتمع الرجال فيها بالنساء ثم يطفئون الأضوية ويستبيح الرجال النساء ، وهذه هى المظان التى ورد فيها ذكر هذه الليلة .

١ — قال أبو نواس فى القصيدة البهروزية :

نق فى الولادة عن مشوش ترخصه النصارى للقسوس

وقد مضى شرح كلمة مشوش فى أول هذا الموضوع .

٢ — قال الشابشتى فى الكلام على دير الخوات[١] « دير الخوات بعكبرا وهو دير كبير عامر تسكنه نساء مترهبات . . وعيده الأحد الأول يجتمع إليه كل من يقرب إليه من النصارى والمسلمين . وفى هذا العيد ليلة الماشوش ، هى ليلة تختلط فيها النساء بالرجال فلا يرد أحد يده عن شىء ، ولا يرد أحد أحداً عن شىء[٢] »

٣ — مثل هذا القول ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان[٣]

٤ — جاء فى مراصد الاطلاع فى الكلام على دير الخوات « وفى هذا الدير ليلة الماسوس — وهو تصحيف — ثم يذكر هذه الليلة[٤] » .

٥ — جاء ذكر ليلة الماشوش فى كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى الكلام على دير الخوات[٥]

٦ — جاء فى دستور المنجمين « أنها ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم لطلب عيسى عليه السلام ، ثم يتهارجون كيف اتفق فى الظلام[٦] » .

٧ — ذكر البيرونى هذه الليلة فى كتابه الآثار الباقية قال « وأما ليلة الماشوش وهى ليلة جمعة زعم الذاكرون لها أنهم يطلبون فيها المسيح ، وقد اختلفوا فيها ، فبعضهم قال إنها ليلة الجمعة التاسعة عشرة من صوم إيليا ، وبعضهم قال إنها الجمعة التى صلب فيها المسيح وهى جمعة الصلبوت ، وبعضهم قال إنها جمعة الشهداء ، وهى بعد الصلبوت بأسبوع ، والترجيح للقول من بين الثلاثة الأقوال[١] »

فلا مجال إذن لنكران هذه الليلة وقد مر ذكرها فى هذه المصادر الكثيرة ، وربما جاء خبرها فى مصادر أخرى لم نقف عليها

ومن المؤسف أن هذه الليلة الأثيمة انتقلت إلى بعض أصحاب البدع من الفرق الإسلامية تحمل هذا الاسم نفسه فقد جاء فى المقريزى « لما استقام الأمر لقرمط أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ويتقارن ولا يتنافرن فإن فى ذلك صحة الود والألفة بينهم[٢] »

وجاء فى ديوان ابن مقرب العيونى[٣] هذا البيت :

منا الذى أبطل الماشوش فانقطعت
آثاره وانمحى فى الناس وانطمسا

وقال فى تفسير هذا البيت : الذى أبطل أبو شكر المبارك ابن الحسن بن أبى مقرب العيونى .

والماشوش بدعة ابتدعتها القرامطة فى البحرين وجعلوها ديناً لهم ، وهو أن يجتمع الرجال والنساء فى ليلة عندهم معلومة فى السنة ، ويشعلون الشمع ويقومون ويرقصون ويختلطون وفيهم أخوات الرجل وأمه وبناته وعماته وخالاته ، فإذا استكفوا من الرقص أطفأوا الشمع واختلطوا ، وقبض كل رجل منهم يد امرأة وواقعها إن كانت من محارمه أو أجنبية ، فحين ملك عبد الله بن على العيونى البحرين وصارت تلك الليلة ركب أبو شكر المبارك وركب معه غلمانه وهجموا على النساء فضربوهم وسلبوهم ومضوا هاربين . فصار رجل فيهم ضرير يقول « يا مولانا ! والله ما نحن فى شىء مما يضر بدولتكم إنما هذا مذهب نراه فى ديننا » فقال له الأمير : لئن اجتمع منكم اثنان على هذا الأمر لأعملن فيكم السيف لا العصا ، فأمات هذه العادة فى البحرين فما بقيت فيها تعرف[٤]

(١) تسمى أطلال هذا الدير اليوم « تل البنات »
(٢) الشابشتى ورقة ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٧ .
(٤) مراصد الاطلاع ص ١٧٦ .
(٥) مسالك الابصار ص ٢٨٢ .
(٦) دستور المنجمين ص ٢٠ .

(١) الآثار الباقية ص ٣١١ .
(٢) المقريزى ص ١٠٥ .
(٣) ابن مقرب من رجال القرن السابع وديوانه مطبوع سنة ١٣١٠ هـ
(٤) المصدر نفسه .

وانتقلت هذه الليلة إلى المغرب وانتشرت بين جماعة الساسانية وذكرها الفقية عمر الأندلسى صاحب الأزجال فى قصيدة مهد لها بنثر وجعل من الجميع مقامة ساسانية قال :

أنذكر فى سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصاً من أناث وذكران
وأطفأت قنديل المكان تعمداً وأومأت ، فانقضوا كأمثال عقبان
وناديت فى القوم : الوثوب فأسرعوا
فريق لذكران وقوم لنسوان

وفى أول هذه القصيدة يقول :

تعال نجددها طريقة ساسان نقص عليها ما توالى الجديدان (١)

وأخذ بهذه الليلة البابكية وذكرهم الكتبى فى الجزء الثانى من عيون التواريخ قال « بقى من البابكية جماعة يقال أنهم يجتمعون كل سنة هم ونساؤهم ، ثم يطفئون المصابيح وينتهبون النساء ، فمن وقعت فى يده امرأة فهى له حلال ، ويقولون هذا الاصطياد مباح لهم لعنهم الله » .

وفى مختصر الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادى عن المازرية « لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر هم ونساؤهم ، فإذا أطفئت السرج استباح الرجال النساء » (٢)

وظهرت هذه البدعة فى بلاد الشام عند قوم من أهل جبل السماق سموا أنفسهم بالصفاة قال ابن العديم فى أخبار سنة اثنين وسبعين وخمسمائة « أظهر أهل جبل السماق الفسق والفجور وتسموا بالصفاة واختلط النساء بالرجال فى مجالس الشراب لا يمتنع أحدهم عن أخته أو ابنته ، ولبس النساء ثياب الرجال » (٣) .

وتسمى هذه الليلة بين عامة أهل العراق اليوم ليلة الكفشة ، وهى أن يأخذ الرجل بناصية المرأة ليواقعها ، وهذه الليلة معروفة بين الكاكائية واليزيدية والنصيرية والشبك والقلم حاجيه ، ومن المؤرخين من ينسبها إلى الصائبة — صابئة البطائح — المعروفين فى العراق بالصبة ، ولا أعرف نصيب كل هذا من الصحة لأننا نسمع ذلك شفاها من أفواه المعاصرين .

وفى بعض قرى العراق الشمالية فى هذا العصر مذاهب كثيرة لهم أسماء مختلفة ، وتفتن فى الفسق والفجور فتتخذ من الليالى التى تصادف مقتل الخلفاء والأئمة أو وفاتهم فيجتمعون خارج القرى رجالهم ونساؤهم على الشرب والزمر والرقص ثم يطفئون الأنوار ويكون بينهم ما يكون . . . وهؤلاء يتخذون القرى النائية على سفوح الجبال مقراً لهم ، ولا تزال حياتهم الاجتماعية غامضة لا يعرف من أمرهم إلا النزر اليسير .

وقد أخبرنى بعضهم أن النصارى فى عيد رأس السنة فى هذا العصر يطفئون الأضواء فى منتصف تلك الليلة مدة من الزمن ، فلا يرد أحد يده عن شىء من قبلة أو غمزة أو غير ذلك مما يسمح به الوقت ، فإذا كان هذا صحيحاً فهل يعتبر بقية من آثار ليلة الماشوش أو صورة منها .

شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٣٧ .
(٢) مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٣ .
(٣) زبدة الحلب فى تاريخ حلب ص ١٩٣ .

الخـــلان والزمان (*)

بين أبى فراس والبارودى

للاستاذ محمد محمد الحوفى

(تتمـة)

ويقرن أبو فراس الدهر بالخلان مكرراً ذلك فى غير موضع : فهو يستنكر أن يعاتب أحداً ، لأن العتاب إنما يكون للأوفياء والناس كدهرهم غادرون :

مالى أعاتب مالى أين يذهب بى ... قد صرح الدهر لى بالمنع والياس
أبغى الوفاء بدهر لا أنيس به ... كأننى جاهل بالدهر والناس

والدهر متحالف مع خلانه على الخيانة :

يادهر خنت مع الأصادق خلتى ... وغدرت بى فى جملة الإخوان

والأيام حية لبست ثوب ناصح :

تصاحبنا الأيام فى ثوب ناصح ... وينتالنا منها على الأمن أرقم

ويكرر هذه الصورة فيقول :

تكاشرنا الأيام فيمن نحبه ... ويختلنا منها على الأمن أرقم

وفى أرجوزته الطردية ، يعرج على الدهر فيرميه بالجور والغدر :

ما أجور الدهر على بنيـــه ... وأغدر الدهر بمن يصفيه

ولايزال الدهر يتمثل لأبى فراس فى كل شىء حتى فى عيادة سيف الدولة فقد أخره الدهر عنها :

لقـــد نافسنى الدهر (م) بتأخيرى عن الحضرة

ويزهو بكثرة حساده ، وحقد دهره عليه :

ولم أر مثلى أكثر الناس حاسدا ... كأن قلوب الناس لى قلب واحد
ألم ير هذا الدهر قبلى فاضلا ... ولم يظفر الحساد قبلى بماجد !

ولما كان هذا الدهر هو « صهيونية » أبى فراس الذى يبغضها وتبغضه ، وينازعها وتنازعه — رأى أن السلامة والسعادة هى النجاة من غوائل الدهر ، ولذا تراه يدعو لأصدقائه أن يقيهم الله صروفه فهو يدعو لصديقه وقريبه أبى المشائر ، ألا يمسه الدهر بسوء فى أية حال :

لما يا أخى لامسك الدهر إنه ... هو الدهر فى حاليه بؤس وأنعم

ويدعو كذلك لقريبه أبى زهير بأن يوقى بلايا الدهر :

يا ابن نصر وقيت صرف الليالى ... وصروف الردى و كرالخطوب

(*) انظر العددين رقم ٧٣٦ ، ٧٣٩ من الرسالة

دهر البارودى

وكما نعى أبو فراس على دهره ، ينعى البارودى على دهره ؛ لأن البواعث متشابهة ، بل هى واحدة : فقد مات والد البارودى وهو فى السابعة من عمره فلما شبّ تلفت حواليه ليدفئ قلبه بحنان أبيه فلم يجده ، فهاج على دهره الذى غال أباه وما كان قد تملاه .

وكان البارودى سليل المماليك وممتزاً بنسبه كأبى فراس ، وتربى فى المدرسة الحربية ، وطابعها السيادة والعزة يومئذ ، ولذا لم يكن يدخلها غير أبناء الطبقات الراقية ، فقوت هذه التربية الحربية نزعة الكرامة والاعتزاز فى نفس البارودى .

وشعر البارودى أنه فوق أقرانه بعبقريته الحربية : إذ هو أولى من أبلى فى حرب إقريطش ، وفى روسيا ، وسطع نجمه فى سماء القيادة الظافرة .

وأحس كذلك أنه عبقرى فى السياسة : فقد كان أثير الخديو وأمين سره ورسوله فى المفاوضات ، وتقلب فى مناصب عالية ، فكان مدير الشرقية ، ثم محافظ العاصمة .

وكذلك فى عهد توفيق عين مدير الأوقاف ، ثم ناظر الحربية مع الأوقاف عند ما ثار الجند على ناظر الحربية عثمان رفقى .

ولأمر ما وشى رياض باشا رئيس الوزارة إلى الخديو توفيق بأن البارودى يحابى الشعب ويؤثر مصالحه على مصلحة الخديو ، فاستقال .

ولما أسندت الوزارة إلى شريف — لم يقبل البارودى الاشتراك فيها حتى ألحّ عليه الخديو توفيق واستسمحه ، ثم استقال شريف ، فرأس البارودى الوزارة وفى هذا الحين قامت الثورة العرابية ، فكان من أمرها أن نفى البارودى مع المنفيين.

وكذلك أحس البارودى أنه عبقرى فى الشعر : إذ كان شعراء عصره أمثال الساعاتى ومحمود صفوت يتكسبون بشعرهم ، وكانوا يقلدون الشعراء المتأخرين فى تكلف المحسنات البديعية التى تنسيهم جمال المعنى ، ولم يبتكر هؤلاء الشعراء المعاصرون للبارودى جديداً ، أو يُحْيُوا من التراث الأصيل تليداً ولكن البارودى جاء فأحيا القديم ، وولد منه الجيل الكريم ، ولم يتكسب مثلهم بشعره ، فعزت منزلته فى نظر الناس وفى نظر نفسه

وبعد : فليس عجيباً أن أدرك البارودى سمو مكانته النسبية والحربية والسياسية والشعرية — أن تحدثه نفسه بأن يستولى على العرش حينما فكر الضباط فى خلع الخديو ، ولا سيما أنه سليل المماليك ، ملوك مصر السابقين .

وإليك هذه الأبيات التى اقتبستها من قصيدة له ، لترى فيها طمع البارودى فى أن يستعيد ملك أجداده :

لكننا غرض للشر فى زمن أهل العقول به فى طاعة الخمل
قامت به من رجال السوء طائفة أدهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه بغضاً، ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت قواعد الملك حتى ظل فى خلل
وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة بعد الإباء وكانت زهرة الدول

إلى أن يقول :

فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم ولا تزول غواشيكم من الكسل
وتلك مصر التى أفنى الجلاد بها لفيف أسلافكم فى الأعصر الأول
قوم أقروا عماد الحق وامتلكوا أزمة الخلق من حاف ومنتعل
فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وقلدوا أمركم شهماً أخا ثقة يكون ردءاً لكم فى الحادث الجلل

***

نلمس فى هذه الأبيات إشارة إلى ضعف الخديو واضطراب أمره ، ودعوة مستورة إلى أن يحل محله شهم أخو ثقة ، يريد البارودى نفسه ، ومن لها غيره ؟ وهو الحربى المظفر والسياسى المحنك والشاعر الأبى ، وهو بعد ذلك سليل المماليك ووارث ملكهم .

قلنا ما تقدم لنخرج منه إلى أن البارودى نشأ يتيما ، ولابد لليتيم أن يحقد على دنياه ، وكان سليل أسرة مالكة اندثرت ، فلا بد أن يذم الدنيا التى أدالتها ، وكان يتطلع إلى إعادة مجدها فلم يفلح ، فنقم على حظه ومعاكسة زمانه . وكان يشق بعبقريته الحربية والسياسية والشعرية ، ومع ذلك أهين كغيره فى الثورة العرابية ، ونفى نفياً قاسياً ، فجرح هذا العقاب عزته وكبرياءه ، فسب دهره الجائر .

وهل رأيت عند أبى فراس أسباباً للنقمة على دهره غير هذه الأسباب التى ذكرتها للبارودى أخيراً ، وسيخيل إليك لقوة الشبه بين الأسباب أننى سأعيد عليك شعر أبى فراس تحت اسم البارودى :

فكما كان الدهر حية رقطاء فى شعر أبى فراس ، يكون فى رأى البارودى ثعباناً لادغاً ، أو ذئباً مراوغاً ، وليس الدهر ملهاة أو ملعبة ، ولكنه أزمات وفجائع ، تبخل بالسعادة على المكدود ، وتجود على الوادعين الرقود :

ألا إنما هذى الليالى عقارب تدب وهذا الدهر ذئب مراوغ
فلا تحسبن الدهر لعبة هازل فما هو إلا صرفه والفجائع
ألا إنما الأيام تجرى بحكمها فيحرم ذو كد ويرزق وادع

ولا عهد للدهر ، يفتك بالآمن ، ويخرس القوالة اللسن :

إن الحياة وإن طالت إلى أمد والدهر قُرحانُ لا يبقى ولا يذر
لا يأمن الصامت المصموم صولته ولا يدوم عليه الناطق البَـذِر

ولما كان الدهر فى رأى البارودى مقياس القوة والتأثير شبّه الشعر به فى رفع الوضعاء وإسقاط الشرفاء ، وتراه يكرر الدهر أربع مرات فى كل هذه الأبيات الأربعة :

للشعر فى الدهر حكم لا يغيره ما بالحوادث من نقص وتغيير
يسمو بقوم ويهوى آخرون به كالدهر يجرى بميسور ومعسور
صحائف لم تزل تتلى بألسنة للدهر فى كل ناد منه مهجور
لولا أبو الطيب المأثور منطقه ماسار فى الدهر يوماً ذكر كافور

وكأنما يريد البارودى بذلك أن يعلى الشعر على الدهر ، وأن يغيظ الدهر البغيض بما ينسبه للشعر وحده من فضل وفخر .

وكما يدعى أبو فراس ثباته أمام صدمات الدهر ، وأن عزيمته لا يمسها وهن أو كسر ، وكذلك لا يفوت البارودى هذا المعنى فيقول :

وإنى امرؤ تأبى لى الضيم صولة مواقعها فى كل معترك حمر
أبى على الحدثان لا يستفزنى عظيم ولا يأوى إلى ساحتى ذعر
إذا صلت صال الموت من وكراته وإن قلت أرخى من أعنته الشعر

ويقول وهو أضعف حماسة من سابقه :

فإن تكن الأيام رنقن مشربى ... وثلمن حدى بالخطوب الطوارق
فما غيرتنى محنة عن خليقتى ... ولا حولتنى خدعة عن طرائقى
ولكننى باق على ما يسرنى ... ويغضب أعدائى ويرضى أصادقى
فحسرة بعدى عن حبيب مصادق ... كفرحة بعدى عن عدو مماذق
فتلك بهذى والنجاة غنيمة ... من الناس والدنيا مكيدة حاذق

***

وكما تجلد أبو فراس أمام ريب الدهر ، ثم عاد فأبدى تخاذله وضعفه يعود البارودى كذلك بعد تشجعه وتأبيه ، فيستسلم للدهر ويقرر أنه اضطر إلى الصبر ، ولولا اللوم لهلع وجزع :

صبرت على ريب الدهر ... ولولا المعاذر لم أصبر

ويعزو إخفاقه إلى عجزه وتخاذل طاقته لا إلى جهالته :

فلا تحسبنى جهلت الصواب (م) ولكن هممت فلم أقدر

ويعجب أن يرد الهرمان عوادى الدهر وفى هذا ما يشعر بتهيب البارودى له وحذره من نوازله :

سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر
لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناءان ردَّا صولة الدهر عنهما ... ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر

***

وكما لم ينس أبو فراس الدهر وأحداثه وهو حظ بلقاء حبيبته مشغول بمحادثتها فيقول :

فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا ... فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر
وقلبت أمرى لا أرى لى راحة ... إذا البين أنسانى ألح بى الهجر
فعدت إلى حكم الزمان وحكمها ... لها الذنب لا تجزى به ولى العذر

فكما ترى فى هذه الأبيات أن أبا فراس أسلم نفسه لحكم زمانه وحبيبته ، واستكان لسطوتها وسطوته — ترى أن البارودى أيضاً خفض جناحيه لعينى حبيبته وخضع لجمالها كما خضع للدهر وقوته ، حيث يقول :

لها لفتة الخشف الأغن ونظرة ... تقصر عن أمثالها الفتكة البكر
ترد النفوس السالمات سقيمة ... وتفعل ما لا تفعل البيض والسمر
خفضت لها منى جناحى مودة ... ودنت لعينيها كما حكم الدهر

***

وكما اعتذر أبو فراس عن إخفاقه بأن الدهر حاربه وغالبه فقال :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدى فى المخايل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه ... كما دافع الدين الغريم الماطل

يعتذر البارودى كذلك بجبروت الزمان ، ودوائر الحدثان :

فإن كنت قد أصبحت فل رزية ... تقاسمها فى الأهل باد وحاضر
فكم بطل فل الزمان شباته ... وكم سيد دارت عليه الدوائر

وبعد فهذا الذى ذكرناه من دهريات البارودى قليل من كثير اتخذناه شاهداً على اتحاد الفكرة عند البارودى وأبى فراس اتحاداً عجيباً . وكأنما بعث الله فى البارودى روح أبى فراس ، .. فرجَّعت ما قاله شاعر حمدان فيما قاله شاعر المقياس ، أو كأنما عاد التاريخ فصار زمان أبى فراس هو نفسه زمان البارودى وصار كذلك ناسه هم الناس .

محمد محمد الحوفى
معهد التربية العالى للمعلمين

رنين الذكرى

للأستاذ إبراهيم الوائلى

سلوها : أعند الليل سر لواجد
ولم يك إلا بعض وجدى وأسرارى ؟
وهل فى ائتلاق الفجر معنى بذيعه — ولم يك إلا من خيالى وأفكارى ؟
وهل عند هذى الطير ترجيع نغمة — ولم يك إلا من ترانيم قيثارى ؟
وهل صخب الأمواج فى كل ساحل
سوى رجع أنفاسى ورنة تهدارى ؟
وهل نسجت كف النسيم ملاءة — على الزهر إلا من روائع أشعارى ؟
وهل رجعت دنيا الغرام لشاعر — صدى وتر إلا تواقيع أوتارى ؟
أتراها لم تعد تذكر أيام اشتياق ؟
والأماسى على النهر ، وأنغام السواقى
وانسياب الموج ما بين رنين واصطفاق
وهى ، والشاعر ، والحب ، وأحلام التلاقى

***

سلوها : أفى الدنيا أديب مروع — سوى شاعر ما خان عهداً لليلاه ؟
جفته وفى جنبيه لوعة هائم — أبى البعد إلا أن يضاعف بلواه
يئن وهل يجديه ترجيع أنة — وقد نسيت بنت الفراتين ذكراه
فيا نسمة الفجر الندية هدهدى — رؤاها بطيف المستهام ونجواه
ومرى عليها إن خطرت لعلها — ترق لما يشكو المحب ويلقاه
وقولى لها : ما خان عهدك شاعر — على النيل مشبوب الجوانح أواه
ذكريها حين كنا نبعث الأشواق لحنا
وبنجوانا على النهر إذا ما الليل جنا
نشرح الحب أقاصيص فيروى الموج عنا
وهزار الروض إن أطرق هجناه فغنى

***

سلوها عن الحب القديم وعهده — ففى كل واد من غرامى ترديد
وعن ذكريات الشوق أيام نلتقى — وللنهر ترنيم وللنخل تأويد
وعن كأسنا الأولى وعن رشفاتها — بحيث الربى تزهى وللطير تغريد
وحيث الأمانى كالنسيم طليقة — لها فى ثنايا القلب خفق وتجديد
أبنت الفرات الحر جفنى عالق — بطيفك لو يرتاح للنوم مكدود
وهل يستجيب الطيف إلا لنائم
فكيف وملء الجفن بعدك تسهيد
كم سهرت الليل لا أرقب فى دنياه فجرا
وعلى صفحته الظلماء لا ألمح سطرا
هائماً كالطير قد ربع فلا يبصر وكرا
وعلى ثغرى أنات وفى قلبى ذكرى

***

أبنت الفراتين الحبيبين إننى — موزع أفكار ومهدود أوصال
أبيت وليلى أربد اللون قاتم — كليل سجين كبلوه بأغلال
ذكرتك حيث النيل غضبان ثائر — يجيش بآداب ويطغى بآمال
وحيث الشباب الحر ينبض قوة — لتحطيم أصفاد وتقطيع أنكال
وما مصر والتأريخ إلا مواكب — من المجد وثاب الخطا منذ أجيال
يطوف عليها النيل عذباً فتلتقى — جوانحها منه بأبيض سلسال
كم تحدثت إلى النيل وحومت عليه
ولكم رحت مع الطير أناجى ضفتيه
أقرأ الحب سطوراً لألأت فى شاطئيه
وأرى السحر كئوساً عربدت فى شفتيه

***

أبنت الفراتين اذكرى عهد شاعر — تغنى ولولا سحر عينيك ما غنى
ولا تبخلى أن تستجيبى لطيفه — فطيفك حتى الآن ما زايل الجفنا
وهبتك قلباً لم يعد بين أضلعى — سوى وتر يشجى النفوس متى رنا
فما هذه الأنغام إلا بقية — من القلب فى نجواك ذوبها الحنا
مقاطيع ما راقت لمثلى شاعراً — بعيد المنى لو لم تكونى لها معنى
فيا ليت دنيا الشعر والسحر والهوى
ونجوى ليالينا تعود كما كنا
أترى يرجع ما فات من العيش وراح ؟
ويعود البلبل الصداح خفاق الجناح
حسب أنغامى شجو وأنين ونواح :
وكفى أن يذهب العمر صراعاً وكفاح

(نزيل القاهرة) ابراهيم الوائلى

تعقيبات

واجبنا في الجهاد الثقافي :

قام الخبير الاقتصادي المصري في السودان برحلة إلى بعض أرجاء الشطر الثاني من الوادي فكان مما لاحظه أن وجد المكاتب غاصنة بالمؤلفات الإنجليزية وأن هناك عناية مقصودة بتغذية السودانيين بتلك المؤلفات وبجميع الألوان الثقافية التي تصدر من لندن .. على حين وجد المؤلفات العربية التي تصدر في مصر قليلة ، بل نادرة ، وأنه ليست هناك أية عناية في تقديم ألوان الثقافة العربية المصرية إلى أبناء السودان ، مع أنها الثقافة التي تتصل بطبيعتهم وتلائم وضعهم وروحهم .

لم ينشر هذا الكلام في الصحف ، وإنما حدثني به « عليم ببواطن الأمور » كما يقولون في لغة الصحافة ، ولست أدري هل كتب الخبير الاقتصادي المصري بهذا إلى الحكومة المصرية أم لا ، وعلى أي حال فاني أرجو أن نتدبر الأمر ، وأن نبذل له حكومة وشعباً وكثيراً من العناية ، لأنها ناحية ترتبط أشد الارتباط بما نجاهد له سياسياً في دعم وحدة الوادي وجعل أبناء النيل كما خلقهم الله لحمة واحدة ، ونحن نعرف أن الانجليز يتخذون من الثقافة أداة استعمارية يفككون بها روابط الشعوب ، فهم يحاولون أن يغذوا أبناء الجنوب بثقافتهم حتى يكونوا بعد جيل واحد غرباء عن قومهم غرباء في أوطانهم .

فمن الواجب على وزارة المعارف في مصر أن تتولى تنظيم هذا الأمر ، فتصدر إلى هناك الكتب والمؤلفات وتنشىء المكاتب لتوزيعها وتقديمها ، ولا بأس أن تتحمل الوزارة جانباً من ثمن المؤلفات حتى يستطيع أبناء السودان الحصول عليها في يسر وسهولة .

هذا واجب على وزارة المعارف ، وهو واجب أيضاً على جميع الهيئات الثقافية في مصر ، وعلى رجال الفكر والثقافة ، بل إني أدعو إلى تأليف لجنة من رجال العلم والفكر تتولى العناية بهذا الأمر وتجمع التبرعات الوطنية لتنظيمه والاتفاق عليه .

وأقول الوطنية لأننا بإزاء عمل وطني يجب علينا الجهاد له كما نجاهد في ناحية السياسة .

فهيا قبل فوات الأوان ، وقبل أن يغرق الإنجليز بثقافتهم أبناء السودان ..

الاستشراق البريطاني :

قرأت في الأنباء الخارجية هذا الأسبوع نبأ وارداً من لندن يقول إن ثمة « تعديلات ستحدث في معاهد تدريس الآداب الشرقية بانجلترا حيث تزداد الرغبة ويشتد الإقبال على هذا العلم الذي لم يكن فيما مضى سوى ميل خاص واتجاه شخص عند بعض الأفراد من العلماء المستشرقين فكانوا يتجهون إلى دراسة علوم الشرق وآدابه استجابة لميلهم الشخصي ، أما اليوم فإن الحكومة البريطانية ترعى هذه الناحية وتشجعها وتبذل المال والمساعدات في تنظيمها وتوسيع نطاقها كما أن الجامعات والمجامع العلمية تقوم من جانبها بجهد وافر في هذا السبيل . »

« والفكرة في الاستشراق الآن عند الحكومة البريطانية هي الوقوف على روح الشرق وتفهم سياساته وعاداته واتجاهاته حتى يكون المستشرقون على صلة متينة مع الأقطار الشرقية التي يتخصصون في دراسة علومها وآدابها »

« ويتجه الرأي إلى ضم المجامع العلمية وتوحيد جهودها لخلق مركز عام ثابت في لندن للاشراف على دراسة الآداب والعلوم والفنون وسائر ألوان الثقافة في القارة الأسيوية ، وقد وضعت فعلا التقادير بما سيكون عليه هذا النظام واعتمد لذلك المال المطلوب .. »

ويقول النبأ « إن هناك لجنة ستعمل على توسيع مدرسة الآثار في فلسطين وفي بغداد ، وذلك لتهيئة المعلومات اللازمة لعلماء بريطانيا في العالم العربي ، كما أن هناك اقترحات لإنشاء مدرسة من هذا القبيل في القاهرة تكون على اتصال وثيق بالمجمع العلمي المصري ، ومن المحتمل إنشاء مدرستين مماثلتين في إيران وتركيا .. »

تلك هي خلاصة ذلك النبأ الذي أذيع أخيراً من لندن فلم يلتفت أحد إليه ، ولم يحرك جارحة عند أبناء الشرق مع أنه على

جانب كبير من الخطورة ، لأنه يتضمن السياسة الثقافية التى رسمها إنجلترا لنفسها نحو الشرق ، ويعلم الله أن إنجلترا لا يعنيها فى كثير ولا قليل الاهتمام بأرباب الشرق وعلومه إلا أن تجعل من ذلك وسيلة إلى غاية أخرى ، وهى الغاية التى يشير إليها ذلك النبأ والمقصودة بتوجيه الاستشراق إلى « تفهم روح الشرق والوقوف على سياساته واتجاهاته .. »

إنها لاشك خطة مدبرة لمعاونة السياسة البريطانية فى اتجاهاتها وإنها لاشك خطة مدبرة للسيطرة على الشرق من الناحية الثقافية وإنها لاشك خطة يعرف كل منا ما وراءها ، ولكن ماذا صنعت حكومات الشرق بإزاء ذلك ، وما ذا صنعت جامعات الشرق وجماعاته لوضع سياسة ثقافية تقوم على التعاون والدراسة الشاملة النافعة حتى تقطع على الخطة الإنجليزية « الثعلبية » الطريق فيما تقصد إليه ؟ !

لقد تيقظ كل شعب وكل فرد ، فتيقظوا أيها القوم واتعظوا بما مضى من عبر ، واخرجوا من دائرة « الروتين » الذى كاد يخنقكم .

الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب :

... وأعود إلى موضوع الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب فأشكر لأستاذى الجليل السيد « السهمى » ما أفادنيه من زاخر علمه ، وللصديق الكريم الأستاذ « على » ما أمدنى به من وافر محصوله ، فوقفنى السيد الجليل على ما تضمنه «الامتناع والمؤانسة» من حديث عن تينك الصناعتين ، وأرشدنى الصديق إلى ما ورد فى « الفرج بعد الشدة » من قصة هى من هذا القبيل .

وقد كنت وقفت على هـذا كله وعلى كثير من أشباهه وكنت أعرف أن « للتوحيدى » رسالة اسمها « رسالة العلوم » عرض فيها لهـذه المسألة ، وفى « مقابساته » شذرات من هـذا القبيل ، ولكنى اكتفيت بالإشارة إلى هـذا فيما كتبت به إلى الدكتور زكى مبارك إذ قلت : « إن الفكرة فى الموازنة بين الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب قديمة فى الأدب العربى . وتسبق الحريرى بأجيال وأزمان . والواقع أن الحريرى وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التى عقدها حتى الأوصاف التى خلعها على الكاتب المنشىء والأخرى التى وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين ، وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع فى التعبير .. »

ولم أكن أقصد إلا تصويب ما قضى به الدكتور مبارك للحريرى من السبق فى ذلك ، حتى زعم أن « فكرته فى هذه الموازنة لم يسبقه إليها باحث من المسلمين » ، ولم أقصد إلى إيراد كل ما وقفت عليه من النصوص فى ذلك ، لأن المقام لا يتسع له، ولأن الفكرة فى تلك الموازنة قد أصبحت فى هذا العصر « غير ذات موضوع » كما يقولون فى لغة السياسة ، وليس لما قيل فى هذا من قيمة إلا القيمة التاريخية ، إذ لا يخفى أننا اليوم نقدر لكل علم مرتبته ومقامه وقد انتهينا فى تقسيم العلوم وتقدير مراتبها إلى وضع جديد مغاير لما كان عليه السلفيون .

وبهذه المناسبة أذكر طريقة تاريخية ذكرها الشيخ الجبرتى فى تاريخه ، وهى أنه لما تولى على مصر أحمد باشا المعروف بكور قابله صدور العلماء فى ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر والشيخ سالم النفراوى والشيخ سليمان المنصورى، فتكلم معهم وناقشهم ثم باحثهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا لا نعرف هذه العلوم ، فتعجب ، ثم قال : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » ، فقال له الشيخ الشبراوى: هى يامولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف ؛ فقال : وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم شيئاً وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ، فقال الشيخ : إن غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث وعلم الحساب .

وبعد مناقشة طويلة بين الوالى والشيخ دله على والد الشيخ الجبرتى وكان متحققاً بالعلوم الرياضية فوجد الوالى عنده ضالته فقربه إليه وصار يأخذ عنه مسائل تلك العلوم ؛ وكان يقول لم أغنم من مصر إلا اجتماعى بذلك الأستاذ ؛ وكان الشيخ الشبراوى كلما تلاقى مع والد الجبرتى قال له « سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا فإنه لولا وجودك كنا جميعاً عنده حمير . فرحم الله الجميع» إى والله هكذا ختم الجبرتى روايته بهذه العبارة ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

أحزبية في الأدب :

من بلائى أنى أقرأ أكثر ما يكتب فى هذه الأيام ، وخاصة ما يتعلق بالآداب والفنون . وقد وقعت أخيراً فى مجلة « العالم العربى » على كلمة فى كتاب « أبو الهول يطير » الذى ظهر أخيراً للأستاذ محمود تيمور بك ، بتوقيع (أنور المداوى — من الأمناء)

قال ذلك الذى هو من « الأمناء » بعد أن وصف ما كتبه تيمور فى أول الكتاب عن فجيعته فى ولده : « ولست أدرى ما الذى دفع بيدى — وأنا فى دنيا تيمور الحزينة — إلى كتاب « وحى الرسالة » لتقلب صفحاته حتى تقف بى عند صفحة تحمل عنواناً حزيناً هو « ولدى » ، لقد رحت أقارن بين الكلمات هنا وهناك فاذا رأيت ؟ رأيت البون شاسعاً بين آثار الفجيعة فى الأديب المصنوع وأثرها فى الفنان المطبوع » .

ومجلة العالم العربى كانت قد أعلنت ، بعد أن تنحى عنها الأستاذ سيد قطب ، أن سيشترك فى تحريرها الأستاذ محمود تيمور بك ، ثم كتبت على غلافها « يشترك فى التحرير : محمود تيمور بك » والمعروف عن تيمور أن مشاركاته فى الصحف والمجلات لا تتعدى قصة أو مقالا يكتبه للصحيفة أو المجلة ، وليس الأمر إلا كذلك فى علاقته بمجلة العالم العربى ، وقد فهم الناس بطبيعة الحال أنها ترمى إلى الاستعانة باسم تيمور ، فهل البون الشاسع بين أثر الفجيعة ... الخ - تحية لتيمور على حساب النيل من الأقدار !

أو أن البون الشاسع .. الخ بدوة من بدوات « الأمناء » وزفرة من زفراتهم الحرار التى تحتبس بين ضلوعهم من يوم أن ساق إليهم صاحب « دفاع عن البلاغة » قاصمة الظهر فى كلمته البالغة الخالدة عند ما تعرضوا لكتابه فى مجلة « الكتاب » ؟

ونعرف كثيراً من دوافع النقد فى مصر ، ولكنا لم نعهد بينها أن جماعة تنتمى إلى البلاغة والأدب وتتسمى باسم أستاذها ، تضطغن على من يخاصمه هذا الأستاذ ، فتحاول النيل منه بالدعاوى المطلقة والقول الجذاف ، فأصبحنا بذلك أمام حزب كأحزاب السياسة ، يستعمل أدواتها فى التشهير بالخصوم ..

ثم ما هذا الذى يقوله ذلك « الأمين » المداوى ؟ إنه يردد ما هرف به بعض العجزة المتخلفين ، إذ قالوا إن الأستاذ الزيات يصنّع فى أدبه ، وهم يقصدون ما يتوخاه فى كتابته من حسن الصياغة وجمال الديباجة وإجادة الرصف وإحكام النسج . ومن أعجب العجب أن يعاب الكاتب بهذه المزايا ، كأن الركاكة وضعف الأسلوب من أمارات العبقرية والنبوغ ! على أن الزيات يحلى أصالة الطبع ببراعة الصنعة ، وهو فى كتابته كالرجل الأنيق المعنى بهندامه وزيه دون إسراف ولا تكلف ؛ وقد أجمل العقاد نعته بقوله : « أنيق فى غير بهرجة ولا فضول ، بليغ فى غير عسر ولا تكلف » .

على أن تيمور أخذ هو أيضاً منذ سنوات يميل إلى التنميق اللفظى ، وخاصة فى هذا الكتاب « أبو الهول يطير » وهذا هو يقول فى خطاب ولده فى الفصل الذى وازنه الكاتب « الأمين » بمقال « ولدى » :

« تهتاج بين جوانحى رغبة متقدة فى الكتابة إليك ، فى مخاطبتك ... فى فك الإسار عن نفسى التى تتنزى فى القيود والأصفاد ! لقد أسكنت هذه النفس قمقما من قماقم « سليمان » وأحكمت سده بالرصاص ، وقذفت به فى قاع المحيط ، هنالك تحت أعماق الماء ، حيث يتكدس الظلام والصمت طبقات فوق طبقات »

فترى الصنعة بادية فى هذا الكلام ، وهى جديرة أن تعد من عناصر الجمال الفنى فيه ، فهل معنى ذلك أن تيمور أديب مصنوع ؟

إنى لا أناقش هذا « الأمين » وهو لم يأت بدليل يناقش ولا حجة تدفع ، ولكنى كنت مدرساً ، وأرانى ، فى هذا الوطن قد غلبت علىّ طبيعة المدرس ، فجنحت إلى الشرح وإيراد المثال

يا بنى ، إنى آتيك بشىء من مقال « ولدى » فاسمع :

« كنت فى طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ؛ وألبس الناس ولا أجد الأنس ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية ! كنت كالصوت الأصم لا تُرجّعه صدى وكالروح الحائر لا يقره هدى ، وكالمعنى المبهم لا يحدده خاطر !

كنت كالآلة نتجتها آلة واستهلكها عمل ، فهى تخدم غيرها بالتسخير ، وتميت نفسها بالدءوب ، ولا تحفظ نوعها بالولادة ؛ فكان يصلنى بالماضى أبى ، ويمسكنى بالحاضر أجلى ، ثم لا يربطنى بالمستقبل رابط من أمل أو ولد ، فلما جاء (رجاء) وجدتنى أولد فيه من جديد » .

فهل رأيت يا بنى أبلغ من هذا فى التعبير عن حال رجل قلق حائر ينشد تجديد حياته بولد ؟

وهاك أثر الفجيعة فى الأديب « المصنوع » :

« إن قلبى ينزف من عينى عبرات بعضها صامت وبعضها معول ! فهل لبيان الدمع ترجمان ، ولعويل الثاكل ألحان ؟ إن اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية ؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الوارى ؟ إن من يعرف حالى قبل رجاء وحالى معه يعرف حالى بعده ؟ أشهد لقد جزعت عليه جزعاً لم يغن فيه عزاء ولا عظة ! كنت أنفر ممن يعزينى عنه لأنه يهينه ، وأسكن إلى من يبا كينى عليه لأنه يُكَبِّره ، وأستريح إلى النادبات يندبن القلب الذى مات والأمل الذى فات والملَك الذى رفع ! » .

إن كلامك — يا بنى — يدل على أنك قرأت هذا المقال من قبل ، وأن له فى نفسك صدى من قديم ، ويلوح لى أنك ذو فهم ، ولكن تعصبك لجاعتك وتأثرك بجوها يغطيان على بصرك ...

ذكرى شوقى فى (الأوبرج) :

على أثر ما كتبناه فى العدد الماضى عن حفلة ذكرى شوقى المزمع إقامتها فى (الأوبرج) يوم ١٤ أكتوبر القبل ، نشرت اللجنة المؤتلفة لتنظيم هذه الحفلة بيانا فى الصحف جاء فيه « أما الغرض من إقامة هذا المهرجان فهو تخليد ذكرى أمير الشعراء فعليا بإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقى »

والجنة ترد بذلك على ما وجه إليها من النقد الخاص بتسمير شهود الحفلة بأسمار (الأوبرج) العالية وما فى هذا من الاستغلال المادى لذكرى شوقى ، فاللجنة تقول إنها ستنشىء بما تغله الحفلة قاعة محاضرات باسم شوقى . وبطبيعة الحال لن تغل الحفلة ما يكفى لإنشاء هذه القاعة إلا إذا كانت حفلة (أوبرج) بمعنى الكلمة يشترك فى إحيائها فلان وفلانة كما نشرت بعض المجلات ، أى أن شوقى شاعر مصر الخالد الذى أوفدت البلاد العربية كبار شعرائها للاشتراك فى تكريمه بالأوبرا — سيحيى ذكراه فى آخر الزمن شكوكو وتحية كاريوكا ... !

ولم كل هذا الابتذال والإسفاف ؟ لإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقى !

عندنا قاعات للمحاضرات كثيرة ، أعرضت عنها اللجنة وتأبى إلا إقامة الحفلة فى (أوبرج) الأهرام ... حيث تقام حفلات أجمل (مايوه) فى ضوء القمر ، وانتخاب ملكة الجمال ... فما دامت الأفكار قد تطورت إلى هذا الحد ، وأصبحت قاعات المحاضرت (مودة) قديمة .. فلم العناء بإنشائها وتجشم تكاليفها؟

إن إحياء شوقى نفسه لا يبرر هذه المهازل ، فضلا عن تخليد ذكراه بقاعة محاضرات !

نفهم أن تقام فى (الأوبرج) حفلة لإحياء ذكرى «أسمهان» أما شوقى فمسرح الأوبرا يعرفه ، وقاعة الاحتفال الكبرى بالجامعة وغيرها ترحب بالاحتفال لاحياء ذكراه احتفالا يتمثل فيه الأدب الرفيع والفن المستقيم ...

البعثة الثقافية إلى السودان :

جرت وزارة المعارف فى السنين الأخيرة على دعم العلاقات الثقافية والأدبية بين مصر والسودان ، فأوفدت بعض الأساتذة لإلقاء المحاضرات ، وأنشأت مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم كما أنشأت مدارس أولية فى جهات مختلفة

وشرعت الوزارة فى استئناف هذا النشاط فى هذا العام ، فأعدت بعثة تتكون من ثمانية أساتذة بعضهم من الجامعة والبعض الآخر من رجال الوزارة ، ومعهم ثلاثون طالباً من طلبة معهد التربية العالى للمعلمين ومعاهد المعلمين الابتدائية ؛ على أن تكون مهمة الأساتذة إلقاء المحاضرات ببعض العواصم السودانية ، ويزور الطلبة مختلف الأماكن هناك . وكان المقرر أن تسافر هذه البعثة فى خلال سبتمبر الحالى ، وأرسلت الوزارة إلى وكالة حكومة السودان بالقاهرة تطلب حجز أماكن لسفرها من الشلال إلى الخرطوم ... وما كان أشد دهشة الوزارة عند ما تلقت من هذه

الوكالة أن الحكومة السودانية لا تسمح بسفر هذه البعثة إلى السودان « نظراً لتوتر الحالة السياسية ! » ولا تزال الجهات المسئولة تبحث هذه المسألة وإن كان قد غطى على أهميتها بيان حاكم السودان بالنيابة الذى تضمن الإصرار على تنفيذ الخطة التى ترمى إلى فصل السودان عن مصر وانفراد الانجليز بحكمه .

والواقع أن الإنجليز ينظرون إلى دعم الصلات الثقافية والأدبية بين شقى الوادى بعين القلق والخوف ، لأن الثقافة العربية الإسلامية المشتركة هى الروح التى تسرى فى « نخلة الوادى » من جذعها بالجنوب إلى جريدها وسعفها بالدلتا ، وإخواننا فى الجنوب يقرؤون المؤلفات والصحف والمجلات المصرية بشغف عظيم ، وتعمل الحكومة السودانية جاهدة على نشر اللغة الإنجليزية هناك بمختلف الوسائل ، فلغة الحكومة انجليزية ، والتعليم فى المدارس بالإنجليزية فيما عدا اللغة العربية ؛ ورغم كل ذلك يهتم السودانيون بالدراسات العربيـة اهتماماً كبيراً ، ولكثير من الأساتذة المصريين الذين زاروا السودان وحاضروا فى نواديه أطيب الذكر وأجمل الأثر

فلا عجب أن يخشى الإنجليز خطر البعثات المصرية إلى السودان وإن كانت ثقافية ، بل إن الرابط الثقافى أفعل من الدعاية السياسية فى هدم سياستهم الاستعمارية

توصيات المؤتمر الثقافى :

اختتم المؤتمر الثقافى العربى بلبنان أعماله فى اليوم العاشر من سبتمبر الحالى . وقد وزعت قرارات المؤتمر التى اتخذت بإجماع الآراء ، ومن أهم ما جاء فيها خاصاً بالتربية الوطنية وجوب بث الروح الوطنى فى نفوس النشء ، وأن يعد الوطن هو الوطن المحلى ، ثم الوطن الكبير الذى يضم الدول العربية ، وأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافى التام بين البلاد العربية والتدليل على الدور الخطير الذى قامت به الدول العربية على ممر العصور فى إنشاء الحضارات وتقدم الإنسانية ، والتوسع فى إبراز دور الامبراطورية العربية ، وأن العروبة لم تكن يوماً لدين ما ، بل هى أمانة فى عنق كل عربى ، وأن التعصب لم يعرف فى البلاد العربية إلا فى العصور التى حكم فيها الأجانب

ومن القرارات الخاصة بالجغرافيا ، العناية بجغرافية الوطن المحلى ، ثم جغرافية البلاد العربية واتخاذ قدر مشترك يختاره كل قطر عربى ، وإقامة رحلات بين مختلف الطلبة العرب ليطلعوا عملياً على جغرافية البلاد العربية

ومن القرارات الخاصة بالتاريخ العناية بالتاريخ الوطنى المحلى وصلاته ببقية الأقطار العربية ، ثم تتسع الدراسة على ضوء القدر المشترك من التاريخ العربى وإبراز أبطاله وأمجاده ، والتبسط فى الصلات التاريخية بين البلاد العربية وإظهار أثر الحضارة العربية فى الحضارة العالمية ، وتمجيد الأحداث العظيمة ، وتخليد ذكرى عظماء الشرق العربى سواء بإقامة التماثيل لهم أو تسمية الشوارع بأسمائهم ، وضرورة اتخاذ الطريقة العملية فى دراسة التاريخ .

وقد قدمت هذه التوصيات بعد موافقة اللجان عليها من هيئة المؤتمر العامة للادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، لتعرضها على مجلس الجامعة ، فإذا أقرها أصبحت توصيات لكل بلد عربى أن يأخذ بها بالقدر الذى يرتضيه .

ويلاحظ القارئ أن هذه القرارات أو التوصيات لا تشمل اللغة العربية ، وهى من موضوعات المؤتمر مع التربية الوطنية والجغرافيا والتاريخ ، وقد ترامى إلينا أن القرارات التى أذيعت هى التى وافقت عليها اللجان بإجماع الآراء ، ولم يتم ذلك فيما يختص باللغة العربية .

« العباس »



ذلك نصيبي من التبعة

إني رويت ما وجدت ، فني ذلك المؤلف في التصوف : « مالك بن أنس » لا (أنس بن مالك) وقد فاتني تحقيق الاسم هناك وضبطه غير فاطن له ، وربما حال دون الفطنة — الفكر وقتئذ في غيره ، وقد يشغل شيء عن شيء ، ولست أجهل إذ أقول هذا القول أن العلماء لا يقبلون مثل هذه المعاذير . ولما أصلح قاضينا الفاضل إصلاحه وأيقن أني أنا الذي تصرف في أسماء الناس وأزمانهم مقدماً ومؤخراً ... حكم أن ذلك الخطأ (سبق قلم) تهويناً للخطب ، وقوله هذا هو من عناية القاضي(١) التي لا تذم . وقد فهم قراء (الرسالة) الفضلاء الألمعيون من نص الحكم ما فهموا . فنصيبي من التبعة — والقصة هي هذه — هو ما أعلنت ، ولغيري قسمته ...

السهمي

يا سيدي : أستغفر الله ، أنت إمامنا ، وبفقه (الإمام) يقضي القاضي ، فإن أهديت إليك فمن عطائك ، وإن أطرفتك فبعض حبائك ... أطال الله بقاءك مرجعاً للأدب ، وذخراً للعرب .

علي الطنطاوي

فعلاء الحائرة :

منذ خمس سنوات كتب الأب أنستاس ماري الكرملي في عدد الرسالة (٤٧٥) وما بعده يخطئ وصف الجمع بفعلاء المفرد ، ويؤكد أنه ليس في الفصيح من الكلام إلا الوصف بفعل المجموع ويسوق الآيات (كأنه جمالة صفر) . (ويوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) . (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) . (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس) . (عاليهم ثياب سندس خضر) ويبني على من يقول : كريات حمراء ، وكريات بيضاء (لأن القول بفعلاء في مثل هذا الموطن لا يجوز البتة ، ولأنه غلط شنيع فظيع ، تلمنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً !!) ولأنه (كفر نحوى عربي لم تنطق به العوام ، ولا الأعاجم ولا الأروام) وحجته (أن الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية ، والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هي أحسن شاهد) وقد عارضه حينذاك جماعة من الكتاب ممن لم يأخذ أخذه ، ولم يجر في غباره فكان له الفلج عليهم ...

ومضى الزمن على هذه المعركة إلى أن جاء الأستاذ الفاضل محمد سليم الرشدان فكتب في العدد (٧٣٥) من الرسالة الغراء ينبه على هذا الخطأ ، في قول الكاتبة الفاضلة السيدة منيبة الكيلاني : الأروقة السوداء ، فرد عليه أستاذ العربية في هذا الزمان الباحث العبقري (السهمي) في العدد (٧٣٧) ، وقد بدا لي بعد أن قرأت كلمته أن أوجه إليه استفهاماً يجلو هذا الأمر ، غير أني آثرت حتى يكتب الأستاذ الرشدان فأنظر ماذا يكون جوابه ؟ وقد كتب فكان جوابه بالموافقة على ما أورد العالم الجليل إمام العربية الأكبر ، فرأيت أن الأمر لا يزال في حاجة إلى إيضاح ، ذلك أن الأستاذ السهمي أورد نقولا لا تنهض في وجه ما ذكره الأب أنستاس ، فهو :

(أولا) يحتج بكلام أبي العلاء المعري ، وكلام ابن جني ، وقول صاحب الكشاف ، وكل هذا ليس بحجة ، لأن الذي يعوزنا هو شاهد عربي فصيح من كتاب أو سنة ، أو أثر عربي خالص (ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة ، وقواعد الصرفيين وآراء اللغويين ، وتحكمات المتأولين وأرباب الأحكام العربية ، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية ، وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم) كما يقول الأب الكرملي ، على أن أستاذنا السهمي لم يعتمد على شيء من ذلك وإنما نقل عن قوم لم يقل أحد بأن ما ينطقون به يجرى في العربية مجرى القواعد ، أو يكون حجة لمن يحيد عن نهج العرب الفصحاء

(ثانياً) قول أبي العلاء (فألزمني بذلك حقوقاً جمة ، وأيادي بيضاء) لا يبعد أن يكون فيه تحريف من الناسخ ، وأن الأصل كان (أيادي بيضا) ، ومثل ذلك يمكن أن يقال فيما نقل عن

---

(١) في (مجمع الأمثال) للميداني : عناية القاضي خير من شاهدي عدل . قلت : شاهدي مضاف وعدل مضاف إليه هنا لا صفة ، ومجيء العدل وهو مصدر وصفا للجميع ، ويجرى مجرى الوصف الذي ليس بمصدر فيجمع ويثنى ويؤنث .

صاحب المخصص ، على أن الوصف بمثل سوغ أن يجيء ما بعده مفرداً . وأما قول أبي العلاء في رسالة النيح (وكم في أديم الخضراء ، من أشباح مضيئة زهراء) فذلك مالا خلاف فيه ، وقد ذكر هذه المسألة الأب أنستاس ، فقال في العدد (٤٨٥) (إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير في أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، تقول قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء لأنك تصف تلك القنا بأنها خطية وبأن هذه الخطية ملد أو ملداء) ، وقال في العدد (٤٨٦) يرد على بعض من جادله وأورد له كلام الزوزني (وله فارسية خضراء) أي دروع فارسية خضراء يقول (فهذا كلام لا غبار عليه ، لأن خضراء هنا مجاورة لفارسية ، وفارسية كلمة مؤنثة وإن كان معناها يدل على جمع لأنها عائدة إلى (دروع) ومن الطريف أن نذكر أن الأستاذ الجليل السهمي أشار في هامش كلمته إلى أن شارح ديوان الحماسة أورد هذه الكلمة مفردة مع جمع ، ولعله أراد هذه الكلمة السابقة عن الزوزني ، وأن الأب أنستاس بعد أن قال ما نقلته آنفاً قال (ثم من هو الزوزني ، وأبو الزوزني ، وجد الزوزني ، بجانب نص القرآن ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وفصيح كلام البلغاء من العرب ؟)

(وبعد) فإنها لفرصة طيبة أن يقول إمام العربية في هذه الكلمة ، ولقد تمنيت أن يكون الكرملي حياً حتى نشهد عراكا لغوياً بين عقلين كبيرين ، وأنا ما أردت ببعث هذا البحث القيم إلا أن أقف ويقف قراء الرسالة على الحجة القاطعة التي نرجو أن يطالعنا بها (السهمي) فإن ما ذكره الأب أنستاس ماري الكرملي لا يزال صحيح الأديم ، ناصع الحجة ، موثق البنيان .

علي العماري

المدرس بمعهد القاهرة الثانوي

أكان معاوية كاتب وحي ؟

جاء بصفحة ٧٥ من كتاب أبي الشهداء للأستاذ العقاد « كذلك ينبغي أن نذكر حقيقة أخرى في هذا المقام ، وهي أن معاوية لم يكن من كتّاب الوحي ، ولم يسمع عن ثقة قط أنه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم » وفي صفحة ٢٨ من عبقرية الصديق بصدد حديث الأستاذ عن بعض جوانب عظمة النبي الكريم « واتخذ معاوية كاتب للوحي » فأي القولين أصح ؟ وما هي الحقيقة التي تؤيدها الأسانيد التاريخية ويعتمدها ثقاة العلماء وجهابذة الرواية ؟

علي ابراهيم القشيلي

المحامي

بوابة المتولي

نشرت مجلة مسامرات الجيب في العدد ١١٣ مقالا تحت عنوان « عقائد يشترك فيها الجهلة والمثقفون » جاء فيه هذه العبارة « ... وذلك كاعتقاد العامة في بوابة المتولي وهي لا تخرج عن كونها بوابة من بوابات سور القاهرة سميت باسم الوالي على مصر » .

وللحقيقة والتاريخ أقول أن إطلاق هذا الاسم « بوابة المتولي » على أحد أبواب القاهرة لا يرجع إلى اسم وال تولى ولاية مصر بل إن هذا الاسم إنما هو نسبة إلى متولي الحسبة أو المحتسب . وكانت مهمة المحتسب هي النظر في الأمور التي تتعلق بالنظام والأمن العام فكان أشبه مايكون بوزير الداخلية في يومنا هذا . هذا بجانب أنه كان للمحتسب الإشراف التام على الأسواق راقب الأسعار ويقاوم الغلاء وجشع التجار ويصادر الأطعمة التي يتطرق إليها الفساد حرصاً منه على الصحة العامة .

ولقد أطلق اسم المتولي على هذا الباب من أبواب القاهرة في العصر العثماني وذلك يرجع إلى أن متولي الحسبة في مدينة القاهرة كان يجلس على مقربة من هذا الباب .

وقد كان متولي الحسبة أو المحتسب عادة شخصية محبوبة من سكان القاهرة لأنه كان يعمل على توفير الأقوات ومقاومة الغلاء ولا شك أن لهذا أثره في معيشة العامة والسواد الأعظم من أهل القاهرة . وهذا مما جعل الألسنة تلهج في الغالب بالشكر والدعاء له والصدور تكن له ضروب التقدير والاحترام ، وكان هذا التقدير والتبجيل مما دعى السذج من عامة سكان القاهرة إلى الاعتقاد أن المتولي ملك يهبط من السماء ويقف على هذا الباب فيحل المشاكل والعقد . وهكذا انتقل متولي الحسبة من عالم التاريخ إلى عالم الأسطورة ...

شفيق أحمد عبد القادر

طالب بكلية الآداب بجامعة فؤاد



القبـــلة ...

للقصصى الإسبانى (بلاسكو إيبانيز)

بقلم الأديب فؤاد الونداوى

كان فى أحد السجون — ولنغفل ذكر اسمه — مجرم خطر شرس الطبع غليظ القلب فظ الخلق. ومع أن الإنسان لا يأمل أن يجد فى مثل هذه الأماكن أناساً ورعين يشيع الصلاح فى نفوسهم، فإن بين الأربعمائة سجين الذين ضمهم ذلك السجن، كان هذا السجين أكثرهم صلفاً وأشدهم شراسة.

نعته القوم باسم « الذئب » وكان قد قارب الستين من عمره، صرف اثنين وأربعين عاماً منه فى غياهب السجون. فهو منذ شب افتتح حياته بالتنقل من سجن إلى آخر تارة بتهمة السرقة، وطوراً بتهمة القتل وما إلى ذلك من جرائم.

ولئن حاولنا أن نعدد الجرائم التى ارتكبها والآثام التى اقترفها، لشق علينا ذلك. وحسبنا أن نقول بأنه كان قد حكم عليه آخر مرة بالسجن مدة هى أضعاف ما تبقى له فى جعبة الزمن من عمر، فقد كانت جريمته الأخيرة من أفظع الجرائم وأشدها قسوة ووحشية.

كان وحشاً كاسراً يميل إلى الأذى ويجنح إلى الشر لأتفه الأسباب. ولذلك تحاشاه نزلاء السجن ولم يجرؤوا على الإقتراب منه، ولكم ركل غير مرة كل من دنا منه، أو وخزه — على الأقل — بإبرة الحياكة التى لا تفارق يده، فقد كانت حياكة القفافيز مهمته التى تشغله عن كل شيء حواليه.

كان وحشاً ضارياً، وهو فى وحشيته أشد بطشاً من أولئك القتلة المتعطشين لشرب الدماء، الذين يحاكون أشرس الكواسر طبعاً وأفظع السباع فتكا.

ولقد اعتاد « الذئب » أن يمضى الأيام والأسابيع، جالساً فى قاع السجن، منهمكا فى العمل الذى بين يديه، وقد انكب عليه بكليته، فانحنت هامته بعض الشيء من جراء ذلك الإنكباب وكان يكسو رأسه شعر أسود فاحم لم يخطه المشيب، أما لحيته — التى تركها موظفو السجن وشأنها دون قص ولا تهذيب — فقد كانت كثة شمثاء وكانت عيناه مخيفتين يتطاير منهما الشرر، ونظراته مفزعة مرهبة تنذر أبداً بالويل والوعيد.

وكان قوى الجسم — رغماً عن بلوغه العام الستين من حياته — مفتول الساعد، ذا عقل قوى طالما كان مصدراً لرعب الناس وقلقهم

كان دائماً صامتاً ساكناً، لا يتحدث إلى أحد، ولا يشارك السجناء فى فكاهاتهم وهزلهم السافل. وكان صمته هذا يبعث بالمهابة والخوف فى قلوب الجميع، فكان إذا ما رفع بصره وألقى نظره على بعض من حواليه، ازورّ هؤلاء بوجوههم عنه، ورفعوا أبصارهم إلى السقف، كيلا تلتقى عيونهم بنظراته النافذة المرعبة

وحدث أن تقلد إدارة السجن حاكم جديد، تحدث القوم عن صرامته وشدة بأسه، وأوغل البعض فى المبالغة فى وصف حزمه وقساوته، فطفق السجناء يرمقون الذئب بنظرات شزرة ذات مغزى دفين، واسترسلوا فى تمتمة خافتة دون ما داع أو سبب

وكان للحاكم الجديد بنت صغيرة جميلة تدعى « أدورا » لم تتجاوز الخامسة من عمرها. وفى أحد الأيام اصطحبها أبوها إلى السجن، للتفرج على المساجين، وبينا كان أبوها يقوم بتوزيع الأرزاق على المساجين، كانت هى تمرح بينهم غير هيابة ولا وجلة تتحدث إليهم بلباقة ورقة، وتوزع بينهم ابتساماتها العذبة وكلماتها الرقيقة. وكان المسجونون يضحكون لها ويبشون فى وجهها، وكان بعضهم يرجوها فى أن تشفع له عند أبيها، بينما لم يتورع البعض الآخر من تمنيفها بقارص الكلام وفاحش القول

وفى زاوية قصية فى السجن، انتبذ الذئب مكاناً، وقد أسند ظهره إلى الحائط — بعد أن ترك نصف طعامه إلى جانبه مهملا — واستغرق فى الحياكة بسرعة تدير الرأس.

كان رأسه متدلياً إلى أسفل، عندما اتجه إليه الحاكم وابنته ولم يرفعه حتى أصبحا على قيد خطوات منه، فاكتفى بأن حدجهما بنظرة من زاوية عينيه. وهمت الطفلة أن تقترب منه فمنعها أبوها فبادرته قائلة:

— أريد أن أدنو منه وأنظر إليه! فأجابها أبوها بصرامة:

— لا. إنه جد خطر.. إنه مجرم أثيم.. حذار يا بنيتى أن تقتربى منه فقد تصيبك ضربة من يده ...

— أنظر يا أبتى! انظر إليه.. انظر كيف يحدجنا بنظراته أواه إنه يحوك قفازاً كذلك »

— هو يفعل ذلك دائماً.. لقد حذرنى الحاكم السابق منه

وقال إنه شديد الخطر وقد أمضى معظم حياته فى السجون، وله فى هذا السجن ثلاثون عاماً » فشهقت الطفلة وقالت :

— ثلاثون عاماً ؟! أواه ! إنه مسكين ... يا له من مسكين ! »

وما كاد الذئب يسمع كلمة (مسكين) حتى رفع بصره وعلق عينيه بوجه الطفلة دون أن يتوقف عن الحياكة . وأراد الحاكم أن يصرف ابنته عن هذا الموقف ، ولكنها اندفعت فجأة مسرعة نحو الذئب وهى تهتف : إننى ذاهبة لأقبله » ثم أقدمت على ذلك فى الحال ، فاقتربت من الذئب وطبعت على وجهه قبلة بريئة دون اشمئزاز وخاطبته برقة : إليك هذه القبلة ، ولا تكن مجرماً بعد اليوم ! »

وارتاع الذئب من هول هذه المفاجأة الغريبة ، وكاد يصعق ، ولكنه استطاع أن يحبس صوته . فندت من حنجرته آهة تشبه الحشرجة أو هى شبيهة بجرس ذلك الصوت الذى يخرجه الأخرس عندما يحاول الكلام فلا يقدر عليه . وغادر الحاكم وابنته المكان وقبل أن يدركا الباب المؤدى إلى غرفة الحاكم ، التفت المجرم إليهما وشيعهما بنظراته . ومرت الظهيرة وتلتها الأمسية فدلف الذئب إلى زاويته وكأنه وحش يعود إلى وجاره . وتقضت أيام وأعقبتها شهور ، والسجن هادىء لا يوحى مظهره بشىء يسترعى النظر . وفى يوم

وفى يوم من أيام « يوليو » هاج البحر وماج ، فاصطخبت أمواجه وكان يسمع لها دوى هائل وصفير مزعج يصم الآذان فى داخل السجن ، فهاج السجناء وشرعوا يحاكون العاصفة بصخبهم وضجيجهم ، وتعالت أصواتهم تعلن التمرد والاستنكار ، ثم حل وقت الغذاء فأضربوا عن تناول الطعام ... وأخيراً انفجرت الثورة التى حيكت مؤامرتها فى الخفاء ، وارتفعت أصوات الثائرين فى قاع السجن من كل جانب : فليسقط الرؤساء ... فليسقط الحاكم ... » وهب الحاكم مذعوراً ووثب من غرفته كالنمر المصور ، بعد أن أغلق الباب على ابنته لكيلا تلحق به فتتعرض لسوء ، ثم اتجه إلى ساحة السجن ولكنه ما كاد يدخلها حتى اعترض طريقه وجهاً لوجه ثلاثمائة سجين ، كانوا قد تسلحوا بملاعقهم الخشبية بعد أن سنوا أطرافها ، فغدت حادة تبلغ من الأجسام ما تبلغه منها المدى والدبابيس . فشهر الحاكم مسدسه فى وجوههم وأطلق عياراته الستة على المتمردين ، وبينما كانت الرصاصة السادسة والأخيرة تغادر فوهة المسدس ، شاهد غولا حقيقياً مخيفاً ، رجلا أشعث للشعر أغبره كبير الرأس أشبه شىء برأس الدببة ، وهو يناديه بصوت مرتفع : لا تخف ! أنا قادم لنجدتك » .

وأقبل الذئب نحو الحاكم مسرعاً ، فأمسكه من وسطه وقذف به إلى الحائط ، ثم وقف أمامه يحميه بجسمه الضخم من ضربات الثائرين ، وما عتم أن أشهر بيمناه سكيناً لم يعلم أحد من أين أتى به ، وصار يواجه بها الأعداء ويرد ضرباتهم ويطعنهم طعنات نجلا يحسن تصويبها ، فتعدد الصرعى وكثر المصابون وأخيراً خف الحرس لنجدة الحاكم ، وبعد أن انتهى الشغب وساد الهدوء وعادت السكينة وخرج الحاكم سالماً ، سقط الذئب مجندلا على الأرض مثخناً بجراحه ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . فحمله الحرس إلى مخدع الحاكم وأرقدوه على فراش وثير كان أول فراش اضطجع عليه طيلة عمره البائس .. تمدد الذئب هناك وطفق يدير بصره حوله بلهفة ظاهرة كمن يفتقد شيئاً عزيزاً . وظل مستلقياً على الفراش وهو بين الحياة والموت ، حتى مثل الحاكم أمامه ، فقال بصوت خافت يتضوع أسى ، وهو ينظر إلى ملامح الرجل الذى أنقذ حياته بيده : الطفلة ! الطفلة .. وفطن الحاكم إلى قصده ، ثم فكر ملياً فأدرك السبب الذى حمل الذئب على أن يذود عنه بنفسه ويحميه بجسمه . أجل ! إنها القبلة التى دفعته إلى هذا حتماً ! وهرول الحاكم إلى الغرفة التى حبس فيها ابنته ، وقد نسى أن يفتحها بعد انتهاء العاصفة ، فألفى الطفلة تصرخ وتستغيث ، فطوقها بذراعيه وضمها إلى صدره ، وذهب بها إلى الغرفة التى تمدد فيها الذئب وهو يعانى آلام النزع الأخير وكان الذئب يحدق فى الفضاء ، ويرسل نظراته الشاردة ذات اليمين وذات الشمال ؛ إنه لا يزال لديه متسع من الوقت لكى يرى فيه ذلك المخلوق الوحيد الذى حنا عليه ورق له ، لم يزل له من الوقت ما يكفيه لأن يقول لذلك المخلوق المحبوب : أخرى . أجل ! قبلة أخرى ! » رفع الأب ابنته بين ذراعيه ودنا بها من الذئب وسمع الحاضرون صوت قبلة تردد صداها المنغوم فى أرجاء الغرفة . قبلة ملائكية من شفتى طفلة ، طبعتها على ذلك الوجه المغضوض الذى جارت عليه عوادى الدهر وصروف الحدثان ووسمته لمنة المصائب والأهوال بميسمها الذى لا يمحى . وعندما قدم القس ، وأخذ يرتل صلواته أدعيته ، وقد حمل بيديه الزيوت المقدسة ، كان الحاكم والحراس قد جثوا على ركبهم ، أمام الجثة فى خشوع ، وقد غشى المكان صمت رهيب . وكانت الطفلة ترتل — بإيعاز من أبيها — بصوتها العذب الطاهر الحنون : أى أبانا الذى فى السموات .. ليتقدس إسمك وليقدم ملكوتك .. »

فؤاد الهنداوى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٣ – الاثنين ١٩ سبتمبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

« سياسة » أرسطو ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٠٥٥

إعلان حرب ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٠٥٨

حجج تاريخية ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٠٦٠

في العراق الشقيق ... ... : الأستاذ محمد هاشم عطية ... ١٠٦٢

الرسالة الثانية ... ... (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم محمد نجا ١٠٦٤

شىء من الصراحة ... ... : الأستاذ على العمارى ١٠٦٥

حول جدل فى الجامعة . . ... : ١٠٦٧

مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة ... : ١٠٦٩

فى جنح الليل .. .. : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١٠٧١

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : « التيسير » بدار الكتب — كان وأخواتها — موسم الأوبرا والفرق الأجنبية — توصيات المؤتمر فى اللغة العربية ١٠٧٣ – ١٠٧٥

« **الكتب** » : أخى إبراهيم — تأليف الآنسة فدوى طوقان : بقلم الأستاذ إبراهيم محمد نجا ... ... ١٠٧٦ – ١٠٧٧

« **البريد الأدبى** » : تفرعن ، فرعون — أدب العروبة فى الميزان ١٠٧٨

« **القصص** » أحزان غالية : الأستاذ نصرى عطا الله سوس ١٠٨٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٤٣ – الاثنين ١٩ سبتمبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

« سياسة » أرسطو ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٠٥٥
إعلان حرب ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٠٥٨
حجج تاريخية ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٠٦٠
في العراق الشقيق ... ... : الأستاذ محمد هاشم عطية ... ١٠٦٢
الرسالة الثانية ... ... (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم محمد نجا ... ١٠٦٤
شيء من الصراحة ... ... : الأستاذ على العمارى ١٠٦٥
حول جدل في الجامعة . . ... : ١٠٦٧
مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة ... : ١٠٦٩
فى جنح الليل ... . : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١٠٧١
« **الأدب والفن فى أسبوع** » : « التيسير » بدار الكتب — كان وأخواتها — موسم الأوبرا والفرق الأجنبية — توصيات المؤتمر فى اللغة العربية ١٠٧٣ ١٠٧٥
« **الكتب** » : أخي إبراهيم — تأليف الآنسة فدوى طوقان : بقلم الأستاذ إبراهيم محمد نجا ١٠٧٦ ١٠٧٧
« **البريد الأدبي** » : تفرعن ، فرعون — أدب العروبة فى الميزان ١٠٧٨
« **القصص** » أحزان غالية : الأستاذ نصرى عطا الله سوس ١٠٨٠

٢٥ ، ٢٩ .

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 743 | Lundi — 29 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

« سـياسة » أرسطو

للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة تتغير كما يقولون

ولكن « سياسة » أرسطو شيء لا يتغير على الزمن ، لأنها تقوم على عمل عقل كبير ، وقد تتغير النظم ، وتتبدل الدساتير ، وتختلف الحكومات ، ويتفاوت الحاكمون ، ويبقى العقل الإنساني في عمله دراسة صالحة لكل عقل ، وميداناً فسيحاً لكل مشغول بثمرات العقول

وكتاب أرسطو في السياسة هو الكتاب الثالث من كتب هذا الفيلسوف العظيم ، التي زفها إلى المكتبة العربية رائد السياسة الديمقراطية في هذا الجيل ، وأستاذ كتاب مصر في مطلع القرن العشرين ، العلامة العامل في شبابه وشيخوخته ، صاحب المعالي أحمد لطفي السيد باشا ، مد الله في عمره ، وهيأ له من الوقت والصحة ما يعينه على إتمام عمله والاحتفاظ بهمته وجهده

ولا وجه للمقابلة بين مترجمات أرسطو إلى العربية من قبل ومترجماته إليها على يد العلامة الجليل

لأن ما ترجم من أرسطو إلى العربية قبل اليوم إنما هو مقتبسات أو مرويّات في حكم المقتبسات ، تصرّف في نقلها إلى هذه اللغة أناس مشكوك في علمهم باليونانية ، مقطوع بجهلهم لأسرار العربية ، منصرفون إلى غير الفلسفة أو قاصرون عن التوفر عليها ، فلولا فطنة فلاسفة الإسلام ، أو اطلاعهم على أرسطو في لغته الأصيلة ، لما وصل إلينا من فلسفة أرسطو هذا النصيب الذي سجلته الثقافة العالمية لثقافة العرب والإسلام .

أما هذه الكتب الثلاثة التي ترجمها الأستاذ الجليل — وهي كتاب الأخلاق ، وكتاب الكون والفساد ، وكتاب السياسة فهي أول شيء يسمى ترجمة للمعلم الأول بمعنى الترجمة الصحيح ، وهي تعريف لقراء العربية بهذا الفيلسوف يضارع ما تهيأ للأمم الأوربية من العلم به في مجال هذه الدراسات . لأنه تعريف يجمع الشمول إلى التدقيق من جانب المترجم الكبير ، ويؤلف ما تفرق من المقتبسات والمرويات فيقيمها بنية كاملة ، تحيا بأعضائها ، ولا تخفى بأشلائها ، بين الصحائف والأضابير .

وقد اعتمد لطفي باشا في نقل كتاب السياسة ، كما اعتمد في نقل الكتابين الآخرين ، على ترجمة « بارتلمي سانتهيلير » أستاذ الفلسفة في « كوليج دى فرانس » ووزير الخارجية الفرنسية في وقت من الأوقات ، واعتمد كذلك على مقدمته فنقلها بجملتها ولم يشأ أن يضيف شيئاً إليها من عنده ، وهي في اعتقادنا تستدعي الإضافة إليها لسببين : أحدهما أن « سانتهيلير » قد ذكر في مقدمته أن رجل الفكر لا يتجرد كل التجرد من أحوال زمانه وبيئة قومه ، وكان هو نفسه مصداقاً ظاهراً لصحة هذا الرأي الذي لا شك فيه ، فكان فرنسيا قبل كل شيء في

تدليله وإدلاله بقسط الأمة الفرنسية من ترقية المعارف السياسية والنظم الحكومية. مع أنه قنع بالقليل من حوادث عصر أرسطو التي لها مساس بشخصه وتوجيه ذهنه وشعوره، فلم يذكر منها الكثير الذي لا غنى للقارئ عن ذكره في هذا المقام.

والسبب الثاني الذي كان يطمعنا في مقدمة للكتاب بقلم علامتنا الجليل أن العربية لها كلمة تقال في فلسفة أرسطو على الإجمال، لأنها شغلت العرب زماناً طويلا وشغلوا بها أبناء الأمم الأخرى زماناً أطول. وليس أحق من لطفي باشا بأن يقول هذه الكلمة، وهو يحيي عهد أرسطو في الشرق العربي من جديد، ويتكلم باسم جامعة مصر التي تولاها في صباها، وباسم النهضة الفكرية التي سايرها منذ نشأتها الأولى.

ويبدو لنا أن الأستاذ الجليل قد حرص غاية الحرص على نصوص الترجمة الفرنسية، فأتى بها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة في تركيب أسلوبها وترتيب جملها، ولم يسوغ لنفسه أن ينقل الكلمات والمعاني إلى الأسلوب المعهود في كلام العرب، محافظة منه على الأصل الفرنسي في لفظه ومعناه.

مثال ذلك قوله: «وعنده أن كائناً لا يخصص إلا لغرض واحد. لأن الأدوات تكون أكمل كلما صلحت لا لاستعمالات متعددة، بل لاستعمال واحد. وعند المتوحشين المرأة والعبد هما كائنان من طبقة واحدة. والسبب في ذلك بسيط، وهو أن الطبع لم يجعل بينهم ألبتة من كائن للآمرة. فليس فيهم حقاً إلا من عبد ومن أمة. ولم ينخدع الشعراء إذ يقولون: أجل للاغريقي على المتوحش حق الآمرة ...»

ومثال قوله في المقدمة: «فقد استطاع أن يجد بين تخالف الخلق الأدبي للناس وبين تخالف أنواع الحكومات المشابهات الأظهر ما يكون والأحق ما يكون ...»

وتقاس على ذلك أمثلة كثيرة في سائر فصول الكتاب

والذي نلاحظه أنه لم تكن ثمة ضرورة لالتزام النص الحرفي في ترجمة سانتهيلير لأن الكتاب إغريقي في لغته الأولى، ولأنه هو نفسه لم يلتزم نص الكتاب الإغريقي إذا صح ما تأدينا إليه من معارضة الترجمة على الترجمات الإنجليزية المختلفة. فقد حذف بعض الكلمات من أوائل الفصول، ونقل بعضها على غير معناه الذي يدل عليه السياق. ومن ذلك مثلا أن الترجمة العربية تقول عن الرجل والمرأة:

«... من الضروري اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر، أريد أن أقول اجتماع الجنسين للتناسل، ليس في هذا شيء من التحكم»

ولا أثر لكلمة التحكم في ترجمة من الترجمات الإنجليزية الثلاث، فباركر — عمدة المترجمين — يترجمها بالقصد intention ووليام أليس يترجمها بالاختيار Choice وجويت يترجمها بالغرض Purpose وبين هذه المعاني جميعاً وبين معنى التحكم فرق في الدلالة له شأنه في كتاب عن الحكم والحكومات

وقد ترجمت السيادة التي تفرض للاغريقي على البربري بالآمرة. وهي في تقديرنا لا تؤدي المعنى الذي ذهب إليه أرسطو حين أراد أن يكون الحاكم إماماً أو زعيما للاغريق وسيداً للفرس والبرابرة. فإن علاقة الآمرة هي علاقة آمر بأمور، وهي قد توجد بين الإمام والمأموم وبين الزعيم وتابعيه، وهي غير العلاقة بين السيد والمسود

ومن خطأ الطبع فيما نظن ما ورد في الصفحة الثالثة والتسعين عن سكا كين ولف، وهي السكاكين الدلفية كما هو معلوم.

كذلك نظن — من مقابلة الترجمة العربية — أن سانتهيلير لم يلتزم الحرفية في التفرقة بين معاني المدل المختلفة في الكتاب، وهي معاني الأنصاف أو القسط والعدل والناموس فيما نؤثر لها من ترجمة قياساً على النسخ الإنجليزية، وتقابل في اليونانية Dike و diakasterion و Nomos على ما جاء في الترجمات الإنجليزية التي أسلفنا الإشارة إليها

* * *

فإذا صح ما قدرناه من التزام النسخة العربية لنصوص سانتهيلير، فقد كان الأستاذ الجليل في حل من هذا الالتزام، وفي حل من التقيد بترجمة واحدة في اللغة الفرنسية، وهي على ما نعتقد قد اتسمت لغيرها من الترجمات

على أن هذا التصرف كله لا يحجب عنك معالم أرسطو الواضحة من عبارات الترجمة الفرنسية كما نقلت إلى اللغة العربية، فيخرج منها القارئ في غير شك وهو يشعر أنه قد تابع أرسطو في تفكيره ومنهجه وتفصيل معناه في جميع ما توخاه.

ونلاحظ غير ما تقدم أن اسماً واحداً قد يترجم بلفظين ، كترجمة « برسيا » بإران فى الصفحة الخامسة والعشرين ، وترجمتها بفارس أو الفرس فى مواضع أخرى من الكتاب ، وهى الترجمة الصحيحة لما كان متداولا على ألسنة الإغريق من تسمية الفرس الأقدمين .

***

وقد يسأل سائل : ما لنا وسياسة أرسطو اليوم وقد طرأ علينا فى العصور المتتالية من حوادث الأمم وضروب الحكم وعبر التاريخ ما لم يكن يخطر لفلاسفة اليونان ، ولا لفيلسوف فى الزمن القديم ، على بال !

وقد يقال فى جواب ذلك أن الزمن — فى الواقع — لم يغير كثيراً من جوهر الآراء التى أثبتها أرسطو فى كلامه على طبائع الشعوب وما يلائمها من الحكام والدساتير ، ولم يغير كثيراً من جوهر القواعد التى بنى عليها تخريجاته فى التفرقة بين أنواع الحكومات أو وظائف السلطات أو أسباب الثورات ، وأن قيمة الكتاب التاريخية لا يتطرق إليها الشك إذا جاز الشك فى قيمته السياسية عند تطبيقه على الوضع الحديث .

ولكننا ندع هذا الجواب ونستغنى عنه لأننا نستطيع أن نقول مقالا لا تكثر اللجاجة فيه ، وذاك أننا ها هنا أمام ظاهرة عقلية يقل نظيرها فى تواريخ بنى الإنسان ، وأن علماء اليوم وعلماء الغد إلى آخر الزمان ، لا يستكثرون شد الرحال إلى أقصى المعمور ليدرسوا طبيعة حشرة من هوام الأرض ، ويستكنهوا حقيقة كائن حى من أحقر الكائنات ، فلو مضى القياس على هذا لما كان كثيراً على إنسان أن ينطلق إلى المريخ ليرى عقل أرسطو يتحرك فى دخيلة عمله ويسلك سبيله إلى أسرار الحقائق فيبلغ منها غاية ما ترتقى إليه عقول البشر جميعاً ، وهو فى زمانه لا يتلق معونة ما من أدوات البحث الحديثة ، ولا يعتمد على ركن ما من أركان العلم الحديث .

وأى عقل هو عقل أرسطو هذا الذى نراه فى دخيلة عمله وحركة تفكيره وبحثه ؟ هو عقل لا يفاق عليه إن لم يكن هو أكبر العقول .

ليس بالكثير على كشف خبايا هذا العقل أن نرحل إلى المريخ لنظفر بسره ، لو كلفنا الكشف عنه هذه الرحلة ، واستطعنا قضاء هذا التكليف .

وعلامتنا الكبير لم يكلفنا بحمد الله الذهاب إلى المريخ ، ولا الذهاب حتى إلى أرض يونان وهى فى العدوة الأخرى من بحر الروم !.. بل حمل إلينا هذه الذخيرة قريبة منا ناطقة بلساننا ، مهيأة لأفهامنا ، فأهون ما تستحقه من جهد أن نطلع عليها ونستزيده منها ، ونرجو له دوام القدرة على إمداد هذه اللغة بقية هذا الكنز الثمين ، لأنه كنز لم تخل من ذخائره كلها — غير لغتنا العربية — لغة من لغات الحضارة فى هذا الجيل .

عباس محمود العقاد

إعـــلان حرب !

الأستـــاذ علي الطنطاوي

كانت برهة ما بين الحربين ، امتحاناً لنا ، معشر العرب ، واختباراً لعزائمنا ، وقد خرجنا من هذه المحنة ناجحين مظفرين وأثبتنا أننا لم نضع إرث الجدود ، ولم نفقد عزة الإسلام ، وأنه لا يزال فى عروقنا دم الأجداد ، ولا تزال فى قلوبنا عزائمهم وأرينا الدنيا كلها أن استماتة المحق تغلب قوة المبطل ، حين حاربنا ونحن شعوب عزل جيوش الدول التى انتصرت فى الحرب الأولى وسكرت بخمرة الظفر ، وحسبت أنها شاركت الله فى ملكه ، وزاحمته على سلطانه ، فقابلتها شراذم منا ، مالها سلاح إلا سلاح الحق وما تنتزعه أيدى عدوها ، وثبتت لها وأرهقتها عسراً من أمرها ، حتى لانت لها ، أو نزلت على مطالبها : حاربنا الإنكليز فى شوارع مصر ، وفى سهول العراق ، وفى ربوع فلسطين ، وحاربنا الفرنسيين فى جنان دمشق ، ورحاب حماة ، وشماف الجبل وحاربنا فرنسا وأسبانيا معاً فى سوح الريف الأقصى ، وحاربنا الطليان فى طرابلس ، وثرنا على الغاصب فى كل بقعة من أرض العرب ، وما خليناه ليلة من إزعاج ، ولا أرحناه ساعة واحدة ، ولكن كنا نحارب شعوباً لا حكومات ، أما حكوماتنا فكانت علينا مع عدوها وعدونا ، حتى استقر فى أفهام الشعب أن حكومته خصم له ، وحتى صرنا فى الشام إذا أثرنا ثورة أو سيّرنا مظاهرة ، أعملنا سلاحنا فى إخواننا من رجال الشرطة ، كما نعمله فى خصومنا من الفرنسيين ومن كان يناصرهم علينا وقت الثورة من المغاربة والشراكسة والأرمن والسنغاليين ، وحتى كدنا نفقد على طول المدى ، توقير الأنظمة ، وتقديس القوانين ، لأنها من عمل الأجنبى وعمل عبيده ، لا يضعونها إلا لمصالحهم ، وضمان منافعهم إلى أن كان حادث مايو سنة ١٩٤٥ وجُنّ الفرنسيون الجنة الكبرى فأبوا إلا أن يظهروا ديمقراطيتهم ... وعدالتهم ... ومبادىء ثورتهم ... دفعة واحدة ، فضربوا المدينة الآمنة بقنابل الطيارات ، وقذائف المدافع ، من القلاع المنصوبات على الجبال ورموا بالنار ، الأطفال فى المدارس ، والمرضى فى المشافى ، والمحبوسين فى السجون ، وأحرقوا البيوت وهدوها على أهلها ، وقتلوا رجال مصلحة الإطفاء الذين جاؤوا ليطفئوها ، وفعلوا كل ما يليق بحضارتهم وتاريخهم وأمجادهم . . ولا ينتظر غيره منهم .

هنالك رأينا ، أول مرة ، رجال الشرطة والدرك يقاتلون معنا ويدافعون عنا ، ورأينا الرؤساء والوزراء فى صفنا ، يحملون ما حملنا ، وينالهم ما نالنا ، فذكرنا ، وقد طالما نسينا ، أنهم إخواننا ، وأنهم منا .

ولبثنا من ذلك اليوم ، نرى الأدلة متتابعة متتالية ، على أننا قد استقللنا ، ونزح العدو عنا ، وجلا عن أرضنا ، وصار حكامنه منا ، لا أقول إن الحكومات قد صلحت حتى ما نجد لها فساداً ولا نلقى منها ضرراً ، كلا ، ولا خلص رجالها من أوضار هذا الماضى ، ولا أزالوا آثاره ، ولا يمكن أن تزول فى أربع سنين وقد لبث الغاصبون وأعوانهم ، يثبتونها ويبنونها ، دائبين على بنائها عاملين على تثبيتها ، خمساً وعشرين سنة ، ولكن أقول ، أننا (أخذنا) ننزع من نفوسنا تلك الصورة السوداء للحكومة ونغسل عنها صبغة العداوة التى كنا نراها مصبوغة بها ، ونعيد إلى أفهامنا توقير الأنظمة والقوانين ، لأنها (بدأت) تصير من صنع أيدينا ، و(شرع) واضعوها يفكرون فى وضعها لمنفعتنا ، وضمان مصلحتنا ، لا لمنفعة الوزراء الحاكمين ، ولا لمصلحة الغرباء الغاصبين

ثم تتالت الآيات والدلائل ، وكانت جامعة دول العرب ، وكانت المقاطعة القانونية للصهيونيين ، وكان اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم ، وكانت رحلة النقراشى إلى أمريكا ، وقوله فيها ما أجمعت الكلمة على أنه لا يقول أكثر منه خطيب متحمس ، ولا مؤرخ حكيم ، ووجد فيه كل مصرى ترجماناً عن أفكاره ، ومعبراً عن مقاصده ، وكان موقف فارس الخورى من قضية مصر ، موقفاً سر كل عربى فى الدنيا ، وكانت فتنة سوريه الكبرى ، وكان رأى الحاكمين فى الشام والمحكومين جميعاً ، ورأى الدول العربية كلها (إلا مملكة الأردن) واحداً فيها ، ثم كان هذا الحادث المظيم الذى عقدت له هذا المقال ، والذى سيعقد عليه فى تاريخ العرب ، فصل مترع بالفضائل والأمجاد ، والذى سيكون مولد (الشرق الجديد) كما كانت هذه الحرب الماضية مصرع (العرب العتيق) ... والأيام دول والدهر

ميزان ، فما ترجح كفة إلا لتطيش ، وما يرتفع طائر إلا ليهبط ولقد أشرقت من الشرق شمس الحضارة ، من مصر وبابل والشام ، ثم مالت إلى الغرب ، إلى يونان وروما ، ثم عادت تطلع من الشرق مرة ثانية ، من المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة ، ثم مالت إلى باريس وبرلين ولندن ، وهذا يوم ثالث ، قد أوشكت أن تشرق شمسه على هذا الشرق ، فينفض عنه غبار المنام ، ويهب .. لقد انقضى الليل ، وأذن المؤذن من ذرى لبنان ... من اللجنة السياسية للدول العربية ، التي قرر فيها رجال مسؤولون ، لا أدباء متحمسون ، وأعلنوا بلسان حكوماتهم ، إنهم سيحلون عقدة فلسطين ومصر ، كما حل الإسكندر عقدته المشهورة : بالسيف !

هذا هو الحادث العظيم ، وقد قرأ القراء تفصيله في الصحف فما أعيده عليهم ... وهذا أول الجد ، وهـــذا الذي كنا نتمنى بعضه فلا نصل إليه ، ونطلبه فلا نجده ، وهذا الدليل على أننا استقللنا ، وعلى أن حكوماتنا منا وإلينا ، وأنها تنطق بألسنتنا ، وأن هواها هوانا ، وأنه لم يبق في رجالها من يصانع عدواً ، أو يخافه ، أو يتزلف إليه . وأن جيوشنا لنا ، تسالم من سالمنا ، وتعادي من عادينا ، وتذود عن بلادنا ، وكل بلد عربي بلد العرب كلهم ، وكل عدو له عدو لهم ، وكل قضية له قضية لهم .

***

إننا نغفر لحكوماتنا ، بهذا الموقف ، كل ما لقينا منها في السنين الخوالي ، ونعده إسلاماً منها بعد كفر ، والإسلام يجب ما قبله ، فليحسن إسلامها ، ولا يكن كلمة تقال باللسان : إنها قد أعلنت الحرب في الخارج ، فلتعلنها في الداخل ، لتمنع المدد عن عدوها ، فما في الدنيا عاقل يحارب عدواً ويدفع إليه ماله ليقوى به على نفسه ، وولده ليربيه على كرهه ، ولتبحث عن الثغور التي تذهب منها أموالنا إليهم ، فتسدها . بالمقاطعة الاقتصادية ، لا بإلقاء المواعظ للترغيب فيها ، والخطب للحث عليها ، لا ، فهذا كلام فارغ ، ولكن بالقوانين الصارمة ، والعقوبات الشديدة ، كما حرمت معاملة الصهيونيين بقانون ، وحدت لهـا الحدود الرادعة ، والعقوبات المانعة .

وبذلك ترتقي صناعتنا ، وتجود أخلاقنا ، لأننا سنصنع ما نستطيع صنعه مما نفقده بالمقاطعة ، ونصبر عن باقيه ، وقد صبرنا مدة الحرب عن كثير من الضروري ، وتصبر إنكلترا اليوم عن الخبز المشبع في سبيل وطنها ، ولا تقول شيئاً ، فهلا في مثل هذا قلدناها ؟

على أن في بلادنا (أعني في بلاد العرب) كل ضروري ، ولا نفقد بهذه المقاطعة إلا قليلا من وسائل الترف ، مما يضر ولا ينفع .

ولتضع الحكومات العربية القوانين الصريحة بإغلاق كل مدرسة أجنبية ، إنكليزية أو فرنسية أو أمريكية ، وإلا ذهب عملنا هباء ، وكان عبثا ، وأخرجت هـذه المدارس من أبنائنا أعداء لنا ، وأعواناً لعدونا ، كما وقع في الشام ، حين تولى ضرب دمشق رجل عربي أبوه شيخ ، اسمه علاء الدين الامام ، عليه لعنة الله

فإذا صنعت ذلك كان علينا ، أن نعلن الهدنة بيننا وبينها ، ونكف في هذه الأيام عن معارضتها ، لنتعاون جميعاً على حرب عدونا وعدوها ، وكان على كل شاب في بلاد العرب كلها ، وكل شيخ ، وكل امرأة ، أن يعلم أنه جندي في هذه الجبهة وأنه يجب عليه أن يعمل فيها شيئاً : يمشي إلى القتال ، إذا جدّ الجدّ ، وجاءت ساعة القتال ، وكان قوياً قادراً ، أو يبذل الفضل الزائد من ماله إذا كان من أصحاب المال ، أو يحارب بقلمه وبلسانه ، إذا كان من أصحاب الألسنة والأقلام ، وعلى كل واحد منا ، وعلى كل واحدة ، أن يحرم على نفسه كل شيء أجنبي ، فلا يأكله إن كان مأكولا ، ولا يشربه إن كان مشروباً ، ولا يمسه إن كان طيباً ، ولا يلبسه إن كان ثوباً ، ولا يقرؤه إن كان كلاماً ، ما لم يكن علماً خالصاً ، أو أدباً إنسانياً صرفاً ، ولا يتداوى به إن كان عقاراً ، ما لم يكن مضطراً إليه ولا يجد مايسد مسدّه ، ولا يرسل ابنه إلى مدرسة أجنبية ، ولا يدعه يذهب في السياسة والاقتصاد مذهباً أجنبياً ، وأن نمحو أسماءهم من شوارعنا وميادينا ، ونطمس ذكرهم من مدارسنا وبرامجنا ، إلا ببيان حقائقهم ، وهتك السُتر الخادعة عنهم ، وأن نداوي نفوسنا من هذا السل القاتل الذي هو احتقار نفوسنا ، وتعظيم الغربيين ، وأخذ كل ما يأتي منهم أخذ الضعيف ، وأن نوقن أننا أقوياء حقاً ، أقوياء بماضينا

ورثة فلسطين :

وأمجادنا ، وبما تركنا فى الدنيا من أثرخيّر نبيل ، وأقوياء بعَددنا وبعزائمنا ، وبأن الحق معنا ، وأن البلاد بلادنا ، وأن فلسطين لنا ، لن يغلبنا عليها ، (شحاد) صهيونى ، ولا محتال انكليزى ، ولا لص أميركى ، لا والله ولا الجن ولا العفاريت ، إننا والله سنمضى إليها على كل سيارة وكل قطار وكل دابة ، ونمشى على أقدامنا إن عز الظهر ، ونملأ إليها كل طريق ، ونسلك إليها كل سبيل ، حتى نترعها رجالا ، إن أعوزهم السلاح ، فما يعوزهم النبل ولا الإقدام ، رجالا لا يحبون الحياة الذليلة ، ولا يهابون الموت الشريف ، ولا يتزحزحون ولا يريمون ، ما دام فى صدورهم قلوب تخفق ، وفى صدوهم نَـفَـس يطلع وينزل .

***

فيا أيها الحاكون ، يا من صرخوا من قم لبنان هذه الصرخة المدوية ، اثبتوا واعلنوا الحرب ، إذا لم تعطوا الحق إلا بالحرب : حرب الكلام وحرب المال وحرب الدم والسنان ، وسيّروا جيوشكم ، فنحن وراءكم ، ونحن أمامكم ، ونحن معكم ، ما نحن للجزيرة ، ولا نحن لهذا الماضى ، ولا نحن لمحمد ، إن وقفنا أو ارتددنا ، حتى نطهر فلسطين من كل رجس صهيونى ونطهر من أنجاس الاستعمار كل بلاد العرب ، ونعيد الحضارة والعزة إلى الشرق ، على رغم أنف الظالمين !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

حجج تاريخية

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن حضرة الدكتور جواد على أن أعلق شيئاً على مقاله القيم فى عدد ١٥ سبتمبر من الرسالة تعليقاً يضيف حججاً إلى الحجج التاريخية ضد ميراث اليهود من فلسطين .

ذكر حضرة الدكتور « أن أسفار التوراة الخمسة الأولى المنسوبة لموسى نزلت على موسى إذ لم يكن موسى قد دخل فلسطين أى أنها نزلت خارج الأرض المقدسة » . طبعاً لأن موسى لم يدخل الأرض المقدسة أرض الميعاد مع شعبه الإسرائيليين الخارجين من أرض مصر . بل مات وهو يشرف على تلك الأرض التى تدر لبناً وعسلا ولم يدخلها مع شعبه لأن الله أبى عليه دخولها لذنب أتاه .

والحقيقة أن موسى لم يكتب حرفاً واحداً من هذه الأسفار الخمسة وإن كانت تنسب إليه . بل كتبت بعد رجوع بنى إسرائيل من سبى السبعين سنة فى بابل . فقد سباهم نبوخذ ناصر سبياً جارفاً سنة ٥٨٦ قبل المسيح . فبقوا فى بابل سبعين سنة واطلع حكاؤهم الأسلاف والخلفاء منهم على أساطير أشور وبابل وشرائع البابليين والأشوريين ولا سيما شريعة حورابى العربى الذى فتح ما بين النهرين وحكمه هو وخلفاؤه نحو قرن من الزمن .

ولما فتح كورش الفارسى ما بين النهرين أطلق سراح اليهود فعادوا إلى البلاد التى سُبوا منها وشرع حكاؤهم (حاخاماتهم) يكتبون تاريخ قومهم وأساطيرهم وشرائعهم ممتزجة بأساطير بابل وأشور بل ممسوخة منها . وإذا قارنت الشريعتين الحورابيـة والإسرائيلية كما هى فى سـفر تثنية الاشتراع لا تجد إلا فرقاً قليلا بينهما .

وكان موسى قد خرج بشعبه من أرض مصر سنة ١٢٥٠ قبل المسيح فبين الخروج من مصر والعودة من سبى بابل نحو ٧٣٤ سنة . وفى هذه الأثناء لم يكتب حرف واحد من التوراة لأن الكتابة الهجائية لم يكن الفينيقيون قد استنبطوها بعد أو أنها لم تكن قد شاعت فى اللغات السامية أو الآرامية بل كانت الكتابة السامية مقصورة على رسوم الأشياء المراد التعبير عنها كرسم رجل للرجل والعين للعين . وهذه الكتابة مقتصرة على النقش فى الألواح الحجرية أو الآجر المشوى . وهذه لا تحتمل كتابات التواريخ والشرائع المطولة .

وإذا طالعنا أساطير البابليين وتاريخهم القديم وجدنا تشابهاً كلياً بين تلك الأساطير وقصـة التكوين فى التوراة وقصة الطوفان وغيرهما ، الأمر الذى يؤكد لنا أن حكماء اليهود اقتبسوا كثيراً من البابليين وزجوه فيما كان أسلافهم يتناقلونه من تاريخهم وأساطيرهم . حتى أن قصـة الخليقة فى سفر التكوين واردة

مرتين متواليتين فى الأصحاحين الأولين بأسلوبين مختلفين الأمر الذى يدل على أنهما أخذا من مصدرين مختلفين .

هذا من حيث نزول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى . وما نسبت إليه إلا لأنه كان زعيم القوم الأكبر الذى قادهم من أرض مصر فى برية سينا نحو ٤٠ سنة إلى أرض كنعان حيث كان يمنيهم بأسلاب الكنعانيين وبطردهم من بلادهم وامتلاك أرضهم وماشيتهم وأثاثهم كما علّم الاسرائيليات قبل الخروج من مصر أن يستلفوا حِليّ المصريات قبل الهرب . كذا كانت تعاليم موسى لشعبه — أنه يحل لهم مال كل أجنبى عنهم لأنهم شعب الله الخاص حسب تعليمه .

أما أن اليهود ورثة فلسطين فمسألة لا تحتاج إلى كثير تحقيق فإن مجموع ما أقامه اليهود فى المنطقة التى كانت قديماً تسمى فلسطين (وهى القسم الغربى من جنوبى فلسطين الحديثة) لم يزد عن ثلاثة قرون . وفيما سوى ذلك كانوا مشردين فى الشرق والغرب بسبب فتوحات الدول المحيطة بهم من كل ناحية . وقد هاجر بعضهم عن طريق آسيا الصغرى إلى أوروبا وبعضهم هاجروا عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى نواح مختلفة . وتغلغلوا فى أوروبا التى كانت فى تلك الأزمان وثنية تعبد الأصنام المنحوتة . فلما اختلطوا بأولئك الأقوام وعرّفوهم بديانتهم رأى عقلاء الوثنيين وحكماؤهم أن ديانة اليهود معقولة أكثر جداً من ديانتهم لأنهم فهموا أن إله اليهود شخصية حية غير منظورة وليس صنما منحوتاً من جمادهم ينحتونه . فتهوّد كثير منهم فى جميع أنحاء أوروبا وغربى آسيا . ولما جاءت النصرانية اكتسحت الوثنية ولم تكتسح اليهودية اكتساحاً مطلقاً لأنها مستندة إلى نبوآتها .

فجميع اليهود الذين فى أوروبا وغربى آسيا هم من السلالات الآرية وليس فيهم قطرة من السلالات السامية . هم آريون أكثر من هتلر وكان بولس الرسول مؤسس النصرانية يهودياً إغريقياً من أثينا . يدل على آريتهم بياض بشرتهم الناصع وصفرة شعورهم وزرقة عيونهم خلافاً للساميين الممتازين بسمرتهم وسواد أحداقهم وسواد شعورهم . فما يهود أوروبا من ورثة فلسطين بتاتاً .

أما ورثة فلسطين القديمة والحديثة الحقيقيون فهم سكانها الحاليون الذين كان بعضهم يهوداً والكنعانيون والحيثيون والجزريون والفلسطينيون القدماء والصيدونيون وغيرهم من عبدة البعل ، فلما جاءت النصرانية تنصر معظمهم من يهود ووثنيين . ثم جاء الاسلام فأسلم معظمهم واستمروا كلهم . هؤلاء القيمون الآن فى فلسطين الحديثة هم أهلها وورثتها . وأما اليهود المهاجرون من أوروبا وغيرها إلى فلسطين الكبرى التى نشأت من بعد الحرب الكبرى الماضية فليس لهم قلامة ظفر فيها . هم غرباء عنها ودخلاء فيها .

وقد استدل علماء اليهود من التوراة والتلمود أنهم لا يمكن أن يرجعوا إلى أرض آبائهم ما لم يجدوا تابوت العهد المفقود . ذلك أنه لما غزا نبوخذ ناصر أورشليم أسرع أشعيا وأخذ جميع محتويات الهيكل وخبأها فى بعض مغاور جبل نبو جنوبى أورشليم وكان تابوت العهد أهم تلك الكنوز لأنه يحتوى على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله أو بالأحرى يهوه رب الجنود (كما تسميه التوراة) وصاياه العشر بأصبعه .

ولذلك جاءت بعثة أثرية يهودية من أميركا بعد الحرب السابقة إلى فلسطين وجعلت تنقب فى مغاور جبال بنو عيسى أن تعثر على تابوت العهد الذى لو وجدوه لكان أعظم أثر تاريخى . ولكنهم بعد تنقيب طويل شاق لم يجدوه فيئسوا وعادوا بخفى حنين . لذلك لا يحق لهم أن يعودوا إلى أورشليم لأنهم لم يحققوا وعد التلمود أو التوراة . ولن يعودوا .

ليتهم وجدوا ذلك التابوت لكنا نتمتع برؤية خط الله على اللوحين الحجريين وآثار أصبعه الكريمة ... وكنا نعرف بأى حرف كان الله يكتب .. وأية لغة كان يهوه رب الجنود يكلم موسى أبالعبرية كما يدعى اليهود أم بالسريانية كما يدعى بعض النصارى — حقاً إنه لأثر تاريخى عظيم . لو وجد !

نقولا الحداد

في العراق الشـــــقيق

للأســـــتاذ محمد هاشم عطية
أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين العالية ببغداد

لا شك أن معظم المصريين لا يعرفون شيئاً يذكر عن التقدم الاجتماعي في هذه البلاد الشقيقة التي استطاعت في مدى قصير من الزمن أن تصل إلى درجة من النهوض لا ينبغي الاقتصار في تقدير قيمتها على ما ينشره بعض الصحف المصرية من التعليقات التي لا تكاد تعبر عن الحقيقة الراهنة لما أصبح يتمتع به ذلك القطر الشقيق من نمو متواصل في أكثر مرافق الحياة ولقد كنت منذ عدة سنين أتوق إلى زيارة العراق رغبة في الوقوف على ما عسى أن يكون باقياً من آثارها التي طالما قرأنا عنها في كتب الأوائل خلال تلك العهود الزاهرة من خلافة العباسيين في بغداد ومن المحقق أن كثيراً من الكتاب والمؤلفين في مصر وغيرها من البلاد العربية مدين إلى حد غير قليل لما أخرجته المطابع في مستهل هذا القرن من ذخائر العربية ونفائسها في الأدب والشعر لمؤلفين وشعراء عاشوا في بغداد وغيرها من المدن العراقية في تلك الأزمان البعيدة وأن أساتذة هذه المدرسة القديمة كانوا أئمة العالم الحديث في البلاد العربية وحتى في غيرها من البلاد المتمدنة في أوقات مختلفة ، ومن هنا كان ما تصنعه العراق اليوم من رغبتها في الاستعانة بمصر واستقدامها لكثير من كبار الأساتذة المصريين لتنظيم نهضتها الثقافية على نحو ملائم لما يتبع من المناهج والأساليب الدراسية في مصر هو بمثابة استقضائها لدين قديم للسلف من أبنائها في أعناق مصر الحديثة وغيرها من بلاد الشرق العربي ومن الظواهر البـــارزة التي تشاهد دائما في الأوساط الراقية والمجتمعات المختلفة ما يبديه العراقيون من حبهم لمصر وشدة تعلقهم بمحاكاتها في كل ما بلغته من أسباب النظام والتقدم . ولا تكاد تختلف مناهج الدراسة العالية والمتوسطة عن أمثالهــا في مصر إلا في بعض مسائل خاصة بمــــا تقتضيه حالة الإقليم من ناحية القوانين الضرورية للبلاد وأكثر الكتب المقررة للدراسة الثانوية والمتوسطة هناك مقتبسة من الكتب المقررة في المدارس المصرية أو مشابهة لها ولا تختلف عنها إلا في العناية بتدريس تاريخ العراق القديم وأدبها الحديث الذي يمتد من الوقت الحاضر إلى نحو ثلثمائة سنة أما المدارس والمعاهد العالية من الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة ودور المعلمين العالية والمتوسطة فيشترك فيها الطلبة والطالبات غالباً وعليها إقبال شديد أدى في العام الماضي إلى استقالة عميد إحدى الكليات لعجزه عن مقاومة الضغط الشديد على كليته وتحققه من عدم كفاية بنايات الكلية على سعتها لمواجهة هذه الحالة بما يضمن انتظام سير العمل في الكلية وفي هذا العام سيضعون مشروع الجامعة العراقية موضع التنفيذ وإن كان العمل جارياً في المعاهد الفنية والكليات العالية على غرار الأنظمة الجامعية على السواء ويلاحظ أن الطلاب والطالبات يهتمون بالتحصيل والمذاكرة من أول أيام الدراسة ولا يشغلهم في الغالب عن ذلك شيء فليس لهم موسم للمذاكرة يبـدأ في شهر أبريل على أحسن التقديرات ، ولذا يظن أن نهضتهم الثقافية ستبكر كثيراً عن الموعد المنتظر لها ومما هو جدير بالذكر أن القوانين العراقية تحرم على الأجانب بلا استثناء أن يتمتعوا بالإقامة الدائمة في البلاد ولذلك لا تكاد تمتر في الأراضي العراقية بصقلي ولا رومي من أولئك الأشتات والأجناس المختلفة وهي بالضرورة تحرم على كل أجنبي أن يتملك شبراً من أرض عراقية ولا يسمحون لرءوس الأموال الأجنبية أن تغزو بلادهم ويرون أن تسير نهضتهم الاجتماعيـة معتمدة على كفايتهم الخاصـة ومقدرتهم الحاضرة متريثة بطيئة تنضج مع الزمن خير من أن تتحكم فيها الأيدي الأجنبية برءوس أموالها التي يعتبرون دخولها إلى بلادهم تنازلا تدريجياً عن التحكم في مواردهم وثروتهم والقضاء على كل مشروع من شأنه ترقية مرافق الدولة وإعدادها لحياة طليقة من سيطرة الأجنبي كما هو الشأن في غير العراق من الأقطار الكبرى في البلاد الشرقية

ولقد شاهدت أن العراقيين يشعرون شعوراً تاماً بشدة الحاجة إلى رفع مستوى الحياة العامة في بلادهم فهم مع إبائهم وما يتمتعون به من الشمائل البدوية كالكرم والشجاعة لا يرفضون الاستجابة لدعاء المصلحين من قادتهم وزعمائهم ولا يحاولون أن يفتروا

بالماضى أو يزهون بالألقاب ولا يعتمدون فى تدبير أمورهم على الإجراءات المطولة المعقدة من تأليف اللجان واستقدام الخبراء العالميين لكل ما دق أو جل من الأمور وإن كانوا لا يحجمون فى الوقت نفسه عن الاستفادة من المدنيات المختلفة واقتباس الوسائل النافعة فى تسوية مشاكلهم المهمة ومشروعاتهم الكبيرة مما يجرى عليه العمل فى مصر وغيرها من بلاد أوروبا وأمريكا ولقد نبههم معالى الأستاذ رضا الشبيبى من كبار رجالهم ومصلحيهم فى مقال له إلى الطريقة المتبعة عندهم فى إحصاء السكان وأنها غير دقيقة ولا كفيلة بجباية خراج الدولة فى وقت اشتدت حاجتها فيه إلى المال ويستوجب العمل من جميع طبقات الشعب على تزويد خزانة الحكومة بالأموال مساعدة لها على النهوض بما تضطلع به من الأعباء وفى اليوم التالى مباشرة ظهر فى الصحف بلاغ من الحكومة بأنها ستوفد قريباً بعثة إلى مصر للتخصص فى عملية الإحصاء ودراسة أحدث الأساليب المتبعة فى ذلك

وسمعت من السيد هاشم الألوسى المدير العام للتعليم الابتدائى أن وزارة المعارف تعد مساكن صغيرة مستوفية لجميع الشرائط الصحية للمدرسين الذين لا يجدون فى القرى البعيدة مساكن منظمة وأنهم يعنون أشد العناية بصحة أولئك المعلمين والطلاب ووضع جميع التدابير لوقايتهم من آفتين تفشيان غالباً فى تلك الأماكن النائية .

وهناك ظاهرة اجتماعية تستحق التنويه وهى ما يسمونه عندهم بالقبول وهو عبارة عما يتبادلونه بينهم من التزاور والسمر فى المنازل فى أيام الأسبوع فى أكثر البيوت الكبيرة فى الغداة أو فى العشى على حسب المألوف من عادتهم فى ذلك ، وكثيراً ما شهدت غداة الجمعة فى دار صاحب المعالى صبحى الدفترى أحد عظمائهم وهى تضم طائفة كبيرة من رجالات العراق وأدبائهم ومشايخهم يقضون وقتاً طويلا فى الحديث والمطارحة مع أدب تناول ورقة حاشية وحفاوة مضيف ويمثلون فى ذلك أرق مايتطلبه المجتمع المتمدن من مظاهر الاحترام والذوق وكذلك الحال فى كثير من البيوتات الأخرى كدار الصدر والشبيبى وحمندى والشواف وغيرهم مما كان يوجد مثله فى القاهرة منذ نحو ثلاثين سنة فى دار آل سليمان وعبد الرازق وكانت هذه المجالس أشبه بالمدارس العالية لتخريج المواهب وتلقيح العقول بثمرات التجاريب كما هى الآن فى بغداد .

ولقد مكننى صديق الأديب الكبير والشاعر الموهوب السيد حسين بستانه وهو أحد الأساتذة الذين تخرجوا فى دار العلوم العالية فى مصر وينهضون الآن بأعباء تدل على مبلغ ما لديهم من الكفاية والثقة مكننى ذلك الصديق الذى لا أنسى ما حييت فضله وأدبه ووفاءه من زيارة المشاهد المقدسة فى النجف الأشرف وكربلاء فى رحلة ممتعة سأفرد لها مقالا آخر إن شاء الله تعالى

ولا يمنعنى ذلك من القول بأنه ستمر فترة غير قصيرة إلى أن تتخلص بغداد الجديدة مما يتخلل بنيانها فى كثير من الأحياء من الكهوف الغامضة والدروب الضيقة التى لا تخلو من أقذار متراكمة ومسارب عفنة لا يخفى ما لها من الآثار المضرة بالصحة العامة بين سكان العاصمة العراقية وخاصة فى أيام الصيف حين يشتد القيظ وتتصاعد الروائح الكريهة من هذه الأزقة ودورات المياه التى لا تزال فى حالة بدائية لا يمكن التخلص منها إلا بإنشاء مشروع المجارى على نحو ما هو متبع من ذلك فى القاهرة وغيرها من المدن الكبرى فى البلاد المتمدنة مع العناية باستخدام الأجهزة الحديثة الضرورية لصيانة المنازل والسكان من الأضرار المحققة من هذه الأوضاع الحالية لدورات المياه والمغاسل وهى من ألزم الأشياء للحياة

ولا أستطيع أن أزعم أن الطبقات الفقيرة فى مصر أحسن حالا منها فى بغداد فهى متشابهة فى رثاثة الثياب ووسخ الجلود وفيما يختلف على كل منهما من الجهل والفقر والمرض مما يحاربه الناس فى القطرين بتنميق المقال أكثر مما يحاربونه بالفعال

وفى الربيع الماضى زار الوفد السودانى مدينة بغداد وقد كانت هذه الزيارة فرصة جديدة أتاحت لنا أن نشعر من قريب بشدة حدب العراقيين على القضية المصرية وعطفهم على أمانى إخوانهم المصريين ولقد لقى الوفد ورئيسه الوطنى المعظم من الترحيب والحفاوة ما لا مزيد عليه من سمو الوصى المعظم ورجال الحكومة وطبقات الشعب على اختلافها وأقيمت لهم عدة مآدب وحفلات كان آخرها ما قام به الأساتذة المصريون الموظفون فى الحكومة العراقية وقد ألقيت فى هذه الحفلة القصيدة الآتية التى

يكون من المناسب نشرها الآن في مصر على صفحات الرسالة الغراء وهذه هي القصيدة :

حيِّ وفد السودان يا صاح بالشعر ... وجدد لهم حسان الأماني
واسقنا شربة من النيل أحلى ... من رحيق معتق في الدنان
هي من كوثر يصفقها الساقي ... شفاء لمهجة الظمآن
فبأعلى الشطين ساجعة الأيك ... تناغي الأليف في أسوان
وهي نشوى تقول مفصحة الشدو ... هتوفاً بأعذب الألحان
نحن شعب فسائلوا النيل عنا ... كيف أفتوا بأننا شعبان
واسألوا الدهر والقرون الخوالي ... فسيشهدون أننا أخوان
وحدة في الحياة والدين والرأي ... وفضل الحجا وحسن البيان
قد بنتها طبيعة النيل صرحاً ... شامخ الفرع راسخ البنيان
لم يعبها أن قد أصاب مغير ... من شباها بحده والسنان
كان منها مكان ناطحة الصخر ... بقرن عضب ورأس هدان
فأقامت على الشناءة تنمى ... لا وناة ولا ذلول العنان
تعصف الحادثات من جانبيها ... في الصفا الصم من ذرى ثهلان
أيها الرائح المجد رويداً ... إن لقيت الأعلام من كردفان
فاحبس الدمع أن يفيض من الشوق ... وخل الفؤاد للخفقان
وتخطر فوق الأصيل نديا ... من نشر الربا وطيب المجاني
واقض حقاً لآل دنقلة الغراء ... واشك الهوى إلى الندمان
وابتغ الصحب في الندى حلالا ... وانثر اللفظ سائغاً والمعاني
قل لأشياخهم وقل لشباب ... كعوالي أسنة المران
أننا مثل ما عهدتم ولاء ... ووفاء ما أشرق الفرقدان
ليس منا من ليس يغضب أن يدعى ... لضيم أو يرتضي بالهوان
يرقب النجم أن يضيء سحيراً ... من أعالي النيلين حتى الأداني
شارفاً بنشر البشائر بالوادي ... مهلا بنوره للعيان
في ظلال الفاروق والتاج يزهي ... باتحاد الإخوان بالإخوان
في ذرى ملكه ومن هو كالفاروق ... في عدله وفي السلطان
قد حبتكم بغداد حين نزلتم ... في حمى فيصل العظيم الشأن
والعراق الشقيق رحب بالوفد ... وحيا بقلبه واللسان
ولعمري لجبهة القلب أنتم ... ولأنتم إنسان عين الزمان
فهنيئاً لكم بما قد حبيتم ... ثقة الشعب وحي هذا الأوان
وعليكم من كل قلب سلام ... مثل نور الربيع في نيسان

محمد هاشم عطية

رسائل حائرة :

الرسالة الثانية ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

[كتبت تقول : « لا أحب أن ألعب بالقلوب ، حتى لا يلعب أحد بقلبي . » فإليها حديث القلب في هذه القصيدة] :

هل تظنين أنني أتمنى ... أن أرى قلبك الرقيق مُعنّى ؟!
لا وحُبيك . ما تمنيت إلا ... فرحة تحتوي صباك وأمنا
وربيعاً يمس قلبك بالحبّ (م) ... فيمضي مرفرفاً يتغنى
يرسل اللحن في أغانيه حبًّا ... ويذيع الهوى غناء ولحنا
أنا يا مُنيتي بقلبك — لو تد ... رين حبي — أبر منك وأحنى
أنا أفديك يا حياتي بروحي ... وهي أسمى من الوجود وأسنى
أنا أهواك راضيَ النفس حتى ... لو يكون الهوى شقاء وحزنا !
كفراش يهفو إلى النار ظمآ ... ن، وإن كان في اللهيب سيفنى !
لا تخافي قلبي ؛ فما هو إلا ... طائر هزه الجمال فغنى
عبر العمر تائهاً في الصحاري ... ورأى واحة الغريب فحنا
لا تخافي حبي ؛ فحبي بذل ... ووفاء ، وليس غدراً وضنا
واقبليه مني ؛ فحبك يسري ... في مسرى الدماء ، أو هو أدنى
وافهميني ، فلو فهمت شعوري ... ألف الحب بيننا حيث كنا
كلما برّح السهاد بنفسي ... قلت : زدني ! ودع فتاني وسني
وإذا قرح البكاء جفوني ... قلت : لا بلّل البكا لك جفنا
وألاقيك يا شقيقة نفسي ... هادئ النفس ، وادعاً ، مطمئنا
وبقلبي — لو تعلمين — من الوجـ ... ـد تباريح لفحها ما تأنى
وأرد الكلام خشية أن يبـ ... ـدر منه ما يكشف المستكنا
وأسميك في الرسائل أختي ... وأنا أقصد الحبيبة ضمنا
يا حياتي إني وضعت حياتي ... بين عينيك ضارعاً أتمنى
فاجعليني كما تشائين إني ... أنا أرضى به ، وأنعمت عينا
اجعليني في الحب — إن شئت — حراً ... واجعليني — إن شئت — في الحب قِنّا
وارحميني ، أو عذبيني ؛ فإني ... قد رأيت العذاب للفن خدنا
حسبُ نفسي تجارب تملأ النفـ ... ـس حياة ، وتملأ العمر فنا
وكفاني أن أرسل الشعر من قلـ ... ـبي، فيصغي الوجود قلباً وأذنا
وسواء لدي أصبحتُ قيساً ... قيس ليلى في الحب أو قيس لبنى

شيء من الصراحة

للأستاذ علي العماري

في عدد مضى من الرسالة كتب الأستاذ الفاضل الشيخ علي الطنطاوي مقالا بعنوان (مستقبل الأدب) تناول فيه بشيء من الحسرة والألم ضعف الطلاب في هذه الأيام ، ولاحظ أن بعض الذين على أبواب التخرج منهم لا يستطيعون أن يقرأوا أربعة سطوردون أن يخطئوا عشرة أخطاء ، وأن الألسنة غير مستقيمة ، وأن معين النبوغ جف أو كاد .

وأحب أن أقول للكاتب النابغة — في شيء من الحسرة والألم أيضاً — أن كل ذلك صحيح ، وأن الذي يعاني مهنة التعليم اليوم يجد ما يفتت الكبد ، ويبكي العيون ، ولكن لا يكفي أن نبكي على ما يهدد الأدب من تدهور وانحطاط ، بل لابد لنا أن نقدم — مخلصين — رأياً في علاج هذا الضعف ، ولا قدرة للطبيب على العلاج الناجح المفيد إلا إذا استطاع أن يشخص الداء ، ولكن كيف نقول فيما يعيث في مدارسنا ومعاهدنا ، وقد نشأنا على حب المداراة ، وستر العيوب ، ؟ إننا — إذن — في حاجة إلى شيء من الصراحة ، كما أنا في حاجة إلى من يأخذ عنا غير غاضب ولا متسخط ، ولقد عالج الأستاذ الفاضل مشكلتين: مشكلة ضعف الطلاب في القراءة ، ومشكلة الضعف العام في اللغة العربية ، وتكاد الأسباب تكون متداخلة ، غير أن للضعف في القراءة أسباباً خاصة

والذي نشاهده في معاهدنا ، ومدارسنا ، العالية ، والمتوسطة هو عدم العناية بدروس المطالعة ، وهذا الإهمال في درس المطالعة ليس مقصوراً على التلميذ ، بل هو إهمال عام ، فالإدارة والمدرس ، والتلميذ ، كلهم ينظرون إلى هذه المادة على أنها مادة إضافية ، ولا يزال قاراً في الأذهان أن درس المطالعة هو درس « اللعب ، والراحة » فتجد أن واضع الجدول يعطي هذه المادة لمدرس مادة أساسية ، كالنحو أو البلاغة ، وذلك لكي يستعين بها في إتمام دراسة مادته ، وأن المدرس لا يعنيه من هذا الدرس إلا أن يستعين به في مادته ، ولعل من أوضح الدلالة على الاستهانة بمادة المطالعة ، إنا لا نجد طالباً يرسب فيها في الامتحانات العامة كأن كل الطلاب يقرأون صحيحاً ، وأن المدرس الذي يعمد إلى إسقاط طالب يعد بين إخوانه وبين تلامذته من الثقلاء المتحجرفين ، ويصبح مادة للتندر والتفكه ، والتلميذ نفسه لا يكاد يحسب حساباً للامتحان في هذه المادة ، لما ألقاه الزمن في نفسه من أن النجاح فيها مضمون على كل حال … وإذا رجعنا إلى الدراسة نفسها وجدنا الإهمال فيها ظاهراً ، فقليل من الطلاب بل أقل من القليل من يستحضر نسخة من الكتاب المقرر ، بل إن بعضهم يكون الكتاب في يده ولكنه يكسل عن فتحه والمراجعة فيه ، وكثير من المدرسين لا يزيدون في الدراسة عن القراءة العابرة — إذا قرأوا — ، وإني لأذكر أنه كان مقرراً في الكليات التي تدرس اللغة العربية كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب زهر الآداب للحصري ، ومقدمة ابن خلدون ، وأذكر مع ذلك أن ما قرىء من هذه الكتب لا يتجاوز مائة صفحة في أي سنة من السنوات ، وفي أي فرقة من الفرق ، وليس عجيباً بعد هذا أن نجد بعض المتخرجين لا يعرف شيئاً عن هذه الكتب إلا أنه حصل عليها من غير مقابل ، بل لقد رأيت واحداً يبيع كتاباً منها فسألته لم يبيعه ؟ فأجاب لأنه لا يفكر في أن يفتحه يوماً من الأيام ! وهو الآن من المدودين عند السادة الرؤساء !

وإذا تجاوزنا القول في المطالعة إلى القول في المحفوظات وجدنا الأمر أدهى وأمر ، وذلك لأن في الطلاب انصرافاً غريباً عن الحفظ والاستظهار ، على أن من يحفظ منهم لا يحفظ راغباً مستلذاً من منثور العرب ومنظومهم ، وإنما يحفظ ليدخل الامتحان وكفى ! !

حتى هؤلاء الذين يحفظون للامتحان قلة ، وإنما الشأن في طلاب اليوم ترك الحفظ جملة وتفصيلا ، وليس بعجيب أن نجد طالباً في المرحلة الأخيرة من الأقسام الثانوية وهو لا يكاد يقرأ ثلاثة أبيات تباعا ، وإني لأعرف صديقاً ينظم الشعر ، وقد تخرج منذ سنوات وهو إلى الآن لا يستطيع أن ينشدك شيئاً من الشعر القديم ! !

وكثيراً ما نصادف — في الامتحان — بعض طلاب لا يحفظون شيئاً أبداً ، حتى إن بعض الممتحنين يتندر بهم قائلاً ألا تحفظ شيئاً من المواليا أو الزجل ؟ ! كما لاحظت أن بعضاً

يحفظون قصيدة واحدة تظل معهم سنوات ينشد منها فى الامتحان كل عام ... ومع كل ذلك فلا تكاد تجد رسوباً فى هذه المادة أيضاً ، ومن الحق أن نذكر أن وزارة المعارف قررت كتباً لهذه المادة ، ولكن الحق أيضاً أن نذكر أن عدداً قليلا جداً من يعنى بالاستظهار والتفهم . .

وإن أكبر الضرر فى هذا السوء الذى نشاهده فى معاهد التعليم يرجع إلى اشتغال المتعلمين بالشئون العامة وإلى مصانعة الرؤساء لهم ، واعتمادهم عليهم فيما يحاولون من أمور ، فقد أصبح الطلاب يعتقدون أن فى يدهم الحل والعقد ، وأنهم يستطيعون أن يقيموا وأن يقعدوا ، وتراهم يتدخلون فيما يعنيهم وما لا يعنيهم

أنا لا أدعو بطبيعة الحال إلى إبعاد الطلاب عن القضايا الوطنية الكبرى ولكن أدعو إلى أن يعرفوا حدودهم ، ومدى ما ينبغى أن يتدخلوا فيه ، وأن يكون للرؤساء ضمائر ، وأعين بصيرة فلا يساعدونهم على الفوضى ؛ ولا يستغلونهم فى أغراضهم الشخصية ، ولا يجعلونهم كالجماهير التى يقول فيها شاعرنا شوقى

والجماهير مطايا المرتقى للمعالى وجسور العابرين

فإذا انتظم الطلاب فى دروسهم وجدوا دراسة ضحلة لا تفيد علماً ، ولا تنتج أدباً ، وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة (مودة) جديدة كانت أضر على العلم من كل ما منى به ، فقد لجأ أكثر المدرسين إلى تلخيص الكتب ، وما على المتعلم بعد ذلك إلا أن يحفظ هذه القواعد القليلة حتى يجوز الامتحان ، وكفى الله المؤمنين القتال . . تلك حال نشاهدها فى الأزهر ونشاهدها فى وزارة المعارف ، ونشاهدها فى المدارس العالية ، والكليات .

فى المدارس الثانوية كتب لا بأس بها فى البلاغة العربية ولكن أكثر المدرسين لا يدرسون هذه الكتب ، بل يعطون تلاميذهم ملخصات فى كراسات يحفظونها ولا يتذوقون شيئاً من دراسة البلاغة ، وفى مدرسة عالية همها تخريج مدرسين للغة العربية يترك الطلاب كتاب الأشمونى ليقرؤا ملخصاً له وضعه أحد الأساتذة كأنهم فى مدرسة ابتدائية ثم هم يمتحنون فى هذا المختصر ، وليس الشأن فى الأزهر بأحسن من هذا فقد هجر الطلاب الشروح والحواشى واعتمدوا على المختصرات ، لينعموا بما فيها من ورق أبيض صقيل ، ومن اختصار يساعد على الحفظ وعلى الامتحان .

نعم إن بعض الكتب فى حاجة إلى التهذيب والتنقيح ، ولكنه ليس هذا التهذيب الذى يخرجنا من شر ليوقعنا فى شرور ، وليس أجدى على اللسان من هذه الدراسة المتعمقة ، وإن احتاجت إلى كثير من الجهد والوقت .

ولقد دلتنى مشاهداتى على أن للدروس الخصوصية أثراً بالغاً فى ضعف التلاميذ ؛ فقد أصبح مفهوماً عند أولياء الأمور أن التعاقد على درس خصوصى معناه التعاقد على نجاح التلميذ ، ولعل من الطريف أن أذكر أنى كنت مع أحد المدرسين فى المدارس الابتدائية يوماً فجاءه تلميذ يساومه على درس فقال الأستاذ للتلميذ: قل لأبيك أنى لا أضمن نجاحك ثم عد ، فخرج التلميذ وقال لأبيه، ولكنه لم يعد ! !

ومع هذا الضعف الظاهر فى اللغة العربية نجد أن النتائج فيها حسنة ، حتى أصبح التلاميذ لا يرهبون الامتحان فيها ، وبالتالى لا يعطونها العناية الكافية ، وإذا تطرقنا إلى الامتحانات فإننا نذكر — مع المرارة العميقة — أنها فقدت رهبتها فى بعض دور التعليم ، وكيف لا ؟ والنتيجة فى بعضها — مع هذه الفوضى — تبلغ ثمانين فى المائة ؟

أما دراسة اللغات الأجنبية فى المدارس فتنال أكبر قسط من العناية ، ولا شك أن هذا سبب ظاهر فى ضعف التلاميذ فى اللغة العربية .

فليس عجيباً بعد كل هذا أن نرى المتخرجين ضعافاً ، لا يكادون يقيمون ألسنتهم وأن نفقد فيهم النبوغ والعبقرية ، وأن ننادى أولياء الأمور بأن الإصلاح فى أيديهم وهم عليه قادرون ، وأن الدعوى بأن اللغة العربية عسيرة تحتاج إلى تسهيل ، ومعقدة تحتاج إلى تيسير ، إنما هو هروب من الحقائق الدامغة التى لا يجهلها أحد ممن يتصلون بشئون التعليم

لتكن العناية بدروس المطالعة هم المدرس والتلميذ وليكن الإشراف عليها إشرافاً صحيحاً حازماً ، ولتعط ما هى جديرة به بين العلوم من جهد ووقت ورعاية ، وليفهم كل تلميذ أن أول واجب عليه أن يقرأ قراءة مستقيمة، وأن اللغة العربية هى مجده ومجد آبائه ، وليلزم التلاميذ فى كل معاهد التعليم بقسط كبير من مأثور العرب يحفظه فى كل عام ، ويمتحن فيه ، ويسأل التلميذ فى الفرق العالية عما فى محفوظه من أسرار بلاغية ، ومزايا أدبية . .

حول جدل فى الجامعة

قرأت اليوم وأنا بريف الشرقية حديثاً للأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان « جدل فى الجامعة »

ولما كان هذا الحديث يخصنى لأنه يدور حول رسالة قدمتها كتبت هذا إليكم رجاء التفضل بنشر هذه الكلمة ليقف القراء على جلية الأمر وليعرفوا الخطأ من الصواب .

وقبل أن أبدأ الحديث ألفت الذهن إلى أنه ليس من الحق فى شىء أن الأستاذ أحمد أمين قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها ولا لإنكار ما فيها من حقائق علمية ، ولقد كان كل ما صنعه أن لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

يتلخص موقف الأستاذ أحمد أمين فى هذه المسألة وهو فى هذه يعتبر متضامناً مع الأستاذ الشايب ومن هنا يكون حديثى مع واحد منهما حديثاً مع الآخر .

وإذا كان الذى يهم الجمهور من هذه المسألة هى المسألة الدينية فقد قصرت حديثى عليها ليرى القراء أن ما قلته فى الرسالة هو الذى يتفق مع الدين ويجرى ومقاصده .

وأحب أن يعلم القراء أنى قد التزمت فى هذه الرسالة أمرين

الأول : — ألا أثبت حقيقة ينكرها الدين وسجلت ذلك فى الرسالة حيث قلت فى ص ٢١ ما نصه [وأعتقد أن من حقنا أن نقف وقفة قصيرة نشرح فيها هذه العلاقات لنقدر مافى القرآن من معان تاريخية تقديراً لا ينكره الدين] انتهى بنصه .

الثانى : — أنى التزمت فى استنباط ظواهر القصص القرآنى طريقة الاستقراء ومن هنا كانت كل حقيقة أدبية أثبتها مستمدة من القرآن الكريم . ولقد سجلت ذلك أيضاً على نفسى حيث قلت فى الرسالة ص ٢٣ « والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآنى لنبحث ما فى قصصه من أشياء تاريخية . وقبل البدء ننظر فى اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات فى القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التى تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد

على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن فى شىء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته فى الخلق والابتكار ولن يقرر ما فى القرآن من قيم إلا واقع أدبى التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملى »

وعلى هذين لا يتصور متصور أن يكون القصد من الرسالة الخروج على الدين أو القول بما ينكره .

ولقد قلت فى الرسالة إن قصد القرآن من قصصه لم يكن إلا العبرة والعظة وليس منه مطلقاً تعليم التاريخ أو شرح حقائقه ومن المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن .

على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام ، وقد نقله عنه صاحب المنار فى مواطن كثيرة من كتابه فقد جاء فى الجزء التاسع ص ٣٧٤ طبع سنة ١٣٤٢ هـ ما يأتى « إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومدائن ولا تحقيق وقائع ومواقع »

وجاء فى الجزء الثانى ص ٢٠٥ طبع سنة ١٣٥٠ هـ ما يأتى « فإن قيل إن التاريخ من العلوم التى يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحى فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية فى القرآن وكانت فى التوراة أكثر ؟

والجواب ليس فى القرآن شىء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها ، وإنما هى الآيات

وعلى الرؤساء أن يواجهوا الأمور بصرامة وحزم فيأخذوا البرى بالمجرم حتى تستقيم قناة الجميع ، ولا نكون متعنتين إذا طالبنا وزارة المعارف بأن تحرم الدروس الخصوصية على كل مدرسيها مهما كانت الأسباب الداعية لذلك ، كما تطالب المدرسين بأن يدرسوا الكتب المقررة ، وأن يزيدوا عليها ، وأن يدعوا هذا التهوين من شأن اللغة العربية وآدابها . . . حينئذ نقف فى أول الطريق لنمضى إلى الغاية ، وسنبلغ الهدف إن أخلصنا لواجبنا ، وراعينا حق الله والوطن واللغة في هؤلاء الأبناء .

على العمارى
المدرس بالأزهر

والعبر تجلت فى سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به (وسترى ذلك فى محله إن شاء الله تعالى) ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها » انتهى بنصه .

على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه . ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف .

أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع .

وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام وهذا هو نص المنار فى وصف هذه الطريقة عند تفسيره لقصة آدم من سورة البقرة .

« وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه إن القرآن كثيراً ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعانى » ص ٢٨٠ جـ ١ طبع سنة ١٣٤٦ هـ

ويمضى صاحب المنار فى شرح هذه الحقيقة إلى أن يقول : قال الأستاذ الإمام ما مثاله . وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا . إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه . الخ

القول إذاً بأن بعض القصص القرآنى قصص جىء بها لتمثيل المعانى قول معروف لدى رجال الدين وطريقة معروفة لدى المفسرين ، وجرى عليها إمام من أئمة الدين هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

جريت أنا على هذه الطريقة يدفعنى إليها غرض دينى هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين . وتفسير المسألة يرجع إلى أن هؤلاء يبحثون عن العلاقة بين القصص القرآنى والتاريخ اتفاقاً واختلافاً وينتهون من ذلك إلى أن فى القرآن أخطاء تاريخية .

أما موقفى فيتلخص فى أن الدراسة على هذا الأساس خاطئة لأن القصص القرآنى لا يدرس على أساس أنه قد جاء لتعليم التاريخ أو شرح حقائقه وذلك حيث قلت فى ص ٥ [كما نجد المستشرقين يلجون من نفس الباب فيطعنون على النبى والقرآن حين يوردون بعض الإعتراضات وحين يذهبون فى فهم القصص القرآنى مذهب أصحاب التاريخ فيبتعدون بذلك عن المذهب الحق فى فهمه وهو أنه قصص وقصص دينى يقصد منه غير ما يقصد من التاريخ .] مذهب الأستاذ إذا هو الذى يجنبنا كل هذه الأشياء ومن أجل هذا اعتمدته وجريت عليه .

ومن أجل هذا قد ينال القارىء العجب من أن يقف الأستاذان منى هذا الموقف . لكن للمسألة سراً قد يتضح لدى القارىء بعد قليل .

وتبقى بعد ذلك مسألة الأساطير .

وهى مسألة حلها القدماء من المفسرين وهو حل يجرى مع ما يقول به الأستاذ الإمام فى تفسير القصص القرآنى .

لقد فهم الرازى مايقول به المحدثون من الأدباء من أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لما تمثله من المعانى وتدعو إليه من الأغراض وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) من سورة يونس إذ قال [واعلم أن هذا الكلام يحتمل وجوها الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها] .

وهنا نحب أن نلفت الذهن إلى أن القرآن يعنى من الأسطورة القصة التى لم ترد فى الكتب السماوية السابقة عليه وليست بحال من الأحوال القصة التى لا أصل لها ولا القصة المخترعة ومن أجل هذا كانوا يقولون أساطير الأولين اكتتبها . أن لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .

على أن المسألة كما وضحت فى الرسالة تتفق وما قال به علماء أصول الفقه .

قال هؤلاء بأن فى الأديان السماوية عناصر خالدة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمناسبات وهذه هى التى بقيت فى الإسلام . وفيها عناصر تتغير بتغير الظروف والبيئات وهى التى خالف فيها القرآن غيره من الديانات .

وقلت بأن المسألة الأدبية تجرى على هذا الأساس . عناصر

مدى الثقة في هيئة الأمم المتحدة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وقامت الكتلة الشرقية بدورها بتطبيق مبادىء الميثاق خير تطبيق حين عرضت مسألة مصر وذكرت الكتلة الغربية بقولها السابق في مسألة إيران والذى يبدو أنها نسيته . ولعل القارىء يتساءل: لم عارضت الكتلة الغربية مطالب مصر مع وضوحها واتفاقها مع نصوص الميثاق . والجواب عن ذلك هو الخشية من ترك فراغ في مصر قد يمتد إليه النفوذ الروسى الزاحف إلى البحر الأبيض المتوسط. وفى سبيل ذلك يضحى بالميثاق وترفض مطالب مصر العادلة . . وهذا أمر مؤسف حقاً يذكرنا تماماً بما كان يسود القرن التاسع عشر من سياسة توازن القوى ومناطق النفوذ . . . تلك السياسة الخرقاء التى سببت الحروب المتتالية والتى يخيل إلينا أنها ستكون سبباً لحرب ذرية في المستقبل .

ويمكننا ملاحظة الظاهرة المتقدمة في مسألة أندونيسيا ، فقد صرح أحد السياسيين من الكتلة الغربية بأن السبب في معارضة أمريكا وانجلترا لمطالب أندونيسيا هو الخوف من تفشى روح القومية إذ المعتقد أن سكان المستعمرات — إذا ما استقلوا — لا يستطيعون دفع تيار الشيوعية وحدهم .

وكذا الأمر في مسألة اليونان . فالمعروف أن الكتلتين تتصارعان هناك بشكل واضح سافر . والإضرار والمشاكل التى تنتج من هذا التنافس يقع عبؤها كله على كاهل الأمة اليونانية المسكينة التى راحت تتمزق وتأكل بعضها بينما غيرها يتميز ليبتلعها . والعلاج في نظرنا هو أن تترك هذه الأمة مرة لا تعبث بها واحدة من الكتلتين ويقيننا أنها ستلم ما تبعثر منها ، وتنهض فتضمد جراحها وتزيل ما كان على بصرها من غشاوة مصطنعة ثم تمضى حرة لتقرر مصيرها بنفسها . ثم إن المرء ليتساءل عن مصير معاهدات الصلح ، فالحرب قد وضعت أوزارها منذ زمن طويل والصلح لم يعقد بعد : أليس هذا مما يرثى له ؟ إن العجب في هذه الأعجوبة يزول حتما إذا ما أرجعنا العلة إلى هذا التنازع البغيض بين الكتلتين فحكومات الدول المهزومة لابد أن تكون على شكل معين حتى ترضى كلا من الطرفين ومستحيل أن يكون أساس كل من النظامين جد مختلف عن الآخر ثم يتفقان على أمر معين . .

وقد عرفنا الآن أن سياسة توازن القوى ما زالت باقية في ميدان السياسة الدولية وأنها مازالت تنفث سمها القاتل في نواحى المعمورة مما يجعلنا نخش على هيئة الأمم من سريانه فيها فلا يتركها إلا جثة هامدة .. وبذلك تذهب كما ذهبت عصبة الأمم من قبل دليلا صارخاً على غباء البشرية وتأخرها في فهم المعانى الإنسانية

خالدة ثابتة كالأشخاص والأحداث وهذه قد بقيت في القصص القرآنى كما كانت في قصص غيره من الكتب السماوية .

وعناصر يجوز عليها التغيير والتبديل كالمسائل التى يدور حولها الحوار .

وهذا هو الأمر الواضح تماماً من صنيع القرآن .

وأعتقد أن الأمر الذى وقع في الدين ليس من الغريب أن يقع مثله في القرآن .

هذه هى نظريتى في القصص وهى نظرية تعتمد على طريقة الخلف ومذهب الأستاذ الإمام .

وهذه هى نظريتى في الأساطير وهى تتفق وما ذهب إليه الرازى وتجرى مع مذهب الأستاذ الإمام والمذهب الأدبى في أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير . ثم هى على التفسير الذى جرينا عليه تشبه إلى حد كبير التفسير الذى جرى عليه الفقهاء فيما يخص الأديان .

وليس من الحق في شىء أن نجيز في الدين ما لا نجيزه في الأدب مع أنه الأمر الذى قال به المفسرون وجروا عليه في تفسير القرآن .

المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات فأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة .

وإذا كان الأستاذ الخولى قد رفض رسالة الأستاذ المحاسنى فيجب أن ترفض رسالة خلف الله .

هذه بعض مسائل الرسالة نشرتها لأنها تهم القراء أما ما بقى فستعلمونه في القريب العاجل إن شاء الله .

محمد أحمد خلف الله

إن سياسة توازن القوى هى سياسة الأقوياء من الدول وليس من الإنصاف أن تلقى وزر الكارثة كلها على عاتق هذه الدول بل إن للدول الصغيرة أيضاً نصيبها فى ذلك وهو ما نسميه : سياسة التهاون أو عدم الاكتراث — وهو العامل الثانى الذى أشرنا إليه فى بدء الحديث .

إن كل دولة عضو فى هيئة الأمم لابد أن تحترم الميثاق وإن وجودها كعضو شاهد عليها بوجوب الرضوخ التام لأحكامها . ولكن الشواهد تدل كلها على عكس ذلك تماماً .

ففى الشكوى التى تقدمت بها حكومة الهند إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تتهم فيها حكومة جنوب أفريقيا بمعاملة الرعايا الهنود معاملة تقوم على التفريق بين الأجناس وحرمانهم من التمتع بالحقوق المدنية والعامة . . دافع المرشال سمطس هذه التهمة عن حكومته بأن المسألة المعروضة تدخل فى الاختصاص الداخلى لكل دولة ، ومن ثم فلا اختصاص للجمعية العامة فى هذا الشأن وفقاً للمادة الثانية فى فقرتها السابعة وبذلك غلب الناحية القانونية على الناحية السياسة وطلب إحالة الأمر للفصل فيه إلى محكمة العدل الدولية .. غير أن وجهة نظره لم تقبل داخل الجمعية . ذلك أن مندوبى الدول قد غلبوا الناحية السياسية على الناحية القانونية وأصدروا توصية لرفع القيود ومعاملة الهنود معاملة لا تقوم على التفريق . ولكن هل نفذت هذه التوصية ؟

إن من المؤسف حقاً أن يكون المارشال سمطس هو الذى كتب بيده ديباجة الميثاق التى تعتز بكرامة الأفراد وأقدارهم وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء على السواء .. ثم يكون هو أول الهادمين لها ! .

ولكن أسفنا يبلغ أوجه حين نعلم أن توصية الجمعية العامة لم تنفذ هى أيضاً ! وليس لهذا الأمر الخطير من سبب سوى التهاون وعدم الاكتراث بالميثاق والهيئة معاً .

على أن فى مسألة الشقيقة أندونيسيا مثلا واضحاً لهذا الهوان الذى يلاحق الميثاق . وقد أصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال ولكن هولندا لم تذعن للمرة الأولى . فأصدر قراراً ثانياً . ولكن هيهات وما زال العالم ينتظر قراره الثالث . فما أبخسها من أوامر

ومهما كان الرأى فلن تكون سياسة التهاون وعدم الاكتراث هذه هى الأولى أو الأخيرة فى نوعها . بل إن سوابقها جلية فى عصبة الأمم السابقة . إذ أن إيطاليا قد ضربت عرض الحائط بميثاق العصبة واعتدت على اثيوبيا أشنع اعتداء وكان اعتداؤها بمثابة مسمار يدق فى نعش العصبة التى تهاون أعضاؤها بدورهم فى تطبيق الجزاءات الاقتصادية والسياسية المنصوص عليها . ولقد انسحبت إيطاليا وألمانيا إثر ذلك وكونتا ما سمى فى الحرب الأخيرة بدول المحور .

إننا نخشى أن يعاد تمثيل هذه المهزلة مرة أخرى فتنسحب بعض الدول من هيئة الأمم لسببين لا ثالث لهما : إما أن تكون دولا قوية تحس بأن الميثاق قيد يحد من أطماعها وهو لا يعدو أن يكون قيداً معنوياً ليس له القوة المادية التى تحسب لها ألف حساب فلم لا تفلت إذن من هذا القيد الأجوف الواهى ؟ . ولم لا تحطمه إن أبدى مقاومة ؟

وإما أن تكون دولا ضعيفة خاب ظنها فى عالم سعيد بجانب الميثاق فلم تجد بجانبه أمناً أو استقراراً بل أصابها ظلم وجور . . فأرادت أن تنطوى على نفسها وأن تعيش فى عالمها وحدها كمن ينأى بنفسه عن جيرة السوء وصحبة الأشرار .

ولقد تردد فى بعض الآونة أن مصر تريد أن تنسحب من الهيئة إن لم تقدر مطالبها حق قدرها .. وحق الانسحاب لم يمنع منعاً باتاً بل صار فى ميثاق الهيئة « رخصة » لا تستعمل إلا فى حدود معينة وعند قيام المسوغ لذلك ، وقد كان هذا الحق مطلقاً كل الإطلاق فى عصبة الأمم ومن مسوغات حق الانسحاب التى أوضحها مؤتمر سان فرنسيسكو ما يلى .

« إنه إذا أحست دولة من الدول فى ظروف استثنائية ألا مناص لها من الانسحاب وإلقاء عبء حفظ السلم والأمن الدولى على عاتق الأعضاء الآخرين فليس مما يدخل فى أغراض الهيئة أن ترغم مثل هذه الدولة على الاستمرار فى هذا التعاون فى داخل الهيئة ومن البدهى أنه لا مناص من انسحاب الدول بعضها إثر بعض أو من حل الهيئة بأية صورة أخرى إذا هى انتهى أمرها بأن خيبت آمال الإنسانية بأن تكون قد عجزت عن حفظ السلام أو بأن كان حفظها للسلام على حساب القانون والعدل »

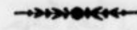
ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال أن أشير إلى نواحى نقص أخرى فى الميثاق ولها أهمية عظمى تتعلق بحق الاعتراض (الفيتو) وبوليس الأمن الدولى . وقد تساعدنا الظروف فنتناولها بالبحث فى مقال آخر إن شاء الله تعالى .

عبد الحميد عثمان عبد المجيد

٣ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

فى جنح الليـــل !

للأســـتاذ عبد الحفيظ أبو السعود



ألقت بنا الباخرة إلى مرفأ عنيبة ، وسط ضجيج الحمالين ، وصيحات الركاب ، وضوضاء البحارة ، الذين شرعوا بمساعدة الحمالين ينزلون أمتعتنا ، وأمتعة فضيلة قاضى عنيبة المنقول من إسنا إلى هذه البلدة النائية ، والبضائع الكثيرة المرسلة إلى المدرسة من خضر ، وفاكهة ، وبعض العُلب والصفائح المليئة بالمسلى وغيره ، مما لا يكاد يوجد منه شىء فى عنيبة ، ويجلبه المتعهدون من أسوان وغيرها من بلاد الصعيد الوفيرة الخيرات ..

ولم نجد فى الحمالين شهامة ونجدة ، ونشاطاً وإسراعاً إلينا ، كما نجد هذا فى حمالى القاهرة أو مديريات الوجه البحرى ، وبعض مديريات الصعيد مما يلى القاهرة ، حتى ليهرع إليك عدد من الحمالين قد لا يكون إليك حاجة بهم ، ومع هذا يكاد كل منهم أن ينتزع أمتعك منك ، ويحملها عنك ... وإنما وجدنا فيهم تباطؤاً وكسلا ، وتوانياً ، جعلنا نصرخ فيهم ، ونشتد معهم فى المعاملة ، ونقسو عليهم فى القول ، وهم يتهربون ، ويتسللون لواذاً ، وكأنما نريد أن نستغلهم استغلالا ، وأخيراً قالوا لنا : دعوا أمتعتكم ، واذهبوا إلى المدرسة ، وسنوافيكم بعد مدة ، عندما ترحل الباخرة .. !!

ونظر بعضنا إلى بعض نظرات ملؤها الدهش والعجب ، والحيرة والارتباك ، إذ كيف ندع أمتعتنا على الشاطىء بين فئة لا ندرى من أمرها شيئاً ؟ ! وكأنما زاد تخاوفنا ظلام الليل ، الذى لم تجد معه أضواء الباخرة شيئاً ، بل كانت هذه الأضواء مع قوتها ضعيفة واهنة ، وكأنها أشعة خافتة لنجم كليل !! وكانت أمواج النيل الصاخب ، تضطرب فى عنف ، وترتفع إلى حيث نقف مع الجموع المستقبلة للباخرة وتقبل منا الأقدام ، فى ثورة خانقة ، وغيظ صارخ ، فتبلل أحذيتنا ، ولكننا من فرط ما نحن فيه من دهشة وعجب واستغراب ، لا نكاد نشعر بهذه الأمواه ، ولا نحس لها أثراً ؟ !

وضاقت صدورنا . لأننا وقد أثقلتنا هذه الأحمال والأمتعة ، لا نجد من يسرع فى حملها حيث نريد .. وتطلعنا حوالينا ، فلم نجد إلا النيل شرقاً ، رحباً مخيفاً ، والجبال غرباً ، بشبحها المظلم القاتم ، وكأنها حراس علينا ، تشرع فى وجوهنا أسلحة لا نطيق لها صبراً ، ولا عليها احتمالا ، فبقينا هكذا مدة ، ثم عارض بعضنا فى هذا ، وسكت البعض الآخر مقتنعاً بهذه المعارضة ، ولكننا فى النهاية لم نجد مناصاً من الرضوخ لهذه الرغبة ، والنزول على هذه الإرادة مكرهين ، فلقد اتجهت إلينا الأنظار متعجبة دهشة ، وكأنها تقول : علامَ التشكك والارتباك ، وعلام الخوف والاضطراب وهذه البلاد لا موضع فيها لخائن الأمانة ، أو ناكث للعهد ، أو خافر للذمة ؟!! وكأنما كانت هذه النظرات ألسنة ناطقة ، لا نظرات صامتة ، فسرعان ما شعرنا جميعاً بالتخاذل والخجل ، ومضينا إلى حيث نريد ..

سرنا على الميناء متجهين إلى المدرسة كما أشار لنا بعض الواقفين ، وميناء عنيبة جسر ممدود إلى داخل النيل ، نهايته على الشاطىء الأصلى للنيل ، فإذا جاء الفيضان ، وارتفعت مياه النيل خلف الخزان فى نوفبر تقريباً من كل عام ، وجدت الميناء عبارة عن لسان طويل جداً ، ممدود حوالى ثلاثمائة متر ، وعرضه متران تقريباً ، فإذا ما زاد الفيضان ، غمر هذا اللسان ، ورست البواخر على الشاطىء الجديد ، الذى يظل الماء عنده إلى أوائل مايو ، ثم يأخذ فى الانحسار مرة أخرى حتى يصل إلى الشاطىء القديم ، فيضيق النيل كثيراً . وحول الميناء شاهدنا بضع عوامات ، وعلمنا أنها كلها تابعة لوزارة الأشغال (مصلحة الميكانيكا والكهربا) ، وأن منها ما يستعمل كـ (عنبر) صغير به مضخات لرفع مياه الشرب من النيل إلى محطة الطلمبات الخاصة بهذه العملية فى مستعمرة عنيبة . ومنها ما يستعمل كمنازل صغيرة لغير المتزوجين ، ومنها ما يستعمل للصيانة ، فيكون أشبه بمصنع صغير متنقل ، وهذا لا يرسو فى عنيبة دائماً ، وإنما ينتقل بين محطات المركز كبلانة والدكة وغير ذلك .

كان الظلام حالكا ، والسكون شاملا ، ولم يكن هناك أثر لشعاع من النور ، وخاصة وقد صفرت الباخرة ، وأطفأت مصابيحها الأمامية (الكشافات) التى لا تضيئها إلا عندما تريد الإرساء فى محاط المركز .. أما عندما تسير فلا تستطيع أن تنير

هذه المصابيح ، لأنها بانعكاسها على الماء ، واضطراب صفحة الماء، تدع الربان لا يستطيع أن يتبين طريقه ، ولا يعرف كيف يسير ! مضينا نضرب فى الرمال على غير هدى ، لا نكاد نرفع رجلا حتى تغوص أخرى ، الأمر الذى أوهن قوانا ، وأضعف عزائمنا، فقطعنا المسافة من الميناء إلى المدرسة فى ساعة ونصف تقريباً ، بينا هى لا تتجاوز الألف متر .

وشعر كل منا بتقصير المدرسة فى حقنا ، فكان الواجب يقضى بأن ترسل فى انتظارنا أحد فراشيها ، وهم كثر على ماسمعنا، كدليل على الأقل يكفينا مؤنة السؤال عن الطريق وسط هذا الظلام الحالك ، الذى لم يجدنا معه السـؤال شيئاً ، إذ أن كل شخص نسأله لا يحرك ساكناً بل يكلمنا فى هدوء وسكون وهو جالس دون مبالاة ، مما جعلنا نغلظ القول لبعضهم ، وكدنا نعتقد أن كل الأهلين على هـــذا الوضع من الخمول المعيب ، والكسل الأليم .

ودفع هذا الوضع الشاذ بعض الزملاء إلى الصراخ وسط هذه الفلاة القائمة ، بألوان من السباب والغيظ ، والنقمة والثورة، ولكن الصوت كان يتردد صداه فى وحشة مرهقة ، وكأنما نحن نسير فى مقبرة مهجورة تعبث فيها الجن ، ومردة الشياطين فساداً ، وتنكيلا بالناس ..!!

وأخيراً وصلنا إلى المدرسة بعدما أرشدنا خفير المستشفى الذى اضطر لذلك اضطراراً حينما كدنا نضل الطريق نهائياً.. وفتحت لنا المدرسة أبوابها ، وكنت لا تسمع فيها حركة ولا صوتاً ، على الرغم من نوم التلاميذ ، وكثرة عددهم ، الذى يربي على خمسمائة تلميذ . واستقبلنا مشرفان فاضلان ، وجدنا فى سماحتهما ولطف حديثهما ما هوّن علينا ما قاسينا من مصاعب ، فى هذه السفرة الشاقة ، والرحلة المضنية ، وخاصة وأن أكبر مسافة قطعتها قبل أن أنقل إلى هذه البلاد ، هى المسافة ما بين القاهرة والإسكندرية ، والتى لا تتجاوز الأربع الساعات ..

وجال معنا المشرفان قليلا فى أنحاء المدرسة ، بالقدر الذى يسمح لنا بتعرف ما حولنا ، ورؤية المكان الذى سنبيت فيه ، لنكون على خبر به ، وبينة من أمره وبخاصة وممنا صبي صغير هو نجل أحد الزملاء ، وقد سمع هذا الصبي عن عقارب عنيبة فى الباخرة ما جعله ينكمش فى نفسه طوال المدة ، ولا يكاد يضع رجليه على الأرض ، خشية أن يناله مكروه ، فبقى شارد الطرف ، حائر الفكر ، مضطرب الشعور ، لا تكاد تكلمه حتى تدرك مبلغ ما يعانيه من حيرة وارتباك ... وكان الظلام ناشراً لواءه على المدرسة كذلك ، وكانت هذه المصابيح الهوائية الضئيلة ، تبعث الضوء خافتاً باهتاً ، وكأنما هو خائف مضطرب، يخشى صولة الظلام القاهر ، ووحشة الليل المخيف ...

والمدرسة كما علمنا لا تضاء بهذه المصابيح الهوائية المنتشرة فى كل ناحية من نواحيها ، والتى تشتعل بزيت النفط ، بل تضاء بالكهرباء فلها مولد كهربى خاص ، إلا أنه يدور قبيل الغروب من كل يوم ، ويتوقف عن الإدارة فى الحادية عشرة مساء ، إلا إذا دعا الداعى ، لأن يبقى مدة أطول ، ساعة أو ساعتين حسب الحاجة إليه ، بأن أقيمت فى المدرسة حفلة للسمر ، أو لتوديع بعض الزائرين ، وانتظار الباخرة التى ستقلهم إلى الشلال، إذ أن ميعاد بعض البواخر وهى السريعة ، الواحدة والنصف صباحاً ، أو الثانية أحياناً ، ولكن لابد للمسافر من أن ينتظرها ابتداء من الثانية عشرة أو قبل ذلك ، فربما تدفعها الريح مسافة تتقدم بها ساعة أو ساعتين !! أقول وفى هذه الظروف تبقى الإنارة حتى تنتهى الحفلات ، أو المناسبات ، ثم تشعل المصابيح على الأثر ..

وما كاد يستقر بنا المقام ، حتى جاء الحالون ، ومعهم أمتعتنا، يحملونها على الحمير النحيفة العجفاء ، فكان هذا دليلا عملياً ناطقاً بالأمانة الشاملة فى هذه البلاد !

عبد الحفيظ أبو السعود

الأدب والفن في أسبوع

« التيسير » بدار الكتب :

انتهز حضرة صاحب المعالي عبد الرزاق السنهوري باشا وزير المعارف ، فرصة وجوده بأمريكا في وفد مصر إلى مجلس الأمن ، فزار بعض الجامعات الأمريكية ، واتصل بأساتذتها ، وفاتح بعضهم في دعوتهم إلى زيارة مصر ، فأبدوا ارتياحهم إلى ذلك ، ووعد بأنه سيهتم عند عودته إلى مصر بتوجيه الدعوة الرسمية إليهم . وزار معاليه أيضاً مكتبة « الكونجرس » التي تعد أعظم مكتبة في العالم ، وقد تحدث إلى مراسل الأهرام عن هذه المكتبة فقال : « تحوى هذه المكتبة سبعة ملايين مجلد ، وقد أصبحت كعبة المنقبين والعلماء ، وتهيئ لرواد الكتب من أسباب التيسير ما لا تهيئه لهم أية مكتبة أخرى في القارتين »

وليت معاليه يدعو بعض موظفي مكتبة « الكونجرس » لزيارة دار الكتب المصرية، ليقفوا على ما تهيئه لروادها من أسباب التيسير التي منها : « في الخارج » و « لدى الموظفين » و « في المطبعة » و « مفكوك » و « في المنارة » ويأتي أحد هذه الأسباب على « سند الاستعارة » إلى طالب الكتاب بعد وقت يدهش الأمريكي ، الذي يعيش في عالم السرعة ، للبراعة في تضييعه ! ويظهر أن دار الكتب قد وصلت إليها عدوى « الأداة الحكومية » لا في البطء وحده بل كذلك في الوساطة والتوصيات ، إذ أصبح من اللازم لكي تحصل على الكتاب المطلوب أن تستعين بصديق من موظفي الدار ...

وبعض تلك الأسباب : « أسباب التيسير » عجيب ، فقد طلبت كتاباً في أيام متباعدة ، وفي كل مرة كانت تزحف إلى كلمة « مفكوك » على سند الاستعارة ... فلم يظل مفكوكا ؟ أما مسألة « المنارة » فهي أعجب العجب ! فقد أودع هذه المنارة كثير من الكتب خوفاً عليها من الغارات الجوية ، وانتهت الحرب ، وأضيئت القاهرة ، وأزيلت المخابئ والتيت وزارة الوقاية ... كل ذلك والكتب نائمة في « الكهف » وما تزال في سباتها !

ولكني أخشى ، من حضور الأمريكيين إلى دار الكتب المصرية ، أن يتحدثوا عن مصر عندما يعودون إلى بلادهم فيضموا موضوع « التيسير بدار الكتب » إلى « كرم الضيافة » و « الآثار القديمة » و « الشوارع الكبيرة التي جدت بالقاهرة » التي جرى على الإشادة بها من زار مصر قبلهم من الغربيين المجاملين ، كأنهم لم يروا في هذه البلاد شيئاً يعجبهم غيرها !

كان وأخواتها :

هكذا سمى العدد الخاص الذي ظهر أخيراً من مجلة « الإثنين » وقال المحرر مقدماً هذا العدد : « إنه كان في النية أن يكون خاصاً « بكان » وأخواتها ، فاحتجت « إن » وأخواتها ، فلم يسع التحرير إلا إجابة طلباتهن » .

وكانت إجابة تلك الطلبات أن جمل « لإن » وأخواتها ما « لكان » وأخواتها في هذا العدد من حق ... هو أن يبدأ بكل منها أو يتضمنها عنوان موضوع من الموضوعات التي اعتادت المجلة أن تنشر أمثالها .. ومن هذه العناوين « كنت أدخن السجاير اللف » و « إن مع العسر يسرا » و « لست ملاكا » و « بات على الرصيف » .

وقد ذكر في هذا الصنيع بما كان يفعله كتاب العصور المتأخرة من استعمال الاصطلاحات النحوية في كتاباتهم وما كانوا يتجشمونه من الإتيان بكلام يتكون كله من الحروف المعجمة ، أو يخلو من حروف معينة ، وغير ذلك من ضروب الرياضات الكلامية التي كانوا يتوفرون عليها لإظهار التمكن وإحراز السبق

ولا شك أن عدد « كان وأخواتها » بذل فيه جهد في اختيار العناوين المبتدئة والمتضمنة إحدى تلك الأدوات ، ولكن ما محصل كل هذا ؟ !

على أن فيه غير العناوين جهداً آخر « ليته » لم يكن .. هو صفحة عنوانها « لكن في تاريخ البشرية » حوت وقائع من التاريخ تغير فيها مجرى الأمور وكانت « ولكن » نقطة التحول ، مثال ذلك : « غزا الاسكندر أفريقيا وآسيا ، وأصبح سيد العالم وهو في شرخ الشباب وعنفوان الجمال ، وأراد أن يجمع الشرق والغرب تحت تاج واحد ، ويصهرهما في حضارة واحدة ... ولكن ... في يوم من أيام القيظ نزل الاسكندر للاستحمام في مياه نهر بارد ، فأصابته حمى قضت على حياته » .

وبقية الأمثلة على هذا النسق من حيث موقع « ولكن »

فيها ، وقد قدم لها كاتبها بأن « لكن » من أحرف العطف التى « تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها » . فلكن هنا — مع أنها قد تسللت إلى العدد الخاص « بكان » و « إن » وأخواتها — ليست من أحرف العطف ، لأنها مسبوقة بالواو وداخلة على جملة ، فهى حرف ابتداء ، وهى لم تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها .

وفى العدد مقال للأستاذ محمد توفيق دياب بك عنوانه « إن من البيان لسحراً » قال فى مفتتحه : « وأخذت فى التروية والتفكير : إن من البيان لسحراً ... من عسى أن يكون قائلها الأول ؟ وأجابت الذاكرة : إنه الرسول الكريم قالها إعجاباً بقصيدة إسلامية ألقاها بين يديه حسان بن ثابت » .

والذى نعرفه أن الرسول الكريم قال هذه الحكمة لعمرو ابن الأهتم عند ما علل مدحه الزبرقان بن بدر وذمه له فى مجلس واحد لاختلاف الباعث — بقوله وقد رأى كراهة ذلك فى وجه الرسول : « يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية »

وساق الأستاذ دياب مثلا للبيان الساحر بعض قصيدة ابن الرومى التى رثى بها ولده « محمداً » من قوله :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد

وقال الأستاذ : « وكان محمد ولده الأوسط بين أخوين » ؛ وهو يريد بهذا تفسير « أوسط صبيتى » ؛ وإنما يريد ابن الرومى أن الموت أخذ خير أولاده ، ولو كان المراد المتوسط بين أخوين ، لكان الكلام تافهاً لا يليق بابن الرومى .

وقد عنيت بكل ذلك ، لأن « الإثنين » مجلة منتشرة ، وأحب ألا يستقر فى الأذهان إلا الصحيح من مسائل اللغة والأدب .

موسم الأوبرا والفرق الأجنبية :

تعمل الآن الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى إعداد رواية « الناصر » لتمثيلها على مسرح الأوبرا فى مفتتح الموسم القادم ، وقد ألف هذه المسرحية الأستاذ عزيز أباظة باشا تحقيقاً لرغبة ملكية سامية فى أن يظهر على المسرح عصر من أزهى عصور العروبة والإسلام .

والعصر الذى تعرض الرواية صوراً منه ، هو عصر العرب الذهبى بالأندلس ، عصر عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ، ويقع فى القرن العاشر الميلادى ، أى فى العصور الوسطى ، إذ كانت أوربا يسودها الجهل والفوضى وكل مساوئ الحكم الإقطاعى ، على حين كانت الأندلس ، فى طرفها الجنوبى الغربى ، قد سعدت بالعرب فازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون ، وانتشر العدل وعم الرخاء .

وتعاون وزارة المعارف ووزارة الشئون الاجتماعية الفرقة المصرية على إعداد هذه المسرحية ، لتهيئ لها أسباب النجاح ، ولتظهر المجد العربى على المسرح فى المظهر اللائق به .

وهذه الرواية فاتحة طيبة لموسم التمثيل بالأوبرا ، نود أن تعقبها وتشغل الموسم كله فى هذا العام مسرحيات عربية تمثلها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبعض الفرق المصرية الراقية التى تشكو التعطل . أعنى ما يأتى :

١ — يطلب من الكتاب الذين عرفوا بالإجادة فى التأليف المسرحى أن يمدوا المسرح بقصص تصور واقع حاضرنا وسالف مجدنا ، وفى توجيه الطلب إليهم تقدير لهم يحفزهم على الإنتاج ، ولا بأس بقبول الجيد مما يقدم من غيرهم ، ويتكون من ذلك ومن بعض المسرحيات المصرية القديمة مواد (لتموين) الموسم .

٢ — تشغل الموسم كله فى مسرح الأوبرا ، الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى ، وتدعى للعمل به كذلك الفرق الكبيرة التى عانت الكساد فى السنوات الأخيرة ، وكان المكان ، أى المسرح ، من أسباب هذا الكساد ، فنهيئ لفرقنا مجال العمل ، ولفننا فرصة الازدهار .

٣ — وعلى ذلك ، ومراعاة للظروف السياسية التى نحن فيها ، لا يكون ثمة أى داع لمجىء الفرق الأجنبية إلى هذه الديار فى هذا العام على الأقل ، وخصوصاً الفرق التى تأتى من بلاد الأعداء ومعاونيهم علينا ، وحسبنا ما كان من « تمثيلهم » فى مجلس الأمن ... ولست أدرى كيف لا تحول « قيود » الظروف الحاضرة « الصعبة » دون استيراد هؤلاء !

وما أحوجنا الآن فى جهادنا الحالى إلى المبلغ الضخم الذى ينفق على الفرق الأجنبية لننتفع به فى مساعدة الفرق المصرية بجزء منه وصرف الباقى لتقوية الجيش .

أما حضرات السادة ذوو الأذواق العالية التى لا يرضيها إلا الفن الغربى .. فيجب عليهم أن يعيشوا معنا ، ويحسوا إحساسنا ، ويصحبونا إلى مشاهدة تمثيلنا والاستماع بفننا .

وقد كنت أجمل المطلب الرابع تخفيض أسعار دخول الأوبرا ، لتتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من طبقات الشعب — لولا أننى قرأت فى إحدى المجلات أن ذلك قد تقرر فعلا .

توصيات المؤتمر في اللغة العربية :

أتيت فى الأسبوع الماضى على أهم توصيات المؤتمر الثقافى ، فى التربية الوطنية ، والجغرافيا ، والتاريخ . ولما كانت توصيات اللغة العربية لم تذع ، فقد ظن أن المؤتمر لم يتخذ قرارات فى شأنها ، وقد أشرنا إلى ما ترامى إلينا من هذه الظنون

والواقع أن لجنة اللغة العربية كانت تأخرت فى إعداد تقريرها ، فترتب على ذلك تأخر طبعه عن جلسة المؤتمر الختامية ، فتليت توصيات اللغة العربية من نسخة مكتوبة باليد ، ووافق عليها المؤتمر كما وافق على توصيات المواد الاجتماعية التى كانت قد طبعت ، فأرسلت الأخيرة إلى إدارة الصحافة بالجامعة العربية ، فوزعتها على الصحف ، ولم ترسل توصيات اللغة العربية من لبنان إلى حين كتابة هذا ، ولعلها فى الطريق

وقد اطلعت على نسخة مخطوطة من هذه التوصيات ، وهى مفصلة شاملة لمناهج السنوات المختلفة بالتعليمين الابتدائى والثانوى فى مواد اللغة العربية . ونقتطف منها بعض التوصيات العامة فيما يلى :

افتتح تقرير لجنة اللغة والقواعد ، بأن المؤتمر يرى أن قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف وإملاء ، تحتاج إلى تيسير وتبسيط يقربانهـا من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة

وجاء فى تقرير لجنة الأدب أن الغاية من التثقيف الأدبى فى المرحلة الابتدائية تنشئة الطلاب على الأخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربى ، مع تربية ذوقه الفنى ، وتنمية ملـكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد فى ثقافته العامة. وفى التعليم الثانوى يجب أن ينظر إلى الأدب نظرة واسـعة ، بحيث لا يـكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول أيضاً الموضوعات الفـكرية والعقلية المصوغة صيـاغة أدبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ورسالة حى ابن يقظان وبعض كتابات الغزالى وبعض قطع تاريخية من الطبرى والفخرى ونحو ذلك . وفى المرحلة الأولى من دراسة الأدب يكون الاعتماد على نصوص أكثرها من الأدب الحديث ، وأقلها مما يقرب من هذه النصوص فى السهولة من الأدب القديم . ويـكتفى من تاريخ الأدب فى هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها . وفى المرحلة الثانية تختار نصوص أدبية مرتبة حسب العصور من الجاهلى إلى الحديث ، يراعى فى اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتـكون دراسة الأدب مستمدة من هذه النصوص

ويرى المؤتمر أنه يجب ألا نتقيد فى التعليم الثانوى بالبلاغة الشكلية النظرية ، وأن نعود بالنقد إلى وظيفته الأساسية ، وهى تذوق الأدب ، وفهم نصوصه ، وإدراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعى إلى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة أفـكارها ، وتبين ما فيها من جمال أو نقص ، وتعرف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات ولاحظ المؤتمر أن تسمية الإنشاء باسم « التعبير » أفضل لما فى هذا من توسـيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه إلى نواح من النشاط تسـاعد على نمو الملـكة المعبرة المبتـكرة عند التلميذ

ويوصى المؤتمر بأن يعطى للغة العربية — وهى عماد الثقافة القومية — أكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة فى مناهج التعليم

ونكتفى الآن بهذا القدر ، على أن نأتى فى الأسبوع الآتى بما يراه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك من الثقافة العربية بين ناشئة العرب .

« العباس »



عرض ونقد :

أخي إبراهيم

(تأليف الآنسة فدوى طوقان)

بقلم الأستاذ إبراهيم محمد نجا

هذا كتيب لطيف الحجم ، جم الفائدة ، كتبته الشاعرة النابهة الآنسة فدوى طوقان ، عن أخيها شاعر فلسطين ، وفقيد الشعر العربي الأستاذ إبراهيم طوقان .. والذين قرؤوا رثاء الآنسة فدوى لأخيها إبراهيم ، قد لمسوا من غير شك في هذا الرثاء مبلغ ما تكنه الآنسة لأخيها الشاعر من الإعجاب والتقدير ، وعرفوا مقدار ما بينهما من ألفة الروح ، وقرابة العاطفة ، فوق ما بينهما من ألفة الأخوة ، وقرابة الدم .

والذين يقرؤون هذا الكتيب يلمسون فيه كذلك كل هذه المعاني والمشاعر في صورة قوية واضحة ؛ فقد شاءت الآنسة أن تصدر كتابها بهذه الأبيات الحزينة المتفجعة التي تصور الحزن والإعجاب معاً تصويراً قوياً مؤثراً :

أي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من نبضات الفؤاد ؟!
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها ، فتهتز الربا والوهاد !
ثم تراميت صريع الوهن مخضب الروح ، سليب الضماد !
وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد!

ثم أخذت تعرض صوراً من حياة أخيها في مراحلها المختلفة بأسلوب يستدر الدمع ، ويستثير الشجون ! وهي في أثناء ذلك تأتي بنماذج من شعره ، لا تعرض لها بالنقد والملاحظة ، وإنما تذكر دواعيها ومثيراتها ، ثم تدع للقارىء أن يحكم عليها . أما هي فمعجبة بشعر أخيها كل الإعجاب ، مؤثرة لشخصه كل الإيثار .

وأشهد أني بعد أن قرأت هذا الكتاب — وفيه نماذج كثيرة من شعر إبراهيم — قد أصبحت أكن لهذا الشاعر من الإعجاب والتقدير مثل ما أكنه لكل شاعر موهوب .

وما أندر أصحاب المواهب في هذا الزمان ! وأصبحت كذلك أجد لفقده من الأسف والحسرة مثل ما أجد لفقد الشابي والهمشري والتيجاني والمعلوف وبليبل وأمثالهم من الشعراء الذين فقدناهم ، وهم في ريعان الشباب ، ومعقد الأمل ، ومناط الرجاء . وإن كان بعض هؤلاء لم أعرف عنه ، ولم أقرأ له إلا بعد موته بسنوات .

ورأيي الصريح في إبراهيم أنه يمتاز في شعره بدقة الوصف ، والإحاطة بالتفاصيل ، دون أن يضطره ذلك إلى الإسفاف والتبذل في الألفاظ أو المعاني . وقد أعانته على ذلك قوة روحه الشاعرة ، ووفرة ثروته الأدبية . كما يمتاز برقة الألفاظ في مواضع الرقة ، وجزالتها في مواضع الجزالة ، وجمال التخييل ، وطرافة المعاني في كثير من القصائد .

وقد مهدت له براعته في الوصف سبيل البراعة في الشعر القصصي كما يظهر ذلك جلياً في قصيدته الرمزية القصصية الرائعة « مصرع بلبل » . وفي يقيني أن إبراهيم لو مد في عمره لأتى بالمعجب المطرب في هذا الفن من فنون الشعر الحديث .

ولكنه في شعره الغزلي في حاجة إلى شيء من قوة الانفعال ، وفورة العاطفة ، فقد سيطرت على هذا الشعر رقة الشعور ، ووداعة العاطفة ، وهدوء النفس . ويبدو ذلك واضحاً في قصيدتيه « ملائكة الرحمة » و « في المكتبة » . ولولا ما في هذا الشعر من براعة الوصف ، وطرافة المعاني ، وجمال الأسلوب ، لما استحق إبراهيم أن يعد من شعراء الغزل في هذا العصر .

أما شعره في الوطنيات والموضوعيات — على حد تعبير الآنسة فدوى — فهو شعر قوي الألفاظ والمعاني على السواء ، وإن كان بعض هذا الشعر تفوته جزالة الألفاظ ، ونخامة الأسلوب ، مثل قصيدته « الشاعر والمعلم » التي يقول في مطلعها :

شوقي يقول وما درى بمصيبتي « قم للمعلم وفه التبجيلا » !

وقصيدته التي يقول في أولها :

أنتم المخلصون للوطنية أنتم الحاملون عبء القضية

وقصيدته التي يقول فيها :

إن قلبي لبلادي لا لحزب أو زعيم

ولست أدري لماذا تذكرني هذه القصيدة بمقطوعة البارودي التي يقول فيها :

أنا في الشعر عريق لم أرثه عن كلاله
كان إبراهيم خالي فيه مشهور المقاله

وهناك فن من فنون الشعر لا أجد إبراهيم يفرده بالحديث، ويختصه بالقول، وإنما يلم به في قصائده إلماماً، ويعرض له عرضاً، ذلك هو تحليل النفس البشرية وسبر أغوارها، وتصوير حالتها المختلفة، وتجاربها المنوعة، مع أن هذا الفن من فنون الشعر أدل على عمق إحساس الشاعر، وكثرة تجاربه، وسعة أفقه، من غيره من فنون الشعر المختلفة. والشعراء بعد ذلك درجات في شعر الحالات النفسية، فمنهم من يقف عندما يخص نفساً دون نفس، أو طائفة من النفوس دون طائفة ومنهم من يوفق إلى ما يمس النفوس البشرية كلها في أحوالها المختلفة.

ولعل إبراهيم قد صرفه الحديث عن آلام وطنه عن تعمق النفس البشرية. وآلام الوطن لا تحتاج لإحساسها إلى التعمق والإستقصاء؛ لأنها تغلي في النفوس، وتجيش في الصدور، ولكنها في حاجة إلى من يحسن تصويرها، والتعبير عنها، والتأثير بها. ومهما يكن من شيء، فإن إبراهيم طوقان موهبة من المواهب الفنية، يعظم فيها الرزء، ويجل عنها العزاء، ويعز فيها العوض.

وإذا كان لي بعد ذلك أن أدل الآنسة الفاضلة على شيء، فإنما أدلها على أنها قد عرضت حياة أخيها عرضاً موجزاً يوشك ألا يسمى ترجمة حياة. فإن كان ذلك ضرورة من ضرورات النشر، فهل لها أن تتناول هذه الحياة بمقالات تفصل فيها ما أجملت، وتوضح ما أبهمت، وتذكر ما لم تذكر؟!

وشيء آخر أحب أن أدل الآنسة عليه، هو أنها قد تركت بعض جوانب من حياة أخيها دون أن تعرضها، فعلت ذلك عن عمد وإصرار، كما يبدو من إهمالها الحديث عن «سيئات!» هذا الغرام الذي قام بين أخيها وبين فتاته أو فتاة الجامعة الأمريكية ببيروت، مع أنها لم تهمل الحديث عن حسنات هذا الغرام ... حسناته الأدبية طبعاً!! ومع أنها ذكرت أن لهذا الغرام سيئات، ثم قالت: «أما السيئات، فليس هذا بموضع تدوينها»! لماذا؟ ألأن هذه «السيئات» سيئة إلى الحد الذي يجعل القلم الأنثوي يتصبب «مداداً»! حين يخوض في حديثها؟

على أن الذي أفهمه أن على الآنسة أن تكون مؤرخة في كتابتها قبل أن تكون شيئاً آخر، وأن التاريخ الأدبي يقتضيها إذا ذكرت ناحية من النواحي الظاهرة أو الخفية في حياة من تكتب عنه، أن تقول فيها ما يغني وما يفيد. ومن يدري، فقد تكون النواحي الخفية في حياة الشاعر أدل على معرفة نفسه، وأبعث على فهم شعره من غيرها من النواحي الظاهرة.

وبعد، فالرأي أن الآنسة الفاضلة قد دلت بكتابها على أنها تملك موهبتي الشعر والنثر معاً؛ فقد أجادت في حديثها عن أخيها حديثاً ممتعاً حزيناً مؤثراً! وأجادت كذلك فيما اختارت له من النماذج الشعرية التي نثرت بعضها في أثناء الكتاب، وجعلت بعضها الآخر في آخره. فهل لها أن تعنى بطبع ديوان أخيها إبراهيم طبعاً يليق به، ويروج له؟ إنها حين تفعل ذلك تقدم خدمة كبيرة، لا أقول لأخيها فحسب، وإنما أقول للشعر العربي أيضاً. رحم الله شاعر فلسطين إبراهيم طوقان، ومد في حياة فدوى طوقان شاعرة فلسطين.

ابراهيم محمد نجا



تفرعن ، فرعون :

خمنت (الاثنان) الغراء في الجزء ذي الرقم (٦٩٢) — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ — أن الفعل (تفرعن) هو من كلام العوام ، فأنزلته في تضاعيف عباراتها في مقالة من مقالاتها وسط أقواس[1] أربع أو أهلة معرفة قراءها بما فعلت أن المقام اقتضى استعمال هذا الدمل على عاميته مبالغة في التبيين واستقصاء ، وإنها بحاله لعليمة . فإن كانت (الاثنان) خمنت ما خمنته أو استيقنته فلتعلم — غير مأمورة — أن (تفرعن) فعل صحيح فصيح وعربي بحت قد نجلته العربية في (الجزيرة) ولو وضعته في مصر أو في الشام أو في العراق أو في المغرب الأقصى ما أنكرناه ولتقبلناه بقبول حسن كما تقبلنا سواه ، وهي العربية المتبجحة المتصرفة في كلامها ، ولها لأئمتها أن يتصرفوا ولا يقفوا . وإنه لما جاء (فرعون) اسمه إلى (الجزيرة) وتحدث الأقوام بما تحدثوا به اشتق منه (التفرعن) و (الفرعنة) ولم يسلم هو فراح (فرعون) عند العرب صفة صرفوه فيها ومنعوه علماً فـ « كل عات متمرد فرعونٌ » كما في اللسان والتاج ، وفي الأساس : « فيه فرعنة ، قال : وقد يكون مرةً ذا فرعنه .

وقد تفرعن علينا فلان ، وما هو إلا فرعونٌ من الفراعنة ، ومن المجاز : تفرعن النبات إذا طال وقوى » .

وخير لغاته هي ما نطق بها (الكتاب) أي بكسر الفاء وفتح العين ، وحكى ابن خالويه عن الفرّاء (فرعون) بضم العين وفتحها ، وهي لغة نادرة كما في التاج .

والاشتقاق من أسماء الأعلام في الجاهلية والإسلام كثير . وقد يغني فعل أخذ من اسم عن كلام طويل ، فمن ذلك ما أورده الإمام الزمخشري في (أساس البلاغة) : « وبحاحظ فلان في كلامه »

وما ذكره في شرح لإحدى مقاماته :

« ابن الفرات هو علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر ، وكان كريماً سخياً سرياً يتبرمك في أيام وزارته »

وهذان الفعلان (تجاحظ وتبرمك) المأخوذان من ذينك الاسمين فيهما من المعاني ما فيهما ، والأمثلة من هذا القبيل جمة .

ذكرني (الاثنان وفرعون) بخبر في (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)[1] وبأبيات لأمير الشعراء (أحمد شوقي) — رحمه الله — في قصيدة عظيمة عبقرية . جاء في الروض :

« حضر مجلس (الإمام) الأعمش قوم ليسمعوا الحديث ، فقال : ما اليوم ؟

فقال رجل منهم : الاثنين . فقال (الإمام) الأعمش : الإثنان[2] ، ارجعوا فأعربوا كلامكم ثم اطلبوا الحديث » .

قال أمير الشعراء :

زمان الفرد يا (فرعون) ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا
(فؤاد) أجل بالدستور دنيا وأشرف منك بالإسلام دينا[3]

السهمي

(١) في الصحاح : القوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس

أدب العروبة في الميزان :

كانت الجولة الأخيرة للأستاذ على متولي صلاح بين دفتي الأثر القيم لجامعة أدباء العروبة تعقيباً لآثار ثلاثة من شعرائها ، كاتب هذه السطور ، والأستاذين العوضي الوكيل وطاهر محمد أبي قاشا .

وأحب أن أناقش ما جاء في ثنايا مقاله من هنات أخذها على مشكوراً في رفق وهوادة .

يقول الأستاذ (أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلي إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته في أمر لا علاقة للموضوع به فذلك ما نأخذه على الشاعر) .. وقد استشهد على ذلك بقصيدتي في الفيوم ، قائلا إنني لم أسق (من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد

(١) ربيع الابرار للزمخشري وروض الأخيار لمحمد بن قاسم بن يعقوب ...

(٢) اللسان : والإثنان من أيام الأسبوع والجمع أثناء على ماحكاه سيبويه ، وحكى مطرز عن ثعلب : أثانين .

(٣) في هذه العبقرية بيت بارع أسرف أدباء وأدبيات في ظلم قائله وظلمه من سوء فهمه ، ولم يزل يظلم ، وقد أنصفه (صاحبي) في إملاء من أماليه في وقت ، والبيت هو هنا :

شباب قنع لاخير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا
من الأديبات الظالمات الفاضلة الآنسة حواء إدريس .

شيئاً) وأنني (سردت على الناس قصة غرام شخصى فى غزل أخاطب به حبيبة بعينها) ..

أما أننى جانبت الموضوع فى مهرجان الفيوم فهذا ما يصعب أن أوافقه عليه ..

فإن موضوع الفيوم متعدد الجوانب ، متشعب الاتجاهات . (والتاريخ الحافل والماضى المجيد) أحد هذه الجوانب . ورياض الفيوم وجناتها مضطرب واسع لخيال الشاعر ..

وما الذى يزعجك يا سيدى من أن يتكفل النثر (بالجانب التاريخى الحافل والماضى المجيد) تاركا للشعر أن يصور جمال الطبيعة فى الفيوم ، وأنا أحيل الأستاذ متولى على قصيدتى مرة أخرى ليقتنع بأننى لم أشد قيد أنملة عند تناول الموضوع من هذه الناحية .

أما عن قصيدتى فى المنصورة ، فالمنصورة كما يسميها أستاذنا الكبير الزيات صاحب الرسالة بلد السحر والفتنة والجمال فلا تثريب على الشاعر من أن يتأثر بهذه الأجواء الساحرة الفاتنة على أننى لم أفرط فى قصيدة المنصورة فى الاستطراد فى ذكر (الناحية التاريخية والماضى المجيد) .

ثم ليسمح لى الأستاذ أن أتحداه فى غير هاتين القصيدتين وموضوعهما من الشعر كما قدمت — أن يذكر بيتاً واحداً خارجاً عن الموضوع فى سائر القصائد الأخرى فى الكتاب .

أما أننى أتغزل فى حبيبة بعينها ، فليتفضل الأستاذ بمراجعة ما تحت يده من دواوين الشعراء فى عصور الأدب العربى وأنا الزعيم له بأنه سيجدهم جميعاً مفهومين جداً وهم يتغزلون فى واحدة بعينها وأن الأدب العربى لم يسجل عليهم فى هذا الصدد عيباً أو نقيصة . أما بقية المآخذ فسأجمل الرد عليها إجمالا .

فعدم علم الأستاذ بكيفية نثر الطيور للأزهار فوق الروابى فلست مسئولا عنه فقد رأيتها بعينى رأسى وعليه أن يغشى إحدى جنات المنصورة ليرى ما رأيت . أما ان كلمة أنس الأمانى عامية ولا معنى لها فخيفا يحرمه الله تحقيق أمنيـة له — لا قدر — ثم يشاء له تحقيقها حينئذ سيستشعر أنس هذه الأمنية لقلبه وعواطفه — أما أن البيت :

أقضى الليـالى أنات مرددة والشاهدان على النجم والسهد

لا يكون السهد شاهداً مع النجم وهى حالة يعانيها من كتبت عليه المحنة فلم لا تـكون هذة الحالة نفسها شاهداً ؟

أما المفاضلة بين « غزالة » و « بغداد » وبين « الدسوق » و « الرشيد » فقد فهمها منهما غريباً لا يتسق مع ما ترى إليه الأبيات من تشبيه يلتقى فيه البلدان والرجلان عند هدف التمجيد والتكريم والاشادة بمن يعمل على رفع شأن الأدب ورعاية الشعر .

أما أن كلمة « ملياً » فى البيت :

يا لواء الفاروق عشت مليا نحن نفدى لواءه المقصودا

كان الأولى أن يكون موضعها « دواما » لأن معنى الأولى الزمن الطويل بدليل الآيه (واهجرنى مليا) فلعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمة « مليـا » تتساق فى الجرس أكثر من « دواما » والزمن الطويل لا نلتمس له النهاية التى حددها الأستاذ متولى ،

أما المأخذان الأخيران فى عدم تأتى حر المعطش من الرى العذب فى البيت :

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ريها العذب أوامى

وعدم تصور حباء اللذع وأنه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع فى البيت :

قلبى الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

فحر العطش يتأتى من الرى العذب من هذه الخمرة التى تغرى دائماً بالعلل والنهل فكلما روى الشارب ظمىء .

أما أن العطاء لا يكون فى اللذع فلذع القلوب واكتواؤها بنار الحب شىء يلذ العاشقين يتمنونه ويفرمون به .

بقى أن أعقب على مآخذ للأستاذ الناقد على نتاج الجامعة الذى يقول أنه ضئيل ويسير وهو مأخذ يدعو إلى الدهشة والعجب فما الذى كان يتوقعه الأستاذ من مجهود للجامعة أضخم من هذا فى عامها الأول فقد افتتحت الجامعة فروعاً عدة فى مختلف أنحاء القطر شهدتها جموع كثيرة وأذاعها الأثير على سائر أقطار الشرق والعروبة ثم أخرجت الجامعة للناس كتاباً قيما يضم الرائع من الشعر والنفيس من النثر للأساتذة العقاد ، ناجى ، غنيم ، رامى الخ

أما اقتراح الأستاذ على معالى رئيس الجامعة فى تعديل تشكيل هذه الجامعة واقصاء بعض القائمين بأمر الدعاية والعمل لها ، فقد أعلن معالى الرئيس غير مرة أن هؤلاء القائمين بالنشاط الموفور لخدمة الجامعة ليسوا من كبار الكتاب أو الشعراء فى البلد وإنما هم أناس قدموا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة الجامعة ونشر أغراضها ومبادئها مستمدين العون من قادة الفكر والبيان فى مصر وسائر أقطار العروبة .

أحمد عبد المجيد الغزالى



قصة مصرية :

أحـــزان غاليـــة

للأستـــاذ نصرى عطا الله سوس

« ... كان لهـا قلب ، وكان قلبها »
« المتمسك بالحياة سر ما تعانيه من عذاب »

كان الصمت الموحش الرهيب يخيم على قاعة المسرح المزدحمة بالجماهير التى توافدت لرؤية رواية « المنبوذ » فى ليلتها الأولى ، وكان الجميع يتتبعون التمثيل بشغف واهتمام وقد ارتسمت على وجوههم أروع العواطف وأعمق الانفعالات ...

ولم يكد يهبط الستار على الفصل الأخير وتضاء الأنوار حتى بدد وحشة الصمت دوى الهتاف والتصفيق الذى تجاوبت به أنحاء القاعة الواسعه ، وارتفع الستار مرة أخرى وقدم الممثلون للجمهور فروض الشكر والامتنان ، ثم هبط الستار مرة ثانية ، ولـكن حماسة الجمهور لم تفتر بل ظل يهتف ويصفق فى نشوة وذهول كأنه يأبى الرجوع إلى عالم الواقع الذى انتزعته منه تلك المسرحية الرائعة ساعات خالدات ...

ولم تقل نشوة الممثلين ، وموظفى المسرح ، ومؤلف الرواية نفسه عن نشوة الجمهور ، فلم يكن بين كل أولئك من يقدر لهذه المسرحية التى تردد مدير الفرقة كثيراً فى قبولها مثل هذا النجاح النادر فى تاريخ المسرح كله ، نعم . إن شهرة المؤلف ومكانة الممثلين لا يتطرق إليهما شك ولـكن المشكلة التى عالجها المؤلف فى مسرحية أعلى من مدارك الغالبية من رواد المسرح ؛ والحديث الذى أجراه على ألسنة أبطالها أقرب إلى حديث الفلاسفة والشعراء منه إلى حديث عامة الناس، كما أنه هاجم أفكارا وعقائد باطلة لها على نفوس العامة سلطان كبير وإن كان لا يشك أحد فى تفاهتها وسخفها ولقد جازف مدير الفرقة بقبول الرواية للتمثيل معتمداً على ما تتمتع فرقته من ثقة وسمعة طيبة وتفنن فى الإعلان المغرى عنها وراح ينتظر النتيجة ... ونجحت الرواية فى ليلتها الأولى نجاحا فاق كل حسبان وتقدير .

ولم تنجح الرواية لقوة موضوعها وكفاءة ممثليها بقدر ما نجحت لأن امرأة شقية كانت تقوم بدور بطلة الرواية . ووفقت فى أداء دورها توفيقاً كاد يرقى إلى مستوى الإعجاز لم تكن « سميرة » من الممثلات البارزات فقد قضت فى دنيا المسرح أكثر من خمس سنوات وفى العام الأخير فقط بدأ المخرج يثق فيها بعض الشيء ويسند إليها بعض الأدوار الهامة .

ولـكن سميرة فى تلك الليلة التى قامت فيها بدور البطولة فى رواية « المنبوذ » لم تكن نفس الممثلة التى عرفها رجال المسرح أو رواده خلال خمس سنوات ! من كان يصدق أن المرأة التى مثلت دور « نبيلة » هى نفسها ذات المرأة المحتشمة الصموت التى ألف الـكل رؤيتها فى أوقات فراغها منتحية ركنا قصيا تدخن سيجارتها فى وحدة وهدوء . أجل ، لم يكن هناك من يصدق أن تنقلب سميرة التى يعرف الـكل مستوى تمثيلها إلى شعلة من نار تعدى كل من اشترك معها فى التمثيل بالحرارة واللهب . . لقد كانت بمثابة القلب الحار الجياش بالدم الذى يمد بقية الجسم بالوقود اللازم للحركة والحياة .

والسر فى ذلك لم تكن تعرفه إلا سميرة وحدها ، إنها لم تمثل فى تلك الليلة دورا على خشبة المسرح ، بل كانت تعيش ، كانت تحترق . وانتهت الرواية وأسدل الستار ، وانسلت سميرة إلى غرفتها لتستريح ولم تمض دقائق حتى أندفع المؤلف إلى غرفتها وأحتضنها فى حرارة وقبلها مهنئاً فراعه برودة شفتيها وشدة اضطرابها ، وبعد لحظات أقبل مدير الفرقة وهو يصيح فى طرب :

— إنى أهنىء كل منكما بالآخر .. إن روايتك يا أستاذ لن تعيش إلا مقترنة باسم سميرة ، وسميرة لم ترتق إلى هذا المستوى العالى إلا على أجنحة روايتك . . ونظر إليها فى غبطة فأذهله شحوب وجهها وما ينطق به من ألم ...

أما سميرة نفسها فقد كانت فى دنيا أخرى ، كانت ذاهلة عن نجاحها وعن كلمات الإعجاب والتقدير التى تنهال عليها ، وعن حفاوة الجمهور ومقدار تأثره . ولقد بذلت كل ما فى طاقتها لإخفاء ما بها عمن حولها ففشلت ، وحملوها إلى دارها وهي ترتعش كالمحموم .

وفى الصباح لم تقو على مبارحة فراشها..وأرسلت تستدعى طبيباً وفحصها الطبيب فحصاً دقيقاً ولـكنه لم يستطع أن يهتدى إلى علة يعزى إليها شحوبها وهزالها ... ولـكن وجه المريض يعترف دائماً للطبيب الماهر بـكل الأسرار التى يجتهد صاحبه فى

إخفائها ، واستطاع الطبيب الذى عاد سميرة أن يفهم أن سر علتها لا يكمن فى جسدها : إن أعصابها المنهوكة المستنزفة ، وحسرتها الذائبة فى عينيها ، وأحزانها الراقدة فى أطواء صوتها تنطق بأنها تضم ضلوعها على صراع عنيف أو فاجعة دامية لا تريد أن تبوح بها فلم يسعه إلا أن ينصحها بالراحة التامة والتروح إلى مكان آخر لتبديل الهواء ، ووصف لها دواء للاعصاب .

وما أسهل إسداء النصح !! الراحة التامة ؟؟ لقد بكت عندما سمعت هذه الكلمة ، إنها فى حاجة إلى الراحة حقا ، ولكن أنى لها أن تنالها ؟ إن الزمن حكم عليها بالشقاء وأمعن فى إذلالها كأن بينه وبينها ثأراً لا ينقضى - والآن يأتى رجل غريب ويخبرها أن جسدها سليم ويفهمها فى لباقة أنه يدرك أن هناك سراً يهز أعصابها هذه الهزات المنيفة ثم ينصحها بالراحة ! !

وعلى فراش الأوجاع انفسح أمامها المجال للتأمل والتفكير ، وطافت برأسها العانى ذكرى « المنبوذ » وكلمات الإعجاب وعاصفة التصفيق ... وعلت وجهها ابتسامة شاحبة وأغمضت عينيها وراحت تتذكر ...

أحقاً كانت تمثل دورا على خشبة المسرح ؟ تتكلف المواطف وتتصنع البكاء ، وتفتعل الحزن والألم والتنهدات .. ؟ لقد فعلت ذلك مئات المرات ، أما فى تلك الليلة التى لن تنساها فقد كانت تعرض على الجمهور مأساتها الدامية وذكرياتها الحزينة وكانت فى شبه غيبوبة وهى على خشبة المسرح فقد استولت أحزانها وذكرياتها التى ظلت سنين حبيسة لا ترى النور على مشاعرها ولسانها وتدفقت الكلمات من فمها فى ثورة وعنف حاملة فى تضاعيفها لهباً وشواظا من أتون آلامها ... ولم تعد سميرة ممثلة تتحكم فى دورها بل إمرأة شقية تتحكم فيها ثورة آلامها وتنطقها دون وعى بما يعتلج فى صدرها ورأت بعينيها ذهول الشاهدين وسمعت بأذنيها الأنات والآهات وبكاء الباكيات فزاد تأثرها وانفعالها وتمثلت لها حياتها قاتمة الألوان دامية الجراح وأحست نحو نفسها بالشفقة والرثاء ... فكان ما كان آه لوكانت تعرف من يحس نحوها ببعض ما تحسه هى نحو نفسها من شفقة ورثاء لما تألمت كل هذه الآلام ، أو لو يقع لها فى مستقبل أيامها ماوقع لتلك الفتاة التى مثلت دورها على المسرح لشعرت ببعض العزاء وانتظرت فى صبر وأمل

كانت حوادث الرواية تدور حول فتاة جنت عليها سذاجتها وطيبة قلبها ، ظنت أن الشباب طريقا مفروشاً بالورد ولكنها لم تكن قد ادركت بعد أن الشوك يوجد دائما حيث يكون الورد بألوانه الفاتنة المغرية . وأسلمها العبير فأغمضت عينيها واستسلمت للأحلام .. فجرفها التيار - وأفاقت فجأة لتجد أن ثمرة الغواية تنبض فى أحشائها ، وطاف بخيالها شبح الفتيات اللواتى يتخلص منهن ذويهن ذبحا واغتيالا فكانت صدمة هائلة لم تستطع بعدها ملاقاة أهلها فهامت على وجهها وذاقت صنوفاً من التشرد وعرفت ألواناً من الهوان. وفى دنيا المسرح ألقت عصا التسيار لتكسب قوتها بعرق جبينها... وأيقنت فى قرارة نفسها أن تلك هى خاتمة المطاف : إنها ستظل تمثل وترقص وتعيش حياة الليل الآثمة حتى تنقضى أيامها

لقد أيقنت بعد التجارب المرة أن الرجال ذئاب وأنهم لا يرون فيها إلا متعة ساعة وسلمه يتداولها كل من يستطيع أن يدفع الثمن فماقتهم نفسها وكرهت جسدها الحار المغرى الذى كان يجذبهم نحوها فتمنحه لهم كارهة وقلبها يفيض بالعبودية والهوان - وكانت نفسها تتلوى ألماً وحزناً ولا تجد من تستطيع أن تفضى إليه ببعض ما تحس . إن المجتمع لا يفرق ، بل يدمغهن جميعاً بوصمة العار ويحكم عليهن بأن يعشن منبوذات شريدات طعمة للعار والنار ... ولا يلاحقهن - فى منفاهن - إلا طلاب المتعة العابرة ، والأرقاء الذين يبيعون العمر وينفقون ثمنه فى سوق الشهوات ... وبرغم ذلك لم تيأس ولم تستنزف أوصابها كل ما فى قلبها من طيبة وسذاجة بل كانت تتألم فى صمت وتحلم فى سكون بالحياة الهانئة الوادعة وعاشت على الأمل ومنه كانت تلتمس العزاء وتروى ينبوع الأحلام فى قلبها .

ولم تكذب الأيام ظنها ، فقد ساقت إليها يوما شاباً من أولئك الذين لا يؤمنون بقوانين المجتمع ولا يعبأون كثيراً بعرفه وتقاليده واستطاع أن يستشف من وراء حياتها الصاخبة الصارخة الألوان صفاء قلبها الذى طهرته الآلام ووجد فيها المرأة التى يبحث عنها من زمن فاصطفاها لنفسه وحررها من بيئتها وماضيها وعاش معها كأسعد ما يكون إلفان ، ضاربا عرض الحائط بسخط أهله ونقمة عشيرته وعارفيه ... وأثبتت هى للجميع أن السماء لا توصد أبوابها فى وجه تائب مهما اقترف من رذائل وشرور وأن كل آثام الأيام لا تستطيع أن تخمد تلك الشرارة الإلهية التى تودعها العناية قلب كل بشرى ...

واعجبا لذلك الفتى الذى كتب هذه الرواية ! هل استوحاها خياله أم كتب سيرة حياتها هى بعد أن استوحى الغيب وعرف

مايضمره لها الزمن فى مستقبل أيامها ... لقد ضمنها كل ماوقع لها، وعبر فيها عن كل أشجانها وآلامها . وآمالها : لقد زلت «سميرة» كما زلت « نبيلة » بطلة الرواية وتشردت مثلها ... وأصبحت ممثلة ... ولكن السماء لم ترسل لها بعد ذلك الشاب الذى سينشلها من العذاب الذى تعيش فيه ويخلصها من الشرور والآثام التى عليها أن تقترفها كل ليلة لتعيش.

لقد قامت سميرة بدور «نبيلة» ومثلتها وقت سقوطها ومحنتها فعبرت عن مشاعرها وآلامها ، ومثلتها السعادة فعبرت عن آمالها وأحلامها فهل تتحقق الأحلام كما تحققت الآلام ؟

ياله من حلم ذهبى لم يتحقق إلا خيالا ، لقد عاشت مع رجل أحلامها على خشبة المسرح ساعات وسمعته يصرخ فى أهله عندما كانوا يحاولون ثنيه عن عزمه « نعم ... لقد عاشت فى تلك البيئة سنوات ، ولكن ما ذنبها ؟ لقد وقعت فى الشرك مرة وقبض عليها صياد قاسى القلب وأبقاها فى الأسر سنين فهل يمكن للسنين أن تنسيها حريتها ؟ والآن وقد تحطمت أسلاك القفص الذى احتواها طويلا ... فهى تتطلع نحو السماء فى لهفة وفرح ... ثم تنشر جناحاها وتتجه مسرعة نحو الحرية والنور ... » ويطول الجدل معه فيضيق بهم ويصرخ فيهم ... « لقد قلت لكم إنى أحبها وهى أيضاً تحبنى ولن أتخلى عنها ... إن الحب معجزة أيها الناس يجعل المستحيل ممكناً . لا ، لا ، لست مخدوعا بل أنا موقن أنها عذراء القلب نقية الروح »

يا إلهى ... أيها الغفور الرحيم ، هل سترحمها وترسل لها رجلا مثله تراه بعينيها على مسرح الحياة ؟ أم تطوى العمر وهى تنتظر ؟

وقضت سميرة فى فراشها أياماً طويلة كانت نفسها خلالها مسرحا لمختلف العواطف والانفعالات والأزمات . كانت تسترسل فى البكاء ساعات طويلة حتى تتقرح جفونها وتنام وتستيقظ والدموع على صفحة خديها

وتسرب إلى قلبها اليأس والسخط على الحياة

وأغراها السخط بالتمرد على القدر !

لم يقسو الزمن عليها كل هذه القسوة ... ؟ ألا تكفى سنوات طويلة من الآلام والعذاب كفارة عن خطيئة انساقت إليها دون وعى أو إرادة ؟ آه ... ماذا ينفع الندم الآن ؟

وغاظها موقفها من نفسها : لقد ظلمها الزمن وغدر بها ، فلم تضيف إلى ظلم الزمن لها ظلمها لنفسها ؟ لم كل هـذا البكاء والندم والألم ؟ هل تستحق هذه كل هذا ؟ !

واختمرت فى رأسها الفكرة وأرادت أن تثأر لنفسها ...

وعندما غادرت فراشها لم تعد تحس أنها نفس المرأة التى مثلت دور « نبيلة » فبكت وأبكت ...

الحياة البوهيمية الصاخبة ، والكؤوس الترعة ، والليالى الماجنة الحمراء تشفى الجراح التى استعصت على الزمن ..

وأدهش الناس تغيرها ، ماذا جرى لهذه الفتاة المحتشمة الرزينة العازفة عن حياة الليل ؟ لقد كانوا يضربون بعزة نفسها الأمثال فما بالها أصبحت يسيرة المنال على كل من يطمع فيها . ! !

ونجحت سميرة وعلا نجمها

وسرعان ما اشتدت المنافسة عليها وكثرت العروض، وتشاحن عليها فرسان الليل ، ولم تعد حياتها فى الماضى إلا حلماً باهتا يطارده بريق الذهب الذى تلهو به الآن كما يلهو الأطفال برمال الشاطىء . هاهى تنتقم من الرجال . إنهم يتملقون رغباتها ونزواتها وهى تلهو بعواطفهم وتدوس قلوبهم وتستنزف جيوبهم لتعيش عيشة البذخ والترف وظهر اسمها فى الصحف وأخذت المجلات تتبع أخبارها وتنشر صورها وتتندر بأن ماتنفقه على كلبها المدلل السعيد يكفى عائلة متوسطة الحال ...

هل تستطيع الحياة أن تمنح أكثر من كل هذا النعيم ؟ ليتها عرفت منذ أن طرقت دنيا المسرح ! لقد أضاعت خمس سنوات من عمرها فى الندم والألم منزوية فى ركن مظلم وموكب الحياة يمر بها وهى عازفة عنه كأنه لا يفتنها أو يثيرها

ودارت عجلة الزمن دورات وسميرة مندفعة فى تيار اللهو الصاخب اندفاعا لم يقو على وقفه ما كان يعتريها أحيانا من ثورة وتمرد وبغضاء للرجال ، لقد كانت منذ مرضها ذاهلة عن نفسها وكانت أعصابها تحت تأثير مخدر قوى هو الرغبة فى الثأر لنفسها .

ولكن روح القلق التى كانت تستبد أحياناً تغلبت فى النهاية وعادت أيامها نهباً للأسى والوجوم من جديد . إن الحزن يعصر قلبها عصراً وتحن إلى الدموع فلا تسعفها الدموع وتحاول أن تغرق همومها كما أعتادت فى اللهو والصخب ولكن همومها تملت العناد وهزمتها فى النهاية ! إنها تحس الآن ما يحسه الشريد الضال الذى يهيم على وجهه فى الصحراء يبحث فى ذعر عن شيء يهتدى به فلا يجد ، فتزداد روحها وحشة وكآبة وضيقاً بالحياة .

والأمر الذى زادها ضيقاً وألماً عجزها عن أداء أدوارها على

المسرح أداء طيباً ، فقد كانت تروح وتجيء على المسرح كأنها دمية خشبية تنطق بألفاظ لا تحسها ولا تفهم لها معنى وأصبحت حياتها على المسرح كحياتها الواقعية باهتة الألوان مضطربة الظلال وبدأ صاحب الفرقة يتنكر لها فازداد طبعها حدة فكانت تثور لأتفه الأسباب وتصب شتائمها على رؤوس الناس دون حساب .

وهالها ما صار إليه أمرها ، ورأت بعينيها الهوة التى تكاد تنفغر تحت قدميها وسألت نفسها : إنها تحيا هذه الحياة المتشابهة فى ظواهرها ووقائعها من سنوات فما الذى ضاعف بؤسها هذه الأيام ؟؟ ولم تجهد نفسها كثيراً لتجد الإجابة على هذا السؤال ! لقد حاولت أن تقيم من حياة المجون سداً بينها وبين آلامها ولكن المجون لم يزدها إلا شقاء وآلاماً .

وعافت حياة المجون مرة أخرى ، وتلفتت إلى الوراء لتلقى نظرة على الماضى ولكن طريق الرجوع لم يكن مهلا ... كان عليها أن تعيش عيشة التهتك والاستهتار كى تستطيع أن تلبس وتسكر وتقامر حتى لا يقتلها السأم والملل. ولتهرب من مواجهة ضميرها ، نعم ضميرها الذى بدأ يستيقظ ويزلزل كيانها .

وسارت فى تيار الأيام كما تسير ورقة ذابلة على متن الأمواج شاعرة أن قلبها قد مات وأنها لم تعد تحزن وتثور وتفرح وتضحك من كل قلبها كما اعتادت أن تفعل ، لقد طردت قلبها من عالم ذكرياتها وأوصدت دونه الباب آملة أن تجد له مستقراً آمناً من عالم الذكرى والآلام ولكنه ظل شريداً هائماً كسفينة تائهة فى مجاهل المحيطات ، إنها لم تعد تملك من أمر نفسها شيئاً بل أصبحت أسيرة الحياة وعليها أن تمتثل .

وعاشت ... تكفن أيامها ولياليها فى قبور مضيئة لامعة ضاحكة يتقاذفها عاملان : الحياة التى فرضت نفسها عليها ، وروح السخط والاستنكار التى كانت تتسلط عليها أحياناً فتنتزعها من من حياتها وتستخلص منها ضريبة الألم والدموع .

وفى إحدى الليالى كانت كعادتها تلهو وتمرح وتعب الكأس بعد الكأس ولكن الذى يتفرس فى وجهها كان يوقن أنها حزينة : كانت تحس بحنين غامض نحو شىء لا تدرى كنهه وكانت عيناها الملبدتان بالأكدار تستنجدان بالدموع ... وحاولت جهدها أن تقاوم فلم تستطع ، وآثرت أن تنصرف إلى دارها مبكرة وحاولت تنام فلم تستطع .

وانسرقت روحها إلى الماضى وعاد إلى خاطرها ذكرى الليلة التى مثلت فيها دور « نبيلة » لأول مرة ...

وأفاقت ذكرياتها لكن من غفوتها وبدت أمام عينيها أطياف الأمل التى كفت عن التفكير فيها منذ أمد طويل .

وحاولت أن تكتم شجونها فلم تستطع وانفجرت الدموع من مآقيها غزيرة طيعة ، وأحست نحو نفسها باحتقار هائل .

ولم تشعر كم مضى من الزمن وهى تبكى لأنها كانت تجد فى البكاء لذة وسعادة ظلت محرومة منها طويلا . ودهشت عند ما استيقظت فى ظلام الليل كيف استولى عليها النعاس دون أن تشعر وهى جالسة على أريكتها تبكى . واستهواها الظلام والسكون فجلست تفكر وعاودها الشوق الجارف نحو شىء يهز حياتها هزاً عنيفاً ويستحوذ على قلبها وأيامها ولياليها ولايترك لها وقتاً للتفكير فى نفسها ...

وساءلت نفسها : هل هى جديرة بأن تتمنى وتطمع فى حياة الدعة والسلام بعد أن لطخت حياتها بالأوحال ؟؟ كيف جاز لها أن تنسى قلبها ؟ وكيف أباحت لنفسها ما أباحت وحجبت عن عينيها أنوار الأمل ؟

لقد كانت آلامها منبع شجاها ونوحها ، ولكنها طردتها من حياتها فطردت معها ثروة عمرها التى تسبغ على حياتها أعمق الألوان وأصفاها . لقد كان الألم حقاً ، ولكنه كان محراب روحها الذى فيه تتعبد وتوقد الشموع وتحرق البخور من دمها وأعصابها فتحس أن الأيام ما زالت تحتفظ لها بنضارة قلبها ويقظة ضميرها ، وما أغلاهما من ثروة

وتاقت روحها إلى حياة الماضى ، إلى العزلة والانطواء على النفس . إنها تود أن تفرغ من جديد لآلامها وآمالها تحتضنها وتمنحها دفء قلبها كما يحتضن الطائر فراخه الصغار .

وظلت تفكر وتحلم حتى باغتها النوم مرة أخرى .

ولم تستيقظ إلا قبيل الضحى ...

وتأملت وجهها فى المرآة فراعها انتفاخ عينيها واحمرارهما والألم الممض الذى تنطق به قسمات وجهها . ذلك الألم الذى ظنت إنها قد قطعت بينه وبينها كل السبل .

وتنفست هواء الصباح فى ارتياح كأن ثقلا قد انزاح عن صدرها .. وكانت تحس — للمرة الأولى منذ مرضها — بما يحسه التائه فى الصحراء عندما تلوح له معالم العمران من بعيد .

(شبرا ، مصر) نصرى عطا الله سوسن

سكك حديد وتلغرافات وتلفونات الحكومة المصرية

النشر فى محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى إبتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حداً إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الاعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته

ولزيادة الاستعلام خابروا : —

قسم النشر والاعـــــلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٤ — الاثنين ٦ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

من ذكريات الطفولة ... ... : أحمد حسن الزيات ١٠٨٣
لاهوادة بعد اليوم ... . : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٠٨٤
على هامش المعركة ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٠٨٧
كلوادى ... ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ... ١٠٨٩
فلسفة طاغور فى العلم والعمل ... : الأديب عبد العزيز محمد الزكى ... ١٠٩٣
حق الاعتراض «الفيتو» ... ... : ١٠٩٥
ألحان ثائرة ... ... (قصيدة) : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا ... ١٠٩٧
«مهور المنظار» : من خوف الكوليرا فى كوليرا : الأستاذ محمود الخفيف ١٠٩٨
هـذا الطوفان ... ! ... ... : الأديب الطاهر أحمد مكى ١٠٩٩
« تعقيبات » : عقليتنا المستعمرة — الآباء والأبناء — ولماذا ١١٠٠
نلمس أنفسنا ؟ ١١٠١
« الأدب والفن فى أسبوع » : خلاف بين الأساتذة — القدر المشترك ١١٠٢
بين ناشئة العرب — مدى نجاح المؤتمر الثقافى — ملاحظات على المؤتمر —
موضوعات السينما والأفلام الخرافية ١١٠٤
« البريد الأدبى » : حول جدل فى الجامعة — إلى خلف الله العامرى ١١٠٥
— هل كان معاوية كاتب وحى ؟ ١١٠٧
« القصص » : الحمى ... ... : للكاتب الروسى أنطون تشيكوف / الأستاذ مصطفى جميل مرسى ١١٠٨

العدد ٧٤٤ — الاثنين ٦ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

	صفحة
من ذكريات الطفولة ... ... : أحمد حسن الزيات	١٠٨٣
لاهوادة بعد اليوم ... . : الأستاذ محمود محمد شاكر ...	١٠٨٤
على هامش المعركة ... ... : الأستاذ على الطنطاوى	١٠٨٧
كلواذى ... ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ...	١٠٨٩
فلسفة طاغور فى العلم والعمل ... : الأديب عبد العزيز محمد الزكى ...	١٠٩٣
حق الاعتراض «الفيتو» ... ... :	١٠٩٥
ألحان ثائرة ... ... (قصيدة) : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا ...	١٠٩٧
«مهوراء المنظار» : من خوف الكوليرا فى كوليرا : الأستاذ محمود الخفيف	١٠٩٨
هنا الطوفان ... ! ... ... : الأديب الطاهر أحمد مكى	١٠٩٩
« تعقيبات » : عقليتنا المستعمرة — الآباء والأبناء — ولماذا	١١٠٠
ننمى أنفسنا ؟	١١٠١
« الأدب والفن فى أسبوع » : خلاف بين الأساتذة — القدر المشترك	١١٠٢
بين ناشئة العرب — مدى نجاح المؤتمر الثقافى — ملاحظات على المؤتمر —	
موضوعات السينما والأفلام الخرافية	١١٠٤
« البريد الأدبى » : حول جدل فى الجامعة — إلى خلف الله العامرى	١١٠٥
— هل كان معاوية كاتب وحى ؟	١١٠٧
« القصص » : الحمى ... ... : للكاتب الروسى أنطون تشيكوف — الأستاذ مصطفى جميل مرسى	١١٠٨

٢٧ ـ ٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 744

Lundi — 6 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الهيضة بالهيضة تذكر :

من ذكريات الطفـــولة

كنت في الثالثة عشرة من عمرى حين وفد على مصر وباء الهيضة في سنة ١٩٠٢ ، وكانت قريتنا الصغيرة الفقيرة تنقل خُطاها الوئيدة في طريق الحياة وادعة بالأمن ، ناعمة بالرضا ، هانئة بالقناعة .

كان المرض قليلا ما يغشاها ، فإذا غشيها غشِى الـكهل الضعيف . وكان الموت كثيراً ما ينساها ، فإذا ذكرها ذكر الشيخ الهرم . لذلك كان المرض لندرته مرهوب الإسم ، وكان الموت لوحشته مهيب الصورة . فإذا مرض الصحيح يجمع القوم في منظرته أو على مصطبته ، يؤانسونه ويمرضونه ويدعون له ؛ وإذا مات المريض لبسوا الحداد عليه العام كله ، فلا يلبسون الجديد ، ولا يحلقون اللحى ، ولا يأكلون الفسيخ ، ولا يصنعون الـكعك ، ولا يباشرون المضاجع .

وفي ذات ليلة من ليالى الصيف على ما أذكر ، قيل إن لأسرة فلان قريباً غريباً علموا أنه مريض فذهبوا ليعودوه فعادوا به . وهو يشكو مرضاً لم يشكه أحد من قبل : ظمأ لا ينقعه ماء ، وقيء لا يمنعه دواء ، وإسهال لا يقطعه شيء . وفي الصباح الباكر نعته الناعيات فأجمعت القرية على الحزن عليه ، وأقبلت الجيرة على العزاء فيه ، ورسموا المأتم أسبوعاً كالعادة . إلا أن ثلاثة من أسرة الفقيد مرضوا تلك المرضة ، وماتوا تلك الموتة ، فلم يقوضوا سرادق العزاء ، حتى أتى على جميع الأسرة الفناء . وصحا الناس من دهشة الروع وذهول الفاجعة ، فإذا كل غرفة فيها مريض ، وإذا كل ساعة فيها جنازة ! وهان الموت ورخصت الأموات ، فلا يُعاد محتَضر ، ولا يشيَّع ميت ، ولا يُعزى حى . وقال فقهاء القرية إنه الهواء الأصفر الذى أهلك الله به عاداً الأولى فهيهات أن يعصم الناس منه بيوت مغلقة ، أو حصون معلقة . فاستكان القوم للقضاء ، وصفت قلوبهم من الحقد ، وعزفت نفوسهم عن الدنيا ، وانصرف كل امرىء عن عمله في انتظار أجله.

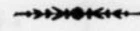
***

كان الموت الوحىُّ الذريع يخترم لِداتى في الحارة واحداً بعد واحد ، فخلت الملاعب من الأطفال ، وأقفرت المكاتب من الصِّبية . وكان شوقى إلى بعضهم يدفعنى إلى أن أزورهم خلسة ، فأجد فيهم من يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سعار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجْع القيء ! لقد شغل كل إنسان بنفسه عن غيره ، ولها كل بيت بكبيره عن صغيره .

ولـكن (زهرة) اليتيمة زينة الصبايا وبهجة الحارة كانت في السواد من قلب أخيها ، وفي السواد من عين أخيها . مرَّضتها الأخت حتى أخذتها سكرة الداء ، ومرَّضها الأخ حتى غشيته غمرة

لا هوادة بعد اليوم

للأستاذ محمود محمد شاكر



لا يحل لعربي منذ اليوم أن يرفع يده عن سلاح يمده لقتال عدو قد أحاطت به جيوشه من كل ناحية . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يدع ثغرة من ثغور المدى إلا سدها بنفسه أو ولده أو صديقه . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يضع عن عاتقه عبء الكد والكدح التماساً للراحة أو الدعة . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يتواكل ويقول لنفسه : لقد تعبت ، وما يضرني أن أترك هذا لفلان فهو كافيه . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقول : غداً أفعل ما حقه أن يفعل اليوم . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يخدع نفسه عن حرب دائرة الرحى بيننا وبين اليهود وأشياعهم من أمم الأرض . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يكتم الحق عن أهله أو عن عدوه ، ويقول هذه سياسة وكياسة وترفق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يمالىء قوماً يكاشفونه بالعداوة والبغضاء ونذالة الأخلاق . ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقبل من رجال السياسة تأجيل شيء من قضايا العرب ، فهي كل مترابط لا ينفك منها شيء عن شيء .

لقد عرف كل عربي وكل مسلم على ظهر هذه الأرض ما آلت إليه القضية المصرية السودانية في مجلس الأمن ، وعرف كل عربي وكل مسلم ما صارت إليه قضية فلسطين في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة . فهل بقي بعد هذا مجال لناظر حتى يقول : سوف أحتال بالسياسة حتى أنال ما هو حق لي ؟ !

إن بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التي تدير لها الساقية ، قد كشفت عن طواياها بما لا يدع لأحد علة يتعلل بها أو يتشبث ، فقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأنهم عدوٌّ لنا وحرب علينا ، وأنهم يبغون أن يحطموا هذا الجيل العربي ، وأن يسلطوا على رقابه أنذال اليهود وأوباش الاستعمار ، وأنهم يعتقدون أننا قوم لا نصلح لأن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، أو أننا أمم قُصَّر لم نبلغ رشدنا ولا يظن بنا بلوغ الرشد . فهذا ترجمة موقف الدول المعادية حيال قضية مصر والسودان وحيال قضية فلسطين .

وسر هذه العداوة — ولا نكتم الحق — هو أن أوربة وأمريكا جميعاً لا يزالون يعيشون في أنفسهم إذا ذكر العرب ، في أحقاد صليبية لم تستطع المدنية ولا استطاع العلم ، ولا استطاعت سهولة المواصلات ، ولا استطاعت كثرة الهجرة والرحلة ، أن تنفيها عن قلوبهم ، بل لعلها زادتهم أضغاناً على أضغان ، ولا تزال أوربة وأمريكا تقول : خطر الإسلام وخطر العرب ، كما كانوا يقولون الخطر الأصفر والخطر الأسيوى . وإذا كان بعض ساستنا الذين لقوا ساسة الأوربيين والأمريكيين قد انخدعوا بظاهر من

الموت . وبقيت (زهرة) الجميلة وحدها تنتظر النهاية المحتومة في حجرتها الموحشة على حصيرتها الخشنة . وكانت عمتها العجوز تزورها الحين بعد الحين لترمقها من بعيد ثم تنصرف . وكنت أكنُّ لهذه الفتاة نوعاً من الحب المبهم يختلط فيه الإعجاب والحنان والعطف . وكان بيتنا يشرب الماء مغلى فلم يصب أحد منا بسوء ، فظننت أن الدواء في هذا الماء ، فحملت منه قلة ثم دخلت بها عليها . فلما رأتني افترت شفتاها الذابلتان عن ابتسامتها الحلوة . وأشارت بطرفها إلى الماء فجرَّعتها منه جرعة . ثم جلست بجانبها أرنو إلى العينين الفاترتين وقد كانتا كعيني الرشأ ، وإلى الوجنتين الشاحبتين وقد كانتا في حمرة الورد ، وإلى الجسد الضارع المشفوف وقد كان في غضاضة السوسن . ثم وضعتُ القلة مرة أخرى على فمها الجاف فرشفت منها رشفة ، ولكن الماء وقف في حلقها فلم تستطع أن تسيغه . ثم شخص بصرها ، وحشرج صدرها ، وأخذها فواق ضعيف ، ثم لفها سكون شامل !

لا أزال أذكر هذا المنظر المروع وأتمثله كأنه وقع أمس !

ولا أزال أذكر أن تياراً من الرعب قد اعتراني ، فعقل يدي وعقد لساني ، فخرجت من الحجرة هارباً بنفسي لا ألوي على شيء ، ولا أخبر أحداً بشيء !

واحسرتا على قريتي الصغيرة الفقيرة ! لقد جثم على صدرها الموت المائت حتى ختم على أكثر الدور ، ونقل نصف أهليها من الدور إلى القبور !

كانت حالنا يومئذ غير حالنا اليوم ؛ فلم يكن هناك مصل يقي ، ولا علاج يشفي ، ولا حكومة تطارد الوباء وتحصره ، ولا أمة تتبع النظام الصحي وتنشره .

احمد حسن الزيات

القول حين سمعوا أحاديث أولئك المرائين المنافقين من ساسة أوربة وأمريكا ، وظنوا أن لين القول دليل على صدق المقيدة ، حتى أجروا فى أحاديثهم ذكر « عطف أمريكا على العرب » و « عطف بريطانيا على العرب » ، فقد ضلوا ضلالا مبيناً . إن أوربة وأمريكا لا تعرف العطف على العرب ، بل هى العدو ، وهى البلاء المصبوب علينا ، وإلا فكيف تعطف بريطانيا على العرب وهى التى لا تزال تفعل الأفاعيل فى مصر والسودان ؟ وكيف تعطف أمريكا على العرب وهى التى خذلت مصر والسودان فى مجلس الأمن؟ وكيف تعطف بريطانيا وهى التى ورّطت الدنيا كلها فى مشكلة فلسطين ، ثم تجىء فتطلب من هذه الدنيا أن تحل لها المشكلة ؟ وكيف تعطف أمريكا وهى التى تمد اليهود بالمال والقوة والسلاح والدعاية ؟ وكيف وهى التى تبيح لشركات النشر والإذاعة والصحافة أن تدلس وتكذب وتخدع فى شأن العرب ، ولا تجد منكراً ينكر ، ولا لساناً يدافع ، ولا قلماً يشمئز من هذه الوسائل التى تطفح بالغدر والبغى والنذالة ؟ !

إنهم جميعاً يظاهرون علينا اليهود ويظاهرون علينا الاستعمار، ويفعلون ذلك علانية لا يستخفون ، ففيم نحتال نحن بالمداورة أحياناً خشية أن نثير علينا هؤلاء الظاهرين ، ومخافة أن نُرمى بالتعصب ؟ فيم نخاف ونحن فى ممعمة هذه الحرب التى تشنها علينا بريطانيا وأمريكا بالاستعمار وباليهود ؟ ولم نخاف أن نتعصب لحريتنا واليهود يتعصبون لعدوانهم جهاراً ؟ إن العرب قد عاشوا على ظهر هذه الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرناً فكانوا أمة وسطاً لم تظلم ولم تضطهد ، بل نصرت المظلوم وآوت المضطهد ، ورفعت النير عن رقاب الأمم مجوسها ونصاراها ويهودها ، حتى جاء أمر الله وذهبت ريحهم وغلبت عليهم الأمم . فتاريخ العرب كله دليل على أن هذا الجيل من الخلق يأنف أن يظلم وأن يضطهد ، ولكنه يأنف أيضاً أن يقبل الظلم والاضطهاد ، فإذا رد الظلم عن نفسه ودفع الاضطهاد عن حماه ، وحمى حوزته دون عدو باغ ، أو توقى شراً يوشك أن يتوغل فى قلب حياته ، فما يفعل ذلك عن تعصب أو حقد أو جهالة ، بل هو الحق ووسائل الحق !

وإذا كان فيما نفعله ، أو فيما يجب أن نفعله ، شىء يؤخذ على أنه صرامة وشدة وحنبلية متزمتة ، فما اضطررنا إليه فعلناه . وإليك مثلا هذه الدول العربية التى بدأت تضج ضجيج البعير آذاه العبء الفادح ، من غول الاستعمار الأدبى والسياسى والاقتصادى ، والتى بدأت تعرف أن كل باب من أبواب الحياة قد وقف عليه دبدبان من اليهود أو من الأجانب الطارئين ، ليذودوا العربى عن الانتفاع ببلاده التى هى له ملك متوارث منذ أقدم عصور التاريخ — يذودونه عن الانتفاع بتجارة بلاده ، لأن شياطين التجارة ومردتها فئة من هذه اليهود وهذه الأجانب ، ويذودونه عن الانتفاع بمعادن أرضه ، لأن أبالسة الحديد والنار هم أصحاب المناجم فى أرضه وبلاده ، ويذودونه عن الانتفاع بقوى شعبه ، لأن خزان المال من اليهود والأجانب يضربون العمال بالفقر والذل والبؤس ، ولا يدعون لهم متنفساً ، ولا طريقاً إلى بلوغ المستوى الذى يحق لهم بجهودهم التى يجودون بها ، فتكون لليهودى والأجنبى غنى ومالا وثروة وعجرفة وتنطرساً على هذه الأمة العربية ، ونكبة وبلاء واستعماراً كأنه جوامع من غليظ الحديد مضروبة فى أوتارها الراسخة فى جوف الأرض العربية . هكذا هو ، فما ذا تفعل هذه الدول ؟

أليس من الحق لكل بلد عربى أن يسن قانوناً لأهله أو قانوناً لحكومته إذا استطاع — أن يحرم على كل يهودى وأجنبى أن ينشئ شركة إلا إذا كان كل عامل فيها وكل موظف من أهل البلد ، وأن تكون أرباح الشركة لا تزيد على قدر معلوم ، وأن يكون الدخل وقفاً على البلاد التى يستثمر فيها جهوده ، فلا يخرج مالا ولا يختزنه فى مصارف بلاد أخرى غير البلاد التى استوطنها ، وزعم أنه جاء ليسدى إليها خيراً بعلمه أو فنه أو صناعته أو تجارته ؟

أليس من الحق لكل بلد عربى إذا هو رأى هذه الأجانب وهذه اليهود تملأ عليه الجو ، وتأتيه مهاجرة من كل مكان هجرة حرة غير مقيدة أن ينظر لنفسه ومصالحه ، ويعرف أن هؤلاء خطر ينبغى درؤه واتقاؤه بكل وسيلة ؟ فإذا منعنا الهجرة أو قيدناها فأى تعصب فى هذا ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الطارئين هم من حثالة اليهود وحثالة الأجانب ، وأنهم أرذل خلق الله أخلاقاً وأقلهم علماً وأخسهم نفوساً ، فأى تعصب فى أن نقول للعالم كله إننا نأبى أن نؤوى هذه الحثالة القذرة فى بلادنا وبين أهليها ، وأن نمنعهم أن يتدسسوا إلى حمى أعراضنا بنذالاتهم وفجورهم وعهرهم وبالخبث التى انطوت عليه دخائلهم ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هذه الحثالة الخبيثة ، وهذه الرمم الإنسانية تفعل فى شوارعنا وطرقاتنا ما لا تستطيع أن تفعل مثله فى بلاد غير بلادنا التى وقعت تحت بطش الاستعمار قرناً أو بعض قرن ، فأى تعصب فى

أن نسن قانوناً يوجب ترحيل هؤلاء الطارئين ، أو يوجب نزع الجنسية المصرية أو العربية أو السورية عن هذه الفئة التى جاءت دخيلة على بيوتنا وديارنا وأخلاقنا ؟

إن من حق البلاد العربية أن تفعل ذلك ولا تبالى بنقد منتقد ولا هجوم متهجم ، ولا إقذاع مبطل ولا سفاهة مدخول السريرة خبيث الطوية . كلا إنه ليس حقاً لها وحسب ، بل هو فرض لا مناص من أدائه والقيام عليه وحياطته كل الحياطة ، إن هذه اليهود وهذه الأجانب هى ذرائع الاستعمار ، وهى أداة البطش التى سلطها الاستعمار على رقابنا ، وهى الخبيثة المردية التى تفشى داؤها حتى أوهى القوى وأوهن العزائم ، وأكلنا لحماً طرياً وتركنا عظاماً نخرة .

وها نحن الآن مقبلون على حرب بيننا وبين اليهود ، وحرب بيننا وبين الاستعمار ، وكلاهما حرب لا هوادة فيها ولا مفر منها ، فكيف يجوز فى المعقول أن ندع العدو بين ظهرانينا يعيث فساداً وخيانة وتجسساً ، بل يأخذ من أموالنا ويرد على أموال عدونا ، فيضعفنا ويقويه ، وينهكنا وينميه ، ويوهننا ويضريه ؟ إن من القوانين الدولية فى زمن الحرب أن تضع الدولة يدها على أموال أعدائها جملة واحدة ، فتستثمرها فى حقها وبحقها لتكون لها قوة وعتاداً ، ومن القوانين الدولية أن تقبض الدولة على أبناء الدولة المعادية فتأسرهم فى المعتقلات حتى تضع الحرب أوزارها ، خشية أن يفجروا فى الأرض ويكونوا عيوناً عليها ، وبلاء فى داخلها ، و«طابوراً خامساً» فى شعبها . فهل شك أحد فى ذلك أو استنكره أو بغض إلى دولته فعل ذلك ؟ كلا ! وإذن فكيف يجوز للعرب منذ اليوم ، وقد شرعوا فى الجهاد وعزموا على أن يحطموا أغلال الاستعمار ، وأن يقوضوا عرش اليهودية الباغية ، أن يتهاونوا فى الضرب على يد هذه التجارة اليهودية فى قلب بلادهم ، أو أن يهادنوا هذه الشرذمة الوبيئة التى تعيش بين ظهرانيهم ، أو أن يبيحوا لأعوان الاستعمار من شذاذ الأمم والأفاقين أن يسرحوا حيث شاءوا من بلادهم ، وأن يستولوا على ما يشاؤون من أموالهم وأرزاقهم ، وأن يدخلوا فينا ليكونوا عيوناً علينا فى هذه الحرب التى تدور بيننا وبين يهود ، وبيننا وبين الاستعمار والمستعمرين .

ومن الذى حمل اليهود على الهجرة إلى مصر مثلا ؟ أليست هى الفكرة الصهيونية ؟ ومن الذى حمل الأجانب على الهجرة أيضاً إلى بلادنا ؟ أليس هو الاستعمار ؟ فكيف ندع الصهيونية والاستعمار يجوسان خلال الديار ونحن فى معمعان القتال ؟ وأنا أضرب مثلا لم أزل أتتبعه منذ قامت اللجنة التى وكل إليها كتابة تقرير عن فلسطين ، ومنذ رفعت قضية مصر والسودان إلى مجلس الأمن .

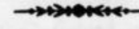
فمنذ ذلك الحين وأنا أنظر وأتسمع ، وأتفرس الوجوه ، وأتوسم الشمائل ، فإذا هذه اليهود وهذه الأجانب قد خفتت أصواتها ، ولانت أخلاقها ، وهذبت غطرستها ، وحلت لنا ألسنتها ، وابتسمت لنا وجوهها . ولم أكن أجهل أن ذلك كله نفاق ورياء وخديعة يظنون أنها تخدعنا عن طوايا قلوبهم . فلما كان من أمر القضية المصرية السودانية ما كان ، وظهر من مستور اللجنة المزورة ما ظهر ، إذا هذه الأصوات الخافتة قد صارت نعيقاً ، وإذا الأخلاق اللينة قد صارت عراماً ، وإذا الغطرسة المهذبة قد انقلبت فجوراً متمرداً ، وإذا الألسنة الحلوة قد حارت مراً زعاقاً ، وإذا الوجوه المبتسمة قد شاهت بالتجهم وإذا الشمائل المؤدبة قد صارت عجرفة وطغياناً ، وإذا هذه الخلائق الفاجرة تمشى على أرضنا تيهاً وخيلاء كأنها جنس وحده ونحن عبيده وأذلاؤه ، وإذا نظرات الازدراء وكلمات التحقير تقال على مسمع منا ومنظر بلا حياء ولا أدب ولا خلق ، وإذا كلمة « عربى » تتردد مرة أخرى على ألسنة هؤلاء الأنذال الجبناء فى كل مكان بعد سكوتهم عن النطق بها خوفاً وفزعاً ، أن يكون قد دنا موعد نصر العرب فى قضية فلسطين وقضية مصر والسودان هذا كله شىء تتبعته أنا ومن أعرف ، بلا زيادة ولا دعوى كما تفعل هذه الخبائث من يهود وشذاذ الآفاق .

إنها الحرب المبيرة أيها العرب ، فلا تكن يهود التى ضرب الله عليها الذل والمسكنة والتشرد فى جنبات الأرض ، أحمى منكم أنوفاً وأشد منكم حفاظاً ، وأقوى منكم حمية ، وأجرأ منكم قلوباً ولا تكن يهود أيها العرب أشد محافظة على باطلهم منكم على حقكم واعلموا أيها العرب أن الذى بيننا وبين يهود والذى بيننا وبين الاستعمار دم لا تطير رغوته ولا ينام ثائره ، وقد جدت الحرب بكم فجدوا يا أبناء إسماعيل ويا بقية الحنيف إبراهيم ، ولا يهولنكم مال اليهود ، ولا بطش بريطانيا ، ولا مخرقة أمريكا ، فإن الحق لله ، وكلمة الله هى العليا .

محمود محمد شاكر

على هامش المعركة!

للأستاذ علي الطنطاوي



تحرك الجيش المصري بعد طول السكون، وسهر القادة يرسمون الخطط، ويعدون مناهج القتال، واستعد الجند وشحذوا السلاح، وسيقت الكتائب تترا[1]، فلا ترى إلا جنداً يزحفون إلى ساحة المعركة، يمشون خائفين وهم الكماة الشجعان الذين ما عرفوا الخوف، ويتقدمون حذرين وهم الشوس المقاديم الذين لا يرهبون الخطر، يتلفتون لا يدرون من أين يأتيهم هذا العدو المرعب، الذي يضرب الضربة، فيهدم الدور، ويفتح القبور وهو مختف لا يرى، فإذا وارى الناس موتاهم، ومسحوا دموعهم، وحسبوا أنهم نجوا منه، رأوه قد ضرب ضربته الثانية، في مكان قريب أو بعيد، لا يعلمون كيف تسلل إليه. لا يقف في وجهه حصن، ولا يرده بارود، ولا ينفع معه رصاص ولا قنابل؛ ولا يدرون من أين يطلع عليهم: أيهبط من السماء، أم يخرج من الماء، أم ينبعث من خلال الظلام؛ يخشون أن يكون قد امتلكهم وهم لا يحسون، وقبض على أعناقهم، يمتص دماءهم، ويزهق أرواحهم، ويجرعهم كؤوس الموت... وهم واقفون يحرسون البلاد منه، ويعدون العدة للقضاء عليه

وفشا في الناس الخوف، وعمّ الذعر، وعلت الوجوه قترة الجزع، وشغلت الألسنة أحاديث الخطر، وملأت القلوب رهبة المصير ولو كانت معركة جنود وعتاد لهانت ولما خاف منها أحد، لأن هذا الشعب قد تمرس بالمعارك من يوم كان قابعاً في صحرائه، يساير الشمس، ويصاحب الرمال، ويعانق السيوف، إلى أن أخرجه محمد ليضيء مصباح القرآن في المشارق والمغارب، فينير به الدنيا المظلمة، والقلوب القاتمة، وهو إلف المعارك وحليفها، خاضها وهي تلتهب بنار الهواجر، عند خط الاستواء، وهي تتشح بجليد الشتاء على حدود القطب، ماردّه عنها الزمهرير ولا ريح السموم، وواجه الأعداء من كل لون وجنس ولسان، فما يخاف اليوم انكلترا ولا يخشى أمريكا، ولكن هذا العدو أنكى من انكلترا نكاية، وأخفى مكراً، وأسرع ضرراً. صغير ولكنه يحط النسر من عليائه، ويلقى الأسد على مضائه، ويفتك بهذا الإنسان الذي حكم الجو والبحر، وسابق في الفضاء الصوت، وعاند القدر، فجاء القدر يحاربه بأصغر جندي من جنوده، بجندي تحمل الآلاف منه — من هوانه — رجل ذبابة، وهي لا تشعر بما تحمل.. بـ (مكروب الكوليرا)

***

وسمع الناس باسم (الكوليرا) فذكروا (الهواء الأصفر) وذكروا (الوباء) وما يروى التاريخ من أرزائه وبلاياه.

واغتنم الشيوخ الفرصة ليحظوا بالالتفات إليهم بعد طول الاعراض عنهم، فحدثوا بما رأوا من فظائع الوباء الذي مر على مصر في مطلع هذا القرن، والذي جاز بالشام، في الحرب الماضية، ورأيناه نحن، وبالغوا، ووصفوا الجثث التي تكاثرت حتى ما تسعها القبور، والصراخ الذي علا حتى ما تتحمله الآذان، والآلام التي ازدادت حتى ما يطيقها بشر. فروّعوا الناس وخوفوهم، على خوفهم، فما يستقر بهم قرار...

وقامت الحكومة، وانبرى الأطباء، يهدئون الناس ويطمئنونهم، ويرجمون إليهم تقتهم بالعلم، ويضعون لهم المناهج الصحية، ويدلونهم على وسائل الوقاية: لا تشربوا الماء إلا من الأنابيب، وإن شككتم فيه فاغلوه، ثم صبوا عليه ماء الليمون، ولا تأكلوا الثمار إلا مسلوقة أو مغموسة بالماء المغلي، ولا تعملوا كذا إلا بكذا، ولا تصنعوا كيت إلا بكيت. ثم تعالوا نعطيكم الدواء الواقي، وما بقي من القضاء إلا من قضاه.. ولكن لكل شيء أسباباً، ولكل مرض علاجاً، والذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواء.

ونشرت هذه النصائح في الجرائد، وعلقت على السيارات، وقيلت في (الإذاعات)، وخطب بها على المنابر، وأسرع القارئون والسامعون يعملون بها، وينفذون ما جاء فيها، وحسب أولو الأمر أنهم قد أسمعوا الناس، وعلموهم، ووقوهم أسباب الردى، ولم يدر أحد بجيراننا الذين يسكنون (عشة حقيرة) خلال قصور الروضة العامرة، مبنية من جذوع النخل، مغطاة بالقش وبأنواع

---

(١) تترا وتترى أي متتابعين (ومادتها وتر)

اللق[1]، لها باب صغير كأنه فتحة مغارة، لا شباك لها ولا نافذة، ولا ترى الشمس داخلها، ولا يجاوز الضوء بابها ولا يلجها إلا بمقدار. لا ماء فيها إلا ما يستقونه من ماء النهر فيضعونه في الجرار المكشوفة يلغ فيها الكلاب، وتغسل فيها الآنية، ويسقط فيها الذباب، فتزداد أذى على أذاها، ولا نور إلا نور مصباح زيتي يكاد دخانه المتكاثف يطمس نوره الخافت، ولا نار إلا نار هذا الحطب الذي يوقدونه فيها ليطبخوا عليه، فيخرج دخانه من شقوق السقف، يملأ الحيّ، ويروع الغريب، فيظن أن البيت، (أعني الكوخ) قد احترق ... تنام في هذه (العشة) الأم (الشحادة) وأولادها والكلاب والحمار الهزيل، وما لا يعلمه إلا الله من الفيران والصراصير والخنافس وسائر الهوام والحشرات والدبابات، لا يكلمون أحداً في الحي ولا يكلمهم أحد، قد خرجوا من دنيا الناس ولم يدخل الناس دنياهم. وما دنياهم؟ إن خيراً منها دنيا كثير من كلاب الأغنياء وخيولهم وقردتهم. وليس فيهم من يقرأ جريدة أو يبصر إعلاناً، أو يسمع (راداً) أو يحضر وعظ واعظ، أو خطبة خطيب، فلم يعلموا بما روّع الناس، وصدع خوفه قلوبهم، ولا عرفوا من طرق الوقاية كثيراً ولا قليلا ولو هم عرفوها، لما استطاعوا أن يصنعوا شيئاً.

***

وأمثال هؤلاء الذين لم يدربهم أحد كثير كثير .. إن نحن وقينا المرض، حملوه هم إلينا، فما أغنى عنا توقينا شيئاً، وإن اعتصمنا بالعلم والمال، فما لهم من علم يعصمهم ولا مال.

ولو كنا صدقنا الحملة يوم حملنا على المرض والجهل والفقر لوجدنا فيهم اليوم صحة تعينهم على احتمال المرض، وعلماً يمكنهم من فهم مناهج الوقاية، ومالا يقدرهم على تهيئة أسبابها. ولكنا أهملناهم فجئنا نتلقى عواقب هذا الإهمال، فإن أصبنا اليوم بهم فياطالما أصيبوا هم بنا، وإن شكونا من أذاهم لنا، فياطالما شكوا هم من أذانا.

وهل شكوا حقاً؟ وهل تركنا لهم ألسنة تنطق بشكوى؟ أو أقلاماً تعبر عن نقمة؟ أما أخرسنا بالجوع ألسنتهم، وشللنا بالجهل أصابعهم، وحرمناهم الإنسانية حين جعلناهم حيوانات لا تنطق وما كان الإنسان إلا بالنطق إنساناً!

فانشروا الآن ما شئتم من نصائح، وأذيعوا ما أردتم من مناهج، إن أكثر الناس لا يقرؤونها، وإذا قرؤوها لا يعملون بها لأنهم عاجزون عنها، فوقوهم أنتم أسباب المرض لتقوا أنفسكم واعتنوا بهم ليبقوا في خدمتكم، ولكن لا تمنوا عليهم بفعلكم، ولا تزعموا أنكم أحسنتم إليهم بصنعكم، لأنكم تطيلون حياتهم فتطيلون معها عذابهم، ولو تركتموهم يموتون لكان خيراً لهم (هم) وأبعد للمتاعب عنهم.

أما إن الخطر على هؤلاء المساكين منا، والخطر على الأمة منهم من مرضهم وجهلهم وفقرهم، أشد من خطر (الكوليرا) فاعملوا على دفعه، واعلموا أنكم إن لم تحيوهم بما في طبيعة العروبة من مساواة، وما في أحكام الإسلام من عدالة؛ أوشكتم أن تخالفوا بفعلكم العروبة والإسلام، وأن تؤيسوهم منهما، وأن تضطروهم اضطراراً إلى التفتيش عن مصدر آخر للأمل لعلهم يظنون (ظناً كاذباً) أنهم واجدوه في الشيوعية، فيكونوا شيوعيين، ويومئذ تكون الطامة الكبرى ...

***

وانظروا هذا الوباء المروع، الذي أفزعكم وصدع خوفه قلوبكم، من أين جاءكم؟ تقولون: من الهند ... نعم، ولكن ما جاء به حاج هندي، ولا تاجر ولا سائح، ما جاء به إلا هؤلاء الإنكليز، إنه لا يأتي منهم إلا الكوليرا، والصهيونية، وسورية الكبرى، فاعتبروا، وصدقوا، وانفضوا أيديكم منهم ومن مدارسهم، ومن بضاعتهم، إن الوباء الذي تنشره المدرستان الإنكليزيتان بجوارنا في الروضة، لا يقل عن هذا الوباء الذي تنشره معسكراتهم بجوار القنال، بل ربما كان شراً منه، لأن ذاك يقتل الأجساد، وهذا يفتك بالأرواح، ويعصف بما فيها من خيرات، ويذهب بما تنطوي عليه من حب لمصر وللعروبة وللاستقلال، ويجعل من أبنائها أعداء لها، فقاطعوا كل شيء إنكليزي، وأقيموا دونه سداً منيعاً، كهذا السد الذي تقيمونه دون (الكوليرا الانكليزية)، وقفوا عليه الحراس الشداد، معهم الأسلحة المواضي، فلا ينفذ منه شيء إنكليزي قط، لا رجل ولا كتاب ولا فكرة ولا بضاعة ولا كوليرا ولا

(١) اللق: كل ما تلقيه من حقارته: الزبالة. الفضلات

صهيونية ولا سورية الكبرى ...

***

وبعد ، فلا يبلغ بكم الجزع ، فالخطب إن شاء الله يسير ، والسلامة قريبة ، والمرض زائل ، وما أخشى على مصر المرض ولكن أخشى أن تنقشع السحابة ، ويعود الصفاء ، فننسى أن في مصر ملايين لم تصل إليهم هذه الحضارة ، ولم يستمتعوا بشيء من متعها ، ولم يصبهم من خير مصر إلا الأقل ، وخيرها يصيب كل أجنبي عن مصر ، آكل لخيراتها كاره لها ، مزدر لأهلها ، وإن لهؤلاء حقاً صريحاً ، حقاً أقرته الأديان والشرائع كلها ، والإنسانية ، وقواعد العدالة : هو أن يكونوا أصحاء الأجسام ، متعلمين مايفهمون به الخير من الشر ، واجدين من المال مايشترون به ضروريات الحياة . وننسى أن الله خلق الناس إخواناً ، فلم يخلق بعضهم عبيداً لبعض ، وأن عمرو بن العاص ، أبطل العبودية من مصر والغى (نظام الطبقات) ، وسوّى بين الناس ، في العهد الذي نسميه جهلا وغفلة عهد (القرون الوسطى) ، وأنه من العار على الإنسانية وعلى الحضارة ، وعلى مصر ، أن تعود إليه مصر في (قرن العشرين)

وأن ننسى أن الإنكليز هم جاؤونا بالوباء ، وأنه لا يأتي منهم إلا هذا ..

وأخشى أن نعود إلى معاملتهم وتحسين الظن بهم وبحضارتهم وأن لا نقطع على أنفسنا عهداً جازماً ، مقسمين بقبور اخواننا هؤلاء الذين قضوا شهداء (الكوليرا الإنكليزية) ، وبدماء شهدائنا الذين سقطوا صرعى على ثرى مصر برصاص الإنكليز من يوم وطئوا مصر غاصبين إلى هذه الساعة ، وبأمجاد ماضينا ، وأرواح أجدادنا ، أننا سنقاطع كل شيء إنكليزي ولو كان الخبز الذي نأكله ، والماء الذي نشربه ، والهواء الذي ننشقه ، وأن نموت أحراراً ، إن لم نجد إلا حياة الذل حياة !

(القاهرة) **علي الطنطاوي**

كَلْــــواذى

للأستاذ شكري محمود أحمد

إحدى طساسيج(١) بغداد المشهورة ، ومواطن اللهو المذكورة ، لها ذكر في الأخبار والآثار ، بل ربما كانت من أقدم المواضع الأثرية في العراق .

قال المسعودي في الكلام على الأمم ولغاتها ومواضع مساكنها ما نصه « الأمة الثانية : الكلدانيون ، وقد ذكروا في التوراة بقوله عز وجل لإبراهيم « أنا الرب الذي أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً » ... وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى من أرض العراق ، وإليها أضيفوا ، وكانوا شعوباً وقبائل منهم الأثوريون والجرامقة والأرمان ونبط العراق وأهل السواد ... ثم يحدد مملكتهم هذه فيقول : وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب واليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان ... ثم يقول بعد ذلك : وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ، ولسانها واحد سرياني وعاصمتها واحدة هي كلواذى (١) .

وقد دلت الحفريات التي أجريت في هذا الموضع على أنها من أقدم الأراضي المعمورة في العراق كما سنبين هذا في موضعه .

اسمها ومعناه :

اختلف المحققون في شكل اسمها وعدد حروفه ، واختلافهم يدور على الحرف الأول والأخير منها . قال ياقوت في معجمه : كلواذى بالفتح ثم السكون والذال معجمة آخره ألف تكتب ياء مقصورة(٢) ، وعلى هذا أيضاً صفي الدين بن عبد المؤمن في كتابه مراصد الاطلاع(٣) .

وجاء في كتاب محمد بن الحسن الحاتمي الذي سماه « جبهة

(١) مفردها طسوج فارسي معرب أصله تسوه فابدلت التاء طاء والهاء جيما كما هو معروف في قواعد التعريب ومثله طازج معرب تازه .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

الأدب »[١] وابتدأ فيه بالرد على المتنبي أن الصواب فيه كِلْواذ بكسر الكاف وإسكان اللام وإسقاط الياء[٢] .

أما معناه فقد ذكر ابن الإعرابي : الكلواذ تابوت التوراة[٣] وقال الحاتمي : قلت له — يعني المتنبي — أخبرني عن قولك :

طلب الأمارة في الثغور ونشوة ما بين كرخايا إلى كلواذ

من أين لك هذه اللغة في كلواذ ؟ أحسبك أخذتها عن الملاحين . قال : وما الكلواذ ؟ قلت : تابوت التوراة ، وبها سميت ، قال وما الدليل على هذا ؟ قلت قول الراجز :

كأن أصوات الغبيط الشادى زيرٌ مهاريقٌ على كلواذ

الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . وحكى في بعض الروايات أنه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ[٤] .

موقعها :

قال ياقوت : كلواذى طسوج قرب مدينة السلام بغداد ، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق . ثم قال : وهي الآن خراب أثرها باق ، بينها وبين بغداد فرسخ للمنحدر[٥] . وعلى هذا أيضاً صفي الدين في مراصد الاطلاع ، ولكنه زاد عليه : وهي أسفل من بغداد أحد أبوابها إليه ، وهي قرى كثيرة عامرة[٦] .

وكان تحتها في القديم قرية عامرة اسمها مصراتا جاء ذكرها في معجم البلدان ومراصد الاطلاع[٧] . وكان بين كلواذى وقرى بنَّا فرسخان[٨] وكان من أعمالها قرية صغيرة اسمها الفِرْك ، جاء ذكرها في شعر أبي نواس في هجاء إسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد في قوله :

أحين ودعنا يحيى لرحلته وخلف الفرك واستعلى لكلواذا
أتته نفحة إسماعيل مقسمة عليه أن لا يريم الدهر بغداذا
تحرفه رده لأقول نفحته أقم على ولا هذا ولا هذا[١]

وإلى جانب كلواذى قرب نهر تامُرّا[٢] قرية أخرى اسمها الزعفرانية[٣] ، ولا تزال هذه القرية عامرة تحمل هذا الاسم .

ومن أعمال كلواذى قرية باري[٤] ذكرها ياقوت وصفي الدين قد بدىء بإعادة بناء هذه القرية حديثاً باسم « بغداد الجديدة » لأن الشركة المشرفة على البناء لم تعرف اسمها القديم . وقد كانت هذه القرية كثيرة البساتين والمنتزهات يقصدها أهل البطالة واللهو والمولعون بشرب الخمر ، وقد ذكرها الحسين بن الضحاك الخليع في قوله :

أحب الغنى من نخلات باري وجوسقها المشيد بالصفيح
ويعجبني تناوح أيكتيها إليّ بريح حوذان وشيح
ولن انسى مصارع للسكارى ، ونادبة الحمام على الطلوح
وكأساً في يمين عقيد ملك تزين صفاته غرر الديح

أما موقعها بالنسبة إلى خطط بغداد في هذا العصر ففي معسكر الرشيد الذي كان يسمى معسكر الهنيدي ومدينة العمال ومخيم الأرمن وحلبة السباق وتل محمد[٥] وتل حرملة[٦] ، وناحية الكرادة . وربما كان هذا الاسم « كرادة » تطوراً لاسمها القديم كلوازى .

التنقيبات في كلوازى : أجريت تنقيبات كثيرة في بعض مناطق كلوازى ، عثر فيها المنقبون على أمور مهمة جداً في تاريخ العراق . وأقدم من قام بالحفريات في أطلالها البحاثة الألماني فلكس جونس سنة ١٨٥٠ وكتب كتاباً باللغة الألمانية عن الحفريات بين النهرين ، ومما عثر عليه في تل محمد ألواح كثيرة من اللبن المشوى كما عثر على كتابة لحورابي . (ج ٢ ص ٩٥)

---

(١) وجدت قسما من هذا الكتاب في إرشاد الأديب في ترجمة الحاتمي ، ومطبوعاً ببغداد في مطبعة الأدب سنة ١٣٢٧ هـ ولم أجد فيه هذا الخبر الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) » » » »

(٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٥) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٦) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

(٧) مراصد الاطلاع ص ٣٧٢ .

(٨) معجم البلدان ص ٢٨٦ .

---

(١) هذه القصيدة غير موجودة في ديوان أبي نواس وهي في معجم البلدان في مادة كلوازى .

(٢) يسمى هذا النهر عند مصبه في دجلة نهر ديالى .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٢٠٣ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥ ومراصد الاطلاع ص ٨٥ .

(٥و٦) ليس لهذين التلين ذكر في معجم الأدباء ومراصد الاطلاع ، والغالب أن اسمهما مستحدثان .

وهناك تل آخر يبلغ نصف قطره ١٥٠ متراً اسمه تل حرمله يفصله عن تل محمد نهر مندرس وأرض مرتفعة طولها ٦٠٠ متراً وقد اعتبرها هرتزفلد بقايا مدينة مندرسة .

ولما أرادت الحكومة العراقية أن تبنى مدينة للعمال وصغار الموظفين سـنة ١٩٤٥ قامت مديرية الآثار العراقيـة بإجراء التنقيبات فى المنطقة التى بين تل محمد وتل حرملة لمعرفة طبيعة هذه الأرض المندرسة .

وقد أظهرت الحفريات أن تل حرملة يمثل سوراً حصيناً على شـكل مربع غير منتظم له باب واحد فى الجهة الجنوبية الغربية وعلى طرفيه أبراج عظيمة هائلة .

وعثر بنتيجة الحفر على معبد كبير طوله ٢٨ متراً وعرضه ١٨ متراً ، على بابه أسدان بحجمها الطبيعى ، كما عثر على معبد أصغر منه طوله ١٥ متراً وعرضه ١٤ متراً وعلى بابه أسدان أيضاً من الطين المشوى . وعثر على عدة أبنية مماثلة ، وعلى بناية واسعة طولها ٢٥ متراً وعرضها ٢٣ متراً ينم شـكلها على أنها كانت موضع الإدارة ، وعثر على بنايات صغيرة ينم شكلها على أنها كانت دوائر حكومية وخزائن للوثائق الرسمية .

أما الآثار التى عثر عليها فى هذا التل فأهمها ١٣٠٠ لوحة من مختلف الأنواع والحجوم ، وكلها من اللبن المشوى ، وفى بعضها مستندات يستعملها الـكهنة وهى تحمل اسم الإله « خانى » واسم زوجه « نيسابا » كتبت داخل طغراء مربعة الشـكل .

وفى إحدى هذه الألواح قائمة بأسماء مدن ، كما عثر على ستة تماثيل من الطين المشوى وهى مهشمة لقدم العهد[1] .

ذكرها وأخبارها : كانت كلواذى ملتقى الفساق ومأوى العشاق ، يجتمع فيها أرباب التهتك والدعارة يعقدون فيها مجالسهم بين رياضها وعلى حفافى أنهارها ، يشربون ويفجرون . . يقيمون فيها الشهور بين الدنان والقيان والمعازف ، مقيمين على إطاعة إبليس فى هتك ستر المعاصى واقتراف الآثام .

فهذا أبو نواس قيل له مرة : هل تريد الحج ؟ فأجاب : نعم إذا فنيت لذات بغداد . . وأنى له ذلك وهو فى بغداد التى جمعت الظرف والجمال والمتعة والثراء ... وهب أن بغداد ضاقت به فلم يطق الحياة فيها حتى دفعت به إلى الحج فكيف يتخلص من قطربل وكلواذى ، وهؤلاء شذاذ بغداد ملء السمع والبصر ... وفيهم يقول .

وقائل هل تريد الحج قلت له : نعم ، إذا فنيت لذات بغداذ
أما وقطربل منى بحيث أرى ، فقنـة الفرك من أكناف كلواذ
فالصالحية فالـكرخ التى جمعت شذاذ بغداد ماهم لى بشذاذ[1]

ومن ظريف ما هجيت به بغداد قول بعضهم :

اخلع ببغـداد العـــذارا ودع التنـــسك والوقارا
ولقـــد بليت بعصـــبة ما أن يرون العار عارا
لا مســـلمين ولا يهو د ولا مجوس ولا نصارى

فكيف يترك أبو نواس هذه الحياة المرحة ويذهب إلى الحج ؟ . . ولـكن الرشيد لما خرج يريد الحج شاء أن يكون فى ركابه شاعرنا الظريف أبو نواس ، فاصطحبه معه ، وفى مكة نظم أرجوزته المشهورة ، وهى أروع ما قيل فى الزهد أولها :

إلهنـــا ما أعـــدلك مليـــك كل من ملك

فلما عاد أبو نواس إلى بغداد أشيع أنه تنسك بعد حجه ، وعكف يكفر عن ذنوبه ، وهذا خبر ظريف ، وكيف يكون ذلك وهو فى بغداد بين عصابته من أحلاس الـكأس وفرسان الخمر ، ثم هذه كلواذى وطيزناباذ ، وتلك قرى بنا قد توزع قلبه بين حاناتها وظبائها ، فكيف يزهد ويرعوى ؟ ويترك هذه الحياة الضاحكة المصفقة ؟ لذلك راح يكذب هذا الخبر — خبر النسك بأبيات ظريفة منها :

قالوا : تنسك بعد الحج قلت لهم : أرى وأرجو وأخشى طيزناباذا
ما أبعد النسك من قلب تضمنه قطربل فقرى بنا فـكلواذا
فإن سلمت ، وما قلبى على ثقة من السلامة ، لم أسلم ببغداذا[2]

ومن الغريب أن مطيع بن اياس وهو رأس العصبة الماجنة ، يذم بغداد كما يذم كلواذى ويأسـف على عمره الذى زال عنه وأسكنه بغداد ، ثم يدعو على بغداد وكلواذى بالخراب قائلا :

حبذا عيشـنا الذى زال عنا حبذا ذاك ، حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شراً وعسراً عندنا ، إذ أحلنا بغـــداذا

---

(١) مجلة سومر السنة الأولى المجلد الثانى .

(١) ديوان أبي نواس طبعة آصاف ص ٢٧٢ .
(٢) » » » ص ٢٧٢ .

بلدة تمطر التراب على النا س ، كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلا واخرب ذو العر ش بأعمال أهلها كلواذا [١]

كانت كلواذى ميناء مدينة بغداد ، ترسو فيها السفن التجارية القادمة من واسط والبصرة[٢] أو القادمة من شمال بغداد فى نهر دجلة أو نهر نامرا ، وقد كانت عامرة على عهد العباسيين تمد بغداد بمختلف المنتوجات الزراعية ، بل كانت من الأسباب الهامة التى جعلت المنصور يختار موضع مدينة السلام بغداد فى هذا المكان .

قال المقدسى إن المنصور انتصح بما أشير عليه فى بناء عاصمة ملكه فى هذا الموضع ، ويذكر هذا الجغرافى أن أصحاب المنصور قالوا له « تنزل فى بغداد فإنك تصير بين أربعة طساسيج ، طسوجان فى الجانب الغربى وطسوجان فى الجانب الشرقى ، فأما اللذان فى الجانب الغربى فقطربل وبادوريا وأما اللذان فى الجانب الشرقى فنهر بوق وكلواذى [٣] »

وبقيت عامرة بقراها مدة طويلة من الزمن ، وقد خربت على عهد ياقوت أى فى القرن السابع الهجرى لأن ياقوت كانت وفاته سنة ٦٢٦ هـ .

كانت أرض كلواذى منخفضة لذلك كانت مهددة بالغرق كلما زادت المياه فى دجلة . فى سنة إحدى وأربعين وستمائة مثلا زادت دجلة زيادة مفرطة وغرقت مواضع كثيرة فى بغداد فعمل الناس سداً بين بغداد وكلواذى ، وانتقلوا خلف السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلى دار المسناة — وهى القصر الموجود فى القلمة حالياً — .

قال ابن الفوطى وفى هذه السنة ٦٤١ هـ احكم السد الذى بين بغداد وكلواذى ، وخرج تاج الدين بن الدوامى حاجب باب النوبى إلى باب كلواذى — هو الباب الشرقى حالياً — وأحكم السكر وبات عليه[٤] »

وقد شهدت كلواذى المعارك بين الأمين والمأمون ، ودارت فيها المعارك بين الجيشين ، قال المسعودى : لما تقدم هرثمة بن أعين إلى بغداد نزل زهير بن المسيب الضبى أحد قواده فى مصراتا مما يلى كلواذى ، وغشى ما فى السفن من أموال التجار الواردة من واسط والبصرة ، ثم تقدم فنزل كلواذى فتأذى الناس به ، وحمد له خلق من العيارين وأهل السجون والشطار[١] .

وكان الشطار والعيارون يحاربون المأمونية وهم عراة فى أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم واوخل (؟) من الخوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الخوص والبوارى محشوة بالرمل والحصى ، وقد خرجت العراة ذات يوم فى مائة ألف رجل إلى كلواذى بالرماح والسيوف والقصب والطرادات ونفخوا فى القصب وقرون البقر وزحفوا على المأمونية فى كلواذى حتى أخرجوهم منها[٢]

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) لسترنج ص ٢١ .
(٤) ابن الفوطى ص ١٨٦ .

فلسفة طاغور في العلم والعمل

للأديب عبد العزيز محمد الزكي

يعرف عن طاغور أنه صرح في مناسبات عدة ، أنه ليس بفيلسوف ولم يحاول قط أن يبتدع مذاهب جديدة في الفلسفة ، وأنه كان يعمل دائماً على إحياء الحكمة الهندية القديمة والتعاليم الهندوسية حتى تساير روح العصور الحديثة واتجاهات المدنية الغربية ، ولكن بدون أن تفقد في الوقت نفسه شيئاً من أصالة مقوماتها الروحية ، أو تتعارض مع نزعات الهنود الأساسية .

أحسب أن هذا عمل شاق ! إذ كيف يمكن التوفيق بين تعاليم متعارضة ومبادىء متناقضة ؛ فإن تعاليم الهند الروحية تزهد في متع الحياة ، وتحتقر ميدان المادة والقوة ، وتنفر من الحياة العملية النافعة ، وتكره أن تخوض معترك التوسع الاستعماري وبسط النفوذ ، ولا تتمسك إلا بالفضائل الخلقية والقيم المعنوية ، وتدفع الهندي لأن يؤمن باتحاد الوجود الشامل ، وتلزمه بأن يسعى لكي يدرك الله ويلاشي فرديته فيه ، فيشعر بالوحدة المطلقة التي تبعث في نفسه السعادة والحرية . بينما مبادىء الحياة الغربية ترحب بمختلف متع الدنيا الحسية ، وتحث على كل عمل يجلب أي نفع مادي ، وتشجع على الاندماج في الحياة الاستقلالية والمغامرة في ساحة المادة والقوة ، كما لا تتمسك إلا بالفضائل النفعية والقيم العملية ، ولا تكترث للدين بقدر ما تكترث للدنيا؛ فأقبل الغربي على ملاذ الحياة الأرضية إقبالا جنونياً غافلا عن أصول تعاليم ديانته المسيحية التي تنشد الخلاص من الحياة التي تجذبه مفاتنها ، فشمله الطمع والجشع والأنانية ، ووقع فريسة للفوضى والاضطرابات والقلق ، وحرم من الأمن والسلام والاطمئنان .

ويخيل إليّ أن طاغور لم يفكر في أن يوفق بين هذه النزعات المتضاربة ، وإنما لاحظ على الغرب شغفاً عميقاً بالعلم وجداً مستمراً ونشاطاً متواصلا في العمل فاستحق كل ذلك منه الإعجاب والتقدير . بينما وجد تعلق الهند بالزهد والانصراف عن الحياة شغلها عن كل شيء إلا عن تحقيق الاتحاد بالله والاندماج في اللانهاية ؛ فأصيبت بالجمود والموت ، وكسيت بصبغة التقاليد العتيقة التي لا تلائم روح الحياة العصرية ، وبدت الهند كأمة كسولة عاجزة في عالم كله حركة وتغير وتقدم فأراد طاغور أن يبعث حيويتها من جديد ، ويخلع عنها رداء القدم والعجز ؛ وأن يبين لها الوسائل التي تمكنها في الاندماج في الحياة العملية ، والمساهمة بنصيب وافر في تقدم العلم وترقية العمل . وكان طاغور في ذلك كله حريصاً كل الحرص على المحافظة على الطابع الهندي ، فإن بدت كتاباته كأنها تحث الهنود على كشف القوانين العلمية ، والابتكار في ميدان العمل ، ومحاكاة الغرب في مختلف نشاطه الحضاري ، إلا أنه عمد أن لا تكون بواعث الهندي أو غاياته في بحثه في العلوم وتجديده في العمل هي عين بواعث الغربي وغاياته ، كما حرص على أن تستمد هذه البواعث وتلك الغايات من صلب الحكمة الهندية عامة ، ومن أصول الدين الهندوسي خاصة .

ولكي نفهم كيف استعان بالكتب المقدسة في تشكيل دوافع طلب العلم ، وأهداف أداء العمل المستمر المتجدد حسب المزاج الهندي الخالص ، يحسن بنا أن نعرج أولا إلى نظرات الدين الهندوسي — كما فهمه طاغور — إلى النفس الإنسانية التي تكشف المعرفة وتنمي العلم ، وإلى الإرادة البشرية التي تنجز الأعمال الدينوية ويتنكر فيها .

أولا: أما عن النفس فيقول طاغور إن الدين الهندوسي يؤكد لنا أن الكون وحدة شاملة ، تضم كل ما يوجد فيه من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، ويتجلى الله فيها جميعاً . وأن النفس الإنسانية جزء من أجزاء الكون المتعددة المتنوعة التي يتجلى فيها الله ، إلا أن لها استقلالها الخاص ، ووجودها المنفرد ، وكيانها القائم بذاته بالرغم من اتحاد أجزاء الكون الشامل ، وتجاذبها الشديد. إذ أن استقلال النفس له قيمته ، فمن طريقة يمكن للنفس لن تحقق وحدتها بالكون في صورة أروع وأقوى مما لو كانت راقدة فيه غير شاعرة باستقلالها ، فضلا عن أن هذا الاستقلال لا يفصلها تماماً عما في الوجود ، ولا يقطع صلتها بالحقيقة الكامنة في جميع نواحي الكون ، وفي أعمق أغوار النفس . فهي مرتبطة بالله وكيانها قائم به ، بل إن كمالها لا يتحقق ما لم تشعر بحضوره في دخيلتها ، ولا تفز بحريتها الروحية إلا إذا خضعت لإرادته ، ولا تحس بالغبطة إلا إذا اندمجت فيه وأمحت فرديتها في لانهايته.

وأما إذا شعرت النفس بنوع من الإنفصال المطلق عن الكون المتحد الذي يكمن الله في جميع أشيائه ، فإن مرجع ذلك

إلى حبس حياتها فى حدود فرديتها ، وإلى خداعها بالمظهر الكاذب وإلى استسلامها لإغراء الوهم الباطل الذى يوحى إليها بأنها غاية ذاتها ، ويشغلها عن أى حقيقة أخرى تتعدى هذه الذات ، ويوقفها تحت تأثير شهوات الإنسانية والكبرياء والغرور فتندفع فى طريق الآثام والجرائم التى تحجب عن النفس حقيقتها المستمرة فيها ، فتجهل أن الكون تجمع أجزاءه وحدة تامة يتجلى فيها الله ولا تملك أن تحقق كمالها بالاتحاد باللانهاية ، وتفشل فى إحراز حريتها الروحية ، تحرم من الشعور بالحب الذى يفيض بالغبطة والسرور . وإذا أرادت تلك النفس الآثمة أن تحقق كمالها ، يجب أن تخرج ذاتها من حدود فرديتها المتيقة إلى نطاق اللانهاية الفسيح ، وتسمى لأن تتحرر من أسر المظهر ، وتكشف عن زيف الباطل ؛ بأن تفد نفسها لمعرفة حقيقة وحدة الكون عن طريق معرفة قوانين الطبيعة العلمية ، وعن طريق إنكار الذات وفعل الخير وتحذير النفس من الشهوات الدنيئة والرغبات المنحطة وعن طريق ملاشاة فرويتها فى اللانهاية ؛ فيجرى فيها ذلك الحب الذى يجعلها تدرك حقيقة الجوهر الكامن فيها ، وتعلم أنها فى وحدة تامة مع الله والطبيعة ، وتفوز آخر الأمر بكمالها .

يفهم مما تقدم أن معرفة حقيقة اتحاد الكائنات الشامل هو السبيل الوحيد لكمال النفس الإنسانية ، التى لا يمكن أن تدرك هذه الحقيقة الكبرى إدراكا عميقاً صادقاً ، إلا إذا تكشفت لها أولا ما تحتوى عليه هذه الحقيقة الكبرى من حقائق صغرى متعددة ، ينطوى كل منها على أحداث متشابهة لا نهاية لها ، لأن معرفة هذه الحقائق الصغرى ، فضلا عن أنها تغنينا عن جمع أحداث متشابهة تشغل الذاكرة ، ولا تزيد من معرفة النفس شيئاً ، ولا تؤدى إلى معرفة شىء سواها ؛ فإنها تمهد لنا السبل إلى إدراك الحقيقة الكبرى التى تعتبر كل حقيقة صغرى وجهاً من وجوهها . فإن معرفة قانون الجاذبية مثلا ، لا يحوجنا إلى جمع أحداث تماثل سقوط التفاحة من الشجرة ونزول المطر على الأرض ؛ ونضع أيدينا على حقيقة عامة تفتح آفاقاً تقودنا إلى اللانهاية التى تبلغ كل الحقائق الصغرى العامة .

فإن معرفة قوانين الطبيعة على ذلك ، والجد فى الكشف عن ما جهل منها ، أمر ضرورى يمهد لنا إدراك حقيقة اتحاد الطبيعة بالله ، ومعرفة وحدة القانون فى وجوه الطبيعة المختلفة أى أن طلب العلم لا يقصد به مجرد التثقيف وتوسيع أفق المعرفة أو أن معرفة قوانين الطبيعة ليست هى فى ذاتها غاية بحثنا فى العلوم فإن قانون الجاذبية يعنى أكثر من سقوط تفاحة على الأرض ، وأن قانون تطور الأنواع يعنى أكثر من تعاقب المخلوقات ؛ إذ أن معرفة مثل هذه القوانين يفسح لنا الطريق للاندماج فى مكونات الطبيعة والاتحاد بمحتوياتها المتنوعة ، فنحس أن هناك جسما شاملا واحداً عالمياً ، ونشعر أن هذه القوانين الطبيعية تشملنا وترتبط بنا برباط واحد ، وندرك أن أجسادنا وأعضاءنا أشياء عالمية ، وأن البخار والكهرباء من أعصابنا وعضلاتنا ، فنعرف أن هذا العالم جميعه ما هو إلا جسم واحد ممتد لنا .

فالقوانين الطبيعية لا تنفصل عنا ، وتدل على أن هناك صلة وثيقة بين الإنسان والطبيعة ، فهى ملك لنا ، ومعرفتها تمدنا بالقوة المعنوية إذا اتخذناها سبيلا للاتحاد بسائر الأشياء ، وتضعفنا إذا استخدمناها فى مقاومة أغراض الطبيعة فى الحياة . إذ لو انصرف العلم إلى تسخير هذا العالم لخدمتنا ، وبسط نفوذ الإنسان على كل ما يحيط به ، ونصره على سائر العوائق التى تعرقل مكافحته للطبيعة ، أو تحول دون استعباده لشعوب الأمم الأخرى ، لفقد قيمته الحقيقية ، وبعد عن غايته الصحيحة ، وخضع لشهوات الإنسان الدنيئة التى تفسد الانتفاع بالعلم ، وتدفع الإنسان إلى القوة والوحشية والجشع ، فترتكب الجرائم ، وتندلع الحروب ، فيعم الخوف والهلع والقلق والاضطراب ، أما إذا قصد بالعلم الاندماج فى موجودات الكون ، والاتحاد باللانهاية ، والخضوع لإرادة الله ، لتمردت روح الإنسان وأمحت حقيقتها فى الحقيقة الكبرى ، فتتمتع بالحب ، وتنعم بالسرور والغبطة .

ثانياً : وما فهمه طاغور عن النفس من الكتب الهندوسية المقدسة ، وكتب حكماء الهند ، يشابه ما فهمه منها عن الإرادة فإن قال إن للنفس وجوداً مستقلا عن الكون المتحد ، فإنه يقول أيضاً إن للارادة حرية السيادة على شئون عالمنا الصغير . وإذا ذكر أن استقلال النفس المطلق وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها جزء من أجزاء الوجود المتحد ، وتسمو وجودها من الله ، فإنه يذكر كذلك أن حرية الإرادة المطلقة وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها لا تعمل إلا فى حدود ، وأنها جزء من إرادة اللامتناهى وملكا له

البقية فى العدد القادم

عبد العزيز محمد الزكى

٣ — مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة :

حق الاعتراض « الفيتو »

من المبادئ المقررة أن للقانون الدولى أيضاً أشخاصه ورعاياه تسرى عليهم أحكامه التى يخضعون لها ويحترمونها ، وقد تعددت آراء الفقهاء حول طبيعة هؤلاء الأشخاص ، فقالوا بأنهم الأفراد العاديون فى رأى ، وبأنهم الدولى فى رأى ثان ، وبأنهم الأفراد مجتمعين فى دولهم فى رأى ثالث ، وهناك آراء أخرى نضرب عنها صفحاً لنذكر أن الاتجاه الغالب هو أن شخص القانون الدولى هو الدولة ، وما دام الأفراد متساوين أمام القانون العادى كذلك تتمتع دول العالم بالمساواة صغيرها وكبيرها ، فنرى القانون الدولى يعلن ذلك صراحة ، وتأتى المواثيق الدولية فتكرر حق المساواة ، ومن بينها ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى أكد فى ديباجته الإيمان بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال وللنساء وللأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية ، والذى جاء ضمن مبادئه أن الهيئة تقوم على مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع أعضائها .

ولكن هذه المساواة التى تكلمنا عنها لا تعدو مساواة الدول أمام القانون ، فإذا ما خرجنا بها إلى ميدان الحقائق العملية وإلى حيز الواقع والتطبيق ، نجدها تتلاشى أمام حقيقة لا مراء فيها : وهى أن هناك دولا قوية تهيمن ، وأخرى صغيرة تذعن ، والقوة هنا هى قوة المصالح ، ولم يفت الفقهاء وهم يعقبون على حق المساواة أن يشيروا إلى هذه الحقيقة الواضحة ، ويجدوا لها تطبيقات عدة حتى فى عصبة الأمم نفسها ، حيث كانت الدول الصغيرة تفسح الطريق لسيطرة الدول القوية عليها فى بعض اللجان ، وذلك لشعورها بقوة مصالحها فيما يختص بالغرض الذى أنشئت من أجله هذه اللجان ، وتبدو مظاهر هذه السيطرة مثلا فى مسألة التصويت على القرارات كى تكتسب قوة التنفيذ ، فيكون للدولة القوية صوتان أو أكثر وللدولة الصغيرة صوت واحد ، وقد يشترط لتنفيذ القرارات أن تؤيدها الدول القوية ، ولو كان لكل منها صوت واحد . إن الحديث عن هذه المظاهر يمتد إلى نواح عديدة ... وكلها شاهد على أن نزعة السيطرة والغلبة ، وقد تكون الأثرة ما زالت هى الغالبة فى مجالات السياسة الدولية ، فالعقلية المضحية التى تفهم المساواة على وضعها الصحيح لم توجد بعد ، ولا يخلو ميثاق هيئة الأمم المتحدة من مواضع كثيرة يمكن نقده فيها على ضوء ما تقدم والصورة القوية البارزة لذلك يمكن البحث عنها فى مجلس الأمن وهو الأداة التنفيذية للهيئة .

وسيجد القارئ للميثاق طلبته فى مشكلة التصويت حيث تطرح الدول القوية جانباً مسوح الرهبان لتكشف عن حديدها ونارها إذ أن هذه المشكلة من المواطن شديدة الحساسية التى تثير فى أدق صورها علاقة الدول العظمى بعضها ببعض ثم علاقة الدول العظمى بالدول الصغرى وتكييف تلك العلاقات .

وقد اتفق فى « مبارتن أوكس » على مبدأ إجماع الدول العظمى عند اتخاذ قرار فى أعمال العنف التى تتخذ ضد دولة تقوم بعمل من أعمال العدوان .. ولكن قام الخلاف على إجراءات التصويت فى المسائل الأخرى .. فبقيت المسألة دون حل ، حتى انعقد مؤتمر « يالتا » فى فبراير سنة ١٩٤٥ وقام الرئيس « روزفلت » بإزالة ما كان هنالك من تعارض فى وجهات النظر فوضع اقتراحاً حاز قبولا من كل من « الرفيق ستالين » « وتشرشل » كما عرض على فرنسا والصين فوافقتا عليه .. وتقضى قواعد التصويت التى اجتمع عليها الأقطاب فى يالتا بأن يكتفى بأغلبية سبعة أصوات من أحد عشر صوتاً بالنسبة لجميع قرارات المجلس على أن يكون من بين هذه الأغلبية أصوات الدول الخمس العظمى مجتمعة . . . وهذه القاعدة لا يرد عليها سوى استثنائين : الأول يتعلق بالإجراءات ويكتفى فيها بأغلبية سبعة أصوات دون تمييز بين الأعضاء الدائمين وغيرهم

والثانى يختص بأى نزاع يعرض على المجلس وتكون إحدى الدول الأعضاء طرفاً فيها فيجب عليها الامتناع عن التصويت .

غير أن الخلاف بين الدول قام فى مؤتمر « سان فرنسيسكو » حول هذا القرار وحاولت الدول الصغرى وكانت تتزعمها أستراليا

محاولة صادقة فى سبيل تمديله لأنه يتفرع عن هذا القرار أنه يكنى أن تمتنع إحدى الدول المظمى عن التصويت أو تمارض القرار وهذا هو حق الاعتراض أو الفيتو لـكي يستحيل على مجلس الأمن إصدار القرار المراد إصداره ..

ولقد ندت الدول الصغرى بحق الفيتو هذا ووضمته بأنه سيف مصلت فوق الرءوس وأن أحكام القانون والعدالة وحقوق الدول فى الحرية والمساواة والسيادة ستصير كلها كلمات جوفاء يمكن لأية دولة عظمى أن لا تميرها اهتماماً طالما كان فى يدها هذا السلاح الذى تنهار أمامه جميع الادعاءات .

ورغم هذا الدفاع العادل فقد باءت محاولات الدول الصغرى بالفشل .. وا كتفت بتأكيد أصدرته الدول العظمى أثناء المناقشة ومفاده أنها فى استعمال حقوقها فى التصويت سيحدوها دائماً الإحساس بتبعاتها نحو الدول الصغرى وأنها لن تستعمل حق الاعتراض إلا فى أضيق الحدود .

نستطيع أن نفهم إذن مما تقدم أن حق الاعتراض هو — أولا — نص من نصوص ميثاق هيئة الأمم جاءت به المادة السابعة والعشرون ، وأنه — ثانياً — ميزة تمتذ بها الدول الـكبرى وتحرص عليها أشد الحرص .

ولما كان هذا الحق نصاً من نصوص الميثاق ، فهو — كبقية النصوص — معرض للتفسيرات المغرضة التى تتلاءم مع أهواء كل من الـكتلتين ، الشرقية والغربية ، وكان من المحتوم أن يثور حوله الخلاف ويكثر الجدل لا سيما أنه يعد من أهم النصوص بل أقواها على الإطلاق .

استعملته الـكتلة الشرقية فى مسألة البلقان وحدها ثلاث مرات ، ولا شـك أنها بذلك قد فوتت على غريمتها أغراضها وخططها الأمر الذى أثار حفيظتها ودفعها هى الأخرى إلى استعماله أخذاً بالثأر والانتقام ... ولمله من المؤسف حقاً أن تكون الشقيقة أندونيسيا ضحية للاستعمال السيء لحق الاعتراض مما حرك سخط الضمائر الحرة على الـكتلة الغربية التى كانت تلوح به أيضاً أثناء نظر القضية المصرية .

ومهما تـكن الآراء فإن من المحقق أن الدول المظمى قد نقضت وعدها السابق ، وأصبحت تستعمل حق الاعتراض طوع الأهواء والشهوات ، ولعل أعظم دليل على ذلك ما حدث ومازال يحدث فى طلبات الانضمام إلى هيئة الأمم ، وكان من جراء ذلك كله أن تمود صيحات الدول — لا سيما الـكتلة الغربية — مندِدة بسوء استعمال حق الاعتراض فى اجتماع الدورة الحالية للجمعية العامة . فارتفعت صيحة تقول : إن استعمال الدول الـكبرى لحق الفيتو قد شل العمل فى سبيل تحقيق السلام العالمى ، وأن ثمة خطراً من إساءة استعماله مما قد يجعل استتباب السلام مستحيلا .

ومحاوبت أخرى تقول إنه ليس من المغالاة فى شيء أن بناء هيئة الأمم المتحدة لابد أن ينهار يوماً ما بفعل الضربات المستمرة التى تصيبه من معول الفيتو ، وأنه ينبغى أن يختار العالم بين هيئة الأمم المتحدة والفيتو إذ لا قبل لنا بهما معاً ولا يبعد أن نفقد الإثنين عما قريب .

ورغم أن الأرجنتين هى التى أثارت هذه القضية فى الجمعية العامة إلا أن الولايات المتحدة هى التى تزعمت الحركة المناهضة ، واقترح « مارشال » وزير خارجيتها فى خطابه الذى ألقاه أن تقوم « هيئة تنفيذية للسلم والأمن الدولى » تتكون من جميع أعضاء الجمعية العامة ، وهذا الاقتراح خطير جداً نستطيع أن نفهم منه أشياء كثيرة .

وتبدو خطورته جلية إذا ماعرفنا أن لمجلس الأمن اختصاصين : يتعلق الأول منهما بحل النازعات حلا سلمياً أو بعبارة أدق حل المنازعات التى يكون من شأن استمرارها تعريض السلم والأمن الدولى للخطر ، ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو إخلال به أو حصول عدوان معين .

وعلى ذلك يكون هدف مارشال أن ينتزع الاختصاص الأول لمجلس الأمن لتقوم به الهيئة التنفيذية المقترحة ، وإذا عرفنا أن حق الاعتراض هو السائد فى جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها استطعنا أن نفهم أن الاقتراح يرمى إلى إبعاد حق الاعتراض عن المسائل التى من الاختصاص الأول لمجلس الأمن والتى يراد إلصاقها بالهيئة المقترحة وهى المسائل المتعلقة بالسلم والأمن الدولى

ثم قصر هذا الحق على الاختصاص الثانى أو ما عبر عنه مارشال بالحالات التى تضطر فيها هيئة الأمم المتحدة إلى اتخاذ إجراءات عسكرية أو اقتصادية . ولعل من المفيد أن نقدم للقارىء بعض فقرات من خطاب مارشال يشرح فيها وجهة نظره فيما يتعلق بهذا الاقتراح حين قال :

« إنه يتسنى بذلك أن نبعد تهديد استعمال الڤيتو فى المسائل التى تشير إليها المادة السادسة من الميثاق وهى التى تنص على حل الخلافات حلا سلمياً وإن حق الڤيتو قد منع مجلس الأمن من القيام بوظيفته الحقيقية . .

ومن العجيب أن تكون الولايات المتحدة هى التى اقترحت نص الفيتو ، وهى نفسها التى تحمل عليه الآن حملة شعواء . . والتعليل لذلك التناقض قد وضعناه من قبل فى يد القارىء : وهو ذلك التنافس المرذول بين الكتلتين الشرقية والغربية على مصير العالم التعيس . إن نصوص الميثاق لا تفسر أو تطبق حسب مقتضى المنطق والعقل ولكن تجتهد كل كتلة فى أن تفسرها بما يتفق مع مصالحها وينزل بالطرف الآخر أشد الإضرار ، ويعلم الدارسون للقانون أن العلاقات الدولية ما زالت فى دور الطفولة وكان الواجب أن نبعد النصوص الخطرة من تنظيم هذه العلاقات كما نبعد الألعاب الخطرة عن متناول أطفالنا .

لقد قلنا إن حق الاعتراض ميزة تمتز بها الدول الكبرى وتحرص عليها أشد الحرص لأنه بمثابة سلاح فى يدها تمزق به الدول الصغرى كلما احتاجت إلى طعام جديد ، فالولايات المتحدة تريد إبقاءه مع تقييده وتحديده بالحدود التى ذكرناها ، وروسيا السوفيتية تجاهد فى إبقاء النص كما هو دون تغيير أو تعديل ، وبريطانيا — كما جاء على لسان رئيس وفدها فى الجمعية العامة — لن تقترح إلغاء حق الفيتو ولكنها تشعر فقط بأن هذا الحق قد أسىء استعماله ، وليس علاج ذلك تغيير ميثاق هيئة الأمم المتحدة ولكن معرفة ما إذا كان العالم يؤيد بريطانيا فى اعتقادها بأن حق الفيتو قد أسىء استعماله أم لا ؟ !

وبهذه المناسبة نقول إن اقتراح مارشال يقوم بذاته دليلا على أن بناء ميثاق هيئة الأمم لم يقم على دعائم ثابتة ، وأن مجرد الحديث عن تغيير الميثاق أو تعديله مدعاة لأن توزن الثقة به من جديد .

إننا لا نريد بقاء هذا السلاح فى يد خمس دول لترهب به بقية دول العالم بل إن مصير الإنسانية أجل من أن تتحكم فيه شرذمة تنساق وراء أهوائها وشهواتها . والرأى الصائب أن تتمسك الدول بمبدأ المساواة فى السيادة ، وحكم الأغلبية فى تنفيذ القرارات ، وألا تدع لأية قوة سبيلا عليها سوى سلطان القانون والعدالة .

وأكرر فى الختام أن هناك بعض المآخذ الأخرى على هيئة الأمم ويمكن جمعها تحت عنوان « بوليس الأمن الدولى » فإلى اللقاء .

عبد الحميد عثمان عبد الحميد
كلية الحقوق

ألحـــان ثائرة

« مهداة إلى الصديق القديم محمود فهمى النقراشى »

ألق عن وجهها المضوب النقابا ... لا تخاصم إلى الذئاب الذئابا
إِمرَ الأمرُ فادّرعهم شيوخاً ... عاقروا الصبر، وادّرعهم شبابا
وأدرك لحنك الذى أيقظ الثو ... رة ، واخمُر فى صَهْده الأعصابا
نحن فى عالم تحيفه الشك ... وضل الصواب فيه الصوابا
أمة تنشد السلام ... فما با ... ل حمام السلام أمسى غرابا ؟ !
أى أمثولة أصم بها الدا ... عى وإن هاج ثائرين غضابى
معبد صور العدالة فى الأر ... ض إلها ، والأمن فيها نصابا .!
ما لرهبانه العجائز كانوا ... أول الملحدين لما أهابا ... !
ما لألحانه الجميلة باتت ... فوق أطلاله بكا ونعابا ؟ !
إنما نحن أمة تمضغ الحقـ ... ـد فما بالنا نعاف اللُّعابا
وإذا الحق لم يصادف سميعاً ... أوشك الحق أن يحول احترابا

* * *

ليس فى شرعة الطواغيت غير النـــار ربّاً ، وغيرها محرابا . !
والذى يطلب الحياة سلاماً ... كالذى يطلب الحياة سرابا
ذل من يركب الرجاء وفى كفـ ... ـيه ظفر يذود .. ذل وخابا

طاهر محمد أبو فاشا



من خوف الكوليرا فى كوليرا !

دخلت أزور ابن عم لى فى داره فلقيتنى زوجه فى الدهليز وما وقع بصرها على حتى قالت وهى تضحك : هلم فهذا منظر خليق بأن تراه من وراء منظارك ، ولقد خطرت ببالى الساعة وأنت على السلم ؛ وقادتنى إلى حجرة الطعام حيث كان زوجها يتهيأ لتناول عشائه .

ودخلت فى سكون ولم أحىّ فلم ينتبه إلى ، ونظرت فإذا بالمسكين يجلس إلى المائدة وقد وضع رجله اليمنى فى « حلة » على الأرض عن يمين مقعده تبينت فيها سائلا ما ورجله اليسرى فى « حلة » أخرى عن شماله وهو يغسل يديه فى وعاء على خوان قريب منه وعلى صفحة وجهه سحابة مركومة من الهم ، وضحكت وضحكت زوجته فرفع رأسه وابتسم ابتسامة ضئيلة لم تلبث أن غرقت فى هذا السحاب المركوم ، وأراد أن ينهض فلم يستطع لبعد ما بين الحلتين ، ثم قال فى إشارة حازمة وفى لهجة جازمة : لا تؤاخذنى أرجو أن تغسل يديك فى هذا الوعاء ، ونظر إلى زوجته نظرة عتب وسألها لم لم تطلب إلى أن أغسل يدى فى الوعاء الخارجى لدى الباب ، وكأنه لم يعجبه ضحكها فى هذا الوطن ، موطن الجد الرهيب فطلب إليها فى شىء من العنف أن تغسل يدها ، وفهِمَتْ أن ذلك لأنها سلمت على ، فمشت حمرة خفيفة فى محياها الأبلج ولم تجد بداً من إطاعته إشفاقاً عليه كما قالت مداعبة إياه فى رفق ...

وراحت ربة البيت تشرح لى هذه السوائل التى يغمس فيها رجليه ويديه ، وتضحك إذ تقص على كيف يغسل يديه كلما لمس شيئاً ، وكيف يدعو بائع اللبن وبائع الصحف وغيرهما إلى غسل أيديهم قبل أن يناولوه شيئاً وكيف لا يفوته كلما نقص وعاء الغسيل لدى الباب أن يملاه بالمحلول ...

وينظر إليها زوجها إذ تضحك فيمتلىء غيظاً ويسألها كيف لا تدرك وهى المثقفة المهذبة أن الأمر جد لا هزل ، وفيم هذا الضحك الذى ينطوى على عدم المبالاة والذى يفهم منه أنها لن تعمل فى غيبته شيئاً مما يدعوها إليه من وقاية ؟

ولم تغب عن منظارى بقية « الاستحكامات » فى الحجرة فهذه مضخة قريبة بها من السائل كيت وكيت ، وتلك أخرى بها من المساحيق كيت وكيت ، وثالثة ينطلق منها إذا فتحت غبار كثيف لطاردة الذباب ، وكم ذكرتنى بشبيهاتها من المدافع التى كانت تنصب لطاردة الطائرات زمن الحرب . .

ونظر ربُّ الدار فإذا أحد الأطباق يظهر جانب منه من تحت الغطاء القماشى فتأفف ونظر فى وجه امرأته نظرة حنق وسحب القماش فغطى الطبق ؛ وسألته فيم هذا الغطاء ؟ فنظر إلى وكأنه ينظر إلى معتوه ثم قال ، ألا ترى أن ذبابة واحدة كفيلة بأن تقتل من فى المنزل جميعاً بل من فى الحى كله إذا وقعت على الطعام ؟ فقلت : إذا كان هذا مبلغ خوفك من الذباب فى الليل وهذه المدافع من حولك فليلطف بك الله فى النهار !

وضحكت زوجته ضحكة عالية ثم نظرت إليه معاتبة وما تريد إلا أن تسرى عنه وقالت : أتذكر الحرب ؟ صور لنفسك إحدى طوائر الألمان المنقضة وقد هبطت من السماء على دارك فهذا هو شأنه تلقاء ذبابة مسكينة من الذباب .

وما أتمت كلامها حتى نظر إليها وراح يقلد لهجتها ونطقها مستهزءاً وهو يقول : ذبابة مسكينة من الذباب ! المسكين أنت ! لقد كان من المخابىء عاصم من الطائرات وما الذى يعصمنا من ذبابتك المسكينة ؟

وقلت له ما الذبابة بمسكينة ولا زوجتك بمسكينة ، وإنما أنت المسكين فهذا عذاب ليس مثله عذاب ؛ وضحكنا جميعاً وكشف الغطاء عن الطعام ليأكل ، وقمنا نداعبه فوقفت عن يمينه وفى يدى إحدى المضختين وقامت زوجته عن يساره وفى يدها المضخة الأخرى ، وكلما ابتلع لقمة حمد الله ونحن ندعوه إلى الطمأنينة فلن نسمح لذبابة أن تقرب من المائدة حتى يفرغ من طعامه ...

وانصرفت ، وفى نفسى ألا أرى من هو أشد من ابن عمى وهماً ؛ ولكن منظارى وقف بى فى صباح اليوم التالى على منظر أنقله للقارىء فى غير نقص أو زيادة :

انحنت عجوز أمام باب إحدى جرائدنا الكبرى وراحت تقىء وفزع الناس بالضرورة وابتعدوا عنها واقترح بعضهم طلب الإسعاف ؛ ومر شاب وجيه المظهر بادى الفتوة كثير الأناقة ،

هـــذا الطوفان..!

للأديب الطاهر أحمد مكي

كنا جماعة ، وكان الحديث عن الأدب ... نقلب الرأى فى طغيان الأدب الرخيص على العالى ، وعدوان العامية على العربية ، واحتلال المجلات الهزلية لعقول الناشئة ، والصحف اليومية لجمهور المثقفين ... وبقاء أدوات الفن الرفيع من مجلات وكتب ، محصورة فى دائرة ضيقة من الذيوع والانتشار ! لأنها لا تتمشى من الغرائز ، ولا تخضع لرأى العامة ، ولا تهبط لمستوى الدهماء ، ولا تستجلب رضا القراء ، بصورة عارية ، أو مقال مثير !..

والناس اليوم فى انحلال خلق ، مصدره قسوة الحرمان فى أيام الحرب وأعقاب الحرب ، واستهتار جنسى منبعثه إطلاق العنان للغرائز ، واستسلام الفتيان للشهوات وتسرب الإباحية إلى العقول واندفاع الصحف التى همها أن تربح عن أى طريق ، وأن تعيش بأى أسلوب ، فى ممالأة هذا اللون من الحياة !

طالع ما تشاء من صحف اليوم ، واقرأ ما تهوى من كتبه ، فلن تجد للعربية فى بلاغتها وروعتها أثراً ولن تشعر بالمتعة الروحية السامية ، التى تطرب لها حين تلتمس القراءة ، فى كتاب قديم ، أو سفر حديث ، من إنتاج أولئك النفر القليل ، من كتاب العربية الأفاضل ، ممن صمدوا أمام التيار ، فلم يجذبهم بريق الذهب اللامع ، ولم يجرفهم تيار المادة الخادع ، فظلوا كما هم ، وكما شاء لهم إيمانهم بالفن ورسالته ، أوفياء بالعهد ، حفظاء للرسالة ، ولو كره الجاهلون وأنصاف المتعلمين !..

إن المطابع قد أغرقت السوق بطوفان من الكتب ، جلها غثيث تافه لأن صاحبه طالب شهرة ، لا يعنيه إلا أن يطبع اسمه فى مكان بارز من غلاف الكتاب ، وسيان لديه أن يرحب به الناس أو يغضبوا عليه ما دام قد بلغ الغاية التى سعى إليها ، فأقحم شخصه فى زمرة المؤلفين !..

ومحاربين تخصصوا فى اقتناص المال من الجيوب ، بالحيلة الواسعة ، والدهاء الماكر ، وحذقوا فن التلصص وأساليبه ، وكان أن لمسوا مركب النقص فى الحياة المصرية ، وما تعانيه الشبيبة من حرمان وكبت ، فطفقوا يغرقون الأنظار بطوفان من الصور العارية ، ويؤججون الشهوات بأبحاث عن الرذيلة الفاتنة ، ومن ثم كتب لهم النجاح ، وإن يكن ثمنه ، فساد ضمائر الشباب ، وإهدار عفاف الفتيات !..

محال أن يوقف هذا الفيض من الانحلال ، أفراد قلائل أو صحف محدودة الذيوع والانتشار ، فعلى الذين يملكون التشريع والتنفيذ ، وقد استعملوهما فى كل ما يتصل بماديات الحياة ، أن يعطوا الناحية الروحية بعض العناية ، فنحفظ للغتنا سموها ، ولأدبنا روعته ، ولأخلاقنا جمالها ، فنسدى بذلك للعربية ، فضلا لا ينكر ولا يجحد !..

الطاهر أحمد مكى

وقد فرغت العجوز من قيئها نخيل إليه أنه مس بحذائه هذا القيء بعد أن فطن إلى أنها كانت تقيء ، فكأنما نزلت به صاعقة من السماء ، ونظرتُ فاذا صفرة كصفرة الموت تمشى فى محياه وإذ العرق يلتمع فى جبينه ونظر إلى الناس لهفان كأنما يستنجدهم ، ولبث فى مكانه لحظة لا يدرى ما ذا يفعل ، ثم مر قريباً منه « تاكسى » فاستوقفه ومد يده تخلع حذاءه وجوربه فى حذر بحيث لا يمس إلا وجهه ، ثم مشى حافياً ودخل السيارة وانطلق وترك الحذاء الجيل والجورب الثمين حيث كان يقف ولم يلتفت إليه لفتة كأنما يخشى حتى مجرد منظره !

وكم كان يبعث على الضحك منظر السابلة بعد ذلك إذ يلقون نظراتهم على هذا الحذاء فى تعجب وهم لا يعلمون لم ألقى به هناك وبما ذا يفسر وجوده ، وكان يمشى بعضهم فى سكون ودهشة بينما كان يستفهم البعض أحد الواقفين ، واجتمع عدد من الخلق فهم من ينظر إلى العجوز ومنهم من ينظر إلى الحذاء ، واختلط الأمر على الناس حتى لقد سمعت من كانوا فى مؤخرة الزحمة يقول إنها قنبلة ! ووثق بعضهم من الأمر فراح يصف طولها وحجمها وشكلها ! وهكذا ينقلب الحذاء الجيل الهادىء إلى نوع مفزع من من المفرقعات !..

وذكرت ليلة الأمس ومبلغ خوف ابن عمى ، وحرت بين البطلين أيهما أولى بالرثاء ، أهو ابن العم أم هو صاحب الحذاء ؟

الخفيف

تعقيبات

عقليتنا المستعمرة !!

فى المؤتمر الثقافى العربى الذى عقد أخيراً فى لبنان ، اقترح أحد الأعضاء أن يرسل المؤتمر بكتاب إلى مجلس الأمن يؤيد به قضيتى مصر وفلسطين ، فنهض له الأستاذ فؤاد أفرام البستانى ورد اقتراحه بأن المؤتمر ثقافى ولا سياسى ، فليس من شأنه أن يرسل بهذا الكتاب ولا من مهمته أن يقتحم هذه الأمور التى هى من شأن رجال السياسة .. فقال الراوى وكاد الأمر أن يتطور أو يتهور . لولا أن الأستاذ إسمعيل القبانى بك رئيس وفد مصر حسم الأمر بلباقته فطلب تحويل كافة الاقتراحات إلى اللجان الخاصة ..

وليس هذا بالأمر الغريب ، ولا هو مما يثير الدهشة ، فإننا أبناء الشرق العربى قد مُنينا بالاستعمار الفاجر دهراً فهدم كياننا ، وحطم قوميتنا ، وحلل شخصيتنا ، وكانت خدعته الكبرى فى ذلك أن أقنعنا بأن الدين شىء لا يتصل بالدنيا ، وأن العلم شأن غير السياسة ، وأن السياسة خطة غير الوطنية ، وأن الوطنية هى أن يجد الإنسان ما يملأ به بطنه .. وهكذا أصبحنا نحيا الحياة ، إذا أخذنا فى ناحية منها فإننا نستدبر جميع النواحى الأخرى ولا يمكن أن نجمع فى ذلك بين طرف وطرف ، وليس رأى أخينا أفرام البستانى إلا أثراً من آثار تلك الخدعة الاستعمارية التى نكبنا بها الاستعمار اللئيم ...

ألا ليت الأستاذ أفرام يقول لنا ما قيمة هذه الثقافة وما جدواها وما حاجتنا إليها إذا لم تحقق لنا حياة حرة كريمة ، وإذا لم تحقق تلك العقبات التى تعترض طريقنا وتذل أعناقنا ، وإذا لم تفعم نفوسنا بالقوة والشجاعة والبطولة ، وإذا لم تخلق لنا شخصية واضحة وقومية متميزة ، وإذا لم تكن صلتنا بالحياة وطريقنا إلى المستقبل وسلاحنا الذى نكافح به الظلم ، أجل ! ماذا تكون الثقافة إذا لم يكن كل هذا أثراً من آثارها فى حياتنا ونهوضنا وفى نفوسنا وقلوبنا ؟ !

لقد رأينا فى الحرب الماضية كيف كان العلماء يبذلون علمهم ويرهفون قرائحهم فى سبيل نصرة أممهم ، وكيف كان رجال الفكر والفهم يتصدون للدفاع عن أوطانهم ويخاطرون فى ذلك أكثر مما يخاطر الجنود ... بل نحن أبناء الشرق ندرك ونعرف أن الاستعمار لم يكن يسير فى أى بلد من بلادنا إلا وراء خطوات مستشرق يتخذ العلم وسيلة للتحكم أو وراء مستكشف يجعل الإستكشاف طليعة للتملك ، أو وراء مدارس وجامعات ينشئون فيها أبناءنا على هواهم ، ويبثون بها فى نفوسنا من العقائد مثل ما يعتقد « السيد أفرام » من أن الثقافة لا شأن لها بالسياسة ..

إننا نجاهد للتحرر من الاستعمار السياسى والاقتصادى ، وسنفوز بذلك لا شك ، وإن التحرر منها علم الله لأسهل وأيسر من التحرر من استعمار آخر يكرب نفوسنا وينخر فى عظامنا إلا وهو الاستعمار العقلى الذى يجب علينا أن نقاومه ونطارده وأن نعلن عليه حرباً لا هوادة فيها ، فإنه السم القاتل والداء الدفين ..

الآباء والأبناء :

وقع فى يدى تقرير اللجنة الأولى للمؤتمر الثقافى العربى فرأيت فيه اتجاهاً طيباً يدعو إلى الغبطة ويبشر بخير كثير ، فقد أشار « بأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية ، على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافى التام بين البلاد العربية وما كان لذلك من دور خطير فى قيام الحضارات وتقدم الإنسانية ، » كما تضمن الإشارة إلى الواجب فى « إبراز دور الإمبراطورية العربية فى التاريخ ، وتوضيح الفكرة فى أن العروبة لم تكن لدين ما ، بل إنها كانت ولا تزال أمانة فى عنق كل عربى ، وأن التعصب لم يعرف فى البلاد العربية إلا فى العصور التى حكم فيها الأجانب » ثم ينوه التقدير « بالأخوة فى العروبة والدعوة إلى التكتل والعمل على التذكير الدائم بمساوىء الاستعمار وضرورة اتخاذ النظام الديمقراطى أساساً فى تنشئة الطالب » .

وبعد أن أشارت اللجنة فى تقريرها هذا إلى ضرورة تدريب

الطلبة على أساليب الحياة المختلفة فى ميادين التعاون الاجتماعى والرياضى والكشفى دعت إلى قيام اتحاد للطلبة العرب ومؤتمرات سلم ومخيمات كشفية ووضع أناشيد مشتركة وتبادل الطلبة العرب بين الأقطار العربية وإنشاء بيوت لهم فى كل قطر عربى .. »

وما أريد أن أورد كل ما تضمنه ذلك التقرير ، فقد تضمن تفاصيل مطولة ، وهى تفاصيل تلتقى كلها فى رغبة واحدة ، هى تقوية الشعور بالقومية العربية فى نفوس أبناء الجيل الجديد حتى لا تكون الوحدة العربية ميثاقاً مكتوباً فى الورق ، بل تكون دماً يتدفق فى العروق .

إنه كلام طيب جداً ، وإنما العبرة بالتنفيذ القريب ، وحين نبدأ أول خطوة فى هذا السبيل نكون فى الواقع قد بدأنا السير لتحرير عقليتنا من إرضاء الاستعمار .

ولماذا ننسى أنفسنا :

اهتمت الصحف المصرية على اختـــلاف نزعاتها بتتبع « الكوليرا » كما يسمونها الآن أو « الهيضة » كما كانت تسمى من قبل ، واهتمت إلى جانب ذلك بسرد تاريخ ذلك الوباء اللعين فى مصر ، وما كان له من هجمات عنيفة على المصريين ، ثم ما كان لرجال الطب من جهود صادقة فى مدافعته واكتشاف ميكروبه وتحدثت فى هذا عما كان من حضور الدكتور كوخ الألمانى إلى مصر عام ١٨٨٣ على رأس بعثة طبية لاكتشاف هذا الميكروب وعما كان من وصول بعثة طبية أخرى من معهد باستور بفرنسا لمثل هذا الغرض ، ولكن الصحف المصرية جميعها نسيت فى هذا المقام جهداً مصرياً كان من الواجب أن يذكر، وكان من الواجب أن يرجع إليه رجال الطب عندنا فسيجدون فيه من التجارب المفيدة والخبرة النافعة ما لا يقل عن تجارب بعثة « كوخ » ولا بعثة « باستور » .

ذلك أنه لما تفشى وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٨٣ م وجاءت البعثات الطبية من الخارج لدراسة أحوال هذا الوباء وإثبات تجاربها عنه عكف المجلس الصحى فى مصر هو الآخر على مثل هذا العمل وأخذ أعضاؤه يوالون البحث والتجربة بشأن هذا الوباء ، وانقسموا فى هذا إلى فريقين : فريق يرى أنه يتولد تولداً ذاتياً متى كانت هناك البيئة التى تساعد على وجوده ونموه ، وفريق يرى أنه لا يظهر فى مكان إلا منقولا إليه من مكان آخر وكان على رأس هذا الفريق الدكتور سالم باشا سالم طبيب المعية الخديوية يومذاك ، وقد جرت مناظرات بين الفريقين كانت أعنف وأشد من المناظرات التى قامت بين « كوخ » وأطباء ألمانيا فى ذلك الوقت ، ولكن الأطباء الألمان أخذوا يوالون البحث حتى وصلوا فى هذا إلى ما انتفعوا به الإنسانية وكانت حكومتهم تشجعهم على ذلك بألوف الجنيهات ، أما الذى جرى عندنا فإنه يستثير العبرة ويدعو إلى العبرة ، ذلك أن الخديوى توفيق خشى يومذاك من امتداد المناظرة بين الفريقين فألغى مجلس الصحة وكفى الله الأطباء شر القتال ..

مضى ما مضى ، فلن يجدى التحسر عليه ، ولكن الذى يدعو إلى الأسف أن ما توصل إليه أطباؤنا يومذاك من نظريات وآراء ، وحققوه من تجارب واختبارات قد طوى كله فى مطاوى النسيان ، وذهب فى خبر كان ، ولو كان رجال العلم عندنا يذكرون أنفسهم ويعتدون بشخصياتهم لكان فى رجال الطب من عكف على موالاة ذلك البحث والبناء على ذلك الأساس الذى وضعه الأطباء المصريون فكان حقق لمصر فى ذلك فخراً لا ينسى .

ولكن أين فى أطبائنا اليوم من يذكر ذلك الجهد ؟ أو يكون عنده شىء من خبره ، أليس من العار أن يكون فى مستشفى الأسكندرية غرفة اسمها « غرفة كوخ » تخلد بها ذكرى ذلك الطبيب الألمانى وزيارته لمصر ، ومع هذا فليس فينا من يذكر شيئاً عن أولئك الأطباء المصريين الذين بذلوا من الجهد ، وأبدوا ما أبدوا من علم واسع وخبرة نافعة وتجارب انتفع بها « كوخ » وغير « كوخ » من الأطباء .:

فى ماضينا مواقف لابد أن نبنى عليها حتى نترفع ، إنها مواقف عظيمة مشرقة يمكن أن نعتز بها بين الأمم ، ولكنا مع الأسف أمة تجهل ماضيها وتنسى نفسها !

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

خلاف بين الأساتذة :

حينما كتبت الموضوع الذى عنونت له بـ « جدل فى الجامعة » بالعدد (٧٤١) من الرسالة — كنت قد سمعت أحاديث عن حال واقعة بين بعض أساتذة كلية الآداب ، قيل إنها أصل الجدل فى مسألة الرسالة المقدمة من الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على (الدكتوراه) والتى موضوعها (القصص فى القرآن)

وقد أمسكت عن الإشارة إلى ذلك الذى سمعته لأنى لم أرفيه وقتذاك ما يخرج عن الأمور الشخصية ، وقصدت إلى موضوع الرسالة وما أثير حوله إذ رأيت فيه ما ينبغى من أجله نقل المسألة من حيزها المحلى إلى ميدان الرأى الأدبى العام

ولكن الأستاذ خلف الله أشار فى آخر مقاله بالعدد الماضى الذى أوضح فيه بعض ما تضمنته رسالته بعد أن قرأ « جدل فى الجامعة » — إلى ما كنت قد أمسكت عنه ، وذلك بقوله : « المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات فأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة . وإذا كان الأستاذ الخولى قد رفض رسالة الأستاذ المحاسنى فيجب أن ترفض رسالة خلف الله »

وتفصيل ذلك — حسب ما سمعته — أن الأستاذ زكى المحاسنى كان قد أعد رسالته بإشراف الأستاذ الشايب ، ولما عرضت الرسالة على لجنة من الأساتذة أجازوها إلا الأستاذ أمين الخولى فقد رفضها ، وحدث بعد ذلك أن رفضت رسالة (القصص فى القرآن) التى أشرف عليها الأستاذ الخولى ، وهذا هو صاحبها يعلل رفضها ، وهو يرى بهذا التعليل إلى نفى أن الباعث على هذا الرفض ما تضمنته من آراء متطرفة

والذى نستخلصه من كل ذلك أن هناك خلافاً بين كبار الأساتذة فى كلية الآداب ، وقد كنا نقول إن الألسنة تمتد بالأقاويل والشائعات ، لولا أن عضواً من هيئة التدريس بالكلية يقرر ذلك ..

والمسألة ذات بال وخطر ، لأن ذلك الخلاف يتدخل فى الحكم على رسائل الطلاب ، وهذا هو ما يخرجها عن الحدود الشخصية ، وقد تمتد أثر هذا الخلاف إلى غير الرسائل من تقدير كفايات الطلبة فى الامتحانات !

ولا أتقدم أكثر من هذا ، بل أرجع فأقول : أيمكن أن يقع ذلك من أولئك الأساتذة الأعلام وهم يعلمون أنهم مثل عالية للطلبة الذين يضمون مصائرهم بين أيديهم .. ؟

ولكن ما حيلتى . . وقد غضضت النظر عما سمعت ، فإذا مدرس بالكلية يصرح به . .

القدر المشترك بين ناشئة العرب :

القدر المشترك من الثقافة العربية الذى يقدم لأبناء العروبة فى جميع أقطارها ، هو أحد الغرضين اللذين أعلنت الهيئة التحضيرية للمؤتمر الثقافى العربى أن أعماله تهدف إليهما ، والغرض الثانى هو تحسين طرق تعليم اللغة العربية

وقد وعدت فى الأسبوع الماضى أن آتى بما يراه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك . وهاك ما وعدت به :

يرى المؤتمر أن الهدف الذى ترمى إليه دراسة القدر المشترك هو إثارة شعور المشاركة بين سكان الأقطار العربية فى الحضارة والتاريخ ، وفى منزلتهم من النشاط الدولى الحديث

وهذا القدر ينبغى أن يكون فى المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، وممهداً لقدر أرقى منه فى المرحلة الثانوية

ويمكن توفير هذا لقدر فى المرحلة الابتدائية عن طريق :

١ — الأناشيد : فتختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربى والمشاركة فى الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الأقطار العربية

٢ — المحفوظات : تختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها أن تكون مما يشيد بالأخلاق العربية من نجدة وبطولة وما إليهما ، وأن يكون بعضها لأدباء من الأقطار العربية المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ

٣ — القصص : فيختار منها عدد يحقق الفكرة السابقة ،

من تصوير الـكرم والإباء وعزة النفس وغيرها ، مما يبعث فى نفوس التلاميذ الإعجاب بتاريخ العرب وأبطالهم قدامى ومحدثين

٤ — المطالعـــة : فتتناول بعض كتبها فى كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة فى مختلف الأقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم

ويلاحظ أن يدرس هذا فى مرحلة التعليم الابتدائى مؤيداً بالصور والرسوم ، أو مصاحباً للموسيق ، أو قائماً على التمثيل والحوار ، مما هو مقرر فى أساليب التربية

ويوصى المؤتمر أن يسار فى دراسة القدر المشترك فى المرحلة الثانوية على النهج الذى قرر فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التوسع فى الثانوى بما يقتضيه فى الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم

ويرى المؤتمر أن الاتفاق على منهج واحد لا يكفى لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية إذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الأفق والقدرة على التدريس ، ولذا قرر أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين .

ويرى أن القدر المشترك إنما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة أما الطلاب الذين يرغبون فى التخصص أو يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج أوسع وأعمق (وأنا لا أدرى لم لا يصلح المنهاج الأوسع الأعمق ليكون قدراً مشتركا بين المتخصصين ومن يعدون للتدريس فى جميع البلاد العربية وخاصة فى المعاهد التى قرر المؤتمر أنه لابد من إنشائها ؟)

ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية تشخص إليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأى فى أساليب التعليم كى يستفيد بعضهم من تجارب بعض ، وكى يتحدوا فى الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وآدابها .

مدى نجاح المؤتمر الثقافى :

وبعد فهذه التوصيات إلى ما عرضناه فى العددين الماضيين من الرسـالة ، هى أهم مقررات لجان المؤتمر الثقافى التى وافقت عليها الهيئة العامة للمؤتمر وأوصت بأن تأخذ بها البلاد العربية المختلفة لتوحيد الثقافة بين بينها ، وكل تلك التوصيات تتجمع فى « القدر المشترك » من حيث التوحيد ، ومن حيث تـكوينه من مواد نافعة ، وكان ذلك فى اللغة العربية وفى المواد الاجتماعية لأنها هى التى تتمثل فيها الروابط القومية والثقافية بين البلاد العربية .

ولا شك أن المؤتمر بذلك وضع الخطط الأساسية التى ينبغى أن تسير عليها الثقافة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ولو صرفنا النظر عن المناهج والتفصيلات التى قد يجد فيها متفحص ما لا يروقه ، فإن الذى لا شك فيه أن المؤتمر نجح فى بناء الهيكل العام ، وهذا كسب ليس بالقليل وخاصة إذا لاحظنا أنه الباكورة الثقافية للجامعة العربية ، وقد تم نجاح آخر لا يقل قيمة عن هذا النجاح إن لم يزد عنه ، وهو التقاء هذه الجمهرة العظيمة من رجال الفكر فى الأقطار العربية ، وما شعروا به ، بعضهم نحو بعض ، من المودة والأخوة ، وما لمسوه من التجاوب الفـكرى بينهم ، وقد وقفت ، من أحاديث العائدين ، على ما ساد اجتماعات اللجان من روح طيبة فى حسن التفاهم والتوافق على الأغراض ، وعلى ما استقبل به اللبنانيون إخوانهم العرب الوافدين عليهم من الحفاوة والترحيب .

ملاحظات على المؤتمر :

على أن كل ذلك لا يمنع من تسجيل الملاحظات الآتية :

١ — قام برنامج المؤتمر على أن له غرضين : تحقيق القدر المشـترك ، والنظر فى الوسائل المؤدية إلى تحسين طرق تدريس اللغة العربية . أما الغرض الأول فقد عرفت جهد المؤتمر فيه ، وأما الغرض الثانى فقد أهمل إهمالا ، وكأنى بالمؤتمر قد ضاق به فرأى فى تثاقل أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج معلمين للغة العربية ، وأوصى بعـقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية ، وليس هذا ولا ذاك بجهد ناجز فى « تحسين طرق تدريس اللغـة العربية » الذى جعله المؤتمر أحد غرضيه .

٢ — كانت الحفلات التى أقيمت للحفاوة بأعضاء المؤتمر عامرة بنشاط أدباء لبنان الذين أفاضوا وأمتعوا بالشـعر والنثر

والزجل ، وكان من الطبيعي أن يجاوبهم أدباء مصر ، ولـكن الذي حدث أنه لم يعن بتقديم هؤلاء ، واكتفى بنشاط بعض الـكبار من وفد مصر ، ولم يخرج عن هذا النطاق إلا الجارم بك

٣ — لم تهيأ لممثلي الصحف الأسباب التي تكفل لهم سرعة الاتصال بصحفهم ، فلم يكن أمامهم إلا البريد الذي يبلغ القاهرة في بضعة أيام . ومن الطريف أن الأنباء التي نشرت عن المؤتمر في خلال انعقاده لم تـكن عن طريق المراسلين ، وإنما أخذت أنباء حفلة الافتتاح عن الإذاعة اللبنانية ، أما ما نشر من أخبار المؤتمر بعد ذلك فـكانت تتلقاه بالتليفون إدارة الصحافة بالجامعة العربية بالقاهرة ، وتدفعه إلى الصحف فتنشره .

موضوعات السينما والأفلام الخرافية :

قال الأستاذ محمود بيرم التونسي في بيان الموضوعات التي لم تعالجها السينما المصرية بمجلة (الاستديو) : « هي الموضوعات المصرية البحتة ، لأن المشتغلين بالسينما عندنا يأتون بروايات أجنبية ويخلعون عنها القبعات ويضعون بدلا منهـا طرابيش ولاسات وعمائم ، حتى لقد أفهمونا بالقوة أن حياتنا هي هذه الصالونات والحفلات وأننا نفتح بيوتنا للشبان باسم الخطوبات حتى أصبحنا كذلك فعلا ، والجرم الأول يقع على عاتق السينما المصرية لأنها هي التي فرضت علينا هذه الحياة »

ولفتة الأستاذ إلى تأثير السينما بالإيحاء في حياتنا لفتة بارعة والحق أن أصل الداء في هذه الأفلام هو اختطافها من الأفلام الأجنبية على الوجه الذي صوره بيرم .

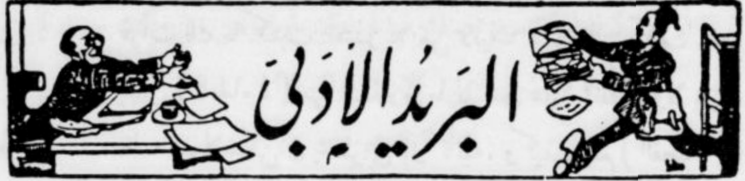
وقد كثر النعي على ذلك ، وأفاض النقاد في التوجيه إلى ما يجب أن تعالجه السينما من الموضوعات التي عُدّ منها مواقف البطولة في تاريخنا المجيد ، ولـكن من توجه ؟ فيظهر أن بعض الناس قد فهم أن هذه المواقف هي تلك الأساطير والقصص الخرافية التي تقوم على الأعمال الخارقة والبطولة التي لا يغلبها غالب ، فظهرت أخيراً عدة أفلام من هذا النوع ، وليت هذه الحوادث يقصد منها فكرة ترمي إلى هدف يبرر هذا التهريج

وأصل هذه الأفلام هو أصل تلك الروايات التي أفسـدت المجتمع ، فإنه يحلو للغربيين أن يعرضوا صوراً وأحداثاً خرافية على أنها تمثل حياة الشرق ، وقد أخذوها حقاً عن أصول عربية وضعت في أزمان غابرة ، ولـكنهم حرفوها عن مواضعها ، فجاءت بعيدة عن حياة الشرق حتى في تلك الأزمان

ثم جاء أصحابنا الذين توجههم فلا يأتون بخير ، فحوروا أو ألفوا على ذلك الغرار ... وإنا لنخشى أن يفسدوا الأذواق بهذا العمل كما أفسدوا المجتمع بتلك الروايات

وأصل الداء كله يرجع إلى العجز عن معالجة موضوعات حياتنا ، واستسهال الأخذ والتحوير ؛ والمنتجون يستريحون إلى ذلك ليسره ورخصه وإثارته عواطف السذج والبسطاء . فالسينما المصرية في حاجة إلى أقلام جديدة أكثر من حاجتها إلى وجوه جديدة .

« العباس »



حول جدل في الجامعة :

تعرض صاحب رسالة (الفن القصصي في القرآن الكريم) في كلمته المنشورة بعدد الرسالة الماضي لرأى الأستاذ أحمد أمين بك في هذه الرسالة ، فرأينا أن ننشر رأى الأستاذ كاملا بنشر تقريره الذي قدمه إلى عميد كلية الآداب وهذا نصه :

حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب .

تحية واحتراماً .

قرأت الرسالة المقدمة من محمد أفندى خلف الله لنيل الدكتوراه وموضوعها « الفن القصصي في القرآن» والتي تفضلتم فأحلتموها على لقراءتها وإبداء الرأى فيها .

وقد وجدتها رسالة ليست عادية بل هي رسالة خطيرة أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع وأن محمداً فنان بهذا المعنى

وعلى هذا الأساس كتبت كل الرسالة من أولها إلى آخرها وأرى أن من الواجب أن أسوق بعض أمثلة توضح مرامى كاتب الرسالة وكيفية بنائها .

يرى أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي وإنما تتجه كايتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويراً فنياً بدليل التناقض في رواية الخبر الواحد .

مثل أن البشرى بالغلام كانت لابراهيم أو لامرأته . بل تكون القصة مخلوقة مثل : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت ... الخ ص ١٤ وما بعدها .

الإجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي ليست تاريخية ولا واقعة وإنما هي تصوير لواقع نفسى عن أحداث مضت أو أعرقت في القدم سواء كان ذلك الواقع النفسى متفقاً مع الحق والواقع أم مخالفاً له ٢٨

وربما كانت مسألة الجن التي تصور رأى الجاهليين في تسمع الجن لأخبار السماء ميداناً من الميدان القصصي .

(ابن الخياط)

والقرآن يقرر أن الجن تعلم بعض الشيء . ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئاً ٢٩ والمفسرون مخطئون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد ٣٠ الأنبياء أبطال «ولدوا في البيئة وتأدبوا بآدابها وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة ودانوا بما تدين به من رأى وعبدوا ما يعبد من إله ص ٣٧

تصوير أخلاق الأمم كبنى إسرائيل ليس بضرورى أن يكون واقعياً بل يصح أن يكون تصويراً فنياً يلاحظ الواقع النفسى أكثر من صدق القضايا ... الخ ص ٧٥

القصة هي العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ، ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فني إذ قدم بعضها وأخر بعضها أو حذف بعضها وأضيف إلى الباقي بعض آخر أو بولغ في تصويرها إلى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقة إلى ما يجعلها في عداد الأشخاص الخيالية وهذا قصدنا في هذا البحث من الدراسة القرآنية ٨١

أخطأ الأقدمون في عد القصص تاريخاً ٨٣

منهجه هو معالجة القصة من حيث هي أدب ويعنى بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع (٨٤) ولذلك لا مانع من اختلاف تصوير الشخصية الواحدة في القرآن ٨٥

وجود القصة الأسطورية في القرآن ٨٩

ولعل قصة موسى في الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة ٨٩ بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ .

والقرآن عمد إلى بعض التاريخ الشعبي للعرب وأهل الكتاب ونشره نشراً يدعم غرضه ٩٣ كقصة ذى القرنين .

وقصة إبليس من نوع الخلق الفني الذي يتشبث فيه القرآن بالواقع ١٠٦ عناصر القصة هي العناصر الفنية والأدبية التي اتخذ منها الفنان مادته التركيبية والتي أعمل فيها خياله وسلط عليها عقله ونالها بالتغيير والتبديل حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه ، وكذلك القصص في القرآن والبحث عن المصادر في القصص القرآني على هذا الأساس .

يجب ألا يزعجنا لأنه الواقع العملي في حياة كل الفنون والآداب ص ١١٨ وطبق هذا المبدأ تطبيقاً واسعاً

فالقرآن كان يغير في العناصر ليجعلها ملائمة للبيئة ولطبيعة الدعوة ص ١٢٥ ... وما تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد بالتاريخ ... بل قد يكون ذلك من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الحرص على الصدق العقلي، وإنما ينتج عمله ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل» ص ١٣٦

ومن هذا القبيل خلق صور الجن والملائكة ١٣٧

تدرج القصص في القرآن كما يتدرج أدب كل أديب، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة في كل أمر فني يعرض لهم ثم يتقدمون خطوة فيبغون الاستمتاع واللذة بالمحاولات الأولى التي تقوم على التقاليد والمحاكاة ثم يكون التخلف شيئاً فشيئاً والدخول في ميدان التجارب الخاصة ومظاهر ذلك النسخ والتدرج بالتشريع ١٦٩ الخ

ومن ذلك كله نرى أن المسألة — كما قلت — خطيرة ومن المتوقع أن يكون لها صدى كبير سبق أن حدث لأقل من هذا.

فالمسألة في نظري يجب أن يفصل فيها رجال الجامعة المسؤولون قبل أن يفصل فيها الأساتذة قراء الرسالة من ناحيتها التفصيلية والشكلية. وتفضلوا بقبول فائق احترامي.

أحمد أمين

الى خلف الله العامري [(١)]

يا (أستاذ ..)!

لقد أغمدت سيفي، ولويت وجهي عن الميدان، لأنك أصبحت أعزّ عليّ، من أن أجرد في وجهك سيفاً، أو أثير عليك حرباً، وكيف وأنت رجل خيّر فاضل (لست من الشرّ في شيء، وإن هان) وأنت تنصف من نفسك، وتنال منها ما لا يناله الخصم المنيد، وتكتب عنها بقلمك ما لا يكتبه العدو اللدود، وكيف وقد صرت أستاذي ... تعلمت منك أشياء كنت أجهلها ..

تعلمت منك كيف يكون العذر أقبح من الذنب، حين قرأت لك ما كتبت تعتذر به من ذنبك، وتعلمت كيف يفهم بعض (العلماء!) من الكلام ما لا تدل عليه ألفاظه ولا يفيده نظمه، ولا يمكن أن يخطر على بال كاتبه. وكيف تبلغ (الفطنة ...) ببعض (الأذكياء ...) أن يريد أحدهم الشيء فينطق بضده، ويعمد إلى تبرئة نفسه فيوبقها

قلت لا فضّ الله فك، وسلّمك:

« والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآني، لنبحث ما في قصصه من أشياء تاريخية، وقبل البدء ننظر في اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات في القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التي تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه القررات للتقاليد على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن في شيء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته في الخلق والابتكار وان يقرر ما في القرآن من قيم إلا واقع أدبي التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملي »

انتهى بنصه وفصه، وألفاظه وحروفه، واحلف لقد قرأته خمس مرات متتاليات فلم أفهم المراد منه، لأنه أرفع من أن يصل إليه فهمي، أو يطوله عقلي.

ولقد كنا في الكفر بالدين وحده، فصرنا الآن في الكفر بالدين، والكفر بالعربية! أفبمثل هذا الأسلوب تريد أن تكتب عن القرآن؟ أم هذه هي البلاغة الجديدة، التي هبط بها الروح (الأمين) على قلب أستاذك نبيّ البيان في آخر الزمان.

هذا كلامك، لا يفهمه الناس، فهل تفهم أنت كلامهم؟ لنرَ: نقلت من تفسير المنار قوله: « إن الله أنزل القرآن هدى وموعظة، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة، لا تاريخ شعوب ومدائن، ولا تحقيق وقائع ومواقع ».

فلم تفهم منه إلا أن القرآن ليس بكتاب تاريخ، وإذا كان يروي أخبار الماضين، ولم يكن تاريخاً فما هو إلا قصة، كقصص اسكندر دوماس وتوفيق الحكيم، ودوماس لا يؤخذ من قصصه التاريخ، لأنه لم يكتبها له، ولم يحرص فيها على حقائقه فقصص القرآن كذلك.

(١) واسمه الربيع الذي قال فيه الشاعر:
شهدت بأن الله حق لقاؤه وأن الربيع العامري (فهيم)!

أرأيت ؟ فلماذا تتعب نفسك فيما لم تخلق له ؟ وهل تظن أنك تفهم كلام الله ، وأنت لم تفهم كلام (عبده) ؟

***

ثم قلت : على أن هذه المسألة (أى مسألة كون قصص القرآن صحيحا أو اسطورة) قديمة — ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه — ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف ، أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا (أى لا يقولون بأن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع) وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام »

مسكين أنت يا أيها الأستاذ الإمام ، لقد صرت عند هذا (العامرى) إماماً فى تكذيب القرآن ، وفى الكفر بالرحمن ، ومساكين أنتم يا أيها الأصوليون ..

وكل شيء إلا الأصول من فضلك ! مالك وللاصول ؟ ولماذا تهرف بما لا تعرف حتى تطلق الألسنة بغيبتك ؟ ومن قال لك إن الأصوليين يعدون القصص من المتشابه ؟ وهبهم قالوه أفتدرى أنت ما المتشابه ؟ وفى أى كتاب رأيت هذا ؟ ومن أى عالم سمعته ؟ أو ما كان خيراً لك لواشتغلت فيما تحسن ، وتركت لغيرك التدليل على أن قصص القرآن أساطير كأساطير هوميروس ، وروايات كروايات دوماس ، ما دام غرضك كما تقول (غرضاً دينياً هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين) ؟

ولا والله ، ما غرضك إلا (الشهرة ...) ، ولن أكون عوناً لك عليها بعد اليوم !

على الطنطاوى

هل كان معاوية كاتب وحى ؟

ذكرت فى كتابى (أبطال الفتح الإسلامى) فى ترجمة الإمام على كرم الله وجهه أن كتبة النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثلاثة وأربعين منهم أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد وقد سرد هذه الأسماء كثير من المؤرخين كابن كثير وغيره ، ولكن ابن أبي الحديد ، ذكر فى شرحه لنهج البلاغة أن ما عليه المحققون أن معاوية بن أبى سفيان لم يكن من كتبة الوحى ، بل كان هو وربيعة التميمى لا يكتبان للنبى صلى الله عليه وسلم إلا مكاتبات الملوك ورؤساء القبائل . أما كتبة الوحى فكانوا على بن أبى طالب وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم »

المنصورة **محمود نصير**



قصة من الأدب الروسى :

« الحمى »

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

١٨٦٠ – ١٩٠٤

« هذه صورة وليست قصة !.. تمتاز بألوان من الوصف الدقيق وتزخر بصنوف من التصوير البارع ... يعرضها تشيكوف – ذلك الكاتب العظيم – بريشته الفنانة وقلمه الصنع ... فيبدع الوصف ويجيد التصوير وتجيء آية بينة واضحة على قدرته البيانية وقريحته الخصبة وعبقريته فى رسم المشاعر الإنسانية ، والإحساسات النفسية ...

فهو يجلو لنا صفحة رائقة شائقة من حياة مخلوق من البشر ... أصابته حمى « التيفوس » ، نخر صريعها ... وراح يعانى آلامها وبلواءها ... وأحسب أن هذا لا يتيسر إلا لمن كابد تلك الآلام ، وثقلت عليه وطأة المرض ... فاشتد تأثره به .!. وأخرج لنا هذه الصورة المجلوة الحقة التى لا يداخلها باطل .. ولا تخالجها مبالغة !.. » « م جميل »

كان القطار ينساب بين الربوع فى سرعة وفى صخب ، بعد أن خلف وراءه « بتروغراد » وغايته « موسكو » ! ... وفى إحدى عرباته جلس الضابط « كليموف » وهو شاب تجلت على سيمائه آيات العناء والألم ! .

وكان رفيقه – الذى قعد مواجهاً له – رجلا طاعناً فى السن ! . حليق الذقن ... تلوح عليه دلائل الثراء والعيش الرغد . ويخيل إلى المرء أنه من أبناء « فينلندا » أو « السويد » ... لم يبرح طيلة السفرة ... يدخن « غليونه » ، وينفث هباءه فى الهواء ! ... وكان ثرثاراً مهذاراً ، نهماً إلى الحديث ، شرهاً إلى الكلام ... لا يفتأ يلفظ بهذره حول معنى واحد ... دون تنويع ولا تبديل ! ...

– « ها ! . إنك ضابط ! . كذلك لى أخ ضابط ؛ بيد أنه نوبى يجوب البحار ! . . ألا خبرنى ما الداعى لذهابك إلى « موسكو » ؟ ! . »

– « إن لى مقاماً هنالك ! ! . »

– « ها ! ! أما تزوجت بعد ؟ ! »

– « كلا ... إنى أعيش مع خالتى وأختى ! . »

« إن أخى ضابط كذلك ، غير أنه متزوج ... وقد أنجبت له امرأته ثلاثة أطفال ... ها ! ! . »

وكان الرجل الفنلندى ينظر – خلال ذلك – فى بلاهة وغرابة ... وتترسم على شفتيه ابتسامة تعبر عما يختلج فى نفسه من جزل ومرح ، حينما يهتف : « ها ! ! . »

أما كليموف – وكان يشعر بدوار وصداع فى رأسه ، ويحس بفتور ودعث فى جسده – فقد برم بالجواب على أسئلته ... وراح يحمل عليه فى قلبه إصراً وبغضاً ! ... وتراود نفسه رغبة جامحة فى أن يختطف غليونه ... ويلقى به تحت المقعد ، ويأمر « الفنلندى » نفسه بالبحث عن عربة أخرى . !

وقال يحدث نفسه – وقد ضاق به ذرعاً « ما أفظع أولئك « الفنلندين » وأبغضهم إلى النفس ! . إنهم أوغاد مذقو الخلق ، أولو خسة وذوو سفه ... لا يأتون إلا كل تافه غير محمود من الأفعال ... وما خلقوا إلا ليموقوا العالم فحسب ! . فما أدرى مكرمة ذاعت لهم ، ولا حسنة أثرت عنهم ! . »

وزاد إحساس الضابط الشاب بما يكتنفه من وعك وكآبة وألم ! . فعلا وجهه شحوب وامتقاع ... وسرى الجفاف والظمأ إلى حلقه فلذعه لذعاً شديداً ، وضاقت رأسه – وقد ثقلت تحت وطأة الصداع – بما يضطرب فيها من أفكار سوداء تجول بخاطر مربدة صاخبة على غير هدى ... ثم لا تلبث أن تفيض على ماحوله من مقاعد وأناس يلوحون فى حلكة الظلام ! ...

ويطرق سمعه – فى عنف – خليط من الهرج والرج ... يترامى إليه من بلبلة الأصوات وضوضاء المجلات ، وصفق الأبواب وهدير الأجراس وصفير القطار وضجيج الناس وعجيجهم فى كل محط يقف به ! .

وكان الزمن يمضى متباطئاً على مهل حيناً ، وسريعاً على عجل حيناً آخراً ... ولاح لكليموف وكأن القطار يقف كل دقيقة فى محطة ! . وتمر به القطارات الأخرى سراعاً يلاحق بعضها بعضاً بينما قطاره يتهادى فى سيره ويدوى ويجلجل ! ...

إن مسمع تلك الجلبة وذلك الصفير .. ومرأى هذا الفنلندى

وهذه الحلقات من الدخان ينفثها من غليونه فى الهواء ... كل ذلك يمازج مع الكآبة السوداء التى تمتديه فى إبهام . وتمخض عنه كابوس مخيف يجثم على صدره ، ويكاد أن يزهق أنفاسه ! .

وبينا هو فى غمرة ذلك العذاب الأليم ، ورفع رأسه المصدع ونظر من خلال عينيه الذابلتين ... إلى المصباح ! . وقد راح يرسل ضوءاً واهناً متراقصاً لا يثبت على شىء . ويمقد الظلال ، ويشيع جواً من الرهبة والغموض ! !

وود « كايموف » لو يرفع صوته بطلب شربة ماء ... ولكن لسانه جد ... فقد يبس ريقه وجف حلقه من حرقة الصدى ! . كما أن قوته وهت عن أن تجيب « الفنلندى » إلى ما يسأله إياه ، وتستمع إلى ما يهذى به .

فحاول أن يمدد جسده على المقعد حتى تداعب عينه سنة من النوم ... ولكن النوم أبى عليه أن يأخذ بمعاقد أجفانه . وظلت تلك الكآبة القاتمة والخواطر السوداء والصور الغريبة تعبث به وتعيث من حوله ... فى حين أن ذلك «الفنلندى» نام ملأ جفونه ما حلاله النوم ، وعلا شخيره ؟ . ثم أفاق من نومه وأشمل غليونه وطفق يحدثه ويردد « ها ! ! . » ثم لم يلبث أن غط فى النوم من جديد ! وتحامل « كايموف » على نفسه فى «سيبروف» !وانهض يسعى فى طلب الماء ! . فامتد طرفه إلى فريق من الناس يجلسون إلى مائدة حافلة بالطعام ، ويأكلون فى شراهة وعجلة ... فتمتم وهو يحاول أن ينأى بأنفه عن رائحة الشواء ويشيح بوجهه عن مرأى أولئك القوم وهم يلوكون الطعام فى أفواههم المكتظة : « كيف يأكلون ؟ ! »

ثم لمح بعد ذلك امرأة وضيئة تتحدث إلى رجل عسكرى يضع على هامته قلنسوة حمراء .. وتبتسم له ، فيفتر ثغرها عن أسنان كالدر المنظوم ... ولكن أثارت تلك الابتسامات وتلك الأسنان اللؤلؤية وتلك السيدة الوضيئة ذاتها عاصفة من السخط والحنق فى نفسه ! .

وإذا ما أدرك بغيته من الماء ! . قفل راجعاً إلى مجلسه ... فألفى « الفنلندى » قد استوى على كرسيه يدخن ، فلما أبصره « الفنلندى » قال له فى شىء من العجب : « ها ! ! أى محطة هذه ؟ ! » فأجابه كايموف فى صبر نافذ وقد استلقى على مقعده وضم شفتيه حتى لا يتسلل إلى حلقه دخان الغليون الحاد اللاذع : « لست أدرى ! . »

— « متى نصل إلى مدينة « تفر » ؟ ! ... »

— « لست أدرى ! ومعذرة إن كنت لا أستطيع الكلام إنى مريض ضيق الصدر ! ! ... »

فطرق « الفنلندى » حافة النافذة بغليونه ! . وطفق يحدثه عن أخيه البحار فلم يعره « كايموف » أدنى التفات ولم يكترث له بل راح يفكر فى فراشه الوثير اللين ... وإبريقه البلورى ذى الماء العذب القراح ... ويتصور فى خياله أخته « كاتى » التى تعرف كيف تروض نفسه وتخلع بزته وتحنو عليه وترنو إليه ! . ثم ترسمت على شفتيه بسمة شاحبة ، حينما تذكر خادمه الجندى « بافل » وهو ينزع حذاءه الضخم فى رفق ... ويضع الماء على المنضدة فى هدوء ! ... وخيل إليه إنه ما يكاد يستلقى على سريره ويجرع بعض الماء يطفى به غلته ... حتى يزول عنه ألمه ، ويبرأ من سقمه ! ويغط فى نوم هادىء ! ...

عادت تلك الأصوات تختلط فى سمع كايموف فى هرج ومرج وراح يطرق أذنه فى عنف هدير الأجراس وصفير القطار ... وضوضاء العجلات ، وهى تنساب صاخبة على القضبان ! .

فدفن كايموف وجهه — وقد تملكه اليأس وألح عليه الألم — فى وسادة المقعد ... ثم أمسك برأسه بين يديه ... وثانية راحت تطوف بفكره خواطر عن أخته « كاتى » وخادمه « بافل » ... ولكن أخته وخادمه اختلطا — هذه المرة - فى الصور التى تهيأ له والأشباح التى تتمثل لوهمه ... ولفحت وجهه حرارة زفراته التى تردها عليه الوسادة ... وقد دفنه فيها ! .

وتسرب الوهن إلى عظامه فشقت عليه الحركة .. وتسلل من النافذة تيار هوائى بارد ، فأصاب ظهره ... بيد أنه لم يحرك ساكناً وأبى أن يغير الوضع الذى استقر عليه جسده ... ثم لم يلبث أن غاب فى سبات قلق مضطرب ، سعى إليه فغل أطرافه وأغمض أجفانه ! ! ...

فلما ثاب إلى رشده — بعد أن تقضى زمن طويل — رأى النهار بازغاً ، والشمس تبعث فى أوصال الكون ضياءها ! ...

وكان السفر يهمون بارتداء معاطفهم ، ويتهيأون لمغادرة القطار ... حتى إذا وقف فى الوضع الذى أعد له .. أسرع الحمالون فى مآزرهم البيضاء ، وأرقامهم النحاسية الصفراء ... إلى الركب يحملون عنهم متاعهم وحقائبهم ...

فألقى « كايموف » معطفه على منكبيه فى حركة آلية ...

وغادر القطار ! . وأحس — وهو يسير — أنه ليس هو . بل مخلوق آخر ! . غريب — وأحس أن حرارة القطار ما زالت ناشبة فيه ... وأنه ما برح مصحوباً بذلك الصدى فى حلقه ... والأشباح من حوله ... والكآبة فى نفسه ... وهى التى جميعاً حرمت جسده لذة الرقاد وحبست عن عينه نعمة النوم ...

واستقل عربة — كانت واقفة خارج المحطة — بعد أن وضع أمتعته إلى جواره فى تلك الحركات الآلية ... وتقاضاه السائق « روبلا وخمس وعشرين كوب » حتى يبلغ به دارة فى شارع « بوفارسكا » ... فأذعن لما أراده عليه ، ولم يساومه وهو يعلم حقاً أن ثمت زيادة فى الأجر ... بيد أن النقود لم تكن ذا قيمة لديه فى ذلك الحين ! ...

فلما بلغ بيته .. تلقته خالته بالترحاب ! . وقابلته أخته وهى غادة هيفاء شارفت ربيعها الأول من العمر .. فحيته بإيماءة رقيقة وهى ممسكة بقلم تخط به فى كراسة معها .. فتذكر أنهـا تتهيأ لامتحان تنال به إجازة التدريس ..

ولـكنه لم يرد تحيتها ولا أجاب على أسئلتها ! . بل راح يلهث من الأتون الذى يضطرم فى صدره .. وانطلق على غير هدى ولا بصيرة .. يجتاز الحجرات إلى حجرته .. فارتمى على فراشه يئم ويتأوه

وتراءت لخياله من جديد تلك الأشباح والصور التى لزمته فى القطار ! . الفنلندى وغليونه .. الجندى ذى القلنسـوة الحمراء ! . والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. ورائحة الشواء . وضياء الصباح الواهنة .. المتراقصة .!! فأفقدته صوابه وسلبته رشده وجعلته لا يبصر ما حوله ولا يسمع تلك الأصوات القلقة على مقربة منه . !

فلما أفاق من غشـيته .. ألفى نفسه مضطجعاً فى فراشه .. عارى الجسد أو شبه عار ! . ولمح خادمه «بافل» ، وذلك الأبريق البلورى ذا الماء العذب .. بيد أن هذا لم يخفف من حدة مرضه ، ولم يجلب عليه راحة أو سكينة ..

فبارحت أطرافه واهنة مُتيبسة يشق عليه تحريكها . ولسانه قد تشقق من جفاف .. حتى عكدته وعلاه الطلا[1] .. وراحت رن فى مسمعه قهقهة ذلك الفنلندى وقولته : « ها !! . »

وقام إلى جوار فراشه رجل بدين عظيم الهامة ذو لحية سوداء إنه الطبيب ! . ينظر إليه فى إمعان وتأمل ، ولم يلبث أن نبس فى صوت ذى فيهقة وتشـدق : « حسن ! . حسن .. يا صفيرى رائع .. رائع .. لقد برأت تماماً ! .. »

فأثارت طريقة الطبيب فى النطق ، وضغطه مخارج الحروف حنق كليموف .. وأغضبته دعوته له بـ « يا صفيرى » ، وأسخطه ذلك التلطف البغيض الذى يبديه نحوه . فلما تمم قائلا: « ما الذى يدعوك إلى مناداتى بـ « يا صفيرى » ؟ . وما علة تلك الإلفة التى تحدثنى بها ؟ . عليك اللعنة ! . » راعة من صوته جرس أجش صمق ! . كاد أن ينـكره !! .

كان الوقت يكر فى سرعة ينزعج لها القلب ، كزمن القطار ! . فقد كان ضوء النهار يغمر الغرفة ويسطع فى أرجائها .. ثم هاهى ذى عتمة المساء تخيم وتشيع فى أنحائها ! . ولـكن الطبيب لم يبرح الغرفة ، بل ظل فمه يتشدق بتلك الألفاظ البغيضة الثقيلة فى كل حين ! .

وعاد يتراقص أمام ناظره فى فضـاء الحجرة العريض صف غير ذى نهاية من الوجوه والسحن .. « بافل » .. الفنلندى .. القائد « تاروشفتش » .. والضابط « مكسيمنكو » . ! . ودو القلنسـوة الحمراء ... السيدة ذات الثنايا اللؤلؤية ... الطبيب المتفيهق ! كلهم يتحدثون ويلوحون بأياديهم ! ويأكلون فى نهم

ولم يلبث « كليموف » أن أبصر — فى بياض النهار الآفل — كاهن الـكنيسة الأب « ألـكسندر » فى مسوحة الديفية ... يقبض بين أنامله على الصليب ! .. ويتمتم بصلوات وأدعية ! .. وقد تجلت عليه دلائل لم يرها « كليموف » من قبل .. فشردت عن وجهه تلك الإبتسامات والضحكات التى طالما طالعته مترسمة عليه .. وتبدت عليه سيماء الرزانة والرصانة ! .. وأخذ يرسم على كليموف علامة الصليب ! ..

وفى الليل .. كانت تتسلل حوله أشباح وظلال تغدو وتروح فى إبهام وغموض ... وكانت أخته راكعة إلى جواره ! .. تردد صلاة خفية فى صمت وخشـوع . ! وترفع طرفها — فى هيبة ورغبة — إلى السماء حيناً تطلب الرحمة من الله ... وإلى صورة « القديسين » أحياناً تسائلهم العطف والشفاعة ..

ما أن تنسم « كليموف » البخور والأرج — وهو يتضوع فى جو الغرفة — حتى صاح — وقد استفزه ما استقر فى بطنه « إحملوا هذا البخور اللعين بعيداً ! . »

بيد أنه لم يكن ثمت من يجيبه .. وكان يترامى إلى سمعه من بعيد صوت الـكهنة ، وهم يرتلون أناشيد « الوداع » .. وصدى خطوات تهرول على درجات السلم بين صعود وهبوط ! .

(١) عكدة اللسان أصله ، والطلا ياش يعلوه من مرض أو عطش . « جيل »

حينما خفت وطأة الحمى عن كليموف . وأثنى عنه هذيانه !. كانت غرفته عاطلة من البشر .. وراحت أشعة الشمس تفيض من خلال النوافذ ، وتسيل من بين السدول والأستار !. وراح يتراقص على مياه الإبريق البلورى شماع مرتعش من النور دقيق براق كالسيف المسلول ... وطرق سمع « كليموف » صليل المجلات وصرير العربات وهى تدرج فى الطريق ، فأدرك أنه خلو من الثلوج ..

فراح يمد طرفه إلى ذلك الشماع .. ثم يقلبه بين أثاث الغرفة ومتاعها .. ونوافذها وبابها . ولم يلبث أن راودت نفسه رغبة ملحة فى الضحك .!!. فأخذ صدره يهتز وخصره يرتج من الضحك العذب البهيج الذى راح يحتاج جسده من هامة رأسه حتى أخمص قدمه.. وهو لا يدرى لذلك سبباً سوى الشعور البالغ من السعادة والارتياح ، والاحساس السابغ من البهجة والمراح..

وتملك كليموف شوق فائق إلى الناس والحركة والحديث ، غير أنه لم يقو على تحريك أى عضو من جسده لما يعتريه من وهن وضعف ! كان منشرح الصدر طلق المحيا لتنفسه الهادىء طيب النفس طرب الفؤاد لضحكه وبشره !. ووجود ذلك الإبريق البلورى ذى الماء العذب الفرات .. وشعاع الشمس المرتعش ، وأستار النافذة المزركشة الزينة بشتى الألوان ..

ولاح له فيما بين جدران غرفته كون فاتن رائع .. أبدع الخالق صنعه !وحينما ولف الطبيب إلى غرفته ملك الصبيحة تمثل فى ذهنه ماهو عليه من علم وبراعة فى التشخيص ، ودماثة ورقة فى المعاملة وحسن وظرف فى المعاشرة .. ما أجمل الناس جميعاً !. ما ألطفهم!!

قال الطبيب « رائع !. رائع .. لقد تماثلت يا » صغيرى « للشفاء .. وكدت أن تبرأ وتعاودك عافيتك !.. »

فأصغى الضابط الشاب إلى فيهقته فى النطق .. وهو يضحك جزلا .. ثم هاجته ذكرى ذلك « الفنلندى » .. والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. والقطار .. فانقلب ضحكه إلى قهقهة ..

ثم لم يلبث أن طلب بعض الطعام والسجائر .. وقال فى إلحاف « أيها الطبيب !. دعهم يحضرون لى خبزاً وسردينا وملحاً .. » فأبى الطبيب عليه ذلك !. وصدع «باقل» بأمره .. ولم يسع فى طلب الخبز لسيده .. فطفق « كليموف » يصرخ ويصيح كالطفل حينما لا يجاب إلى بغيته .. فقال له الطبيب وهو يضحك مداعباً : « إسكت .. أيها الوليد الصغير .. » فلم يسع كليموف سوى أن يشاركه ضحكه ! ولما غادره الطبيب أغرق فى وسن هادىء عميق ... أفاق منه بعد حين ومازال هذا الإحساس

المفعم بالمرح ، الفياض بالسعادة . يتملكه ويتسلط على نفسه .. وقد جلست خالته بجانب فراشه ... فابتدرها قائلا فى بهجة وبشر :

« أه .. يا خالتى !. ما الذى كنت أعانيه ؟!.. »

— « تيفوس ! ... »

— « أحسبه كذلك ! بيد أنى الآن فى تمام الصحة أين كاتى؟ »

— « ليست بالدار ! ... لعلها ذهبت لزيارة إحدى لداتها بعد فراغها من الامتحان ! . »

ومالت المرأة العجوزة — وهى تقول ذلك — نحو جوربها كأنها تبغى إصلاحه بيد أن شفتيها أخذتا ترتعدان ! . فأشاحت بوجهها بعيداً ... وبغتة راحت تجهش بالبكاء وتنشج بالنحيب . لقد نسيت فى غمرة حزنها وحسرتها ما أمرها به الطبيب ففتأت تصيح : « آه ... كاتى ! كاتى ! ... لقد ذهب عنا ملاكنا ... لقد رحلت ! . » وأطرقت برأسها إلى الأرض ، وهى تتأوه من البث والأسى ... فحملق كليموف فى شعرها الرمادى .. لا يحير فهما لما تقول ، فسألها وقد تولاه الانزعاج ... لكاتى ... « ولكن أين ذهبت يا خالتى ؟؟!!. »

فأجابته العجوز بين دموعها التى راحت تنهمر على وجنتيها ، وتكاد أن تخنق صوتها : « لقد أصيبت منك بالتيفوس ! ... وماتت ! وواريناها الترب فى اليوم السابق على البارحة ! »

على الرغم من فجاءة وهول ذلك النبأ المفزع المروع ... فما استطاع « كليموف » أن يقمع تلك الغريزة الحيوانية ، التى جنحت بالضابط النافه إلى الضحك والمرح ! فراح يصيح ويقهقه ويشتكى الجوع ... حتى إذا انقضت سبعة أيام ... اعتمد كليموف على ساعد « باقل » وخطى وئيداً حتى دنى من النافذة ... حيث قام ثمت يسرح الطرف فى مسارى الربيع الطلق الضاحك وهو ينفث فى الأرض الحياة والخضرة ! وقد علت شمس الضحى فى السماء تكاملها الغيوم والسحب .وطرق سمعه صليل العربات تخيل إليه أنه فظيع حاد!

حينئذ صدع قلبه الأسى وأمضه الكمد ... وأحس بوقع الفجيعة عليه أليما عنيفا ... فطفق ينتحب فى وله ومرارة ويغمغم شارد اللب كاسف البال ... وقد دفن رأسه بين راحتيه ... « كم أنا شقى ! ... يارب ... كم أنا شقى ! ... »

وودع بهجته ومرحه ... وانثنى يضطرب فيما كان يكتنفه من سآمته للحياة وضجره بالعيش . وقد ضاعفتهما فداحة تلك الخسارة التى لا تعوض ! ...

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٥ — الاثنين ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أساطير الآخرين ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١١١١

فضلاء ... ... : الأستاذ « المهمس » ١١١٣

من شوارد الشواهد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١١١٥

هزيمة الكوليرا ! ... ... : الدكتور مصطفى الديوانى ١١١٨

الشرارة الأولى ... ... : الأستاذ عثمان طه شاهين ١١١٩

حول الفن القصصى فى القرآن الكريم : الأديب محمد أحمد خلف الله ... ١١٢١

« مهووراء المنظار » : ذات صباح: الأستاذ محمود الخفيف ١١٢٤

فلسفة بطاغور فى العلم والعمل ... : الأديب عبد العزيز محمد الزكى ... ١١٢٥

« تعقيبات » : حى الأستاذ الطناحى — شوقى وليالى سطيح — ١١٢٨

مال واحتجب — بين شوقى وحافظ — خلاف بين طبيعتين ١١٣٠

أنوار الجحيم ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد على مخلوف ١١٣٠

« الأدب والفن فى أسبوع » : شوقى وحافظ — الآراء القديمة فى ١١٣١

شوقى وحافظ — رأى المازنى — إمارة الشعر ١ ٣٣

« البريد الأدبى » : فرعون — إلى الأستاذ العمارى — حول قصيدة — ١١٣٤

مكتبة دنقر ١١٣٥

كتاب « الله » ... . { تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد / بقلم الأستاذ محمود عماد ... } ١١٣٦

الجزاء ! (قصة تاريخية) ... : الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١١٣٧

العدد ٧٤٥ — الاثنين ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

	صفحة
أساطير الآخرين ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...	١١١١
فعلاء ... ... : الأستاذ « الصهمي »	١١١٣
من شوارد الشواهد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى	١١١٥
هزيمة الكوليرا ! ... ... : الدكتور مصطفى الديوانى	١١١٨
الشرارة الأولى ... ... : الأستاذ عثمان طه شاهين	١١١٩
حول الفن القصصى فى القرآن الكريم : الأديب محمد أحمد خلف الله ...	١١٢١
« من وراء المنظار » : ذات صباح: الأستاذ محمود الخفيف	١١٢٤
فلسفة طاغور فى العلم والعمل ... : الأديب عبد العزيز محمد الزكى ...	١١٢٥
« تعقيبات » : حتى الأستاذ الطناحى — شوقى ولبنانى سطيح —	١١٢٨
مال واحتجب — بين شوقى وحافظ — خلاف بين طبيعتين	١١٣٠
أنوار الجحيم ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد على مخلوف	١١٣٠
« الأدب والفن فى أسبوع » : شوقى وحافظ — الآراء القديمة فى	١١٣١
شوقى وحافظ — رأى المازنى — إمارة الشعر	١٠٣٣
« البريد الأدبى » : فرعون — إلى الأستاذ العمارى — حول قصيدة —	١١٣٤
مكتبة دنفر	١١٣٥
كتاب « الله » ... . { تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد / بقلم الأستاذ محمود عماد ... }	١١٣٦
الجزاء ! (قصة تاريخية) ... : الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١١٣٧

٢٩٠٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 745

Lundi — 13 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أساطير الآخرين

للأستاذ عباس محمود العقاد

« . . . الزهاوى يعتقد أن الله هو الأثير

ما لِكل الأكوان إلا إلـه واحد لا يزول وهو « الأثير »

أرجوا أن أقرأ رأيكم فى ذلك على صفحات الرسالة أو الهلال وأشكرك سلفاً . . . »

موصل . عراق لؤى النورى

***

لا أدرى ماذا قصد الزهاوى فى هـذا البيت بكلمة الإله وماذا قصد بكلمة الأثير

فإذا كان يقصد بإله الأكوان خالق الأكوان فليس فى جميع التعريفات التى عرّفوا بها الأثير ما يسوّغ نسبة الألوهية إليه ، وإنما يجوز أن يسمى الأثير بالمادة الأولى — أو الهيولى — على رأى الأقدمين — فى بعض تلك التعريفات

ولم يثبت للأثير وجود فضـلا عن أن يقال أنه موجـد الوجود ، وخالقه الوحيد !

فهو فرض عقلى عند الرياضيين والطبيعيين :

فرضوه ليعللوا به ما يستعصى عليهم تعليله ، كانتقال الجاذبية بين الكواكب ، وانتقال الضوء فى الفضاء

وقال به « نيوتن » قديماً لأنه لم يستطع أن يفهم كيف يجذب الكوكب كوكباً آخر فى هذا الفضاء مع امتناع الواسطة بين الكوكبين ، وقد سمى هذه الواسطة فى بعض كلامه بالروح Spirit ليستريح إلى تعليله للجذب والانجذاب

وقال به المحدثون ليعللوا به مسير الضياء فى أجواز الفضاء

وقال ماكسويل العالم الطبيعى الكبير « إن أنواعاً من الأثير اخترعت لتسبح فيها الكواكب ، ولتنشأ منها أجواء كهربائية ودفعات مغناطيسية ، ولتنقل الإحساس من جانب الجسد إلى جانب آخر ، حتى ازدحم الفضاء مرات بهذا الأثير »

وعقب جيمس جينس على ذلك فى كتابه عن الكون الخفى فقال : وخلاصة ذلك أن لدينا أنواعاً من الأثير بمقدار ما لدينا من مسائل غير محلولة فى علم الطبيعة !

والذى يبدو لنا أن هذه الفروض قد بنيت على خطأ فى فهم الفضاء أو المكان . لأنهم اعتقدوا أن الفضاء خلاء ، وأن الخلاء عدم ، فوجب أن يملأوه بالأثير

وقد اتفق جلة الفلاسفة الأقدمين على أن الفضاء ليس بخلاء أو ليس بعدم ، لأنه يقاس ويقدر ، ولأنه يحتوى الموجودات يقال شبر من الفضاء ، وذراع من الفضاء ، ولا يمكن أن يقال أن عدماً أطول من عدم ، وأن هـذا العدم أقل من ذاك ونحن نعيش فى الفضاء ويحتوينا الفضـــاء ، والمعدوم

لا يحتوى الموجود

فالفضاء ليس بعدم وليس بخلاء

وكان أسلم من فرض الأثير أن يقال أن مادة الفضاء لا تزال قيد البحث والاستفسار . فإن ذلك أسلم علماً وعقلا من الجزم بنفى الحركة فى الفضاء، ما لم يكن مملوءاً بما يسمى الأثير

وقد حاولوا أن يجدوا للأثير هذا خاصة تميزه من الفضاء بحركة أو كثافة أو تقدير فلم يجدوا تلك الخاصة فى تجربة واحدة من تجاربهم الكثيرة

فليس للأثير سرعة تزداد أو تنقص بمرور الأجسام فيه ، وليس فى الحالات التى تعرض للمادة كلها حالة تتناوله بشىء من التغيير !

ومؤدّى هذا أن الأثير والفضاء مترادفان ، فلا فرق بين قولك أن الضوء يسير فى الفضاء وقولك أنه يسير فى الأثير

وقد نبه اينشتين إلى ذلك فقال فى تعقيبه على نظرية لورنتز Lorentz عن المغناطيسة الكهربائية والأثير إنما هم اسمان لمسمى واحد !

وقد انتهى الرأى باينشتين إلى تقرير فرضه الجديد الذى يلاقى به مذهب الأقدمين فى حقيقة الفضاء ، وهو فرضه المشهور عن الجوهر الفضائى أو جوهر الفضاء Space Substance

فألقى فى شهر يونية من سنة ١٦٣٠ محاضرته التاريخية بجامعة نوتنجهام ، وأجمل فيها أطراف هذه النظرية التى يوشك أن يستخرج منها العلماء صلة علمية بين تركيب الفضاء وتركيب المادة ، وهى ليست بالصلة البعيدة بعد ما عرف عن حركة الضوء فى الفضاء ، وعن رجوع المادة كلها إلى الإشعاع

ولا نعتقد أن الأستاذ الزهاوى كان يمحص ما يسمعه عن الأثير وأقوال العلماء فيه ، وفى أمثاله من الفروض العلمية

ومن أمثلة ذلك أنه يقول فى رسالة نشرت له حديثاً فى مجلة الكاتب المصرى أن « اينشتاين يحسب أن الفضاء خاصة من خواص الجسم ثم يدعى أنه عدم محض ، والشاهد أن الفضاء يقاس بالمتر والأقدام ويطول ويقصر بين سديم وآخر وشمس أخرى ، والشمس وسياراتها على التفاوت فكيف يقاس العدم ؟ »

ولا ندرى أين قال اينشتين أن الفضاء عدم . وإنما المعروف أن مذهب النسبية يعلل انحناء الضوء بالقرب من الأجرام السماوية بانحناء الفضاء نفسه ، فكيف يقول بعدم الفضاء من يقول بانحنائه ، ثم يقول بأنه جوهر لعله أصل الجواهر جمعاء .

وقد أشار الزهاوى قبل ذلك إلى مذهب اينشتين فى هذا فقال أنه : « فتح باباً جديداً فى الفلسفة جعل العلماء يفكرون فيها تعليلا لغوامض الكون على أن أكثر قضاياها لا يرضى لمنطق وأن أرضى الرياضيات على زعمه . أما كون النور فى قرب الأجرام يسير فى خط منحن عليها فصحيح ، ولكنى لا أرى أن السبب هو انحناء طريقه فى الفضاء ... »

وقد كان خليقاً بما رواه عن اينشتين أن يصحح فهمه لمذهبه فى الفضاء وفى الأبعاد على العموم ، ولكنا نحسبه طالع بعض كلامه على نسبية الأبعاد ونسبية السرعة فيها فخطر له أن القياس النسبي ينفى الوجود الحقيق ، ويجعله كله مسألة تقدير واختلاف ... وإنما كان اينشتين يفرق بين تقدير الفضاء فى الهندسة الاقليدسية وتقدير الفضاء فى رأى ديكارت وتقدير الفضاء إذا أخذ فيه بمذهب البعد الرابع، وهومذهب اينشتين نفسه فى المكان والزمان

وعلى هذا القياس ربما طالع الأستاذ الزهاوى بعض ما كتب عن الأثير وامتلاء الأكوان به فقال إنه هو الوجود الثابت فى جميع هذه الأكوان ، وأن ما عداه من الوجود فرض من فروض الأديان

وقد تخلى عنه الأثير آخر الأمر فإذا هو الفرض الذى ابتدعه الخيال ، وإذا به فى رأى العلماء هو والفضاء سواء

وغاية ما يقال إذن فى هذا الإله الذى خلقته فروض الخيال أنه أسطورة من أساطير الآخرين ...

عباس محمود العقاد

فعـــلاء

للاســـتاذ « السهمى »

أشكر لسيدى الكاتب الألمى والأستاذ الباحث المتفنن السيد على الهارى تشريفه إياى بما أمرنى به وإحسانه إلى بالباسى من عطفه على وقوله فىّ ثوباً قد ضمت فيه ولم أبن ثم أقول :

لا حيرة بعد اليوم (إن شاء الله تعالى) ولا قلق ، ولا بأس على (فعلاء) ولا على شقيقها (أفعل) ولا على جمعهما ، فهما كما هما ، وجمعهما كما أعربت العربية ونطق (الكتاب) وطريقة (الكتاب) هى المثلى ، « وكلمة الله هى العليا » « ولله المثل الأعلى » وكما أملى (الخليل) على خريجه أو بصّر ، فقيد (أبو بشر) ذلك بالكتاب فى (الكتاب)[١] وكما قال (أبو العباس) فى (كامله) .

قال (عمرو) فى (البحر) : « وأما أفعل إذا كان صفة فإنه يكسر على فعل ... وذلك أحمر وحمر وأخضر وخضر وأبيض وبيض وأسود وسود ... والمؤنث من هذا يجمع على فعل وذلك حمراء وحمر وصفراء وصفر...[٢] » .

وقال (محمد بن يزيد) فى (الكامل) الذى لم يتنقصه الدهر . وسأروى قوله بكماله على طوله حيث[٣] هو الحجة التى تشبث بها مانع (فعلاء) وليس له فيه أقل متشبث ، قال :

« قال نبهان بن عكىّ العبشمى :

يُقر بعينى أن أرى مَن مكانه ذُرا عقدات الأبرق المتقاود[٤]

وأن أرد الماء الذى شربت به سليمى وقد مل السرى كل واجد[٥]

وألصق أحشائى ببرد ترابه وإن كان مخلوطاً بسم الأساود

... بسم الأساود : يريد أسود سالخ[١] ، وجمعه على أساود لأنه يجرى مجرى الأسماء ، وما كان من باب أفعل اسماً فجمعه على أفاعل نحو أفكل[٢] وأفاكل ، والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول : أحمد وأحامد وأسلم وأسالم . فإن كان نعتاً فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود إذا عنيت به الحية وأدهم إذا عنيت به القيد وأبطح إذا عنيت المكان المنبطح وأبرق إذا عنيت به المكان مضارعة للأسماء لأنها تدل على ذات الشىء وإن كانت فى الأصل نعتاً ، تقول فى جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود ، فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم ، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » .

قوله (إن أردت نعتاً محضاً) يقصد به مثل أسود وسوداء وأدهم ودهماء وأبيض وبيضاء وأحمر وحمراء[٣] لا مثل الأسود للحية والأدهم للقيد والأبطح والأبرق المضارعة للأسماء أو التى أصبحت تعد فى الأسماء « تعينت لها الاسمية إذ فقدت الوصفية »

فهذه ليست بنعت محض حتى يسوغ لها أن تجمع على (فعل) إن هذا الجمع للنعت المحض الذى لا رائحة للاسم تشم فيه .. وأما التى نقلت من الوصفية إلى الاسمية فجمعها (أفاعل) لأنها ليست من النعت المحض ولا ينظر إلى أصلها وإن كان أصلها نعتاً وإنما يلتفت إلى ما قد حصل ...

وقول المبرد هذا هو مثل قول سيبويه ، وهو القاعدة فى هذا الجمع ولا منع فيه لوصف مجموع بمفرد ، ولا وجوب وصف مجموع بمجمع ولا جوازه ، وما أظن المبرد زاد شيئاً فى (المقتضب)[٤] على ما قاله سيبويه وقاله هو فى الكامل .

هذه هى قصة القضية فى فعلاء وجمعها فهل للمولد — إذا ثبت عنده أن العرب لم يصفوا الجمع بذلك المفرد — أن يقيس وصف جمع على وصف جمع ، وكم قاس فى اللفظ والتركيب وكم

(١) (الكتاب) معناه كما نفهم اليوم وكما تقول الفرنج (Livre) مولد

(٢) وقال : وأما الأصغر والأكبر فأنه يكسر على أفاعل ، ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه ... فلما لم يتمكن هنا فى الصفة كتمكن أحمر أجرى مجرى أجدل وأفكل كما قالوا : الأباطح والأساود حيث استعمل استعمال الأسماء.

(٣) حيث هنا معناها مولد .

(٤) (الابرق) حجارة يخلطها رمل وطين (المتقاود) المنقاد المستقيم (المبرد) .

(٥) واجد : من الوجد وهو الحب الشديد (المرصفى) وروى كل واحد وهو المنفرد فى السير المتوحد به ، وروى كل واخد وهو من الوخد

(١) سالخ . نعت به الأسود لأنه يسلخ جلده كل عام ولا توصف به أنثاه (المرصفى) .

(٢) أفكل : اسم لرعدة من برد أو خوف ولا فعل له (المرصفى) .

(٣) تذكرنى حمراء بما فى النهاية : وفى حديث على قيل له غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم والروم ، والعرب تسمى الموالى الحمراء

(٤) قال الزمخشرى : المقتضب لأبى العباس المبرد ، ولله دره من كتاب بعد (الكتاب) قلت : « وهو فى دار الكتب المصرية عمرها الله » ستة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى » .

ولد ، وثلاثة أرباع اللغة مولد ، ولا سيما[1] إذا لم تجىء نصوص أئمة تمنع .

رأينا الجاحظ فى (الحيوان)[2] (ج ٢ ص ٢١٢) والمسعودى فى (المـــروج)[3] — ج ١ ص ٣٥ — والزمخشرى فى (الكشاف) — ج ٢ ص ٣٨٣ — والتبريزى فى (شرح الحماسة) فى الطبعتين — ج ٤ ص ١٢٠ ج ٤ ص ٢٤٤ — والصاحب فى إحدى رسائله فى (إرشاد الأديب) والمعرى فى جريدة كتبه فى (الارشاد) وفى (رسائله) وفى (نهاية الأرب) وابن سيده فى (المخصص) وابن طولون فى (اللمعات البرقية فى النكت التاريخية)[4] — ص ٦٦ — رأينا هؤلاء القوم يصفون وصفهم ، فاستدل المستدل على التجويز ، وقيل : هؤلاء جلهم أئمة ، والأئمة يُتبعون . وإذا حرف نسخ أو طبع أقوالهم فهل حرفت كلها جمع أو جماء ؟

أنا استبعد كثيراً التحريف فى كلام ابن سيده وفى (أيادى بيضاء) إن (المخصص) محقق ، وضبط الشنقيطى إياه محكم ، وعبارة المعرى رواها القفطى فى (إنباه الرواة على أنباه النحاة)[5] وقد طير همزة بيضاء ناسخ عصرى لكتاب (الإنصاف والتحرى) فجاءت (أيادى بيضا) فهل كان هذا الناسخ ممن يتقززون من الهمز فقصر أو كان مستعجلا أو طوعت له نفسه أن يصحح كلام أبى العلاء ؟.. و (الزهراء والجزاء والأرزاء) هن من مظاهرات (بيضاء) وما جلب تينك السجعتين فى اعتقادى إلا هى .

وأوقن كل الإيقان أن أبا العلاء وصاحب المخصص لم يقولا (زهراء) و (وخضراء غبراء) إكراماً للجوار جوار (مثل) و (مضيئة) فما كان هذا الإمامان يعرفان هذه (الفتوى اللغوية المصرية) هذا الكلام الفتلت ، ولن يعثر على مثله عاثر عند أحد من المتقدمين ولا عند أحد من المتأخرين ، أنه كلام لفته صاحبه لفتاً ، والعلم ليس بشموذة[1] أو مخرقة[2] .

من مشاهير[3] المصريين الذين وصفوا الجمع بفعلاء المفردة الأب أنستاس مارى الكرملى فى مجلته (لغة العرب) كما أشار إلى ذلك الدكتور مصطفى جواد فى مقالة فى (مجلة المجمع العلمى العربى) الغراء .

والشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته الضياء (س ١ ج ٣) قال : « .. وبوده أن يكون فداء عن أياديهم البيضاء وأن لا تعدم الآداب نفحات مكارمهم الفيحاء » .

والأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى إحدى مقالاته فى (الرسالة) الغراء قال : « ... فصرخة واحدة من قلب الأزهر القديم تجمل هدير البحر كأنه تسبيح ، وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمائم العلماء » .

وقد كتب الأستاذ الرافعى هذه التعليقة على (بيضاء) :

« يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ وأن الصواب أن يقال (بيض) ولسنا من هذا الرأى وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع » .

يظهر أن المرحوم الرافعى لم يتأمل قول المبرد فى الكامل ملياً فجار على هـذا المسكين البرىء وغلطه وجهله . وكلام (أبى العباس) هو ما رويته آنفاً وما كان هذا الإمام فيه إلا موضحاً كيفية[4] جمع مكسر ومقرراً قاعدته ، ولم يغلط فى توضيحه وتقريره ، ولن يجسر ناح أن يخالفه فيما قال .

لقد كان (أبو السامى) يستعجل فى بعض الأوقات فى رده ويكربل ويكرمل فى نقده ...

إن أول من نبه على ما توهمه خطأ هو الأستاذ (كرنكو) العربانى الجرمانى (رب ذلك الجمع) وهو الذى خطأ الأب أنستاس ونشر التغليط فى مجلة (لغة العرب) ثم كانت تلك الفتنة فى بلاد العرب ...

السهمى

---

(١) هل قول الحريرى (لاسيما وقد أغدف جنح الظلام) تركيب مولد ؟

(٢) حققه وشرحه الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٣) ضبطه وعلق عليه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

(٤) فى (مكتبة القدسى فى القاهرة) .

(٥) نسخة مصورة بدار الكتب المصرية نقلت منها سيرة الشيخ فى كتاب (تعريف القدماء بأبى العلاء)

---

(١) فى اللسان والتاج : قال الليث : الشعوذة والشعوذى مستعمل ، وليس من كلام أهل البادية . وفى الأساس : فلان شعوذى ومشعوذ ومشعبذ ... وتقول : رأيته يعوذ ويشعوذ

(٢) فى الصحاح : وأما المخرقة فكلمة مولدة . وفى التبريزية الحريرية : ... أكذب من أبى ثمامة حين مخرق باليمامة .

(٣) جمع مولد .

(٤) الكيفية كلة مولدة .

من شوارد الشواهد

للأستاذ علي الطنطاوي

سألني سائل عن بيت :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

الروي في عدد الرسالة الأخير، لمن هو ؟ فقلت : لعَبْدة بن الطبيب ، واسم الطبيب يزيد بن عمرو ، وهو شاعر مخضرم معروف من قصيدته التي رثى بها قيس بن عاصم المنقري وقبله :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما
تحيةَ من غادرته غرض الردى إذا زار — عن شحط[1] — بلادك سلما

ففرح بذلك فرح من كان عنده لقيط فعرف نسبه ، وكنت قد واليت البحث عن أمثاله من الأبيات الشاردة — التي لا تكاد تجد أديباً ولا متأدباً لا يتمثل بها إذا كتب أو خطب ، وقلّ في المتأدبين من علم أنسابها ، وعرف أصحابها — حتى اجتمع لي طائفة منها صالحة ، تملأ مجلدة لطيفة ، فرأيت أن أنسب بعضها في الرسالة .

من ذلك :

١ — لا تَنْهَ عن خلق وتأتيَ مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

للمتوكل الليثي ، وهو شاعر إسلامي ، كان يمدح معاوية وابنه يزيد . من قصيدته التي يقول فيها :

للغانيات بذي المجاز رسوم فببطن مكة عهدهن قديم
فبمَنْحر البُدْن المقلّد من منى حلل[2] تلوح كأنهن نجوم

٢ — أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

لمسكين الدارمي وهو ربيعة بن عامر بن أنيف ، قدم على معاوية وسأله أن يفرض له ، فأبى ، فخرج من عنده وهو يقول :

أخاك أخاك ... (البيت) .
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

٣ — العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

لأبي الأسود الدؤلي . وقبله :

أعصيتَ أمر أولي النهى وأطعت أمر ذوي الجهاله
أخطأت حين حرمتني والمرء يعجز لا محاله[1]

٤ — فعين الرضا عن كل عين كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكان صديقاً للحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وكانا يرميان بالزندقة ، فجرى بينهما شيء فقال له :

وإن حسيناً كان شيئاً مُلَفَّفاً فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات إلا تماديا
فلست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا ... (البيت) .
كلانا غني عن أخيه حياتَه ونحن إذا متنا أشد تغانيا[2]

٥ — فإن كنت مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزّقِ

لشاس بن نهار من قصيدة قالها لعمرو بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان وهو عمرو بن هند[3] ، وهند أمُّه عمة أمرىء القيس الشاعر ؛ لما همّ بغزو قومه عبد القيس ، فلما سمعها تركهم ، وتمثل به عثمان يوم الدار . وبه سمي الممزق (بالفتح) وقيل بالكسر والتحقيق أن الممزق (بالكسر) شاعر آخر متأخر يعرف بالممزّق الحضرمي .

٦ — كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يَضِرها وأعيا قرنَه الوعل

---

(١) الشحط : البعد (٢) ج حلة بالكسر وهي المحلة .

(١) لا محالة أي لابد (والبد المناص والمخلص) ، والذي أحفظه (والمرء يعجز لا المحالة) والمحالة الحيلة وهو من أمثال العرب ، وأنشد في اللسان لأبي دواد

حاولت حين حرمتني والمرء يعجز لا المحاله
والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله

(٢) روى هذا البيت القالي في ذيل الأمالي لغيره (ص ٧٥) أميرية

(٣) وهو المحرق (الثاني) وهو الملقب بـ (مضرط الحجارة)

للأعشى(١) من قصيدته التى مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقبله :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أطت الإبل(٢)

تفرى بنا رهط مسعود وإخوته يوم اللقاء فتردى ثم تعتزل

ومنها البيت المشهور :

قالوا: الطراد! فقلنا: تلك عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

٧ — عقم النساء فلم يلدن شبيهه
إن النساء بمثله عقم

لأبى دهبل (وهب بن زمعة) الجمحى . مدح معاوية ومدح ابن الزبير وولاه عملا فى اليمن ، قاله فى ابن الأزرق ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وبعده :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمِناً(٣) وليس بجسمه سقم

٨ — وكنا كندمانى جذيمة(٤) حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

لمتمم بن نويرة من قصيدته المعروفة فى رثاء أخيه مالك وبعده:

فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وتمثلت بهما عائشة لما وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن .

٩ — وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

لأبى الأسود الدؤلى ، قاله لابنه أبى حرب لما قعد عن الكسب وقال : رزق يأتينى ، وبعده :

تجئك بملئها يوماً ويوماً تجئك بحمأة وقليل ماء

١٠ — يا ربة البيت قومى غير صاغرة
ضمى إليك رحال القوم والقربا

لمرة بن محكان ، شاعر إسلامى مقل ، يعد فى الأشراف الأجواد وبعده :

فى ليلة من جمادى ذات أندية(١)
لايبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

لاينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خيشومه الذنبا

قالوا ، وكان الضيف يستبق مع سلاحه مخافة البيات ، فهو يقول لها ، ضمى سلاحهم إليك فهم عندى فى أمان .

١١ — عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

لعدى بن زيد العبادى ، من قصيدته التى مطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد(٢)

١٢ — أريد حياته ويريد قتلى .

وتتمته : عذيرك(٣) من خليلك من مراد .

من قصيدة قالها عمرو بن معد يكرب لقيس بن مكشوح المرادى ، (قالوا) وتمثل به على بن أبى طالب لما رأى عدو الله عبد الرحمن بن ملجم المرادى .

١٣ — إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

لعمرو أيضاً من قصيدته التى مطلعها :

أمن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

١٤ — ألا ليت اللحى كانت حشيشاً
فنعلفها خيول المسلمينا

لابن مفرغ الحميرى ، واسمه يزيد بن ربيعة ، شاعر إسلامى أولع بهجاء آل زياد بن أبى سفيان ، وهو جد السيد الحميرى ، قاله فى عباد ابن زياد وكان عظيم اللحية .

١٥ — وإنى لعبد الضيف ما دام نازلا
وما فى إلا تلك من شيمة العبد

كذلك هو على ألسنة الناس ، وروايته :

وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

للمقنع الكندى وهو محمد بن ظفر بن عمير وسمى المقنع لأنه كان لجماله يخاف العين فيتخذ اللثام ، شاعر إسلامى مقل ، معدود

(١) وفى (المؤتلف والمختلف) للآمدى ذكر لسبعة عشر شاعراً كلهم يعرف بالأعشى ، وإن أطلق الاسم انصرف إلى الأعشى الكبير ميمون

(٢) الأثلة الأصل ونحت أثلته قال فى حسبه ، وأطت صوتت وفى حديث أم زرع (فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط) أى خيل وإبل .

(٣) الضمن الزمن وزناً ومعنى ، والضمانة الزمانة .

(٤) جذيمة (كسفينة) الأبرش ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ملك الحيرة وأخباره مع الزباء ونديمه معروفة مشهورة . وحسب قوم أن الزباء هى زينب (زنوبيا) ملكة تدمر ، وليست بها ، وأظن أن قصة الزباء مصنوعة موضوعة .

(١) جمع ندى على الشذوذ لأنه (فى القياس) جمع لما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية (٢) ويروى البيت لطرفة

(٣) العذير : النصير والعاذر وهو منصوب بتقدير الفعل (اطلب) وقد نسبه فى اللسان لعلى بن أبى طالب وإنما تمثل به على .

فى الأجواد والأشراف ، والبيت من قطعة له هى :

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسدّ به ما قد أخلّوا وضيقوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا

إلى أن قال :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمرّ بى زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا[1]
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا إلى نصرى سراعاً وإن همُ دعونى إلى نصر أتيتهم شدّاً
لهم جُلُّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا

وإنى لعبد الضيف .. (البيت)

١٦ — تمتع من شميم[2] عرار نجد فما بعد العشـــية عن عرار

للصمة بن عبد الله القشيرى ، شاعر إسلامى غزل مجيد ، من أبياته المعروفة ، وقبله :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار

وبعده :

ألا يا حبذا نفحات نجد وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجداً وأنت على زمانك غير زارى
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

وروى : غبّ القطار . وروى : شهور قد مضين .

١٧ — كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(منسوب) لمضاض بن عمرو الجرهمى[3] ، من قطعة (زعموا أنه) قالها يتشوق بها إلى مكة لما أجلت خزاعة قومه عنها ، وبعده :

(١) من أمور الجاهلية زجر الطير ، والتفاؤل بها أو التشاؤم (إن طارت يميناً أو شمالا) ، وهو السانح والبارح ، وقد أبطل ذلك الإسلام فيما أبطله من ضلالات الجاهلية .

(٢) الشميم كالشم . والعرار : نبت فى البادية طيب الرائحة

(٣) وما هذه لغة جرهم — ولا هذا شعرها إن كان لها (فى عربيتنا هذه) شعر .

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر
وأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك بالناس تجرى المقادر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر
وبدلنا ربى بها دار غربة بها الذيب يعوى والعدو المكاشر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر

١٨ — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر .

لأعرابى ، نظر إلى امرأته فرآها تتجمل وهى عجـوز ، فقال لها :

عجوز تُرَجّى أن تكون فتية وقد لحب[1] الجنبان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

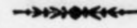
فأجابته ببيتين ، وجمت عليه نسوتها فضربنه

على الطنطاوى

(١) أى ذهب لحمهما ، ورجل ملحوب قليل اللحم .

هزيمة الكوليرا!

للدكتور مصطفى الديواني



أثبتت محنة الكوليرا الأخيرة شدة تعلق الانسان بالسلامة وطول البقاء. فهذه الاستفهامات التليفونية التي توجه إلى طبيب العائلة — والتي لا تقف عند حد — تملأ الطبيب ثقة بنفسه وغروراً بمركزه كحصن الأمان يلجأ إليه عند الملمات ومنطقة النجاة تلقى للتائه في اليم الخضم ليصل بوساطتها إلى الأرض الطيبة عساه أن يدب عليها من جديد ويسعى فيها متمتعاً بشمسها وقمرها وليلها ونهارها ولذائذها وطيب ثمارها.

إن الكوليرا عنيفة في هجومها، لا تعرف سناً أو جاهاً أو مالا. تغزو الأكواخ والقصور سواء بسواء وسيان عندها مزهو في دمقس وغارق في بالى الاسمال. ولقد كانت فيما مضى فتاكة لا تبقى ولا تذر ولكن اشكروا طبيب المعمل فقد روضها كما تروض الأسود والفيلة الضخام ثم سلم رسالته إلى طبيب العلاج ليطبقها على الضحايا من عباد الله فنال الشكر والحمد والثناء لنفسه وبقى طبيب المعمل في ركنه يوالي أبحاثه في صمت وسكون. لقد حضر لكم الطعم الواقي مثلا وهو أكيد في مفعوله إذ يولد مناعة لا تزيد مدتها عن الخمسة شهور ويأخذ الشخص الكبير منه ½ سم ثم ١ سم من اسبوع أي ٤٠٠٠ مليون ثم ٨٠٠٠ مليون جرثومة. أما الأطفال الذين تتجاوز أعمارهم السنتين يأخذون ¼ ثم ½ سم والذين تقل أعمارهم عن العامين يلزمهم ⅕ ثم ⅖ سم بعد اسبوع. ولا تتولد المناعة بعد حقن الطعم قبل عشرة أيام على الأقل ولذا يجب اتباع الاحتياطات اللازمة طوال هذه المدة ولا يغرينا الشعور بالسلامة الكاذبة على التراخي في هذا السبيل.

أما عن العلاج فقد دق لكم الطب في ميدانه أسافين عدة جعلت مقاومة المرض مائعة مراوغة بعد أن كانت كالصاعقة تضرب ضربتها بلا تردد وبلا انذار.

إن قرص السلفاجوانيدين مثلا من وسائل العلاج الحديثة ولما أذيع أخيراً عن تأثيره في سير المرض تهافت الناس على اقتنائه بدرجة جعلته يكاد يختفي من الأسواق في ساعات وهذا خطأ فادح لا أقرهم عليه فلو تركوه بوفرته السابقة لكفى وزيادة. فالمريض يلزمه للعلاج مائة وأربعون قرص تقريباً ولو (لا قدر الله) بلغت الإصابات الألف عداً لكان الموجود من الدواء يكفي وزيادة ويتعاطى منه المريض عادة ستة أقراص كل ٤ ساعات لمدة ثلاثة أيام ثم مرتين في اليوم لمدة ثلاثة أيام أخرى. وقد وجد أن نسبة الوفيات في الحالات التي عولجت بالسلفاجوانيدين حوالي الواحد في المائة على حين أنها بلغت في الحالات الأخرى التي حرمت منه حوالي ٣٨ في المائة، أما الحالات التي عولجت بمركبات السلفا وبحقن البلازما أي Plasma في الوريد بقصد مقاومة الجفاف الذي يقاسي منه هؤلاء المرضى فنسبة الشفاء مائة في المائة. ولقد ثبت أن هذه الطريقة الأخيرة تؤدي إلى نتائج رائعة. ولكن إيا كم أن تتهافتوا على شراء هذه المادة كما فعلتم بالسلفاجوانيدين فهي غالية الثمن إذ يبلغ سعر زجاجتها حوالي الاثنى عشر جنيهاً ولن يلجأ إليها إلا إذا جد الجد لا سمح الله. وحرام أن تحرموا منها من هو أحق بها منكم أعنى الذي أصابته لوثة الميكروب. والرأي العلمي السائد أنه متى توفرت هذه المادة فلن نسمح لجرثومة الكوليرا أن تعصف ببني البشر من الآن فصاعدا

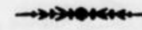
فنصيحتي أن نقابل الوباء بشجاعة وجنان ثابت فإن الكوليرا كمرض فتاك في طريقها إلى المؤخرة بعد أن عمل الطب جهده. ولكن يجب ألا ننسى في غمرة الفرح بنشوة الانتصار أن نشكر ذلك (النبي) المرسل الذي خلقه الله ثم سواه فصار طبيباً. انحنوا معي لطبيب المعمل الذي يسهر الآن ليأخذ بيدكم مجتازاً بكم ذلك الجسر الضيق الذي يصل السلامة بالفناء مخاطراً بحياته دون أن يبالي بالخطر المحدق به. وكل ما يطلبه منكم أن تتمسكوا بأصول الوقاية في المنزل والشارع وهو مطلب لو تعلمون سهل بسيط. وليكن رائدكم الثبات فإن الحكومة ساهرة بشكل يستدر الإعجاب. وهي تبذل جهداً كبيراً كان يمكنها توفير بعضه لولا أنها تعامل شعباً نصفه جاهل وربعه غافل. أعانها الله.

دكتور مصطفى الديواني

من أدب السودان :

الشرارة الأولى . . .

للأستاذ عثمان طه شاهين



أخذت المدينة بأجمعها تستروح النسيم العليل ودلف إبراهيم — كعادته — إلى الشاطىء ليلقى بنفسه فى أحضان الطبيعة من عناء يومه المنصرم وليستقبل الحياة الجديدة فى غده السعيد ، بيد أن إبراهيم لم يستطع أن يتخلص من تأملاته إلا قليلا إذ كانت روحه شاردة كأنها تريد أن تبحث عن سر الصمت العجيب الذى يلف الكون والناس والأشياء ، فأخذ يتجه ببصره إلى الأنوار الجميلة التى تبعثها قصور المدينة وطرقاتها ، مودعة النهار ، مستقبلة الليل كما يستقبله الأحياء ...

جلس إبراهيم على مقعد خشبى تجاه الشاطىء يرقب المياه المصطخبة ويتمثل الحسن الرائع الذى سكبته الشمس على الشاطىء وهى تكاد تودع يومها المكدود ، والناس من حوله فرحون مستبشرون ضاحكون عابثون فى أغلب الأحيان ، ولكن صاحبنا شارد اللب ، ساهم الطرف ، والرؤى والأشباح تتراءى أمام ناظريه فى هذه اللحظة السعيدة ، وكل ما فى الوجود ينبىء عن شىء جديد ... أخذت الشمس تبتعد شيئاً فشيئاً وأخذ الأصيل يفقد بهجته ورواءه ، وجيوش الظلام مسرعة ، ملحفة فى الإسراع ، والناس فرحون مستبشرون يودعون الأصيل الحبيب كما ودعوا نهارهم الذى كانت فيه بقية من قيظ وسحابة من عبوس ، وأخذ إبراهيم يبعد نفسه عن المقعد الخشبى الذى ألف الجلوس عليه عند الشاطىء ليستقبل الليل ...

آوى إلى غرفته يطلب الراحة والاطمئنان وترددت فى نفسه هذه الأحاسيس المتباينة من أضواء الحياة ومسارها وأخذ يستعيد الصور الجمة المتباينة ليبتعد بها عن عالم المحسوس ... أخذت الخليقة تسلم أنفاسها لسلطان الكرى ، وأخذت جيوش الظلام تتسلل إلى المدينة رويداً رويداً حتى لفتها بالغطاء الموحش الكئيب ، وأضواء المصابيح تبدو خافتة باهتة أمام هذا السكون ، وإبراهيم يتطلع من نافذته ليبصر الكون ، والكون — من حوله — صامت لا يبين ، والأغصان هادئة ساكنة والدجى ممدود وسنان . يسرح الطرف ناظراً إلى بعيد ، محاولا سبر المستقبل ومعرفة الغد القريب ، بيد أن المستقبل عالم مجهول . وأحداث الماضى تتراءى ماثلة للعيان ، وسر الحياة عنده لغز حار فيه الفلاسفة والمصلحون ، والرؤى والأشباح ومعالم الحياة والفكر تتراءى أمام ناظريه فى كل عين .

والناس فرحون مستبشرون إلا قليلا وتزدحم أمام صاحبنا الأفكار ويستعرض تاريخ العالم وقصة الإنسان ، فهذا عبقرى أعجبت به الإنسانية وأحبه طلابه المخلصون ، وهذا شاعر غنى على قيثارته فأودع الحياة أناشيدها العلوية الرفيعة فتغنت بها الأجيال ، وهذا فنان سكب روحه فجاءت صورة أو تمثالا ينبىء عن قصة الإيمان بالفن والجمال والجلال ، وهكذا تزدحم الرؤى والأشباح وصاحبنا لا يكاد ينام .. والظلام يمعن فى قسوته وجبروته ، والإنسانية قد أسلمت أنفسها لسلطان الكرى ، وصاحبنا ينصت إلى نداء الظلام والناس من حوله غافون نيام ...

يغمض الفتى عينيه لينام ويدثر نفسه علها تجد الراحة من فرط عالمها الخارجى الذى اضطربت فيه طول النهار ولكن الأشباح ما فتئت تتراءى أمام ناظريه فيحدق فى الظلام من جديد ويفكر فى حقائق الأدب وروعة الفكر وجلال الأداء ؛ وساعات الليل تكاد تتعثر عرجاء ، مثقلة الخطى غير ناظرة إلا إلى المحبين ، والظلام من حوله يلف الكون فى صمت عميق والإنسانية بين أحضان الكرى ؛ والأشباح تتراءى أمام ناظريه من جديد ، فينظر — فى سر وإيمان — إلى أرباب العلم وأساطين الفن ويقدر الجهد المبذول ، ويكبر معالم التضحية والصبر والإيمان ، والناس من حوله هادئون نيام ، والوجود يلقى نظرة صادقة على صعود الحياة وأحلامها الوادعة ، وعمود الفجر يكاد أن ينشق ليسفر الصبح عن نبأ جديد !؟

أخذ الطفل الكبير ينظر إلى الأم التى جاءت لتستقبله كما يستقبل الفرد صباحه الجديد ، وتلهف القلب لرؤيته حتى بدا جلال الكون متمثلا فى روعته البهية ، وأخذت تنشد موسيق الحنان الأبدى التى تدخرها كل أم لطفلها الحبيب قائلة فى صوت

خفيض : الأمهات من حولى ينعمن بأطفالهن والقلوب عامرة برؤية الأطفال عند كل صباح ، وأنا وحدى أتلفت إليهن ، فرحة بك ، ذاكرة لك ، ولـكنك لست بجانبي ... والعصافير تغرد فوق الأغصان ، والطيور تشقشق فرحة بربيع الحياة الندى ، والطبيعة توحى بالروعة والجلال ، وخرير الجداول ينقل إلى سمعى موسيقى الحياة الناعمة ، وعند طرف المدينة ألمح شآبيب النور الحى ، ولـكنك عنى بعيد !؟

أتذكر يا طفلى الوحيد يوم ودعتنى متجهاً صوب الشمال ، أتذكر يوم خلفت قلبى الثاكل الآمل ؟ فالقطار الذى تحرك بك ليقلك إلى وطنك الروحى الأصيل كان بداية عهد جديد فى حياتى نحوك ؛ ففى الصباح الباكر أصحو على موسيقى ذكراك الحبيبة وأتلمس أخبارك فى كل آن ، وأنا اليوم أحب الحياة لأنك وهبتها لى ، وهل الحياة إلا فى طفلى وهل طفلى إلا عند الحياة ؟.. كان بكاء الطفولة فيك يؤلمنى ويقض مضجعى ، وكان مرح الطفولة فيك يملأ قلبى حباً بالحياة وتعلقاً بها ، وأنا الناظرة إليك من أقصى الجنوب يتلفت قلبى إليك ليـدرك حياتك بين اللدات والأتراب ، فإذا رسائلك تحمل إلى فرحة الروح والحس والشعور فأزداد إيماناً بالحياة وتعلقاً بالوجود .

إذا ما دعا داعى الحى بأن فيه أحداً قد ذاق المصاب ذكرتك يا بنى واتخذت المصاب مصابى والعلة علتى وأحاطت بى الهموم والأحزان،وإذا ما أذن مؤذن الحى بأفراح الشباب تهللت أساريرى مرتجية لك مثل ما للداتك الـكرام ، وإذا ما عاد أترابك حاملين لأمهاتهم أفراح الشمال تلقيتهم فرحة لأنى أجد فيهم ريح طفلى الـكبير ، ولـكن دعنى أعرف جوانب الحياة وجوانب الروح فيك ، ودعنى أتحسس ما تريده فى الغد السعيد ..

جلس إبراهيم على مقعده الخشبى تجاه الشاطىء يرقب الناس فى صمت وسكون وإطراق ، وأحاديث الأم تعاوده وتلح عليه وتملأ القلب فيه والشعور والإحساس ؛ والناس من حوله فرحون مستبشرون يستقبلون الحياة فى لذة ونشوة وسرور ، والأمواج تقذف الشاطىء ثم ترتد عنه فى حياء وخجل ، والبساط الأخضر مورق على ضفاف الوادى متحدث فى صمت وسكون ، والفتى تتعاوده أحاديث الأم والقلب والروح ...

جد الفتى خطاه المتثاقلة إلى الدار ، وأخذت الرؤى والأشباح تستعيد صورتها السابقة من جديد ؛ ولجأ إلى كتاب مسطور يتحدث إليه عن الشعر والعلم والفن ولـكن جوانب نفسه تزحمه ولا تترك له بقية لنظرة فى كتاب ، فيهرب إلى فراشه علَّه يدفن رأسه فيه لينام ساعة من ليل ، ولـكن الرؤى والأشباح ما فتئت تطارده فينهض ليقرأ فى صفحة الـكون من جديد ...

والظلام المطبق يكاد أن ينجلى شيئاً فشيئاً ، والأصـوات الخافتة التى تزحم أنفاس البشر أخذت تتأهب للمسير ، والأشجار المورقة ترسل موسيقاها الخافتة فى هدأة الليل البهيم ، وهمسات الدوح البعيد تستدعيه ليعمل مع العاملين ، ونقيق الضفادع يملأ أذنيه فلا يكاد يترك له بقية عابرة من ليله المنقضى .. ألمت بفتاتنا إغفاءة الفجر ، وأدرك عند ما استيقظ — أن المدينة أخذت كعادتها تزدحم فى ميدان الحياة العابرة ، وأن لهذه الفنون — التى جذبته بسحرها الرائع وجلالها المـكنون — أرباباً عبدوها وقدسوها فـكانت متعة للناظرين ، ولـكن دقات الزمان ما فتئت تضرب على أوتار الحياة فتوهنها وما برحت تبدد أمامها آثار القوة والعظمة والطموح وهكذا تتجدد الإنسانية وتفنى العصور ويولد الـكون من جديد ...

وأخذت الإنسانية تضطرب فى حياتها التى اعتادت منها أن تعيش وانقضت سحابة النهار كما انقضت بقية الأخوات،والشاطىء الحبيب يستدعيه ليجلس على مقعده الخشبى ليرقب الأشياء والناس ولـكن جوانب النـور أخذت تتراءى لديه من بعيد ، وفقد الشاطىء بهجته ورواءه ، والفتى ساهم الطرف ، شارد اللب ، ينظر حوله فلا يرى إلا الوجوه التى أخذت تضحك منذ أن استقبلت الحيـاة وعرفت الوجود ، فإذا بنشـيدها ينقلب أمى وحديثها يصـير همساً وضحكاتها المرتفعة تغـدو عبوساً مطرقاً ، والشمس تنحدر للمغيب وجوانب الحى تتهيأ لاستقبال الليل كما استقبلت أحاديث النهار ، بيد أن القمر يبسط أشعته الفضية الزاهية على الربى والبطاح فيملأها حياة وجمالا وجلالا ، والنجوم الخفرات تتداعى من فرط استحيائها وجيوش الظلام تـكاد تولى هاربة..وحديث الأم يطرق الآذان من جديد فيصيخ إليه إذ يقول : ومن قدر السماء يا بنى أن تبسم الأمهات لأطفالهن

حــــول الفن القصصى
في القرآن الـــكريم

أبدأ اليوم بعرض وجهة نظرى فى مسألة من أخطر مسائل بحثى وهى مسألة الأسطورة . وأرجو ألا يزعجنا هذا اللفظ ونقع فى أخطاء وقع فيها غيرنا حين ظن أن معنى الأسطورة الكذب والمين أو الخرافات والأوهام ، فذلك ما لم يقصد إليه القرآن الكريم .

ليست الأسطورة فى حس القرآن الكريم إلا ما سطره الأقدمون من أخبارهم وأقاصيصهم بذلك تنطق آياته وإلى ذلك فطن المفسرون .

قال الله تعالى [وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .) وقال تعالى (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .).

وجاء فى الطبرى ج ٩ ص ١٤٢ (والأساطير جمع أسطر وهو جمع الجمع لأن واحد الأسطر سطر ثم يجمع السطر أسطر وسطور ثم يجمع الأسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الأساطير أسطورة . وإنما عنى المشركون بقولهم أن هذا إلا أساطير الأولون أن هذا القرآن الذى تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بنى آدم وأنه لم يوجهه الله إليه .).

ثم جاء فى الكشاف ج ٢ ص ١٠٣ (أساطير الأولين . ما سطره المتقدمون من نحو الحديث عن رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة) .

وجاء فى المنار ج ٩ ص ٦٥٣ عنــد تفسيره لآية الأنفال « إن هذا إلا أساطير الأولين » . أى قصصهم وأحاديثهم التى سطرت فى الكتب على علاتها وما هى بوحى من عند الله . قال المبرد فى أساطير هى جمع أسطورة كأرجوحة وأراجيح وأثفية وأثافى وأحدوثة وأحاديث وفى القاموس الأساطير الأحاديث لا نظام لها..

قال المفسرون كان النضر بن الحارث .. كأنهم يعنون أن أخبار القرآن عن الرسل وأقوامهم اشتبهت عليه بقصص أولئك الأمم فقال أنه يستطيع أن يأتى بمثلها فما هى من خبر الغيب الدال على أنه وحى من الله . ولعله أول من قال هذه الكلمة فقلده فيها غيره ولم يكونوا يعتقدون أنها أساطير مختلقة وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى افتراها فإنهم لم يكونوا يتهمونه بالكذب كما نقل عن كبار طواغيتهم ومنهم النضر بن الحارث وقد قال

وقد بسمت للوليد الجديد يوم ميلاده وابتسم له اليوم عند الشباب وفى الأفق البعيد تتبدى أنوار العدالة والحق فتنعكس صفحاتها المشرقة على جبين الحياة فتزيدها نوراً على نور ، وتبعث الحضارة بما فيها من قوى روحية سامية ، ذلك لأن الحياة هى فى حقيقتها تلك اللحظات الروحية الرفيعة ؛ والفنون وأنماط المعرفة تملك التعبير الصحيح عن خير ما فى الإنسان من رقة ونبــل وإحساس ، وهل حياة المعرفة والفن إلا نوعاً من التضــحية والقلق يدفع بصاحبه للبحث وراء المجهول ...

وفى ثنايا الليل يظل صاحبنا باحثاً عن الحــكمة ، ناظراً فى دنيا العلم ، مطرقاً مستغرقاً ؛ وهل عادت الروح من جديد تجاه الشرق لتجد عالم الهدوء والاطمئنان أم تبدت حياة الآلة كالحة فى نظرة الفتى الذى أجهده طول السهاد ؟! وأنغام الموســيقى تتهادى فى ضوء القمر ، والزهور الندية ترسل العطر لأبناء الإنسان ، وأذان الفجر يكاد أن ينادى بالصلاة والدعاء ، والمدينة أخذت تتأهب للحياة من جديد ، وجيوش الظلام أخذت تولى هاربة ولكنها لن تعود ...

واليوم تنبعث من جوانب المدينة أنغام الخلود ، وأضــواء الشمس تتساقط من خلال الأشجار ، وعبير الأزهار بداية الربيع الساحر ، والأم فرحة بطفلها الذى يستقبل الحياة ، وحفيف الأشجار وهمسات النور المنبعث وأسارير الطبيعة تنبىء عن بداية الفوز ؛ والثناء يملأ جنبات الوادى ، والرعاة يهدهدون القطيع فرحين مستبشرين ، والوليد الجديد فرحة القلب عند الأم الرؤوم .

عثمان طه شاهين
ليسانسيه فى الفلسفة

تعالى فى ذلك فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . بل كانوا يوهمون العرب أنه اكتتبها وجمعها كما فى آية الفرقان وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . أى ليحفظها »

يجب إذاً ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجرى فيها وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة وإنما يجب أن نقف منها عند المدلول الذى فهمه المفسرون والمعنى الذى قصد إليه القرآن .

وأعود فأقول إنى أعرض لهذه المسألة الخطيرة مسألة الأسطورة وآمل أن يتفضل علينا أصحاب العقول الراجحة والقلوب المستنيرة — من الذين يعرفون الدقائق الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية – بالمشاركة فى البحث حتى يفطن كل منا إلى حقيقة موقفه إن كان حقاً يحرص على الروح العلمية فى بلدنا العزيز .

إنى لأقدر منذ اللحظة الأولى أنه من الجائز أن أكون قد أخطأت القصد أو ضللت الطريق وأن يكون الأستاذان الفاضلان أحمد بك أمين وأحمد الشايب قد أصابا ولكنى لم أتبين بعد جانب الخطأ أو وجه الإصابة ومن هنا كتبت ما كتبت وآمل أن نصل إلى الحق المبين .

وأمل نقطة الخلاف فيما بينى وبين أستاذى الفاضلين تضيق وتتضح حين نشرح الصنيع الأدبى أو البلاغى فى الأسطورة شرحاً موجزاً ولذا نقول .

الأسطورة كما يعرفها الأدباء فى صنيعهم البلاغى وسيلة قوية فعالة من وسائل تجسيم المعانى وتمثيلها لتتضح وتبين . وهى من هذا الجانب تعتبر أداة من أدوات التعبير يعمدون إليها أحياناً للتعبير عن المعانى الفلسفية أو كل معنى دقيق عميق .

الأسطورة فى هذا الوضع تشبه اللفظة المفردة إلى حد كبير . وإذا كان من حق الأديب أن يعمد إلى المفردات فيحملها من العواطف والمعانى ما يريد فكذلك من حقه فى الأساطير .

وإذا كان الأديب يخرج أحياناً بالألفاظ المفردة عن معانيها الحقيقية إلى أخرى مجازية فكذلك يفعل بالأساطير .

وإذا كان التاريخ الأدبى يدلنا أحياناً على أن هذه المعانى المجازية قد أصبحت حقائق عرفية أو شاع استعمالها حتى لينسى الناس المدلولات الأصلية أو الأولى فكذلك يدلنا فى الأساطير .

وإذا كان الأديب حين يخرج بالألفاظ المفردة عن معانيها الحقيقية يبقى على مادتها فكذلك يفعل بالأساطير إذ تراه يبقى منها على جسم القصة أو هيكل الحكاية . وكل ذلك واضح بين فى الصنيع الأدبى بحيث لا يحتاج منا إلى دليل .

ولعلك تعجب معى حين تعلم أن شيخاً من شيوخنا الأقدمين قد فطن إلى هذا الصنيع الأدبى فى القصص القرآنى قبل أن يفطن إليه أساتذتنا من الجامعيين .

فلقد فطن الرازى إلى هذا الصنيع الأدبى من اعتماد القرآن على الأسطورة عند شرحه لمواقف المشركين .

قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » من سورة يونس ما يأتى (الأول . أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين . ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها) .

فنحن نلحظ أن الرازى هنا يفرق بين شيئين .

الأول . هيكل القصة أو جسم الحكاية .

الثانى . ما فى القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادىء الدين الحنيف .

والرازى يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين ومن أجل هذا قالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين .

والرازى يرى أن القوم قد جانبوا الحق وبعدوا عن الصواب حين نظروا من القصة إلى هذا الجانب . ذلك لأنه ليس الجانب المقصود من القصة وليس الأمر الذى يقصد إليه القرآن الكريم حين يحدث ويقص .

ويؤكد الرازى هذا الأمر فى مناسبات أخرى حين يجعل أحياناً كلمة « بالحق » التى ترد كثيراً فى القرآن بعد بعض القصص وصفاً لما فى القصة من توجيهات دينية . فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت

به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتى (أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة .) .

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين » ما يأتى (اعلم أن قوله تلك إشارة إلى القصص التى ذكرها ... أما قوله بالحق ففيه وجوه . أحدها أن المراد من ذكر هذه القصص أن يعتبر بها محمد صلى الله عليه وسلم ونعتبر بها أمته فى احتمال الشدائد فى الجهاد كما احتملها المؤمنون فى الأمم المتقدمة) .

وإذا وصلنا إلى هذه النقطة وعرفنا أن الصنيع الأدبى أو البلاغى فى الأسطورة هو الأمر الذى فطن إليه الرازى وقال بوجوده كان علينا أن نرصد الفوائد التى نجنيها أو المضار التى نزيلها حين نتابع الرازى فى رأيه ونفسر بعض القصص القرآنى هذا التفسير البلاغى أو الدينى القديم .

أما الفوائد فهى رد عادية المستشرقين والملاحدة حين يوجهون الطعن إلى النبى والقرآن الكريم . ذلك لأنهم يقولون بما قال به المشركون من قبل من أن القرآن قد جاء بالأساطير . ولعل هؤلاء أقوى سنداً وأثبت حجة حين يوردون الدليل تلو الدليل على ماورد فى القرآن من أساطير .

لن نقول لهؤلاء إلا ما قاله الرازى لأسلافهم منذ قرون . ولن نطلب إليهم إلا أن يفرقوا بين أمرين جسم القصة أو هيكل الحكاية وما فيها من توجيهات دينية نحو الدعوة الإسلامية ومبادىء الدين الحنيف . ولن نقول لهم إلا أن الأمر الأول كان وسيلة لا غاية وأنها وسيلة غير مقصودة لذاتها من القرآن الكريم. ولن نقول لهم إلا أن الأمر الثانى هو المقصود بالذات وأنه الحق الذى ليس بعده حق فيما يخص دعوتنا الإسلامية وشرعنا الحنيف.

إن تمسكنا بالرأى الذى يقول أن جسم القصة أو هيكل الحكاية حق ثابت بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر عظيم .

وإن قولنا بالتفرقة بين الأمرين جسم القصة وما فيها من توجيهات هو الذى يتفق والصنيع الأدبى وهو الذى يرد عن القرآن عادية الملاحدة والمستشرقين .

هذه أخطر نقطة فيما بينى وبين أستاذى من خلاف . أعرضها عليكم وعلى قراء مجلتكم وعلى الرأى العلمى . وإنى ليدفعنى إلى القول بهذا الرأى حرصى أولا على سلامة القرآن الكريم من عبث الملاحدة والمستشرقين . وحرصى ثانيا على ألا نتخلف فى الدراسة الأدبية فنعجز عن فهم أبلغ نص نمتز به وهو قرآننا الكريم .

إن فهمى الأدبى لما فى القرآن من قصص يعتمد أحياناً على أساس من الأساطير يقوم على أساسين كما رأيت .

الأول تلك اللفتة الكريمة من الرازى وهى لفتة أدبية نحرص عليها ونعتز أن صدرت عن شيخ من شيوخنا الأقدمين .

الثانى ذلك الصنيع الأدبى الذى يجرى العمل فى القصة الأسطورية منذ القديم .

وليس فى هذا وذاك ما يضر الدين أو يؤذى قرآننا الكريم إن المسألة أخطر وأعمق من أن يتناولها غير الباحثين الذين يفطنون إلى الدقائق الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية وإنى لآمل أن يوفقكم الله إلى تسديد خطوات الباحثين فنحل تلك المشكلة الجامعية التى يتخوف فيها بعض رجال الجامعة من بعض رجال الدين

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد



ذات صباح

أوشكت أن تنشق على الأفق الشرق كلة الصباح الوردية عن جبين الشمس ، وأنا جالس فى مصلى على حافة ترعة كانت تفهق بذلك الفيض الحبشى الذى حمله النيل من هضبات وادينا الحبيب ؛ وكانت تحجبنى عن الطريق العريض على الضفة الأخرى للترعة أغصان الصفصاف المهدلة التى تمس الماء فتبدو كأنما تحنو على هذا النضار الغالى ؛ وجلست بحيث أتبين المارة فى يسر من خلال الصفصاف الحانى ولا يكاد يتبيننى أحد إلا فى مشقة ...

ورحت أرقب طلوع الشمس على الأفق ، ولعلى إنما طلبت الفضاء فى السماء حيث غطت الفضاء على الأرض عيدان الذرة وقد استطالت واستغلظت على سوقها وأخرجت سنابلها ، وعيدان القطن وقد طالت فروعها وتدلت زهراتها ، فلم يبق أمام ناظرى على الأرض إلا ذلك الطريق القريب على الضفة الأخرى للترعة تتقاطر فيه أسراب الصبايا عائدات بجرارهن من الترعة الكبيرة فى هذه البكرة الرخية ، خفيفات تماوج قدودهن المشوقة الناهدة تحت الجرار الثقيلة الطافحة بالفرات العـذب الذى يجرى به النيل ..

وجاءت فتاتان فآثرتا أن تملآ جرتيهما على مقربة من المصلى فكنت أراهما من حيث لا ترياني ، أما إحداهما فما لبثت أن عرفتها فهى بهيجة بعينها ! ... بهيجة تلك البنية الريفية التى ما كنت ألقاها وهى بين العاشرة والثانية عشرة إلا استوقفتها وضاحكتها والتى كنت أحدث نفسى يومئذ بما سوف يكون لها من فتنة وسحر ...

وها هى ذى فى الثامنة عشرة أو فوقها قليلا شمس يضىء جبينها الأبلج كما تضىء شمس الأفق ، قد أفرغت فيها الطبيعة الريفية سحرها إفراغاً كما يصنع الفنان بدميته حين يريد أن يبلغ بها منتهى قدرته ؛ وملأت ناظرى من خصرها الدقيق وردفها الملىء وصدرها الناهد ؛ وشمرت عن ساعديها وكشفت عن ساقيها لتنزل على حجر فى الماء ، فما حسبت ساقيها وذراعيها لولا تحركها وتثنيها إلا صنعة فنان بالغ فى تسوية مرمره ليتحدى به الطبيعة أما وجهها فما تغنى اللغة عنه فلن يتصور جماله إلا أن يرى ...

وأما صاحبتها فسمراء لعوب فى وجهها وفى هيكلها وفى حديثها ما نسميه خفة الروح ، وهى لا تفتأ تضحك وتداعب رفيقتها ولا تزيد بهيجة على أن تبتسم ابتسامة طفيفة لا تلبث أن تنطفىء ...

وحيرنى هـذا الهم فى وجه بهيجة ، فعلى فمها الرقيق وفى عينيها الواسعتين الزرقاوين الطويلتى الهدب ، خيال الألم والحزن الدفين ، وفى خديها شىء من الشحوب لولا تلك الحمرة الشديدة التى تمتاز بها صفحة هذا الوجه ...

وقالت فاطمة — وهذا اسم صاحبتها كما تبينت — تحدث بهيجة وهى فوق الحجر يغطى الماء ما فوق خلخالها قليلا : أأدفعك يا بهيجة فى الماء فتغرقين وتلتهمك الجنية ؟ وقالت بهيجة ليتنى أغرق فلن ينجيني إلا الموت !

وعجبت مما أسمع وازددت تطلعاً إلى معرفة ما يحزنها فما أشد ما يؤلم النفس مرأى الجمال الحزين ، وأنصت إلى فاطمة وقد ألقى فى روعى أنها سوف تكشف هذا السر ...

وقالت فاطمة ، وقد خرجت صاحبتها من الماء بعد أن ملأت الجرتين وجلست مستندة إلى جذع شجرة : فيم هذا الهم يا أختاه وغداً ليلة الحناء ؟ وحاولت بهيجة أن تبتسم ، فما افتر ثغرها الجميل حتى انطبق ، وامتلأت مقلتاها الساحرتان بالدمع ، وتسايل الدمع لجرى فوق خديها ، ثم دفنت وجهها فى كفيها وأجهشت إجهاشة كادت تطلق الدمع من عينى ... وما أيسر ما ينطلق دمعى فلا أمسكه إلا بجهد ...

وأمسكت فاطمة عن الضحك وراحت تهدهد صاحبتها وتقول : لعل الخير فيما تكرهين ، وما عيب حسن وهو ابن الجمل والناقة ، فى بيته الخير وزوجات إخوته من أحسن البيوت وإن لم يكن جميلات ، وسوف تكونين أنت زينة الدار ... وبأى شىء يمتاز إبراهيم عنه ؟ وكيف تقوى الواحدة منا على مخالفة أبيها ؟ رأى أبوك أن يزوجك من حسن فهل تعصينه ؟ وما

فلسفة طاغور فى العلم والعمل

للأديب عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ويفسر طاغور إنفصال إرادة الإنسان عن إرادة الله إنفصالا ظاهرياً غير مطلق ، بأن الله قد منح الإنسان بدافع من حبه له حرية التصرف فى شئون العالم ، كما يمنح الأب لإبنه مقداراً من المال ، ويترك له حرية التدبر فى حدوده ؛ فهذا المال ما زال ملكا للأب وإن وهبه لإبنه ، وأخرجه من نطاق إرادته . وكذلك المال بالنسبة للانسان ، فأن حرية إرادته دائماً ملكا لله ، وأنه أغدق بها عليه ، وأخرجها من نطاق إرادته ، وترك له حرية العمل فى حدودها ، وفى مجال الشئون العالمية .

فالإرادة عند طاغور حرة من جهة ، ومقيدة من جهة أخرى فهى أولا حرة من حيث أن الله وهبها السيادة على الأمور المتصلة بعالمنا الصغير ؛ حتى يمكن أن تخضع لقانون إرادته الكبير طائعة مختارة ، وبدون فرض أو إلزام ؛ وحتى تتحد باللانهاية ، وتتفق حريتها الكاملة إللا محدودة ، التى لا تتم إلا بتوافق إتحاد إرداتين حرتين . وهى ثانياً مقيدة من حيث أن الله جعلها محدودة ، وخاضعة لقانونه ، إذ لو منح الإنسان إرادة غير مقيدة بقانونه ، وتعمل بدون حدود ، لفقدت قدرته كل معنى لها ، ولتعذر عليها أن ترتقى وتكمل ، لأن القوة لا تنمو وتتطور وترتقى وتكمل ، إلا إذا كانت تعمل فى حدود ؛ أى أن الإرادة التى تعمل فى حدود ، يمكنها أن تتقدم فى الرقى إلى أن تكمل ، بأن تخضع لإرادة الله اللامتناهية ، وتندمج فيها ، وتصبح هى وإرادة الله إرادة واحدة تملك حرية مطلقة غير محدودة

أما عن الإرادة التى تنخدع بحريتها المحدودة ، وتندفع فى تيار الإنفصال ، وتتمرد على إرادة اللانهاية ، بدافع من الإنانية والغرور والكبرياء وحب السيطرة والعناد والجشع وحب التدمير ، وبدافع من جهل حقيقة وحدة الكون الكامنة فى الطبيعة الإنسانية ؛ فإنها ستعيش أبداً فى حدودها الملوثة بالشهوات ، وستظل أسيرة المظهر وسجينة الباطل ، فتقع فى الخطايا ، وترتكب الآثام والذنوب ، وتجلب على نفسها العار والمزلة ، وتضطر فى النهاية إلى أن تتراجع شيئاً فشيئاً عن مسلكها الخاطىء ، وترجع إلى منبعها اللانهائى الذى فصلت منه بأرادة الله ، وتخضع إرادتها الفردية للارادة الكبرى ، بأن تظهر طبيعتها الكامنة فى النفس الإنسانية ، وتشعر أن الوجود كله وحدة كاملة ، وتدرك أن وجودها

جدوى البكاء وقد صرت فى عصمته ؟

وأثار كلام فاطمة حزنها كله فاسترسلت فى بكائها وصحب هذا البكاء أنين متقطع ، كأنما كان ما ألقى فى سمعها من كلام طعنات خنجر شاعت فى جسمها ففى كل موضع منه طعنة ...

ونظرت فى وجه فاطمة تحسب أنها من أعدائها ، ورأيت فى وجهها كأنها تريد أن ترى فاطمة ما تعتزم عليه من عصيان ...

ولحقتنى فاطمة من خلال الصفصاف فغمزت صاحبتها وهمست فى أذنها ؛ ومسحت بهيجة عينيها بذيل ثوبها الأبيض الذى سحبته من تحت ردائها الخارجى الأسود ، وأصلحت الفتاتان جرتيهما ووضعتاها على رأسيهما ، ومر رجل فأعانهما على حمل جرتيهما وانطلقتا صوب القرية ...

ولاحظت على بهيجة أنها لا تكاد تقوى على حمل جرتها ، فكانت خطواتها أثقل من خطوات صاحبتها ، وكان عودها اللدن يتثنى من إعياء لا من عجب تحت جرتها الثقيلة ، وما زلت أتبعها بنظراتى حتى غيبتها عنى فى منعطف عيدان الذرة ...

وبقيت ساعة يكرب نفسى ما يحزن بهيجة ، كما تكدر خاطرى طيوف منكرة سوداء من السم والحريق والقتل وإتلاف الزرع من جرائم الريف يمثلها لى هذا السبب الذى سمعته بأذنى ؛ وطاف برأسى الطلاق والنفقة والهجر والخصام وبيت الطاعة والمعارك بين الأسر ، بل ما روعنى من صور الخيانة والفجور وغيرها من أفعال الظلام ، وما تجره فى أعقابها من شر وانتقام . كل أولئك مثلته لى ثورة بهيجة ...

الخفيف

الفردى فى اتحاد تام مع هذا الوجود الشامل ، وبذلك تحقق حريتها الكاملة ، مثلها فى هذا مثل البرعم ، فإن كانت حرية البرعم لا تتحقق إلا بظهور الزهرة الكامنة فيها ، فإن كمال حرية الإرادة لا ينال إلا بمعرفة الحقيقة الكائنة فى أعمق أعماق النفس ، وإدراك اتحادها بالجوهر الثابت الذى يشتمل سائر الأشياء . وذلك لا يكون إلا بخضوع إرادة الإنسان لسلطان إرادة الله اللامتناهية عن طريق العمل الدائم المتجدد فى مختلف نواحى نشاط الإنسان ، وعن طريق فعل الخير وأفكار الذات ، وعن طريق ملاشاة فرديتنا الإنسانية فى الله ، والإيمان العميق بحقيقة وحدة الوجود الشاملة ...

وقد يرى لى بعض الهنود أن اعتزال الحياة ، وتجنب المجتمعات واحتقار الأعمال الدينوية ، وهجرة الأهل ، والتجول فى الغابات وسكن الكهوف والمغارات من خير السبل لتحقيق حرية الإرادة الكاملة ، وتخليص الروح من العوائق المادية التى تحول دون إنطلاقها فى اللانهاية غير مقيدة بأى قيد . غير أن طاغور ينكر على هؤلاء الهنود أنه يمكنهم بهذا السلوك ، أن يفوزوا بحريتهم الكاملة فى الحياة ، لأن النفس مهما كانت طهارتها لا تستطيع أن تعيش حرة على إحساسات ومشاعر وأفكار محبوسة فى داخلها لا تشغل بموضوعات خارجية ؟ وأن الإرادة مهما بلغ تحررها من الشهوات والرغبات ، ونالت من حرية روحية ؛ بأنها لا تحقق حريتها الكاملة فى الحياة ما دامت هذه الإرادة تنفر من العمل ، ولا تقبل أن تؤدى أية مهمة فى العالم الإنسانى ، غير أن تقطع علاقاتها بكل ما فى الأرض ، ناشدة بذلك تحقيق إدراك وحدة الوجود الشاملة الكامنة فى قرار الطبيعة الإنسانية .

وقد يتمادى بعض القوم ، ويظنون أن الخوض فى الحياة يسبب للانسان آلاما متنوعة ومتاعب جمة ، تقلق النفس ، وتدب فيها الخوف ، وتملؤها بالحزن كما يزعمون أن الموت نهاية الحياة فيكفى أن تقوم بأعمال تسد رمقنا ، وتبعد عنا قساوة الجوع والعطش ؛ إذ ما فائدة عمل متواصل يتحدد فى حياة يهددنا فيها الموت فى كل لحظة ! وطاغور لا يغفل ما فى الحياة من آلام قاسية ، ومتاعب مضنية ، قد تكشف عن خيبة الإنسان فى عمله وتبين له نقصه فى المعرفة ، وتشعره بضعف فى إرادته ؛ إلا أنه يقرر أنه إذا نظر إلى أعمالنا الفردية من ناحية محدودة ، يكون وقع الآلام قاسى على النفس ، أما إذا نظرنا إليها من ناحية أعم وأوسع ، فنشمل ما يقصد بها من تحقيق المثل الأعلى لكمال الحياة تشمر بالسرور ، وتذهب وطأة هذه الآلام عنا حين نعرف أن أعمالنا ترمى إلى غاية سامية يهون فى سبيلها المتاعب . كما يمكن أن نتجنب الفشل فى العمل بالمصابرة فى التدرب عليه حتى نتقن أدائه ؛ وأن نصلح ما نقع فيه من إخطاء با كمال نقصنا فى المعرفة ، وبالتزود بنور العلم ؛ وأن تقوى ما فى إرادتنا من ضعف بمحاربة الباطل والشر فى داخل نفوسنا وخارجها . وذلك كله يعمل على تقدم الحياة الإنسانية ورقيها . وقدرة الحياة على التقدم لدليل قاطع على كذب حس قوم يمعنون فى التشاؤم ، ويعتقدون أن الحياة شر فى شر ، وأن المؤمن فيها لا يجلب إلا الآلام والمتاعب . ولذلك يرى طاغور أن التشاؤم ليس إلا مجرد مظهر عاطفى أو عقلى ينبذ ما فى الحياة من سرور وقدرة على التقدم ، فيحدث قوى من الحزن المصطنع الذى يظمىء بدوره النفس إلى الاستزادة من التشاؤم ، ويبعث فيها اليأس والقنوط ، فتوقع الفشل فى كل عمل وتتوهم الموت فى المخيف المرعب فى كل خطوة ، فلا ترى فى الحياة إلا آلام وموت بينما يمكن التغلب على أسباب الآلام كما سبق أن ذكرت . أما الموت فما هو إلا حقيقة سلبية ، وليس حقيقة أخيرة فى الوجود ، وإنما الحقيقة اللانهائية فهى وحدة الكون الشاملة ، وما هو كذلك إلا حدث من أحداث الحياة التى يعد الموت جزءاً منها ، ولا يعبر عن حقيقتها إنما يعبر عن حقيقته فقط فلا يجب أن يفزعنا كل هذا الفزع ونقصر فى العمل ، ونهمل التجديد فيه ونقنع فيه بذلك العمل الذى تقرره لنا الطبيعة كما تعمل الحيوانات من أجل الطعام والشراب .

ليس هناك إذاً باعث جدى يمنع الإنسان عن العمل ؛ فإن الفشل سبيل إلى النجاح ، والألم وجه من أوجه السرور ، والنقص هو الذى يدفعنا إلى الكمال ، ويجعلنا عظماء فى الحياة . فلا يجب أن يفزعنا الألم والحزن ، ونتجنب العمل المتعب ، فإن حرية الروح فى تحمل المتاعب . وعلى الذين ينشدون تحرير أرواحهم ، ويريدون الحياة فى اللانهاية ، أن يزاولوا أعمالا مستمرة جدية ومجدية ، وأن يخلقوا ميادين متعددة للعمل ، ويجتهدوا فى ترقيتها وتوسيع نطاقها ، وألا يقنعوا بالأعمال البدائية التى تقررها لهم الطبيعة . فإن الاستمرار فى العمل يحرر قوى الإنسان ، وعينها

القدرة على التجديد فيه . فإن الرجل الذى يحول غابة موبوءة إلى حديقة جميلة ، قد حرر قواه واستطاع أن يعطى هذه الحديقة جمالا يعبر عن جمال روحه ؛ أما إذا تعذر عليه أن يعطيها هذا الجمال ، فقد فشل فى تحرير روحه من الداخل ، وخاب فى التعبير عنها بالعمل ، وعليه أن يستمر فى مزاولة عمله والتدرب عليه حتى يحرر قواه فيتمكن من أن يظهر طبيعته فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى . إلا أن هذا الإظهار لا يتم ما لم يتحرر العمل نفسه من ضغط الحاجة من ناحية ، ومالم يتميز كوسيلة يقصد بها وجه الله ، ومالم يرفض النظر إليه كغاية فى ذاته ، وينتظر من ورائها نفع قروى نحسب من ناحية أخرى . لأن الحرية الصحيحة لا تكتسب فقط بالعمل بل يشترط فى اكتسابها حرية الإنسان فى عمله ولا يساق إليه بحكم ظرف عارض مثل الفرق أو الجوع ، فإنه حين ذاك يعمل وفق المصادفة والإتفاق ، ويصبح عمله نوعاً من التدبير الوقتى المصطنع الذى لا بد أن يتركه بعد أن يزول أو يتغير هذا الظرف العارض . فوق أن ضغط الضرورة يعوق النفس عن إظهار حقيقة طبيعتها فى العمل . ولذلك لا يجب أن يكون باعثنا على العمل الفرق أو الجوع ، وليكن دائماً دافعنا إليه حب الخير وتأديتنا له لوجه الله . فإن الذى يهب حياته لتحقيق فكرة سامية يقصد بها خدمة الوطن أو خير الإنسانية ، لا يبالى عادة بكل ما يقابله من عقابات ومتاعب وآلام ، بل يرحب بأن يضحى بحياته ، ويقدم على الموت فى سبيله تحقيق ذلك الخير الذى سيعم الجميع لأن أداء مثل هذه الأعمال الخيرة تعطى للحياة قيمة عليا ، يتلاشى فيها كل الحقائق المتناقضة ، أو تحرر بها الروح تحرراً كاملا من كل ما يتصل بالحياة ، ولا تدرك إلا حقيقة خالدة ، هى حقيقة وحدة الكون الشامل الذى يتجلى الله فى جميع أجزائه .

وأخيراً نلخص كل ما سبق فى أن طاغور لم يجد صعوبة فى التوفيق بين طلب العلم وأداء العمل وبين ما فهمه من تعاليم الهندوس . فرأى أن العلم من أروع الوسائل التى تقربنا من الطبيعة أو تساعدنا على الاندماج فى الكون والاتحاد بالوجود ، لأن القوانين التى يتوصل إليها العلم هى فى الأصل صور صغرى للحقيقة الكبرى ، وتبين أن هناك صلة عقلية وثيقة بين الإنسان والطبيعة ، وأنها فى اتحاد تام مع الأشياء . فالتزود بها ، والبحث عنها ، والاستمرار فى المزيد من الكشف عنها أمر ضرورى لكل فرد يريد أن يبرز الحقيقة الكبرى الكامنة فى نفسه ، ويدرك وحدة الوجود الشاملة . أما عن العمل فهو من أهم الوسائل التى تحرر قوى الروح ، وبعبر عن طبيعتها ، ويظهر أفكارها ومشاعرها وإحساساتها ، فتتحقق حريتها الكاملة فى الحياة ، وتفوز بالعيش فى اللانهاية .

عبد العزيز محمد الزكى
ليسانيه فى الفلسفة

تعقيبات

مع الأستاذ الطناحي :

أعرف الصديق العزيز الأستاذ « طاهر الطناحي » أديباً محققاً يجمع فى ثقافته وفى كتابته بين طلاوة الحديث وعراقة القديم ، ولكن يظهر أن الحياة الصحفية تتعجله فى بعض الأحيان فيهفو، وقديماً قالوا لكل عالم هفوة ، وهو حكم يجرى على سائر العلماء .. حتى الأستاذ الطناحى .

شوقى . . . وليالى سطيح :

فقد كتب الأستاذ فى العدد الأخير من « الهلال » مقالا تحدث فيه عما كان « بين شوقى وحافظ » من منافسات ومدافعات فى ميدان الشعر وفى ميدان الحياة ، قال فيه :

« .. وكانت لشوقى بدوات وغفلات أغضبت حافظاً وحركت فى نفسه نزوة الشباب ، حتى إنه لما أنعم الخديوى عباس على حافظ برتبة البكوية وأقيمت له حفلة تكريم ترأسها شوقى صامتاً ولم يهنىء صديقه ببيت واحد ؛ ولم يفت ذلك حافظاً ، فحملها له مع ما حمل من أشياء ، ولما وضع كتابه « ليالى سطيح » تناول فيه ديوان « الشوقيات » الأول ونقده نقداً لاذعاً .. »

ثم أورد الأستاذ بعد ذلك ما قاله حافظ فى « ليالى سطيح » عن الشوقيات ...

قلت : هذه رواية تحتاج إلى تحرير وتصحيح ، فإن حافظاً قد أخرج « ليالى سطيح » للناس ، وقال فيها ما قال عن شوقى والشوقيات عام ١٩٠٨ م . أما حفلة التكريم التى أقيمت له لمناسبة الإنعام عليه برتبة البكوية ، والتى ترأسها شوقى صامتاً ، فقد كانت عام ١٩١٢م ، أى بعد ظهور « ليالى سطيح » بأربع سنوات ، وإذن فالحكم الذى انتهى إليه الأستاذ فى هذه الرواية غير صحيح ، لأنه بناه على مقدمات مغلوطة التاريخ .

مال واحتجب :

تلك واحدة ، وهناك ثانية ، فقد أورد الأستاذ فى مقاله الرواية التالية فيما كان « بين شوقى وحافظ » فقال :

« وحدث أيضاً أن أقيم مرقص فى قصر عابدين ذات ليلة ، فحرك هذا الرقص من شاعرية شوقى ، فقال فى وصفه قصيدته التى مطلعها :

مال واحتجب وادعى الغضب

فاتخذها حافظ وقتئذ وسيلة للتهكم والاستخفاف ، وسار يوماً فى نزهة مع صديقه المرحوم عبد العزيز البشرى بجزيرة الروضة وجعلا ينظمان قصيدة هزلية فى معارضة هذه القصيدة ، كان أحدهما يقول شطراً والآخر يقول شطراً ، ومطلعها :

شال وانخبط وادعى العبط
ليت هاجرى يبلع الزلط

إلى آخر تلك القصيدة التى بلغت ستين بيتاً .. »

قلت : وهذه أيضاً رواية تحتاج إلى تحرير وتصحيح ، فإن شوقى قد نظم قصيدته « مال واحتجب » فى وصف « البال » الذى أقيم فى قصر عابدين عام ١٩٠٤ م ، وكان هذا « البال » يقام كل عام ، وكان شوقى يصفه كل عام ، أما معارضة حافظ لهذه القصيدة ، فإنها ترجع إلى تاريخ قريب ، وهو يوم أقام أدباء العربية مهرجان المبايعة بأمارة الشعر لشوقى عام ١٩٢٧ م .

ذلك أن صديقنا الشاعر المرحوم محمد الهراوى كان يرى أن لقب « أمارة الشعر » بدعة ، وأن لكل شاعر مكانته ووضعه وامتيازه فى عالم الشعر ، فلما توجهت الدعوة لإقامة ذلك المهرجان لشوقى ، أخذ الهراوى يحرض أصدقاءه من الشعراء على مقاطعة ذلك المهرجان ، وعلى عدم مبايعتهم لشوقى بلقب الأمارة ، وكان يعمل مع حافظ فى دار الكتب فتحدث معه فى هذا الشأن ، كما تحدث مع الشيخ عبد المطلب ، وفى ليلة اجتمعوا ومعهم لفيف من أصدقاء الهراوى وأصدقاء حافظ وأمضوا سهرة صاخبة فى مقهى فى نهاية العباسية شرب فيها من شرب ، وطرب من طرب ، واستخفهم التهكم على شوقى ، فأخذ حافظ ينشد :

شال وانخبط وادعى العبط

وأخذ الحاضرون يجيزون على هذا النمط حتى بلغوا بالقصيدة ستين بيتاً ، كما يقول الأستاذ الطناحى ، وكان الهراوى رحمه الله يقيد ما يقال ...

وفى الصباح اجتمع حافظ والهراوى ومن معهما فى دار الكتب وأنشد الهراوى هذه الأبيات :

إن شوق شاعر كلنــا أجلّه
غير أنّا معشر ليس يرضى ذله
وهى « جمهورية » لا ترى محــله

أما حافظ ، فإنه أخذ ينشد الحاضرين ما أعده لمبايعة شوقى بأمارة الشعر ، فعجب الحاضرون ، وصاح فيه الهراوى : أين ما اتفقنا عليه ؟ ! فقال حافظ : أجل ، إننى عند ما اتفقنا عليه بالنسبة لكم ، أما بالنسبة لى ، فإنى لا أستطيع أن أتخلف عن مبايعة شوقى فى ذلك المهرجان ، لأننى رجل جبان ... !

رحم الله حافظاً ، وطيب ثراه ، فوالله لقد كان شجاع الرأى والقلب ، جرئ الضمير والجنان ..

بين شوقى وحافظ :

والواقع أن ما كان « بين شوقى وحافظ » قد صوره حافظ فى شعره وفى نثره وأفصح عنه ، على حين كان شوقى يطوى ذلك فى نفسه ، ويصوب إلى منافسه الضربات العملية لا الكلامية .

كان حافظ فى بداية الأمر يضع شوقى أمامه ، ويشهد له بالسبق ، فتراه حين يتقدم لمدح الخديوى فى عيد الجلوس عام ١٩٠١ م يقول :

ما ذا ادخرت لهــذا العيد من أدب ؟
فقـد عهدتك رب الســبق والغلب
لم يبق (أحمـــد) من قول أحاوله
فى مدح ذاتك ، فاعذرنى ولا تعِبِ

ثم يأتى العيد الثانى فيبقى حافظ على عهده فيقول :

يا ليـلة ألهمتنى ما أتيه به   على حماة القوافى ، أينما تاهوا
إنى أرى عجباً يدعو إلى عجب   الدهر أضمره والعيـد أنشاه
قل الألى جعلوا للشعر جائزة   فيم الخلاف ؟! ألم يرشدكم الله ؟
إنى فتحت لها صدراً تليق به   إن لم تُحَـلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد فى الشعر يغلبنى   إلا فتى ما له فى السبق إلاه
ذاك الذى حكمت فينا براعتُـه   وأ كرم الله والعباس مثواه

بل لقد رضى حافظ لنفسه أن يتشبه بشوقى ، لا أن يقف معه فى ميدان المنافسة ، فتراه يمدح الخديوى فى عيد الفطر فيقول :

مطالع سعد أم مطالع أقمـار   تجلت بهذا العيد أم تلك أشعارى ؟
إلى سدة العباس وجهت مدحتى   بتهنئة شوقيّة النسج معطار

ولـكننا بعـد ذلك نرى حافظاً يتغير على شوقى ، ويلقى به إلى الخلف ، ويعلن عليه هذه الغارة الشعواء إذ يقول فى مدح الخديوى :

طف بالأريكة ذات العز والشان
واقض المناسك عن قاصٍ وعن دان
يا عيـد ... ليت الذى أولاك نعمته
بقرب (صاحب مصر) كان أولانى
صـفت القريض ، فمـا غادرت لؤلؤة
فى تاج كسرى ، ولا فى عقـد بوران
شكا عمان ، وضج الغائصون به   على اللآلى ، وضج الحاسد الشانى
كم رام شأوى فلم يدرك ســوى صدف
ساحت فيــه لنظـــام ووزان
عابوا سكوتى ، ولولاه ما نطقوا   ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان
اليوم أنشدهم شعـراً يعيد لهم   عهـد النواسى أو أيام حسان
أزف فيـه إلى العباس غانية   عفيفة الخدر من آيات عدنان
من الأوانس جلاها يراع فتى   صافى القريحة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده   ولا استعان بمدح الراح والبان
ولا استهل بذكر الغيد مدحته   فى موطن بجلال الملك ريان

وهـكذا أخذ حافظ يغمز شوقى ويقرصه فى كل مناسبة ، وكان من ذلك حملته عليه فى كتابه « ليالى سطيح » ، وله شعر فى هجائه ، يعف القلم عن إيراده ...

خلاف بين طبيعتين :

وهذا الذى كان « بين شوقى وحافظ » لا يمكن أن نسميه « خصومة » ، وإنما هو مظهر لخلاف بين طبيعتين ...

فقد كان شوقى فى ميدان السباق كالجواد الحر ، يغار من ظله ، ولا يطيق أن يرى أحداً يلحق بغباره ، ومن المعلوم أنه كان يعيش فى رحاب الخديوى ، وكانت له عنده حظوة بالغة ، وكلمة نافذة ، ومشورة مسموعة ، ولـكنه لم يحاول أن ينفع أحداً من الأدباء والشعراء بجاهه هذا ، بل إنه كان يدس الدسائس ولا يتورع عن الأساليب النابية فى قطع الطريق على كل متقدم ، وبهذا الدافع وقف لحافظ — وهو الذى كان يخافه — بالمرصاد ، فسد فى وجهه باب الخديوى ، وقطع عليه الصلة بالخلافة العثمانية ، وساعدته الأقدار فحرمت حافظاً أ كبر عطف بموت الأستاذ الإمام ، فلم يجد حافظ أمامه إلا الشعب ، فعاش للشعب وبالشعب

تلك كانت طبيعة شوقى ، أما حافظ فـكان أوفى منه إنسانية

وأسمح طبعاً ، لقد كان يحمل بين جنبيه قلباً يود لو يسع فيه كل محروم ومظلوم ، ويود لو يستطيع أن يوزعه على الجميع ، ثم لا يبقى له منه شيئاً ...

أذكر أنى كنت معه فى مرة أنا والمرحوم صديقنا الأستاذ ابراهيم الجزار الممثل ، وكان ابراهيم يجيد إلقاء الشعر كأروع ما يكون ، فطلب منه حافظ أن يلقى عليه بعض ما يحفظ ، فأخذ ابراهيم يلقى عليه قصيدته التى قالها فى مبايعة شوقى بالإمارة ، وأخذ حافظ يهتز مجاوباً لنغمات الإلقاء ومقاطعه ، وبعد الإنشاد أخذنا نسأله عن رأيه الحقيق فى شعر شوقى ، فما تكلم عن شوقى الشاعر ، ولكنه أخذ يتكلم عن شوقى الرجل فقال : « إن شوقى رجل نذل » ، وقص علينا كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمى إلى مصر غريباً طريداً ، فطمع أن يكون له فى رحاب الخديوى متسماً ، ولكن شوقى خشى منافسة الشاعر العراق ، فسد عليه الباب وقطع عليه كل رجاء ، وكفر فى هذا بأخوة الأدب ، وأخوة العرب ، وبالواجب نحو رجل شطت به الدار ، ووجد السيد عبد المحسن فى الأستاذ الإمام حمى ، ولكن الحمام لم يمهل الأستاذ الإمام ... وهنا تهدج صوت حافظ ، ودمعت عيناه ، ولم يستطع أن يتم الحديث ...

لهذا كانت نزوات حافظ تثور على شوقى ، ولهذا كان يناله بقارص الكلم أحياناً فى شعره وكثيراً فى مجلسه ، ولكنه رحمه الله كان يحب خليل مطران كل الحب ، ويثنى عليه كل الثناء ، ذلك لأنهما كانا متوافقان إنسانية وأريحية ، كما كان يثنى على أحمد محرم وأحمد الكاشف وأحمد نسيم ويذكرهم بالخير ، فهل كان يبلغ به التهافت بعد ذلك أن يجحد شاعرية شوقى بجانب هؤلاء ...

كلا ! إن حافظاً لم يجحد شوقى من ناحية شاعريته ، ولكنه — كما قلنا — كان يجحده من ناحية إنسانيته ...

نفى شوقى عن مصر ، فشمت فيه أولئك الذين كان يقف فى طريقهم . أما حافظ ، فقد جزع عليه غاية الجزع ، واشتد الحنين بشوقى إلى النيل ... فأرسل بهذه الزفرة الحارة :

يا ساكنى مصر إنا لا نزال على
عهد الوفاء — وإن غبنا — مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركم شيئاً نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة ما أبعد النيل إلا عن أمانينا !

فأجابه حافظ بتلك الزفرة الصادقة :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله صاد ويسقى ربى مصر ويسقينا
والله ماطاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا ، وإن كنا مقيمينا !

ألا رحم الله الشاعرين الكبيرين ، فقد نأيا عنا بجسمهما ، ولكنهما بيننا ملء السمع والبصر بروحهما وبفنهما ، وكم بيننا من الحاضرين بأجسامهم ، ولكنهم فى الغائبين النائين ...

« الجاحظ »

أنوار الجحيم ...

من عذيرى من الهوى والتصابى بعد ما أبلت النوائى شبابى ؟
إننى اليوم بين أهلى غريب لم أجد لى مواسياً فى مصابى
كلما أترع الأسى لى كأساً قلت حسبى ما ذقته من عذاب
خطرات فى شرة وعرام تنتزى ... قد حطمت أعصابى
هى كالنار فى الهشيم ... وكالإعـ ـصار يجتاح ناضرات الروابى !
غادة تأسر النفوس بدل مستبد على النهى غلاب
عشت فى ظلها الظليل وأفضت بى إليها يوماً مطايا الرغاب
وترشفت من لماها رحيقاً قدسياً ما صب فى أكواب
أين منه ما أحرزته بنات النـ ـحل أو ما عصرت من أعناب؟
ورأيت الجمال فيها يغنى وغناء الجمال أصداء غاب
توقظ المغفيات من ذكرياتى وتغشى وجوهها بالضباب
فى الضحى والمساء أزجى إليها صلوات العبيد للأرباب
كطيور قد حلقت ... تتناجى بأغاريدها الرقاق العذاب !
كل سرب يمر يتلوه سرب والهوى طائر مع الأسراب
يا غناء قد ضاع فى مجهل الليـ ـل ضياع الوفاء فى أصحابى
أنت عندى أشلاء حب عزيز دنست طهره معانى التراب
وحطام من ذكريات غوال أنا منها فى موعد كذاب !
دفنتها الهموم فى ظلمة الفكـ ـر فلاحت مركومة كالسحاب
ما بقائى وقد مضى أحبابى وصحا القلب من خمار الشباب

محمد على مخلوف

الأدب والفن في أسبوع

شوقى وحافظ :

تقع ذكرى أحمد شـــوقى أمير الشعراء فى هذا الشهر (أكتوبر) فقد توفى فى اليوم الرابع عشر من سنة ١٩٣٢ وقد بدا الاهتمام بهذه الذكرى فى عدة مظاهر ، منها تلك الحفلة التى قالوا إنهم سيقيمونها فى (أوبرج) الأهرام ، والتى عرف قراء الرسالة أمرها مما كتبناه عنها فى عددين ماضيين ، وقد علمت أن هذه الحفلة لن تتم على الوضع المزرى الذى رسموه لها ، فقد عارض بعض أعضاء اللجنة فى ذلك الوضع ، وأباه كذلك بعض الشخصيات الكبيرة التى طلب إليها أن تشترك أو تشرف على الحفلة ، وقالوا جميعاً كما قلنا إنه لا يليق أن يحتفى بذكرى شوقى احتفاء لاهياً مسمراً (بالأوبرج) .

ومن مظاهر الاهتمام بذكرى شوقى ، العدد الخاص الذى أصدرته زميلتنا مجلة « الكتاب » وقد جمعت بين ذكرى شوقى وحافظ فى هذا العدد ، لأنهما توفيا فى سنة واحدة إذ كانت وفاة حافظ فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يولية سنة ١٩٣٢ ، فتكون قد مضت خمسة عشر عاماً على وفاة الشاعرين اللذين اقترن اسماهما فى الحياة وفى الخلود .

وقد قصرت « الكتاب » أبوابها على البحث فى شعر شوقى وحافظ ، والتزمت فى كل بحث الموازنة بين الشاعرين فى مختلف نواحيهما ؛ وقد صدر العدد بفصل للأستاذ عادل الغضبان رئيس التحرير عنوانه « متحف » ذهب فيه إلى أن الشعر ، وهو أحد الفنون الجميلة ، له كما لها متاحف ، وإن كانت قطعه لا تضمها الغرف والأبهاء ، وإنما تعرض فى « الديوان » فديوان الشاعر هو المتحف الذى يمنيه .

وأخذ الأستاذ فى الدلالة على الموسيقى والتصوير فى ديوانى شوقى وحافظ ، فبين الارتباط بين الأصوات والمعانى فى قطع من شعرهما ، وقد أفرط فى ذلك كما صنع فى بيت حافظ التالى الذى يصف به هيجان البحر :

عاصف يرتمى وبحر يغـير أنا بالله منهما مسـتجير

فقد جمل يبين دلالة الحروف على صوت العاصفة ودوى البحر والفزع إلى الله ، فقال : « فصوت العاصفة تتخيله الأذن فى الصفير المنبعث من اجتماع الصاد والفاء بعد الألف فى كلمة (عاصف) ولا فضل للشاعر فيها إلا أنه اختار فأحسن ، ورنة الضربة تدوى فى المقطع الأخير من (يرتمى) كأنه صدى ثقل من الأثقال ارتطم بألواح السفينة ثم إن هدير الأمواج وهى غائرة تحمله إلى السمع هذه الغين وهذه الياء الممدودة بعدها فى كلمة (يغير) فهما صوت البحر الثائر الخائر مثلا بمثل ونغمة الأمل والدعاء تتصاعد من اللام الثانية فى كلمة (بالله) ومن حرف المد فى كلمة (مستجير) » .

وقد أمعن الأستاذ فى ذلك حتى خلته يريد أن يجمع خصائص حروف الهجاء فى متحف ... وقد ذكرنى هذا الصنيع بنادرة يحكونها عن حافظ ، إذ قال مرة لأحد علماء الدين : بلغنى أن هناك مؤلفاً فى « الوضوء » يقع فى عدد من المجلدات الضخمة وإنه ليسهل على المرء أن يغطس فى المـاء سبع مرات ثم يقوم إلى الصلاة ، ولا يتعب نفسه بقراءة هذا الكتاب ! وعلى هذا تستطيع أن تؤكد للأستاذ عادل أنك مقتنع بأن البيت يدل على كل شىء دون حاجة إلى ما أسهب فيه من بيان أصوات الحروف ونغمات المدود ...

وقد أحسن الأستاذ بالاستعانة بريشة الرسام إلى جانب قلمه فى تجلية بعض الصور التى اشتمل عليها ديوانا شوقى وحافظ ، ولكن الصورة التى رسمت بإزاء بيت حافظ :

واسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطيق الكلام إلا بهمس

لم تكن موفقة ، فهى تمثل الشرّاب والساقى فى أزياء من العصور القديمة ، وبأيديهم آنية قديمة ، كأن قائل البيت أبونواس لا حافظ إبراهيم ، على أن أشخاص الصورة يبدون فى غاية الوقار كأنهم فى حلقة درس لا فى مجلس شراب ..

الآراء القديمة في شوقي وحافظ :

الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين بك والأستاذ إسماعيل مظهر والأستاذ محمد توحيد السلحدار بك ، كان لكل منهم رأى قديم فى شعر شوقى وحافظ ، فهل ظلوا على آرائهم أم جلا لهم الزمن آفاقاً جديدة ينفذ فكرهم منها إلى رأى جديد ؟ سألتهم مجلة « الكتاب » هذا السؤال فأجابوا :

قال الدكتور طه إنه لم يغير رأيه فيهما ، ومما قاله عنهما : « وإذا لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما وأتمنى للشعر العربى الحديث فقد لا ينبغى أن نلومهما فى ذلك وأن نذكر قول عمرو ابن معدى كرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرَّتِ

فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه ، وقد أديا إلينا ما ألهمهما هذا العصر فأحسنا الأداء » .

ويحضرنى — لذلك — رأى للدكتور طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء » مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب . فأى الرأيين ما زال يرى ..؟

ورأى الأستاذ مظهر القديم أن خيال الشاعرين أرضى وأن نزعاتهما أرضية على خلاف طاغور شاعر الألوهية. وقال إنه لا يزال عند هذا الرأى ، وهو يرى أن الشعر ليس اللفظ ولا الوزن ولا القافية ولا الموضوع ولا الأداء ، لأن هذه أعراض ، وإنما الجوهر أثره فى نفسك ، وقليلا ما يخاطب الروح أو النفس شعر شوقي وشعر حافظ ...

ومجمل رأى السلحدار بك الذى نشره منذ تسعة وثلاثين عاما، أنه يرجح كفة حافظ على شوقى ، لأن الأول شاعر الجلال ، والثانى شاعر الجمال، والجلال فوق الجمال؛ ولأن ملكة اللغة العربية كانت راسخة فى حافظ أكثر من رسوخها فى شوقى ؛ ولأن شعر حافظ بما فيه من نفحات القوة والقومية شاف للنفس ، أما شعر شوقى فكان شعر الرفاهة والنعيم ؛ ولأن حافظاً أكثر كناية عن وجدانه فى شئون وطنه ؛ وشوقى أبعد منه عن ذلك . وقال إن الشاعرين قرضا بعد ذلك شعراً كثيراً فى نحو ربع قرن ، وإنه لا يصح الجواب عن السؤال بغير مراجعة هذا الشعر ، ولا تسعد الحال على ذلك إلا فى مدى طويل ، ولكنه مع ذلك يجيب بقوله : « أغلب الظن أن حافظاً ظل يقول أكثر شعره فيما يتعلق بالشئون القومية ، ولم يستمر فى محاولته التخلص من أغلال طريقته القديمة ، أما شوقى فلولا تهكم بعض أئمة الأدب القديم على قصائده فى صباه عقب عودته من أوربة لكان التجديد أظهر فى شعره »

أما الأستاذ العقاد فقد قال إنه دون فى مذكراته اليومية قبل نيف وثلاثين سنة أن اسم الشاعر بلغتنا يشير إلى تعريفه ، فليس الشاعر من يزن التفاعيل ، وليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، ولا من يأتى برائع المجازات وبعيد التصورات ، إنما الشاعر من يشعر ويُشعِر . وكان بهذا المقياس يقيس شوقياً وحافظاً ، فقال عن حافظ : « يعجبنى منه ذاك الجلال ، وإن كنت أعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سمواً فى الشاعر أو أفضلية لها على شعراء الجمال » إلى أن قال « وأما فيما عدا ذلك فشعر حافظ، كما قال فيه الدكتور شميل — ولم يرد أن يطريه — كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه متهدماً ، فهو يعتمد فى تعبيره على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر من اعتماده على الابتداع أو الخيال »

وقال الأستاذ الكبير إنه كان يعيب « رسميات » شوقى دائماً أو تقليدياته . ثم قال إن هذا الرأى فى الشاعرين لم يتغير كثيراً ، ولكنه يرجع فيهما إلى مقاييس أعم وأوسع ، وأجمل هذه المقاييس فى ثلاثة ، أولها أن الشعر قيمة إنسانية وليس بقيمة لسانية ، وثانيها أن القصيدة بنية حية وليست قطعاً متناثرة يجمعها إطار واحد ، وثالثها أن الشعر تعبير وأن الشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس بذى سليقة إنسانية . ثم قال : « وإذا عرضت الشاعرين — شوقياً وحافظاً — على هذه المقاييس الثلاثة صح أن تقول : إن حافظاً أشعر ولكن شوقياً أقدر ، لأن ديوان حافظ هو سجل حياته الباطنة لا مراء . أما ديوان شوقى فهو (كسوة التشريفة) التى يمثل بها الرجل أمام الأنظار»

رأى المازنى :

والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى هو الباقى من نقاد شوقى القدماء ، وقد تفقدته بينهم فى « الكتاب » ولكنى وجدته فى « الهلال » أعنى وجدت مقالا له عن شوقى ، أما هو نفسه فلا أمثله إلا جالساً إلى مكتبه فى « معمل مقالاته » يكتب .... ويكتب . هذه مقالة لأخبار اليوم ، وثانية للمسامرات ، وثالثة للاثنين ، ورابعة للبلاغ ، وخامسة للمصرى ، و ... الخ ويخيل إلى أنه يكتب مقالات (جاهزة) لتدفع إلى من يطلبها دون انتظار

والمقالة التى كتبها للهلال عن شوقى ، هى وإن كانت من (الموصى عليه) إلا أنها على كل حال من نتاج « المعمل » فهى متأثرة بجوه الذى تسوده سرعة الإنجاز ، فالأستاذ ليس متفرغاً لإنضاج رأى جديد فى شعر شوقى ، بل لتذكر رأيه القديم ... فلا بأس بأن يملأ بعض الصفحات ببعض الحوادث والنوادر التى جرت بينه وبين شوقى ، حتى إذا جد الجد فاقتضى الحال أن يقول شيئاً فى شعر شوقى قال : « وما زال رأيى فى شعره كما كان .. وهو أنه كان فى صدر حياته أشعر منه فى أخرياتها ، ولكنه فى العهد الأخير كان أبلغ عبارة وأعلى بياناً » وليس هذا هو رأيه الذى كان .. لأن المازنى هو أحد أستاذى المذهب الجديد الذى عارض شوقى والذى تراه فى كلام العقاد الأستاذ الآخر للمذهب الحديث. وقال إن شوقى « اقتنع بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل ليس يجدى ، فتحول إلى وضع الروايات الشعرية التمثيلية » فهل وضع الروايات الشعرية يقتضى أن نظم القصائد عبث وباطل ؟ وهل تحول شوقى عن نظم القصائد ؟ والأستاذ نفسه يقول بعد ذلك إنه « لم ينقطع عن نظم القصائد المألوفة » فكيف يتفق هذا وذاك ؟ وقال الأستاذ المازنى إن شوقى مدين لخليل مطران بك لأنه « أول من أدخل شيئاً من التجديد على الشعر فى مصر وتبعه شوقى » وقد أسرف القوم فى الإشادة بتجديد مطران ، وما نراه يفترق كثيراً فى التجديد عن شوقى وطبقته ، بل تجديد شوقى أظهر فى التمثيليات لا من حيث النوع فحسب بل كذلك فى المنحى الشعرى

وبعد فالمازنى رجل له ماضيه فى الأدب ، كما قلت فى مناسبة سابقة ومن حقنا بل من واجبنا ألا نغفله ..

إمارة الشعر :

رأت مجلة « الهلال » بمناسبة ذكرى شوقى أمير الشعراء أن تستفتى القراء فيما يلى :

(١) من هم الشعراء الخمسة الأول بين شعراء العرب الأحياء فى مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والحجاز ؟

(٢) من هو أجدر الشعراء بلقب الإمارة الآن ؟

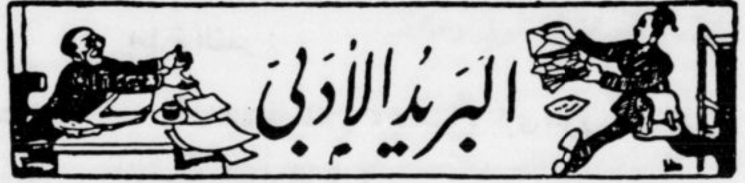
فأولاً — هل إمارة الشعراء منصب شاغر نشعر بضرورة ملئه ؟ وهل دولة الشعر فى حاجة إلى أمير ينظم أمورها ويقوم على شئونها ويحفظ الأمن فى أرجائها ويحمى ثغورها وأطرافها ويدفع عنها وباء الكوليرا .. ؟

لقد كان إطلاق لقب « أمير الشعراء » على شوقى حادثاً فذاً ، لم يسبق له نظير فى تاريخ الشعر العربى رغم أحاديث المجالس التى كان يسأل فيها عن أشعر الشعراء ، ولم يكن أشعر الشعراء إلا قائل بيت أو بيتين أو أبيات وقعت فى نفس المجيب عن السؤال موقعاً حسناً ، على أنه لم يصر لقباً لأحد ، كما أنه ليس لهذا اللقب نظير فيما نعلم من الأمم الأخرى ، وإطلاقه على شوقى كانت الدعاية أهم أسبابه . فلم نتشبث به الآن ؟

وثانياً — لو سلمنا بلزوم أمير للشعراء ونظرنا فى طريقة استفتاء الهلال فيمن هو أجدر بلقب الإمارة الآن — لوجدنا هذه الطريقة غير سليمة ، لأن الذين سيجيبون الاستفتاء وينتخبون أمير الشعراء أقلهم من يقرأ الشعر ويتذوقه ويعطى (صوته) راشداً ، والأكثرون ليسوا كذلك ، بل منهم من لاحظ له إلا سماع أسماء المشهورين من الشعراء ، فهل تؤدى حكومة هؤلاء ، إلى حكم مقبول ؟ والشعر الآن يتجه اتجاهات جديدة لا يستطيع فهمها وتقديرها إلا خواص الأدباء ، فكيف يحكم فيها عامة القراء ؟

ويأخذ الكثيرون على قانون الانتخاب العام أنه يجعل للأميين حق الانتخاب ، والواقع أن هؤلاء الأميين يستطيعون تقدير كفايات أعضاء البرلمان أكثر مما يستطيع كثير من قراء الصحف والمجلات تقدير الجدارة بلقب أمير الشعراء .

« العباس »



فرعون :

للكلمة فى الرسالة ٧٤٧ : فرعون بكسر الفاء وفتح العين وبضم الفاء وضم العين ، وبضم الفاء وفتح العين ، وهاتان لغتان نادرتان . والاثنان هو — كما يقول أبو زياد — أو هما — كما يقول أبو الجراح — من حزب همزة الوصل .

(س)

إلى الأستاذ العمارى

قرأت فى العدد ٧٤٣ من الرسالة الغراء كلمة قيمة للأستاذ على العمارى بعنوان « شىء من الصراحة » بحث فيها مشكلة الضعف الذى عم الطلاب فى اللغة العربية ، وأسبابه التى أدت إلى التواء ألسنتهم ، والعلاج الذى يراه لهذا الداء الذى يهدد كيان اللغة الوطنية التى نعتز بها .

وإنى أوافقه فيما يراه . ولكن الأستاذ قد ذكر أن « فى مدرسة عالية همها تخريج مدرسين للغة العربية يترك الطلاب كتاب الأشمونى ليقرءوا ملخصاً له وضعه أحد الأساتذة كأنهم فى مدرسة ابتدائية ثم هم يمتحنون فى هذا المختصر »

ولا شك أنه يعنى بهذا « كلية دار العلوم » وأحب أن أبين للأستاذ أن أساتذة دار العلوم ما زالوا يشرحون « حاشية الصبان على الأشمونى » ويكلفون الطلاب باستذكارها ، ومعظم أسئلة الامتحان تطبيق على مسائل فى الحاشية .

وإنى إذ أقرر هذه الحقيقة لست ممن يدعو إلى دراسة الحواشى وضياع الوقت فى مناقشات لفظية عقيمة ، فإن قيل إنه لابد من ذلك لكلية اختصت بدراسة اللغة العربية . أجبنا إن أرادوا هذا فليرفعوا عن كاهل الطالب فى دار العلوم ما لا صلة بينه وبين علوم اللغة من مثل « الطبيعة والكيمياء واللغة العبرية ، واللغة الفارسية » لأن لهذه العلوم كليات اختصت بها ، والطالب قد درس ما يكفيه من بعض هذه العلوم فى المرحلة الثانوية .

محمد هاشم عبد الدائم

حول قصيدة :

نشرت « الرسالة » فى عدد مضى مقالة للأستاذ محمد هاشم عطية بعنوان « فى العراق الشقيق » . وفى آخر المقالة قصيدة للأستاذ ألقاها فى الربيع الماضى ترحيباً بالوفد السودانى عند زيارته لبغداد ؛ قال فيها :

واسألوا الدهر والقرون الخوالى فسيشهدون أننا أخوان

والبيت مكسور

وتخطر فوق الأصيل نديا من نشر الربا وطيب المجانى

والبيت مكسور « وفوق الأصيل » تعبير لا يسوغه الذوق والبيت لا تجمعه مناسبة بين ما قبله وما بعده من الأبيات .

فهنيئاً لكم بما قد حبيتم ثقة الشعب وحى هذا الأوان

فقوله « وحى هذا الأوان » تكملة للبيت لا غير دون نظر إلى المعنى أو الأسلوب أو المقام .

ويقول فى تصوير عمل المستعمر بوحدة النيل وعجز ذلك عن التفرقة بين مصر والسودان :

كان منها مكان ناطحة الصخر بقرن عضب ورأس هدان

نعم فلم يصنع المستعمر شيئاً وكان كناطحة الصخرة الصماء بقرنيها ؛ فالشطر الأول قوى وسليم ؛ أما الشطر الثانى فلا أدرى ما فائدته ، فالماشية مثلا تنطح بقرونها ورأسها ، ووصف القرن بعضب والرأس بهدان لا يجدى شيئاً . وشتان بين البيت وقول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقوله بعد البيت — ببيت واحد — :

تعصف الحادثات من جانبيها فى الصفا العصم من ذرى ثهلان

يدل على ضعف قوة هذه الوحدة أمام الحوادث ، وما كان أغناه عن ذلك .

وبعد فليس فى القصيدة إلا الوزن والألفاظ ، وما كان أغنى الأستاذ عن أن يعد نفسه فى زمرة الشعراء .

محمد عبد المنعم خفاجى

مكتبة وقفر :

من محاسن المصادفات أنه فى الوقت الذى كتب فيه الأستاذ (العباس) كلمته اللاذعة من بعض عيوب دار الكتب المصرية

(عدد ٧٤٣) وافانا البريد الأمريكى — ضمن رسائله — بتقرير هام بالنسبة لنا عن مكتبة بلدة أمريكية صغيرة تدعى (دنفر Denver) . ووجه الأهمية فى هذا التقرير أنه يوضح لنا بجلاء كيف أمكن لبلدة صغيرة كهذه أن تؤسس لها مكتبة ناجحة ومن ثم يساعدنا على استنتاج أن علة جمود دارنا ونشاط دور الكتب الأمريكية مثلا ليست — كما يعتقد الكثيرون — راجعة إلى الفرق الواضح بين مصر وأمريكا من حيث عدد السكان أو الثروة العامة أو ما شابه ذلك بقدر ما هى راجعة إلى الفرق بين نظام ونظام وبين اتجاه واتجاه .

ذلك لأن مهمة دور الكتب عندهم بصفة إجمالية ليست مجرد « إعارة الكتب » لمن يستطيع أن يستعيرها كما هو حادث لدينا بل تيسير الثقافة بصفة شاملة تيسيراً جدياً ومجدياً للمواطنين جميعاً كباراً وصغاراً على اختلاف ظروفهم وأمزجتهم وحالاتهم المادية والثقافية . بمعنى أن دارنا تعرض كتباً لا يستفيد منها غير الأدباء غالباً بينما دورهم تعرض مراجع من كل لون وفن بحيث يمكن أن يستفيد منها الزارع والموظف والتاجر والتلميذ والكاتب والشاعر والفيلسوف وذو الثقافة المحدودة والمليونير والفقير والرجل والمرأة إلخ . وبمعنى أن دارنا تترك كل فرد لنفسه يتخبط — إن استطاع — فى طريقة البحث بينما دورهم تتعاون معهم تعاوناً وثيقاً فتهىء لهم طرق التحصيل المثمر كما تنظم مناظرات فى كل أنواع « المعرفة » ومحاضرات مشوقة للأطفال وأحاديث مناسبة للسيدات وتصدر نشرات سنوية وأحياناً نصف سنوية عن جهودها ونظمها وتطوراتها وما يوجه إليها من نقد وما تتوخى إصلاحه .. إلخ .

ولعل هذا كله راجع إلى سبب أصيل هو شغفهم — دوننا مع الأسف الشديد — بتثقيف أنفسهم فى شتى مرافق الحياة بدليل لا يقبل الجدل وهو أن دورهم لا تعتمد على الحكومة كدارنا بل على المواطنين أنفسهم فهم الذين يتولون وحدهم شؤونها من إنفاق أو إدارة أو إشراف . والنتيجة المنطقية التى لا مناص منها أن نشاطنا الثقافى يخضع حتما للاجراءات الحكومية بقدر ما تسمح به « الميزانية » و « اللوائح » حتى لقد أصبح من الأمور العادية التى نسمعها بغير دهشة أن كتاباً (كالأغانى) مثلا لا تزال بقية من أجزائه « تحت الطبع » بالدار منذ سنوات طويلة ... وكتاباً مثل (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) لا يزال دون طبع إطلاقاً فيما عدا جزءاً واحداً منه ... وكم من كتب قيمة لم تطبع بعد أو لم تجلد بعد أو لم تصحح بعد وهكذا !

يمكن أن يقال إذن أن معظم الفرق بيننا وبينهم بهذا الصدد لا يمت إلى اختلاف عدد السكان أو الثروة العامة أو نحو ذلك بصلة كبيرة . وإلا فإنه من غير المعقول أن تقارن — من هذه النواحى — بين عاصمة عظيمة كالقاهرة وبلدة صغيرة جداً مثل (دنفر) فهذه بلدة لا يكاد يدرى بها أحد إذ لا تزيد تعدادها الآن عن ١٥٨٠٠٠ نسمة وليس لها ميزة معينة ولا شهرة خاصة ورغم هذا فقد استطاعت مكتبتها — حسب ما جاء بالتقرير الذى أسلفت الإشارة إليه — فى فترة قدرها حوالى ٤٠ سنة بعد إنشائها أن تمحو الأمية والجهالة من البلدة وضواحيها محواً تاماً ولا تزال عاملة إلى الآن على نشر المزيد من الثقافة والمعرفة بمنتهى الجد والنشاط . ويكفى شاهداً على مقدار تقدمها أن كل ثروتها عند افتتاحها عام ١٨٤٢ كانت ٣٥ مجلداً فبلغت اليوم ٥٠٠٫٠٠٠ مجلد تقريباً أى ما يعادل ثلاثة أمثال عدد المواطنين جميعاً .

وليست العبرة بكثرة ما فى المكتبات من مجلدات وإنما بمقدار تداولها والاستفادة منها طبعاً .. ولهذا نجد أن أهم الأقسام فى هذه المكتبة وأضخمها جهداً هو قسم التوزيع كما نجد أن أبرع أعماله هو توصيل الكتب بواسطة سيارات معدة لهذا الغرض إلى القاطنين فى الضواحى أو القرى المجاورة وإلى الفلاحين فى مزارعهم وإلى العمال فى مصانعهم وإلى المرضى فى المستشفيات ... إلخ . وعلى ذلك يندر — كما يؤيد التقرير — أن تدخل منزلا هناك دون أن تجد فى أوقات الفراغ رب البيت يقرأ ما يزيده خبرة أو متعة .. وربة البيت تقلب بين يديها (كتالوجات) عن فنون الطهى وألوان الطعام .. والأطفال يستمتعون بكتب مزدانة بصور هزلية طريفة ترمز إلى معان مختلفة .. والخدم يطالعون قصصاً وإرشادات صحية . ونحو ذلك .

ومن طريف ما يذكر عن هذه المكتبة أن أغلب وظائفها — كمعظم المكتبات الأمريكية — مقصورة على النساء ولهن نصف كراسى المجالس العليا التى تتولى الإشراف عليها وكثيراً ما يظفرن بكرسى الرياسة !؟

عبد الفتاح البارودي



كتاب «الله»

(تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد)

بقلم الأستاذ محمود عماد

حاولت أكثر من مرة أن أكتب كلمة عن كتاب (الله) ولكني ما كنت أهم حتى أحجم . لأن غرض الكتابة لا يعدو تقديم المؤلف ، أو تقديم الكتاب . أما المؤلف فهو غنى عن التقديم لأنه (العقاد) ، وأما الكتاب فانى أرى كل تقديم له تأخيراً . اذ هو ليس من الكتب التى تلم بها الكلمة العابرة ، وتضع منها أمام القارىء صورة مصغرة .

وإذا كانت كل أوراق مغلفة تسمى كتاباً ، فأن هذه الأوراق شىء أجل من كتاب . إنها حادثة من حوادث القلم التى لا تقع فى عالم التأليف إلا فى آماد متباعدة .

ولو أن هذا الكتاب ظهر فى بلاد غير مصر لكان له فيها دوى يزلزل آلاف الكتب عن رفوفها . ولكنه ظهر فى مصر فكان حسبه أن يجد له بين كل ألف رف مكاناً واحداً ، وأن يكون هذا المكان هو أهدأ أمكنة المكتبة حركة ، حتى يأذن الله فيقيض له مترجماً يترجمه إلى لغة أجنبية . عند ذلك يحدث الدوى ، وتكون الزلزلة . اذ يرى فيه العالم أول كتاب تقصى تاريخ العقيدة البشرية ، من عهد الطوطمية إلى عهد التوحيد ، مستهديا بالعلم والفلسفة والألهام ، مذ طور الخلية حتى طور العقل

وهى رحلة طويلة شاقة إلا على قلم رحال متقص كقلم العقاد الذى حقد فى فناء كتابه مؤتمراً من فلاسفة الأمم ، شرقيها وغربيها ، قديمها وحديثها ، تبوأ فيهم العقاد مكان الصدارة ، وأخذ يناقش كل فيلسوف رأيه ، نقاش الخبير بكل رأى ، فيخذل هذا حتى لا يجد له من ناصر ، وينصر ذاك حتى لا يتصدى له خاذل . ثم يخلص إلى رأيه الخاص ، يطالعك به واضحاً مشرقاً كالشمس تخلصت من السحب ، فى عبارة غنية ، وحجة حاسمة ، ومنطق مستقيم . وهى صفات التفوق .

قلت إن كتاب (الله) لا يلخص ، ولكنه يقرأ .

فليقرأه من يريد أن يمتز بالعبقرية الشرقية ، والبيان العربى .

وما كتبت هذه الكلمة تقديما للكتاب ، ولكن لأجد بها فرجة فى جو (الرسالة) الفسيح من شعور مكبوت يغالبنى منذ قرأته . بل هو يغالبنى كلما قرأت محضر ساعة من ساعات العقاد التى يجلسها بين كتبه . تلك الساعات الحافلة التى أقول فيها بحق :

عباس طرت إلى السماء ولمست ذرات الضياء
ونفذت قبل إلى طبا ق الأرض من يبس وماء
لم تحتجب عنك الكثا فة ، لا ولا دق الصفاء
أفأنت روح خالص أم أنت سر الكهرباء ؟
كلا ، فأنك مثل هذ ا الناس محدود البناء
يعروك ما يعروهمو من راحة أو من عناء
فبم اهتديت إلى الذى ضلوا واحصيت الخفاء ؟
هـذا بأنك شاعر والشعر يعرف ما يشاء
والشعر يبدو فى النظ يم أو النثير على السواء
ساعاتك الغر السوا ع من نفاذ وامتلاء
جثم الزمان بها كما جلس الوليد القرفصاء
وتحدثت فيها الحيا ة بغير لبس والتواء
أكبر بساعتك التى وسمت نواميس البقاء
فى أى حجم صيغ (عقر بها) وفى أى استواء ؟
أتراه فوق الأرض ركب أم على وجه السماء ؟
يا ليته قيست به أعمارنا قبل الفناء
فأذا بها تضفو كأعما ر النجوم على الفضاء

محمود عماد



قصة تاريخية :

الجـــزاء !!

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

قال موسى بن نصير : « إنها يا صاحبي محنة أحاطت بي من كل جانب ، ولقد بلغ عنت الخليفة بها فوق طاقتي ، وفوق ما يحتمل الرجل الحر الكريم . عزلني من كل أعمالي فأذعنت ، وجردني من كل مالي نخضعت ، وأتهمني بالغدر والخيانة في مال المسلمين فصبرت ، وأهانني ... أجل ! أهانني فاحتملت الأهانة بالتوجه إلى الله تعالى أن يثيبني عليها ثواب الصابرين ، وإن رجائي في الله المظيم ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد فرض عليّ الخليفة غرماً باهظاً من المال لا أملك منه درهماً واحداً ، ثم كانت الداهية الدهياء ، فإنه يطلبني اليوم ليجز رأسي بالسيف وقد جئت إليك وأنا بين شقي الرحى ... »

« وا أسفاه أيها الصديق ، أيكون هذا جزائي من خليفة المسلمين ومنزلتي في القوم بعد أن بذلت ما بذلت من دمي وجهدي ، وخضت المعارك وروحي على يدي حتى فتحت تلك الفتوح المظيمة وضممت الأقطار الشاسعة إلى دولة الخلافه ؟ ! لقد طلعت بدعوة الإسلام على الملوك من مغرب الشمس وكانوا لا يعرفون مكانها إلا في الشرق ، ولقد وقفت بلواء الخلافة في صميم أوربا وهجمت على ملوكها في عقد دارهم ولولا أن استرجعني الخليفة الوليد بن عبدالملك لبلغت في ذلك النهاية ، وبسيفي جلبت إلى ساحة الخلافة كل ما جمع الملوك على طول السنين من النفائس والثروات ، وما حشدوا من المديد والمددات ، ثم أرى هذا كله يطوى في مطاوى الجحود والنكران ، وتذهب به دسيسة رخيصة من كاشح حقود ، أو عدو كنود ؟ ! »

« اسمع لي أيها الصديق ، فإنه ليس شأني ولكنه خطر يتهدد سمعة الخلافة ويقف في طريق الفتح الإسلامي ، فلن يقدم قائد بعد اليوم كما أقدمت في فتح الفتوح ما دام الجزاء كما ترى ، ولو أني أعرف في جهادي وفي تصرفاتي شبهة أستحق عليها اللوم أو نقصاً يوجب المؤاخذة لأسلمت عنقي لسيف الجلاد راضياً مطمئناً قبل أن أسمع قضاء الخليفة عليّ بذلك ، فأنا كما تعرف لست بالرجل الجبان ، ونحن رجال السيف ، لا نقدر طول الحياة بطول أيامها ولا نحرص عليها لما فيها من المفاتن والزينة والراحة والرفاهية ، وإنما هي حياتنا تقدر بالأعمال المظيمة ، ونمضي فيها على الخروج من شدة لمواجهة شدة أقسى وأصعب ، وإني على ثقة من طهارة صحيفتي وبراءة ذمتي ، وسأقف بين يدي الله وكتابي بيميني في صفوف المجاهدين الأبرار ، ولكني أطمع أن لا أخرج حتى أرى صحيفتي بيضاء أمام الناس وأمام التاريخ ... »

« رحماك يا صاحبي ، لقد شمت بي العدو ، وفرح في العاذل ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، وتوجع لي الصديق ، وفجع بفاجعتي الأهل والولد ، وإني لأعرف منزلتك من سليمان بن عبد الملك ، وأقدر فيك الشهامة والمروءة ، وأعتز بحرمتي عندك فبك أستجير من بطشه ، وألجأ إليك في تخليص عنقي وتطهير سمعتي ، ورفع ذلك الغرم الثقيل الذي سيضطرني إلى التكفف وسؤال العرب في تحمله عني ، وهل تحسبني أحتمل الحياة وأنا أرى كرامتي تبتذل بالسؤال والتكفف ؟ »

قال يزيد بن المهلب : « هون عليك أيها الصديق ، فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع ، وما أنت في محنتك بأول مثل بين الناس ولا بآخر مثل سيكون بين الناس ، فهكذا الأمر في صحبة الملوك ، وقديماً قيل : إن صاحب السلطان كراكب البحر إن نجا من الغرق لم ينج من الخوف ، وإني لأعرف في سليمان بن عبد الملك العناد والإصرار على الرأي ، ولكني باذل جهدي عنده وثق أنها ذمة العرب لا نخرمها أبداً ، وعهد الآباء لا نخونه ولو طاح العنق ، ولقد نزلت بساحتي ، فإني شريك لك فيما تعاني من محنة ، وإني لأضع نفسي وولدي ومالي بين يدي الخليفة افتداء لك ، وأنت آمن في جواري إن شاء الله »

قال موسى : « إنها يد أحفظها لك ، ومروءة أقدرها فيك

وإني على يقين من نجح مسعاك ، لما أعرفه من منزلتك عند الخليفة وقربك من قلبه واحترام رأيك عنده ، والخير في التعجيل »

قال يزيد : « ما كنت أنتظر حتى تتحدث إليَّ في شأنك فقد كنت أتحدث اليوم إلى الخليفة في هذا الشأن ، وإني لذاهب لساعتي لأعاود معه الحديث ، وسأخبره أنك استجرت بي ونزلت بساحتي وأني قد أجرتك وتحملت عنك ، ولكن ماذا أقول لك ؟ لقد سقطت في تبصر الأمر سقطة هي التي جبلت عليك كل هذا فقد كنت تعرف أن سليمان بن عبد الملك كان ولي العهد لأخيه الوليد بن عبد الملك ، وأن الوليد كان قد بلغ الغاية في حياته ، يتوقع الناس له الخروج من الدنيا بين كل صباح ومساء ، ولكنك وقفت على الولاء له ، والارتفاع بمكانته ، وأمهلك سليمان على أن تكون له يوم يجلس لشئون المسلمين وأن تدخر الفخر بفتوحاتك الكبيرة لعهده فأبيت ، فأحفظته بهذا عليك ، ولم تقصر في العناد معه مما مكن للحقد في قلبه ، على أنك من ناحية أخرى قد أغضبت مملوكك طارقاً بن زياد يوم صفعته بالصوت ، فكان بالوقيعة بك عند سليمان »

قال موسى : « مهلا يا صاحبي ، فليس هذا وقت تعديد ولا تأنيب ، لقد كنت أعلم الأمر فيما أوضحت ، وكنت أعرف أن شمس الغد ستشرق على سليمان في أبهة الخلافة والأخذ بالسلطان على المسلمين ، ولكني أعرف أيضاً أن من الواجب علينا أن نقدر لكل إنسان يومه ، وأن نحترم لكل سلطان عهده ، وليس من الحق في الإسلام ولا من الخير للمسلمين وجامعتهم أن نضع المصالح العامة موضع الزلفى للأهواء والأغراض ، وليس من اللياقة أن نحلس مع الوريث نرتب شأن التركة وصاحب المال حيٌّ يتنفس ! ! كان ذلك رأيي حتى لا أتهم بالضعف في خلقي ورجولتي ، وهبني أخطأت ، فما أنا بمعصوم »

قال يزيد : « إنني ما قصدت بما قلت لك تعديداً ولا تأنيباً وإنما قصدت أن أكشف لك عن السر وأن أرى ما عندك » .

فتململ موسى في مكانه ، وجرض ريقه على غصص ، ثم قال : ترى ماعندي ؟ وماذا تحسب أن يكون عندي وأنا على هذه الحال؟ إن الإنسان ليرى الرأي القويم السديد في شأن غيره أما في شأنه هو فأنه يرتبك ويتبلد حتى لا يدري مصدر الأمر من مورده ، فما ظنك بي وأنا رجل اعتدت طول حياتي أن أفكر في شئون الحرب والفتح ، وفي شئون من هم تحت طاعتي من الجند وحولي من الأعوان ، ولم أكن أجد الفرصة التي أفكر فيها لنفسي ، فلا تسألني الرأي فأني لا أملك الآن معياره ، وقديماً قالوا : إن من الحزم في الرأي أن يكون ميزاناً لا يزن كاملا لناقص ولا ناقصاً لكامل ... » .

قال يزيد : « إنني لم أزل أسمع أنك من أعقل الناس وأعرفهم بمكايد الحروب ، وأبصرهم بطبائع أهل السلطان ، وأقدرهم على مداورة الدنيا والتصريف لأحداث الحياة ونوازل الدهر ، وإني والله لأعجب منك كيف وقعت في يد هذا الرجل بعد ما ملكت الأندلس ، ومددت بينك وبين هؤلاء القوم الأقطار الشاسعة والبحار الزاخرة ، وتيقنت بعد المرام عليهم واستصعابه ، واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها وبسطت سلطانك عليها ، وجعلت الإدارة فيها لولدك وهم طوع يمينك ، ثم ملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع لكنت اليوم على رأس دولة يتعاظمون هيبتها وخطرها ، وما انتهى بك الأمر إلى هذه الحال فتضع عنقك في يد من لا يرحمك ! ألا ليتك والله فعلتها يا أخي ! »

فصاح موسى من قرارة نفسه : « كلا ، كلا ، الويل لي لو فعلتها ! والويل لي لو فعلتها !! وهل كنت تحسبني يا فتى المهلب أروم خطة لنفسي أو أبني دولة لولدي ، ألا بعداً لي من رحمة الله إن هجس هذا الخاطر بقلبي مرة ، ألا سحقاً لي لو نزعت إلى هذه الشنعاء وشققت عصا الطاعة على خلافة الإسلام ، وشطرت الأمر في الحكم إلى شطرين ، يقف كل من صاحبه بالمرصاد ، فما هي إلا مراوغات ومصاولات حتى ينقض الأمر من أساسه ، ويذهب سلطان الدين ، وتدول دولة المسلمين ، فالويل لمن يفعلها فيفتح باب الطريق إلى الهلاك والفناء ... يا ابن المهلب : إنها كلمة الله كنت أسير بها في الآفاق ، وأمهد بها لسلطان الإسلام ، وأقوي بها رابطة المسلمين ، وأمكن بها لنفوذ الخلافة وهيبتها ، وما كنت أرجو من وراء ذلك مكانة زائفة ومنزلة زائلة ، ولكني كنت أطمع فيما هو أغلى وأعظم ، كنت أطمع في ثواب المجاهدين عند الله ، وما أحسبه سيحرمني من الجزاء وإن حرمته عند صاحب السلطان » .

قال يزيد : « طوبى لك يا ابن نصير ، فاطمئن في مكانك وإني

لقاصد إلى الخليفة فى شأنك ، ثم عائد إليك » .

***

ورجع يزيد بعد أن تكلم مع الخليفة فى شأن صاحبه ، رجع وعلى شفتيه كلام ، وبين جوانحه هم ممض ، وكان صاحبه فى انتظاره على أحر من الجمر ، وجلس الصديقان متقابلين ، يريد موسى من صاحبه أن يتكلم ، ويريد صاحبه ألا يتكلم …

ومضت فترة كأنها الدهر ، ثم انفرجت شفتا يزيد عن صوت خافت يقول : « لا عليك يا صاحبى فإن الله يتولاك فيما بقى ، ويعلم الله أنى بذلت ما فى طاقتى وأكبر مما فى طاقتى ، وقدمت نفسى ومالى فداء لك عند سليمان ، وإنى فى ذلك لصادق ، وأعلمته أنك نزلت بجوارى ولذت بكنفى واستجرت بحماى وهو يعرف ذمة العرب فى ذلك ، ولكن غضب الملوك أعمى ، قد يحتدم عن غير سبب ، ويمضى إلى النهاية لا يقف به سبب ، ولقد أصر سليمان على موقفه منك ، وأصررت على موقفى منه ، وما زلت به حتى وهبنى دمك وحياتك ، ورضى بأن يرفع السيف عن عنقك ، ولكنه أبى أن يخفف العذاب عنك وأن يكف الإهانة والتشهير بك حتى تدفع ما فرضه عليك من الغرم كاملا غير منقوص ، وترد إليك ما أخذت من مال المسلمين كما زعم » .

فصاح موسى صيحة مغيظة : « أوهكذا صنع ، أو هكذا أبى وأصر ؟! إنا لله ، أفٍ لها من دنيا تافهة وحياة رخيصة ذليلة ، بل أفٍ لجبابرة الملوك ، ما أغدر وما أخون ، بل ما أصغر وما أحقر وهبنى يا صاحبى أذنبت ، وجئت بالشنعاء التى لا تجوز ، فأى رجل هذا الذى لا يسمى بحلمه وهو الذى يسع الخلائق بحكمه ، ألا ليتنى صرت إلى باطن الأرض قبل اليوم ، ولعل الله منَّ على بطعنة فارس فى حومة الوغى فصرعت مصرع الأبطال ، ولكنه قدَّر على كل هذا العناء ..»

« رحماك يا فتى المهلب ، وإنى لشاكر لك مسماك ، وحافظ يدك الغامرة ، فقد أوفيت لى بحق المروءة ، ونهضت نحوى بعهد العرب وذممهم ، ولكنها لحاجة منى ، والمكروب لجوج ، والنفس فى حومة الأسى لا يربطها تفكير ولا رأى ، وماذا تحسبنى بمستطيع أن أصنع ، وليس فى يدى شىء من المال ، وليس لى فى العرب القبيل الذى يحمل عنى ذلك الغرم الفادح ؟ »

قال يزيد : « إنى لأعرف ذلك ، وإنه ليكرب نفسى ، ولقد مررت فى عودتى إليك من عند الخليفه بأحياء العرب وتحدثت إليهم فى الأمر ، فتحملت عنك « لخم » تسعين ألفاً ذهباً ، ووهبتك من مالى ما زاد على النفقة ، ودفعت بذلك إلى الخليفة حتى يرفع عنك العذاب والإهانة انتظاراً لوفاء ما بقى من الغرم المفروض ، وما أحسب أن رؤساء العرب سيردونك إذا قصدتهم وهم الذين يعرفون لك ما أسديت فى الفتح والجهاد ، والله يتولاك فى كشف هذه الغمرة … » .

وسمع موسى من صاحبه ما تكلم به ، فلم يرد بكلمة ، ولم يزد على أن تمتم تمتمة غير مفهومة ، ثم صعَّد من أعماق نفسه آهة محترقة .

***

وأصبح الصباح على موسى بن نصير ، وهو يطوف بالقبائل ، ويتنقل بين أحياء العرب ، ومعه جند الخليفة والموكلون بتعذيبه ، وذلك نفس القائد المظيم الذى فتح الأمصار ودوخ الأقطار ووقف بكلمة الإسلام فى قلب أوروبا حتى بلغت به الحال أن يسأل الناس ما ينجى به نفسه ويخفف من العذاب فى جسمه .. قال غلامه الذى وفى له من دون الناس ، ولازمه فى حالى نعمته ونقمته : « لقد كنت أطوف مع الأمير موسى بن نصير فى أيام محنته على العرب ، فواحد يجيبنا وآخر يحتجب عنا ، ولربما دفع إلينا الدرهم والدرهمين رحمة بنا فكان الأمير يفرح بذلك … ولقد كنا أيام الفتوح العظام بالأندلس نأخذ الأسلاب من قصور الإفرنج وخزائن الملوك فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وأشباهه ونرمى به ، ولا نأخذ إلا الدر الفاخر . . ولقد رأيت الناس جميعهم يتحرقون على أن يكونوا فى خدمة الأمير أيام دولته ، ثم رأيتهم ينفضون عنه جميعهم أيام محنته .. ولقد نزلنا بوادى القرى نسأل العرب ، فعزم رجل كان من قبل فى خدمة الأمير على أن يسلمه لحتفه ، ففطن لذلك الأمير ، فذلَّ له ، وقال . يا فلان : أتسلمنى فى هذه الحال ؟ فقال له اللئيم : « لقد أسلمك خالقك ومالكك الذى هو أرحم الراحمين » ، فدمعت عينا الأمير ، وجعل يرفعهما إلى السماء ضارعاً خاضعاً وهو يزم شفتيه ويتمتم بكلمات غير مفهومة فما سفرت تلك الليلة القاسية الحالكة إلا عن قبض روحه » ..

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٦ — الاثنين ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

الطابور الخامس في حرب الكوليرا : أحمد حسن الزيات ١١٣٩
حديث الدولتين ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١١٤٠
من شوارد الشواهد ... ... : الأستاذ على الطنطاوي ١١٤٢
رأي الأكثرية في السياسة الشرعية : الدكتور السيد محمد يوسف الهندى ١١٤٥
حول مؤتمر الآثار بدمشق ... : الأستاذ مصطفى كامل إبراهيم ... ١١٤٧
الجبل الملهم ... ... : الأستاذ مناور عويس ١١٤٩
جغرافية البلاد ... ... : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١١٥١
الغزل في شعر المرأة ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١١٥٣
صور ... ... (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ١١٥٦
فلسطين رمز جهاد العرب « : الأستاذ إبراهيم الوائلي ١١٥٦
ديوان شعر ... ... « : الأستاذ بدر شاكر السياب ... ١١٥٧
«صور من المنظار» : هكذا تكون الشرطة!... | الأستاذ محمود الخفيف ١١٥٨
« تعقيبات » : الأصدقاء والأعداء — لازاريت ... والأزهر — ١١٥٩
على مبارك باشا — إمارة الشعر ١١٦٠
« الأدب والفن في أسبوع » : أدب القوة — النشيد القومي للعرب ١١٦٣
— ذكرى شوقي في نادي المرشدين — سجع الزعماء — التعليم الجامعي
والأدب — القصة المصرية ١١٦٥
« البريد الأدبي » : بيان — تعليق — خبر — خشية الالتباس — ١١٦٦
تكذيب خبر — بوابة المتولي — عدد سكان العالم ومذاهبهم ١١٦٧
ملك الموت ! ... ... (قصة) | الكاتب الانجليزي فيليب بنيت بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد ١١٦٨

المدد ٧٤٦ – الاثنين ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

الطابور الخامس في حرب الكوليرا : أحمد حسن الزيات ١١٣٩
حديث الدولتين ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١١٤٠
من شوارد الشواهد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١١٤٢
رأي الأكثرية في السياسة الشرعية : الدكتور السيد محمد يوسف الهندى ١١٤٥
حول مؤتمر الآثار بدمشق ... : الأستاذ مصطفى كامل إبراهيم ... ١١٤٧
الجبل الملهم ... ... : الأستاذ مناور عويس ١١٤٩
جغرافية البلاد ... ... : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١١٥١
الغزل في شعر المرأة ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١١٥٣
صور ... ... (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ١١٥٦
فلسطين رمز جهاد العرب « : الأستاذ إبراهيم الوائلى ١١٥٦
ديوان شعر ... ... « : الأستاذ بدر شاكر السياب ... ١١٥٧
« مهورراء المنظار » : { هكذا تكون الشرطة!... } الأستاذ محمود الخفيف ١١٥٨

« تعقيبات » : الأصدقاء والأعداء — لازاريت ... والأزهر — ١١٥٩
على مبارك باشا — إمارة الشعر ١١٦٠

« الأدب والفن في أسبوع » : أدب القوة — النشيد القومى للعرب ١١٦٣
— ذكرى شوقى في نادي الخريجين — سجع الزعماء — التعليم الجامعى
والأدب — القصة المصرية ١١٦٥

« البريد الأدبي » : بيان — تعليق — خبر — خشية الالتباس — ١١٦٦
تكذيب خبر — بوابة المتولى — عدد سكان العالم ومذاهبهم ١١٦٧
ملك الموت ! ... ... (قصة) { الكاتب الانجليزى فيليب بنيث بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد } ١١٦٨

٢٩٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 746
Lundi — 20 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الطابور الخامس في حرب الكوليرا

عبأت الحكومة المصرية لجهاد الكولرا الإنجليزية قُوى الدولة، وتجهزت للقائها بأحدث الأسلحة من عزل وحصار وعلاج وتلقيح وتطهير ودعاية. وكان المرجوّ من كل أولئك أن يموت الداء الوليد في مهده، وينكفئ الوباء العنيد عن قصده، وترفضّ مخاوف الموت عن البلاد في مدى أسبوعين كما وعد بذلك أولو الأمر في أول الأمر. ولكن شهراً يوشك أن ينصرم والعدوى السريعة لا تزال تسْرى، والعلة الثقيلة لا تزال تستشرى، والموت بمنجله الحاصد لا يزال يسبق الآجال في كل بقعة! فبما ذا نعلل هذه الهزيمة وأسباب النصر موصولة ونتائجه مكفولة وطرائقه مؤدية؟ نعللها بأن في صفوف العدو طابوراً خامساً يهيء للمرض الوقود ليشتعل، ويشحذ للموت المناجل ليحصد! ذلك الطابور الخامس هو أطباء وزارة الصحة! ومن الإنصاف ألا نعمم الحكم؛ فإن من هؤلاء فريقاً لا يزالون أوفياء للانسانية خلَصاء للمهنة، لم يفجُروا في يمين أبقراط ولم يخرجوا عن قانون ابن سينا. ولكن هذا الفريق لم يعرفوا أسفاء الإقليم الذى نعيش اليوم فيه!

أكثر هؤلاء الأطباء مهمومون بالمال، يتهالكون على جمعه، ويتنافسون في ادّخاره. وهم في سبيل تحصيله يسْفهون الحق، ويغفلون الواجب، ويجهلون الرحمة، وينكرون الحسنى، ثم يخفون القلب عن الفقير ليظهروه بالثمن للغنى، ويصدّون عن الدخول في المستشفى ليسهلوا الدخول في العيادة، ويكلون تطبيب المرضى لأجلاف الممرضين وجفاة الخدم، ليلعبوا النرد في القهوة، أو يلهوا بالورق في النادى! ومن جرّاء هذا الإهمال والاستغلال والعنت استحب الناس المرض على الصحة، وفضلوا الحلاق على الطبيب، وضنوا بمرضاهم على المنازل فلم يبلغوا (المركز) عنهم، حتى لا يموتوا وحَداء في وحشة، ولا يدفنوا غرباء في مهانة.

هؤلاء الأطباء وأشباههم من غير الموظفين تعرفهم الحكومة بالسماع والخبرة. ولولا سوء رأيها فيهم، وترجيحها ما شاع في الناس عنهم، لما جعلت ألف جنيه مكافأة لكل من يبلغها أن طبيباً تاجر بلقاح أو لقّح بأجر.

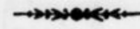
وإنك لتعجب أن يكون في الناس من لا يشغَل باله في سورة الوباء إلا بالثراء، ومن طبيعة الإنسان إذا اكتنفته ظواهر المرض ومظاهر الموت أن يخشع قلبه وتزهد عينه؛ ولكن عجبك ينقضى إذا حشرك الله في زمرة هؤلاء الذين يعيشون على حساب المرض والموت، فجعلك طبيباً أو ممرضاً أو حانوتياً أو نحو ذلك؛ فيومئذ تشعر بحكم الإلف والعادة أنك أشبه بخدمة الموائد في حفلة العرس، أو بحملة القماقم في موكب الجنازة، لا يعنيك من الأمر غير الأجر، ولا يغنيك عن شأنك شؤون الناس.

على أن في الطبابة جزءاً من النبوة وشطراً من الحكمة، وعلى هـذا الشطر وذلك الجزء يعوّل الناس في إيقـــاظ الضمير الإنساني في هؤلاء الأطبـاء فيعودون كما كانوا رسل سلامة وملائكة رحمة.

(التتمة:) احمد حسن الزيات

حـــديث الدولتين

للأستاذ محمود محمد شـــاكر



الآن حصحص الحق ، ولم تبق فى نفس ريبة تحجبها عن رؤية الحقيقة سافرة بينة واضحة تكاد تنطق وتقول ها أنذا فاعرفونى؛ فهذه بريطانيا أم المكر والدسائس قد دخلت أرض فلسطين العربية ليقول قائد جيشها يومئذ حين وطئت قدماه المدنستان هذه الأرض المطهرة : « هذه آخر حرب صليبية » ، فكان ذلك إعلاناً عما اعتمل فى نفوس أولئك الغزاة من سخائم الحقد والضغينة والعصبية الجاهلية الوروثة ، ثم لم تلبث هذه الدولة أن نكثت عهودها للعرب ، وكانت قد قطعت هـذه العهود على نفسها لتستجر معونة العرب لها فى الحرب العالمية الأولى . ولم يكن ذلك فحسب ، بل إنها كانت تكيد للعرب من وراء حجاب فقطعت عهداً آخر يناقض عهودها للعرب ، وكان هذا العهد لرجل غير مسئول من الأفاقين الصهيونيين المتعصبين. فلما دخلت فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى أظهرت أنها دولة لا تستطيع أن تنقض عهدها فإن العهد هو شرفها الشامخ الباذخ النقى الطاهر، فمن أجل ذلك أصرت على أن تحمى اليهود الذين جاءوا من أرجاء بلاد الله ليحتلوا أرض فلسطين . وظلت وكالات الأنباء تطمس حق العرب فيما تنشره الصحافة ، وتجلو باطل اليهود جلاء منيراً حتى انخدعت الدنيا كلها بالترهات التى تحوكها هذه الشركات الصهيونية .

وثار العرب يطلبون حقهم ويريدون طرد هؤلاء الدخلاء من أرض الآباء والأجداد ، فوقفت بريطانيا تذود عن باطل اليهود فتفتك بالعرب فتكا وحشـياً ، تعذب طلاب الحق وتهينهم وتشردهم لا ترعى حرمة لطفل ولا شيخ ولا امرأة ، وضربت الغرامة على القرى والدساكر والبلاد لأهون سبب ، وهى فى أثناء ذلك ترخى للأفاقين من اليهود وتغريهم بالعرب وتمهد لهم فى الحكومة حتى يستولوا على السلطان ، وتحميهم من شر العرب وبأسهم ، وتسلطهم على رقاب المسلمين والنصارى أهل فلسطين. وجعلت صحفها وشركات أنبائها تذيع على العالم الأكاذيب ، وتصور العرب فى صورة المعتدين الباغين ، وتسمى الأحرار من أبناء إبراهيم وإسماعيل عصابات ولصوصاً وفتاكا ، وترميهم بالبهتان والكذب ، وتستر عن العالم كله فظائع ما ترتكبه فى حق الأحرار المجاهدين .

وظلت بريطانيا على ذلك الطغيان الفاجر تعمل بالدسيسة والوقيعة والكذب والتغرير ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية ، فقام الأبالسة من رجال السياسة البريطانية يفتلون فى الذروة والغارب من هذه العرب حتى لانوا وانخدعوا بأن بريطانيا سوف تنصفهم وتعطيهم حقهم يوم تضع الحرب أوزارها ، وهى فى خلال ذلك تجند اليهود فى جيوشها وتزودهم بالسلاح وتدخلهم فلسطين وتظهر الكراهة لما تفعل ، وتبطن الغدر فيما تريد ، فاحتشدت من اليهود جيوش جرارة فى فلسطين باسم الديمقراطية والدفاع عنها ، وباسم الاضطهاد الذى أنزله النازيون بهم فى أوربة، وبغير ذلك من الأسباب الكثيرة التى تملقت بها السياسة البريطانية.

ووضعت الحرب أوزارها ، واشتد ساعد اليهود ، وهم أهل المال وحراسه ، فأعانوا بريطانيا ، ثم لم يلبثوا أن كشفوا القناع فى أمريكا وهم فيها القوة الظاهرة فى انتخاب رئاسة الجمهورية ، وأصحاب الشركات والأموال فى نواحى الاقتصاد الأمريكى ، وهم شياطين الصحافة والمسئولون عن إعلاناتها وشركات أنبائها ورجال تحريرها ، فإذا أمريكا تندفع فى طريق الصهيونية غير عابئة بالحق الظاهر ، ولا بمصالحها فى بلاد العرب ، ولا بكرامتها بين الأمم ، ولا بسمعتها فى دواوين التاريخ . وإذا هى أشد بغياً على العرب من بريطانيا ، وإذا صحافتها أشد جلافة من الهمجى الذى لم يهذبه تأديب ولا تثقيف

هـكذا كان أمر بريطانيا وأمر أمريكا ، وإذا هيئـة الأمم المتحدة ترسل لجنة إلى فلسطين لتضع تقريراً ، وإذا هذا التقرير فجور ليس بعده فجور ، ولا عجب فإنها لجنة كانت من أول أمرها ضالعة مع اليهود ، فقسمت أو أشارت بأن تقسم فلسطين قسمة جائرة بين العرب واليهود . أما العجب العجاب فهو أن نرى بريطانيا العظمى ذات السلطان والبأس والبطش ، تذل لعدوان اليهود على جنودها وعلى جلد ضباطها وشنقهم واختطافهم وتعذيبهم ، ثم يأتى قرار التقسيم الذى اقترحته اللجنة ، فإذا بريطانيا تزعم أنها سوف تجلو عن فلسطين وتدع العرب واليهود

لكى يحلوا هذه المشكلة المستعصية على ساسة بريطانيا العظمى أيضاً !! ...

فماذا تريد بريطانيا بهذا الانسحاب المفاجىء بعد أن كانت هى سر النكبة التى نزلت بساحة العرب مسلمهم ونصرانيهم فى فلسطين وفى سائر بلاد العربية ؟

لا جرم أنها تريد أن يقع القتال بين العرب واليهود ، وتخرج هى سالمة من هذا الصراع ، وهى فى خلال ذلك سوف تمطى اليهود من المؤونة والسلاح ، ويجهد أسطولها خفية فى تهريب الأفاقين إلى فلسطين .

أما أمريكا فهى تضحك الثكالى بسياستها فى هذه المشكلة ، فهى تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة ويقوم مندوبها فى اجتماع اللجنة الخاصة ببحث مشكلة فلسطين ، ويكشف القناع عن سياسة هذه الدولة الحدثة فى السياسة ويقول إن حكومته تؤيد مشروع تقسيم فلسطين ، وتؤيد سياسة الهجرة التى اقترحتها لجنة التحقيق فى تقريرها ، وليس هذا فحسب ، بل تتبرع هذه السياسة الأمريكية فتقترح تجنيد قوة دولية من المتطوعين بواسطة هيئة الأمم المتحدة ، لكى تتولى الاشراف على تنفيذ قرارات الجمعية العمومية .

فماذا تريد أمريكا بهذا التدخل المفاجىء ، بعد أن كانت بمعزل عن الغلو فى السياسة الاستعمارية ، ولها مصالح كثيرة فى بلاد العرب تعمل جاهدة على تثبيتها وتوطيدها ؟

لا ريب فى أنها تريد أن تحل محل بريطانيا فى حمل خبائث الاستعمار بعد أن شاخت أم الخبائث ، ولا ريب فى أن نفسها تسول لها أن اليهود أهل جد وعمل وإتقان وأصحاب مال وافر وأنهم إذا تم لهم إقامة دولة يهودية فى قلب البلاد العربيـة ، فذلك إيذان باستيلائهم على الميادين الاقتصادية كلها ، وأن يهود إذا فعلت ذلك ضمنت لأمريكا الحق الأول فى السياسة الاقتصادية فى الشرق الأوسط كله . وإذن فأمريكا تريد أن تلتمس أسباباً للتدخل فى مسألة فلسطين ، فهى تؤيد اليهود مستهينة بمصالحها فى بلاد العرب ، لكى يقع القتال بين العرب واليهود ، وتنتهز هى الفرصة فتمين اليهود بالمال والسلاح والرجال ، ثم تلعب هى وبريطانيا لعباً خبيثاً فى هيئة الأمم المتحدة لكى يجندوا جيشاً دولياً لتنفيذ مشروع التقسيم بالقوة ، ويكون قوام هذا الجيش من أهل العصبية الصهيونية الذين استشرى أمرهم فى بلاد أمريكا . ويومئذ تدخل أمريكا الشرق الأوسط كله بصك توقعه لها هيئة الأمم المتحدة — أى سوق الرقيق الدولية

وإذن فالأمر كما ترى بين كإسفار الصباح ، وهو أن هاتين الدولتين الاستعماريتين تتخذان أسلوبين مختلفين فى الظاهر متفقين فى الباطن ، يفضى إلى حمل العرب على قتال يهود . ورغم ما أرادا ونحن العرب نقبل منهما هذا التحريض الخبيث ، لأننا نريد أن نقاتل اليهود قتالا لا هوادة فيه ، فإن دماءنا ليست أغلى من حريتنا وشرفنا وديننا . ولعل أمريكا قد سمعت لأولئك الأفاقين اليهود الذين يزعمون لها أننا نهدد على غير طائل وإنما هى جعجعة ولا طحن لها ، فآثرت أن تكشف سوءتها وقبيح نيتها للعرب وتصالح اليهود وتتملقهم وتحطب فى حبالهم . فلتعلم أمريكا ولتعلم بريطانيا أنا لسنا كاليهود ولسنا كسواهم من الذين يجرؤون لأنهم يحملون أسباب الغدر والخيانة والإبادة ، فلو لقوا أعداءهم وجهاً لوجه لفروا واندحروا صاغرين . إن العرب ليريقون دماءهم فى سبيل الحرية والشرف والنبل وإن كانت كثرة السلاح مما يعوزهم ، وفرق بين النذل الجبان والشريف الشجاع ، فهذا يكون أقل السلاح حصناً له وحافزاً ومحرضاً ، وذلك إذا رأى حملة صدق انتثرت نفسه وطار قلبه وألقى عدته وسلاحه وأغمض فى الأرض هارباً . فهذه يهود وهذا نحن أيها المخدوعون ...

إن بريطانيا وأمريكا وصحافتها قد استعلنت لنا بأحقادها فلنعلن نحن أحقادنا . وإن يهود قد استغرت بقوتها وبمعونة بريطانيا وأمريكا ومظاهرتها لعدوانها علينا ، فلا تأخذنا بعد اليوم رحمة بيهود ، فقد رحمناهم يوم اضطهدوا ، وآويناهم أيام شردوا ، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربى ، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه ، وعضوا اليد التى مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور . ونعم ما فعلت يهود ، فإنها قد أيقظتنا من غفلتنا ، ويسرت لنا أن ننقذ العالم عاجلا أو آجلا من عربدة هذا الجيل الذى طهر الله أسلافه ، وصب لعنته على الأخلاف لعنة باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

محمود محمد شاكر

من شوارد الشواهد *

للأستاذ علي الطنطاوي

١٩ – ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى
يمينك فانظر أىّ كف تبدّلُ

لمعن بن أوس المزنى ، شاعر مخضرم مجيد معمَّر ، من قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوْجَل
على أينا تأتى المنيّة أوّل

وإنى أخوك الدائم العهد لم أخن
إنَ أبزاك(١) خصم أو نبا بك منزل

أحارب من حاربت من ذوى عداوة
وأحبس مالى إن غرمت فأعقل

وإن سُؤْتنى يوماً صبرت إلى غد
ليعقب يوماً منك آخرُ مقبلُ

ستقطع ... (البيت) .

وفى الناس إن رثّت حبالك واصل
وفى الأرض عن دار القِلى متحوّل

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وهى طويلة جيدة ، ومنها البيت السائر :

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

٢٠ – فهبك يمينى استأكلت فقطعتها
وجشمت قلبي صبره فتشجعا

لدعبل يعاتب مسلم بن الوليد ، من قصيدته التي يقول فيها :

أبا مَخلدٍ كنا عقيدى مودة
هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

فصيّرتنى بعد انتكاثك(١) متهما
لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا

غششت الهوى حتى تداعت أصوله
بنا وابتذلت الود حتى تقطعا

وانزلت من بين الجوانح والحشى
ذخيرة ود طالما قد تمنعا

فلا تَلْحيَنّى ليس لى فيك مطمع
تخرّقت حتى لم أجد لك مرقعا

فهبك ... (البيت) .

٢١ – فإما أن تكون أخى بحق
فأعرف منك غثّى من سمينى

وإلا فاطّرحنى واتخذنى
عدواً أتّقيك وتتّقينى

للمثّقِب العبدى(٢) ، وبعده :

فما أدرى إذا يممت أرضاً
أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا مبتغيه
أم الشر الذى هو يبتغينى

٢٢ – إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يشعب

لصالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الطويلة فى الحكم ، ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب
والدهر فيه تصرم وتقلب

فدع الصبا فلقد عداك زمانه
واجهد فعمرك مرّ منه الأطيب

وبعدهما البيت السائر :

ذهب الشباب فما له من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب

ومنها :

لا خير في ود امرىء متملق
حلو اللسان وقلبه يتلهب

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

٢٣ – تمسك إن ظفرت بذيل حر
فإن الحرّ فى الدنيا قليل

من شعر الفقهاء ، وهو لأبى اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروز آبادى العالم العَلَم المعدود من أعلام الملة وقبله :

سألت الناس عن خل وفى
فقالوا : ما إلى هذا سبيل !

٢٤ – إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

لابراهيم بن العباس الصولى ، الكاتب الشاعر ، وقبله :

(*) قد أجد البيت الواحد منسوباً لأكثر من شاعر ، وأجد أبياتاً متداخلات «لاتحاد الوزن والروى» وهن من قصائد مختلفات ، فأرجو من وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه .

(١) أى عدا عليك وقهرك .

(١) انتقاضك وتحولك (٢) سيأتى ذكره .

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

٢٥ — حسن قول (نعم) من بعد (لا)
وقبيح قول (لا) بعد (نعم)

للمثقب العبدى وهو عائذ بن محصَن بن ثعلبة[(١)] ، شاعر جاهلى قديم كان فى زمن عمرو بن هند وعمر حتى أدرك النعمان ابن المنذر ، سمى المثقب (بالكسر) لبيت قاله وهو :

ظهرن بكلّة وسدلن رقماً   وثقّبن الوصاوص للعيون

من قطعة له يقول فيها :

لا تقولن إذا ما لم ترد   إن تم الوعد فى شىء : (نعم)
حسن قول (نعم) ... (البيت)
إن (لا) بعد (نعم) فاحشة   فبـ (لا) فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت (نعم) فاصبر لها   بنجاز الوعد إن الخلف ذم
أكرم الجار وراع حقّه   إن عرفان الفتى الحقّ كرم
إن شر الناس من يمدحنى   حين يلقانى وإن غبت شتم

٢٦ — مَنْ ذا الذى ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

للحريرى ، من المقامة الشعرية ، وأول المقطوعة :

سامح أخاك إذا خَلَطْ   منه الإصابة بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه   إن زاغ يوماً أو قسطْ
واعلم بأنك إن طلبت (م) مهذباً رمت الشطط

٢٧ — وإن امرأ يمسى ويصبح سالماً
من الناس إلا ما جنى لسعيد

للمعلوط بن بَدَل القُريعى[(٢)] وقبله :

متى ما يرى الناس الغنىّ وجارُه   فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى   ولكن أحاظ[(٣)] قسمت وجدود
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً   فطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا[(٤)] من غنى مُذمّم   وصُعلوك قوم مات وهو حميد
وإن امرأ ... (البيت) .

(١) وقيل اسمه شاس بن عائذ وقيل غير ذلك .
(٢) روى الأبيات حبيب فى الحماسة ولم يسمه وسماه صاحب اللسان
(٣) لا يجمع فى القياس حظ على أحاظى .
(٤) أى كثيراً ما رأينا .

٢٨ — نوائب الدهر ادبتنى   وإنما يوعظ الأديب

لسليمان بن وهب ، وزير المهتدى قاله فى نكبته ، وبعده :

قد ذقت حلواً وذقت مراً   كذاك عيش الفتى ضروب
ما مر بؤس ولا نعيم   إلا ولى فيها نصيب

٢٩ — اخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

لمحمد بن بشير الرياشى ، شاعر عباسى ماجن ظريف هجاء ، لم يفارق البصرة ولم يتكسب بشمره ، وقبله :

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته
ألفيته بسهام الرزق قد فلجا[(١)]
لا تيأسن — وإن طالت مطالبة —
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا[(٢)]
اخلق بذى الصبر ... (البيت)

٣٠ — من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

لسَلْم الخاسر ، ابن عمرو بن حماد ، وسمى الخاسر لأنه باع (كما قالوا) مصحفاً كان له واشترى بثمنه طنبوراً ، أخذه من قول (أستاذه) بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

٣١ — فلا وابيك ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

رواه أبو تمام فى الحماسة ، ولم ينسبه ، وقبله :

وأعرض عن مطاعم قد أراها   فأتركها وفى بطنى انطواء
يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا وابيك ... (البيت)

٣٢ — يريد المرء أن يعطى مناه   ويأبى الله إلا ما يشاء

لقيس بن الخطيم الأوسى ، شاعر فارس قتل على جاهليته من قطعة له يقول فيها :

وما بعض الإقامة فى ديار   يهون بها الفتى إلا بلاء

(١) ظفر وفاز
(٢) انقفل ، وروى يفتق بدل يفتح

وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء … (البيت)
وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد يَنمي[1] على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى وفقر النفس ما عمرت شقاء

٣٣ – أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

للعرجي، وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، شاعر إسلامي حجازي كان ينحو منحى ابن أبي ربيعة في غزله، قاله لما حبس، وبعده:

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها لنحري
أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه سينجيني فيعلم كيف شكري
فأجزي بالكرامة أهل ودي وأجزي بالضغائن أهل وتري[2]

٣٤ – أشاب الصغير وأفنى الكبير(م)
كر الغداة ومر العشي

للصلتان العبدي[3]، وهو قثم بن خبيه من عبد القيس، شاعر إسلامي خبيث اللسان، وبعده:

إذا ليلة هرّمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
ويسلبه الموت أثوابه ويعنمه الموت ما يشتهي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

٣٥ – لئن ساءني أن نلتني بمساءة
لقد سرني أني خطرت ببالك

لابن الدُّمَينة، عبيد الله بن عبد الله الخثعمي، والدمينة أمه، شاعر إسلامي غزل مجيد، من قصيدته التي أرويها كلها لنفاستها:

قفي يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم افعلي ما بدا لك
سلي البانة الغيناء بالأجرع[1] الذي به البان هل حييت أطلال دارك
وهل قمت بعد الرائحين عشية مقام أخي البأساء[2] واخترت ذلك
وهل هملت عيناي في الدار غدوة بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك[3]
أرى الناس يرجون الربيع وإنما ربيعي الذي أرجو نوال وصالك
أرى الناس يخشون السنين وإنما سنيّ[4] التي أخشى صروف احتمالك[5]

ومنها:

ليهنئك إمساكي بكفي على الحشى ورقراق عيني رهبة من زيالك
ولو قلت طأ في النار أعلم أنه هوى منك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
أبيني: أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك
لئن ساءني … (البيت)
تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدين قتلي؟ قد ظفرت بذلك

٣٦ – ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبداً ليست بذات قروح

له[6] – من قصيدة له فيها إقواء. وبعده:

أبى الناس ويب الناس لا يشترونها
ومن ذا الذي يشري دويّ بصحيح[7]

٣٧ – كل امرىء صائر يوماً لشيمته
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

لذي الأصبع العدواني، واسمه حرثان بن محرب، من قصيدة له طويلة[8] أولها:

يا من لقلب طويل البث محزون أمسى تذكر ريا أم هارون

---

(١) ينمو (واوي ويائي)
(٢) راجع قصة أبي حنيفة وجاره، وقصة المأمون في سداد (بالفتح) وسداد (بالكسر) وهما مرويتان في أكثر كتب الأدب
(٣) وهو غير الصلتان الضبي، وغير الصلتان الفهمي، الذي روى الجاحظ بيت: (العبد يقرع بالعصا) له، والصحيح أنه لأبي الأسود

(١) الأجرع المكان السهل المختلط بالرمل والغيناء الوارفة الظل
(٢) أي البائس الفقير
(٣) المتساقط
(٤) يخلط الناس في الاستعمال بين العام والسنة، وهما مترادفتان ولكن ليس في اللغة كلمتان بمعنى واحد (انظر في كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية) ولابد من اختصاص كل لفظة بشيء لا تدل عليه الأخرى، فالسنة في الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء (اقرأ آيات سورة يوسف) والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء، تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربي في الرسالة من أمد بعيد
(٥) ارتحالك
(٦) رواية القالي وياقوت
(٧) ويب الناس ويح الناس والدوي الشديد المرض
(٨) القصيدة في الأمالي (الجزء الأول)

رأي الأكثرية
في السياسة الشرعية
للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

أثار الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى مقال له نشر فى العدد ٧٣٢ من «الرسالة» مسألة الأخذ بـ«رأى الأكثرية فى السياسة الشرعية» وهى مسألة تنطوى على مقارنة النظام الديمقراطى البرلمانى الحديث مع النظام التشريعى والحكومى الإسلامى من ناحية الطبيعة والوضع والروح جميعاً ، فأول ما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد أن النظام الأوربى إنما هو وليد ظروف تختص بالمجتمع الغربى وغنى عن القول أن المجتمع الغربى لا يبتنى على أساس غاية دينية تنسى المؤمنين بها والعاملين فى سبيلها جميع الفوارق البشرية كالإقليمية والطائفية والوطنية والقومية وكذلك يعدم فى أى مجتمع غير إسلامى مبادىء تضمن للناس العدالة فى معاملاتهم بعضهم مع بعض وتكفيهم التناحر فيما بينهم لأغراض دنيوية ، فإذاً الاختلاف الناشئ بين أفراد المجتمع الغربى هو فى الحقيقة اختلاف المصالح المادية بين مختلف طبقات الشعب التى لا تزال فى حالة حرب مستمرة تبعث كل واحدة منها على حشد القوة (وهى ترتكز فى العدد) ضد الأخرى ، ومن المعروف أن النظام السياسى إنما يصطبغ بصبغة المجتمع الذى ينشأ منه ، وعلى ذلك فالنظام الديمقراطى الحديث ليس إلا وسيلة لتسوية الاختلافات الناشئة عن الطموح إلى أغراض مادية لا تسوية حاسمة على أساس المبدأ والحق بل تسوية تمكن فريقاً من الشعب من إدارة الشئون لصالح « زبائنه » فقط وكذلك يكون الحكم سجالا بين مختلف أحزاب الشعب الذى لا يزال من حيث المجموع قلقاً غير مطمئن إلى التوازن والعدل الاجتماعى ، أما المجتمع الإسلامى فبالعكس يبتنى على مبادىء يتلقاها الشعب من الله ويتعهد على نفسه كل فرد من الشعب على السواء بتطبيقها على أعماله وتنفيذها فيما بين الناس بما فيها من صالح الإنسانية وضمان الحق والنصفة فى المعاش والمعيشة . فالمجتمع الإسلامى موحد الكلمة ، موحد الإيمان

ومنها :

ولى ابن عم على ما كان من خلق   مختلفان فأقليه ويقلينى
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا   فخالنى دونه بل خلته دونى
لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب   عنى ولا أنت ديانى فتخزونى
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة   ولا بنفسك فى العزاء تكفينى
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتى   فإن ذلك مما ليس يشجينى

٣٨ — فإن تكن الأيام فينا تبدلت   ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة   ولا ذللتنا للتى ليس تجمل

لإبراهيم بن كنيف النبهانى ، من شعراء الحماسة ، من قطعة له ، منها :

تعز فإن الصبر بالحر أجمل   وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعاً   لحادثة أو كان يغنى التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة   ونائبة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه   وما لامرىء عما قضى الله مزحل

فإن تكن ... (البيتين) .

ولكن رحلناها نفوساً كريمة   تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا   فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

٣٩ — وإنما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشى على الأرض

لحطان بن المعلّى ، شاعر إسلامى من شعراء الحماسة ، من قطعة له يقول فيها :

أنزلنى الدهر على حكمه   من شامخ عال إلى خفض
وغالنى الدهر بوفر الغنى   فليس لى مال سوى عرضى
أبكانى الدهر ويا ربما   أضحكنى الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا   رُددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع   فى الأرض ذات الطول والعرض

وإنما أولادنا ... (البيت) .

لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى من الغمض

على الطنطاوى

بالمبادىء الحقة وفوق كل شيء موحد الشعور بالمسئولية لدى العليم الحكيم فى حق الأفراد ومجموع الأمة ، فأى مجال فى مجتمع مثل هذا أن ينقسم إلى أحزاب متعارضة الهوى فى الدنيا وما فيها مغرضة متحيزة فى نواياها وأعمالها ؟ ولا يعدم المتتبع لأحكام القرآن والسنة ما يقنعه بأن النظام الإسلامى السياسى إنما هو مؤسس على التعاون والتضامن والتآزر الفعلى بين المسلمين كافة فى السلم وفى الحرب من غير فرق وأنه لا يعترف بحال من الأحوال بوجود معارضة مستقرة التى هى من أهم مظاهر الديمقراطية البرلمانية

وإنما مرد هذه الميزة للنظام الإسلامى إلى أن الاتفاق على الشريعة التى هى قانون الحياة بأوسع معانيه ، سابق على تكون الهيئة الاجتماعية والسياسية بين المسلمين بل هى منشأها وقوامها بحيث ينزل المسلمون جميعاً بمنزلة لجنة تنفيذية لا غير ، ومن المعروف أن المعارضة لا مكان لها فى لجنة تنفيذية قط ، أما الحال فى الغرب فعلى العكس تماماً لأن هناك تكونت الهيئة الاجتماعية أولا على أساس بعض المصالح المشتركة بطريق الارتقاء غير الشعورى ثم هى أقبلت على التشريع لافتقارها إلى وضع حدود للأعمال الإنسانية التى لم تزل ولا تزال معرضة للافراط والتفريط ولما لم يكن لها مستند إلى المصدر الأعلى اندفعت بطبيعة الحال إلى التعويل على العقل الذى قلما يتخلص تماماً من أسر الهوى فتعذر عليها « الاتفاق » فى التشريع لكون أفرادها كثيرى الهوى شتى المسالك نتيجة لعدم ارتباطهم بحدود من الله فإذا فشلت الهيئة الاجتماعية الغربية فى تحقيق « الاتفاق » « استكانت » إذ ذاك « إلى الاختلاف » واهتدت إلى إيجاد نظام للتشريع يؤدى إلى حفظ السلام وسير الأعمال غير معرقلة مع عدم اقتناع عدد غير قليل بما ينتج منه وهذا النظام هو النظام الديمقراطى الحديث . .

ولا يخيل إلى القارىء أن باب التشريع قد أقفل فى الشريعة الإسلامية فإن الشريعة الإسلامية بصفتها نظاماً دائم النمو والاتساع تتضمن فى ذاتها الطرق المسنونة والأساليب الواضحة لكفاءة الأحوال المتجددة والظروف الطارئة على ممر الأيام والعصور ولكن مهمة التشريع عند المسلمين إنما تقتصر على تطبيق المبادىء المنصوصة عليها على الأحوال غير المحسوبة لها .

وهذه المهمة لا تتأدى إلا على أيدى العلماء المعروفين بالفقه فى الدين والصدق والتقوى فى أعمالهم الحائزين على ثقة الناس فى أمانتهم فيعتبر الإسلام هذه المهمة من اختصاصهم ولا يسمح بالتدخل فيها لكل من يفوز بكثرة الأصوات سواء وجدت فيه المؤهلات الخاصة والشروط اللازمة أم لا كما هو الحال فى النظام الديمقراطى الأوربى ...

ويتضح مما قيل آنفاً أن الاختلاف الناشىء بين العلماء المسلمين الثابتين على التقوى إنما هو بمثابة مناقشة علمية أكاديمية ناشئة عن النيات الخالصة والتحريات الصادقة ولا يشوبه شيء من الهوى أو رعاية مصالح الناخبين فى أى قطر مخصوص ومثل هذا الاختلاف لا شك أنه رحمة من حيث أنه يؤدى إلى تثبيت الحقائق الإسلامية وسير الأمور حسب مقتضى القانون الإلهى فى جميع الأزمنة والعصور ...

وما عدا القياس والاجتهاد هناك طريقة أخرى للتشريع فى الإسلام ألا وهو الإجماع ومبناه أن الإيمان والعمل بالإسلام يخلقان فى المسلم ملكة تدفعه إلى الاتجاهات التى تتفق هى والروح الإسلامى وإن لم ينص القرآن والسنة على شيء فى صددها

فهذا فيما يتعلق بالأمور الدينية مع فهمنا الدين بأوسع معانيه وأشملها أى النظام الذى يسيطر على جميع الأعمال الفردية والاجتماعية مما لها شأن أدبى وأخلاقى ...

أما المسائل من قبيل تأبير النخل فلا شأن للاسلام أو أى نظام تشريعى بها لأنها من اختصاص الفنانين ومدارها على التجربة والمشاهدة لا غير ...

فلم يبق الآن إلا بعض أمور أسميها أموراً إدارية محضة مثل الحرب والسلم والخوف والأمن وهى التى يرجع فيها إلى أولى الأمر وأولوا الأمر يقضون فيها بمشورة الناس .

فلا شك أن الإسلام يقدر رأى الأكثرية حق قدره إذا صادف الحق ووافق المبدأ ، ولكن طبيعة النظام الإسلامى تأبى أن تكون للأكثرية أهمية كبرى فى التشريع لأن مصدر السلطة عند الغربيين هو الجمهور وهذا القول يستلزم أن يكون التشريع دائماً حسب إرادة الناس وهم مختلفون فى أهوائهم أما فى الإسلام فمصدر السلطة ليس إلا الله والتشريع لا يكون إلا

حول مؤتمر الآثار بدمشق

للأستاذ مصطفى كامل إبراهيم

لعل من أهم الخطوات الثقافية الموفقة التي كانت باكورة نشاط اللجنة الثقافية بجامعة الأمم العربية هي عقد مؤتمري الثقافة والآثار .

ومؤتمرات الثقافة ليست جديدة على العالم العربي فقد كانت في الجاهلية تنتظم في أسواق الجزيرة العربية ، ثم كان الخلفاء والأمراء والسلاطين يقيمون شيئاً مثلها في بلاطهم وتحت رعايتهم ، يجتمع فيها مشهورو أصحاب الأقلام وأمراء الشعر والعلم والفن من بلدان العالم الإسلامي ، وطالما اشترك الخلفاء أنفسهم في النقاش وتذوقوا لذته ..

على أن دراسة الآثار القديمة لم تكن لتهم القوم كثيراً في الإسلام فقد كان يخشى المتحدث في مدنيات الفراعنة أو الأكاسرة أن يتهم بالمروق ، أو أن يعمد منافسوه إلى أن يلصقوا به جريمة الإلحاد أو الردة أو الزندقة . وقد كانت الأخيرة في فترة ما من حكم العباسيين جريمة تدني رقبة صاحبها من سيف الجلاد ، مما صرف علماء المسلمين على الدراسة التفصيلية في تراث الوثنيين في مصر ، والمجوس بفارس ، والمسيحيين في مصر والشام .

ثم كان لابد لهذا الإهمال من نتائج : فقد امتدت أيدي العبث والتدمير والسطو والتبديد إلى تراث القدماء ، واستمرت هذه الحال المؤلمة إلى آخر الزمان ، فلم يتردد بدر الجمالي — مثلا — وزير المستنصر الفاطمي في سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧) م من أن يستخدم بعض أحجار جبانة الجيزة من حول الأهرام لبناء استحكاماته ولا زالت أحجار السوريين بابي النصر والفتوح تحمل رسوماً وكتابات هيرو غليفية . وفي العصر التركي تمكن عثمان كتخدا (الكخيا) من الحصول على قطعة من الحجر « الديوريت » الأخضر مما خلفه قدماء المصريين فاستعملها عتبة لمسجده في ميدان « الأوبرا » . وليس أعجب من أن تتواتر الشائعات في سنة ١٩٤٧ — نرجو أن تكون كاذبة — عن فكرة صهر ذهب « توت عنخ آمون » لتغطية النقد المصري ، وما هو بكاف ولا بعشرة أمثاله .

والشيء الذي لا شك فيه ، هو أن العرب في وسط الجزيرة سكنوا وادياً غير ذي زرع أحاطت بهم بيئة خالية من الخير ورغد العيش والاستقرار ، فنشأوا نشأة خشنة وعاشوا خلواً من شارات الفن ومخايل المدينة ، لعدم حاجتهم إليها .— والحاجة تفتق الحيلة — أو لانصرافهم إلى النضال في سبيل العيش والتقاتل القبلي . ولما جاء الإسلام بخيره وبركته وأخرج العرب من الظلمات إلى النور ، صرف القوم إلى الفتح وتوطيد دعائم الدين الحنيف ، فلم يذق العرب حلاوة الاستقرار الحقيقي والانصراف إلى التعمير الفني إلا أبان حكم دولة بني أمية ، حيث رأوا لزاماً عليهم أن يأخذوا بأسباب الدنيات التي ألفوها أمامهم في الأمم المغزوة ، فبدأ الفن يلتمع في جبين الإسلام .

وها هي دمشق الحبيبة التي أشرق من جنباتها القبس الأول من نور الفن الإسلامي فأضاء الشرق والمغرب ، وخلق أصولا وقواعد ترسم الغربيون خطاها ونسجوا على منوالها لا يتركونها إلا ليعودوا إليها حتى يومنا هذا . ها هي دمشق تحتضن مؤتمر الآثار العربي وتحله أجل قصورها « قصر المظم » ، تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية الذي أضفى على المؤتمر عنايته مما كان سبباً قوياً في نجاحه .

ويجدر بنا أن ننوه بجهود المنظمين وهم نخبة من أساتذة الآثار البرزين وعلى رأسهم الدكتور زكي محمد حسن ، والدكتور أحمد بدوي . أما حضرات المندوبين فقد حاضروا في موضوعات شيقة عن تراث العرب نرجو أن يتم طبعها قريباً ليفيد منها العالم العربي

وفقاً لمشيئته والمسلمون كلهم سواء في ابتغاء مرضاته ... ثم التشريع لا يحتل المكان الأول في النظام السياسي الإسلامي لأن الإسلام في نفسه شريعة كاملة أما أمر التفريع والاستنباط بالنظر إلى الأحوال المتجددة فهو موكول إلى نزعته وليس لكل ذي حنجرة أن يصوت في كل ما يعنيه أو ما لا يعنيه وصفوة القول أن الجمهورية في الإسلام ليست كالديمقراطية في الغرب التي مدارها ، بعبارة حكيم الشرق الدكتور محمد إقبال رحمه الله على « تعداد الناس لا على وزنهم » ...

السيد محمد يوسف الهندي

التواق إلى هذه العلوم التى ظلت ردحاً من الزمن وقفاً على المهتمين من علماء الأجانب ، يكتبونها بلغتهم وكما تمليه عليهم اهواؤهم أما فقهاء الآثار من العرب فقد كانوا — سامحهم الله — لا يكتبون إلا بلغة من اللغات « الحية » . أما العربية فكانت لا تحظى منهم إلا بجهد ضئيل .

أما المعرض الفريد الذى أقامه الأستاذ حسن عبد الوهاب بصوره — وهى كلها من روائع فنه — فقد أخرج بها زوايا مفصلة هامة للآثار الإسلامية أبرزتها فى غاية من الفخامة والجلال .

ومما يثلج صدورنا نحن العرب أن نرى اليمن الشقيق يطرح اليوم سياسة العزلة والانطواء على النفس وأن نرى عاهله المعظم ، جلالة الإمام يحيى حميد الدين ، يدفع ببلاده العريقة فى تيار النشاط الدولى ، فيضم جهد اليمن إلى جهود شقيقاته فيشتد ساعد العرب وتقوى الأسرة العربية ، وها هو نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله وساعده الأيمن الأستاذ العالم السيد على ، نزيل القاهرة الآن ، دائبى النشاط فيما يفيد العرب ومما يذكر لجلالته بالثناء أنه سمح ، لأول مرة ، لعالم عربى هو الأستاذ نخرى بزيارة «مأرب» (مدينة سبأ) وطن الملكة « بلقيس » وتصوير آثارها والكتابة عنها .

وللعرب اليوم أن يطمئنوا على تراثهم القومى فى الوطن الكبير ، وقد أصبحت أمانة الآثار ، والحمد لله ، معظمها فى أيدى العارفين بها من أبناء العروبة ، يرون فيها العزة القومية ويضنون على تراث الأجداد ، وكنوزهم أن تذهب هباء ، أو تتسرب التحف النادرة إلى متاحف الأمم الأخرى ... يتلقفونها تلقف القناصة من زواحف الأجانب وتجار المسروقات ؛ ممن حذقوا فى التلصص وأجادوا صناعة التهريب ، فتذهب فى غفلة من العرب فى عصور الاضمحلال السياسى — وهو أصل البلايا — والجهل بقيم الأشياء .

ولما كانت دراسة التاريخ تعتمد اعتماداً كبيراً على دراسة الآثار ، فإن الرواية تظل حائرة قلقة غير مستقرة ، تنهال عليها المطاعن ، وحتى يقرها ويؤيدها السند الأثرى ، فقد أقر المؤتمر نشر الثقافة الأثرية بين أبناء الوطن العربى ، واقامة المتاحف ، وتبادل الأساتذة والقاء المحاضرات ، وعرض الصور ، مما يساعد العرب على استيعاب هذه العلوم القديمة الحديثة فلا يمرون بها مرور العابر الكريم . ولا شك بأن نشر الثقافة الأثرية على هذا الوجه يتيح فرصاً عظيمة لتوثيق روابط الألفة بين أبناء العروبة فى مختلف الأقطار ، وسرعان ما يصبح الوطن العربى الكبير حقيقة ماثلة فى قلب كل عربى .

والآثار فضلا عن أنها كنوز مادية . وتراث قومى يعيد ذكرى أيام المجد وعظمة الماضى فهى خير حافز لهمة الجيل الجديد ، تنفخ فيه من روح السمو والعزة الوطنية ما يجعله يعمل جاهداً لاسترداد مجد الأيام السالفة وعظمة الأجداد .

وقد أسهمت مصر بكثير من أبنائها فى هذا المؤتمر فكان هناك مندوبون عن الجامعتين وبعض الهيئات . إلا أننا لم نر من يتكلم باسم إدارة حفظ الآثار العربية وهى التى تقوم بالحفظ والترميم والعناية بالآثار الإسلامية ، ليس فى مصر فحسب بل فى بعض الأمم العربية الأخرى وهو عمل خطير الشأن يتركز على العلم والدراية ، وكذلك معهد الآثار بالجيزة فلم يشترك أحد من طلبته فى نشاط المؤتمر .

أما شمال أفريقيا فلها العذر وكفاها ما بها وأعانها الله على ما رزئت به من بلية الاستعمار ، الذى جمع عليها القحط والبغى والاضطهاد

وبعد ... فإننا نرجو مخلصين أن توضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ ، حتى إذا جاء موعد انعقاد المؤتمر التالى ، وقد اتفق عليه أن يكون بالقاهرة ، وجد المؤتمرون أمامهم ثمرات ما عملوا فينصرفون إلى الاستزادة ، والله يجزى العاملين .

القاهرة **مصطفى كامل ابراهيم**

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

صور وانطباعات :

الجيـــــل الملهم

للأستـــــاذ مناور عويس

« هلمى معى من لبنان ياعروس ، معى من لبنان ! ...
انظرى من رأس أمانه ، من رأس شنير وحرمون ،
من خدور الأسود ، من جبال النمور ! ...
تحت لسانك عسل ولبن ، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ! ...
ينبوع جنات ، بئرمياه حية وسيول من لبنان ! . .
طلعته كلبنان ، فتى كالأرز ! ...
أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ! ... »
« نشيد الإنشاد »

الملك الشاعر الحكيم يتغزل بحبيبته فلا يجد شبيهاً لها أجل من لبنان .. فما سر لبنان ؟ وما هذا السحر الذى اتشح به لبنان منذ أقدم العصور حتى الآن ؟

الشعراء والفنانون ينشدون جمال لبنان ، والأنبياء يتغزلون بجمال لبنان ، والرعاة والفلاحون ينظمون العتابا والموال فى حب لبنان ! ...

« إذا ذكر لبنان تواردت على الذهن مواكب من الصور والأخيلة والأشباح والأحلام ، وانتشرت فى الأنف روائح الصنوبر والبخور والصعتر والفل والياسمين ، وانتصبت أمام الأعين غابات من الأرز والبلوط تمدو فيها الأسود والنمور والظباء ! »

فينيقيا ، عشتروت ، جبيل ، الأرز ، صور ، بعلبك ، حرمون ، قاديشا ! ... يا لها من أسماء صغيرة لها فى النفوس الشاعرة فعل الصهباء ، فنى ذكر هذه الأسماء تلخيص لتاريخ الإنسان القديم وأديانه ، « فعلى شواطئ لبنان ازدهر العقل البشرى وترعرع ، وعلى شواطئ لبنان استيقظت الروح فى الإنسان فعبد الله فى صورة عشتروت » . وفى غابات لبنان مثلت أروع أدوار الحب بين الآلهة كما تخبرنا بذلك الأساطير المصرية والفينيقية ، وفى جبيل تلك البلدة الصغيرة اليوم الواقعة بين طرابلس وبيروت مثلت أفجع مأساة للحب بين (إيزيس) و (أوزايرس) . ومن أمام الأرز الخالد ، الرافع رأسه نحو السماء ، الهازئ بالزمن ، الضاحك من الإنسان وغروره ، أجل من أمام الأرز مرت جيوش رعمسيس ، وجحافل القدونى ، وأبطال بومبى ، ومساعير معاوية ، وقوات السلطان سليم ، وعسا كر ابراهيم باشا .. مرت كلها من أمام الأرز مطأطئة الرؤوس خاشعة الأبصار ، حكمت البلاد ودوخت الأمصار ، عمرت ما عمرت وخربت ما خربت ، ثم مضت لسبيلها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
جليس ولم يسمر بمكة سامر !

وظل الأرز رافعاً رأسه نحو السماء يبتسم ابتسامته الأزلية !

وهذه صور التى كانت فى ما مضى سيدة مدن فينيقيا ، صور التى وقفت فى وجه الاسكندر العظيم وأرغمته وجنوده على تحمل البرد والحر سبعة أشهر خارج أسوارها ، نراها اليوم قرية صغيرة أقرب إلى الخراب منها إلى العمران (فسبحان من رد عامرها خراباً وجعل أنسها وحشة) وأدال منها إلى سواها !

وهذه مدينة البعل التى شهدت عظمة فينيقيا واليونان والرومان ومجد العرب والترك ، ما تزال أعمدتها شاهدة على تفوق العقل البشرى وجبروت الإنسان !

أى مدينة الشمس ! لقد وقفت إزاء آثارك خاشعاً لدى روعة الفن ، حالماً بأشياء غامضة لذيذة كالأمانى ، ناعمة كأنفاس الربيع !

ثم هذان الشيخان الأزليان اللذان كلل الثلج هامتيهما ، واللذان كانا وما زالا رمزاً لعظمة لبنان وروعته وجلاله !

حرمون وصنين ! من وقف أمامهما ولم يحس بقرارة نفسه بالهيبة والوقار ؟ من شهدهما ولم يشعر بالخشوع والتأمل العميق؟!

وكل من أسعده الحظ بزيارة « بشرّى » حيث الأرز الخالد ، وحيث يرقد رقدته الأبدية فقيد الشعر والفن جبران خليل جبران ، ومشى بضع خطوات إلى الجنوب أشرف على واد عميق رهيب ، وهوى سحيقة تبعث الرعب والخشوع فى أقصى القلوب وتذكر الإنسان بالموت والفناء .

هذا الوادى هو وادى (قاديشا) أو وادى القديسين ، وقد دعى كذلك لأن النساك والمتعبدين فى عصور المسيحية الأولى اتخذوا مغاوره معابد ، وكهوفه صوامع يتعبدون فيها ويتهجدون حيث الوحدة الشاملة المغبوطة ، والسكينة الخالدة ، التى لايكدرها

غير هدهدة المياه المنحدرة من فوق الصخور على حصباء الوادي!

فينيقيا، عشتروت، جبيل، بعلبك، حرمون، صنين، الأرز، قاديشا... كلها أسماء تفيض شعراً وإلهاماً وتاريخاً، إنها مصدر وحي للأديب لا ينفد، ومورد عذب للفنان لا ينضب، فقل أن تجد شاعراً أو كاتباً شرقياً كان أو غربياً يخلو شعره أو نثره من وحي هذه الأسماء الملهمة، ذلك لأن لبنان في نظر الشعراء والكتاب - الشرقيين منهم والغربيين - « غابات مسحورة تفوح منها روائح معطرة بأنفاس عشتروت وبعل وغيرهما من آلهة الفينيقيين وأبراج وقصور من المرمر والنحاس، وأسود ونمور وظباء وأيائل وصوامع وهياكل وأنبياء وقديسين! »

فهذا « لامرتين » شاعر فرنسا العظيم يزور لبنان ويستلهم أرزه فيوحي إليه بآيته الباقية ما بقي الشعر الفرنسي، وأعني بها (سقوط ملاك). وهذا (رينان) الفيلسوف الشهير يأوي إلى أحد أديرة لبنان ليكتب كتابه الخالد « ابن الإنسان »، وكذلك (شاتوبريان) و (هنري بوردو) صاحب القصة الشهيرة « تحت ظلال الأرز »، وهي قصة واقعية معروفة، بطلها فتى مسلم من طرابلس، وبطلتها فتاة مسيحية من بشرى ومسرحها الأرز... وللشاعر الإنجليزي (شلي) مأساة شعرية رائعة عن موت (أوزاريس) وبعثه في مدينة (جُبَيل) اللبنانية، وكذلك الشاعر الخالد وليم شكسبير وغيرهما كثيرون

فلبنان شاعر وملهم الشعراء، وأبناء لبنان شعراء بالفطرة، « وكيف لا يكونون شعراء إذا سكنوا لبنان وتكحلت عيونهم ببهاء صنين، وتنشقوا عطر الأزهار المنتشرة في أودية الجبل ووهاده، ونظروا إلى البحر الأزرق والسماء الصافية الأديم، وأشرفوا على تلك القمم المزينة بالمعابد والقباب والأجراس، وتظللوا بظل الأرز الخالد المرتفع في الفضاء كأنه صلاة تصعد إلى العليّ؟! »

لقد طبع لبنان أهله بطابعه الخاص، ففي أخلاقهم رقة نسيمه وصلابة أرزه ورسوخه، وفي أدبهم ما في لبنان من عذوبة وجمال وسحر وروعة... لقد جرى حبه في قلوبهم مجرى الدم، فهذا شاعرهم داود عمون يوصي قبل موته بأن يجعلوا من ثلج لبنان كفنه، وفي ظل الأرز ضريحه:

يا بني أمي إذا حضرت ساعتي والطب أسلمني
فاجعلوا في الأرز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني!

طالما تنافس الشعراء والكتاب قديماً وحديثاً في وصف لبنان وتصوير جماله، فلا ترى شاعراً زاره أو مر به إلا ألهمه من الشعر أطيبه ومن النثر أطربه. فالمتنبي شاعر العظمة الذاتية والطموح يمر بلبنان فلم يثنه طموحه ولم تنسه مطامعه أن يصف وعورة مسالك لبنان وصعوبة قطع عقابه:

وعقاب لبنان، وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء؟!

ويزوره شوقي لأول مرة فيروعه فيهتف:

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته!

ولحافظ ومطران والرصافي والزهاوي وغيرهم من كبار شعراء العربية في لبنان ما يسكر ويرقص... ومن أروع الشعر ماخاطب به الشاعر العبقري الياس أبو شبكة لبنان:

لبنان! ياريف السماء وثغرها! في كل شبر من ترابك ملهم!
ما أنت بالبلد اليتيم وإنما في كل عين لا تراك تيتّم!

أما شعراء المهجر وعلى رأسهم جبران ونعيمه والقروي والريحاني وأبو ماضي وفرحات والمعلوف وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن، فقد جعلوا من لبنان وطناً روحياً يحجون إليه بأرواحهم ويلهجون به في يقظتهم ومنامهم، فأبدعوا لنا من تغنيهم بلبنان والحنين إلى لبنان أدباً جديداً وروحاً جديدة لم نعهدها في الأدب العربي من قبل، فرفعوا بذلك رأس الضاد عالياً، ولفتوا أنظار الغرب إلى هذا الشرق الحالم المتأمل الذي تتلمذوا عليه في ما سلف من الزمان وقبسوا من أنواره، والذي سوف يعودون إلى أحضانه حينما ترهقهم هذه الحياة المادية التي يرزحون اليوم تحت أعبائها الثقيلة...!

فبلد تحج إليه قلوب الناس من جميع أقطار المسكونة، وتحلق فوقه أرواح الشعراء والملهمين من جميع الأمم والأجناس، بلد ينجب الأبطال والبابوات والقياصرة العظام، وينشىء الفلاسفة الأفذاذ والشعراء والكتاب والفنانين والقديسين...

بلد من أبنائه ميخائيل نعيمه وجبران والريحاني ومي لا شك في أنه بلد جدير بكل عربي القلب واللسان أن يحبه ويكبره ويتعلق به، لأنه من البلاد العربية كالقطب من الدائرة، وكالقلب من الجسم... فحيا الله لبنان وأبناء لبنان!

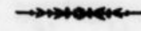
(يافا)

مناور عويس
مدرس الأدب العربي بكلية تراسانطه بيافا

٤ – من ذكرياتي في بلاد النوبة :

جغرافيـــة البــــلاد

للأســـتاذ عبد الحفيظ أبو السعود



وما كدنا نقيم بالمدرسة ، ونزاول عملنا فيها ، ونتصل بهذه الحياة الجديدة ، ونتعرف إلى الأهلين في هذه البلاد ، ونجوب أنحاءها ، ونشاهد آفاقها – ما كدنا نفعل ذلك ، حتى أدركنا قيمة المعرفة ، ومنزلة الترحال ، والانتقال من مكان إلى مكان ..

لقد شعر كل منا بالتقصير في حق بلاده ، والتفريط في مصلحة وطنه ، لأنه لا يكاد يعرف شيئاً عن هذا الوطن ، الذي تقله أرضه ، وتظله سماؤه ، وينشق عبير روضاته ، وينعم بثماره وخيراته ...

أدركنا هذا ، وشعرنا به وتمثل لنا حينئذ نشاط الأجانب ، وقيمة الرحلات عندهم ، وأثرها في حياتهم ، وكيف أنهم ارتفعوا بها قدراً ، وعظموا بها منزلة ، وخلدوا بها ذكراً ، وبعدوا شأواً ودفعتهم إلى العمل المنتج ، والسعي الحثيث !.

وهالنا ألا يكون نصيبنا من جغرافية بلادنا سوى معلومات ضئيلة ، لا تنبض بالحياة ، ولا تكاد تنهض على قدمين ، أو تقوم على ساق ، لأنها تنبت في حجرات الدراسة فحسب ، ولا تنال حظها من واقعية الحياة !!

ويقيني أنه واجب على المثقف إذا حل ببلد ، أن يعطيه شيئاً من اهتمامه ، وجانباً من عنايته ، فيدرسه دراسه توقفه على جميع ما يعنيه ، من مختلف نواحيه ، بحيث يجيب إجابة حسنة إذا سئل عنه وخوطب بشأنه ..

وإذا فهم الإنسان البيئة الجديدة التي يحيا فيها ، أمكنه أن ينتج على خير ما يحب ، وأن يؤثر فيها كما يريد ، دون أن تتكاءده عقبة ، أو تقف في سبيله صعوبة ، أية كانت ... ومن الخطأ أن يترك بيئة دون أن يحدث فيها أثراً يذكره به أهلها ، ويحيا به في ذكراهم على الدوام .

لهذا كله ، عنيت بدراسة بلاد النوبة ، ولن يكلفك معرفة جغرافيتها ، أكثر من نظرة فاحصة إلى خريطة الوجه القبلي ، وبخاصة مديرية أسوان ، لتدرك أن الجزء المزروع شريط ضيق على شاطىء النيل ... بيد أن هذا الشريط يكاد ينعدم تماماً ، ويتلاشى في المسافة ما بين الشلال وحلفا ، وهذا الجزء نفسه هو بلاد النوبة ، إحدى مناطق القطر المصرى ، وهي جزء من مديرية أسوان ، غير مطروق .. ولذا فبلاد النوبة قليلة السكان ، لا تحظى بإقبال المصريين ، مثقفين أو غير مثقفين ، ولا بإقبال أهلها أنفسهم على العمل فيها ، والانتفاع منها !!

وحدود هذه المنطقة الشلال شمالا ، وأدندان جنوباً ، وهي آخر الحدود المصرية كما قضت بذلك السياسة الغاشمة ، سياسة الاحتلال المقيت . ومن الشرق والغرب على السواء ، سلاسل جبال تختلف ارتفاعاً وضخامة ، وصحارى منبسطة واسعة ، لا يكاد يقيم فيها الإنسان ، اللهم إلا الجزء الواقع على النيل مباشرة فيضم نجوعاً كثيرة متناثرة على الشاطئين ، وهي مثال الفقر والحاجة ، ورمز البؤس القاتل ، والشقاء الأليم .. وهي مع هذا عنوان التضحية ، والتفاني في حب الوطن ، حيث مسقط الرءوس مهما اشتد البلاء ، وتمادى القدر في الغلواء !!

والمسافة من الشلال إلى وادى حلفا ، حوالى ثلاثمائة وخمسين كيلو متر ، مقسمة إلى أربع وأربعين محطة تقريباً ، تقف الباخرة البطيئة (البوسـتة) في كل منها ، تحمل البريد ، والبضائع والركاب ، منها وإليها ، ولا تقف الباخرة السريعة إلا مرة واحدة في عنيبة ..

وإذا كان هذا الاسم (بلاد النوبة) يلقى في روع الإنسان حين يسمعه ، أو يقرأ عنه أن سكان هذه البلاد نوبيون جميعاً ، فإن الحقيقة غير هذا ، والواقع يخالفه .. ذلك لأن هذه البلاد تنقسم إلى ثلاث مناطق تختلف كل منها عن الأخرى تمام الاختلاف ، وتباينها إلى حد كبير .

فالمنطقة الأولى من الشلال إلى المضيق ، وهي خمس عشرة محطة : الشلال ، دهميت ، الأمباركاب ، خور رحمة ، أبو هور ، مرواو ، مرية ، قرشة ، جرف حسين ، كشتمنة ، الدكة ، العلاقي ، قورته ، السيالة ، المضيق .

وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون في

البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !!

وإنك لتعجب أشد العجب حينما ترى أبناء هذه البلدة يثبون فى البواخر وثباً ، ويقفزون هنا وهناك ، وكأنما ولدوا على ظهور هذه البواخر ، وعلى صفحات النيل ، وبين موجاته العاتية ، وتياره الجارف ، ومع هذا فلا ينالهم أذى ولا يلحقهم مكروه !!

بيد أن الألم يحز فى نفسك حزاً ، حينما تراهم يرتدون الأسمال البالية ، التى لا تكاد تستر شيئاً من أبدانهم وأجسامهم ! تلك الأجسام الهزيلة الضعيفة ، التى لا تكاد تقوى على الحركة والحياة ، فلقد اجتمع عليها المهلكات الثلاث : الفقر والمرض والجهل ... وما أكثر هؤلاء الصبية فى محط الشلال ، حيث القطر الحديدية ، والبواخر النيلية ..

وفى الدكة مشروع للرى ، ولهذا فقد اشتغل كثير من أهلها بالزراعة ، وقد شعرت وزارة المعارف بازدياد حركة التعليم فى هذه البلاد فأنشأت فى الدكة مدرسة ابتدائية ، حتى تقاوم الجهل وتثقف العقول ، وتنير الأذهان والفهوم ..

وكذلك فى كل من العلاق ، والسيالة ، مشروع للرى ، بعث النشاط نسبياً فى أهل هذه البلاد وما جاورها ، وجذبها إلى موطنها الأصلى ، بدل التشرد فى كثير من بلاد القطر ، سعياً وراء الرزق والقوت ، ومزاولة أعمال ومهن ، اشتهرت بهم ، واشتهروا بها ، ولكنها لا تناسبهم الآن ، أو بالأحرى لا يرضى عنها الجيل المتعلم الجديد ، الذى تعلم واكتملت ثقافته ، واتسعت مداركه ...

والمنطقة الثانية من السبوع ، إلى كرسكو ، وهى ست محطات : السبوع ، وادى العرب ، شاترمة ، المالكى ، السنفارى كرسكو ، وليس فى هذه المنطقة مشروعات للرى ، ومع هذا فأهلها يزرعون المساحات القليلة الضئيلة على جانبى النيل ، ويجدون فى هذا مشقة لا تكاد توصف ، ويكفى أن تدرك ، أنهم يجلبون (الطمى) من النيل عند ما ينحسر الماء ، ويضعونه فوق السفح الصخرى إلى حد يكفى لنمو النبات ، ثم يرفعون الماء بالدوالى والنواعير ، ويبذلون فى ذلك جهداً لا يقاس به جهد إنسان والغنى القادر فيهم من يصلح بهذه الطريقة بضعة قراريط !!

بيد أن بلدة المضيق ، خليط من العرب أهل المنطقة الثانية ، ومن النوبيين الشماليين ، أهل المنطقة الأولى ، ولهذا تجد لغتهم خليط من العربية و (الرطانة) النوبية ، وكذلك بلدة كرسكو على هذا الوضع لوقوعها بين المنطقة الثانية ، والمنطقة النوبية ... منطقة أهل الجنوب ..

وأما المنطقة الثالثة فهى أحسن حظاً من هاتين المنطقتين ، وأرغد عيشاً ، وأكثر ثراء وغنى ، وهى أربع عشرة محطة : أبو حنضل ، الديوان ، الدر ، توماس ، قتة ، إبريم ، عنيبة ، الجنينة ، مصمص ، توشكى ، أرمنا ، أبو سمبل ، بلانه ، أدندان .

وفى كل من توماس ، وعنيبة ، وبلانة ، مشروع للرى ، إلا أن بلانة أخصب بلاد النوبة ، وأنضرها زراعة ، وأوفرها محصولا ، وأسبقها فى ميدان التقدم الزراعى الذى ينتظر هذه البلاد ، بجانب التقدم الصناعى الذى سيجرفها جرفاً إن شاء الله ، ضمن ما يجرف من بلاد القطر ، الغنية بالمعادن الدفينة ، والثراء القبور !!

ولكل منطقة من هذه المناطق الثلاث ، اسم خاص بها ، فالمنطقة الأولى منطقة (الكنوز) أو منطقة (نوبـِّى الشمال) . والمنطقة الثانية منطقة وادى العرب . والثالثة منطقة (نوبـِّى الجنوب) .

ولكل منطقة من هذه المناطق كذلك عادات وتقاليد خاصة تغاير تمام المغايرة المنطقة الأخرى ، وهذا مما يجب أن يدخل إلى حد كبير فى حساب الباحث ، إذ أن واحداً من الكنوزيين ، أو أهل الشمال ، لو أراد أن يكلم آخر من نوبى الجنوب ، فإن أحدهما لن يفهم شيئاً مما يقول صاحبه ، فلكل لهجة خاصة ، أو ما يسمونه (رطانة) ...

ولن يحاول ساكن المنطقة الثانية — منطقة العرب — أن يفهم من أحدهما شيئاً ، لأنه لا يعرف شيئاً من (الرطانة) وإنما هو يتكلم اللغة العربية التى دخلها قليل من اللحن والتحريف وإن كان يحتفظ باللهجة الجميلة ، ذات الجرس الموسيقى البديع !

غير أن اللغة العربية تجمع بين هؤلاء الإخوة جميعاً ، ولكنها عربية غير سليمة بطبيعة الحال ، وكثير من الصبية والصغار لا يعرفون العربية ، ولا يرضون بالرطانة بديلا ، وكذلك أكثر

النسوة اللاتى لم يغادرن بلادهن ، إلى مختلف بلاد القطر . فهؤلاء لا يتكلمن بالعربية على الإطلاق ، لأنهن لا يكدن يعرفن عنها شيئاً أكثر مما يعرف عنها أهل القطبين !!

ومن العجيب أن التنافس شديد فى العلم والمعرفة ، والرقى إلى المناصب السامية ، والتخلص من ربقة الماضى الأليم — بين أهل الشمال وأهل الجنوب من النوبيين فحسب ، أو بالحرى بين المنطقة الأولى والمنطقة الثالثة ، ويظهر ذلك جلياً بين تلاميذ مدرسة عنيبة ، فى بدء العام الدراسى عند الدخول أو الالتحاق بالمدرسة ، ثم يزداد وضوحاً فى حجرات الدراسة مما يشحذ الهمم ويلهب القرائح ، ويدعو إلى التفوق والنهوض ..

ويلاحظ أن تلاميذ المدرسة من أهل الشمال ، أكبر سناً من تلاميذها من أهل الجنوب ، وربما يكون مرجع هذا إلى أن قرب المدرسة من أهل الجنوب يساعدهم على الالتحاق بها فى سن صغيرة .

كما تبدو هذه المنافسة بين الكبار فى شتى النواحى ، ومختلف مظاهر الحياة ، مما قد نعرض له فى سياق الأحاديث .

عبد الحفيظ أبو السعود

الغزل فى شعر المرأة ...

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

من الأدب النسوى :

شعر المرأة فى مجموعه قليل ضئيل فأنت تجد الموسوعات الأدبية تزخر بأشعار الرجال فى شتى المواضيع ، دون أن تطالع للمرأة غير البيتين أو الثلاثة فى الفصل الطويل ، ولا يرجع ذلك إلى غبن أو تقصير فى جنب المرأة كما قد يتوهم فريق من الناس ، بل لأن المؤلف يحرص على أن يختار لقرائه أنفس ما وقعت عليه عينه من رائع الشعر ، وبديع القول ، والمرأة وإن أجادت فى كثير من الأغراض فالرجل بلا شك أكثرمنها إجادة ، وأكمل توفيقاً ، فالمؤلف إذن معذور مشكور ...

والغزل بنوع خاص لم يظفر بنصيبه الذى يستحقه من المرأة بل كان عنصراً عزيز المنال ، قد قامت دونه الموانع ، وتكاثفت أمامه السدود ، وذلك طبيعى للغاية إذا نظرنا إلى البيئة الشرقية التى ترعرعت فيها الفتاة العربية ، وعلمنا أن من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية صامتة مفحمة مهما اعتلج صدرها بالشوق ، واستعر فؤادها بالحنين ، وإلا فنحن نرى من الفتيات من نظمن القلائد البديعة فى مختلف أغراض الشعر ما عدا الغزل ، فقد أمسكت حواء عنه ، ولم تحلّق بجناحها الشاعر فى أجوائه الفسيحة . فهل كان ذلك عن عىّ أو قصور ؟ ! أو أن الرقابة القاسية من الأهل قد أخرست الألسنة الشادية ، وألجمت الطيور الصادحة ، رغم ما نعرفه فى المرأة من شعور دافق وإحساس مشبوب ...

ونحن نعلم جيداً أن بثينة صاحبة جميل ، وأُمَيْمة فاتنة ابن الدمينة ، وليلى معبودة قيس ، قد كن شاعرات مجيدات ، فليت شعرى أين ما نظمنه من الغزل الرقيق ؟ مع ما يعترف به التاريخ من تفانيهن فى العشق ، وجنونهن فى الحب ، اللهم إلا أن نجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع ما يتأجج فى صدرها من لهيب !

وإذا كان ابن الأيك يجنح إلى الترنم فى خلسة مواتية مهما نصبت حوله الشِّباك الوثيقة ، وقامت فى وجهه الموانع المتزاحمة فإن الأسفار الأدبية قد حفظت لنا جمرات مشبوبة من غزل المرأة الرائق وهى — على قلتها — تعطيك فكرة تامة عن القيمة العقلية للمرأة ، وتوقفك على كثير من الانفعالات النفسية التى تكابدها الفتاة إذا احترقت فى سعير الغرام

والواقع أن المرأة لم تلج باب الغزل صريحة سافرة بل تلثمت بكل ما ملكته من براقع وخمور ، فكان غزلها فى الغالب تلميحاً يهديك إلى الطريق ويحملك تسير فيه وحدك دون أن يرافقك فى خطواتك ، وقد تجد من يسلبها الوجد رشادها الناصح ، فتنطق بما يجيش فى صدرها واضحاً سافراً دون أن تتلثم بلثام واحد ولها من شعورها الدافق ، وغرامها المتقد ما يبرر لها الغزل والتشبيب

وصاحبة التلميح أريبة ذكية تعرف من أين تؤكل الكتف فقد استغلت عنصر الحنين إلى الوطن أتم استغلال ، فاعتمدت

عليه فى التنفيث عن صدرها ، والتعبير عن خوالجها ، لما تعلمه من الصلة الوثيقة بينه وبين الغزل ، وهى بذلك قد أخمدت الفتنة الثائرة ، وأغمضت العيون المتنمرة ، ثم — هى فى الوقت نفسه — قد أفهمت حبيبها كل شىء . فأدرك من حنينها الذائب ما يتقد فى أحشائها من شوق . وهـذا فى الواقع مطلب عزيز ، تبذل العاشقة جهدها الجاهد فى تحصيله ، فلم لا تصل إليه من أقرب طريق ؟ ؟

ونحن نعلم عاشـقات مدنفات قد اشتهر فى الملأ شوقهن العارم ، فما احتمله قريب أو صديق . بل عمد كل والد إلى فتاته تحملها إلى وطن غريب ، وعقد قرانها فى بلد نازح ، وهنا ترسل النائية حنينها إلى مسارح الصبا وملاعب الشباب ، وأنت حين تقرأه لا تجده غير غزل مقنع قد أهدى إلى الحبيب الأول ففهم منه كل شىء ، ولك أن تعتبر من هذا النوع قول القائلة :

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا   علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا   وحب إلينا بطن نعمان واديا
فإن به ظلا ظليلا ومورداً   به نقع القلب الذى كان صاديا

فهـل صحيح أن الشاعرة تقصـد ماء نعمان ، وظله الظليل ومورده الرائق ؟ ! لو كان ذلك وحده ما أحسست بهذه الحسرة المتأججة ، واللهفة المشـتعلة ، وما اهتدت الشاعرة إلى قولها الرائع « به نقع (القلب) الذى كان صاديا ! »

ونظائر هذه الأبيات لا تندرج تحت حصر ، وهى تدلنا على فطنـة المرأة ، وذكائها اللماح ، وتؤكد لنا أن الحب كالزهرة الناضرة ، لابد أن يعبق أريجها فى كل مكان تحل به وهل كان الحنين غير عبير فاتن ينعش الأفئدة ويبهج النفوس ؟!

وكثيراً ما تفر المرأة من الحنين إلى الكناية والرمز ، وهى فى ذلك تقتدى بالرجل فتسير وراءه خطوة خطوة ، ولـكن أى رجل تتبع ؟ ؟ إنها تعمد إلى شاعر سـدت أمامه المسالك ، وصلصلت فى كفه القيود ، فتتجه معه فى اتجاهه ، ما دامت ظروفه القاسية كملابساتها المنيدة ، وإذا كانت المرأة تعتقد فى قرارة نفسها أن الرجل أحزم منها وأعقل ، فإنها تسلك طريقه مطمئنة إلى السلامة واثقة بالنجاة …

ولعل أصدق مثال نقدمه للقارىء ، هو حميد بن ثور الهلالى فقد كان ممن برح بهم العشق فأرسل قصائده الغزلية سافرة عارية ولـكن الحاكم يقف فى وجهه منذراً مهدداً ، فيمنعه من التغريد الساحر ، وهنا يلجـأ الشاعر إلى الـكناية المقبولة فيتغزل فى السرحة مطنباً فى محاسنها الفاتنة ، ولعمرى لقد وفق فى اختياره فالسرحة ذات منظر جذاب ، وثمر شهى ، ونسيم منعش مريح وكل ذلك مما يذكر العاشق المدنف بمعبودته فيتمثلها أمام عينه إذ يقول :

أيا طيب رياها ويا حسن طعمها   إذا حان من شمس النهار شروق
وهل أنا إن عللت نفسى بسرحة   من السرح مسدود على طريق

ومهما يكن من شىء فقـد نفث الشاعر عن صبره . ولم يجعـل لأحد سلطاناً عليه ، ثم هو قد فتح الباب على مصراعيه لعلية بنت المهدى شقيقة الرشيد . فقد علقت غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولـكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحديا صارخاً ، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول

أيا سرحة البستان طال تشوق   وما لى إلى ظل لديك سبيل

ثم تطنب فى وصفها الساحر فتجلس على ناصية الإبداع والافتتان وذلك منها غير كثير …

وفى رأيى أن هـذه الحيطة جميلة مقبولة تسير مع الأخلاق النبيلة فى مهيع واحد ، وإن كان من الشاعرات السـذج من تبالغ فى الحذر والحيطة ، فتعلن لك أنها تتقى الله عز وجل وتأتمر بأمر العفاف ، ثم تعتقد أنها قد أمنت بذلك ما عسى أن يوجه إليها من ملامة أو نقـد ، فتصرح بما يثير حولها الشـكوك ، ويجعلها مضغة ملوكة فى الأفواه ، ودونك قول أم ضيغم البلوية

وبتنا خلاف الحى لا نحن منهمو   ولا نحن بالأعـداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط البرد والندى .   من الليل بردا يمنـة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا   إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن أمر العفاف وربما   نقعنا غليل القلب بالرشفان

وأنا لا أدرى ماذا يفيدها ذكر الله بعـد أن نقعت غليل القلب بالرشفان ؟ وماذا يغنى العفاف بعـد أن باتا فى مكان قاص خلاف الحى ؟ ، اللهم إن هذا احتراس أدى إلى افتضاح ولـكن فيه رائحة الطمأنينة على كل حال …

ومن العاشقات من تصرح للمـلأ بتقوى الله عز وجل واستحياء بمض المواقب ، ولـكنها تعتصم بالعقل فلا تتورط

فيما تورطت فيه أم ضيغم ، بل تسير فى سبيلها المملوء بالشوك بيقظة محاذرة ، تتجنب العوائق ، وتتجافى عن المزالق حتى تنتهى من المسير بسلام ، والتفت مى إلى عاتكة المرية إذ تقول :

وما طعم ماء أى ماء تقوله ... تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
نفى جرية الماء القذى عن متونه ... فما إن به عيب يتاح لشارب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه ... تقى الله واستحياء بعض العواقب

ثم صارحنى رأيك هل لاحظت عليها تورطاً وانزلاقاً كأم ضيغم أو وجدت فى قولها ما تشم منها رائحة الريب الآثم ، الحق أنها كانت لبقة ماهرة فيما نظمته ؛ وأنا لا أدرى لماذا تذكرنى أبياتها بأبيات أخرى تتفق معها فى الطريقة ، وتخالفها فى التفكير .

ونحن لا يهمنا أن يكون الإطار من نوع مألوف بل نحرص على أن تكون الصورة جديدة والريشة بارعة كما جاء فى قول ضاحية الهلالية :

وما وجد مسجون بصنعاء عضه ... بساقيه من صنع القيون كبول
قليل الموالى مستهام مروع ... له بعد نومات العشى عويل
يقول له السجان أنت معذب ... غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكثر منى لوعة يوم راعنى ... فراق حبيب ما إليه سبيل

فأنت ترى أن الطريقة الأولى هى الطريقة الثانية ولكن معنى عاتكه مكرر معاد(١) أما أبيات ضاحية فذات تصوير مبتكر وأنت لا تستطيع أن ترجع بها إلى قائل متقدم ، مهما أتعبت نفسك فى التنقيب ، ثم هى تصور لك جزع المرأة من السجون ورهبتها من القيود ، وليت شعرى إذا لم نلمس إحساس المرأة من شعرها العاطفى فمن أى نبع دافق نستقيه ؟ أما قوة النسج فبارزة بوضوح فى كلتا المقطوعتين

(يتبع) **محمد رجب البيومى**

(١) لا تكاد الصورة الوصفية للماء فى قول عاتكه تخرج عن قول كعب بن زهير

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل

صـــــــور

(هى من وحيها وفيض هواها)

للأســـتاذ أنور العطار

أنت دائى ما أنكرتك الجروح لا ولا عقك الفؤاد الذبيح
طائف منك مر بالقلب هيما ن ، لحن الهوى وضجت قروح
وتعلمت منك كيف أنوح

أنت وهم حلو يلذ ويغرى أنت كالخمر فى الأضالع تسرى
أنت سر الهوى تغنى بك القلـ ب ، وشعر أربى على كل شعر
وصلاة تروق قلبى وفكرى

أنت دوح يموج بالأطياب فتنة العين مطمح الآراب
يتغنى بك المشـــوق المعنى ويناجيك بالأمانى العذاب
وأغاريد قلـــبى المطراب

أنت طيف الهوى وأنغام حبى ونصيرى على اغتمامى وكربى
وسميرى فى وحدتى واعتزالى وأليفى إذا تبـــدد صحبى
أنت راحى وأنت ريحان قلبى

أنت لحن جم الناغم بكر ملؤه روعة وسحر وشعر
وسراب إذا تلفت أبغيـ ه انثنى ضائعاً وولى يفر
واعترانى عليه حزن وذعر

صـور يغمر العيون سناها وأمانى لا يحـد مـداها
نغمات تظل تعزف فى النفـ س ، ويبقى على الليالى صداها
هى من وحيها وفيـض هواها

فلسطين رمز جهاد العرب

للأســـــتاذ ابراهيم الوائلى

فلسطين لا زعزعتك الخطوب ولا أرهقتك ثقال النوب
ولا أوهنتك عوادى الزمان إذا ما دجا أفقها واضطرب
ولا فلّ عزمك طول الكفاح فإنك رمز جهاد العرب
وقفت ومثلك لا يستكين مناضـــلة حين جدّ الطلب
وأزمعت ألا ترى غاصباً يجوس لديك خلال الرحب
ولا طامعاً أشـــعبى الرجاء يظن بأن سينال الأرب
وكيف يكون — وفيك الأسود غضاباً وواديك واد أشب
وخلفك جيش يخوض الدماء ويسبح فى موجها المصطخب
ودنيا سواء لديها النسيم ندىُّ الذيول ، وحرُّ اللهب

***

فلسطين ما كنت مأوى الدخيل ولا طعمة الشره المغتصب !
ولست ملاذ الشريد الذليل ولا مسرح اللاجىء المغترب !
غزاك من النفر الصاغرين طريدون لم يجدوا مضطرب
عصائب قد أمعنوا بالنفاق ونفث السموم وبث الريب
أرادوك ملجأ شـــذاذهم على غير ما صلة أو سبب

***

فلسطين أين دماء الشباب تذوب على سفحك المختضب ؟
وأين الرؤوس تقود النضال وتسحق من كبرياء الذنب ؟
ومالك والدم يجرى بها سجل يفاخر حتى الشهب
وتاريخك الناصع المستفيض يطاول من قال أو من كتب
طويت السنين ثقال الخطى وما كان حظك غير الوصب
وقمت بما يقتضيه الفخـــار فإما الممات وإما الغلب
وما قدر حى يحب البقاء ودنيـــاه حافلة بالسغب

***

فلسطين يا صرخة الثائرين على الظلم حين طغى واستتب
ويا غضبة رددتها العصور لتعلم صهيون كيف الغضب
حملت اللواء على منكبيك خضيباً وقلت : حذار الحرب
وكنت الدؤوب وهل فائز بنيل الحقوق سوى من دأب
جهادك لحن بثغر الخلود رن صـداه وراء الحقب
ودنيـــاك محمرة الجانبين من الدم كالشفق الملتهب

***

فلسطين جرحك ملء القلوب وذكراك ماثلة عن كثب
فزعن لصوتك إذ تصرخين وما هان أن تتعالى الندب
فنحن سواء بحمل الخطوب ويجمعنا حولهن النسب ...
جراح ولكنها فى الصميم وداء ولكنه فى العصب
فساس على غير ما نبتغى وندعو ولكن بمن لم يجب
ونزجى العتاب وهل نافع مع المستبد سلاح العتب ؟

وكم ذا تعللنـــا بالوفاء عهود مبطنة بالكذب ؟
فشأن السياسة نهب الشعوب وفى الجريمة عمَّن نهب

***

يقولون : فى الكون حرية وفجر تألق خلف الحجب !
وحرب أثيرت لنشر السلام وذاك هو الأمل المرتقب
وما السلم إلا خيال بطوف وحلم تباعد ثم اقترب ...
وقد سخروا «الذر» حتى استجاب
وذل لهم كل ما قد صـــعب
ولو صدقوا بالذى يدعون لمـا بقيت جذوة فى الحطب !

***

أفيقوا دعاة الخصام البغيض ولا تبعثوا كامنات الريب
فللعرب موطن آبائهم وللسامريين عجل الذهب

ديوان شـــعر (*)

للاستاذ بدر شاكر السياب

« إلى اللائى استعرن منى ديوانى ليقرأنه
فبات متنقلا ما بينهن ، ونال من عطفهن
ما حرمته . . . أقدم هذه القصيدة »

ديوان شـعر ، ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل
أنفاسى الحرى تهيم على صـفحاته ؛ والحب والأمل
وســتلتقى أنفاسهن بها وتحوم فى جنباته القبـــل
ديوان شـــعر ، ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل . .

***

لما يعين (1) النوح والشكوى كل تقولى : من التى يهوى ؟
وسترتمى نظراتهن على الـ صفحات بين سطوره نشوى
ولسوف ترجع النهود أسى ويثيرها ما فيه من بلوى
ولربمـــا قرأته فاتنتى فمضت تقول : من التى يهوى؟

***

سيرين ما لاقيت فى حبى فيصحن : ياللعاشق الصب .!
ولقـد تسيل دموعهن على جنباته ، موصولة السكب
يا ليت قلبى من قصائده لترى الحسان الغيد ما قلبى
ســيرين ما لاقيت فى حبى فيصحن : يا للعاشق الصب..

***

ديوان شعرى . . رب عذراء أذكرتهـــا بحبيبها النائى
فتحسست شـــفة مقبلة وشتيت أنفاس وأصـــداء
فطوتك فوق نهودها بيد واسترسلت فى شبه إغفاء
ديوان شعرى . . رب عذراء أذكرتهـــا بحبيبها النائى

***

يا ليتنى أصبحت ديوانى ، أختال من صدر إلى ثان . .
قد بت من حسد أقول له : يا ليت من تهواك تهوانى !
ألك الكؤوس ولى ثمالتها ولك الخلود وإننى فان ؟
يا ليتنى أصبحت ديوانى ، أختال من صدر إلى ثان

***

كم غادة شـــاهدت تخدعها ومضيت تسهر ليلها معها !
قد هزها شوق لمتســـف أمسى هواه يسـيل أدمعها
فمضت تذيع إليك قصتهـــا وتبث ما فى أضلعها . .
كم غادة شـــاهدت تخدعها ومضيت تسهر ليلها معهـا !

***

ستعيش بين النور والمطر وتفر من صدر إلى صدر
فترى الثغور تعيد ، هامسة ، ما فيك من فتن ومن سحر
والنهد يرى الظل فيك على روض الخيال ومرقص الشعر
ســتعيش بين النور والمطر وتفر من صدر إلى صـــدر

***

يســمعن فيك أغانى الريف مترنماً بحسانه الهيف . . .
الماء يشكو للجرار هوى والنخل فى صمت وتعزيف
والليل والأنســـام عاطرة والزورق الفانى المجاديف
تلق مســامعها إلى الريف يشكو غرام حسانه الهيف

***

ســأبيت فى نوح وتسهيد وتبيت تحت وسائد الغيد
أو لست منى ؟ إننى نكد ما بال حظك غير منكود ؟
زاحمت قلبى فى محبتــه وخرجت منها غير ممدود
أأبيت فى نوح وتسهيد وتبيت تحت وسائد الغيد ؟

***

ديوان شـــعر ، ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل
أنفاسى الحرى تهيم على صـفحاته ، والحب والأمل
وسـتلتقى أنفاسهن بها وتحوم فى جنباته القبـــل
ديوان شـــعر ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل

(*) من ديوان (أزهار ذابلة) الذى سيتم طبعه قريباً .
(1) من وعى يعى



هكذا تكون الشرطة !..

يا سيدى ! بالباب عسكرى يقول إنه يريد أن يسلمك محضراً !

بهذا النبأ المزعج دخل علىّ الخادم فى نحو الساعة الثامنة من مساء ليلة قريبة وأنا جالس إلى مكتبى أفتش فى المراجع دون أن أقع على طلبتى حتى ضاق صدرى ، فلم يسر عنى ما بى إلا هذا النبأ البهيج ! ووثبت من فورى أتلق البشرى ، فلقد والله زادنى الخادم غيظاً على غيظى بابتسامته البلهاء التى شفع بها هذا الخبر الأسود كما لو أنه جاء ليبشرنى بما تنبسط له نفسى !

ومشيت وأنا أسأل الخادم ، أو على الأصح أصيح به محنقاً — فقد خيلت إلىّ أعصابى المكدودة أنه يشمت بى إذ يبتسم أو يظن بى خوفاً — أى محضر ؟ ولم أخرج من دارى نهارى كله ولا أذكر أنى فعلت بالأمس ولا قبل الأمس شيئاً يستوجب المحضر ، ولا أنا - ولله الحمد- ذو سيارة حتى أدوس بها أحداً أو أخالف بها نظام المرور ، ولست ممن يعودون إلى دورهم بعد منتصف الليل ... ولا ... ولا ...

ومضيت إلى الباب الخارجى فما راعنى إلا عُتلٌ أبرز ما فيه شارباه وأنفه وطول قامته ، حتى لقد ذكرنى ذلك العملاق بتلك الصور الكاريكاتورية التى ترسمها بعض المجلات لبنى جنسه ، وأشهد والله بعد رؤيته ما فيها شىء مما كنت أظنه من مبالغة !

— ماذا تريد يا شاويش ؟ وليصدقنى القارئ أنى أتأدب حتى فى خطاب من يسلمنى محضراً

— مى محضر يا أفندى من فضلك وقع عليه بالاستلام !

— لمن هذا المحضر ؟

— لا أعرف

— ما موضوعه ؟

— لا أعرف

هذه والله — فى غير تحريف — إجابة الشاويش الهمام لم أصنع بها شيئاً إلا أنى عرّبتها ! وحبست ضحكى تأدباً علم الله وبنفسى أن أقهقه لولا أنى لا أحب أن أسىء حتى إلى مثل هذا العتل وقلت : إذا كنت لا تعرف صاحب المحضر ولا موضوع المحضر ... فلم اخترت هذا البيت بالذات ؟

— قالوا عند المزلقان ...

ومددت يدى أتناول الورق منه ، فدفعه إلىّ بعد تردد وحذر ؛ وألقيت نظرة فإذا هو لفلان فى بيته المرقوم بكيت ويقع كذلك عند مزلقان وهو بشأن سيارة لم يعننى أن أعرف موضوعها ؛ وتبسمت وقلت للشرطى ليس المحضر لنا ، ورحت أصف له موضع البيت المقصود ، وأذكر له اسم الشخص المطلوب ، وحسبت أنه سوف يحمد لى هذا الإرشاد ؛ ولكنى نظرت فإذا به يداعب شاربه ويرمينى بنظرة اشتركت فيها عيناه وأنفه وغلاظه وجهله ، وإنه ليبتسم ابتسامة أسمج من هيكله ، وكأنما يريد أن يذكرنى أنه من رجال البوليس ، وهل يضحك أحد أو يمكر برجال البوليس ثم قال : وقع على الورق يا أفندم ... ما فيش لزوم للزوغان !

ورأيت أنى أكون أجهل منه لو ناقشته بعد ذلك ، فهممت أن أوقع لمجرد التخلص منه ، وليفهمه رؤساؤه بعد ذلك خطأه ، ولكنى عدت أؤكد له أنى لست الشخص المطلوب ، وهو ينظر إلىّ ويصب علىّ سماجته كلها ، حتى ضقت به فقلت لن أوقع ، وإذا ذاك تراجع وطلب إلىّ أن أدله على البيت المكتوب فى الورق ... فتنفست الصعداء وقلت :

— أتعرف بيت محمد باشا محمود ؟

— محمد باشا محمود ؟ ومين محمد باشا محمود ده ؟ ومين يا أفندم اللى يعرفنى بالكلام ده ؟ !

وجذبته من ذراعه وسرت معه خطوات حتى وقفت به فى الشارع المجاور ، وهو شارع الفلكى ، وقلت له : أنت الآن تتجه « بحرى » فأين يدك اليسرى ؟ ومد إلىّ يده اليسرى فى سذاجة ، فقلت : تظل ماشياً فى هذا الشارع إلى أن تجد بيتاً كبيراً يقف ببابه ، ويقع عن شمالك ، عسكرى مثلك ، فاسأله أين البيت المطلوب ... وانطلق العملاق يتمتم بكلمات ولعله كان يستنزل لعنة الله على من كلفوه ما لا يطيق ؛ وعدت إلى مكتبى ومراجعى وأنا أقول لنفسى : هذا وأمثاله هم حفظة الأمن والنظام ، وهذا وأمثاله من يستلم المرء محضراً حقاً إذا انتهرهم أو ضاق بهم فدفعهم من طريقه أو من مدخل داره ... هذا وأمثاله وليسوا بالقليلين هم شرطتنا ... الا متى يفهم القائمون بالأمر ، حفظة الأمن الكبار ، حفظهم الله ، أن تغيير هذا الصنف كله بات من أوجب الواجبات ؟

الخفيف

تعقيبات

الأصدقاء والأعداء :

نشرت الجريدة الرسمية للحكومة البلجيكية قانون جمعية تألفت أخيراً باسم « جمعية الصداقة المصرية البلجيكية » ، وقالت إن غرض هذه الجمعية « توثيق الروابط الثقافية والاقتصادية بين مصر وبلجيكا » ، وذكرت أن من أعضائها « أحمد صديق باشا ، وعزيز أباظه باشا ، والمسيو هنرى أردن مدير شركة ترام القاهرة ، وحضرة سكرتير المفوضية المصرية ببروكسل » ... إلى آخر من ذكرت من ذلك الخليط ..

ومنذ أيام قليلة كانت لنا قضية أمام مجلس الأمن ، هى قضية الحياة والحرية والكرامة ، ووقفنا فى المجال الدولى نتبين العدو من الصديق ونفتش عن أولئك الذين عاشوا طول الزمن يغترفون من فيض الكرم المصرى ويقتاتون بدم الشعب الطيب الوديع ، فهالنا أن نرى « بلجيكا » فى صف الأعداء ، تأبى علينا الحياة والحرية والكرامة ، وتملى على مطالبنا حرباً شعواء فى غير خجل ولا حياء ، وهى التى تكسب من مال مصر كل عام ما يقدر بنصف دخلها أو يزيد .

فى الشدة عرفنا العدو من الصديق ، وأصبح من الواضح أين نتوجه بعواطفنا وإلى من نبذل صداقتنا ، وبالأمس حمدنا لأديب مصرى أن ألقى بوسام فرنسى من صدره إنكاراً لدولة أنكرت علينا حقوقنا ، ولكن يظهر أن عندنا جماعة من محترفى « الصداقات » وهم فى هذا السبيل لا يبالون مصريتهم ولا يراعون عواطف الشعب الذى ينحدرون منه وينتسبون إليه !

يقول الفلاحون عندنا فى أمثالهم : « ليس بعد حرق الزرع جيرة » ، فماذا يكون بيننا وبين بلجيكا من الروابط « الثقافية والاقتصادية » ولماذا نحرص على تقوية هذه الروابط بعد الذى كان من موقف تلك الدولة تجاه قضيتنا ، وتجاه حريتنا ، وبعد أن كفرت بأفضال مصر واستخفت بكرم المصريين وكرامتهم ؟؟

كلا أيها السادة ، إن الكرامة المصرية أصبحت لا تحتمل هذا التهافت ولا تطيق تلك « الصداقات الرخيصة » التى تجلب لأصحابها ما تجلب من « الأسهم والسندات » ولكن على حساب الأمة المسكينة والشعب المنكوب ! !

لازاريت .. والأزهر :

أذكرنى الكلام الذى يجرى الآن عن الحجر الصحى ووقاية البلاد من الأمراض الوافدة بكلمة لها صلة بهذا الموضوع .

ذلك أن جمهورية « فينسيا » كانت أول دولة أقامت محجراً صحياً ببلادها عام ١٤٠٣ م وأسمته « لا زاريت » ، ثم كان أن أخذت الدول الأوروبية عنها هذا النظام .

ولما هجمت « الكوليرا » على مصر عام ١٨٣١ م كان الوالى على مصر محمد على باشا ، فأمر ذلك المصلح الكبير بادخال نظام « الكورنتينة » فى مصر ، فجمع قناصل الدول وألف من بينهم لجنة لوضع النظام الخاص بهذا الغرض ، وفى عام ١٨٣٢ م بنى أول محجر صحى فى الشاطبى بالأسكندرية ، وعرف هذا المكان باسم « مزريطه » أو « الأظاريطه » نسبة إلى كلمة « لازاريت » التى أطلقت على أول محجر صحى أنشأته جمهورية « فينسيا » ..

ويقول «لاروس» فى معجمه الكبير — مادة لا زاريت —

« إن بعض الأفرنج يرون أن كلمة لازاريت مأخوذة من كلمة الأزهرية لأن الأزهر فى مصر ملجأ للعميان والشيوخ المتقاعدين»

ولست أدرى هل هذا هو مبلغ العلم عند هؤلاء الأفرنج ، أم هى روح التعصب والشنآن لا تفارقهم حتى فى التحقيق العلمى ، فان كلمة « لازاريت » معروفة الأصل واضحة النسب ، فهى كلمة لاتينية معناها « المجذوم » ، وقد كانت الدولة الرومانية تبالغ كثيراً فى الحجر على المجذومين ، وكان عقاب المجذوم الذى يخرج من نطاق الحجر هو القتل السريع ، وكان أن أطلقت هذه الكلمة على نظام الحجر الصحى الذى أخذت به الأمم فيما بعد ..

على مبارك باشا :

أشار الدكتور زكى مبارك فى مقال له بالبلاغ إشارة عابرة إلى على مبارك باشا فقال : « والحقيقة أن على مبارك باشا من مديرية الشرقية .... وقد كان عظيما ، والذى يعرف تاريخه هو

الدكتور ابراهيم سلامه ، فقد نال بالحديث عن مذاهبه التعليمية إجازة الدكتوراه من باريس ... » .

وأنا رجل شرقاوى ، وكان يهمنى أن يكون ذلك الرجل العظيم من مفاخر إقليمى ، ولكن الحقيقة أنه من الدقهلية ، وقد قرر هو هذه الحقيقة فى الترجمة التى كتبها لنفسه فى الخطط التوفيقية فقال : « إن قرية برنبال الجديدة هى مسقط رأسى ، وبها نشأت ، وكانت ولادتى سنة ١٢٣٩ هـ كما أخبرنى بذلك أبى وأخى الأكبر ، وأصل جدنا الأعلى من ناحية الكوم والخليج وهى قرية على بحر طناح .. » ، ومن المعروف أن قرية برنبال الجديدة تقع على البحر الصغير تجاه كفر علام بمديرية الدقهلية ..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن على باشا مبارك فر من قريته وهو صغير فأصيب بالكوليرا وسقط فى الطريق ، وكانت فاشية فى مصر يومذاك ، فحمله أحد الفلاحين إلى منزله وتولى علاجه والعناية به ، وقد كتب الله له السلامة من ذلك الوباء اللعين ...

وهناك مسألة يجب أن يتدبرها الذين يكتبون عن على مبارك باشا ، ويدرسون آثاره ويحكمون عليها ، وهى أنه رحمه الله كان يصنع فى مؤلفاته صنيع السيوطى من قبل ، فكان يعتمد إلى حد بعيد على تلاميذه ومريديه وأصدقائه فى وزارة المعارف ، ويقولون إن للمغفور له عبد الله فكرى باشا جهداً فى « الخطط التوفيقيه » ، وقد استطاع على مبارك باشا بهذه الطريقة أن يؤلف كثيراً حتى فى الموضوعات التى لم تكن لها صلة بثقافته ، وإن الكشف عن هذه الحقيقة ليجعلنا نتدبر كثيراً فى الحكم على مؤلفات ذلك الرجل العظيم وما خلف من آراء وآثار .

هذه كلمة عابرة فى الرد على إشارة عابرة ولعل الوقت يسمح لى بالكتابة عن ذلك الرجل فقد جمعت عنه من المعلومات الشىء الكثير ...

إمارة الشعر :

لمناسبة ذكرى المغفور له شوقى بك عاد إخواننا الصحفيون يتحدثون عن إمارة الشعر ، وفتحت مجلة « الهلال » فى عددها الأخير باب الاستفتاء لقرائها فيمن هو أجدر بلقب الأمارة الآن ؟

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن إمارة الشعر يمكن أن تفتعل افتعالا وتقترح اقتراحاً وأنه لابد للشعراء من أمير كما للصحفيين نقيب وللمحامين عميد وللعمال « كومانده » وللتجار « مرنجار » ...

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن شوقى صار أميراً للشعراء لأن فريقاً من أدباء العربية احتفلوا به لهذا الغرض ، ولأن حافظاً بايعه بالأمارة فى ذلك الحفل ، ولأن الصحف أخذت تخلع عليه هذا اللقب فى كل مناسبة ...

كلا أيها الإخوان ، إن شعر الشاعر وحده هو الذى يضمن له الأمارة ، ويضمن له الخلود على الزمن وهو مرتبة أكبر من كل إمارة وما هو فوق الأمارة ...

لقد كانت بدعة اقتضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر منذ نصف قرن ، فقد كان المصريون يرون أن الأتراك قد استأثروا دونهم بالألقاب الفخيمة والرتب العالية ، فكان من مطالبهم أن يكون لهم نصيبهم من هذا ، وكانت فى نفوسهم لهفة على أن تكون أسماؤهم مقرونة بالألقاب والنعوت الكبيرة ، وكان لهذه اللهفة صداها فى دولة الأدب ، ولما كان شوقى شاعر القصر فى تلك الأيام فقد درجت الصحف يومذاك على تلقيبه بشاعر الأمير ، ولما كان حافظ فى الجهة القابلة له فقد لقبوه بشاعر النيل ، وهكذا شاعت الألقاب بين الشعراء والكتاب ، فلقبوا الخليل بشاعر القطرين ، واسماعيل صبرى بأستاذ الشعراء أو بشيخ الشعراء ، وعبد المطلب بشاعر العروبة والبداوة ، وولى الدين يكن بأمير الشعر والنثر ، وجاء صديقنا الأستاذ أحمد رامى فى عقاب ذلك ففاز من التركة « بشاعر الشباب » وهى الرتبة التى لا يزال يحملها إلى اليوم ... وكان المرحوم الشاعر أحمد نسيم لا يجد من يخلع عليه اللقب المناسب فكان يرسل بقصائده إلى الصحف بعد أن يكتب لها مقدمة ثناء طويلة يخلع فيها على نفسه ما شاء من ألقاب ، أقلها شاعر الوطن ... ولما مات شوقى وحافظ وقف يقول :

ولو شئت كانت لى زعامة شعرهم ... وكنت لمن يأتم خير إمام
شوارد تزرى بالحطيئة هاجياً ... وتعيى جريراً فى مديح هشام

ولكن عهد الحطيئة وجرير كان قد انقضى ...

وكانت فى نفس شوقى رحمه الله لهفة إلى نيل رتبة الباشوية ، كما كان المتنبى يتلهف على الفوز بالولاية ، ولكن الظروف لم تسعفه ، فقد أبعد الخديوى عن مصر ، وأبعد شوقى نفسه عن

الأدب والفن في أسبوع

أدب القوة :

سأل مندوب (المسامرات) الدكتور عبد الوهاب عزام بك عما ينصح به الشباب في ميدان الأدب لمواجهة نهضة مصر الحديثة ، فأجابه :

« أدعو الشباب إلى أدب القوة ، والقوة النفسية التي تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام فيمضي في هذه الحياة مجاهداً يشق طريقه إلى غايته ، يذلل الصعاب ويقتحم العقبات . وأدعوهم إلى أدب النجدة والمواساة والإيثار الذي يحدوهم إلى العمل للجماعة وتأدية الواجب ، والاغتباط بفعل الخير دون ابتغاء منفعة أو جاه أو سمعة .

وأحذرهم من الأدب الضعيف الداعر الذي يسف بالنفس إلى الدنايا ، ويقعدها عن الجهاد ، ويخيفها من كل مشقة ويجنح بها بها إلى الدعة والعكوف على اللذة والإخلاد إلى البطالة والتسكع »

وهذا الذي أجاب به الدكتور عبد الوهاب عزام ، برنامج للأدب المنشود ، موجز في كلماته ، ولكنه واف في مراميه ؛ فهو يدعو إلى أدب القوة في هذا الوقت الذي اقتنع الجميع فيه بضرورة القوة للحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وقد زأرت آساد العرب وتحركت نحو هذه الحياة في الطريق إلى فلسطين ، ولا شك أن الخيول العربية الآن في جميع أقطار العروبة تملك اللجم ويتحفز فرسانها للوثوب ، وغايتهم القضاء على الدخلاء في جميع البلاد العربية بادئين بالصهيونيين ...

وهنا أتخذ سمة الباحث في الأدب من حيث تفاعله مع الأحداث وروح العصر ، فأقول إن الأدب لابد أن يستمد من هذه الروح ويدفع تلك الحركات ، لأن وجدان الأمة العربية يزخر بمشاعر القوة والنجدة ، ووظيفة الأدب الأساسية أن يعبر عن الشعور ويستملي الوجدان .

ثم أتخذ سمة الباحث في الاجتماع فأقول إن الأمة تتكون من الأفراد ، فلكي تكون قوية يلزم أن يكون أفرادها أقوياء ؛ وقوة النفس هي أصل القوى ، لأنها ، كما قال الدكتور عزام ، تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام واقتحام العقبات ، وتدعو إلى النجدة والإيثار والعمل للجماعة . والأدب يتفاعل مع كل هذا ، فيتأثر به ويؤثر فيه ، وبذلك يكون أدباً صادقاً .

والشباب مناط الآمال وذوو الأحاسيس المتوثبة والمشاعر الملتهبة ، فلا يصح أن تستنفد قواهم العواطف الخائرة ، فلا تبقى بها أثارة للقدرة على الكفاح للجماعة أو حتى للذات ، فيدفع هذا الضعف إلى الدعة والكسل أو محاولة الوصول عن طرق هينة وإن كانت غير لائقة .

النشيد القومي للعرب :

وبعد فهذه الجيوش العربية تزحف إلى فلسطين ، والآمال تسايرها ، والقلوب تخفق لها ، وإنك لتلمح بين سطور أنبائها في الصحف أبياتاً من الشعر يهتز لها فؤادك ، وإن كانت لا تزال شاردة لم يقيدها وزن ولا قافية .

فمن لهذا الشعر ينظمه نشيداً للوطن العربي العام ؟ نشيداً واحداً يتغنى به أولئك الأبطال الزاحفون في سيناء وفي صحراء العرب وبادية الشام وربى لبنان ، وينشده الناشئون في معاهدهم وملاعبهم ، ليقوى « عضلات » نفوسهم ، وينفي عنها « الترهل » فهيا فحول الشعر ، ضموا لنا ذلك النشيد .

مصر ، وتبدلت الأحوال والأوضاع ، وخبا أمله في تلك الرتبة ، فأراد أن يعوض هذا على نفسه برتبة الأمارة في الشعر ، فكانت الصحف التي تنطق باسمه تخلع عليه هذا اللقب دائماً ، ثم كانت حفلة المبايعة المعروفة ، وكان شوقي شاعراً كبيراً حقاً فضمن لنفسه هذه الأمارة ، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل أمارة ...

إمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها ... وليست هذه البدعة بالشيء المعروف في الأمم الأخرى ... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل .. فلم يبايع أحد البحتري بأمارة الشعر ، ولم تقم له حفلة لذلك ، ولكنه كما يقولون أخمل بشعره سبعين شاعراً في عصره فلم يذ كرهم ذاكر ..

« الجاحظ »

ذكرى شوقى فى نادى الخريجين :

أكتب هذا يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر أكتوبر ، وهو اليوم الذى نعى فى مثله الشاعر الخالد أحمد شوقى بك،وكانت الليلة الماضية ليلة الذكرى ، لا فى (الأوبرج) فقد أعلن أن حفلته أجلت إلى أجل غير مسمى نظراً للظروف الصحية الحاضرة ! بل كانت الذكرى فى شقة بالعمارة رقم ٢٨ بشارع شريف باشا ، حيث نادى الخريجين المصرى .

وكان حفلا صغيراً أقامه النادى فى خجل من عدم استطاعته التوسع فى البرنامج،ولـكن تفرد هذا الحفل بمصر فى ليلة ذكرى شوقى أمير شعرائها ، وشمور هؤلاء الشبان الذين أقاموه بضآلة مجهودهم فى هذا المقام الجليل ، كل هذا يجعل لهذا الحفل معنى جليلا هو معنى الوفاء الذى لا يغض منه جهد المقل

بدأت الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى حبيب تحدث فيها عن ذكرى شوقى من حيث أثرها فى النفوس ، ومن حيث مكانة صاحبها الأدبية والوطنية ؛ وتيمن لافتتاح الموسم الثقافى فى النادى بهذه الذكرى . وتلاه الأستاذ محمد فتحى بك فقرأ من شعر شوقى قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا » التى قالها وهو بالأندلس فى الحنين إلى مصر ، وقد ذكرتنى قراءة فتحى بك بما يقولون من أن أحد العمال بمطبعة الأهرام غيّر مرة فى برنامج الإذاعة كلمة « يقرؤها فتحى بك » فجعلها « يغردها » ولم أكن أصدق هذا وكنت أرجح أن « يغردها » فى أصل البرنامج ، ولـكنى اقتنعت أمس بأنها فعلة ذلك العامل لأنى وجدت فتحى بك لا يغرد وإنما يقرأ كما يقرأ الطالب فى كتاب المطالعة بفارق واحد وهو أن فتحى بك قليل الخطأ فى ضبط الكلمات .. ولـكن لم اختار «نائح الطلح» وهو الطائر الذى ينوح فى وادى الطلح ؟ ألأن الطيور على أشكالها تقع ؟

أعود من هذا الاستطراد إلى برنامج الحفل : غنى أحد الشبان أغنية « أنا أنطونيو » فأجاد وأطرب ، ثم عرض مشهد من مسرحية « كليوباترا » لشوقى ، مثله ثلاثة من الخريجين : آنسة وشابان أحدهما السيد حسن ابن المرحوم السـيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، وقد أحسنوا أداء أدوارهم ، وبرعت الآنسة وهى تمثل مناجاة كليوباترا لنفسها فى المعبد بعد هزيمة جيوشها ، إذ كانت تؤدى الشعر بنبرات تمثل معانيه أحسن تمثيل . وقد ألقى أحد الشبان قصيدة تدل على أنه مبتدىء فى معالجة القريض ، ولـكن كان لابد منها لتنويع هذا البرنامج الصغير فى مادته الـكبير فى معناه . وكان هذا التنويع يقتضى كلمة دراسية فى شوقى وشعره ، ولـكن النادى لخريجى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب . وما يعرفونه عن شوقى قليل جداً بالنسبة لما يعرفونه عن شكسبير مثلا ! ! !

ولا تذهب فى هذا العجب ... فقد قلت إنه جهد الوفاء ذو المعنى الـكبير وإن كان قليلا . أكثر الله خيرهم على كل حال ...

سجع الزعماء :

قرأت فى مجلة « المصور » للـكاتب الفـكه الذى يطلق على نفسه (الملحوس) ما يلى : « من أضحك الأشياء وأدعاها إلى السخرية فى هذا البلد ذلك الأسلوب (المسخرة) الذى تحرر به الأحزاب والزعماء والقادة بياناتهم الـكبرى الخطيرة للشعب وللأمة ... ذلك السجع المقوت الـكريه الثقيل الظل الذى يملأ أعمدة وصفحات كاملة بأسرها فى الجرائد ! » .

ومفهوم أن النثر المصرى من كتابة وخطابة قد تحرر من السجع أومن التزامه ، فقد يأتى بعض الـكتاب بشىء منه لاقتضاء حال من تهكم أو دعابة وقد يجرى به القلم لاتساق لفظ وانسجام جرس . وكل هذا بعيد كل البعد عن ما كان فى العصور المتأخرة من التكلف المقوت .

ولـكن فى السنوات الأخيرة جنح بعض الزعماء السياسيين إلى السجع وطول النفس فيه فى خطبهم وكتاباتهم ؛ ويبدو لى أن ذلك يرجع إلى ما يريدون أن يظهروا به من القدرة البيانية وما يرمون إليه من التأثير فى نفوس الجماهير .. والحق أن كثيراً من هذا السجع محكم مجوَّد ، ولـكنه على أى حال ترقيش وتزويق فى الـكلام ، يساير التهريج فى السياسة ، بل هو من أدواته .. والعمل الصالح كالجمال الطبيعى لا يحتاج إلى الأصباغ والأدهان !

أو كما قال (الملحوس) إن هذا السجع (موضة) بطلت ، كما بطلت تلك الزعامات ، وصار روح العصر شيئاً آخر ..

التعليم الجامعي والأدب :

كان موضوع المناقشة فى « ندوة الهلال » هذا الشهر : « هل أخفق التعليم الجامعى ؟ » وانتهت المناقشة إلى « أن جامعتنا استطاعت أن تخرج فنيين ممتازين فى مختلف ميادين الحياة . كما نجحت فى تزويد المجتمع بخريجات كان لهن أثر كبير فى تطور النهضة النسائية ، ولكنها أخفقت فى خلق الروح الجامعية فى نفوس الطلبة ، وأهملت فى تربية نزعة الاستقلال فى التفكير وحب الكشف والابتكار فى خريجها . ولم تعن بالنواحى الرياضية وتحبيب الطلبة فى الدراسة الجامعية » .

وقد لمست المناقشة الناحية الأدبية لمساً خفيفاً ، وذلك أن الأستاذ شفيق غربال بك لما سئل : هل أضافت الجامعة جديداً إلى الإنتاج العلمى والأدبى ؟ أجاب : « إن الجامعة لا زالت فى المهد بالنسبة لغيرها من الجامعات الأجنبية ، ولكنى أعتقد أن هناك تجديداً وإضافات فى النواحى الأدبية ، وأظن أن الكردانى بك يوافقنى على هذا أيضاً فى الناحية العلمية » فرد الكردانى بك « هل تعنى أن الجامعة خرجت علماء لهم فى ميادين الاكتشافات والاختراعات جولات ؟ » فقال شفيق بك : [لا .. إننى أقصد أن الجامعة خرجت « فنيين » ممتازين فى كل الميادين . ولكننى لم أتكلم عن « العلماء »] .

ولا أدرى أيقصد شفيق بك بهذا التفسير الناحيتين العلمية والأدبية ، أم يخص به الناحية العلمية ؟ على أن الخلاصة التى انتهى إليها النقاش تعمم هذا الحكم كما رأيت .

والذى نراه أن الجامعة — بعد الطبقة التى خرجتها الجامعة القديمة والتى رأسها الدكتور طه حسين — لم تخرج مبتكرين فى الأدب ، ولم ينتظم سلك أعلام الأدباء أحد خريجيها بعد ، وإن كان بين هؤلاء الخريجين أدباء يدخلون فى « فنيين ممتازين » .

القصة المصرية :

وجهت مجلة « المسامرات » إلى « لفيف من أعلام الفكر والرأى » السؤال التالى : هل نجحت القصة المصرية فى تثقيف الشعب ؟ فأجاب معظمهم بإثبات نجاحها ، قال الأستاذ العقاد : والقصة المصرية على وجه العموم قد نجحت نجاحاً ملموساً وشقت طريقها إلى الجودة والكمال فى كثير من الاتجاهات وإن كان هناك بعض الاتجاهات التى لم تقتحمها بعد ، وكلى أمل فى أن تصل قريباً إلى القمة مؤدية رسالتها على خير الوجوه » وقال الأستاذ المازنى : « لقد نجحت نجاحاً كبيراً والدليل على ذلك كثرة الإقبال عليها وكثرة ماينشر منها » وقال الأستاذ بيرم التونسى : « إن معظم القصص المصرية التى ظهرت حتى الآن فى غاية الإتقان مما يبشر بمستقبل حسن للقصة المصرية » وقال الدكتور زكى مبارك : « لقد نجحت القصة المصرية بكل تأكيد لأنها فتحت آفاقاً من الخيال ، وراضت الجمهور المصرى على الذوق الفنى ، وأعطت المصريين فرصة للرحلات الفنية إلى الشرق ، وخلقت أبواباً من الثروة الفكرية والعقلية عند فريق من الجماهير »

وخالفهم المشماوى باشا فقال : « لاتوجد عندنا قصة مصرية بالمعنى المفهوم لتثقيف الشعب » وقال : « لقد لقيت الأمرين عند ما كنت وزيراً للمعارف ، إذ احتجنا إلى قصص مصرية قوية لتمثيلها فى المدارس أو توزيعها على التلاميذ فكنت أكثر من عمل المسابقات لعلها تغرى الكتاب على الاهتمام بهذا النوع من التأليف . ولكن لم يكن يصلنا فى كل مسابقة إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع » .

وأقول إن ما نراه من القصص الضعيفة أو المنقوشة من القصص الغربية ، لا ينبغى أن تطغى النظرة إليه على النتاج القصصى القيم الذى يدل على تقدم فن القصة عندنا فى العصر الحديث تقدماً نلمسه فيما نشر من القصص فى الصحف والمجلات والكتب الخاصة،ولقد قامت «الرواية» التى أدغمت فى «الرسالة» بمجهود كبير فى هذا السبيل ، والرجوع إلى مجموعاتها يقفك أو يذكرك بذلك المجهود ، وإنك لترى فيها إلى جانب المترجمات قصصاً مصرية تمد من ثروتنا فى هذا الفن الحديث ، كيوميات نائب فى الأرياف التى كان يكتبها بالرواية تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم والتى جمعها بعد ذلك فى كتاب .

أما ما ذكره سعادة المشماوى باشا من أنه لم تقدم إلى مسابقة وزارة المعارف إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع ، فرجعه أن كتاب القصة الناضجين يتجنبون النزول إلى مثل هذا التسابق ، إما استكباراً ، أو لأنهم يتوسمون أن فهم الطليق لا يرضى الهيئات التعليمية التى تتوخى الوقار والتزمت فيما يقدم إلى الطلاب ، ومنهم من يسيء الظن بالمحكمين ، على أن وزارة المعارف اتجهت أخيراً إلى الاختيار مما فى السوق فى مثل هذا بدلا من تلك المسابقات .

« العباس »



١ – بيان :

قد يكره الكاتب رجلا ، فيستغل المناسبات لهجوه والتسميع به ، وقد ينكر الكاتب رأياً فيكتب فى رده ، وينال بالضرورة من صاحبه ، أى إن من النقد ما يراد به هجاء شخص بعينه ، ومنه ما يراد به رفع فرية فى العلم ورد أذى عن الناس . وأنا ما كتبت الذى كتبته لأنال من الشيخ أمين الخولى (الأستاذ فى كلية الآداب) وما بينى وبينه صلة ولا معرفة ولم أر وجهه إلا مرة واحدة منذ أسبوع ، فلا يعقل أن يكون قصدى تحقيره هو بالذات أو ذمه والقدح به ، فإذا فهم أحد من الذى كتبته أننى أرمى إلى هذا فأرجو أن يصحح فهمه ، وأن يعلم أنى لا أبخس عالماً قدره ولا أجحد فاضلا فضله .

ولكن قصدى مما كتبت الدفاع عن الدين والعلم قد وقفت على هذا قلمى ولسانى ، وإن كان فى الدنيا من يخطر على باله أنه يستطيع أن يكفنى عنه ، أو يمنعنى منه بشكوى أو دعوى أو بترغيب أو ترهيب أو بافتراء أو ببذاء ، فإنه يمنى نفسه المحال .

٢ – تعليق :

أصاب أستاذنا (السهمى) بقوله فى مقالة (فملاء) ، « هؤلاء جلهم أئمة » ولم يقل ، كلهم . وفيهم ابن طولون (محمد بن على) الدمشقى الصالحانى[1] ، وهو مؤرخ دمشق فى القرن العاشر الهجرى وله المصنفات القيمة وله تاريخ الصالحية المخطوط فى المكتبة الظاهرية فى دمشق ، ولكنه (كما يبدو من أسلوبه) عامى العبارة ، ركيك الأسلوب ، ليس من البلاغة فى شىء ، ولا استئناس فى كلامه بله أن يحتج فى اللغة به ، أو يشار إليه

ولعل الأستاذ السهمى ظن القراء كلهم من (بنى سهم) ، وحسبهم يجارونه فى العلم ، ويماشونه فى الفهم ، فأشار إشارة العالم ولم يشرح شرح المعلم ، حين قال :

(١) كذا تنسب معشر الدمشقيين إلى الصالحية ، والقياس الصالحى

« وكما أملى الخليل على خريجه أو بصره ، فقيد (أبو بشر) ذلك بالكتاب فى (الكتاب) ... قال (عمرو) ... »

وقل فى القراء من يعرف أن اسم سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر ، وأن كنيته أبو بشر أو أبو الحسن ، وأن كتابه هو المقصود إن أطلق (الكتاب) وأنه معقود بلفظ الخليل وإملائه ، أو بدلالته وارشاده .

ودعوى الأستاذ (فى فملاء) صحيحة ، وإن لم يجىء عليها (فى مقالته) بالبنية الشرعية

على الطنطاوي

خبر :

جاءنا بيان طويل خلاصته : أن الاتحاد العام للهيئات الإسلامية (وفيه جماعة الإخوان المسلمين ، وجبهة علماء الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، وشباب محمد ، وأنصار السنة ، والجمعية الشرعية ، وجمعية مكارم الأخلاق وغيرها) . قرر مجلسه الأعلى فى اجتماعه فى ١٩٤٧/١٠/١١ فى دار جمعية الشبان المسلمين . ما نصه :

« رفع التماس إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ، ودولة رئيس الوزراء ، ووزير المعارف ، ومدير الجامعة ، وكلية الآداب ، ومشيخة الأزهر رجاء إجراء تحقيق عاجل مع المدعو محمد خلف الله المعيد بكلية الآداب وأستاذه أمين الخولى عما نسب إليهما من الطعن فى القرآن فى الرسالة المقدمة من الأول وتأييد الثانى له فيها وتقديمها إلى المحاكمة إن صحت التهمة »

ورفع الكتاب وقدم إلى السدة الملكية والمراجع المسؤولة ، ورفع علماء الأزهر كتاباً مثله

خشية الالتباس :

إن محمد أفندى أحمد خلف الله المعيد بكلية آداب القاهرة وصاحب بحث « الفن القصصى فى القرآن » الذى تناولته « الرسالة » بالنقد والتفنيد شخص آخر غير محمد خلف الله أحمد أستاذ الأدب العربى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وخريج دار العلوم وجامعة لندن ، وصاحب الكتب والبحوث المعروفة فى الدراسات النفسية والأدبية والنقدية !

إن هذا التشابه فى الاسمين قد اضطرنى أن أنبه إليه مراراً فى الصحف اليومية فى مناسبات سابقة ، ولكنه فى الموقف الحاضر يوشك أن يشوه بعض ما يعرف القراء عنى من التزام لجادة الحق والعلم والدين فى كتبى ومقالاتى

محمد خلف الله أحمد

رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

تكذيب خبر :

جاء فى كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقى فى طبعته الثانية (ص ٩٨) أن المستشرق ا . ج . أبرى « عاون فى كتاب داود شلبى فى الطبخ الذى كتب سنة ٦٢٥ هجرية » . إن هذا الخبر مغلوط من عدة جهات . فإن اسم الكتاب المذكور هو كتاب الطبيخ لا الطبخ ، وليس من تأليفى ، ولم يكتب سنة ٦٢٥ هـ ، إنما هو تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادى ألفه قبل استيلاء هولاكو على بغداد بـ ٣٣ سنة أى سنة ٦٢٣ بحث فيه عن الأطعمة التى كانت مستعملة ببغداد . وجدت نسختة الخطية فى خزانة كتب أياصوفيا باستنبول وكان فيها أغلاط فصححتها وعلقت عليها حواشى ونشرتها سنة ٣٥٣ هـ = سنة ١٩٣٤ م بالموصل . ولم يعنّى فى تصحيحها أحد قط . واسم المستشرق المذكور هو أربرى aorberry وليس أبرى . ولم أكن اسمع به إلا بعد طبع كتابى بثلاث سنوات إذ تلقيت منه كتاباً يطلب فيه منى إذناً بترجمة الكتاب إلى الإنكليزية وكتابه محفوظ عندى « وهو مؤرخ بـ ١٨ — ١١ — ١٩٣٧ وصادر من المكتب الهندى بلندن » .

فعسى أن يصحح العقيقى كل هذه الأغلاط إذا تيسر له طبع كتابه طبعة ثالثة إن شاء الله .

(الموصل) دكتور داود الجلبى

بوابة المتولى :

قرأت ما نشر بالعدد ٧٤٢ من الرسالة الزاهرة ، تعليقاً على مقال بمجلة مسامرات الجيب عن بوابة المتولى ، وتعقيباً عليه أقول إن هذه البوابة شيدها « بدر الجمالى » مكان بوابتين ، شيدتهما إحدى قبائل البربر ، وهى قبيلة زويلة ، وهذا سر شهرة البوابة باسم « باب زويلة » .

أما سبب تسميتها « بوابة المتولى » فلأن متولى حسبة القاهرة كان مقره عند مدخل هذه البوابة .

القاهرة عيسى متولى

عدد سكان العالم ومذاهبهم :

يستفاد من إحصاء قام به « مكتب الأنباء الكاثوليكية » أن سكان العالم يقدرون الآن بمليارين ومائة واثنين وعشرين مليوناً ، وهم موزعون على الوجه التالى : ٣٩٩ مليوناً من الكاثوليك و ٣٩٣ مليوناً من الكونفوشيين و ٢٩٦ مليوناً من المسلمين و ٠٠٠ر٤٦٠ر٢٥٢ من الهندوكيين و ٠٠٠ر٢٠٠ر٢١١ من البروتستانت و ٠٠٠ ر ٨٠٥ ر ١٦١ من الأرثوذكس و ٠٠٠ر٨٢٨ر١١٥ من الروحانيين و٠٠٠ر٨٩١ر١٦ من اليهود

تصحيح :

جاء فى قصيدة « رنين الذكرى » المنشورة فى العدد ٤٢٤ فى بيت :

ذكرتك حيث النيل غضبان ثائر

يجيش بآداب ويطـــنى بآمال

والصواب . « آراء » بآراء .

جاء فى افتتاحية العدد ٧٤٤ من الرسالة :

(وأقبلت الجيرة على العزاء فيه) والصواب : للعزاء فيه

وجاء فى الصفحة نفسها : (ولها كل بيت بصغيره عن كبيره) والصواب : ولهى كل بيت الخ فإن الفعل لهى بالياء معناه سلا وأضرب والفعل لها بالألف معناه لعب . وقد نبه إلى هذا التطبيع الأديب محمد أبو سريع حسين بمعهد القاهرة فله الشكر

نشر فى هذا العدد فى ص ١١٤٩ مقال (الجبل اللهم) ، وصوابه كما هو واضح : (الجبل الملهم)



أسطورة من الصين :

ملك المـــــوت !

للكاتب الانكليزى فيليب بنيث

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

كان يعيش فى مدينة « جيستيان » من أعمال الصين ، رجل يدعى « يوآن — كوانلو » وكان « يوآن » هذا رجلا فقيراً معدماً ، وكان فقره يحول بينه وبين الزواج من امرأة تقاسمه حلو الحياة ومرها ...

وشاءت الظروف أن يعرف ابنة جار له ، وأن يحبها وتحبه ، وكان والدها من أثرياء البلدة ووجهائها فلم يكد يعرف ما بين ابنته وبين الفقير من حب وهيام ، حتى ثار وغضب ، ومنع ابنته عن الاتصال بحبيبها . فقالت الفتاة إنه لا يريدها على حرام ، إنما يريد الزواج منها على سنة الله ، فلم يزد الأب إلا غضباً وثورة ، إذ لم يكن يرغب فى أن يزوج ابنته من رجل فقير ينغص حياتها ويشقيها ، ومن كأس البؤس والحرمان يسقيها .

وصدمت الفتاة فى حبها صدمة عنيفة ، وطُعن قلبها الرقيق طعنة قاتلة ، فأصابها السقام ، ولم تلبث طويلا حتى قضت نحبها .

ولم يكن حبيبها بأقل منها تأثراً بالصدمة ، ولـكنه كان أكثر احتمالا لها ، فظل هائماً على وجهه ، مضطرب المشاعر ، شارد اللب ، شاخص البصر إلى الأفق كأنه ينتظر أن تعـود حبيبته إليه !

وفى ساعة متأخرة من بعض الليالى ، كان « يوآن » خارج منزله ، ينظر بعينين حالمتين إلى بدر التم كأنما يسأله عن حبيبته ، وطالت وقفته حتى كلت عيناه من النظر إلى القمر ، وتعبت ساقاه من كثرة الوقوف ، فدار على عقبيه ليعود إلى منزله . وبينما هو يدور فى منعطف الطريق ، رأى رجلاً غريب المنظر ، عجيب المظهر يحمل فى إحدى يديه منجلا حاد الشفرة ، وفى الأخرى قنينة محكمة السداد ، ولأول وهلة عرف فيه يوآن ملك الموت الذى يقبض الأرواح ويحصدها بمنجله . فارتاع قلبه وارتعدت فرائصه ، ولـكنه تمالك وتقدم من ملك الموت ، وقال له بلهجة الصديق والودود :

— أظنك يا صاحب السعادة قد تأخرت فى العمل وتعبت ، والليلة باردة جداً ، وبيتى على خطوات من هنا ، فهلا جئت معى إليه ؛ لتشرب شراباً ساخناً يعيد الدفء إليك ؟

فنظر ملك الموت إلى « يوآن » بعينيه الغائرتين نظرة فاحصة ثم سار معه إلى بيته دون أن ينبس ببنت شفة .

وسخن يوآن شيئاً من الخمر ، وقدمها إليه ، فجرعها ملك الموت فى دفعة واحدة ، وطلب المزيد ، تقدم إليه يوآن كأساً أخرى فشربها دفعة واحدة أيضاً ، وهكذا ظل يطلب المزيد ، ويوآن لا يستطيع أن يخالف له أمراً ، أو يرفض له طلباً ، حتى ثمل ، وأثقل السكر جفنيه ، فانطرح على الأرض وغرق فى سبات عميق

فقام « يوآن » بعد أن تأكد من استغراق ملك الموت فى النوم إلى القنينة ، وعالج سدادها حتى تمكن من فتحه ، وكم كانت دهشته عظيمة وفرحته أعظم ، حين خرجت روح حبيبته منها !

قالت له روح حبيبته : كبله يا حبيبى بالقيود حتى لا يتمكن منا ويحصد روحينا مرة أخرى .

فأسرع يوآن إلى ملك الموت بالسلاسل حتى شله عن كل حركة ، وأسرعا بالفرار .

وظل العاشقان زمناً يعيشان معاً ويتناجيان ، إلا أن يوآن ما كان ليستطيع رؤية حبيبته إلا كما يرى الإنسان ظله على الأرض وما كان ليستطيع أن يضمها إلى صدره إلا كما يضم الإنسان قبضة يده على الهواء . لهذا لم يستطع أن يطفىء جذوة الحب المتقدة بين جوانحه ، أو يروى غليله بالضم والعناق .

وفى ذات يوم — قالت له روح حبيبته :

— آه لو ملـكت جسدا ، فأية سعادة كنت أتمتع بها إلى جانبك وبين ذراعيك ... آه لو كنت أملك جسدا ، لـكنا تزوجنا ، فأكون لك نعم الزوجة المخلصة ، والحبيبة الوفية .

ثم قالت بعد تفـكير طويل ، والسعادة تملأ نبرات صوتها :

— اسمع يا حبيبي . فى المدينة المجاورة بنت جميلة من بنات الأمراء ، مطروحة على فراش الموت . إننى أراها الآن وروحها تحشرج فى صدرها وأهلها من حولها وقد ملأ الحزن قلوبهم ، ستموت هذه الفتاة الجميلة بعد ساعات . فلو استطعت أن تأتينى بجسدها لاستطعنا أن نحقق أحلامنا وأمانينا ونقهر ملك الموت ، سنتزوج وسنعيش فى غنى وجاه وسعادة .

أسرع يوآن إلى بيت الفتاة ، فوجدها قد ماتت منذ هنيهة . وأهلها لفرط حزنهم عليها يكادون أن يقتلوا أنفسهم ، فانتهز يوآن هذه الفرصة ، وتقدم من والد الفتاة ، وقال له :

— فى مقدورى يا سيدى أن أعيد الحياة إلى إبنتك .

فصاح الوالد بدهشة : وكيف تستطيع ذلك ؟!

فقال يوآن :

— لا تسألنى كيف ... ولكنك إذا رضيت بالشرط الوحيد الذى أشرطه عليك ، رددت الحياة إلى ابنتك .

فقال الأب متلهفاً : قل بالله عليك ، ماهو هذا الشرط ؟

فقال يوآن :

— هو أن تزوجنى منها .

فقال الأب بفرح عظيم : هى لك فأحيها .

عندئذ نادى يوآن روح حبيبته ، فجاءت وانسلت إليها من إحدى أذنيها ، ففتحت الفتاة عينيها كأنها مستيقظة من النوم لا من الموت .

وزفت إليه فى الحال ، وانقلب المأتم إلى حفلة عرس بهيجة ويوآن يكاد يطير لشدة فرحه وسعادته بحبيبته وزوجته !

(البصرة — العراق) **يوسف يعقوب حداد**

مطبعة الرسالة



العدد ٧٤٧ — الاثنين ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

القرآن والنظريات العلمية ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١١٦٩

لو أفق المجمع ! ... ... : الأستاذ علي الطنطاوي ١١٧١

انجلترا في مرآة حافظ ... ... : الشيخ محمد رجب البيومي ... ١١٧٣

بوليس الأمن الدولي ... ... : الأديب عبد الحميد عثمان عبد المجيد ١١٧٦

مبادىء مالية في الإسلام ... ... : الأستاذ لبيب السعيد ١١٧٩

حول جدل في الجامعة ... ... : الأستاذ عبد الفتاح بدوي ... ١١٨٢

التلميذ مرآة أستاذه ... ... : الأستاذ علي العماري ١١٨٥

أمي ... ... (قصيدة) : الأستاذ فريد عين شوكة ... ١١٨٧

«من وراء المنظار» : زهرة وزهرة...! } الأستاذ محمود الخفيف ١١٨٨

« تعقيبات » : بأية حال عدت يا عيد ؟! أدب ... الكوليرا — ١١٨٩

الرسائل في الأدب العربي ١١٩٠

« الأدب والفن في أسبوع » : احتفاء صامت — وصف شوقي ١١٩١

للكوليرا — خلفاء شوقي — الفن القصصي في القرآن — كوليرا الإذاعة

— مخطوطات أندلسية ١١٩٣

« البريد الأدبي » : كرنسكو وفعلاء والأب أنستاس — حول الفن ١١٩٤

القصصي في القرآن الكريم — بين الأزهر والجامعة ١١٩٥

حبة من القمح كبيضة الدجاج ! } الفيلسوف الروسي ليو تولستوي } ١١٩٦
... ... (قصة) } بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي }

٢٩٠٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 747

Lundi — 27 — 10 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القرآن والنظريات العلمية

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

« ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، إن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، يقول فى الطبعة الثانية من كتابه إعجاز القرآن فى هامش صفحة ١٣٢ تعليقاً على الآية القرآنية : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...

« فجاءت العبارة فى الآية الكريمة كأنها سلالة من علم تتسع لمذهب القائلين بالنشوء ، ولمذهب القائلين بالخلق ، ولمذهب القائلين بانتقال الحياة إلى هذه الأرض فى سلالة من عالم آخر ... » .

فإن كانت نظرية دارون صحيحة فإنى أريد أن أعرف رأيكم فى الكيفية التى يقبل بها القرآن الكريم أن يكون الإنسان من سلالة القردة ، وأرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة الغراء ، ولكم جزيل شكرى والسلام » .

« مخلص »

***

والذى نلاحظه « أولا » أن رواية مذهب دارون على هذا الوجه غير صحيحة . فإن دارون لا يقول بتسلسل الإنسان من القرد ، ولا يلزم من مذهبه أن يكون كل إنسان منحدراً من القردة فى أصله القديم .

وكل ما يلزم من مذهبه أن الإنسان والقردة العليا تلتقى فى جذر واحد ، وأن بين الإنسان والقردة العليا حلقة مفقودة لم توجد إلى الآن .

أما الآية القرآنية فهى لا تثبت المذهب ولا تنفيه ، ومن الخطأ البين فى اعتقادنا أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تنقض اليوم ما تثبته بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية — أو الفلسفية — على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض المجتهدين المحدثين فى التوفيق بين القرآن الكريم ومبادىء مذهب النشوء والارتقاء .

فالنشوئيون يقولون بتنازع البقاء ، وهو مطابق للآية القرآنيـة : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويقولون ببقاء الأصلح ، وهو مطابق للآية القرآنية : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومن المشاهدات التى سجلها النشوئيون ماهو صحيح لا ريب فيه ، ولكن المذهب يشتمل على نتائج وتخريجات كما يشتمل على مبادىء ومشاهدات ، وكل ما جاء فيه من قبيل النتائج والتخريجات فهو فى حكم الفروض التى تحتمل النقض والإثبات ، ولا يصح أن نفسر القرآن الكريم وفقاً لها وهى لا تزال فى طور التدليل والترجيح .

والنظرية السديمية مثل آخر من هذه الأمثلة فى محاولات التوفيق بين القرآن الكريم والفروض العلمية .

فمن علماء الطبيعة — والفلك خاصة — من يرى أن المنظومات الفلكية نشأت كلها من السديم الملتهب . وأن هذا السديم تختلف فيه الحرارة فيتشقق ، أو ينفصل بعضه عن بعض من أثر التمدد فيه ، فتدور الأجرام الصغيرة منه حول الأجرام الكبيرة ، وتنشأ المنظومات الشمسية وما شابهها من هذا التشقق وهذا الدوران .

فإذا ببعض المجتهدين المعاصرين يعتبر هذا القول فصل الخطاب فى نشأة الأجرام السماوية ، ويقول إنه هو المقصود بالآية القرآنية : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » .

ولكن النظرية السديمية لم تنته بعد بين علماء الطبيعة إلى قرار متفق عليه .

فهل كان الفضاء كله خلواً من الحرارة ، وكانت الحرارة الكونية كلها مركزة فى السدم وما إليها ؟

ومن أين جاءت الحرارة للسدم دون غيرها من موجودات هذا الفضاء ؟ ألا يجوز أن يظهر فى المستقبل مذهب يرجع بالحرارة إلى الفضاء فى حالة من حالاته ؟ أليس خلو الفضاء من الحرارة — إذا صح هذا الخلو — عجباً يحتاج إلى تفسير ؟ أليس انحصار الحرارة فى السدم دون غيرها أحوج من ذلك إلى التفسير ؟

فالقول المأمون فى تفسير الآيه القرآنية أن السماوات والأرضين كانت رتقاً فانفتقت فى زمن من الأزمان . أما أن يكون المرجع فى ذلك إلى النظرية السديمية فهو المجازفة بالرأى فى غير علم وفى غير حيطة ، وبغير دليل .

وأظهر من هذا وذاك جدالهم القديم حول دوران الأرض وثبوتها ، أو حول استدارة الأرض وتسطيحها .

فقد تعسف بعضهم فى تفسير آى القرآن الكريم فجزم بكفر القائلين باستدارتها ودورانها ، وجعل القول بثبوتها وتسطيحها حكماً قاطعاً من أحكام الدين .

فما قول هؤلاء الآن وقد أصبحت استدارة الأرض مشاهدة من مشاهدات العيان ؟ وما قولهم وقد أصبح دورانها مسألة من مسائل الحساب الذى يحصى كل حركة لها كما يحصى حركات كل قطار ؟

وهكذا يخطئون فى النفى كما يخطئون فى الإثبات كلما علقوا آيات القرآن بهذه النظريات العلمية ، أو الفروض الفلسفية ، التى تختلف الأقوال فيها باختلاف الأزمنة أو اختلاف الأفكار .

وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة مقبولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات .

فالميكروبات موجودة لا شك فيها والإصابة بها محققة كذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول .

ومهما يكن من فروض العلماء فى مختلف الأزمنة فإن القرآن الكريم لا يطلب منه أن يتابع هذه الفروض كلما ظهر منها فرض جديد ، وكل مايطلب منه أن يفتح باب البحث لمن يؤمنون به فلا يصدهم عن طلب الحقيقة حيثما سنحت لها بادرة مرجوة ، وقد توافر ذلك فى آيات القرآن الكريم كما لم يتوافر قط فى كتاب دينى تؤمن به الأمم ، فليس أكثر من الحث فيه على التفكير والاعتبار وطلب الحقائق من آيات خلق الله فى الأرض والسماء : « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

وحسب المسلم أن يعمل بما علمه كتابه فى هذه الآية وماجرى مجراها ليعطى العلم حقه ويطلب الحقيقة من حيث يطلبها الفكر الإنسانى فى عجائب خلق الله بين الأرض والسماء .

أما مدلول الآية كما أشار إليه الرافعى فهو يتسع — كما قال — لجميع المذاهب فى خلق الإنسان. وسواء قطعنا الصلة بين الإنسان وسائر الأحياء العليا والدنيا أو ربطناها فذلك لا ينفى أنه فى أصله

من سلالة من طين . وقد جاء فى القرآن الكريم « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ولم يقل أحد أن خلق الأحياء جميعاً من الماء يمنع تسلسل الإنسان من مادة الطين ، فإن الأصل لا ينعدم إذا خرجت منه الفروع على التسلسل والتدريج ، أو خرجت منه دفعة واحدة بغير تسلسل ولا تدريج . وحذار أن نقف فى هذه المسألة كما وقف المجادلون من قبل فى مسألة الأرض واستدارتها ودورانها ، فإنهم يدعون لأنفسهم ما لا يجوز لأحد أن يدعيه باسم العلم أو باسم الدين ، وفوق كل ذى علم عليم .

عباس محمود العقاد

لو أقر المجمع !..

للأستاذ على الطنطاوى

أديت أمس حسابى فى المطعم وتهيأت للخروج ، فسمعت من ورائى لهجة غريبة ... فتلفتّ فرأيت على مائدة قريبة منى ، عراقياً بسيدارة ، ومعه شامى بعمامة مطرّزة ، ونادل المطعم قائم أمامهما ، والعراقى يقول له :

— ماعون باچيلا على تِمَّنْ ، وصَمّونَهْ .

والنادل مبهوت ، يقول :

— إيه ؟! إيه ؟!

فيقول الشامى : العمى ! شو ما بيِفهم عربى ؟ بدُّو ماعون ما بتعرف الماعون ؟ يعنى طبق غسيل ، وصابونِة

— النادل : ليه بَأَه ؟

— الشامى : ليش ؟! بَرْكى بدّو يتغسل !

(ونضحك من نكتته)

— النادل : يتغسل ! بعيد الشرّ ، عاوز تؤول يشَّطَّفْ .

— الشامى (مغرقاً فى الضحك) : يشَّطَّف ! يا عيب الشوم ، شو ما بستحى انِتهْ ؟

— العراقى : والله ، مادا أفتهِم ، حشِى غريب هواَيَهْ ، يا بَهْ ، ما تِحشِى عربى ؟!

— النادل : ما تحكى عربى ، يا خويا ؟ !

— الشامى : الكان عَمْ يحكى أرناؤوطى ؟! هذا عربى !

— النادل : أمّال بؤول إيه ؟

— الشامى : بؤول بدّو كوسا محشى ومهوايه ، يعنى مروحة

* * *

ولم أستطع أن أتقاعس أكثر من ذلك ، وخفت أن يفضحنى الضحك ، فخرجت وأنا أسائل نفسى : ماذا يكون لو أقر مجمع اللغة (العربية ...) اقتراح الأستاذ فريد أبو حديد بك ، الذى يدرسه الآن أعضاؤه ؟

والذى يقول فيه « فلو كانت العامية لا تزيد على أنها استخدمت أداة للتعامل فى الأسواق والحياة اليومية لكان أمرها هيناً ، ولكنها منذ برهنت على صلاحها للتعبير الأدبى صار من الممكن أن تنطلق فى سبيلها متباعدة عن الفصحى حتى ينتهى بها الأمر إلى الاستغناء عنها ، بل إن جمال أساليب التعبير العامى إذا بلغ مداه كان أجدر أن يسترق القلوب لأن تلك الأساليب أقرب إلى النفوس والأفهام من الفصحى لشدة اتصالها بحياة الكافة .

ولقد كان من أكبر ما عمل على تقويض أركان اللاتينية ظهور كتاب مبدعين فى اللغات القومية الأوربية ، وقد كانت تلك اللغات عامية فى وقت من الأوقات بالنسبة للّغة اللاتينية ، فقد ظهر دانتى فى إيطاليا ، وكتب روائع قومه بلغته (إلى أن قال) ولكنا لا نخشى على العربية الفصحى أن يكون مآلها هو مآل اللاتينية لعدة أسباب :

١ — إن العامية لم تستطع إلى الآن (تأمل) أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، فإنها لم تزد بعد (تأمل) على أن تكون وسيلة للتعبير الساذج والأحاسيس الابتدائية ، ولم يظهر فيها بعد (تأمل) أمثال النوابغ الذين أنتجوا روائعهم الخالدة ، بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

٢ — إن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئاً يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية ، فما زال التفاهم ممكناً فى سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة فصحى .

غير أننا لا ينبغى أن نتجاهل الخطر الماثل فى لباقة اللغة

العامية ، وصلاحيتها كأداة للتعبير الأدبي فهو إن كان اليوم محدوداً فقد يكون غداً أقوى وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبي السامي من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالإنتاج الفكري باللغة العامية ، وعملت أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الأدبي الذي يجعلها لغة فكر وتعبير صحيح » اهـ .

وأفكر ماذا يكون لو فتن الشباب المثقف هذه الفتنة (نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن) ، وصار في الدنيا لغة شامية ولغة مصرية ولغة عراقية ، ونشأ في كل واحدة منها أدباء وشعراء ، كما هي الحال في الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وإن بقيت اللغة الفصحى (كما يريد الأستاذ) لغة القرآن والعلماء والمساجد والمعاهد العالية ، وماذا يصنع إذن صاحب المطعم الذي كنت آكل فيه آنفاً ؟

إنه لا بدّ له من ترجمان ، عارف بهذه اللغات ، واقف عليها ، متخصص فيها ، عالم بدقائقها وسنن أهلها في كلامهم ، ليفهم النادل أن الماعون في بغداد هو الطبق في مصر ، والصحن في الشام ، وأن التشطيف في مصر غسل الوجه واليدين ، ولكنه في الشام غسل الـ . . . أعني الاستنجاء ، وأن الصمّونة في بغداد هي رغيف الخبز الأفرنجي ، ويسمى في دمشق الأفرنجوني ، والباجيلاّ الفول والتمّن الرز ، وأن الـ (هُواية) في العراق ، صفة للشيء الكثير ، وهي في غوطة دمشق الصفعة على الوجه ، وأنك إذا (بسطت) رجلا في الشام ومصر فقد سررته ، وإذا (بسطته) في العراق فقد ضربته ، والمبسوط المضروب (عَلْقة) ، وهي في الشام (فَلَـقة) ، والتقليع في الشام الطرد من الدار ونحوها وفي مصر نزع الثياب وأن التقفيل في مصر إغلاق الباب وله في الشام معنى هو أخبث من أن يشار إليه ، و(هُون) في الشام هنا ، وفي العراق (هنانا) ، والهون في مصر هو الهاوون الذي يدق به واسمه في الشام الهاون ، هذا عدا عن الكنايات السائرة والمجازات المشتهرة ، وهي كثيرة في كل بلد لا يعرفها إلا أهله يلحنون بها في أحاديثهم ، ويسخرون بها من الغريب ، وعدا عن اختلاف النطق وما ينشأ عنه من اختلاف المعنى ، فمن المصريين من يميل بالسين إلى مخرج الزاي ، ومن هنا سارت النكتة في دمشق عن مدرس مصري جيء به إلى مدرسة بنات ، فقال لإحداهن مؤنباً :

— إيه الأسباب التي منعتك من إعداد الدرس ؟

وفي العراق يجعلون القاف جيما معطشة ، وقد سألت حوذياً يوم وصلت بغداد ، أن يأخذني إلى ضاحية نزهة ، فقال :

— تروح باب شرجي ؟

فكدت أبطش به ، وما يريد إلا (الباب الشرقي) وهو من متنزهات بغداد .

وليسْ يجيء هذا الترجمان إلا من مدرسة ، فلابدّ لنا إن أقر المجمع اللغوي هذا الاقتراح من أن ندرّس هذه اللغات الشرقية الحية في مدارسنا الثانوية ، وننشيء لها قسما في كلية الآداب ، أو أقساماً لأن اللسان الشامي سيكون فيه لغات متعددات ، فلغة دمشق ليست لغة حلب ، وهي تخالفها في معاني المفردات ، وفي تركيب الجمل ، وفي طريقة النطق ، ولغة حلب غير لغة حمص ، ولغة حمص غير لغة حماة ، وكلها تخالف لغة دير الزور ، وهذه تخالف لغة البادية ، فصار عندنا في الشام لغات في كل منها لهجات ، فلهجة أهل دمشق غير لهجة أهل الغوطة ، ولهجة هؤلاء ليست لهجة جبل القلمون ، وفي القلمون عشرون لهجة تختلف اختلافاً بيناً ، وفي كل منها شعر ... وأدب ... إي والله وموسيقى ... وقس على ذلك ألسنة لبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، واجمع هذه الألسنة بما فيها من اللغات واللهجات ، تجدها تحتاج إلى عشرة أساتذة لهم كراسي في الجامعة ، وتحتمل عشرة دبلومات ، يكتب صاحبها على بطاقته (فلان ، دبلوم اللغات العراقية) أو (دبلوم اللهجات اللبنانية) ... ودبلوم في أصول هذه اللغات ومصادرها ، ودبلوم في نحوها وصرفها المقارن .

وعندئذ يكون شكوكو من أمراء الشعر الذين تدرس آثارهم في الجامعة ، واسماعيل ياسين من أمراء النثر ، ويكون من تعبيرات النقد الجديد ، أن نقول للكاتب المعقد الذي لا يفهم « إنه يكتب بالعربي » كما يقال في أوربة عن الكاتب الفرنسي الحدث إذا أغرب وعقّد ، أنه يكتب باللاتيني .

وعندئذ ينشأ في كل لسان ، تراجمة يترجمون إليه الآثار العربية لتحفظ في المدارس ، ويربّى بها النشء على البلاغة كما ترجمت إلى الفرنسية آثار دانتي وفرجيل ، فنحفظ الطلاب في دمشق قول المتنبي ، مترجماً هكذا :

بين السياسة والأدب :

انجلترا فى مرآة حافظ

للشيخ محمد رجب البيومى

كشر الشر عن أنيابه ، وبدت بريطانيا للعالم أجمع فى صورة مخزية منكرة ، فهى تهدر على الملأ حقوق الإنسان ، وتئد الحرية القومية بما تستطيع من قوة وجبروت ، ولولا أن وجدت مصر من مجلس الأمن منبراً تذيع عليه فظائع الاستعمار ، وشنائع الاحتلال ، لالتبس الحق بالباطل الصراح ولَوُجِدَ فى الناس من يغتر بتمويه إنجلترا الكاذب ، ويصدق ما تخلعه عن نفسها من حلل النزاهة والوفاء .

ولقد مددت يدى إلى ديوان حافظ إبراهيم لأطالع فى هذه الآونة الحرجة ما سبق أن هتف به شاعر النيل فى أذن هذه الدولة الصماء ، ولأشهد فى مرآة شعره صورتها الصادقة التى رسمها الشاعر الكبير ، ومما حمدت الله عليه أن وجدت هذه العجوز الشوهاء قد بدت كالحة عابسة تبعث فى النفس اشمئزازاً وفى الصدر انقباضاً حتى إنك لا تستطيع — مهما تجلدت — أن تديم النظر إليها بضع لحظات متواليات !!

والحق أن شاعر النيل كان ذا سلاح باتر ضرب به رقبة إنجلترا ضربات متلاحقة ، وشهره فى وجه الاستعمار مبارزاً مصاولا ، وما زال يواصل كفاحه الدائب ، ونضاله المستميت ، حتى تيقظ الشعور الهاجع ، وتنبه الإحساس الغافل ، فهبت مصر جميعها تثور للكرامة الذبيحة ، وتثأر للحرية الجريحة ، وهاهى ذى تواصل ثورتها الصاخبة فى قوة وإيمان حتى تنقشع السحب وتتبدد الظلمات .

أما كيف استطاع الشاعر أن يؤدى رسالته على وجهها الصحيح ، فهذا ما سأبسط أسبابه القراء فى جلاء ووضوح ...

* * *

نشأ حافظ رحمه الله تواقاً للأدب ، حريصاً على التحليق فى أجوائه الشاسعة . وكان البارودى قد نال من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ما جعل شاعر النيل يتخذه مثلا أعلى فى الحياة ، ولئن كان سامى قد ركز بناء مجده على البلاغة والفروسية ، فإن حافظ يستطيع أن يملك زمام البيان باطلاعه المتواصل ، كما يقدر

على أدّ أهل العَزْمِ بتجى العزايمْ

وبِتْجى على أدّ الكرامْ المكارمْ

وقول شوق فى الأزهر ، يصير :

أوم بِمّ الدنْيِه وسَلِّعَ الأزهر

ورشّ على اذن الزمان الجُوهر(١)

بدلا من :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

و :

قم فى فم الدنيا وحىِّ الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

ولا شك أن هذه الترجمة (أجدر أن تسترق القلوب) — كما قال الأستاذ أبو حديد بك فى تقريره .

وعندئذ تطبع الرسالة أربعة آلاف فقط ، وأخبار اليوم عشرة آلاف ، وينشأ فى كل بلدة جريدة صغيرة تنطق بلسان أهلها ، ولا يبعد أن تشتد الحماسة لهذه اللغات كما اشتدت بتركيا الجديدة الحماسة للسانها ، فيؤذن بها على المنائر ، ويخطب بها على المنابر ، ويترجم القرآن إلى كل واحدة منها .

وعندئذ لا تستطيع الدول العربية أن تجتمع فى جامعة ، ولا أن تتحد فى شعور ، ولا أن تسوق جيوشها إلى فلسطين موحدة القيادة ، لأن الصلة الوحيدة بينها هى هذه العربية ، فإن انقطعت لم يصل بينها شىء ، ولا الدين ، لأنها إن ذهبت العربية ذهب معها القرآن فلم يبق دين .

وبعد فلن يكون شىء من هذا ، ولو قال به المجمع (ولن يفعل) لما سمع منه أحد ، لمكان القرآن من هذه العربية ، ولأن الله تكفل بحفظ القرآن ، ولكنا أردنا أن نسلى القراء فى أيام العيد التى لا عمل فيها يشغلهم كما أراد الأستاذ أبو حديد أن يسلى أعضاء المجمع ، الذين جمل الله أيامهم كلها ... أعياداً ...

(القاهرة) على الطنطاوى

(١) هذا ... فإذا أخذ بالاقتراح الثانى ، وكتبناها بالحروف اللاتينية ؟

على الالتحاق بالمدرسة الحربية ليكون فارس الحومة ، وقائد الكتيبة ، ومن هنا ترك الشاعر المحاماة ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وإن أمله ليصور إليه أنه سيكون فى يوم من الأيام خليفة لرب السيف والقلم محمود سامى البارودى ! !

ظن حافظ أنه سيستفيد من المدرسة الجديدة استفادة يخدم بها وطنه المريض ، ولكن صدره قد انقبض فى حسرة وغيظ إذ رأى بعينيه أن المستر براين الإنكليزى قد صفد المدرسة بأغلال وثيقة من الذل والعبودية ، فلا يدرس بها غير التمرينات الآلية التى لا تنشىء جيشاً ، ولا ترفع أمة ، أضف إلى ذلك ما كان يبديه القائم بأعمال المدرسة من ازدراء بالغ للعقلية المصرية واحتقار شديد للطلبة المنتسبين ، مما جعل الشاعر يؤمن فى قرارة نفسه — عن مشاهدة شخصية — أن الإنجليز جميعاً من هذا الطراز الدخيل ، فهم يضمرون السوء للشعب ، ويهوون به إلى أسفل دركات الانحطاط .

خرج حافظ من المدرسة بعد انتهاء سنواتها التعليمية ثائراً ناقماً ، وما ظنك بشاعر مرهف الإحساس ، يرى أعداءه الألداء يتحكمون فى أمته أبشع تحكم ، والشعب سادر فى غفلته فلا يكاد يفكر فى إزالة الكابوس الجاثم فوق صدره ؛ وكأن الظروف التى جمعت حافظاً بفريق من المستعمرين فى المدرسة الحربية قد هيأت له أن يعيش فى جوهم المريض مرة ثانية ، فقد سافر إلى السودان فى الحملة العسكرية التى ذهبت من مصر بقيادة اللورد كتشنر لاسترجاعه من أيدى الثائرين ، وكان فى النهاية ما خاف حافظ أن يكون ، فقد اهتبلت إنجلترا الفرصة ، ورفعت علمها الإنجليزى مع العلم المصرى على مدينة الخرطوم ، ومن ثم بدأ الشاعر يخط الصحيفة الأولى فى كتاب نضاله السياسى فقد أرسل اللحن الأول من قيثارته الحزينة ، يندد بخيانة الإنجليز وينبه الشعب المصرى إلى مايهدده من الخطر الداهم بعد استلاب السودان ، وذلك إذ يقول

رويدك حتى يخفق العلمان ... وننظر ما يجرى به الفتيان
فما مصر كالسودان لقمة جائع ... ولكنها مرهونة لأوان
أرى مصر والسودان والهند واحداً ... بها اللورد والفيكنت يستبقان
وأكبر ظنى أن يوم جلائهم ... ويوم نشور الخلق مقترنان

وطبيعى أن يبث الشعور الوطنى فى زملائه الضباط ، فيؤلف منهم زمرة تناوىء الغاصبين ، وتتمرد على قيادتهم الغاشمة . ولم يلبث كتشنر أن وقف على حركته الوطنيــة ، فتربص به الدوائر ، ونصب له المكايد الحائلة ، وإذ ذاك لجأ الشاعر إلى أستاذه الإمام ، فكتب إليه من خطاب طويل « ولقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار المنيد (يريد كتشنر) فقد نما ضب ضغنه على ، وبدرت بوادر السوء منه إلى فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم ... »

وكأن الله عز وجل قد أراد الخلاص للشاعر من أقرب طريق فأحيل إلى الاستيداع ، وغادر الخرطوم إلى القاهرة ، بعد أن ثكل وظيفته الحكومية وضاقت سبل العيش فى وجهه ، ولم يرغير الشعر صديقاً وفياً ، يبثه نجواه ، ويستطلعه خبيئة سره إذ يقول :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندما
لحا الله عهد القاسطين الذى به ... تهدم من بنياننا ما تهدما
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم ... فلا تك مصرياً ولا تك مسلماً
سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما

وواضح أن اختلاط الشاعر بالمحتلين فترتين متعاقبتين قد حول صدره أتوناً ملتهباً يشتمل بالغيظ ، فهو وحده بين شعرائنا السياسيين ، قد لمس عن كثب شنائع الاحتلال ، ولكنه اضطر مرغما أن يكبت عواطفه — وقتاما — غب قدومه إلى القاهرة كيلا يقف المعتمد البريطانى فى وجهه وهو يبحث عن عمل حكومى يرتزق منه ؛ وأنى للشاعر أن يصبر على الضيم والذلة ، والشعب فى شر حاله ، تنتهب أمواله ، وتغتصب خيراته ، فلا أقل إذن من أن يواسيه بعزاء دامع يفصح عن إحساسه ، وينطق عن شعوره ، كأن يقول :

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ... ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالإسفنج قد ظفرت ... بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت ... جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
إذا نطقت فقاع السجن متكأ ... وإن سكت فإن النفس لم تطب

وقد رأى حافظ أن يتوجه فى محنته إلى الخديوى ، فيخلع عليه بروداً ضافية من مديحه الرائع عسى أن ينقذه من وهدة التعطل والبطالة ، ولكن مدائحه الرنانة قد تلاشت فى مهب

الريح ، ومضى الشاعر يطرق أبواب العمل باباً باباً ، والأيام تمر ثقيلة بطيئة فى غير طائل ، والحاجة ماسة والحظ شحيح !!

ويشاء الله أن ييأس من العمل الحكومى يأساً تاماً ، فينقلب إلى ثائر هائج ، يحارب الاستعمار بما فى يراعه من قوة وبيان ، وهنا تئن القيثارة الحزينة ، فتهز الأوتار هزاً عنيفاً ، وتخرج الصحف على الشعب ملتهبة بزفرات حافظ ، فلا تكاد تمر بها الأعين القارئة ، حتى تشعل جمر الغضب فى الصدور ، وينظر القراء فيجدون مشاعرهم الكظيمة مبسوطة فى شعر حافظ السياسى ، فيتغنون به فى مجالسهم . وينشدونه فى الغدو والرواح حتى أيقظ الهمم الغافية ، وأضاء العقول الدامسة ، فهب الشعب يؤدى واجبه الوطنى — إزاء الغاصبين — بقدر ما يستطيع

على أن حافظاً كان يلمح بصيص الأمل يلوح له فى الاعتصام بحبل الدولة العثمانية ، فهى المملكة الإسلامية التى تتجه إليها أنظار المخلصين من أبناء العقيدة المحمدية ، ومهما قيل عن بنى الخلفاء فهم أهون بكثير من أعداء اللغة والدين والوطن ، لذلك كان الشاعر يمدح سلاطين تركيا بوازع من دينه وعقيدته ، ويشيد بتاريخهم المديد كيلا ينخدع الشعب بدعاية بريطانيا الجوفاء ثم هو فى مديحه لآل عثمان يقصد دائماً إلى هدفه الأصيل ، فينبه الخليفة إلى أفاعى الغرب الخاتلة ، ويحذر الشرق من الاستكانة والخنوع ، كأن يقول فى عيد تأسيس الدولة العلية .

فياشرق إن الغرب إن لان أو قسا ... ففيه من الصهباء طبع مذوب

نخف بأسها فى الرأس والرأس تصطلى ... وخف ضعفها فى الكأس والكأس تطرب

ويا غرب إن الدهر يطفو بأهله ... ويطويه تيار القضاء فيرسب

أراك مقر الطامعين كأنما ... على كل عرش من عروشك أشعب

وإذا كان مصطفى كامل قد اتخذ من حادثة دنشواى دليلا قويا يستند إليه فى كفاحه خارج مصر ، فإن شاعر النيل قد شهر هذا السلاح بعينه ليحارب به الأعداء فى الداخل . فقد نظم قصائد عديدة مال فيها إلى السلاسة والوضوح . ليفهمها الشعب المصرى عن بكرة أبيه ، وقد مثل فيها المأساة الدامية تمثيلا يستدر الدموع ويشعل الأفئدة ، ودونك بعض ما يقول :

حسبوا النفوس من الحمام بديلة ... فتسابقوا فى صيدهن وصوبوا

والمستشار مفاخر برجاله ... ومساجز ومناجز ومخرب

يختال فى أنحائها متبسما ... والدمع حول ركابه يتصبب

رفقاً عميد الدولتين بأمة ... ضاق الرجاء بها وعز المطلب

إن أرهقوا صيادكم فلعلهم ... للقوت لا للمسلمين تعصبوا

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا ... بحبال من جلدوا ولم يتهيبوا

شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا ... بلظى سياط الجالدين ورحبوا

أو كلما باح الحزين بأنة ... أمست إلى معنى التعصب تنسب

طاحوا بأربعة فأردوا خامساً ... هو خير ما يرجو العميد ويطلب

حب يحاول غرسه فى أنفس ... يجنى بمغرسها الثناء الطيب

ولقد كان لهذه القصيدة دوى هائل فى المجتمع المصرى ، فقد عارضها كثير من الشعراء ، وبرزت المقالات السياسية مشتملة بزفرات من أبياتها الدامعة ، مما شجع شاعر النيل على المضى فى سبيله ، فوقف لكرومر الطاغية بالمرصاد يحاسبه الحساب العسير فى قواف تصرخ من الألم والرعب ، وما كاد اللورد يصدر تقريره الخادع عما قدمه للأمة المصرية من إصلاح ورفاهية ، ليبدو فى صورة المنظم البرىء حتى هجم الشاعر على هرائه الكاذب ، ففنده بأسلوبه الرائع وصاح فى وجهه يقول :

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى ... وأن أصبح المصرى حراً منعما

إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها ... فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السما

عملتم على عز الجماد وذلنا ... فأغليتمو طيناً وأرخصتمو دما

نهش إلى الدينار حتى إذا مشى ... به ربه فى السوق ألفاه درهما

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت ... حواشيه حتى صار ظلماً منظما

وبعد لأى رأت الحكومة البريطانية أن تدهن الشعب المصرى فاستدعت جبارها العنيد إلى غير رجعة ، وهب حافظ يشيعه بقصيدة فاضحة ، فصلت آثامه المخزية واحدة وراء واحدة حتى ليجوز للمؤرخ المنصف أن يذكرها وحدها كسجل حافل بآثام المعتمد البريطانى ، فقد تعرض فيها الشاعر إلى مواقف كرومر العدائية من الدين الإسلامى ، ومناصرته للحركة التبشيرية المسيحية ، ثم دلف إلى الشركات الأجنبية التى بثها اللورد فى مختلف الجهات الأجنبية ، تمتص الدماء ، وتستنزف القوى ،

٤ — مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة :

بوليس الأمن الدولى

تثور مشكلة الجزاء بوجه عام فى دراسة القانون بفروعه المختلفة ، ولـكنها تتخذ صورة خاصة دقيقة إذا ما نظرنا إليها من ناحية القانون الدولى العام حيث تنافرت الآراء حول وجود جزاء له أو عدم وجوده ويتبع ذلك إنكار الصفة القانونية على هـذا القانون أو إثباتها له . . . غير أن أغلب الفقهاء يعتقدون بحق أن القانون الدولى له كل مقومات القوانين ومميزاتها وإن كان لا يزال ضعيف الجزاء .

وقبل أن يولد ميثاق سان فرنسيسكو .. كانت أقصى مرحلة من التهذيب وصلتها الجزاءات الدولية — وذلك غير الحرب طبعاً — ما نصت عليه المادة السادسة عشرة من عهد عصبة الأمم البائدة ، وهى قائمة بمفردها تتناول فى أغلبها الجزاءات الاقتصادية وتشير إلى الجزاءات العسكرية باقتضاب دون تفصيل أو إيضاح .

ويعزو بعض الـكتاب انهيار العصبة إلى عدم الالتفات جيداً إلى اللون العسكرى من الجزاءات وهذا النقص الأخير قد تداركه ميثاق هيئة الأمم المتحدة وفصـله تفصيلا فى أكثر من مادة .

لقد قلنا إن لمجلس الأمن اختصاصين : الأول منهما يتعلق بحفظ السلم والأمن الدولى ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو اخلال به أو حصول عدوان معين وهذه الأحوال التى تدخل فى الاختصاص الثانى ليس لها صفات معينة أو حدود تقف عندها ، بل إن مجلس الأمن له مطلق الحرية فى تقرير هذه الحالات الخطيرة (انظر المادة ٣٩) وترتيب الجزاءات لها .

ويمكن القول بأن الجزاءات المنصوص عليها فى الميثاق تتفاوت فى الشدة والطبيعة فهناك ما يسمى بالتدابير المؤقتة (المادة ٤٠) ويوضحها الميثاق بقوله : إنه منعاً لتفاقم الموقف ، لمجلس الأمن قبل تقديم توصيات أو اتخاذ التدابير المنصوص عنها فى المادة التاسعة والثلاثين ... أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً

وندد بمجلس الشورى الذى أراد كرومر تـكوينه من الأجانب والمصريين معاً ، ولم يفته أن يعرج على الأصـنام المصرية التى اتخذها العميد وزراء للدولة فـكانت رهن إشارته وقيد رغبته ، كما بكى اللغة العربية التى طمنها اللورد فى الصميم حين قرر دراسة العلوم المدرسية بلغته الدخيلة ، وقد عرف كيف يتهكم بالفرعون الغاشم حيث قال فى وداعه :

فلم لا نرى الأهرام يانيل ميَّداً   وفرعون عن واديك مرتحل غدا
فودع لنا الطود الذى كان شامخاً   وشيع لنا البحر الذى كان مزبدا
لقد حان توديع العـميد وإنه   حقيق بتشييع المحبين والعـدا
سنطوى أياديك التى قد أفضتها   علينا فلسـنا أمة تجحد اليدا

وفى رأيى أن هذه القصيدة التاريخية قد فاقت قصيدة شوقى فى وداع العميد ، لأن شاعر القصر لم ينطق عن شعور وطنى دفاق وإنما غضب لولى نعمته حين هاجه اللورد فى حفلة وداعه ، فنحت أبياته نحتاً ، وأنت تقرأ ما نسجه أمير الشعراء فلا تحس بهذه اللوعة المتأججة فى شعر حافظ ، بل تجد شاعر القصر قد نسى الغرض الأصيل من القصيدة ، فلم يطنب فيه أطناب شاعر النيل وإنما حرص كل الحرص على أن يندد فى مطلع كلامه بما اقترفه اللورد فى حفلة الوداع فقال :

أوسـعتنا يوم الوداع إهانة   أدب لعمرك لا يصيب مثيلا
فى ملعب للمضحكات مشيد   مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لمن أصوله   وتصـدر الأعمى به تطفيلا
هلا بدا لك أن تجامل بعد ما   صاغ الرئيس لك الثنا إكليلا

ومهما يكن من شىء فإن نشأة شوقى الأولى قد باعدت كثيراً بينه وبين واجبه الأقدس . بل قد ورطته أسوء توريط فيما ينبغى أن يبتعد عنه ؛ فقد هجا زعيم الثورة العرابية المفترى عليه لحاجة فى نفسه ، وأحجم عن رثاء أستاذه البارودى ، كما لاذ بالصمت المريب إزاء فجيعة دنشواى ، مع أنها زلزلت العالم أجمع بدويها الرنان ، والأبيات القليلة المذكورة فى الجزء الأول من الشوقيات عن هذه المأساة ، قد قيلت بعد رحيل اللورد كرومر ، وانقضاء عام كامل ، جفت فيه الدماء ، وانقطع الدوى ، وتحدث الناس جميعاً بأن أمير الشعراء مقصر كل التقصير ! !

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

أو مستحسناً من تدابير مؤقتة ، ولا تخلو هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم ، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه .

وهناك الجزاءات غير العسكرية (المادة ٤١) وعندها يقرر مجلس الأمن ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته وله أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من المواصلات وقفاً جزئياً أو كلياً كما تقطع العلاقات الدبلوماسية .

وأما الجزاءات العسكرية (م٤٢) فقد نص عليها الميثاق بأنه إذا رأى مجلس الأمن أن الجزءات غير العسكرية لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه ، ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات البرية والجوية والبحرية التابعة لأعضاء هيئة الأمم المتحدة وهذه القوات هي « بوليس الأمن الدولي »

وأما تكوين بوليس الأمن وتنظيمه فقد فصل ذلك الميثاق (م ٤٣) بأنه في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي يتعهد جميع أعضاء هيئة الأمم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقاً لاتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي وتحدد تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأماكنها عموماً ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم . كما قضى (م ٤٧) بتشكيل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدى المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن وتعاونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية واستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه وقيادتها ...

ولما كان هذا التنظيم يستغرق وقتاً طويلا لكي يوجد . فقد نص الميثاق (م ١٠٦) على أن الدول الخمس الكبرى تقوم بالنيابة عن الهيئة بالأعمال المشتركة التي قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولي في فترة الانتقال أي إلى أن يتولى مجلس الأمن تبعاته ...

لقد قدمنا أن حق الاعتراض[1] هو السائد في جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها ، ورأينا كيف استعملته الكتلتان الشرقية والغربية أسوأ استعمال متوخية مصالحها وشهواتها في كل مايدخل في الاختصاص الأول المتعلق بحفظ السلم والأمن الدولي وناقشنا اقتراح مارشال الذي كان بمثابة رد فعل لهذا الاستعمال السيء . . والآن يستطيع القارىء أن يستنتج مصير الاختصاص الثاني للمجلس الذي لن يكون أحسن حالا من سابقه ما دام هناك « الفيتو » وسوء تطبيقه ... ويمكننا أن نقول بملء الفم إن النصوص التي تقتطع جانباً خطيراً من الميثاق والتي تتعلق بمسألة الجزاءات . . قد حكم عليها بالعدم والموت . ففي فترة الانتقال هذه لم تتفق كلمة الدول الخمس الكبرى على فض أي نزاع أو عدوان يخل بالأمن الدولي · وليس ذلك راجعاً لندرة العدوان أو التهديدات الدولية بل يرجع قبل كل شيء إلى الخلاف الناشب بين المعسكرين المروفين . والمثل البارز لذلك في مسألتي البلقان وأندونيسيا . .

ولندع فترة الانتقال وننظر فيما بعدها . . هل نظمت هيئة الأمم حقاً قواتها ؟ وهل عقدت تلك الاتفاقات التي تحدد هذا التنظيم ؟ ثم ما حال لجنة أركان الحرب الدولية . . أين هي ؟.

والجواب عن كل ذلك حاضر يبعث على الأسف : لم يحدث شيء ، ولن يكون شيء ما دام هذا النزاع المصلحي قائماً بين الدول يدعي كل فريق أن حق الاعتراض عقبة كبيرة في سبيل التنفيذ ، ولكن الحقيقة أن الأهواء والشهوات هي أصل الداء ، فهي التي جرت إلى اساءة استعمال هذا الحق بل هي التي خلقته ودفعته إلى الوجود وما كنا في حاجة لمثله . .

إن بوليس الأمن الدولي جيش فوق الجيوش ، وقوة عظيمة تجب جميع القوى وكان أمل الشعوب الصغيرة فيه كبيراً ، لأنه سندها ودرعها في نضالها ضد اضطهاد الدول المستعمرة الظالمة ، وليس غريباً أن تنشر الصحف نبأ النصيحة التي قدمها مسيو تريجفلي سكرتير هيئة الأمم لرئيس وزراء مصير حين تقرر نهائياً

(١) انظر الرسالة العدد ٧٤٤

عرض القضية على مجلس الأمن .. فقد ذكرت أنه أشار عليه بالتريث حتى تتكون قوة بوليس الأمن الدولى .

على أية حال ليس أمامنا سوى الأسف العميق نقابل به مثل هذه الأمور المحزنة ولعله من المفيد أن نذكر شيئاً عن مشروع أمريكى للدفاع المشترك قيل إنه يغنى مؤقتاً عن البوليس الدولى . فقد روت الأنباء أن وفد أمريكا فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة قد أعد مشروعاً بمعاهدة للدفاع المتبادل تسندها قوات الدول الموقعة وسيعرض الوفد هذا المشروع على الجمعية العمومية . وهذه المعاهدة المقترحة يمكن أن تتمخض عن إنشاء قوة بوليس دولية لحماية اليونان فى القريب العاجل من اعتداء يوغوسلافيا وألبانيا وبلغاريا عليها كما أنها تتمشى مع الميثاق وتخضع لمادة معينة منه (م ٥١) تشير إلى أن للدول الحق فى الدفاع الفردى أو الجماعى إذا وقع هجوم مسلح على دولة من أعضاء هيئة الأمم وذلك إلى أن يتسنى لمجلس الأمن اتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على السلام والأمن الدوليين ، ومن شروط هذا الاقتراح الأمريكى أن هذه المعاهدة مفتوحة لكل دولة من أعضاء هيئة الأمم تريد توقيعها بما فى ذلك روسيا ولكنها تصبح نافذة فى القريب العاجل سواء وقعتها روسيا والدول المرتبطة بها أو لم توقعها ، ولن يكون تنفيذ هذه المعاهدة بما فى ذلك استخدام القوات المسلحة للدول الموقعة موضوعاً خاضعاً لحق الدول الكبرى فى الاعتراض — الفيتو — وتقول المصادر الأمريكية أن هذه المعاهدة تهدف إلى التغلب على عقبتين فى سبيل المحافظة على السلام فى اليونان وغيرها :

أولا : استخدام روسيا لحقها فى الاعتراض على أية محاولة لحماية اليونان من عدوان جيرانها فى الشمال .

وثانياً : العوائق التى يضعها الوفد السوفيتى فى سبيل اتمام اتفاقات حربية بين هيئة الأمم المتحدة والدول الأعضاء بينما كان المأمول أن تنشأ قوة بوليس دولية لتنفيذ قرارات هيئة الأمم .

ويشبه مشروع هذه المعاهدة بروتوكول جنيف فى سنة ٩٢٤ الذى كان يهدف إلى تقوية عصبة الأمم ويبرر العمل الجماعى ضد العدوان تمشياً مع روح ميثاق العصبة .

هذا هو المشروع الأمريكى الذى لم يطرح بعد على بساط البحث ، ورأينا فيه أنه — كما هو واضح — موجه ضد الكتلة الشرقية وقد أملته روح التحدى والعداء وكان الأجدر بأمريكا أن تتمسك بنصوص الميثاق بدلا من أن تهدمها وتستبدل بها مشروعات أخرى لن تكون خيراً منها أو أكثر اتساقاً مع الغرض من قيامها ثم إن هذه المعاهدة الدفاعية تدعو للتساؤل : فهى دفاعية ضد من ؟ لا بد لوجود الدفاع من هجوم .. فضد من يوجه هذا الدفاع . . . إن كانت دول العالم أجمع ستنضم إلى المعاهدة ؟

والظاهر أن الكتلة الغربية تعلم مقدماً أن مشروعها لن يجوز رضا من الكتلة الشرقية ، ولهذا جعلت المعاهدة مفتوحة للانضمام ، والغالب أن الدول الموقعة ستكون سياستها موافقة لأهواء الكتلة الأولى ومناهضة للثانية الأمر الذى يؤكد فى الذهن أن هذا المشروع ليس وليد الإيمان الخالص بخير الإنسانية وتقديس المعانى السامية لذاتها . . . وقد نفذت الولايات المتحدة مشروعها المقترح تنفيذاً جزئياً فى نصف الكرة الغربى حين عقدت معاهدة الدفاع المشترك بين دول الأمريكيتين فى الأسابيع القليلة الماضية . وبعد : فإن حق الاعتراض يجب أن يلغى ، وأن تزيد الثقة المتبادلة بين الدول ، وتعود للمثل العليا قيمتها واعتبارها ، وأن نؤمن من جديد بالعدالة والحرية والمساواة ..

يجب أن تختفى من السطور كلمات الحرب والحياد ، فالجراح التى خلفتها الحرب لم تلتئم ، والمداد الذى كتب به الميثاق لم يجف بعد ...

إننا نخشى على مولود سان فرنسيسكو أن يلحق بفقيد الأطلنطى .. ! !

عبد الحميد عثمان عبد المجيد
كلية الحقوق

مبادئ ماليـــة فى الاسلام

للأســـتاذ لبيب السعيد

١ — الإسلام دين ودولة ، فهو إذ يشرع لأهله ما يبلغهم السعادة الأخروية ، يعنى كذلك بمصالحهم الدينوية ، ويقرر لها نظما يهدف بها إلى إتاحة الرفاهية قدر المستطاع لكل منهم ، وتحقيق القوة والسيادة لمجوعتهم .

٢ — والمال عصب الحياة ، والشريعة الإسلامية واقعية ، ولذلك أقامت للمال الموازين : عرفت كيف زين للناس حبه ، فتكاثروا به ، وتقاتلوا فى سبيله ، فالتفتت إلى المطامنة من هذا الحب ، وأخذت من فضل هذا لتعالج عدم ذاك ، محققة لكليهما الخير المنوى والمادى[1] وعرفت أن القوة والمنعة والأمن لاتقوم إلا على دعامة من المال ، فجعلت لولى الأمر حقا معلوما فى مال كل ذى مال لتقيم به هذه الدعامة .

فرضت الشريعة على الفرد عدة واجبات مالية ليس من همنا الآن تناولها بالبيان الوافى ، ولكننا نعرض لحسب ما يتعلق بها من مبادئ رئيسية ، غير مقتحمين ما للفقهاء فيها من تفاصيل .

٣ — التزم الإسلام العدل الأوفى فى فرض هذه الواجبات فهو فى وضع الخراج مثلا يوجب مراعاة جودة الأرض واختلاف أنواع زرعها وما تسق به[2] .

وهو ينظر من أعسر بخراجه[3]

والجزية التى يفرضها على أهل الذمة هى من الاعتدال بحيث لا تبلغ إلا سبع ما كان يفرضه الرومان مثلا على الأمم التى أخضعوها[4] . وفوق هذا ، فهو يرعى حال من تفرض عليه الجزية إذا كان موسرا أو وسطا أوفقيرمعتملا[5] . ويميز بين أرباب المهن المختلفة ، فالصيرفى والبزاز وصاحب الصنعة والتاجر والطبيب ومن إليهم غير الخياط والصباغ والجزار والإسكاف ومن أشبههم[1] ...

وهو لا يوجب الجزية على امرأة ولا صبى[2] ، كما يعفى منها الأعمى والزمن والمفلوج والشيخ الكبير الفانى ولو كانوا موسرين ويضعها عن أصحاب الصوامع إلا إذا كانوا من الأغنياء[3] .

والمبدأ المقرر لدى فقهاء المسلمين أنه « لا يضرب أحد من أهل الذمة فى استيدائهم الجزية ، ولا يقامون فى الشمس ولاغيرها ولا يجعل عليهم فى أبدانهم شىء من المكاره ، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم[4] .

والاسلام يشترط للزكاة نصاباً معينا فى كل صنف وجبت فيه ، وهو ينظر إلى ناقص الملك نظرة خاصة رحيمة ، ويسقط — على الأرجح — الزكاة عن المدين .

وهو ينكر على الفرد أن يأتى بما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس ؛ يمدح القرآن أناسا فيقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »[5]

ونبى الإسلام يقدر ما يحيط بالمالك من ظروف لها اعتبارها عند تقدير الزكاة المطلوبة ، فهو يقول للعمال الذين ولاهم على خرص الثمار — وهو الحزر والتخمين لتقدير الزكاة قبل الإثمار ولأمن الخيانة من رب المال — يقول لهم : « خففوا الخرص ، فإن فى المال الوصية (أى ما يوصى به أربابها بعد الوفاة) والعرية (أى مايعرى للصلات فى الحياة) والواطئة (أى ما تأكله السابلة منه ، سموا واطئة لوطئهم الأرض) والنائبة (أى ما ينوب الثمار من الجوائح) »[6] .

وكذلك فى شأن الخراج ، تذهب الشريعة إلىأن لا يستقصى فى وضعه غاية ما تحتمله الأرض لتجعل لأربابها بقية يجبرون بها النوائب والجوائح[7] .

(١) أنظر تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٤٥٣ — ٤٦١ ، فقد أفاض فى هنا إفاضة نافعة .
(٢) الأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء ص ١٥١ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) النظم الاسلامية لحسن وعلى إبراهيم ص ٢٧٥ .
(٥) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ .

(١) الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ — ٧٢ .
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٣٩ .
(٣) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٨ ص ١٠٩ .
(٤) النظم الاسلامية ص ٢٧٦ .
(٥) سورة الفرقان — ٦٨ .
(٦) أبو يعلى ص ١٠٤ .
(٧) المصدر نفسه ص ١٥٢ .

٤ — ويقترن بذلك العدل حزم « فى التنفيذ لا هوادة فيه ، ودقة فى القواعد لا تدع سبيلا إلى العبث أو التحايل .

فمن مطل بالخراج ، مع يساره ، حبس ، إلا أن يكون له مال فيباع عليه فى خراجه كالديون[١] .

والأرض التى يمكن زرعها يؤخذ عنها الخراج وإن لم تزرع ، وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها طلب إليه أن يؤجرها أو يرفع يده عنها ليتولاها من يقوم بعمارتها . ونذكر على سبيل الاستطراد أن الشريعة تأبى ترك الأرض على خرابها وإن دفع خراجها[٢]

ومن منع الزكاة فلوالى الصدقات أن يقاتله كما قاتل أبو بكر مانعى الزكاة ، بل لقد ذهبت طائفة إلى تكفيره[٣]

والكتاب والسنة ينصان على فداحة إثم مانع الزكاة ، وقد تبرأ منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى سياق حديث : « لا أملك لك من الله شيئاً » ، وذلك — كما يقول ابن حجر — مؤذن بانقطاع رجائه[٤] ثم الشريعة تثنى على مؤتى المال على حبه ، وترغبه فى ذلك ما وسعها الترغيب ، وتمده فى الدنيا والآخرة أحسن الوعود وأبعدها مدى فى نفسه .

وإذا مات من عليه الزكاة بعد وجوبها عليه فإنها تخرج من رأس ماله[٥]

ومن باع ثمرة طابت فعليه زكاتها ، ومن جز زرعه فراراً من الزكاة لم تسقط[٦] .

والتمليك ركن من الزكاة ، فلا يجوز صرفها فى بناء مسجد أو حج أو إصلاح طرق أو نحو ذلك[٧] .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب زكاة الفطر على كل مسلم ولو كان جنيناً فى بطن أمه ، وإلى وجوب تزكية السيد عن رقيقه مؤمناً كان أو كافرا لتجارة أو لغير تجارة[٨] .

والشريعة توجب الإنفاق من الطيبات وتنهى عن تيمم الخبيث قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد »[١] ويقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[٢]

٥ — والأموال التى تدفع يقصد بها دائماً الصالح الأعلى للامة ، والإسلام يتحرى مصارف هذه الأموال أشد التحرى :

فالصلة التى لا تعود بمصلحة على الأمة لا تكون من مالها ، بل تكون من المال الخاص لمن يدفعها[٣] ؛ قال الماوردى : وكان مما نقمه الناس على عثمان أن جعل الصلات من مال الفىء ولم ير الفرق بين الأمرين .

ولا يصح أن يدفع المرء زكاته إلى من تجب عليه نفقته ، ولو أن دفعها فى غيرهم من الأرحام أفضل لأنها تكون صدقة وصلة[٤] .

ويستحب الفقهاء أن لا تنقل الصدقة من بلد المزكى إلى بلد آخر ، لأن «أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، هذا ، مع عدم رؤية الفقهاء بأساً من الصرف على الغرباء فى البلدة»[٥] .

والمشور — وهى شبيهة بما نسميه الآن الضرائب الجركية — مقصور بها صالح الأمة الإسلامية ذاتها ، فللامام — على مذهب الشافعى — أن يزيد فى المأخوذ عن العشر أو أن ينقص عنه إلى نصف العشر أو أن يرفع المشور كلها عن البضاعة إذا رأى المصلحة فى شىء غير ذلك . والإسلام يقدر أن فرض المشور قد ينقص من واردات بلاد المسلمين فيضارون ولذلك رأى أن لا يزيد أخذ المشور من كل قادم بالتجارة على مرة واحدة فى كل سنة ولو تكرر قدومه إلا أن يقع التراضى على غير ذلك[٦] .

٦ — والشريعة الإسلامية مع تدقيقها فى استيفاء حقوقها المالية على الأفراد ، تحفل بضمائرهم ، وتدعو ولى الأمر إلى الثقة بهم :

(١) أبو يعلى ص ١٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ و ١٥٦
(٣) بداية المجتهد لابن رشد ص ١٣٢ .
(٤) فتح البارى ج ٣ ص ١٧٢ .
(٥) أنظر التفاصيل فى أبى يعلى ص ١٣١
(٦) أبو يعلى ص ١٠٧ .
(٧) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥٠٢ .
(٨) المحلى لأبى محمد بن حزم ج ٦ ص ١١٨ و ١٣٢ .

(١) البقرة — ٢٦٧
(٢) آل عمران — ٩٢ .
(٣) أبو يعلى ص ١٢٣ .
(٤) نفس المصدر ص ١١٨ .
(٥) نفس المصدر ص ٩٩ والإحياء للغزالى ج ١ ص ١٩٢
(٦) النظم الاسلامية ص ٢٨٥ .

فليس لوالى الصدقات أن يسأل أو يبحث عن شيء ليس تحت نظره ، وإنما عليه أن يأخذ مما يجد ، مما تجب فيه الصدقة[١].

ويلزم رب المال فيما بينه وبين الله سبحانه باخراج ما أسقطه من أصل الزكاة أو ما تركه الوالى من زيادة[٢] .

٧ — والإسلام لا يجب أن يجد السلطان Soweraincté باسم الشرع ذريعة لإغرام أى فرد مالا بغير حق ، فيقول الرسول صراحة : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام »[٣] ، فعلم أنه لا يحل إغرام مسلم شيئاً بغير نص صحيح[٤] .

٨ — والإسلام يصون لمستحقى الزكاة كرامتهم وإنسانيتهم ويأبى أن تذل نفوسهم ، فهو يرغب فى صدقة السر ، ويقرر بطلان الصدقات التى يعقبها المن والأذى ، يقول تعالى فى الصدقات « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »[٥] ، ويقول سبحانه : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »[٦] ، ويقول نبى الإسلام : « لا يقبل الله صدقة منان »[٧] .

وهو فضلا عن هذا يعتبر من يأخذ الزكاة صاحب حق فى مال الغنى ، وصاحب الحق إذا تقاضى حقه تقاضاه غير مغض نظره ولا حانياً عوده ؛ قال تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[٨] .

٩ — والشريعة تعين للزكاة مصرفاً يجمع سائر الأبواب التى يتعين الإنفاق فيها لصالح الفرد والجماعة والدولة والدين ، والتى يستريح للانفاق فيها ضمير المزكى . قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وهذه الأبواب جميعها ظاهرة الحكمة ، وفيها تكافل وتعاطف ناصعان ، وفيها تأييد عملى حازم لمبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، وفيها رفق عال وتقدير للمجاهدين وحفظ لمجد الدولة .

(١) أبو يعلى ص ١٠٧ .
(٢) أبو يعلى ص ١١٠ .
(٣) من خطبته فى حجة الوداع
(٤) المحلى ج ٦ ص ١١٧ .
(٥) البقرة — ٢٧١ .
(٦) البقرة — ٢٦٤ .
(٧) نقلا عن الاحياء للغزالى ج ١ ص ١٩٣
(٨) الذاريات — ١٩ .

وربما كان جديراً بالذكر أن الغزالى يحبب أن يطلب المتصدق لصدقته من تزكو بهم الصدقة ، وهم عنده المتجردون للآخرة ، وأهل العلم ، والصادقون فى تقواهم ، والمخفون حاجتهم ، والمبتلون أو المحبوسون بمرض وذوو الأرحام[١] .

١٠ — وتختط الشريعة فى محاربة الفقر مذهباً وسطاً ، لا يضار منه الغنى ولا تفوت بسببه المصلحة على فقير ، فهو يحدد مقادير الزكاة تحديداً معقولا ، ولا يفرض على الأغنياء أكثر منها إلا أن تحدث أمور توجب المواساة والإعطاء كأن يوجد جائع مضطر أو عار مضطر أو ميت ليس له من يكفنه ولا من يدفنه .

ولقد ذهب أبو ذر إلى عدم جواز ادخار الذهب والفضة ، وروى أبو هريرة أن النبى (ص) لم يحب لنفسه أن يكون له ذهب ، ولكن الرد على هذا أن النبى قدر الواجب من الزكاة فى الذهب والفضة ، فلو كان إخراج الكل واجباً لما كان للتقدير وجه ، وقد كان فى الصحابة ذوو يسار ظاهر مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وعلم النبى ذلك منهم فلم يأمرهم باخراج الجميع[٢] .

١١ — والإسلام يفرض الجهاد بالمال مثلما يفرضه بالنفس قال تعالى : « ... إن يجاهدوا بأموالهم وبأنفسهم ... » ، وجهاد المرء بماله يكون بانفاقه فى إعداد ما يلزمه للجهاد من العدة بمختلف أنواعها ، ويكون أيضاً بانفاقه على غيره من المجاهدين وإمداده بالزاد والعدة . والشريعة تعنف أشد التعنيف كل من نكل من الجهاد[٣]

١٢ — وهى تفرض على الحجاج الهدايا يوزعون لحومها على الفقراء ، وتوجب على الموسرين نحر الضحايا وإعطاء الفقراء أيضاً منها .

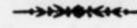
وكذلك كفارات الرُخَص فى العبادات وكفارات كثير من الأخطاء واجبات مالية ينتفع بها الفقراء الذين لا تبرح الشريعة تنظر فى مصالحهم .

١٣ — ومن المبادىء الإسلامية البالغة الأهمية والتى تُغنى عن التطلع إلى النظم الوضعية أن الشريعة تقتضى الأغنياء من أهل

(١) الاحياء ج ١ ص ١٩٤ .
(٢) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ١٠٥ .
(٣) راجع : الحسبة فى الاسلام لابن تيمية ص ٧٧ ، ٧٨

حول جدل فى الجامعة

للأســـتاذ عبد الفتاح بدوى



نشر الأستاذ « العباس » مقالا فى « الرسالة » عنوانه « جدل فى الجامعة » وموضوعه رسالة قدمت فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول لنيل درجة الدكتوراه .

ونشر الأستاذ « محمد خلف الله » مقالا بعده ينفى فيه أن يكون الأستاذ « أحمد أمين » قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها أو لإنكار مافيها من حقائق علمية ويقول : إن كل ماصنعه الأستاذ أحمد أمين أنه لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

وليس يمنينا ضعف منهج الرسالة فليس الناس ولا أهل العلم خاصة قوامين بالقسط على الرسائل التى تقدم فى الجامعة فذلك شأن الممتحنين من دون الناس جميعاً

ولكن الذى لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية ننفى عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان .

ولقد دلنا الأستاذ « خلف الله » بمقاله على أن فى الرسالة التى تقدم بها إلى الجامعة أحداثاً خطيرة فى العلم وفى الدين ، ودعانى مقاله هذا إلى البحث عن تقرير الأستاذ أحمد أمين وإلى البحث عن غير ذلك التقرير ، وما دمنا نملك هذا المقال فاننا نملك باباً وسيماً من المناقشة والحساب فى مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن نحصل على أشياء أخر غير المقال .

يقول الأستاذ « خلف الله » : ومن المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن ... وهذه الدعوى هكذا تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعا ، ودلالة صريحة على أن من يدعى هذه الدعوى يستبيح للناس أن يقولوا عنه أنه لايعرف شيئاً من المنطق ؛ والمنطق ميزان العقول ، وهو لا يعرف قواعد اللغة ، ولا يتكلم بكلام الناس ، ولا يصح أن تكون له رسالة يتقدم بها إلى الجامعة أو إلى سواها لأنه ليس من أهل العلم فى شىء .

أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام سواء فى ذلك كل أنواع الكلام ؟ فإذا قال القرآن الكريم : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ألا نفهم منه أن هناك

كل بلد أن يقوموا بفقرائهم وأن يجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم :

فيقام للفقراء بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، وباللباس للشتاء ، والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة(١) .

بل لقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى رأى لا نحسبه معروفاً جيداً لجمهرة المسلمين قال : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أولحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك ، فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير »(٢) .

ويمضى أبو محمد فيقول : « وله — يقصد المسلم المضطر — أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع ، فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى : « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة ، والله تعالى التوفيق » اهـ (١) .

وبعد ، فهل يسع المنصف أن لايقرر أن المذاهب والمشروعات الاجتماعية الحديثة مع ما فى بعضها من آراء تستحق التقدير ، وتحمل على بعض الأمل فى أن تطب لأدواء الفقر ، لا تتسامى إلى المبادئ الإسلامية فى دقتها وشمولها وعملها المنظم على موازنة الثروات ، والتقريب بين الطبقات ، وإقامة التكامل الاجتماعى ، واحترام الإنسانية ، وتمكين الأمة من حفظ قوتها وشوكتها .

لبيب السعيد

(١) المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٦
(٢) المصدر نفسه

(١) المصدر نفسه .

بلداً اسمه « بكة » وأن فى هذا البلد بيتاً ، وأنه وضع للناس ، ثم نفهم الأمر الدينى فوق هذا وهو أن هذا البيت مبارك وهدى للعالمين ؟ أليس لنا ذلك ونحن لا نستطيع أن نفهم هذا الأمر الدينى إلا مع فهم تلك الدلالات ؟ بل أجمع العلماء على أن للقرآن الكريم فوق هذه الدلالات الثلاث التى تجمع عليها عقول البشر لكل كلام دلالة أخرى سامية هى دلالة الفحوى التى يكون مثلها للنثر الفنى أو الشعر البليغ ، وأجمعوا على أن هذه الدلالة مرعية قطعا وإن اختلفوا فى أنه هل تقوم على هذه الدلالة أحكام شرعية أم لا ؛ إننا إذا حرمنا القرآن الكريم دلالاته الالتزامية وهى التى تستنتج من الكلام فقد حرمناه أخص المزايا العقلية لكل كلام وليس يملك هذا الحرمان أحد ، إنما يدعيه من حرم قواعد العقل وخرج من ميدان التفكير ، وإذا كانت الحقائق العلمية التى بنى عليها الأستاذ « خلف الله » رسالته من مثل مقاله هذا فويل للعلم وويل للعلماء .

ويدعى الأستاذ « خلف الله » أن الأستاذ « محمد عبده » قد قال بهذا القول فأى قول هو هذا الذى قال به الأستاذ الإمام ؟ أن كلام الأستاذ محمد عبده مثل كلام كل العلماء أن القرآن الكريم ليس كتاباً أنزل للتأريخ وضبط الوقائع وترتيب الحوادث التاريخية بعضها على بعض ولكنه بالاجماع يستخدم التاريخ ويقص من هذا التاريخ حقائق واقعة ثابتة مرتباً بعضها على بعض ترتيباً لا استنتاج فيه كما يستنتج المؤرخ ولكن ترتيب الحق والواقع وينزل بذلك الواقع المرتب ترتيب الحقائق لهداية الناس وإرشادهم إلى الخير والفلاح

فالقرآن يخالف كتب التاريخ فى أمور ويوافقها فى أمور ؛ فالمؤرخ قديرى من واجبه أن يتتبع تفاصيل الواقعة : من الأسماء والزمان والمكان والأحداث وتفاصيلها لأن هذا كله قد يعينه على استنتاج الحكم التاريخى الذى يحكم به على الواقعة أو يشبع به نهم العواطف الكثيرة المختلفة من قراءة التاريخى ؛ أما القرآن الكريم فقد لا يعنيه بعض هذا لأنه لا يستنتج الأحكام التاريخيه ولكنه الحكم الفيصل فيها ؛ فقد لا تعنيه الأسماء مثلا فيقول : « قتل أصحاب الأخدود » لأن العبرة التى تترتب على القصة أى الحكم التاريخى لا يتوقف على أسماء هؤلاء الناس ، وليس له بأسمائهم صلة ، وقد لا يهتم القرآن الكريم بالزمان فيذكر قصة « يوسف » عليه السلام وفيها اسم يوسف والمكان الذى كانت فيه القصة ولا يذكر زمانها ؛ وقد لا يهتم بالمكان فيذكر قصة لوط فيبين اسمه وأنه معاصر لإبراهيم ويذكر الحوادث ولا يذكر المكان ؛ وقد لا يهتم القرآن الكريم بالتفاصيل فيذكر قصة يونس عليه السلام وأنه « ساهم فكان من المدحضين » دون أن يدل على تفاصيل المساهمة ولا على نوعها ولا على الساهمين ، ذلك كله لأن القرآن يخالف المؤرخ فالمؤرخ قد يتتبع ليستنتج ، أما القرآن فهو منزل بالواقع ، والحكم التاريخى فيه حكم العالم بالحقيقة فهو لا يستنتج ولكن يقرر الواقع ويذكر من الأسماء والأزمان والأمكنة والأحداث ما يعيننا على فهم ذلك الحكم التاريخى وتلقيه بالقبول ، ويتفق التاريخ والقرآن فى أن كلا منهما يرتب الحكم التاريخى على المقدمات التى يذكرها وإن كانا يختلفان فى طريقة ذلك الترتيب ، فالمؤرخ يرتب المقدمات ترتيباً ظنيا خاضعا لآلاف الفروض وأنواع الحدس والتخمين ، فإذا ذكر المؤرخ أسباب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية كان كل سبب مما يذكر موضع نقاش طويل فى جميع مراحله ؛ أما القرآن الكريم فيرتب المقدمات ترتيباً يقينياً لا شك فيه ؛ فإذا قرأنا قوله تعالى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » رأينا المقدمات يقينية الوقوع والحكم الذى ترتب عليها هو عين اليقين ؛ فالقرآن مصدر من مصادر التاريخ وليس كتاباً من التاريخ والفرق بينهما واضح كل الوضوح ، وليس فى المسلمين من يقول بغير هذا .

ويقول الأستاذ (خلف الله) : على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه ولقد نتج عن ذلك طريقتان . طريقة السلف وطريقة الخلف أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع . وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الامام ...

وهذا الذى يقوله الأستاذ خلف الله جرأة أخرى على الأصوليين وتقول مفترى على الإمام محمد عبده . فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابها ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث

٢٩ ٥ ٣٤

هي خلاصة الحقيقة التي وقعت في سوالف الأزمان يسوقها القرآن عبرة وهدى للعالمين ؛ وليدلنا الأستاذ على أصولي لا يقول بهذا أوعى مسلم لا يقول بهذا

وكلام الأستاذ خلف الله افتراء على الأستاذ الامام يكذبه قول الإمام ومنهجه الذي اختطه لنفسه في صراحة لا شية فيها ولا اختلاط ؛ ونورد هنا نص عبارة المنار وهي على أتم وضوح ليتبين للناس مقدار تهجم الأستاذ خلف الله على العلم وعلى رجال العلم ولنبين له كيف أراد أن يلبس على الناس بأقواله في مقاله ويقول ما ليس بحق .

قال في المنار عند تفسير قوله تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيهـا ويسفك الدماء » : تمهيد للقصة ومذهب الخلف والسلف في المتشابهات : أن أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشئون الإلهية التي يعز الوقوف عليها كما هي وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية على نحو مايؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا ومثل لنا المعاني في صور محسوسة وأبرز لنا الحكم والاسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هي سنته في مناظرة الخلق وبيان الحق وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التي لا يمكن حملهـا على ظاهرها لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله تعالى وإما إخبار منه سبحانه الملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بكونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد أورد الأستاذ (يعني محمد عبده) مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ، ما مثاله : أجمعت الأمة الاسلامية على أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة فكانت هي الأصل المحكم في الاعتقاد الذي يجب أن يرد إليه غيره وهو التنزيه فإذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان أحدهما طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل كقوله تعالى ليس كمثله شيء وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ويصورها لخيالاتنا والثانية طريقة الخلف وهي التأويل يقولون : إن قواعد الدين الإسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل : قال الأستاذ (محمد عبده) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب وأننا نسير في فهم الآيات على كلتا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى

قال صاحب المنار : وأقول أنا مؤلف هذا التفسير . إنني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم ، عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى .

فالأستاذ الامام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده والأستاذ الامام يقول : إن الآيات في قصة الخليقة في الأرض من المتشابه وفسر ذلك التشابه بأنها لا تحمل على ظاهرها وفسر ذلك الظاهر الذي لا تحمل عليه بأن فيها حوارا وجدلا بين الله تعـالى والملائكة والجدل والحوار على ظاهرهما لا يليقان بالله تعالى ولا بالملائكة فيجب تأويل ذلك الجدل والحوار وحملهما على (خلاف مقتضى الظاهر) وبين التأويل الذي يراه لهذا الحوار ولهذا الجدل في ص ٢٥٤ من تفسير المنار لنفس هذه الآيات فقال : وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه أحـدها أن الله تعالى في عظمتة وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه الخ ثانيها إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمته ما يخفى على الملائكة فنحن أولى بأن تخفى علينا ثالثها أن الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم رابعها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس الخ فأين ما ادعاه الأستاذ خلف الله على الأصوليين وعلى الامام. إن هذا إلا اختلاق .

حسب الرسالة اليوم هذا فإن الحساب بيننا وبين الأستاذ خلف سيطول .

عبد الفتاح بدوي
المدرس في كلية اللغة العربية

إلى رجال التعليم:

التلميذ مرآة أستاذه

للأستاذ على العمارى

ذكرت فى عدد سابق من الرسالة الغراء بعض الأسباب التى أدت إلى ضعف المتعلمين فى العلوم عامة، وفى اللغة العربية خاصة، وما سلكت غير سبيل الحق، ولا نهجت إلا منهج الصراحة فإنى أعلم أن المداورة والمجاملة وغض الطرف عن العيوب كلها أدواء فتاكة، تغطى وجه الحق، وتمكن للداء أن يستشرى، وإذا كان هذا سبيلى فإنى قائل اليوم قولا أراه مراً جارحاً، ولكنى لا أجد منه بداً، وإنى أعلم أنه سيغضب الكثيرين، وسيدع غير قليل من رجال التعليم يزمون شفاههم، ويقطبون أسارير وجوههم، ويهزون أكتافهم، ويقولون: كذب ورب الكعبة، ولكنه — أيها الإخوان — الحق الصراح، والحق مر، والقول الخالص، والناس لا يظمأون إلا إلى الآسن المكر، حين يعذبه النفاق، ويسيغه فى الحلوق الثناء الكاذب، والداهنة البغيضة.

ولست متجنياً، ولا بعيداً عن الصواب حين أقرر أن من أهم أسباب الضعف فى مدارسنا ومعاهدنا اسناد مهنة التعليم إلى قوم لا يحبون العلم، ولا يسمون إليه، ومن خطأ الرأى أن يظن أنى أقصد جميع الأساتذة والمدرسين، فأنا إنما أشير إلى عدد غير قليل منهم، وما دام المدرس ضحلا فى مادته، تافهاً فى معلوماته، ناقصاً فى عقلة ورأيه، فكيف نطلب من التلميذ أن يكون نابغة فى علم، أو عبقرياً فى فن، بل كيف نطلب منه أن يقرأ قراءة صحيحة وأستاذه غير مستطيع، وفاقد الشىء لا يعطيه كما يقولون..

كان المعلمون فى الماضى يسهرون الليالى الطوال فى اعداد دروسهم، ويرجعون إلى شتى المصادر فى مادتهم، ويعملون آراءهم وعقولهم فى تفهم ما يلقونه إلى الطلاب، فكان فى معاهد التعليم المجد المحصل، والذكى النابغة، ولكننا اليوم نرى مدرسين (على أحدث طراز) لا يعنى أحدهم بدرس، ولا يتعب نفسه فى المراجعة، وحسبه أن يدخل على تلاميذه فيلقى إليهم ما سطر فى الكتاب المقرر، فإذا سئل أعاد (الأسطوانة)، ونرى آخرين لا يحسنون النطق بالعربية، وإنما أخذوها من أفواه العامة فهى تطغى على ألسنتهم، وتشيع فى أساليبهم، ولأن تكلف أحدهم أن يزحزح رضوى عن موضعه أهون عليه من أن تكلفه أن يلقى درساً بالعربية، ولو كان يدرس البلاغة أو آداب اللغة العربية، وليست هذه الحال مقصورة على معهد من معاهد التعليم دون معهد، وإنما تجدها فى الجامعة المصرية، كما تجدها فى الأزهر الشريف، كما تجدها فى المدارس على مختلف أنواعها، ونوادر المدرسين فى هذا الضعف يخطئها العد وينوء بها الحصر.

دخل أحد المفتشين على أستاذ يدرس آداب اللغة العربية فى فرقة عالية فوجده يدرس لهم الخط العربى، ويقول عن بعض أنواعه (وقطته أربع وعشرون شعرة من شعرات البرذون) فسأله المفتش ما معنى هذا، فأعاد الدرس من أوله، ومر سريعاً على هذه الكلمة، فسئل مرة أخرى فصنع صنيعه الأول، ولم يزد، فقال له المفتش فى أى كتاب راجعت مادتك؟ فسكت ولم يحر جواباً، فقال له: فإذا أردت أنا أن أراجعها ففى أى كتاب؟ فسكت أيضاً.؟

وحدثنى كبير فى الأزهر قال أن بعض المفتشين فى وزارة المعارف دخل على معلمة تدرس اللغة العربية فسمعها تقرأ قول الله تعالى «إنا أعطيناك الكوثر» فتضم الكاف، وتميت الواو.

وقد سئل أحد المدرسين فى الأقسام الثانوية بالأزهر عن إعراب هذه الكلمة: لى مسألة لدى على، فلما وصل إلى حرف لدى قال أنه فعل ماض، وأصر على ذلك.

ولعل أغرب ما سمعنا فى هذا الباب أن مدرساً فى كلية عالية قال إن قول الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) نزل على أبى بكر رضى الله عنه، فراجعه الطلاب فتريث قليلا، وترك جدالهم، فلما جاء فى اليوم التالى قال لهم اسمعوا. إن الرجوع إلى الحق فضيلة، وإنى أطلت الليلة النظر، وراجعت كثيراً من الكتب، وبعد البحث والتنقيب ظهر لى أن هذه الآية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم!!!

صدقنى — أيها القارىء — واعلم أنى — والله الذى لا إله

غيره — أجد ولا أتندر ، وأن كثيرين ممن كانوا فى هذه الفرقة لا يزالون فى أول عهدهم بالحياة ، وأن الأستاذ المدرس لا يزال منتفخ الأوداج ، عالى العامة ، يغدو ويروح على كليته ، ويأخذ الكثير من المال على جهله وغباوته !!

وقل لى بربك ، كيف يخرج الأستاذ نابغة فى البلاغة وهو لا يكاد يبين ؟ وكيف يصنع تلميذاً يفخر به وهو يجهل البديهات الأولية فى العلم ؟ ومتى استطاع مدرس يقرر أن قصص القرآن من الأساطير ، أن يخرج تلميذاً له فى العلم نصيب .. ؟

هذا عن جهل المدرس ، فإذا أخذنا ندون ما نعرف من اهمال بعض المدرسين وتهاونهم طال بنا القول ، واستفاض الحديث ، على أننا سنجتزىء بقليل من كثير مما نعرف ، ومع ذلك فلسنا نسلم من الألسنة

هذا مدرس لا عمل له طوال العام الدراسى الا أن يتحدث عن نفسه ، فلا يلقى فرقة من الفرق ألا أسرف معها فى التمدح بأخلاقه ، والفخر بآثاره وأعماله ، والحديث عن آبائه وأجداده حتى إذا بقى من الزمن خمس دقائق قال اسمعوا سنقول فى العلم ، ويمضى يتحدث عن العلم ولكنه لا يفتح باب العلم إلا ليدخل منه إلى الحديث عن نفسه ..

وهذا آخر تثقل عليه الدراسة ، حتى أن كل يوم منها عنده مثل « سبت الكتاب » فهو يحاول جاهداً أن يميل بالطلاب عن طريق الجد ، فلا يسمع نبأة إلا حدث بها ، وتحدث عنها ، وأطال الحديث ، وهو يوحى بذلك إلى الطلاب أن دعوا العلم والعلماء فإن الوطن يناديكم ، ومطالب الحياة تستصرخكم ، وما فائدة الدرس إذا لم ينتفع منه الدارس ؟ فإن لم يقل ذلك تصريحاً قاله تلميحاً ، ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا بعض الأساتذة يفرحون ويطربون حين يرون الطلاب منصرفين عن دروسهم ، ويغتمون أشد الغم إذا رأوهم مقبلين على هذه الدروس .

وهكذا نجد ضروباً وأصنافاً وكلها تتلاقى عند نقطة واحدة، تتلاقى عند الاهمال الذى لا يليق بمن يأخذ على نفسه تبعة تربية النشء ، ولسنا هنا نتحدث عما تبذره مثل هذه الأعمال فى نفوس الناشئين من الأخلاق الذميمة ، وإن كان ذلك عظيما ، ولكننا بصدد الحديث عن ضعف المتعلمين الذى كان من أكبر أسبابه ضعف بعض المعلمين ، واهمالهم وتهاونهم .

ولكن المعجب كل المعجب من الرؤساء الذين يعرفون كل ذلك ، وما هو أدهى وأمر من ذلك ، ولكنهم حين يملكون الغنيمة لا يوزعونها بالقسطاس المستقيم ، ولا يقصدون بها الجادين العاملين ، وإنما يقصدون المقربين منهم والملتفين حولهم ، وجمهرة هؤلاء من الصف الأخير الذين يريدون أن يكونوا فى الصف الأول بتقربهم من الرؤساء ، والسير فى ركابهم ، ولذلك يكسل الجد ، ويتهاون العامل ، ويسكن المتحرك ، وتخور عزيمة السباق، ولقد قر فى الأذهان — من طول ما لقى المجدون — أن الحظ لايواتى النابه المخلص ، وقديماً ، قال المتنبى :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى   بأيسر من أجمع الحظ والفهما

وقال بعض شعرائنا المحدثين ، وقد أخطأه الحظ ، فى توزيع الدرجات الأخيرة ، :

أين الكفاءة لا كفا   ءة غير ما يملى الهوى
والعلم والإخلاص والتبريز دون المستوى
من رام ريًّا عندهم   فالجهل أعذب مرتوى
وإذا المحكم فى مها   وى الرأى والظلم هوى
فشهادة الحرمان أعدل يوم تختبر القوى

ولا سبيل إلى النهوض باللغة العربية ، وبالتعليم على وجه العموم إلا إذا أخلص ولاة الأمور ، وتنبهوا لما قدمنا لهم فى مقالنا السابق ، وفى هذا المقال من علل وأدواء ، وعملوا — جاهدين مخلصين — على علاجها والقضاء عليها .

على العمارى
المدرس بالأزهر

أُمي

للأستاذ فريد عين شوكة

لا تلمني على بكائي وغمي   أيُّ صبر يُعين في فقد أمي
أي كنز فقدته في نواها   أي خُسر أصابني، أيُّ غُرم
أين مني حنانها يُسعد الرو   ح، ويننى عن خاطري كل هم؟
أين مني دعاؤها بركاتٍ   تتوالى من السماء، وتهمى؟
أين مني سؤالها عن طعامي   وشرابي، وعن قيامي ونومي؟
أين مني حنينها للقائي   إن تغيبتُ ساعةً دون عِلم؟
أين مني وداعها في رحيلي   بالأماني التي تجدد عزمي؟
أين مني لقاؤها في إيابي   بالتهاليل، حين أهتف باسمي؟
وهي تسعى إليَّ دون اقتدار   بمحيًّا كأنه بدرُ تِمٍّ!
وعيونٍ تألَّقَ البشر فيها   كائتلاق السَّنَى بأسطع نجم
وفمٍ ينظم التهانيَ عِداً   أنني عدتُ في أمانٍ وسِلْم
وتَمُدُّ اليمين منها فأُطفي   حرَّ قلبي المشوق في فيض لثمي
ذكرياتٌ في خاطري تتهادَى   كحبيب الرُّؤى بأروع حُلم!

***

أين مني صدق الفداء، إذا ما   مسني في الحياة أيسرُ سُقم؟
تسهر الليلَ وهي حولي وَلْهَى   تذرف الدمع في خفاء وكتم!
فإذا ما انتبهتُ فهي تلاقيـ   ني بوجهٍ مستبشرٍ غيرِ جهم
وتروي جوانحي بأمانيّ   عذاب، تنفي ظنوني ووهمي
وتصومُ النهارَ عن كل زادٍ   غيرَ ما يُمسك الذَّماء ويَحمي
ومُناها لو أنها تفتديني   بالذي يبتغي الفداء وترمي!

***

أين مني نفسٌ أمرُّ إليها   فرحتي، أو شكايتي من مُلِمّ؟
فترى السعد في هنائي، وترجو   ليَ في النُّعْميات أوفر قسم
أو تُسرِّي عني الهمومَ، فأرضى   بالذي كان من قضاء وحكم
ثم تمضي الأحداث، والسر خافٍ   فكأني ألقيتُه في خِضَمّ

***

هيهِ يا إخوتي ... ونحن جميعاً   في أسًى لافح اللظى مُدلَهِمّ
كلُّنا في فجيعة الأم يطوي   جانبيه على سهامٍ وكلْم!
كلنا مُترعٌ بما غمرته   من رضاه ومن هناء وغنم
لم يكن بيننا أثيرٌ، ولكن   متساوون في الحنان الأعمّ
وإذا آثرَتْ شقيقاً بعطفٍ   فلسقم، أو غُربةٍ، أو عُدمِ
نظمَتْنا عِقداً، وكانت له الخيْـ   ط، فلم يبدُ مرةً دون نَظْم
لا يرانا الزمان إلا أحبا   ء، تلاقوْا على ولاء ورُحم
شركاء في السعد والبؤس، أعوا   ناً على العيش في نضال وحزم
كشديد البنيان كنا، وكانت   أمُّنا للبناء أثبتَ دعم
نبتغي عندها الرضاء، ونحيا   طوْع إرشادَها على غير رغم
يا إلهي! هوَتْ دعامتنا الكبـ   رى، فهل نستقر من غير هدم؟
يا إلهي! ندَّ القِراب عن السيـ   ف، فكيف احتماله دون ثَلْم؟

***

يا ذوي قربتي! عزاء جميلا   في مصاب دمى الظهور بقصم
قد حُرمتم نفساً أبرَّ وأحنى   من شقيق لكم وخالٍ وعم
كم أتيتم رحابها، فلقيتم   كرماً لا يزال كالبحر يطمي
وحناناً من عندها وزكاةً   في خفاء وفي حياء وبسم
وتبثُّون ما بكم ... فتلاقو   نَ لديها عوْناً على كل ظلم

***

ويحَ للجارة الوفية! تبكي   كلما أقبلت فلم تلقَ أمي!
فقدتْ بعدها الوداد المصفَّى   والغياث المرجوَّ في كل أزم
والفؤاد العطوف يحنو ويأسو   إن رماها كفُّ الزمان بسهم
واللسانَ العفيف لا يلفظ السو   ء، ولا يستطيل يوماً بِشتم!
والحديث اللطيف يقطر كالشهـ   دِ، بريئاً من اغتياب وذمٍّ!
يالها من فجيعة رزأتْها   في سجايا عظيمةٍ أيَّ عُظم!

***

أيها الحزن! لا عدمتُك حتى   تسحق النار في أتونك عظمي!
أيها الدمع! لا هجرتك حتى   ينزف القلب في انسكابك دمي!
أيها الصبر! لا عرفتك حتى   يستوي في جوار أمي جسمي!
لا أُطيقُ الحياة بعد نواها   آهِ، يا ليت يومها كان يومي

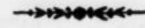
***

يا عوادي الرَّدى فقدتُ رجائي   فهلمِّي خذي الحياةَ ... هلمي!

(منوف) فريد عين شوكة



زهرة وزهرة . . . !



جلست أنتظر فى حجرة مدير المكتب حتى يأتى دورى فيؤذن لى بالدخول على كبير من أصحاب الديوان فى إحدى الوزارات ؛ وكانت الحجرة ملأى بالمنتظرين مثلى ؛ وكلما رن الجرس وأسرع المدير إلى الحجرة المهيبة وخرج منها ، تأهب كل امرئ يحسب أن الإذن له ، فيشير المدير إلى من يعرف ، وينادى اسم من لا يعرف ، فيصلح الداخل حلته وزرها ويعدل رباط رقبته ، وقد ينزع طربوشه ويمسحه بمنديله أو بطرف ردنه ، ويضعه على رأسه فى اهتمام ، ويدق الباب فى احتشام ، ويدخل ثم يخرج بعد حين وعلى وجهه غـبَرَةٌ أو ابتسامة ... وكان يقع منظارى على هؤلاء ، وأنا أحمد الله أن لم تكن بى حاجة إلى هذا الكبير ، فما جئت إلا لأقدم إليه « كتابى » ...

ودخل أكثر من بالحجرة وخرجوا ، وبقيت سيدة على أحد المقاعد ، حيث وقع نظرى عليها منذ دخلت هذه الحجرة ... سيدة هى الحزن نفسه تمثل إنسية فى ثياب الحداد ! ...

كنت أنظر إلى وجهها الضارع فتنمزعلى قلبى وعلى كبدى هذه اللوعة الناطقة فيه ، وكانت تدورطرحة سوداء بهذا الوجه ، وهو فى لون العاج المصفار ، فتزيد بياض صفحته وتبرز معنى الشكل فيه ... وكانت هذه السيدة الحزينة تنظر دائماً إلى الأرض ، فلا تكاد ترفع بصرها حتى ترده إلى حيث كان فى ضراعة وتخشع ، وكم كان يحزن نفسى ما أراه من حمرة فى جفونها كلما التقى بصرى بعينيها الواسعتين الهادئتين ، اللتين أطفأ الحزن والسقم ما كان فيهما من بريق !

وكانت هذه الزهرة الذابلة رائعة الحسن على الرغم من لوعتها وضراعتها ، تروعك ملاحة وجهها بقدر ما يروعك حزنها ... وهكذا جعل الحزن روعتها روعتين ، وجعل ما يحسه القلب حيالها من لوعة كأنما يذوقها مرتين !

وكانت شابة لا تزيد على الثلاثين فيما أحسب ، وفهمت أنها أرملة كبير من أصحاب هذا الديوان ، فعجبت كيف يدعها موظفو المكتب حيث هى فلا يعينونها على ما جاءت له من أمر ، ولو لم يكن زوجها من أصحاب هذا الديوان من قبل ، لكان لها من هذا الحزن الضارع أكبر شفيع ... بل لكان لها من محبيها ولم تخلع ثوب الحداد بعد ، ما هو خليق أن يلين لها القلوب ولو كانت من الصخر ...

ولكن ... فيم العجب ، ولو أن زوجها نفسه أُحيل على المعاش ، كما يقول أصحاب الديوان ، وجاء بعد يوم واحد إلى نفس الديوان ، لتنكر له من كانوا من قبل يرجون مودته ، ولحياه من يحييه ، وكأنما يريد أن يفهمه أنه يتفضل عليه بهذه التحية ، فكيف وقد طواه الموت ؟ !

بهذا حدثتنى نفسى وأنا أنظر إلى هـذه التى يغطى السواد جسدها كله ، فلا يُرى إلا وجهها ويداها ، والتى كنت أتخيل أن ما يطرأ على خاطرى من هـذه المعانى هو عين ما كان يطرأ على خاطرها فى تلك اللحظة ...

ودخلت بعـد حين غانية أخرى فى زينتها ودلها وألوانها ، تخطو خطوات رشيقة سريعة وتتثنى وتتخلج كأنما تمشى لا برجليها وحدهما ، وإنما بهيكلها كله ، وقد فاح فى الحجرة عطورها ، وارتفع بالتحية صوتها ، وهى تقول إنها تريد أن تقابل سعادة البك ...

... وجلست هذه الزهرة الناضرة ، وقد هش لهـا مدير المكتب ، وأقبل عليها يحدثها حتى ما كان يعى تحيات القادمين ولا نداء الموظفين ، ولا يفطن إلى ما يلقونه إليه من أوراق ! ... حتى الجرس نفسه — جرس الرئيس المهيب — كان يتوانى فى إجابته ، ثم يهرول ليعود بعد لحظة يصور لمحدثته مبلغ ما لدى رئيسه من أوراق ينظر فيها ، وذلك كى يجعـل له عليها فضل الحصول لها على الإذن ...

ودخل الحجرة بعض الخبثاء من الموظفين يتظاهرون أنهم قدموا لعمل ... فكانت تناديهم بأسمائهم فيسرعون إليها فتسأل الواحد منهم عما تم فى مسألتها ... فيحدثها فى تظرف واهتمام ، ويصف لها مقدار ما يبذل من جهد وعناية فى هذا الأمر ، وهى تخرج الكلام من فمها تارة ومن أنفها تارة ، ولا تكاد تستقر فى موضعها وتتهددهم ضاحكة أنها سوف تشكوهم إلى سعادة البك

تعقيبات

بأية حال عدت يا عيد ؟ !

خرج شاعر العربية أبو الطيب المتنبي من مصر هارباً في سبيل آماله ، فأتى عليه عيد الأضحى وهو شريد في الصحراء ، تملأ نفسه الوحشة ويستبد به الحنين ، فثارت شاعريته بتلك الصرخة الأليمة الخالدة :

عيد ! بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد؟!

واليوم ، يأتي علينا عيد الضحية ، ونحن في حال الشاعر الكبير ، نشيدنا هو تلك الصرخة الأليمة التي هتف بها في أذن الزمن من قديم ، فكلنا ضحية للمرض الغائل ، والوهم القاتل ، والهم الجاثم ، وكلنا غريب تملأ نفسه الوحشة والفرقة ينشد قول أبي الطيب :

عيد بأية حال عدت يا عيد ..

إن الأمر لله من قبل ومن بعد ، فيا بارىء الناس غوثك ورحمتك بالناس .. فاللهم ! اكشف الضر عن عبادك أجمعين ، وارفع الشر عن جندك المسلمين ، وأدرك بعناياتك الفياضة هذه الأمة الضارعة إليك فيعود عليها هـذا العيد بالخير العام ، والسرور والسلام ..

أدب .. الكوليرا :

في عام ١٩٠٢ هجم وباء الكوليرا على مصر هجوماً عنيفاً فملأ نفوس الناس بالفزع ، وملأ عواطف الشعراء بالتأثر ، ففاضت قرائحهم بالقصائد في التنديد على ذلك الوافد الثقيل ، وتطمين الخواطر للأقدار الجارية ، مما لو جمع لكان ديواناً يمكن أن يسمى « ديوان الكوليرا » .

أذكر من ذلك قصيدة للمرحوم الشاعر أحمد محرم تصور حال ذلك الوباء في تلك الأيام وشدة تأثيره على نفوس الناس ، ويقول في مطلعها :

ضيف ولكن لا أقول سلام ولرب ضيف ذم منه مقام
ريعت لطلعتك القلوب وهالها هذا التوثب منك والإقدام
تسطو على سرب النفوس وإنما يسطو على سرب الحياة حمام
وتصول ما يثنيك عن آجالنا عذل تؤجج نارة وملام
لو كنت ذا قلب يرق لنادب أمنت بلاءك هذه الأقوام
الله في أرواحها ونفوسها إن كانت التقوى لديك تُرام

وإنهم ليؤكدون لهـا في ميوعة وخبث أنهم « في الخدمة » ، وأن « المانم » لن تعود بعد يومين إلا وقد انتهى كل شيء ... وتنظر إلى هذا فتقول : يا لئيم ! وإلى ذاك فتقول : يا نصاب ! وإلى ثالثهم فتقول : يا مكير ! وتغمز بعينيها وتضحك ... ويتكلمون بالأحداق ، أو يتغامزون بالأيدي ، وينصرفون ليقولوا خارج الحجرة ما يشاءون !

وتنظر المحزونة إليها فيتضاعف حزنها ، وإن صاحب القلب المحزون ليعرف أقصى حزنه حين يجد نفسه وحده بين قوم لاهين ضاحكين ! وأنظر إلى هذه الثكلى لا يعنى بها أحد ، ولا يفكر في أمرها أحد ، فتشمئز نفسي من لؤم هذه الحياة !

ورن الجرس ، نخف المدير إلى حجرة رئيسه ، ثم عاد يشير إلى صاحبته لتدخل ، ومشت إلى الباب في خفة كأنما تريد أن تجرى ، ورائحة عطرها تملأ الخياشيم ... ونظرت إلى تلك الزهرة التي لا يفوح منها عطر ، فإذا حمرة تورِّدُ هذا العاج المصفار في وجهها هي حمرة الغضب ، وإذا بجفونها القروحة تتندى ، وإذا بها تمسك دموعها في جهد !

وتمشي إلى مكتب المدير في أناة وخشوع ، وتقول له في صوت مختنق متهدج ... إنها تعتذر إذ لا تستطيع البقاء ، فما يزيد على أن يقول لهـا في سماجة : « على كيفك يا ستى ... الناس لسه منتظرين كلهم أهم ... وأنا أعمل إيه ؟ »

وانصرفت المسكينة فما بلغت الباب حتى انهمرت دموعها ، فسحت عينيها بمنديلها ، وما في الحجرة ممن ينتظرون الإذن إلا من تحرك قلبه شفقة عليها ورثاء لها !

ولا أريد أن أذكر للقارئ متى جاء دوري أنا « المؤلف الفاضل » ، أحد حملة القلم المتواضعين الذي ما جئت أرجو في شيء ، والذي يعرفني منذ سنوات هذا الكبير الذي لا تخلو من أمثاله وأمثال مديره أكثر الدواوين !

الخفيف

أوقدتها حرباً يشب ضرامها … فتى يغيث الناس منك سلام
شر الضيوف ولا إخالك غيره … ضيف له نفس المضيف طعام

ثم يصف الشاعر موقفه فى هذه الفترة فيقول :

أتظن أن الخوف يملك منطقى ؟ … نظم القريض إذن على حرام !
أم أنت تطمع أن يدين لحادث … قلم تدين لربه الأقــلام ؟
أسطو عليك به وأعلم أنه … قدر تطيش لهوله الأحلام
كف الوعيد فإن أنفاس الفتى … معدودة وكذلك الأيام
ولكل نفس مدة محدودة … ولكل شىء غاية وتمـــام

ثم يقول :

يا ضيفنا المكروه يومك بيننا … شهر وشهرك إن تقاصر عام
أنى حللت من المدائن والقرى … حل البلاء وزادت الآلام
يا ضيفنا لو لم نكن قذراً لما … ضربت على الأقدار منك خيام
إن اغتيالك ذا الخصاصة بيننا … عيب يجانبه الكريم وذام
أم الغنى تخاف ويحك أم ترى … أن الغنى من حقه الإعظام

وأخيراً يختم قصيدته بهذا البيت :

سر أو أقم إن المنون روائح … وبواكر ومن المحال دوام

والقصيدة طويلة ، وقد اقتصرت منها على هذه النماذج ، ولو كان فى المقام سعة لأوردت كثيراً من النماذج من قصائد الشعراء فى التنديد بذلك الوباء ووصف نكبة الشعب فى تلك الأيام

وفى هذه الآونة يهجم وباء الكوليرا على مصر ، ويفعل أفاعيله بأرواحهم ، وفى نفوسهم ، وتتحرك الدنيا كلها لهول الخطب ، ولكن أحداً من شعرائنا لم يتحرك أبداً ، ولم يثر هذا فى نفسه عاطفة الشعر كما تثيره حادثة غرام ، أو ليلة وصل ، أو هجر غانية تبيع قلبها وجسمها فى كل سوق ، أو صورة مبتذلة فى مجلة ماجنة ...

ألا رحمة الله ، ثم رحمة الله ، على شعرائنا الذين كان الشعب يجد نفسه فى عواطفهم وفى قصائدهم ، ورحمة الله لشعراء هذه الأيام ، شعراء القبلة الأولى ، والليلة الحمراء ...

الرسائل فى الأدب العربى :

نشر الأديب أحمد محمد عيش فى العدد الأخير من مجلة « الكاتب المصرى » بعض الرسائل الأدبية التى تبادلها مع الشاعر العراقى الكبير المرحوم الأستاذ جميل صدقى الزهاوى ، وقدم الأديب لذلك بمقدمة قال فيها :

« ... هذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته ، ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل ، اللهم إلا فى النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية ، فأنها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بنماذجه الرائعة وأنماطه العذاب ... » .

ومسكين والله هذا الأدب العربى ، كأن الله كتب عليه فى هذه الآونة أن يكون هدفاً للدعوى من كل فارغ الرأس ، ومقصداً للاتهام من كل جاهل ، وأنا لا أحسب أن فى نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربى ، ولكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربى هو ما يقرؤونه فى الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية فى مقررات المدارس ، فإذا ضممت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلىء بها الرءوس الفارغة ، وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء ... وإنه لداء تفشى بين شبان العصر ، فليس أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم ، وينتفج بالدعوى العريضة ، ويمد أنامله فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ الأدب العربى من بدايته إلى نهايته ، وينكر أن يكون هذا الأدب أدباً ...

عشت يا سيد عيش ... « تستحدث فى الأدب العربى » ما ليس فيه من « النماذج الرائعة والأنماط العذاب » ، ولكن صدقنى أيها الأخ أن الأدب العربى حافل بالرسائل التى من هذا اللون ، بل إن الأدب العربى يمكن أن يسمى أدب الرسائل والمحاضرات والمطارحات ، بل إن المؤلفات الأدبية والعلمية لم تكن إلا رسائل يقدمها أصحابها إلى الأصدقاء ، أو يرفعونها إلى الرؤساء ، وأنا على استعداد أن أضع يدك — إذا أردت — على ألف رسالة ورسالة من ذلك اللون الذى تريده فى حديث الكتاب عن أنفسهم وعن صلتهم بالناس وبالحياة ، ولكنى أعتقد أنك لا تريد هذا أبداً حتى تظل على الاعتقاد بأنك قد « استحدثت » هذا اللون من الأدب فى الأدب العربى .

قد يكون للأديب « عيش » عذره فيما يقول ، ولكن ما عذر أستاذنا الدكتور طه حسين الذى يشرف على تحرير « الكاتب المصرى » فى أن يحمل هذا الفضول على الأدب العربى ... فإن كان الدكتور يرى هذا ويعتقده فإنى على استعداد لمناقشته فى هذا الرأى ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

احتفاء صامت :

هو الاحتفاء بذكرى شوقي ، ولم نفرغ بعد من هذه الذكرى ، وما ينبغي أن نفرغ منها إلا بعد كثير .. وأعني بصمت الاحتفاء بها أنه جرى على الأقلام وبدا على صفحات الصحف والمجلات على نطاق واسع وفي مظهر لم يكن معهوداً من قبل ، على حين لم يقم لهذه الذكرى ما يناسبها من المحافل

لم يخل أكثر الصحف والمجلات في هذا الأسبوع من ذكر شوقي ، كل على طريقتها وحسب مزاج قرائها ، فهذه فصول في دراسة شعر شوقي من نواحيه المختلفة ، وهذه معلومات وطرائف عن شوقي « لم تنشر » وهذه روائع من شعره ، وهذه صور لمنزل شوقي (كرمة ابن هانيء) وغرفه وأبهائه وحديقته وأثاثه ، فهذا سرير شوقي ، وهذا مكتبه ، وعلى ذلك الكرسي الطويل كان يتمدد بعد الغداء ، وكثيراً ما كان يهبط عليه وحي الشعر على هذه الحال ، وفي هذا الكوب كان يشرب ، وهنا كتبه المختارة وعلى هامش صفحاتها أبيات كانت تواتيه فيسرع في تدوينها على أقرب شيء منه . وقد استصحبت عدسة « المصور » إلى كرمة ابن هانيء الأستاذ أحمد رامي الذي وصفته بأنه شاعر الشباب في دولة أمير الشعراء . وهو الآن بعد تلك الدولة « شاعر شباب القرن التاسع عشر » وذلك ليدلها على معالم هناك تعاهدها في صحبة أمير الشعراء ، فأتى لها بطائفة من الصور ذات الموضوع.

وصف شوقي للكوليرا :

وهكذا افتنت صحفنا في الاحتفاء بذكرى شوقي ، حتى أن إحداها ، وهي مجلة الصباح ، أتت بأبيات في وصف وباء الكوليرا الذي كان بمصر سنة ١٩٠٢ من قصيدة لشوقي يهنيء فيها الخديوي عباس بعودته من الخارج ويصف ذلك الوباء ، قال شوقي :

الدهر جاءك باسط الأعذار ... فاقبل فأمر الدهر للأقدار
هل كنت تدفع حاضراً أو غائباً ... عن مصر حكم الواحد القهار
ذاقت نواك وروعت بثلاثة ... بالداء بعد المحل بعد النار
ودهى الرعية ما دهى فتساءلوا ... في كل ناد أين رب الدار
ذكروك والتفتوا لملك مسعد ... ذكر الصغير أباه في الأخطار
فاسى جراحهمو وبل صداهمو ... طيب الرسائل منك والأخبار
لهفي على مهج غوال غالها ... خافى الدبيب محجب الأظفار
خمسون ألفاً في المدائن صادهم ... شرك الردى في ليلة ونهار
ذهبوا فليت ذهابهم لعظيمة ... مرموقة في المصر أو لفخار
فالموت عند ظلال (موشا)[1] رائع ... كالموت في ظل القنا الخطار

خلفاء شوقي :

وكتب الأستاذ سعيد العريان في جريدة النداء فصلا بعنوان « خلفاء شوقي » بين فيه آثار حملات النقد التي وجهت إلى شعر شوقي فقال في هذه الحملات : « قد تركت أثراً في نفوس الشباب من القراء لذلك العهد ، فنزل شوقي عند طائفة منهم دون منزلته ، إذ زعم لهم من زعم أن للشعر مقاييس وأوزاناً فنية لا يقاس بها شعر شوقي ولا يوزن » إلى أن قال :

« وهكذا نشأ جيل من القراء لا يؤمن بشوقي ولا يعتده شاعراً من طبقة الأمراء ، أو لعلي أستطيع أن أقول إن جيلا من القراء قد نشأ غير مؤمن بالشعر في جملته ، لأن الذين حطموا التمثال الجميل الذي كان هؤلاء القراء يتعبدون له — لم يستطيعوا أن يقيموا مكانه تمثالا آخر قد جمع من عناصر الجمال والقوة على مقياسهم ما يحملهم على الإيمان به ، إذ لم يبق في مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة »

والحق — الذي أراه — أن النقد الذي وجه إلى شوقي لو نفضنا عنه الغبار لوجدنا فيه كثيراً من العناصر الصالحة التي نبهت على كثير من الحقائق الأدبية التي انتفع بها الشعر والأدب على العموم في هذا العصر

ومن الحق أيضاً أنه « لم يبق في مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة » فلم يملأ أحد مكان شوقي . وما ذلك — كما أرى —

(١) قرية موشا التي ظهر فيها الوباء

إلا لأن الذين ساروا فى مذهب تنقصهم أدواته ، كما ينقصهم عصره ، فقد صرنا إلى عصر غيره يتطلب جديداً ، والفلك دوار.. ولأن الذين سلكوا غير مسلكه ينقص المجيد منهم الماء الذى يجعل العود أخضر ... وكثير منهم يخبطون ويتسفون .

الفن القصصى فى القرآن :

كان لما بيناه من أمر رسالة « الفن القصصى فى القرآن » التى قدمها الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب — صدى كبير وخاصة فى البيئات الدينية الإسلامية ، لاحتوائها على ما يعد نفياً للصدق التاريخى فى القرآن الكريم . وقد تلقينا كثيراً من الرسائل فى هذا الموضوع ، منها رسالة من « جبهة علماء الأزهر » مصحوبة بمذكرة مرفوعة إلى « حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال دولته الأكرمين » وقد وقع عليها رئيس الجبهة الشيخ محمد الشربينى والأمين العام لها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وقد جاء فى هذه المذكرة « ولقد مضى على نشر هذا النبأ وقت يسمح بتكذيبه لو كان كاذباً ، لكن أحداً لم يكذبه ، لا المؤلف ولا المشرف عليه ، ولا عمادة كلية الآداب التى جاء فى الخبر أنها تنتظر بالرسالة حتى ينعقد مجلس الكلية ؛ وذلك يدلنا على أن الأمر خطير يجب الإسراع بعلاجه لأنه وباء جديد أشد فتكا وأفظع أثراً من وباء الكوليرا فى هذه الأيام ، فإنه يجنى على الأرواح لا على الأشباح ويصيب الأمة فى دينها وهو أعز عليها من حياتها »

وقد أرسل مقدم الرسالة إلى صحيفة « الإخوان المسلمون » يقول إنه مستعد لأن يشعل النار بيديه فى رسالته على مشهد من الأساتذة والطلاب إن ثبت أن فيها ما يخالف الدين الذى استمدت أصوله من القرآن ، ومستعد لمساجلة الأستاذ أحمد أمين بك على صفحات مجلة الرسالة التى نشرت تقريره . ولكن الإخوان عقبت على ذلك بقولها : « إذا ثبت أن ما نقل من فقرات عن رسالة (الفن القصصى فى القرآن الكريم) قد ورد فيها كما نقل ، فلا يكفى أن يحرقها مؤلفها بيديه أو بيدى غيره على مرأى ومشهد الأساتذة والطلاب ، بل لابد أولا أن يعلن رجوعه إلى الإسلام ، وأن يجدد عقد نكاحه على زوجته إن كان متزوجاً » وقالت له إن حرق الرسالة لا ينفع « بل يجب قبل ذلك أن تحرق الشيطان الذى ملأ نفسك بهذا الهذيان وأملاه عليك فإذا أحرقت هذا الشيطان فاعتزل كلية الآداب ودكتوراها والزم غرفة تنزوى فيها وتبكى على ما انخدعت به للشيطان وحزبه إلى أن يتوب الله عليك »

وقال لى صديق من الجامعة وقد جاء فى الحديث ذكر هذا الموضوع — : لقد فاتتكم نقطة هى أن الجامعة أرسلت من قبل كتاباً إلى خلف الله تقول فيه إنها موافقه على أن يعد رسالة فى (الفن القصصى فى القرآن) وألق بالك إلى كلمة « الفن » أفلا ترى فى ذلك كأنها تكلفه أن يقول إن قصص القرآن « فن » ؟

قلت للصديق الجامعى : ما كان أغنى الجامعة عن هذا الموضوع ! . .

كوليرا الإذاعة :

رأيت غير مرة فى برنامج الإذاعة ما يلى :

« برنامج خاص (الكوليرا) » وانتظرت فى المواعيد المحددة فلم أسمع (الكوليرا) وكانت آخر مرة مساء يوم الخميس الساعة الثامنة إلا ثلثاً ، وقد سمعت بدلا من (الكوليرا) تمثيلية « عذراء الربيع » وليس من القليل أن تقرأ فى البرنامج شيئاً وتسمع من المذياع غيره ! ولكن استرعى انتباهى تكرر وضع « البرنامج الخاص بالكوليرا » فى برنامج الإذاعة مع عدم إذاعته وشغل وقته بأى شىء ولو « تقاسيم نهاوند »

فماذا يا ترى يمنع من إذاعة برنامج الكوليرا ؟

دفعت هذا السؤال أمامى ... حتى وصلت إلى أن برنامج الكوليرا المذكور فى « الحجر الصحى » ولوقوعه فى هذا الحجر قصة :

وضع ذلك البرنامج الأديب المفتن الأستاذ طاهر أبو فاشا وقدمه إلى محطة الإذاعة فأحالته إلى وزارة الصحة للموافقة على إذاعته ، فقالت وزارة الصحة لا بد أن يعتمده طبيب . . وأخذه الأستاذ طاهر إلى أحد الأطباء ، فأقره ، وأعيد البرنامج إلى وزارة الصحة ، فوافقت عليه ، ثم تصرف فى تنظيم عرضه مخرج الإذاعة ، وأعلن عنه ، فطلبته وزارة الصحة ثم قالت

ليس هذا هو البرنامج الذى أقره الطبيب ، ولا يذاع إلا الأول . مع أن المعلومات الطبية هى هى فى البرنامج قبل الإخراج وبعده .

قصة طويلة مملة رغم اجتهادى فى اختصارها ، ولا أدرى ماذا تم فيها ، ولـكن مما يدعو إلى الأسف أن يحال دون الانتفاع بالفن ، أو يؤخر، فى بلاء واقع يشغل بال الجميع هو وباء الـكوليرا

والأكثر من ذلك استدعاء للأسف ، هو تثبيط همم الأدباء الذين يرجى أن يقبلوا على الإنتاج للاذاعة ، وحسبهم ما يلاقون من إدارة الإذاعة نفسها من سوء التقدير الأدبى والمـادى ، فالأديب الذى يضع عصارة نفسه وفـكره فيما يقدم للاذاعة يعد لديها شخصاً ثانوياً بالنسبة للمخرج الذى قد لا يزيد عمله على الترتيب الشكلى ، وإن زاد فلا يتعدى بعض التبديل والتغيير ، فيهتف المذيع باسم المخرج فى البلاء قائلا : « فلان يقدم ... » ثم يجبر خاطر المؤلف المسكين فيذكر بعد ذلك اسمه فى صوت خافت

ولا أنـكر أن كثيراً من المؤلفين للاذاعة جديرون بهذا الوضع .. وخاصة مؤلفى الأغانى التى يشـكو الجميع من ضعفها وسخفها ، ولـكن يجب تهيئة الجو الصالح لـكرام الأدباء ، لأن الاستمرار على مثل هذه المعاملة يزيد فى إعراضهم عن الإذاعة

أما التقدير المـادى فحسبك أن تعلم من سوئه أن مؤلف التمثيلية أو البرنامج الخاص لا يزيد أجره على ثمانية جنيهات ، وتصور كم قضى الأديب ، وكم بذل من جهـد ، وكم استوحى مصادر فنه ، فى هذا النتاج ؟ وقد يكون هذا مقبولا وقد يطلب من الأدباء ألا ينظروا إلى الـكسب المادى لولا أن محطة الإذاعة تغدق المـال من جانب آخر على الموسيقيين والمطربين والمطربات فقد حسب ما يكسـبه أحد الموسيقيين من الإذاعة فبلغ نحو أربعمائة جنيه فى الشهر ، وكيف يصح أن تقول أم كلثوم لمحطة الاذاعة : « أذنت لك فى إذاعة ما لديك من مسجلاتى » فتنال على هذه الجملة آلافاً من الجنيهات .. ويبذل أديب نابغ كطاهر أبوفاشا ما يبذل فى نتاج قيم ، وتحق قدماه بين محطة الإذاعة وبين وزارة الصحة ، ليحصل على ثمانية جنيهات ..!

ليست آلاف الجنيهات كثيرة على أم كلثوم التى تهدى الطرب إلى القلوب . . . ولـكنها جاءت فى طريق المقابلة الذى دفعنا إليه سوء تقدير الأدباء بمحطة الإذاعة ، الذى يحيق ضرره بها ، من حيث قيمة ما تقدمه ، أكثر مما يحيق بالأدباء ، لأنهم يستطيعون أن يعتصموا بالرغبة عن الإذاعة للوقاية من تحيفها لهم .

مخطوطات أندلسية :

تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من وزير أسـبانيا المفوض فى مصر ستة كتب من المخطوطات العربية مصورة ، هدية من مكتبة « الاسكريال » الأسبانية ، وهى :

١ — جزء من مسائل لصفى الدين الحلى « فى الأغلاط الشائعة على الألسن » يبدأ بحرف (س)

٢ — « إصلاح المنطق » لابن السكيت .

٣ — « رسائل فى المنطق والفلسفة والطب » لابن سينا .

٤ — ديوان أبى الحسن الششترى .

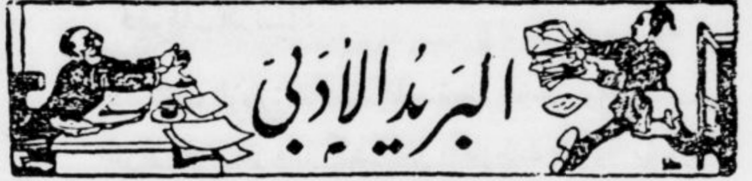
٥ — من تراسيل ابن نباتة .

٦ — الـكامل للمبرد .

وقد كان لهذه الهدية موقع حسن فى قسم المخطوطات بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، لأنه يهتم بجمع المخطوطات العربية الثمينة المبعثرة فى مكتبات الدول الأوربيـة أو على الأقل الاحتفاظ بصور لها .

وقد جاءت هذه الهدية الثمينة نتيجة لمسعى السنيور جارسيا جومز المستشرق الأسبانى الذى قدم إلى مصر فى العام المـاضى وزار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، فتباحث معه الأستاذ أحمد أمين بك مدير الإدارة الثقافية فى مسألة تصوير المخطوطات العربية الموجودة فى أسـبانيا ، ورجاه حث الهيئات الثقافية فى أسبانيا على مد الجامعة العربية بنسخ مصورة من هذه المخطوطات فأبدى المستشرق الأسبانى روحاً طيباً ووعد بالاتصال بالهيئات الأسبانية المختصة .

« العباس »



كرنكو وفعلاء، والأب أنستاس :

أشرت فى كلمتى (فعلاء) فى الرسالة الغراء (٧٤٥) إلى تخطئة الأستاذ كرنكو الأب أنستاس فى وصفه الجمع بذلك المفرد وقد رأيت أن أنقل تغليط المغلط وجواب المخطأ .

قال الأســتاذ فريتس كرنـكو : فى مطالعتى مجلتكم (لغة العرب) بعض الأحيان تستعملون مفرد أفعل المؤنث أى فعلاء فى مكان الجمع كما يفعل كتاب مصر ، فقد جاء فى لغة العرب (٦ : ٢٥٢) الأشجار الخضراء فى مكان الأشجار الخضر .

فرد عليه الأب أنستاس مارى الـكرملى قائلا : « من مزايا لغتنا وصف النعوت المجموع من غير العاقل بصفة مفردة مؤنثة ومنه فى سورة الحاقة : قطوفها دانية أى دانيات . وقوله فى الأيام الخالية اى الخاليات وفى سورة البقرة : إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهوخيرلـكم وهذا لايحصى لغة العرب مج ٦ ص ٧٨٢ »(١) .

وتخطئة الأستاذ كرنـكو هى قول مفلت مجرد ، ولا يعبأ بشىء فى مثل هذه المعانى لا يصحبه نص يبرهن(٢) به عليه أو دليل قوى أو ضعيف .

وقد توهم فاضل كبير درج أن قول سيبويه وقول المبرد يؤيدان المقالة الـكرنكوية فكان يحتج بهما فى ردوده الـكثيرة على مجادليه ومناظريه . والقولان — كما رأى قراء الرسالة — إنما يشرحان ويقرران أن أفعل وفعلاء يجمعان بكسران — إذا كانا صفتين — على فعل .

من المتقدمين الذين وصفوا الجمع بمفرد الشاعر الأبيوردى قال فى مرثية (الديوان ص ٨) .

ولو أستطيل على الحمام بعزة رفعت لها البزنية السمراء(١)
لتحدبت صيد الملوك على القنا حيث القلوب تطيرها الهيجاء

والأبيوردى الأموى شاعر كبير وعالم نحرير ، قال ابن خلكان كان من الأدباء المشاهير راوية نسابة شاعراً ، نقل عنه الأثبات الحفاظ الثقات ، قال أبو الفضل محمد بن طاهر القدسى فى حقه (فى كتابه فى الأنساب) كان أوحد زمانه فى علوم عديدة ، وأليق ما وصف به بيت أبى العـلاء (وإنى وإن كنت) قال ابن خلـكان : وله تصانيف كثيرة مفيدة وله فى اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها .

السهمى

حول الفن القصصى فى القرآن الكريم :

(إلى الأستاذ محمد أحمد خلف الله)

سلام الله عليك وبعد ، لقد طلبت المشاركة فى البحث ، وقدرت منذ اللحظة الأولى أنه من الجائز أن تكون أخطأت القصد أو ضللت السبيل ، وهذه روح تذكر فتشكر وسأذكر لك ما أذكر مجادلا بالتى هى أحسن .

وسأضع يدك أول الأمر على تناقض فى مقالك ؛ فإنك قد عنيت فى أوله ببيان أن الأسطورة ليست الـكذب واللين ولا الخرافات والأوهام ، وإنه يجب ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجرى وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة .

وأنت تريد بذلك طبعاً أن أساطير القرآن الـكريم ليست كذباً ولا خرافة وإنما هى صدق وحق ، فما رأيك فى قولك : « إن تمسكنا بالرأى الذى يقول : إن جسم القصة أو هيكل الحـكاية حق ثابت ، بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر مستطير » فأنت بالمقابلة بين الأساطير والحق الثابت أردت بها غيره وما هو إلا الـكذب

(١) روى التخطئة والجواب الدكتور مصطفى جواد الأديب اللغوى المشهور فى إحدى مقالاته فى مجلة (المجمع العلمى العربى) الغراء .

(٢) الصحاح : « البرهان الحجة ، وقد برهن عليه أى أقام الحجة » ولم يقل الجوهرى — والحمد لله — هنا شيا . فى اللسان : وأما قولهم برهن فلان فهو مولد والصواب أن يقال أبره ... كما قال ابن الاعرابى إن صح عنه .

قلت : إذا ثبت أن ابن الأعرابى قد روى (أبره) هذه — والعياذ بالله — فهل قالها الأعرابى ؟ وانظر إلى قول اللسان (إن صح عنـه) لتعرف قدرها وقدر صحتها . والعجب من أبى القاسم كيف رواها ، ولما احتاج إليها أباها ، وراح يقول فى ديباجه (أساسه) « المبرهنين على ما كان من العرب العرباء » وبرهن فى كلام العلماء والأدباء ولم أجد أبره عند أحد .

(١) اللسان : إنما سميت الرماح بزنية لأن أول من عملت له ذو يزن ويقال رمح يزنى وأزنى .

والمين وبذلك وقع التناقض بين أول المقال وآخره .

بعد هذا أنتقل بك أيها الأخ إلى تفرقتك بين جسم القصة أو هيكل الحكاية وبين ما فيها من توجيه فأقول لك : إن صح هذا من الأفراد الذين يعن لهم المنى فيريدون إيضاحه وبيانه فيجسمونه ويمثلونه ويضمون له الأشخاص والحوار والأصباغ كما فى قصة الأستاذ الخفيف التالية لمقالك « ذات صباح » — فلن يصح فى قصص القرآن ؛ إذ ليس فيه فاصل بين جسم القصة وتوجيهها ، بل هما توءمان ؛ ونحن نفهم فى قصة الأستاذ الخفيف أن « بهيجة » شخصية خيالية للفتاة التى يضحى بها أهلها حين يزوجونها ممن يحبون وتكره ؛ ولكنا لا نفهم فى قصة يوسف عليه السلام أنه وامرأة العزيز شخصان خياليان رمز بالأول للعفة وبالثانية للاستهتار .

فالحوادث والاشخاص فى القرآن الكريم ليسا وضعاً ولا خيالا وإنما هما حق ثابت ولو كان هناك شك فيهما ما خفى مئات السنين حتى ظهر الآن للعلماء الدارسين ! !

وما كنت أحب أيها الأخ أن تقتضب كلام الإمام الجليل الفخر الرازى حين تستشهد بتفسيره فتكون كمن قال .... لا تقربوا الصلاة وسكت . هلا ذكرت لنا — رحمك الله — قوله يفسر الأمور الأخرى :

« وثالثها » أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ دل ذلك على أنه بوحى من الله تعالى .

وهلا تأملت فى قول الإمام الجليل من غير تحريف ولا تغيير وعلمت أنه يقصد جسم القصة وهيكل الحكاية وهو بذلك يرى رأى المسلمين قاطبة ؟ !

وأخيراً ، لعلك أيها الأخ قصدت حين فرقت بين جسم القصة ومافيها من توجيه ألا تكتفى برد عادية الملاحدة والمستشرقين عن القرآن الكريم بل باقناعهم ليدخلوا فى دين الله أفواجاً حين تبدد شبههم بهذا التخريج الجميل ! !

هلا أدركت — عافاك الله — أنك تضم نصلا إلى حرابهم حين تجعل القرآن عضين ؟ ! كفاك الله شر المقتسمين ، واعلم أن الملاحدة والمستشرقين مع القرآن الكريم :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإنك مهما بشرت لهم فلن يؤمنوا لك حتى تتبع ملتهم وما أظنك من الفاعلين . وسلام الله عليك .

إتياى البارود

محمد علم الدين

مفتش المعارف

بين الأزهر والجامعة :

أرسل صاحب الفضيلة السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية كتاباً (رسمياً) إلى سعادة عميد كلية الآداب يسأل فيه عما تم فى مسألة رسالة القصص الفنى فى القرآن ، ويقول فيه :

« وإنه ليهمنى أن أقف على حقيقة هذا الموضوع لأن من أخطر الأمور أن تتعرض قداسة القرآن ، وكرامة العقائد لمثل هذه التخرصات » .

القصص

فصة من الأدب الروسي :(١)

حبة من القمح كبيضة الدجاج!

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

بينما الصبية فى لهوهم يعبثون ذات يوم . . . عثر أحدهم فى ثلمة فى الأرض على شىء عجيب فيه مشابه من حبة القمح . . بيد أنه كبير فى حجمه حتى كاد أن يدانى بيضة الدجاجة !!.

ومر بهم — وقد استخفهم المرح وتملكهم الفرح بلقيتهم — مسافر من جوّابى البقاع . . فلما أبصر ذلك الشىء بين أناملهم ، عوضهم عنه بفلس وحمله معه إلى المدينة .. حيث باعه للملك بمال كثير كعجيبة من العجائب التى تمخض عنها الزمن ...

فدعا الملك إلى مجلسه أهل العلم وأولى الحكمة وأرادهم على أن يأتوه بحقيقة ذلك الشىء ... فانثنى العلماء إلى كتبهم يتصفحونها ، وانقلب الحكماء إلى عقولهم يستبحثونها . ولكنهم لم يحيروا لهذا الشىء معرفة لماهيته وإدراكا لحقيقته ! . . حتى كان اليوم الذى طارت فيه دجاجة إلى عتبة النافذة حيث ترك ذلك الشىء العجيب عليها . . فراحت تضرب فيه بمنقارها حتى خلفت ثقباً فى جانب منه ! . ويومها أدرك العلماء أن ذلك الشىء ليس إلا حبة من القمح ! .

فلما حملوا إلى الملك ذلك النبأ . . اشتدت حيرته وتزايد عجبه وأمرهم بالبحث فى أى حين من الزمن وفى أى بقعة من الأرض . كان الناس يزرعون مثل هذا القمح ! .

فعاد العلماء إلى كتبهم يقلبونها وانثنى أهل الحكمة إلى عقولهم يتروون من جديد .. ولكنهم باؤوا بمثل ما كان نصيبهم فى المرة الأولى ! . فذهب إلى الملك وفد منهم .. وقال له :

— « ليس فى قدرتنا الإجابة على ما تطلبه مولانا .! فما حوت كتبنا نبأ عنه .. ولا انتهت عقولنا إلى فهم له .. ولكن فى مكنة مولانا أن يسأل الفلاحين لعل بعضهم يعلم عن آبائه .. فى أى حين وفى أى بقعة كان القمح يزرع فى مثل هذا الحجم . ! . »

فأمر الملك أن ينبعث أعوانه فى أرجاء البلاد وينتشروا فى مختلف ربوعها . ويأتوه ببعض الفلاحين الذين بلغوا من العمر عتياً .

فلم يلبثوا بعد حين أن فازوا ببغيتهم . . فأحضروا إلى الملك رجلا تقدمت به السنين فأحنى ظهره ثقلها . . فراح يتوكأ على دعامتين . معروق الوجه ، شاحب اللون مهدل العارضين مغضن البشرة . .

فناوله الملك حبة القمح ... بيد أن كفافة بصره قصرت به عن رؤيتها ... فراح يتحسسها بين أنامله الجاسية . فسأله الملك :

« هل لك فى أن تخبرنا ... أيها العجوز عن المكان الذى كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! ونبئنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت شيئاً مثلها فى حقولك ؟ ! ... »

كان بسمع الشيخ وقر جعله عاجزاً عن الإصغاء إلى ما قاله الملك ... بيد أنه لم يلبث أن أدركه فى مشقة وجهد . فقال بعد أن مكث حيناً لا ينبس :

— « كلا ... إنى لم أزرع ولم أحصد قط مثلها فى حقلى . كما أنى لم أشتر أبداً شيئاً يشبهها ... وحينما كنا نتبايع القمح كانت حبوبه صغيرة فى مثل حجمها اليوم ... غير أنه يجمل بك أن تسأل أبى لعل سمعه قد وعى خبراً عن الفج الذى كانت تزرع فيه ! »

* * *

فبعث الملك برجاله فى طلب والد الشيخ ... فعادوا به وهو يمشى معتمداً على عصا غليظة ... فلما ناوله الملك حبة القمح ... قلبها بين يديه ، وراح يمعن فيها النظر ، وقد عجز الكبر عن أن يذهب بحدته ! ... فسأله الملك : « أما فى قدرتك أيها العجوز أن تخبرنا عن المكان الذى كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! وهلا أنبأتنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت مثلها فى حقولك ؟ »

لم يذهب الثقل بمسمع الشيخ ، بل ما زال سمعه خيراً من

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسى » يصدر قريباً . جيل

سمع ولده .. فأجاب الملك فى صوت هادىء رزين :

— « كلا ! . إنى لم أزرع ولم أحصد مثلها فى حقلى ! .. كما أنى لم أشتر شيئاً يشبهها ! . فما كان للنقود تداول فى أيامنا .. فكان كل امرىء يزرع قمحة . . . وما زاد عن حاجته يهبه من فى عوز ! .

لست أدرى أين كان يزرع مثل هذا القمح . . . ولـكنى أعتقد أن القمح فى عهدنا كان أكبر حجماً وأكثر دقيقاً منه فى أيامنا هذه . . . بيد أنه — مع ذلك — لم يبلغ حجم هذه القمحة . وأحسبك واجداً عند أبى فائدة وعلماً عنها ! فسله »

***

فأرسل الملك من يأتى بوالد الشيخ .. فغابو حيناً ، ثم عادوا به إلى حضرة الملك ! . . يسعى فى سيره فى خفة ونشاط له بصر ثاقب وسمع مرهف ... ولسان ينطق فى جلاء !..

فلما مد الملك له يداً بحبة القمح ... تناولها منه ... وراح يقلبها فى راحتيه . . . ويمعن فيها النظر . . ثم لم يلبث أن ارتفع صوته فى هدوء « لم أر مثل هذه القمحة إلا منذ زمن سحيق .. سحيق جداً ! . » وقضم شطراً من الحبة بثناياه ، وأخذ يتذوقها بفمه !! واستطرد فى قوله :

— « إنها نفس النوع ! ... » فسأله الملك :

— « ألا حدثنا أيها الجد الوقور ... فى أى مكان وفى أى زمان ، كان الناس يزرعون مثل هذا القمح . . . وهلا خبرتنا إن كنت قد ابتعت أو زرعت مثلها فى حقولك ؟! .. »

فأجابه الشيخ : —

... كان هذا القمح يزرع فى كل البقاع فى أيامى لقد طعمته فى شبابى ، وأطعمت غيرى منه ! . وطالما زرعناه فى أراضينا . . وحصدناه ... ودرسناه ! ! . »

فقال الملك وقد استبد به العجب وتملـكه الفضول : —

« هل كنت تبتاعه ؟! أم كنت تزرعه بيديك ؟! »

فتريث الشيخ حيناً ... كأنه يسبر غور الماضى ، ويستعيد ذكراه — وقد ضرب النسيان عليها سجنه وأرخى دونها سدوله — ثم أجابه : « لم يكن ثمت واحد .. فى أيامى .. يجسر على أن يأتى هذه الخطيئة .. أن يبيع أو يشترى الخبز .. ولم نكن ندرى شيئاً عن هذه النقود التى تتداولونها الآن . فكان لـكل امرىء كفايته من القمح والزاد ! . »

— بالله خبرنى أين توجد أراضيك حيث كنت تزرع فيها ذلك القمح ؟! . »

فتبسم الشيخ وأجابه فى هدوء :

— « كان حقلى هو « أرض الله » الواسعة ... أينما زرعت وحيثما غرست فهذا حقلى ... فكانت الأرض مباحة طليقة بين الناس ! . وما كنت تجد واحداً يجرؤ على القول بأن هذه الأرض ملـكه.. بل العمل هو وحده الذى كان مالـكا للناس » :

— « هلا أجبتنى أيها الجد الـكريم ..إلى سؤالين آخرين؟ أولهما : لماذا كانت الأرض تنبت مثل هذا القمح ، ثم لماذا كفت عن إخراجه الآن ؟ !! ..

وثانيهما : ما العلة فى أن حفيدك لا يخطو إلا على دعامتين وابنك يتوكأ على عصا واحدة . أما أنت فلا تعتمد على شىء ؟! وما الذى جعلك ذا بصر ثاقب وسمع مرهف وصوت واضح جلى تهفو الأذن لسماعه ؟ ! »

فهز الشيخ رأسه ، وما زالت البسمة مترسمة على شفتيه وقال:

— « لقد صار الأمر إلى هذه الحال .. لأن الناس كفوا عن العيش بما تعمله أيديهم ، وراحوا يسخرون غيرهم لعمل ما تعوزهم الحاجة إليه ! .

فى أيامنا الخوالى . . كان الناس يعيشون حسب ما سنته لهم شريعة « الله » .. « العامل بعمله » ! .فلم تملأ الضغائن نفوسهم ولم تفسد الأحقاد قلوبهم .. ولم يكن بينهم من ينظر بعين الحسد إلى ما متع الله به بعضاً منهم ! . . »

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

العدد ٧٤٨ — الاثنين ٣ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا	: أحمد حسن الزيات	١١٩٧
إنصاف البيت المظلوم	: الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١١٩٨
بلية	: الأستاذ محمود محمد شاكر ...	١١٩٩
رحلة إلى الهند	: الدكتور عبد الوهاب عزام بك	١٢٠٢
الفناء والعدم	: الأستاذ نقولا الحداد	١٢٠٤
الأسطورة والإعجاز القرآني ...	: الأستاذ محمد أحمد خلف الله ...	١٢٠٥
انجلترة في مرآة حافظ	: الشيخ محمد رجب البيومي ...	١٢٠٨
مولد شاعر	: الآنسة نعمت فؤاد	١٢١٠
« مشهورات المنظار » : بحول وأماني	: الأستاذ محمود الخفيف	١٢١٢
الرسالة الثالثة ... ... (قصيدة)	: الأستاذ ابراهيم محمد نجا	١٢١٣
صوت من الشمال ... «	: الأديب أحمد هيكل	١٢١٤
البنفسج ... ... «	: الأستاذ محمود عماد	١٢١٤
« الأدب والفن في أسبوع »	: الناصر — غزل علية — سفير	١٢١٥
الفن المصري — الراجع في هبته		١٢١٧
« الكتب » : ١ — أنات غريب — تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوي ...		١٢١٨
٢ — روح وجسد — تأليف الأستاذ عبد المعطي المسيري : الأستاذ محمد		
فهمي عبد اللطيف		١٢١٨
١ — فهارس المكتبة العربية في الخافقين — تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر		
٢ — مرايا — تأليف الأستاذ عبد اللطيف الشاشوالي : الأستاذ صلاح الدين المنجد		١٢١٩
« البريد الأدبي » : تقدير كريم لكتاب قيم — الدكتور قاسم غني		١٢٢٠
سفير إيران في مصر — الكلمة الأخيرة — إلى الأستاذ السهمي —		
لقطة لأزاريت		١٢٢٣
من مذكرات سجين (قصة)	للقصصي الكبير فرانسوا كوبيه — بقلم الأديب عبد اللطيف الأرناؤوط	١٢٢٣

العدد ٧٤٨ — الاثنين ٣ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا : أحمد حسن الزيات ١١٩٧

إنصاف البيت المظلوم ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١١٩٨

بلسلة ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١١٩٩

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٢٠٢

الفضاء والعدم ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٢٠٤

الأسطورة والإعجاز القرآنى ... : الأستاذ محمد أحمد خلف الله ... ١٢٠٥

انجلترة فى مرآة حافظ ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٢٠٨

مولد شاعر ... ... : الآنسة نعمت فؤاد ١٢١٠

« مهوراء المنظار » : عجول وأناسى : الأستاذ محمود الخفيف ١٢١٢

الرسالة الثالثة ... ... (قصيدة) : الأستاذ ابراهيم محمد نجا ١٢١٣

صوت من الشمال ... « : الأديب أحمد هيكل ١٢١٤

البنفسج ... ... « : الأستاذ محمود عماد ١٢١٤

« الأدب والفن فى أسبوع » : الناصر — غزل علية — سفير

الفن المصرى — الراجع فى هبته ١٢١٧

« الكتب » : ١ — أنات غريب — تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى ... ١٢١٨

٢ — روح وجسد — تأليف الأستاذ عبد المعطى المسيرى : الأستاذ محمد

فهمى عبد اللطيف ١٢١٨

١ — فهارس المكتبة العربية فى الخافقين — تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر

٢ — مرايا — تأليف الأستاذ عبد اللطيف الشاشوالى: الأستاذ صلاح الدين المنجد ١٢١٩

« البريد الأدبى » : تقدير كريم لكتاب قيم — الدكتور قاسم غنى ١٢٢٠

سفير إيران فى مصر — الكلمة الأخيرة — إلى الأستاذ السهمى —

لفظة لازاريت ١٢٢٣

من مذكرات سجين (قصة) { للقصصى الكبير فرانسوا كوبيه / بقلم الأديب عبد اللطيف الأرناؤوط } ١٢٢٣

٢٩٠٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

10 em Année No. 748

Lundi — 3 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

يا أغنيــــاءنا!

قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا

لا أزال معجباً بالحديث الدينى الذى نشرته الأهرام منذ أسبوعين لصاحب السمو الملكى أمير الأمراء محمد على بلّغه الله أنفس العمر. وأشد ما حرك إعجابى به، وأثلج صدرى منه، قول الأمير فيه عن نفسه: « إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته، منذ نشأتى إلى اليوم، كان مرجعه إلى التمادىّ بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه » وقوله عن مصر وأخواتها: « إنهن لو رجعن إلى الماضى العظيم لعلمن أننا لم نأت بخير ولم نظفر بسؤدد إلا برعاية الدين ».

جميل من سمو الولى أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله، فعبد الأمراء الشهوة، وألّه الأغنياء المال، واتبع الزعماء الهوى، واستجدى الفقراء الحظ. ولكن — وما (لكن) إلا حرف جرىء ملعون يستدرك على كل موجود ما خلا الله — لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على (المحبة والسلام والصلاة والصيام والعمل والصبر والطهارة) وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون، ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا، أن الدين عمل ومعاملة، وتثقيف وتكليف، وإيثار وتضحية؟ نعم كنا نطمع فى سمو الأمير وهو القدوة الحسنى فى قول الحق وعمل المعروف أن يدعو إلى الجهة العمليـة من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين ميزهم الوطن كرهاً على بنيه، وآثرهم الشعب جهلا على نفسه، فيؤْتوا حق الله فى أموالهم لتقوى الحكومة على أن تدفع عنهم الوباء، ويشجع الفقراء على أن يشغلوا عنهم الموت. وحق الله الذى يشبع الجائع ويكسو العارى ويداوى المريض ويكفن الميت، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة، ويقيم السهرات الداعرة، ويجود على انجلترة الخؤون من غير طلب، وينفق على تركية المقوق من غير حساب؛ ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح!

إن أكثر الكبراء عِقام أو أعزاب، فلا عيال يكلفون فى الحياة، ولا أعقاب يرثون بعد الموت. فليت شعرى لم لا يتبنون هـذا الشعب الكريم وهو الذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة، وجسمه يضوى من الإقلال وهم فى سعة، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن؟ إنهم إلا يفعلوا يندموا؛ فإن من المشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه. وإن من الصعب أن يغمض عن كزازة أغنيائه وهم يرون وباء الهيضة يقطع السبل ويشل الأيدى ويحصد الأنفس فلا يبسطون لساناً بمعروف، ولا يمدون يداً بمعونة!

إن السيادة لا تكفى للسعادة؛ وإن المال لا يجزى عن الشرف؛ وإن الدنيا لا تغنى عن الآخرة.

(المنصورة) احمد حسن الزيات

إنصاف البيت المظلوم (*)

شباب قنع لا خير فيهم

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا

قال هذا البيت (أحمد شوقي) رحمه الله! في قصيدته الشهيرة (توت عنخ أمون) وقبله:

فغالى في بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا

والبيتان فيهما مدح عظيم لبني مصر ولشبابها محبي الغلو الطامحين ...

فكيف رآه الأديب (محمود) صاحب (كلمات) في (البلاغ) يوم السبت — ذما؟

وكيف يكون شاعر مصر والعرب كلهم أجمعين قد هجا شباب مصر وهو يغالي في بيتيه في مدحهم؟

إن البيت الأول يوضح الثاني، والثاني يوضح الأول، وإذا فهم البيتان جيداً استيقن أن هناك مدحاً عظيما. وقد قالوا: إذا أردت إعراب بيت فافهم معناه، وإذا أردت فهم معناه فأعربه، فتمال إلى إعراب (شباب قنع لا خير فيهم) (شباب) مبتدأ و(قنع) نعت، وجملة (لا خير فيهم) خبر المبتدأ.

فإن قلت. قد جاءني الإشكال لأني أعربت (شباب) خبر المبتدأ محذوف تقديره هم، قيل لك: البيت الأول والشطر الثاني من البيت الثاني يظاهران إعرابنا هذا، ويثبتان أن البيت مدح، مدح كبير ...

— ٢ —

من أصعب الأشياء في الدنيا توضيح الواضح.

قلت: إن بيت شوقي مدح، وقلت ليفهم البيتان جيداً، وجئت بما جئت به. فبقي الأديب (محمود) حيث تركناه لم يتحلحل، ووجدناه يقول: «بل القول ذم، وكأن معنى البيتين هو: فغالى في بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم، وبورك في الشباب الطامحين».

فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ما هذه المسلطة(١)؟ هل لفا شوقي بما حكيت، هل نظم ما نثرت، وهل هذا من كتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم) لابن الأثير(٢)؟ ...

الذي قلته في كلمتي السابقة هو كاف شاف ولكن هذا الأديب، حاله تسأل زيادة، فله ما يريد:

١ — ليس المقام في قول شوقي مقام ذم، ولكل مقام مقال، وقد جاء البيت يمزز الذي قبله، وهو بيت حكيم أرسله شوقي مثلا كدأب المتنبي في حكمه وأمثاله التي تؤيد مقاصده في أقواله.

٢ — كيف يصف شوقي شباب مصر أنهم مغالون وأنهم قانعون وكيف يقنع المغالي، وكيف يغالي القانع؟

دع ميزان الذوق واللغة و(الإعراب) وخذ ميزان العقل وزن ....

٣ — رأى الأديب محمود أن البيت ذم إذ يدعو إلى حب الغلو، وقال في كلمته: «وكانت العرب تقول وهي تذم (ما عنده من المعالي إلا الرمي بالمغالي) أي الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد».

وقد فهم الناقد السجعة كما فهم بيتي شوقي والمعنى الصحيح هو (ما عنده من المعالي إلا الرمي بالسهام) والمغالي جمع مغلاة وهي السهم يغلى به أي يرمى به لا «الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد(٣)».

والقول الذي نسبه إلى العرب هو للزمخشري، وهو من سجعات الأساس، وقد جاء في هذا الكتاب: «غلا بسهمه وغالى به وتغالينا بالسهام، وترامينا بالمغالي، وتقول: ما عنده من المعالي إلا الرمي بالمغالي، وتقول: أنا لا أحب الغلو في الدين، والغلاء في السعر، والغِلاء في الرمي».

---

(١) المسلطة: الكلام على غير نظام.

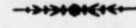
(٢) قال ابن خلكان «كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة» طبع في بيروت سنة ١٢٩٨ ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية.

(٣) في الأساس: جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته وتجاوز عن المسيء، وتجاوز عن ذنبه. وفي اللسان: تجاوز عن الشيء أغضى، وتجاوز فيه أفرط.

(*) من كتاب (أمالي النشاشيبي) وهو في التهيئة للطبع.

بلبلة

للأستاذ محمود محمد شاكر



لست امرءاً قانطاً ولا متشائماً ولا يائساً من خير هذه الأمة العربية ، بل لعلنى أشد إيماناً بحقيقة جوهرها وطيب عنصرها وكرم غرائزها ، بل لعلنى أشد إيغالا فى الإيمان بأنها صائرة إلى السؤدد الأعظم والشرف السرى والغلبة الظاهرة إن شاء الله ، وأنها هى الأمة التى أرصدها بارىء النسم لرد العقل على هذه الإنسانية المجنونة فى هذه الحضارة الهوجاء . فالعرب مذ كانوا هم الجوهرة التى أطبقت عليها صحراء الجزيرة ، فما زالت تكتمهم فى ضميرها وتحنو عليهم وتمنعهم من كل فساد داخل حتى صفا ماؤهم ورف شبابهم وأضاؤوا من جميع نواحيهم . فلما جاءهم محمد ابن عبد الله بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صار كل رجل من صحابته نجماً يهتدى به الضال ويأتم به المسدَّد . ويومئذ تمت المعجزة الكبرى فى تاريخ العالم ، فانطلقت هذه الفئة الصالحة من عباد الله كأنها السيل المتدفع ، وكأنها الرياح العاصفة ، وكأنها الأشعة المتلألئة ، وكأنها قدرالله ، فدكت حصون الروم ، وثلت عروش الفرس ، ودوخت جبابرة الأمم ، حتى ورثوا أرض الله وأقاموا فيها الحق والعدل بالميزان والقسط ، وجاءت سلائلهم فجددت حضارة الدنيا ، وإذا الذين كانوا بالأمس بداة جفاة غلاظاً فيما يرى الناس من أهل الحضارات السالفة ، هم الناس وهم العلم وهم أصحاب الإمرة فى كل فن وعلم وسياسة وتدبير ملك . إنها لمعجزة لم يوفها مؤرخ حقها من المجد والقوة والظهور .

فهذا الجيل من عباد الله مطوى على صلاح كثير وخير عميم وقوة خارقة ، لا أظن أن الزمن قد ذهب بها ومحقها ، فلذلك أرانى وملء قلبى الإيمان بأنه سوف ينتهى إلى الغاية التى كتبت له فى تاريخ هذه الإنسانية . وعسى أن يكون زمن ذلك كله قد أنى وأظل ، فإنى أسمع نشيش الحياة وهى تتخلق فى مرجل الوجود وقد أحاطت به النيران المجنونة المتضرمة من كل مكان . ولكن لابد لتحقيق ذلك كله من عمل يتولاه رجال من هذه الأمة ، فينفخون فى الضرم حتى تستعر النار الخالدة لتنفى عن هذا الجيل كل خبث ألم به من أدران الحضارة التى يعيش فيها عالمنا اليوم . غير أنى أخشى أن يكون الإهمال والعجلة وقلة المبالاة وأخذ الأمور بالاستخفاف ، مما يفضى إلى فوات الفرصة التى أمكنت ،

ثم إن الغلوصفة ذم فى موطن وصفة مدح فى موطن ، والقائل هنا هو القائل فى (أمين الرافعى) رحمة الله عليهما :

قيل : (غال) فى الرأى قلت هبوه ... قد يكون (الغلو) رأياً أصيلا

وقد يما بنى (الغلو) نفوسا ... وقد يما بنى (الغلو) عقولا

والسرف صفة ذم وقد تجدها فى أقوال مدحاً : « قيل للحسن ابن سهل : لا خير فى السرف ، فقال : لا سرف فى الخير » .

وهل الغلو فى التخلص من الاستعباد مذموم ؟ ونحن معشر المصريين مغالون وحالنا مع هؤلاء الانجليز منذ اثنتين وخمسين سنة معلوم ، فكيف لو كنا من المقتصدين المعتدلين المتسامحين .

كان فاضل معروف من أدباء مدينتنا[1] هذه قال منذ سبع سنين مثل قولك فى ذلك البيت (ما أشبه الليلة بالبارحة) ونشر نقده فى جريدة ، وليم كما تلام الفضلاء الكرام ، وقيل له : أخطأت ، وقد رأينا ذلك الفاضل[1] بعد أن جاء هذا الظلام وفقد الأقوام « الناطق عن خواطرهم[2] » يبكى (أبا على) فى قصائده طويلا ، ويصيح أين شوقى ، أين شاعر الإسلام ؟ !

وإذا طال المراء فى الشىء الثابت وأراد المجادل أن « يطين عين الشمس[3] » جاء قول شوقى :

ومن الرأى ما يكون نفاقا ... أو يكون اتجاهه التضليلا

ومن النقد والجدال كلام ... يشبه البغى والخنى والفضولا

والفتى لا يضع منه رجوعه إلى الحق ، وهو بعد العودة (محمود) والعود أحمد .

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) أعنى (القاهرة) وقد كتب المقالة قاهريا مصريا .

(١) الأديب الكاتب الشاعر الأستاذ محمد الههياوى ، رحمه الله !

(٢) قال عبد الرحيم بن على البيسانى (القاضى الفاضل) : « إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

و (أحمد الثالث) فى الشعر هو متنبى الوقت .

(٣) من أمثالهم ، قال الميدانى : يضرب لمن يستر الجلى الواضح .

ويقضى على هذا الأمل الذى يضىء لنا من بعيد ينادينا إلى ما فيه خيرنا وخير هذا الناس

ويخيل إلى أننا نعيش اليوم فى عصر بلبلة واختلاط، وهذا شىء قد أصاب أمماً كثيرة من قبلنا، فلم يعقها ذلك عن إدراك الغايات التى حرصت على السعى إليها وعلى بلوغها . بيد أنه لابد لأمة أرادت أن تخلص من هذه البلبلة أن يتجرد من رجالها ونسائها فئة لا ترهب فى الحق سطوة ولا بطشاً ولا اضطهاداً ولا تدخر دون مطلبها جهداً ولا عزيمة، ولا يثنيها إخفاق، ولا تلفتها فتنة، ولا يصرفها الفرح بقليل تناله عن الكدح فى سبيل ما ينبغي أن تناله .

وقد أراد الله لمصر أن تكون فى هذا العصر قدوة العرب ومجتمع أمرهم وكعبة قصادهم، وهذه البلبلة فى مصر أشد ظهوراً وغلبة منها فى غيرها من بلاد العرب، فأخوف ما نخافه أن تظل مصر غافلة عن شر هذه البلبلة فتعدى سائر العرب بالأسوة والقدوة، فينتشر الأمر انتشاراً يعجز المخلصين أن يلموه . فبين ظهرانينا اليوم ألوف من الطلاب العرب قد جاءوا من كل قطر لينهلوا من علم مصر، ويعودوا إلى بلادهم ليجاهدوا فى سبيلها، فإذا أعدتهم هذه البلبلة فسوف يحملونها معهم إلى بلادهم فيفرقوا المجتمع من كلمة أممهم، ويرتكس الأمر حتى يصبح ولا علاج له . هذا، وأنت لا تعدم صدى البلبلة فى الصحف والكتب والمجلات المصرية التى أخذت تزداد انتشاراً واتساعاً، فكيف لا يخشى أن يعم هذا البلاء كل بلاد العرب ويتغلغل فى نواحيها ؟ ويومئذ نصبح طعمة للأمم الضارية التى تحيط بنا من كل مكان، وتحد لنا أنياباً عصلا تنهشنا بها يوم يتاح لها أن تنقض على هذه الفريسة التى لا تدفع عن نفسها .

فمن شر هذه البلبلة، ما نرى من سوء تدبير الأحزاب السياسية المصرية، فهى قائمة على نزاع دائم فى سبيل الحكم، يكيد بعضها لبعض، وبأ كل بعضها بعضاً، ولا يرعى أحد لأحد حرمة . وتنشىء هذه الأحزاب صحافة يكون هم محرريها التشهير بمن يخالفهم فى الرأى والمذهب، فيدلسون الحقائق، ويكتمون الحق، ويفترون على الناس الكذب، ويلوون ألسنتهم بالحديث ويحرفون أعمال من يعادونهم تحريفاً لئيما مستهجناً، كل ذلك ابتغاء مرضاة رؤساء الأحزاب وأصحاب الأمر فيها . هذا، على أن هذه الأحزاب قد نشأت أو أنشئت بغير أهداف مبينة للناس تعاهدهم على أن تسعى إليها، وبغير برنامج لإصلاح هذه الأمة التى لم تجد لها نصيراً من أبنائها، وبغير نظام ينفى عن الحزب الدخلاء والملوثين وذوى الأغراض الخبيثة

ثم يأتى بعد ذلك نوع من الصحافة يتلبس بالورع، ويتظاهر بالتقوى، ويتخشع بالبراءة من التعصب، ويبدى للناس أنه طالب خير للناس، وأنه مريد لنفع هذه الأمة وعامل على ترقيتها وتهذيبها وهو فى خلال ذلك يدس لها سماً زعافاً ومنية قاتلة، شيئاً فشيئاً ورويداً رويداً وساعة بعد ساعة، حتى لا تمجه الألسنة لأول مذاق، ثم إذا بان طعمه شيئاً لم تستنكره، ثم يستمر حتى إذا دام قليلا ألفته وربت عليه، ثم إذا زادته شيئاً لم يكن إلا طيباً مستساغاً، ثم إذا الناس يطلبونه أو يخيل إليهم أنهم يطلبونه لأنه مما يتصل بأدنأ الغرائز الحيوانية والشهوات البهيمية، ويجند لكل هذا الخبث جمع من الكتاب الذين ضلوا عن حقيقة أنفسهم، وطائفة من الشباب الذين أفسدتهم المدارس الأجنبية والجامعات الغريبة عن هذه الأمة، وهذا الضرب من الصحافة الخبيثة هو البلاء المستطير الذى لم يجد إلى اليوم من يكشف عن طواياه الخبيثة وأساليبه القاتلة، وعن دبيبه فى رأى هذه الأمة العربية دبيب الضلالة فى قلب الغرير المفتون .

ثم يأتى بعد ذلك كتاب وعلماء ورجال من أصحاب الرأى، ليس فى قلب أحد منهم تقوى لله ولا خشية للإثم ولا محبة للحق، فيرى أحدهم الرأى الفطير فلا يلبث أن يمسك القلم فيجرى السواد على بياض الورق، فإذا هى مقالة أو كتاب أو رأى أخبث منه صاحبه والناطق به، فيأخذه المبتدىء المتطلع، فيعتقده كأنه لقطة نفيسة بغير تحقيق ولا تمحيص، فإذا سمع رأياً يخالف ما قرأ لهذا الكاتب البليغ أو الأستاذ الكبير أو الفيلسوف القدير، أنكره وأدبر عنه، فيزيده هذا الإنكار لجاجة، وتزيده اللجاجة عناداً، ويملأه العناد كبراً، فيعمى عن الحق وهو بين، ولا يزال يهوى فى العناد حتى يصير ذلك عادة فى مسألة بعد مسألة ورأى بعد رأى، وإذا هو عند نفسه أكبر من أن يأخذ عن فلان لأنه يخالفه فى الرأى .

وتزيد الدولة هذا الأمر ضراوة واستعاراً، فتولى الأمور غير أهلها، وتضع الناس فى غير منازلهم، وتكرم فلاناً بإلحاقه بوظيفة كذا لأنه من أشياع الحزب الذى يتولى الحكم، فإذا خافت عليه أن ينتزع من مكانه إذا جاءت وزارة أخرى، ألحقته بعمل لا يقبل العزل . فإذا جاء وزير للمعارف مثلا وله أصحاب من شيعته ممن عرفوا بشىء من الأدب ألحقه بالمجمع اللغوى مثلا

تكريماً له ، فيريد هذا الرجل أن يحقق معنى هذا التكريم على ما خيلت ، فينبرى لإبداء الرأى فيما لا يحسن ، ويكشف عن عورة من الجهل لا تستتر . وليتها كانت رأياً بدا له فكان صاحبه الأول كلا ، بل هو يعمد إلى آراء أماتها الذى أمات الخرافات والأساطير فيخيل إليه أنه وهو الأديب المؤلف الكاتب مستطيع أن يحيى هذه الرمم البالية برأيه وحجته وحسن معرضه ، فكيف تكون مغبة هذا الجهل على شاب ناشئ يقرأ ملفقات السخف المدلس ، وليس عنده قدرة على تمحيصه .

ويأتى آخر يلقيه وزير صديق مثلا على كرسى الجامعة ليدرس العلم لطلاب العلم ، فإذا هو عازم على أن ينشئ علماً جديداً لطلابه ، فيبحث فى محاريب عقله عن أشياء يخيل إليه أنها فن جديد وبلاغة جديدة وعلم لم يصل إلى إدراكه سابق ولن يناله لاحق إلا بالتلقى عنه والوقوف بين يديه . ويخرج هذا الأستاذ جيلا من مساكين الطلاب لا يحسنون شيئاً إلا التعصب له والتسمى باسمه والتشبه به فى فساد الرأى وقلة العلم وضعف الملكة . ويجتمع منهم ومن شيخهم فئة تهجم على العلم بغير علم ، فإذا أراد أحد أن يقف فى سبيلها تناعقت باسم حرية الرأى وحرمة الجامعة . فكيف تكون العاقبة إذا خرج مثل هؤلاء على الشباب الناشئين بأمثال آرائهم المقيتة الجاهلة ، وعلى رأس كل منهم تاج مكتوب عليه « دكتور فى الآداب » أو « دكتور فى الفلسفة » أو « دكتور فى التاريخ » ؟ وكيف يسلط هؤلاء على عقول ناشئة العرب ، يفتنونهم بالألقاب والأسماء ، ويتعاون هذه الفئة المضللة على نصرة بعضهم لبعض ؟

فإذا بقى الأمر على ما نرى فى أمر زعمائنا ، وفى أمر سياستنا ، وفى أمر اجتماعنا ، وفى أمر أدبنا ، وفى أمر صحافتنا ، وفى أمر مدارسنا وجامعاتنا : فكيف نرجو أن نصل إلى غايتنا ؟ وكيف يتاح لهذه الشعوب العربية الكريمة أن تتأهب للمعركة الفاصلة فى تاريخ العرب ؟ وكيف تجتمع كلمة العرب على بلوغ الهدف الأعظم ، وهو هدف يرمى إلى انقاذ الإنسانية كلها من ردغة الخبال التى ألقت بها فيها حضارة ضخمة ، ولكنها قد حشيت شراً كثيراً وخبثاً ؟

ولو شئنا أن نتقصى ظواهر هذه البلبلة فى أشياء كثيرة مما يتعرض لها الشعب مرغماً أو مريداً أو مخدوعاً لأطلنا ، فما من شىء إلا وقد اختلط فيه الأمر على غير هدى . وإذا شئت أن تقدر سوء ما جنينا من شرها ، فجالس من شئت من طوائف الشباب وجاذبهم الحديث ، واستدرجهم إلى المناقشة فى رأى أو علم أو فن ، تسمع العجب العاجب من الخلل فى موازين الأشياء ، والحيرة المطبقة فى تقدير ما يقع تحت أبصارهم وأسماعهم ، والعجز المضطرب عن ضبط الرأى ، والضعف المطلق عن القيام بحق العقل والإدراك وأكبر من ذلك كله أنهم أصبحوا لا يرون صاحب رأى إلا وهو دونهم ، فلا يسلم من انتقاصهم ونقدهم ، فإذا صححت لهم وأردت أن تقيمهم على الطريق استكبروا وأعرضوا ، فكيف تأتى أنت فتعلم حامل شهادة الحقوق أو الطب أو الأدب أو الفلسفة شيئاً يستيقن هو فى نفسه أنه قد فرغ منه وعلمه علماً ليس بعده إلا العروج إلى سماء الخلود

وكذلك الأمر فى طبقات أخرى من العلماء إلى الأدباء إلى رجال القلم إلى أصحاب الصناعات إلى عامة الناس . وهذا شىء مخوف مدمر للجهود الذى بذلها طائفة من السلف القريب فى تسديد خطى هذا الشعب وترقيته وتهذيبه وتطهيره من الجهل والبلادة والغفلة . وإذا طال ذلك ولم نعالجه فى مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، وفى دور التسلية ، وفى أندية المجتمع ، فالعاقبة الوخيمة بالمرصاد لمن أهمل وأضاع وترك الأشياء تمضى فى غير عنان وعلى غير هدى .

ونحن الآن أحوج ما نكون إلى صحافة جديدة حرة لا تخاف شيئاً ولا تخشى ، تدل على مواضع العيب لا للطعن والتشهير وسب هذه الأمة ، بل لعلاجها والدفاع عنها ونصرتها على نفسها . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى شباب من الكتاب وشيوخ من المحنكين يخلصون الرأى لهذه الأمة ، فلا يدعون الفرصة تفوت ويحملون الشعلة الجديدة إلى الجيل الجديد الذى لم يلوثه العناد والكبرياء واللجاجة والمراء . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى طائفة ممن خبروا الحياة وعرفوها ليكونوا شهداء على مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، تستعين بهم الدولة على نهج جديد يمنع عن جماهير الشباب وطوائف الأمة كل ما يزيد هذه البلبلة إيغالا وضراوة

إن الزمن يمضى مضاء حثيثاً كالنار فى الهشيم ، فإن شئنا أن نحيى وأن نستعد للذى أعدنا الله له من الظهور فى الأرض ، وإصلاح ما اختل من شئونها . فعلى كل قادر أن يجمع أمره ، وأن يدعو أصحابه ، وأن يلم الشعث المتفرق ممن يظن فيهم خيراً ، لكى يتعاونوا جميعاً على رد هذا البلاء بالرفق فى مواضع الرفق ، وبالبأس فى مواضع البأس ، وبالبتر حيث لا يجدى شىء إلا البتر بلا هوادة ولا رحمة ...

محمود محمد شاكر

١١ - رحلة إلى الهنــــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كليـة الآداب

ضريح همايون

إلى الغرب والشمال من دهلى تقوم أبنية كثيرة هي بقايا الأحداث والغِيَر من مقابر الملوك التيموريين . وأعظمها تمثال المجد الماثل على ضريح نصر الدين همايون .

همايون الملك الثانى من هذه الأسرة المجيدة العظيمة التى سيطرت على الهند قروناً . وهو سيرة عجيبة من الهمة التى تحقر الصعاب ، والعزم الذى ينكر الأهوال ، والأمل الذى يكفر بالمستحيل .

أبوه ظهير الدين بابر ورث إمارة فى سمرقند وفرغانة وهو صبي فى الثانية عشرة . فلما غُلب عليهما بعد خطوب طويلة ، وجّه همته إلى أفغانستان ففتحها واستولى على بَدَخشان ثم كابل وقندَهار ومدن أخرى . واستعاض عن الأمارة الصغيرة التى فقدها إمارة أعظم . وأحال الهزيمة انتصاراً ، وزوال الملك وسيلة إلى ملك أكبر ، واليأس من سمرقند يقيناً بفتح كابل . ثم وجّه أمله وهمته وعزمه وعقله وعبقريته فى السياسية والحرب ، إلى الهند فلم يثبت لجيشه جيش ، ولم يقم لدهائه دهاء ، ولم يصدّ تدبيره تدبير . فامتدّ به الفتح شمالا وجنوباً .

ومات بابر بعد خمس سنوات من انتصاره الهائل فى معركة بانى بات التى فتحت له أبواب الهند ، وما رسخت قواعد الملك ، ولا اطمأنت أساطين الدولة ؛ بل ما قرّ عجاج الحروب ، ولا فارق الأسماع صدى السلاح . فورث ملكه ابنه همايون وسنه تسع عشرة سنة . فاستأنف فتوح أبيه ؛ ولكن شيرشاه أمير بهار استطاع أن يصدّ السيل ثم يردّه صوب الغرب شيئاً فشيئاً حتى اضطَرّ همايونَ إلى السند . ثم أخرجه إلى إيران مغلوباً قد فقد ملك أبيه كله فعاذ بملوك الدولة الصفويّة وبقى همايون خمس عشرة سنة لاجئاً لا ملك له ولا وطن .

ولكن العزيمة التى سخر بها بابر أفغانستان والهند حينما طرد من سمرقند ، سيّرت همايون من إيران إلى الهند ليفتحها ويسترد مُلكه كأنه لم يغلب عليه ، ولم يطرد منه ، ولم يلبث خمسة عشر عاماً بعيداً عنه فى حماية ملوك إيران . فتح دهلى سنة ٩٦٢ بعد ثلاثين سنة من فتح بابر إياها . وبعد سنة مات همايون وسنه خمس وأربعون سنة .

بنى خزانة كتب عظيمة وصعد عليها يوماً فزلّت قدمه فسقط فمات . ومن العجيب أن تاريخ وفاته فى هذه الجملة : « الملك همايون سقط من السطح » (همايون بادشاه أزبام أفتاد) .

حزنت زوجه حميده بانو بيكُم على زوجها بل وَلهت فخرجت إلى الحج ورجعت مستصحبة مهرة البنّائين والصناع لتبنى لهمايون ضريحاً يكافىء عظمته ، ويمثّل مكانته فى قلبها ، ويخلّد ذكراه على الأرض . وبنت هذا الأثر الرائع . وهو أول نموذج لمقابر الملوك المغول التى افتنّوا فيها من بعدُ حتى بلغ الفن ذروته فى تاج محل .

وفى جانب من حديقة المقبرة دار خربة تسمى عرب سراى (دار العرب) يقال إنها كانت دار الصناع الذين قدموا مع السيدة من البلاد العربية .

كان هذا أول قبر على هذا الأسلوب فى الهند . وأما بابر أبو همايون فلم يدفن فى الهند بل قبره فى كابل .

وقد حدثنى الأديب الكبير سرورِ كويا أستاذ الأدب الفارسى فى جامعة كابل — وقد سعدت بلقائه فى إيران قبل ثلاث عشرة سنة وفى الهند هذا العام — قال كنت فى صحبة الشاعر العظيم الفيلسوف محمد إقبال حينما زار قبر بابر فى كابل . فالتفت إلىّ قائلا : يا سَرْوَر اكتب وأملى علىّ هذين البيتين بالفارسية :

خوشا نصيب كه خاك تو آرميد اينجا
كه اين زمين ز طلسم فرنك آزاد ست
هزار مرتبه كابل خوش است أزدلى
كه اين عجوزه عروس هزار داماد ست

وترجمتها :

طوبى لك إذ استراح ترابك هنا
فهذه الأرض منزهة عن سحر الفرنج

إن كابل خير من دهلى ألف مرة

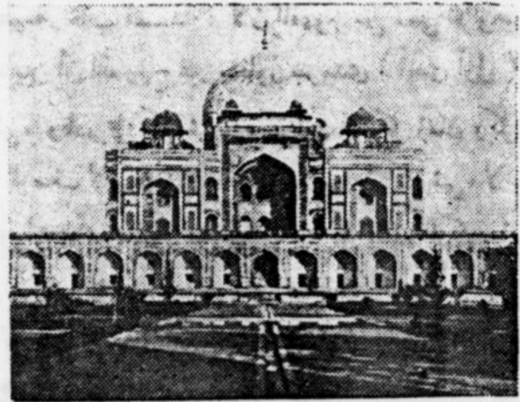
فتلك العجوز عروس لألف زوج

والشطر الأخير شطر معروف لحافظ الشيرازى فى وصف الدنيـــا .

ورحم الله إقبالا ! كأنه رأى بظهر الغيب غدر هذه العجوز بالمسلمين . فهى اليوم تطردهم وتفتك بهم ولا ترعى عهدهم وقد سيطر عليها سلطان المسلمين ثمانية قرون عدلوا فيها وأحسنوا ورحموا رعاياهم وتركوهم أحراراً فيما يدينون . فبقيت الكثرة لغير المسلمين فى دار الملك الإسلامى حتى زالت دولتهم .

***

تدخل حديقة واسعة جداً فى وسطها بناء تفضى إليه طرق أربعة مبلّطة فيها قنوات وأحواض . وكل طريق يمتدّ بين باب للحديقة وهذا البناء . سرنا من المدخل فى إحدى هذه الطرق إلى دَكّة رقينا إليها ست درجات . وفوقها دكة أخرى عظيمة عالية مربعة فى كل ضلع منها خمسة عشر عقداً أوسطها يُفضى إلى خمس وعشرين درجة تصعد إلى القبة الحانية على الضريح — كما يرى فى الصورة —



وعلى الدكة العالية بناء مربّع الجوانب وسطه قبة شامخة من الرخام الأبيض تحيط بها حجرات متواصلة فى هندسة محكمة جميلة . وفى هذه الحجرات قبور قيل لى أنها ستة وخمسون لأمراء الدولة وأعيانها .

ودخلت فإذا قطعة من المرمر جاثمة فى الوسط تحتها رُفات همايون وفوقها قبة تقوم على ثمانية عقود . ولا تبدو القبة عالية من الداخل لأنها قبة مزدوجة أى قبتان إحداهما فوق الأخرى . وهى أول قبة من هذا النوع فى الهند . وقد رأيت فى مسجد الشاه بأصفهان قبة عظيمة فوق القبلة مزدوجة يتردد صدى الصوت تحتها عشر مرات أو أكثر ، ولكن قبة همايون لا تردد الصدى كأنما أخرسها جلال الموت ، أو هيبة المُلك .

خلعت نعلى وخطوت خطوات إلى القبر فوقفت واجماً خاشعاً حيناً ورافعاً بصرى إلى القبة حيناً . قلت : قبر عظيم ولكن ذكرى همايون أعظم . إن عزمك الماضى أيها الملك الهمام ، وهمتك العالية طُويتا فى هذا اللحد ، لا بل هما ملء التاريخ …

قرأت الفاتحة خاشعاً وخرجت .

ثم صعدت إلى السطح المحيط بالقبة فإذا هذا التناسق الكامل الذى يميز أبنية السلاطين التيموريين كلها . فى كل جانب قباب يصعد إليها دَرَج . وفى الزوايا قباب أصغر منها فى تناظر تام وتناسب لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

نزلت وخرجت مع الرفاق والتاريخ يمرُّ أمامى سريعاً فأرى همايون فاتحاً . وهمايون دفيناً ، وأرى الأحداث تتوالى فتشمل الدولةُ أرجاء الهند كلها ويجمع البلادَ سلطان واحد لأول مرة فى تاريخها ثم يجزر البحر فتضعف الدولة ويتسلط الإنكليز . وتتوالى الخطوب حتى أرى بهادُر شاه آخر السلاطين من ذرية همايون يحتمى بحرم جده ، بهذه المقبرة وهو يحارب الإنكليز قبل تسعين عاماً فيؤسر وينفى . ويؤخذ من هذا الحرم بنوه الثلاثة مُغل وخضر وأبو بكر فيقتلون صبراً على مشهد من الناس .

قلت : ما دفن هنا همايون وحده ولكن دفن كل تاريخ الدولة التيمورية . فيا لك أول ضريح للدولة العظيمة فى الهند وآخر ضريح .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

وضع فى المقال الذى فى العدد (٧٤١) صورة ضريح اعتماد الدولة خطأ موضع صورة الجامع الكبير فى دهلى ، وسنعيد نشر الصورة الأولى فى موضعها وننشر صورة الجامع الكبير فى خاتمة المقالات .

الفضاء والعدم

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بأن أتفق على مقاله « أساطير الآخرين » فى ١٣ أكتوبر الحالى من الرسالة بكلمة فى موضوع العدم والفضاء .

العدم اسم لغير مسمى . أعنى أنه لا يوجد فى الوجود شىء أو كائن يصح أن يسمى « عدماً » هو فى غير لغتنا « لا شىء » وفى نفسنا هو لا شىء أيضاً . واللاشىء ليس ذاتية حتى يعرف أو يوصف أو « تفسر له ماهية »

أما الفضاء فهو الحيز الذى تشغله أو تشغل بعضه مادة ذات حدود . وأما الخلاء فهو الفراغ بين مادة ومادة . والمادة تحده ولهذا يمكن أن يقاس بمقياس

يستحيل علينا أن نتصور الفضاء فراغاً مطلقاً خلواً من مادة مهما أمعنا فى التصور

لولا وجود المادة لما كان فضاء البتة . هل تستطيع أن تتصور فضاء فارغاً لا شىء فيه . تصور وقل لى ماذا تتصور المادة كثيفة كانت أو لطيفة قضت بوجود الفضاء (الحيز) إنف المادة ينتف الفضاء . هذا هو العدم — اللاشىء

فهذا الحيز الذى نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . المادة نوعان : كثيفة وهى الأجرام الفلكية التى نحس بوجودها بالحس البصرى . ولطيفة وهى الأشعة الموجية الكهرطيسية (الكهربائية المغنطيسية) التى نحس بها بالبصر كالنور أو بالآلات الرصدية المختلفة كأمواج اللاسلكى غير المنظورة

أما أن النور وكل درجة من درجات الكهرطيسية كالأشعة السينية وأشعة ما فوق البنفسجى وتحت الأحمر هى أمواج أو تموُّج لحقيقة لا شك فيها لأن العمليات الامتحانية العديدة لاكتشاف طبيعة النور وحركة اللاسلكى فى الفضاء أثبتت بوضوح أن هذه الأشعة الكهرطيسية هى موجات فى الفضاء

فلذلك تساءل العلماء فيما بينهم : ما هو هذا الشىء المتموج ؟ لم يستطيعوا جواباً على السؤال إلا بفرض الأثير . وهو فى نظرهم مادة متناهية فى اللطف تملأ هذا الفضاء . وذرات المادة أو ذريراتها السابحة فى الفضاء الثائرة الحركة فيه تصدم هذا البحر الأثيرى فيتموج وأمواجه تصدم مشاعرنا البصرية والعصبية فنحس بوجود تلك المواد الثائرة . فالكهرطيسية فى نظرهم هى تلك الأمواج الأثيرية . وهى ما يسمونه بالاشعاع Rodiation

ولكن هذا التعليل الكهرطيسية (التى منها النور) لم يكشف لهم بقية أسرار الوجود . فقد رأى العلماء فى سياق أبحاثهم أن هذا الإشعاع ليس مجرد صدم المادة أو ذراتها لبحر الأثير فقط بل هو أيضاً انتثار ذريرات من الجسم المادى فى هذا البحر (ويسميها العلماء فوتونات) وهى من ضرب ذريرات الأثير بعينها . وبعض العلماء يعتقدون أن مادة الأكوان مؤلفة من فوتونات الأثير . أى إن الأثير هو أصل المادة — هو الهيولى

ولهذا وجد العلماء أنفسهم أمام نظريتين مختلفتين بشأن النور وكل إشعاع كهرطيسى : الأولى أمواج أثيرية يحدثها اصطدام ذرات المادة ببحر الأثير . والثانية تدفق فوتونات المادة فى هذا البحر انحلت إليها ذرات المادة ، فجرت فيه كما يتدفق ماء المطر فى البحر فيجرى فيه . وهذا سمى تجايمس تجيز هذا الإشعاع الكهرطيسى Wave Cle مشتقة من Wave و Particle بغية جمع النظريتين فى نظرية واحدة

أعود إلى مظنة الزهاوى إن الله هو الأثير

والظاهر أن الزهاوى بقوله هذا يريد أن يعرفنا بحقيقة الله فى الطبيعة فخاب قصداً . لأن المفهوم من معنى الألوهية عند الكتابيين أن الله روح غير منظور سرمدى (أبدى أزلى) خالق كل شىء وقادر على كل شىء وموجود فى كل زمان وكل مكان وهذا الوصف لا ينطبق على طبيعة الأثير فى كل شىء لا ينطبق عليه فى أن الأثير خالق كل شىء بل كل المادة الكونية مؤلفة منه ولكنه لم يؤلفها هذا فى رأى علماء هذا العصر . وليس الأثير قادراً على كل شىء أو ليس له قدرة ولا قوة بحد ذاته وإنما هو الوسط الذى تتحرك فيه مادة الأكوان

ولوقال إن قوة الجاذبية هى الله أو أنها الأداة التى فى يد الله وبها يحرك الله الأكوان جميعاً ، وكل حركة كلية أو جزئية صادرة من قوة الجاذبية لربما اقترب من الحقيقة لأن الجاذبية قوة سرمدية موجودة فى كل زمان ومكان وبها تتحرك جميع الأكوان عظيمها وصغيرها من أدق الحركات الكونية إلى أعظم حركات الأجرام الفلكية . والله أعلم

نقولا الحداد

الأسطورة والاعجاز القرآنى

للأستاذ محمد أحمد خلف الله

قلنا فى مقالنا السابق إن الأقدمين من المفسرين قد فهموا من الأسطورة أنها ما سطره الأولون من قصصهم وأحاديثهم ونقلنا عن كتبهم من النصوص ما يثبت ذلك . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الطبرى فى آخر عبارته من القول بأن المشركين ما كانوا يقصدون من وراء كل هذا إلا القول بأن هذه الأساطير من عند محمد لم يجئه بها الوحى ولم تنزل عليه من السماء.

وقلنا فى نفس المقال أن الرازى قد فطن إلى الصنيع الأدبى فى بعض القصص القرآنى حين فرق بين جسم القصة وما فيها من توجيهات دينية هى قصد القرآن من قصصه . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الرازى من أن الأمر الأول هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين وعلى قلوبهم وأنهم من أجل هذا قالوا بأن ما يجىء به محمد ليس إلا أساطير الأولين . ومعنى ذلك أيضاً أنهم ينكرون أن يكون قد جاء بها الوحى أو نزلت عليه من السماء .

واليوم نريد أن ندرس مع القراء موقف القرآن نفسه من هذه الأساطير .

وموقف القرآن يتلخص فى الاجابة عن هذا السؤال . هل نفى القرآن عن نفسه بناءه بعض القصص على الأساطير ؟ .

هذه هى الآيات التى تعرضت لهذه المسألة من القرآن الكريم

(١) قال الله تعالى « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونه يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين » انعام ٢٥

(٢) وقال تعالى « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » الأنفال ٣١ ، ٣٢

(٣) وقال تعالى « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين » النحل ٢٤

(٤) وقال « بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » المؤمنون ٨١ ، ٨٣

(٥) وقال « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما » الفرقان ٥ ، ٦

(٦) وقال « وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » النمل ٦٧ ، ٦٨

(٧) وقال « والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » الاحقاف ١٧

(٨) وقال ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » القلم ١٠ ، ١٥

(٩) وقال « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » المطففين ١٠ ، ١٣ .

هذه هى الآيات التى صور القرآن فيها هذه العقيدة فلننظر لنرى ماذا فيها من حديث ؟ .

أول الأشياء أنها جميعها من القرآن المكى حتى ما نزل فيها من سورة الأنفال المدنية إذ نص القدماء واعتمد ذلك المصحف الملكى على أن الآيات من ٣٠ — ٣٦ من سورة الأنفال مكية. ومعنى ذلك أن هذا القول إنما كان من المشركين من أهل مكة وأنه اختفى بانتقال النبى إلى المدينة ولذلك سر سنقف عليه بعد حين .

وثانى الأشياء أن القائلين لهذا القول هم فى الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالآخرة وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور . المؤمنون . النمل . الأحقاف . المطففين . ذلك لأن الحديث مبهم فى هذه المسألة بالذات .

ثم هو متصل بسبب قوى بالحديث عن الحياة الآخرة فى آيات سور الأنعام والنحل .

ومعنى ذلك فيما نرى أنهم كانوا يعتبرون الأقاصيص التى تجسم عملية الأحياء بعد الامانة والتى تمثلها للناس على أنها قد وقعت . من الأساطير .

وإذا ما ضممنا إلى هذا أمراً آخر هو أن تلك الأقاصيص القرآنية التى يذهب المستشرقون إلى أنها من الأساطير كقصة أهل الكهف تلك التى يسمونها أسطورة السبعة النيام وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير . » كان موضوعها البعث وأنها تجسم عملية الأحياء بعد الإمانة وتمثلها للناس على أنها قد وقعت . تبين لنا أن الشبهة قد دخلت على أولئك من الباب الذى دخلت منه على هؤلاء .

ومعنى ذلك أن هيكل القصة لا ما فيها من توجيهات دينية كان العامل القوى فى الذهاب إلى هذا القول من أولئك وهؤلاء .

ومن الصدف الغريبة أن المحدثين من المفسرين يرون أن هذه القصة الأخيرة قصة الذى مر على قرية وهى خاوية قد يكون القصد منها التمثيل . فقد جاء فى المنار ج ٣ ص ٤٩ بعد تفسيره لتلك القصة ما يأتى (ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل)

إن الأمر كما قلت فى مقالى السابق يحتاج إلى النظرة الدقيقة الفاحصة . نظرة العلماء الذين يقفون على أسرار الصناعة الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية ويواجهون الحقائق مواجهة العلماء . أما أولئك الذين يفزعون ويهرعون إلى وهمهم كلما تحدث متحدث ليقذفوه بالكفر ويرموه بالإلحاد فأولى للقرآن ثم أولى لهم أن أن يختفوا من الميدان .

إن قوة عقيدة المشركين وسعة أفق المستشرقين يضطر اننا إلى أن نتناول المسألة كما يجب أن يتناولها العلماء .

لنستعرض سويا هذه الآيات ولننظر فسنرى

فى سورة الأنعام يذهب المشركون إلى النبى يستمعون إلى القرآن لكنهم بعد الاستماع يجادلونه ويقولون له ما هذا إلا أساطير الأولين . ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول فى مواجهته وأمام سمعه وبصره إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه الحق وما يرونه الصواب . ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم قوية جارفة .

وفى سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ولا يكتفون فى هذا الموطن بهذا القول وإنما يذهبون إلى أبعد من هذا فى التحدى ويقولون . اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

وإذ كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصوير إحساساتهم كان لابد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة قوية جارفة وتقوم على أساس يطمئن إليه المشركون . ذلك هو ورود بعض الأساطير فى القرآن الكريم .

وفى الأحقاف يقف ولد هو فيما يروى المفسرون ابن أبى بكر من والديه هذا الموقف القاسى المنيف (والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين)

وإذا كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصويره لخلجات الأنفس فإن الأمر الذى لا بد لنا منه هو الاعتراف بأن هذا الشخص الذى يضجر من والديه ويتأفف من قولهما ويشك فى عودته إلى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هى أن القرون قد خلت من قبله ولم يعد إلى الحياة أحد كان قوى العقيدة شديد اليقين فى أن ما يروى له من الأساطير

وهكذا نلحظ أن الشبهة قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصوير الصادق الأمين . ونحن نحس من تصوير القرآن لها أن القوم كانوا صادقين فى التعبير عما يحسون ويشعرون به نحو مايتلى عليهم من آى القرآن الكريم .

والمسألة عقلا لا تحتمل أكثر من فرضين .

الأول أن القوم يقولون هذا القول كذباً وادعاء لتضليل الناس وصرفهم عما يتلو عليهم محمد من آى الذكر الحكيم .

الثانى أن القوم كانوا يعبرون التعبير الصادق عما يدور فى

خلادهم من إحساسهم بأن فيما يتلى عليهم بعض الأساطير .

ونرجح نحن الفرض الثاني ولكن نكتفي في ترجيحنا له على القول السابق من صدق القرآن في تصوير إحساسهم من أن الذي يتلى عليهم فيه بعض الأساطير . وإنما سنعمد إلى شيء آخر يدل على صدق عقيدتهم هو موقف القرآن الكريم .

لنستعرض الآيات مرة أخرى فسنرى .

١ — اكتفى القرآن بوصف هذا الصنيع من المشركين في آيات سور الأنفال والمؤمنون والنمل والأحقاف .

٢ — اكتفى القرآن بتهديد القوم في آيات سور الأنعام والقلم والمطففين . وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبي وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت في القرآن الكريم

٣ — ومرة واحدة رد القرآن عليهم قولهم وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان وهذه هي الآيات . قال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما)

وهو رد لا ينفي كما نرى ورود الأساطير في القرآن وإنما ينفي أنها من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ، ويثبت أنها من عند الله . قل أنزله الذي يعلم السر ... الخ .

ويحسن بنا أن نثبت هنا نصاً للرازي في هذه المسألة فقد قال رحمه الله في ج ٦ ص ٣٥٤ ما يأتي (البحث الأول في بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جواباً عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمنا من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضاً أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي الله وكلامه فلهذا قال (قل أنزله الذي يعلم السر ...) انتهى .

والذي يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازي يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعالى : قل أنزله الذي يعلم السر ... الخ إجابة عن قولهم وقالوا أساطير الأولين ... الخ . ذلك لأن الرد الذي كان يتوقعه الرازي إنما يكون بنفي الأسطورية عن القرآن ومن هنا حاول ما حاول ليجعل إجابة القرآن ملاقية للشبهة .

وأعتقد أن الرازي لم يفطن إلى الصواب فإجابة القرآن هي الإجابة الطبيعية وهي الإجابة التي لا محيد عنها في هذا الميدان . ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير في القرآن وإنما كان على اتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء . ومن هنا كانت الإجابة في محلها وكانت إثبات أن القرآن من عند الله (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) ولم تكن الإجابة نفي ورود القصص الأسطوري في القرآن .

وهذا هو الذي نص عليه الطبري فيما نقلنا عنه من حديث في مقالنا السابق . وهذا هو الذي يدل عليه ما ذكره القرآن من قبلهم (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) .

ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله . ومن هنا وقفوا موقفهم من النبي وقالوا عنه وعن القرآن ما قالوا .

والآن نستطيع أن نلتفت قليلا إلى الوراء .

لقد رصدنا في مقالنا السابق ما نجنيه من الفوائد وقلنا إن أهمها تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين .

والآن نعود إلى رصد شيء آخر هو أعز علينا وآثر عندنا من كل ماعداه ذلك لأنه سر قوي من أسرار إعجاز القرآن الكريم

لقد كان هذا الصنيع الأدبي من القرآن — وهو بناؤه بعض قصصه الديني على أساس من الأساطير القديمة — تجديداً في الحياة الأدبية عند العرب المكيين . وكان تجديداً لم يعرفه القوم من قبل لبعدهم عن الكتب السماوية ومن هنا أنكروه وقالوا ما قالوا عن النبي وعن القرآن الكريم .

ولقد كان هذا الصنيع الأدبي مما ألفه القوم من المدنيين خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذي جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه ولم يقولوا فيه مثل ما قال الأولون من المكيين . ولا يزال هذا الصنيع حتى اليوم من عمل الأدباء المجيدين ولا بدع في أن يكون صنيع القرآن وهو في أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين .

وهذا ما نحسب أنه السر الذي أشرنا إليه في أول هذا المقال من وجود هذه العقيدة بمكة واختفائها بانتقال النبي إلى المدينة

بين السياسة والأدب :

انجلترا فى مرآة حافظ

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ونعود ثانية إلى حافظ ، فنذكر أنه استقبل السير غورست خليفة اللورد كرومر بقصيدة حافلة ، نطق فيها بآلام الشعب وآماله وعاوده السخط على العميد الراحل ، فسلقه بلسان حاد قاتل ، ثم انتقل به الحديث إلى عدو اللغة العربية « دنلوب » وما ارتكبته فى دار المعارف من حماقة ونزق ، فقال .

رمى دارة المعارف بالرزايا   وجاء بكل جبار عنيد
يدل بحوله ويتيه تيها   ويعبث بالنهى عبث الوليد
فبدد شملها وأدال منها   وصاح بها سبيلك أن تبيدى

لمعرفة الآخرين لذلك الصنيع .

تلك هى نظرة القرآن فى موقفه من حديث القوم عن الأساطير ألمت بها وشرحتها كما فهمتها وأرجو أن أكون فى هذا الفهم من الموفقين .

والآن أفلا يزال الأحمدان الفاضلان عند رأيهما من أنا نستحق أن نتهم بالكفر ونرمى بالزندقة ونوصم بالإلحاد .

اللهم إنك لتعلم أنا نحرص على فقه كتابك المعجز ووحيك العربى المبين .

واللهم إنك لتعلم أنا قلنا ما قلنا طلباً للفهم الدقيق لآياتك وحباً فى الوقوف على سر من أسرار إعجازك .

واللهم إنك لتعلم أنا نؤمن إيماناً قوياً جازماً بصدق قولك المنزل على نبيك المرسل [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون] .

ولقد صدقت يا ألله فانتصر الحق وآمن بالرأى من لم يؤمن به من قبل ، والسلام .

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد

فليت كرومرا قد دام فينا   يطوق بالسلاسل كل جيد
لننزع هذه الأكفان عنا   ونبعث فى العوالم من جديد

وقد كان شاعر النيل صادقاً حين عبر فى هذه القصيدة عما يضمره المصريون للمحتلين من غضب وغيظ . وكيف نغرت فى النفوس جراح دامية لا تكاد تندمل حتى يهيجها الشر مرة أخرى فتنفث ما بها من قيح وصديد ، اسمعه إذ يقول :

جراح فى النفوس نغرن نغرا   وكن قد اندملن على صديد
إذا ما هاجهن أسى جديد   هتكن مرائر القلب الجليد
فنح غضاضة التاميز عنا   كفانا سائغ النيل السعيد
أرى أحداثكم ملكوا علينا   بمصر موارد العيش الرغيد
أكل موظف منكم قدير   على التشريع فى ظل العميد
اذ يقونا الرجاء فقد ظمئنا   بمهد المصلحين إلى الورود

وإذا كان اللورد السابق قد ارتكب جرائمه فى وضح النهار فإن السير غورست قد تقنع بالمكر والخديعة فأظهر كثيرا من البشر والابتسام ، بينما أخذ ينفث سمومه القاتلة فى دامس الظلام ففرق بين المنصرين الوطنيين ، وأعاد النعرة الطائفية جذعة ، ثم اتفق مع أولياء الأمر على محاربة المخلصين من أشياع الحزب الوطنى وما لبث المصريون أن عرفوا نيته الخبيثة ، فقام حافظ يندد بهذه الملاينة الماكرة ، وصاح فى ذكرى مصطفى كامل يقول :

وللسياسة فينا كل آونة   لون جديد ورأى ليس يحترم
بينا ترى جرحها تخشى ملامسه   إذا به عند لمس المصطفى فحم
تصغى لأصواتنا طورا لتخدعنا   وتارة يزدهيها الكبر والصمم
فن ملاينة أستارها خدع   إلى مصالبة أستارها وهم
إذا سكتنا تناجوا تلك عادتهم   وإن نطقنا تنادوا : فتنة عمم
ماذا يريدون لا قرت عيونهم   إن الكنانة لا يطوى لها علم
قالوا لقد ظلموا بالحق أنفسهم   والله يعلم أن الظالمين هم

وأنت ترى شاعر النيل فى إبيانه المتقدمة غير قاس فى هجومه وله العذر فى ذلك ، فقد كان قانون المطبوعات قد بعث من مرقده إبان ذلك ، فقيد حرية الرأى والكتابة ، وعملت وزارة بطرس غالى باشا — بإيعاز من غورست — على محاربة الكرام الكاتبين والشعراء النابهين من أبناء الوطن المخلصين ، ولم تفلح الضجة الكبيرة التى قام بها الشعب فى وجه هذا المشروع الخطير ، فاضطر حافظ إلى الملاينة قليلا بعد أن أصبح القانون ضربة لازب ، وبعد أن حاربه فى جد وصرامة فقال .

كانت تواسينا على آلامنا صحف إذا نزل البلاء وأطبقا
فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت عنا أسى حتى تغص وتشرقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهما نرمى بها وسوابقا عند اللقا
مالى أنوح على الصحافة جازعا ماذا ألم بها وماذا أحدقا
قصوا حواشيها وظنوا أنهم أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
وأتوا بحاذقهم يكيد لها بما يثنى عزائمها فكانت أحذقا
كانت صماما للنفوس إذا غلت فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفست عن صدر حر واجد لولا الصمام من الأسى لتمزقا

وفى النهاية قد لجأ حافظ إلى الصراحة التامة فى موقفه بعد أن عيل صبره ، فحذر المصريين من بسمات خورست وندد بوعوده الكاذبة ، وارتاب فى ملاينة هذا الثعلب الماكر فهو يقول فى شأنه .

فكم ضحك العميد على لحانا وغر سراتنا منه ابتسام
فلا تثقوا بوعد القوم يوماً فإن سحاب سادتهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى أرى السواس ليس لهم ذمام
فما ســادوا بمعجزة علينا ولكن فى صفوفهم انضمام

وقد أراد الله لمصر بعض الخير ففات السير خورست واستراح الشعب من حبائله الصائدة ، ولكن حافظا لم ينتظر فى دنيا الحرية كثيراً بعده حتى يواصل حملاته العادلة ، بل انتقل إلى العمل فى دار الكتب المصرية ، وللوظيفة قيود تكبل بها الألسنة الصارخة لا سيما إذا كان صاحبها ذا ضرورة إلى ما تدره عليه من أجر ، فألجم الشاعر فاه عن السياسة ، وحطم قيثارته الشادية ، وتلك خسارة فادحة غرمها حافظ أكبر غرم ، كما قابلها عشاق أدبه الرفيع بهم زائد وأسف وجيع .

وقد يقول قائل : لماذا أمسك حافظ وحده عن النظم السياسى كوظف في الحكومة ؟ مع أن زملاءه الموظفين من الشعراء النابهين كعبد الحليم المصرى ، وأحمد نسيم ، ومحمد الهراوى ، وعبد المطلب قد واصلوا العزف على أوتارهم السياسية ، دون أن يقف فى طريقهم واقف ؟ ! وأنا أقول إن الرقابة كانت موجهة إليه أكثر من غيره لما يعرفه أولو الأمر من تأثيره القوى فى الجمهور ، وإلا فهل كان من المعقول أن تندلع الثورة المصرية ، ويننى الزعماء ، ويعتقل الشباب ، وتنشق الكلمة وتختلف الأحزاب ؛ وشاعر النيل ساكت عن ذلك كله بإرادته ومشيئته ! كلا ثم كلا ! بل إنه نظم قصائد حية ، ونشرها غفلا من إمضائه كما وزعت بعض المنشورات السياسية تحمل قلائده اللامعة ، وجميع ما قاله فى هذه الآونة لم ينشر على الناس عامة إلا بعد استقرار الحالة فى مصر ، وقد أشار إلى ذلك ديوانه فى مفتتح بعض القصائد ، كما أنه كان ينتهز الظروف التى تحميه من العقاب فينفض ما فى وعائه ، واقرأ قصيدته التى قالها فى تهنئة سعد زغلول بنجاته سنة ١٩٢٤ فستجده يقول .

لا تقرب التاميز واحذر ماءه مهما بدا لك أنه ممسول
الكيد ممزوج بأصفى مائه والختل فيه مذوب مصقول
كم وارد يا سعد قبلك ماءه قد عاد منه وفى الفؤاد غليل
القوم قد ملكوا عنان زمانهم ولهم روايات به وفصول
ولهم أحابيل إذا ألقوا بهـا قنصوا النهى فأسيرهم مخبول
ولكل لفظ فى المعاجم عندهم معنى يقال بأنه معقول
نصلت سياستهم وحال صباغها ولكل كاذبة الخضاب نصول
جمعوا عقاقير الدواء وركبوا ما ركبوه وعندك التحليل

وهذه نفثة حارة ترى لها نظائر عديدة فى مراثيه الخالدة لزعماء النهضة المصرية ، وهى — على كل — قد أفصحت عن لواعجه الكظيمة ، وإن لم تكن الغرض الأول الذى قصد إليه الشاعر ، وإنما مهد لها فأحسن التمهيد .

هكذا وقد مكث حافظ فى منصبه الحكومى عشرين عاماً خسر فيها الشعر السياسى كثيراً من درره ، ثم أحيل إلى المعاش قبل وفاته بأربعة أشهر فقط ، وما كاد يستنشق نسيم الحرية حتى نظم فى هذه الأيام المعدودة قصائد عامرة من قوله البليغ ، ندد فيها بأساليب الدخلاء ، وصنائعهم من المصريين ، وقد بلغت إحدى قصائده مائتى بيت !! ولو مد الله فى أجله لبل الصدى ونقع الغليل على أنه — رحمه الله — لم يتمهل مطلقاً فى شعره الأخير ، بل كان ينظمه فى سرعة تشبه الارتجال ، كقوله فى مخاطبة المندوب السامى .

ألم ترنى الطريق إلى كياد تصيد البط بؤس العالمينا
ألم تلمح دموع الناس تجرى من البلوى ألم تسمع أنينا

مولد شاعر

للآنسة نعمت فؤاد

أرى خلل الرماد وميض نار   وأخشى أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم   يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعرى   أأيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهمو نياماً   فقل قوموا فقد حان القيام

بهذه الأبيات سار كتاب نصر بن سيار والى خراسان إلى مولاه أمير المؤمنين مروان بن محمد . وكانت الدعوة للرضا من « آل محمد » تسير بنجاح فى أنحاء دولة العروبة لاسيما فى خراسان موطن الفرس الذين تغلى صدورهم حقدا على بنى أمية . ألم يدعوهم « الموالى » إدلالا عليهم بالسيادة العربية ؟ ألم يقصوهم عن المناصب الرفيعة ضنا بها على غير العرب ؟ لينتقم الفرس إذن وليهتبلوا الفرصة وها هى تى قد حانت . إن العرب منقسمون على أنفسهم إلى هاشميين وأمويين كما انقسموا فى السقيفة إلى مكيين ومدنيين فليضربوا هؤلاء بهؤلاء عسى أن يذهبوا جميعاً فينفسح الطريق لعودة المجد السليب .

بث الفرس الدعوة لبنى هاشم عساهم إن آل الملك إليهم عرفوا لهم صنيعهم وأنابوهم عليه نفوذا حرموه ، وجاها ولى حين آذن القدر شمسهم بالمغيب .

وانضم إلى الفرس ربيعة واليمن ولم يبق مع بنى أمية إلا المضريون . وكان مروان خليقا بالقضاء على الثورة والانتصار عليها كما انتصر معاوية على أبطال صفين لولا أنها اندلعت فى كل مكان فهى تمور .

إذن حان القيام كما قال نصر بن سيار فأرسل الخليفة الجيوش إلى أطراف الدولة لتطفىء الفتنة وتقر السلام .

وسار الجيش الرئيسى إلى خوز ستان جيش لهام لا تتبين العين جنوده من العثير المثار . وما إن دخل الأهواز عاصمة خوز ستان حتى ألقى الرعب فى القلوب قبل أن تنتضى السيوف وتفوق السهام وتشرع الرماح .

وسر الخليفة إذ اطمأن على هيبته وسلطانه فى ملكه وفرح الجنود إذ كفاهم الله القتال . ورجع القائد بجيشه بعد أن ترك قوة تقمع من تحدثه نفسه بالوثوب .

ألم تخبر بنى التاميز عنا   وقد بعثوك مندوبا أمينا
بأنا قد لمسنا الغدر لمسا   وأصبح ظننا فيكم يقينا
كشفنا عن نوايا كم فلستم   وإن برح الخفاء محايدينا
ضربتم حول قادتنا نطاقا   من النيران يعيى الدارعينا
على رغم المروءة قد ظفرتم   ولكن بالأسور مصفدينا

ولعل القارىء قد نظر من وراء هذه الأبيات الحزينة روح قائلها اليائس ، ولا جرم فهى زفرة حارة صعدت من صدر ضيق يشعر أنه فى عهده الأخير .

ولا نختم هذا البحث دون أن نشير إلى الأبيات التى مدح بها حافظ أخلاق الانجليز أثناء قيام الحرب العالمية الأولى فقد خدع رحمه الله — وكان طيب القلب — بما كانوا يصفون به أنفسهم من دفاع عن الحرية ، وتضحية فى سبيل البادىء الإنسانية ، فقال يخاطب السلطان حسين كامل .

ووال القوم انهمو كرام   ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم فى الغرب قوم   من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فما درهم حبال الود وانهض   بنا فقيادنا للخير سهل

وما لبث الشاعر أن أدرك خطأه الواضح . حيث صدق دعايتهم الجوفاء ، فانبرى يشهد بأخلاقهم مستغفرا عن ذنبه السالف وآخر ما قاله فى ذلك .

لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم   فمصابكم ومصابنا سيان
حاربتمو أخلاقكم لتحاربوا   أخلاقنا فتألم الشعبان

ثم استسلم رحمه الله إلى نومه الطويل

(وبعد) فقد كان الأولون من المؤرخين ، يذكرون الحادث السياسى مشفوعا بما قاله الشعراء فيه ، وقد رأينا كثيراً ممن أرخوا فترة الاحتلال الداجيه قد تنكبوا عن هذا الطريق ، فلم يسجلوا ما ناح به الشعراء فى هذه المحنة القاسية ، على ما فيه من ترويح للباحث ، وإمتاع لروحه الملول ، ولك أن تقدر سرور القارىء حين يرى بجانب تاريخ كرومر نفثة حارة لشاعر قومى كمحمد حافظ ابراهيم .

(الكفر الجديد)

وكان « هانيء » ممن بقى فى الأهواز من الجنود . وتاقت نفسه يوما إلى الخلوة فى ناحية من المدينة يتملى الذكريات ويحيا فى الشام بفكره ساعة أو بعض ساعة يستجلى منازل صباه ، ومغانى هواه ، وتربة آبائه وأجداده عل الذكرى تفيض على قلبه سلاما يهدهد حنينه ويفثأ لوعته .

وأطاعت « هانيء » قدماه حتى انتهى إلى النهير الذى تقع عليه مدينة الأهواز والذى يصب فى شط العرب . فرآه أبيض الصفحة صافيا تتهامس مويجاته ويميل النسيم بأغصان الشجر عليها فتخالها تسترق السمع .

ويسير « هانيء » مع النهر فى اتجاهه مأخوذا بسحره ، طروباً من الأغنية الرائعة التى تتألف من هسيس النهر ، وهفهفة النسيم ، ومنامسة الشجر .

وسار « هانيء » بضع خطوات ثم وقف فجأة مبهوتا أو كالمبهوت ! أى فتاة هذه التى راعته هذه الروعة ؟

إنها فارسية صغيرة لم تتجاوز بعد عامها العشرين قد أخذت مكانها تحت شجرة فينانة على شاطىء النهر . وكانت بنت الفرس تتألق فى ثوب أرجوانى جميل قد أرخت غدائر نصف منحلة كليل امرىء القيس إذ كانت تتهدل على كتفيها تارة ويلق بها النسيم على صدرها تارة أخرى فى حركة تشبه موج البحر .

ورجعت الفتاة إلى قريتها « استانة أثار » ومعناها بالفارسية باب النهار وصاحبنا فى إثرها لا يلوى على شيء وهناك عرف أن اسم فتاته « جلبان » ومعناها بلغة قومها « غصن الورد » .

لكأنما وضع لها هذا الاسم الجميل بعد ما تفتحت من كمها فهذه القامة الفارعة أشبه شيء بالغصن الريان ، وهذا الوجه المشرق الذى يتورد إلى كل من لاقاه هو فى جمال الورد يجذب إليه الفراش من كل لون .

ولم يمض على زواج « هانيء » من جلبان شهور حتى دعى إلى الانضمام إلى الجيش المحارب .

ولبى الفتى العربى داعى الوطن وداعى العصبية التى طالما نخرت على الفرس .

والتقى الجيشان عند نهر الزاب وكان قتال ... قتال رهيب يحضأ فى ناره الفرس الذين هزمهم العرب فى القادسية واليرموك فأرادوه ثأراً يبرىء النفوس التى تتمزع من الغيظ ، ويغسل العار .

وعثر جد أمية لما أراد الله أن يذهب بدولتهم وطاحت الحرب بمروان ورجع جنود الأمير عندما أصبحت المقاومة عديمة الجدوى وآب هانيء إلى عروسه كاسف البال تمس النفس لهزيمة العرب فوجدها جذلة لظفر الفرس فخورة بنصرهم .

ولما كان القلب لا يعرف الجنس فى هواه فقد عاش الزوجان فى سعادة لا يرنق صفوها كدر .

وولد لهما فى دولة العباس ابنهما « الحسن » الذى عرفته قصور الرشيد والأمين نديما شاعراً ، وعرفته بغداد طائرها الفرد الذى طالما شدا بحضارتها وشاد بمجدها وصور نعيمها ، وغنى مجالى أنسها . وعرفته البصرة شادياً للعلم والأدب والشعر فى مسجدها ومربدها ثم عالماً شاعراً ، وعرفته مصر شاعراً فلا يفد عليها مادحا للخصيب مدحته البلقاء التى مطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

تلك القصيدة التى عارضها شاعرنا البارودى بقصيدته التى مطلعها هذا البيت الرقيق الشجى :

تلاهيت إلا ما يجن ضمير وداريت إلا ما ينم زفير

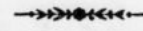
* * *

هذا هو الحسن بن هانيء الذى كنى نفسه أو حمله أستاذه خلف الأحمر على التكنى بكنى اليمن فتكنى أبا نواس .

نعمت فؤاد



عجـــول وأناسىّ ... !



— يا شيخ ... يا معلم — صلى عا النبى !

— أصلى عا النبى إيه ... اسكت يا عم خليك فى حالك ... !

صاح بالعبارة الأولى رجل فى المدخل الشمالى لميدان السيدة زينب ، ينادى بها فظاً غليظ القلب من بنى آدم كان بالليل يسوق أمامه عدداً من العجول الصغيرة قد سلكها جميعاً فى حبل ، وصار يدفعها بإحدى يديه فى غير هوادة إلى حيث تذبح ، ويهوى على أجسامها لايبالى أين يقع ضربه بحبل غليظ معقد كلما أبطأت ، أو على الأصح كلما جهدت وتقطعت أنفاسها فاضطرها الإعياء والكلال إلى الإبطاء ...

ورد ذلك الفظ فى غلظة ووحشية يطلب إلى من يسأله الرفق أن يبقى فى حاله فلا يتدخل فى شأنه ؛ وما ملك هذا إلا أن يحوقل ويستغفر الله ويستعيذ به ، ويركن بعد لسانه إلى أضعف الأيمان !

ونظرت فإذا بذلك الغليظ الفظ يزيد الضرب بحبله على أجسام هاتيك العجول الجاهدة ويزيدها دفعاً ولكما ؛ ووقع أحدها على الأرض فجذب الصف كله وجذبه الصف فانقلب على ظهره وزعق زعقة مثلت لى ألمه بصورة لم يكن ليمثلها لى كلامه لو أنه تكلم ! ... زعقة أشبه بزعقة الآدمى يبتعثها منه الألم وفمه مزموم ، فهى بين حنجرته وخيشومه ... وكأنما يقول العجل الصغير آه ... وخيل إلىّ كأنما يدعو العجلُ ضاربه أن يصلى على النبى ! وأهوى الغليظ الجلف بحبله المعقد على العجل المسكين وحده ، وقد تمدد على جنبه وهو يحاول أن يضع صدغه على الأرض فتجذبه العجول وقد اضطرب نظامها ، وإن جسده كله لينتفخ ويهبط فى سرعة من فرط ما يلهث ، وإنه ليحاول النهوض من ألم الضرب فما يزيد على أن يبسط أرجله ويثنيها فى الهواء تارة ، وعلى الأسفلت الجامد جمود قلب هذا الغليظ تارة أخرى ... ثم جذبه الجلف من إحدى أذنيه ومن ذيله جذبة قوية وركله ركلة شديدة ، فوقف على رجليه يلهث ، ومشى مع بقية العجول ، وصاحبه الفظ يمسك بذيله مخافة أن يقع ثانية على الأرض ... !

وتحرك قلبى لما رأيت ، ولكننى لم أستطع أن أصنع شيئاً ، ولا يعيبن القارئُ علىّ أضعف الإيمان ، فالرجل غليظ وحبله أغلظ ، وما تعلمت الملاكمة ، أو كانت لى حتى بمخاطبة الغلاظ الجهال طاقة ... ولم يكن على مقربة منى شرطى أستعينه ... شرطى ؟ والله لو وجد لسخر منى أن أدعوه إلى مؤاخذة الرجل على صنعه ، ولظن بعقلى الظنون ...

وأعيذك أيها القارئُ أن تعجب أن يتحرك قلبى لمثل هذا المنظر ، فما أحب إلا أن تكون رفيقاً ، وإذا أنت ترفقت بالعجول كنت حرياً أن تترفق ببنى آدم ... ولقد تداعى لهذا المنظر الأليم فى ذهنى معنى ... بل معان ... فكم من الآدميين من يرتبطون هكذا على خسف ويسقطون من كلال وإعياء ، وعلى جنوبهم وظهورهم تهوى أيد خفية بما هو أقسى من الحبل المعقد الغليظ ... أجل كم من آدمى فى الأصفاد والأغلال وإن لم تمض بساقيه سلسلة ، أو يخنق عنقه غُل ... كم من البشر من يساقون كما تساق هذه العجول ليكدحوا فى لظى الصيف وفى زمهرير الشتاء كى يسعد فريق مثلهم من بنى آدم بطيبات الحياة ، وأى فرق لعمرى بين هذا وبين الرق ؟ !

آهٍ لقلبى ... وأفٍّ لمنظارى ... يا عجبا ! ما أسرع ما تمثل لى هذا المعنى الذى طاف بخاطرى ، فإذا هو صورة مجسدة تدب على الأرض ، فها هو ذا عسكرى غليظ شديد يسوق أمامه رهطاً من الغلمان ، قد ربط ذيل هذا فى ذيل ذاك ، أو يد هذا فى يد جاره ، إن لم يكن لهما ذيلان يربطان ، وقد التقطهم جميعاً من الشارع ، وكان ذلك فى نفس الميدان من مدخله الجنوبى ، ولا بد أن قطيع العجول قد مر برهط الصبية قبل أن تقع عينى عليهم بدقيقتين أو ثلاث !

وأخذ العسكرى الغليظ الفظيع يهوى بكفه الثقيلة المعقدة بما يتحلى به من خواتم غليظة على قفا هذا الصبى الهزيل مرة ، وعلى قفا ذاك المريض النحيل مرة ، والويل لمن يلتفت وراءه من

الصبية ؛ وكان هؤلاء المساكين كلما سمعوا وقع الكف الثقيلة المقدة على قفا أحدهم ، رفعوا أكتافهم ونزلوا برؤوسهم ليخفوا أقفيتهم ، والرعب ملء جسومهم ، وحسبهم ما هم فيه من جوع وعري ومرض وشقاء ...

ولم أطق صبراً فدنوت من هذا العسكري العاتي ، فليس في يده حبل أخاف منه ، وإنه لحري أن يغره تدخلي وجرأتي فيحسبني من رجال النيابة مثلا أو من أولي الجاه على أي حال وقلت في لهجة الآمر لا في لهجة المستفهم « لا تضرب هؤلاء المساكين يا شاويش » .

وصدق ظني فقد رفع العسكري يده إلى رأسه بالتحية ، وراح يفهمني أن هؤلاء هم سارقو الجيوب وخاطفو الحلي ... و ... و ... فقاطعته وأنا أوهمه أني أحفظ رقمه قائلا « لا تضربهم مرة ثانية » ونظر إلى هؤلاء المساكين وقرأت في كل وجه من وجوههم الشاحبة معنى أسمى من أن أصفه بالشكر .:. ووقعت نظراتهم من نفسي موقعاً لن ينهض لتصويره أبلغ الكلام ...

وتدخل شاب حاسر الرأس عليه حلة أنيقة وتحت إبطه مجلات وكتب فخاطب الشرطي في عنف قائلا : « ألك أولاد يا شاويش ؟ أترضى أن يعامل أولادك هذه المعاملة ؟ » ثم أدار إلى الحديث قائلا « ومع ذلك فنحن كما نزعم أمة متمدنة ... في أي بلد متمدن يوجد مثل هؤلاء المساكين في الشوارع على هذه الصورة ؟ وأين ما نسمع عنه من أسماء المبرات وجمعيات الإحسان والخير ؟.. لقد مر بي منذ لحظة قطيع من العجول يدفعه فلاح عات كما يدفع هذا الشرطي الصبية فاشمأزت نفسي لذلك المنظر وتكدر خاطري ، ثم ما لبثت أن رأيت هؤلاء المساكين.. ألا إن بيننا وبين الرق أجيالا وأجيالا وإنما تخدعنا العمارات الضخمة والسيارات الفخمة والمواسم الكبيرة » .

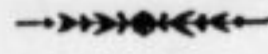
وانطلق الشاب وقد غاب عن بصره وبصري الشرطي والغلمان ، وقلت لنفسي ما أوسع الفرق بين مصير العجول ومصير الصبية ، فإنما تساق هذه العجول إلى حيث تريحها سكين الجزار ، ويساق هؤلاء الصبية إلى حيث ينتظرهم العذاب الأليم !

الخفيف

رسائل حائرة :

الرسالة الثالثة ...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

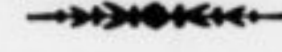


حسبتك تعرفين دواء روحي ... وخلتك تعطفين على جروحي
ولكني وجدتك لم تبالي ... بما يلقى أخو القلب الطليح !
بثثتك ما ألاقي من زماني ... وبحت بما لديّ ؛ لكي تبوحي
فكان الصمت والإعراض رداً ... أقض مضاجعي ، وأمض روحي
عرفتك ... فاذهبي! أو كفاك أني ... من الآلام كالعاني الطريح
سأحيا طول أيامي وحيداً ... على الحرمان ، واليأس المريح
سأجعل هذه الأيام تهوي ... هُويّ الصخر من فوق السفوح
وأعزف للفناء نشيد روحي ... ليحملها إلى الأفق الفسيح !
فإن حمل الفناء حطام روحي ... فلا تبكي عليّ ، ولا تنوحي
وإن وارى الثرى ذرات جسمي ... فقري عند ذلك ، واستريحي
ولا تضعي ورودك فوق رمسي ... ولا تبكي هناك على ضريحي
فأنت قتلت آمالي جميعاً ... وبعثرت الشباب بكل ريح !
وأنت جرحتني في القلب جرحاً ... أراه غير مندمل القروح
ولو أني وصفتك في قصيدي ... بما تدرين من وصف فصيح
لقالوا إنني إياك أعني ... فمن باغ عليك ، ومن نصيح
ولكني سأكتم ما بنفسي ... وأمنعها من القول الصريح
وأحفظ في حنايا القلب شيئاً ... بعثت به من الوطن الجريح !
رسالتك التي صورت فيها ... تعارفنا على رغم النزوح !
وما أنا قد نسيت جراح قلبي ... ولا أنا عن جفائك بالصفوح
ولكني أرق لكل أنثى ... وإن جارت على الأمل الطموح !
وأدفع عن صباها كل سوء ... وأحمله بقلب مستريح
سأنسى أنني أفضيت يوماً ... بأسراري إلى قلب جموح
سأنسى أنني منيت قلبي ... بأن يروى من النبع الشحيح!
سأنسى ... ثم أذكر أن يوماً ... سيأتي قد تطيب به جروحي

ابراهيم محمد نجا

صوت من الشمال ...

للأديب أحمد هيكل

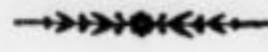


أشقاءنا هذى لحون من الخلد ... وشعر كأنفاس الأزاهير والورد
وليست لحونى رجع ناى وإنما ... صدى نبض مصر بالمحبة والود
وما هو شعر بل قلوب تجمعت ... أكاليل من آل الشمال لكم عندى
تحايا أشقاء تناهى حنينهم ... فأضحوا على شوق وباتوا على سهد
تحايا ظماء ربهم أن يقبلوا ... أشقاءهم ألفاً على الثغر والخد
تحايا الملايين الذين قلوبهم ... تكن لكم حبا هو النار فى الزند
تحايا الوفيين الذين رجاؤهم ... تفيؤكم ظل الرفاهة والسعد
وآمالهم أن تبقوا ـ الدهر ـ إخوة ... وغاياتهم أن تبلغوا ذروة المجد
أشقاءنا يا من بلادى بلادكم ... وخالكم خالى وجدكم جدى
ويا من رآنا الدهر شعباً موحداً ... على حين كان الدهر يلعب فى المهد
ويا من توحدنا : دماء وألسنا ... ودينا نهينا فيه عن فرقة تردى
ويا من سقانا النيل ماء ووحدة ... ستبقى على رغم الدسائس والكيد
فهيهات أن يقووا على فصم عروة ... تناهت بها عقدا يد الأحد الفرد
أشقاءنا إنا على العهد لم نزل ... وإيماننا أن الجنوب على العهد
فنحن وأنتم مثل جسم وروحه ... يواريهما التفريق فى ظلمة اللحد
ونحن وأنتم كالعيون بياضها ... بغير سواد ليس يبصر أو يهدى
أشقاءنا إن الأفاعى توافدت ... علينا من «التاميز» سافرة القصد
خذوا حذركم فاللدغ منها سجية ... وإن خادعت باللين فى ملمس الجلد
خذوا حذركم لا تتركوها سلاسلا ... مسممة حول الرقاب وفى الأيدى
خذوا حذركم لا تتركوها مقارضاً ... فتشطرنا شطرين كالقوم فى الهند
خذوا حذركم لا يقرب النيل سمها ... ليبقى على الأحقاب أحلى من الشهد
فنرشف منه السلسل العذب إخوة ... يظللنا تاج على مفرق المجد

أحمد هيكل

البنفسج

للأستاذ محمود عماد



لك يا بنفسج زرقة ... عينى إليها تستريح
من زرقة البحر استعير ... ت أو من الجو الفسيح
أو من عيون الراهبا ... ت الشقر ترنو للمسيح
كم قلت رغم لسانك المقو ... د من قول فصيح
وأريجك الوسنان ما ... أحناه فى صدرى الجريح
مالى إذا أستافه ... يمتادنى خدر مريح
يسرى بروحى بين أو ... دية من الأحلام فيح
فأخالنى البدوى طا ... لع مرج قيصوم وشيح
أو راوحته من حمى ... ليلاه عند الفجر ريح
تدرى بسرى يا بنفـ ... ـسج من صباى وما تبوح
كنت الهدية والتحيـ ... ـة فى الدنو وفى النزوح
إنى كبرت ولم تزل ... بشبابك الغض الصبيح
تهواك كل مليحة ... وشذى هواك بها يفوح
وبصدرها العالى محـ ... ـلك حين تغدو أو تروح
إذ أنت فوق الصدر ريحا ... ن وطى الصدر دوح
عجباً تصبيت المليـ ... ـح وما تصباك المليح
سيماك تشعر بالوقا ... ر الجم والعقل الرجيح
يا راهب الزهر الوقو ... ر عليه قائمة المسوح
فى ديره يرعى عذا ... رى الورد دامية الجروح
هات اسقنى من خمر دير ... ك فى الغبوق وفى الصبوح

محمود عماد

الأدب والفن في أسبوع

الناصر :

مسرحية شعرية وضعها الأستاذ عزيز أباظه باشا ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ، وافتتحت بها الفرقة المصرية موسم التمثيل بالشتاء على مسرح الأوبرا الملكية .

تتكون المسرحية من أربعة فصول ، يظهر على المسرح فى الفصل الأول عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، وقد عقد مجلساً حضره الوزراء والقواد والعلماء والأمراء والشعراء ، لاستقبال الوفود التى بعث بها إليه ملوك البلاد الأوربية ، ليخطبوا وده ويؤكدوا حسن علاقاتهم به ، ولبعضهم إلى هذا مطالب كإيفاد طبيب معالج أو قائد مدرب يشبه ما يقال له اليوم « البعثة العسكرية » أو « الخبراء العسكريون »

وتتلخص حوادث الفصول الثلاثة الأخر ، فى علاقة حب بين « الحكم » ولى عهد الناصر وولده الأكبر وبين فتاة من نسل أحد ملوك اسبانيا الذين تغلب عليهم الناصر ، وهى تعيش فى كنف الخليفة كابنة له وتدعى (شفق) وتحاول جارية أخرى اسمها (منى) من بنى جلدتها أن توغر صدرها على الدولة العربية لتشاركها فى العمل لصالح قومهما بالتجسس ونقل أنباء جيش الناصر إليهم ، فرة تنصاع لها ، ومرة تغلب جانب الوفاء لحبيبها ولى العهد وأبيه الخليفة الذى يتبناها ويرعاها

وفى خلال ذلك تظهر منافسة بين ولدى الناصر : الحكم وعبد الله ، لأن الثانى ينفس على أخيه إيثار أبيه إياه وتقديمه عليه ، فلا يجد وسيلة لنقل ولاية العهد إليه إلا الاتصال بدعاة الفاطميين فى الأندلس الذين يغشون القصر لملاقاة عبد الله ، فتكشف أمرهم « الزهراء » الجارية التى فتنت الناصر وملكت هواه ، فتحاول إصلاح عبد الله ، ويبلغ الأمر مسمع الخليفة فيأمر بقتله . أما الجاريتان شفق ومنى فيجرى الأمر بينهما على ما تقدم ، حتى يبلغ (الزهراء) أن أخبار الجيش تتسرب إلى الأعداء ، فتبلغ الناصر ، فيهم باتهام ولده الحكم ولى العهد وقائد الجيش ، ولكن تسرع شفق فتعترف بأنها الخائنة التى استغلت حب الحكم فى انتزاع الأسرار منه وإيصالها إلى الأعداء ، فيوبخها الناصر ، ويبكتها الحكم ، ثم يتركانها تبكى وتنتحب ... فتأتى إليها منى ، ويحتدم الجدل بينهما ، شفق تبدى الندم على الخيانة ، ومنى تحاول أن تغير شعورها ، ولكنها تيأس منها فتطعنها بخنجر وتتركها تتلوى وتهوى ... فيقبل الحكم ويبدى جزعه ، ويأتى الناصر ، ويستحث الحكم على النهوض للسير بالجيش المعبأ إلى ميدان القتال ، فيتثاقل ، فيؤنبه الناصر ويبدى استعداده لقيادة الجيش بنفسه وهو فى الشيخوخة ، فينهض الحكم من جوار جثة حبيبته ، ليذهب إلى ملاقاة الأعداء . وتلتقى الستارتان .

فترى من حوادث المسرحية أن الخيط الذى ينتظمها واه ، وهذا الخيط هو حب الحكم لشفق ، والظاهر أن الهدف عرض صفحة مشرقة من التاريخ العربى الإسلامى فى الأندلس ، فيمكن أن يقال إن مسرحية « الناصر » هى مجموعة من المناظر المتخيلة فى عصر عبد الرحمن الناصر ، ويكون هذا القول أدق من أن تكون قصة أو رواية ذات حبكة ، ولها محور تدور عليه الوقائع التى تعبر عن الغرض منها ، فهى من هذه الناحية تختلف عن مسرحيتى « قيس ولبنى » و « العباسة » اللتين وضعهما المؤلف من قبل .

وكذلك تختلف مسرحية « الناصر » عن المسرحيتين السابقتين فى أسلوب الحوار ، فقد عدل الشاعر فى هذه المرة عن الأسلوب الخطابى المطول إلى المخاطبة بالقدر الطبيعى المقبول وإلى اللباقة وبراعة اللفتة ، مما بعث الحياة فى الحركة على المسرح . وقد تجلت إنسانيته فى المواقف التى أنطق فيها أشخاصه بالألم من ألوان فى الحياة يبدو فى ظاهرها النعيم ، كحياة الخصى فى القصور الخالية من الزوجة والأبناء ، وكعيش الجوارى فى ظلال النعمة السابغة ، محرومات من الحرية والكرامة ... وسمت شاعريته على لسان « شفق » وهى تتذكر معاهد صباها فى ديار قومها وتقارنها بحياة الذل والإسار فى ديار الغالبين ، وأجادت أمينة رزق فى تمثيل ذلك كل الإجادة .

والمسرحية جيدة من حيث هى شعر ، وقد نجحت بعض

النجاح فى تحقيق الغرض منها، وهو إظهار صفحة مشرقة من مجد العرب بالأندلس، ولم أقل بتمام نجاحها فى هذا، لأنها لم تستكمل عرض عناصر ذلك المجد، فقد كان عصر عبد الرحمن الناصر العصر العربى الذهبى بالأندلس الذى يماثل عصر الرشيد بالمشرق، ولم تقم «ذهبية» ذلك العصر على القوة العسكرية فحسب بل قامت، إلى جانبها، على التقدم فى العلوم والفنون والآداب، والحديث عن شغف الناصر بها وارتقائها على يديه مأثور مستفيض. ولكن مسرحية «الناصر» قليلة الحظ من هذه العناصر، وبعض هذا القصور يرجع إلى الإخراج وبعضه إلى التأليف، فقد كان يمكن أن يعرض شىء من النقوش والتماثيل التى كانت يتحلى بها قصر الزهراء والقصر الكبير فى قرطبـــة، والتى أفاض المؤرخون فى الحديث عنها والإشادة بفخامتها ودقائق صنعها. وقلت الموسيقى، وأهمل الغناء كل الإهمال، وقد قدمت إحدى الجوارى المهداة إلى الخليفة ووصفت بأنها تجيد الضرب على الطريقة العربية، وكانت الزهراء مغنية، ولكنا لم نسمع من الزهراء ولا من تلك الجارية شيئاً ... هذا واسم الفرقة التى تقدم المسرحية «الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى والغناء!».

وقد أثر عن عبد الرحمن الناصر الشغف بالعلوم والولع باقتناء الكتب، ولكنك تراه على مسرح الأوبرا يتلقى هدية من ملك الروم هى كتاب فى النبات، ولا يظهر من الاهتمام أكثر مما تظهر وأنت تساوم أحد الباعة الطائفين بالكتب على المقاهى..

وقد وقع المؤلف أو المخرج، لا أدرى أيهما، فى أمر شائع فى التمثيل المسرحى والسينمى عندنا، وهو تهيئة (أدوار) لبعض الممثلين والممثلات اشتهروا بها وعرفوا بالظهور فيها، (والدور) هنا أعد لأمينة رزق، أعد لها لكى تبكى وتصرخ وتنتحب.. ندماً على الإثم الذى اقترفته. وقد بالغت فى ذلك حتى جاوزت الحد

وقد نقل إلينا التاريخ من وصف عبد الله بن عبـد الرحمن الناصر، أنه كان تقياً ورعاً، ولكنا رأيناه على مسرح الأوبرا على خلاف ذلك، رأيناه يغازل الزهراء جارية أبيه مغازلة جريئة حتى اضطرت إلى زجره والعنف فى مخاطبتـه، ورأيناه يغاضب أخاه ويعارض فى ولايته للعهد، ويخرج عن طاعة أبيه، دون أسباب تتفق ووصف المؤرخين له.. ويبدو لى أن المؤلف كان هنا فى مأزق، لأنه مضطر بحكم الغرض أن يظهر شأن الناصر فى مظهر حسن، وهذا المظهر لا يتفق مع إيراد أسباب معقولة للخروج عليه، فضحى بعبد الله!

وقد رأيت فى آخر حوادث المسرحية اعتراف «شفق» بجريمتها وهى نقل أسرار الدولة إلى الأعداء، فلم يقبض عليها، ولم يحقق أمرها، ولم يبحث عمن تتصل بهم، بل وبخها الخليفة وانصرف وعاتبها ولى العهد ومضى.. ثم طعنت بخنجر وأقبل ولى العهد، فجعل يتوجع لها ويتفجع، ويطيل فى التعبير عن ألمه وعاطفته بصوت جامد لا تخالطه نبرة حزن.. وكل ذلك دون أن يسألها عمن طعنها ودون أن يبحث عن القاتل الأثيم، ويقبل الناصر ويرى القتيل ولا يسأل أيضاً ولا يبحث عن اليد الخفية المتصلة بالأعداء! وتلتقى الستارتان...

غزل علية:

قرأت فى العدد الأسبق من الرسالة مقال الشيخ محمد رجب البيومى الذى عنوانه «الغزل فى شعر المرأة» وهو المقال الأول فى هذا الموضوع الجدير بالبحث، ويدل بدء تناوله للموضوع على ما يرجى من التوفيق فى السير فيه.

وقد وقفت فى هذا المقال عندما عرض لغزل علية بنت المهدى إذ قال إنها اقتدت بحميد بن ثور الهلالى فى التجائه إلى الكناية فى الغزل عندما تعذر عليه، كما تعذر عليها، الغزل الصريح، ولذلك تغزلت، كما تغزل، فى السرحة، قال الشيخ رجب: «فقد علقت (علية) غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جـدير بأمثالها من المثقفات الناعمات، ولكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحدياً صارخاً، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول:

أيا سرحة البستان طال تشوقى ومالى إلى ظل لديك سبيل»

فالشيخ رجب يرى أن علية تكنى بالسرحة عن طل، وليس الأمر كذلك، إنما صحفت «طل» بنقط الطاء فصار «ظل» وتشوقت إليه تحت السرحة، قال أبو الفرج فى الأغانى:

«حجب طل عن علية فقالت وصحفت اسمه فى أول بيت:

أيا سروة البستان طال تشوقى فهل لى إلى ظل لديك سبيل»

ومن صنيع علية فى مثل هذا أنها كانت تقول الشعر فى

غلام آخر يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب . . . . ومن قولها فيه .

وجـد الفؤاد بزينبـا وجـدا شـديداً متعبا
أصبحت من كلفى بها أدعى سـقيما منصـبا
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضـبا
وجعلت زينب سـترة وكتمت أمراً معجبـاً

وقالت فى موضع آخر :

خبأت فى شعرى اسم الذى أردته كالخبء فى الجيب

سفير الفن المصرى :

أرسلت إحدى شركات السينما نسخة من الفلم المصرى (سفير جهنم) إلى نيويورك لكى يعرض هناك . وهذا حسن لأنه خطوة فى سبيل ما يرجى للفلم المصرى من الرواج فى البلاد الأجنبية وأخذ مكانه فى فن السينما العالمى .

ولكن ... قال النبأ : وعرض (سفير جهنم) على الرقابة الأمريكية لكى تجيز عرضه . وجلس الرقيب يشاهد الفلم ، حتى جاء منظر ترقص فيه هاجر حمدى ، فإذا الرقيب يصيح : قف . ثم يأخذ رقم المنظر . ويمضى العرض . . ومرة أخرى يصيح الرقيب : قف . ثم يأخذ رقم منظر آخر . ثم يأمر بقص المنظرين ويقول فى تقريره عن المنظر الأول : « يحذف منظر الفتاة التى ترتدى ملابس الرقص وترقص بطريقة فاضحة » ويقول عن المنظر الثانى : « تحذف الحركات التى تأتيها الفتاة بجسمها فى أثناء الرقصة »

وتحذف الرقابة الأمريكية المنظرين الفاضحين المخلين بالآداب واللذين مرت بهما رقابة الأفلام بالقاهرة مر الكرام ..

ورقابة الأفلام المصرية لم تخص (سفير جهنم) بالكرم والتسامح ، وإنما يعم « فضلها » سائر الأفلام . وليس الأمر مؤسفاً من ناحية الآداب العامة فحسب ، وإنما هو مؤسف أيضاً من الناحية الفنية .. ذلك أن القوم عندنا يسترون العجز فى الفن بالاستثارة المخزية والإضحاك الفارغ ، وإنك لتراهم يعلنون فيقولون شركة كذا تقدم فلاناً وفلانة فى فلم كذا .. فالمقصود هو فلان الذى يضحك (الطوب) وفلانة التى ...

أما الفلم وقيمته الفنية فشىء يأتى فى المرتبة الثانية على أحسن تقدير .

ولا أنسى منظر إحدى الملهيات وقد قامت فى الحفل تؤدى مهمتها ، ولأمر ما لم تكن فى تلك الليلة (متجلية) فأعدى جودها الجمهور ، فران عليه الفتور ... وما أن حركت الفتاة جسمها فتثنت وهزت ما برز منها ، حتى صحا النائم وتنبه الغافل . وشارك الرقص التصفيق (على الوحدة !)

فهذه الفتاة لما لم تستطع التأثير بالفن لجأت إلى غير الفن مثلها فى ذلك مثل كثير من الأفلام !

وانظر . . . لقد كنا ندعو إلى عدم محاكاة الأجانب فى استهتارهم وتبذلهم ، فإذا نحن نسبقهم حتى يخشوا على أخلاقهم منا ! وإذا نحن وهم كما قال أبو نواس :

وكنت فتى من جند إبليس فارتمى بى الحال حتى صار أبليس من جندى

الراجع فى هبته :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه .

وهذا التشبيه من روائع البلاغة النبوية ، ومساقه هنا الآن لمناسبة رجوع البدراوى باشا عن تبرعه بأربعين ألف جنيه لإنشاء معمل أمصال الكوليرا .

« العباس »



١ – أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوي

يجمع صديقنا الأستاذ حبيب الزحلاوي بين موهبتين ، موهبة النقد ، وموهبة القصة ، والأولى عنده أقوى وأعنف ، ولهذا تجده في قصصه كثيراً ما ينسى أشخاصه ويقف هو ليتكلم فينصح ويرشد ، ويوجه اللوم والنقد ، ويصف ويمعن في الوصف ويستخلص لك العبرة والحكمة ، وهو في هذا أشبه بالأستاذ ميخائيل نعيمه ، وكل منهما ناقد ، وكل منهما قاص ...

وهذا اللون من القصص لا يقف بالقارىء عند طرافة الحكاية والسرد القصصي ولكنه يقدم له زاداً موفوراً من المعلومات التاريخية ، والتجارب الخاصة ، والأوصاف التي تتعلق بالطبائع الإنسانية ومظاهر الحياة ، والنقد للأوضاع السائدة بين الناس ، فإذا ما تناول القارىء قصة من هذا اللون فإنه يخرج منها وهو يفكر فيما تضمنته من هذا أكثر مما يفكر في طرافتها القصصية ورشاقتها في السرد والحكاية ...

وهذه المجموعة « أنات غريب » للأستاذ الفاضل تشتمل على ثماني قصص ، وكلها أو أكثرها من هذا اللون الزاخر بالذكرى والمعرفة ، فقصة « الدميم » إنما هي درس في القصة ، وقصة « ذكريات » إنما هي صفحة من تاريخ الثورة السورية وتصوير لذلك النضال المر الذي قام به شباب سورية لتحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي . وهكذا تجده في قصصه يصعد بك إلى مراقي لبنان ، وينحدر معك إلى ربوع مصر ، ويطوح بك في مطارح الغربة بأمريكا فيعطيك في هذا كله صوراً دقيقة محشوة بالأوصاف والمناظر والسمات ، وهو يمزج هذا كله بمواضع الألم في قلبه ، ومن هنا كانت قصصه « أنات » صادقة ، ولكن صديقنا الزحلاوي يبدو في هذه الناحية قاسياً كل القسوة على قرائه ، ففي كل قصة من قصصه فجيعة تحطم القلب وتهز الكيان ... وجماع القول في هذه المجموعة القصصية أنها ليست من القصص الذي يقرأ للتسلية وقتل الوقت ، ولكنها تقرأ فتترك أثرها في نفس القارىء ، وتبقى فيعود إليها مرة ... ومرات ...

٢ – روح وجسد

تأليف الأستاذ عبد المعطي المسيري

وهذه المجموعة « روح وجسد » لصديقنا الأستاذ عبد المعطي المسيري ، وهي تشتمل على اثنتي عشرة قصة وقد أسماها باسم القصة الأولى منها على ما هو مألوف عند كتاب القصة .

والأستاذ المسيري شاب وهبته الطبيعة أكثر مما وهبه الدرس ، وأخذ عن الحياة أكثر مما أخذه عن الدرس ، وهو يبدو كآلة موسيقية مشدودة الأوتار ، كلما نقرت عليها حادثة من الحوادث ، أوهبت عليها تجربة قاسية مع الناس والحياة ، رددت ذلك في نغمة مشبوبة بالأسى والشجن ، وهكذا نجد القصة عند الأستاذ المسيري ، فهو في قصصه شاعر ، يهتز لكل ما يجري حوله ، ويقع عليه بصره ، وتبدو عاطفته مرسومة في تعبيراته وانفعالاته ، وهذا النوع من الكتاب إذا لم ينفعل لم يستطع أن يكتب .لا نجد عند الأستاذ المسيري الحادثة الضخمة ، ولا الواقعة المروعة ، ولكنها حوادث ووقائع يراها الكثيرون فلا يفطنون إليها ، وإنما يفطن إليها الفنان ، وتهتز بها الأوتار المرهفة المشدودة فإذا هي أنغام تتردد في الآذان وتؤثر في كل نفس ، وهذا هو موقع الفارق بين الفنان وغير الفنان . على أنه يتميز إلى جانب هذه « الحساسية الفنية » بروح صوفية شفافة ، وهذا مما يزيد في توثيق الصلة بينه وبين القارىء ، فأنت إذا ما تناولت هذه المجموعة القصصية فأنك لا تضم دفتيها إلا إذا أتيت عليها كلها ، وكأنك تقرأ قصة متسلسلة الفصول متصلة الحلقات . وستجد في كل قصة من قصصها مهما كان موضوعها ولونها « روحاً وجسداً » يتقاتلان .

محمد فهمي عبد اللطيف

١ – فهارس المكتبة العربية في الخافقين

تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر

كتاب وضعه أو – جمعه إن شئت – الأستاذ يوسف داغر أمين دار الكتب اللبنانية . تكلم فيه على فهارس الكتب العربية في الشرق عن المطبوعات والمخطوطات ، وعلى فهارس المخطوطات في البلاد العربية وشمال إفريقية والهند . وعلى مجموعات المخطوطات في الخزائن الخاصة الموجودة في سورية وفلسطين والعراق وإيران ومصر . وعلى تزويق المخطوطات وتذهيبها ، وعلى فهارس الكتب العربية في أوروبة والولايات المتحدة وفهارس المجلات الاستشراقية والصحافين المستشرقين . وغير ذلك .

والمؤلف يُشكر على اهتمامه بهذه الموضوعات التي جمعها ودل عليها . ويبدو أنه بذل في سبيل ذلك جهداً محموداً غير أنه يؤخذ على الكتاب أمور .

١ – الفوضى وعدم الترتيب . فالذي شعرت به أن الأستاذ داغر سرد كل ما في قصاصاته (فيشه) دون أن ينقح أو يرتب أو يهذب .

٢ – النقل بلا ذكر المصادر . فقد لاحظت أنه ينقل فصولا برمتها من كتب معروفة ، ولا يذكر أنه نقلها منها وهذا مناف للأمانة العلمية . ففصل المجلات الاستشراقية مثلا منقول من كتاب سوفاجه حرفاً حرفاً . ومع ذلك فلم يشر إلى المصدر ، ولم يشر إلى كتاب رائد التراث العربي ، – وهو اقتباس كتاب سوفاجه باللغة العربية – أيضاً .

٣ – أغفل الأستاذ داغر كثيراً من الكتب المخطوطة التي تكلم كثيرون عليها . وقد لاحظت أنه نقل كل ما جاء في مجلة المجمع العلمي من وصف للمخطوطات . وأغفل كثيراً من المخطوطات التي وُصفت في الرسالة أو المقتطف أو غيرهما .

٤ – في الكتاب أخطاء كثيرة في أسماء المخطوطات ، أو في أسماء الكتب . وهذا يدل على عدم اطلاع الأستاذ داغر عليها ، وقد أورد الأستاذ عمر كحاله في نقده هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي عدداً من هذه الأخطاء .

وأياً كان أمر الكتاب . فإننا نشكر للأستاذ داغر جهده ودأبه على العمل . كما نشكر له تخصيصه ريع الكتاب لصندوق إنقاذ الأراضي في فلسطين .

٢ – مرايا

تأليف الأستاذ عبد اللطيف الضاشوالي

الأستاذ الضاشوالي فنان سوري بارع . برع في الرسم الكاريكاتوري الذي يعبر فيه عن خصائص الرجال وطباعهم ، فهو يبين بخطوط قليلة خفايا نفوس كثيرة . وقد أصدر كتابه الذي أسماه مرايا وكتب عليه :

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا
وهذي تريك الخُلْقَ والنفس والطبعا

وهذا البيت يدل تماماً على ما في الكتاب ، فالرسوم التي توجد فيه ، رسوم ذات شأن . يعجبك منها براعتها وصدقها ، ويعجبك فيها هذا الوضوح الذي تراه ، وتلك الخفايا النفسية التي يظهرها . لقد أظهر كل رجل كما هو . فهذا بخيل ، وهذا بطل ، وهذا يحلم بالمجالس النيابي ... إلى غير ذلك .

ذيل المؤلف كل رسم ببيت من الشعر أو جملة تفسران الرسم وقد كان موفقاً في هذا التذييل إلى حد بعيد . وإن كان أخطأ في بعضها .

وقد أثبت الأستاذ الضاشوالي أنه عالم نفسي أيضاً إلى جانب كونه رساماً ماهراً .

وشأن آخر للكتاب هو كونه يجمع عدداً من الرسوم لأعظم رجالات سورية . وسيكون هذا الكتاب يوماً مرجعاً يرجع إليه لدراسة هؤلاء الرجال .

(دمشق) صلاح الدين المنجد



تقدير كريم لكتاب قيم :

من التقاريظ التي تفضل بها بعض من رفع لهم محمود بك نصير كتابه أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك . كتاب ورد له من حضرة صاحب العزة الكاتب الفاضل والأديب الممتاز والإداري المصلح حسين بك رأفت مدير الدقهلية .

حضرة صاحب العزة العالم المؤرخ محمود نصير بك

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد — في هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الشرق ، التي تنبه فيها وعيه ودبت فيه روح اليقظة والنهوض ، في هذه الساعات التي هب فيها العرب — موحدة أهدافهم ، متضافرة جهودهم — للعمل على استخلاص حقوقهم واسترداد أمجادهم .

في هذه الساعات وقد بدأ المسلمون يشعرون بأسباب ضعفهم ومدى تخلفهم عن ركب الحياة ويلتمسون السبيل إلى عزتهم وقوتهم .

في هذه الساعات الحاسمة الحالكة ظهر سفرك القيم — أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك — فأضاء المحجة وهدى النجدين قدمت فيه للناس مثلا عليا يقتدى بها في الهمة والشجاعة والاقدام ، ونماذج حية تحتذى في انكار الذات والإيثار والفناء في العقيدة واعلاء كلمة الله .

بينت لهم أن علة تأخرهم أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم — كما أعلنت لهم أنكم « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » — « ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

ورسمت لهم كيف أن الرعيل الأول من الخلفاء والقادة والفئة القليلة من الجنود المؤمنين تمكنوا من بسط راية الإسلام على امبراطورية مترامية الأطراف في أقل من قرن من الزمان فبهروا العالم وأتوا بالعجب العجاب .

وإني لأرجو أن تكون هذه الأمثال التي ضربتها للناس نبراساً لهم في ليل الحوادث — وأن يجعلهم الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . إنه هو الهادي ومنه المنة .

وأخصك بشكر عاطر على تفضلك بإهدائي نسخة من هذا الكتاب النافع وأزجي لك تحية كريمة مقرونة ببالغ التقدير والاحترام .

حسين رأفت

مدير الدقهلية

الدكتور قاسم غنى سفير ايران في مصر :

قدم القاهرة منذ أسبوعين الدكتور قاسم غنى سفير الدولة الإيرانية ، فرحب به كثير من الناس على أنه سفير دولة إسلامية كبيرة بيننا وبينها كثير من صلات الماضي والحاضر ولكن قليلا من الناس في مصر يعرفون أن الدكتور قاسم طبيب له في الطب مؤلفات وأديب كبير له في اللغة الفارسية كتب تقر بفضله وتشهد بمكانته بين الأدباء في إيران وكل الدارسين للأدب الفارسي خاصة ، والآداب الإسلامية عامة ، في أقطار الشرق والغرب .

وقد سعدت بلقائه حين قدم القاهرة منذ سنين فعرفت من حديثه اطلاعه الواسع ، وتعمقه في الأدب الفارسي وحبه للأدب العربي والمامه بتاريخه .

ثم جاءت كتبه تترى معرفة بفضله ، شاهدة بعلمه فلقيت اهتماماً واعجاباً من القائمين على درس الآداب الشرقية في جامعتنا .

وكان الدكتور قاسم حين لقيته مهتما بإحكام الأواصر بين مصر وإيران ، راغباً في تبادل الأساتذة بين المملكتين وزيادة التعارف بين المثقفين في القطرين .

على أن الدكتور الفاضل نشأ طبيباً وتولى تدريس الطب في إيران وله في تاريخ الطب كتاب قيم . ولكن الأدب غلب عليه فكثر بحثه فيه وتأليفه .

وفيما يلي كلمة موجزة في سيرته وتأليفاته :

ولد الدكتور قاسم غنى من أسرة علوية شريفة في مدينة سبزوار من أعمال خراسان ، وسبزوار هي مدينة بيهق القديمة المعروفة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

ثم رحل إلى طهران للدرس ، ثم سافر إلى بيروت حيث لبث سبع سنوات حتى أكمل دراسة الطب فى الجامعة الأمريكية ، ثم أمضى أربع سنوات فى فرنسا للاستزادة من العلوم الطبية :

ولما رجع إلى بلاده مارس الطب فى خراسان سنين ، ثم دخل المجلس النيابى نائباً عن مدينة مشهد ، وبقى نائباً مدة طويلة .

وكان حين اقامته بطهران يدرس العلوم الطبية بكلية الطب ، كما كان يدرس علم النفس فى مدرسة سپهالار التى تسمى « كلية المعقول والمنقول » .

وانتخب للمجمع اللغوى الإيرانى حينئذ

قد اشترك فى الوزارة الإيرانية منذ خمس سنوات فكان وزيراً للصحة ثم للمعارف وعام ١٩٤٥ أوفدته الحكومة الإيرانية ليمثلها فى مؤتمر سان فرنسيسكو فى أمريكا فبقى عامين ونصف عام يمثل إيران فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وفى لجنة حقوق الإنسان واللجنة الطبية .

ثم عين وهو فى أمريكا سفيراً لإيران فى مصر فرجع إلى إيران ثم قدم مصر منذ أسبوعين . وقد لقيته منذ قدم مرتين فسمعت فى أحاديثه ما عرفت من قبل من علم وأدب ، واهتمام بالتقريب بين الأمم الشرقية واخلاص فى العمل لاسعادها واعلاء شأنها ومن مؤلفاته :

١ — رسالة عن ابن سينا وفلسفته وطبه وعلمه وهى الرسالة التى قبل بها عضواً فى المجمع اللغوى الإيرانى .

٢ — تاريخ علم الطب ، وفيه بحث مسهب عن الطب الإسلامى

٣ — حقوق الطبيب وواجباته (الأخلاق والطب)

٤ — محاضرات فى علم النفس

٥ — ترجمة بعض مؤلفات أناطول فرنس

٦ — مقالات من أناطول فرنس والمقارنة بينه وبين بعض أدباء ايران القدماء .

٧ — عصر حافظ الشيرازى — وهو بحث واسع فى أحوال إيران فى القرن الثامن الهجرى ، القرن الذى عاش فيه هذا الشاعر الفارسى العظيم .

٨ — تاريخ التصوف فى الإسلام وهو الجزء الثانى من كتابه عن حافظ الشيرازى بين فيه تاريخ التصوف ومذاهب الصوفية المسلمين إلى عصر حافظ . وهو كتاب جليل فى هذا الموضوع ينبغى أن يترجم إلى العربية .

٩ — واشترك مع الأديب الكبير العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى نشر ديوان حافظ بعد تصحيحه ومقارنة بين نسخه ، وكتابة مقدمة للديوان مفصلة وافية

١٠ — واشترك مع الدكتور على أكبر فياض فى نشر التاريخ المسعودى لأبى الفضل البيهقى .

وقد حدثنى السفير الجليل برغبته فى أن يجد بين الحين والحين فراغاً للانتفاع بخزائن الكتب فى القاهرة ومواصلة بحثه فى هذه المدينة العظيمة .

وإنا لنرحب بالسفير العالم الأديب الدكتور قاسم كل الترحيب آملين أن يجد فى القاهرة أهلا بأهل واخواناً باخوان ، وأن تتاح له الفرص للبحث فى مكتبات القاهرة ومواصلة سيرته الجليلة فى الدرس والتأليف .

عبد الوهاب عزام

الكلمة الأخيرة :

كتب سكرتير الأزهر إلى عميد كلية الآداب الدكتور عزام يسأله عن حقيقة ماقيل عن رسالة (القصص الفنى فى القرآن) فأجاب العميد بكتاب نشر فى الصحف ، وأذيع فى الناس ، قال فيه : « وحقيقة الأمر أن طالباً قدم رسالة عن القصص فى القرآن لينال بها درجة دكتور فردتها لجنة الفحص ، فهى رسالة بين طالب وأساتذته عرض عليهم رأيه فعرّفوه خطأه ، كما يسأل التلميذ أستاذه أو يعرض عليهم ما بدا له فى مسألة مسترشداً ...

(إلى أن قال) وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه وكما يبدو من كتابته شاب مسلم قصد أن يدفع عن القرآن بعض شبه اللاحدة أو رجال الأديان الأخرى فجار به رأيه عن القصد وحاد به اجتهاده عن سواء السبيل .

(إلى أن قال) وأرى أن الأمر لايعدو أن يكون غلطة تلميذ اجتهد وأحسن النية فردّ عليه رأيه ولم يؤذن له أن ينشر هذا الرأى أو يتقدم بهذا الكتاب إلى الامتحان » .

(قلت) جزى الله صديقنا الجليل الدكتور عزام خيراً ، فقد

هوّن الخطب علينا حين عرفنا أن صاحب الرسالة[1] ليس إلا تلميذاً مخطئاً ، وكنا قد سمعنا من قبل أنه مدرس فى الكلية ، فكبر علينا أن يكون فى الجامعة التى توسل إليها أبناءنا ، يقطعون البر والبحر ليردوا معين علمها ، مدرس غاية جهده مثل هذه الرسالة التى امتزج فيها الدين المتين ... بالمنطق السديد ... بالعلم الفياض ... بالبيان العذب ... حتى كانت معجزة العصر ، ونادرة الدهر !

ولكنى أريد أن أسأل الدكتور عن قوله (وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه ، وكما يبدو من كتابته شاب مسلم) — هل قرأ كتابته فى رسالته فرآه يبدو منها شاباً مسلماً ؟ أما أنا فقد قرأت الرسالة ، (وصلت إلىّ كما وصل إلىّ تقرير الأستاذ أحمد أمين الذى نشرته فى الرسالة) ونقلت منها صفحات بحروفها .

وأنا أؤكد القول أن ما نقلته منها ، لو قاله معتقداً به أبو بكر وعمر ، لكفر به أبو بكر وعمر ، وصارا به أبا جهل وأبا لهب ، وأنا قاض شرعى أدرى إذا تكلمت عن الكفر والإيمان ماذا أقول ، وأثبته بالدلائل وأؤيده بالنصوص وأناظر فيه من شاء من أهل العلم أن يناظرنى ؛ لست كالأستاذ توفيق الحكيم الذى لبس الجبة فجأة ولاث العمة ، وتصدّر للفتوى فى ... (أخبار اليوم)!

وعلى ذكر مقالة الأستاذ توفيق الحكيم هذه ، أقول أنى سألت الشيخين الجليلين عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت عن صحة ما نسب إليهما فى (أخبار اليوم) عن تبرئة الرسالة وصاحبها من الكفر ، فقال لى الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم حفظه الله « إنه ما اطلع على الرسالة ، وإنما قرأ تقرير الأستاذ أحمد أمين عنها ، ولا شك عنده أن الأقوال التى عزاها فى التقرير إلى الرسالة كفر وأن معتقدها كافر » وأذن لى أن أنشر ذلك على لسانه .

وقال لى الأستاذ الشيخ محمود شلتوت أنه إنما سئل عن المكفرات ما هى فقال فيها ما قاله الفقهاء ولم يُفتِ فى الرسالة بشىء ، ثم قرأت له بياناً فى الصحف هذا معناه .

فما دام صاحب الرسالة ليس إلا تلميذاً مخطئاً لا مدرساً ولا معيداً ، وما دامت الرسالة قد ردّت وأسقطت ، وعلماء الأزهر وأساتذة الجامعة قد اتفقوا على القول بمخالفتها للاسلام ، وإدارة الكلية منعت (كما قال العميد) نشرها ، فلا داعى عندى لإعادة القول فيها ، وتسخير صحف المجلات ، وأقلام الكاتبين ، وأذهان القارئين ، لإجابة شهوة الشهرة ، وحب الظهور ، فى نفس هذا التلميذ المخطىء .

ورأيى أن خير دواء له الاعراض عن ذكره !

على الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

قرأت فى العدد (٧٤٥) من الرسالة الغراء تحت عنوان (فعلاء) كلمة للأستاذ الجليل (السهمى) عن جمع صيغتى (افعل وفعلاء) على (فُعْل) مثل أحمر وحمر وحمراء وحمر ، ونقل ذلك عن (عمرو) فى (البحر) وكتب الأستاذ السهمى فى الحاشية تعليقاً وتكميلا للعبارة المنقولة ما لفظه : « وقال : وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل ، ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه ... فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر أجرى مجرى أجدل وأفكل كما قالوا : الأباطح والأساود حيث استعمل استعمال الأسماء » .

ومعنى ذلك أن (الأكبر والأصغر) إنما لم يجمعا تكسيراً على فعل كما يجمع (الأحمر) لأنهما لم يتمكنا فى معنى الصفة بل يستعملان استعمال الأسماء فلذا جمعا على أفاعل فقيل فيهما أكابر وأصاغر كما يقال أباطح فى جمع أبطح .

والذى أراه أن الأكبر والأصغر ليسا من الموضوع المبحوث فيه لأن الموضوع هو جمع افعل الذى مؤنثه فعلاء فهو الذى يجمع على (فعل) كأحمر وحمر ، فأما الأكبر والأصغر فهما فى الأصل من قبيل أفعل التفضيل ، وأنثاه فُعلى على وزن (حبلى) فقياس جمعه فى الأصل أفاعل نحو أكابر وأصاغر وأفاضل وأكارم وأماجد وأعاظم فى جمع أكبر وأصغر وأفضل وأكرم وأمجد وأعظم ، وليس جمعه كذلك من قبيل الخروج على قاعدة (أحمر وحمر) لسبب استعماله استعمال الأسماء .

فما رأى الأستاذ السهمى فى ذلك ؟

مصطفى أحمد الزرقا

---

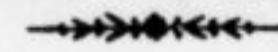
(١) نحن فى الشام نسمى رسالة الدكتور الأطروحة .



من مذكرات سجين

للقصصي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأديب عبد اللطيف حسين الأرناؤوط



فى صباح الغد ، ينقضى أمد ستة الأشهر التى حكم على بقضائها فى السجن لسرقتى ألفى فرنك من خزانة المحل الذى كنت موظفاً فيه . فى صباح الغد أكون قد كفرت عن خطيئتى وقضيت ما علىّ من دين للمجتمع الإنسانى .

فى صباح الغد فى الساعة الثامنة سيطرق السجان باب سجنى ومعه ثيابى التى خلعتها قبل دخولى السجن . وإنى لأذكر تلك الثياب ، فإنها كانت جديدة متقنة الصنع على أحدث طراز وسأرتديها غداً وأخرج إلى الطرقات . فمن يظن وأنا فى مثل هذه البزة أنى خارج من أعماق السجون ! سأخرج فى الساعة الثامنة وأرى مرغريت كوعدها تنتظرنى فى عربة أمام باب السجن ...

بين مساء اليوم وصباح الغد سأصير حراً طليقاً وسأكون سعيداً لو أردت ، فرغريت التى ارتكبت من أجلها هذه السرقة تقسم لى فى خطاب الأمس أنها ما زالت حافظة لعهدى متمسكة بودى ، وأنها ستعيش معى حتى الموت ، إذن فسنعيش آمنين بين أحضان باريس العظيمة التى وسعت كل عار وسترت كل ذنب ، ومن كان فى نشاطى لم يعجزه مرتزق يعيش من ورائه هو وحبيبته ... ولكن لندع عمل المستقبل للمستقبل ، ولا نفكر الآن إلا فى الغد ، وما سيتبلج عنه صبحه ، إن مرغريت ستنتظرنى فى عربة فمندما أرى هذه العربة أمام السجن ، أجرى إليها ، فألمح مرغريت منزوية فى ركن منها ،

لفظة لازاريت :

قال الأستاذ الجاحظ فى العدد الماضى من الرسالة إن بعض الغربيين زعم إن كلمة لازريت الفرنسية Lazaret . (ومعناها المنزل أو المحجر الصحى) مشتقة من كلمة « الأزهر » « لأن الأزهر فى مصر ملجأ للعميان والشيوخ والمتقاعدين »

وبعدما أنحى الجاحظ باللائمة على أولئك المتعجلين من الباحثين لتورطهم فى أخطاء الاشتقاق ، قال إن الأصل اللاتينى لكلمة لازاريت معناه المجذوم وأن الصلة بين الحجر الصحى والمجذوم أقرب وأكثر جلاء منها بين لفظتى « الأزهر » و « لازاريت »

ويخيل إلى أن الاشتقاق — إذا كان هناك اشتقاق — مستمد من اسم « لمازر » Lazarus وهو رجل فقير أخذت جميع الأمراض بتلابيبه — ومنها الجذام — وكان طريح الأرض عند باب ثرى يريد أن يشبع بطنه الفتات الساقط من مائدة ذاك السرىّ . وقد روى قصة هذا الفقير السيد المسيح كما جاء فى إنجيل لوقا إصحاح ١٦ عدد ١٩ — وقال إن كلا من الفقير والغنى مات فكان جزاء الأول أن ينعم فى حضن إبراهيم وكان جزاء الثانى هاوية العذاب يشتهى حتى أن يبلّ لمازر طرف إصبعه بماء ويبرد به لسانه .

وأحسب أن هذه القصة بسبب كثرة تداولها وشيوعها بجميع اللغات ولا سيما اللاتينية واشتقاقاتها ، كانت السبب الأول فى أن يقترن اسم لعازر بالبلايا والأمراض والفقر وتلك هى عين المعانى التى ترمز إليها كلمة Lazare الفرنسية ومنها اشتقت كلمة لازاريت Lazaret .

هذا فى ظنى مصدر الاشتقاق ، وإذا كان عند المليمين شىء فليطلعونا عليه للنفع العام .

وديع فلسطين

المحرر بالمقطم — القاهرة

فآخذ مكانى بجانبها وآمر السائق باحتثاث السير ، وبعد ذلك أمسك يد مرغريت وأنظر إليها فتهتاج المسكينة شوقاً ، وترتمى على صدرى باكية ...

ما أعذب القبلة التى تعقب ذلك . وتكون العربة أثناء ذلك قد أوصلتنا إلى منزلنا فنصعد إلى غرفتنا فى الطابق الرابع ، التى تشرف نافذتها على حدائق اللوكسمبرج . ونمد مائدة إفطارنا أمام النافذة حيث تداعب أشعة شمس الصباح آنيتها فتبدو لامعة كأنها تبتسم لملاقاتى ، وبعد أن نتناول طعامنا بين حديث ولعب ، تجيء مرغريت بالقهوة ، فأجلس أحتسيها ، وتجلس هى بجانبي وتسند رأسها إلى كتفى ، فأستنشق عبيرها ، وأستروح أنفاسها ، ثم أقبلها قبلة طويلة .

هذا ما يعده لى صباح الغد ، وهذا ما سألقاه فيه من حرية وسعادة وحب ...

ولكن كل هذا لن يكون ... فسأنتحر بعد قليل .. ربما يسود وجه الصحيفة التى أكتبت عليها هذه الكلمات . فالحبل الذى أعددته من غطائى متين والقضبان الحديدية فى النافذة سميكة !

يجب أن لا أخرج صباح الغد من قبرى هذا إلى الحياة . إذ لو خرجت لارتكبت آثاماً أخرى . فإنى لا أقوى على رؤية مرغريت واقفة أمام حانوت الجوهرى تلتهب نظراتها إلى أساور من ذهب أو تصعد زفراتها وراء قرط من جوهر ، أو تنظر إلى خاتم من ماس ثم ترجع النظر حاسراً إلى أصابعها العاطلة . عند ذلك أقسم بالله أنى أعود فأسرق لأجيء لها بما يرضى نظرتها ويهدأ زفرتها ويحقق رغبتها ... يالله . هل أنا مجرم من أكبر الناس إجراماً ؟ أم أنا مجنون ضل عنى رشادى ؟ لا أعلم غير أمر واحد ، هو أنى أعود فأسرق لأرضى مرغريت ...

يا لها من امرأة . ويا لعظيم حبي لها ووجدى بها منذ أول يوم رأيتها . إنى لأذكر ذلك اليوم وأذكر أنى كنت مع صديقين دعيانى للذهاب معهما إلى (مونمارتر) حيث كانت حفلات العيد قائمة واللهو رخيص ثمنه ، سهل مناله . وكنت متعباً ذاك المساء فرفضت دعوتهما أولا ولكنهما ألحا علىّ فقبلت أخيراً ...

وجئنا (مونمارتر) فكانت مساحاته تموج بآلاف من الخلق ووقفنا أمام أحد مراقصه فرأينا فتاتين ترقصان ، فحادثهما أحد صديقى وجلسنا معهما . وكان مجلسى بجانب إحدى الفتاتين وكانت شقراء الشعر جميلة الوجه محتشمة الحديث فقيرة الهيئة . وحادثتها فكان صوتها جذاباً كعينيها وقال لها أحد صاحبى كلمة غليظة خلال الحديث فلم تجبه إلا بابتسامة مغتصبة تدل على أدب الفتاة وأنها غير راضية لما هى فيه من حال ، ودعوتها لمنزلى ، وقصت علىّ الفتاة باكية — وإنى لأحس حرارة دموعها حتى اليوم — قصة مجيئها إلى هذه الحياة من أحد أبوابها المظلمة وطفولتها البائسة وفقرها المؤلم وإيصاد كل باب رزق دونها وتشريدها آناء الليل فى شوارع باريس الباردة المظلمة . ثم زلتها الأولى ، واندفاعها فى ذلك التيار الذى طالما حمل فى سيره ضحايا لا عداد لها ، فبكيت رحمة لبكائها ، وعرضت عليها أن تجيء فتعيش معي عيشة الفضل والعفاف فقبلت راضية وسرنى رضاها وأظننى أتيت أمراً لا طاقة لى به إذ ذاك ، فإن ما أتقاضاه من مرتب ما كان يسمح لى بمعاشرة امرأة اللهم إلا إذا كانت امرأة مقتصدة تقنع بالقليل ولا تطلب الكثير ومرغريت يا للأسف ليست كذلك . فقد كانت تختبيء فى قرارة نفسها الفتاة الباريسية التى تشارف فى غدوها ورواحها حوانيت الحلى والحلل ، وتلامس فى سيرها وركوبها السيدات اللائى رزقن الغنى بثمين اللباس وغالى الزخرف وكنت أرجع من عملى ظهر كل يوم فأراها ملازمة لسريرها لا تفكر فيما يقتضيه المنزل من عمل فحاولت أن أصلح من أمرها وأقوّم من خلقها فأجابتنى بقسوة « ماذا تريد ؟ هكذا خلقت فدعنى وابحث عن سواى ، فلن تصلحنى مهما حاولت » فلم أدر كيف أجيبها على قولها ، فإنها لا تبالى بى . وأصبحت لا أستطيع عنها فراقاً ففكرت فى أن أضحى قليلا من راحة فؤادى وأقطع ما بينى وبينها من صلة . ولكنى فكرت أيضاً فى أنها لن تكاد تفارق بابى حتى تعود سيرتها الأولى ؟ من حياة يعلوها العار ، ومن ليل بؤس ليس له نهار ، فعدلت عن فكرتى رحمة بها وحباً لها ، ثم كيف أهجرها وقد تغلغل حبها فى صميم فؤادى وأصبحت أرى ليالى الطويلة الباردة عامرة بمن يسلى وحدتى ويزيل وحشتى ، أأهجرها وأنا أحبها أكثر من أمس وأقل من غد ؟ أأهجرها وهى أول امرأة خفق لها فؤادى وأول من غرام مشت ناره بين أضلاعى !

واشتريت لها كل ما وسمته تُوقى من لوازم النساء. وصحبتها إلى كل مسارح اللهو ومراتع السرور خشية أن تمل مكثها في المنزل وهي ابنة اللهو والسرور. وضاقت يدي ذات يوم عن قضاء حاجة لها فاستدنت وكان أول ما استدنت .. فأهمني أمره وأرقني وقره . . . ولم أبح به لمرغريت . . . وعلام وأنا أتوقع ردها ، «ماذا تريد أن أفعل لك ، دعني وشأني ! .. ولينفصل أحدنا عن الآخر» ثم استدنت مرة أخرى . وأنا لا أبوح لها بما في نفسي من خوف مؤلم من المستقبل المظلم .

وإني أقول ما سأقول الآن وأنا واثق من صحته . ذلك أن كل الرجال الذين رمت بهم يد الغرام أو يد المرأة إلى مثل موقف هذا يحاولون خلاصاً من هذا الموقف بغشيانهم ما يسمونه طريق الحظ أو السعد فيقصدون بيوت القمار . أو ساحات السباق . . وذلك أن أحد رفقائي في عملي كان يغشاها وطالما أسعده الحظ بأن ربح . وكان جالساً أمام مكتبه باسطاً صحيفة تدلى لقرائها بما تراه في أمر الخيل وأيها السابق وأيها المصلي . وأخذ يناقش آخر في أمر جواد معلوم ، يرى أنه ولا شك السابق . وأنه لا شك مراهن عليه .

فقلت إذ ذاك : ولم لا أعمل مثل صديقي فربما أسعدني الدهر فربحت فأسعدت نفسي ومرغريت وضربت بيدي إلى جيبي فوجدت فيه دراهم معدودة . فطرحت فكرة القمار مرغماً .

وذات ليلة ونحن في طريقنا إلى الملهى وقفت مرغريت أمام حانوت جوهري ونظرت إلى أساور من ذهب وماس وقالت لي : ما ثمن هذه الحلية ؟

فقلت : إنها تساوي أربعين جنيهاً !

فقالت : إن مثل هذه الأشياء جعلت للأغنياء ولا أدري لمَ لم يجعلني الله من عبادهم ... ونظرت إلى دمعة تترقرق في مآقي عينيها . فكدت أبكي لها ولنفسي . وفجأة طرقت رأسي فكرة القمار في سباق الخيل ، وفكرة الجواد السابق ، ولكن أين لي المال لأراهن عليه ؟ . ... ولكن المال كثير في خزانة المحل وأنا الأمين عليه . وما دام المكسب مضموناً مع هذا الجواد ، فلم لا أمد يدي إلى ألفي فرنك أرمي بها في سوق القمار ثم أربح وأعيدها إلى مكانها الأول واحفظ الربح لنفسي؟ هذا خير رأي ، وأصوب فكر . ولكن ما العمل إذا خسرت ؟ قلت ذلك لنفسي . ونظرت نظرة غضبي إلى مرغريت وهي عالقة بذراعي . ولكن أحمد الله فإنها كانت ملتفتة إلى ناحية أخرى تنظر إلى معروضات المخازن . إذ لو رأت نظرتي لارتاعت ذعراً . . إذا خسرت ؟ نعم إذا خسرت لا شيء غير أن يجيء رجل أو اثنان من الشرطة فيقبضان علي باسم القانون ، وأجلس محني الظهر على مقعد المتهمين في محكمة الجنايات ، ثم أقضي بعد ذلك جزءاً غير قصير من عمري في غياهب السجن ، ذلك إذا خسرت ؟ ولكن أكون بعملي هذا قد قدمت إلى مرغريت برهاناً قوياً ودليلا قاطعاً على حبي لها ؟ وربما أحبتني إذ ذاك لعلمها إني أتيت ما أتيت مرضاة لها .

ولكن لماذا هذا الخلط في الحديث فالساعة أزفت . ولا فائدة من أن أثقل على قارىء هذه الصفحات بتفاصيل ما ارتكبت ولم أقص عليه كيف ارتكبت السرقة ، ولا كيف وقفت تتنازعني العوامل المختلفة من خوف إلى حزن ، إلى ندم ، إلى أمل إلى فرح ، وأنا في ميدان السباق . ولا كيف خسر الجواد وجاء مجلياً ، ولا كيف اكتشفت سرقتي ، والقبض عليَّ ، ومحاكمتي ثم سجني ...

الوداع يا مرغريت . إني أحبك ، وأغفر لك وأعفو عنك . فلربما سالت دمعة من عينيك عندما تقرأين هذه الصفحات المملوءة بذكرك ، كوني فخورة أمام عاشقك الجديد بأن هناك رجلا انتحر لأجلك ...

هاهوذا نصف الليل لقد دقت الساعة ، وهأنذا قد أحكمت الحبل إلى النافذة فلأتشجع ولأنهي الأمر ! ...

(دمشق) **عبد اللطيف حسين الأرناؤوط**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٩ — الاثنين ١٠ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

حرية الرأى وتبعة الرأى ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٢٢٥

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٢٢٧

أسئلة ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٢٢٩

النظرية الحديثة فى تفسير الأحلام : الأستاذ عبد العزيز جادو ... ١٢٣١

حول جدل فى الجامعة ... ... : الأستاذ عبد الفتاح بدوى ... ١٢٣٤

الصدق فى الأدب ... ... : الأستاذ مهدى القزاز ١٢٣٧

من صور الطريق ... ... : الأستاذ مهدى السامرائى ... ١٢٣٩

ساعة مع الحاج أمين ... ... : الأديب صبحى ابراهيم الصالح ... ١٢٤١

وباء الكوليرا ... ... (قصيدة) : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٢٤٣

« من وراء المنظار » : حمار آخر ! : الأستاذ محمود الخفيف ١٢٤٤

« الأدب والفن فى أسبوع » : الثقافة والسياسة فى السودان — ١٢٤٥

الغزل السياسى — العربية تزحف — تمثال نهضة مصر — القانون

الفرقيون — المسرح أداة ثقافة ١٢٤٧

« تعقيبات » : أم كلثوم ونهج البردة — شيخنا الجارم — البصائر ١٢٤٨

للتوحيدى — اللغة العربية والجنسية الإسلامية ١٢٤٩

« البريد الأدبى » : الشيخ محمد عبده والطير الأبابيل — الفرق بين ١٢٥٠

سنة وعام — إلى الأستاذ خلف الله — انجلترا فى مرآة حافظ — إلى

رحمة الله ١٢٥١

طريق الدوفر ... ... (قصة) : بقلم الأديب عبد الكريم محمود ١٢٥٢

العدد ٧٤٩ — الاثنين ١٠ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

حرية الرأى وتبعة الرأى ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٢٢٥

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٢٢٧

أسئلة ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٢٢٩

النظرية الحديثة فى تفسير الأحلام : الأستاذ عبد العزيز جادو ... ١٢٣١

حول جدل فى الجامعة ... ... : الأستاذ عبد الفتاح بدوى ... ١٢٣٤

الصدق فى الأدب ... ... : الأستاذ مهدى القزاز ١٢٣٧

من صور الطريق ... ... : الأستاذ مهدى السامرائى ... ١٢٣٩

ساعة مع الحاج أمين ... ... : الأديب صبحى ابراهيم الصالح ... ١٢٤١

وباء الكوليرا ... ... (قصيدة) : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٢٤٣

«من وراء المنظار» : حمار آخر ! : الأستاذ محمود الخفيف ١٢٤٤

« الأدب والفن فى أسبوع » : الثقافة والسياسة فى السودان — ١٢٤٥

الغزل السياسى — العربية تزحف — تمثال نهضة مصر — الفنانون

الشرقيون — المسرح أداة ثقافة ١٢٤٧

« تعقيبات » : أم كلثوم ونهج البردة — شيخنا الجارم — البصائر ١٢٤٨

للتوحيدى — اللغة العربية والجنسية الإسلامية ١٢٤٩

« البريد الأدبى » : الشيخ محمد عبده والطير الأبابيل — الفرق بين ١٢٥٠

سنة وعام — إلى الأستاذ خلف الله — انجلترة فى مرآة حافظ — إلى

رحمة الله ١٢٥١

طريق الدوفر ... ... (قصة) : بقلم الأديب عبد الكريم محمود ١٢٥٢

٢٩٠٣٧

15 em Année No. 749

Lundi — 10 — 11 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٦٦ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

حرية الرأي وتبعة الرأي

للأستاذ عباس محمود العقاد

حرية الرأي مكفولة لكل انسان .

ولكن لاحرية بغير تبعة . فكل ذي رأي مسئول وحده عن رأيه ، وعليه وحده أن يحمل جميع تبعاته ، وليس له أن يلقى هذه التبعات على غيره . لأن حريته تنتهي عند انتهاء التبعة التي يحملها باختياره ... فلا اختيار له في حريات الآخرين .

وذلك هو الحد الفاصل بين الرأي الذي يسأل عنه الباحث أو الكاتب وحده ، وبين الرأي الذي يشرك فيه غيره .

فمن حقه بلا نزاع أن يبدي ما يشاء في حدود القانون

ولكن ليس من حقه أن يحمل غيره على تزكية رأيه وترويجه أو الاذن بأجازته ونشره ، ولا سيما إذ يكون ذلك « الغير » هيئة رسمية مفروضة بقوة الدولة على جميع أبناء الأمة ، كالجامعة المصرية وما جرى مجراها .

فالجامعة المصرية جامعة حكومة ، ومعنى أنها جامعة حكومة أن الزامها لطلابها هو إلزام يقوم به القانون ، وتحميه الدولة ، وليس فيه للطالب أو لولي أمره خيار كالذي يملكه الطلاب وأولياء الأمور في الجامعات الأهلية . فهم لا يملكون أن ينتقلوا منها إلى غيرها إذا لم توافقهم دروسها ، وليس في وسعهم أن يستغنوا عن شهاداتها وإجازاتها ، لأن مستقبلهم في الوظائف أو المزاولات العلمية مرتبط بها . فليس لأحد أن يطلب من هذه الجامعة أن تجيز دروساً تحتاج إلى احتمال تبعة ، وليس له أن يلقى عليها تبعاته وينتظر منها أن تقرها وتزكيها ، وهو يزعم أنه حر فيما يصنع ، وأنها هي المقيدة أمامه فلا حرية لها في رفض هذا الصنيع

من شاء أن يقدر حريته فليقدر تبعته قبل تقديره لحريته .

ومن تقدير التبعة أن يفهم ما يجوز له عرضه للاقرار والإجازة ، وما ينفرد به أو يشرك فيه سواه . فإن لم يفهم ذلك فليس هو بأهل لتقدير الحريات ولا لتقدير التبعات .

وقد سبقتنا إلى النظام الجامعي أمم كثيرة ، وسبقتنا إلى حرية الرأي أمم كثيرة ، وترجع تقاليد الجامعات في بعض هذه الأمم إلى مئات السنين ، وكلها تدين بهذا المبدأ فيما يعرض عليها من الرسائل للاجازة والاقرار ، ولم يقل أحد أنها تصادر حرية الآراء ، أو تحجر على مباحث المفكرين .

فلم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة اكسفورد مثلا ببحث في ميلاد السيد المسيح هل كان مولداً طبيعياً أو كان مولد خارقة وإعجاز .

ولم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة السوربون ببحث في تدوين الأناجيل هل هي من كتابة الرسل أو كتابة أناس آخرين مجهولين أو معلومين .

والجامعات الإنجليزية تدرس تواريخ الأديان وتدرس المقابلة بينها ، فلم نسمع قط أن دراستها هذه أجازت لصاحب رأي أن يطلب

منها اقرار قول من الأقوال ، يخالف ما تلتزمه أمام جميع المتعلمين

كذلك تدرس الجامعات الإنجليزية ، كما تدرس الجامعات الفرنسية ، علوماً شتى فى نظم الدول ، وقواعد الدساتير . فلم نسمع قط أن طالباً فرنسياً عرض على جامعة فرنسية بحثاً فى إنكار النظام الجمهورى . وتفضيل النظام الملكى عليه ، ولا أن طالباً إنجليزياً عرض على جامعة إنجليزية بحثاً فى ترجيح النظام الجمهورى على نظام الدولة الملكية . لأن المسألة ليست مسألة حرية وكفى ، بل هى مسألة حرية مقرونة بتبعة . فينبغي التفرقة بين ما تكتبه باسمك على تبعة نفسك ، وبين ما تكتبه ثم تلقى بتبعاته كلها أو بعضها ، على مؤسسات تحميها الدولة وتلقى دروسها على جميع أبناء الأمة ، وهم أحرار أيضاً فيما يقبلون وفيما يرفضون .

***

فلا خلاف على حرية الرأى كائناً ما كان فى حدود القانون وإنما الخلاف فى احتمال التبعة وتقديرها ، وفى موضع التبعة وتمييزه ، وليس بأهل لحرية الرأى ولا بقادر على أمانته من يفوته هذا التمييز .

وكاتب هذه السطور يحرص على حرية الرأى ، ويعتقد أن الحرية الشخصية هى غاية كل تقدم وارتقاء فى تاريخ بنى الإنسان ، وأن مقاومة الرأى إنما تكون برأى مثله ، ومقابلة البرهان إنما تكون ببرهان على قياسه ، وأن المصادرة بالقوة عمل لا يليق بأصحاب الآراء ولا يحسن بهم أن يهيبوا بالحكومة إلى اتخاذه ، إلا أن يكون فى الرأى إخلال بالآداب متفق على تحريمه .

لكننا لا نعطى حرية الرأى كل هذا الحق إلا لأننا ندين بأنه حق ينتهى عند حده ولا يجوز أن يتعداه .

فليقل من شاء ما شاء ما دام هو صاحب التبعة الوحيد فى كل ما يقول :

ولكن هل هو صاحب التبعة الوحيد فيما يلقيه إلى الجامعات الرسمية لتقره باسم الدولة ، واسم الأمة بأسرها من وراء الدولة ؟

هنا محل التقدير والتمييز

وليس بعالم ولا مستحق لأمانة العلم من لا يقدر ولا يميز ، ولا يفرق بين ما يقرره باسمه ، وما يطلب من المشرفين على التعليم فى الأمة أن يقرروه .

وقلما يعنينى هنا أمر رسالة بعينها أو بحث بعينه ، وإنما يعنينى توضيح الحد الفاصل فى مسألة الحرية ، ومسألة التبعة الفكرية ، وهو حد منسى على ما نرى فى حسبان بعض المبتدئين ، بل بعض الأدباء المعدودين .

ولو لم يكن هذا الحد محتاجاً إلى التذكير فى مرحلتنا هذه من الحياة الفكرية لما رأينا رجلا كصديقنا الأستاذ توفيق الحكيم ينساه وهو ينقد الجامعة المصرية لأنها رفضت تبعة تلقى عليها ، وليس من حقها أن تقبلها باسم الدولة ، وليس من مقتضى رفضها أن تحول بين طالب من الطلاب ، أو مدرس من المدرسين ، وبين إعلان ما يراه بغير واسطتها إذا شاء .

على أننا نهنىء صديقنا الحكيم ولا نقصر القول كله على الأسف لنسيانه أو تناسيه .

نهنئه لأن حرية الرأى كانت رخيصة عنده يوم كان ينعى على الديمقراطية ويشيد بمآثر الدكتاتورية . فإذا عاد يغليها بعد ارتخاص فإنه بالتهنئة من هذه الناحية لجدير .

أما « التقدميون » الذين حنقوا على الجامعة المصرية لالتزامها حدود حقها وواجبها ، فحسبهم من التذكير أن نطلب منهم سطراً واحداً يكتب فى روسيا اليوم نقداً لعقيدتهم فى التفسير المادى للتاريخ ، وهى بعد لم تتجاوز عندهم أن تكون رأى انسان ! .. فكيف بما يعتقد المؤمنون به أنه من عند الله ، خالق كل انسان ، وخالق جميع الأكوان ؟

عباس محمود العقاد

١٢ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

نظام الدين أوليا وأمير خسرو

وإلى القرب من المقبرة التي بها ضريح همايون مقبرة أخرى بها قباب منثورة أعظمها مكانة عند الناس وأجلها هندسة قبة نظام الدين أوليا .

وهو أعظم صوفية الهند فى زمانه ، وأكبر أوليائها حرمة عند الناس حتى اليوم ؛ اسمه محمد بن أحمد بن على البخارى ، وفدَ أجداده من بخارى إلى الهند فاستقروا فى إقليم بدَايون حيث ولد هو سنة ٦٣٦ هـ .

وأخذ العلوم العربية عن علاء الدين الأصولى . ثم رحل إلى دهلى فتلمذ للشيخ شمس الملك والشيخ كمال الدين الزاهد .

وسنة ٦٥٥ لحق بالشيخ الصوفى فريد الدين كَنج شَكَر (كنز السكر) المتوفى سنة ٦٦٤ هـ فصار من مريديه المقرَّبين واختاره الشيخ خليفة له سنة ٦٥٦ فرجع نظام الدين إلى دهلى إلى أن توفى سنة ٧٢٥ هـ .

وقد ذاع صيته ، وعظمت مكانته ؛ فجاءه المريدون من كل صوب ، واجتمع حوله العلماء والأدباء والموسيقيون ، وعظمه المسلمون وغير المسلمين .

وكتب فى التصوف والتفسير والحديث ونظم بالفارسية شعراً صوفياً ، ومزاره اليوم يُقصد من أرجاء الهند ، ويعدّه الناس أعظم الأولياء أو من أعظمهم ويسمونه : سلطان الأولياء .

قصدنا إلى مزار نظام الدين فنُزلنا فى محلة تزدحم فيها القبور والمنازل ، ومررنا خلال قبور تختلف مظاهرها ضخامة وصغراً ، وأبهة وحقارة ومعرفة ونكراً وتتفق على المعنى الذى انطوت عليه ؛ بل اللفظ الذى تنطق به ؛ حتى جئنا حجرة عالية مصنّمة بالرخام والحديد والنحاس سقفها مستطيل مبطّن بالصوف فى أشكال جميلة ، والحجرة فى جملتها هندسة جميلة أو شعر بليغ . هنا قبر الشاعر الكبير المعروف فى الأدب الفارسى والأدب الأردى ؛ الذى يعدّ أول ناظم باللغة الأردية ، وهو أمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ .

وكان مرورى بقبر الأمير خسرو سروراً مفاجئاً ، ونعمة غير مرتقبة . فوقفت على قبره وقفة تمنيت أنها طالت وكرّرت .

أقف بالقارئ وقفة قصيرة على تاريخ هذا الرجل الكبير قبل أن نزور نظام الدين أوليا :

هو الأمير أبو الحسن بن الأمير سيف الدين الشمسى ولد فى الهند سنة ٦٥١ هـ وكان أبوه تركياً هاجر من نواحى بلخ إلى الهند أيام جنكيزخان وتزوج بنت عماد الملك أحد أعيان الدولة فى دهلى ، ومات وابنه خسرو فى التاسعة من عمره فكفله جدّه لأمه .

وكان خسرو ذكياً شغوفاً بالتعلم . فنشأ محبوباً مقرّباً عند سلاطين دهلى ، وحظى برعاية سبعة سلاطين متتابعين : من السلطان محمد بن غياث الدين (٦٦٤ هـ — ٦٨٦) إلى السلطان محمد الثانى بن تَغلَق (٧٢٥ — ٧٥٢ هـ) .

ونبغ فى الشعر فنظم منظومات كثيرة منها ديوانه وسبع منظومات قصصية حاكى فيها الشاعر المعروف نظامى الكنجوىّ منها قصة ليلى والمجنون ، وقصة خسرو وشيرين .

وقد قسّم ديوانه على سنى عمره ، وسمى كل قسم اسماً يلائمه :
تحفة الصغر : وهى القصائد التى نظمها من سن ١٥ إلى ١٩
وسط الحياة : وهى القصائد التى نظمها من سن ٢٠ إلى ٣٤
غرّة الكمال : وهى القصائد التى نظمها من سن ٣٤ إلى ٤٣
البقيّة النقيّة : وهى مختارات من شعر الشيخوخة .

وقد ألّف من الكتب والرسائل ما يقارب المائة ، ويقال إن أشعاره تبلغ أربعمائة ألف بيت ، والمجموع منها زهاء مائة وعشرين ألفاً جمعها السلطان الأديب بالسُنقُر من بنى تيمور ، وكان من المعجبين بالشاعر ، وقد فضّل منظوماته الخمس على « خمسة نظامى » ، وجرت بينه وبين الأمير التيمورى ألُغ بك مناظرات كثيرة فى هذا التفضيل .

وكان خسرو من مريدى الشيخ نظام الدين يبالغ فى حبّه وإعظامه ، ويروى أنه بينما كان خسرو فى صحبة السلطان غياث الدين تغلَق شاه فى سفره إلى بنغالة جاء نعى شيخه فأسرع

راجعاً إلى دهلى ، واعتزل خدمة السلطان ، وتصدّق بأمواله ، وأقام على مقربة من قبر شيخه حتى مات بعد ستة أشهر ، ودفن بجوار الشيخ الذى أحبه وصحبه فى حياته ، وزهد فى العيش بعد مماته . فكان فى تجاور القبرين لمن يعرف سيرة الرجلين قصيدة صوفية بليغة .

وزرنا ضريح نظام الدين وهو حجرة واحدة حولها سياج من الرخام الأبيض المخرّم فى دقة وإتقان وعليها قبة جميلة ، وعلى جدران الحجرة وعلى المقصورة من بدائع الصنع ، والتحلية مايشغل بصر الزائر حتى فى هذا المقام الجليل المهيب ، ورأينا هناك حلية مهداة من نظام حيدر آباد .

ورأينا أبياتاً فارسية أرّخ فيها موت الشيخ بكلمة « شهنشاه دين » = ٧٢٥

وكذلك قرأت عند قبر أمير خسرو أبياتاً فيها تاريخ وفاته بكلمات فارسية (طوطي شكر مقال) ، وكلمتين عربيتين (عديم المثل) وكلتا العبارتين يدلان على سنة ٧٢٥ هـ .

ورأينا على مقربة من هذه الحجرة قبة كبيرة على قاعة واسعة يقال إن السلطان علاء الدين بناها ليدفن فيها الشيخ فأبى الشيخ أن يكون فيها قبره ، واتخذها مسجداً .

***

وفى جوار الشيخ قبور لأمراء الدولة التيمورية وأميراتها ، عائذات بهذا الجوار الكريم . كل قبر حوله سياج من الرخام أظهرت فيه الصنعة قدرتها وإبداعها كأنما هذا الحجر كان شمعاً فى يد الصانع أو عجيناً .

وشدّ ما أثر فى نفسى بين هذه القبور قبر جهان آرا (زينة الدنيا) بنت السلطان شاه جهان ، وقد بلغ منى بيت بالفارسية منقوش على لوح من الرخام هناك :

بغير سبزه نبو شد كسى مزارمرا
كه قبر پوسن غريبان همين كياه بس است

لايكسُ أحد قبرأ بغير خضرة النبات المعشب
فكسوة قبور الغرباء هذا المعشب وكفى

وبعد هذا البيت باللغة العربية :

الفقيرة الفانية جهان آزا مريدة خواجكان (أى الشيخ نظام الدين) بنت شاه جهان بادشاه غازى أنار الله برهانه سنة ١٠٩٢

وما فصلنا من هذا العالم عالم الأخرى ، وفى النفس ملؤها من ذكريات الدنيا أوينا إلى قاعة فاسترحنا وشربنا الشاى فى ضيافة الشيخ حسن نظامى من ذرية الشيخ .

وقرأت على الجدار أشعاراً صوفية بالفارسية من مأثورات نظام الدين أوليا .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

أســـئلة !

للأســـتاذ على الطنطاوى

كان حديثَ الناس فى الأســبوع الذى مضى ، وحديثَ الصحف . هذه الـ(أربعون الف جنيه) التى تبرع بها البدراوى باشا وشهد عليه بها الشهود ، وجاءته عليها رسائل الشكر وبرقيات التهانى ، حتى إذا شبع من الثناء ، وروى من المدح ، وانتشى من الفخر ، ونال ما كان يريده من تبرعه ، ولم يبق وراءه غنم يناله ، ما بقى إلا الغرم بالـ(أربعين الف جنيه) عاد فجحد قوله ، وأنكر هبتــه ، وطمن على الشهود ، وكذب الناقلين ، فماد المهنئون له يعزونه ، والمادحون إياه يهجونه ، وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيه ، والنيل منه ، وأذهب هذا القدح لذة المدح الأول ، واشتاق إليه لما فقده ، ولـكن عزّ عليه أن يشتريه بـ (أربعين الف جنيه) ، وأن يؤديها كاملة فيكذب نفسه ، ويثبت قول من شهد عليه ، فافتداها بعشرة آلاف رفعها إلى السدة الملكية ، فردّتها عليه ، ولم تقبلها منه . وقالوا ، إنه سيدعى الشعب إلى اكتتاب عام يشترك فيه الغنى والفقير ، يحقق به ما كان التبرع له ، وهو انشاء معمل للـقاح ، يقى الناس من هذا الوباء الذى يحصد بمنجله النفوس ، ويقطع الأعناق ، ويودى بالأسر .

***

انتهيت من قراءة هذا الخبر ، فنشأت فى نفسى أسئلة كثيرة ، أحببت إذاعتها لأنى أتمنى أن أجد مجيباً عليها :

أولها : السؤال عن هذا التفاوت العجيب بين الناس الذى صار شعار الحياة المصرية ، وآيتها ... من أين جاء ؟ وكيف تركه العلماء والمصلحون وأصحاب الرأى ، وذوو السلطان ، ينمو ويمتد حتى يصير كالدوحة العظيمة ، ولم يقطعوه وهو بعد غصن طرى ؟

وكيف انتهت الحال إلى أن يكون فى مصر نفر من المصريين والأجانب اجتمعت فى أيديهم الملايين ، وملايين من المصريين دون الأجانب فرغت أيديهم من كل شىء .

وكيف امتد هذا التفاوت إلى غير المال ؟ فكان فى مصر نفر هم أكابر أدباء العربية ، ونفر هم أئمة علماء الإسلام ، ونفر هم أعلام الفلسفة والحقوق وعلوم الطبيعة ، وجماهير لا تحصى ، (إلا فى دفاتر الإحصاء عند الحكومة) ، لا تعرف من العربية ولا من الإسلام ولا من هذه العلوم شيئاً ، بل هى لا تعرف القراءة ولا الـكتابة ، وصارت مصر بحيث لو ذهب منها مئتا رجل فقط ، من عشرين مليوناً ، صارت زعامة مصر الثقافية ، بين الأقطار العربية ، خبراً بعد عين .

وكان فى مصر ، بل فى القاهرة نفسها العمارة التى تشتمل على خمس عشرة طبقة ، والأكواخ التى لا شباك لها ولا ماء فيها ولا مرحاض ، وفيها أفخم السيارات تسير بجانب عربات الـكارو ، تحمل أهل القاهرة من حى إلى حى ، وفيها شارع فؤاد وشارع ســليمان ، وفيها الزمالك وجاردن سيتى ، وفيها مقابل ذلك زين العابدين والدراسة وبولاق ، وفيها فندق شبرد ووراء حديقته أزقة مسدودة لا تراها الشمس ، ولا يمر منها الهواء ، ولا ينيرها الـكهرباء ، ولا تعرف الطريق إليها مصلحة التنظيم ..

إن الناس يتفاوتون فى بلدنا ، وفى بلاد الناس كلها ، ففيهم الغنى والفقير ، والعالم والجاهل ، وعندنا العمارات الـكبيرة ، والدور الحقيرة ، ولـكن المسافة بين عالينا ونازلنا قصيرة متحملة فليس فى دمشق كلها عمارة كالـ(ايموبليا) ولا كنصفها ، أن أعلى عمارة فيها فى ست طبقات . ولـكن ليس فى دمشق أيضاً ، بيوت كبيوت مصر القديمة أو عشش الترجمان ..

وعندنا فقراء ، ولـكن فقراءنا لهم ثياب نظيفة تسترهم ، وأحذية تحملهم ، وبيوت تكنهم ، وعندنا مالـكون للأرض ، ولـكن الناس يملـكون معهم ، ليسوا عبيداً لهم ، ولا اجراء عندهم ، ما عندنا هذه (الاقطاعية ...) إلا فى حماة وأمثالها ، وهى مناطق محدودة ، وسائر الأرض مقسمة بين الناس ، يملك الواحد منهم ربع الفدان فما فوقه ، ولا يرى نفسه دون مالك الآلاف ، ولا يذل له ولا يرى له عليه فضلا .

لذلك يعجب الشامى عندما يقدم مصر ، ويرى هذا التفاوت فيها ، ويسأل من أين جاء ؟

وثانيها : السؤال عن الـكتاب والعلماء ، لماذا لا يدعون إلى تخليص البلد من هذا الداء العياء ، وتعديل كفتى الميزان وتحقيق طبيعة العرب فى المساواة ، ومقصد الإسلام فى العدالة

لا أريد المساواة المطلقة التي لا تبقى غنياً ولا فقيراً ، فهذا مالا يكون ولا ترضاه سنن الكون ، ولا طبائع الأشياء . لا يكون إلا في أذهان الفلاسفة والشعراء ، وأصحاب الأغراض من الدعاة ، يشعبذون به على الناس ، ويتخذونه سلما إلى غاياتهم ، ووسيلة إلى أغراضهم ، ولكن أريد المساواة المعقولة ، التي لا ينزل بها انسان إلى منزلة البهيمية في طعامه وشرابه ومسكنه ، ولا يرتقي إنسان إلى منزلة الألوهية ، يدعيها كذباً وبهتاناً كما ادعاها فرعون من قبل ، وأن يكفل لكل مصري (مهما كانت مهنته ، وكن عمله) طعامه وشرابه وكسوته ومسكنه ، كما يليق بالانسان أن يأكل ويشرب ويلبس ويسكن ، وأن لا يترك في مصر رجل واحد ، يعيش كما تعيش السائمة ، يأكل قريباً من طعامها ، وينام مثل منامها ، في الطرقات ، والحقول ، وعلى الأرصفة ، وفي الأكواخ ؛ وأناس يطعمون كلابهم الشكولاته ، وينفقون أموالهم في المراقص ، ويذيبون ذهبهم في الكؤوس .

فما ذا يصنع العلماء والكتاب؟

وثالثها : السؤال ... إذا كان يجوز لمثلي السؤال ، عن الحكومة ما لها تقر هذه الحال ، أولا ، في كثير من قوانينها وأنظمتها ، فتجعل المدارس الأولية متفاوتة الدرجات ، ولا تسوق ابن الغني وابن الفقير بعصا واحدة ، وتحشرهم في مدرسة واحدة ، كما تفعل وزارة معارفنا في الشام ؟ ومالها تعنى بالمشروعات الضخمة الكمالية ، قبل اتمام الضروري ، كأن القصد تنويع الحلوى للأغنياء ، قبل تقديم الخبز للفقراء ؟ !

وما لها لا تضع ، ثانياً ، القوانين التي تؤدي إلى إبطال هذا التفاوت ، وإلى رفع المنخفض وخفض المرتفع ، حتى تقترب الدرجتان ، وتتدانى الكفتان ، فتعمل بالإسلام في أخذ الزكاة من الأغنياء ، وردها على الفقراء ، وحينئذ تأخذ هذه (الأربعين ألف جنيه) قسراً بلا رجاء ولا شكر ، أو تعمل عمل الأمم الغربية ، فتكثر الضرائب على الدخل وعلى المواريث وتشرف على المعامل والشركات والمصارف ، ويكون لها الرأي في كل ما يمس المصلحة العامة — وهذه (اشتراكية) ليست من مبادىء الإسلام ، ولكنه لا يمنعها إن دعت إليها ضرورة ، والضرورات لها أحكام ، وتعريف الضرورة وأحكامها ، مبين في كتب الفقه ليس هذا موضع بيانه .

ورابعها : سؤال عقلاء مصر وقادتها ، ألا تخافون أن تأتيكم هذه الحال بالشيوعية ؟ ألا ترون بوادرها ؟ ألا تعرفون أخطارها ؟ ألا تقدرون أضرارها ؟ فلماذا تلبثون نائمين ولهيب النار يقترب من منازلكم ، فلايلبث أن يشملها عليكم ، فيجعلكم فيها كالمحبوس في الجحيم ؟

إن الناس لا يقبلون على الشيوعية عن معرفة بها ، ولا عن حب لها ، ولكن دعاتها رأوا ما هم فيه ، وعلموا أنهم يتمنون أن يجدوا الخلاص منه ولو على يد الشيطان فأوهموهم أن الشيوعية هي سبيل الخلاص ، وأنها طريق السعادة وأنهم إن كانوا دعاتها ملكوا بها قصور الأغنياء ، وحقولهم وسياراتهم ، فلذلك تعصبوا لها ولا يدرون ماذا فيها ، فهم منها كما قال عبد الله بن عمر ، لمن لامه على ترك مؤازرة ابن الزبير في دعوته إلى الإصلاح : أرأيت بغلات معاوية الشهب اللاتي يحج عليهن ؟

قال : نعم . قال : ذلك ما يريد ابن الزبير !

إنهم يئسوا منكم ومن دينكم ، فأروهم أنكم معنيون بهم ، وأن دينكم لا يرضى ما هم فيه ، إن الإسلام دين العدالة ، دين المساواة ، دين الخير ، أفيرضى أن يستعبد بعض الناس بعضاً في قرن العشرين الميلادي ، وقد أنكر ذلك عمر في القرن الأول الهجري ؟

فلماذا لا تأتونهم بحق الإسلام ، لتخلصوهم به من باطل الشيوعية ؟

أما والله إذا صار هذا البلد (لا سمح الله ولن يسمح) شيوعياً فأنتم يا أيها العقلاء ، ويا قادة الرأي ، المذنبون ، لا العامة ولا الدهماء ولا الأغرار من الشباب !

وخامسها : سؤال المصريين جميعاً ، ألم يروا هؤلاء الأجانب ، أصحاب المتاجر والمعامل والمصارف لم تمتد يد منهم بقرش لرد هذا الوباء ، ومساعدة المنكوبين به ، ورفع البيوت التي هدمها ، وإطعام الأطفال التي يتمها ، والنساء اللاتي أيمها ؟ ألم يأن لهم أن يتنبهوا إلى أنهم أحق بخيرات بلادهم ؟ لا بالنهب والسلب والثورة وأخذ المال من أصحابه ، لا ما ذلك أردت ، ولا يريد هذا عاقل ، بل بأن تطرحوا عنكم ثوب الكسل ، وتشمروا عن

ساق العمل ، وتنزلوا للميدان ؛ وتتعلموا حب المال ، والرغبة فى الأسفار ، وتتقنوا فن الاقتصاد ، وصيد الدراهم ، والتعاون على الكسب . بذلك تخلص إخوانكم الشاميون من سيطرة الأجانب، وانقذوا بلادهم منهم ، ثم ذهبوا فغزوهم فى بلادهم ، وانتزعوا أموالهم من أكفهم ، وزاحموهم ، فى مانشستر ونيويورك وبونس ايرس والكونغو وبومباى وطوكيو ، وكل بلد فى الدنيا ، ما خلت مدينة من تجار الشام .

إن بعض العراقيين يقولون مازحين : إن الشـــاميين يهود العرب !

يهود العرب .. طيب والله ! .. وهل نقاوم اليهود إلا بهذا ؟ بارك الله فى تجار الشام — وإن كنت (أشهد الله) أكرههم ، لما رأيت من طمعهم وجشع نفوسهم . وأعنى أن أشد أصابعي على أغنياء الحرب منهم ، ولكن الحق أحق أن يقال ، ولا تنجح أمة إلا بأمثال هؤلاء التجار

هؤلاء الذين يشيدون مجدها ، ويثبتون بناءها ، ويحفظون مالها . فمتى يكون المصريون مثل هؤلاء ؟ ومتى أجىء مصر ، فلا أرى فيها إلا لوحة عربية ، باسم عربى ، على مؤسسة عربية؟!

يا مصر ، هذا هو الطريق ! وهذا والله كلام صديق !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

النظرية الحديثـــة فى تفسـير الاحلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

إن آداب كل أمة توضح بجلاء رغبة الرجل الملحَّة ، المستديمة ، فى تعليق بعض الأهمية على أحلامه وإلباسها بعض المعانى . فمن فجر التاريخ إلى بداية هذا القرن كانت الأحلام تعتبر فى بعض الأحيان كأصوات للالهية الباطنية ، وجولات للذات النجومية ، وزيارات للروح ، وتنبؤات بالمستقبل ، أو نتيجة اضطرابات جسمية باطنية .

وفى عام ١٩٠٠ حوّل الأستاذ سيجموند فرويد ما اعتبره خرافات وأوهاماً خاطئة فى تعليل الأحلام إلى « دراسة علمية » . فلقد وجد ، ككل العلماء ، أن الاتجاه إلى الحدس والتخمين عمل محفوف بالمكاره .

وإن رجالاً من أمثال جوليان هكسلى ، وهـ . ج . ويلز ، وها فلوك إليس ، ليدفعون إثارة لفرويد . كما أن العالم أجمع يقدره حق قدره ويعده من أنبغ النابغين فى جيله .

للأحلام وجهان :

لا يخفى أن لكل قطعة من العملة وجهين ، لا نرى منهما إذا وضعت القطعة على نضد إلا الجانب الفوق . كذلك لكل حلم وجهان ؛ فالحلم الذى نعيه عند الاستيقاظ هو الرأس أو الوجه ، ويعرف فى الاصطلاح الفنى بالمحتوى الظاهر ؛ أما الحلم الحقيق ، الذى لا يفسره التحليل أو يوضحه فهو « الخلفى » أو المحتوى الباطن . ومشكلة تحليل الحلم هى أن نرجع إلى الحلم الحقيقى ، أى المادة المستترة .

ولكن لم هذه الضرورة لحلم حقيق وحلم غير حقيق ؟

إن حلماً كهذا الذى تذكره عند استيقاظك من النوم إن هو إلا شىء باطل ملفق ، وتمويه مطبق . وإنه لوسيلة لإخفاء القصة الحقيقية . قد تسأل : « لم هذا الإخفاء ؟ » ونحن لا يسعنا إلا أن ندلى برأينا كاشفين عن السر القناع .

إن للعقل « جزئين » كما هو معروف ؛ الواعى والباطن . الأول كتاب قانون للجماعة ، وهكذا نسميه ، لأنه يحوى جميع النواهى وكل الأوامر ، كما يحتوى على قواعد حسن السير والسلوك . وإنه بمثابة مجموع أو حاصل لمبلغ تربيتنا وتهذيبنا من عهد الطفولة وما بعدها .

أما العقل الباطن فإنه يحتوى على نواة الرغبة . ويتبع نظام حفظ الأوراق بالترتيب مع الذات الفيزيقية ، على نسق فهرس ، يشتمل على فكر وتصورات فى غاية الهمجية — تصورات تدل على الطبيعة الفجة « الخام » .

ويمكنك أن ترى بين العقلين خلافاً جوهرياً ؛ أحدهما يريد ، والآخر لا يريد . . أحدهما ذو الطبيعة الهمجية يلتقى بحاجيات الطبيعة ؛ والآخر إنسان متمدن يوفق بين طلبات المدنية .

ومن تعارض هذين العقلين تنشأ الأحلام .

الحوار الداخلي :

قد يتوقع المرء أن يؤثر الحوار الداخلي في الفرد فيوقظه ، ولكن آلية الحلم جعلت هذا الجدال الداخلي محرفاً في معناه ، ومشوهاً في شكله ، لكي يكون النوم باقياً مستمراً ومحفوظاً . والحلم إذ نذكره — أي في حالة المحتوى الظاهر — إنما يستخدم غرضاً واحداً ، هو قيامه بمثابة حارس للنوم . وإنه ليلجأ إلى أنواع التزويق والخداع لكي يصادف هذا الغرض .

والمحتوى الكامن أو الباطن للحلم ، أي الحلم الحقيقي ، يخدم غاية تختلف تمام الاختلاف عما سبق . فهو يرضي رغبة عقلية داخلية ، تحرك عاطفة خاصة وتحثها لإنشاء تحوّل كيمي وفزيقي ، أو أصوات متعددة ذات وتيرة واحدة منسجمة أي إنها تسبب قيام غدد معينة بالإفراز وتحدث تغييرات كيمائية مختلفة ، أكثر مما لو كان الشخص قد تناول علاجاً منعشاً عند النوم . وإلى هذا يرجع السبب في شعور المرء بالراحة عند استيقاظه .

الآن وقد كونا فكرة صحيحة بل صورة ذهنية حية لهذين المقلين المتناقضين ، نستعرضهما وكأنها غرفتان متلاصقتان ونتخيل حارساً يقف عند المدخل كديدبان ولنسمه « الرقيب » . وهذا مهمته كمهمة الرقباء أثناء الحرب سواء بسواء — يصرحون بنشر أخبار معينة ويمنعون من النشر أخرى . وهذا الرقيب هو الذي جعل للحلم وجهين بطائفة من الحيل كالرمزية ، والتحريف ، والتكاثف ، والعواطف المزيفة ، والاستبدال . وكل هذه ، بطبيعة الحال ، معلومات فنية عالية . وهي مع ذلك يمكن شرحها بسهولة .

إن المرء لفي حاجة ماسة للتعرف على كيفية عمل الرقيب ، وإنا لذلك سنمضي في متابعة الطرائق المختلفة ، ونعرض أحلاماً رمزية بطريقة التصوير .

الرموز :

الرمز عبارة عن علامة تعني شيئاً ما . فالدوائر الثلاث المتداخلة معناها التضامن أو التعاون . والبولدوج رمز للمتانة أو التشبث . كما أن الأسد رمز للشجاعة والاقدام . والثعلب رمز للمكر والدهاء . وهذا قليل من كثير لا حصر له ولا عد . وثمة شيء غريب آخر عن الرموز ، هو أنها تحرك العواطف وتستفز الشعور على الفور وبأسرع ما يمكن . يقول الشاعر أو الناثر أو الخطيب « زمجر كالأسد » . كم يكون وقع هذه الجملة في السامع ! وكم تكون حيويتها وتأثيرها ! أليست أشد وقعاً في النفس مما لو قال « زمجر عالياً ! » ... ومن ذا الذي لا تهزه الأريحية ولا تأخذه النخوة عند سماع النشيد القومي أو السلام الملكي ! ..

ثم أليس هناك آلاف ممن جندوا أنفسهم واستعدوا للدخول في غمار المهالك ، واستنفاد آخر قطرة من دمائهم من أجل خفوق قطعة من قماش مصبوغة باللون الأخضر ومرسوم عليها هلال وثلاثة أنجم ؟ لا لأنها تقوم على نصرة المملكة المصرية فحسب ، ولكن لأنها رمز يحرك العواطف ويذكيها حماسة .

وعلى ذلك يمكننا أن نرى أن الرمز ليس إلا مؤثراً آلياً أو ميكانيكياً في الأحلام لا يقدّر بثمن ، لأنه يحرك العاطفة لسعادة جسمية .

أما رموز الأحلام فهي غالباً ما تكون سرية (أو خاصة بالحالم ذاته) ومن ثم فإنك ، أنت نفسك ، عندما تستيقظ من النوم ، ولا تفهم شيئاً من معاني ما رأيت في حلمك .

دراسة الأحلام :

إن الرموز التي أسلفنا القول فيها هي في الواقع معروفة وليس هناك من يجهلها . ولكن لرموز الأحلام ميزة الخصوصية والسرية . فمن ذا الذي يعرف تلك الرموز ؟

الخبرة في تحليل الحلم تعرفنا بالقليل من معاني الرموز ، ولكن أفضل طريقة لدراستها هي دراسة الحالم . والطريقة المتبعة في ذلك من السهولة بمكان ، وهي أن تستقصي ما يذكرك بالأشياء . مثال ذلك أني حلمت بامرأة ذات أسمال بالية تقوم بعمل أشياء مختلفة ، فتساءلت عما يذكرنيه امرأة ذات ثوب خلق . وذكرت أني منذ سنين قليلة كنت في حفلة رقص تنكرية حيث كانت فتاة ترتدي ثوباً خلقاً ممثلة الفاقة . فكان من الواضح إذن أن الفتاة التي رأيتها في الحلم تمني الفاقة . بيد أني لم أحلم بالفاقة ، لأن هذا قد لا أستسيغه فيزعجني ويوقظني من النوم . فيتكرم « الرقيب » مشكوراً ويريني تلك الفتاة الجميلة ، الرشيقة ، بهيئة مرضية ، ليستدرجني في دروبه كيف شاء له الهوى تاركاً إياي أغط في نوم عميق مريح

ولنأت بحلم رمزي بسيط :

كان الحالم طفلا في الثامنة من عمره . رأى أن كلباً وقطاً يتشاجران . كان الكلب أسمر اللون ، وكان القط أحمر اللون . ورأى فجأة أن الكلب والقط قد دخل كلاهما في الآخر وتكون منهما حيوان فرد فيه شبه من القط ، وفيه شبه من الكلب ، فاستيقظ من نومه باسماً . ولما سئل عن أقرب شجار شاهده أمامه كانت النتيجة أن أمه وأباه كانا يتشاجران دائماً شجار الكلاب والقطط . وفي ذلك اليوم على الأخص كان عراكهما فظيعاً . وكانت هذه آخر معركة رآها قبل أن يرى في الحلم كلباً وقطاً يتشاجران ...

لقد كان أبوه أسمر اللون ، وكانت أمه شقراء . فمن الواضح أن الكلب كان أباه ، وكانت القطة أمه . ولقد كان انزعاجه من رؤية حيوانين يتشاجران لا يقاس بجانب انزعاجه من عراك والديه . إنه يريد أن يقف عراكهما عند حد ، وأن يتصافيا ، لأنه تصورهما وقد امتزجا معاً وصارا وحدة . وإن هذا ليسره فيستيقظ باسماً . وهكذا نرى أن تفسير الحلم بسيط غاية البساطة . ولكني أرجو أن تدرك تماماً أيها القارىء العزيز أن الحلم لا يوضح ولا يشير إلى ما سوف يفعله أناسه أو ما قد يفعلونه ، ولكنه يبين ما يفكر الطفل فيه . بيد أن هناك ما هو جدير بكل اعتبار ألا وهو أنه ما من حلم إلا ويبين اتجاه الحالم نفسه لا اتجاه أحد غيره . وعلى كل من اشتغل بدراسة الأحلام أن يذكر أن هذه النقطة من الأهمية بمكان .

وبما أنه لا يوجد للان اى حلم يبين بوضوح لأي شخص تركيباً آليا ، بل تراكيب من مختلف الأساليب ، فإننا نخطو إلى أحلام أكثر تعقيداً . وقبل أن نقدم على هذا ، علينا أن نتعرف السبب الذي يجعل الأحلام معقدة أو فيها شيء من التعقيد . ذلك لأنها ذات تحريم جنسي .

التحريمات الجنسية :

لقد هاجم رجال الدين فرويد بسبب اعتماده على الجنس . فرد عليهم مازحاً ، ولكنه أظهر الناس على بعض الحقائق السافرة وأظهر بالتحليل تسلط الجنس على النفس الداخلية ، وأزال كثيراً من أوهام المتصوفين .

على أن فرويد لم يقل أن كل الأحلام جنسية ، أو إنها يجب أن تكون جنسية ، وكل ما في الأمر أنه دون في بيانات صحيحة أن السواد الأعظم ذو طبيعة جنسية . وقبلما نحاول تحريم أو نبذ هذه النظرية التي تحاول الكشف عن الطبيعة الجنسية في الناس يستحسن أن نرفع النقاب عن المعلومات الجنسية . ولنكن صرحاء للغاية القصوى بدل أن نخفي أنفسنا على طريقة النعامة ، إذ نضع رؤوسنا في رمال الزمن المرتحل .

إن البيولوجيا تبين بوضوح وجلاء أن هدف الحياة ما هو إلا حفظ الحياة والتكاثر فيها . فبدون النشاط الجنسي ، وبدون الحافز للحياة ، يموت كل شيء ، ولا يبقى شيء .

وإذا كان هذا هو أهم شيء في العالم ، وهو بالفعل كذلك ، فلم ندعي أنه يقوم بدور بسيط تافه لا يعتد به في ذواتنا الفيزيقية ؟

إن الحقائق الجنسية أصعب من أن تواجه في حالة طبيعية . فهي اختبار قاس . ولا داعي لبيان أهمية الجنس ولا للتعريف بأنه أعظم شيء في الحياة ، إذ أن كثيراً من العقول المفكرة قد أقامت البرهان القاطع على أنها نواة كل سلوك .

عبد العزيز جادو

حول جدل في الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوى

– ٢ –

منذ نشرت مجلة « الرسالة » تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن [الفن القصصي فى القرآن] ، والأستاذ محمد خلف الله يبعث بالمقال تلو المقال تارة يستجدى وتارة يستعدى ، وليس العلم تناصراً ولا استصراخاً فليعلم أن الناس جميعاً علماءهم وفنانيهم لن يغنوا عنه من الحق شيئاً ولا من وقع الحجة وأصابتها مقتله فتيلا وليست شتائمه أساتذته أو غير أساتذته ولا خوضه فى مقاماتهم بالكلام الخبيث ما نعته من صولة البرهان .

ولقد وجهنا إليه فى مقالنا السابق تهمة أولى أنه يجهل المقررات المنطقية التى تجمع عليها العقول ؛ فهل هو مجيب عن هذه التهمة ؟

ووجهنا إليه فى مقالنا السابق تهمة الكذب على الأستاذ الإمام محمد عبده أنه يجرى فى تفسيره على اعتبار أن ما فى القرآن من قصص لا يدل على أحداث وقعت وأقمنا البرهان على كذبه هذا بما نقلنا من نص عبارة المنار .

واليوم نقول للأستاذ خلف الله أنه جهل فهم كلام الأستاذ محمد عبده فى الفقرة التى نقلها فى مقاله المنشور فى ص ١٠٦٨ من مجلة « الرسالة » الغراء ، وأنه جهل المنهج الذى يدرس عليه القرآن الكريم .

يدرس القرآن الكريم على منهجين : الأول منهج [الباطنية] وهم فرقة من الملاحدة يعطلون ألفاظ القرآن عن مدلولاتها ، ويسلكون بها سبيلا تخيلية وهمية توصلا بذلك إلى تعطيل الشريعة الغراء فهم يدعون للألفاظ أو للجمل مراداً عاماً لا ينبنى على أسس علمية وهؤلاء كفار والجرى على طريقتهم كفر وجهالة .

لأن مذهبهم هذا مجرد دعاوى لا تنبنى على شىء من العلم . فهم يقولون مثلا فى تفسير قوله تعالى : [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين] استقيموا لله وطهروا أنفسكم بالأخلاق الحسنة وكونوا خاضعين ، وليست هناك صلاة شرعية ولا زكاة شرعية ولا سجود ولا ركوع .

والمنهج الثانى : فى دراسة القرآن الكريم منهج المسلمين ، وهو منهج العلم والعقل الذى تقوم عليه نواحى الحياة كلها وليس خاصاً بالقرآن الكريم وحده ؛ ذلك أن الكلام يجب أن يكون لألفاظه مدلولات حقيقية تنصرف إليها تلك الألفاظ ولا يعدل عنها إلا إذا وجدت قرينة تمنع من إرادة تلك المدلولات الحقيقية فأما ترك تلك المدلولات الحقيقية مع عدم وجود تلك القرينة التى تمنع من إرادة الحقيقة فإنما هو فى غير القرآن خبل وجهالة وإذا ادعى شىء من ذلك فى مقام القرآن الكريم فهو خبل وجهالة وزندقة يخرج بها صاحبها عن عداد المسلمين لأنها تعطيل لكلام الله تعالى الذى أنزل لهداية البشر أجمعين .

ومن المسلمين من يقف فى تفسير القرآن الكريم عند هذا الحد لا يتعداه ؛ بل يحمل الكلام على الحقيقة ما أمكن ذلك ثم على المجاز الذى تدل عليه القرينة عند وجودها ، ولا يقولون إن القرآن يشير من وراء هذه الحقيقة أو هذا المجاز إلى شىء من باب الإشارة والإيماء لأن هذه الإشارة وهذا الإيماء لا تدل الألفاظ عليه .

ويقول الصوفيون من المسلمين إن فى القرآن إشارات وإيماء من وراء تلك الدلائل الحقيقية ، وهذه الدلائل الإشارية الإيمائية ملحوظة عند هؤلاء الصوفيين مرعية لديهم حق رعايتها .

فمذهب الصوفية يخالف مذهب الباطنية كل المخالفة لأن الباطنية يعطلون الألفاظ عن مدلولاتها . فهم لا يعتبرون آدم شخصاً ولا الملائكة موجودات ، ولا الجنة شيئاً ، ولا إبليس حقيقة ؛ إنما يقولون فى ذلك كله ما يقول الأستاذ خلف الله إن القرآن فى ذلك لم يتشبث بالواقع ، أما الصوفية فيقولون بأن كل هذه الألفاظ لها مدلولاتها الحقيقية ثم يشير مجموع القصة إلى أمور أخر كالتى ذكرها الأستاذ الإمام فى قوله : وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا : « إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه إلى آخر ما قال . فمحال أن يكون الإمام قد قصد إلى تعطيل الألفاظ والذهاب مذهب الباطنية .

وإنى ناقل هنا عبارة الأستاذ الألوسى إذ تشرح هذا المنهج وترى الأستاذ خلف الله أنه كان على جهل حين زعم أن من المسلمين من يرى أن القصص القرآنى لا يتصل بالواقع وكان على خطأ لم يفهم به كلام الأستاذ محمد عبده ؛ قال الألوسى : وأما كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفى الشريعة بالكلية ، وحاشا سادتنا من ذلك ؛ كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا : لا بد منه أولا إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب .

والألوسى فى تفسيره ينهج هذا المنهج أبداً فهو يفسر الأسلوب القرآنى على حقائقه اللغوية فإن قامت قرينة على غير الحقائق انصرف إلى المجاز الذى تدل عليه اللغة ؛ ثم يعقب على ذلك كله بتفسير الصوفية فيقول : ومن باب الإشارة ... ويذكر الإشارات الصوفية فى ذلك المقام .

والأستاذ محمد عبده نهج هذا المنهج نفسه ، واختار لنفسه فى المتشابه منهج السلف والأخذ برأى الخلف فيه عند الإمكان وعند الداعية إليه فى فهم الكلام ثم يذكر مذهب الصوفية وهم من الخلف ويقرر مذهبهم الإشارى كذلك ويصرح فى كثير من كلامه بكلمة الإشارة وبكلمة الإيماء ؛ قال فى ص ٢٦٩ من الجزء الأول من المنار . فإذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون [الإشارة] فى الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها ؛ وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى ...

وقال صاحب المنار فى تلك الصفحة نفسها : « وأقول إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم . وكان مساق هذا الكلام كله بعد عبارة طويلة نقلها من كلام الغزالى فى الإحياء . فهو إذن بيان لمذهب الصوفيين .

فمن الافتيات على الأستاذ محمد عبده افتياتاً جريئاً فيه عدم الاستحياء من الحق ما قاله الأستاذ محمد خلف الله عن الإمام محمد عبده إذ ينسب إليه أنه يرى أن القصص القرآنى لا يلتزم الواقع أو أنه جرى مع أحد هذا الجرى وذهب معه هذا المذهب الذى يدعيه .

ولقد حاولت أن ألتمس للأستاذ خلف الله بعض المعاذير ، ولو أوهاها فى التورط فيما تورط فيه فمنعنى سلوكه ، وحالت بينى وبين ذلك خلائقه ؛ ذلك أننى وجدته مدلساً فى النقل خائناً للأمانة العلمية فهو يكذب فى النقل أو يبتر المنقول ولا يتمه بل يخفى منه ما يبين المراد تمويهاً للحقيقة وإلباساً على الناس .

لقد قال فى ص ١١٢٢ من مجلة « الرسالة » الغراء : ويؤكد الرازى هذا الأمر فى مناسبات أخرى حين يجعل أحياناً كلمة « بالحق » التى ترد كثيراً فى القرآن بعد القصص وصفاً لما فى القصة من توجيهات دينية فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتى : (أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة) .

وإنى ناقل عبارة الفخر الرازى بنصها شاهداً على تدليس الأستاذ محمد خلف الله فيما ينقل من عبارات العلماء قال الفخر قوله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة فى هذه السورة ذكر فى هذه الآية نوعين من الفائدة أولها تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك أن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وبلية ، فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه . والفائدة الثانية قوله : وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . وفى قوله (فى هذه) وجوه

أحدها فى هذه السورة . وثانيها فى هذه الآية . وثالثها فى هذه الدنيا ، وهذا بعيد غير لائق بهذا الوضع ، واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجىء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور فى هذه السورة أكمل حالا مما ذكر فى سائر السور ، ولو لم يكن فيها إلا قوله تعالى فاستقم كما أمرت لكان الأمر كما ذكرنا ، ثم إنه تعالى بين أنه جاء فى هذه السورة أمور ثلاثة : الحق والموعظة والذكرى . أما الحق ، فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ؛ وأما الذكرى فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة ؛ وأما الموعظة فهى إشارة إلى التنفير عن الدنيا ... اﻫ .

فالفخر الرازى ليس فيه شىء مطلقاً لا من قريب ولا من بعيد مما نسبه إليه الأستاذ محمد خلف الله فرية واختلاقاً ، فالفخر يجعل اسم الإشارة راجعاً إلى السورة ، يعنى سورة هود ، ويجعل الحق الذى فيها هو الدلائل الدالة على التوحيد ، ولعل عند الأستاذ خلف الله ، أو الذى كان يشرف معه على رسالته نسخة خطية خاصة من كتاب الفخر الرازى عملت لهما فقط وخط لهما فيها ما يشاءان ؟ ما هذا يا أستاذ ؟ وما هذه الخيانة فى العلم ؟ !

ومثال البتر فى النقل ما قاله الأستاذ خلف الله فى نفس الصفحة إذ نقل قول الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها)

والفخر الرازى قال ذلك ولكنه أتم كلامه فقال فى شرح تلك الأمور « فأولها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم . وثانيها أنها تدل على العبرة . . وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتتلمذ دل ذلك على أنه بوحى من الله . . الخ

فكلام الرازى صريح فى أن القرآن لا يذكر القصة لأنه كتاب تاريخ بل يذكرها لما فى ذكرها من الفوائد التى ذكرها وكلام الفخر الرازى صريح فى أن القرآن لم يحرف فى القصص ولم يغير وكان ذلك دليلا على أنه بوحى من الله .

أما دعوى الأستاذ خلف الله فهى أن القصص القرآنى لا يتشبث بالواقع وإذن فلابد له من التدليس فى النقل ليتوهم القارىء أن للكلام الذى يقوله الأستاذ خلف الله أصلا فى كلام السابقين

صارت الصفات التى يتمتع بها الأستاذ خلف الله فى مقاليه فى الرسالة ثلاث صفات الجهل والكذب والخيانة .

وإذا كان للكانون عند العرب ثلاث أثافى فإن كانون الأستاذ خلف الله له أربع أثافى تلك الثلاث التى مضت وسنرميه بالرابعة .

ولقد كان يمكننا أن نرميه بها بادىء ذى بدء بعد أن حصلنا على ما حصلنا عليه ولكنا آثرنا أن نقدم بين يدى ذلك جهله وكذبه وخيانته ، ثم نقيم عليه الحجة والدعوى معاً

لقد وقعت الرسالة فى أيدينا وقرأناها كما قرأها سوانا ولكم الويل مما تصفون . لكم الويل فانتظروه فى الأعداد القوادم وفى ساحات القضاء .

عبد الفتاح بدوى
كلية اللغة العربية

الصــــدق فى الأدب

للأســتاذ مهدى القزاز

فى بعض الأوقات تكون قلوبنا عامرة بالعواطف ، مثقلة بالإحساسات ، تتدفق بألوان الشعور ، وتحيا بفيض من الإشراق وتنبض بمختلف الأمانى والأحلام … تحاول الانطلاق فى أجواء فاتنة تضج بالأنغام والأضواء والشذى والعطر ، لتنغمر فى الوجود الذى يهيىء لها الابداع والخلق والابتكار ، إذا كان لها نصيب من حسن الذوق وبراعة الإنتاج ..

يشعر القلب فى مثل هذه الفترة أن الحياة تتفجر نوراً وجمالا وتتضوع أريجاً مسكراً ، فيختلج ليلهم الأديب الفنان والشاعر الملهم والكاتب الموهوب أروع الصور الذهنية ويضفى على انتاجهم روعة الصدق وحرارة الإخلاص وسمو العاطفة ، فيحيا فى كل أعمالهم وما يفكرون وينتجون ويبدعون ، فيكون لأدبهم وكتاباتهم أثر فى كل نفس وصدى فى كل روح لأنها نتيجة شعور صادق وإيمان عميق بما يكتبون ويفكرون …

وفى بعض الأحيان تجدب قلوبنا وينتابها التبلد والخمول وتتيه فى ظلمة قاسية من الجفاف والخواء ترقد فيها العواطف وتشيع الكآبة فى النفس ويرين الحزن على القلب فلا يشعر بالنور وتتلاشى فيه الأضواء وتنعدم الأخيلة ، فيحس أن الحياة مغمورة بالضباب فلا ترى العين ولا ينفذ الفكر ولا يومض الذهن وفى مثل هذا العدم يتوقف القلب عن الإيحاء الصادق ولا يوحى إلا بالتافه من الأمور والضحل من الأفكار .

فى مثل هذه الحالات يجب على الأديب الصادق الذى يكتب بعاطفة وشعور يستمدهما من قلبه أن يريح قلمه إلى حين وإلا بدا عليه الاسفاف ظاهراً والاجترار ملموسا والتكلف واضحا لأن نبضات قلبه يجب أن تبرز دائماً فى كل عمل من أعماله الأدبية وإنتاجه الذهنى فإذا فقدها خلت كتاباته من عنصرها الأساسى وهو (روح الكاتب) .

يقول الأستاذ (توفيق الحكيم) فى كتابه (زهرة العمر) « إن تربية ملكة العقل وحدها لا تكفى عند رجل الأدب والفن إن لم يصحبها إيحاء القلب وإلهام العاطفة وملكة التذوق … وهو يشترط اشتراك القلب ووحيه فى كل عمل من الأعمال الذهنية والانتاج الفكرى » .

فالقلب ينبوع العواطف والأحاسيس منه تنبعث أحلى الأنغام وأسطع الأضواء وأعذب الألحان وأعمق الأفكار . وفيه تحيا كل القوى التى تسيطر على حياتنا وتجعلها مشرقة وضيئة حيناً وقاتمة مظلمة حيناً آخر . أما العقل فهو القوة التى تنظم ما يجول فى القلب من تيارات وينبض فيه من عواطف وأحاسيس ، وعمله كعمل الفنان أو المصور الذى يضفى بريشته وألوانه على الصور والألحان ما يزيدها عذوبة وجمالا ويعطيها جاذبية وإيحاء يكسبها الخلود .

***

يحسب بعض الناس أن الأدب لا يعدو كونه صناعة من الصناعات لا يحتاج إلى فهمه والنبوغ فيه كبير مشقة وعناء إلا ما يحتاجه صاحب المهنة لإتقان إحدى الصناعات اليدوية والبروز فيها والتفنن فى إظهارها للناس بالمظهر الذى يجعلها أكثر اتقاناً وإغراء للشارين . كما يحسبه بعضهم تجارة تخضع لقاعدة العرض والطلب فيفهمون الأديب الناجح بمقدار ثروته وما تدر عليه كتاباته من مال وثراء فإذا أخفق فى جلب الثروة ولم يتمكن من الربح المادى عدوه فاشلا ونظروا إلى كتاباته نظرة عدم اهتمام كما ينظرون إلى بضاعة من البضاعات كسدت ولم يبق لها شار فى السوق .

وبعضهم يرى الأديب الناجح من كثر إنتاجه وتعددت الصحف التى يكتب فيها والتى تنشر اسمه وتنوه بكتبه وآثاره غاضين النظر عن قيمة هذه الكتب والآثار الأدبية من وجهة الجمال والفن والابداع ، وما فى أفكار صاحبها من ابتذال وفسولة .

وهؤلاء الذين فهموا الأدب والأديب هذا الفهم الخاطىء معذورون لأنهم لم يتوصلوا إلى فهم الحياة أو يتذوقوا ما فى الوجود من أسرار وجمال وعواطف . ولأنهم يكتبون ويفكرون ويحكمون بعقولهم فقط تاركين قلوبهم هملا لا تحيا فى أعمالهم الأدبية وما يصدرونه من أحكام . كالآلات الميكانيكية تعمل وتنتج فى كل وقت وفق خطة مرسومة لا تحيد عنها قيد شعرة .

وبسبب هذا الفهم المغلوط وانتشاره فى الأدب العربى والأدباء العرب نشاهد كثيراً من الذين يكتبون ويؤلفون تبدو آثار الصنعة والتقليد وبرودة الموت فى إنتاجهم لأنهم يكتبون بدون عاطفة وإحساس بهذا الخارق العظيم فى الحياة وهو القلب ولزوم اشتراكه

أو ظهوره فى إنتاجهم وكل أعمالهم . وذلك لأنهم تملوا الأدب ودرسوه كصنعة من الصناعات ومهنة من المهن لذلك جمد إحساسهم وماتت عواطفهم فجاء أدبهم صورة تنطق بالفقر من الإحساس والتصوير والابتكار .

وإنى أطالع أحياناً ما يكتبه الكاتبون والأدباء ، وخاصة فى الأدب الوجدانى ، فأرى فى آثارهم صدق الإحساس وحرارة التعبير وشبوب العاطفة ، وهذه هى صفات الأدب الصادر فى صدقه وحرارته وشبوبه عن وجدان حساس تهزه العاطفة فينتفض وتمسه الأزمة فيرتمش . وأطالع أحياناً أخرى آثار بعض الأدباء الآخرين فأرى التكلف فيها واضحاً والاجترار ملموساً والصنعة ظاهرة وهذه هى صفات أدب التصنع الذى لا يثير فى النفس إحساساً ولا يحرك عاطفة ولا يعالج عقدة ، وذلك لأنهم يكتبون كتابة آلية لا تدعوهم إليها دواعى الوجدان أو تثيرهم إحدى الأزمات النفسية فتلهب عواطفهم وتحرك قلوبهم .

وإنى امرؤ أقرأ الأدب بقلبى وعاطفتى وأحكم على صدقه بما يثيره فى نفسى من اهتزازات وأحاسيس تجعلنى أشارك كاتبه فى الشعور والإحساس رغماً عنى لأنه صادر عن قلب حساس يتألم أو ينتشى ، ويصور بصدق ما ينتفض فى القلب من اختلاجات وما يجول فى الذهن من أمانى وآراء . أما الأدب الكاذب فهو الذى لا يثير أدنى شعور ولا يحرك خلجة فؤاد لأنه صادر عن عقل جامد صدىء يتصنع الشعور ويتكلف الإحساس .

إن القلب يجب أن يحيا فى كل ما يكتبه الكاتب والأديب وإلا جاء إنتاجه ممسوخاً وخالياً من كل شعور أو إحساس ، لأنه يكتشف بذلك عوالم مليئة بالجمال حافلة بالمتع والمباهج . حتى الألم عنده له لذة غريبة تكسب أدبه جمالا فنياً رائعاً كجمال تماثيل الفواجع الخالدة . وعندها يكون تفكيره وإنتاجه صادقاً ينقل الصور ويسجل الحوادث ويزيد فى ذخيرة الأدب لوناً يكسبه الخـلود ...

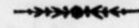
لذلك يجب على الأديب الحق الذى يحاول أن يكون فى أدبه خالقاً وفى آرائه مبدعاً وفى تفكيره ناضجاً ، أن تكون هناك صلة وثيقة دائمة بين عقله وقلبه وقلمه وبما يفكر ويكتب ويصور ، لأن جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يكتب لها الخلود إلا إذا كانت صادرة من قلب ينبض وعقل ينظم وقلم يكتب ويصور .

أما هؤلاء الذين نراهم ، فى كل يوم ، يسودون الورق بهزيل الأفكار وتنميق الألفاظ وبهرجة العبارات بدون أن يكون لإنتاجهم صدى يبعث فينا الروعة التى نشعر بها أو نحسها عندما نطالع أثراً أدبياً أو نرى عملا فنياً اشترك فيه القلب والعقل . أما هؤلاء فسيظلون على الهامش وستذهب كتاباتهم مع الريح .

(بغداد) مهدى القزاز

من صور الطريق

للأستاذ مهدى السامرائى



هذا الطريق المرصوف بالحجارة والقار كم تطأه من الأقدام وكم تمر عليه من الأجسام وكم تسير فيه من النفوس ، كل مهتم بشأنه كل سابح فى عالمه وأحلامه وكل لاه بأمره عن أخيه الذى يسير بجنبه ويعيش وإياه فى بلد واحد ووطن واحد .

يكاد يكون هذا الطريق كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه تاريخ البشرية من أقدم عصورها حتى أرقى ما وصلت إليه من حضارة وتقدم ، وفيه يشاهد المتأمل كثيراً من الصور الآدمية تعكس له حياة المجتمع الذى نعيش فيه وما به من فوضى واضطراب وما هو عليه من تناقض وتباين .

فى بدء هذا الطريق الذى اسلكه كل يوم صورة من تلك الصور التى رسمتها يد الحياة الجائرة بريشة من شقاء وبألوان من فقر وجوع ومرض ؛ صورة لا أبالغ إذا ما قلت رسمها فنان وهو فى ثورة جنونية فجاءت فنية رائعة تمثل لنا شقاء البشرية فى القرن العشرين .

كان لا يتجاوز العاشرة من عمره كفيف البصر ؛ ذهب المرض بكلتى عينيه فأفقده نور الحياة وتركه يتعذب ويحيا فى عالم من الظلام الحالك ويتخبط فى ديجور من الفاقة والذل ؛ ولكنه كان يشعر ويحس ويرى بعقله ما لا يراه كثير ممن أوتوا نعمة النظر ؛ أولئك الذين ينعمون فى حياتهم ، ويسعدون بأحلامهم وآمالهم لاهين عن أمثاله من بنى الإنسان ممن ظلمهم نظام اجتماعى فاسد وفوضى اقتصادية ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها . كان يحس ويشعر لأنه دقيق الإحساس رقيق العاطفة أوتى من الذكاء حظاً وافراً ، ومن الفطنة قدراً كبيراً فكأنه أوتى حكمة الشيوخ وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ، ومعرفة الحكماء وهو لم يقرأ كتاباً واحداً . إتخذ من قنطرة بالقرب من (دارهم) ملجأ يلجأ إليه ، وكان يسميها دارنا مفتخراً ولكنها لم تكن فى الحقيقة سوى زريبة حيوانات لا تتعدى مساحتها العشرين متراً تضمه هو وأمه وإخوته الخمسة الصغار يضاف لذلك عدد كبير من الدجاج وحمار كان يربط فى ساحة الدار .

عند هذه القنطرة كان يرابط طفلنا من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء يؤدى واجبه دون ما كلل أو عناء يؤدى واجبه الذى فرضه عليه أبوه المريض وأمه الجائعة يؤديه بنفس معذبة وروح متألمة لأنه واجب بغيض لهذه النفس الأبية وتلك الروح الحساسة . وطريقته فى تأدية هذا الواجب كانت غريبة فى بابها وبأسلوب مبتكر عجيب لم أشاهد مثله عند مئات بل آلاف أمثاله من المستجدين أولئك الذين يملأون الشوارع والأزقة ويتفننون فى أساليب الشحاذة والاستجداء كان إذا سمع وقع إقدام تمر بجانبه قام متثاقلا من جلسته المؤلمة التى يتمثل فيها ظلم الإنسان لأخيه الانسان قام وهو يردد جملتين بلغة انكليزية ركيكة مؤداهما (أنا فقير) (إعطنى درهماً) .

كانت هذه طريقته فى الاستجداء وطلب المال وكثيراً ما تندر به الصحاب والمارة وأذاقوه من نكاتهم ما يبعث الألم إلى نفسه والعذاب لروحه وكثيراً ما نهره جفاتهم بطريقة تستنزل الدموع من عينيه البيضاوين لأنه يستجدى بلغة الأنكليز لغة الأجانب لغة المستعمرين والمسكين يظن أن استجداءه بهذه اللغة يجلب له عطف المارة ويستدر القروش من جيوبهم ولكنه لا يعلم بأن استجداءه بهذه اللغة يثير فيهم كوامن الحقد ويذكرهم بظلم طال أمده وقيود صدأ حديدها . هو لا يدرى أن هذه اللغة تذكرهم بالمذكرات التى كتبها السير هنرى مكماهون والتى تمهد بها للعرب ما تمهد ولكنه وقومه لم يبروا بوعودهم ونكثوا بعهودهم وصوروا لنا أبشع صورة من صور أطماعهم . هو لا يدرى أن أصحاب هذه اللغة هم الذين وقعوا معاهدة سايكس بيكو تلك الوثيقة المشينة وليدة الأطماع والتى رافقها الريبة بل كانت مثالا بارزاً للختل والخداع والغدر . هو لا يدرى أن هذه اللغة تذكرهم بوعد بلفور المشئوم ذلك الوعد الجائر الذى عبد الطريق للصهيونية لكى تغزو فلسطين العزيزة ، هو لا يدرى بكل ذلك بل حتى ولا يدرى بأن هناك شعباً على ضفاف النيل يئن من ظلم أصحاب هذه اللغة ويعمل ليل نهار للتخلص من تدخلهم فى شؤونه وفرض سيطرتهم عليه .

قلت : تعالى يا صغيرى فلى معك حديث قصير . قال : وهل أنا ممن يحذقون الأحاديث يا سيدى ألا أعطيتنى قرشاً فأنا فقير ؟

قلت : من علمك هذه اللغة الأنكليزية فكأنك تحسنها ؟

قال : تعلمتها منهم أنفسهم عند ما كانت جنودهم تحط رحالها

بالقرب من دارنا ليستريحوا قليلا ثم يستقلوا القطار إلى حيث لا أعلم ...

قلت وهل هم أنفسهم قالوا لك بأنك فقير ؟

قال : هم علمونى كلة فقير ولكنى أعلم بأنى فقير وفقير حقاً ولو لم أكن فقيراً لم طلبت منك ومن غيرك القرش أو القرشين كى أسد بهما رمقى ورمق أخوتى ثم سكت سكوتاً عميقاً وكأنى بأسارير وجهه تصرخ وتصيح فقير ... فقير كلة كم تحمل حروفها من ويلات وكم تضم تحتها من شقاء وكم يتعذب بها من بشر وهل هو وحده ممن عضهم هذا الوحش بنابه فمثله الآلاف بل الملايين من الفقراء يضنيهم الجوع ويؤلمهم العوز وتمرضهم الفاقة والفقر هذا الشبح المرعب هذا الحيوان المفترس ينشب أظفاره فى أجسامهم فيمزقها ويتركها منهوكة القوى ويخلى عقولهم من العلم فيتركها خاوية خالية تعيش فى جهالة القرون الماضية ويسرى فى دمائهم كالميكروب القاتل يميت المئات منهم دونما رحمة أوعطف ولكن « آه من لكن هذه » ولكن هل هناك من يشعر بوجودهم وعذابهم أو يناضل ويكافح باسمهم لأجلهم ؟ هل هناك من تضطرم فى نفسه عواطف النبل الإنسانى ليسعى فى تخفيف الضنك الذى يكتنف حياتهم ؟ هل هناك من يعمل باسم الانسانية لدفع الحيف اللاحق بهم غير طامع فى اسم أو جاه أو مركز أو سلطان ؟ ...

هم ضحايا الطمع والجشع هم قرابين ذوى الكروش المنتفخة والخزائن الممتلئة ، هم أكباش الفداء للمحتكرين والمستعمرين الذين يحترمهم العالم باسم القانون .

***

أثار فى نفسى منظر هذا الطفل ثورة كانت مكبوتة ونيراناً كانت تتأجج كلما رأيت أمثاله من المساكين ممن أصيبوا بعاهة أقعدتهم عن العمل والكفاح أوسدت فى وجوههم أبواب الرزق فالتجأوا لطريق الاستجداء راضين أو مكرهين .

قلت لنفسى ما ذنب هذا الطفل البائس وأمثاله ما جريرتهم وما الذى جنوه ليكون هذا حظهم من الحياة وأى إثم اقترفوه ليجزوا بمثل هذا الجزاء ، وهذا الأعمى الصغير أى حياة حالكة سيقضيها وأى مستقبل ينتظره بل أى عذاب دائم مستمر سيلاقيه فى هذا المستقبل المظلم ؟ وقد أنستنى تأملاتى هذه ذلك الطفل وما كان يطلب ولكننى تنبهت أخيراً على صوته وهو يردد بتلك اللغة الانكليزية الركيكة (أنا فقير) (اعطنى دراهماً) فأخرجت من جيبي مبلغاً زهيداً وضمته فى يده ولكنى كنت فى قرارة نفسى متأكداً أن هذا المبلغ الزهيد وأى مبلغ ضئيل آخر يعطيه له أمثالى سيزيد من عذابه وألمه وسوف لا يحل مشكلته هو وأصحابه مالم يعمل الناس جميعاً والحكومة معهم عملا جديداً لتحسين وضعهم الاجتماعى والاقتصادى ومالم يعمل الشعب كله والحكومة معه على محاربة المستعمر حرباً عواناً لا هوادة فيها أو وهن .

(العراق) **مهدى السامرائى**

ساعة مع الحاج أمين

للأديب صبحي ابراهيم الصالح

في اليوم العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٦٥ (الخامس من نوفبر سنة ١٩٤٦) كنت من فرحي في عيدين : عيد الأضحى المبارك ، وعيد مقابلتي لسماحة المفتي الأكبر !

كانت المقابلة في ساعة الأصيل ، وكنت أقول بيني وبين نفسي :

« يا ليتني أستطيع أن أجلس إليه وحدي ، أو ليت زملائي الطلاب الفلسطينيين الأزهريين — الذين قدمت معهم لزيارة سماحته — يدخلون مَوْحَد موحد ، ليتيسر لي أن أنفرد معه فأفضي إليه بكل ما في قلبي ، هذا القلب الذي لم ينطو لحظة إلا على حب العروبة والرغبة في الدفاع عن كل شبر من أراضيها ، والحماسة في كره خصومها .

***

وأذنوا لنا بالمقابلة ، نخفق قلبي — ونحن نَجوزُ الحديقة في طريقنا إلى قاعة الاستقبال — فأدركت أني سأقابل عظيما ، لأني ما عهدت قلبي يخفق لمقابلة إنسان ، مثل ذلك الخفقان .

ولم يكن بين زملائي من هو أصغر مني سناً ، فتركتهم يتقدمونني ويسلمون على سماحة المفتي ثم يجلس كل واحد منهم حيث ينتهي به المجلس . حتى إذا جاء دوري انحنيت محاولا لثم اليد الطاهرة ، فسحبها بلطف . ونظرت حولي فلم أجد إلا مقعداً خاليا عن يمين مقعد سماحته قد تهيب الجميع الجلوس عليه ، فتهيبت مثلهم لولا أن المفتي أشار إليه بنفسه ، وقال بصوت يسيل رقة وعذوبة :

— « اجلس هنا ... أهلا وسهلا بكم جميعاً » .

ولا تسل عن سروري بهذه الجلسة المجاورة التي مكنتني من إطالة النظر إلى ذلك الرجل الربعة القامة ، المعتدل الهامة ، الصبوح الوجه ، المتلالىء الجبين ، ذي العينين الزرقاوين البراقتين اللتين ما وقع بصري على أصفى منهما ، ولا أصرح منهما ، ولا أشد تعبيراً منهما ، والأنف المستقيم ، والشفتين المنفرجتين عن ابتسامة مشرقة ، واللحية الكستنائية التي وخطها المشيب فأضفى عليها مهابة على مهابة ، ثم زاده في نظري جمالا — وما فيه إلا جميل — تلك العمة على رأسه كأنها تاج — وإنها لأكرم من التيجان — وهذه الجبة تكسو بدنه كأنها لباس الملوك — وإنها لأعز من لباسهم — فتمثل لي كل ما فيه أصدق صورة للرجل العربي الفخور بزيه ، المعتز به .

***

وكتمت أنفاسي لألتقط الكلمة الأولى التي كنت أرجو أن تطرب لها أذني ذلك اليوم كله — بل عمري كله — وكنت أنتظر أن يجلجل في القاعة صوت جَهْوَري رنان ، فإذا بي أنصت لصوت خافت كأنه الوسوسة ، وحديث هادىء موزون لا تخرج من بين شفتي سماحته كلمة من كلماته إلا بعد أن يتأكد أنه لا يعطي ما يريد من معناها الإلهي ، مستعيناً على إيضاح فكرته بحركات من يد محكمة ، وإشارات ناعمة : فعلمت أن سماحته يؤثر أن يكون هادىء الحديث ، خافت الصوت ، قليل الحركات بحكمة الرجل الرشيد ، على أن يكون وَحِيَّ الحديث ، جهير الصوت ، كثير الحركات ، بتهور لا يغني ، وحماسة لا تفيد .

تساءل سماحته عن كل فرد منا ، وعن الكلية التي ينتسب إليها ، والسنة التي أصبح فيها ، والعلوم التي ندرسها ، ثم أحب أن يتعرض لقلة المدارس العربية في فلسطين ، وأن يستنهض الهمم إلى المطالبة بجعل المعارف في أيدي العرب فقال :

— « إن قلة مدارسنا العالية من ويلات الاستعمار ولعناته ، فما يريد لنا خصومنا أن نحيا أحراراً كما يحيا الناس ، وأن نكون متعلمين كما يتعلمون ، وأن نكون متسلحين كما يتسلحون .

• كنا في بلادنا قُرحاناً قليلا ما يصيبنا داء ، أصحاء نادراً ما يدهمنا وباء : فإذا اعتللنا عرفنا كيف نتناول بأنفسنا الدواء .. ثم ما أصابنا الداء إلا من جراثيم اليهود ، ولا دهمنا الوباء إلا من عدوى الانكليز ، ولا عافت أنفسنا الدواء إلا لأنهم أرادوا أن

يَدُفوه بأيديهم وقد كنا ما نزال لا نقبل من الدواء إلا ما كان مدوفاً بأيدينا؛ لأن مناعتنا أبداً بِحِـمْيتنا، ولأن قوتنا فى كل حين بالاستغناء عن الآخرين».

ولعلك تحسب أن سماحة المفتى الأكبر كان — وهو يلقى هذه الكلمات التى أشملت صدورنا ناراً — يعمد إلى الخطابة والبيان، فيرتفع صوته، ويبدو الانفعال عليه. كلا ... وإنما كان يتحدث هذا الحديث الخطير، بصوت أنعم من الحرير، حتى أصبحت أومن بأن الإنسان العظيم يستطيع فى آن أن يكون فى رشاقة الغزال وقوة الأسد الهصور.

ورأيت إلى يدى سماحته فإذا هما كحرير الورد، وأخذت أطيل إليه النظر من جديد لأرى أين تكمن تلك القوة الهائلة التى جعلته يَلـقَى العقبات الكاداء فيذللها، وتعترضه الصعاب فيقتحمها، فقاد الثورة الفلسطينية، وهاجر إلى لبنان ثم إلى العراق ثم إلى إيران ثم إلى ألمانيا ثم إلى فرنسا ثم لجأ إلى مصر بلد الفاروق ... ألا كيف تكمن القوة فى طى الوداعة، وأنى تختبىء الشدة وراء المسالمة؟ حقاً إنها قوة الروح! وما أدراك ما قوة الروح!

***

وكأنما استفزت كلمات الحاج أمين أكبرَ زملائى الفلسطينيين سناً، فألقى كلمة كان يهتز معها جسده تأثراً، وتقشعر جلودنا لسماعها حماسةً، فكان مما قاله:

— «يا سماحة المفتى الأكبر! إن قلوب المغتصبين اليبيسة، تريد أن تُبقى أفكارنا حبيسة! لكن لنا أرواحاً لن يمنعها من الوثوب، توالى المصائب والخطوب. فسماحتكم رمزنا الذى نلتف حوله، ونعتصم به؛ وإنا لنتضرع إلى الله أن يعيدك إلى وطنك مظفراً منصوراً، لتدخله دخول الفاتحين، فتجمع الكلمة، وتضم الشتات، وتسوى الصفوف؛ ويومئذ لا تذر على أرض فلسطين من الصهاينة دياراً: فليعيشوا إن شاءوا فى دوية مهلكة أو مدائن عامرة، وفى مفازة موحشة أو فى ناطحات السحاب، فلن نسمح لهم بالتوهين والكيد فيما بيننا ونحن ساهرون، ولا بالتفريق والخداع ونحن أيقاظ مفتحو العيون.

عد إلى موطنك فلسطين — يا سماحة المفتى الأكبر — ولا تخشَ فى الله لومة اللائمين».

فقال سماحته على الفور:

— «حاش لله — يا أبنائى — أن أعتبر فلسطين وحدها موطناً لى، فإن الوطن العربى قطعة واحدة، وما من بلد ينطق أهله بالضاد إلا وهو موطنى، وموطن كل عربى.

ألا وإن الدول الكبرى التى تستطيع أن تستغنى — لو ارادت بثرواتها وقواها، واستعداداتها ومواردها — قد أدركت فائدة التعاون، فانضم بعضها إلى بعض، وخطب بعضها ود بعض، وحالف بعضها بعضاً؛ ألا وأننا أشد منهم حاجة إلى التعاون، وأقرب منهم سبيلا إلى التفاهم: لأن شعورنا واحد، وآلامنا واحدة، وآمالنا واحدة.

وإن العروبة — لتعلق عليكم — يا شبابها الأبرار — أملا كبيراً فى أن تعملوا أنتم فى الحقل الدراسى وفى الحقل الاجتماعى على توحيد الصفوف، وتكتيل القوى، حتى لا يمر عربى بفلسطين فيبكى دماً حين يرى المزرعة القَراح ليس عليها بناء ولا فيها شجر فيؤكدون له أنها ليست ملك اليهود، ويرى المستعمرة المنظمة عليها البناء وفيها الشجر فيؤكدون له أنها من صنع اليهود.

تخصصوا جيداً فى شئون دراستكم، فإن العلم أقوى سلاح فى هذا العالم بعد الإيمان بالعقيدة والوثوق بسمو الفكرة».

***

ولا حظنا بعض الزائرين يريدون الدخول، فرأينا أن نقنع بسماع هذه النصائح القيمة، فقام أكبرنا سناً فقمنا، ودنا من سماحة المفتى فدنونا، واستأذن بالانصراف فاستأذن الجميع، فقام الحاج أمين — من لطفه — يودعنا إلى الباب، ويصافح كلا منا وهو يدعو لنا بالتوفيق.

لقد خرجت من حضرته — وإن صورته ماثلة فى عينى وفى أعماق قلبى — شاعراً بأنى أريد أن أقبل على خدمة بلادى بفؤاد مخلص إخلاص فؤاده، وبضمير نقى نقاء ضميره.

(طرابلس الشام)

صبحى ابراهيم الصالح
خريج كلية أصول الدين بالأزهر

صوت من الريف المريض :

وباء الكوليرا

للشيخ محمد رجب البيومى

« كانت الكفر الجديد من قرى الدقهلية الحزينة التى داهمها الوباء ، فقد ثكلت مائة نفس فى أسبوع واحد ، وهى لا تزيد عن ثلاثة آلاف ، وقد شاهدت محنتها القاسية ، فكان الصراخ الفاجع يشرد نومى ، وقد كنت أتحدث مع الرجل ثم يجيئنى نعيه بعد ساعة واحدة من حديثه ، وما زلنا ننتظر رحمة السماء »

شب تحت الضلوع يعصف بالجسم ... كما يعصف اللظى بالهشيم
ذعر الناس فاستهلت دموع ... كانهمار الغيوث تحت الغيوم
وأفاق الشعب الجريح كما استيقظ ... جفن على صراخ أليم
زار الرعب فى القلوب فجاش الحز ... ن يغلى بها كغلى الحميم
الصبور الشجاع غير صبور ... والحليم الرزين غير حليم
جزعت أنفس وطارت عقول ... قد دهاها الردى بخطب جسيم
سلمت أمرها إلى الله لكن ... هل يرد القضاء بالتسليم
خطر هب يمحق الناس محقا ... كرجوم تهوى وراء رجوم
كلما قد قرأت عنه حديثاً ... شب فى أضلعى لهيب الجحيم
قيل لى أنت هالك فتطعم ... أى خير يكون فى تطعيمى
أنا أمشى وبين طيات قلبى ... خيفة منه رعدة المحموم
ينفث السم كالأفاعى مجداً ... ويبيد الجسوم تلو الجسوم
الشديد القوى صريع لديه ... والسليم الصحيح غير سليم
جثث ترتمى كساحة حرب ... أسفرت عن فناء جيش عظيم
جنت الأرض فهى تنفر فاها ... طمعاً فى ابتلاع عظم رميم
أكلت أهلها ولم تبق شيئاً ... ما صنيعى فى الآكل المنهوم ؟
طفت بالريف أجتليه صباحا ... وهو دنيا لذاذتى ونعيمى
كان يبدو لناظرى وسيما ... كيف أضحى الغداة غير وسيم
لا الأزاهير ذات عرف شذى ... لا النواعير ذات صوت رخيم
لا النوانى الصباح يخطرن فى السهل ... ولا الطير بارع الترنيم
إنظر الحقل فالطبيعة فيه ... كبنى الإنس أسرفت فى الوجوم
هى والله ذات فكر حصيف ... قد هداها فشاركت فى الهموم
النخيل الوفى يخفض عطفيه ... كئيباً كبائس محروم
وعلى القطن غبرة سودته ... بعد ما لاح ساطعاً كالنجوم
والغراب المجيب يرسل نحوى ... نظرات كالفيلسوف الحكيم
خطر هدد الجميع فكل ... صارخ من مصيره المحتوم
إن دها منزلا رأيت ذويه ... بين فان يمضى وحى سقيم
يهجر الوالد ابنه ثم يعدو ... خيفة من أذاه عدو الظليم
وحنان الأم الرءوم توارى ... فهى عند المصاب غير رءوم
ترك الزوج زوجه تتلظى ... فى جحيم يفوق كل جحيم
فر منها وكان يخشى عليها ... قبل هذا الوباء مر النسيم
فادخل البيت لست تبصر فيه ... غير أم ثكلى وطفل يتيم
فتح القبر فاطمأنت جنوب ... غرقت فى سكونها المستديم
مرض يملأ الخواطر بالوهم ... فيالى من خاطرى الموهوم
أنا منه مكبل بقيود ... قذفت بى إلى عذاب أليم
حرموا الماء والفواكه ظلما ... من مجيرى من ذلك التحريم
قيل لى إن فى المياه سموماً ... فكرهت المياه ذات السموم
وكذاك الفواكه الحلوة الطعم ... مجال لكل داء وخيم
عجباً أبغض الرحيق المصفى ... وأعاف الجنان ذات الكروم
قيل لى لا تسر جوار صديق ... واعتزل فى الأنام كل نديم
إحذر العدوى أن تصيبك من ... خل وفى أو من عدو خصيم
فاجتنبت الورى وعشت وحيداً ... وتوغلت فى ضلالى القديم
ليت شعرى من أصطفيه لنفسى ... إن تخوفت من صديقى الحميم
عشت حتى غدوت مثل المرى ... ألزم الدار غارقا فى همومى
يا لحمى تفرى لحوم البرايا ... أو ما أتخمت بتلك اللحوم
مهدها الكنج مذ بدت فلماذا ... تطعن «النيل» ويحها فى الصميم
نزلت فى الوادى كشمطاء لاحت ... لعيون الورى بوجه دميم
وأتتنا مع العدو كما تسعى ... الأفاعى مع الظلام البهيم
ليتها أهلكته أبشع هلك ... ورمته بكل داء عقيم
هكذا الإنجليز جرثومة الشر ... ونار مشبوبة اليحموم
رب من للضعيف هاجه الخطب ... وما يستطيع صد الهجوم
يكظم الغيظ فى الحياة إلى أن ... يتلقى الردى بغيظ كظيم
المناحات لا تزال بسمعى ... كدوى الرعود ذات الهزيم
والثكالى يسرن خلف الثكالى ... ساهمات وقيت شر السهوم
كلما صاحت الديوك توهمت ... صداها صراخ عان كليم
إرحم الناس يا إلهى واكشف ... كل سوء فأنت خير رحيم

محمد رجب البيومى



حمـــار آخر ... !

الترام الجاهد يسير محملا ليس فيه ركن أو ممر أو مدخل أو شبر على السلم إلا ويشغله الراكبون متلاصقين متضاغطين كأنما لم يأتهم نبأ هذا الوباء الذى خوف الناس بعضهم من بعض ...

وأنا فى مقعدى أسأل نفسى متعجباً كيف ينزل من يريد أن ينزل فضلا عن أن يركب من يريد أن يركب ! ودقت باب الدرجة الأولى يد وحاولت فتحه ولكنه لم يفتح لأن شخصاً كان يسند ظهره إليه ، وهو لا يستطيع أن يتحرك من موضعه إلا أن يتحرك من يقف أمامه ، ولن يستطيع هذا أن يفعل إلا أن يمكنه من يليه ... واشتد طرق الباب فتضاغط الواقفون ، وانفتح الباب ودخل هذه الحجرة المكتظة فتاتان عجبت وعجب الراكبون كيف خلصتا من الزحام حتى دخلتا الحجرة ، وما أحسبهما إلا استحالتا هواء فنفذتا من بين الأرجل أو من فوق الرؤوس حتى بلغتا حيث وقفتا بين الواقفين .

ووقف الترام فنزل اثنان من الواقفين وقد شقا طريقهما فى جهد من جهة السائق ولم يركب أحد ، ثم وقف ونزل ثلاثة ولم يركب أحد ، وبقيت الفتاتان فاستندت إحداهما إلى باب والثانية إلى الآخر .

وكانت إحداهما على جانب عظيم من الملاحة والسحر تحدث أثرها فى النفوس بنظراتها وبما يبدو من براعة ذوقها فى اختيار ألوانها وأشياء زينتها ؛ وكانت الثانية كأنما تصحبها لتزيد جمالها أو لتنبه عليه فقد كانت بحيث أن انتماءها إلى جنسها مما يجعل أحياناً نعته باللطف نوعا من السخرية ...

وصوبت الحسناء نظرة إلى شاب كان فى سمت بصرها فكأنما نفذت نظرتها إلى قلبه وكأنما أراد أن يبرهن لها على أنه جدير منها بهذه النظرة ، فنهض واقفاً ودعا الفتاة إلى الجلوس فى موضعه وإنه ليتظرف ويتأنق ويستلين فى إشارته وحركته ويلطف فى نبرته وعبارته حتى لقد أوشك أن يكون ما ينعت به جنسه من الخشونة ضرباً من التعسف ...

ونظرت الفتاة وقد استقرت فى مقعدها إلى صاحبتها مزهوة دون أن تشكر هذا المتظرف المتلطف بكلمة ، وضحكت وقالت عبارة لا هى عربية ولا فرنسية ولا إنجليزية ؛ وضحكت الثانية وأظهرها ضحكها برهاناً آخر على مبلغ ما يكون بين جنسها وبين اللطف من بعد الشقة ... واحمر وجه الفتى حتى كاد أن يقطر منه الدم ، وأشار بيده إلى التى سحرته فتخلى لها عن مكانه إشارة من نسى شيئاً على المقعد فلم تكد تقف حتى انفتل فعاد إلى مكانه وجلس وهو يقول لها فى غيظ ابحثى عن حمار غيرى فلست حمارا !

واصفر وجه الفتاة بقدر ما احمر وجه الفتى ولم تكن تدرى أنه يعرف الطليانية ؛ فقد نظر الفتى الظريف الناعم إلى من حوله وهو يدق يداً بيد ويقول إنها تقول لصاحبتها انتظرى ربما يقف حمار آخر فاجلسى ؛ فيكون جزائى على إنسانيتى أن أكون عندها حماراً وأن يكون هذا مبلغ شكرها لى !

وكان حقاً أن نغضب جميعاً وأن يحاول كل منا أن ينفصل من حماريته بكل ما فى طاقته ، فقال كهل من الجالسين يخاطب الفتى : « ليس هذا جزاءك على إنسانيتك وإنما هو جزاؤك على مصريتك فإنا فى الواقع لسنا كرماء لضيوفنا بل نحن عبيد لهم . أفهم أن تنهض لتجلس مريضة أو عجوزا أو أماً بين ذراعيها طفلها أما أن تقف لهذه ... أرأيت أجنبيا ينهض لمصرية قط ؟ متى نفهم هؤلاء الأجانب أننا سادة فى بلادنا وإذا كنا لا نستطيع الآن أن نفهمهم ذلك بأخذ ما فى أيديهم مما بنوه فى غفلتنا فلا أقل من أن يعلموا أننا صحونا . لا أقل من أن يفهموا أننا لم نعد بدحميرا » .

ونظر هذا الثائر الكهل إلى الفتاة المسيئة وقال لها فى مثل شراسة النمر « إنزلى من هنا روحى فى داهية » ... وتنمرت اللعونة كأنما تذكرت أيام الامتيازات ورأيتها بجوار الباب كالقطة وجدت نفسها فى مأزق فموات على أن تمض بأسنانها وتخمش بمخالبها ...

ولكن النمر الغاضب جذبها من ذراعها ، ونادى السائق فوقف ، وصرخت القطة صرخة جمعت علينا الركاب من العربة الأخرى وأقسم الرجل إن لم تنزل هى وصاحبتها على أرجلهما فسوف يلقى بهما من النافذة ...

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة والسياسة في السودان :

اتصل حديث الثقافة المصرية فى السودان بحديث السياسة هناك ، وأخذ هذا الحديث المتصل مكانه فى الصدارة من المسائل العامة التى تهتم بها الدولة والرأى العام فى هذه الأيام ، فلم تكتف حكومة السودان الإنجليزية بمنع البعثة الثقافية المصرية ومراقب التعليم المصرى من الدخول إلى السودان ، بل أرادت إبعاد مدرس مصرى فى مدرسة الملك فاروق بالخرطوم لأنه أرسل برقية إلى رئيس الوزراء تضمنت كلمة «الجهاد» ! وقالت الأنباء الأخيرة إن المسألة سويت بعد أن تعهد المدرس بعدم الاشتغال بالسياسة .

ولن يستطيع هذا المدرس ولا أى مدرس مصرى آخر فى السودان أن يتجنب الاشتغال بالسياسة . . السياسة التى تقلق بال الإنجليز فى السودان ، وهى العمل على وحدة الوادى وإبراز الروابط بين شماله وجنوبه وإحكامها ، ولا يوثق هذا الربط مثل الثقافة العربية الإسلامية التى يشعر سكان الوادى جميعاً بأنهم يرضعونها من ثدى واحد .

والأساتذة المصريون الذين يذهبون إلى السودان هم رسل هـذه الثقافة ، ولذلك يجزع منهم المحتلون ويترقبون الفرص للتخلص منهم .

ولكن ألا يحسن تجنب السياسة التى يستطاع إمسا كها بأطراف الأصابع ، أو بعبارة أخرى الأمور التى تؤول بأنها سياسة والتى تفتح منها الأبواب إلى المؤاخذة والتعنت ؟ وفى المهمة الثقافية مجال لخدمة الوطن ، حتى إذا أراد المتعنت بعد ذلك شيئاً كان تعنته أظهر ، مع كسبنا بالعمل المجدى فى الحقل المخصب ، ومع كسب ثقة المخدوعين لإصلاحهم وهدايتهم للسير فى ركب الوادى الوحد .

الغزل السياسى :

نشرت « الأهرام » أبياتاً للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « الغزل السامى — إليها » قال فيها :

ما للمليحة غضبى وهى ظالمة ... لا تعرف العدل فى فعل ولا كلم
أبعد ما سلبتنى كل ما ملكت ... يدى أكون لديها موضع التهم

وقال :

قل للمليحة جاوزت المدى فكفى ... أين الوعود، وما غلظت من قسم
كونى كما شئت لا أشكو إلى حد ... الله يحكم بين اللؤم والكرم

ولا شك أن هذه المليحة ليست فتاة ممن يتغزل فى مثلها الشعراء ، لأن الغزل هنا سياسى ، وما أظن الشاعر يحب فتاة سياسية ولو كانت خيالية كجاسوسة « المصور » الحسناء .. على أنه يصفها باللؤم ، مما لا يليق بالمحبوب . وما أظن تلك المليحة الدرجة الرابعة التى أخلفته فى التنسيق ، فليس الوصف بمنطبق عليها ولا هى من السياسة فى شىء .

فماذا عسى أن تكون تلك المليحة ؟

أتكون انجلترا ؟ لا بد أنها هى ، فهى الغضبى الظالمة التى لا تعرف العدل فى قول ولا عمل ، وهى التى سلبتنا ما نملك وأكلت لحمنا وشربت دمنا ثم اتهمتنا بالتجنى عليها ، وهى التى أقسمت على الود أيام شدتها ، ثم تنكرت لمن كان بألفها فى الوطن الخشن ، فبلغت غاية اللؤم .

ولكن كيف يقول إنها مليحة ، وكيف يضعها موضع الحبيب الذى يتغزل فيه ؟ وماهي — من وجهة نظرنا على الأقل —

وتساءل الناس وتألموا مما علموا وأجبرت الفتاتان على النزول وفى نظرنا أن كلا منهما تنتمى إلى اللطف ظلما ، هذه بوقاحتها ، وتلك بقبحها .

وخجل الشاب الذى استرد إنسانيته حتى ما يستطيع أن ينظر طويلا فى وجه ذلك النمر الناضب ...

وضحك أحد الجالسين يريد أن يذهب عنا الغضب ، وقال أحب أن أعرف منذا يرضى بعد هذا فى الترام أو فى السيارة أو فى المتجر لو فى المصنع أو فى السينما أو فى الشارع أن يكون الـ (حمار الآخر) ؟ وضحكنا وضحك حتى النمر الهائج .

الخفيف

إلا عجوز شوهاء شمطاء . ولم يكن بيننا وبينها حب لأنها معتدية علينا منذ خمس وستين سنة ولا تزال فى اعتدائها .

والشاعر — بطبيعة الحال — يريد التهكم ، ولكنه بعد عن هذا الغرض بما أسرف فيه من عبارات الحب .

العربية تزحف :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من (كراتشى) أن جلالة الملك فاروق يبدى عناية بالغة بنشاط جمعية أدبية ثقافية جديدة أنشئت أخيراً فى (الباكستان) ترمى إلى جمل العالم الإسلامى على مر الأيام وحدة ثقافية سياسية دينية .

وأذيع أن هذه الجماعة بدأت عملها فى هذا السبيل بالعمل على نشر اللغة العربية ، وقد أنشأت لذلك كلية فى كراتشى أقبل عليها كثير من الكبار فى جملتهم محافظ المدينة .

وكانت الصحف قد رددت أن البابا فى رومة أخذ يتعلم اللغة العربية .

وقرأت فى مجلة « الأديب » أنه قد تأسس فى الأرجنتين « معهد التبادل الثقافى الأرجنتينى العربى » للعمل على تعزيز التبادل بين الثقافتين العربية والأرجنتينية ، وقد أنشأ هذا المعهد مكتبة حافلة بالمؤلفات الثقافية النافعة وأعد برنامجاً لإلقاء المحاضرات فى شتى المواضيع ذات الصلة المتينة بهاتين الثقافتين ، ولترجمة الكتب العربية إلى اللغة الأرجنتينية كى يطلع الشعب الأرجنتينى على ألوان الثقافة العربية والأدب العربى فى شتى عصوره .

ومما يثير العجب والأسف أنه بينما تزحف اللغة العربية هكذا فى آسيا وأوربا وأمريكا إذ تقرأ فى أخبارنا المحلية أن إحدى المصالح الحكومية « بدأت » فى تطبيق قانون اللغة العربية فعولت على ألا تقبل ما يكتب إليها بغير اللغة العربية إلا إذا كان مصحوباً بترجمة عربية .

ولا نزال جارين على مقتضيات « كرم الضيافة » التى منها التيسير على الأجانب بالمخاطبة بلغاتهم ، وإراحتهم بذلك عن عناء تعلم اللغة العربية ... ومن المناظر المخزية منظر المصرى يتحدث إلى (الخواجة) الذى يعرف العربية بلغة أجنبية ! والمصريون هم — وحدهم — الذين يشجعون على عدم تعلم لغتهم ...

وتحيتى إلى أسلافنا فى العصور العربية ، الذين كان يفد إليهم الفارسى والرومى وغيرهما ، فيصبح ، بعد قليل ، من شعراء العربية وكتابها ...

تمثال نهضة مصر :

وجهت مجلة « الهلال » إلى طائفة من الأعلام والفنانين هذا السؤال : هل نهدم تمثال نهضة مصر ؟ وقالت إنه « سؤال خطير الغرض منه حفز الهمم لمسايرة التطور الذى انتقلت إليه نهضتنا الوطنية ، فإن التمثال الحالى مع قيمته وبراعة صانعه الفنان الخالد محمود مختار لم يعد يصلح — فى رأى البعض — للتعبير عن هذه النهضة إلا فى مرحلتها الأولى » .

وقد أجاب محمد على علوبة باشا بأنه لا يرى هذا التمثال منذ صنع يمثل الفكرة الوطنية وليس صالحاً ليكون رمزاً لنهضة مصر الوطنية وثورتها على الاحتلال وقيود الذل والاستعباد ، وهو لا يمثل إلا فلاحة ساكنة لا حركة فيها وأسداً متكاسلا لا يكاد ينهض ! ورأى أن يقوم تمثال آخر فى أحد ميادين القاهرة الكبرى يمثل مصرياً وسودانياً قد تكاتفا فى النهوض والوثب وهما يحملان مشعلا أو سيفاً وقد تقدما إلى الأمام فى عزم وقوة هاتفين بالحرية والجلاء والاستقلال .

وقال أحمد راسم بك : « لو أن تمثال نهضة مصر ، كان قد استنفد أغراضه أو أصبح غير ذى موضوع كما يقال لكان من الواجب أن نبقى عليه لقيمته الفنية الخالصة ، باعتباره إحدى التحف التى ابتدعتها عبقرية مثالنا الخالد مختار ، على أن نقيم لتخليد فكرتنا الجديدة ما نشاء من التماثيل غيره » .

وأجاب آخرون بما لا يخرج فى مجموعه عن وجوب الإبقاء على التمثال الحالى ، على أن يقام تمثال آخر يعبر عن النهضة القومية المتوثبة .

والتمثال الحالى الماثل فى ميدان المحطة بالقاهرة يرمز إلى « سكون » مصر ممثلة فى قروية ، إلى مجدها القديم ممثلا فى أبى الهول !

فإذا كانت المسألة هى اعتماد مصر على مجدها القديم فإن هذا التمثال يصلح رمزاً لها فى كل العصور وفى جملتها عهود الضعف

والاستكانة ، أما النهوض فهو شيء آخر قد يصاحب المجد القديم وقد لا يصاحبه .

والملاحظ أن أغلب الذين دافعوا عن « تمثال نهضة مصر » عللوا دفاعهم بأنه صنيعة مثالنا الخالد مختار ، ولم يبينوا لنا مدى تعبيره عن نهضة مصر .

وأنا أخالف الجميع فأرى إزالة التمثـــال الحالى من مكانه والاحتفاظ به فى أحد المتاحف باعتباره نتاج مثالنا الخالد (إن كان لا بد من هذا الاعتبار) وذلك لأنه لا يصح أبداً أن يكون مظهر نهضتنا الاعتماد على المجد القديم ، بل ينبغى ألا يذكر هذا المجد إذا كان كل الغرض منه الوقوف إلى جانبه والركون إليه .

أما التمثال الجديد فليكن كما اقترح علوبة باشا ، أو ليكن على أى هيئة أخرى حسبما يرى الفنانون ، على أن يمثل مصر المتوثبة التى أصرت على أن تعيش حرة كريمة ، وعلى أن يحقق الغرض الأساسى منه وهو أن يبعث فى المصرى الذى يمر به فى غدوه ورواحه شعور العزة بالقومية المصرية .

الفنانون الشرقيون :

جاء فى أخبار « آخر ساعة » ما يلى : « ترفض وزارة الداخلية الآن الترخيص لأى فنان شرقى بالإقامة فى مصر إلا إذا تعهد كتابة بألا يتعدى الغناء الذى اشتهر به فى بلاده . . وهذا نتيجة لشكوى بعض الفنانين والفنانات المصريين » .

وهذا أمر عجيب لعدة أسباب منها :

١ — أنه يخالف اتجاه الوحدة العربية وما تقتضيه من تعاون وتواد .

٢ — الفن المصرى يغمر البلاد العربية ، وهى ترحب به ، ولم تمنع إحداها فناناً مصرياً من الاشتغال بها ، تعدى الذى اشتهر به فى بلاده أم لم يتعد .

٣ — الحيلولة دون تفاعل عناصر الفن العربيـة المختلفة وما ينشأ عن هذا التفاعل من الرقى والتقارب .

٤ — السبب أعجب العجب ، وهو شكوى الفنانين والفنانات المصريين من المنافسة ، لأن هذه الشكوى غير لائقة ولم يكن يصح أن تسمع .

٥ — لو فرضنا أن الفنان الشرقى الذى تعهد بألا يتعدى الغناء الذى اشتهر به فى بلاده — « تأقلم » وتأثرت نفســه بالإيحاءات المصرية فاستجاب لها وغنى غناء مصرياً — فهل يقبض عليه متهما بهذه الجريمة ويطرد من مصر جزاء وفاقا .. ؟

المسرح أداة ثقافة :

كانت منظمة التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحدة قد عقدت فى شهر يوليو الماضى بباريس مؤتمراً لخبراء المسرح . وقد تلقت الجهات المصرية المختصة التوصيات التى قررها هذا المؤتمر ، ويؤخذ منها أنه تقرر اعتبار المسرح جزءاً من الفن كالأدب والموسيقى وسائر الفنون الجميلة ، أى أنه أداة ثقافية لا وسيلة للتسلية والترفيه وحسب .

كذلك تقرر إنشاء معهد مسرحى عالمى ، وتأليف جمعية دولية من المسرحيين النظريين الفنيين والمسرحيين العاملين ، على أن تكون مهمة هاتين المؤسستين النهوض بالمسرح باعتباره أداة ثقافية رفيعة ، مع كفالة أسباب التعاون بين رجال المسرح فى العالم ، وأن يكون إعداد الرواية المسرحية على أسس إنسانية ، والمحافظة على هذا الفن العالمى القديم من طغيان السينما عليه ، والعمل على وقف حركة الخروج من ميدانه إلى ميدان السينما .

وفن المسرح جدير بالجهود العالمية وتعاونها على النهوض به ، والواقع أنه ليس فناً من الفنون فحسب ، بل هو مجمع الفنون ، ففيه الأدب ممثلا فى القصة ، ومن أدواته الموسيقى والغناء وباقى الفنون الجميلة ، وهو بحكم أنه فن أداة ثقافة ، وهذه هى الحقيقة التى ننشدها فى مصر ويعيينا نشدانها ، فالفن عندنا يتخذ أكثر ما يتخذ أداة لهو وتسلية ، وتسميته فناً تسمية ادعائية ، لأن العمل الفنى لا يستوى إلا على موضوع ، ولابد أن يكون له هدف ، حتى الفرق الاستعراضية وما يمثل فيها من (اسكتشات) وما يلقى فيها من الفكاهات و (المنلوجات) يجب أن يكون لهذا كله هدف يرمى إليه إلى جانب التسلية والترفيه .

وقد تفشت طريقة التسلية الخالية من الموضوع ، وانتقلت من المواطن الموبوءة إلى ميدان الكتابة ، حتى لنرى بعض الأدباء يكتبون لمجرد التسلية !

وبعد فالمأمول من الجهات الفنية فى مصر أن تشارك فى ذلك المجهود العالمى ، لتساير النهضة المسرحية العالمية ، ولتجنى بلادنا ثمراتها .

« العباس »

تعقيبات

أم كلثوم ونهج البردة :

نهج البردة للمغفور له أحمد شوقى بك قصيدة معروفة مشهورة قالها فى التوسل ومدح النبى صلوات الله عليه عند ما قصد الخديوى عباس الثانى إلى الحج عام ١٩٠٩ م ، وعارض بها قصيدة البردة — أو البرءة — للشاعر شرف الدين محمد بن سعيد الأبوصيرى ، وقصيدة البردة هذه أشهر من كل تعريف ، فما رزقت قصيدة فى الأدب العربى ما رزقت من الذيوع فى ألسنة الناس ، حتى إنها فى القرى لتعتبر نشيد الوداع الذى يردده « الفقهاء » فى أذن الميت وهو فى طريقه إلى القبر . .

أما قصيدة نهج البردة فلها قصة ، فقد نظمها شوقى فى مناسبة حج الخديوى كما قلنا ؛ وكان يرجو أن تكون هذه المناسبة إلى جانب الاتجاه الدينى فى القصيدة مما يضمن لها الذيوع بين الناس كما ذاعت البردة ، وطبع يومذاك شرح لتلك القصيدة قيل إنه من عمل المغفور له الشيخ سليم البشرى — وهو فى مقامه الدينى ما هو — ليضفى عليها القداسة ، ولكن أهل الخبرة يؤكدون أن ذلك الشرح كان من عمل نجله المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى ، وإن كان الشيخ عبد العزيز ظل ينفى هذه التهمة إلى آخر أيامه . عليه رحمة الله . .

ومهما يكن من شىء فإن نهج البردة لم تبلغ مبلغ البردة فى نظمها ولا فى ذيوعها . .

وفى هذه الأيام اختارت أم كلثوم ثلاثين بيتاً من نهج البردة وغنتها كما سمع الناس ، أقول غنتها والصحيح أن أقول إنها ألقتها ، أو أنشدتها ، لأن أم كلثوم لم توفق فى غناء القصيدة كما هو شرط الفن وشرط الغناء ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

أولا : لأنهم اختاروا للمطربة ثلاثين بيتا من القصيدة ، ومهما يكن المطرب من قوة الحنجرة وبراعة الصناعة وحسن التصرف فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا المقدار فى الغناء دفعة واحدة وخاصة فى الشعر القوى الرصين .

ثانياً : لأنهم لم يراعوا فى الاختيار درجة صوت أم كلثوم فى مقاماته الفنية ، ومن المعروف أن كل شعر لا يصلح لكل لحن ، وأن كل لحن لا يلائم كل صوت . .

ثالثاً : جعلوا الغناء محدوداً بمدة من الزمن ، ولهذا عمد الملحن إلى إخراجها دفعة واحدة ، ولم يتمكن من خلق فترات موسيقية لاستراحة المطربة إلا مرة واحدة .

وعلى أى حال فإن الملحن لم يكن موفقاً ، لأنه جرى على نغمة واحدة رتيبة ، وهى النغمة التى آثرها الموسيقار رياض السنباطى فى تلحين قصيدة « سلوا قلبى » وقصيدة « السودان » ولهذا شعر الناس بأن أم كلثوم لم تأت بجديد فى قصيدة نهج البردة ، وقد سمعوها وكأنهم كانوا يسمعون شيئاً معاداً فى آذانهم وأكثر من ذلك فإن اللحن كان يتخلى عن المعنى فى كثير من الأحيان .

شيخنا الجارم :

وشيخنا على الجارم بك لم يكن موفقاً فى ذلك الشرح الذى قدم به الأبيات التى غنتها أم كلثوم إلى السامعين ، فقد جرى فى ذلك على ما ألف من الطريقة المدرسية وهى طريقة عقيمة لا تجدى فى فهم الشعر وإظهار جماله ، فقد عمد إلى شرح الكلمات اللغوية على ماهو وارد فى القاموس ، ثم أخذ يورد المعنى على مقتضى هذا التفسير ، فهو مثلا يشرح قول شوقى :

لما رنا حدثتنى النفس قائلة ... ياويح جنبك بالسهم المصيب رمى

فيقول : رنا إليه : أطال النظر - الخ .. كلا . ثم كلا . فإن إطالة النظر هنا تهدم قوة البيت وتقلل من جماله ..

وعجيب من شيخنا الجارم أن يذكر معارضة البارودى للأبوصيرى ، ويذكر مطلع تلك المعارضة ، ولكنه لم يذكر بيتاً واحداً للأبوصيرى ، وهو الأصل والأساس الذى قام عليه كل هذا البنيان .

ويقول شوقى :

يارب هبت شعوب من منيتها ... واستيقظت أمم من رقدة العدم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمته ... أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

وكان شوقى رحمه الله يشير بكلمة « منتقم » إلى معنى مقصود

فقد قال قصيدته فى أعقاب حادثة دنشواى التى أدمت قلوب المصريين ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تسام الضيم والهوان من أساليب الاستعمار ، وكان الخديوى فى ضيق من هذا ما بعده ضيق ، فتوسل شوقى إلى الله فى « الانتقام » من هؤلاء الظالمين المستبدين ، وجمجم بذلك ولم يستطع الإبانة نظراً لصلته الرسمية يومذاك بالقصر ، فجاء الجارم بك بعد طول تلك السنين وجمجم كذلك فى شرح هذا المعنى .

لقد كنت أعتقد أن غناء أم كلثوم لهذه القطعة من نهج البردة إنما هو لإثارة عواطف الشعب بهذا المعنى لمناسبة ما هو قائم اليوم بيننا وبين الانجليز وكنت أعتقد أن الجارم سيعمد إلى الكشف عن هذه الحقيقة ، وإلى تذكير الشعب بتلك الواقعة التى ألم إليها الشاعر ، ولكنه لم يحوم على ذلك أبداً ، ولست أدرى إذن لأية مناسبة كان اختيار هذه القطعة وتلحينها وغنائها وشرحها ذلك الشرح الجارى .

البصائر للتوحيدى :

أبو حيان التوحيدى شيخ من شيوخ الأدب العربى ، فهو تلميذ الجاحظ غير مدافع ، من بحره اغترف ، وفى طريقه درج ، ولكنه فى آخر حياته ضاق بالناس وبالدنيا لطول ما لقى من عنت الناس وقسوة الحياة ، فجمع كل مؤلفاته وقدمها طعمة للنار ، حتى لا تكون وَشيجة بينه وبين الناس بعد مماته ، وحتى يريح عظامه فى القبر من جهل المعايين كما قال ..

ولكنْ المنقبون من العلماء عثروا على مخطوطات لبعض مؤلفات هذا الأديب الثائر فعمدوا إلى تحقيقها ونشرها ، فمن قبل أخرجت له مطبعة بولاق كتاب « الصداقة والصديق » كما طبعت له رسالة صغيرة فى « العلوم » ثم نشر الأستاذ حسن السندوبى له كتاب « المقابسات » وهو من أمتع مؤلفاته ، ومنذ أعوام أخرج الأستاذ أحمد أمين بك والأستاذ الشاعر أحمد الزين كتاب « الإمتاع والمؤانسة » مصححا محققاً ، وقد حدثنى الأستاذ أحمد الزين منذ سنوات أنه أعد العدة مع الأستاذ أحمد أمين لنشر كتاب « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » للتوحيدى ، وأنهما جمعا له كل ما يمكن من الأصول ، وبذلا لتحقيقه وتصحيحه غاية الجهد حتى يخرج على أتم ما يكون ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء أخيراً فى بريد سورية من أن الأستاذ إبراهيم الكيلانى قد قدم هذا الكتاب للطبع بعد أن حققه وعلق عليه ، فلعل الأستاذ الكيلانى — ما دام لم يمض فى الطبع — يرجع إلى الأستاذ أحمد أمين فيما حقق من أصول هذا الكتاب وجمع من مصادره ومخطوطاته ولا بأس أن يكون الجهد مشتركا حتى يخرج الكتاب كاملا فى التصحيح والتحقيق ، ولا معنى لأن يطبع الكتاب طبعة فى الشام وأخرى فى مصر وتكون كل منهما تكمل الأخرى ..

اللغة العربية والجنسية الإسلامية :

من أنباء الباكستان ، الدولة الإسلامية الجديدة فى الهند ، أن الرجال المسئولين والهيئات الثقافية هناك قد أخذت تهتم بتعليم اللغة العربية وتوسيع الدائرة فى دراستها نظراً لما يقتضيه وضع الباكستان الجديد من توطيد الصلات بالعالم الإسلامى .

واللغة العربية لاشك دعامة قوية فى بناء الجنسية الإسلامية فما ربط المسلمين ولا أمسك بوحدتهم وبقوميتهم على طول السنين وعلى رغم الحوادث والكوارث مثل اللغة العربية التى توحدت فى كتاب الله عز وجل كما توحدت فى مظاهر العبادة الإسلامية وأدائها ، وليس هناك ما يبعث الروعة ويهز الشاعر مثل نداء المسلمين جميعاً وهم يدخلون الصلاة هاتفين : الله أكبر .

والمسلمون فى الهند أهل غيرة على دينهم ، وهم معروفون من قديم بمواقفهم المشهورة فى جانب الوحدة الإسلامية ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد المغفور له محمد على وشقيقه شوكت على ، ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد الهنود المسلمين للابقاء على الخلافة الإسلامية حتى تكون تاجاً للوحدة ودعامة من دعائمها .

فهذا الاتجاه الذى تتجه إليه الباكستان اليوم ، وهى فى أول عهدها بالوضع الجديد ، مما يدعو إلى الغبطة والاطمئنان بين المسلمين ، وستكون له أطيب النتائج فى توطيد صلتها بالعالم الإسلامى ، والواجب على الجامعة العربية أن تشجع فيها هذا الاتجاه ، وواجب على مصر خاصة أن تساعدها فى هذا ، وأن تمدها بالدرسين للغة العربية ، وإنه لأقل ما يجب على مصر فى هذا السبيل

حيا الله « الباكستان » فى عهدها الجديد ووقاها شر الدسائس الاستعمارية ، وصانها مما يحيطها من الزلازل والقلاقل .

« الجاحظ »



الشيخ محمد عبده والطير الأبابيل :

أقول (تعليقاً على المقال القيم « القرآن والنظريات العلمية » للأستاذ الكبير العقاد) : إن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده لم يقل بأن الطير الأبابيل هي جراثيم الأمراض التي اكتشفت على يد «باستور» وما هذا إلا رأى شاعت نسبته إلى الشيخ محمد عبده منذ أن هاجمه جماعة من العلماء وعدوا له زلات من جملتها هـذا الرأى الذي نسبوه إليه في تفسير سورة الفيل وأخذوا عليه فيه أنه قد ابتدع في التفسير آراء خرج بها على معاني العربية وأساليبها التي نزل بها القرآن ويفهمه بها العرب الخ . ثم عزا الكثيرون هذا الرأى في تفسـير الطير الأبابيل إلى الشيخ محمد عبده دون رجوع إلى كلام الشيخ نفسه رحمه الله في تفسيره لجزء عم الذي هو مرجع القضية .

والواقع أنه رحمه الله بعد أن نقل بعض الروايات التفسيرية غير الثابتة في بيان طريقة انهزام أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، وقول بعضهم إن الطير كانت تلقى الحجارة الصغيرة كالعدس فتقع الواحدة على رأس الرجل من جيش أبرهة فتخرج من دبره قال الشيخ محمد عبده رحمه الله ما خلاصته أن الشيء المروى في التاريخ هو أن جيش أبرهة تفشى فيه مرض الجدرى وقضى على معظمه وبدده وتلك الروايات المغربة غير ثابتة ، والقرآن في غنى عن تفسيره بها ، فالمنهج السديد أن يجمع بين القدر الذي حكاه القرآن من الخوارق وبين الروايات التاريخية ، بعد أن تبين أن مرض الجدرى وغيره من الأمراض السارية ينشأ عن عوامل حية هي الجراثيم المسماة بالميكروبات .

وإذا علمنا أيضاً أن الطير في اللغة كل ما يطير بجناحيه كبيراً كان أو صغيراً كالذباب والزنابير فإن المناسب في تفسير السورة أن يقال : إن الله تعالى أرسل على جيش أبرهة نوعاً من الطيور تحمل حجارة صغيرة ملوثة بجراثيم حمى الجدرى من مكان موبوء بها هدى الله هـذه الطير إليه فكانت تلقيها على الجيش فتفشى فيه الجدرى من هذه الحجارة الموبوءة بجراثيم المرض

وبذلك يجمع بين ما حكاه القرآن العظيم وبين الواقع التاريخي ، ويكفى لبيان قدرة الله تعالى ونقمته مع التعليل بسبب طبيعي معقول .

فالشيخ رحمه الله لم يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم ، وإنما أفاد أن الحجارة التي حملتها الطير كانت ملوثة بالجراثيم ، أما الطير فطير بالمعنى اللغوى غير أنها لا يعرف نوعها .

وبهذه المناسبة أذكر أن من جملة ما يشاع الآن من آراء عن الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه ينكر وجود الجن الذين جاء القرآن معلناً وجودهم ، أو أنه يؤولهم بالجراثيم وغير ذلك ، وكثير من الطاعنين يأخذون هذا من الألسنة ثم يناقشون به مع حملهم إياه على الشيخ رحمه الله على أنه رأى صريح له في تفسير سورة الناس كما ينسب إليه اليوم لغرض ما أنه يرى ويقول بأن قصص الأمم الغابرة التي حكاها القرآن إنما هي تمثيل فني مخترع للعظة ولا تدل على واقع تاريخي !!

وقد اشتملتني وبعض هؤلاء قديماً مناقشـة حول الشيخ رحمه الله ولما قلت لهم إنه لا يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم المرضية ولا ينكر وجود الجن عدوا هذا الزعم مني مخالفاً للحس الظاهر أو دفاعاً غير مشروع حتى أتيتهم بتفسير جزء عم الذي يستندون إليه فقرؤوا بأنفسهم تفسير الشيخ رحمه الله لسورتى الفيل والناس فبهتوا وقد كانوا زعموا أنهم إنما يتكلمون عن اطلاع على كلامه ، فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن يقولوا أنهم لم يفهموا كلامه ، وإنما وهموا من نظرة فيه سريعة غير منعمة .

على أنه لا ينبغى أن يتوهم من كلامي إنني أعد الأستاذ الكبير العقاد من هذه الفئـة ، فهو في نظرى — كما هو في الواقع — ذلك المحقق الجلى الذي لا يشق له غبار ولا نزال ننتفع وستنتفع الأجيال من قلمه ، ولـكن لعله اعتمد في قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأى إلى الشـيخ محمد عبده أخذاً مما أشيع عنه واشتهر .

مصطفى أحمد الزرقا

الفرق بين سنة وعام :

جاء في مقال الأستاذ علي الطنطاوى [من شوارد الشواهد] المنشور في عدد الرسالة ٧٤٦ الصادر في ٣٠ أكتوبر سـنة ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة ، صفحة ١١٤٤ ما أعيد نقله

هنا بالحرف الواحد وهو (يخلط الناس فى الاستعمال بين العام والسـنة ، وهما مترادفتان ولـكن ليس فى اللغة كلمتان بمعنى واحد — انظر فى كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية — ولابد من اختصاص كل لفظة بشيء لا تدل عليه الأخرى . فالسنة فى الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء — اقرأ آيات سورة يوسف — والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربى فى الرسالة من أمد بعيد). انتهى كلام الأستاذ الطنطاوى ومن تتبع الـكتب يجد

١ — إن السنة لأى يوم عددته إلى مثله فقد يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف . وأما العام فلا يكون إلا صيفاً وشتاء — ذيل الفصيح ص ٤

٢ — وقد نقل محمد عبد الجواد ذلك فى الصفحة ٢١ من كتابه البحاثة اللغوية .

٣ — الفرق بين العام والسنة أن العام كالسـنة لـكن كثيراً ما نستعمل السنة فى الحول الذى يكون فيه الشدة والجدب. ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ، والعام لما فيه الرخاء والخصب . وقيل سمى السنة عاماً لعوم الشمس فى جميع بروجها والعوم السباحة . ويدل على معنى العوم قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون. ص ١٦١ فروق حق .

٤ — العام أربعة فصول من السنة كاملة متوالية . يبدأ من أول أحدها ويدوم إلى مثله من القابل . وأما السنة فتبدأ من أى يوم اتفق إلى مثله من القابل فربما بدأت من بعض الفصول لا من أوله . وعلى هذا فالعام أخص من السنة فـكل عام سنة وليس كل سنة عاماً . مجلة الضياء لليازجى ٧ ص ٣٥٣

٥ — وبعبارة أخرى أن العام هو السنة كاملة تبدأ من أول فصل من فصولها . فإن لم تبدأ من أحد الفصول فلا تسمى عاماً بل سـنة وحولا كتاب مغالط الـكتاب للأب جرجى جنن البولسى . هذا ما يحضرنى الآن من فوارق بين السنة والعام.

عمان **أحمد الظاهر**
القاضى فى محكمة الاستئناف

إلى الأستاذ (خلف الله) :

فى مقال لك فى « الرسالة » طلبت إلى القراء وكل ذى رأى الاشتراك فى موضوع الجدال حول رسالتك « الفن القصصى فى القرآن » ولما كانت الرسالة — أعنى رسالتك — محجوزة فى يد الحاجزين للنظر ، فقد صار من اللازم الحتم — لاشتراك القراء معك — جوابك على هذين السؤالين ، وهما :

١ — هل تعتبر القصة القرآنية « فناً » من الفنون كالقصص الفنية فى هذا الزمان ؟

٢ — هـل تنكر « واقعية » القصص فى القرآن ، وأنها — كما قال الأولون — من أساطير الأولين ؟

وبجوابك على السؤالين يصح النقاش ، وينحسم — من بعد — الجدال ، ولا جدال .

(الزيتون) **عدنان أسعد**

انجلترا فى مرآة حافظ :

تحية ، فقد اطلعت فى العدد رقم ٧٤٧ من مجلتـكم الغراء على مقال « انجلترا فى مرآة حافظ » وفيه يشيد الأستاذ الـكاتب بوطنية حافظ الصادقة ، وعدائه للمحتل البريطانى وعميد البريطانيين فى مصر بما أورده من شعر حافظ ، ولست أدرى إذا ما كان الأستاذ البيومى قد اطلع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر بعنوان :« أوطان » بمجلة الـكتاب وفيه يقطع بأن حافظاً إنما كان يمالئ البريطانيين وعميدهم وأنه لم يكن وطنياً صادقاً فى شعره .

وإذن فلا مناص من أن يبين لنـا كل من الأستاذين وهما من كتاب « الرسالة » وجهة نظرهما الصادقة فى هذا الموضوع . ونحن فى الانتظار ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد محمد حلمى

إلى رحمة الله :

نعى إلى الرسالة ، وهى على المطبعة الشاعر العالم الراوية البليغ الشيخ أحمد الزين .

ولئن عقدت روعة المفاجأة اللسان ، وحبست لوعة الرزية القلم ، وضاق المجال اليوم عن قيام الرسالة بواجب الوفاء للصديق ، والتاريخ للأديب ، فلن تضيق صفحاتها غداً إن شاء الله .

رحم الله الفقيد ، وعوض على الأدب ما خسر بفقده ، وعلى البيان ما خسر بمعناه .



طريق الدوفر

بقلم الأديب عبد الكريم محمود

[« طريق الدوفر » كوميدية مسرحية ، ليست بذات الحوادث المعقدة ، بل هي مسرحية بسيطة غاية البساطة تعالج مشكلة من أهم المشكلات ... مشكلة الزواج بأسلوب تهكمي ساخر . وقد لاقت نجاحاً عظيماً عندما مثلت على أحد مسارح لندن ... وهو لعمري نجاح تستحقه المسرحية ويستحقه كاتبها . أما مؤلفها فكاتب انكليزي يدعى (ميلن Milne) . وهو ما يزال حياً يرزق .]

المستر [لانيمر] كهل أعزب له هواية غريبة حقاً . أنه يسعى إلى أن يحل مشاكل الزواج التي تعترض الشبان .

وعلى باب بيته على طريق الدوفر الذي سكنه على هذا الأساس ... أساس صيد العازمين على الزواج قبل فرارهم — عن هذه الطريق — إلى فرنسا حيث الزواج وشهر العسل ... على باب بيته يقف اثنان ، شاب وشابه ... ليونارد وآن .

إن مجيئهما ليس عن طريق الصدفة بحال من الأحوال بل هو أمر محكم التدبير ؛ فقد رشى المستر (لانيمر) سائق سيارتهما طالباً منه تعطيل السيارة أو التظاهر بأنها عطلت أمام منزله .

إن ليونارد يطرق الباب الآن . وهاهو الخادم (دومينيك) يفتحه له . فيقول ليونارد « أهذا فندق ؟ » فيجيبه دومينيك بالإيجاب .

يدخل الاثنان . وبعد أن يستقرا نستطيع بكل سهولة أن نفهم من حديثهما أن (ليونارد) شخص ترك زوجته (يوستاسيا) ليهرب مع الفتاة (آن) التي تركت هي بدورها أباها .

يستقبلهما المستر لانيمر — صاحب المنزل أو الفندق كما ظناه — بعد ذلك ، فيظهر هذا لنا بمظهر من يفهم السبب الذي قاما من أجله برحلتهما . ثم يبدأ يسأل آن عما تنتويه وتريد فعله ملقياً بعد الأسئلة درساً في فائدة الأناة والتفكير في تصرف المرأة قبل أن تقدم على عمل يعد من أخطر الأعمال بالنسبة إليها بل هو — أي هذا العمل — حياتها كلها وغرضها الأسمى الذي خلقت من أجله .

هنا نفهم عقلية ليونارد جيداً ... أننا نراه يفقد أعصابه بسرعة فلا يستطيع أن يحكمها ويتملكها ، ونراه يحاول أن يسحب فتاته آن ليخرجا من هذه الدار التي كرهها . لكن المستر (لانيمر) يكشف أوراقه عندما يبلغ الأمر هذا الحد ، فيصارحهما بأن أمر مجيئهما كان نتيجة لخطة دبرها هو فاحكم تدبيرها ثم نراه يطلب منهما بعد ذلك أن يمكثا أسبوعاً ... أسبوعاً واحداً فقط يختبر فيه أحدهما الآخر ويمتحنه لكيلا يكون اتصالهما بعد ذلك عرضة للانفصال .

تذهب آن بعد هذا الاقتراح إلى الغرفة التي أعدت لها لتنام ويبقى المستر لانيمر مع ليونارد ليكون الأخير مادة جيدة لتهكم الأول وسخريته بعد أن عرف هذا جيداً أخلاق ليونارد . ولكن ليونارد يضطرب وينزعج كعادته فيترك لانيمر متجهاً إلى غرفة نومه .

وما يهل صباح اليوم التالي حتى يصاب ليونارد بالبرد ... وتبدأ آن بعد هذا تشعر بأن الحياة مع فتاها ليونارد لن تكون دائماً بساطاً مفروشاً بالورود ؛ كما أنها تعلم في الوقت نفسه من حديث يجري بين المستر لا تيمر والخادم دومينيك أمامها أنها وليونارد ليسا الشخصين الوحيدين في هذا المنزل العتيد .

والواقع أن هناك شخصين آخرين غير ليونارد وآن على أهبة أن ينتهيا من (أسبوع التجربة) كما يسميه المستر (لانيمر) .

ولكن الذي أدهش ليونارد هو أن ذينك الشخصين لم يكونا إلا (يوستاسيا) زوجته وعاشقها (نيكولاس)

إن منزل المستر لانيمر يؤدي رسالته بالنسبة لهذين الشخصين الأخيرين ؛ لأن الأسبوع ما يكاد يمضي حتى يبرم نيكولاس بيوستاسيا أشد البرم ، ذلك لأنها ذات عادة قبيحة مستحكمة فيها ، تثير النفرة والابتعاد عنها : إن تلك العادة مزيج من الالحاح والعناية الكثيرة غير المستحبة بمن يعيش معها تحت سقف واحد . إن يوستاسيا خير مثال لامرأة تفيض منها

(غريزة الأمومة) فيضاً .

يبرم نيكولاس بها إذن ولما ينتهى بعد أسبوع التجربة ، ولـكنه لا يستطيع أن يتركها وحدها ليرحل فذلك مما تمنعه قوانين منزل المستر لانيمر الخالد .

هذ إلى أن يوستاسيا ونيكولاس يملمان فى هذه الاثنـاء بوجود الشخصين الآخرين فى المنزل .

ولهذا فإن يوستاسيا ما تـكاد تعلم بأن زوجها قد أصيب بالزكام حتى تهرع إليه — بعد ما لقيت من أعراض عاشقها — لترضى عادتها غير المستحبة تلك ... وهى إلى هـذا تنسى كل شيء عن نيكولاس خلال انغمارها فى تحضير الدواء لزوجها .

أما نيكولاس فيبدأ بعد هذا يعجب بـ (آن) التى شعرت بخيبة أمل بعد ما رأت من انصراف يوستاسيا إلى العناية بليونارد . ولهذا نظن نيكولاس أنها فى بداية ميل جديد نحوه . إلا أن أمله يخيب هو الآخر عند ما يعلم أن آن لم تمل إليه إلا لرغبتها فى استدانة نقود تـكفيها للعود إلى منزلها ... وإلى أبيها ذلك الذى تركته هاربة .

هنا يصبح نيكولاس فى حالة غضب شديد فيصمم على الهرب من هاتين المرأتين اللتين آذته وازعجته أولاهما وخيبت أمـله ثانيتهما فيتشـاور مع ليونارد الذى تعدى المرحلة النهائية لمرضه الخطير ... الزكام !!! وهنا نراهما وكل منهما يبث الآخر أحزانه وآلامه . وفيما هما على هذه الحال إذ تخطر لـكليهما فـكرة ... فـكرة الهرب . فيصمم الأثنان على الهرب إلى فرنسا لقضاء عطلة تريحهما من عناء المرأتين وخصوصاً ليونارد هذا الذى أرهقته زوجته بعنايتها الـكثيرة ومحاولتها التسرية عنه بقراءة كتب صعبة الأسـلوب جافة البحث ككتاب (جيبون) عن انهيار الأمبراطورية الرومانية .

ولـكن عقبة واحدة تقف أمامها ... عقبة بغيضة ... ذلك أن ليونارد متأكد تمام التأكيد من أن يوستاسيا — مالم تجد شخصاً آخر غيره ترضى عن طريقة عزيزتها — ستحاول أن تتبعه أينما سار .

هاهما يحاولان نتيجة لعزمهما على الهرب اقناع المستر لانيمر بأن يدعى أنه مريض لتنصرف يوستاسيا إليه تمنى بأمره ، لـكنه يرفض . وهاهما يتحولان عنه إلى الخادم دومينيك فيرفض هو الآخر . غير أن طيبة قلب المسـتر لانيمر تدفعه — بعد أن رفض — إلى قبول اقتراحهما لو لا أن الخادم دومينيك يخبره بأن الخادم الآخر جوزيف ... ذلك البطـل اللاكم ... مريض

***

ستجد يوستاسـيا إذن من ترضى غريزتها عن طريق العناية به .

والفرصة — إذن — سنحت . يتسلل ليونارد ونيكولاس بحذر . محاولين الابتعاد ليقضيا فى فرنسا عطلة جميلة .

***

من بقى فى الدار بعدهما ؟ المستر لانيمر وخدمه ... وآن ويوستاسيا . وهنا نرى المستر لانيمر ذلك الرجل الذى كرس حياته لمساعدة الغير وحل مشـاكل الزواج . وذلك الرجل الذى ظل بطل القصة حتى النهاية ... نراه يصارح آن بحبه ويقع ضحية لخطة دبرها هو ، لـكن الفتاة الرزينة العاقلة — والتى إن عد المستر لانيمر بطل القصة فلا بد أن نقول أنها البطلة — تبين له أنها ما زالت تعامله وتحبه ... ليس ذلك الحب الجامح المنيف بل تعامله وتحبه كما لو كان أباها .

وهاهى ذى بعد هذا تأخذ حقيبتها لتقول للمستر لانيمر ... وداعاً .

إن المستر لانيمر الآن أمام المرآة يتبين ما عملته يد السنين فى وجهه وتقاطيعه ، فيرى أنه قدر لنفسـه عمراً أقل من الوقع والحقيقة .

يدخل الخادم دومينيك ليرى سيده فى هذه الحال فيبتسم الاثنان ... وفى لحظة نراهما صديقين كأحسن ما يكون الأصدقاء لارجلين أحدهما سيد والآخر مسود .

طرق على الباب . شخصان جديدان يقفان أمام المنزل . المستر لانيمر ودومينيك يزاولان المهنة مرة أخرى .

(بغداد — دار المعلمين العالية) عبد الكريم محمود



العدد ٧٥٠ - الاثنين ١٧ نوفمبر ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

ذكرى عيد الجهاد الوطني ... ... : لصاحب العزة محمد كامل سليم بك ١٢٥٣

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٢٥٦

لسان السياسة البريطانية ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٢٥٨

من شوارد الشواهد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٢٦١

ليل الهوى ... ... (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ١٢٦٤

طرس وعود ... ... « : الآنسة « دنانير » ١٢٦٤

بحث فى الكوليرا ... ... : الدكتور فضل أبو بكر ١٢٦٥

حول جدل فى الجامعة ... ... : الأستاذ محمد أحمد خلف الله ... ١٢٦٨

يا صاحب الحوض المطهر (قصيدة) : الشاعر محمد هارون الحلو ... ١٢٧٠

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : مات الزين — صفحة للتاريخ الأدبي ١٢٧٢

— المأساة — ذكرى شوقى فى الأوبرا — المازنى يتزوج الأدباء ... ١٢٧٤

« **البريد الأدبي** » : الطير الأبابيل فى تفسير الأستاذ الإمام — بيان — ١٢٧٥
من شوارد الشواهد — تذكير — العجول والأناسى — الأبيات
لابن رهيمة وليست لعلية — رأيت الناصر — مذكرات سجين — حول
رسالة (القصص الفنى فى القرآن) ١٢٧٩

نظرات حادة ... ... (قصة) { مترجمة عن كنجلى جوردون / بقلم الأديب سيد أحمد قناوى } ١٢٧٩

٢٩٠٣٩

15 em Année No. 750

Lundi — 17 — 11 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٦٧ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ذكرى عيد الجهاد الوطنى

لصاحب العزة محمد كامل سليم بك
السكرتير العام لمجلس الوزراء

عيد الجهاد للشعب ، كعيد الميلاد للفرد ، كلاهما حادث ضخم عظيم فى تاريخ الحياة ، وكلاهما جدير بالتحية والتكريم والاحتفال .

فعيد الجهاد للشعب ، إحياء لمولد نهضة ، يبتدىء بها عصر جديد ، وعيد الميلاد ، إحياء لمولد فرد ، يبتدىء به أمل جديد . وفى الميدين معاً تظهر الحركة والنشاط محل السكون والجمود ، ويبدأ النمو ويطرد التقدم بعد التوقف والجمود .

وهذا ما كان من أمر يوم ١٣ نوفمبر الذى حفظه التاريخ فى سجلات الخلود. تسجيلا لمولد النهضة الوطنية المصرية الكبرى. التى أخذت منذ ذلك اليوم المشهود ، فى النمو والتقدم والتطور على مر الأيام والسنين ، واستيقظ فيها الوعى القوى يقظة ليس بعدها نوم ولا هجوع ولا همود .

فى هذا اليوم التاريخى المجيد ، قامت فى مصر حركة شاملة . تطورت إلى ثورة كاملة ، كانت مظاهرها الأولى ، اتحاداً بديعاً بين جميع رجالات مصر البارزين وغير البارزين وظهور أهل مصر شعباً جديداً متجدداً ، نفض الغبار ، وهب وثار ، واشتعل كالنار ، صارخاً فى صوت واحد بالمطالبة بحقوقه المطلوبة فى الحرية الكاملة والاستقلال التام كتمهيد لابد منه للحياة الرفيعة الشريفة التى ينشدها المصريون والتى لا خير فى الوجود بدونها .

أنجبت مصر فى هذا اليوم زعيما قديراً فذاً ممتازاً فى شخص سعد زغلول ، ورجالا ذوى بأس شديد فى طليعتهم عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ، كان كل منهم جذوة متأججة ، مثلت روح الجيل ، أصدق تمثيل .

ولا يسعنى فى هذا المقام الرهيب ، إلا أن أقدم فى خشوع ، أخلص التحية وأصدق الأجلال ، إلى الشيخ النبيل ، المصرى المظيم ، المجاهد الكريم عبد العزيز فهمى باشا (حفظه الله ورعاه) ، فهو بيننا اليوم يشهد أثراً من آثار أياديه حين نحتفل بعيد الجهاد، وإنى لأشهد أن هذا الوطنى الصامت ، والعالم المدقق . قد خدم النهضة الوطنية فى فجر نشأتها أجل الخدمات ، وبذل فى سبيلها أوفى نصيب من عقله وعلمه وفضله ، وعاش بنجوة من لغو القول ، زهداً فى مظاهر الحياة الباطلة وزخارفها الزائلة ، وقد أدى رسالته على أكمل وجه .

بعد هذه التحية الخالصة الواجبة على كل مصرى يزجى بها إلى هذا المصرى الأبى المظيم أعود إلى السؤال :

ماذا عمل هؤلاء الزعماء الثلاثة ، وفى أى جو عملوا ؟

وماذا عمل المصريون ، وفى أى جو كانوا يعيشون ؟

ذهب أشبال مصر الثلاثة يحملون رؤوسهم على أكفهم إلى مقر ممثل أكبر دولة فى العالم حينذاك ، فى صبيحة اليوم التالى لأكبر انتصار أحرزته فى تاريخها الطويل ، كانت الجيوش البريطانية فى سكرة الانتصار ، وفرحة السلامة تملأ القاهرة والأسكندرية ، وكل مكان فى أرض مصر ، فى الشوارع والميادين ودور السينما والملاهى والأندية والحدائق والطرقات ، وكانت الأحكام العرفية البريطانية رافعة سيوفها على أعناق المصريين بغير حساب ولا رقيب ، والسجون والمعاقل متعددة مفتوحة الأبواب ، للمغضوب عليهم والمشكوك فيهم من غير سؤال ولا جواب .

وكانت الحماية البريطانية مبسوطة على البلاد رغم انفها ، وبغير اكتراث لشعور أبنائها ، وليس أمام المصريين إلا الخنوع والاستكانة أو الموت والتعذيب فى هذا الجو الخانق ، الصاعق ، الساحق ، ذهب أشبال مصر الثلاثة فى شجاعة الحق وعزم البطولة ، وفى صراحة المؤمن وحزم الرجولة ، وطالبوا بجلاء الجيوش البريطانية عن أرض الوطن ، حتى تتمتع مصر باستقلالها التام .

حركة طائشة خيالية جنونية ، فى نظر الأقوياء المستعمرين المنتصرين المزهوين ، وحركة وطنية جريئة طبيعية فى نظر المصريين ، وجميع المنصفين .

فأى النظرتين كانت أصح وأصدق؟ ولأى فريق كتب التوفيق ؟

لست الآن بصدد تفصيل ما وقع . حسبى أن أذكر أن الإنجليز نكلوا بالحركة الوطنية ونكلت الحركة الوطنية بالإنجليز . فكان صدام وصراع . وكان سجن واعتقال ونفى وتشريد وتقتيل وتعذيب وآلام . وكان ثبات واحتمال وصبر ومثابرة ومقاومة واقدام . وتضحيات جسام . وإذا بهدنة تتخللها محادثات ومفاوضات وإذا بالحماية البريطانية تعترف بأنها علاقة غير مرضية . ثم إذا هى ملغاة بعد قليل وإذا بالاستقلال يعترف به مثقلا بالقيود والأصفاد فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . ثم استقلال مخفف القيود فى عام ١٩٣٦ .

أدركت مصر كل ذلك بفضل تلك الحركة الطائشة الخيالية الجنونية فى نظر المستعمرين ، أو الحركة الوطنية الطبيعية فى نظر المصريين ونظر القدر .

كيف كانت حال مصر حين قامت وتحركت . وحين نهضت وغضبت . وحين فارت وثارت . وحين تغلبت على العقبات وانتصرت . فى ظروف كاد النصر فيها يبدو محالا أو حلماً من الأحلام .

هل كان لدى مصر طائرات ودبابات ، وجيوش جرارة . ومدافع ولوريات ؟

هل كانت لديها كنوز البحار . أو ذخائر من الحديد والنار وكل أدوات الدمار ؟

كلا . لم يكن لدى مصر شىء من ذلك على الإطلاق . وإنما كانت عندها ذخيرة لا تنفذ من الوطنية وحماستها . والكرامة وعزتها . والشجاعة وغيرتها . والإيمان العميق بعدالة القضية وحق الوطن . يدعم ذلك كله اتحاد رائع وإجماع كامل فى المشاعر والعزمات والايثار .

كان شعب مصر فى ظلال الحماية والاحتلال يعيش أحاداً وأفراداً وشيعاً ممزقة . فلما بزغت شمس ١٣ نوفبر فاجأت مصر العالم عامة ، وبريطانيا خاصة بشعب متحد ، لا ثغرة فيه ، نبض بشعور واحد ، لا نشوز فيه ، واتجه فى اتجاه واحد ، لاعوج فيه بهذه الكتلة المتحدة صمدت مصر للاحداث الجسام . وغالبتها ، فغلبتها . وكان الفضل فى هذا التوفيق راجعاً إلى توحيد الصفوف ، وتوحيد الرأى والشعور فكانت مصر من أقصاها إلى أقصاها تتحرك بكلمة واحدة يلقيها زعيمها الأوحد وأعوانه التضامنون المتحدون .

كان الأغنياء يبذلون المال سخياً ، متبارين متنافسين لتمويل خزانة الجهاد وشد أزر المجاهدين .

وكانت التضحية وكان الايثار وانعدام الأثرة ، شعار الجميع : كباراً وصغاراً ، رجالا ونساء .

وكان الجيش والبوليس والعمال والفلاحون والطلبة والأعيان والموظفون والمحامون والمهندسون وكل أصحاب المهن الحرة جماعات تفيض صدورها بشعور واحد فى بذل كل مجهود يطلب لانقاذ

الوطن . ولم يكن هناك خلاف بين هذه الجماعات إلا فى الأزياء والأرزاق والأعمار .

وكانت الصحافة والمجلات ، والنشرات الظاهرة والنشرات الخفية تصدر كلها عن وحى واحد ، وليس فيها إلا نداء واحد ، وتوجيه واحد ودعوة واحدة . ولم يكن فى كل ما ينشر ويقرأ إلا ما يزيد لهيب الشعور الوطنى . وإلا ما فيه غذاء لأرواح المصريين .

بهذا شحذت الهمم فى مضاء ، وبذلت الجهود ، فى سخاء واطرد العمل فى اتحاد وانسجام ، وازدادت حماسة الناس بذكريات الماضى واستوحوا قوتهم من رجاء المستقبل .

ذلك كان جو يوم ١٣ نوفبر والأيام والشهور والسنوات التى تلته وتلك هى المعجزة التى أتتها مصر فكانت عبرة العبر : اتحاد فى الزعامة والرياسة والقيادة ، وتوحيد فى المشاعر والصفوف .

لقد جربت مصر الاتحاد . وشهدت خيراته وآثاره . وجنت أطيب ثماره .

وجربت تفرق الكلمة وشهدت ويلاته ومضاره وأخطاره

نالت مصر بفضل الاتحاد الكامل الشامل كل ما أحرزته من فوز . وكل ما نالته من خير حتى اليوم . ولم تنل من الفرقة والحزبية الجامحة الكالحة غير بعثرة الجهود والخيبة والفشل . والآلام والأحزان .

لقد وقعت معجزة ذلك الاتحاد الرائع فى ١٣ نوفبر سنة ٩١٨ على غير انتظار من الأصدقاء والأعداء على السواء .

أفلا تتكرر المعجزة فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٤٧ . والأصدقاء يرجونها وينتظرونها ويتحرقون عليها ويعملون لها . والأعداء يخشونها ويحاربونها ويفزعون ويتطيرون منها ويعملون ضدها .

أمعجزة أن يتم اتحاد ؟ والاتحاد واقع فعلا على الأهداف القومية ، ووسائل تحقيقها ، وآية ذلك أن الأحزاب والهيئات جميعاً على اتفاق تام على هذه وتلك إذا أبعدنا التشويه وسوء التأويل .

أليس المانع الوحيد بعد ذلك من عدم اتحاد الرجال هو طغيان الأهواء والأحقاد كثمرة من ثمرات الأنفة التى تفرقت . والوحدة التى تشتت . والعلاقات التى تمزقت وعكس الأوضاع بتقديم المصلحة الفردية على المصلحة الحزبية . ورفع المصلحة الحزبية فوق رأس المصلحة القومية .

أوضاع معكوسة . وخطط منكوسة مركوسة ليست فيها ذرة من الخير على الإطلاق ولو استجابوا إلى صوت الضمير والمصلحة العليا للبلاد وحدهما دون سواهما لانقشعت السحب . وزالت الحمى . ولعادت الحال كما كانت فى ذلك اليوم المشهود — عيد الجهاد الوطنى — أصفى وأصح . وأروع وأكمل مما كانت .

وحينذاك تتحقق الحكمة من الاحتفال به والتغنى بمزاياه ، عاماً بعد عام .

فبنا كل بواعث النشاط . وأمامنا كل حوافز الأمل . ووراءنا كل نماذج العمل . فلنعمل على توحيد الصفوف أولا وقبل كل شىء . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

محمد كامل سليم

السكرتير العام لمجلس الوزراء

---

١٣ - رحلة إلى الهنـــــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مشاهد أخرى فى دهلى

ضريح صَفدَر جَنك :

ومن الآثار التى رأيتها فى دهلى ضريح لوزير من وزراء الدولة التيمورية ، وهو آخر ما شاد رجال الدولة من أضرحة كبيرة .

كان صفدر جنك وزيراً للسلطان أحمد شاه (١١٦١ — ١١٦٧ هـ) . وذلك قبل زوال الدولة التيمورية بمائة عام . وقد عجزت الدولة من بعدُ عن رفع الآثار الفخمة ، وتشييد مثل ما شيّدت من قبل إبّان شبابها وقوّتها .

والمزار ، فى جملته ، صورة من مقابر الملوك التيموريين . وكلها تتفق فى القواعد وتختلف فى التفصيل ، فهو كقبر همايون بناء عال عليه قبة ، حولها أبراج ، يقوم على دكة عالية وسط حديقة واسعة . ولكنه أيسر هندسة وأبسط خطة . فليس حول القبة حجرات كثيرة متواصلة كما فى مزار همايون بل يرى الواقف تحت القبة أربعة عقود فى الجهات الأربع يخترقها البصر إلى الحديقة المحيطة بالبناء على ما بالعقود من شبابيك الرخام .

ويمتاز هذا المزار بأربعة أبراج ضخام على زواياه الأربع ، تذكّر بالمآذن الأربع فى أركان مزار جهانكير فى لاهور والمآذن الأربع القائمة حول تاج محل منفصلة عن البناء .

ويقال إن فى المزار بمادته وهندسته ما يؤذن بشيخوخة الدولة والفنون إذا قيس إلى نضارة الدولة وشبابها ممثّلة فى أبنية همايون وشاهجهان وأكبر .

وسنصف بعض آثارهم فى المقالات الآتية إن شاء الله .

ولكن هذا المزار لوزير لا لسلطان فينبغى أن يحسب هذا فى تقويم البناء .

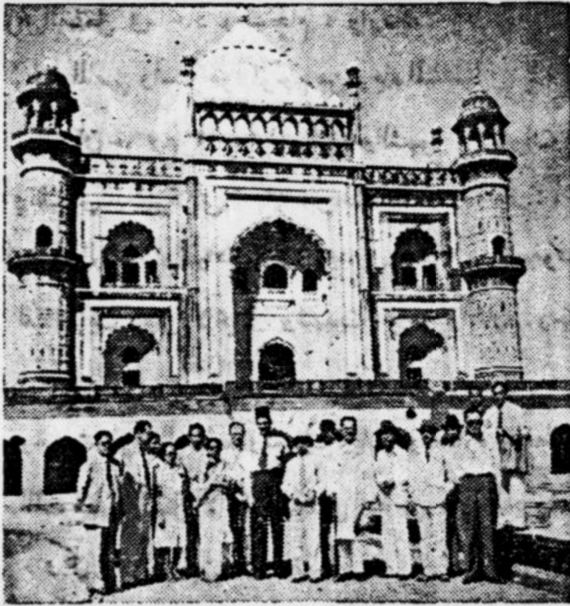
ومن المشاهد التى رأيتها سقيفة جميلة من الرخام لاتدور عليها جدران ولكن تحملها عَمَد كثيرة أجيد نحتها وتشكيلها .

وفوق السقيفة قباب كثيرة من الرخام .

ووسط السقيفة قبر عليه صفائح الرخام ، البيضاء البراقة كقبور التيموريين الأخرى . وفيها كلها روعة وجمال .

والقبر لأمير اسمه ميرزا عزيز كوكل تاش (الأخ من الرضاع) وهو أخو السلطان جلال الدين أكبر من الرضاع ، وابن أتكاخان أحد وزراء أكبر .

وتسمى هذه السقيفة الرواق ذا الأربعة والستين عموداً (چونسته كهمبا) .



يرى بعض الزائرين وبينهم كاتب المقالات

ولما خرجت من هذه السقيفة أبصرت أمامها على الطريق قبوراً فأشار دليلنا إلى واحد منها أخذت الحوادثُ من أحجاره وترا كم حوله غبار العصور فتأملت كتابة عليه فإذا هى :

رشك عرفى وفخر طالب مرد   أسد الله خان غالب مرد

١٢٨٥

قلت : قبر الشاعر غالب ؟ قيل نعم . ومعنى البيت : مات غَيرة « عرفى » وفخر طالب . مات أسد الله خان غالب أى مات الذى يحسده عرفى ويفخر به طالب الخ .

فأما عرفى فهو الشاعر الفارسى عرفى الشيرازى من كبار شعراء الفارسية . رحل إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وعاش هناك حتى أدركته الوفاة فى لاهور سنة ٩٩٩ وهو فى السادسة والثلاثين من عمره .

وكنت فى لاهور فى شهر نيسان الماضى (أبريل) وكان بها الصديق العالم الأديب على أصغرحكمت وزير المعارف فى إيران قبلا. فقال يوماً فى أحاديثه إن عرفى شيرازى وأنا شيرازى وقد مات هنا. وضحك. قلت يطيل الله عمرك، ويقيك كل سوء.

وأما طالب فهو شاعر فارسى آخر من شعراء الفرس الذين رحلوا إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وابنه جهانكير من بعده لحظى عندهما، وذاع صيته ولقب «ملك الشعراء» وتوفى سنة ١٠٣٥ فى كشمير بعد أن جاوز المائة من عمره.

فهذا البيت الذى نقش على قبر غالب يشير إلى هذين الشاعرين اللذين ذاع صيتهما فى الهند فى القرن العاشر الهجرى.

وأسد الله غالب هذا له شأن فى الأدب الأردى، إلى مكانته فى الأدب الفارسى. ولا بد من وقفة على قبر هذا الشاعر الذى زرته على غير قصد. وكان علىّ أن أسأل عنه، وأسعى إليه، أقضى حقه بوقفة:

وقفة فى العقيق نطرح ثقلا من دموع بوقفة فى العقيق:

هو نجم الدولة، دبير الملك ميرز أسد الله خان.

وغالب لقبه الشعرى المعروف فى الأدب الفارسى بالتخلص.

وأصله من تركستان كأمير خسرو الذى ذكرناه من قبل قدم جدّه إلى الهند فى عهد شاه عالم (١١٧٣ – ١٢٠٣) ورحل أبوه عبد الله من دهلى إلى لكنهو ثم حيدر آباد.

وتقلبت به أمور حتى قتل فى إحدى الحروب. وأسد طفل فى الخامسة من عمره. وقد كفل اليتيم عمه نصر الله بك خان. ولما بلغ التاسعة توفى عمه، فرتب له ملك دهلى إذ ذاك رزقاً شهرياً. ثم ترعرع وتقلبت به الغِيَر، وذاع صيته فى الشعر ونال جوائز الأمراء وأرزاقهم حتى رجع إلى دهلى وأجريت عليه وظيفة. واستقرهناك حتى أدركه الموت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بعد زوال الدولة الإسلامية من الهند.

وكان غالب رضىّ الخلق، حسن الفكاهة محسناً إلى أصحابه وتلاميذه، ولكنه كان قلقاً لا يصبر على الأحداث.

والغالب مذهب فى الشعر أنيق دقيق يحتفل فيه بالمعنى واللفظ وله فى الفارسية ديوان وثمانية مؤلفات بين نظم ونثر وله ديوان باللغة الأردية كذلك وبضعة مؤلفات منظومة ومنثورة.

وقد عنى الناس بديوانه الأردى كثيراً إذ كان الشاعر على قرب زمانه من أوائل المجيدين فى هذا اللسان. وقد شرح ديوانه هذا ثمانى مرات. وهو بعيد الغور فيه كثير من دقائق الصوفية.

وطبع الديوان فى ألمانيا طبعة مصوّرة جيلة بيعت النسخة منها بخمسة وثلاثين جنيها. ثم أعيدت هذه الطبعة فى حيدر آباد فبيعت النسخة بخمسة جنيهات. وأعيدت مرة أخرى فرخص ثمنها قليلا. وللديوان طبعات أخرى رخيصة.

وقد نشرتُ منذ سنين ترجمة غالب وترجمت أبياتاً متفرقة من شعره، منها:

أرى شبك الأمواج فى كل لجة بأفواه وحش البحر حيك وقُدّرا

فاذا تلاقى قطرة الماء من ردى إلى أن ترى فى لجة الماء جوهرا

وهو يشير إلى أن الكمال لا يتاح إلا بعد نصب ومقاساة أهوال ومن شعره:

وكنا ببرق الطور أولى لو انه على قدر الأقداح أعطيت الخمر

ويقول فى مضى العمر سريعاً:

أسوم جواد العمر ريثاً وما له ركاب برجلى أو عنان بأنملى

ونرى فى طبعة برلين مع هذا البيت صورة فرس ينهب الأرض عَدْواً عليه فارس مشدوه ليس فى يده عنان ولا فى رجله ركاب.

ويقول فى البلاغة:

وينفذ فى الألباب سحر بيانه فأحسب ما قد قاله كان فى لبّى

هذه وقفة قصيرة على قبر أسد الله غالب الشاعر الكبير.

وليت الزمن أمهلنا أياماً فى دهلى لنعود إلى قبره، أو ساعات فى زيارتنا إياه لنستمد المعانى من هذا الرخام الحانى على رفات الشاعر الخالد كما تنطبق الصدفة على لؤلؤتها؛ ولكن رحم الله الشاعر القائل:

أسوم جواد العمر ريثاً وما له ركاب برجلى أو عنان بأنملى

(للحديث صلة) **عبد الوهاب عزام**

وقع فى المقال السابق أغلاط هى:

مبطن بالصوف	صوابه	بالصدف
تَفلَق	»	تفلق
بالسنقر	»	بايسُنقر

لا يكس أحد قبراً بغير النبات المشب — وكلمة النبات زائدة

لسان السياسة البريطانية

للأستاذ محمود محمد شاكر

دعت السفارة المصرية فى لندن إلى مأدبة عشاء تكريماً لأعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية، فى يوم الخميس ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧، وكان من المدعوين السير ستافورد كريبس وزير التجارة البريطانية، فقام السير ستافورد وألقى على الحاضرين خطبة من أخطر الخطب التى تناولت شئون مصر السياسية والتجارية، وقد نشرت الصحف البريطانية هذه الخطبة فى الصدر، وترجمها أكثر الصحف العربية، ومع ذلك فلم أجد أحداً علق عليها بما ينبغى أن يقال فى تفسيرها وتأويل مراميها.

كان من أول مرامى السير ستافورد أن يبين بأجلى بيان أن «التعاون الثقافى» و«التعاون التجارى» بين مصر وبريطانيا كفيلان بأن ينتهيا على مر الأيام إلى حل النزاع السياسى الناشب بين الدولتين، وهو يرجو أن ينسأ الله فى أجله حتى يرى هذا الحل الموفق بين المتنازعين. وقال إن هذا النزاع بين مصر وبريطانيا ليس سوى «خلاف» يسير فى تاريخ طويل حافل بعلاقات المودة، وبالذكريات الجميلة بين البلدين فيما يعتقد. وزعم أنه على يقين من أن الصلات التجارية والروابط الثقافية إذا هى سارت على نهج موافق ينفى عنها كل ما يزعج أو يثير الخواطر، فإنه سوف يعيش بإذن الله حتى يرى حلا موفقاً مرضياً يفض ذلك الخلاف السياسى اليسير، ويومئذ تخرج الدولتان منه وقد أصبحت الصلات التى بينهما أقوى، وأصبحت المودة أصدق، وأصبحت النفوس أسلم. وزعم أيضاً أن هذا الضرب من الصلات والروابط سيظل هو الغالب بين الأمتين على كل خلاف سياسى. ثم امتلأت جوانب هذه الخطبة بإشارات خفية إلى أسلوب بريطانيا فى الاستبداد التجارى الذى اعتصرت به الحياة من أمم كثيرة غير مصر والسودان، وإلى التهديد اللئم بأن بريطانيا مضطرة إلى تحطيم هذا التعاون إذا أصرت مصر على إنفاذ قانون الشركات الذى أصدرته منذ عهد قريب، ثم لم ينس السير ستافورد كريبس الوزير البريطانى عادة قومه فى المن الخبيث البغيض المتلفع بالمواطف الإنسانية النبيلة، فزعم أن عطف بريطانيا على مصر فى محنة الكوليرا كان مبعثه العطف الإنسانى البالغ والرثاء العميق، لا الدافع السياسى أو الحافز التجارى. وفى الخطبة كثير من أمثال هذه التلفيقات العجيبة.

زعم السير ستافورد أن الروابط الثقافية والتجارية كفيلة بحل ما سماه «خلافاً» سياسياً، وهو يرمى بهذا إلى تحقير هذا «الخلاف السياسى» الطارىء، لأن تاريخ العلاقات البريطانية المصرية فيما يدعى حافل بعلاقات المودة وبالذكريات الجميلة!! فهل سمعت أذن بأغرب من هذه الدعوى؟ إن أجمل الذكريات بيننا وبين بريطانيا هو احتلالها أرض مصر والسودان أكثر من خمس وستين سنة، وسعيها الحثيث فى فصم عرى مصر والسودان فصما لا مجاملة فيه ولا هوادة. إن هذا الخطيب السياسى يعلم أنه يلقى خطبته فى دار السفارة المصرية التى دعت لتكريم أعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية، ولكنه يتجاهل هذا ويستهين بالمنزلة السياسية التى ينبغى أن تكفل لدار السفارة المصرية، فيقف ليحط من قدر النزاع السياسى بين مصر والسودان وبريطانيا، ويسميه «خلافاً يسيراً»، كأن حرية شعب واستقلال أمة ليس شيئاً يقام له وزن بإزاء ما يسميه العلاقات التجارية والروابط الثقافية؟ ونحن نعجب لم سكت رجال السفارة عن رد هذا التحقير للهدف الأعظم الذى أراقت مصر والسودان فى سبيله، ما أراقت من دماء، وجادت فى سبيله بالأموال والأرواح والأبناء، وصبرت فى الجهاد من أجله على مر الحياة وبأسائها صبراً طويلا كله آلام وتباريح؟

إن كل حرف فى خطبة السير ستافورد كان كأنه يقهقه ساخراً من هذا الشعب الذى يريد أن يعيش حراً فى بلاده، فكيف فات من سمع هذه الخطبة من المصريين أن يقف ليعلم السير ستافورد أن النزاع السياسى بيننا وبين بريطانيا هو الحياة وهو الحرية، وهو الهدف الذى لن تلفتنا عنه مودة نشأت من رابطة ثقافية أو علاقة تجارية؟

ثم ماذا يعنى السير ستافورد بقوله إن العلاقات التجارية والروابط الثقافية كفيلة بحل هذا النزاع السياسى؟ إنها كلمة يلقيها وهو يقدر كل ما وراءها من سياسة بريطانيا فى إذلال شعوب الأرض التى وقعت تحت سلطانها الجائر. فعلاقات

بريطانيا التجارية بالبلاد الضعيفة هي أن تجعل رؤوس الأموال المستثمرة في البلاد في يد فئة من الخونة أو فئة من الأجانب ، وبذلك تضمن لتجارتها ميداناً هي صاحبة الكلمة الأولى فيه وتضمن أن يكون لهذه الفئة من الخونة أو الأجانب السيادة التامة على الشعب المستذل البائس الفقير الجاهل ، وتضمن أن لا تقوم لهذا الشعب قائمة ما دامت هذه الفئة هي صاحبة القوة المدمرة في الحياة ، وهي قوة المال ، وتضمن أيضاً ناساً من هؤلاء الخونة وهؤلاء الأجانب يقولون للبلد الفقير الجاهل البائس الذي سُلب قوة المال : لم لا تفعل أنت مثل الذي نفعل ؟ وهم يعلمون أنه غير مطيق أن يفعل ، لأن قيادة أخطبوط القوة المالية في أيديهم هم لا في يد الشعب المسكين . وليس في الدنيا شيء هو أوضح من هذه السياسة اللئيمة ، فإن مصر والسودان كادت في بحر سنوات معدودة أن تكون أقوى دولة على شاطىء البحرين الأبيض والأحمر ، وأعظم دولة في إفريقيـة ، وذلك في عهد محمـد علي ، وأدخلت من ضروب الإصلاح والتدبير في مجتمعها وفي سياستها وفي صناعتها وزراعتها ، ما لا غناء في ترديده الآن ، فأبت بريطانيا أن ترى دولة قوية تنازعها سيادة الشرق الأوسط كله ، فألبت عليها الدول حتى حطمت أسطولها في نفارين ، ثم تخونتها من أطرافها حتى انكمشت في أضيق رقعة ، ثم انتهت إلى احتلال مصر والسودان مرة واحدة في سنة ١٨٨٢ . ومنذ ذلك اليوم وبريطانيا تدعي أنها جاءت لإصلاح أمرنا ، فإذا هذا الإصلاح قاصر على أن تطلق يد الخونة والأجانب في مال مصر وثرواتها ، وأن تحرم الشعب المصري من كل خير ، وتضطهده وتقاتله بأخبث الأسلحة ، ثم تتركه جائعاً عارياً جاهلا لا يطيق أن يدفع عن نفسه . فأي خير جنيناه من هذه العلاقات التجارية بيننا وبين بريطانيا إلا الذل القاتل والإذلال المهين ؟

وما الذي فعلته بريطانيا منذ سنة ١٨٨٢ لهذا اليوم ؟ إنها لم تأل جهداً في فتح باب الهجرة للأفاقين واللصوص والمجرمين من كل جنس وملة ، وأطلقتهم على هذا البلد الأمين يعيثون في أرجائه فساداً ، وحمتهم بامتيازاتها وامتيازات الدول ، ويسرت لهم أن يعيشوا عيشة البذخ والرفاهية إلى يوم الناس هذا . وقد ذكر السير ستافورد أن مصر كانت في زمن هذه الحرب الأخيرة « تستمتع برخاء غير طبيعي في عدة وجوه ، على حين كانت بريطانيا على النقيض تماماً ، فقد كانت مجبرة على الإنفاق عن سعة في الخارج خلال فترة الحرب ، لحماية نفسها وحماية الديمقراطية في العالم » ، وهو يعلم أحسن العلم أن هذا الرخاء لم تعرفه مصر ولا المصريون ، ولا السودان ولا السودانيون ، بل عرفته الجاليات من الأجانب الذين عاشوا في مصر أو الذين وفدوا على مصر . وهو يعلم أحسن العلم أن الذين تسميهم بعض الصحف تندراً بأغنياء الحرب ، وترمز إليهم برجل مصري يلبس لباساً محدثاً عليه ، ليسوا سوى فئة قليلة إذا قيست بالآلاف المؤلفة من الأجانب الذين عقدوا الأموال وجمعوها وصاروا شيئاً بعد أن لم يكونوا إلا حضيضاً موطوءاً ، وأنا أعرف مئات من هؤلاء الأجانب كانوا يعيشون قبل الحرب عيشة الكفاف بل عيشة الصعاليك ، فإذا كلهم قد أصبحوا من الثروة والعزة بحيث إذا رأيت أحدهم ظننت أنه قوة إلهية تمشي على الأرض المصرية لتستذل هذا الشعب المصري ، وكأنها لم توجد ولم تخلق إلا لهذا وحده . وبقي الشعب المصري أسوأ حالا مما كان فيما قبل سنة ١٨٨٢ ، فما الذي فعلته بريطانيا ؟ وما دعواها في إصلاح هذه البلاد ؟ .

وهذا كله بين لكل مصري ، وهو أشد بياناً ووضوحاً في عيني السير ستافورد كريبس ، ومغالطته في الحقائق التي يعلمها لا هدف لها إلا أن تدل على أنه سياسي بريطاني حقاً ؟ !

ثم ما هذه الروابط الثقافية التي يرجو أو يزعم أو يحقق السير ستافورد أنها كفيلة بأن تغطي هذا النزاع بين الدولتين : بين الدولة المتغطرسة المستبدة التي تحتل بلادنا ، وبين الشعب المسكين الذي ظل خمساً وستين سنة يجاهد في نيل استقلاله والتمتع بحرية الدولة المستقلة؟ لقد أغنانا السير ستافورد عن طلب الدليل بأن ذكر عدد الطلاب الذين أكرمت بريطانيا وفادتهم في هذه السنة ففتحت لهم أبواب جامعاتها . ولسنا ندري كيف يرجو السير ستافورد أن يكون هؤلاء الطلبة الذين درسوا في بريطانيا عاملا في حل النزاع السياسي بين مصر وبريطانيا ؟ ولكننا نعلم يقيناً أنه ما من شاب نعرفه ذهب إلى بريطانيا وعاد إلى مصر وهو مصري القلب واللسان ، إلا وهو مظلوم مضطهد في هوة من هوى النسيان ، وأنه ما من شاب نعرفه منهم عاد إلى مصر وهو يبرأ منها بلسانه وقلبه وجوارحه إلا كفلته بريطانيا ومهدت له حتى يتبوأ المنزلة التي تنبغي لمثله . ونحن لا نحب أن نسمي أحداً

باسمه ، ولكنى أعرف أن آلافاً غيرى يعرفون أحسن مما أعرف ، وعندهم من خبر ذلك أوثق مما عندى . أفهذا هو التعاون الثقافى الذى رمى إليه السير ستافورد ؟

لا ريب فى أن هذا هو التعاون الثقافى الذى يعنيه ، وهو لايلق بالا كثيراً إلى شىء غيره من ضروب التعاون الثقافى لنشر العلم والمعرفة . بل إن بريطانيا نفسها لم تعن منذ دخلت مصر والسودان إلا بهذا الضرب وحده ، وما أظن أحداً يجهل ما كان من أمر البريطانيين يوم دخلوا مصر فزقوا مدارسها ، وعملوا عمل الحريص على نزع كل شىء يفضى إلى تعليم الشعب المصرى من يد المصريين ، وأصروا على أن يأتوا بداهية من دهاتهم هو دنلوب ، ليضع برامج التعليم المصرى . فكانت العاقبة أننا بقينا إلى هذا اليوم نرتطم فى الأوحال التى قذفنا بها دنلوب ، ونمى عن إصلاح التعليم بعد الذى ابتلى به ، وبعد تلك الفئة من الرجال الذين أنشأتهم الثقافة البريطانية وأنشأهم دنلوب على ما يريد وأعطتهم بريطانيا مقاليد التحكم فى وزارة المعارف المصرية .

ولم يقف الأمر عند شأن التعليم بعدئذ ، بل سار على هذا النهج فى كل عمل فى الوزارات المصرية ، منذ كان وزير الاحتلال مصطفى فهمى باشا إلى هذا اليوم إلا من عصم الله . ومع ذلك فالفساد الذى لحق الإدارة المصرية كلها من جراء هذا الضرب من التعاون الثقافى ، قد تغلغل وضرب بجذوره فى كل شىء حتى فى الاجتماع المصرى . وكل هذا بين لا خفاء فيه . ولنا عودة إليه إن شاء الله .

ثم إن تعجب فاعجب لهذا الغضب الرقيق والعتاب الحلو الذى جرى على لسان السير ستافورد كريبس من جراء «تهور» الحكومة المصرية فى سن قانون الشركات . إن هذا القانون لا يكاد يعد شيئاً إذا قيس بقوانين الشركات وغير الشركات فى بريطانيا نفسها ثم فى سائر بلاد العالم ، ولكن السير ستافورد يغضب هذا الغضب الرقيق ويعاتبنا هذا العتاب الحلو ، لأن هذا القانون ينال شيئاً قليلا من الأجانب الذين يعيشون فى مصر . وكيف لا يعاتب ولا يغضب علينا ، والأجانب هم الناس ، وهم مصر ، وهم أصحاب المصالح الحقيقية كما كانت تقول بريطانيا قديماً إن الذى يريده السير ستافورد ، أو الذى تريده بريطانيا ، شىء واضح هو أنه لا يحل للشعب المصرى أن يفكر ساعة واحدة فى أن يسن فى بلاده قانوناً يقيد حرية الأجانب أو يحد من ضراوتهم وفجورهم ، وإلا فعلى هذا الشعب المصرى أن يحتمل تبعة هذه الجرأة وهذه الوقاحة التى تدفعه إلى الحد من سلطان سادته وأصحاب الكلمة العليا فى بلاده . ولذلك رأينا الصحف البريطانية تغمز وتلمز أيضاً حين صدر قانون إقامة الأجانب فى مصر مع أن مثل هذا القانون فى بريطانيا نفسها يجعل الأجنبى يعيش فى أرضها وعليه ملكان يكتبان كل شىء حتى ما توسوس به نفسه . ولكننا لا نستطيع أن نسن فى بلادنا قانوناً كقانونهم وإلا فإننا متعصبون يضطهدون الأجانب ، وهذا التعصب كفيل بأن يقضى على كل نهضة فى بلادنا ، وكفيل بأن يزعزع ثقة الأمم فينا ، وكفيل بأن يمنع عنا مدد بريطانيا الصالحة التقية الورعة ! !

إن هذه الخطبة التى ألقاها السير ستافورد كريبس هى خلاصة موجزة لأسلوب بريطانيا فى إذلال الشعوب ، وإذلال شعب مصر خاصة ، فعسى أن لا يفوت الحكومة المصرية أن توغل فى شرحها وتتحسس سائر مراميها ، لكى تعرف أن ساعة الجد قد دنت ، وأنه ليس بيننا وبين بريطانيا إلا العداوة المكشوفة ، وأن علينا أن نعمل رضيت بريطانيا أو أبت ، وعلينا أن نصابرها وأن نحتمل الضنك والبأساء فى سبيل إنقاذ مصر والسودان من براثن هذا الوحش الضارى .

محمود محمد شاكر

من شوارد الشواهد

للأستاذ علي الطنطاوي

٤٠ — إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

للقُحَيف بن خُمَير (أو خمّير)[١] بن سُليم الندى (أو البدى) شاعر إسلامي كوفي أدرك الدولة العباسية، أخذه منه بشار فأدخله في قصيدته، وقبله:

لقد لقيت أفناء بكر بن وائل

وهِزّان بالبطحاء ضرباً غشمشما[٢]

٤١ — ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

لابن نُباتة السعدى[٣] الشاعر عصرى المتنبي[٤]، روى ابن خلكان أنه قال:

كنت يوماً في دهليزي فدق عليّ الباب، فقلت: من؟ قال: رجل من أهل المشرق. قلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل (وذكر البيت)؟ فقلت: نعم. قال: أرويه عنك؟ قلت: نعم. فمضى. فلما كان آخر النهار، دق عليّ الباب. فقلت: من؟ قال: رجل من أهل المغرب. فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل (وذكر البيت)؟ قلت: نعم. قال: أرويه عنك؟ قلت: نعم، وعجبت كيف وصل إلى المشرق والمغرب[٥]!

(١) والذي في القاموس غلط

(٢) أفناء الناس وأفناء القوم من لا يعرف من أين جاء، والمشهور أنه ليس له واحد ولا يوصف به الواحد، وقيل واحده فنو وفناً، وهزان قبيلة، والقحيف هذا من بني عقيل وهم موالي بشار، أعني أنه هو مولاهم والمولى من الأضداد.

(٣) وهو غير ابن نباتة خطيب سيف الدولة المتوفى قبله بسنين، صاحب ديوان الخطب المشهور الذي لم يؤلف مثله، والذي كثرت شروحه وآخرها ومن أجودها شرح الشيخ طاهر الجزائري، وغير ابن نباتة المصري المتوفى في القرن الثامن، صاحب (سرح العيون) وغيره.

(٤) يقال هو عصريه ولا يقال معاصره.

(٥) قلت: ودعاية الأدباء لأنفسهم قديمة.

٤٢ — والناس ألف منهم كواحد

وواحد كالألف إن أمر عنى

لأبي بكر بن دريد، الإمام اللغوي، من مقصورته المشهورة، التي يقول فيها:

من ظلم الناس تحاموا ظلمه   وعزّ عنهم جانباه واحتمى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما   راح به الواعظ يوماً أو غدا
من لم تفده عبراً أيامه   كان العمى أولى به من الهدى
من عارض الأطماع باليأس رنت   إليه عين العز من حيث رنا
من عطف النفس على مكروهها   كان الغنى قرينه حيث انتوى. الخ

وقد عارضها هازلاً محمد بن عبد الواحد الشاعر المعروف بصريع الدّلاء، بمقصورة عجيبة، أسوق أبياتاً منها، وإن لم تكن من صلب موضوعي، قال:

مَن لم يرد أن تنثقب نعاله   يحملها بكفه إذا مشى
ومن أراد أن يصون رجله   فلبسها خير له من الحفى
من دخلت في عينه مسلّة   فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم تسودْ فمه   وصار صحن خده مثل الدجى
من صفع الناس، ولم يدعهم   أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش تفجر رأسه   وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه   طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهل في فصل الشتا   أطال تردادا إلى بيت الخلا
من مازح السبع ولا يعرفه   مازحه السبع مزاحاً بجفا
من فاته العلم وأخطاه الغنى   فذاك والكلب على حد سوا
والدرج[١] يلفى بالنشا ملتصقاً   والسرج لا يلصق إلا بالغرا
والذقن شعر في الوجوه نابت   وإنما الاست التي تحت ال(كذا)
فاستمعوها فهي أولى بكم   من زخرف القول ومن طول المرا
فتلك[٢] كالدر يضيء لونها   وهذه في وزنها مثل الخرا ...

٤٣ — إذا لم يكن صدر المجالس سيداً

فلا خير فيمن صدرته المجالس

لابن خالويه الحسين بن أحمد اللغوي النحوي، وكان له شعر حسن رواه في اليتيمة، وبعده:

(١) الورق.

(٢) تلك يعني الدريدية.

وكم قائل : مالى رأيتك راجلا ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

٤٤ — مالى سوى قرعى لبابك حيلة

فلئن رددت فأىّ باب أقرع ؟

لأبى القاسم عبد الرحمن الخطيب الأندلسى الشاعر الصوفى توفى فى مراكش فى أواخر القرن السادس الهجرى . من قطعته المشهورة عند الصوفية ، وهى :

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعدّ لكل ما يتوقع

يا من يرجّى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه فى قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع

مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أدفع

مالى سوى قرعى ... (البيت)

من ذا الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن عبيدك يمنع

حاشا لجدك أن تقنط عاصياً الفضل أجزل والمواهب أوسع

٤٥ — إن الثمانين (وبلغتها) قد أحوجت سمعى إلى ترجمان[١]

لعوف بن محلّم الشيبانى شاعر مجيد كان نديماً لطاهر بن الحسين ثلاثين سنة لا يفارقه ثم لابنه من بعده . من قصيدة قالها لعبد الله ابن طاهر ، وقد دخل عليه فكلمه فلم يسمع ، فارتجل هذه القصيدة ، وقبله :

يا ابن الذى دان له المشرقان طراً وقد دان له المغربان

وبعده :

وبدلتنى بالشطاط انحنا

وكنت كالصعدة[٢] تحت السنان

وقاربت منى خطاً لم تكن مقاربات وثنت من عنان

ولم تدع فىّ لمستمتع إلا لسانى وبحسبى لسان

٤٦ — لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

للأبله البغدادى محمد بن بختيار من شعراء الخريدة[٣] شاعر مولد رقيق توفى فى أواخر القرن السادس الهجرى ، لقب بالأبله لقوة ذكائه ...

(١) بضم التاء والجيم وفتحهما وبالفتح والضم وهو الأجود .

(٢) الرمح : الزج والقناة والسنان . والصعدة القناة المستقيمة .

(٣) للعماد الأصبهانى الكاتب

٤٧ — ما أنت أول سار غرّه قمر

شطر بيت للحريرى صاحب المقامات ، وبعده :

ورائد أعجبته خضرة الدمن[١]

فاختر لنفسك غيرى إننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى[٢]

٤٨ — منذا يعيرك عينه تبكى بها

أرأيت عيناً للبكاء تعار

للعباس بن الأحنف ، وقبله :

نزف البكاء دموع عينيك فاستعر

عيناً لغيرك دمعها مدرار

٤٩ — قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه

قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً

لأحمد بن محمد الأنطاكى المعروف بأبى الرقعمق المتوفى فى نهاية القرن الرابع ، شاعر يغلب على شعره الهزل كابن حجاج وصريع الدلاء ، وقبله :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إلىّ خصوصاً

وله فى الهزل قصيدة طويلة ، أولها :

وقوقَقى وقوقَقى هدية فى طبق

أما ترون بينكم تيساً طويل العنق

٥٠ — والناس من يلق خيراً قائلون له

ما يشتهى ولأم المخطئ الهبل

للقطامى واسمه عمير بن شُيَيْم التغلبى شاعر إسلامى متقدم من الفحول ولقب القطامى ببيت قاله ، وقبله :

والعيش لا عيش إلا ما تقرّ به عين ولا حال إلا سوف ينتقل

وبعده :

٥١ — قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل

٥٢ — وربما ضرّ بعض الناس حزمهم

وكان خيراً لهم لو أنهم جهلوا[٣]

(١) إشارة إلى حديث : إياكم وخضراء الدمن . وهو من جوامع الكلم والدمن فى الأصل المزابل .

(٢) إشارة إلى المثل المعروف : لأن تسمع بالمعيدى ...

(٣) وقد روى البيت رواية أخرى .

٥٣ — فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره

ومن يغوَ لا يعدم على الغي لائما

للمرقّش الأصغر، واسمه عمرو (وقيل ربيعة) بن حرملة[١]

وقبله :

أمن حلم أصبحت تنكت واجما وقد تعتري الأحلام من كان نائما

٥٣ — ألهى بني جشم[٢] عن كل مكرمة

قصيدة قالهـــا عمرو بن كلثوم

لِـمَوْج بن قيس بن مازن وهو ابن أخت القطامي شاعر خبيث اللسان ، وبعده :

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مَسْؤوم

إن القديم إذا ما ضاع آخره كساعد فلّه الأيام محطوم

٥٤ — لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري

لعدي بن زيد العِبادي ، من أبيات له يستعطف بها النعمان .

وقبله :

أبلغ النعمان عني مألكا[٣] أنه قد طال حبسي وانتظاري

وبعده :

ليت شعري من دخيل يعتري حيث ما أدرك ليلي ونهاري

قاعداً يكرب نفسي بثها وحراماً كان سجني واحتصاري

٥٥ — جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

لَجحل[٤] بن نضلة الباهلي ، جاهلي ، وشقيق هذا هو شقيق ابن جزء بن رباح[٥] من بني قتيبة بن معن .

٥٦ — عليّ نحت القوافي من معادنها

وما عليّ إذا لم تفهـم البقر

للبحتري .

٥٧ — يا أيها الرجل المعلم غيره هلاّ لنفسـك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى

كيما يصـح به وأنت سقيم

لأبي الأسود الدؤلي ، من قصيدته التي يقول فيها :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم[١]

٥٨ — قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت أصابني سهمي

للحارث بن وعلة الجرمي من شعراء الحماسة ، من قصيدته التي مطلعها :

لمن الديار بجانب الرضم فدوافع التربـاع فالرجم

وبعده :

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

٥٩ — أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[٢]

لسُحيم بن وثيل بن عمرو بن جون بن وهيب الرياحي من قصيدة له طويلة ، وقبله :

أنا ابن الغرّ من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده :

عذرت البُزْل إن هي صاولتني فما بالي وبال ابنيْ لبون

٦٠ — وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

أخو خمسين مجتمع أشدّي ونجذني مداراة الشؤون

سأجني ما جنيت وإن ظهري لذو سند إلى نضد أمين

٦١ — شاور سواك إذا نابتك نائبة

يوماً وإن كنت من أهل المشورات

للقاضي الأرّجاني ، وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسين ، قاضي تُسْتَر ، شاعر فقيه[٣] وبعده :

فالعين تبصر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وله البيت المشهور الذي تقلب حروف صدره فيجيء منك عجزه :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

---

(١) وهو أشعر المرقشين وهو عم طرفة والمرقش الأكبر عمه .

(٢) وروايته على الألسنة : ألهى بني تغلب .

(٣) رسالة كالالوكة .

(٤) الجحل في الأصل نوع من الحرباء سمي به .

(٥) عند الآمدي رباح وتصحيحها من الاشتقاق لابن دريد .

(١) ورووا له فيها :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

والبيت الأول للمتوكل الليثي ، والله أعلم .

(٢) جلا اسم من أسماء العرب ، وابن جلا كناية عن الواضح الأمر وطلاع صفة لـ (أنا) والثنايا ج ثنية العقبة في الجبل يريد أنه يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها وقوله متى أضع العمامة كناية عن الحرب .

(٣) وهو القائل ، وأظنه لم يجاوز الصدق .

أنا أفقه الشعراء غير مدافع في العصر لا بل أشعر الفقهاء

٦٢ — فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

لمعقر بن حمار البارق ، شاعر جاهلي محسن متمكن ، واسمه عمرو ، وفى نسبه اختلاف[1] .

وسمى معقراً لقوله فى هذه القصيدة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له   كما مهدت للبعل حسناء عاقر

٦٣ — فيا شجر الخابور مالك مورقا
كأنك لم تجزع على ابن طريف

للفارعة[2] بنت طريف بن الصلت الشيبانية ، ترثى أخاها الوليد الشارى البطل الخارجى ، الذى خرج أيام الرشيد فى نصيبين والخابور وتلك النواحى ، من قصيدة لها معروفة ، ومنها :

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى   ولا المال إلا من قنى وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى
فإن مات لم يرضَ الندا بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا   فديناك من فتياننا بألوف
وما زال حتى أزهق الموت نفسه   شجى لعدو أو لجىً لضعيف
ألا يا لقومى للحمام وللبلى   وللأرض همت بعده برجيف
وللبدر من بين الكواكب قد هوى
وللشمس لما أزمعت لكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه   إلى حفرة ملحودة وسقيف
عليك سلام الله وقفاً فإننى
أرى الموت وقاعاً بكل شريف[3]

(القاهرة)   **على الطنطاوى**

(١) بين الآمدى والمرزبانى (راجع معجم الشعراء والمؤتلف والمختلف) .
(٢) وقيل اسمها فاطمة .
(٣) أقول (تعليقاً على الفصلين السابقين) :
١ — روى فى اللسان بيت :
العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الملامه
لابن مفرغ ، وهو لأبى الأسود وروى للصلتان الفهمى .
٢ — بيت :
فلا وأبيك ما فى العيش خير   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
الذى رواه أبو تمام ، (وأخذته عنه) ، ولم ينسبه ، نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف لجميل بن المعلى الفزارى .

ليل الهوى

للأستاذ أنور العطار

اسألى الليل فهو ينبيك عنى   يا غنائى ويا رحيقى ودَنّى
أنت منه هذا الوشاح المحلى   بالدرارى، والشعر واللحن منى
عالم الليل مثله عالم الشعـ   ـر غنى بألف فن وفن
أنت منه هذا الجمال الذى يو   حى ويذكى الجوى ويحيى ويفنى
وينقّى الأرواح من عنت الإثـ   ـم فتهتز كالربيع الأغن
جل من صاغه إطاراً من الحسـ   ـن وأحياك للهوى والتغنى
يستمير الجمال منك سناه   وتشيد المنى القصور وتبنى
حار فى كنهك المضلل فكرى   وشقى غيظه بمرابى وظنى
ضمك الوهم صورة ليس تفنى   واحتواك الخيال تمثال حسن
أتمنى وأنت منى الأمانى   وأغنى وأنت منىَ لحنى
وأناجى حتى كأنىَ نجوى   وكأنى طيف الهوى المتثنى
أى سحر هذا الذى امتلك النفـ   ـس فأغرى طرفى وأسكر أذنى
كلّ نجم عين تصافح عينى   كل روح سن تضاحك سنى

إنه الحب عبقرى يغنى   ويهد القوى ويوهى ويضنى
ويثير النؤوم فى عالم الغيـ   ـب ويحيى الذكرى ويقصى ويدنى
إن شدا كان فرحة لا تبارى   وحمى آمناً وجنة عدن
وملاذاً تصبو اللحون إليه   من خلىّ حلو المنى مطمئن
وشجىّ كبلبل مستهام   يستمد الغناء من كل غصن

فى دنانى بقية من شراب   هى قوت الهوى وروح التمنى
ويدى لم تزل على الوتر الطـ   ـراب والقلب لا يزال يغنى

طرس وعود ...

للآنسة دنانير

إذا عصفت أشواق روحى إليكم   بروحى ، وهاجت عبرتى وأنينى
فزعت بآلامى وحر مواجعى   إلى صاحبىْ سرى أبث شجونى
فطوراً على طرسى أريق حشاشة   تساقط أنفاساً وخفق وتين
وطوراً على عودى أوقع أنّة   سماوية الأصداء ، ذات رنين
إذا غمرت أوتاره الحرسَ أنملى   تناغت بأشواق لكم وحنينى
نجيّان أدنى من قريب وصاحب   إلىّ ، وأحنى من أخ وخدين

بحث فى الكولرا

للدكتور فضل أبو بكر

هى داء عضال وشر مستطير ، وإحدى ما يسمونه فى الزمان الغابر بالأوبئة الثلاثة : الطاعون ، والحمى الصفراء ، والكولرا ، وهى حقاً ثالثة الأثافى لشدة وطأتها ولما تزهقه من أرواح وقد لقبها الغربيون بالوباء الأسيوى نسبة لوجودها فى بعض المدن والبلاد الأسيوية كالهند ولا سيما مقاطعة الهندستان والبنغال .

تاريخها :

الهند — كما ذكرنا — وطنها الأول إذ توجد فيها بحالة مستوطنة كامنة « Endémigue » وذلك منذ أجيال سحيقة كما جاء ذكرها فى المراجع الهندية القديمة المكتوبة باللغة السنسكريتية لغة قدماء الهنود .

هذا ولما كان البرتغاليون من أسبق الأوربيين فى فن الملاحة والأسفار كان أطباؤهم أيضاً أول من عنى بدراسة الكولرا ووصفها نذكر منهم « جاسپار » و « جوريا » و « جارسيا دى هورتا » سنة ١٥٤٣ .

فتك هذا المرض — فى القرن الثامن عشر — فتكا ذريعاً بالجيوش الفرنسية والانجليزية . غير أنه لم ينتشر بحالة وبائية إلا فى أوائل القرن التاسع عشر . وقسموا هذه الأوبئة — على وجه التقريب — إلى سبعة أقسام بالنسبة إلى تاريخ حدوثها وهى كما يأتى :

الوباء الأول :

من سنة ١٨١٧ إلى ١٨٢٣ بدأ فى الزنجبار وجزيرة موريس والهند الصينية الفرنسية والصين واليابان وبلاد الفرس وبغداد .

الوباء الثانى :

من سنة ١٨٢٦ إلى سنة ١٨٣٧ انتقل من الهند إلى الأفغانستان وتركستان وبلاد العجم كما وصل إلى روسيا وبلغاريا ومن ثم إلى بولندا وبروسيا الشرقية ، وامتد لهيبه إلى أوربا الوسطى وفرنسا وانجلترا وترك بفرنسا نحو مائة ألف من الضحايا ولم تنج منه أمريكا الشمالية والمكسيك .

الوباء الثالث :

من سنة ١٨٤٦ إلى سنة ١٨٥١ وقد ظل محصوراً فى البلاد الأسيوية وشمال أفريقيا حتى عام ١٨٤٩ وبعد ذلك لحق بالنمسا ، وعم جميع فرنسا ومنها إلى البلجيك وهولندا والسويد والنرويج ثم عرج على اليونان وشمل على وجه الإجمال كل أوربا ووصل إلى شمال أمريكا .

الوباء الرابع :

من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٦ منيت به أسيا الصغرى وبعض مدن أوربا كما أعلن ظهوره فى الأرجنتين وفى عام ١٨٦٦ كان بالسنغال وأواسط أفريقيا والحبشة .

الوباء الخامس :

سنة ١٨٨٣ أصيبت به مصر ، وفى أثناء هذا الوباء أحرز العلم نصراً كبيراً على يد خدن من أخدانه وأكبر ركن من أركانه هو العالم الألمانى الكبير « روبرت كوخ » مكتشف مكروب السل المعروف باسمه . اكتشف كوخ مكروب الكولرا لأول مرة فى مصر ، وذهب إلى الهند بعد عام واحد ، وقصد مدينة كلكتا وأثبت للمرة الثانية حقيقة المكروب إثباتاً قاطعاً .

وصل الوباء بعد ذلك إلى جنوب أفريقيا وتمادى إلى أسبانيا وإيطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكى .

الوباء السادس :

من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٦ نشب فى الهند وامتد لظاه إلى روسيا وألمانيا والنمسا وانجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا .

الوباء السابع :

بدأ سنة ١٩٠٠ ، وبعد عام من نشوبه عم جميع بلاد الشرق الأقصى وامتد إلى آسيا الصغرى كما منيت به مصر وروسيا وبولندا وبعد مهادنة لم تدم إلا بضع سنوات شب فى روسيا وتركيا وإيطاليا وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر من جديد فى روسيا ودام بها بضع سنوات ومات بسببه نحو ٢٠٧٣٨٩ من السكان .

أثر المواصلات فى انتشار الوباء :

إن المواصلات على اختلاف أنواعها من برية وبحرية وجوية

كانت وما زالت ضمن العوامل المساعدة على انتشار الوباء . لهذا كانت الرقابة الصحية على أشدها على الحدود والمرافيء والمطارات حيث المحاجر الصحية ، وتكون الرقابة عليها صارمة عنيفة وقت نشوب الأوبئة فى بقعة من الكرة الأرضية . فقد ارتبطت أجزاء العالم المترامية وقربت المسافات بفضل هذه المواصلات .

فالطريق البرى مثلا ينقسم إلى قسمين : أحدهما شمالى ينتقل بواسطته المرض من جهات الهند والصين إلى روسيا بواسطة بحر قزوين ونهر الفلجا ومن روسيا إلى بلاد البلقان وربما عم كل أوربا. والطريق الآخر جنوبى بواسطة السهل الواقع بين صحراء سوريا وإيران والذى يرويه نهر دجلة والفرات ، ومن هذا السهل تنتقل العدوى إلى مكة وربما يأتى بها الحجاج إلى مصر وشمال أفريقيا .

والطريق البحرى يساعد على نشر الداء من كلكتا إلى الهند الصينية الفرنسية والصين وميناء سنجابور ، والطريق الآخر من بومباى إلى الخليج الفارسى وآسيا الصغرى وسوريا وتركيا .

طرق الإصابة وانتشار العدوى :

أهم ناشر للعدوى هو الإنسان نفسه ؛ ونقصد به المريض فى طور الإصابة بل والناقه من المرض كذلك مايسمونه : « بحامل المكروب » وهذا الأخير ليس بمريض فى حد نفسه إذ لا يتأثر بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه ولكنه جسمه يأوى جرثومة المرض ويضيفها تشهد عليه بذلك إفرازاته من برازية وبولية وأحياناً المصارة الصفراوية كل هذه المواد والسوائل تحوى بعض المكروبات ومن هنا كان خطر هؤلاء الحملة كبيراً على السكان .

المياه ونقل العدوى :

تلعب المياه دوراً خطيراً فى هذا الصدد ونقصد بها الموارد العذبة من أنهار وآبار وينابيع المستعملة فى الشرب والغسل والطبخ وغير ذلك من الحوائج المنزلية سيما إذا استعملت بحالتها الطبيعية من غير تعقيم ولا تطهير .

تلوث تلك المياه بما يصل إليها من إفرازات المريض أو غسل ملابسه أو مايستعمل له من أوان أو غيرها وكذلك الأمطار وقت هطولها قد تجرف بعض المكروبات وتفضى بها إلى الموارد المذكورة.

الحيوانات ونقل العدوى :

أهم هذه الحيوانات الحشرات وأهمها الذباب الذى يهبط ويحط رحاله على إفرازات المريض يتغذى منها ثم ينقلها إلى الأطعمة والمواد الغذائية كذلك نوع خاص من النحل كما أدينت بعض الأسماك والقواقع المائية .

بواسطة المواد الغذائية :

إن المواد الغذائية على اختلاف أنواعها قابلة للتلوث بمكروب الكولرا وذلك بسهولة وبشتى الطرق عن طريق الذباب مثلا أو غسلها وتحضيرها بماء ملوث أو التى يقوم بطبخها بعض المصابين أو الناقهين أو « حاملى المكروب » ، وقد شوهد أن المكروب يمكنه أن يعيش على اللحوم مدة ثمانية أيام وعلى الخبز سبعة أيام وعلى السكر والملح نحو ثلاثين ساعة وعلى الخيار والطماطم نحو ثلاثة أيام وعلى البطيخ نحو ثمانية أيام . أما اللبن فقد يكون أقل تعرضاً للاصابة من غيره وذلك لأنه قابل للحموضة والتخمير ومكروب الكولرا تؤذيه البيئة الحمضية وتودى به إذا ارتفع منسوبها

الانتشار بواسطة الأشياء :

أى جميع الأشياء التى تلامس المريض عن طريق مباشر أو غير مباشر وأهم هذه الأشياء الملابس ، وقد وجد الطبيب « سمطن » سنة ١٨٢١ أن مريضة ماتت من مرض الكولرا وكانت ترتدى قناعاً وقت مرضها وقد احتفظت ابنتها بذلك القناع كتذكار وحفظته فى مكان وبعض مضى عشرة أشهر على ذلك ظنت الابنة أنه ليس هناك خطر أو بأس من ارتداء القناع وقد أصيبت بالمرض على أثر الارتداء من هنا نعلم خطر الملابس الشديد .

الأعمار وأثرها فى الإصابة :

دلت التجارب على أن السن لها دخل فى الأصابة فالطفل الصغير فى طور الرضاعة لا يصاب بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه حتى ولو كانت أمه أو مرضعته مصابة بالداء ولكنه قد يصير من جراء تعرضه من « حملة الميكروب » .

كما أن الأطفال أقل قابلية من البالغين والكهول والشيوخ أقل من الكهول ولكن أصابتهم تكون فى الغالب أخطر على حياتهم من غيرهم وذلك لضعف أجسامهم وعجزها عن المقاومة .

عوارض المرض :

هناك فترة قصيرة بين إصابة الجسم بالمكروب وظهور أول العوارض وهي ما تسمى بال « Incubation » تتراوح بين ثلاث ساعات إلى خمس وقد تمتد إلى خمسة أيام ، وإن كان متوسطها لا يعدو يومين ، وقد وضع القانون الدولى للمحاجر الصحية حداً لتلك المدة وقدرها بخمسة أيام تتخذ فى أثنائها جميع الاحتياطات اللازمة .

الطور الأول :

يبدأ المرض بإسهال شديد مسبوق بأوجاع مؤلمة على طول أمعاء القولون نتيجة لالتهابه ويشعر المريض بتعب وفتور عام ويكون لون المواد البرازية مخضراً أو رمادياً .

الطور الثانى :

يبدأ غالباً فى الهزيع الثانى من الليل معلناً ظهوره بألم شديد فى أعلى البطن وأسفل الصدر مع شعور المريض بالبرد الشديد ولاسيما فى الأطراف التى تهبط حرارتها ويشعر المريض بضيق فى التنفس وبشىء من الاختناق لذلك يلهث ويكثر تنفسه ويسرع نبضه ودقات قلبه التى تضعف ضرباتها فى نفس الوقت . أما الاسهال فتشتد وطأته وقد تبلغ كية المواد نحو ست لترات وهى عبارة عن سائل مبيض أشبه بشربة الأرز من حيث اللون والشكل ويفقد رائحته المألوفة كذلك يتقايأ المريض وقد تبلغ كمية القىء مبلغ البراز .

أما البول فيندر وتقل كميته ويصبح التبول عسيراً ومصحوباً بآلام شديدة .

الطور الثالث :

تشتد فيه العوارض المذكورة ويزداد حرج المريض وكربه ويقل البول بل ينعدم إفرازه ويشعر المريض بالاختناق وبالبرد الشديد كما يهبط ضغط الدم ويهزل الجسم وتغور العينان ويصبح الجسم كالعود اليابس الذى جف ماؤه وزالت نضرته . وقد يلاق المريض حتفه فى هذا الطور .

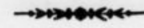
أنواع المرض بالنسبة لحدته وشدة وطأته :

هنالك نوع أخف وطأة مما ذكرنا وهو أقل خطراً بالطبع كما أن هنالك أنواعاً حادة أشد بأساً مما سلف ذكره وقد تودى بالمريض فى مدى يومين ، وصنف آخر أكثر حدة وأشد خطراً من كل ما ذكر وهو أشبه بالذبحة الصدرية ويسمونه « بالكولرا الجافة » لأنه لا يكون فيه إسهال ولا قىء وهو يصيب غالباً الشيوخ وضعاف الجسم وقد يموت من جرائه المريض بعد يوم واحد أو بعد بضع ساعات .

(البقية فى العدد القادم) **فضل أبو بكر**

حول جدل فى الجامعة

للأستاذ محمد أحمد خلف الله



تحت هذا العنوان كتب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر يقول « ولكن الذى لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية ننفى عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان . » وأنه مادام يملك المقال الذى كتبته فى الرسالة . عدد ٧٤٣ فإنه يملك باباً وسيماً من المناقشة والحساب فى مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن يحصل على أشياء أخرى غير المقال .

ومناقشة الأستاذ لهذا المقال قسمان مسائل وشتائم فلنبدأ الحديث عن المسائل .

١ — قلت من المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقال الشيخ هذه الدعوى تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعاً وبين ذلك بقوله أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام سواء فى ذلك كل أنواع الكلام .

ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — « والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية . »

ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء أن الإيراد البيانى بالتجوز والاستعارة والكناية ... الخ لا يكون إلا ببعض هذه الدلالات . ولذا لا ندرى كيف حكم الشيخ بالدلالات الثلاث لكل كلام .

ثم أين مايقوله البيانيون ورجال البلاغة من حال المتكلم وحال المخاطب والقرائن العقلية وأين السياق والمقام حيث يقولون لكل مقام مقال أين كل هذا يا صاحب الفضيلة أليس كل هذا يدل على أنه لا يصح أن نستنتج من أى نص أمرا لم يقصد إليه القائل .

ثم هذه الآية نفسها التى أوردها الشيخ وهى أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة تدل الدلالة القوية على تأصيل القاعدة التى نقول بها إن لم تكن مؤصلة وإلا فليدلنى الشيخ وقد ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجولوجيا من أن هذا البيت ليس أول بيت وضع للناس من الناحية الزمنية أيصر على موقفه أم يرجع إلى قصد القرآن ويفهم ما فهمه بعض المفسرين من أن الأولية هنا ليست أولية الزمان .

ولو قرأ الشيخ المقال الافتتاحى فى عدد الرسالة الذى نشر فيه مقاله وعنوانه (القرآن والنظريات العلمية) لوجد الضرورة القصوى الداعية إلى تأصيل هذا الأصل فى فهم نصوص القرآن لو كان غير مؤصل فى فهم عبارة كل متكلم . لكنه أصل لا نعرف أحداً يستطيع المشاحة فيه ؟ ولكن ؟

٢ — وقلت إن القصص القرآنى من المتشابه فقال الشيخ فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً .. كما يقول فى موطن آخر فالأستاذ الإمام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده ...

ونبدأ مع الشيخ بالعموم الجرىء فى قوله إنه لا يعرف أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً ونضع بين يديه ما فى التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان جـ ٢ ص ٣٨١ طبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ ونصه [وقال مقاتل المحكمات خمسمائة آية ... الخ والمتشابه القصص والأمثال . وقال يحيى بن يعمر المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال .] ثم نضع قول الطبرى فى جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ١٠٧ الطبعة الميمنية ونصه [والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السورة فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى .]

ثم نضع قول الطبرى فى كتابه مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ طبع صيدا ص ٤٠٩ ونصه [والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد] . وهذا الرأى هو الذى نقله الأستاذ الإمام فى تفسير المنار حيث لم يكتف بما نقله الرازى من أقواله فى المتشابه (أنظر المنار جـ ٣ ص ١٦٥) ولا نطيل بنقله ولعل فى هؤلاء واحداً يكون من المسلمين عند الشيخ ؟

فإذا انتقلنا إلى الخاص وهو نقل الأصوليين أحلنا الشيخ على إيراد الآمدى لهذا الرأى فى كتابه الأحكام جـ ١ ص ٢٣٨ طبعة المعارف ومناقشته له .

كما نضع بين يديه عبارة الشوكانى فى كتابه إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٨ ونصها (ومثل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال) .

فهل لم يعرف الشيخ واحداً من هؤلاء جميعاً ؟ .

٣ – وقلت إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع بل بعضه أحداث غير واقعة فقال الشيخ :

ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الأزمان .

وإقحام الشيخ الأصوليين هناك لا معنى له فليسمع كلام المفسرين الذين تحدثت عنهم إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث لم تقع .

جاء فى ابن كثير حـ ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظه مثل رقم ١ وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة (يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعة) .

وجاء فى الرازى حـ ٢ ص ٣٣٣ نسخة الصالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة ابراهيم والطير ما نصه [المسألة الثانية . أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية قطعهن وأن ابراهيم قطع أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها على بعض غير أبى مسلم فأنه أنكر ذلك وقال : إن ابراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الأمالة والتمرين على الأجابة أى فمود الطير الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك وأتتك فأذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحداً حال حياته ثم ادعهن يأتينك سعياً والغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة] .

وجاء فى المنار حـ ٣ ص ٥٢ بعد تفسيره لقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ما نصه [ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم] .

وقد كرر الأستاذ الأمام تفسير بعض القصص القرآنى على هذا الأساس ويكفى أن نحيل الشيخ إلى الصفحات من ٢٨٠ – ٢٨٢ من الجزء الأول ليعرف أن الأستاذ الأمام قد فسر قصة آدم من سورة البقرة على أنها قصة تمثيلية .

على أنا نستطيع أن نضع بين يدى الشيخ هذا النص القاطع الذى لا يحتمل شكا فى أن مذهب الأستاذ الأمام هو هذا .

جاء فى المنار حـ ١ ص ٣٩٩ الطبعة الأولى ما نصه [ومن البديهى أن ذكر القصة فى القرآن لا يقتضى أن يكون كل ما يحكى فيها عن الناس صحيحاً فذكر السحر فى هذه الآيات لا يستلزم إثبات ما يعتقد الناس منه كما أن نسبة الكفر إلى سليمان التى علمت من النفى لا تستلزم أن تكون صحيحة لأنها ذكرت فى القرآن ولو لم يكن ذكرها فى سياق النفى .

قال الأستاذ الأمام ما مثاله . بينا غير مرة أن القصص جاءت فى القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتى فى العبارة أو السياق وأسلوب النظم مايدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح .

وقد يأتى فى الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكى عنهم وإن لم تكن صحيحة فى نفسها كقوله (كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وكقوله (بلغ مطلع الشمس) وهذا الأسلوب مألوف فأننا نرى كثيراً من كتاب العربية وكتاب الأفرنج يذكرون آلهة الخير والشر فى خطبهم ومقالاتهم لا سيما فى سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئاً من تلك الخرافات الوثنية .

ويقول أهل السواحل غربت الشمس أو سقط قرص الشمس فى البحر أو فى الماء ولا يعتقدون ذلك وإنما يعبرون به عن المرئى] . انتهى بنصه من حديثه عن قصة هاروت وماروت

وبعد أفلا يرى الشيخ أن الأستاذ الأمام وأن الشيخ رشيد رضا يذهبان إلى أن كل ما ذكر فى القصص القرآنى لا يلزم أن يكون صحيحاً لأنه ذكر فى القرآن بل يكون غير صحيح وإنما ذكره القرآن وهو يعتقد بعدم صحته لأن ذلك هو الأسلوب

العادى فى التخاطب وهو الذى يجرى عليه الأدباء .

على أنى أستطيع أن أذهب مع الشيخ إلى أبعد من هذا فأقول له إن الأستاذ الإمام يفضل هذه الطريقة فى التفسير وهى طريقة التأويل على غيرها .

قال رحمه الله جـ ١ ص ٢٧٣ ما نصه (أفلا تزعم أن لله ملائكة فى الأرض وملائكة فى السماء ؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ وهل حددت أمكنتها ؟ ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضىء لك فى الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التى تلقفتها عنهم كى لا يوحشك بما يدهشك وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها أفلا يكون ذلك أروح لنفسك وأدعى إلى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ؟ ووقفت على سر من أسرار الكتاب ؟ فإن لم تجد فى نفسك استعداد القبول أشمة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض فى إدراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته وهم فى إيمانهم أعلى منك كعباً وأرضى منك بربهم نفساً .

ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذى يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه فى ثقة ومن فضل ربه فى سعة) انتهى بنصه .

والآن ماذا يرى الشيخ ؟ . وماذا يرى غيره من الثائرين ؟

إنا لنمتثل معهم بقول القرآن الكريم (وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

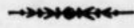
ومن هنا سنعرض عن القسم الثانى من مقال الشيخ وهو قسم الشــتائم لعله يفقه الحق ويصل إلى الرشد ويقف على أسرار قرآننا الكريم .

محمود أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد

هجرة المختار :

يا صاحب الحوض المطهر..

للشـــاعر محمد هارون الحلو



يا خير من تسمو به الألقابُ ... هل غير بابك للمؤملى باب
هى فى الخلائق سنة وكتاب ... شمت بنورك فى البرية آية
من كل مايخشى الورى ويهاب ... كفل الإله لنا بظلك نجوة
هذا النبى ، تبارك الوهاب ... الكوكب الدرى فى أفق الورى
للمرتجين به هدى وثواب ... نزل الأمين عليه يحمل معجزاً
للعقل منها منطق وخطاب ... آى من الكلم الجوامع لم يزل
منه وشائع سحرهن عجاب ... فيض من الألق السنى تفرقت
هذا الزكى الطاهر الأواب ... ما كان شاعر أمة وقبيـــلة
تسمو بها الأخلاق والآداب ... بل كان ملهم حكمة وشريعة
وحديثهم فى المرسلين كذاب ... بعث النبى وقومه فى غمرة
بهتان ما شبوا عليه وشابوا ... ورثوا عن الأشياخ من آبائهم
تسعى لها الأعناق والأذناب ... اللات والعزى وآلهة الهوى
تقضى به الأزلام والأنصاب ... والرأى وهو من الفطانة والحجى
لم يبق منه الثأر ما هو عاب ... والقتل وهو على النفوس محرم
فى مقتل فغدوا وهم أحزاب ... والخلف داء فى القلوب أصابهم
والحق سيف يمينه وقراب ... فغدا الرسول عليهم بيقينه
فى غيهم خاب الدعى وخابوا ... فأضلهم شيطانهم إذ ردهم
وسعى بهم نحو الفلاح ركاب ... ماضر لو تبعوا الهدى من ربهم
فيهم لينبوع جرى وسحاب ... قد كذبوه وناهضوه وإنه
دانت بها وبنورها الألباب ... يدعو إلى التوحيد وهو جبلة
ولهم حجاج خاسر وسباب ... برهانه نور الكتاب مفصلا
وبظلها تتسابق الأرباب ... أيقر عقل أن تقوم خليفة
بين الخلائق قاهر غلاب ... ماغير رب العرش فى ملكوته
ما يحمل النصراء والأصحاب ... حملوا الأذى عنه وحمل عنهم
أيفيد نصح فيهم وعتاب ... يتآمرون عليه وهو مناصح
ضاح يشع ضياؤه الخلاب ... ضاقوا بدين الله وهو مبلج

نفث النوى ضلالهم فى روعهم ... فغدوا وهم ظفر يصول وناب
يتوثبون ودون ما قد قدروا ... للقاء أحمد حاصب وشهاب
داروا ببيت المصطفى وحيالهم ... دون النبى مسالك وشعاب
واستلأموا كى يقتلوه وما غفى ... فى البيت إلا الفارس الوثاب
يتنظرون مع الصباح غدوه ... وصباح ليل المشركين ضباب
يا نائماً والروح حارس مهده ... وسيوف مكة من فراشك قاب
خفوا إليك يناوشونك بالأذى ... يا بئس ما خفت له الأعراب
بكروا على ما بيتوا من أمرهم ... وبهم هدير صاخب وَوِثاب
ويتمتمون بحسرة وفجيعة : ... هذا علىٌّ دثرته ثياب
وافوا على أمل يقر عيونهم ... وغدوا بخزى الخاسرين وآبوا
ومضى رسول الله يطلب غاية ... يرعاه من ظل الإله جناب
هل يعلمون بأن دون لحاقه ... ووثاقه تتقطع الأسباب ! !
ساخت يدا فرس يجد بفارس ... القلب منه واجل هياب
ويد النبى تشير : قف متصاغراً ... يا أيهذا الواغل الطلاب
وسراقة المصروع يهتف بالهدى ... أنت النبى وما يدينك عاب
ولوى العنان وكان أول مؤمن ... حملت عليه وصاولته هضاب
وطوى الرسول البيد وهو على خطاً ... من غار نور والطريق يباب
أوما إليه المصطفى بتحية ... فانهل منه البشر والترحاب
قف بى حيال الغار وقفة خاشع ... فالغار فى بطحائه محراب
حشد الملائك حوله مستلئمـ ... ـين وهم لدين المصطفين غضاب
وكأن روح القدس فى أجناده ... من حوله أسد العرين وغاب
هذا هو الغار المحجب سره ... رف الظلام به فما ينجاب
فيه ونور الحق أبلج مشرق ... دون البصائر ظله ونقاب
لا يستبين القلب منه مظنة ... فيها لسعى الطالبين رغاب
فعشاشة فيها الحمائم فرخت ... وعليه من نسج العناكب باب
صور يحار الفكر فى تدبيرها ... عجباً وليس له بهن جواب
الله أكبر ذاك نصر محمد ... ما فيه شك أو به مرتاب
منعته كف الله من أعدائه ... فمضى على التوفيق وهو مهاب
لله درك يا أبا بكر فقد ... شدت بك الأوتاد والأطناب
وبك الشريعة قد توطد ركنها ... وسمت بها فى المشرقين قباب
مذ جاءك النبأ العظيم وأنت فى ... ظل النبى السائغ الجواب
تفدى وتبذل عن يقين صادق ... لم يثن عزمك شدة وصعاب
فى الغار كنت المفتدى خير الورى ... والقلب ظام والنفوس جداب
حين ابتليت بواثب متربص ... والسم منه تفحه الأنياب
والمصطفى حان عليك مطبب ... والجرح بلسمه الطهور لعاب
علمتنا معنى الوفاء ولم يزل ... لك فى وفاء الصادقين كتاب
هذا الخضم أما له من شاطىء ... يا رب ترسو عنده الآراب
فالليل داج والمسالك وعرة ... فيها بروع الساخرات عباب
والمرفأ المأمول منه محجب ... ووراء عين الناظرين سراب
لولا هدى المولى تبارك وجهه ... ما لاح نجم أو أضاء شهاب
فسفينة الملاح يهدى سعيها ... صوت من الله العلى مجاب
الروح حاديها إلى شط السلا ... م فكيف يستبق الخطا جواب؟
هذى مشارف يثرب ائتلقت وأشـ ... ـرق بينها للصاحبين رحاب
وسرت مع الصبح المنور نفحة ... تهفو بها النسمات وهى عذاب
وغدا النبى ووجهه متهلل ... جذل فغمرة ليله تنجاب
ومواكب البشرى تحف ركابه ... وبها قلوب بالنشيد طراب
ونجيبة المختار يحدو خطوها ... بين الهتاف الصحب والأحباب
ويرف حول المصطفى نسم وظل (م) ... فيه من مسك الربى أطياب
فالسهل بلله الندى برضابه ... وسقاه فهو منضر معشاب
والنخل ذو الأكمام مال مصفقا ... وله أكف زانهن خضاب
وترى الجحافل والكتائب بالسيو ... ف تشابكت منها عليه قباب
والطير باللحن الشجى تسابقت ... منها لترجيع الهوى أسراب
عرس به غدت المدينة مشهداً ... عجباً تهيم بسحره الألباب .
يا قدس هذا اليوم يوم محمد ... فيه تجلى الواحد التواب
هى هجرة ميمونة لجلالها ... ذلت كواهل فى الورى ورقاب
ياصاحب الحوض المطهر هل إلى ... ظام بحبك نفحة وشراب ؟
ورد الهوى لو يستباح لظامىء ... لذ المدام ورقت الأكواب
أنا من يغالبه الهوى وله به ... روح وريحان ند وملاب
نهواك نهوى فى حماك مثوبة ... والأمن فى يوم يقوم حساب
لى منك يا جد الحسين شفاعة ... ترجى إذا غشى النفوس عذاب
فى يوم تصطفق الجوانح خشية ... ويشف عن كشف الغيوب حجاب
صلى عليك الله جل جلاله ... ما انهل بالعذب النمير سحاب

محمد هارون الحلو

الأدب والفن في أسبوع

مات الزين :

مات أحمد الزين ! فكان موته فجيعة الأدب فى الشاعر الكبير ووجيعة القلب فى الصديق الكريم ، ومأساة الأسرة فى العائل الراحل .

أما الصديق الكريم فقد غشينا من الأسى لفقده ما غشينا . وتلاقينا بعد نعيه وكان الواحد منا يقول لصاحبه : مات الزين ! ويكاد يجهش لولا التجلد والتجمل . ونطرق صامتين برهة ... ثم تتلاقى نظراتنا كليلة منداة .. وفى نفس كل منا ما فيها من المشاعر والخواطر ، وكلها تدور حول ذلك الفقيد الذى ظل حياته ينفح بأدبه وينافح بجلده ، حتى صرعه الموت ، بعد أن عرقته العلة ، واستنفد العلاج القليل المدخر ، ولم يبق إلا الصغير اليتيم الذى لم يكد يضع قدمه الغضة على عتبة المدرسة ...

صفحة للتاريخ الأدبى :

كان الزين من أعلام الشعر فى هذا العصر ، وكان يستمد شعره من نبع فياض هو نفسه الشاعرة ، وكان يجل فنه ويقدسه ، فلم يقصد به إلى منفعة ، ولم يتوسل به إلى كسب . كان يقول الشعر يصور به نفسه ويعبر عن مشاعره ، فقال كثيراً فى الغزل العاطفى الرقيق ، الذى يدل على عاطفته القوية الصادقة التى تتجلى أيضاً فى رثائه لأصدقائه الراحلين . والمستوعب لشعره يجد العاطفة هى السلك الذى ينتظم حياته ، ومن ذلك قصر مدائحه على أصدقائه من كبار الرجال ، وله خواطر ألمية فى نقد المجتمع وأحوال الناس ، كان يصوغها صياغة فنية بارعة . ولعل آخر مطولاته القصيدة التى قالها فى ذكرى أحمد تيمور باشا سنة ١٩٤٥ ومطلعها :

ذكرى على صدق الوفاء دليل يمضى بها جيل ويقبل جيل

وفيها يقول :

لا تبك من عاش عمراً واحداً إن التراب على التراب مهيل

هل عاش أوهل مات لا تسأل به فماته بحياته موصـــول

ما زاد عن تعب الولاد لأمه والناس وهو إلى الثرى محمول

ومن البلية أن أكثر من ترى فى الناس ذاك العائش المثكول

فاملأ موازين الزمان فلن ترى فى الناس ميزان الزمان يميل

تقضى العصور على الرجال بحكمها والباقيات الصالحات عدول

تيمور إن نفقد حديثك بيننا فصداه فى أفق الزمان يجول

وقال بعد هذه القصيدة قطعاً كثيرة مختلفة لعل آخرها عشرة أبيات مدح بها معالى إبراهيم عبد الهادى باشا ، فى أوائل هذا العام ، منها قوله :

ماذا تزيدك فى العلا أقوال من بعد ما شهدت لك الأعمال

عمر تضيق سنوه عن أعماله فكأنما أعوامه أجيـــال

ماض ملىء بالجهاد وحاضر حفل ، وآت كله آمال

ومواهب جمت لديك لو انها فى أمة لم يكفها استقلال

ومواقف أغنى خلود حديثها عن أن يقام لخلدها تمثال

وكان صديقاً لمعاليه . ولك أن تعجب من صداقة موظف باليومية لم يبلغ الدرجة السادسة إلا أخيراً لرئيس ديوان جلالة الملك ! ولكن عجبك يتحول إلى الإكبار عند ما تعلم أن فقيدنا كان ، إلى عظم منزلته الأدبية ، كبير النفس ، فلم يكن ليصغرها بطلب شىء لذاته ، وربما رجا لغيره ... ومن هنا ظل شعره بعيداً عن أن يكون سبباً من أسباب الحاجات مع توفر هذه الحاجات !

ولم يكن الزين من المقلدين فى الشعر والمزيفين للشعور ، بل كان صادق الفن ، يصدر عن ذات نفسه ويعبر عن خالص وجدانه ، وكان مرهف الحس دقيق الشعور واضح المعانى ، يؤدى كل ذلك فى ديباجة مشرقة وألفاظ عذبة ، لا تجد له لفظاً مستكرهاً ولا معنى ملتوياً .

وكان يعنى بالتوقيع الموسيقى فى شعره ، يؤلف أجزاءه منسجمة متآخية ، ثم يردده فى تنغيم خاص يطرب له ، ويستدعى به ما بقى من القصيدة ...

وكان رحمه الله يريد أن يجمع شعره فى ديوان ، ولكن شغلته شواغل العيش ثم متاعب المرض ثم عاجلته المنية .. وقد نشر أكثر شعره بالرسالة والأهرام والثقافة ، وقد طبع فى

مستهل حياته الأدبية ديواناً سماه « قلائد الحكمة » أكثره أراجيز تدل على بدء معالجته للقريض كما يدل على ذلك تخميسه لقصيدة امرئ القيس «قفانبك» الذى أخرجه أيضاً فى مطبوع صغير. وأطلق عليه لقب « الراوية لكثرة ما كان يحفظه ويرويه من أشعار العرب. وكان للزين جهد جليل الشأن فى تحقيق الآثار الأدبية وتصحيحها وإخراجها ، وكان يعمل فى ذلك بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وقد أخرج ستة أجزاء من « نهاية الأرب » وأخرج الجزء الأول من أشعار الهزليين وكان يعمل فى الثانى ، ومن مجهوده فى هذا الميدان خارج دار الكتب اشتراكه مع الأستاذ أحمد أمين بك فى إخراج كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ومعه ومع الأستاذ إبراهيم الأبيارى فى إخراج أربعة أجزاء من كتاب « العقد الفريد » . وقد اشترك الثلاثة أيضاً فى إخراج « ديوان حافظ » بتكليف من وزارة المعارف وأخرج الأستاذ الزين « ديوان إسماعيل صبرى » وقدمه بدراسة قيمة .

وقد تخرج الفقيد فى الأزهر إذ حصل على شهادة العالمية سنة ١٩٢٥ وكان وهو طالب يتردد على الجامعة المصرية القديمة لسماع محاضراتها الأدبية . وفى سنة ١٩٢٦ عين مصححاً بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وظل بها حتى نقل فى هذا العام إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف . وقد توفى فى العقد الخامس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٥ نوفبر سنة ١٩٤٧ .

المأساة :

كان الزين موظفاً باليومية فى دار الكتب المصرية ، لا تحسب فى أجره الضئيل أيام الاثنين (المطلة الأسبوعية فى دار الكتب) والأجازات والأعياد ، وظل مرتبه اليومى يزداد قروشاً طيلة مدة خدمته ، حتى وصل إلى ثلاثة وأربعين قرشاً يعطى منها ثمانية قروش لكاتبه الذى كان يلزم له فى عمله بحكم حالته إذ كان مكفوف البصر . وجاء أخيراً (كادر العمال) فقفزت به أحكامه إلى الدرجة السادسة .. وقد عد من العمال لأنه يعمل باليومية مثلهم !

وعاش الشاعر الكبير صابراً على هذه الحال ، متجملا بالتعفف ، منطوياً على عزة نفسه ، يروح ويغدو وفى وجهه ماء الكرامة والكبرياء ... وظل مع ذلك يصدح على أيكة الشعر ويخرج الأدب المصفى فى هذا البلد الذى يحترق فيه كرام الأدباء وينال خطوة أوليائه المتافون ومن إليهم من سائر الوصوليين ...

ثم داهمه المرض من نحو ستة أشهر ، وتعاوره الأطباء ... هذا يقول : « قرحة المعدة » وذاك يقول له : « داؤك فى الكبد » وثالث يقول بثالث .. وكل يعطى حقناً ويكتب (روشتة) ويأخذ (كشفاً) حتى نفد القليل الذى ادخره من أجرة على تصحيح الكتب التى اشترك فيها خارج عمله الحكومى ، وحتى نفدت أثمان حلى الزوجة .. ثم نفد الرجل .. وخلف ثروة أدبية لا نفع فيها للأيم واليتيم الذى تركه فى نحو العاشرة من عمره . ويقضى قانون الحكومة بمنح الورثة مكافأة تجمع من أجر نصف شهر عن كل سنة من مدة خدمة موظف اليومية !

وبعد فماذا عسى أن يكون مصير ابن أحمد الزين الشاعر الراوية والأديب الكبير ؟

أيتها الدولة . عينك بصيرة وليست يدك قصيرة ...

ذكرى شوقى فى الأوبرا :

لعل القراء يذكرون ما كنا قد أخذناه على اللجنة التى ائتلفت لإحياء ذكرى شوقى من اعتزامها الاحتفاء بالذكرى فى (أوبرج) الأهرام ، وتسمير مشاهدة الحفل ، واشتمال البرنامج على رقص و (منلوجات)

وقد حدث بعد تفنيدنا ذلك أن أعاد أعضاء اللجنة النظر فى الموضوع ، واقتضى ذلك تأخير الاحتفاء بالذكرى عن موعدها

وقد استقر الرأى أخيراً على أن تقام حفلة إحياء ذكرى شوقى فى مسرح الأوبرا بدلا من (الأوبرج) وقد عين لإقامة هذه الحفلة يوم ٢٨ نوفبر الحالى .

ويشتمل برنامج الحفلة على شعر من خليل مطران بك والأستاذ محمود حسن إسماعيل والأستاذ على محمود طه والدكتور إبراهيم ناجى والأستاذ طاهر أبوفاشا .

وممن سيلقى كلمات نثرية معالى إبراهيم دسوق أباظه باشا ومحمد صلاح الدين بك وعزيز أباظه باشا والأستاذ أنور أحمد .

ويتخلل ذلك موسيقى ، وتمثيل من مسرحيات شوقى ، وغناء شعر لأحد الشعراء فى ذكراه .

وقد جرت محادثات أو مفاوضات مع عبد الوهاب وأم كلثوم للاشتراك فى الحفلة بغناء فى شعر شوقى . أما عبد الوهاب فأبى أن يغنى أمام الجمهور ورأى الاكتفاء بتسجيل قطعة تذاع فى الحفلة . فلم تقبل اللجنة هذا الوضع الذى لا يتفق والوفاء الواجب على عبد الوهاب لشوقى الذى طالما غنى شعره أمام الجماهير

وأما أم كلثوم فكانت قد تمنعت ، ولكن لا تزال المفاوضة جارية معها ، والمأمول أن تساهم فى ذكرى شوقى ، ولو مقابل « سلوا قلبى » و « أغنية السودان » و « ريم على القاع » التى أخذتها بالمجان من ديوان المحتفى بإحياء ذكراه ..

بقى أمران لابد من الإشارة إليهما ، الأول أن الحفلة لا تزال مسمرة ، أى أن مشاهدتها ستكون بنقود تدفع ثمناً (لتذكرة الدخول) ولم تجر العادة بذلك فى الحفلات الأدبية .

الأمر الثانى رياسة «شرف» الحفلة ، المسندة إلى هيكل باشا الموجود الآن فى أمريكا . ولو فرضنا أنه فى القاهرة وسيحضر الحفلة فما أظن أنه يترفع عن الرياسة « الفعلية » لحفلة إحياء ذكرى شوقى ، كما أظن أن « رياسة الشرف » شىء قديم لم يعد الآن مستساغاً .

المازنى يتزوج الأدباء :

كتب الأستاذ المازنى فى « أخبار اليوم » مقالا عنوانه « لو أصبحت امرأة » وما كنت لأتعرض لمثل هذا الموضوع لولا أن كاتبه المازنى ، ولولا أنه يصور طوراً من الأطوار التى يمر بها إنتاج هذا الأديب الكبير . ذلك الإنتاج الذى يخف ولكنه لا يبرد ، فهو دائماً تشيع فيه روح الدعابة والظرف ، وقد تشبع هذا الموضوع الأخير من ذلك ، بل زاد فيه حتى جاوز درجة التشبع ..

نفر المازنى من تصور نفسه امرأة ، فأبعد هذا الانقلاب التصورى عن نفسه ، وحوله إلى الأدباء ، متصوراً أنهم نساء وأنه يختار أحدهم أو إحداهن زوجة . استقبح هذا التصور وجمل يصور قبحه ، فقال عن العقاد : « .. ثم من هذا الذى يطيق امرأة فيلسوفة تأبى إلا الغوص والتعمق فى كل شىء ، وإلا أن تتناول كل مسألة بالعقل والمنطق » ثم انتقل إلى غيره فقال : « أوخذ توفيق الحكيم — أو توتو ، أو فيفى ، أو حكمت ، إذا جملناه امرأة » إلى أن قال « ... وتنقدها كل شهر (مصروف) البيت فتقتر عليك ، وتقدم لك الطعام — إذا قدمت شيئاً — فى (برشامة) » ويدع الحكيم فيقول : « وإن طه حسين الكريم يحب لين العيش وخصبه ، ولكن هذه الرفاهة ستكون على حسابى لا على حساب (حسنية) ! ثم إنه يحب السيطرة والتحكم وإن كان يبدو ليناً ، وأنا أكره أن تحاول امرأة أن تتحكم فى ، صراحة أو مداورة ، فإذا كانت حسنية هذه — كفانا الله السوء زوجتى فسينتهى الأمر بأن أخنقها أو تخنقنى . وحسنية تحب باريس والغرب وأنا أكرههما وأحب الشرق ... الخ »

ولم يخل الموضوع من شىء ، فقد أشار — كما ترى — إلى صفات فى هؤلاء الأدباء بهذا المزح الأكثر من اللازم ... كل ذلك وعنوان المقال « لو أصبحت امرأة » ويظهر أنه وضعه ليسير فى التخييل على أنه هو المرأة ولكنه رجع عن هذا التخييل ونسى العنوان ، أو أبقاه على طريقة لفت الأنظار بالعناوين الشاذة !

ونرجع إلى حيث بدأ ، فنتصور المازنى فى امرأة ! لا عليك من المنظر .. إنه كريم ظريف حلو الشمائل لين الجانب ، ولكن من يتزوج « زيزى » التى لن تفرغ له ، لأنها تكتب فى ٩٩٪ من الصحف والمجلات المصرية ؟ ! إن الحياة مع « زيزى » هذه لابد أن تكون سلسلة من المتاعب والمقالات ..

« العباس »



الطير الأبابيل في تفسير الأستاذ الإمام :

قلنا في كلامنا الذي نشر بالرسالة عن القرآن والنظريات العلمية أن محاولات التوفيق « قد تكون مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التي تسمى بالميكروبات . فالميكروبات موجودة لا شك فيها ، والإصابة بها محققة كذلك في مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح » .

وهذا الذي فعله الأستاذ الإمام حين أجاز أن تكون أصابة أحجار الفيل من قبيل الإصابة بجراثيم الأمراض .

وقد كتب الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى أحمد الزرقا إلى الرسالة معقباً على مقالي فقال : « لعله اعتمد في قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأي إلى الشيخ محمد عبده أخذاً مما أشيع عنه واشتهر » .

ولكن الواقع أننا لم نعتمد على الرواية بل اعتمدنا على كلام الإمام نفسه ، ولم ننسب إليه غير ماجاء في نص تفسيره حيث قال في الصفحة الـ (١٥٨) من تفسير جزء عم يتساءلون : « فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤس الجبال ... فهذا الطاغية الذي أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدري أو الحصبة فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة » .

إلى أن قال رحمه الله : « هذا مايصح الاعتماد عليه في تفسير السورة وماعدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر » .

وفي هذا النص يرى الفاضل الأستاذ « الزرقا » إننا لم نعتمد على الرواية المنقولة ، ولم نتجاوز بالنص معناه حين قلنا أن الأستاذ الإمام أجاز تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التي تسمى بالميكروبات ، وهو تفسير مقبول ولا شك — كما قلنا — على سبيل الجواز والترجيح .

عباس محمود العقاد

بيان :

خاضت الصحف في الكلام عن رسالة « فن القصص في القرآن الكريم » قدمها طالب في كلية الآداب لينال بها درجة دكتور ، وتحدثت بعض الصحف عن حرية البحث وعن أمور تتصل بهذا الموضوع .

وحقيقة الأمر أن رسالة قدمت إلى كلية الآداب فألفت لجنة لفحصها طبقاً للوائح ، فرأت اللجنة أنها لا تصلح أن تكون موضوعاً للمناقشة المعتادة في درجة الدكتوراه ، فردت الرسالة إلى صاحبها وهذا يقع في الجامعة كثيراً .

فما كان ينبغي أن تكون الرسالة بعد هذا موضوع جدال في الصحف ، فرسائل الجامعات التي تقبلها الكلية المختصة وتأذن بالمناقشة فيها ونشرها تبقى سراً بين الطالب وأساتذته ، وكل ما فيها من آراء عرضة للاصلاح والتغيير والحذف ، فإن رفضتها الكلية فهي كورقة امتحان لم ينجح صاحبها .

هذه حقيقة الأمر . ولكن بعض الكتاب ؛ ومنهم الطالب كاتب الرسالة ، خاضوا في جدال فيها ، وكنت حينئذ غائباً عن مصر فلما رجعت عملت على ألا ينشر شيء في هذا الموضوع ، وأجبت بحضرتي صاحبي الفضيلة وكيل الأزهر وسكرتيره العام مبيناً أن هذه الرسالة لا تجوز المناقشة فيها ولا المؤاخذة بها

ما دامت ورقة امتحان يقدمها طالب لأساتذته منتظراً رأيهم فيها وقد نشر فضيلة السكرتير العام خطابه إلىّ وجوابى له .

رجوت أن ينتهى الجدل عند هذا الحد ، ولكن الطالب كتب مرة أخرى متحدثاً عن الانتكاس فى الجامعة ، وسألت الجريدة التى كتب فيها الطالب كلمته الأستاذ المشرف على الرسالة فكتب كلمة عن حرية الرأى ، وذكر المحنة العقلية والأخلاقية الخ وقد أسفت الكلية لاشتراك الأساتذة فى جدل فى الصحف حول موضوع من موضوعات الامتحان . والتمست من الأساتذة الذين لهم صلة بهذا الموضوع أن يكفوا عن كل جدل صحفى ، وألححت على الأستاذ الذى أشارت إليه الكلمة التى نشرها زميله ألا يجيب مهما يكن له من حق فى الإجابة ، ومهما يكن عنده من أدلة لتأييد رأيه ونصحته الكلية ألا يدخل فى هذا الجدل ، وعرفته أن ليس من سنن الجامعات ولا من كرامة الأساتذة أن ينقلوا أبحاثهم من الجامعة إلى جدال فى الصحف . فكتب هذا الأستاذ إلى الصحيفة التى وعد بالكتابة فيها معتذراً عن الرد ؛ قائلا إن الجهات الرسمية منعته من الكلام ، والجهات الرسمية التى أشار إليها هى الجامعة ، ولم تدخل جهة رسمية أخرى فى هذا المنع .

وأما الكلام عن الانتكاس فى الجامعة وحرية الرأى فلا محل له فى هذا الموضوع قط . فان كان الطالب حراً فى أن يبدى رأيه فى رسالته فللأساتذة أيضاً الحرية فى أن يبدوا آراءهم فيقبلوا آراء الطالب أو يردوها ؛ هل يراد أن تكون هذه الحرية للطالب دون الأساتذة ، وهل يحق لكل طالب يرفض رأيه فى امتحان أن يشكو من التضييق على الحرية .

الجامعة لم تمنع الطالب من أن ينشر آراءه بعيداً عنها بكل وسيلة يراها ، ولم تزد الجامعة على أن قالت إن البحث الذى فى هذه الرسالة لا يستحق عندى درجة علمية ، وبقيت الحرية للطالب ومن يرى رأيه ، فى أن ينشر آراءه فى كتاب من عنده لا فى رسالة من رسائل الجامعة ، بعد أن أبدت الجامعة رأيها فيها وردتها ، وحينئذ يحتمل وحده تبعة ما فيها من غلط أو ضلال . ومادام هذا فى مقدرة الطالب فلا حق لأحد فى أن يدعى أن الجامعة تمنع حرية البحث .

وبعد ، فالجامعة أعرف بحرية الرأى ، وأدرى بحدود هذه الحرية ، وأبصر بتوجيه طلابها ، وأقدر على نقد ما يكتبون . فالمرجو من أنصار حرية الرأى أن يتذكروا هذا ، ولا ينكروا على الجامعة حريتها فى التصرف فيما هو من خصائصها ، فان الجامعة تطالب بحقها فى الحرية أيضاً وتتمسك به قبل الناس جميعاً .

عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب

من شوارد الشواهد :

إن جميع ما يكتبه الأديب البارع الأستاذ الطنطاوى مما يحرص الأديب الناقد على تلاوته ، لعلمه بأنه لا يكتب إلا طريفاً ممتعاً ولا يكون إلا محسناً مبدعاً ، ومن تلك الأبحاث المفيدة التى ينشرها فى مجلة الرسالة مجلة العلم والأدب والإسلام والعرب مقالته (من شوارد الشواهد) ، التى علق عليها فى الحاشية بقوله : (فأرجو ممن وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه فقد يعزى البيت إلى غير راويه ، أو ينحل غير بانيه) .

والطنطاوى عهدناه من الحافظين فى الآداب على الأنساب ، وهو ممن لا يرد رجاؤه ، وقد وجد الشاهد (٢٤) معزوا إلى إبراهيم الصولى وهو :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وهذا البيت المعدود من شوارد الشواهد ، لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسن على بن مرة ، وأرسلها إليه من سامراء إلى دمشق مع أخيه سهم ؛ ويروى هذا البيت فى غير الديوان (إذا ما أيسروا) ، ويرى مؤلفو كتاب البيان والبديع أن إبراهيم الصولى قد ضمنه أبياتاً منها قوله قبل هذا البيت :

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

وليس هذا البيت للصولى بل هو لأبى تمام أيضاً ، وهو فى ديوانه قبل الشاهد ، وتختلف عنه رواية الديوان قليلا ، فهو فيه :

أولى البرية حقاً أن تراعيه ... عند السرور الذى آساك فى الحزن

وقبل هذا البيت فى الديوان :

لى حرمة بك فاحفظها وجازبها ... يا حافظ العهد والمواد بالمنن

وللصاحب بن عباد تضمين حقيق لهذا الشاهد بقوله :

أشكو إليك زمانا ظل يعركنى
عرك الأديم ، ومن يعدو على الزمن
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته
دهراً فغادرنى فرداً بلا سكن
وباع صفو وداد كنت أقصره ... عليه مجتهداً فى السر والعلن

كأنه كان مطوياً على احسن ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى:

« إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن »

(دمشق) التنوخى

تذكير:

أنا لم أكن أرى مواصلة الرد على ماجاء فى الرسالة (الفن القصصى فى القرآن) لأن ارد على هذا الطالب بوهمه أن فى رسالته علما وأنه أهل لأن يكلم بكلام العلماء ، ويجرئ غيره من طلاب الجامعة على ابتغاء الشهرة قبل أوانها بحماقة أخرى مثل هذه ..

ولكن ما دام قد رد عليه جماعة من أهل الفضل فانى أذكرهم بأمرين ما انتبه لهما واحد منهم .

أولهما : أن هذا الطالب لم يبتكر هذا الذى جاء به فى رسالته وعقدها عليه ، بل نقله عن سان كلير المبشر من كتابه الذى وضعه لتكذيب القرآن ، وسماه (مصادر الإسلام) وهو مترجم إلى العربية ومطبوع ، وفى رسالة الطالب نقل منه وعزو إليه كثير

وثانيهما : أن هذا القول يمس جوهر الشريعة ، لأن أدلة الشرع منها ما هو متفق عليه ، وهو الكتاب والسنة والقياس (ولا عبرة بخلاف الظاهرية فيه) والإجماع ، ومنها ما هو مختلف فيه (وهو معتبر فى الدين على كل حال) كالاستحسان والمصالح المرسلة وشرع من قبلنا ، وعلى ذلك يكون ما حكاه الله (فى قصص القرآن) من شرائع من قبلنا شرعاً لنا ، ويكون ما جاء فى كتاب المبشر وفى رسالة الطالب ، هدماً لهذا الأصل من أصول الدين ، ولما بنى عليه من أحكام فقهية ، فى المذهب الذى هو مذهب القضاء والفتوى فى مصر .

على الطنطاوي

العجول والأناسى:

حضرة العلامة صاحب الرسالة

أرجو أن تضيفوا إلى إمضاء « الخفيف » كاتب المقال بهذا العنوان . لأنى مشاطره فى تأثره وانفعاله من تصرف البهيم الذى كان يسوق بهائم هى أراف منه وأعطف . وإنى لشريكه أيضاً فى الأسى والأسف لبؤس الغلمان الذين كان النفر الشرطى يقودهم كالأغنام ويجلدهم .

مثل هذه القسوة الفظيعة على البهائم نراها كل يوم فى شوارع العاصمة حتى فى أهم شوارعها وأرقاها (ولا أقول أنظفها لأنها لم تعد نظيفة كما كانت من زمان) . ومثل هذه القسوة الشنيعة التى يقسوها الشرطة على الغلمان البائسين فى سوقهم إلى دار الشحنة نرى كل يوم .

فأين جمعية الرفق بالحيوان تثبت وجودها ؟ أم أنها نفقت مع الحيوانات الموبوءة وما بقى إلا ذكر اسمها لكى لا يقال أن مصر خالية من معالم المدنية . وأين جمعية الشفقة على الإنسان ؟ أم أنها لم تولد حتى الآن .

إن هؤلاء الذين يزعم الجاويش أنهم من سارقى الجيوب وخاطفى الحلى قد يكونون كما زعم . وهم مئات الألوف فى البلد . فماذا تفعل بهم دار الشرطة ؟ هل تسجنهم ؟ ترحمهم إذا سجنتهم . ولكنها لا تسع جيشا من المتشردين والنشالين . تتهددهم ثم تطلق سراحهم . ويعودون إلى جرائمهم .

والله إنهم ليسوا مجرمين . إنما المجرم هذا النظام الذى حرمهم أسباب الرزق وأسباب التربية والتعليم . علموهم وربوهم ثم اعتقلوهم بذنوب إن أذنبوا .

نقولا الحداد

الأبيات لابن رهيمة وليست لعلية:

فى كلمة الأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان (غزل علية) — الرسالة رقم ٧٤٨ — وردت الأبيات « وجد الفؤاد بزينبا » على أنها للاميرة الشاعرة . والحق أن هذه الأبيات لابن رهيمة المدنى وهو شاعر أموى . وقد ذكر ذلك أبو الفرج فى أخبار علية ، إذ قال بعد أن أورد هذه الأبيات منسوبة إلى علية : « هكذا ذكر ميمون ابن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجى ، ولم يحصل مارواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدنى والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانيب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحناً » انتهى قول أبى الفرج .

أما زيانيب يونس هذه ، أو زيانبه ، فقد جاءت كلها فى أخبار يونس الكاتب (أغانى جزء ٣) وعددها سبعة ، والشرط فيها أن تكون من شعر ابن رهيمة ، وكان يقولها فى زينب بنت عكرمة وقد أباح هشام بن عبد الملك دمه أن هو عاد لذكرها ، وفعل ذلك بكل من غنى فى شيء من شعره ، فهرب هو ويونس فلم يقدر

عليهما ، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا ، وقال ابن رهيمة فى ذلك :

لئن كنت اطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهى لقــلّ إذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا فحبى لزينب لا يذهب

هذا وللاستاذ « العباس » أصدق الإعجاب والتقدير لما يمتعنا به فى صفحة « الأدب والفن فى أسبوع » من أدب وفن .

نابلس فدوى عبد الفتاح طوقان

رأيت « الناصر » :

عظيمة وعظيمة وعظيمة ... لقد قامت دليلا ناهضاً على أن العربية تتسع للمسرحية . . لقد جاءت برهاناً جديداً على عبقرية أباظه . . لقد أبانت بجلاء قيمة الفرقة المصرية ... إنه لمن حسن حظ المرء أن يتمتع برؤية الناصر ، إذن سيجد الشعر المتلىء روحاً المتين نسجاً البليغ تعبيراً . . سيجد التمثيل المكامل بالنجاح المتوج بالفوز المتشع بالبهاء . . سيجد كيف أجاد الشاعر وأجادت « فردوس » وكيف تمكن الشاعر وتمكنت « أمينة » وكيف أبدع الشاعر وأبدع « علام » ... ولن ينسى طلبات ...

وعلى كل حال ... فما لهذا بعثت بكلمتى إلى « البريد الأدبى » فإن لذلك مكانه الخاص الذى يقتضى التفصيل والتحليل والإفاضة أما الذى أريده فهو ملاحظات عابرة خطر لى أن أذيعها أملا فى تدارك الصحيح الممكن منها ...

١ — معلوم أن المسرحية شعرية عربية فصيحة وإذن فن المناسب جداً أن لا نلفظ « الثاء » سيناً والذال « زاياً » والجيم « كيا » ... الخ

٢ — وإنى إذ أكبر تمكن الممثلين من إعراب كلامهم — مع جهل أكثرهم بقواعد النحو — أقول إذ أكبر ذلك . فإنى أرجو أن لا نسمع مرة ثانية مثل « فى ظل كرامة » وما شابهها .

٣ — ومع احترامى « لزهراء » وإجادتها التمثيل ... فإن الإنسان ربما لاحظ أن « تكوينها » لا يصلح لأن تكون المرأة التى بُنيت من أجلها « الزهراء » ...

٤ — أما الإخراج فهو ممتاز بالطبع . . ولكنى لا أدرى كيف يحدث جرح من دون إراقة دماء . . لقد طعنت « منى » « شفق » طعنتين قاتلتين ولكنا لم نر أثراً للدماء . . ولا تمزقاً فى الثياب . . . أترى ذلك إنما حدث لأن منى لم تعرف كيف تقبض على الخنجر !! لا أدرى ..

٥ — ولا أدرى ما هى الضرورة التى تدعو « الجاسوس » لأن يلبس « حذاءاً » بحيث تحسبه وقع خطوه إذا ما مشى على خشبة المسرح وقع قائد جيش منتصر .. أظن أن الجاسوس يعنى التستر فى كل زمان ومكان .

٦ — هذا وهناك عادة إخالها جارية فى أكثر بلاد الله .. إذا ما انتهى فصل من فصول « الرواية » أسدل الستار فصفق المشاهدون إعراباً عن إعجابهم فرفعت الستارة ليظهر الممثلون بوضع « طبيعى » يردون فيه التحية ..

ومع أنه من حق الجماهير أن يعبروا عن تقديرهم ومن واجب الممثلين أن يردوا التحية . . إلا أنى أرى أن فى هذا المظهر ما يبعد المشاهدين عن جو « الرواية » ويعيد إلى أذهانهم بأنهم أمام تمثيل بعد أن أنستهم الإجادة ذلك وغمرتهم فى جو جعلهم يتصورون أن « فردوس » هى « منى » حقيقة وأن « أمينة » هى « شفق » واقعاً وأن « فاخر » هو عبد الله صدقاً . . وعليه وعليه فمن المستحسن ترك هذه العادة ..

٧ — أما الروح الشعرى الذى سكبه أباظة فى مسرحيته فلا يخفى على أحد .. ولكن قد يحس الإنسان أن هناك بعض الألفاظ القليلة التى هى أقرب إلى الاستعمال النثرى من قبيل « ا كفوا » ومن قبيل « الكوب » وقبيل « يركد قلبى ركداً »

٨ — وإذ أجل تمكن الأستاذ الشاعر من إضفاء الروح الوطنية على مسرحيته . . تمكناً يشعرك أنها متلاءمة مع عصر الناصر ... أقول إذ أجل ذلك فلا يضير أن أشير إلى أن الأستاذ الشاعر قد ينسى « الناصر » فيظهر فى عصر « أباظة » فيدعه يتحمس بالدعوة إلى « جبهة عربية » هذا مع العلم أن « أمية » الأندلس ليست مثل « أمية » الشام فى هذا الموضوع ... أقول هذ مع احترامى « للجبهة العربية » .

٩ — ومعلوم أن ذكر الناصر و « الحكم » يقترن به دائماً بنهضة الثقافة ولكن الأستاذ المؤلف لم يجل لنا هذه الناحية التى تصور مجداً إنسانياً عالياً ، الناحية التى تركت أسبانيا تحتفل بمرور ألف سنة على « الناصر » الناحية التى تركت الغرب يحسدون العرب من أجلها ... لقد دخلت « الأوبرا » وكلى أمل أن أمتع برؤية « المدارس » وألذ بمشاهدة مجالس الأدب ، وأسعد بالنظر



نظـــرات حادة

مترجمة عن كنجسلي جوردون

بقـــلم الأديب سيد أحمد قناوى

استهل « بنيامين هارفورد » حياته كمحام وهو يؤمن تمام الإيمان بهذه العبارة التي طالما طالعها فيما كان يطالع حتى نزلت منه بمنزلة العقيدة الراسخة ، وهي بالنص « الشخصية مصدر للقوة » . فقد كان « هارفورد » مقتنعاً بأنه ذو « شخصية » لها مقوماتها الخاصة وذاتيتها البارزة ...

كان « هار فورد » طويل القامة مهيب الطلعة — كما وأنه في مشيته أدنى إلى الاختيال والزهو ... وحق له أن يزهو بعد فعاله الباعثة للدهشة ...

خذ على سبيل المثال قضيته الأخيرة .. فقد أفلح في دفاعه عن « بلنكي لويس » حين اتهم هذا الرجل بقتل أحد رجال البوليس .. وكانت وقتئذ الأدلة موفورة ضد « بلنكي » حتى عده القاضي مداناً ومال المحلفون إلى مشاطرته هـذا الرأى قبل استكمال إجراءات المحاكمة ؛ ولـكن المحامى « بنيامين هارفورد » كان يعلم أن بلنكي برىء .. وذلك بعد ما اختبره اختباراً عاتياً وامتحنه امتحاناً قاسياً بعد أن ركز فيه كل شخصيته وسلط عليه « نظراته الحادة » حتى انتزع منه الاعتراف الأخير الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ قال له المتهم المعرض لحبل المشنقة هذه الجملة المؤثرة : « نجنى يا أستاذ .. فلست أنا الذى أرتـكب هذه الجريمة » .

إلى « المـكتبات » ... ولـكن ... ولـكن شيئاً من ذلك لم أظفر به ... لقد قصر الأستاذ المؤلف « الناصر » على « الدسائس » وعلى ما يجب أن يكون عليه الملوك إزاء رعيتهم ... وأنا لا أنـكر فضل كل أولئـك على كل من « الملك والرعية في كل زمان ومكان » ... بل إن العناية بذلك في مسرحية كالناصر ضرورة لابد منها وقد وفق فيها الأستاذ الشاعر أيما توفيق ، توفيقاً لا يقل عن مهارته البارعة في تصوير الحالة النفسية لشفق والحـكم والناصر أجل لقد وفق وأجاد ولـكنى كنت أطمع بالإضافة إلى ذلك بأن أتمتع برؤية النهضة الثقافية بعينى ...

تلـكم هي بعض الملاحظات العابرة التي خطرت لى في أثناء مشاهدة « الناصر » للمرة الأولى في الليـــلة الأولى ... وهى لا تغض من عظمة المسرحية . إنها لعظيمة وعظيمة وعظيمة ، ولقد كان من موحيات تلك الليلة أن اقترح على الفرقة القومية بل على وزارة المعارف — رغم جهلى ما بين السينما والمسرح من فروق — أن تجتهد لتخرج المسرحيات الناجحات أمثال العباسة وقيس لبنى والناصر ... على الشاشة ، لـكى يتسنى للناس خارج القاهرة مشاهدتها ويتسنى للاجيال المقبلة أن تلذ رؤيتها ويتسنى لتاريخ المسرح العربي أن يلمس مصادره الأولية ... (ط)

مذكرات سجين :

كتب إلينا من دمشق أن قصة (مذكرات سجين) المنشورة في عدد الرسالة الأسبق ، سبق نشرها في الرواية ، مترجمة ترجمة جيدة بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى .

حول رسالة (القصص الفني في القرآن) :

تشرف وفد من علماء الأزهر بزيارة قصر عابدين ورفع إلى السدة الملـكية مذكرة علماء الأزهر التي يطلبون فيها :

(ا) تحويل الرسالة إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ليقضى فيها من ناحيته باعتباره جهة الاختصاص .

(ب) دعوة كبار العلماء لعقد اجتماع لمناقشة الأستاذ أمين الخولى باعتباره (عالماً) فيما اعترف به من تأييد الرسالة .

(حـ) وقف الأستاذ أمين الخولى ومحمد أحمد خلف الله افندى عن عملهما حتى يفصل في أمرهما .

(د) عدم تجديد عضوية الأستاذ أمين الخولى بمجلس إدارة كلية أصول الدين والمذكرة موقعة بتوقيع فضيلة الشيخ الشربيني رئيس الجبهة وعضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الشيخ الزرقاني سكرتيرها الأستاذ بكلية أصول الدين .

نعم . قال « بلنكى » هذا . . وما كان لإنسان أن يستغفل « هارفورد » أو يقول له غير الحق ! . . والواقع أن دفاع « هارفورد » الحار البليغ مصحوباً بسحر شخصيته القوية ، قد نال من ثبات القاضي ، وزعزع يقين المحلفين ، فإذ بالحكم يصدر آخر الأمر بتبرئة ساحة « بلنكى » ... ويالها من تحية عاطرة تزجى إلى قوة « هارفورد » فلولاها لأدين « بلنكى لويس » حتما وسيق إلى حبل المشنقة ... وكذلك « هارفورد » يؤمن فى قرارة نفسه أن « بلنكى » لم ينجح بفضل ذلاقة لسانه ولباقة دفاعه ، بل بفضل نظراته الساحقة الحادة التى سلطها على المحلفين وهو يتوجه إليهم بالحديث فإذا هم من سحرها متهاوون متخاذلون

ولقد راح « هارفورد » يفاخر بقوته وهيبته هذه فى النادى الذى يختلف إليه حتى ضاق الأعضاء ذرعا به ونفروا منه وجعلوا يسفهون آراءه .. فلما ألمت آخر الأمر نازلة بأحد أعضاء النادى ، إذا الوحى يهبط على « هارفورد » بالفكرة الرائعة والرأى الباهر فإن هذا العضو قد استهدف للسطو عليه وهو عائد إلى داره ليلا. وما كاد يفرغ من سرد قصته على الأعضاء ويتلقى تعازيهم على مصيبته حتى راح « هارفورد » يقهقه عالياً ويقول بلهجة التوكيد

— لو كنت مكانك لما اعتدى على اللص وسلبنى مالى ...

فقال العضو المسروق المسكين : أحقاً ؟ . وماذا كنت تفعل؟

فأجاب « هارفورد » جاداً متفلسفاً : إن اللص مخلوق جبان . . وهو يظفر من « مركب النقص » بحظ كبير . . ومن السهل تخويف مخلوق كهذا بمجرد نظرة من رجـــل يملك قوة الشخصية . . فقال العضو اليائس : — حسـناً . . ربما يعتدى عليك فى إحدى الليالى .. وسنرى حينئذ ما يكون ... وفى الحق أن « هارفورد » الذى يؤمن كل الإيمان بقوة شخصيته ، تمنى أن يقع له مثل هذا الحادث ... وأن مصاولة مع لص معتد لهى المحك الواقع والبرهان الساطع ... ولئن خرج من هذه المصاولة فائزاً مظفراً لـكان فيها أبلغ الدليل ، حتى أمام أعضاء النادى الأغبياء ، على أنه حقاً ذو نظرات حادة خارقة .

لـكن هذا اللص المنتظر لم يتفضل بالظهور وإسداء الجميل الذى ينشـده « هارفورد » .. فقد راح يختلف إلى الشوارع المظلمة دون جدوى . . وطالمـا كان يلمح فى الزوايا والمنحنيات أشباح رجال كامنين متربصين ، ولـكنهم كانوا لا يلبثون أن يختفوا إذا دنا منهم ...

هنالك ضاق « هارفورد » بهذا حتى كان يسير فى جولاته الليلية مفتوح السترة لعل سلسلته الذهبية اللامعة تغرى الطامعين وتحرك الراصدين بل راح يمسك قفازه بيده عسى أن يكون فى تألق خاتمه الماسى ما يدفع اللص المرتقب إلى الهجوم والعدوان .. لـكن عبثاً كان يرجو ويمنى النفس ، فلم يقع شىء مما أراد ... ولما جعل زملاؤه فى النادى يقولون له متهكمين : ألم تقابل اللص الموعود بعد؟ » فيزيد بذلك « هارفورد » ضيقاً حتى حمله هذا على أن يقوم برحلات خاصة إلى المناطق الخطرة المشبوهة ، بيد أن اللصوص رغم ذلك كله تجاهلوه كل التجاهل ! . .

لـكن « لـكل شىء وقته » « وكل آت قريب » . فقد كان « هارفورد » مؤمناً بهذه الحكم وأمثالها .. وقد زاد إيمانه بها حين وقع له الحادث السعيد وهو يوشك أن يستسلم للقنوط .. وبينما هو ذات ليلة فى الطريق إلى داره وقد أوشك أن يبلغها إذا شبح يبرز له من أحد الأركان ويعترض سبيله بهذه العبارة : — « ارفع يديك !! ...

تخفق قلب « هارفورد » . . رجاء وأملا ! .. ورفع يديه على الفور فإنه كان قد رسم فى ذهنه خطة العمل سلفاً ، ورأى أن الامتثال لأمر اللص برفع يديه هو مما يتمشى مع هذه الخطة. أما إظهار الشخصية فسأله لها وقتها المرسوم المقدور ! . . وكان اللص كريه المنظر ، بيده مسدس وعلى وجهه قناع . وهو بلا ريب لص حقيقى خطير من الطراز الذى يشتهيه « هارفورد » .. ولا يفل الحديد إلا الحديد ..

وقال له « هارفورد » بهدوء .. بل بكل هدوء : نعم ؟ ؟ فبدا كأن اللص بهت بهذه المقدمة . إذ ساد الصمت برهة. فقال له « هارفورد » فى لهجة واضحة المخارج : ماذا تريد يا صديقى الفاضل ؟ . .

ومن عجب أن اللص لاح عليه التردد وكأنه غرق فى ذكريات عميقة فراح يتفرس فى وجه فريسته فى هذه البقعة المظلمة التى اختارها مسرحاً لهجومه .. على أنه أجاب قائلا :

— نقودك ... وساعتك ... وكل ما معك ..

فقال المحامى المبقرى : « يبدو لى أنك تسلم مقدماً بأنى أحمل أشياء ذات قيمة ؟ . . »

فانتهره اللص قائلا : اسرع ! واقفل فمك ! . . . فقال « هارفورد » متجاهلا الأمر :

— وفضلا عن ذلك . فإن اليسر الذى تجنيه بهذه الطريقة ، لا يجلب لك غير الضرر . .

وأدنى اللص وجهه من وجه المحامى فزاد عجباً فيما يظهر ، وهم بالكلام ، ولكنه كف عن اتمام جملته . فاستطرد «هارفورد»: نخير لك يا صديقى أن تكف عن هذه المحاولة . ضع مسدسك هذا …

ذلك وما برح اللص يزيد تفرساً فى وجه المحامى وكان الضوء لا يساعده على تبين ما كان يريد أن يتبينه … والواقع أن « هارفورد » نفسه كان يريد مزيداً من الضوء … فإن نظراته الحادة الأخاذة لا تكاد تظهر قوتها فى مثل هذه الظلمة ، وإن كانت حتى الآن قد جعلت اللص يتردد …

وما لبث « هارفورد » أن أيقن أن قوته الخارقة أخذت تؤتى ثمارها . .

لقد سمع أن المنومين المغناطيسيين يأمرون « وسائطهم » بأشياء هينة فيفعلونها صاغرين . . وقد قرأ أن الإنسان إذا تفرس فى عينى الأسد محدقاً تراجع « ملك الوحوش » أمامه وذيله منكس بين قدميه . .

وما دام الأسد يفعل هذا ، فمن المحقق أن مثل هذا اللص الحقير التافه سوف يفعله. وهكذا هبط الوحى وتجلت لحظة العمل. فسلط « هارفورد » وابلا من نظراته الحادة على اللص تسليطاً ، وركزها تركيزاً ، واستجمع كل ما يملك من لهجة الأمر والنهى وصرخ فيه قائلا :

— ضع مسدسك وارجع إلى بيتك ! ! وفجأة أضاء اللص مصباحه الكهربائى فإذا ضوؤه يبين مبلغ هذه النظرات الحادة الخارقة التى تشع من عينى « هارفورد » . إذ هتف اللص فى نبرات المأخوذ المرتاع : ويلى !

لا بأس . . أنزل يديك !! . وأطفأ اللص مصباحه . واستدار فى مكانه . وولى الأدبار هارباً حتى اختفى فى غمار الظلام . .

وبعد نصف ساعة كان « هارفورد » يجلس فى النادى ممدود الساقين مشبكا ابهاميه فى صدريته وهو ينظر مزهواً مختالا إلى زملائه الأعضاء الذين استمعوا إلى قصته مرات . .

وأخيراً دفع « هارفورد » صدره إلى الأمام وأخرج من جيبه سيجاراً كبيراً أشعله ونفث دخانه راضياً قرير العين ، واختتم حديثه قائلا :

لقد صدق ظنى . . وتم كل شىء كما كنت أتوقعه . . ومتى كانت للانسان شخصية قوية فإنه يستطيع أن يلزم بالطاعة عصابة لصوص بأسرها ، ناهيكم بلص واحد . فالمسألة إذن مسألة قوة إرادة وشخصية !

ولم يكن « هارفورد » المحامى العبقرى الفذ هو وحده الذى كان يتفلسف ليسمع آذاناً لا تريد أن تستمع إليه ففى نفس هذا الوقت ، وفى مكان آخر أقل أبهة وفخامة من النادى ، كانت امرأة دميمة الوجه متجهمة السحنة تصب جام غضبها على رأس زوجها الذى لم يفلح منذ وقت وجيز فى مهمة السطو الليلة التى اضطلع بها . إذ راحت تقول له . يا للشيطان ! . أتسمى نفسك رجلا وأنت تترك هذا المنحوس يفلت منك . بعد أن وقف أمامك رافع اليدين فى الهواء ؟ فقال « بلنكى لويس » — اللص المقنع — مدافعاً عن نفسه : — لم يكن بإمكانى غير هذا . . فإنى لما سلطت عليه ضوء مصباحى وعرفت من هو ، لم أستطع أن أنسى أنه دافع عنى دفاعه البليغ أمام المحلفين وأنقذنى من الإعدام بتهمة القتل إن لهذا المحامى ما يسمونه « الشخصية » . وكان يعلم مثل غيره أنى قتلت رجل البوليس فعلا . . فليس هو بالمحامى الذى يستغفله الإنسان . . لكنه أخذ يتكلم ويدافع حتى رؤونى . فهل كان يصح بعد هذا أن أسرقه .

عطبرة — سودان

سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٥١ — الاثنين ٢٤ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أندريه جيد صاحب جائزة نوبل هذا العام : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٢٨١
فى منظار « الخفيف » ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٢٨٤
النفوذ اليهودى بين الصحف الأمريكية والصحف العربية ... ... } الأستاذ نقولا الحداد ١٢٨٧
حول جدل فى الجامعة ... ... : الأستاذ عبد الفتاح بدوى ... ١٢٨٩
بحث فى الكولرا ... ... : الدكتور فضل أبو بكر ١٢٩٢
الفن القصصى فى القرآن ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ... ١٢٩٤
سد أسوان ... ... : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١٢٩٥
« مهوراء المنظار » : فى زوايا الطريق! } الأستاذ محمود الخفيف ١٢٩٨
يا للأغنياء للفقراء ...! (قصيدة) : الأستاذ فريد عين شوكة ... ١٢٩٩
إشراقة الفجر ... ... « : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... ١٣٠٠
أغنية ... ... « : الأستاذ أنور العطار ١٣٠٠
« تعقيبات » : مكتبة الجاحظ — علم وجهل — دعوة متهمة — ١٣٠١
حافظ ... ومكبث ١٣٠٢
« الأدب والفن فى أسبوع » : الأديب بين العزوبة والزواج — ١٣٠٣
كراسى خالية فى المجمع اللغوى — زينب — الأدب والسينما — قيود العملة ونشر الثقافة ١٣٠٥
« البريد الأدبى » : القرقور فى القاموس — تعليق على كلمة — حول خبر ١٣٠٦
فى النجوم الزاهرة — من خبر الجامعة ١٣٠٧
القائد المفقود (قصة تاريخية) : الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١٣٠٨

٤١ ٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 751

Lundi — 24 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥١ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٦٧ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أندريه جيـــد
صاحب جائزة نوبل هذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

منذ أمد قصير قرأت للكاتب الفرنسي — أندريه جيد — فصلا من كتابه « قوت الأرض » يفيض بنشوة الحياة، ويشع بنور الأمل، يوجه فيه الخطاب إلى ناشئ مجهول من ناشئة المستقبل يسميه « ناثنائيل » ويصوغ كلامه في ذلك الفصل بصيغة هي أقرب إلى تسبيح المؤمن منها إلى إنشاء الأديب.

يقول لصاحبه ناثنائيل: « ما الحيوان إلا حقيبة من الفرح: كل كائن يحب أن يوجد، وكل موجود يفرح بوجوده... إنه لهو الفرح الذي يمتلئ بالجزالة فيُسمى الثمرة، ويترنم بالغناء فيسمى العصفور. والحق الحق أن الطبيعة كلها تنبئنا أن الإنسان مخلوق للسعادة، وأن النزوع إلى لذة الحس هو محيي نواة الشجرة ومالئ الخلية بالشهد، ومفعم قلب الإنسان بالحنان.. ».

ويقول: « لن تكون الحياة أجمل مما يرتضيها الإنسان، وليست الحكمة في العقل بل في الحب... آه! إنني إلى اليوم قد عشت بأكثر مما ينبغي من الحزم والروية. وعلى الإنسان أن يكون بلا شريعة لكي يفتح أذنيه للشريعة الجديدة. أين أنت أيها الخلاص! أين أنت أيتها الحرية. إنني لذاهب إلى حيث تمتد بي نوازع الرغبة. وأنت يا من أحب تعالى معي، فإنني لذاهب بعيداً، وسآخذك معي لعلك تذهب إلى أبعد... ».

***

ثم انقضت فترة بعد ذلك فسمعت أن « أندريه جيد » في القاهرة، وأنه يأوي إليها منزوياً مستخفياً ليخلو بنفسه، أو يخلو بسآمته ويأسه، في جو بعيد عن ضجيج الحياة الاجتماعية وتكاليفها الممضة، وأنه لا يلقى أحداً ولا يحب أن يلقاه أحد. ولكنني صادفته في الطريق فعرفته من صورته وقال لي صاحب المكتبة التي لقيته عندها: إنه جيد! فتجاهلت ما قال، لأنني لم أشأ أن أزعج الرجل في عزلته، ولأنني لا أحس في نفسي الشوق إلى لقاء أحد ممن أقرأ لهم فيعجبني ما قرأت. عن عقيدة مستقرة عندي: أن الكاتب أحسن ما يكون في كتبه، وأن القارئ الذي تفوته حقيقة كاتب قرأه، قلما يعرف من محضره فوق ما عرف من مضامين كلامه.

رأيت وجهاً كاسفاً حزيناً في غير نقمة، منزوياً في غير جفوة مستسلماً لما به لا يبالي ما سيصير، لأنه قد بالى كثيراً بما قد صار.

قلت في نفسي لأول وهلة: أهذا هو جيد بشير الحياة؟ أيكتب اليوم ما كتبه في قوت الأرض قبل سبع وأربعين سنة؟ وأيًّا ما كان كلامه المنظور منه اليوم، فإن الرجل لم ينقض نفسه، ولم يخل في خواتيم القرن التاسع عشر من نظر إلى ماعسى

أن يصير إليه فى أنصاف القرن العشرين .

إنه لم ينس رحمة الموت يوم أشاد بنعمة الحياة ، لأنه قال فى ذلك الكتاب إن الموت يعودنا لقاءه كلما اقتربنا منه « وإنه يفطى يديه بقفاز ناعم حين يأتى إلينا ، ولا يكظم أنفاسنا قبل أن يعودنا الكظيمة . والعالم الذى ينتزعنا منه يكون فى موعد النزع قد أضاع وضاحته ، ومأنسه ، وقد أضاع من أجل ذلك حقيقته ، وأصبح أمامنا ناصل اللون لا يبعث فراقه فينا ألماً ولا ندامة » .

لقد عملت الخمس والسبعون عملها فى بشير الحياة ، وهو الآن يعيش فى العالم الناصل ، الذى نظر إليه من بعيد ، وهو فى الثامنة والعشرين .

ولكن السن وحدها فيما نعتقد لم تفعل كل هذه الأفاعيل .

فثل أندريه جيد خليق أن يصطدم بالميئسات وهو فى ريعان الشباب ، لأنه يدين « بالعيشة الاعتباطية » أو العيشة بغير داع ولا مسوغ لعمل من الأعمال « qratuitous act » كما بشر بها فى كتب صباه ، ولأنه يدين مع ذلك بالصراحة التى لا تعرف الحدود ، ولا تطيق ثقلة الرقابة الاجتماعية فى شأن من شؤون الفكر ، أو الفن ، أو الأخلاق . فلا جرم تسلمه « العيشة الاعتباطية » والصراحة الجامحة ، إلى الغم والخيبة ، قبل نصول العالم فى عينيه من ألوانه الزاهيات .

أى صراحة هذه التى رزقها هذا الرجل الوديع العجيب ؟ إنها صراحة لا تحجم من السخط والحرمان ، ولا تحجم مما هو أرهب للنفس من كل سخط وحرمان ، وهما الخزى والسخرية .

وأعجب ما فيها أنها صراحة لا تنشد غرضاً من الأغراض ، ولا تتجه إلى هدف من الأهداف ، غير التبرم بالكتمان ، والأنفة من تسليمه لسلطان لا يؤمن به ولا يرى ما يراه .

ذهب إلى مستعمرة « الكونغو » ، وعاد منها فى سنة ١٩٢٨ فكانت حملته على الاستعمار الأوربى ، وفى مقدمته الاستعمار الفرنسى — أشد مما يكتبه زنوج « الكونغو » لو دافعوا عن أنفسهم فى وجوه سادتهم البيض .

وقد كان يحسب أن السادة البيض رسل حضارة إنسانية إلى القارة السوداء . فخاب حسبانه وعاد وهو يائس من هذه الرسالة المزعومة ، ومن حاجة العالم الإنسانى إليها ، وشنها غارة شعواء لم تصمد لها الدول المستعمرة ، ولم يسعها أن تدفعها بالتكذيب والمداورة ، وأسفرت آخر الأمر عن « لجنة التحقيق » المشهورة التى أوشكت أن تؤيد كل ما قال .

وقيل يومئذ أن « جيد » قد انقلب إلى أحزاب الشمال ، وقد انقلب فعلا إلى أحزاب الشمال ، وكفر بمذاهب المجتمع القائم جميعاً وهو يظن أن الأمل كله منعقد بنجاح الاشتراكية ، بل الشيوعية ، كما يبشر بها الماركسيون .

ولكن الشيوعية تأسست بعد ذلك فى البلاد الروسية ، ودعى «جيد» مع من دعتهم حكومة السوفييت إلى شهود آثارها فى تلك البلاد ، وعدتهم لا تقل عن مائة وخمسين من الأنصار والمعجبين . فخاب أمله ، وتهدم يقينه ، ولم يكتم ما خامره من الأسف والحسرة على ذلك الأمل الخائب واليقين المهدوم ، وكتب رسالته الأولى عن هذه الرحلة ثم قفاها برسالة أخرى ، يرد بها على ناقديه وثالبيه ، ويؤيد ما قال فى هذه المرة بالرقم والدليل .

على أن هذه الصراحة الجريئة كلها لا تبلغ من العجب مبلغ صراحته فى المسألة الجنسية كما يعرض لها فى بعض تمثيلياته وبعض أقاصيصه واعترافاته .

فهو يعلن فى غير مواربة أن « الشذوذ الجنسى » طبيعة فى بعض الناس كطبيعة الذكورة والأنوثة ، وأن الحكم عليه حكم على بنية خاصة ومزاج خاص ، ولا يصح أن نجعله حكما على رذيلة أو معابة من معائب الأخلاق .

وتصدى له « هنرى ماسى » من الحزب الكاثوليكى الوطنى ، فاغتنم هذه الفرصة لمهاجمة علم من أعلام البروتستانت الفرنسيين ، — لأن «جيد» من أسرة بروتستانتية عريقة — وأنحى عليه بالتشهير والتجريس ، ورماه بالحطة وإفساد الآداب . فكان جواب «جيد» عليه كتاب كوريدون Corydon الذى يقول فيه ما لم يقله من قبل ، فى شرح « الشذوذ الجنسى » ونفى أضراره من وجهة الصحة ووجهة الأخلاق ، ووجهة المصالح الاجتماعية ، فبلغ فى صراحته هذه — كما أسلفنا — مبلغاً لا تقرن به صراحته فى الهجوم على المذاهب أو الهجوم على الحكومات .

وليست صراحة الرجل فى الرأى مسألة فكر وحسب ، أو

مسألة كلام وكفى . لأن هذه الحرية تكلفه كثيراً من المال ، وتجشمه كثيراً من العناء ، وهو غنى بما ورثه من أمه وبعض أقربائه ، فلايبخل بمال ينفقه على اللاجئين إلى باريس من المضطهدين فى بلادهم ، سواء كانوا من الألمان أو النمسويين أو الأسبان أو البلجيك ، ويعينهم بكل ما استطاع من المعونة فوق معونة المال .

***

أما قيمة « جيد » الأدبية ، فهى فى بعض نواحيها مما تتفق عليه آراء النقاد ، على صعوبة الاتفاق فى هذه الآراء .

فناقدوه والمعجبون به متفقون على جمال أسلوبه ، يقول بعض ناقديه قبل المعجبين به : أن مجرد المطالعة فى جمل من عباراته ورسائله متعة فنية ، تكفى وحدها للمودة إليه .

وليست لجيد براعة كبراعة « أناتول فرانس » فى لباقة التعبير وسهولة الفكاهة . ولكنه يوازنه بما هو أفضل منه فيه ، وهو جد الرأى وحماسة الروح .

وليست له قدرة پروست فى الوصف والتحليل ، ولكنه يعوّض هذا الضعف بقدرته فى الحوار والحركة ، فيصل بك من طريقهما إلى المقصد الذى يتوخاه الكاتب بالوصف والتحليل .

وقد علق بالرمزية واللهجة الغنائية Lyric فى أوائل حياته ، ثم جنح إلى البساطة والوضوح فاتخذ له أسلوباً يلائمه ، وينتقل بفحواه إلى اللغة التى يترجم إليها ، وتقرأه مترجماً فلا تفوتك معالمه الشخصية من وراء الألفاظ والعبارات .

وقد ورث سليقة المعرفة من بيئته التى نشأ فيها ، لأن أباه جان بول جيد هو علامة الاقتصاد المشهور ، وعمه شارل كان أستاذاً من أساتذة « كوليج دى فرانس » المتازين ، وأسرته كلها من بيئة المثقفين والمطلعين ، ولكنه مع هذا يحسب من ذوى السلائق والأذواق ، ولا يحسب من ذوى الأذهان والأفكار ، ونفوره من المدرسة الذهنية Inellctualism عرض من أعراض هذا الاستعداد .

ولا تقل ملكة النقد عند هذا الأديب عن ملكة الإنشاء والابتكار . فإن آراءه فى دستيفسكى الروسى ، وفى وتيان الأمريكى ، وفى مونتانى الفرنسى ، وفى الآداب الإنجليزية والألمانية على العموم ، هى مثل فى النقد الصائب والإنصاف المنزه عن النكاية ، والتصرف فى الجمع بين نماذج الفن فى شتى الأمم ، وشتى اللغات ، وشتى العصور .

وقد مارس الكتابة مستتراً ، ومارسها مصرحاً باسمه ، ولكنه ظل عازفاً عن المظاهر والألقاب من شبابه إلى هرمه ، وعرضت عليه العضوية فى « الأكاديمية الفرنسية » فلم يخف إلى قبولها ، وهى أشرف مايتطلع إليه الكاتب الفرنسى من وراء الصيت والتقدير

وها هى لجنة « نوبل » تخصه هذا العام بجائزتها الأدبية وهو يجاوز الثامنة والسبعين ، فلاتقع الغرابة فى هذا الاختيار إلامن ناحية واحدة : وهى ناحية الإغضاء عن رأيه فى المسائل الجنسية ، ولعلها قدرت صراحته فى الارتداد على مذاهب الهدم ، وقدرت عطفه على الضعفاء والمخذولين ، وقدرت ملكاته الفنية ، وأقامت الميزان بين دواعى التنويه ودواعى الإهمال ، فرجحت كفة الحسنات عندها على كفة السيئات .

عباس محمود العقاد

فى منظار «الخفيف»

للأستاذ على الطنطاوى

لم يعلم أحد لِمَ لَمْ يكتب الصديق النبيل الأستاذ محمود الخفيف فى العدد الماضى من « الرسالة » ، ولم يعلم هو من الأمر إلا أنه فقد منظاره فجأة ، ثم وجده كما فقده فجأة ، لم يدر أين ذهب ولا كيف أتى ، ولم يعرف سرّ المسألة إلا أنا ، لأنى سرقت « المنظار » من جيبه لما زارنى فى « الرسالة » فى الأسبوع الماضى ، ورددته إلى جيبه لما مرّ بى أمس ، وقد كان عرض علىّ أن يعيرنيه لما رأى رغبتى فيه ، ولكنى خشيت (وسوء الظن عصمة) أن يفسده أو يصنع به شيئاً يمنعنى من الاستمتاع به ، كيلا أعود إلى طلبه منه ، فآثرت أن آخذه على حين غفلة منه لأستعمله صحيحاً غير فاسد ، ثم إن السرقة أخت الاغتصاب ؛ وقد نصّ (الشاعر) على أن :

من أطاق التماس شىء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

والشعراء أئمة الأدب ، ولا يستطيع « مقلد » مثلى مخالفة نصوص « الأئمة » ... لذلك سرقت « المنظار » ، ولكنى لم أرَ به مثل تلك الصور الفنّية الكاملة التى كان يراها الأستاذ محمود ، وإنما رأيت ... اسمعوا ما ذا رأيت :

***

وضعت « المنظار » على عينى ، وخرجتُ به من الدار ، وكنت على موعد مع الأستاذ نهاد القاسم[1] لنزور جامع محمد على ، وسرت أنظر إلى بعيد ، فلم أخط خطوات حتى أحسست رجّة فى جسدى ، وألم فى ركبتى وقدمى ، وإذا أنا قد سقطت فى حفرة لم أنتبه لها .

وأقبل المارة يخرجوننى ويسألوننى كيف وقعت ؟ !

قلت : كما وقع الفلكى الذى كان ينظر فى النجوم ومسالكها ، ويدقّق فى حركاتها وسكناتها ، ويعمى عما تحت قدميه ، وكما (يسقط) الكاتب الذى يتكلم فى الفلسفات العليا ، ويغفل عن أدواء أمته وأمراضها ، والشاعر الذى يحلّق فى سماوات الخيال ، ويدع أمته تتمرغ فى حضيض الشقاء ...

وتركتهم يعجبون من هذا الكلام الذى حسبوه كلام مجنون ... وسرت حذراً ... أنظر حولى كيلا ألدغ مرتين من جحر واحد ، فأكون شراً من الحمار ، لأن الحمار إن سقط فى حفرة مرة ، يجتنبها فلا يسقط فيها أخرى ، والإنسان (الذى يؤمن به أخونا الأستاذ خلاف) يسقط فى الحفرة الواحدة خمسين مرة ، ثم لا يجتنبها ولا يبتعد عنها ...

ونظرت فى « المنظار » فلم أر فى وجهى ... إلا سوءات مكشوفة و « أوساخاً » ظاهرة ، وبلايا من هذه البلايا ... فكدت من غضبى أكسر هذا « المنظار » المسحور الذى ينظر فيه الأستاذ محمود فيرى « زهرتى » الوزارة ، ويبصر غادة « الحمار الآخر » ؛ وأنظر أنا فلا أرى إلا الأوساخ والسوءات ، ورفعته عن عينى ، وأنعمت النظر... فإذا الذى أراه حقيقة كنت أمر بها فلا أنتبه لها ، لتعودى عليها ، وتنبهت لها الآن لما ركبت على عينى « المنظار » ، وهى أن الطريق الذى أسلكه كل يوم من دارى إلى جسر الملك الصالح وأحسبه نزهاً جميلا ، قد فاض بالأقذار من الجانبين ، فمن هنا هؤلاء الناس من الرجال : الشيب والشبان ، والأولاد : البنات والصبيان ، والنساء أحياناً ... (حتى النساء !) يدعون جميعاً بيوت الطهارة وهى أمامهم : فيها الماء ، وعليها الحارس ، وفيها الستر والنظافة ، و « يقضون حاجاتهم » على طول « الشطّ » أمام الناس ، ومن هناك البنات المصريات فى آخر الشارع ، والأولاد المصريون فى أوله ، يدعون جميعاً المدارس المصرية الطاهرة النظيفة ، ويقصدون هاتين المدرستين الإنكليزتين ، يفتحون أدمغتهم للانكليز وصنائعهم من أصحاب الأغراض والحاجات ، ليحققوا فيها أغراضهم ، و « يقضوا حاجاتهم » ويجعلوها عشاً لكل وباء وكل مرض ، يضعف الوطنية ، ويؤذى الدين . وإذا طهر الشط من أقذاره الكناس ، ورشاش (الدالين)[1] ، فلن يطهر البلد من أقذارهذه المدارس ، إلا أن تكنسها الحكومة من أرض مصر ، وتلقيها وأهلها فى البحر ...

وركبت الترام وأنا مغيظ مما رأيت محنق ، فرأيت و« المنظار » على عينى ، ما سلاّنى وسرّى عنى ، رأيت أمامى وجهاً حلواً ، دقيق القسمات ، نظيفاً لم تنزل ساحته الأصباغ ، ولامسته يد

(١) المستشار الاستئنافى فى دمشق وزميلى فى البعثة القضائية فى مصر .

(١) أى الـ (دال — دال) : (D.D.T) .

التجميل ، ولكن جمّله ربه ، وصبغه بصبغته ... ومن أحسن من الله صبغة ؟ فيه عينان زرقاوان ، وفم متجمع مستدير ناضج الشفتين ، فوقه شعر أشقر ، لا هو بالطويل المسترسل ، ولا هو بالقصير المحلوق ، وسوالف ليست مقطوطة كسوالف الرجال ، ولا مطلقة كسوالف النساء ، على جسم قد غطته سراويل سابغة ، ورداء له أكمام طويلة ، تبرز منها يد بضّة ملفوفة ، ما تعرف أهي يد بنت مدللة ، أم يد غلام مترف ، والعمر في نحو الخامسة عشرة ، فجعلت أتساءل حائراً : هل هذا شاب أم فتاة ؟ وحاولت أن أجد علامة دالّة ، أو أمارة ظاهرة ، فعدمتُ العلامات ، وخفيت عني الأمارات ، وطالت حيرتي حتى لقد هممت أن أمدّ يدي فأتلمّس... ومنعني أن أفعل أني استحييت وخفت العواقب ، وأن الشاب قام ، أو أن الفتاة قامت ، فنزل ، أو نزلت ، وكل راكب في الترام يتساءل مثل تساؤلي ، ويحار مثل حيرتي !

وركب مكانها (أومكانه) ، امرأة فرنجية كأنها من لطافتها... (سيد قشطة) تجر وراءها ثلاثة : ولدين كالخنزيرين السمينين ، لا يعرف طولهما من عرضهما إلا بالقياس ، وعجيزة مثل كيس التبن ... وصلت هي إلى المقعد ، ولا تزال العجيزة تصعد السلّم ، ثم جلست بين الرجلين على طرف المقعد ، وهي تلهث كأنها قاطرة حلوان ... ثم اندفعت في المقعد فضغطت الرجلين ، فأدخلت واحداً في الزاوية من هنا ، وواحداً من هناك ، وأقعدت الخنزيرين (أي الولدين) على الركبتين ، وتنفست الصعداء بعد هذا الجهد ، فكانت نفخة مفاجئة أطارت جريدة كانت في يد الراكب أمامها ...

وأقبل الجابي (الكمسارى) وهو رجل أسمر طويل ، عبوس الوجه ، متين البناء ، له شاربان كساريتي مركب ، فقال لها :

— فلوس !

فمدت إليه يدها بثمانية مليمات ، كأنها تمدها إلى سائل، فقال لها :

— هنا بريمو ، خمسة عشر مليما .

فرفعت إليه هذه الكرة المفلطحة التي تسمى في جغرافية جسمها (رأساً) ، ولوت شدقها ، وصعّرت خدها ، ومدت شفتها ، حتى صار وجهها مثل القرعة اليابسة ، وقالت :

— أنا ما بياطي ، أنا مش آهِد كويس .

— خمسة عشر مليما يا مدام .

فغضبت ، وصاحت :

— انتى مسريينْ ما بسير لتيف أبداً ، يتّمْ متوهش !

فأسرعت أنزع « المنظار » لألمن أباها ، ومن جاء بها إلى مصر ، ولكني وجدت (الكمسارى) قد سبقني إلى هذه المكرمة ، ورأيته قد انقلبت عيناه في أمّ رأسه ، واصفر وجهه حتى صار كقشرة الليمونة ، وارتجفت شواربه ، ولكنه تماسك وتثبت ، وصفّر فوقف[1] الترامَ ، وقال لها :

— لو كنت رجلا لرأيت ، ولكنك امرأة ، ونحن لا نمد أيدينا إلى النساء ، فقومى انزلى ...

وأ كبرت فعله ، وقت أهنئه وأصافحه ، ولولا خشونة خدّه ، وأنها لا تطيب قبلته ، لوثبت عليه فقبلته ، وتمنيت أن يكون كل مصريّ مثله ، وحمدت المنظار ما أرانيه ، ولكن الفرصة لم تطل ، فقد فتح الباب ودخل منه سائل[2] كأنه في جسمه وفي عينيه بشار ابن برد ، عليه ثياب لو أن للقذارة (جائزة) عالية ، لنال بها الجائزة ، يغنى بصوت تخاله — والعياذ بالله — صوت ثلاثة حمير تنهق معاً ، على نغمة (الجازبند) نهيقاً مقلوباً ، كأنه صراخ الجن في الأودية المسحورة ، أو نواح المردة في قعر الجحيم ، أو كأنه الموسيقى الفرنجية ... بشعر لا تفهم له وزناً ولا قافية ولا معنى ولا تجد فيه طرباً ولا متعة ولا لذة ، فكأنه شعر بشرفارس ...

فلما اقترب مني لم أجد أحسن من الفرار ، فنزلت من الترام عند الشارع الذى كان اسمه أيام الاحتلال « شارع مستشفى اللادى كرومر » ، وكنت أنا المصرى الأصل ، الدمشقى المولد والبلد ، أتألم وأقول ما ذا يكون لهذه التسمية من ألم في نفوس المصريين أصلا ومولداً وبلداً ، وهى تذكرهم بأعدى عدو لهم ، وتمنّ عليهم بمستشفى أنشأته زوجته ببعض ما سرقت من مال مصر ، مع ما أصيبت به مصر على يد زوجها وقومه ، من ذهاب الأنفس والأموال ، ومن ضياع الحرية وهى أعز على الأبىّ من النفس والمال ، وأوثر أن نموت في العراء (إن لم يكن إلا هذا المستشفى) ، على أن نشفى فيه ، لأن شفاء أجسامنا فيه ، يمرض وطنيتنا ، بمحبة هذه (اللادى) وذكرها بالخير ، وعرفان الجميل

(١) وقفه ولا يقال أوقفه .

(٢) ولا يخلو الترام لحظة من سائل

لها . فلما تنبهت مصر ، وذهبت تخطب أهل الأرض من فوق منبر مجلس الأمن ، تعرفهم ظلم الإنكليز إياها ، وعدوانهم عليها ، رفع الشباب هذه اللوحة ووضعوا مكانها لوحة سمّوه فيها « شارع دنشواى » ، وأشهد لقد كانت تسمية عبقرية ، وكان رداً بارعاً ، وكان جواباً لا يصدر إلا عن إلهام ...

ووجهت « المنظار » إلى هذه اللوحة الجديدة ، أمتع بها روحى ، وأنعش نفسى ، فلم أجدها ، ووجدت اللوحة القديمة قد جددت ، فمسحت « المنظار » ونظرت فلم أر غيرها ، فرفعته عن عينى ونظرت ، فإذا أنا أجد اللوحة القديمة قد جددت حقاً ...

لماذا ؟ هل عادت أيام الاحتلال ؟ !

ورفعت « المنظار » عن عينى لئلا أسقط فى حفرة ، أو أصدم أحداً ، حتى دخلنا المسجد ، فقلت : أضعه لحظة ، علّى أرى فى المسجد ما يسر ويفرح بعد تلك المحزنات ، وكانت الصلاة قد اقتربت ، والمسجد لبعده ، ولازدحام المساجد من حوله ، كأنه خالٍ فما فيه إلا أربعة صفوف ، ونظرت فرأيت ثلاث فتيات سوافر كسائر نساء مصر ، شعرهن يموج على أكتافهن ، وأذرعهن بارزات كلها من الكم اليابانى (الجابونيز) الذى يبدى ما تحت الإبط لكل ذى عينين ، والسيقان مكشوفات لا جوارب تصمد لسترها ، ولا ثوب ينزل لتغطيتها ، ومعهن أمهن ترتدى هذه الملاءة ذات البرقع الذى لا يستر من الوجه إلا مداخل النفَس من الأنف فقط ، ويظهر الباقى كله ... وأسرعت الأم وبناتها إلى حوض الماء يتوضأن ، ويمددن أرجلهن لغسلها ، فلا يبقى مستوراً إلا ... الذى لم يكشف ... ثم يقفن هكذا للصلاة ... وفى المسجد مشايخ ، رأوهن فلم يكلمهن أحد منهم ، والخطيب رآهن فلم يعرض لهن ، فنزعت « المنظار » وأغمضت عينىّ ، وحاولت أن أنساهن وأتوجه إلى الصلاة ، فلم أستطع ، لأن صورتهن لا تزال (أقول الحق) أمام عينى . فإذا كن يلحقننا حتى إلى المسجد ، فكيف نفرّ يا قوم منهن ؟ وكيف يصنع الشاب العزب ليتقى إغراءهنّ ؟

ألم يخطر على بال أحد من العلماء ، والآباء ، هذا السؤال ؟ !

ورجعنا و « المنظار » على عينى ، ولكنه أخذ يكذب ويشوّه الحقائق ، فيرينى خياماً من القماش فى أول شارع الخديوى اسماعيل ، وعليها لوحة تقول : إن هذه الخيام (إدارة تنظيم عمارة المدن) ...

فأقول : ينظمون عمارة المدن ، ولا يستطيعون عمارة حجرتين من اللبن والخشب ؟ هذا لا يمكن ... وأهم بطرح المنظار ، ثم أذكر أن هذا ممكن جداً فى الشرق !

أليس يأمر الناس بالتقوى من ليس تقياً ، ويدرّس البلاغة من ليس بليغاً ، ويقود الأمة من يحتاج إلى من يقوده ، ويعطى الأشياء فاقدها ، ويولى الأمور غير أهلها ؟ !

وتابع « المنظار » الكذب ، حتى إذا وصل إلى دار المفوضية السورية ، وهى أفخم من أختيها : الأمريكية والروسية ! ! زاغ « المنظار » عن كل ما فى الدار ، واستقر على « عقد الإيجار » ، فأرانى فيه رقم (٣٠٠) جنيه فى الشهر ، ثم ذهب بى إلى دمشق ، فبصّرنى بآلاف التلاميذ يزدحمون كل سنة على أبواب المدارس ، ثم يرتدون عنها لأنها لا تتسع لهم ، وليس عند الوزارة ما تستأجر به دوراً جديدة ، لأن أجرة الدار (٣٠٠) جنيه فى السنة ! ثم دار بى على المفوضيات السورية فى آفاق الأرض ليرينى ...

ولكنى أغمضت عينى فلم أنظر ، لأن هذا كذب ظاهر ، ونحن أعقل من أن نؤثر الظاهر على الجواهر ، والتزاويق على الحقائق ، والخارجية على المعارف ، وثوب العرس على العروس ! ونحن أعقل من أن نشترى (كرافتة) بخمسة جنيهات ، ونمشى بلا سراويل !

وسرت ... فإذا « المنظار » يرينى « كذبة » أشنع وأبشع : إعلانات ، فى كل مكان ، وكل شارع ، أن الإخوان المسلمين سيمثلون رواية الهجرة ، على مسرح الأزبكية ...

كذبة قطعاً ، وإلا فهل استحالت دعوة الإخوان ، وهجرة الرسول ، إلى مسرح وتياترو ؟ ومن يمثلون ؟ النبى والصديق وعلى ؟ أهذه آخرتها ؟

جمعية الشبان المسلمين ، مثّلت مع زوزو نبيل ، وسمّتها ممثلة المسرح الإسلامى ! وجماعة الإخوان تنزل الصحابة إلى تياترو الأزبكية ... فهل تنشر مجلة الأزهر صورة امرأة عارية لتكمل الرواية ؟ وهل يوضع فى جامع الكيخيا أوركسترا أفرنجية ، وفى مسجد الحسين تخت شرقى ؟ !

***

لا ... خذ « منظارك » يا أستاذ محمود ... حسبى ما رأيت !

(القاهرة) علي الطنطاوي

النفـــوذ اليهودى

بين الصحف الأميركية والصحف العربية

للأســـتاذ نقولا الحداد

صوت صارخ فينا وفى سائر البلاد العربية أن اليهود محتكرو الصحف الأميركية للدعاية الصهيونية . وليس للهيئات العربيــة ســبيل للرد على إفك اليهود وتشنيعهم بالعرب والدعاية لصهينة فلسطين . لأن الصهيونيين يسيطرون على الجرائد الأميركية فلا يسمحون لجريدة أن تنشر كلمة حسنة عن العرب ولو بثمن غال

لا تعتبوا يا قوم على الصحف الأميركية فى حين أن بعض صحفنا المصرية ليست أقل خضوعاً لنفوذ اليهود من صحف أميركا ومن يتحقق هــــذه التهمة يجد أنها حقيقة ناصعة . ومن جملة الحوادث التى تؤيد هذه الحقيقة ما يأتى :

تقدم فى حين من الأحيان إلى رئيس تحرير جريدة كبيرة مندوب من قبل هيئة عربية كبرى محترمة بكلمة موجزة ذات شأن عظيم لمصلحة العرب فى المسألة الفلسطينية . فوعد الرئيس بنشرها . ولـكن مضت بضعة أيام ولم تنشر . فعاتب المندوب رئيس تحرير الجريدة على عـدم نشرها . فأجابه أن القيم على إعلانات الجريدة أبى أن تنشر لأن نشرها ليس من مصلحة الجريدة بل هو ضار بها . واعتذر الرئيس بأنه إذا نشر خبرا ضاراً بالجريدة، فالجريدة تضعف ولا تعود تسـتطيع أن تخدم الأمة والعرب عجباً ! لا تستطيع أن تخدم الأمة إذا كان نشر خبر يضرها . وإذا كان الخبر ضرورياً لحياة الأمة وهى لا تنشره فإذاً متى وكيف تخدم الأمة ؟

وما لبث المندوب أن عرف أن ذلك القيّم على الإعلانات يهودى وحجته أنه إذا نشر الخبر انقطع اليهود عن الإعلان فى الجريدة . فتأمل . !

حكاية ثانية : منذ نحو سنتين أو أكثر أرسلت إلى إحدى مجلاتنا الـكبرى مقالا بعنوان « لمن فلسطين ؟ » وأثبتُّ فيه بالأسناد التاريخية وغيرها أن اليهود الأجانب الذين يدّعون الآن ملـكية فلسطين ليسوا من نسـل إسرائيل . بل هم أوروبيون تهودوا منذ تشتت الإسرائيليون فى آسيا وأوربا فأغروا بعض الوثنيين باليهودية فتهودوا . فهم ليسوا ساميين كما كان هتلر يزعم . بل هم آريون أكثر من هتلر . ولذلك ليس لهم صلح البتة فى فلسطين . بل إن فلسطين لأهلها المقيمين فيها من قبل موسى إلى اليوم . وقد غيروا ديانتهم من يهود إلى مسيحيين ثم إلى مسلمين حسب تقلبات الحوادث التاريخية والسياسية الخ . هذا كان فحوى المقالة .

ومضت أشهر ولم أر المقالة فى المجلة فذهبت إلى إدارة المجلة عاتباً . ولـكن سكرتير التحرير قابلنى بأنه لا يدرى سبب عدم نشرها . وصاحب المجلة كان متغيباً فلم أتصل به فقلت : هاتها . فتبرم وقال لا أدرى إن كنت أجدها .

فبحثنا بين أوراق التحرير . ومن حسن الحظ وجدناها ثم أرسلتها إلى مجلة أخرى رائجة . ومضت الشهور ولم تنشر فـكتبت إلى إدارة التحرير مطالباً بها . ولم أحصل على جواب ففهمت أنها ذهبت فى سـلة المهملات . ثم علمت أنها لا تنشر لأنها ضد مصلحة اليهود الذين ينشرون إعلانات فى المجلة .

ومنذ عهد غير بعيد كتب أديب لإحدى الجرائد اليومية بضـمة عشر سطراً يطلب من اليهود الذين فى مصر أن يعلنوا شجبهم للصهيونية وبراءتهم منها قولا وعملا وأن هذا الشجب من مصلحتهم ماداموا مواطنين لأكثرية ساخطة على الصهيونية فلم تنشر الجريدة هذه النبذة . ولما عاتب ذلك الـكاتب رئيس تحريرها قال إن هذه النبذة صمبة ملغومة يعنى أنها شـبه تهديد لليهود . وهو لا يريد أن يستاء اليهود من جريدته لئلا يحرموها إعلاناتهم . فترى أن الجرائد تحت رحمة يهود البلاد بسبب إعلاناتهم

هذا قليل جداً من كثير جداً من الأخبار المشينة المؤلـمة عن سـيطرة اليهود فى مصر على بعض الجرائد الرائجـة والمجلات المنتشرة .

فلماذا نلوم الصحف الأميركية إذا أذعنت لليهود بعدم نشر شىء من مصلحة العرب ولا سيما لأن قضية العرب ليست قضية

الأميركان ولاتهم الشعب الأميركى . ولماذا لا نلوم الصحف العربية التى تراعى خاطر اليهود فى قضية العرب والقضية قضيتهم فبالله أهكذا تخدم الصحف العربية شعبها وعروبة قرائها ؟ تخدم مصالح اليهود ، واليهود يتذرعون بكل وسيلة لامتصاص مالية البلاد العربية والسيطرة على سياستها إلى غير ذلك مما هو معلوم

لا نجهل أن الصحف فى كل العالم تعيش على الإعلانات . وإيراد الإعلانات يعيش على رواج الجرائد ، ورواج الجرائد يعيش على إقبال القراء عليها ، وهذا الإقبال هو ثمرة جهاد المحررين وإدارة أصحاب الصحف وجهاد عمالها ، ومتى تزايد عدد القراء أو النسخ التى تطبع ارتفعت أجور الإعلانات ، وهذه الإيرادات الأخيرة من الإعلانات تستغلها شركة الإعلانات اليهودية التى تتوسط بين الملنين والجرائد

لا نجهل هذا ، ولكن لا نفهم لماذا تكون الوساطة بين الملنين والجرائد فى يد شركة يهودية تتحكم بالجرائد وأصحابها وأقلامها وعمالها وقرائها أيضاً فلا تسمح بنشر شىء ضد مصلحة الصهيونية أو ليس من مصلحة اليهود . وأصبحت الصحف والأقلام العربية مسخرة لليهود . هذه عبودية لا تطاق ، واستخذاء عربى لليهود لا يكاد يصدق .

ولا ندرى لماذا لا تكون الشركة الوسيطة بين الملنين والصحف وطنية بحتة وتكون مكاسبها لمساهمين وطنيين ويكون الكتاب أحراراً فيما يكتبون لمصلحة بلادهم وإخوانهم العرب .

ترى هل فطن الصحفيون لهذا الضرر العظيم من جراء استلام اليهود لزمام الصحافة فى البلاد يسيرونها على هواهم ؟ أم أنهم فطنوا ولا يبالون ؟ ألا يبالون أن يكون مصير القضية العربية وجميع القضايا المخالفة لمصالح اليهود الصهيونيين الخيبة ؟

أم أنهم لا يبالون بالمصاب إلا إن وقع ، ولا يبادرن إلى تدارك الخطر ، ألا متى أبرق الخطر وأرعد ، وحينذاك لات حين تداركه .

من المدهشات أن يتولى أمر الدعايات بالإعلانات والمقالات والأخبار فى الصحافة العربية لأجل القضية الفلسطينية يهود هم أعداء العروبة الألداء .

أما وجد بين العرب أناس لهم ذكاء اليهود وماليته كمالية اليهود وحيلة كحيلة اليهود لكى يحلوا محل اليهود فى هذه السيطرة على أقلام كتابنا وصحافتنا وإدارة الدعاية عندنا .

لماذا لا ينبرى أناس ممن يفهمون فن الدعاية ويؤلفون شركة كبرى لتتولى هذا العمل المنتج أى الوساطة بين الملنين والجرائد ، ثم تنازع الشركة اليهودية هذا العمل ؟ وحينئذ على جميع جرائدنا أن تتحول من الشركة اليهودية إلى الشركة الوطنية المصرية الخالصة .

لابد أن يتسرع بعض القراء إلى الاعتراض على هذا المشروع الوطنى بأنه إذا برز إلى حيز الفعل انقطع اليهود عن الاعلان فى الجرائد بواسطة هذه الشركة الوطنية . فلينقطعوا إذا كانت الجرائد لاتقبل وساطة الشركة اليهودية بتاتاً ولا تقبل إلا وساطة الشركة الوطنية . لا يستطيعون أن يقاطعوا الصحف لئلا تستأثر المتاجر والمصالح الوطنية بالدعاية وحدها فتروج هذه وتكسب تلك ، لا يستغنون عن الدعاية والإعلانات ، وليس لهم إلا الصحف الوطنية ووساطة الشركة الوطنية .

المشروع لا يحتاج إلا القليل من الوطنية :

١ — يتصدى له متمولون قليلون ، قد يتراءى لهم فى أول الأمر محتاجاً إلى شىء من التضحية ، ولكنه متى استتب رأوا أنه نتج بلا تضحية .

٢ — على جميع الجرائد أن تتحول إلى وساطة الشركة الوطنية للحصول على الاعلانات . والشركة تخدمهم كما تخدمهم تلك

٣ — على التجار الوطنيين وأصحاب الأعمال أن يقبلوا على هذه الشركة فى الدعاية لهم بالاعلانات وغيرها .

فأين الوطنية وأين الوطنيون ، ينقذون الدعاية العربية من براثن الصهيونية ؟ لماذا لا تسعى نقابة الصحفيين هذا السعى

إن الصهيونيين عازمون على استعباد الشرق العربى كله ولسوف ينجحون إذا لم نهض لمناهضتهم فى الحال .

نقولا الحداد

حول جـــدل فى الجامعة

للأســـتاذ عبد الفتاح بدوى

— ٣ —

يقول الأستاذ محمد خلف الله فى صفحة ١٢٩٨ من مجلة الرسالة أن نقاشنا إياه ينقسم قسمين مسائل وشتائم وأنه يعرض عن قسم الشتائم ويناقش المسائل .

وليس فى مقالينا اللذين ناقشناه فيهما شتائم فإننا نعيذ قلمنا أن يكون شتاماً فإن الشتائم عيب الشاتم لا عيب المشتوم ولكنه العلم يا أستاذ وهو الجدل العلمى الناصح والعلم لا يعرف الملق ولا التأنق ولا الفرك فى الذروة والغارب إنما العلم هو الألفاظ على دلالاتها : حق وباطل ، وجاهل وعالم ، وصادق و كذاب ، وأمين وخائن وهو سوق الحجة وإقامة الدليل ؛ ولو أننا فى غير مقام علمى لأسبغت عليك من لين الحديث ونعومة الأسلوب ما فى الحرير من طراوة وما فى النسيم من لطف رقيق ؛ الست ترى أننى حين أتكلم عن شخصك أقول الأستاذ خلف الله وما أنت بأستاذ ؟ فأما إذا وصلنا إلى تحديد الأوصاف فى مقام الجدل العلمى فاعذرنى فالتبعة على نصاحة العلم وعدم قبوله الملق والدهان .

١ — وقال : المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقلنا له أن كل كلام لابد له من دلالات ثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية ولا يملك أحد فى الدنيا أن يجرد كلاماً من هذه الثلاث الدلالات أو من بعضها ما دام يملك مسكة من العقل ؛ فجاءنا فى العدد الذى ذكرنا يقول بنصه « ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية » .

وأنا وأهل العلم جميعاً لا يعرفون متنا اسمه علم البيان « أليست هذه جرأة منى يا أستاذ خلف ؟ » ذلك لأنه لا يوجد متن هكذا وإلا فأين هذا المراء يا أستاذ ؟

ولا أراك تتخبط كثيراً بل أصحح لك المقام ؛ إنها عبارة مستفيضة فى كتب البلاغة « وأظنك لم تدرسها كما تدل عليه عبارتك » تجدها فى تلخيص المفتاح وفى المفتاح وفى الإيضاح وفى ، وفى ؛ بنصها أو قريب منه ؛ وكأن شيطاناً من الشياطين حولك خطف لك هذه الخطفة من علم البلاغة وهو لا يعيها فألقاها إليك وأنت لا تعيها ؛ وأودعتها مقالك وأنت كذلك لا تعيها ؛ وظننت أنك أتيت بشىء وما هو بشىء .

وإذا كانت هذه عبارة من عبارات البلاغة فما لها ولما كنا وما زلنا فيه من مقام الاستنتاج ؟ ومقام الاستنتاج هو مقام الفهم والتفاهم أى تحميل الكلام دلالاته التى لا يكابر فيها إلا غير عاقل أى فى الدلالات المنطقية كما قلت لك فى مقالى الذى ناقشتك فيه فقلت لك ما نصه « أليس القرآن كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام ؟ » هذا مقام الاستنتاج الذى كنا وما زلنا نتكلم فيه ، وما له ولعبارة البلاغة تدسها فى غير موضعها دساً ونقحمها اقحاماً ؟ ما للتفاهم والاستنتاج ولإمكان استعمال دلالة دون أخرى فى التجوز والاستعارة ؟! عجيب منك هذا . أتعرف أدب البحث والمناظرة يا أستاذ خلف الله ؟ اعلم أن هذا العلم يقول لك : كلامك فى غير محل النزاع فلا معنى له . ولقد جرك الحق أن تصفع نفسك بنفسك فتقول عن نفسك انك لا تفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه وأنا والله لا أستطيع أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك أنه الحق والحق لا محيد عنه .

ولقد كنت أظننى أجادل شخصاً فى جو علمى عال فلا أجدنى بعد الذى ذكرت فى مقالك هذا إلا مضطراً أن أنتزل إلى تلميذ صغير مبتدىء فى تعلم المنطق والبلاغة .

إعلم وفقك الله تعالى أن اللفظ المستعمل فى حقيقته يجب أن تثبت له دلالة المطابقة [قطعاً] ومتى ثبتت له دلالة المطابقة ثبتت له دلالة التضمن [قطعاً] ومتى ثبتت المطابقة والتضمن ثبتت دلالة الالتزام [قطعاً] ؛

فإن كابرت فى شىء من هذا فلا كلام لنا ولا لأحد معك إلا أن تتعلم مبادىء المنطق وتساير المعقول .

أما المجاز والتجوز والاستعارة إلى غير هذا مما قال علماء البلاغة فلا علاقة له بالاستنتاج وإنما علاقته بإرادة نقل الكلام عن معناه الحقيقى إلى معنى غير حقيقى أو بعبارتهم : فى أداء

المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض أو يزيد .

هذا هو العلم وهذا هو الحق أفقهه ويفقهه العلماء فهل تفقهه أنت أيضاً يا أستاذ خلف الله أو تفقهه أنت والذين معك ؟ وهذه أولى مسائلك التى تكلمت معى فيها ؛ بل ما زال لها ملحق أذكره لك فإنك تقول عنى : ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجيولوجيا من أن هذا البيت [الذى ببكة] ليس أول بيت وضع للناس ؟

وإنى سائلك أنت ؛ أهذا كلام منهج علمى ورجل يتكلم فى العلم ؟ من يقول أن العلم ينبنى على قرائن يا أستاذ خلف الله ؟ إن العلم لا ينبنى إلا على حقائق ، أما الذى ينبنى على القرائن فهو الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً فلو قامت قرائن طبقات الأرض كلها بل وطبقات الهواء والماء والسماء ما دلت إلا على قرائن وظنون لا تنفع فى العلم ولا تقدر فى العلم وإنما الذى يقدر ويعلو ويصول قول الله تعالى : (إن أولَ بيت وضع للناس للذى ببكة) ولست بلاعك على هذا التدهور الفكرى الذى تبنى فيه علماً على قرائن فإن رسالتك كلها من هذا القبيل أدلتها : الفرض والحدس ؛ والتخمين ؛ وأحب أن ألفت الذهن ؛ ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء ، وهلم جراً من العبارات الجوف المزوقات ، ثم النتيجة التى تبنيها على هذه العبارات المزوقات الجوف تجعلها حقائق وتسمها بسمات اليقين ؛ عجائب يا أستاذ خلف الله عجائب

اعلم وفقك الله تعالى أن العلم لا ينبنى على قرائن بل ينبنى على حقائق فإن لم تصدق هذا فابحث أنت عمن يصدقك فى ابتناء العلم على قرائن وظنون ولن يصدقك إلا مجنون ؛ أولم تقرأ أنت المقال الذى تحيلنى عليه « القرآن والنظريات العلمية » ؟ اقرأ وتعلم وافقه ورد وتكلم …

٢ — والمسألة الثانية التى تناقشنى فيها أنك قلت أن القصص القرآنى من المتشابه فقلت لك : لسنا نعرف أحداً من المسلمين يقول أن القصص القرآنى من المتشابه .

وجئت فى مقالك آنف الذكر صفحة ١٢٦٨ من مجلة الرسالة تضع بين يدى نصوصاً كثيرة تنطق بأن من العلماء المسلمين من يقول بأن القصص القرآنى من المتشابه . أوما كان أجدر بك أن تضع الأمور فى أنصبتها ولو مرة واحدة ليكون الجدل أو النقاش علمياً لا مهاترة .

وأنا واضع لك الأمور فى أنصبتها ومعيد عليك وعلى الناس جميعاً ما قلته سابقاً أنه لم يقل مسلم ولا يقول مسلم ولن يقول مسلم أن القصص القرآنى من المتشابه رغم ما نقلته أنت من النصوص التى وعيتها أنا وعرفتها قبل أن تراها بعينيك .

لقد كتبت فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ أولى مقالاتك التى تقول فيها بعد كلامك عن الصلة بين القرآن والتاريخ ما نصه : « على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه » و (أل) فى كلمة (المسألة) المتقدمة للعهد أفاهم أنت ؟ والعهد ههنا ذكرى ؛ أفاهم أنت ؟ والمذكور المتقدم صلة القرآن بالتاريخ

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ نشر فى الرسالة تقرير الأستاذ أحمد أمين بك وفسر هذا التقرير الصلة بين القرآن والتاريخ فى نظر الأستاذ خلف الله وفى رسالة الأستاذ خلف الله وهذه الصلة عنده أن القرآن لا يتقيد قصصه بالواقع وأنه يحتوى أساطير وأنه ينطق الشخص فى قصة بشىء وينطق سواه بهذا الشىء فى نفس القصة فى مكان آخر ، وأنه ينطق قوماً بما لم ينطقوا به ويقولهم ما لم يقولوا وأنه يقول على شىء لم يقع إنه وقع وأنه قد لا يكون للقصص مدلول واقعى أصلا وإنما هو حكاية عن واقع نفسانى وأنه لا يتحرى الصدق العقلى والواقع .

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ كتبت يا أستاذ خلف الله مقالا ثانياً ثبت منه جميع ما قاله الأستاذ أحمد بك أمين فى تقريره فأصبحت الصلة بين القرآن وبين التاريخ على أتم وضوح وصارت المسألة التى قال عنها الأستاذ خلف الله أنها مسألة قديمة هى مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ على هذا المعنى الجلى الواضح أن القرآن لا يتحرى الصدق العقلى ولا الواقع ؛ وأنه مملوء بالأساطير طالما أن فيه القصص الأسطورى؛ هذه هى المسألة التى يقول أنها مسألة قديمة فإذا ضم إليها بقية الجملة وهى قوله ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه كان الكلام الذى ينصرف إليه نقاشنا هو ما ادعاه الأستاذ خلف الله من أن مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ بالمعنى الذى ذكره من المتشابه ؛ أليس كلامنا كله فى مناقشة كلام الأستاذ خلف الله أم هو فى مناقشة كلام من لا كلام لنا معه ؟!

وأعود بك مرة أخرى فأقول : لسنا نعرف أحداً من المسلمين بل أزيد فأقول أنه لم يقل أحد من المسلمين ، ولا يقول أحد من

المسلمين ، ولن يقول أحد من المسلمين إن القصص القرآنى من المتشابه ؛ وما دمت تحاول الإفلات من النقاش العلمى إفلات المهاترة فإنى أزيد لك الكلمة التى هى مكان المهد فأقول لك أى بالمعنى الذى تذكره فى قولك « على أن هذه المسألة قديمة ... » والتى فسرها تقرير الأستاذ أحمد أمين وأقوالك فيما كتبت بعد فإنى لم أرد عليك إلا فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ بعد مقالين لك وبعد تقرير الأستاذ أحمد بك أمين .

أما المتشابه بالمعنى الذى يعرفه مقاتل أو الطبرى أو سواهما فليس من محل النزاع كما يقول أهل العلم فكيف ساغ لك أن تضع شيئاً مكان شىء ؟ لكن هى الطريقة التى دأبت عليها فى مقالاتك وفى رسالتك ألم أثبت عليك التدليس فى النقل والخيانة فى العلم ؟

وكيف طوعت لك نفسك أن تجعل المتشابه عند هؤلاء القدامى هو الذى نفيته فى مقالى مع أننى أثبته لك فى مقالى ؟ ! ألم أنقل لك عبارة المنار وفيها قال الأستاذ الإمام : إن الآيات متشابهات ؟ أو لم أقل لك أنا فى نفس المقال ما نصه « فالأستاذ الإمام لم يقل أن القصص القرآنى من المتشابه بل قال إن الآيات من المتشابه» وفسر هذا التشابه ... »

هذه هى المسألة الثانية التى تناقشنى فيها وما زال علم أدب البحث والمناظرة يقول لك إن كل النقول التى نقلتها فى غير محل النزاع فلا معنى للاستشهاد بها وإنما يفصل فيها المثل المشهور أريه السهى ويرينى القمر بل لهذه المسألة ذيل قصير فإنه أى الأستاذ خلف الله يقول إنه يعرض على أن الآمدى أورد رأى الأصوليين فى القصص فى كتابه [الأحكام] وليس كتاب اسمه [الأحكام] إنما هو [الإحكام] وقد درست هذا الكتاب مع كتاب ابن الحاجب أعظم كتب الأصول فى القسم العالى بمعهد الاسكندرية ، بل لعلها غلطة مطبعية ، بل الأشبه أنها غلطة الأستاذ وأنه ينقل أو ينقل له من حيث يعرف أو لا يعرف فقد سألت مطبعة مجلة الرسالة إن كان لديها [لام ألف] بهمزة قطع من تحت فأرانيها مدير المطبعة ، والخطب فى هذا الذيل يسير على كل حال ؛ بيد أنها الدقة والاستنتاج أردت أن ألفت إليها ذهن الأستاذ خلف الله .

٣ — والمسألة الثالثة التى يناقش فيها أنه يقول : إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ماورد فى القصص القرآنى من أحداث غير واقعة فقلت له : ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ماورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الزمان .

ولقد قال هذا ؛ وقلت له هذا ؛ وجاء اليوم يرد علينا فيقول وإقحام الشيخ الأصوليين هنا لا معنى له ؛ فلماذا لا معنى له ؟ وكلامك هو الذى لا معنى له ؟ أليس الأصوليون قد تكلموا فى القصص كما تكلم فيه سواهم فكان متشابها عندهم أو غير متشابه كن ذكوراً يا أستاذ خلف الله فقد نقلت تعرضهم للقصص قبل ذلك بسطور قلائل .

ثم استمعنا كلام المفسرين إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث [هكذا بالرفع فليسأل الأستاذ خلف عن سبب ذلك] لم تقع ؛ وإنى مستمع ومنصت ومصيخ قال : جاء فى ابن كثير ج ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظة مثل رقم (١) وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة ، يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعية ...

أين الاستدلال يا عباد الله فى نقل الأستاذ خلف الله ؟ عطاء يقول إن هذا مثل ، والمفسرون جميعاً يجعلون القصص مقابلا للمثل وقد نقلت يا أستاذ خلف ذلك فى نفس هذا المقال غير مرة ففى أى عقل يقال لك إن هذا ليس قصة وإنما هو مثل فتقول أنت إن هذا الذى قيل لك دليل على أنه قصة وعلى أن القائل بهذا القول يقول إن فى قصص القرآن أحداثاً لم تقع؟ ! ارحموا العقول ارحموا العقول .

وأنا آخذ بأذنك مرة أخرى وقائل لك يا أستاذ خلف الله من الذى وضع رقم (١) على الهامش ؟ وكيف ساغ لك أن تجعله من الاستدلال فى كلامك مع أنه صفعة لك لا ترحمك ؟ ألم يقل لك الهامش [على عدم اعتدادى به كمستند علمى] أنه ضرب مثل لا قصة واقعة — أفلا يوجهك هذا الهامش (أى يضربك بالكف على وجهك) فيصرخ فى وجهك يقول القصة واقعة وضرب المثل قد يكون بغير الواقع؟ انتبه يا أستاذ خلف الله انتبه انتبه أيقظك الله الذى أيقظ أهل الكهف لا السبعة النيام .

ثم نستمع إليه أى الأستاذ خلف الله مرة أخرى يقول : وجاء فى الرازى ج ٢ ص ٣٣٣ نسخة الصالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة إبراهيم والطير [المسألة الثانية أجمع أهل

بحث فى الكولرا

للدكتور فضـــل أبو بكر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

العلاج وطرق الوقاية :

إن الحكمة القائلة « الوقاية خير من العلاج » هى من أصدق الحكم ويجب تطبيقها على الدوام وعلى سائر الأمراض . وهى أصدق ما تكون فى حالة الكولرا إذ من السهل جداً الوقاية منها وعلى النقيض من ذلك يصعب علاجها وقد يتعذر إذا حل مكروبها بالإنسان وظهرت عوارض المرض إذ لم يوجد إلى الآن دواء حاسم غير الدواء الواقى كما وجدت الكينا للملاريا والطرطير للبلهارسيا والزرنيخ والزئبق للزهرى والبنسلين لكثير من الأمراض ليس من ضمنها الكولرا من سوء الحظ .

أما العلاج الواقى الذى تتوقف عليه نجاة الفرد ونجاة المجموعة فهو الحقن بالمصل الواقى « Vacsin » يحقن الفرد باللقاح مرتين تحت الجلد يكون مقدار الأولى سنتيمترا مكعباً وبعد ثمانية أيام من الأولى يحقن مرة ثانية بكمية قدرها سنتيمتران مكعبان . تبدأ مناعة الجسم فى اليوم الخامس وتكون فى أشدها بعد اليوم الخامس عشر ويستمر مفعولها مدة ستة أشهر .

أما تطعيم « حاملى المكروب » فقد وجد فى بعض الأحيان غير كاف ويمكن معرفة هؤلاء « الحلة » بتحليل البراز مرتين وتكون المرة الثانية بعد أسبوع من الأولى ويجب أن تكون النتيجة سلبية فى المرتين وإلا كان الفرد من حامل المكروب وفى هذه الحالة زيادة على حقنهم يعطونهم مايسمونه «بالبا كتربوفاج» أى آ كل البكتريا ولكل مكروب آ كل خاص .

طرق الوقاية :

١ — حقن جميع الأفراد فى المناطق التى يظهر فيها الوباء أولا وتعميم الحقن على جميع السكان على قدر الامكان .

التفسير على أن المراد بالآية قطعهن ... غير أبى مسلم فانه أنكر ذلك وقال إن إبراهيم عليه السلام لما طلب أحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الإمالة والتمرين ...

يا عبادالله ويا أهل المعقول — مرة ثانية — أين الاستدلال بأن فى القصص القرآنى أحداثاً لم تقع ؟

يجمع المفسرون على أن هذه قصة واقعية فيقول الأستاذ خلف الله أن ذلك الإجماع دليل على أن القصة غير واقعية

ويقول أبو مسلم أنها مثل لا قصة وأن الله تعالى أرى إبراهيم مثالا يقرب به الأمر فيقول الأستاذ خلف الله أن قول أبى مسلم أنه مثل لا قصة دليل على أنه قصة وأنها غيرواقعة وإن فى القرآن قصصاً أحداثه لم تقع .

إسمع يا أستاذ خلف الله لا تعليق لى على استدلالك إلا أن أقول لك المثل « احترت يا بخراء من أين أقبلك » . البخراء لا تقبل لأن رائحتها لا تطاق قل شيئاً يشبه العلم وإلا فاسكت ثم نستمع مرة أخرى فإذا به يتحكك كما تحكك أستاذه المشرف على رسالته فى الأستاذ الإمام محمد عبده ويريد أن يسمعنا من قوله شيئاً

ولقد كنت كتبت المقال فى استعراض أقوال الإمام محمد عبده كلها منذ أول قصة الخليقة إلى آخرها وبينت تمام البيان مأتى الخطأ الكبير الذى تردى فيه كاتب رسالة الأستاذ خلف الله ومشرفها على السواء ، ولكن اعجلنى الرد ولفتنى على حد تعبير الأستاذ خلف الله عما سواه .

فليكن الكلام فى كل ما قال الأستاذ الإمام محمد عبده وهو كلام كله وجاهة وعلم لمن قرأه ووعاه إلى العدد القادم إن شاء الله.

ألست ترى يا أستاذ خلف الله حتى بعد هذا أينا أولى أن يصل إلى الرشد؟ أما فقه أسرار القرآن الكريم فلا نقول لك فيه إلا ما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أما والله لا نغمز من هذه الجهة ؛ سنريك منه مالم تكن تعلم وكان فضل الله علىّ عظيما .

وإن شئت علمك منه كثير من تلاميذى

عبد الفتاح بدوى
كلية اللغة العربية

٢ — عزل المريض فى الحال بأماكن العزل بالمستشفيات الخاصة بالأوبئة .

٣ — منع التعرض لجثة المريض بحال من الأحوال واقتراب ذويه منها لغسل الجثة وتكفينها والمشى فى موكب لدفنها ، بل المصلحة العامة — وهى فوق كل الاعتبارات — لا تسمح بذلك .

٤ — تطهير كل إفرازات المريض قبل أن يدفع بها إلى المراحيض كذلك تطهير كل ما لامس المريض عن طريق مباشر أو غير مباشر بإحدى المواد الكيماوية وهى كثيرة متوفرة .

٥ — تطهير الغرف والأثاث كذلك تطهير ملابس الممرضين والممرضات وكذلك أحذيتهم وبعناية تامة يوميا وعدم السماح لهم بالأكل فى حجرات المرضى .

٦ — مراقبة الناقهين والبحث عن « حاملى الميكروب » وفحصهم طبياً .

٧ — تطهير الخضروات والفواكه وقد يكون أضمن وأسلم طبخها قبل استعمالها . كذلك يستحسن عدم الإفراط فى الأكل أو تعاطى الأطعمة عسرة الهضم أو المواد التى تلهب الأغشية المخاطية للامعاء مثل التوابل والبهارات .

٨ — العناية التامة بمياه الشرب وتحليل عينات منها كل يوم أما السكان بالقرى الذين لم يتوفر عندهم الماء الصالح والذين يشربون من ماء الأنهر والآبار فيجب غلى الماء أو تعقيمه بمادة مطهرة قبل شربه أو استعماله بطريقة ما

٩ — محاربة الحشرات ولا سيما الذباب بجميع الطرق المؤدية لإبادته وحفظ الأطعمة بمعزل عنه . كذلك حرق القمامات وفضلات الأكل أولا بأول وهى الأوكار والمراتع الخصبة للذباب يقتات منها ويبيض على هاماتها .

هذا بحث موجز عن وباء الكولرا ذكرنا فيه باختصار بعض ما يهم الجمهور معرفته عن هذا الداء الوبيل وعن طرق الوقاية منه عسى أن يكون فيه بعض النفع .

ولا يفوتنى أن أذكر اهتمام الرأى العام الدولى بهذا الداء وقد علم القارىء مما سلف أن ظهور وباء فى بقعة من الكرة الأرضية فيه خطر يهدد سلامة العالم بأسره وخصوصاً أوربا وقد أضحت جائمة عارية بعد الحرب لهذا بادرت الدول الغربية لنصرتنا ومدت يدها بالمونة لنا كما تقضى بذلك الإنسانية وكما تتطلب ذلك سلامتها نفسها وسلامة الإنسانية جمعاء .

غير أن بعض المستعمرين بدأوا يستغلون هذا الحادث استغلالا دنيئاً مغرضاً وأداة للدعاية ضدنا كما يبالغون فى نعت عامة الشعب بالجهل والتأخر ونلمح من حين لآخر خلال ما يكتبون شماتة ظاهرة وذلك ما يؤلمنا حقاً ويذكرنا بقول من قال .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

مع أن المنصفين من الغربيين أثنوا على ما تبذله الأمة حكومة وشعباً من مجهودات جبارة لمكافحة الداء إلى أن قال بعض الأمريكيين بأنه لو أصيبت أمريكا بهذا الوباء لما أمكنها أن تعمل أكثر مما يعمله ولاة الأمور فى هذا الصدد .

ولكن بعض المستعمرين لا يحلولهم إلا أن يرمونا بالجهل والتقهقر . الجهل الذى بدأنا نحاربه والذى كان الاحتلال يشجعه ويذكى ناره . الجهل الذى كان « دنلوب » يحمل لواءه ويحمى حماه بل يحارب من يحاربه هذا ويعلم القارىء مما تقدم بأن هذا الوباء لم تنج منه أمة وقد اكتسح العالم عدة مرات ولم يكن وقفا علينا دون غيرنا ولا أكون مبالغاً إن قلت إننا كنا أقل إصابة من غيرنا من الدول الأوربية خلال الأوبئة الماضية مع كوننا أقرب منهم إلى الهند موطن الداء ومعقله .

إن هذا الوباء مهما اشتدت وطأته لا يمكنه أن يلهى شعب وادى النيل عن عزمه لنيل مطالبه وهى جلاء الدخيل عن أرضه بدون قيد ولا شرط بل بعكس ذلك من شأنه أن يزيدنا كراهية وحنقاً على الدخيل المغتصب سيما وقد تحددت مسئوليته عن نشر هذا الداء ولو بطريقة غير مباشرة أو مقصودة مهما تنصل من ذلك .

إن سكان الوادى سوف يقضون بإذن الله على مكروب الكولرا كما سوف يستأصلون مكروب الاستعمار ويفتكون بجراثيمه وهم يعلمون أنها أدهى وأشد فتكا من الكولرا .

(باريس) دكتور فضل أبو بكر

الفن القصصى فى القرآن

للأستـــــاذ عبد المتعال الصعيدى

وأخيراً عزمت أن أكتب فى هذا الموضوع ، بعد أن رأيت الذين كتبوا فيه لم يتناولوه من الناحية التى يجب أن تتناول فيه ، ويجمل المخطىء يلمس خطأه فلا يسعه إلا أن يعترف به ، وهذا هو الذى يجب أن يؤخذ به المخطىء فى الإسلام ، لأنه دين الإقناع ، ولأن وسيلته هى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإذا جاوز من يريد الدفاع عنه هذه الوسيلة أضر به من حيث يريد نفعه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى صار الناس يمقتون فيه هذه الوسائل فى المسائل الدينية ، ويأخذونها على أصحابها أقسى مؤاخذة

وإنى أحب أن أنبه الذين يتخذون هذه الوسائل إلى أنها تؤدى إلى عكس مايقصدون ، وتحمل بعض الناس على أن يشتط فى رأيه ، ليقسوا فى الحملة عليه ، ويذهبوا إلى أنه ملحد يجب أن يعاقب أشد عقاب ، فيصير فى نظره ونظر بعض الناس مثل غاليلو وغيره من فلاسفة أوربا ، فقد اضطهدهم رجال الدين فى أوربا على بعض آرائهم ، فصار هذا الاضطهاد محمدة من محامدهم ، وصار مذمة لمضطهديهم .

فلنقتصر على تخطئة من يذهب به عندنا حب الشهرة إلى مثل ذلك الشطط فى الرأى ، ولنبخل عليه بما يريد من رميه بالإلحاد والزندقة ، حتى لا نمكنه من أن يظهر بين الناس بما يحب ، أو يجعل نفسه ضحية من ضحايا الرأى ، فليس أوجع فى نفسه من أن نأخذه فى رفق حتى نبين للناس خطأه ، وحتى يرى أنه لا سبيل له إلا أن يعترف بالخطأ فيعترف ، فإن لم يعترف على نفسه كفاه حكم الناس عليه ، وللناس عقول تفهم ، والحلال بين والحرام بين .

لقد أراد بعض الناس أن يرد على صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن ، ففتحوا أمامه المجال فى الرد عليهم ، فأردت أن أقوم بما يجب على فى هذا الموضوع ، ليصل الناس فيه إلى رأى حاسم ، وينصرفوا عنه إلى ما هو أجدى عليهم ، ويعرفوا أن صاحب هذه الرسالة لم يكن له أن يطفر إلى الكتابة فى موضوع القرآن ، وهو يجهل تعريف التناقض فى المنطق ، ويبنى على جهله به حكما خطيراً فى قصة إبراهيم عليه السلام ، كما جاء فى التقرير الذى رفعه الأستاذ أحمد أمين إلى عميد كلية الآداب ، وقد نشر بالعدد — ٧٤٤ — من مجلة الرسالة الغراء[1] ، وهو يدل على مستوى صاحب هذه الرسالة فى العلم ، وعلى أنه جرى فى رسالته على هذا المنوال ، فقذف بنفسه فى بحر لا يحسن السباحة فيه ، ولم يخض فيه إلا فحول العلماء ، وأكابر الحكماء ، من الطبرى إلى الزمخشرى إلى الرازى ، إلى أمثالهم فى علمهم وحكمهم .

فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين فى تقريره أن صاحب هذه الرسالة يرى أن القصة فى القرآن لا تلتزم الصدق التاريخى ، وإنما تتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً ، بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد ، مثل أن البشرى كانت لإبراهيم أو لامرأته .

فدعوى هذا التناقض تدل على أن صاحب هذه الرسالة لا يعرف تعريف التناقض ، وعلى أنه سار فى رسالته بهذا العلم الذى لا يزال فى طور الطفولة ، فضل الصواب ، وخبط خبط عشواء ، والقرآن أجل من أن يتناول بمثل هذا العلم ، وأخطر من أن يحكم فى مسائله من لا يزال يجهل تعريف التناقض

لقد قال الله تعالى فى البشرى بهذا الغلام (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) الآية — ٧١ — من سورة هود ، وفى هذه الآية كانت البشرى لسارة امرأة ابراهيم عليه السلام

ثم قال فى هذه البشرى (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) الآية —٥٣— من سورة الحجر ، وقال (فبشرناه بغلام حليم) الآية — ١٠١ — من سورة الصافات ، فكانت البشرى فى الآيتين لإبراهيم عليه السلام .

فهل تبشير سارة مرة بهذا الغلام وتبشير إبراهيم مرة به من التناقض الذى يصح أن تضرب به قصة إبراهيم مثلا للقصة التى لا يلتزم فيها الصدق التاريخى ؟ اللهم لا ، لأن التناقض اختلاف قضيتين فى الإيجاب والسلب اختلافاً يلزم لذاته من صدق إحدى القضيتين كذب الأخرى ، فلا بد فيه من الاختلاف فى الإيجاب والسلب ، ولابد فيه من الاتحاد فى الموضوع والمحمول وقيودهما ، وليس فى هذه القصة اختلاف فى قضية البشرى من جهة الإيجاب

(١) قد اعتمد الأستاذ أحمد أمين فى رأيه فى هذه الرسالة على أن ما فيها يثير الجمهور ، وهذا قد يعد منه تهرباً عن إبداء الرأى الصريح فيها.

٥ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

ســد أسوان

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لا يعنيني الحديث عن سد أسوان ، إلا بقدر اتصاله من قريب ، ببلاد النوبة . وإذا كان هذا السد العظيم ، قد لعب دوراً هاماً في حياة القطر الزراعية ، فزاد القدر المنزرع إلى أضعاف أضعافه ، وإنعاش الحياة التجارية ، والاقتصادية ، وزيادة الثروات المصرية إلى حد التضخم في كثير من النواحي ، حتى أصبح هذا السد بحق مفخرة من مفاخر بلادنا المصرية ، له شهرة عالمية طائرة ، وصيت دولي ذائع — إذا كان قد لعب هذا الدور في حياة القطر ، فإنه قد لعب دوراً آخر في حياة بلاد النوبة ، إحدى مناطق قطرنا العزيز ، ولكنه مع الأسف دور عكسي على طول الخط ، وامتداد الطريق . ! !

وبيان ذلك ، أن منطقة النوبة لم تكن تعرف قبل سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف شيئاً عن هذا السد ، وإن كانت بعض الأفكار قد اتجهت إلى الانتفاع بهذا الشلال الطبيعي قرب أسوان ، وبخاصة وأن مياه الفيضان تتدفق في موعدها من صيف كل عام ، حاملة الغرين ، والطمى الذي يكسب الأرض خصباً ، والزرع نماء ونضرة ، ويفيض بالخير والبركات في أنحاء البلاد المصرية ...

ونما هذا الشعور ، وكبر ذلك الإحساس ، فرئي أن ضياع مياه النيل في البحر الأبيض المتوسط عبث لا طائل تحته ، ولا غاية ترجى منه ، وأن في الإمكان الإفادة من هذه المياه طوال أيام السنة وبخاصة وقد أصبحت البلاد تزرع القطن من أيام محمد علي باشا ، وغيره من المحصولات التي تتطلب ريا دائماً ...

وولدت الفكرة ، فكرة إقامة خزان قرب أسوان ، على الشلال الأول ، وبدأ العاملون يبحثونها سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وكللت بالنجاح ، وتم بناء السد سنة ثنتين وتسعمائة وألف ، بطول قدره خمسون وتسعمائة وألف متر ، وبه ثمانون ومائة فتحة .

والسلب ، فلا تكون من التناقض الذي يلزم فيه صدق إحدى القضيتين وكذب الأخرى ، وإنما كان أن كلا من إبراهيم وامرأته بشر بهذا الغلام ، وقد تكررت هذه القصة في هذه السور ، فذكرت في بعضها بشرى إبراهيم به ، وذكرت في بعضها بشرى امرأته به ، تنويعاً في الأسلوب ، وتصريفاً في القصة ، لمقامات تقتضي ذلك التنويع ، وتستدعي ذلك التصريف

ولاشك أن صاحب هذه الرسالة قد سار فيها على هذا التخبط في الحكم ، لا يفرق بين القصص التي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه ، وهي أمثال لا أساطير وقد ورد كثير منها في القرآن أيضاً ، ولكن صاحب هذه الرسالة لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما هو فوق طاقته .

لقد ذكر الله تعالى قصة مريم في سورة آل عمران ، ثم قال فيما ذكره منها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية — ٤٤ — من سورة آل عمران ، وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وذكر قصة نوح في سورة هود ، ثم ختمها بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) فجعل تلك الأنباء وهي من الغيب من دلائل نبوته ، ولا يصح الاستدلال بها على نبوته إلا إذا كانت صحيحة ، وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ، ثم ختمها بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وهكذا غير هذه القصص من قصص الأنبياء ونحوها .

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس ، كقوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الآية — ٧٥ — من سورة النحل ، فهذا مثل لا يلزم أن يكون واقعاً ، وكذلك ما أشبهه من أمثال القرآن

وقد أتى صاحب هذه الرسالة فيما فاته من الفرق بين هذين الأسلوبين ، فأساء إلى نفسه ، وأساء إلى علمه ، وأساء إلى جامعته ، وما كان له أن يطفر إلى مثل هذا الموضوع في أول نشأته .

عبد المتعال الصعيدي

وقد لحق الأهلين بعض الأضرار بسبب إقامة السد لأن منطقة النوبة ، ارتفعت فيها المياه فأتلفت الأراضى المنخفضة ، وأغرقت المنازل التى على الشاطىء مباشرة . فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، وبلغت تكاليف إقامة السد ، بما فى ذلك التعويضات التى أعفيت الأهلين مليونين وأربعمائة وأربعين ألف جنيه كما أثبت ذلك أحمد خيرى بك فى مقال له بمجلة الصناعة …

وبعد مضى زمن قصير ، تآكات بعض الأجزاء خلف الخزان ، بفعل المياه ، فأنشىء له فرش خلفى سنة خمس وتسعمائة وألف ثم سنة ست وتسعمائة وألف كذلك ، وبلغت تكاليف ذلك مائتين وثلاثة وثمانين ألف جنيه . . ! !

وبهذا أصبح السد قوى الدعائم ، وطيد الأركان ، وظل يؤدى رسالته فى البلاد نماء ، وخصباً ، ويبعث فيها الحياة والنضرة والنعيم ، ويفيض عليها الخير والبركة ، إذ استفادت البلاد من كية البلاد المخزونة عظيم الفائدة ، وانتفعت بها جليل النفع

وبعد بضعة أعوام من إنشاء السد ، رئى تعليته خمسة أمتار ، لأن تصرف النيل الطبيعى مدة الصيف ، مضافاً إليه كمية المياه المخزونة ، لا تكفى حاجة القطر الزراعية ، وبحث الموضوع من جميع نواحيه ، إذ خيف أن تضر هذه التعلية ببناء الخزان نفسه ، وفى ذلك ضرر ماحق وخطر عظيم … وانتهى البحث إلى إمكان ذلك . دون حدوث أى ضرر أو خطر ، وتمت التعلية فعلا ، وسميت بالتعلية الأولى …

ولا جرم أن هذه التعلية أضرت إلى حد كبير ببلاد النوبة . إذ ارتفع منسوب مياه الخزان فأغرق كثيراً من المنازل ، وجرف الأراضى المنخفضة نسبياً وأتلف ما بها من زروع ، فقامت الحكومة للمرة الثانية بتعويض الأهلين عن هذا كله … وبلغت تكاليف التعلية ، بما فى ذلك التعويضات ، مليون وخمسمائة ألف جنيه …

وكثر عدد السكان ، وبلغ أضعافا مضاعفة بالنسبة لما كان عليه قبل إنشاء السد ، فالرخاء يمن وبركة ، ودعامة من دعائم العمران ، وزيادة النسل … وقفزت الأرقام من سبعة ملايين ، وتسعة ملايين … إلى خمسة عشر مليونا بعد إقامة السد بحوالى سبع وعشرين سنة ! !

ولهذا اشتدت حاجة البلاد إلى هذه الكميات المائية التى تذهب سدى ، وتضيع هباء ، فنبتت فكرة التعلية الثانية … بيد أن هذه الفكرة لم تلق تحبيذاً على طول الخط . بل عورضت معارضة شديدة . ونقدت نقداً لاذعا ، مما دعا الحكومة للاهتمام بأقوال الناقدين ، والمحبذين على السواء . والتروى فى الأمر . والاستعداد له فليس الموضوع من السهولة بحيث يمر مر الكرام … فأنشأت مكتباً خاصا بذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف كان أهم ما قام به ، إعداد المشروع ، وبحثه من جميع نواحيه ، والنظر فى موضوع التعويضات التى ستعطى للنوبيين بعين الرعاية والعطف لما سيلحقهم من اضرار فى منازلهم ونخيلهم وأراضيهم الزراعية وجميع مرافقها ، بسبب هذه التعلية .

وأخيراً عرض المشروع على لجنة دولية مكونة من ثلاثة مهندسين عالميين : أمريكى ، وانجليزى ، وسويسرى ، وقد وافقت هذه اللجنة على المشروع ، وأقرت تعلية السد تسعة أمتار ، دون إحداث ضرر ولا خلل به ! .

ووقع هذا الخبر بين أبناء البلاد موقعاً حسناً جيلا ، وأنعش كثيراً من الآمال البراقة ، والأمانى الحلوة اللامعة ، فمن قريب ستحيا كثير من الأراضى البور ، بسبب هذه المياه التى سيحجزها السد ويمنع تسربها وضياعها ، وعن قريب تبيع الحكومة كثيراً من الأراضى التى تحتاج إلى إصلاح ، بعد أن تقيم لها المشروعات اللازمة ، من رى وصرف وغير ذلك .

بيد أن هذا الخبر نفسه ، وقع من النوبيين موقعاً قاسيا … وقوع الصاعقة ، التى تهدم قصور الأمانى ، وتقوض صروح الآمال فى قسوة وعنف وجبروت … فهم يعلمون معنى التعلية ، ويفهمونه على وجهه الصحيح . ويدركون تمام الإدراك هذه الأمتار التسعة ، التى سترفع منسوب المياه أمام الخزان ، وتجعل من بلادهم مكانا للخزن ، يخرب ديارهم ، ويجلوهم عن مساكنهم ويلقى بهم فى مهب الريح ، تعصف بهم عواصف الأقدار ، وتشتت شملهم دوافع الفرقة . وأهوال الفقر والحاجة والاضطراب … !

وشرعت الحكومة فى تنفيذ التعلية ، وابتدأ العمل فى نوفبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ، على قدم وساق ، وعناية بالغة ، حتى انتهى بصفة عامة فى ديسمبر سنة ثلاث وثلاثين

وتسعمائة وألف ، بالغة تكاليف المبانى ، مليونين وستمائة وسبع وعشرين ألف جنيه ... ! !

بيد أن هذه التعلية أضرت بمناطق النوبة بالغ الضرر ، بقدر ما أفادت باقى البلاد المصرية ، عظيم الفائدة . ونفعتها جليل النفع إذ اجتاحت مياه الخزن منازل الأهلين كلها ، وجرفت بيوتهم ، وأتلفت مزارعهم ، فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، حسب تقدير قامت به ، وقد بلغت التعويضات بسبب التعلية الثانية الأخيرة مليون وستمائة وخمسين ألف جنيه .

ورأت الحكومة أنها مضطرة لإقامة مشاريع اقتضاها ارتفاع المياه فى أيام الخزن ، وإنشاء مرافق جديدة لهذه البلاد ، ودرست كل مصلحة من المصالح واجبها فى هذا الصدد ، وقامت به على وجه ، وإن لم يكن من التمام والكمال ، فقد أرضى إلى حد بعيد أكثر المخلصين فى هذه البلاد ، الذين يعلمون حقيقة موقف الحكومة ، وما تكبدته من نفقات طائلة فى سبيل إنشاء السد ، إذ بلغت التكاليف لإنشاء محطات الرى ومبان للحكومة مائتين وثلاثة وسبعين ألف جنيه ، فإذا ضممت هذا المبلغ إلى المبالغ السابقة من يوم أن أنشىء السد كان المجموع ثمانية ملايين وسبعمائة وثلاثة وسبعين جنيهاً ، وهو مبلغ ضخم دون ريب ... ! !

وأهم المشروعات التى قامت بها مصلحة الرى ، إقامة جسور واقية فى مناطق أبى سمبل لوقايه تسعمائة وخمسة أفدنة تقريباً ، وأدندان لوقاية مائتى فدان تقريباً ، وفى فرسى ، بالسودان لوقاية منطقة حوضية ، مع عمل برابخ رى وصرف ... وإقامة مضخة لرى سبعمائة فدان بمنطقة العلاقى لزرعها زراعة شتوية ... ومضخة لكل من توماس ، وعنيبة بحرى وعنيبة قبلى ، وتوشكى شرق وتوشكى غرب ، ومضخة احتياطية لهذه المناطق ، وذلك لزراعة خمسمائة فدان بكل منطقة لزراعتها زراعة نيلية فقط ، وهذه المضخات مقامة على عوامات ترسو على شاطىء النيل أمام كل منطقة ... وإقامة مضختين بالدكة على عوامة لرى خمسمائه فدان رياً مستديما . وإقامة مضخات على ثلاث عوامات ببلانة لرى ألف وخمسمائة فدان رياً مستديماً ، وإقامة مضختين ثابتتين ببلانة كذلك لرى سبعمائة فدان رياً مستديماً ...

وقامت مصلحة المبانى بإنشاء مكاتب ومساكن بعنيبة بدلا من مبانى الحكومة التى كانت بالدر مقراً للمركز ومصالح الحكومة المختلفة ، كالمدرسة الإبتدائية ودور للمحكمة الشرعية والتلغراف والتليفون أو البريد ... الخ وأنشأت عدة مدارس أولية وكتاتيب ، ومساجد ، ونقط بوليس ... ونقلت خطوط التلغراف إلى مكانها الحالى ... وأقامت دار الحجر الصحى للمواشى بالشلال (كورنتينا) بدلا من الذى غمرته مياه التخزين

وقامت مصلحة الآثار بتدعيم وتقوية بعض الآثار التى تتأثر من مياه التخزين ...

وهكذا تمت لهذه البلاد مرافقها الأساسية ، التى بعثت الحركة والنشاط فى جميع أنحائها ، وجعلت النوبيين يهدؤون نفساً ، ويرتاحون بالا ، ويعتقدون أن الحكومة مهتمة بأمرهم ، معنية بشأنهم ، عاملة على تحسين حالهم ...

هذه هى الأدوار التى مر بها سد أسوان ، والأثر الذى أحدثه فى هذه البلاد ، إذ قلب نظام الحياة فيها رأساً على عقب . وبدلها بحياتها الأولى ، حياة الهدوء والسكون ، والاطمئنان والاستقرار ، حياة أخرى كلها الكد والجد والسعى والعناء ... وهذه الأدوار تعطيك فكرة واضحة عن قيمة هذا السد العظيم ، الذى أحال تراب القطر المصرى إلى تبر وذهب براق ، ورفع مستوى المعيشة فى البلاد ، وأنعش حياة المصريين أيما إنعاش ، وسيكون فى المستقبل القريب منبع رفاهيتها ورقيها ، عندما يتم مشروع توليد الكهربة ، وفق الله القائمين بالأمر إلى ما فيه الخير والصلاح

عبد الحفيظ أبو السعود



فى زوايا الطريق !

دقت إحدى الساعات الكبرى على مقربة منى دقات ثمان والليل بارد الأنفاس وأنا أنقل الخطى فى زحمة الناس على طور الشارع. وئيدة ثقيلة لا من كلال ولا من ضنى ولكن مما كان يثقل قلبى من صور وقع بى عليها هذا المنظار اللعين ...

وأريد أيها القارىء أن تقاسمنى بعض ما أثقل قلبى فما يزيده لعمرك ثقلا أن أحمله وحدى ، وكثيراً ما سقت إليك ما أضحكك فإن أنا صببت عليك اليوم بعض همى فلا تكن من الناضبين ...

هؤلاء غلمان وبنات من أبناء الشارع وبناته قد أقعوا على باب أحد المطاعم يطعمون بأعينهم مع الطاعمين بأسنانهم وقد حرمهم التقمم رفع القمامة من الشوارع حذر الكوليرا ، وهو منظر قد زال عنه معناه لكثرة ما ألفناه ، ولكن هاهم أولاء جماعة ممن يأكلون بأسنانهم جماعة ليسوا من أهل هذا البلد الذى آواهم فأشبعهم يأبون إلا أن يبرزوا المعنى الذى غاب فهم يلقون ببعض اللقم والقشور ويلهون ضاحكين بمرأى هؤلاء الغلمان كيف يقعون عليها كما تقع الكلاب والقطط وكيف يتزاحمون ويختصمون

ومضيت ثقيل الخطى ثقيل القلب فلم أذهب غير بعيد حتى انعطفت عند زاوية فإذا رجل خشبية تمتد إلى جوار رجل من عظام ولحم وإذا صاحب الرجلين قد أسند ظهره إلى الحائط واستراح من بعض همه بغفوة وأمامه علب الكبريت لعله لم يبع منها بما يتبلغ به فنام ، وابنه الهزيل النحيل يدفعه بيده دفعاً رقيقاً ليوقظه لأنه جائع ؛ وألقيت إلى الصبى قرشاً فما وثق منه فى كفة حتى اندفع يوقظ أباه فى شدة وسرعة ليزف إليه البشرى ...

ومشيت ثقيل القلب وئيد الخطى فما هى إلا خطوات حتى وقفت حيال منظر كم تمنيت لو رآه كل رجال الفن فهاهوذا ضرير قد اضطجع حتى أوشك أن يتمدد على سلم دكان مغلق وأسند ظهره إلى دركة ورفع وجهه صوب السماء فانعكس عليه نور مصباح قريب ، ومد يده يستجدى فى صمت لا ينطق ولا يتحرك أية حركة فكان منه فى هذا الوضع تمثال بالغ الروعة لو وقع عليه فنان لما ساوى ذلك عنده وقوعه على كنز فما يصور البؤس شىء أحسن مما تصوره هاتان العينان الغائرتان وهذا الوجه الضارع وهذه اليد المعروقة المرتجفة ، ونور المصباح القوى فى وجهه يجعل من ذلك كله صورة ترى ولا ينهض لوصفها كلام ؛ وجاء غلام فانقض على التمثال كالفرخ الجائع وأخرج فى مثل خطرة الطرف ما فى جيبه من مليمات وقروش وولى لا يلوى على شىء وانتفض التمثال انتفاضة حسبت أن قد تحرك لها رخام السلم ، وأقبل بعض من شهدوا هذا السطو فألقوا إليه من قروشهم ما أذهب روعه..

ومشيت موجع القلب ثقيل الخطى فلم أكد أنعطف عند زاوية أخرى حتى إذا بى تلقاء رجل يزحف على إسته ويديه وقد ثنى إحدى رجليه أما الرجل الأخرى فلم يبق منها إلا جزء من الفخذ قد كشف عنه لأنه موضع « الأعلان » وبرهان العجز عن العمل ، ومر الناس به لا يتألم أحد فيما أرى لأنهم ألفوا أن يردوا مثل هذا كما ألفت أنا ولكنى تألمت وتألمت وأرجو منك أيها القارىء أن تصدقنى أنى تألمتُ كما أتشفع عندك بكل عزيز لديك أن تتألم مثلى ...

فإن لم يكن آلمك هذا فدونك شىء آخر وقعت عليه عند زاوية أخرى ، دونك شىء ولا أقول رجلا ، فليس ثمة إلا الجذع فقط لا يدان ولا رجلان ، ومع ذلك فهذا الشىء يزحف ويقطع الطوار كله زاحفاً ... يا إله العالمين إنى أستغيثك ! إن لم تكن الملاجئ لمثل هذا فلمن تكون ؟ وفى أى شرع يكون على هذا أن يعمل — أستغفرالله — بل أن يزحف ليكسب قوته وحوله السيارات الفخمة تنهب الأرض باللاعبين بالذهب !

ومشيت باكى القلب بطئ الخطى حتى كنت أمام «جروبى» فإذا بنتان من بنات الشارع تتشاجران فى عنف على أعين الناس ، وقد ألقتا ما معهما من ورق اليانصيب ، وأنشبت كل منهما أظفارها فى عنق الأخرى ، وذلك لأن إحداهما قطعت الطريق على صاحبتها فباعت دونها ورقة !

ونظرت فإذا معركة أخرى أشد عنفاً تدور غير بعيد بين فتاتين ناهدتين من خدم المنازل ، وقد شدت كل منهما شعر الأخرى وأهوت عليها بحذائها ، وذلك لأن إحداهما ، كما علمت ،

غلبت الأخرى على عيشها فأخرجتها من عملها واستمتعت بالأجرة دونها ؛ وتقاطر السابلة يشهدون هذه المعركة الكبرى ، وقال أجنبي من المارة لصاحبه وهو يضحك : أنظر... فهذا نذير الحرب العالمية الثالثة ...

والتفت على حرب أهلية ثالثة بين حوذى أوقف جواديه المهزيلين ، ووثب من عربته التي شهدت فيما أحسب القاهرة في عهد إسماعيل ، وراح يصخب في لهجة الحوذية ونغمتهم ، ويطلب إلى الراكب بقية حقه ، وإلا فمن أين يأكل ، ومن أين تأكل الخيل ، وهو يستغيث الله والمسلمين ، ويخوف هذا الذي لا يريد أن يدفع عاقبة الظالمين ، وقد دارت حولهما حلقة من المتفرجين ، والحوذى يتدفق بلاغة ، إذ يصف الغلاء وما صنع بالناس ، وكأن في فمه « ميكروفون » . .

ومشيت ضائق الصدر ، حيران الخطى ، ملء نفسي الألم مما أشهد من مخازى مجتمعنا العظيم ، فإذا أنا تلقاء عتل يستوقفني قل أن رأيت مثله ضخامة وطولا ، له عنق هو وحده أضخم من ذلك الجذع الذي كان يزحف على الأرض ، أما بدنه فيضل البصر في ضواحيه ، ومد إلىّ ذلك المارد يداً تتسع قبضتها لتتلقى حملا أو غلاماً ، وقال في غير تلعثم أو تردد : « يا بيه ... أنا جوعان ... عاوز حق لقمة » ! وحرت والله بين أن أضحك فأسرى عن نفسي بعض ما بها ، أو أن أصرخ في وجهه علّي أنفس عنى بعض همى وغلبتني الثانية فقلت : اغرب عنى ، فلن يشبعك كل ما في جيبي ، إنك تبنى عمارة وحدك ، فهل يصح أن تطلب لقمة !

وبعد ، فيا حكومة ... يا وزارة الشؤون الاجتماعية ... يا جماعات البر والإحسان ... يا دعاة الإصلاح ... يا من تغارون على كرامة وطنكم وسمعة عاصمتكم ... الغوث ... الغوث ... إن جميع ما رأيته في زوايا الطريق في ليلة واحدة ، وعلى أبعاد متقاربة في أهم بقاع القاهرة العظيمة الجميلة مما بينته وكثيراً مثله مما لم أبين يصرخ صراخاً عالياً لمن كان له سمع أن هذا عيب ... اجعلوها من باب الترف ، فأزيلوا عن الطرقات هذا الأذى ، فما أطمع أن تجعلوها من الإنسانية !

الخفيف

في محنة الوباء :

يا للأغنيــاء للفقراء ! !

للأستاذ فريد عين شوكة

جهدى ! وما عندى سوى الأقوال ... أدعو لمكرمة ، وحسن فعال
جهد المقل ! وأين لى بخزائن ... كالأغنياء تفيض بالأموال ؟
لو كان عندى المال ، لم أبخل به ... في النائبات ، على رقيق الحال !
الكادحين الرازحين من الطوى ... الفارقين بشقوة وضلال !

***

غفراً سراة النيل ! لست بحاسد ... لكم على فيض الغنى السلسال
كلا ، ولا أنا سائل عن ورده ... أجرى حراماً أم سرى بحلال
لكن أعاتبكم لشح نفوسكم ... يوم السباق إلى ندى ونوال !
هذا الوباء طغى بمصر ، فزادها ... هولا ، على ما ران من أهوال !
كل الطوائف راعها ! لكنما ... ذاق الفقير لديه سوء وبال !
قست الحياة عليه ! فهو محطم ... نهب لعادية الضنى الغوال !
ما بالكم لا تنهضون لغوثه ... بالمال يرخص في أجل نضال ؟
أين الوفاء لمصر إن لم تبذلوا ... في غير تقتير ، ولا إقلال ؟ !
أتبيت في فزع ، وتصبح في أسى ... وتظل نهب عواصف البلبال ؛
والأغنياء الناعمون بخيرها ... يحيون في رغد ، وراحة بال !
بل أين حق الكادحين لكم من الز ... راع والصناع والعمال ؟ !
مدوا لهم كف الحنان ، فطالما ... جادوا لكم بجلائل الأعمال
واسموا إلى مرضاتهم ، لا تنفثوا ... في البائس المحروم شر خصال
واستعبدوا الأموال ، لا تغدوا بها ... أسرى ، تعيش العمر في الأغلال
ما كانت الأموال غير وسيلة ... للحمد والمجد الرفيع الغالى
والمال مهما غر سحر بريقه ... يفنى كما يفنى خداع الآل !
برق يشع ، وفتنة خلابة ... إن أطمعت فإلى وشيك زوال
فابنوا لكم أسمى المكارم واشتروا ... أبقى المحامد في فم الأجيال

(منوف) **فريد عين شوكة**

من الشعر السياسي:

إشراقة الفجر

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

فجر أضاء على إظلامة الزمن ... تكفى الليالى التى طالت على الوسن
هذا الأذان بشير الصبح فى بلد ... يرن تسبيحه لله فى الأذن
يا ثائرين على الأرسان موثقة ... إن الكريم عدو القيد والرسن
ما كان نومكمو يوماً على وهن ... أو كان مرقدكم يوماً على غبن
ولم تكن مصر فى أغلال آسرها ... مأسورة الروح بل مأسورة البدن
يا موكب النصر أغلينا فرائده ... والمجد لا يشترى يوماً بلا ثمن
ما أرخص الروح فى الأوطان هينة
لكنها لسوى الأوطان لم تهن
ماذا شهدت من (الستين) زائدة ... إلا الثبات على الأحداث والمحن
تلين كل قناة عند غمزتها ... لكن قناتك عند الغمز لم تلن
شدت على البأس. ما مالت لمختبر ... عند اللقاء ولا اهتزت لممتحن
كأن صمدتها الأهرام صاعدة ... أعيا على الزمن الباقى من الزمن
يا نائمين على أمجاد أمسكمو ... ماقيمة المجد فى اللفات والكفن؟
أما كفى العمر نقضيه مفاخرة ... على الهيا كل أوشدوا على الدمن؟
هبوا أبوتكم قد أعرقت نسباً
فمن أبو الشمس فى إشراقها الحسن ؟
ما قيمة الأمس فى ماضى تفطنه ... إن لم يكن سبباً فى حاضر فطن؟
قالوا (الجلاء) فقلت العبء أثقله ... عند التفرد بالأعباء والإحن
إن (الجلاء) عن الأرواح قد صدئت
ليس (الجلاء) عن الكورات والمدن
وللخلاص التزامات. أنحسبها ... نوعاً من اللهو أوضرباً من الددن
والحق لم يحمه جيش بلا عدد ... عند اللقاء، وأسطول بلا سفن!!
والمجد لا يبتنى إلا وحائطه ... دعامتان من الأخلاق والفطن
أمامكم تبعات المجد فاصطبروا
فى المركب الوعر أو فى المطعم الخشن
هى العزائم لا تنبو على ريب ... من الزمان ولا تخبو على الظنن

أغنية . . .

« ... وذاب الوجود فى الأذن لحناً »

للأستاذ أنور العطار

إن تراءيت لى خيالا وظناً ... رقص القلب فرحة وتثنى
واحتوانى حلم رقيق حبيب ... هو منى الهوى الذى أتمنى
والنشيد العذب الذى أتغنى

وإذا رفرفت عليك شجونى ... وهفا خاطرى وهاج حنينى
فاسألى الليل أن يرق لحالى ... فهو مثلى هيمان جم الفتون
شاعر خيّر الرؤى والفنون

يفتلى فى دمى شبابك جمراً ... ويعيد الحياة زهراً وعطراً
وومضات من سحر عينيك لاحت
فسرت فى الفؤاد خمراً وشمراً
ومنى تغمر الجوانح غمراً

يا سنا خاطرى ويا روض عمرى ... يا صفائى ويا خيالى وشعرى
طفت بالقلب فرحة وضياء ... كالشعاعات فى تباشير فجر
والبشاشات فى بواكير زهر

إن ترأفت بالمحب المعنى ... ورحمت الشباب يذبل غصناً
هدهدتنى الحياة مثل الأناشيـ ... ـد، وذاب الوجود فى الأذن لحناً
وشفتنى المنى وقلبى غنى

نهر للحنان غنى بقلبى ... بنشيد حلو على الدهر عذب
بعث الماضى الحبيب لحوناً ... فاتنات تعيد سالف حبى
وتثير الجوى وتغرى وتصبى

دمشق — أنور العطار

فما استحال على الإيمان مطلب.
إن قلت يا مستحيل الأمر كن يكن
نعمى الجلاء على الأعمال باقية ... ولا تدوم على الأقوال واللسن
شر البلية أوطان بلا سند ... من الرجولة. لاقوم بلا وطن.

محمد عبد الغني حسن

تعقيبات

مكتبة الجاحظ :

أتم صديقنا الباحث المحقق الأستاذ عبد السلام هارون تحقيق كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ وأخرجه للناس مصححاً مقوماً مكملا ، فلو رآه الجاحظ لقرّت به عينه وطابت نفسه وشكر للأستاذ الفاضل هذا الصنيع الذى أحيا به أثراً خالداً ، وأسدى به إلى العربية يداً ..

ونشر الكتب وتحقيقها ليس بالأمر الهين ، ولكنه عمل يشترك فيه الذوق والفهم ، والعلم وسعة الاطلاع ، ويقتضى بذل الجهد وطول البحث والصبر على مراجعة النصوص ، وهذا كله قد اجتمع للأستاذ عبد السلام هارون ، وتجلى فيما أخرج من كتب قيمة وحقق من أسفار نافعة ، وقد أعطى لكتب الجاحظ قدراً كبيراً من عنايته ، فهو الآن يعد العدة لإخراج الحلقة الثانية من مكتبة أديب العربية الكبير ، وهى كتاب البيان والتبين ، وقد راجع الأصول المخطوطة لهذا الكتاب ، وكل مواضع النقص فيه ، واستوفى مواقعه الناقصة شرحاً وتعليقاً ، وما بقى إلا أن يقدمه إلى أبناء العربية فى أجل حلة من التنسيق والطبع ..

على أن الذى يدعو إلى الغبطة أكثر أنه الآن يهتم بجمع الأصول لرسائل الجاحظ المفقودة ، وقد هبأ فعلا رسالة « حيل اللصوص » لأبى عثمان ، وكان الظن بهذه الرسالة أنها ضاعت فى أجواء العصور الخالية ، وإنه لجهد نافع ، وعمل مشكور .

إن هذا الذى ينهض به الأستاذ هارون لعمل تنوء به الجماعة ، ولو نهضت به جامعة أو جماعة لحسبته من مفاخرها الخالدة ، ولكنه عمل ينهض به فرد مخلص للعلم . وهو صامت صابر ، قانع بأنه يؤدى واجبه العلمى ، ثم هو لا يظفر من جامعاتنا وهيئاتنا العلمية بكلمة تقدير أو شكر ..

علم وجهل :

والعلم والجهل ضدان لا يجتمعان ، ولكن محطة الإذاعة المصرية قد استطاعت أن تجمع بينهما فى براعة تحسد عليها ، وتدل على عبقريتها ..

تقدم هذه المحطة إلى المستمعين برامج ثقافية تعرض فيها حياة بعض الشعراء والعلماء ورجال التاريخ ، فى أسلوب طريف خفيف يحمل الناس على الاستماع إليه والانتفاع به ، والمحطة تقصد بهذا تثقيف المستمعين وتزويد الذين لم يطلعوا على التراث العربى بذلك الزاد الخفيف ، وهو لا شك قصد حسن تشكر عليه ، ولكن الخطر كل الخطر هو ما تتضمنه تلك البرامج من الأخطاء الشنيعة فى التاريخ والأدب ، وتحريف الوقائع والروايات ، فإن ذلك يعكس القصد الذى تهدف إليه محطة الإذاعة بتقديم هذه البرامج ، فتكون طريقاً إلى الجهل باسم العلم

استمعت منذ ليال إلى برنامج قدمته المحطة عن الشاعر العالم أبى اسماعيل حسين بن على الطغرائى الاصبهانى ، فلو أردت أن أنبه على ما وقع فى ذلك من أخطاء تاريخية وتحريف للوقائع لاحتاج ذلك إلى صفحات من الرسالة .

فلعل المسئولين فى محطة الإذاعة يعنون باستدراك هذا الأمر ، وإذا كان ذلك مما يشق عليهم فمن السهل أن يؤلفوا لجنة علمية أدبية لمراجعة هذه البرامج حتى تخرج سليمة من كل تحريف خالية من تلك الأخطاء التى لا تحتمل ..

دعوة منهزمة !! :

إنه لشىء طريف ، وما أكثر الأشياء الطريفة فى هذه الأيام !!

قالوا إن بعض المتخرجين فى الجامعة وأساتذتها الشبان قد ألفوا من بينهم جمعية أسموها جمعية أنصار اللغة العامية ! وغايتها الدعوة لهذه اللغة باعتبارها لغة الأدب القوى فى مصر الحديثة .. ويبرر أعضاء هذه الجمعية دعوتهم بأن الشرق العربى يمر بالمرحلة التى مرت بها أوروبا فى عصر النهضة حينما تطورت اللهجات الشعبية إلى اللغات الأوروبية الحديثة متفرعة كلها عن أصل واحد وهو اللغة اللاتينية !!

فاقرأ يا أخى وتحسر على هذا الثمر الذى أثمرته لنا الجامعة ، وعلى هذا التفكير الذى يتحدر من وراء المقول . عقول الشباب المثقف الذى يقال إنه عماد التقدم والنهوض . .

أنا رجل لا أحب أن أخلط مسائل العلم ونظريات الأدب بغيرها من الاتجاهات الأخرى ، الاتجاهات التى تتصل بالأغراض والمآرب ، ولكنى أحب أن أسأل سؤالا خفيفاً : لماذا ترتفع الأصوات بالدعوة إلى العامية فى هذه الأيام التى ندعوا فيها للجامعة العربية وتوثيق الروابط بين أبناء العروبة وحجتنا فى ذلك أن لغتنا واحدة وتقاليدنا واحدة وقوميتنا واحدة …

إننى أسأل هذا السؤال ، وإنى لأضع يدى على شىء فى هذا المجال ، ولكنى لا أحب أن أصرح به ، ورجائى ألا يضطرنى القائمون بهذه الدعوة المريبة المتهمة إلى التصريح والإفصاح …

على أن أدع هذه الناحية جانباً ، وأسأل أولئك «الجامعيين» : ما تلك العامية التى يريدونها لغة قومية لمصر ؟ وفى مصر عشرات من اللهجات العامية التى لا تلتقى فى كثير من الأحيان ، حتى إنه ليصعب على أبناء الوجه البحرى التفاهم مع أبناء مصر العليا ، ثم ماذا يصنعون فى رسم الكلمات ونطق الحروف ونحن نجد مثلا حرف « القاف » ينطقه أبناء الصعيد جيما ، وأبناء بعض المديريات الشمالية «قافا» ، وفى بعض المديريات الأخرى « كافاً » وفى القاهرة والمدن ينطقونه « همزة » ؟ !

ومن يدرى ؟ لعل وراء هذه الدعوة دعوة أخرى ، ولعل « الجامعيون » يطلعون علينا بعد ذلك بالدعوة إلى استقلال كل مديرية من مديريات مصر بعاميتها وبقوميتها . . ألم أقل لك إنه شىء طريف ! !

الجامعات فى سائر بلاد العالم تخرج شباباً مثقفاً مهذباً يعمل لتثقيف العقول وتنوير الأذهان والسمو بها إلى أعلى ، وجامعتنا تخرج شباناً ينحدرون من أعلى إلى أسفل ، ويودون بجدع الأنف أن لو استطاعوا السير فى الطريق على رءوسهم وأقدامهم إلى السماء ليوجهوا إليهم الأنظار …

حافظ . . ومكبث :

قال صديقنا الأستاذ دريني خشبة فى مقال كتبه عن شوقى والمسرح فى مجلة « الكتاب » .

« … وكانت لحافظ إبراهيم بدوات يحن فيها إلى المسرح وتشف عما كان يتمناه من استطاعة النظم له . وإلا فما الذى أغراه مثلا بترجمة تلك القطعة الرائعة من نظم شكسبير ، والتى يخاطب فيها مكبث خنجره قبل أن يغتال ابن عمه دنكان ، والتى يقول فى مطلعها :

كأنى أرى فى الليل نصلا مجرداً ... يطير بكاتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية ... ففيه خفوت نارة وقرار

وهى ترجمة جيدة تدل على حسن فهم حافظ لروح شكسبير . »

والحق أن حافظاً لم ينظم هذه المقطوعة المتداولة فى وصف خنجر مكبث فحسب ، بل إنه ترجم الرواية جميعها ، ترجمها نثراً وشعراً ، وبذل فى ذلك مجهوداً كبيراً ، وكان يعدها للتمثيل ، ولكنها فقدت منه ، وقد ظل حافظ رحمه الله يتحسر عليها إلى آخر حياته . .

ومما يذكر أن المرحوم سليم سركيس نشر صفحات من هذه الترجمة فى مجلته التى كان يصدرها باسم «سركيس» ، وقد كتب فى العدد الذى صدر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٠٦ يقول : « عرب حافظ إبراهيم الشاعر الكبير رواية ما كبث مكلفاً بذلك من الشيخ سلامة حجازى ليمثلها جوقه ، فاخترت أن أكون السابق إلى نشر شذرات من التعريب دلالة على إجادة المعرب وبياناً للغة هذه الرواية التى ستكون أفضل الروايات المصرية لغة » … ثم أورد بعد ذلك نحو صفحتين من ذلك التعريب .

وقد عنيت من قديم بجمع كل ما نشر من الشذرات من تلك الترجمة التى تعد أروع آثار حافظ الأدبية ، ولعلى أستطيع فى فرصة قريبة أن أقدمها إلى قراء الرسالة …

ومما يذكر بهذه المناسبة أن الشاعر الكبير خليل مطران بك قد ترجم رواية مكبث وستمثلها الفرقة المصرية فى هذا الموسم ولا شك أن شاعر القطرين قد عوض الأدب العربى بهذه الترجمة ما خسره بضياع ترجمة حافظ . .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الأديب بين العزوبة والزواج :

كتب الأستاذ سلامة موسى مقالا في جريدة النداء ، عنوانه « الأديب الأعزب والأديب المتزوج — أيهما أخدم للأدب وأخلص للمجتمع ؟ » بدأه بقوله « بين الأدباء كثيرون تزوجوا و كثير منهم التزموا العزوبة . ولم يقم أحد بإحصاء إلى الآن يبين فيه الفرق بين الأديب الأعزب وبين الأديب المتزوج من حيث إخلاصهما للمجتمع وخدمتهما للأدب . مع أن هذا البحث جدير بأن يهدينا في باب الزواج وباب الأدب معا » وختم المقال بالنتيجة التي رمى إليها فقال : « ولكننا نريد أن نثبت هنا بوجه عام أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج » وقد خلص إلى هذه ، النتيجة من حيث ما ارتآه من أن الحرية التي يحتاج الأديب إليها قبل كل شيء لا تتوافر للمتزوج لأنه يعيش بعقلية عائلية تقيده فلا يستطيع أن يعالج مشكلات المجتمع معالجة قد تصطدم بشعائره الاجتماعية أو عقائده المذهبية ، وأن الزوجة عامل محافظ تكره أن تشذ عن القالب الاجتماعي وهي تفكر في زواج بناتها ولذلك تصوغهن في القالب الذي يطلبه الناس ، فهي تمنع زوجها أن يشذ أو يتطرف ، إلى أن قال : « وفي مثل العصر الذي نعيش فيه ، حيث تتغير الأوزان والقيم الاجتماعية ، يحتاج الأديب إلى الحرية حتى يفكر مخلصاً ويكتب مخلصاً ، فإن كان أعزب استطاع ذلك . أما إذا كان متزوجاً فإنه يلتزم الصمت حيث يجب النطق ويرضى بالقيود حين يحتاج الحرية ويمتدح التقاليد التي يدرك مدى خطرها » .

ويبدو بعض الذي ذكره الأستاذ سلامة صحيحا كمحافظة الزوجة واندماجها في المجتمع وما عساها أن تجذب زوجها الأديب إليه من التقيد ومسايرة الأوضاع السيئة ، ولكني لا أرى ذلك موصلا إلى ما أراد أن يثبته من أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج ، ولا إلى ما قال به من أن الأديب المتزوج يستحيل عليه أن يكون مبتدعا فذا كما يكون العزب . لأن المسألة هي شخصية الأديب وأصالة طبعه وإيمانه بفنه واندفاعه إلى أهدافه ، فإذا كانت هذه صفاته فلن تستطيع الزوجة ولا « الرغبة في زواج بناته ! » أن تقيد حريته فتحول دون إبداء ما يراه ، والأستاذ سلامه نفسه مثل لذلك فهو متزوج وصاحب عيال وهو مع هذا يشذ ويتطرف . .

وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التي نظر إليه منها وهي التطرف في مهاجمة المجتمع ونظمه . ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذا مبتدعا إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به .

إن حياة الأديب المتزوج تزخر بألوان من العواطف والتجارب لا يعرفها العزب ، وخاصة إذا كان ذا أولاد ، ولا أعتقد أن في الدنيا عاطفة أقوى من عاطفة الأبوة (والأمومة) فهو يصورها ويقبس منها طاقات روحيـة ينبمث بها في كل ما يكتب ، فيبدع .

والمتزوج رجل عينه ملأى . . فهو أقدر على فهم الجمال ، ومقاييسه فيه أدق من مقاييس العزب الذي يخدعه حرمانه . .

على أن الأهم من كل ذلك أن الأديب لابد له من المرأة لا لأنه رجل فحسب بل كذلك لأنه فنان يتميز بخصب الوجدان ، فهو إما يتزوجها ، أو يخدعها ، أو تكون من سواقط الحي . . والأولى أقرب الثلاث إلى شعوره والتغلغل في حياته والمشاركة في تبعاته ، وكثيراً ما تتعهده وتحفزه .

هذا ولو نظرنا إلى الموضوع من الوجهة الإحصائية كما أراد الكاتب في أول مقاله ، لوجدنا أدباءنا المعروفين عدا قليل منهم متزوجين ، وفي جلهم من كان معرضاً عن الزواج ثم تزوج ، وفي هؤلاء المتزوجين من ينقد المجتمع ويكتب في السياسة ، ويعنف في نقده وفي كتابته ، غير حاسب أي حساب لسخط المجتمع ، أو لجور السياسة ، أو ... لبوار بناته .. ! ولم يحق عليه شيء من ذلك .

كراسي خالية في المجمع اللغوي :

خلا في مجمع فؤاد الأول للغة العربية أربعة كراسي بوفاة الشيخ أحمد إبراهيم بك وعلي إبراهيم باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والأب انستاس ماري الكرملي

وينشط المجمع الآن — وقد استهل دورته الحالية — فى العمل لشغل هذه الكراسى .

قلت لمحدثى : لعلهم يتجهون فى اختيار هؤلاء الأربعة إلى استكمال عناصر تعوز المجمع . قال : إن المجمع لا تعوزه عناصر ولا كفايات ، والعجيب أنه يؤثر الاتئاد والتباطؤ ، أو إن شئت فقل التكاسل ، فى العمل مع أن كثيرين من أعضائه لهم نشاط أدبى خارجى عجيب ! وحسبك أن تعلم أنه يشتمل على كبار الأدباء فى مصر ولم يبق بعيدا عنه منهم إلا المازنى والزيات .

قلت : ليتهم يختارون له دما جديدا من الشباب الناضجين ، أم تراهم يستكثرون على الشباب أن يكونوا من أعضاء المجمع اللغوى الخالدين فيه أبدا ...

زينب :

قلت فى كلمة سابقة إن علية بنت المهدى كانت تقول الشعر فى غلام يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب ، ومن قولها فيه :

وجد الفؤاد بزينبا   وجدا شديداً متعبا
أصبحت من كلفى بها   أدعى سقيما منصبا
ولقد كنيت عن اسمها   عمداً لكى لا تغضبا
وجعلت زينب سترة   وكتمت أمراً محجبا

فكتبت الأديبة النابهة فدوى عبد الفتاح طوقان فى العدد الماضى من الرسالة ، تقول إن الأبيات لابن رهيمة المدنى وليست لعلية ، وأوردت ما عقب به أبو الفرج على الأبيات بعد أن رواها عن ميمون بن هرون منسوبة إلى علية إذ قال : « هكذا ذكر ميمون بن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجى ، ولم يحصل ما رواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدنى والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحنا » ثم قالت الآنسة فدوى إن زيانب يونس سبع قطع من شعر ابن رهيمة كان يقولها فى زينب بنت عكرمة .

وكنت قد قرأت تعقيب أبى الفرج الذى أوردته الآنسة ، فلم أره يتسق مع مضمون الأبيات ، لأن ابن رهيمة يتغزل فى « زينب » وهو اسم حبيبته الصريح فلم يكن ولم يجعل زينب سترة ، ومن قوله فى إحدى زيانبه السبع :

إنما زينب همى   بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـ   ـنى ولكنى أسمى

وروى أبو الفرج عن راو آخر ، هو عبيد الله بن العباس الربيعى ، قوله : لما علم من علية أنها تكنى عن رشأ بزينب قالت :

القلب مشتاق إلى ريب   يا رب ما هذا من العيب
قد تيمت قلبى فلم أستطع   إلا البكا يا عالم الغيب
خبأت فى شعرى اسم الذى   أردته كالخبء فى الجيب

وقال أبو الفرج « فصحفت اسمها فى ريب » .

فنحن الآن أمام أبيات ، يقول صاحبها إنه يخفى اسم محبوبه ويستره ويكنى عنه ، وعلية هى التى كانت تصنع ذلك واشتهرت به حتى اضطرت إلى التحول عن « زينب » إلى « ريب » وقد نسب الرواة إليها الأبيات ، وكذلك فعل الحصرى فى كتابه « زهر الآداب » إذ قال بالجزء الأول فى علية : « وعلقت بغلام اسمه رشأ وفيه تقول :

أضحى الفؤاد بزينبا   صبا كئيباً متعبا
فجعلت زينب سترة   وكتمت أمراً معجبا »

فكيف تكون الأبيات بعد ذلك لابن رهيمة واسم صاحبته زينب؟ أيكنى بزينب عن زينب ويسترها بها ؟ !

وما أظن ذلك قد غاب عن فطنة الآنسة فدوى ، ولكنها — فيما يبدو لى — وقعت فيما وقعتُ فيه من حيرة فى اضطراب أبى الفرج ، فأرادت أن تعرف ما أقول فيه . وقد قلت .

الأدب والسينما :

كان مساء الجمعة موعدا للمناظرة التى قامت بنادى الخريجين المصرى فى موضوع « إخراج روائع الفكر على الشاشة متمم لقيمتها الفنية » وقد أيد الرأى الأستاذان كامل شكرى ومصطفى حبيب ، وعارضه الأستاذان يحيى نصار وعلى الراعى .

ومما قاله المؤيدان أن السينما فن له خطره فى قيادة الجماهير وتوجيهها . وقد اجتاز أو أوشك أن يجتاز المرحلة التى كان فيها كل الغرض منه الاتجار وإدرار المال بتقديم ما يسلى دون أن ينفع ، وذلك بفضل الجمهور الذى استنار وطالب بغذاء فكرى

في منتجات السينما ، فاضطر المخرجون والمنتجون أن يستجيبوا له فقدموا له ما كتبه الأدباء من القصص القيمة ، وأخرجوها من الحيز المحدود إلى عالم أوسع . ولا يستطيع فن السينما أن يقوم ويواجه الجمهور المستنير إلا على جهود الكتاب الذين يعالجون في رواياتهم مشكلات المجتمع ويصورون آلام الناس وآمالهم ، ولا تستطيع السينما أن تعيش طويلا على ما يقدمه لها من لا حظ لهم من علم أو أدب أو فن .

وفن السينما يتمم قيمة الأدب بتجسيم ما يرمى إليه الأديب وتحريك أشخاصه وتوضيح الغامض من فكرته ، وقد يركز الهدف المبسوط في صفحات — في منظر واحد . وهو بعد هذا يتمم رسالته بتبسيطها وتقريبها وتسهيل هضمها ، وبنشرها في جموع رواد السينما الذين هم أكثر من قراء الأدب ، وبذلك تصبح السينما أداة نشر للأدب بعيدة المدى عظيمة الأثر .

وذهب معارضا الرأى إلى أن الأدب والسينما فنان يختلف أحدهما عن الآخر ، فالأدب يوحي إلى كل قارىء من قرائه انفرادى بمشاعر مختلفة ويؤثر فيهم تأثيرات متباينة ، وعندما يعمد إليه المخرج يستمد تأثيره الخاص ويصبه في قالبه السينمائى فتتأثر به الجموع المشاهدة تأثيراً واحداً ؛ والأدب أداته الأسلوب والألفاظ ، أما السينما فتعتمد على الصور والحركات والحوار ، فالرواية حين تنتقل إلى السينما تصبح شيئاً اخر غير الأدب . والسينما تتطلب من مشاهدها المتابعة السريعة ، وهذا يقتضى ألا تحتاج مادتها إلى تأمل وإمعان فكر على خلاف الأدب الذي يتيح التأمل والتفكير لقارئه ، بل هو يدعوه إليهما بما فيه من تعمق وبعد غور . والسينما لا تكفى طالب الأدب بل هو بعد أن يشاهد القصة على الشاشة يتشوق إلى قراءتها ليجد فيها ما لم يؤده إليه عرض السينما .

وعلى ذلك فالسينما فن قائم بذاته مغاير للأدب ، ومغاير الشيء لا يتممه .

وبعد أن رد المؤيدون على ذلك وبينوا أن هذه اعتبارات نظرية تقوم على مغالطات يدركها المتأمل — أخذ رأى الحاضرين في الموضوع ، فأيد الرأى الأكثرون .

قيود العملة ونشر الثقافة :

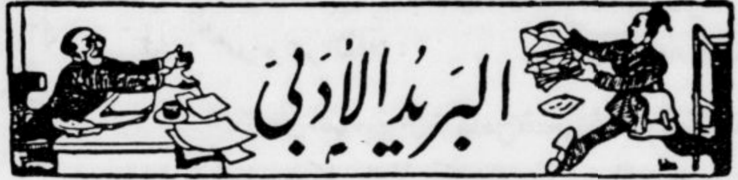
نشرت إحدى الصحف أن فريقا من منتجي الأفلام السينمائية في مصر وأصحاب شركات السينما شكوا إلى وزارات المالية والتجارة والخارجية من الصعوبات التي يلاقونها في استيراد الأموال المستحقة لهم من البلاد الشرقية ثمنا للأفلام التي ترسل من مصر إلى تلك البلاد نظرا للقيود المفروضة على إخراج العملة في تلك البلاد إلى الخارج . وقد عنيت وزارة المالية ببحث هذا الموضوع ودراسته، فاستقر الرأى على أن تتولى وزارة الخارجية مخابرة حكومات تلك البلاد في تيسير إخراج العملة من بلادها ثمنا لما يرسل إليها من الأفلام المصرية رغبة في نشر الثقافة عن هذا الطريق . وقد أرسلت وزارة المالية فعلا إلى وزارة الخارجية نص كتاب بهذا الشأن لتوجهه إلى حكومات بعض البلاد الشرقية لتحقيق ذلك.

والواقع أن المؤلفين في مصر ودور النشر يشكون هذه الشكوى ، لأنهم يجدون صعوبة في إصدار المؤلفات إلى البلاد الشقيقة لتلك الأسباب ، والواقع كذلك أن أزمة إصدار المؤلفات المصرية إلى خارج القطر أقدم من قيود العملة ، فقد بدأت هذه الأزمة من سنى الحرب التي قل فيها الورق ، فلم يصرح إلا بتصدير ثلاثين في المائة من عدد نسخ الكتاب المقدر بما يمنح المؤلف من الورق ، مما مكن لبعض الشقيقات من النشاط في إصدار مؤلفاتها .

ولم تكد ترفع قيود التصدير حتى جاءت قيود العملة فأصبحت زعامة مصر الأدبية مهددة ، بل هُدد التعاون الثقافي بين البلاد العربية ، وكاد يقف انتشار الثقافة العربية في أرجاء الوطن العربي الأكبر .

ولا شك أن هذا الأمر يدخل في اختصاص اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، كما يعنى وزارة المعارف المصرية التي تهتم بالتعاون الثقافي العربي . ولابد أنهما عندما تلتفتان إليه ستبذلان له عنايتهما بالاشتراك مع وزارتي المالية والخارجية ، وإنه لجدير بعناية الجميع وإذا كان قد عنى بمسألة الأفلام رغبة في نشر الثقافة عن طريقها فإن الكتب هي الأداة الأصيلة لنشر الثقافة .

« العباس »



القرقور في القاموس :

أخرج السيد (البر الريحاني) شقيق (الفيلسوف أمين الريحاني) في هذه الأيام للقارئين كتاباً كبيراً ، اسمه (قلب لبنان) من إنشاء أخيه ، وقد جاء فيه (ص ٥٢٢) :

« وهاك مثالا من مباحث (برار)[١] التاريخية : بين الجزائر السبع اليونانية جزيرة فقدت اسمها القديم واسمها الأقدم السامي . أما اسمها اليوم فهو (كرفو) . أما اسمها القديم فهو (كركير) وهو غير يوناني . وأن له قصة طريفة جاءت في الأدوسي .

يوم كان عولس عائداً إلى اثيكا نقم عليه اله البحر ، فحول مركبه إلى صخرة عند الشاطيء ، فسميت الجزيرة باسم ذلك المركب تذكاراً للحادث المفجع .

ثم قال العلامة برار أن معنى كركيرا المركب السريع ، وإن الاسم فنيقي سامي . (فقد كان العرب . يسمون المركب السريع كركر أو كركور .) »

قال الفيلسوف : إنه رجع إلى الفيروزبادي فصل الكاف باب الراء وفصل القاف باب الراء فلم يجد لا كركورا ولا قرقورا . وقد كان الفيلسوف العبقري (الأمين) في هذا القول من المتسرعين وإن كان خطب تسرعه يسيراً هيناً بالقياس إلى تسرع كثير من نظرائه من الفلاسفة والأئمة . يقول الإمام ابن السيد البطليوسي[٢] في كتابه (الاقتضاب في شرح لا لأدب الكاتب[٣]) ناعياً على الإمام الأصمعي تسرعه (ص ١٤١) : « كان الأصمعي (عفا الله عنه) يتسرع إلى تخطئة الناس ، وينكر أشياء كلها صحيح » . « وقد يكون مع المستعجل الزلل » كما يقول القطامي .

(١) في كتابه Le resurrection d' Homére

(٢) ابن خلكان : السيد بكسر السين وسكون الياء ، وهو من جملة أسماء الذئب سمي به الرجل ، والبطليوسي بفتح الباء والطاء وسكون اللام وفتح الياء .

(٣) لابن قتيبة وهذا هو اسمه لا (أدب الكاتب) .

إن (القرقور) هو في (القاموس) واليقين أن العلامة برار إنما عنى هذه اللفظة ، وقد قال (كركير أو كركور) إذ لا قاف في ألسن الفرنج ولا ضاض ولا عين ، ولو سمع (أبو مهدية)[١] حديث القوم لتعجب كيف يلغو هؤلاء الناس ، كيف يحكون وقد خلا لحنهم أو لسنهم أو حكايتهم[٢] من أمثال هذه الحروف .

وهذا قول مجد الدين في مصنفه (القاموس) : « والقرقور كعصفور السفينة أو الطويلة أو العظيمة » قال شارحه صاحب (التاج) : « والجمع القراقير ، ومنه قول النابغة : (قراقير النبيط على التلال) ، وفي الحديث : فإذا دخل أهل الجنة الجنة ركب شهداء البحر في قراقير من در » . وإذا شك في الحديث — وقد نقله (التاج) من (النهاية) — فلا ريب في صحة ألفاظه في اللغة . وروى أبو علي في (أماليه) ج ١ ص٢٧٩ مقطوعة مستطرفة لعبد الصمد بن المعذل في هجاء ابن أخيه . وردت تلك اللفظة في مطلعها :

لو كان يعطى النهى الأعمام في ابن أخ
أصبحت في جوف قرقور إلى الصين

وقال الهاجي في ختامها :

إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخي[٣]
إذا رأتك على مثل السكاكين

فمندنا — كما ترى — (القرقور) وهذه اللفظة وغيرها هي من الأدلة على أن العربية والنيقية - والفنيقية بنت العربية — كانتا تعطيان الأغريقية كما كانتا تأخذان منها ، وشيخنا يقول:

(١) أعرابي ، له أخبار مستملحة ..

(٢) اللحن : اللغة ، روى اللسان والتاج :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل (وبيت الله ، لسنا نشاكله)
وفي الأساس : « وعن أبي مهدية . ليس هذا من لحني ولا من لحن قومي أي من نحوي ومذهبي الذي أميل إليه وأتكلم به ، يعني لغته ولسنه . وتقول العرب : هذه حكايتنا أي لغتنا . ولكل قوم لسن أي لغة » .
وفي الميمية العبقرية المتنبية :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

قال تفهم كما قال غيره من قبله

(٣) ألف (ابن) لا أرى حذفها هنا .

« والناس بالناس من حضر وبادية » فلكل على كل يد[1] ، ولن يستبد بالفضل كله فى هذه الدنيا مستبد . وما احتفلنا بتلك الكلمة وحرصنا عليها لتكتب فى الصحف أوتقال لكن اهتممنا بها للتاريخ ، وسيمكث (القرقور) فى (القاموس) أو فى الميناء مرسى بالأنجر[2] لا يغدو ولا يروح ، فلا نقول فى وقت : باسم الله مجراه بل باسم الله مرساه ... والعربية — يا أخا العرب — بحر ، فلا تعدم اللفظ الفصيح المأنوس القرآنى .

« السهمى »

تعليق على كلمة :

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء مقالا للدكتور عبد الوهاب عزام بك فى العدد ٧٤٨ وقد لفت نظرى فى أثناء المقال استعماله كلمة « اطأدت » جاء بها خلال تحدثه عن ضريح « همايون » فى الهند بقوله : « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة .. الخ » وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد الصرفية لأن ثلاثيها « وطد » وصوغ «افتعل» منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا ، وزيادة للايضاح أذكر ما كتبه صاحب « المثل السائر » فى أوائل كتابه المذكورعن هذه الكلمة التى جاءت فى شعر أبى تمام ، قال صاحب المثل السائر : وقد غلط أبو تمام فى قوله :

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطول

إلا ترى أنه قال : اطأدت والصواب اتطدت لأن التاء تبدل من الواو فى موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت : أتعد ومثله ما ورد فى هذا البيت فإنه من وطد يطد ولا يقال اطأد .

وأما غير المقيس فقولهم : تجاه ، من وجاه ، وتكلان ، من وكل فابدلت الواو تاء للاستحسان ... هذا نص ما قاله ابن الأثير الموصلى فى المثل السائر صفحة ٧ ، ولعل للدكتور عزام حجة تفند زعم الموصلى ليصح قول أبى تمام فيصح قول الدكتور نفسه .

ابراهيم الوائلى

(١) فى (اللسان) : قال ابن شميل : له على يد ، ولا يقولون له عندى يد . وفى الأساس : لفلان عندى يد (قلت) كلاهما أمام فأنت على التخير ، تخير ما شئت .

(٢) فى (المعرب) للجواليقى : انجر فارسى معرب وفى القاموس الأنجر مرساة السفينة خشبات يفرغ بينهما الرصاص إذا رست رست السفينة ، معرب لنكر (قلت) الانجر مذكر لا مؤنث كما جاء فى معجمات عصرية ، وكذلك الميناء وهو يمد ويقصر ، وأول من نبه على هذه اللفظة أعنى الميناء وهو الشيخ ابراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء)

حول خبر في النجوم الزاهرة :

إلى الصديق الأستاذ المؤرخ أحمد رمزى بك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . جاء فى الجزء السابع من « النجوم الزاهرة » ص ١٢٦ سطر ١٦ .

قول مؤلفه أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى حين يتحدث عن قضاة الشافعية بمصر : (وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى وزوج كريمتى ومات عنها رحمهما الله تعالى وعفا عنهما) وفى هذا الكلام نظر لأن القاضى جلال الدين هذا توفى سنة ٨٢٤ هجرية ، والمؤلف ابن تغرى بردى ولد سنة ٨١٣ هـ على حسب قوله هو فى ترجمته لنفسه . فكيف ينجب بنتاً تتزوج بالقاضى جلال الدين ويموت عنها وجها سنة ٨٢٤هـ؟ أتكفى هذه السنوات الإحدى عشرة لكى يبلغ الأب الحلم ثم يتزوج فينجب ثم تبلغ بنته سن الزواج ؟

لقد ظننت — توقيا للاستحالة العقلية والطبيعية فى هذا الخبر أن بالنجوم خطأ فى هذا الموضع ؛ وأن القاضى جلال الدين لا بد أن يكون صهرا لصاحب النجوم الزاهرة ولكن فى غير كريمته .

ورجعت إلى كتب التراجم فوجدت فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلى جزء ٧ ص ٣١٧ أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت مؤلف النجوم وهو الذى تولى تربيته . ووجدت فى « الضوء اللامع للسخاوى » ما يفيد أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت المؤلف بعد وفاة زوجها الأول الناصرى بن المديم القاضى ..

ألا ترى معى أيها الصديق الكريم أن الخطأ فى كتاب « كالنجوم الزاهرة » يجب أن يصاح حتى لا يضل الباحث ويضطرب . ثم ألا ترى معى أن رواية الشعر فى «النجوم الزاهرة» لا تزال مضطربة ، وأن همة « الدار » أكبر من أن يشق عليها التحرى والتوفيق ؟؟

محمد عبد الغنى حسن

من خبر الجامعة :

جاءنا أن قسم اللغة العربية فى كلية الآداب عقد اجتماعاً برياسة الأستاذ أمين الخولى ، وبناء على اقتراحه تقرر (بمخالفة الأستاذين الشايب وشوقى ضيف) إسناد تدريس علوم القرآن إلى صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن . وعلمنا أنها قد اتصلت ببعض الهيئات الإسلامية على أثر ذيوع هذا الخبر بالعميد الدكتور عزام بك ، وفهمت منه أن صاحب هذه الرسالة سيخرج من الجامعة حتماً .



قصة تاريخية :

القائد المفقود

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

[إلى الذين يحسبون أن المفاوضات السياسية والمداولات الدبلوماسية ستنقذ فلسطين من محنتها ...]

كانت آخر خفقة فى السراج الذى ظل سبعة قرون يضىء أرجاء الدنيا ... فقد استطاع الملك فرننادو فى غفلة من ملوك العرب بالأندلس أن يتخطف ملكهم الواسع قطعة قطعة ، وأن يطوح بهم من عرش الملك واحداً إثر واحد ، وكان فى الجولة الأخيرة قد استولى على وادى آش والمرية وبازة وغيرها من الأقاليم ، ثم أرسل بجيوشه الجرارة للاستيلاء على غرناطة وكانت هى كل ما بقى للعرب من ذلك المجد الباذخ الذى بناه آباؤهم بالشجاعة والسيف ، فأضاعوه هم بالجبن والخوف ..

واجتاحت تلك الجيوش الجرارة فى يوم وليلة أراضى غرناطة واستولت على مشارفها ، ثم وقفت بأبواب المدينة العظيمة فطوقتها من كل جانب وضربت عليها حصاراً خانقاً حتى تسلم أو تموت جوعاً ، وكان يتولى الدفاع عن المدينة القائد العربى العظيم موسى ابن أبى الغازن ، فلم يهن ولم يجزع أمام تلك القوة الساحقة ، بل وقف يحشد كل ما يملك من شجاعة وحكمة وحيلة لذلك الموقف الرهيب ، فوزع قوات الدفاع على أسوار المدينة ، وجند الشبان الفدائيين للتسلل بين ثغرات الحصار وجلب المؤن للسكان ، ووضع نظاماً لتوزيع الطعام حتى يستطيع السكان أن يثبتوا أطول ما يمكن من الزمن . وكانت لا تفتر لهذا القائد المجاهد عزيمة ، فكان لا يرى فى الليل وفى النهار إلا واقفاً يشد من عزائم جيشه وبنى قومه . أو مشتبكا مع الأعداء فى مناشات عنيفة تقعقع فيها السيوف وتجرى الدماء . .

طال الأمر بهذه الحال الرهيبة ، وظلت غرناطة ترزح تحت الحصار الخانق سبعة أشهر حتى نفد منها الطعام، وأخذ الجوع يتهدد الأهالى بالفناء الساحق والدمار الماحق ، ورأى أبو عبدالله الملك أنه لا أمل فى النصر ، وأنه ليس فى طاقة السكان أن يتحملوا أكثر مما احتملوا ، فجمع الوزراء والقواد وأهل الشورى وأخذوا يدبرون للخروج من هذه الشدة ، فأجمعوا على أن الأمر أصبح لا يطاق ، وأن التمادى فى الدفاع لا يجدى بعد أن أخذ السكان يتساقطون إعياء وجوعاً ، وأن الحكمة تقضى بالتماس طريق آخر للخروج من هذا الكرب ، ثم اتفقوا على أن خير الطرق فى ذلك هى أن يفاوضوا الملك فرننادو على وضع يحتمل وشروط للصلح يمكن أداؤها . .

فانتفض القائد موسى فى مكانه ونهض قائلا : ما هذا الذى أنتم فيه أيها القوم ؟! وما هذا الرأى الذى ترون !! أجل ! إن الجوع يعضنا بنابه الأزرق ، وإنه يودى بفلذات أكبادنا ، ولكن فى شرعة الكرامة لا يزال لدينا الكثير ! إننا لم نأكل القطط والكلاب والعشب والحطب بعد ، وإن الجوع فى أسوأ حال أشرف وأكرم من الاستعباد على أى حال ، إن الحر يحتمل أن يرى أطفاله وعشيرته يموتون جوعاً ، وأن يواريهم التراب بيده ثم لا يذرف عليهم دمعة واحدة ، ولكنه لا يحتمل أبداً أن يرى أبناءه وعشيرته أرقاء للغاصبين ، وأن يرى زوجاته وبناته نهباً للفاتحين، وأن يرى نفسه غريباً طريداً فى مرتع طفولته وصباه وموطن شبابه وشيخوخته ، فاللهم لا تدمنى حتى أعانى تلك الحال .

فعاد القوم يتشاورون ، ولكنهم عادوا فأجمعوا على ما كانوا فيه ، وقال قائلهم : إننا إذا دخلنا فى مفاوضة مع الملك فرننادو وجرينا معه على طريقة التفاهم والمودة فإنه لا يشق علينا ، لأننا أصبحنا بإزائه لا نملك حولا ولا قوة ، وإنما حاجته إلى الملك لا إلى ظلم الناس والقسوة عليهم . فلنرسل إليه رسولا يفاوضه على شروط التسليم ولننظر ما يأتى به الرسول ..

قال موسى: كيف تقولون إننا لا نملك حولا ولا قوة ؟! كلا : إننا نملك الموت فى سبيل الشرف ، وما هذه المفاوضة التى تريدونها إلا إظهار للضعف ودعوة إلى التخاذل وإعلان للتسليم والاستسلام وثقوا أنكم لن تسمعوا فى هذه المفاوضة من الملك فرننادو إلا كلمة القوى للضعيف ..

ضاعت كلمات القائد موسى صرخة فى واد ونفخة فى رماد ، وما كان يستطيع أن يحرك النفوس الهامدة وأن ينفخ الحياة فى الأموات ، فتركه القوم لحماسته ، وانصرفوا إلى ما اتفقوا عليه من الرأى ، فارسلوا بالوزير أبى القاسم عبد الملك إلى مفاوضة الملك فرننادو فى الصلح والتفاهم معه على الشروط التى يريدها ، فما علم الملك بقدومه لهذه الغاية حتى رحب به أجمل ترحيب وأحاطه بالحفاوة والإكرام، ووكل إلى وزيره أمر المفاوضة مع الوزير العربى وكان أن أملى القوى شروطه على الضعيف ... ثم عاد أبو القاسم يحمل إلى قومه معاهدة كثيرة البنود طويلة الشروح والتفاصيل، تنص فى أول بنودها على تسليم غرناطة وإطلاق الأسرى الأسبان المعتقلين فيها ، وأن يقسم الملك أبو عبد الله ورجال دولته يمين الطاعة والاخلاص للملك فرننادو ، وأن يقطع له بعض الأراضى ليقضى فيها بقية حياته ، وأن يؤمن المسلمون على أموالهم وعباداتهم وعاداتهم ، وألا يؤخذ منهم من الأموال والضرائب إلا ما كانوا يدفعونه لملوكهم ، وإمهال الملك أبى عبد الله للتفكير فى قبول هذه الشروط ستين يوماً تبتدىء من تاريخ تحرير هذه المعاهدة فى الخامس من نوفمبر سنة ١٤٩١م الموافق الثانى والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ

رجع الوزير أبو القاسم يحمل هذه المعاهدة إلى قومه ، فدعا الملك أبو عبد الله الوزراء والرؤساء والفقهاء وأهل الرأى ليشاورهم فيها ، فلما وقفوا على مضمونها غامت الدنيا فى وجوههم وأجهشوا بالبكاء ، ورأوا أنه لا حيلة لهم إلا التسليم والأذعان ، إلا القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه صاح فيهم قائلا : « وآسفاه ، أنتم تبكون أيها الرجال ، إذن فالويل للنساء والأطفال ، لقد حذرتكم فما سمعتم . وأنذرتكم فما أصختم، وإنكم لتسمعون من الملك فرننادو كلمة القوى للضعيف ، وهى كلمة لا يتبدل مدلولها فى إرادة الأقوياء ، ولا يتغير أثرها فى إذعان الضعفاء ، وها أنتم أولاء أيها السادة ترون أنفسكم وقد أصبحتم بهذا الأذعان أرقاء أذلاء ، ففى الغد تبصرون الغاصبين يدخلون بيوتكم ، ويستبيحون حرماتكم ، ويمطلون شعائركم ، ويتخطفون أقواتكم ، ويتحكمون فى رقابكم ، فلماذا ترهبون الموت والموت أهون مما سيصيبكم ، وأشرف مما سيحل بكم ، إن من الشرف أن نواجه الموت اختياراً قبل أن نرغم عليه إرغاماً ، وإن من الكرامة أن ندافع العدو حتى آخر قطرة من دمائنا وحتى نبيد عن آخرنا ...

***

إذا ما أفعم اليأس النفوس صمت الآذان وماتت العزائم .. وهكذا ضاع كلام القائد موسى هباء فلم يحرك من القوم ساكناً، فأذعنوا لما فرضه عليهم الملك فرننادو من الشروط ، ووافقهم الملك أبو عبد الله على ذلك إيثاراً للسلامة فى ملك طرد منه بعد قليل شر طردة .. أما القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه أبى أن يستسلم وأن يذعن . . . فقصد من فوره إلى داره وتقلد سلاحه ولبس دروعه وامتطى جواده ثم خرج ليدافع أولئك الغزاة الذين تقدموا ليكتبوا آخر سطر فى تاريخ العرب بالأندلس ..

ولم يعرف أحد ماذا كان مصيره ولا كيف كانت نهايته .. وما زال التاريخ يبحث إلى اليوم عن ذلك القائد المفقود ..

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥١ — الاثنين أول ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

لا إله اليوم إلا الهوى ! ... ... : أحمد حسن الزيات ١٣٠٩

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٣١٠

لبيك يا فلسطين ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٣١٣

تعقيب ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٣١٦

مع ميخائيل نعيمه فى « همس الجفون » : الأستاذ مناور عويس ١٣١٨

فى فن الإخراج المسرحى ... ... : الأستاذ زكى طليمات ١٣٢١

مع ملاحى الشلال الأول ... ... : الأستاذ مصطفى كامل إبراهيم ... ١٣٢٣

الغزل فى شعر المرأة ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٣٢٦

ربيعى فى قلبى ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ١٣٢٩

« مهرجان المنظار » : فى حجرة الباب الناظر | الأستاذ محمود الخفيف ١٣٣٠

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : الصورة الجديدة للأدب — عودة إلى قريب — فننا وشعورنا وبلادنا — مهرجان الشباب الأدبى — الشذوذ والتطرف — الأناشيد ١٣٣١

« **البريد الأدبى** » : معهد الجزيرة العربية — الفضاء والعدم — صداق — بيت فى قصيدة — خضراء الدمن — رسالة (الفن القصصى فى القرآن) والأزهر ١٣٣٤

« **الكتب** » : (١) تاريخ المساجد الأثرية التى صلى بها جلالة الملك فاروق فريضة الجمعة — تأليف الأستاذ حسن عبد الوهاب ... (٢) بيان عن مشروع رى حمص — حماة : للأستاذ صلاح الدين المنجد ... أطياف — تأليف الأستاذ يوسف الباعى : للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١٣٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٥٢ — الاثنين أول ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

صفحة

لا إله اليوم إلا الهوى ! ... ... : أحمد حسن الزيات ١٣٠٩

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٣١٠

لبيك يا فلسطين ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٣١٣

تعقيب ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٣١٦

مع ميخائيل نعيمه فى « همس الجفون » : الأستاذ منور عويس ١٣١٨

فى فن الإخراج المسرحى ... ... : الأستاذ زكى طليمات ١٣٢١

مع ملاحى الشلال الأول ... ... : الأستاذ مصطفى كامل ابراهيم ... ١٣٢٣

الغزل فى شعر المرأة ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٣٢٦

ربيعى في قلبي ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ١٣٢٩

« من وراء المنظار » : فى حجرة البك الناظر { الأستاذ محمود الخفيف ١٣٣٠

« الأدب والفن فى أسبوع » : الصورة الجديدة للادب — عود إلى قريب — فننا وشعورنا وبلادنا — مهرجان الشباب الأدبى — الشذوذ والتطرف — الأناشيد ١٣٣١ ١٣٣٣

« البريد الأدبى » : معهد الجزيرة العربية — القضاء والعدم — ضدان — بيت فى قصيدة — خضراء الدمن — رسالة (الفن القصصى فى القرآن) والأزهر ١٣٣٤ ١٣٣٥

« الكتب » : (١) تاريخ المساجد الأثرية التى صلى بها جلالة الملك فاروق فريضة الجمعة — تأليف الأستاذ حسن عبد الوهاب ... (٢) بيان عن مشروع رى حمص — حماة : للأستاذ صلاح الدين المنجد ... أطياف — تأليف الأستاذ يوسف السباعى : للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٧

٢٩٠٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 752 — Lundi — 1 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٦٧ — أول ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لا إله اليوم إلا الهوى !

أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غِشاوة ؟ ذلك هو إنسان اليوم ، وإن شئت فقل هو إنسان الدهر كله ! زعم ابن آدم أنه عرف الله وعلم الحق وحكّم العقل وآثر العدل وتوخى السلام ، وراءى بعضه بعضاً فتظاهروا بالتصديق ، ونافقوا بالإيمان ، وشقشق خطباؤهم بالهدى ، وتشدق شعراؤهم بالحكمة ؛ وفي قرارة كل امرئ أن الله معناه الهوى ، وأن الحق معناه المنفعة ، وأن العقل معناه الحيلة ؛ فأنا وأنت وهو إنما نذكر عزائم الله وفضائل الخلُق وفرائض القانون إذا لم يكن من ذكرها بد لإدراك الغنيمة مع الراحة ، أو اتقاء الهزيمة عند العجز . وغاية السياسة الآدمية أن تكون ثعلباً مع الضعف وأسداً مع القوة !

أزِلْ عن عينك إن استطعت ما غشيها من رياء الإنسانية وخداع المدنيـة ، ثم انظر إلى حقيقة الإنسان في نفسك ، وفي عشرائك في البيت ، ورفقائك في المدرسة ، وخلطائك في القهوة ، وزملائك في العمل ، ورؤسائك في الديوان ، ونوابك في البرلمان ، ووزرائك في الحكومة ، فلا تجد إلا غرائز الحيوان الوحش تسمّت بأحسن الأسماء ، وتزيّت بأجل الأزياء ، وتجلّت في أبهى المناظر : فالتفارس تنافس ، والأثرة محبة ، والطمع طموح ، والاستغلال تعاون ، والاستعمار تحالف ، والقوة حق ، والضعف عفة ، والحرمان قناعة ، والختل سياسة ، والشعوذة دين ، والعصبية وطنية !

قد يخدعك الغطاء الذهبي على الناب ، والقفاز الحريري على المخلب ، فتحسب أن هذا الإنسان الذي هتك بعلمه أستار الطبيعة وكشف بعقله أسرار الوجود ، قد هذبه العلم وصقله التمدن ، فارتفع من الأرض إلى السماء ، وانتقل من الحيوان إلى المَلاك ؛ ولكن خلافاً يشجر بين الإخوة على ميراث ، أو شقاقاً ينشأ بين الزعماء على منصب ، أو نزاعاً يحدث بين الدول على بلد ، يستطيع أن يشق الذهب ويمزق الحرير فترى الوحش الآدمي على جبلَّته بادي النواجذ متقد العينين ، يتحلب الريق من أنيابه ، ويقطر الدم من أظفاره !

ها نحن أولاء ، كنا نظن لوفرة المساجد في المدن والقرى ، وكثرة السُّبح في الرقاب والأيدي ، وتنافس الفقراء في إقام الصلاة ، وتسابق الأغنياء إلى أداء الحج ، أن الدين قد سيطر على القلوب وهيمن على الضمائر ... فلما ابتلانا الله بوباء الهيضة الجارف ، ووقع الإيمان المزيف تحت المحك ، تمزقت الأغشية عن عفن في نفوس أكثر الأغنياء والأطباء والمسئولين كان أزكى روائحه الرشوة والشح والسرقة والتواكل والتخاذل والتفريط والقسوة ... وكل هذه الموبقات مشتقات من مصدر واحد هو الأثرة !

وهذه هيئة الأمم المتحدة ، كنا نظن لفرط ما عانى الحلفاء من أهوال الحرب ، وكابدوا من نتائجها ، أنهم يقيمون العالم الجديد على قواعد الميثاق الأطلسي الأربع ؛ فلما تقدمت مصر وفلسطين إليها تستمديان قُوى ميثاقها على بغي انجلترا وجور أمريكا لم تجدا في قاعة مجلس الأمن إلا مجمع الوحوش والبهائم الذي تخيله (لافونتين) في الغاب !

إن الرجل يعمل لنفسه ثم لأبنائه ، وإن الحزب يعمل لرئيسه ثم لأعضائه ، وإن الشعب يعمل للمليك ثم لوزرائه ؛ فمن زعم أن الأنانية تتجه إلى الغيرية ، وأن الحزبية تمهد للوطنية ، وأن الوطنية ترمي إلى الإنسانية ، فقد زور على الإنسان وكذب على الطبيعة !

احمد حسن الزيات

(القاهرة)

١٤ – رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

سار بنا القطار والساعة ثمان وخمس وأربعون دقيقة من صباح السبت ثالث عشر جمادى سنة ١٣٦٦ هـ . وخامس نيسان سنة ١٩٤٧ م من دهلى إلى أكرا .

والمسافة بينهما زهاء أربع ساعات . واستقبلنا على محطة أكرا جماعة من بيت كنش لال أحد أعيان المدينة وأحد تجار الهند المعروفين فى القاهرة . وأردنا أن ننزل بفندق كبير هناك اسمه إمبريال . وبينما نجلس فى ساحة الفندق ننتظر جواب سؤالنا عن غرف فى الفندق ، جاء رجل هرم يحمل عصافير مرتبطة بخيوط ، فجلس إلينا وشرع يعرض أعاجيبه . رمى بحلقة فى الهواء وأشار إلى عصفور فأدركها فالتقطها قبل أن تقع على الأرض وردّها إليه . وأشار إلى عصفور آخر فطار إلى شجرة قريبة فقطف منها ورقة وجاء إلى صاحبه . ووضع بطاقات من بطاقات اللعب مقلوبة وذكر عدداً فأخذ عصفور يقلّب الأوراق حتى قلب البطاقة ذات العدد المذكور وأخذها بمنقاره وسلّمها إلى معلّمه . ثم جاء بأعواد عليها بكرة صغيرة فيها خيط ينتهى إلى دلو صغير وأشار إلى عصفور فشرع يمسك الخيط بمنقاره ويجرّه حتى يضمه تحت رجله ثم يأخذه كرة أخرى فيطويه تحت رجله حتى طوى الخيط وطلع الدلو فدّ منقاره إليه وجذبه إليه كأنه يستقى ماء من بئر برشاً ودلو . فقلنا : إحدى عجائب الهند .

ولم نجد غرفاً بالفندق فسرنا إلى دار كنش لال فلبثنا إلى اليوم الثانى فى حفاوة وإكرام فاستحق المضيّفون ثناءنا وشكرنا

***

وأكرا مدينة يسمى باسمها إقليم . وهذا الإقليم وإقليم أوده يؤلفان ولاية كبيرة تسمى .U. P وهذا رمز لاسمها بالإنكليزية : Uvenited Provinees وتسمى فى الهند : ممالك متحدة .

والمدينة مثل دهلى ، ذات مكانة تجارية وحربية عظيمة . ويمرّ بالمدينتين كلتيهما نهر جمنه أحد أنهار الهند الكبيرة .

وقد عرف ملوك الهند حصانة هذه البقعة بمكانها من هذا النهر فاتخذوا مدينة أكرا حاضرة للملك أو إحدى حواضره .

وقد اتخذها السلطان اسكندر اللودى داراً للملك بدل دهلى وهو من الأسرة اللودية التى تسلطت فى الهند من سنة ٨٥٥ إلى ٩٣٢ هـ . وإنما آثرها على دهلى حينما عرف غناءها فى ضبط الثائرين عليه فى الجنوب . فعظمت مكانتها من ذلك الحين .

ولما جاء إلى الهند الرجل العبقرى بابر ، وقد أسلفنا ذكره ، فتح أكرا سنة ٩٣٢ . وأخذ فيما أخذ من مغانمها الماسة المعروفة باسم كوه نور أى جبل النور . وفى أكرا آذنَ بابرُ بأن فتحه الهند ليس غارة موقوتة ولكن ملكا مؤثلا . ولما ملك جلال الدين أكبر حفيد بابر بنى قلعة أكرا ، القلعة الحمراء التى تمتد أسوارها على نهر جمنة ميلا ونصفاً .

وازدادت المدينة وأرباضها منذ بنى أكبر قلعته ، بعجائب من أبنية السلاطين التيموريين بل بمفاخر من الحضارة الإسلامية وصناعاتها . ففى أكرا القلعة والتاج والمسجد ، وفى سكندرة مزار أكبر وآثار أخرى . وعلى مقربة من المدينة فتح بورسكرى وهى مزدحمة بآثار عظيمة رائعة .

مزار أكبر

خرجنا والساعة خمس مساء إلى سكندرة لنزور ضريح جلال الدين أكبر .

ولا يعرف روعة التوجه إلى زيارة ضريح أكبر إلا من عرف تاريخ هذا الرجل الذى لا يعرف تاريخ الإسلام بل تاريخ العالم من الملوك أمثاله إلا قليلا .

ذكرت آنفاً ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية أعظم الدول الإسلامية فى الهند . وكذلك ذكرت ابنه هُمايون .

وجلال الدين أكبر الذى أتوجه لزيارته الآن هو ابن همايون وحفيد بابر . وضع هذان له القواعد ليشيد ملكا عظيما ، ويوطد دولة ينبسط سلطانها على الهند إلا قليلا ، ويترك على الزمان سيرة

فى الفتح والعدل والحضارة والعمارة لا تزال مثار إعجاب وتعجب . ولا تزال مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامى .

توفى هما يون بعد أن استردّ ملكه فى الهند ، وابنهُ جلال الدين فى الرابعة عشرة من عمره . فدبر له الملك بايرام خان فدفع عنه الطامعين ، وأخضع الثائرين ، ولم تأخذه فى إقرار السكينة ، والنظام هوادة ولا شفقة . فلما سكنت الفتن واستوسق الأمر تولى جلال الدين تدبير الملك ولما يَعدُ الثامنة عشرة . وقد حاول هذا الوصى أن يقتطع له إمارة فى أرجاء المملكة وثار على أكبر إلى أن اضطر إلى التسليم له . فأحسن الملك الشاب إلى وصيّه وخيّره بين أن يتولى منصباً عالياً فى الجيش أو يسير إلى الحج مرفهاً فى موكب عظيم . فاختار الحج .

وكان عفو أكبر عن بايرام خان وإحسانه إليه إيذاناً بسيرة صالحة رفيقة ، سارها أكبر طول عمره .

ثبّت جلال الدين أكبر سلطانه فى أرجاء المملكة كلها . ومدّ فتوحه حتى لم يبق من الهند خارجاً عن سلطانه إلا قليل . ودان معظم الهند له واستقامت الأمور لحكمته وحكمة زمان سلطانه المديد وقد ملك أكثر من خمسين عاماً .

وكان مولعاً بالفتوح البعيدة ، واجتياز الفيافى الموحشة ، وركوب الخيل الجموحة ، واخترع نظماً للجيش وأسلحة . وكان مثالا عالياً فى قيادة الجيوش ، وركوب الأهوال . ولكن هذه الشجاعة والجرأة والفتح والسفر لم تكن إلا أقل مزاياه . فقد كان فى السلم والعمران أعظم منه فى الحرب .

سنّ من القوانين ، وخطّ من الخطط فى مسح الأرض وريها وجباية الخراج ما يشهد بسعة فكره ، وبعد إدراكه ، وقد بقيت بعض سننه متبعة فى الهند إلى هذا العصر .

وجمع هذا الرجل الأمّى حوله من أدباء العالم وشعرائه وكتابه وعلمائه وفلاسفته جمعاً كبيراً حتى كان فى كنفه من شعراء الفارسية زهاء خمسين شاعراً .

وقد جاءه الصناع من أرجاء العالم من آسيا وأوروبا .

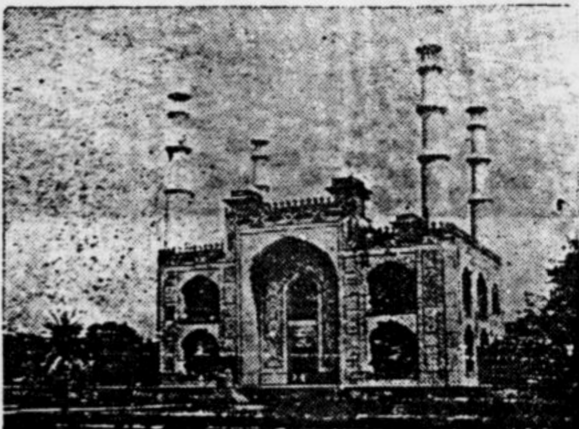
وأنشأ المدارس فى أنحاء المملكة ليعلم فيها المسلمين وغيرهم على السواء . وبنى خزائن الكتب وجمع فيها نفائس الكتب من الأقطار وافتنّ فى صناعة التجليد والتذهيب حتى أنفقت على بعض الكتب آلاف الدنانير ، وقد أبطل العادات الوحشية فى الهند مثل إحراق الزوجات بعد موت أزواجهن .

وحاول أن يُشيع المحبة والمودة والأخوة بين الناس بجمعهم على دين واحد . فألّف من الإسلام والمجوسية والنصرانية وأديان أخرى ديناً سماه « التوحيد الإلهى » وبنى معبداً لهذا الدين ودعا الناس إليه فاتبعه قليل بالرغبة والرهبة . فلما مات لم يبق على دينه أحد .

***

سرنا إلى سكندره حيث ضريح هذا الملك العجيب ، وفى النفس ثورة من ذكرياته بين سفره وحضره ، وحربه وسلمه ، وصوابه وخطئه ، إلى قياس يتردد بين الماضى والحاضر ، للنفس فيه حيرة وحسرة .

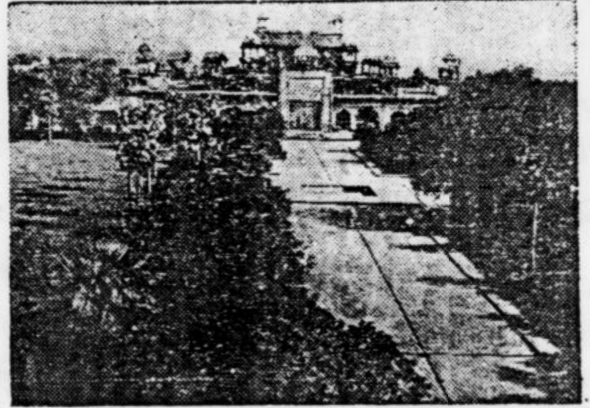
على نحو خمسة أميال من أكرا استقبلنا هذا البناء الهائل الرائع الذى تعاون على إنشائه المُلك والثراء والصناعة بضعة عشر عاماً بين عهد أكبر وعهد ابنه جهانكير . هذا المدخل المفضى إلى الحديقة الغنّاء الفسيحة التى تحيط بالمزار . ولوأن هذا المدخل وحده شيد فوق ضريح ملك عظيم لكافأ عظمته وحُسب بناء فخماً من أبنية الملوك العظيمة . بناء يعلو أربعاً وسبعين قدماً تقوم فى أركانه الأربعة أربع منارات رفيعة تعلو كل واحدة فوق هذا البناء ستاً وثمانين قدماً . ويلقى هذا المدخلُ القادم إليه بعقد عال فخم فيه باب فوقه عقد يشابهه . وعلى جانبى العقد الكبير وجهتان فى كل منهما عقدان (كما يرى فى الصورة) :



مدخل الحديقة التى فيها ضريح جلال الدين أكبر

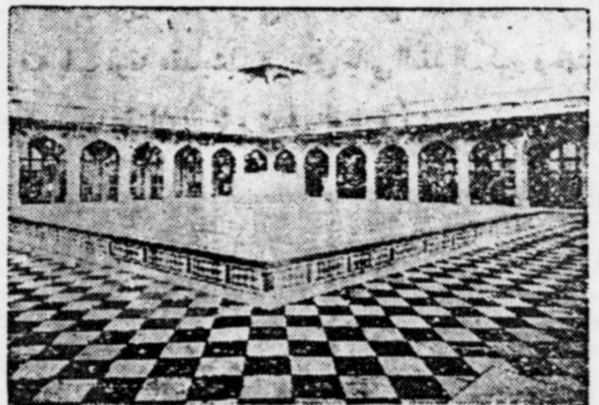
ويفضى هذا المدخل إلى حديقة واسعة تزدحم فيها الخضرةَ والنضرة ويتوسطها طريق واسع مبلط فيه أحواض ومجارى مياه ونافورات فى هندسة جميلة .

ثم البناء الشامخ الرائع ، خمس طبقات ذات عقود وأبراج ، كل واحدة أكبر مما فوقها وأصغر مما تحتها كأن كل طبقة قاعدة للتى قبلها .



مزار جلال الدين أكبر شاه

صعدنا الطبقة الأولى التى تلى الأرض فهبطنا فى دهليز منحدر إلى قاعة فى وسطها صفيحة واحدة من المرمر تحتها رفات جلال الدين أكبر شاه . وقفنا نقرأ آيات على القبر ونقرأ سطوراً غير مكتوبة من وحى التاريخ وإملاء الزمان .



مثال قبر جلال الدين فى أعلى البناء

ثم صعدنا إلى الطبقات الأخرى حتى الطبقة العليا وهي سَطح محاط بدربزين من الرخام الأبيض أبدعت فيه الصناعة تشكيلا وتخريماً . وفى وسطها دكة واسعة مربعة عليها مثال القبر الذى فى بطن الأرض . وقد فجئنى هذا المنظرُ العجيب فما يحسب الزائر وهو يصَّعَّد فى هذه الطبقات أن يلقاه فى قمتها هذا التمثال بعد أن زار القبر فى موضعه من جوف الأرض .

ويطّلع الزائر من هذه القمة على مشاهد رائعة من الجمال والجلال وعلى عبر متقاربة وعظات متوالية . فهو ينظر إلى هذا الهيكل العظيم تحار فيه العين بين عقوده وعمده وقبابه ، تتوالى طبقاته فى نظام محكم ، وهندسة عجيبة . فإذا رمى ببصره فى الفضاء مفكراً أخذته مشاهد من الأبنية الأثرية بين الشجر ، كل منها تاريخ مبهم ، وكل منها كتاب مطبق ، وكل منها مجد غابر وعبرة حاضرة . ويَسحَر العين على القبر وعلى عقود الداخل آيات قرآنية أجيد خطّها أو نحتُها على الرخام .

يقال أن أكبر نفسه بدأ هذا البناء وأتمه ابنه وخليفته جهانكير بعد أن عمل فيه البناءون والصناع عشرين عاماً ويقال إن جهانكير بناه وحده فى سبع سنوات .

ومهما يكن الأمر فقد أكمل هذا الأثر الخالد سنة ١٠٢١هـ . وقد مرت عليه حوادث وزلازل ؛ ولكنه لا يزال شاهداً بعظمة أكبر وجهانكير ، ناطقاً بما بلغت الحضارة والأبهة فى ظلال هذه الدولة العظيمة ، أكبر الدول الإسلامية فى الهند . ومن أعظم الدول التى عرفها التاريخ

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

لبيـــك يا فلسطين!

للأستاذ محمود محمد شاكر

لقد عزمت الأمة العفيفة النبيلة الورعة ، وهى بريطانيا العظمى بلا مراء ، أن ترفع يدها عن فلسطين ، وأن تجلو بجنودها عن هذه الأرض المطهرة ، وأن تترك الأمر لأصحاب البلاد ، هكذا ، يصرفونه على ما توجبه مصالحهم ! ! وفى هذا الوقت نفسه قامت روسيا السوفيتية الغامضة تؤازر أمريكا الصريحة فى صهيونيتها على تقسيم فلسطين تقسيما لا يدرى المرء كيف يصفه ، أهو حماقة ، أم جور ، أم صفاقة ، أم نذالة مركبة فى طبائع الأمم الجشمة ؟ ثم رأينا بريطانيا هبت تستنكر ، أو تقول الصحف وألسنة الساسة أنها تستنكر هذا الذى تبيته روسيا وأمريكا لفلسطين .

هذا ملخص ما يدور فى أمر فلسطين دون تزويق أو تدليس . ونحن لا نريد أن نبخس بريطانيا حقها فى هذا الموقف الذى تقفه من مسألة فلسطين ، ولكنا أيضاً لا نريد أن نلغى تصرف العقل فنصدق أن هذه الأمة البريطانية تفعل هذا حباً للعرب ، وحفاظاً على حريتهم ، ورغبة فى معونتهم ونصرتهم . فإنها هى التى نفثت فى هذه الصهيونية الخبيثة من روحها منذ دخل الرجل الصليبى « ألنبى » أرض الآباء المطهرة ، وهى التى ضمنت لهؤلاء الصعاليك إنشاء وطن قومى فى فلسطين ، وهى التى أغضت عن تسال هؤلاء اللصوص إلى بلاد ليست لهم ، وهم الذين نكّلوا بالعرب تنكيلا لم يشهد التاريخ أفجر منه ولا الأمَّ أيام ثورة العرب عليهم وعلى جلائهم من اليهود ، وهى التى استعانت باليهود فى الحرب العالمية الثانية ودربتهم وجندتهم وفتحت لهم أبواب الأرض المقدسة ، وهى التى أعانت تهريب اليهود وحمتهم ووقفت تعبث فى مراقبة الهجرة اليهودية ، وهى التى صبرت على إذلال اليهود لها وعلى جلدهم جنودها وضباطها واغتيالهم وخطفهم واتخاذهم رهائن ، هذه بعض فضائل بريطانيا وشىء من نبيل مواقفها فى مسألة فلسطين ! !

وبعد أن فعلت كل هذا طلباً للأجر والحسبة من الله خالقهم وخالق الصهيونيين ، زعمت أنها ولا شك نافضة يدها من هذا الأمر ، وجالية بجنودها عن هذه الأرض ، وتاركة الناس أحراراً يدبرون شئونهم بأيديهم ! فكيف يفهم العقل من كل هذا أن بريطانيا تعترض على مسألة التقسيم لأنها تريد خيراً للعرب ، وتحافظ على وعودها لهم ، وتعمل على رد شر اليهود ومن يمالئهم عن هذه الأمة المسكينة ؟ ! كيف يا شياطين السياسة ؟ !

إن لها من وراء كل هذا التنكر للتقسيم أرباً آخر لا ندرى ما هو على التحقيق ، ولكنا إذا عرضناه على أفاعيل بريطانيا منذ كانت بريطانيا ، فلن نعدم الشك فى نيتها ، ولا الاهتداء إلى موضع الدخل فى تصرفها ، ولا آيات الكذب فى دعواها . وقبل هذا وذاك ، لا يستطيع قلب عربى أن يطمئن إلى أن بريطانيا وأمريكا ، وهما الدولتان المتعاونتان على الخير والشر ، تختلفان فى هذه المسألة بعينها ، إلا أن يكون اختلافهما تعمية وتدليساً لشىء هو أجدى عليهما وعلى الصهيونيين اليهود من اتفاقهما ! وليكن الأرب المكنون بعد ذلك ما يكون !

ونحن العرب لا نحب أن نلق إثم هذه الصهيونية الجائرة على أمريكا وروسيا للذى نراه اليوم من موقفهما وتشددهما وحرصهما على تقسيم فلسطين ، لا لأنهما أمتان بريئتان ، بل لأن الدوافع التى تحملهما على هذا الحرص وهذا التشدد ، إنما جاءت بعد أن فعلت بريطانيا فعلتها ، وأصّلت لهذه الخبائث أصلا قوياً فى الأرض المطهرة ، ونزعت من يد العرب كل حول وطول فى تصريف شأن بلادهم ، وبعد أن تكرمت بريطانيا على العالم كله بإحداث مشكلة لا حل لها إلا الحل الذى تفصم به كل عقدة خبيثة تستعصى على المحاول .

إننا لا نريد أن نخدع مرة أخرى بنفاق بريطانيا وأكاذيبها وتصنعها لأعين الناس بالبراءة وحب الخير والحرص على الوفاء بالعهود وإنجاز المواعيد ، وبريطانيا تريد أن تذهب فى أمر فلسطين مذهباً جديداً لتكون شهيداً جديداً يستنزل العطف والمحبة من قلوب العرب ، وتريد أن تقف هذا الموقف لأنها تريد أن تخدع مصر والسودان ، وتخدع سورية ولبنان ، وتخدع العراق والباكستان ، وتخدع كل ناطق باللسان العربى فى مشارق الأرض ومغاربها . ولكننا لن ننخدع مرة أخرى أيها الشهيد

الذى استحل دم الأحرار فى مشارق الأرض ومغاربها .

هذه بريطانيا ، وأما أمريكا ، فقد طالما ذهبت فى الدفاع عن الحرية مذهباً كريماً ، ولكن ذلك شىء كان ثم انقضى ، فأمريكا اليوم دولة تصرفها الأحقاد الكثيرة ، وعلى رأس هذه الأحقاد إصرارها على التعصب البغيض إصراراً لا هوادة فيه ، حتى فى قلب بلادها . ثم يلى ذلك تحكم اليهود وتسلطهم على رؤوس أموالها ، وعلى شركاتها ، وعلى مجتمعها ، وعلى رجال سياستها . فالشعب الأمريكى اليوم ألعوبة تلهو بها الصهيونية اليهودية وترفعها وتخفضها كما تشاء ، ولسنا نحن الذين نقول هذا ، بل هذا ما تقوله فئات من الأحرار الأمريكيين أنفسهم ، ولكن هؤلاء الأحرار لا حول لهم ولا طول ، لأن كل شىء هناك فى قبضة اليهود ، ولأن رئيس الولايات المتحدة ، أيًّا كان هذا الرئيس ، لا يكاد يصل إلى كرسى الرئاسة إذا خذلته اليهود وأعرضت عنه فى الانتخابات ، فهو بالاضطرار يدور حيثما داروا به حتى يصير رئيساً للولايات المتحدة ، فإذا صار رئيساً ، فهو فى قبضة اليهود أيضاً طمعاً وخوفاً واضطراراً . وتظن أمريكا ، أو يظن ساستها ، أنهم إذا ناصروا إنشاء الوطن اليهودى ، أو الدولة اليهودية ، فهم بذلك سوف يخلصون من قبضة هذا الوحش اليهودى ، وأنهم يومئذ قادرون على أن يطردوه من بلادهم ويقولوا له : هذه بلادك فاذهب إليها . وهذا تسويل من شياطين اليهود ، وباطل من أباطيلهم يدندنون به فى آذان هؤلاء الساسة ، فاليهود يريدون أن ينشئوا الدولة اليهودية ، لا ليسكنوها ويتركوا البلاد التى أكرمتهم وأضافتهم وخلطتهم بأنفسها ، كلا بل يريدون بهذه الدولة أن يسيطروا على قلب العالم ، وهو الشرق الأوسط ، وأن يحتفظوا بسيطرتهم فى سائر بلاد الله كما هى ، ليكون لهم السلطان فى الأرض ، والغلبة على الأمم جميعاً مسلمها ونصرانيها ، فكلاهما عدو لها ، وهى تحمل لهما جميعاً عداوة لا تفتر ولا تموت . والذين يستنكرون أن يكون هذا هدف اليهود ، لم يقرأوا شيئاً من كلام الصهيونيين ، ولم يعرفوا أن هؤلاء اليهود يطمعون طمعاً لا يشكون فيه ، وهو أن الخلافة فى الأرض ستكون لهم ، وأن هذا الشعب المختار ، هو الذى اختاره الله لسيادة الدنيا واستعباد البشر غير اليهود ! فأمريكا مخدوعة هى وساستها ، إذا ظنت أنها بمناصرتها لهؤلاء السفاحين اليهود ، سوف تكسب شيئاً إلا ذل الحيرة والاضطراب .

وأما روسيا الغامضة ، فسلطان اليهود فيها ليس أقل منه فى أمريكا ، وهم الذين يسولون للروس أنه إذا أنشئت فى فلسطين دولة يهودية ، وإذا ناصرها الروس حتى تكون ، فمعنى ذلك أن روسيا سوف تجد منفذاً لها إلى قلب العالم ، أى إلى الشرق الأوسط ، وأن اليهود لن يخذلوا المذهب الشيوعى ، بل سيفسحون لدعاته المكان ، ويجعلون فلسطين مأوى لهم وملاذاً وكهفاً ، وأن تعاون الروس واليهود سوف يخلص روسيا من سلطان بريطانيا وأمريكا فى هذه الرقعة من الأرض ، وأن اليهود فى حاجة إلى معونة إحدى الدول الكبرى ، فإلا تعنهم روسيا وهى أقرب إليهم من أمريكا وبريطانيا ، فباضطرار ما يبسطون أيديهم إلى أمريكا وبريطانيا ويعاهدونهما على الخير والشر فى التسلط على هذا الشرق الأوسط . وروسيا دولة تصرفها فكرة غالبة كفكرة اليهود هى الاستيلاء على أغنى بقاع الأرض ، لتستطيع أن تنشر مذهبها ، وأن تتوسل بهذا المذهب إلى هدم الكيان الاجتماعى فى الأمم ، فإذا تم لها ذلك استطاعت أن تحكم هذه الأمم وتصرفها على ما يشاء لها هواها . فهى يومئذ صاحبة السلطان الأعلى ، وهى القوة المدمرة ، وهى الظافرة فى الميدان الاجتماعى والسياسى ، وهى يومئذ قد أمنت أن تخشى لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بأساً أو قوة .

هذا تفسير هذه المشكلة المعقدة التى تريدنا بريطانيا ، وتريدنا أمريكا ، وتريدنا روسيا ، على أن نكون فيها كالشاة المذبوحة لا تألم السلخ . فتبًّا لهم جميعاً ، والله المستعان .

بقى شىء آخر لا يخطئه أحد إذا فكر فيه ، وهو أن هذه الدول جميعاً تعلم علم اليقين أنها ترتكب جريمة من أبشع الجرائم فى تاريخ الإنسانية ، جريمة لم ترتكب مثلها أمة من الأمم المتوحشة فضلا عن الأمم الجاهلة ، فضلا عن الأمم المثقفة التى تدعى أنها حارسة الحضارة الإنسانية والقائمة عليها — تلك هى إقحام شعب على شعب آخر ، ليجليه عن بلاده ، وليستذله ، وليستعبدهم . إن هذه الدول جميعاً تعلم أن هؤلاء اليهود هم أبشع خلق الله استبداداً إذا حكموا ، وهى تعلم أنهم خلق قد خلت نفوسهم من كل معانى الشرف والنبل والمروءة ، وأنهم خلق تملأ قلبه العداوة والبغضاء

والحقد على البشر جميعاً ، وأنهم خلق لايتورع عن شيء قط يرده عن اقتراف أحط الآثام فى سبيل مايريد — إنها تعلم هذا وأكبر منه وأشنع ، ومع ذلك فهى تريد أن تطلق هذه الوحوش الضارية من غابات الجهل والعصبية والحقد ، لتعيث فى هذا الشرق الأوسط كله بفجورها وبغيها وضراوتها ، فتهدم ما تهدم ، وترتكب ما ترتكب ، باسم الحضارة والمدنية والثقافة ... فيالها من جريمة ! يالها من جريمة أيتها الأمم الحارسة لتراث الحضارة الإنسانية ! !

ثم بقى شيء وراء ذلك كله ، ينبغى لكل عربى أن يعلمه ، ولا سيما أولئك الذين يتعرضون اليوم لسياسة هذا الشرق العربى ، وهذا الشرق الإسلامى كله — هو أن إقدام هذه الدول الثلاث على مناصرة المجرمين الصهيونيين تنطوى على معنى قد استقر فى أنفسهم وغلب عليها ، وهو احتقارهم للعرب وازدراؤهم لهم ولمدنيتهم ودينهم وحضارتهم واجتماعهم ودولهم وملوكهم ، وقديمهم وحديثهم ، وأن هذا لبان ارتضعوه منذ كانت الحروب الصليبية ، وأن الثقافة والعلم وسهولة اتصال الأمم بعضها ببعض ، كل ذلك لم يغير شيئاً من عقائد الصليبية الأولى فى هذا الشرق العربى ، وكل ذلك لم ينفع شيئاً فى نزع السم الذى اختلط بالدماء وجرى فى العروق مع نسمات الهواء ومضغات الغذاء . وأنه لولا هذا الداء القديم ، وهذه العلة المستعصية ، لما ارتضت هذه الدول أن تبدى كل هذه الجرأة على الحق فى مشكلة فلسطين ، بل لوقفت كما وقفت من قبل فى مسألة دانزيج وغيرها مناصرة لحق الناس فى الحرية كما تزعم . هذا معنى لا يفوت عربياً مسلماً كان أو نصرانياً ، لأن هذه الدول تتصرف بأحقاد جاهلة عمياء ، لا ببصر وتمييز وعدل .

وغاب عن هذه الدول جميعاً شيء واحد ، هو أن هذه الأمم التى يصبون عليها أحقادهم المرذولة وسخائمهم العتيقة ، قد لقيت من قبل أشد مما تلقى اليوم ، ومع ذلك فقد استطاعت أن تخرج على الدنيا ظافرة نبيلة لا تحمل حقداً ولا ضغناً ، وانتشلت الحضارة الإنسانية من أوحال الجهل العميق الذى كانت تعيش فيه أوربة وأمريكا وروسيا ، ورفعت المنار لكل مهتد حتى اهتدى .

إن هذه العرب لا تنام على ذل أبداً ، فلتعلم هذا روسيا ، ولتعلمه بريطانيا ، ولتعلمه أمريكا ، وليعلمه الأفاقون من اليهود .

لقد نادت فلسطين غير نيام ، نادت أيقاظاً يحملون بين ضلوعهم تلك الشعلة الخالدة فى تاريخ الإنسانية ، والتى نحن القوام عليها والقائمون بها ، والتى نحن حاملوها حيثما سرنا فى الأرض — شعلة الإيمان بالله الواحد القهار — إن كل سلاح ، سلاح مفلول إذا لقى سلاحنا ، لأننا لا نقاتل بالتدمير والخراب ، بل بالتعمير والإنشاء ورد الحقوق على أهلها وإن كانوا قد ظلمونا ونكلوا بنا من قبل . ولتعلم هذه الأمم العدو لنا جميعاً أن المعجزة التى كانت يوماً ما ، سوف تكون مرة أخرى يوم ننبعث من ظلماء هذه الحوادث سراعاً إلى نجدة أمنا فلسطين ، فتنبثق الأرض عن جنود الله القدماء :

عن كل أروع َ ترتاعُ المنونُ له ... إذا تجرد ، لا نكسٌ ولا جحِد
يكاد حين يلاقى القِرْن من حنَق ... قبل السِّنان على حوْبائه يرِدُ
قلوا ، ولكنهم طابوا ، وأنجدهم ... جيش من الصبر لا يفنى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا ... من اليقين دُرُوعاً مالها زَرَدُ

هذه ليست خطابة ولاحماسة أيتها الأمم ، بل هى الحق ، وهى عادتنا وعادة الله فينا ، والله غالب على أمركم وأمرنا ، ونحن جند الله فى الأرض على رغمكم ، وإن سخرتم أو كذّبتم !

محمود محمد شاكر

تعقيب

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كاتب فى مجلة أسبوعية أن (السيدة نفيسة) التى ينسب إليها القبر المعروف فى مصر ليست إلا الست نفيسة زوجة مراد بك آخر المماليك ، وجاء فى مقالته استطراد إلى ذكر الثورات المصرية قرر فيه أنها قامت كلها باسم الدين ، وأثار ذلك طائفة من القراء فكتبوا إليه محتجين مصححين ، وهاج كاتباً من الكتاب فرد عليه ، مبيناً أن القبر للسيدة نفيسة النسيبة الشريفة الثابت نسبها إلى سيدنا على ، منكراً أن تكون ثورة مصر قامت باسم الدين ... الخ

ولست معقباً على هذا من جهة التاريخ ، لأن من الواجب أن لا نخلط بين امرأتين بينهما ألف سنة ... وأن نحقق القول فى المساجد والقبور وسائر الآثار ، وأن نمحص أسباب الثورات ونعرف حقيقة الدوافع إليها ، ولكنى معقب عليه من جهة الدين .

والدين — كما أفهمه — لا يبالى أكانت صاحبة هذا القبر السيدة نفيسة العلوية ، أم الست نفيسة المرادية ، ولا ينفعها عند الله أن تكون الأولى إن كانت سيئة العمل ، ولا يضرها أن تكون الثانية إن كانت صالحة السيرة ، لأن ميزان الله غير موازين البشر ، والله لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأنساب ، وإنما ينظر إلى القلوب وإلى الأعمال ، فبالأعمال بعد الإيمان ، تتفاوت أقدار الناس فى الآخرة ، ولو كان للنسب ثقل فى ميزان الله ما رجح سلمان (الفارسى) وصهيب (الرومى) وبلال (الحبشى) وخف أبو لهب بن عبد المطلب العربى القرشى الهاشمى عم النبى !

والناس لا ينفعهم فى أخراهم أن يكون هذا القبر ، لهذه أو لتلك ، أو لأى إنسان ممن خلق الله ، أو يكون قبراً خالياً ليس فيه أحد ، لأن الإسلام يأبى عبادة الأموات ، وينكر تعظيمهم ، ويسد الذرائع إليها ، لذلك منع رفع القبور وزخرفتها والمغالاة فيها ، فضلا عن اعتقاد النفع والضرر بها وبأصحابها .

ودين الإسلام أساسه التوحيد ، ومنه أن تعتقد أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله ، لا أعنى ما يدخل فى الأسباب المعروفة والعلل الظاهرة ، إذ لا ينكر نفعها ولا ضررها ، فالطعام نافع والسم ضار ، والطبيب نافع والجاهل ضار ... والناس كلهم والأشياء جميعها منها ما يضر ومنها ما ينفع ، فى حدود سنن الله فى هذا الكون ، وطبيعته التى طبع الوجودَ عليها ، ولكن أعنى ما وراء هذه الأسباب والعلل ، إذ ربَّ مريض يستشير أكابر الأطباء ، ويجلب أندر العقاقير ، ويحظى بكامل العناية ، ثم يموت ، وآخر أصابه مثل مرضه فبرئ بأيسر العلاج ، وأقل الجهد ، فالطبيب دال ، ولكن الله الموصل ، والرسول هاد مرشد ، ولكن الله هو الهادى الموفق لاتباع الرشاد ، وفى الوجود شىء يدخل فى طاقة الإنسان ، وأشياء لا تدخل فى طاقته ، فإذا فعل كل ما يقدر عليه ، ولم يبق عليه إلا الالتجاء لقوة خفية قادرة على ما لا تقدر عليه قوته ، فعليه بالالتجاء إلى الله وحده ، واعتقاد أنه هو الذى يضر وينفع ، فإن التجأ إلى غيره ، إلى نبى أو ولى ، حى أو ميت ، يؤمن بأنه يستطيع أن يعينه هذه المعونة الغيبية ، فهذا هو الشرك الذى جاء الإسلام لإبطاله !

أما ما يعتقده العامة من أن هؤلاء الصالحين مقربون إلى الله أكثر منا ، فهم يتخذونهم وسائل ، فلا بأس بذلك ما دامت بعيدة عن المعونة الغيبية ، داخلة فى نطاق الأسباب والعلل ، كالتوسل بدعاء الصالحين . وقد توسل عمر يوم الاستسقاء بدعاء العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتوسل بالنبى نفسه ، مع أنه أفضل من العباس ومن سائر البشر .

ومهما قيل فى مسألة التوسل التى طال فيها الخلاف وكثر الجدال ، ولم يبق فيها جديد يقال ، فليس فى القائلين بالتوسل ، ولا فى المانعين له ، ولا فى المتوقفين فيه ، من يقر ما يرى فى مصر عند قبر سيدنا الحسين[1] ، أو قبر السيدة زينب ، والسيدة نفيسة ، والإمام الشافعى ، وعند كل قبر قائم فى مصر ، عليه قبة ، وله مزار .

إن الذى يصنع عند هذه القبور يجاوز الحد الذى جوَّزه القائلون بالتوسل من العلماء ، ويطغى حتى ليوشك أن يجاوز . . (لقد كدت أقول :) الإسلام !

وإن من أوجب الواجبات على العلماء منعه وإزالته ، حتى لا يظن بعض الشباب أن هذا هو الدين ، فيؤثروا الإلحاد على هذا (الدين ...) الخرافى ! وهذا الذى صار ! !

أما الكلام فى الثورة والدين ، وفرح الكاتب الثانى بضبطه رفيقه متلبساً بجريمة القول فيه ، وفزع الكاتب الأول من نسبة

(١) وسيدنا الحسين رأسه عندنا فى الشام بلا كلام وجسده فى كربلاء

هذا القول إليه ، فهو دليل واحد من آلاف الدلائل على ما انتهت إليه صورة الدين فى نفوس بعض المتعلمين . فقد استقر فيها أن الدين شيء عتيق لا يليق بالمتعلم أن يتمسك به ، أو يتكلم باسمه إلا إذا لاق به أن يدع السيارة والطيارة ويركب الحمارة ، وأن يترك عمارة إيموبليا ويسكن فى منزل خرب ، وأن يعدل عن مطعم سن جمس إلى وليمة فى قرية يأكلون فيها الرز بالأصابع ...

وأن الدين لا يجوز إدخاله فى العلم ولا فى السياسة ولا فى الحياة اليومية .

وسبب ذلك كله جريمة أجرمها العثمانيون ، هى أنه لما كان عهد البعث (الرونسانس) فى أوربة ، وهبت أوربة لتسابقنا بعد أن كنا نحن السابقين ، لم تجارها الدولة العثمانية فى هذا الطريق الجديد ، ولم تقبس من هذه النار ، ولم تستضيء بهذا الضوء ، ولو هى فعلت (على ما كنا عليه من بقايا الحضارة الأولى) لبقينا نحن السابقين ، فكان من نتيجة هذا الإهمال ، أن وقفنا والدنيا تمشى ، ثم صرنا وراء الدنيا ؛ لا لأنا تأخرنا بل لأن الدنيا تقدمت ، وغدا المسلمون دون الغربيين فى الأخلاق وفى الصناعة وفى الثقافة وفى القوة ، وبقى فقهاؤنا يقرأون الفقه الذى وضعت أحكامه لعصر ما قبل البعث (الرونسّانس) مع أن مصادر الفقه تصلح لكل زمان ومكان ونحن ملزمون بالمصادر لا باجتهادات الفقهاء ، والشباب يتعلمون ما عند أوربة وأميركة من العلم ومن المذاهب السياسية والاجتماعية ، ثم يتلفتون إلى العلماء يسألونهم عن حكم الشرع فيها ، فلا يلقى العلماء أمامهم إلا هذه الكتب التى ألفت لغير هذا الزمان يعودون إليها فلا يرون فيها شيئاً من ذلك ولا يعرفون اقتباس الأحكام من مصادرها ، وأصولها ، فينصرف الشباب وقد أيقنوا أن الدين قاصر ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان .

ثم ينظرون حولهم فيرون هذه الخرافات والأوهام ، وهذه البدع والضلالات المنسوبة كلها إلى الدين ، من غير أن يجهر أحد بإنكارها وإعلان براءة الدين منها ، فيزداد ظنهم بالدين سوءاً ، ويعودون إلى الغرب فيتلقون عنه كل شيء ، حتى القواعد التى وضعت للديانة المسيحية ومنها (فصل الدين عن السياسة) و (فصل الدين عن العلم) ، مع أن من أول ما ينبغى الاتفاق عليه فى الجدل معانى الألفاظ ، فما معنى الدين عند من وضعوا هذه القواعد ؟

إن معناه (الأحكام التى تحدد صلة الإنسان بربه) والدين بهذا المعنى لا دخل له فى السياسة ولا فى العلم ، وهو شيء شخصى بين العبد وربه ، ومن هنا سارت الكلمة المشهورة : الدين لله والوطن للجميع .

نحن لا ننازع فى هذا ، ولكن موطن النزاع ومكان الخلاف هو : هل الإسلام دين فقط ، موضوعه الصلة بين الإنسان وربه ، أو أن فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض ، حقوقياً وأخلاقياً؟ وصلات الدول بعضها ببعض خاصة وعامة ؟

أليس فى الإسلام أخلاق ، وحقوق ، خاصة وعامة ودولية ؟ وهل يجب الفصل بين هذه القواعد الحقوقية التى تبدو عند المقابلة والمقارنة أعدل وأحكم من القواعد الحقوقية الموضوعة ، هل يجب الفصل بينها وبين السياسة ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

هذه هى المسألة .

فمن يثبت لنا من الدين نفسه ، أنه قاصر على المسجد والعبادة وأن سورة الأنفال وسورة براءة مثلا ليستا من القرآن ، وأن آلاف الأحاديث التى اعتمد عليها الفقهاء فى المعاملات ليست من الدين؟ وإذا كان ذلك كله من الدين ، فمن يثبت لنا كيف تكون الأمة مسلمة وهى تتمسك ببعض الدين وتترك بعضه ؟

هذا وأنا لا أدعو إلى أن نأخذ الأحكام المدونة فى كتب الفقه كما هى فنجعلها قانوناً ملزماً لا تبديل له ولا تغيير ، ولو كانت أحكاماً اجتهادية مبنية فى الأصل على عرف أو مصلحة مرسلة أو استحسان . لا ، ولا أدعو إلى تحقيق ذلك بثورة مدمرة ، ومظاهرة صاخبة نكتفى بأن نصيح فيها : القرآن دستورنا ، الإسلام دين ودولة ، لا ، بل بأن ينقطع نفر من أهل العلم إلى كتب الدين وإلى قوانين الدول ، وإلى تعرف حاجات العصر ، ونظريات علمائه ، ثم يعدوا مشروعات هذه القوانين . وهذا العمل وإن كان صامتاً خفياً ، لا يعرف صاحبه ولا يطبل حول اسمه بالطبول ، فهو العمل النافع ، وهو كالأساس للبناء العظيم ، يختفى الأساس فى الأرض فلا يظهر ولكن لولاه ما قام البناء .

وملاك الأمر تعريف الشباب بالإسلام ، و (ترجمة) كتبه إلى لسانهم ، لأن الإسلام فى ذاته قوة هائلة ، سره فيه ، وفيه دلائله ، فمن عرفه على حقيقته لم يستطع إلا أن يكون مسلماً ، فإذا كان العلماء حريصين حقاً على ازدهاره ، وعودة أهله إليه ، ورجوع الأمة الإسلامية إلى مجدها ، فهذا هو الطريق .

(القاهرة) **على الطنطاوى**

مع ميخائيل نعيمه
فى « همس الجفون »

للأستاذ مناور عويس

« أيها اللابسون عرى اليتامى كيف تدفأون ؟ .
أيها الكارعون رى العطاش كيف تنقعون ؟
أيها الآكلون خبز الجياع كيف تشبعون ؟ .
أيها الراضعون ثدى الثكالى كيف تسمنون ؟ . .
أيها السائقون ظعن المنايا كيف تهزجون ؟ . .
أيها المستحمون بالدم الحى كيف تطهرون ؟ . .
أيها المدلجون ، إذ يقبل الفجر ، أين تدبرون ؟ . .
أيها البائعون سم الأفاعى هل سوى السم تربحون ؟! »

رأيتنى إذا عددت الشعراء الذين أفزع إليهم كلما حزبنى أمر وضقت بالحياة والأحياء أعد نعيمه فى طليعة أولئك الشعراء فما أكثر ما اردد قوله :

إذا سماؤك يوماً تحجبت بالغيوم
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم
والأرض حولك إمّا توشحت بالثلوج
أغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج!

وإن بليت بداء . وقيل داء عياء
أغمض جفونك تبصر فى الداء كل الدواء !

وعندما الموت يدنو واللحد يفغر فاه
أغمض جفونك تبصر فى اللحد مهد الحياة !

فما رددت هذه الأبيات إلا شعرت بأن المرارة التى كنت أغص بها قد خف وقعها وانقشعت عن سماء نفسى تلك السحب الدكناء وصغرت فى عينى همومى وآلامى؛ فنعيمه من هذه الناحية طبيب أرواح وقلوب قبل أن يكون شاعراً !

فهو يدخل القلوب بعقاقيره الروحية دون استئذان ،وببساطة فائقة يمتلك تلك القلوب التى أثقلتها هموم العيش وآدها ثقل السنين ويصبح فيها السيد المطاع ، فلا يلبث أن يغسلها بزيته المقدس وينقيها مما علق بها من أوضار ورسب فى قاعها من أقذار حتى تراها تعيش فى عالم نعيمه الروحانى الذى يشيع فيه الحب والخير والجمال ، فنعيمه يقوم بمهمات ثلاث : مهمة الكاهن ، ومهمة الفيلسوف ، ومهمة الشاعر ! ..

ليقل الناس ما شاءوا فلست أؤمن إلا بوجدانى ولست أفهم الحياة والفن إلا به وعلى ضوئه ، وقد هدانى وجدانى إلى حقيقة لا أتزحزح عنها قيد شعرة وهى أن نعيمه فيه نبوة ، ولكنها من نوع جديد ، وآثاره الأدبية هى (امتداد) لأنبياء العهد القديم ، أما الذين لا يرون إلا ما سطر على القرطاس فلم يكتب لهم هذا الكلام . وما دامت الفنون تقاس بمقدار ما تتصل بالنفوس ، والأدب أحد تلك الفنون — ولعله أسماها جميعاً — فنعيمه من أشد الشعراء اتصالا بالنفوس وأعلقهم بالأرواح ...
إنه من أولئك الشعراء والكتاب الذين يرتفعون بالإنسان إلى آفاق الروح الكلى ويمتزجون به امتزاج الليل بالنهار والروح بالجسد ، فما قرأته مرة إلا أحسست بأننى أقرب ما أكون إلى الله وأبعد ما أكون عن (التراب) !

وهذا لعمرى هو الفرق بين أدب السماء وأدب الغرائز والأحقاد .إن من ينعم النظر فى شعر نعيمه ونثره يجد أنه يهدف إلى غاية هى غاية الغايات ، أى نشر المحبة والخير والسلام بين الناس ، تلك المحجة التى طالما سعى إليها الأنبياء والشعراء والفلاسفة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، وسوف يظلون يسعون إليها ما دام الإنسان إنساناً ، وما دامت الأرض أرضاً ، وفى سعيهم المتواصل هذا سعادتهم وسعادة البشرية ، فالسعى إلى الكمال تطور وتجديد أما الكمال فوقوف وجمود كما يقول عبقرى ألمانيا الأعظم «جيتى»

ليست شاعرية نعيمه من تلك الشاعريات التى تعتمد على بلاغة الألفاظ ورنين القوافى وإنما هى شاعرية مجنحة تحلق بين الأرض والسماء ، قوامها الروح ولحمتها وسداها الأفكار السامية والتأملات العميقة . فى شعر نعيمه صوفية حالمة وحيرة وتساؤل وشك وإيمان ، فيه ثورة وتمرد واستسلام ، فيه امتزاج بالكون، فيه صلوات وابتهالات تحمل فى تضاعيفها النور والطمأنينة ، فى شعر نعيمه هينمة النسيم وأنداء الربيع ! ...

***

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى حمل نعيمه البندقية فى

جيش الولايات المتحدة فرأى بعينيه أشلاء إخوانه كيف تمزقها القنابل، كما سمع بأذنيه أنين الجرحى وصراخهم الذى يصم الآذان من ظلم الإنسان ووحشيته فانطبع فى نفسه كره شديد للقوة الغاشمة والأقوياء الظالمين ، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء على أعدائهم ، ولكن المجاعة فى سوريا ولبنان كانت تفتك بالألوف من أبناء وطنه فزفر نعيمه هذه الزفرة الحارة وأرسلها صرخة مدوية خالدة :

أخى ، إن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلى
بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا !

أخىّ ، من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
إذا نمنا ، إذا قمنا ، ردانا الخزى والعارُ
لقد خمت بنا الدنيا ، كما خمت بموتانا ! . . .
فهات الرفش واتبعنى
لنحفر خندقاً آخر
نوارى فيه أحيانا !! الخ . .

هذا هو نعيمه الثائر الذى يريد أن يؤجج النار فى الجليد ! هذا هو نعيمه الإنسان الناقم الساخط على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان . .

ولنصغ الآن إلى نعيمه الفيلسوف يفتش عن نفسه فى الموج الذى يثور والبحر الذى يبكى عند أقدام الصخور ، وفى الرعد الذى يدوى بين طيات الغمام والبرق الذى يفرى سيفه جيش الظلام ، وفى الريح التى تذرى الثلج عن رؤوس الجبال وفى الفجر الذى يمشى خلسة بين النجوم !

إنْ رأيتِ البحر يطغى الموج فيه ويثور ،
أو سمعت البحر يبكى عند أقدام الصخور
ترقبى الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجى البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه
هل من الأمواج جئت ؟!

إن رأيت الفجر يمشى خلسة بين النجوم
ويوشى جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا ، صاعداً منك إليه
وتخرى كنبى هبط الوحى عليه
هل من الفجر انبعثت ؟!

حقاً إن نعيمه فى قصيدته « من أنت يا نفسى » التى شوهت جمالها وفرقت وحدتها باختيارى هذين القطعين منها لمن أبدع الشعراء تصويراً وأبرعهم تلويناً للفكرة الواحدة . فمن منا لم يحس بنفسه تحاول التفلت والانطلاق ، وتحن إلى الامتزاج بمظاهر الكون ؟ إلا إننى لا أعرف شاعراً كنعيمه استطاع أن يصور لنا تلك الارتماشات التى تهيمن على النفس الإنسانية أمام هدير الأمواج وقصف الرعود ولمع البروق وأنين الرياح وانبثاق الصبح وغناء البلبل .

لقد بلغ نعيمه فى هذه القصيدة درجة الإعجاز الفنى لأنه شاعر فيض وإلهام لا شاعر قريحة ونحت ألفاظ . انظر كيف يلخص قصيدته بهذا المقطع الرائع :

إيه نفسى ! أنت لحن فىّ قد رنّ صداه
وقعتك يدُ فنان خفىّ لا أراه
أنت ريحٌ ونسيمٌ ، أنتِ موج أنت بحرُ
أنت برق ، أنت رعدٌ ، أنت ليلٌ ، أنتِ فجرُ
أنتِ فيضٌ من إله !

وهنا لابد لى من تسجيل هذه الخاطرة فى شعر نعيمه ، وهى أن شعر نعيمه من ذلك النوع الذى لا يرهق العقل ولا يكده — على ما فيه من عميق الفكر وسامى الخيال — بل يفيض على القلب طمأنينة ويشيع فى النفس راحة ويقوى من أجنحة الخيال ويبسط على الروح جواً سحرياً فيه متعة وفيه إخلاد إلى التأملات والاشراقات الروحية التى تقرب الإنسان من خالقه وتبعده عن دنيا الأطماع والسفاسف والشهوات ، ولعمرى تلك مزية شعر الأمم والأجيال ! . .

***

قال نعيمه : « إذا سئلتم عن أبدع آيات الفن وأغلاها قولوا : ضمير لا يسخر وجبين لا يعفر ولسان حليم شكور ، وقلب عفيف

غفور ، وعين لا تبصر القذى ويد لا تنزل الأذى وفكر يرى فى البلية عطية وخيال يربط الأزلية بالأبدية » ولوطبق هذا الدستور الذى استنه نعيمه للفن الرائع لكان أدبه فى طليعة الآداب التى ينطبق عليها هذا الدستور .

ولننتقل الآن إلى نعيمه المتصوف مبتهلا إلى ربه ، ففى ابتهالاته دليل ناصع على انسانيته الشاملة وإيمانه الراسخ بوحدانية الحياة والوجود :

كحل اللهم عينى بشعاع من ضياك — كى تراك
فى جميع الخلق ، فى دود القبور ،
فى نسور الجو فى موج البحار
فى قروح البرص فى وجه السليم
فى يد القاتل فى نجع القتيل
فى سرير العرس فى نعش العظيم
فى يد المحسن فى كف البخيل
فى قذى العاهر فى طهر البتول . . . .
وإذا ما ساورتها سكنتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تستفيق . . .
وافتح اللهم أذنى كى تعى دوماً نداك - من علاك
فى ثغاء الشياة ، فى زأر الأسود ،
فى نعيق البوم فى نوح الحمام . . .
فى خرير الماء فى قصف الرعود . . . .
فى هدير البحر فى مر الغمام . .
فى صراخ الليل فى همس الصباح
فى بكا الأطفال فى ضحك الكهول .
فى ابتهالات العراة الجائعين . . . .
فى انتخاب الناى فى دق الطبول . .
فى صلاة الملك والعبد السجين . .
وإذا ما قرب الموت ووافاها الصمم . .
فأختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم .
واجعل اللهم قلبى واحة — يستقى منها القريب — والغريب!
ماؤها الإيمان أما غرسها . .

فالرجا والحب والصبر الطويل ! . . .

إلى آخر تلك الابتهالات التى نستشف من بين ثناياها فلسفة نعيمه الانسانية ، المؤمنة الموحدة ، ونطل من خلال مقاطعها على ذلك العالم الروحانى الذى يعبق منه أرج (بوذا) ونفحات (لاوتسو) ...

***

وهلم بنا الآن إلى (أوراق الخريف) ...

قل أن تجتمع الفلسفة والشعر صعيد واحد ، ذلك لأن نبعة الشعر الوجدان ، ونبعة الفلسفة العقل ، وإذا استطاع الشاعر أن يزاوج بين الشعر والفلسفة كما فعل أبو العلاء المعرى (وجيتى) وغيرهما مما عمقت ثقافتهم وتسامت أرواحهم واتسعت آفاق وحيهم ودقت ملاحظتهم لبواطن الحياة وظواهرها ، أقول إذا استطاع الشاعر أن يجمع بين الشعر والفلسفة فهو الشاعر الخالد الذى لا يجوز لأمة أن تدعيه لنفسها دون أمة أخرى لأنه شاعر كل مكان وزمان . ونعيمه — فى اعتقادى — أحد أولئك الشعراء وأن كره عشاق (موزاييك) الألفاظ وعباد الطنين والرنين والقوافى الجوفاء ! .

ففى المقطعين الأولين من (أوراق الخريف) نرى نعيمه شاعراً يؤلمه ويشجيه أن يشاهد تلك الأوراق المصفرة التى لوت أعناقها رياح الخريف وذرتها فى الفضاء . .

إننى لأكاد ألمح دمعة التفجع فى عينيه وهو ينظر إلى تلك الوريقات تتساقط الواحدة تلو الأخرى ناظرات إلى رفيقاتهن اللواتى ما برحن خضراً على غصنهن بأعينهن الدامعة وقلوبهن الواجفة لهول الفراق الذى لا لقاء بعده ولرهبة المصير الذى لا رجعة منه !

هذان المقطعان هما من رائع الشعر لأنهما غاية فى البساطة والصدق والإحساس فضلا عن الموسيقى المترقرقة بين السطور وفضلا عن المعانى الإنسانية والأحاسيس المختلفة التى توحيها الأبيات للقارىء أو السامع ...

(يتبع)

منور عويس

حول قمر الناصر :

فى فن الإخراج المسرحى

للاستاذ زكي طليمات

فى العدد ٧٥٠ من هذه المجلة الغراء تفضل الأستاذ (ط) بكلمة طيبة عن تمثيل الفرقة المصرية رواية (الناصر) للشاعر الكبير عزيز أباظة باشا ، وخصنى فيها بالتفاتة رعاية ، ثم تكرم مخلصاً بالفات نظرى إلى ناحية من نواحى الإخراج الذى أجريته فى المسرحية ، وهى ناحية جديرة بالكشف وفى التعقيب عليها تبيان لمنحى من مناحى الإخراج المسرحى فى مرحلته الحديثة .

يعجب الأستاذ كيف يحدث جرح ، فوق المسرح طبعاً ، من غير أراقة دماء ، فقد طعنت إحدى شخصيات الرواية أخرى بخنجر ، ومع هذا فانه لم ير أثر للدماء ولا تمزق فى الثياب .

وهذا عجب مشروع له ركاز من الحق إذا اعتبرنا فن التمثيل من حيث الأداء ومن حيث الإخراج ، نسخا للحياة ونقلا عن الواقع فى أدق تفاصيله ، أو بالأحرى إذا اعتبرنا المسرح لوحة فوتوغرافية من الواقع

هذا الاعتبار الذى يأخذ به نقاد المسرح المصرى له أصل فى تاريخ تطور الفكرة عن فنون المسرح ، وأقصد بالفكرة وجهة النظر التى يأخذ بها الجمهور أدباؤه وفنانوه ، تبعا للمزاج العام الذى تعمل على تكوينه الاتجاهات الصريحة فى الأدب والفنون ، وقد برزت فى أتم طابع وجهة النظر فى أن يكون فن التمثيل مماثلا كل المماثلة للحياة الواقعية ، فى أواسط القرن الماضى ، وانتشرت فى أواخره وغيرت كل وجهات النظر الأخرى ، على يد المخرج الكبير (أندرية أنطوان) فى فرنسا (استانسلفسكى) فى روسيا ، وكانت هذه الحركة بمثابة رد فعل لما كانت علية فنون المسرح إذ ذاك من ابتعاد عن الواقع واغراق فى الأخذ بالتزاويق .

ولم يك هذا أمرا مستغربا لأن (المذهب الواقعى) كان سائدا فى أوروبا ، وشمل الأدب فى جميع ألوانه ، والفن فى مختلف أنواعه .

ولم يك هذا المذهب الواقعى إلا صدى من أصداء المزاج العام والحركة الفكرية الواعية وغير الواعية . بفعل التقدم الآلى فى الصناعات والمخترعات وبتأثير الحركة العلمية التى انتهت إلى اكتشاف جراثيم الجدرى والدفتريا والسل وغيرها من الأدواء ، وهى حركة قوامها (المجهر) و (معمل الإبحاث والتحليل) فكان أن خلد فى أذهان الناس بتأثير هذا ، أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى جوهر الأشياء إذا أخضعها للتحليل والتجزئة ، وأن آله (الفوتوغرافيا) فى إمكانها أن تنقل الحياة الواقعية نقلا دقيقا يطابق الأصل فالفن والحالة هذه ، لا يكون فى أوج كماله إلا إذا نسخ الواقع وماثله .

ويروى تاريخ الإخراج المسرحى ، فى صدد هذه النزعة الواقعية أعجب الحوادث ، فقد أخرج (أنطوان) زعيم هذه الحركة فى المسرح منظراً فى إحدى الروايات ، يمثل مجزراً للماشية ، فكان أن شاهد الجمهور عدداً من الماشية المذبوحة وقد سلخت جلودها ، وشدت إلى المشاجب الحديدية ، والدم يقطر منها فوق أرض المسرح ، فصفق الجمهور إعجابا .

وأخرج زميله الروسى منظراً يمثل مقدم باخرة تشق عباب البحر فى يوم عاصف ، فإذا برشاش الماء يتناثر على الصفوف المتقدمة من أمكنة النظارة . وهكذا اصبحت قدرة المخرجين على محاكاة الواقع مقياساً للتفوق والشهرة .

ولم يكن المخرجون فى هذا منحرفين عن الجادة ، لأنهم كانوا يصدرون عما يتفق ونظرتهم ونظرة الجمهور إلى الفن المسرحى من حيث أنه صورة شمسية من الواقع الملموس . وقد تناسوا أن المناظر التى يطالعونها فوق المسرح لا تأخذ من حقائق الأشياء غير مظاهرها ، بدليل أن ما يرونه ممثلا للجدران الصلبة ، والأعمدة ، وحوائط الباخرة ليس إلا أستار ملونة مشدودة إلى إطارات من الخشب ، ويكفى للدلالة على زيف معدنها أن تقع يد إحد الممثلين عليها فإذ هى تهتز وترتعش .

هذه النظرة إلى فنون المسرح أو بالأحرى هذه (النزعة الواقعية) ، مابرحت تسود الأكثرية الغالبة من الجمهور . وقد جاءت الينا مع مجىء فن التمثيل باللسان العربى ، وفى طيات الموجة الثقافية الغربية التى تكسرت على شواطىء وادي النيل فيما بعد أواسط القرن الماضى . وقد تأصلت لهذه النزعة فى مجتمعنا جذور أمتدت على مر الزمن ، فإذا الفن بين أيدينا لا يتمدى أن

يكونِ صوراً شمسية من الواقع فى أدق تفاصيله .

ولكن الزمن قد تطور فى أوروبا التى أخذنا فنون المسرح عنها ، فتغيرت قيم وأوضاع فى الأدب والفن ، فبليت (واقعية) الفن بعد أن اتضح قصورها عن أشباع الواعية الأوروبية التى أزدادت نضجاً على وقع التقدم العلمى فى نواحى الفلسفة وعلم النفس ، الذى أثبت أن المرئيات إنما هى مظاهر ودلائل تشير إلى جوهر الأشياء ولا تفصل ، وتوحى ولا تفصح ، وتجمل ولا تحلل وأن الأخذ بالتركيب Synthése أصوب من الأخذ بالتحليل العاجز المتطاول . وقامت نزعة جديدة فى الأدب والفنون تأخذ بالإيحاء الشامل بدلا من نسخ الواقع وتفاصيله ، وبالتركيز بدلا من التحليل المفصح الذى يعنى بالتفاصيل ولا ينتهى إلى الجوهر . وقامت فى المسرح ، وذلك فى أوائل القرن الحاضر ، حركة تناهض (الواقعية) فى فنون التمثيل وترتكز على ما تقدمت الإشارة إليه ، سرعان ما قضت عليها إذ تركتها بين أيدى المتأخرين من متابعة قافلة التطور فى الأدب والفن . فإذا الناظر المسرحية للاجمال والإشارة فى التصوير ، وإذا الإضاءة للتركيز على المواطن المهمة فى الحركة المسرحية وليس لمجرد الإنارة ، وإذا كل ما يبدو فوق المسرح للايحاء ، وإذا بالمسرح يصبح (تمويها للواقع) وليس (نقلا واقعيا) عنه ، وامتد تأثير الاتجاهات الفنية الحديثة إلى المرئى فوق المسرح فإذا بنا نطالع فوقه مذاهب (الإيحائية) و(التأثرية) و (التعبيرية) فى التصوير والرسم .

وقد زاد فى الأخذ بهذا ما فرضته السرعة فى الانتقال من تأثير على النظرة إلى المرئيات ، هذا التأثير الذى نسخ بدوره فعله على العقل الواعى وغير الواعى ، فغدا مقياس العمل فى كل نواحى الحياة ، (أتيان أكبر الأثر بأبسط الوسائل وفى أسرع وقت). وكان من أكبر الأسباب التى دفعت بالمسرح إلى أن يأخذ اتجاهاً يجافى الواقعية ، فى تسجيل المرئيات ، هو قصوره عن مجاراة (السينما) فى وسائل أحياء الواقع على الوجه الذى تراه العين المجردة .

من أجل هذا وعلى هدى ما تقدم ذكره فإننا نأخذ بهذا الاتجاه الجديد فى إخراج مسرحياتنا ، حتى نماشى روح العصر الذى نعيش فيه . الإيماءة تأخذ مكان الحركة الكاملة ، وجذع الشجرة ينبىء عن فروعها ويشير إلى أغصانها ، والعامود ذو الطراز المحدود ، أو الحنية أو العقد فى البناء ، يغنى عن إيراد بهو كامل الجدران قد دقت اليد فى إيراد تفاصيله وكذلك الحال فيما هو دون هذا ، فإن طعنة الخنجر أو ضربة السيف ، توحى بما يصاحبها .

وقد يصح أن فى اتباعى هذا المذهب أقدم غير ما يألفه السواد الأكبر من الجمهور ، ولكن من واجبى أن أبشر بالجديد الذى يقبله الجمهور الأوروبى ، وهو جمهور سبقنا فى مضمار فنون المسرح ، وعنه نأخذ فى فنية المسرح وحرفيته ، وهذا الجديد غير عسير استساغته ، لأنه يرتكز على الطبيعة بقدر ولا يجافيها كل المجافاة .

وأؤكد للأستاذ (ط) أن مداركة ما أخذه علينا من أن الدم لم يتفجر على اثر طعنة الخنجر ، من أيسر الأمور ، ويكفى أن نضع فى عب ممثلة دور الفتاة التى تطعن بالخنجر ، (تفاحة) مملوءة بسائل أحمر ، لا بالدم ، فسرعان ما تتفجر تحت ضغط اليد التى تهوى عليها ، فيغشى السائل الأحمر ثيابها ويسيل إلى الأرض ، بل وينطلق رشاشه إلى الجمهور الذى يأخذ مكانه فى الصفوف الأمامية .

ثم ماذا يكون قول الأستاذ (ط) إذا شاهد مرة فى إحدى المسرحيات منظراً يمثل معركة حربية بين صليل السيوف التى من الخشب ، وانفجار القنابل المزيفة التى تفرقع ولا تحدث أثرا ، بما ذا يحاسب المخرج إذا لم ير الدماء تسيل أنهاراً فوق المسرح ، والإشلاء تتطاير هناك وهناك ، ويضرب بعضها وجوه النظارة كما كان يجب أن يجرى فى الواقع ، وهل يصح أن يقول أن المخرج أهدر جانب الواقع ، وتورط فى الخطىء الفاضح .

أقول أن الخدع المسرحية التافهة التى تدخل فى نطاق ما ذكره الأستاذ الناقد أصبحت اليوم لا تؤثر فى الجمهور المثقف ، كما كانت تؤثر فى نفوس أجدادنا مخدوعين أو متناسين الحقيقة ، لأن النضج الذى نزل بالذهنية الحديثة من جراء التطور العلمى العام صار يميل إلى الأخذ بالايحاء حتى ينسرح خيال المشاهد فيكمل التفاصيل ، على وجه قد يكون أروع من تفاصيل مفروضة عليه من سواه .

أقول أن فن المسرح فى مظاهره المادية الخاصة بالإخراج ليس الحياة بواقعيتها وفى دقائقها وتفاصيلها ، وإنما هو تمويه بهذا فى حدود المعقول ، الذى يبعث الإيحاء ويساعد على الرمز وينشط مخيلة النظارة على الإنسراح لاستخراج التفصيل من المجمل ، والكل من الجزء .

زكى طليمات

١ – من وحي الآثار :

مع ملاحي الشلال الأول

للأستـــاذ مصطفى كامل ابراهيم

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .
(قرآن كريم)

حدثنا الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود فى العدد ٧٤٦ من الرسالة عن ذكرياته الشائقة فى بلاد النوبة فقال : « وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون فى البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !! » .

وتروى لنا مخلفات القدماء ها هنا ، أن رجالات الشلال قد أدوا لوادى النيل من الخدمات فى غابر الأيام ما يتوج المصريين بتاج الفخار وهى باقية ما بقى العلم وما بقى الاعتراف بالصنيع ، وأن لهؤلاء الرجال فى أعناقنا جميلا فلنؤده إحياء لذكراهم وإن قل هذا الأداء .

ولقد لعب النيل دوراً هائلا فى حياة المصريين منذ نشأة الحياة الأولى على ضفافه ومنذ بدأ القوم يتعلمون الزرع والضرع على يد « أوزيريس » الطيب القلب ، الكريم المحتد ، فلا عجب إذاً أن ملاحى الشلال الأول الذين وقفوا حياتهم على خدمة النهر والعناية بأمره وحماية منابعه[١] ، أن يكتبوا بأحرف من نور ، سجلا تاريخياً حافلا بجلائل الأعمال .

وقصة « أوزوريس وست »[٢] ، هى القصة التى ملأت وجدان المصريين القدماء طوال أيام تاريخهم القديم ، واحتلت مكان الصدارة من حياتهم الدنيوية ، وأثرت فى نفوسهم بالخير والبركة ، ولعلها السبب الثانى بعد الطبيعة السهلة التى خلقت فى المصريين النفس السمحة ولين العريكة وطيب القلب ، مما أوحى إلى « هيرودوت » أن يصدر حكمه المشهور « المصريون قوم يخشون الله » .

وطال ترديد القصة بين أفواه الناس وأسماع الزمن ، حتى تجاوبت أصداؤها فيما وراء البحر وجاء بلوتارخ سنة ١٢٠ من ميلاد المسيح ، يستنبىء الناس الخبر ، ويستقرىء الآثار ، فسمعها من الكهنة ثم كتبها للناس . ودلت الآثار على أن الرجل لم يكن متجنياً كغيره من المؤرخين[١] .

وقد مست القصة مواطن العبقرية من الأدباء والشعراء المحدثين فقضوا الليالى الطوال ينعمون معها بفيض من الاطمئنان الروحى ثم انطلقت قرائحهم بالنثر والشعر الرصين ذلك لأنها من أجود القصص بل لعلها أجودها جميعاً ، والذى يقرؤها من قلم « شيلير Sehiller » يشعر بأن الرجل كان هائماً بها هيامه بما يكتب ، فأخرجها آيات مبدعات من روائع الفن .

وأنا لا أستطيع أن أتهم المصريين القدماء بأنهم عبدوا الإنسان والحيوان والجماد لذاته ، فإن ما خلفوه من مجد أثيل وثقافة عالية لا تسمح لهم أن ينزلوا هذه المنازل السحيقة من الجهل ، بل الرأى عندى أنهم أدركوا صفات الله تعالى وبحثوا عنه فى ملكوته ، فلم يروه ... ورؤا شيئاً من صفات الخالق فيما خلق ، فقدسوها على أن بها سراً من أسرار الله ... قدسوا «أزوريس» لكرمه ورحمته بالعباد ، والنيل لمثل ذلك «وخنوم» رب الشلال الأول لأنه يحمى منابع النيل ويصنع الخلق من طينته

وبالرغم من أن مصر لم تكن مهبط الأنبياء ، إلا أن المصريين القدماء قد أظهروا استعداداً طيباً لتقبل الأديان السماوية قد ينفردون به دون أمم الأرض ، ففى أيام موسى عليه السلام ، آمنت له امرأة فرعون وكل من شاهد برهان الله على يد رسوله ، ولما جاءت المسيحية اعتنقوها حتى لم يبق فى الديار كافر بها ، ثم لما أشرق نور الإسلام فى شمال الوادى ، سطع ضياؤه بين

(١) اعتقد القدماء أن النيل ينبع من الشلال الأول .
(٢) راجع دكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس ج ١ . ص ٦٩ — ٧٢ — سليم بك حسن : الأدب المصرى القديم ج ٢ — ص ١١٣ — ١١٥ و ١٠٧ .

(٣) راجع The Papayri of Chester Beaty.
«Hymne d'Osiris», Stele Pib. Nat. 20. Rooder Urkunden Zur Religion P. 22—26.

٢٩٠٤٤

جنباته وتغلغل فى نفوس أبنائه المؤمنين « الذين قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وامتد هديه حتى عم كل بقعة وطئتها أقدام الداعين للأسلام ، أولئك الذين شدّ الله فى أزرهم وقوى نفوسهم فلم تصدهم عن رسالتهم أفاعيل السياسة ولم يقعدهم مال .

ومثل المصريين كمثل ابراهيم عليه السلام لما قلب وجهه فى الكوكب والقمر والشمس باحثاً عن الله ، فلما أعياه البحث تداركه الله برحمته ، فهداه سواء السبيل [1] .

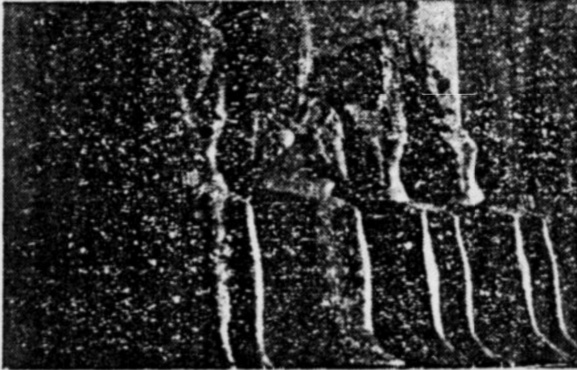
وأنا ممن يعتقدون أن القصص الدينى لم يكن كله حديث خرافة ، فمهما خصبت عقول البشر ومهما حاول المرتزقة من كهنة المصريين القدماء أن يقدموا للناس غذاء روحياً دسماً من الأساطير يعيشون على حسابه ، فلم يكن فى طوقهم ، ولا فى طوق غيرهم ، أن يخترعوا شيئاً من لا شىء ، فقصة « أوزيريس وست » إذاً هى قصة الأحياء من بنى الإنسان ، مثلتها الأيام وكان مسرحها جنبات الوادى الأخضر ، وليس للكهنة عليها من فضل ، اللهم إلا تأليه أشخاصها ، وجلوها ، وتجهيزها ، ثم زفها للناس .

وتتلخص القصة فى أن « ست » حاكم الصعيد الغشوم قد حقد على أخيه « أوزيريس » حاكم الدلتا لعدله وحب الناس له ، فصنع له تابوتاً على قدّه واحتال عليه حتى أرقده فيه ، وأحكم عليه الغطاء ثم ألقاه فى النيل ، وقذفته أمواج البحر إلى بيلوس (جبيل) من أعمال فينيقية (لبنان) ، وهناك أنبت الله عليه شجرة أرز وارفة أعجب بها حاكم تلك البلاد فقطعها ، وجعل منها عموداً يحمل سقف قصره ، وسمت « أيزيس » الزوجة المخلصة حتى عادت بتابوت الشهيد إلى الدلتا ، ثم كشفت الغطاء وأذرفت دمعة ساخنة سقطت على وجهه ، فأعادت إليه حياته بإذن الله ، إلا أن « ست » وافاه والمنية تسعى فى ركابه ، فزق الشهيد قطعاً وبعثر أشلاءه فى أقاليم الوادى ... ثم عمد منه إلى عضو التذكير فبتره وألقى به إلى سمكة فى النيل ، حتى لا ينجب ذرية قوية تنازعه الغلبة والسلطان .

إلا أن « إيزيس » التى حملت من روح زوجها أنجبت له « حوريس » فيعمل هذا على الانتقام لأبيه ، ويطلب الاحتكام فى أمره وتبدأ أولى جلسات المحكمة فى (أون) عين شمس ، ويخاف « ست » على هيئة المحكمة أن تعصف بها فتنة « إيزيس » الجميلة الساحرة ، وتنتقل المحكمة إلى قاعة العدل العليا فى جزيرة فيلة عند الشلال الأول ، غير أن « إيزيس » تسافر إلى الشلال الأول وتطلب من أحد الملاحين أن ينقلها على سفينته إلى الجزيرة ويجيبها السفان أنه لن يستطيع هذا بأذن منها ، وتتمكن أخيراً من إغرائه بالذهب فيحملها إلى الجزيرة .

... وتتم كلمة الله ويجيىء الحق وزهق الباطل وزهق معه روح « ست » .

ومنذ ذلك اليوم من فجر التاريخ إلى آخر أيام الفراعنة ، والملوك — إلا فى فترات قصيرة — يعتبرون أنفسهم أحفاداً « لحوريس » وذلك لإقرار شرعية حكمهم ، ومن أجل هذا كتبوا أسماءهم داخل إطار فيما يحاكى رسم القصر الملكى ، وقد حطّ عليه الصقر رمز « حوريس » [1] مشرعاً هامته إلى السماء .



وتروى لنا القصة فيما تروى من أنباء الماضى أن مصر قد تذوقت لوناً من ألوان الوحدة تحت حكم ملك واحد فيما قبل أيام « مينا » مؤسس « الأسرة الأولى » . وتروى لنا أيضاً أن لمصر علاقة بلبنان قديمة قدم القصة ، وتطالعنا الآثار بأن مصر أفادت من خشب الأرز اللبنانى فى بناء السفن والتوابيت ، وأغلب الظن أن علاقتهما كانت علاقة الأخ الكريم بالأخ الكريم ، ولم تكن

(١) سورة الأنعام : آيات ٧٥ ، ٧٨ .

(١) كان الأسد رمز الظاهر بيبرس .

غير ذلك طوال أيام تاريخهما ، إلا فى فترات التدخل الأجنبى وتسلطه البغيض .

ونحن لا ننظر إلى القصة من زاوية الخير والشر كما يفعل الوعاظ ، ولكن نراها من ناحية علاقتها التاريخية بالشلال الأول فالنيل شخصية واضحة تلازم البطل « أوزوريس » فى جميع مناظر القصة ، إلا ما كان منها خارج واديه ، بل لعل البطل يندمج مع النيل فى بعض فصول القصة . وشخصية «أوزوريس» فيما يظهر ، هى الصورة المجسمة العاملة المدبرة للنهر الميمون ، بل إن اختيار قاعتى العدل المزدوجة فى عين شمس أولا ، ثم فى الشلال الأول أخيراً على وجه التحديد ، كان بسبب وجود مقياسين للنيل عند منبعه وبدء تفرعه إلى أفرع كثيرة ليست من صلب النيل ، بل إن بعضها لا يمتلىء إلا فى فترة الفيضان ـ وقد كان للمقياسين أخصائيون يقيسون زيادته ونقصانه ويزنون مياهه ، ويرصدون عليه حركاته ، ثم يقدرون من وراء هذا كله دخل الحكومة وأرزاق الناس .

وعندى أن اهتمام المصريين بمنابع النيل عند الشلال الأول لم يكن عبثاً بل كان لابد لمنابع النيل من إدارة عليا تهيمن عليه ، لا تدانيها فى عظمتها إدارة الشمال ، كما هو الحال فى يومنا هذا ، فإن مصلحة الرى المصرى بالسودان توافى البلاد بأخبار النيل على الدوام .

ويعزز رأينا هذا ما قاله الملاح «لايزيس» من أنه لا يستطيع أن ينقلها بإذن منها ـ يعنى بذلك أنه موظف مسئول وأنه لا يتلقى الأمر إلا من صاحب الأمر ، وتطالعنا الآثار بأن حاكم الجنوب اتخذ كرسيه فى جزيرة فيلة عند الشلال الأول متمتعاً بأقصى ما يتمتع به عامل من ثقة مليكه .

ونحن إذ نؤمن بوجود إدارة عليا للنيل عند منابعه مع وجود السفان وسفينته فى هذا المكان والاهتمام « بفينقيا » موطن أخشاب الأرز ، كل أولئك يحملنا على الترجيح بأن ملاحى الشلال الأول هم أول من أنشأوا السفن تجرى على صفحة النيل السعيد بسم الله مجريها ومرساها .

ولعل بين أسناد التاريخ الأثرية ما تكشفه لنا الأيام فيؤيد هذا بصورة قاطعة .

ولقد ظل ملاحو الشلال الأول محافظين على عهدهم مع النيل فصادقوه وحالفوه ، وعاشوا بين كنفه فأطلعهم على مكنون سره ودخائل نفسه ، فعرفوا كل صخرة من صخوره ، وخبروا كل شِعْبة من شِعابه ، وتروى لنا مخلفات القدماء هنا بأن « أونى » أحد عمال « مون رع » فى جزيرة فيلة فى أيام الأسرة السادسة سنة ٢٣٢٨ قبل ميلاد المسيح تمكن من أن يقتطع طريقاً بين صخور الشلال ليفتح سبيلا لسفن صاحب الجلالة إلى الجنوب ، وبعد ذلك بستمائة سنة[١] تمكن عمال الشلال الأول أن يعيدوا لسنوسرت الثالث فتح هذا الطريق ثم لما كانت أيام تحتمس الثالث الذى مد الله فى سلطانه ، فأمست له أمبراطورية عريضة تمتد من « قرن الأرض إلى أطراف المياه المكوسة »[٢] ، أراد قمع الثائرين فى الجنوب ، فوجد القناة قد طمسها تيار النيل ، فأمر ملاحى الشلال الأول أن يعيدوا حفرها وهكذا مكنوه من العودة إلى طيبة بطريقها . ومن ثم وضع فى أيديهم أمر العناية بها[٣] لتبقى مفتوحة وتجرى التجارة بين الشمال والجنوب ولإيصال ثقافات الشمال إلى أبناء الجنوب فيؤلف الله بين قلوبهم ويصبحوا بنعمته إخواناً . أو للضرب على أيدى الخونة المارقين من أشياع إبليس ، الذين تتحرك فيهم الغرائز الدنيا ، ويدفعهم الأثرة وحب النفس وشهوة المادة إلى تدمير وحدة الوادى السعيد وتقطيع أوصاله ، لمغنم زائل ، أو لجاه زائف ، لا يلبث هذا أن يجرهم مقرنين بأصفاد الذلة ، ويطوح بهم إلى الحضيض من وادى العدم

فعليكم سلام الله ، أيها الأمجاد من أبناء « تاستى »[٤] وإلى اللقاء مرة أخرى فنحيى ساعة نستمرىء لذيذ ذكراكم العبقة بعطر الخلود .

(أسوان) **مصطفى كامل ابراهيم**

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

---

(١) راجع Breasted : A History of Egypt.

(٢) قرن الأرض عند دنقله والمياه المكوسة هى الفرات .

(٣) راجع Breasted : A History of Egypt.

(٤) مقاطعة الشلال الأول ، راجع تقوش جوسق سنوسرت بالكرنك .

من الأدب النسوى :

الغزل فى شعر المرأة

للشيخ محمد رجب البيومى

— ٢ —

سنتكلم اليوم عن الغزل السافر ونعنى به ما قالته المرأة ، لتذيع غرامها على رءوس الأشهاد ، فينقله عنها البعيد والقريب ، فهى إذن لا تخشى ملامة أو مسبة ، بل تقدم جريئة على تحمل ما يتهددها فى موقفها الجرىء .

ونعلن بادىء ذى بدء أننا لن نتعرض إلى غزل الجوارى فيما نحن بصدده من الحديث ، لأننا نبحث عن النسيب الصادق الذى يضطرم بالعاطفة المشبوبة ، ويتأجج باللوعة المشتعلة ، وجل ما بأيدينا من غزل هؤلاء لا يهدف لغير الإغواء والتغرير ، بل كثيراً مايهبطن إلى مستوى لايرضى عنه خلق نبيل ، حتى ليجوز لنا أن نشبههن بمن نرى من ساقطات الممثلات ، حيث يشغلن الصحف الخليعة بالحديث عن رنين القبلات ، وحرارة العناق ، وما يقصدن — علم الله — غير العاقبة الذميمة والخداع المريب .

على أنك لا ترى فى شعر الجوارى مواربة أو كناية ، بل تجد نفسك أمام صراحة فاضحة ، ومنطق مكشوف ، كأن تقول إحداهن وهو أهون ما يمكننا أن نستشهد به :

إنى لأرجو أن تكون معانقى فتبيت منى فوق ثدى ناهد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى وأراك دون مراحلى ومجاسدى

وأنا لا أنكر أن هذا تصوير صادق لما تنشده الجارية من أمل لذيذ ، فهو من هذه الناحية غزل يرتكز على الإحساس والشعور ، ولكن أدعو الشاعرة أن تبرز عاطفتها تلك ، فى سياق فنى ، يعتمد على التشبيه البارع ، والرقة المتسلسلة حتى تطرب قارئها برونق الأسلوب ، فينسى قسوة الفكرة وحرارة الهدف ، وأصدق مثال لذلك قول حفصة بنت الحاج القرطبية :

أزورك أم تزور فإن قلبى إلى ما تشتهى أبداً يميل
فثغرى مورد عذب زلال وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بى المقيل
تفضل بالجواب فما جميل سكوتك عن بثينة يا جميل

فواضح جداً أن هدف الشاعرة الأولى هو بعينه هدف الشاعرة الثانية ، ولكن سياق حفصة جميل فاتن ، ولا غرو فهو طراز أندلسى أخذ جماله من عصره ، واستمد رقته من أهله فجاء صافياً كرآة النهر الوديع .

ولابد أن يعلم القارىء أن التصريح فى نسيب المرأة كان فى مجموعه أقل من التلميح . وقد قرأت فى هذه الأيام أكثر ما روى لحواء من رائق التشبيب فلم أجد التصريح إلا فى حالات خاصة تخفف من حدته ، وتشفع لقائلته أتم شفاعة ، وهى فى جملتها لا تخرج عن حالات ثلاث :

فالحالة الأولى — وهى الجديرة بالإشفاق — تكون غالباً عند ما تفقد المرأة صوابها الراشد ، وفكرها المتيقظ ، فتندفع فى تيار الحب أعنف اندفاع وأقساه ، ولاتعود تفكر فى غير الشخصية المسيطرة على منافذ إحساسها ، القابضة على زمام فؤادها ، وما ظنك بمن ترسل أشعارها الذائبة ناطقة بجنونها الشقى ، غير عابئة بما يلقاه بها الأقربون ، من صنوف الإيذاء والتعذيب كشقراء بنت الحباب ، فقد قاست فى غرامها الطائش ما تقشعر لهوله الأبدان ، وطالما انهال عليها والدها بالسياط المحرقة تشوى الإهاب ، وتمزق الأعضاء ، وهى بعد لا تنسى فى جحيمها المشتعل حبيبها يحيى بن حمزة بل تهتف :

ألا ضرب فى يحيى وبينى وبينه مهامه لوسارت بها الريح كلت
ألا ليت يحيى يوم عيهم زارنا وإن نهلت منا السياط وعلت

وكأنى بوالدها وقد رحمها بعض الشىء فبعث إليها صواحبها لائمات عاذلات ، راجياً أن يثوب رشادها العازب إلى وكره ، فتنسى ما تهذر به للغادى والرائح ، ولكن أمل الحباب ينطفىء خابياً حين يجد ابنته تصيح فى آذان اللائمات :

سأرعى ليحيى الحب ماهبت الصبا وإن قطعوا فى ذاك عمدا لسانيا
فقد شف قلبى بعد طول تجلدى أحاديث من يحيى تشيب النواصيا

وهناك من المدنفات من لا تفرق بين النافع والضار ، فهى إذ تصطلى بجحيم الشوق اللافح ، لا تجد من تطلعه على خبيئة سرها غير والدها المنيف ؛ مع أن الأب — لوعقلت الفتاة — أول من

ينبغى أن يكتم عنه هذا النبأ الزعج ، وخاصة إذا كان من قساة البدو ، وجفاة الأعراب ، كوالد الخنساء التيحانية ، تلك التى علقت شاباً من بنى خفاجة يدعى جحوشا ، وقاست فى حبها العارم ما أقض مضجعها ، وشرد نومها ، فكتمت أمرها عن صواحبها ، وبعثت إلى أبيها التيحان تقول فى غير اكتراث :

وإن لنا بالشام لو نستطيعه حبيباً لنا « يانيحان » مصافيا
نعد له الأيام من حب ذكره ونحصى له « يانيحان » اللياليا
فليت المطايا قد رفعنك مصمداً تجوب بأيديها الحزون الفيافيا

وإذن فهى لا تكتفى بإزعاج والدها ، بل تتمنى أن يقود بنفسه مطاياه مصمداً إلى جنوب الشام ليكون رسولها الأمين إلى جحوش الحبيب ، والغرام جنون فاضح ، يولد الغرائب ، ويأتى بالمتناقضات ! !

أما الحالة الثانية : فلها من الظروف والملابسات ما يبررها لدى المنصف الأريب ، إذ تكون العاشقة ثيباً مطلقة ، فلا تؤاخذ على هيامها مؤاخذة غيرها من العذارى الناهدات ، بل يُلقى لها الحبل على الغارب ، ويسلم إلى كفها الزمام . أضف إلى ذلك ما غرب عنها من خفر الكواعب ، فقد ودعته إلى غير رجعة ، يوم أن انخرطت فى سلك الزوجات ، ولديك أم الضحاك المحاربية فقد أمسكت عن الشعر الغزلى ، حتى طلقها زوجها ، واحتمل عنها إلى مكان نازح ، فهاج بها الشوق واندفعت تقول :

سألت المحبين الذين تحملوا تباريح هذا الحب فى سالف الدهر
فقلت لهم مايذهب الحب بعدما تبوأ ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله على الفور أونأى طويل على الهجر
وما الحب إلا سمع أذن ونظرة ورجنة قلب عن حديث وعن ذكر

وسيعجب القارىء حين يجدها تكشف نقاب الحياء دفعة واحدة ، فتعبر عن الحقيقة المكظومة إذ تنشد :

شفاء الحب تقبيل وضم وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه وأخذ بالمناكب والقرون

وفى رأيى أن الغيرة أساس كل بلاء ، فلولا أن الشاعرة قد تضايقت كثيراً بتطليقها واقتران زوجها بغيرها ، لما رددت هذا القول الجرىء . وإن شئت فانظر إلى ولادة بنت المستكفى وهى كما تعلم ، جراءة قول ، وتكبر نفس ، فقد ضرع أمام جمالها الفاتن الوزيران الأديبان ابن زيدون وابن عمار ، فهزأت بهذا حيناً ، وسخرت بذلك أحياناً ، ولكن لم تكد ترى أبا الوليد يداعب جاريتها « عتبة » حتى دبت عقارب الغيرة إلى قلبها ، وعلت وجهها سحابة قاتمة ، من الضجر والضيق ، فتركت كبرياءها وكتبت إلى عاشقها تقول :

لو كنت تنصف فى الهوى مابيننا لم تهو جاريتى ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بجماله وجنحت للغصن الذى لم يثمر
ولقد علمت بأننى (بدر) الدجى لكن ولعت لشقوتى (بالمشترى)

فكيف إذن نلوم أم الضحاك وقد أبدت ولادة العظيمة ما أبدت من الغيرة والاندفاع . على أن للمحاربية الخاملة فى باب النسيب ما يضعها فى منزلة ولادة النابهة ، وما زلتُ أردد فى إعجاب قولها الرائع :

حديث لوان اللحم يشوى بحره طرياً أتى أصحابه وهو ينضجُ

ونعرج على الحالة الثالثة ، وهى كثيراً ما تتكرر أمامنا من حين إلى حين ، فقد تكون المرأة عاشقة صبة ، فتجاهد نفسها فى إخفاء ما تكابدُه مجاهدة قاتلة ، ثم تمر الأعوام وراء الأعوام فإذا الشابة العاشقة تصير عجوزا شوهاء ، ذات أولاد وأحفاد ، وإذ ذاك لا تبالى بنقد ، أو تحفل بتجريح ، بل يطيبُ لها أن تجلس مع العذارى الناهدات ، قارئة تاريخ قلبها الحافل بالعجائب والغرائب ، دامعة على صباها الغارب ، وشبابها المرحوم ، ولا عليها فى ذلك ما دام الجميع يتهمها بالهتر والتخريف ، وما دامت قريبة من القبر ، فهى هامة اليوم أو الغد ، وأى نقد يوجه إلى شمطاء شهربة ، تدب على العصا ، وتمشى بها مشى الأسير المكبل كمشرقة البدوية إذ تقول :

جريتُ مع العشاق فى حلبة الهوى
ففقتهمو سبقاً وجئت على رِسلى
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا إلا الثياب التى أبلى
ولا شربوا كأساً من الحب حلوة ولا مُرة إلا شرابهمو فضلى

ومع ما فى هذا القول من الصراحة التامة ، فإنه إذا قيس بشعر الرجل كان جميل الأثر ، طيب الوقع ؛ فنحن نرى الإباحيين من فحول الشعراء كامرىء القيس والفرزدق وبشار يطنبون فى ذكرياتهم الماجنة ، إطناباً تنقبض له الصدور ، ولو أننا لا نريد

أن ننشر هـذا اللون من الإفك ، لذكرنا على سبيل الموازنة ماتحمرله الوجوه ؛ غيرأننا نضع أمام القارىء أبياتاً لابن أبى ربيعة قد تواضع فى سردها ، فلم يملأها بما عُهد عنه من إفك ، وهى رغم ذلك من الإباحية فى هوة لا ينحط إليها غزل الحرة ، مهما فحش ولذع . قال أبو الخطاب :

فتناولتها فمالت كغصن   حركته ريح عليه فمارا
ثم كانت دون اللحاف لِمشغو   ف معنّى بها صبوب شعارا
واشتكت شده الإزار من البهـ   ـر وألقت عنها لدىَّ الخمارا
حبّذا رجعها إليها يديها   فى يدى درعها تحل الازارا !

وإن شئت أن ترى للمرأة شيئا من طراز عمر المكشوف فارجع إلى ما هجّناه من غزل الجوارى فى صدر هذا المقال .

هذا وقد تكون الشاعرةُ مضطرة إلى التصريح بما يعجز عن بيانه اللفظ ويقف دونه الريق ، فتأتى بالمعنى الجلى ، فى تركيب قوى ، دون أن يصدمها المسلك الوعر ، ويجبهُها الواقع المرير ؛ فقد راودَ توبةُ بن الحمير الخفاجى صاحبته ليلى الأخيلية فشاحت عنه ، وأرادت أن تفهمه موقفها النبيل ، فلم تستعص عليها قافية أو تند عنها عبارة ، بل أجابته فى قوة أسر وبراعة نسج فهى تقول:

وذى حاجة قلنا له لا تبحْ بها   فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وحليل
تخالك تهوى غيرها فكأنما   لها فى تظنيها عليك دليلُ

ولعمرى قد بلغت من السمو والروعة شأواً لم يصل إليه معنُ بن أوس ، حين اصطدم بصخرة كصخرتها العاتية فقد كان فى جاهليته يغشى أم مالك خليلته ، فأتت كعادتها إليه بعد إسلامه فقال من أبيات :

ولست كعهد الدار يا أم مالك   ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهل ليس بفاعل   سوى الحق شيئاً فاستراح العوازل

وشتان ما بين القولين وإن اتحدت الواقعة ، واتفق المراد !!

وليلى هذه مراث جيدة فى توبة وكانت تصلها بقليل من الغزل الرائق فتطرب النفوس فى موقفها الحزين ، وأشهد لقد دلت على أن بنات حواء كأبناء آدم ، متانة تركيب ، وجلجلة لفظ وارتفاع مسلك ، ويهمنا أن نعرض نسيبها الدامع إذ تقولُ فى معرض الرثاء :

هو المسك بالأرى الضحاكى شبته   بدرياقة من خمر بيسان قرقف
فيا ألفَ ألف يوم تأتى مسلماً   فألقاك مثل القسور المتطرف

وهناك من العاشقات غير ليلى مَن أبدعت كثيراً حين نهجت هذا النهج الجذاب ، وزادت فعمدت إلى الجناس الجميل إذ تقول:

كان مثل القضيب قداً ولكن   قده صرف دهره أى قد

أو تقول :

هو الأبيض الريان لوضربت به   نواح من الريان زالت هضابها

وهكذا تكون الدموع مسرحاً للتشبيب البهيج ! !

ولا نختم هذا الفصل دون أن نلم بنموذج من الغزل الصوفى الذى ترنمت به المرأة فنشرت أمام العيون بروداً قشيبة ، عطرة الذيول . وإذا صح مايقولون من أن الحب الصوفى فى مبدئه حب إنسانى شبّ وترعرع حتى وصل إلى نهايته العلوية ، فالمرأة أشد قابلية له من الرجل ، لما نعلمه من تأثرها العميق ، وإحساسها الرقيق . ويكفى أن نستشهد برابعة العدوية رضى الله عنها فهى صاحبة اللواء الخفاق بين أخواتها المتصوفات ، ولها من النسيب الفاتن جداول صافية تبل الصدى وتنقعُ الغليل كأن تقول :

أحبك حبين حب الهوى   وحبٌّ لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنتَ أهلٌ له   فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاكا

ورابعة كما ينطق التاريخ قد سبقت الشعراء جميعاً إلى الغزل الالهى ففتحت بذلك الطريق لابن عربى وابن الفارض والبرعى ومن يجرى معهم فى ميدان التصوف الوسيع ، ولا أدرى كيف سكت محللو الشعر القدسى فلم يسجلوا يدها البيضاء ! !

(وبعد) فهذه مرآة لامعة تجلو لنا طرائف من الغزل النسوى ونحن حين نزفها إلى القراء والقارئات نتساءل فى عجب : أيوجد بين شاعراتنا الآن من لها — ولو فى غير الغزل — هذه الديباجة المشرقة ، والرقة المتسلسلة ؟ أم أن ذلك عهد مضى ولن يعود ؟ !

(الكفر الجديد)   محمد رجب البيومى

ربيعي في قلبي ...

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

أضاءت زماني نشوةً ومكانيا ... حياةُ المنى رفّت بقلبي أغانيا
ربيعي في قلبي ونفسي وخاطري ... أسير به حياً ... وأحياه هانيا
طريق أعطارٌ تضوعُ، وبهجة ... تشيعُ، وطير طاف بالسعد شاديا
وحولي من معنى الربيع أزاهر ... وفي النفس عطرُ الزهر قد فاض صافيا
وقد كنت قبل اليوم أسوان شاكيا ... وقد كنت قبل اليوم لهفان باكيا
وقد كنت قبل اليوم وهماً مشرداً ... إلى أمل يُمسي ويُصبح كابيا
إذا أشرقت في الأفق أنوار بُغيتي ... رجعت وفي عيني من الليل ما بيا
فمن ذا الذي أحيا رمادي. والذي ... أضاء زماني نشوةً ومكانيا
فعدت كما أهوى .. وتهوى مشاعري ... ترف بعينيَّ الحيـــاةُ أمانيا
ربيعك يا ابن الشعر قد لاح. فانطلق ... ربيعاً ... وفجّر بالنشـــيد دمائيا
ففي الروح موجٌ من نعيمٍ تفجرت ... ينابيعهُ سعداً. وفاضت تهانيا
تطالعك الأيام ... وهي بواسم ... ويا طالمـا مرت عليك مآسيا
وترنو لدنياك البشائر حيّة ... وقد كنت في دنيا البشائر فانيا
وحولك جنّـات. فقم وانطلق بها ... حياةً وإحساساً وشعراً مواتيا

لدنياك. يا روح الربيع مشاعري ... تفيض قصيداً طاهر اللحن ساميا
من الأمل البسام في جلوة المنى ... يبدد يأسي ... أو يقيل عثاريا
من الدوح فيناناً، من الزهر عاطراً ... من النور فتّاناً يُضيء ظلاميـــا
من الروضة الخضراء، من جنة الربى ... من البلبل الشادي، من النهر جاريا
من الظل والأنوار والزهر والشذا ... من الحب ... من روحي وطهر فؤاديا
أصوغ لك الأشعار يا جنة الدنا ... تُضيء زماني نشوةً ومكانيا!

إذا رفّت الأعطار حولي ... تفتّحت ... أزاهير نفسي واستنارت سمائيا
وأحسست أني صرتُ روحاً يقودُه ... ويلهمه الأسرار وحياً نقائيا
أحس دبيب العطر في الزهر قبلما ... تحس به الأزهار نشوان ساريا
وأسمع همس اللحن في كل نغمة ... وأدركه نمسان في الطير خافيا!
كأن بنفسي عالمٌ لا يحدُّه ... كيانٌ ولا تحدُوه بالحسي ذانيا
أكاد أرى بالروح ما كان خافيا ... وأدرك بالإلهام ما كان نائيا
تساميت عن دنيا الرغائب وانتهت ... حياتي. لآفاق تسامت معانيا
وآمنت حتى خلت أني نبضة ... بقلب الدنا. قد باركتها صلاتيا
وأدركت أني والربيع يقودني ... أسير بأعماق الحياتين هاديا!
فتلك حياةُ الناس تنساب خدعة ... توارت ولكن أراها كما هيا
وتلك حياةُ الروح من طهر مهجتي ... تُضيء ضميري عفةً وكيانيا
ينادمني منها سموٌّ ونشوةٌ ... ويسكرها مني الحنين الذي بيا
حنيني لأعماق الحياةِ وسرها ... وإني لأحياها هُدى وتساميا
فبارك حياتي يا ربيع وطف بها ... على نبعك الفياض. واسكب حياتيا

ربيع المنى، يا جنة الناي، يا صدى ... لأنشودة الفردوس يهتز شاديا
ربيع المنى، يا جنـة العمر، يا سناً ... من الله، يا هدياً يُضيء الدواجيا
زمانك أضحى فرحة سرمدية ... ودنياك أحيت يا ربيع البواليا
ومهلك غذته الحياة، وأرضعت ... ورباك الصوادي فاستحالت مغانيا
أرى روحك النشوى تألق في الربى ... ظلالا .. وأنواراً .. وخمراً .. وساقيا
فيا حانة الأزمان! لا تنسي أنني ... وكأسي في كفي أتيتك ساعيا
فإن أنت لم تغمر حياتي نشوة ... لديك ... فلا ذنب علي ولا ليا
وحسبك أني جئتك اليوم شاديا ... نعم. واسقني واشرب وبارك شرابيا!
فلي فيك شعر طاهر الحمر خالد ... أضاء زماني نشوةً ومكانيا

حسين محمود البشبيشي



فى حجرة البك الناظر ...

« البك الناظر » هى كلمة الإجلال التى يجرى بها العرف على ألسنة الطلاب والموظفين والأساتذة فى مدارسنا طول العام ، وعلى ألسنة آباء التلاميذ وأولياء أمورهم فى الأسبوع الأول من العام الدراسى فحسب ...

وافتتحت المدارس أول الأسبوع الماضى وجلس البك الناظر فى كل مدرسة على كرسيه المحترم أمام مكتبه الموقر وتأهب للقاء طالبى الأذن عليه وقد استجمع أكثر ما يطيق من الجد حتى لينقلب هذا الجد فى كثير من الحالات عنفاً ، وأقصى ما يستطيع من الحزم حتى ليستحيل هذا الحزم شططاً ، ولا يسمك إلا أن تلتمس العذر لأكثرهم من فرط ما يتوسل المتوسلون ويلحف الملحفون ...

ودخلت حجرة البك الناظر فى مدرستنا وهو رجل طويل التجربة حازم عن أصالة تهز كريماً إذ تهزه ، ولكنك على طيبة قلبه مهما بذلت من جهد ومهما اصطنعت من حيلة لا تستطيع أن تزحزحه قيد شعرة عن رأى اقتنع به وبخاصة فيما يتصل بسلوك طلابه ...

واستأذن والد أحد التلاميذ وهو موظف فى أحد الدواوين وطرق الباب طرقة خفيفة ودخل يظهر التخشع والاحتشام وسلم وتلعثم ثم أخذ يتوسل إلى الناظر أن يقبل ابنه المفصول رحمة به ؛ وقطع عليه الناظر حديث توسله بقوله : مثات هذا الدور أول العام الماضى وقلت هذا الكلام وقبلت ابنك يومها على مضض فما كاد يدخل المدرسة حتى عاد إلى رذالته واستهتاره وطيشه ، وكان هذا سبب رسوبه فكيف تعود إلى الرجاء ، وكيف يتسنى لى أن أقبله ؟

وقال الرجل : وما ذنبى وكيف تأخذنى بجريرة ابنى؟وتعجب البك الناظر وأوشك أن يغضب ،ثم قال لم أفصلك ولكنى فصلت ابنك ، وما ذنب المدرسة وذنب أبناء الناس حتى أضع بينهم تلميذاً كهذا يفسد مدرسة وحده ؟ وعاد الرجل إلى التوسل والتضرع والتخشع ، واستنفد عبارات الاسترحام من مثل قوله السامح كريم ... المعروف لن يضيع عند الله ... اعمل معروف! وحياة أولادك ... وهكذا حتى استحال الرجاء إلى نوع غريب من التنطع ؛ وضاق صدر الناظر وضاق صدرى ؛ ولكنى والله قد أخذتنى الشفقة وأحسبنى لو كنت البك الناظر ما كنت إلا مفسد المدرسة بنصف هذا التوسل بل بثلثه ... ولكن ناظرنا لم يشأ أن يستجيب له وخرج الرجل وهو يكاد يبكى ...

وما كدت أرثى لحال الناظر مما يلاقى من ضيق حتى طرق الباب قادم آخر ودخل فإذا برجل يدلف للسبعين فيما يبدو لعينى، حسن الهندام بادى الوجاهة يتوكأ على عصا ولكنه يخطو فى نشاط وإن كان فى مشيته عرج ، وقال قبل أن يصل إلى المكتب : أعذرنى يا سعادة البك إذ أدخل بعصاى فساق مكسورة فى حادث سيارة . . وجلس وهو يتنفس فى عسر ويحاول أن يجد ريقاً فى فمه ليبتلعه فلا يكاد يجد إلا فى مشقة ؛ ولمحت فى عينيه الألم الممض وتعرفت فى وجهه حيرة ذى الكبرياء بين كبرياء نفسه وبين ما تفرضه ظروف الحياة ؛ واختلجت شفتا الرجل كأنما يجد عسراً فى إخراج الكلام ، ثم تنهد تنهدة طويلة ، وقال وإن كلامه ليتقطع بتقطع نفسه : أنا والد فلان وما جئت لأدافع عنه فابنى بطال ... بطال ... وإنما أردت أن أسألكم وأنتم أطباء الأرواح ماذا أصنع لعلاجه . لقد ضربته الآن حتى بكيت وبكى ، وليست لى حيلة فيه وهو ابن هذه المدرسة طيلة خمس سنوات . . . وتوقف الرجل ومد يداً معروقة ناحلة شاحبة وهو يحك سبابتها بوسطاها إذ يشير بهما ، وبلع شيئاً من ريقه فى عسر وتنهد يستجمع نفسه وقال أريد أن أقول شيئاً آخر وإن لم يكن فى الموضوع .. ليس لى ولد غير هذا ولكن لى بنات ستا ... وهذا موضع أملى وأنا رجل أودع الدنيا وخدمت الأمة مهندساً عشرات السنين ...

ونظرت فإذا الرجل يحبس دمعه جاهداً وإذا العرق يلمح فى جبينه وقد أزاح بيده طربوشه عنه وصار يدق بكفه على قبضة عصاه دقات ويتأوه فى صوت خافت ، وتدلت شفته السفلى فكشفت عن ثناياه الذهبية التى لاءمت صفرتها صفرة خديه الذابلين الغائرين، والتفت إلى البك الناظر فإذا وجهه رثاء كله لحال الرجل حتى لقد ظننته قبل ابنه ؛ ولكنه أشار إلى وقال للرجل : هذا أستاذه فاسمع رأيه فيه ... وحرت والله ماذا أصنع وما أستطيع الكذب ... وفطن الرجل إلى حيرتى وإنه لذو فطنة وكياسة فقال أنا أعرف كل شىء وما جئت مدافعاً كما ذكرت وإنما عدمت الحيلة فأعينونى على أمرى . وكدت لعمر الله أبكى وأعود فأقول لو أننى البك الناظر لغفرت لهذا التلميذ ذنوبه الماضية

الأدب والفن في أسبوع

الصورة الجديدة للأدب :

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك مساء الجمعة برابطة خريجي جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا . وقد بدأ الدكتور بأن للأدب صوراً متعددة لا صورة واحدة ، وأن المقصود بهذه المحاضرة على وجه الدقة هو التصور الجديد للأدب ، وهو يختلف أشد الاختلاف بحسب العصور والبيئات . فقد كنا نقول منذ زمن قريب : الأدب مرآة الحياة ، والأديب صورة عصره . فنزهى بذلك ونعده غاية ما يصل إليه الأديب ، ولكننا الآن لا نطمئن إليه ولا نرضى به ، لا نرضى بأن يكون الأدب صورة فحسب بل نطالبه إلى ذلك بشيء آخر ، ثم قال إن الصلة بين الأديب وقرائه مبنية على حرية التعبير عما يريد ليؤثر بهذه الحرية في قارئه . وإننا لنسأل الأديب : لم تكتب ؟ فيجيب في تواضع : أكتب لنفسي ، أو يقول في كبرياء وزهو : أكتب للأجيال القادمة . وربما قال : أكتب للمثقفين ، وهو على كل حال إنما يكتب ليُقرأ وليجد صداه . واستعرض الدكتور العلاقة بين الأديب ومستهلكي أدبه ، من العصور القديمة إلى هذا العصر فبين تطوراتها المتشابهة في الأدب الفرنسي والأدب العربي من حيث أن الأديب كان في كل منهما يخاطب طبقة خاصة محدودة أخذت تتسع وتكثر على مر الأزمان ، وإن كانت قد وقفت في البيئة العربية عند ما أغار عليها المغيرون من خارجها ، وظلت في جمودها إلى العصر الحديث ، وبين أن الأدب انتقل عند بزوغ شمس الإسلام ونزول القرآن ، وفي الثورة الفرنسية ، من مجرد تصويره للحياة إلى الجمع بين هذا التصوير وتوجيه الناس إلى مثل عليا.

وانتهى الدكتور من كل ذلك إلى أن الأديب في هذا العصر وقد كثر قراؤه بانتشار التعليم ، لا ينبغي له أن يقتصر على الحرية في التعبير والتصوير ، بل عليه أن يشعر إلى جانبها بالتبعات والواجبات ، فهو يكتب لجميع الناس وفيهم من يفهم ما يريد ، ومن يفهم بعض ما يريد ، ومن يفهم غير ما يريد ، فيجب عليه أن يسهل أدبه وييسره ليكون واضحاً مفهوماً للجميع ، والمجتمع الحديث لا يقنع منه أن يرى نفسه في مرآته بل يتطلب منه أن ينزل من برجه العاجي ليعيش مع الناس في بؤسهم ونعيمهم فيصور البؤس لتغييره والخلاص منه ، والنعيم للوصول إلى أصفى منه.

فالصورة أو التصور الجديد للأدب أن يحيا الأديب في البيئة ويشارك الناس أحزانهم ومسراتهم ، لا ليصور ذلك فحسب ، بل ليضيف إلى التصوير التغيير والإصلاح للوصول بالجماهير إلى مستوى فيه السعادة والنعمة والخير .

ثم قال الدكتور : هذا هو سبيل الأديب إلى أن يكون نافعاً وله قراء . أما الأديب الذي ينظر في النجوم ويشاهد أشعة القمر في انعكاسها على مختلف الأشياء ولا يغادر برجه العاجي فلن يقرأه إلا المثقفون القليلون ، وقد يسرون منه ويعجبون به ، ولكنه ليس الأديب الذي يشعر إلى الحرية بالتبعات والواجبات ، وليس الأديب الذي يقبل عليه القراء فيجدون أنفسهم وأمانيهم ومطامحهم فيما يكتبه .

وذنوب عام قادم معها ؟ أقول ذلك على علم بأنه خروج على ما يسمونه قواعد التربية ، ولكن ما الحيلة وأنا رجل ضعيف ، وإني أحذر وزارة المعارف أن تجعلني ناظراً أبداً وإلا أفسدت لها الدنيا ... وإن كنت لأزعم أن ما أصنعه من مغفرة إنما هو إصلاح وإن خفي ذلك على فحول التربية ...

وقال البك الناظر بوجه الكلام إلى الرجل وهو يدق مقبض عصاه ويتأوه ، لو كان الأمر أمر ابنك وحده لقبلته من أجل خاطرك ولكني أبعدت سبعة غيره . وارتاح الرجل لهذه الكلمة وقال : هذا كلام طيب أشكرك عليه وهو من كرم خلقك ، ثم نهض يبتلع ريقه في عسر ويستجمع نفسه المتقطع وسلم والألم والحسرة في عينيه وملامحه ، وخرج من الحجرة يتكىء على عصاه ويكرر عبارات الشكر والتحية ...

وبعد ، أفلم يأن لمدارسنا أن تغير أسلوبها فلا تجعل المسألة يوماً يبدأ وينتهي على أية صورة وبرامج تقطع تأهباً لامتحانات فاسدة لا تدل على شيء ، ثم لا يبقى بعد ذلك التفات إلى خلق ولا عناية بتربية ولا رعاية لمستقبل أمة ؟ إن على مدارسنا التبعة قبل الآباء في فساد من تطرد من الفاسدين ، وإن علينا أن نصلحهم أجمعين وإلا فبأي وجه نكون من المربين

الخفيف

عود إلى قريب :

عند ما قال الدكتور طه إننا لا نكتفى من الأديب أن يكون مرآة عصره — داخلني شيء من الزهو الذى قال إنه يداخل الأدباء ، وقلت فى نفسى : أيكون هذا الرجل الخطير قد قرأ ما كتبته فأثار فى خاطره هذا الذى قال ؟

والذى كتبته كان تعليقاً على ما أفضى به إلى مجلة « الكتاب » من الرأى فى شوقى وحافظ ، إذ قال بأنهما لم يبلغا من الشعر ما كان يجب لهما وللشعر العربى الحديث ، ومما علل به رأيه قوله : « فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه »

وكتبت تعليقاً على هذا : « ويحضرنى — لذلك — رأى للدكتور طه حسين فى كتابه (حديث الأربعاء) مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب فأى الرأيين ما زال يرى ؟ »(١) .

وسواء أكان ما قاله فى المحاضرة صدى ما أنفذته فى الرسالة منذ أكثر من شهر أم لم يكن ، فإننى أعتبره جواباً شافياً لذلك التساؤل . ولا أسوق هذا إشباعاً لما قلت إنه داخلني من الزهو ، وإنما أذكره لإزالة الغبار الذى علق برأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ من جراء ذلك التعليق .

فننا وشعورنا وبلادنا :

كتب بعض الكاتبين بجريدة الأهرام فى تجميل القاهرة ، فأثاروا فى هذا الموضوع مسألة وضع التماثيل فى الميادين والحدائق لتجميلها ، وقالوا كما قلنا فى عدد مضى من الرسالة بأن تمثال نهضة مصر لا قيمة له ولا داعى لاستمراره فى ميدان المحطة . وقد اقترح أحدهم وضع التماثيل الفرعونية الفائضة فى الميادين لجذب السائحين إليها .. فرد عليه الأستاذ عبد القادر مختار المثال المعروف بأنه يجب أن تكون لنا نهضة فنية تساير ظروفنا الحالية ، فلا نكتفى بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كما فكرنا فى القيام بشيء ، وقال : « ولهذا يجب أن نشجع الفنانين المصريين على الإنتاج ومسايرة ظروف البلاد وتطورها ، فنضع تماثيلهم التى ترمز للنواحى الوطنية وتعالج شؤوننا القومية فى الميادين والحدائق العامة حتى يتذوق الجمهور ما فيها من الفن وتكون وسيلة لهديه وتثقيفه وترقية إحساسه » .

وإنى أضيف إلى عدم الاكتفاء بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كما قال الأستاذ المثال — أن هذا القديم لا يثير فينا الشعور المنشود لنهضتنا ومرامينا القومية ، وقد راقنى من الأستاذ بيان الغرض من تجميل الميادين بالتماثيل المصرية بأنه تذوق الجمهور للفن وهديه ... الخ ، فلم ينزلق إلى ما انزلق إليه الآخرون من الحرص على جذب الأجانب وخشية وقوع أنظارهم على مقابحنا ، فإنى أفهم أن تجمل البلاد لأهلها وتعرض عليهم بدائع الفنون لتربية الذوق الفنى عندهم ولتحفزهم إلى المثل العليا ، وهذه الأغراض نفسها ترفعنا فى عين الأجانب وترغمهم على احترامنا. فلنتجه نحو أنفسنا ونشعر بشعورنا ونجمل بلادنا لنا ، وحسبنا ما بذلناه عبثاً فى مراعاة أمزجة (الخواجات) والتزويق لهم ...

مهرجان الشباب الأدبى :

رأت المراقبة العامة للثقافة فى وزارة المعارف أن تمكن شباب الجيل من إظهار مواهبه الادبية والفنية ، فألفت لجنة من الاساتذة عبد الرحمن كامل وعبد الله حبيب ومفيد الشوباشى والدكتور ابراهيم جمعة ، لتنظيم مهرجان أدبى فنى يتبارى فيه الشباب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين ، فى الشعر والزجل ، وفى الوسيقى والتصوير والنحت . وسيكون المهرجان الاول لسنة ١٩٤٨ فى أوائل السنة ، ولم يعين موعده بعد ، على أن يكون بعد ذلك كل عام

وقد قصدت وزارة المعارف بهذه المباريات أن تحفز همة الشباب نحو الإجادة والتفوق ، وأن تتيح الفرصة لإظهار مواهبهم الأدبية والفنية .

ولاشك أن الشباب سيجدون فى هذا المهرجان منفذاً لإبراز كفاياتهم الأدبية التى يتهمون شيوخ الأدب بأنهم يحولون دون ظهورها .

الشذوذ والتطرف :

كم هو ظريف هذا الذى يكتب إلى بتوقيع « البسام » فلا يكتفى بما كستنى فى الاتجاه الفكرى ، بل يما كسنى أيضاً فى الاسم ، وإن هذا الصنيع ليخرجنى عما يدل عليه اسمى (العباس) من العبوس ، فأبتسم .. كأننى أنا — لا هو — « البسام » .

قال البسام فى رسالته : « قرأت كلمتك « الأديب بين العزوبة والزواج » ولا أريد أن أدخل فى هذا الموضوع ، وإنما استرعى انتباهى قولك فى الرد على الأستاذ سلامة موسى فيما قال

(١) العدد ٧٤٥ من الرسالة

به من أن الزواج يمنع الأديب أن يشذ أو يتطرف : (وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التى نظر إليه منها وهى التطرف فى مهاجمة المجتمع ونظمه .

ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذاً مبتدعاً إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به) فإنى أراك بهذا غافلا أو متغافلا عن حقيقة بديهية ، وهى أن فى المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة وأن الأديب الحر هو الذى يهاجم هذه العادات والمعتقدات فلابد من الاصطدام » .

هون عليك يا صديقى البسام . إنى موافقك على أن فى المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة ، وعلى أن الأديب الحر هو الذى يهاجم هذه العادات والمعتقدات ، أما الذى نختلف فيه فهو أنه لابد من الاصطدام ، إن الأديب الفذ المبتدع هو الذى يمثل للمجتمع سخيف عاداته وباطل معتقداته تمثيلا يجعله يلمس هذا السخف والبطلان ، عدته فى ذلك فنه واقتداره على التمثيل والتصوير ، فيشعر المجتمع بنقصه ويتجه نحو الكمال ، ولا صدام .

أما من يصادم المجتمع فهو الذى تعوزه الكفاية الفنية فيلجأ إلى مواجهته بالكلام المجرد ، وقد يتخذله قرنين يلوح بهما ، وكثيراً ما يتعمد المصادم ذو القرنين مخالفة الناس ليقول لهم : هأنذا ...

الأناشيد :

منذ كانت قضية مصر تعرض على مجلس الأمن وكانت إذاعتنا تذيع الأنباء وبعض ما ألقى من الخطب ، وكانت فى فترات انتظار تجمع الأنباء تذيع ما تعودت إذاعته من الأغانى المزيلة التى تستعطف قلب الحبيب الهاجر . الخ ، وانبرت الأقلام تنبه على هذه الفوضى وتشير بأن تذاع بدل ذلك أناشيد حماسية تغذى الوعى القومى والشعور المتوثب — منذ ذلك الحين تنبهت الأذهان إلى الفراغ الهائل الذى يحتاج إلى أن يشغل بالأناشيد ، لأن الذى حدث أن الإذاعة أخرجت مالديها من الأناشيد الوطنية وأطلقتها على الآذان التى تحملت شدة وقعها وأبت أن تنفذها إلى القلوب لخلوها مما يصلح وقوداً لشرر الوطنية فيها ، فهذه أناشيد يتطرب بها بعض المغنين فى لين وتكسر ..

وتلك أناشيد تنشدها جماعات من الصغار أو الكبار بطريقة آلية تخرج من حناجرهم ميتة رغم إعلاء الصوت بها ، ومن هذه أناشيد وصفوها بأنها قومية وضعت بعد معاهدة سنة ٩٣٦ وقت أن قيل ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، ولا تزال تلك هى أناشيدنا القومية لأننا لم نستعض عنها بجديد ولم نخل (طرفها) بعد . . . وكل هذه الأناشيد تشترك فى أنها لا تؤدى شيئاً مما يجيش به الأفئدة فى هذه الظروف وإنما هى كلام منظوم مؤلف من عبارات عامة و(أكلشيهات) مرسومة فنحن أسد العرين وحماة الحمى وأجدادنا مدوا أيديهم إلى الشمس وأمسكوا بقرصها الذهبى . الخ وليس ثمة شىء يصور واقع حياتنا وحاضر جهادنا ، أما التلحين والإلقاء فهما منسجمان مع التأليف .. نغمات عالية وعقائر مرتفعة ، كأن المشاعر الوطنية فى مكان سحيق فهم يطلقون أقوى الحناجر لتبلغها الصيحات .. وأكبر دليل على أن تلك الأناشيد لا تنبض بحياة أننا لا نسمع أحداً يرددها طائعاً مختاراً . . ومن المخجل أنك لا تجد نشيداً واحداً يجرى على الألسنة كما تجرى الأغانى المبتذلة من مثل (حوده يانى !) .

وليست الأناشيد فى مدارسنا بأحسن حالا ، فهى على ذلك الغرار بدليل أن التلميذ لا يرددها فى خارج المدرسة ، ومن أسباب قصورها أن المشرفين على الأناشيد فى وزارة المعارف من ذوى الفن الموسيقى لهم خبرتهم فى الإيقاع لا فى التأليف لأنهم ليسوا من أهل الأدب ، وكثيراً ما يختارون ما يسهل تلحينه أو يوافق قوالب عندهم .

وقد تنبهت الوزارة لذلك فألفت لجنة من الأساتذة عبد الحميد السيد ومحمود غنيم ومحمد الأسمر منذ نحو ستة أشهر لوضع نظام لمسابقة أناشيد مدرسية . وأخيراً أتمت اللجنة مهمتها فاختارت عدداً من الأناشيد التى قدمت إليها ، والمهم فى أمر هذه اللجنة أنها كتبت تقريراً عن مهمتها أشارت فيه إلى أن المسابقات ليست هى أضمن الطرق للحصول على الإنتاج الجيد ، لأن التجارب دلت على أن الشعراء المعتدين بأنفسهم يرغبون عن هذه المسابقات وقد اضطرت اللجنة فيما اختارته من الأناشيد إلى الإغضاء عن عيوب الصالح منها وإصلاح هذه العيوب ، وأشارت باتباع طريقة أخرى هى أن يختار بعض الأشخاص المعترف لهم بالكفاية ويكلفون بالإنتاج . ولاشك أننا الآن فى حاجة إلى نشيد قومى له خواص الكائن الحى فيردده الجميع ، فما السبيل إليه ؟ أرى أن يختار عدد من شعرائنا الممتازين الذين يبدون استعداداً ، ويكلف كل منهم بوضع نشيد يؤجر عليه ، وتؤلف لجنة من ذوى الكفايات الأدبية والفنية لاختيار أحسنها . ولعل لدى قراء الرسالة من المقترحات ما ينفع فى هذه المسألة فلا يضنون به .

« العباس »



معهد الجزيرة العربية :

لا يزال الذين يغارون على مستقبل الأدب العربي بجامعة فؤاد يبدون الأسف على ما أشيع من نقل الدكتور عبد الوهاب عزام بك من عمادة كلية الآداب إلى عمادة المفوضية المصرية في المملكة السعودية بعد أن خلا في الجامعة مكانا الأستاذين طه حسين بك وأحمد أمين بك ، ويقولون إن نقل الأستاذ العميد من السلك الأدبي إلى السلك السياسي خسارة لدراسة الأدب وقيادته لا تعوض

ولكن الذين يعرفون أن آل عزام من أولي العزم ، وأن عزمهم لا يكاد يعدو الإسلام والعروبة ، يعتقدون أنهم في كل وجهة وفي كل عمل إنما يجاهدون في سبيل الدين والأدب ، ويذكرون على سبيل المثال أن من رأي الدكتور عزام أن ينشأ في الجزيرة العربية معهد لدراستها من النواحي التاريخية والأدبية والجغرافية والجيولوجية تشرف عليه الحكومة السعودية ويتولى العمل فيه بعثة من جامعة فؤاد الأول أو لجنة من جامعة الدول العربية يكون من أعضائها الجغرافي والمهندس والأديب والطبيب والنباتي والمؤرخ ، فيزورون معالمها ، ويرودون مجاهلها ، ويضمون في ذلك الكتب المطولة والخرائط المفصلة التي تتمم مابدأ به الأقدمون ، وتصحح ما أخطأ فيه المستشرقون ، وتعين المواضع التي ذكرت في القرآن الكريم ووردت في السيرة النبوية والقصص والأشعار والأمثال ، وتصف حيوان الجزيرة ونباتها ومعادنها وأحجارها على الأساليب العلمية الحديثة ؛ فإن الجزيرة مهد العرب ومنشأ تاريخهم ولغتهم ، ولا يزال الأدب العربي خارج الجزيرة يحمل ذكرى هذا الإقليم العظيم في الألفاظ والأخيلة والصور . فليس مما يزكو بالدول العربية اليوم أن تظل واقفة في علمها بالجزيرة عند ما كتب الهمداني في القرن الرابع ، أو تصبح عالة على ما يكتب الأوربيون في العصر الحاضر . فإذا كان نقل الدكتور عزام من الأدب إلى السياسة ، ومن مصر إلى الحجاز ، سبيلا إلى تنفيذ هذا الرأي ، وتحقيق هذا الغرض ، فإن العوض يكون أجل والمكسب يكون أعظم .

الفضاء والعدم :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ نقولا الحداد في العدد ٧٤٨ من الرسالة الغراء عن الفضاء والعدم . وفيه يقول إن هذا الحيز الذي نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . وأنا أقول أنه لا يجوز لنا أن نبني أقوالنا في علم الطبيعة على الحتم هذا ، فإن أجازه حضرة الكاتب فيجوز لي ولأي شخص آخر أن يقول إن قوانين الجاذبية الأرضية التي صاغها إزاك نيوتن ناقصة حتما ولا يجوز الأخذ بها كقوانين ثابتة في علم الطبيعة ، إذ ربما كان هناك مكان على سطح الأرض تسقط فيه الأثقال من أسفل إلى أعلى ، وليس في وسع الأستاذ نقولا أو أي عالم من علماء الطبيعة أن يقول إن مكاناً كهذا لا وجود له في مكان ما على سطح الأرض ما دام في الأرض بقاع لم يردها رائد للتثبت من أن سقوط الأجسام يجرى فيها طبق العادة ووفقاً لقوانين نيوتن .

فإذا وجد ذلك المكان انهدم وانهار أثبت وأرسخ ما قام عليه بناء العلم من قوانين .

ونسى الأستاذ أو أغفل ما قاله أنيشتين في نظريته النسبية وما أجرى الكثير من علماء الطبيعة من تجارب علمية تنكر ما يسمى بالأثير .

أما انيشتين فقد قال إن السرعة النسبية بين جسمين ماديين قد يكون لها أثر محسوس في الظواهر المشاهدة ، أما السرعة المطلقة لجسم في الأثير الراكد فلا أثر لها في المشاهدات ولا وسيلة لقياسها ، وإذن فلا يجوز لنا أن نفترض وجود مكان مطلق إذا كانت كل الوسائل التي نملكها عاجزة عن قياس سرعتنا في هذا المكان . ولا معنى للقول بوجود أثير راكد إذا كنا لانستطيع تحديد مقدار حركتنا في هذا الأثير ولا اتجاهها . وعليه يجب أن نعدل عن فرض وجود هذا الأثير المكاني وأن نقول بنسبية المكان

وثبوت سرعة الضوء حسب « تجربة ميكلش ومورلي » مبدأ أساس في نظرية النسبية وهو قانون من قوانين الطبيعة وهو طبقا لمبدأ النسبية مستقل عن الزمان وعن المكان وعن الحركة ؛ وعلى ذلك فسرعة الضوء يجب أن تكون مستقلة عنها جميعاً .

أحمد محمد خلف

ضدان :

الضدان فى قانون المنطق يستحيل عليهما الاجتماع ، ويمكن لهما الارتفاع ولكنهما فى منطق السياسة ، يمكن اجتماعهما ، ويستحيل ارتفاعهما وهو منطق عجيب غريب . ومن ثم فهو مريب ! ذلك أن الروس والأمريكان ، لأول مرة يلتقيان . فينفقان، وإن كان فى تلاقيهما معنى الفراق ، وفى فراقهما معنى التلاق ، فقد اجتمعا . ويا سوء ما اجتمعا ، على مشكلة فلسطين بالتقسيم ، وإن اختلفت مصلحتهما فى الصميم .

فأمريكا تريد أن تحتفظ لنفسها بالوشل ، عن طريق الدولة اليهودية المنتظرة ! وروسيا تريد أن تقيم الدليل على انجلترا بالفشل، عن طريق الحرب الأهلية المستعمرة . فيا لها من لعبة سياسية ، لاشرقية ولاغربية . قد انكشفت قناعها ، وبطل اجتماعها وارتفاعها أيها العرب ، الجهادَ بالدماء . والدماء ، فإنه ليوشك أن يرد المنطق المعكوس ، قوة الواقع الملموس .

اسنا بكير أبو رجيلة

بيت فى قصيدة :

فى عدد (الهلال) الصادر فى نوفمبر الجارى قصيدة للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم بك بعنوان « صحوة مصر » استوقفنى منها هذا البيت :

وإذا ما الأقوياء انتصروا فعلى الدنيا وأهليها العفاء !

إذ كيف لا ينتصر الأقوياء المتراصون كالبنيان والله سبحانه وتعالى فى كتابه المنزل يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من (قوة) ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

إلا أن يكون المعنى بالأقوياء (الظالمين) كالأحلاف

(الزيتون) عمر نايه

خضراء الدمن :

ذكرى فى عدد الرساله الأخير (إياكم وخضراء الدمن) على أنه حديث نبوى ، وأنه من جوامع الكلم .

وقد بسط علماء الجرح والتعديل القول فى هذا الخبر فرأوا أنه إلى الوضع أقرب منه إلى الصحة ، وقال العلامة المحدث العجلونى فى كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : قال الدارقطنى : لايصح من وجه .

احمد مصطفى عليبة

رسالة (الفن القصصى فى القرآن) والأزهر :

أصدر العلماء المدرسون فى كليات الأزهر وفى مقدمتهم الشيخ الشربينى من هيئة كبار العلماء ، والشيخ عبد الله عامر وكيل كلية الشريعة ، والشيخ عبد العزيز خطاب وكيل كلية أصول الدين ، والشيخ محمد أبو النجا وكيل كلية اللغة العربية ، الفتوى الشرعية التالية :

« اطلعنا على الاستفتاء المقدم من فضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية عن النصوص الواردة فى رسالة الفن القصصى فى القرآن المقدمة من محمد أحمد أفندى خلف الله المعيد بكلية الآداب ، ونفتى بأن هذه النصوص مكفرة يخرج بها صاحبها من دين الإسلام ، وإنه متى ثبتت هذه النصوص ، فإن مؤلفها كافر ، والمشرف على تأليفها المقر لها كافر ، ويجب أن لايتصل أحد منهما بدراسة القرآن الكريم فى الجامعة أو سواها ، ويجب أن يعاقبا بما تقضى به قوانين المملكة المصرية ، لأن عملهما هذا خروج على الإسلام دين الدولة » . وقد أرسلت هذه الفتوى إلى المراجع العليا . وقد وجه النائب المحترم عبد العزيز الصوفانى بك سؤالا إلى معالى وزير المعارف بشأن هذه الرسالة ، فطلب معاليه تأجيل الإجابة ، وطلب الرسالة من كلية الآداب ، وألف لجنة برياسته تضم بعض كبار العلماء وأساتذة الجامعة لدراستها من الناحية الدينية



الكتب المختارة :

١ – تاريخ المســاجد الأثرية

التى صلى بها جلالة الملك فاروق فريضة الجمعة

تأليف الأستاذ حسن عبد الوهاب

يجود الدهر أحايين بملوك عظام ، هم قلائد حسان ، يتحلى بهم الزمان . ينسب العصر كله إليهم ، ويسمى بهم . وعلى يدهم يبعث العلم ، ويزهر الشعر ، ويزدهر الفن ، فإذا نهضت فرنسة بفضل لويس الرابع عشر ، ورفت الحضارة فى بغداد أيام الرشيد والمأمون وزهت دمشق أيام الوليد ، فإنما تفخر وتنهض اليوم مصر فى عهد الملك فاروق .

هذا العصر الذى يرعاه المليك اليوم ، عصر نهضة قوية رائعة ، بدأ بها محمد على الكبير ، وساهم فى تقويتها اسماعيل وفؤاد ، واليوم يدفع بها إلى الأمام جلالة الملك فاروق .

إن لديك أمثلة كثاراً عن تشجيع الملك العلم ، وأخذه بيد العلماء والأدباء ، والفنانين ، والكتاب الذى أحدثك اليوم عنه ، هو فيض للملك العظيم .

فلقد « استن جلالته سنة حسنة بأدائه فريضة الجمعة فى مساجد متفرقة من أنحاء عاصمة ملكه السعيد » .

« وخص جلالته المساجد الأثرية بعنايته ، فأولاها النصيب الأوفر من اختياره . وكان هذا أكبر الأسباب لإصلاحها وإعدادها ، إذ تفضل – رعاه الله – فأمر بإصلاح كثير منها »

وقد كان الأستاذ العالم حسن عبد الوهاب ، مفتش الآثار العربية فى القاهرة ، يكتب نبذة تاريخية عن هذه المساجد التى يصلى جلالة الملك بها فريضة الجمعة ، ثم رأى جمعها ، وشمله جلالة الملك برعايته ، فأمر بطبعها على نفقة جلالته .

فهذه الرعاية الملكية ، لرجل عالم ، عصامى ، بذ أقرانه بجده وتنقيره واطلاعه ؛ لآية من آيات عظمة المليك ، ودليل على روح جلالته المتوثبة للعلم المحبة للعلماء . وتشجيعه ومساهمته فى هذه النهضة التى يعود إليه الفضل الكبير منها

والكتاب فى جزأين . فى الأول « مجموعة من المساجد حوت أهمها وأكبرها . جمعت بين المسجد الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه ، وتنوعت فيها العمارة الإسلامية فى عصورها المختلفة بمصر تنوعاً يساعد الباحث على الوقوف على تطور تصميماتها وزخارفها ، وتفاصيلها المعمارية » .

وقد مهد الأستاذ المؤلف لكتابه تمهيداً حسناً موفقاً عن نشأة المساجد ، وعن أثر الدول الإسلامية التى حكمت مصر فى العمارة الإسلامية .

وقد اتبع الأستاذ طريقة جيدة فى كلامه على هذه المدارس أو المساجد ، فهو يترجم بادىء بدء للبانى ، ويدلنا على عصره وشأنه . ثم يتكلم على تاريخ المدرسة أو المسجد ، فيصفه وصفاً مستمداً من المصادر التاريخية القديمة الموثوقة ، ويضيف إليه الوصف العلمى الواقعى ، ويعرض عليك التصميم ويحدثك عن الإصلاحات المختلفة التى طرأت على الأثر التاريخى ويستشهد بالكتابات القديمة الموجودة فيه ، ويدلك على نواحى الجمال والروعة فى بنائه أو عمارته أو ريازته أو زخارفه ونقوشه ، وهو لا يغفل عن إيراد أقوال كبار الآثاريين الفرنسيين أو الإنجليز فى البناء الذى يتكلم عليه ، وعن مناقشتها ببصيرة ، إذا كان مجال المناقشة ذا سمة .

أما الجزء الثانى فهو مجموعة صور فوتوغرافية توضح المساجد التى تناولها المؤلف بالبحث فى الجزء الأول . وهى مجموعة ذات شأن لأنك تجد فيها « نماذج مختلفة للواجهات والأبواب والقباب والمنارات والمصاريع الخشبية المطعمة بالسن والمكسوة بالنحاس ، والزخارف المنقوشة على السن والخشب والرخام والحجر والجص . كما أنك تجد فيها أنموذجات من المنابر والمحاريب والوزرات والأرضيات الرخامية ، والشبابيك النحاسية ، والجصية ، والكتابات الكوفية ، والتربات مما يساعد الباحث والمهندس على تتبع تطور العمارة وتدرجها فى عصورها المختلفة » .

وفى هذا الجزء مائتان وخمس وسبعون صورة .

وقد أردف المؤلف بحثه بذكر المراجع العربية والمراجع

الفرنجية التى اعتمد عليها . وجعل لكتابه فهارس علمية مختلفة ، كفهرس الموضوعات ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن .

وقد عنى بإخراج الكتاب عناية فائقة من حيث إخراجه الفنى وطبعه وورقه .

إن هذا الكتاب لجدير بأن يقرأ ويقتنى ، وجدير بأن يرجع إليه فى هذا الموضوع لأن فيه زبدة مطالعات ، وخبرة أعوام طوال .

وإن من واجبنا ، نحن الذين نهتم بالأمور الآثارية ، أن نهنىء المؤلف على كتابه ، كما هنأناه على نجاح المرض الذى أقامه فى مؤتمر الآثار بدمشق ، وأن نرفع آيات الشكر إلى جلالة الملك فاروق لرعايته العلم ، وتشجيعه العلماء ، وأمره أن يطبع هذا الكتاب القيم على نفقة جلالته .

٢ – بيان عن مشروع رى
حمص – حماة

بمناسبة انعقاد المؤتمر الهندسى الثالث ، الذى انعقد فى دمشق بين الثامن والحادى عشر من أيلول الفائت أصدرت مصلحة الرى للمنطقة الجنوبية بدمشق[1] بياناً مفيداً عن مشروع رى حمص – حماة . بينت فيه شأن نهر العاصى وبحيرة حمص ، وتأثير الرياح فى البحيرة ، ونظامها ، والسد القديم الذى كان فيها ، والسد القديم الممتد على طول ١١٢٠ متراً الذى صنع لها . ثم تكلمت على الأقنية التى تخرج منها لتروى الأراضى الواسعة الممتدة بين حمص وحماة والتى لا يمر العاصى منها .

والبيان مفيد جيد . وهو يوضح أشياء كثيرة عن هذا المشروع المفيد الجليل . وهو فى ١٦ صفحة مسبوق بمخطط للأقنية التى تروى المناطق ، ومردف بست صور من صور تلك الأقنية .

فنشكر لمن أصدر هذه النشرة جهده .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) بالاشتراك مع القائمين على أمر المؤتمر الهندسى .

أطياف
تأليف الأستاذ يوسف السباعى

الولد سر أبيه كما يقولون ، وإن هذه الحقيقة لتبدو واضحة الأثر فى هذا التوافق الكبير بين « الابن » الأستاذ يوسف السباعى و« الأب » الكاتب الكبير الأستاذ محمد السباعى رحمة الله عليه.

كان السباعى الكبير فياض العاطفة ، مستوعب النظرة ، كثير الداخل ، يحاول جاهداً أن يعطيك كل ما فى نفسه مفصلا وهذه هى المظاهر والسمات التى تتجلى فى قصص « الابن » ويلمسها القارىء فى هذه المجموعة التى أخرجها باسم « أطياف ».

وكان السباعى الكبير ينظر إلى الحياة على أنها لعبة ضخمة ، ويرى الناس ممثلين ، كل منهم يؤدى دوره على المسرح الفسيح ثم يتوارى خلف الستار ، وهذه هى أيضاً نظرة « الابن » إلى الحياة وإلى الناس ، وقد صدر مجموعته القصصية بتلك الكلمة المأثورة عن والده « نحن أطياف بملهى لاعب » ، وسمى المجموعة باسم « أطياف » ومن المجيب انك تجد هذه الفكرة تسيطر عليه حتى فى تناول القصة ومعالجتها ، فهو يقف دائماً وراء أشخاصه ثم يحركهم كما يبدو له ، فمرة يدفعهم إلى الأمام ، ومرة إلى الخلف وثالثة يلقى بهم فى زحمة الحياة وهو واقف كأنه يتلهى بالتفرج عليهم

وأنت تقرأ فى هذه المجموعة قصة جرت على شاطىء الأسكندرية وثانية حدثت فى صميم الريف ، وثالثة وقعت فى محيط أسرة من الأسرة العريقة المحافظة ، ألوان مختلفة ، وبيئات متباينة ، ولكنك تجد صاحبنا فى كل بيئة كأنه يقيم فيها ، ويقف على أسرارها ومظاهرها ، ثم هو لا يكرز نفسه أبداً ، كما يصنع بعض الشبان الذين يعالجون كتابة القصة فى هذه الأيام ، إذ تجد الواحد منهم فى كل ما يكتب يسير فى طريق واحد لا يتعداه ويقف عند نمط من الوقائع كأنه لا يعرف سواه ...

ولكن هناك ناحية يلمس فيها القارىء هوة بعيدة بين « الأب » و « الابن » فقد كان السباعى الكبير فى أسلوبه قوة وكان يغضب ويثور إذ يقع على خطأ عربى لأحد الكتاب ، فيا ترى ماذا كان يصنع لو أنه رأى فى أسلوب « الابن » ما فيه من مفارقات ؟.

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٣ — الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

كتابان قيمان ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٣٣٧

القول للسيف ليس القول للقلم ! ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٣٣٩

وطن الأحرار فى سوق العبيد ... : الأستاذ توفيق محمد الشاوى ... ١٣٤٢

الأحلام الناجحة ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو ... ١٣٤٤

مع ميخائيل نعيمة فى «همس الجفون» : الأستاذ مناور عويس ١٣٤٦

طرائف من العصر المملوكى ... : الأستاذ محمود رزق سليم ... ١٣٤٨

نكبة الفيضان ! ... ... : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١٣٥٠

لاذمة ولا شرف ! ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٣٥٢

«مصر وراء المنظار» : القرآن فى شارع فؤاد } الأستاذ محمود الخفيف ١٣٥٤

خلود الروح ... ... (قصيدة) : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٣٥٥

«تعقيبات» : الإسلام ... والسلام — هذا المجمع اللغوى — غيرة ! ١٣٥٦

— ابن هشام والدكتور زكى مبارك ١٣٥٧

«الأدب والفن فى أسبوع» : مل. كرسيين فى المجمع اللغوى — ١٣٥٨

— الثقافات العالية بالبلاد العربية — مؤسسة دولية للآداب — لم هذا ؟

— الأناشيد أيضاً — الأدب والثقافة بالإذاعة ١٣٦٠

«البريد الأدبى» : القضاء والعدم والأثير — رد على رد — ١٣٦١

إلى الأستاذ الفاضل «العباس» — تعبير حسابى ١٣٦٢

شاعر ... ... (قصة) : بقلم الأديب كمال رستم ... ١٣٦٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٥٣ — الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

كتابان قيمان ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٣٣٧
القول للسيف ليس القول للقلم ! ... : الأستاذ على الطنطاوى ١٣٣٩
وطن الأحرار فى سوق العبيد ... : الأستاذ توفيق محمد الشاوى ... ١٣٤٢
الأحلام الناجحة ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو ... ١٣٤٤
مع ميخائيل نعيمة فى «همس الجفون» : الأستاذ مناور عويس ١٣٤٦
طرائف من العصر المملوكى ... : الأستاذ محمود رزق سليم ... ١٣٤٨
نكبة الفيضان ! ... ... : الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود ١٣٥٠
لا ذمة ولا شرف ! ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٣٥٢
« من وراء المنظار » : القرآن فى شارع فؤاد : الأستاذ محمود الخفيف ١٣٥٤
خلود الروح ... ... (قصيدة) : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٣٥٥
« تعقيبات » : الإسلام ... والسلام — هذا المجمع اللغوى — غيرة ! ١٣٥٦
— ابن هشام والدكتور زكى مبارك ١٣٥٧
« الأدب والفن فى أسبوع » : ملء كرسيين فى المجمع اللغوى — ١٣٥٨
— الثقافات العالية بالبلاد العربية — مؤسسة دولية للاداب — لم هذا ؟
— الأناشيد أيضاً — الأدب والثقافة بالإذاعة ١٣٦٠
« البريد الأدبى » : الفضاء والعدم والأثير — رد على رد — ١٣٦١
إلى الأستاذ الفاضل « العباس » — تعبير حسابى ١٣٦٢
شاعر ... ... (قصة) : بقلم الأديب كمال رستم ١٣٦٣

٢٩٠٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 753

Lundi — 8 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٦٧ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

كتابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذان على أدهم وعبد الرحمن صدقى أديبان من جيل واحد ، أحدث سناً من جيل أدباء الشيوخ ، وأكبر سناً من جيل الأدباء الناشئين .

فهما قد نشآ فى إبان النهضة الأدبية الحديثة التى قامت على أسسها الطبيعية وأسبابها المعقولة ، وهى الأسباب التى أشار إليها الأستاذ على أدهم فى مقدمة كتابه « ألوان من أدب الغرب » فقال إنها تتلخص على الأغلب الأعم فى تلاق ثقافتين ... « فالأدب اليونانى القديم لم ينهض إلا بعد احتكاكه بثقافة قدماء المصريين ، والأدب الرومانى لم يستكمل نضجه إلا بعد احتكاكه بالأدب اليونانى ، والأدب العربى نهض نهضته المعروفة وتعددت مناحيه واتسعت آفاقه بعد احتكاكه بالأدب الفارسى والثقافة اليونانية والرومانية ، والأدب المصرى الحديث يسير الآن فى طريق النهوض والتسامى باحتكاكه بالثقافة الغربية خاصة وسائر الثقافات العالمية عامة » .

ومن مزايا هذه النهضة التى نشأ الأديبان معاً فى إبانها أنها جمعت ذخيرتها من احتكاك الثقافات ، فكان لأدبائها زاد من الأدب الأوروبى عامة والأدب الإنجليزى خاصة ، فاستفادوا صحة الأسلوب وجودة اللغة ، واستفادوا سعة الموضوعات ودقة الأداء ، وسلموا من اللوثة الأخيرة الهوجاء التى أعقبت جيلهم واندفعت فى طريق هى أقرب إلى التفانين أو « التقاليع » كما نقول فى لهجتنا البلدية ، مع قلة الزاد من اللغة وقلته من الاطلاع .

والأديبان على نشأتهما فى جيل واحد ، يتجه كل منهما حيث تهديه سليقته ويسلك به مزاجه وملكات طبعه . فالأستاذ على أدهم أقرب إلى منزع البحث والتفكير والدراسات الفلسفية التاريخية ، والأستاذ عبد الرحمن صدقى أقرب إلى منزع الأدب والشعر والدراسات الفنية ، وليس أدل على السليقة المنتظمة من أن ترى كليهما يثبت معالم هذا الاستعداد فى كل أثر يخرج من قلمه ولو كان فى حيز المقالة القصيرة ، فضلا عن البحوث المطولات ، وهكذا كانا فى كتابيهما الأخيرين اللذين ظهرا على التوالى منذ أسابيع .

صدر كتاب الأستاذ على أدهم « ألوان من أدب الغرب » ثم تلاه كتاب الأستاذ عبد الرحمن صدقى « ألحان الحان » أو سيرة الشاعر العباسى أبى نواس .

ففى كتاب الأستاذ على أدهم تقرأ فصولا عن أدباء من الروس أمثال سالتيكوف وتولستوى وترجنيف وكريلوف ، وفصولا أخرى عن أدباء من الطليان مثل مازينى وليو باردى وبابينى ، وعن أناتول فرانس الفرنسى ، وعن أونامونو الأسبانى ، وعن جيتى الألمانى ، وعن كارليل وويلز من كتاب الأدب الإنجليزى ، وعن مترلنك البلجيكى ، وعن مازاريك الشيكوسلوفاكى ، وعن

لافكاديو هيرن اليوناني الإيرلندي الذي سحرته روح الشرق من العرب إلى اليابان .

فالكتاب يحوي ألوان من أدب الغرب كله على تعدد أجناسه وموضوعاته ومناحيه ، ولا يخلو فصل من فصوله من فكرة مستقلة ورأى ناضج ووزن صحيح وفهم نافذ إلى اللباب ، ويتسع المجال هنا للتمثيل بالكلمات والعبارات وإن لم يتسع للتمثيل بالعبارة المسهبة أو الفصل الطويل .

فمن عباراته التي تشتمل كل عبارة منها على حكم صحيح أو مقياس صادق ، قوله عن الهجائين في عصورهم أن « أكثر الهجائين والساخرين لا يستطيعون الخلاص من أوهاق عصرهم والارتفاع فوق مشكلاته ، ولكن الساخر الموهوب قد يستطيع أن يلمح المعنى الأبدى الخالد خلال ضجة العصر ومعممان أحداثه »

ومنها عن الشعوب والآداب إذ يقول في أحاديث تولستوى : « من الشعوب شعوب آداب الأرستقراطية أشد تأصلاً في نفسها مثل العرب خاصة والأرومة السامية عامة ، ومنها شعوب آداب الدمقراطية أبين في أخلاقها وأعرق في طباعها مثل الشعب الروسي السلاف » .

ومنها في المقابلة بين جبابرة الأدب الروسي الثلاثة دستيفسكي وتولستوى وترجنيف أن « دستيفسكي يكثر في رواياته من التحليل ويسهب فيه إسهاباً ويصف أشخاصه من الداخل ، وتولستوى تتعاون فيه القوتان : قوة التحليل والوصف الداخلي والقدرة على توضيح المظهر الخارجي ورسم السمات البـــارزة والخصائص البادية ، أما ترجنيف فمجال براعته الوصف الخارجي الدقيق ، وهو يكتفي به ولا يسرف في التحليل ، والذي يميز ترجنيف عن أضرابه من الروائيين الروسيين هو براعته في البناء الروائي ، وضبط النسب والتقاسيم ، وتوزيع الظلال والأضواء ، ووضوح الحبكة الروائية » .

وهذه تفرقة بين الأدباء الثلاثة بالغة في الدقة والصدق والإحاطة والإنصاف .

ومن عباراته الجامعة التي هي أنسب الحقائق للزمان الذي نحن فيه : « هناك ما هو أسمى من الشعب ألا وهو الإنسانية . وإذا شئت العقل » .

ومنها في وصف أدب أناتول فرانس : « قد امتاز أدبه بخير الصفات التي عرف بها الأدب الفرنسي بوجه عام ، وهي دقة التعبير وسلاسته ، ووضوحه وإشراقه ، مع رشاقة الملمسات ، والتزام الاعتدال ، ومجافاة الغلو والإسراف ... وهو ساخر بارع يتخذ سخره قالب البساطة والتواضع ، فهو لا ينكر الأشياء في عنف ، ولا ينتقص أحداً في جفاء وشدة ، وإنما يبتسم ابتسامة خفية مهذبة ، ويتحدث في رفق ولين » .

ومنها عن الأدب الأسباني : « لم تظهر في جنوب جبال البرانس حركة فلسفية ملحوظة أو نهضة علمية مأثورة ، ويعلل بعض مفكري الأسبانيين ذلك بتغلغل الفردية في نفوس الأسبانيين ، لأن تلك الفردية المتمادية تعوق تحول الأفكار الشخصية إلى مذاهب اجتماعية ... ويحاول الأدب الأسباني أن يصف الإنسان من حيث هو إنسان مكون من لحم ودم وأعصاب وعظام ، ولا يطيق أن يحيله فكرة باقية » .

وقد استطاع الأستاذ أدهم أن يعجب بالساخر أناتول فرانس دون أن يعدى باستخفافه ، وأن يعجب بالمتشائم ليو باردى دون أن يتشاءم مثله ، وأن يعجب برجال العزم دون أن ينسى فضل التردد في تكوين الأفكار ، وتلك علامة واضحة من علامات الفكر المستقل الذي يستطيع أن يفتح نوافذه لجميع جوانب الحياة ، دون أن يستغرق في جانب منها أو يعطيه فوق حقه من التقدير .

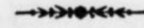
***

أما الأستاذ عبد الرحمن صدقي فقد « رتب » أبا نواس ورتب عصر أبي نواس ، فكان في تنسيقه للمتفرقات معيناً على وحدة النظر إليها ، وتقريب أسباب النظر فيها والحكم عليها . فتكلم عن الحانات في عصر الشاعر بين عامة وخاصة ، وتكلم عن مجالس الشراب في الأديرة والقلايات ، وعن الغزل والسماع ، وعن ملاهي مصر والشام والعراق ومنها حرب الأزهار . وشفع التاريخ بالشواهد الشعرية من ديوان أبي نواس على الأكثر ومن دواوين بعض الشعراء الآخرين حيناً بعد حين . فيقال بحق أن أبا نواس في ملاهيه وخمرياته يعرف من هذا الكتاب كما لا يعرف من كتاب غيره . وقد أخذ الكاتب نفسه بهذا الفرض دون

بعد فرار النقسيم :

القول للسيف ليس القول للقلم!

للأستاذ على الطنطاوى



لو كان للكلام الآن مكان لقلنا فبذذنا القائلين ، ولبعثناها فى الأرض مقالات تشتعل حروفها ناراً ، وتتفجر كلماتها قنابل ، ويكون منها براكين تنفث الحمم ، ونحن (العربَ) أقرت لنا الدنيا بأنا ملوك المقال ، وألسنة البيان ، كما أقرت لنا أننا أرباب الفعال ، وأبطال الميدان ، ولكن عهد الكلام قد انقضى ، وستسمع الدنيا غداً عنا ، كما سمعت منا ، أحاديث تشيب النواصى ، وتحرق فؤاد العدو ، وتحير من هولها ذوى الأحلام ، وسترى الدنيا أن الذى نهدد به من القوة التى خبأها الدهر فى أعصابنا ، والتى صنعها لنا ميراث آباء صدق ، فى عشرة آلاف معركة مظفرة خاضوها ، ومائة ألف قلعة منيعة اقتحموها ، وألف ألف روح طاهرة ، فى سبيل الله والحق أزهقوها — حقائق ، ليست خطابيات تسود بها الصحف ، ويتسلى بها القراء .

ولئن أخذت الأيام السلاح والمال منا ، فوضعتهما فى أيدى عدونا ، فما أخذت منا إيماننا ولا مضاءنا ، ولا سلبتنا عزتنا ولا نبلنا ، ولا بدلت جوهرنا ، ولا جعلت عدونا مثلنا ، لأن الجبان الشاكى السلاح ، لا يغدو بالسلاح بطلا ، والبغل المحلّى سرجه بالدر لا يصير بالدر جواداً ... والأمم الواغلة على المدنية ، العابثة بالمبادئ الإنسانية ، المتخذة العلم ذريعة إلى التدمير ، والفن وسيلة إلى الفساد ، ليست مثل الأمة التى حملت وحدها أمانة المدنية دهراً طويلا ، فما عرفت يد آمن عليها ، وأنفع لها ، من يدها : أخذت المنجل فنقّت روضة الحضارة من الأشواك ، ثم مهدتها وحرثتها وشقت لها الجداول ، وأقامت لها السدود ، وسقتها الماء عذباً نقياً ، حتى إذا بسقت أدواحها ، وامتدت ظلالها ، وملأ الجواء ريّا زهرها ، وانتشى الناس بخمرة عطرها ، وارتووا بعصير ثمرها ، وعاشوا بوافر خيرها ، سلمناها إلى هؤلاء . . . المتمدينين . . . ليحفظوها للأجيال الآتية ، فلم يكن منهم إلا أن رموا عليها قنبلة ذرية ...

وما ذا تصنع القنبلة الذرية ؟ إنها تميت ولكنها لا تحيى ، فهل عندهم قنبلة أخرى تحيى هذه الحكومة اليهودية التى ماتت من ألفين وخمسمائة سنة ، وتعيد إليها الروح ، وإذا هم استطاعوا اليوم إقامتها وتسنيدها بالأخشاب حتى تبدو كأنها حية ، ولن يستطيعوا ، فهل يبقون معها دائماً يحمونها أن يبتلعها هذا اللج

غيره فقال فى صدر كتابه : « هذه صورة شاعر من أكبر شعراء العربية فى ساعات لهوه ، وما كانت لتغنينا لولا ما أوحت إليه من روائع فنه . فإذا نحن قصرنا القول هنا على مجالس شرابه ، ومن حوله غلمانه وقيانه ، فذلك أن الخمر كانت عروس شعره ، بل هى شيطانه » .

وقد وفى الكتاب بهذا الغرض من ناحية الترتيب والتبويب على الخصوص .

والذى يطلب منا أن نلاحظه عرضاً فى سياق التعقيب على « ألحان الحان » أن مؤلفه الأديب تجاهل كل رأى لنا فى موضوعات كتابه ولا سيما رأينا فى خمريات الخيام وخمريات المعرى وعلاقتهما بخمريات أبى نواس ؛ مع أنه يعلم هذا الرأى حق العلم ويقرر فحواه كل التقرير ، وهو أن سكر الخيام هرب من مشكلة فلسفية ، وأن سكر النواسى عكوف على لذة حسية ، وقد عقد لهذه المقارنة فصلا خاصاً فى كتابه ، وأتبعه بفصل عن المعرى وما قاله فى الخمر ، وحرص على رد الآراء إلى أصحابها فى الهوامش وثبت المؤلفات ، ولعله قدر أن الإغضاء عن ذكر « العقاد » يرضى أناساً كان أرضاؤهم يومئذ مما يعنيه .

إلا أننا نشير إلى هذا التجاهل الذى لا عجب فيه لنقول إنه ينفعنا ولا يضيرنا ، فلا يقولن قائل مع هذا أن العقاد يعطى فوق حقه من معاصريه ، بل له — أو عليه — أن يقول : إن حقه قام على رغم الجهلاء والمتجاهلين ، وأنهم لو استطاعوا لأنكروه ، ولكن إنكاره بحمد الله مما لا يستطاع .

عباس محمود العقاد

العربي الذي يحيط بها ، أو تهدمها موجة عاتية من موجاته ، فتأتى عليها من القواعد ؟ ... أفلم يفكروا فى هذا ؟

أنا أسمع من زمان أن السياسة لا أخلاق لها ، ولكنى لم أعلم قبل اليوم أنها لا عقل فيها ... ولا حياء !

أفلا يستحى هؤلاء (المحترمون) أعضاء هيئة الأمم المتحدة أن ينكروا بالأمس على هتلر أنه سلب حقوق اليهود فأعطاها الألمان ، وأنه أراد العلو فى الأرض بغير الحق ، وأن يثوّروا عليه الدنيا ، دفاعاً عن الحق وعن الديمقراطية ، ثم يجيئوا اليوم فيفعلوا ما لم يفعله هتلر ، ولا موسولينى . وما أدافع عن الملعون موسولينى ، ولكن أقول إنه كان كالذئب يقتل الخروف ليأ كله ويتغذى به ، لذلك عدا (لا رحمه الله) على طرابلس ، أما هؤلاء فيعتدون ليغذوا غيرهم ، ويبيعون دينهم بدنيا سواهم !

أو لا يعقلون أيضاً ؟ ! ولا يخطر على بالهم أنه ربما نشأ هتلر آخر ، يكون اسمه ستالين مثلا ، وربما احتاجوا أن يثيروا الناس عليه مرة ثانية باسم الحق والإنسانية وميثاق الأطلنطى ... فهل يجدون فى الأرض مغفلا واحداً يصدقهم ، بعد الذى رأى منهم ؟

أو لا يعتبرون بما انتهى إليه هتلر ، ومن قبل هتلر نابليون ، ومن قبلهما كسرى وقيصر ، وكل طاغية جبار ؟ فهل دامت الدنيا على أحد حتى تدوم لهم ؟ أهم أشد سلطاناً فى الأرض من الإسكندر ، وتيمورلنك ؟ لقد كان الاسكندر ، وكان تيمور بطلين ليس أمامهما كفوء لهما ، وهؤلاء مهما قويت كل دولة منهم ، فإن لها أكفاء هم أعداء فى ثياب أصدقاء ، وسيضرب الله بعضهم ببعض ، ويريح الإنسانية منهم ومن حضارتهم ، ولا يبقى منهم إلا أخباراً يقرؤها غداً تلاميذ المدارس ، فيعجبون من أصحابها ويلعنونهم عليها . وهذا أمر محقق وإن كان يبدو الآن كالخيال .

أولا يفكرون أنه لو اتخذ مثل هذا القرار ملك من ملوك الحكم المطلق ، أو أمير ظالم من أمراء القرون الوسطى فى أوربة ، لفضحه كتاب التاريخ ، وقالوا ، لص يأخذ مال زيد ليعطيه لعمرو ، وقالوا ، مجنون يجود بما لا يملك ، ولملأوا صحائفهم غيرة على الإنسانية وحقوق الإنسان . فلماذا يخرسون الآن فلا ينطقون ؟ لماذا لا نسمع من أوربة وأميركة ، أصوات من يدعون أنهم أنصار الحق وأن أقلامهم للإنسانية ليست لفرد ولا لشعب ؟

لقد غضب أميل زولا لدريفوس ، فقالوا إنه رجل الحق والإنسانية ، وصدقنا ما قالوا ، فلم لا نلق اليوم فى الغرب كله زولا واحداً ، يغضب لأمة بقضها وقضيضها ، تزاح عن مكانها وتطرد من أرضها ، ليحل اللص الواغل عليها فى محلها ، وتشترك فى هذه المؤامرة الدنسة أمم الغرب كلها . ؟

لماذا يخرسون الآن ؟ ألأن الظلم صار ظلماً منظماً ؟ ألأن قطاع الطرق تركوا الجبال والمغاور وجلسوا فى (ليك سكسس) ألأن محكمة التفتيش صار اسمها (هيئة الأمم المتحدة) ؟ ألأن الجزارين أميركا وروسيا وفرنسا ، والشاة فلسطين ؟

خسأتم يا حلفاء الشيطان . . والله ما فلسطين بالشاة ولكنها القنفذ ، على ظهرها الشوك ، إنها السكين المشحوذة ذات الأربع شعب ، إنها زجاجة السم الناقع ، فليتقدم لابتلاعها من شاء أن ينتحر ...

***

لا ، ما نريد أن نتكلم . ولو أردنا الكلام ، لدمغنا جباه هذه الأمم التى أقرت التقسيم بأربعمائة مليون لعنة ، تلق التاريخ بها غدا ، وتلقى الله بعد غد ، وهى مخزاة لها ، وعرة فى جباهها ولكنا نريد العمل .

ونحن نعترف أننا لا نملك مثل أموال اليهود ، ولا مثل أسلحة الأميركيين ولكنا نملك سبعين مليون روح ، من ورائها ثلاثمائة وثلاثون مليون روح ، نريد أن نزهقها كلها ، أو ندفع عنا هذا الضيم الذين تريدنا عليه أميركا وروسيا ، فهل عندكم من القنابل الذرية ما يكفى لقتل أربعمائة مليون ؟

أما نحن فإن عندنا من القوة ما ندمر به كل شيء لكم فى بلادنا . . بضائعكم ومصالحكم ومدارسكم (وسمعتكم) فلا تستطيعون أن تأخذوا بعد اليوم بترولنا لتحرقونا به ، ولا أموالنا لتحاربونا بها ولا أولادنا لتجعلوهم أعداء لنا ، ولا تجدون فينا بعد اليوم من يسبح بحمدكم ، ونحن نصلى بناركم .

لقد خدعنا بفرنسا أولا ، حتى فزع إليها الزعيم مصطفى كامل وحسب أنها أمة الحرية حقاً ، وأمة حقوق الإنسان . .

وخدعنا بانكلترا ثانياً حتى ترك الملك حسين إخوانه فى الإسلام وحلفاءه فى المركة، وانحاز إلى العدو، وفعل فعلته التى فعل ...

وخدعنا بأميركا ثالثاً ومبادىء ولسن، وميثاق الاطلنطى .

وخدعنا بروسيا رابعاً، والمبادىء الشيوعية المثالية التى تجعل الأرض جنة للفقراء . . فذقنا وبال ذلك كله علقماً مراً، ثمالة كأسه تقسيم فلسطين فلن نخدع بهم بعدُ أبداً، كفرنا بهم كفراً صريحاً لا تأويل له، ولا شبهة فيه، ولا رجوع عنه . كفرنا بكل شىء غربى، إلا الأدب الإنسانى والعلم التجريبى، فما فيها شرق ولا غربى . كفرنا بموسكو وواشنطون، ولندن وباريس . . حين رأينا أنه لم يكن معنا من الأمم يوم التقسيم إلا أمم الإسلام وأمم كاليونان والهند حكمها المسلمون ورأت جمال الإسلام، أفليست هذه حرباً صليبية دينية ؟ أليس أولئك هم المتعصبين حقاً، ونحن المساكين نتهم بالتعصب، لأننا (من حماقتنا) نقول أننا متعصبون ولا نتعصب ... وهم يتعصبون ولكن لا يقولون ...

أنا لا أقول فى هؤلاء المؤتمرين بالحق والعدل شيئاً، ولو أننا قلنا فيهم أقبح المقال، لما جزنا عن القصد، ولما حدنا عن الصدق، ولا نقول إن العرب لا يقر لهم قرار، حتى يمحوا بدمائهم هذا (القرار)، ويطهروا ديار الشام من أقذار الصهيونية، وينظفوا منازل العربية من أوضار الاستعمار الظاهر منه والمستتر . لا، ولا أقول: سنفعل، ولكن سأقول: فعلنا... ولقد جاءت الأخبار بأن العرب شرعوا بالعمل، وهذى طلائعه بدت من دمشق، ودمشق قلب العربية، من القلب ينبثق دم الحياة إلى الرأس والجوارح والأعضاء ...

هذى طلائعه وأوائله، وأول الغيث قطر ثم ينهمر !

ولست أفخر بأن دمشق ثارت، فما هى بأولى ثوراتها على الظلم، ولا بأنها سبقت عواصم العرب كلها، فدمشق أبداً السباقة إلى كل ما فيه إعزاز العربية والدفاع عنها، ولكن أفخر بخمسة أمثلة ضربتها دمشق أول أمس، فيها للعرب هدى ونور !

أولها: أن دمشق أدركت أن دعوى المساواة فى الشيوعية كاذبة، كدعوى العدالة فى الديمقراطية، وأنهم كلهم أعداء لنا يأتمرون بنا، ولصوص يتفقون علينا، وذئاب تجتمع على نهش لحومنا، وشرب دمائنا، فدمرت دار الحزب الشيوعى بعد ما رأت فيها يوماً كيوم مارس ١٩٤٥ .

ففى مارس كانت النار تطلق على أطفالنا ونسائنا من نوافذ دار البعثة الفرنسية فى (الشهداء) بأيدى الفرنسيين وأذنابهم حمير الاستعمار، وأمس كانت تطلق النار على شبابنا وأطفالنا من نوافذ دار الحزب الشيوعى فى (الشهداء) بأيدى حمير الاستعمار، أذناب موسكو

وثانيها: وهذه خلة فى دمشق لا توجد فى غيرها، أن الأحزاب كلها اجتمعت أمس على اختلافها، وتقاربت على تباعدها، فلم تبق فى دمشق حزبية، لأن الحزبية فى مثل هذا اليوم تعد فى الشام خيانة وطنية .

وثالثها: أن الحكومة كانت مع الشعب، وأن رئيس الجمهورية خطب فى الشباب والطلاب يدعوهم إلى الجهاد، ولا عجب فقد كان شكرى بك القوتلى الوطنى المجاهد مقارع الاستعمار قبل أن يصير فخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وأنه خطب مثل ذلك رئيس الوزارة السيد جميل مردم، ووزير الداخلية السيد محسن الرازى، ووزير المعارف الصديق السيد منير العجلانى، وأن ثلث نواب المجلس تطوعوا مع المطوّعين لنصرة فلسطين . وأنها لم تسق كتائب الشرطة وفرق الجنود، لضرب وجوه المتظاهرين، وسد الطرق عليهم، وكل ما صنعته الحكومة أن حاولت منع الناس من الأذى، فلما رأت أن الحماسة طاغية وأن المنع لا يكون إلا بإيذاء الناس لم تستطع أن تحتمل مقالة التاريخ عنها: «إن حكومة فلان وفلان، ذبحت شباب البلد لأنهم خرجوا يدافعون عن فلسطين» وما فى الشام رجل واحد يرضى أن يكون رئيس وزارة، وأن تنسب إليه هذه المعرّة !

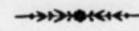
وكان أجل من ذلك كله . أن قررت الحكومة حل الحزب الشيوعى، ومحو هذه البقعة النجسة عن وجه دمشق وطرد الموظفين الشيوعيين، وكانت حسنة من حسنات (المحسن)

ورابعها: أن دمشق أغلقت ملاهيها وسينماتها إلى أجل غير مسمى لأن الأمة التى تجدّ حقاً فى جهاد هو لها مسألة حياة أو موت، لا تفكر فى تسلية ولا لهو، وإن هى فعلت كانت أمة لاعبة كاذبة .

وخامسها: أنها جمعت البضائع الصهيونية، والأفلام

وطن الأحرار في سوق العبيد

للأستاذ توفيق محمد الشاوي



وقعت الواقعة ، وحدث المستحيل : اتفقت روسيا مع أمريكا ، لا على صيانة سلم العالم وأمنه من خط المنافسة بينهما وتوسيع كل منهما لنفوذه على حساب استقلال الأمم الصغيرة ، ولكن على تقسيم « فلسطين » . وكأن كلا من هذين العملاقين قد شعر بأن فلسطين الصغيرة ، العربية الأبية ، لن تخضع له منفرداً ، فآثر أن يتفقا معاً تجاوزاً عن خصومتهما التي ملأت أسبابها كل بقعة على ظهر الأرض بدلا من الاعتراف بالعجز والتراجع أمام الإباء العربي والمقاومة الإسلامية . فإن كان في ذلك معجزة فليس بغريب أن تأتي فلسطين بالمعجزات ، وإذا كانت فلسطين الصغيرة قد حققت تلك المعجزة بفضل تضامن العروبة معها ؛ وهي بعد لم تبدأ المقاومة العملية والتجربة الدموية التي تتأهب لها ، فإن العالم سيشهد قريباً لبطولتها وجهادها بالمعجزة الأخرى ؛ هي أن تنتصر إرادة هذا الشعب العربي الصغير الأبي على خطط الصهيونية وحليفيها العملاقين مجتمعين . وإذا كتبت فلسطين صحائف جهادها بدماء أبطالها ، وسجلت العروبة تضامنها بنجدة شبابها ، فإن قوى الأرض مجتمعة لن تنال من وجودها واستقلالها ، ولو اتفق على ذلك الروس والأمريكان .

إيه يا فلسطين لا تيأسي ولا ترددي ، ولا يقولن دعاة الذلة والاستكانة ماذا نفعل أمام جحافل الشرق الروسي والغرب الأمريكي ، وأين لنا بالقوة التي نحبط بها إرادة « الأمم المتحدة » فما تلك إلا حجة الجبان يبخل بدمه على مواطن الشهادة ، وبراحته على متاعب الجهاد . أما سليل البطولة ومن تجري في دمه عزة العروبة فإنه يعلم أن هذا « الاتفاق » بين أنصار الباطل إنما هو وهم وتضليل يقصد به إرهابك وإضعاف عزيمتك ، أملا في أن ينصرف شعبك عن المقاومة ويرغب في الاستكانة . فإذا أنت تشبثت بعروبتك وصممت على الجهاد في سبيل استقلالك فستنهار كل هذه « الاتفاقات » وتتحطم هذه المؤامرات في ميدان العمل ولعمري إنه ليس بغريب أن اتفق الروس والأمريكان هذه المرة ؛ فمن ذا الذي لا يتفق على اقتسام شعب لا يقاوم ؟ ومن ذا الذي لا يتفق حتى مع عدوه على اقتسام غنيمة باردة ، ما دام يظن أنها لن تكلفه شيئاً ؟ ولكن مثل هذه الاتفاقات الرخيصة ستذوب وتتلاشى ، وسترين أن دماء أبنائك كفيلة بمحوها متى أيقن العالم أن إرادتك قوية وأنك عازمة على الدفاع عن حقك بالدماء .

إيه يافلسطين ، أيتها العربية الأبية ، إن هذا الاتفاق الذي يعلنه الصهيونيون نصراً لهم ، سيعمل دعاتهم ما استطاعوا ليوقعوا في روع شعبك الباسل أن الأمر قد قضي ولا سبيل إلى المقاومة ؛ والحقيقة أنك قد ارتفعت بهذا الأمر وشرفت به ، وإن كل أمريكي من المائة مليون الذين يسكنون الولايات المتحدة ليعلم اليوم أن بلاده قد أقدمت على تضحية كبرى باتفاقها مع الروس هذا الاتفاق ، وهو يعرف لماذا أقدمت بلاده على هذه « التضحية » إنه يوقن أنها فعلت ذلك اعتقاداً منها أن ذلك سيجنبها عبء الاصطدام بالمقاومة العربية التي لا تريد مواجهتها وقد أوهمها سماسرة الصهيونية أن هناك شيئاً واحداً يجنبها هذا الصدام ، وهو أن يصدر قرار قانوني من « الأمم المتحدة » ولابد لذلك من رضاء روسيا ، فلتحصل عليه بأي ثمن . فانظري يا فلسطين الصغيرة أي ثمن تدفع أمريكا لتتفادى مواجهة مقاومتك وحدها

الأمريكية ، وأحرقتها في الشوارع لأنها عرفت أننا إن شتمناهم ونحن نروج بضائعهم ونشتري أفلامهم نكون قد أيدناهم وقويناهم ، وأضحكناهم على أنفسنا .

وبعد فلن يصل عدد (الرسالة) إلى أيدي القراء ، حتى يكون هذا الجديد الذي أحدث به عن دمشق قد صار قديماً ، وحتى نسمع عن القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والموصل ومكة وعمان والمغرب أدناه وأقصاه وأقطار الباكستان وأندونيسية أخباراً أجل وأعظم ، ثم نسمع من فلسطين الخبر الذي يأكل الأخبار .. خبر الانتصار ، وتحرير الديار .

ولن تقوم للصهيونيين دولة في فلسطين ، ما دام المسلمون في الأرض والله في السماء .

علي الطنطاوي

وهل تظنين أن أمريكا كانت تقبل أن تنتظر موافقة روسيا لتفعل شيئاً لو كانت استطاعت أن تفعله وحدها ؟ فما بالك إذا أصبحت مقاومتك حقيقة واقعة ، وأرادت روسيا أن تطالب بنصيبها في « العمل » مستعينة في ذلك بسلاحها التقليدي « الفيتو » ؟ قسما إن أمريكا تفضل حينذاك أن تهدم « الأمم المتحدة » بدلا من قبول ذلك …

إيه يا فلسطين العزيزة . إنك ستحققين هذه المعجزة ، وإن أبناء العروبة ليتحفزون للتضحية رهن إشارتك ، ويدفعهم إيمانهم بالمثل العليا والمبادىء السامية التي سيكافحون من أجلها ، غير عابئين بدعاة الذلة واليأس ، الذين يتخذون من « الواقع » حجة لبذر أسباب الجزع والاستكانة ، وإن لهم شياطين تملهم وتغذيهم بمنطق خادع مضلل ، إنهم ليقولون : كيف تطلبون الانصاف من عالم لا يعرف الإنصاف ، وتنتظرون العدل من دول لم تؤسس إلا على الظلم ، وبماذا تتسلحون ؟ بقوة الروح وعزة النفس في ميدان لا يعرف إلا عدة الحرب وقوة السلاح . والواقع شهيد بذلك ، فالأمم الصغيرة تباع اليوم في أسواق السياسة بيع الرقيق ، وتعرض في مؤتمرات الاستعمار ظاهرها وخفيها عرض السلع . لقد قام مقام الرق الفردي رق جماعي هو الاستعمار بكل صوره من حماية أو وصاية أو انتداب ، هو الرق الأوربي الذي ابتدعه شياطين السياسة ليتحكموا به في رقاب الأمم والشعوب . ألا ترون أوطانكم التي بيعت في هذه « الأسواق » السياسية واحداً بعد الآخر ؟ وما « الأمم المتحدة » إلا سوق جديد من أسواق الرقيق ، فإذا استطاع الذهب الصهيوني والنفوذ الأمريكي أن يتما الصفقة ، وأن يملك اليهود فلسطين كلها أو بعضها ، فقد ضاع الحق ولا سبيل إلى استنقاذه ، وتأيد الظلم ، وما هو بجديد …

ألا وإننا نرى الواقع ولكن بغير عين الجبناء الأذلاء . ونعلم منه ما هو أشد إيلاماً وأبلغ بياناً ، نذكر أن الذين باعوا فلسطين ، والذين يساومون على برقة وطرابلس لم يدخلوها فاتحين وإنما دخلوها حلفاء لأهلها ، أصدقاء لشعوبها ، بذلوا لهم الوعود وقدموا لهم العهود والمواثيق ، فاطمأنوا إليهم وأمنوا لهم ، حتى إذا انتهت الأزمة ، وزالت عنهم الحرب ، نقضوا العهود وتناسوا الميثاق ، وباعوا إخوانهم في السلاح وأعوانهم في الكفاح ، لا بيع غالب لمغلوب ، ولا قاهر لمقهور ، ولكنه بيع الصديق للصديق ، وغدر الرفيق بالرفيق ووضع القيد في يد الحليف دون العدو . تلك والله الكبيرة التي لا يأتيها الوحش في الغابة ولا يجيزها حتى قانون الذئاب المفترسة ، ولكن يأتيها الأوربي المتمدين ويعاملنا بها الانجليز الحلفاء …

فما هي القوة إذن ، ولكنها الخيانة والغدر ، وإذا باع الحليف حليفه ، واسترق الرفيق رفيقه ، فإنما يبيع أولا شرفه وكرامته ، ويخلع عن نفسه آدميته . فإذا وُجد في القرن العشرين دول تقوم على هذه الخطة وتثرى من هذه التجارة ، فهو انحطاط جديد في الإنسانية قد أصيب به الأقوياء الذين يرضون أن ينزلوا بنفوسهم إلى أحط درجات الإنسانية ، وأصبحوا هم أنفسهم عبيداً لأطماعهم وشهواتهم ، ولا يغير من هذه الحطة وتلك الذلة التي يمارسونها أن كانوا في يوم من الأيام أقوياء ، وأن تمكنوا بسبب هذه القوة من احتراف ذلك النوع الجديد من « النخاسة » والاتجار بالأحرار ، وإذا كان الرق قد ألغى إلى غير رجعة ، وعلت إرادة الإنسان أن تخضع لسيد مهما يكن ، فإن أشد البلاء أن تصيب النكسة قوماً كانوا أول من دعا لإلغائه ، ولابد لهم أن يفسروا لنا قيام هذه الأسواق الاستعمارية التي يمارسونها ، وأن يقروا معنا أن العبودية وقد انتفت عن الأمم جميعها ، متى أرادت ذلك وصممت عليه ، فإن وصمتها تمكن أن تلقى على عصابة النخاسين الذين يمارسون حرفة قد أبطلتها الإنسانية ومبادئها السامية .

أيها الأحرار لم يعد بينكم وبين الحرية إلا عزيمتكم وإرادتكم وما العزيمة إلا البذل والتضحية والاستشهاد . لن يضيركم تلك الصكوك الزائفة الباطلة التي يعدها سماسرة « الأمم المتحدة » متى أعلنتم إرادتكم وقوتكم ، وستحول دماؤكم هذه الصكوك إلى قصاصات حقيرة وتضعون حداً لهذه المهزلة التي تمثل على مسرح « ليك سكسس » والتي يراد بها بيع وطنكم فلسطين ، بيع الرقيق ، فإن العالم لم يعد يقر بعد اليوم أن يباع وطن الأحرار في سوق العبيد .

توفيق محمد الشاوي
مدرس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

الأحـــــلام الناجحة

للأستاذ عبد العزيز جادو

(س) فتاة ناهزت الخامسة والعشرين ، وإنها لكالزهرة الناضرة فى الروضة اليانعة ، ترفل فى صحة صافية ، وتزدهى بجمال فتان . وكان من نعمة الله عليها أن خلى الله لها والديها يستمتعان بميسرة فى العيش وبهجة فى الحياة . وإذ كانت الآنسة (س) من خريجات الجامعة المتفوقات ، فقد أبت أن تركن إلى الدعة وشاءت أن تشتغل معيدة فى الجامعة ، فوجدت فى عملها هذا لذاذة وأقبلت عليه فى شوق .

وما هى إلا أيام حتى تغير كل شىء ، فانهارت صحتها ، وكثر تغيبها عن عملها ، بعذر وبغير عذر ، وعاد شبابها البهيج وجوماً وانقباضاً .

ولما بحثت حالة هذه الفتاة ، تبين أنها نتيجة حلم .

ولقد سرّها أن ترى الحلم أول مرة على ما فيه من إبهام وغموض ، ولكنه لما تكرر ليلة بعد ليلة أفزعها وأرعبها ، وحاولت جهدها أن تنفيه عن ذاكرتها أثناء ساعات نومها ، ولكن بدون جدوى .

وبدأ الحلم أول مرة كأنما هى فى صحراء موحشة ، وبينا هى تكافح فى سبيل بلوغ الطرف الآخر من البادية ، حيث تعرف أن هناك شراباً ووسائل للترفية ، إذا بها ترى أن الرحلة طويلة شاقة ، وإذا بالشمس اللاذعة تتسلط على رأسها وقفاها وليس لها من دونها حجاب . وكانت (س) تلهث من فرط العطش والتعب ، وكل خطوة تخطوها فى ذلك القفر تشعرها كأنها تقتلع صخراً بأقدامها . وأخيراً بلغت الواحة ، وهنا بدأ الجزء المفزع فى الحلم ، فقد كانت المياه تترع الأنهار وتنصب فى الشلالات ، ثم تكون بركا عميقة فى كل جانب ، فأطفأت الفتاة عطشها بأن شربت جرعة ، غير أنه كان يبدو إلى جانبها شخص فى هيئة الشيطان يهيب بها فى صوت عال ضاحكا : « اشربى ! اشربى ! » ولم يكن بالفتاة حاجة إلى الشرب بعد ما استوفت وا كتفت ، ولكنها أرغمت على العب والاكتراع حتى صار الماء يتدفق ثانية من شفتيها ، ومع ذلك فهى مرغمة أبداً على الشرب . وأخيراً وجدت نفسها تسبح فى مجرى مائى أسود اللون ، ومع إشرافها على الغرق فإنها لا تغرق

وهكذا تكرر الحلم ليلة بعد ليلة ، حتى أمست الفتاة فى حالة تدعو إلى الرثاء

ولما عرضت الآنسة (س) على أحد الأطباء النفسانيين ، وبحث حالتها بحثاً شاملا ، وجد أن إلى جوار المنزل الذى تسكن فيه غدير ماء كان موضع بهجتها فى طفولتها ، ولكنها الآن تخشاه ، ولو أنه أصبح جزءاً من حياتها يلازمها فى رواحها ومغداها وهذا ما تمثل لها فى قول الشيطان : « اشربى ! اشربى ! »

فإذا خلينا حالة هذه الفتاة الشابة جانباً ، وعالجنا الأحلام من جانبها العلمى ، وجدنا أن بعض الناس يفتخر بأنه لا يرى فى نومه حلماً ؛ ومع ميلنا لتصديق هذا الزعم ، إلا أننا نعتقد أن مثل هذا الشخص به ضعف فى الذاكرة ، فنحن لا يمكننا فى كثير من الأحيان تذكر الأحلام بجملتها

ويعتقد كثير من الناس أن الأحلام إنذارات بما سيأتى به الأيام من حوادث . وكتب تفسير الأحلام التى تباع فى الأسواق بكثرة تستوقف النظر ، والتى تفسر كل حلم على حدة ، إنما تعالج الحلم ودلالته المستقبلة

وأقطاب علم النفس اليوم لا ينكرون أن للأحلام معالم دالة على المستقبل ؛ ونحن لا ننكر أن للأحلام تنبؤات ، وإن كانت الأحلام فى الغالب أشباحاً من الحاضر والماضى

ويخبرنا النفسانيون فوق ذلك أن الأحلام تندرج بين تجاريبنا الطبيعية الضرورية لحياتنا ، وأنها تعبير عادى من تعبيرات العقل لا ضرر منه أكثر من الضرر الذى ينجم عن الطعام أو التنفس أو النوم ذاته

وقد وضع الدكتور سيجموند فرويد منذ قرابة أربعين عاماً نظرية عن الأحلام سماها « نظرية الحراسة » . وقصارى هذه النظرية أن النوم ضرورة جوهرية للجسم الصحيح ، وأن العقل ذاته يفعل كل ما فى مكنته ليتحقق من أن الجسد يأخذ حظه المقسوم من النوم المريح ؛ وفى أثناء النوم يلزم العقل الواعى أن يكون فى راحة تامة ، بيد أن العقل الباطن يظل مزاولا وظيفته

خلال النوم من غير أن يوقظ النائم . والعقل الباطن يختزن في أعماقه حوادث وذكريات اليوم الماضي ، كما يختزن في قرارته ذكريات الأحداث القديمة التي نسيها تماماً العقل الواعي . ذلك لأن العقل الباطن لا يعرف النسيان ، وهو في كل لحظة على أهبة أن يبدي للعقل الواعي ما قد نسيه . ولو أن الأحداث التي تمر بالعقل الباطن خلال النوم طافت بالعقل الواعي ، إذن لأرّقت النائم ونفت عنه الراحة . لذا أخذت الطبيعة حيطتها ضد هـذا الخطر وقدّمت لنا الأحلام . وميكانيكية المخ هي التي تشكل الأحلام في صورها المختلفة ، فطوراً تكون شائقة أخاذة ، وطوراً مفزعة مرعبة

على أن الأحلام كيفما تكن حالتها إنما هي حجاب وحفاظ على النوم ، وفي الصباح تبدو الأحلام مضحكة ووهمية كما تراءت في أشباحها وخيالاتها ، ولـكنها تعدّ ناجحة لأنها حفظت راحة الجسم وأدّت وظيفتها المثلى .

والعلم الحديث يقسم الأحلام إلى ثلاث درجات :

الأولى : تختص بالأحلام التي تنجم عن اضطرابات في الغرفة التي ينام فيها النائم . فلو أن صنبور المياه القريب من حجرة النائم اختل وبدأ يساقط نقطاً لها صوت ؛ أو أن الوسادة التي تحت رأسه تكتلت وغلظت ، فإنه في الحالة الأولى يطالع في حلمه مشهداً ريفياً بهيجاً ، ويسمع ترنيم الطير على الأشجار . ويحلم في الحالة الأخرى بأنه يتسلق جبلاً ويستمتع بجمال قمته . فالحلم في الحالتين يؤدي وظيفته في حفظ الجسم مستريحاً ، وكأنه يقول في المرة الأولى للنائم « لا تستيقظ ! ليس الأمر أمر صنبور المياه ، ولـكنها الطيور تغني ! » وفي حالة الوسادة الخشنة يقول الحلم للنائم : « إنما أنت تتسلق صخوراً لتصل إلى القمة بعد قليل فتسر بمنظر جميل فلا تكترث ! » وعندئذ يكون الحلم ناجحاً وموفقاً .

الثانية : تنشأ من حوادث اليوم الذي مرّ بالنائم . فلو أن امرأً جازت به في يومه أحداث غير سارّة ، فقد يرى في نومه أن رجل البوليس يضرب أحد المارّة مثلاً . ويقول لك حلمك الحارس : « إنها مشاجرة تافهة ، فامض في نومك مطمئناً ! »

الثالثة : وهي أهم مما تقدم جميعاً — يستيقظ العقل الباطن في غضونها مستعيداً الأحـداث المطوية في ضمير النائم . وتقوم ميكانيكية الحلم هنا بمساعدات وديّة لاستمرار النوم ، إذ تلوح للعقل بأنه يقفز فوق قنن الجبال أو أسطح المنازل أو يعبر المحيطات

ومن ثم يسخر ممن هم دونه في القوة . هذه الأحلام تنصح للنائم بألا يبالي بما مرّ به من عقبات وصعاب ، أو بما سيجيء به الزمان من مكابدة ومشاق ، ولهذا يمنح قوة خارقة تجعله يستنيم إلى الراحة فلا يستيقظ ...

فالأحلام تعدّ موفقة وناجحة إذا هي أفلحت في حفظ النائم نائماً فلا يفيق من غفوته قبل استيفائه قسطه من الراحة كاملاً .

***

ولنعد الآن إلى حكاية الآنسة (س) التي صدرنا بها هـذا البحث فنقول إن الاخصائي الذي حلل الفتاة نفسياً ، أثبت أن للفتاة عمة انتهرتها ذات مرة لأنها تشرب الماء بطريقة غير مألوفة أثناء تناولها الطعام حتى أنها أصيبت بعسر هضم ، الأمر الذي اضطرها إلى الاقلاع عن عادة تناول الماء خلال تناول الطعام . بل إنها زادت على ذلك فأمست لا تطفيء ظمأها إذا ما شربت في الأوقات العادية ، ومن ثم كانت (س) تذهب إلى فراشها وهي ظمآى ...

كان ذلك الظمأ حالة ثابتة في النوم . وكان يهدد بإيقاظ النائم وكان بادىء الرأي ألماً ممضاً يسبب التنشيط ، فحول حارس أحلامها الألم إلى صحراء مجدبة قاحلة ، مصحوباً بإيحاء ودي « ستحصلين فوراً على ماء كثير » . وإذ يغدو ظمأ الجسم الفيزيقي أكثر ثبوتاً ، يصير حارس الحلم أكثر تأثيراً لا بتعقل فحسب ولـكن بصواب أيضاً ! فكان أن صاح الحلم . « لا تستيقظي ، ها هو الماء كثيراً ويمكنك أن تأخذي منه كفايتك ! ... »

ووجد أن الآنسة (س) كانت تتخيل أن الحلم بوفرة الماء قد يكون سببه تعودها الفعلي على الشرب الـكثير قبل النوم . فكانت لذلك لا تشرب إلا قليلاً قبل ذهابها إلى النوم ، آملة أن يقف الحلم عند حده . وكان مغبة عملها هذا أنها أطلقت العنان لعناد الحلم ...

وكان العلاج في غاية البساطة . هو أن تتناول قدحين من الماء قبلما تذهب إلى فراشها . وبهذا العلاج البسيط زالت أهمية الحلم وصار لا لزوم له على الإطلاق ، ولذا امتنع عن العودة . وبزوال الحلم زالت أيضاً المخاوف من الماء ، تلك المخاوف التي بدأت تؤثر على عقلها لدرجة خطيرة . واستعادت (س) صحتها ، وسعادتها .

والعلاج الذي نتخذه ضد ما نسميه الأحلام « السيئة » يوجد

مع ميخائيل نعيمة
فى « همس الجفون »

للأستاذ مناور عويس

— ٢ —

وفى المقطعين الثالث والرابع نرى نعيمة يستسلم لحكم القضاء الذى يسخر كل ما فى الوجود لكل ما فى الوجود ، كما نراه يعود إلى نغمته المستحبة — وحدة الوجود — وما أقرب فلسفة نعيمة من فلسفة (اسبنوزا) — ووحدة الوجود هذه التى يتغنى بها نعيمه هى وليدة اليأس وابنة الحيرة والشك ، لقد حاول نعيمه أن يؤمن بما لقنوه صغيراً من عقائد وأديان فأبى عليه عقله النفاذ وقلبه الكبير الحساس الواعى أن يؤمن بما لا يرضاه عقله وقلبة الكبيران ، فعكف من ثم على الأديان القديمة والحديثة يغربلها وينخلها ويقتلها درساً وتمحيصاً فاستخلص منها خير ما فيها وخلف قشورها وزؤانها للعميان الذين يؤمنون بالحرف ولايدركون الروح ، أولئك الذين « يكرمون النبتة ويذلون التربة ! »

أخذ نعيمه من الأديان أثمارها وأزهارها وأوراقها وترك فروعها الجافة الزائدة للغربان تنعق فوقها ! ... ثم خلع على معتقده هذا فنه وروحه فأبدع لنا ديناً وفناً جديدين لا عيب فيهما إلا أنهما إنسانيان شاملان ليس فيهما ارهاق للأرواح ولا استعمار للنفوس والعقول ! .

دين نعيمة وفنه لا يعرفان للانسانية حدوداً ولا للوطنية سدوداً وقيوداً .

ولقد رحب بأدب نعيمه وعقيدته قوم وأنكرهما آخرون ؛ أما الذين أنكروهما فسوف يرجعون عن ضلالهم عندما تزول عن عقولهم رقى السحر وطلاسم الشعوذة ؛ سوف يفزعون إلى تلك الواحة الوارفة الظلال حيث يستريح المتعبون وثقيلو الأحمال ! .

لابد لكل عبقرى من أن يؤدى تلك الضريبة الباهظة الأزلية — ضريبة العبقرية — لأهل وطنه وزمانه ، ولابد له أيضاً من أن يلبس أكاليل الشوك قبل أن يزدان مفرقه بأكاليل الغار ! فلو لم يكن نعيمه شرقياً لسميت الشوارع باسمه وأقيمت له التماثيل أو على الأقل لوضعت كتبه بين أيدى طلبة الكليات والجامعات . ولكن نعيمه الروحانى الإنسان شرقى يعيش فى مهبط الأنبياء ومصدر الوحى — وكم رجم الشرق من أنبياء وكم قتل من مرسلين! — عفواً أيها القارىء لقد نسيت (أوراق الخريف) مرة ثانية فهاهى كاملة فاقرأ وتأمل وتحسس ثم احكم ؟

تناثرى تناثرى يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر !
يا أرغن الليل ويا قيثارة السحر
يا رمز فكر حائر ورسم روح ثائر
يا ذكر مجد غابر قد عافك الشجر !
تناثرى تناثرى !
تعانقى ، وعانقى أشباح ما مضى
وزودى أنظارك من طلعة الفضا
هيهات أن هيهات أن يعود ما انقضى !
وبعد أن تفارقى أتراب عهد سابق
سيرى بقلب خافق فى موكب القضا
تأنقى ، وعانقى ! ..

فى الغالب فى الحياة العادية الصحية ، النظيفة . وإننا إن حكمنا أفكارنا ورتبناها ، يصير نومنا هادئاً مريحاً . وليس هناك أى خوف إن حلمت . فإن كنت متمتعاً بالصحة فلا بد أنك ستحلم الأحلام التى ستحرسك من أى انفعال مزعج ، سواء كان من العالم الذى حولك وأنت نائم أو من العالم الأكبر المخزون فى ذاتك الداخلية . إذن ستنام ، وستجد الصحة فى « المجدد الهادىء للطبيعة الحلوة — النوم » .

والشخص العاقل يستعمل النوم للنفع أيضاً . فالأفكار التى تلازم العقل الواعى قبل النوم مباشرة ، بانتظام أو حتى باطراد ، تتسلل وتأخذ طريقها إلى اللاشعور . فإن كانت الأفكار عن سعادة أو نجاح أو صحة ، فإنها حتما تعجل نشاط اللاشعور وتتحقق تلك الرغبات .

ما أكثر ممكنات النوم . وما أقل استعمالنا لها !

عبد العزيز جادو

سيرى ولا تمانى ... لا ينفع العتاب
ولا تلوى الغصن والريا ... ح والسحاب
فهى إذا خاطبتها ... لا تحسن الجواب
والدهر ذو العجائب ... وباعث النوائب
وخانق الرغائب ... لا يفهم الخطاب

سيرى ولا تمانى !

عودى إلى حضن الثرى ... وجددى العهود
وانسى جمالا قد ذوى ... ما كان لن يعود !
كم أزهرت من قبلك ... وكم ذوت ورود !
فلا تخافى ما جرى ... ولا تلومى القدر !
من قد أضاع جوهراً ... يلقاه فى اللحود !

عودى إلى حضن الثرى ! . . .

ليست (أوراق الخريف) هذه سوى رمز للانسان ، ألعوبة الأقدار ، وسخرية الليل والنهار ، الإنسان الذى لا يملك لتلك الأقدار دفعاً ولا لبطش الزمان به كفاً . إن (أوراق الخريف) من عيون شعر نعيمه لا بل يمكن وضعها إلى جانب روائع شعراء الغرب الذين نظموا فى هذا الموضوع ، ومن شك فى ذلك فليقرأها مترجمة ، فالترجمة هى محك الآثار الأدبية ، وبها نميز الشعر الرفيع من الشعر الزائف الذى أملته المناسبات التافهة والأغراض الرخيصة . . انظر إلى قوله :

سيرى ولا تمانى ... لا ينفع العتاب !

أو قوله :

كم أزهرت من قبلك ... وكم ذوت ورود !

فأية مرارة تفيض من هذا الشعر ؟ وأية بساطة ، وأى إحساس وأية موسيقا ؟ ! إننى أترك للقارىء الحكم والمقارنة بين هذا الشعر البسيط وبين شعر النحت والبلاغة اللفظية . وشتان بين بلاغة الروح وبلاغة اللفظ ، وشتان بين شاعر يعرف ما يريد أن يقول وبين شاعر لا يهمه إلا أن تطول قصيدته التى يكثر فيها النظم ويندر الشعر . . إننى لعلى يقين من أن صاحب (همس الجفون) لم ينظم قصيدة من قصائده إلا بعد أن حبل بها فكره وتمخض عنها وجدانه ... اصغ إليه فى قصيدته (التائه) كيف يصور لنا أشواق روحه وأوجاعها وتعطشها إلى الإيمان كما يرسم لنا حيرته فى تلك النار المقدسة التى تشب بين ضلوعه فيطلب أن تختار لها موقداً غير قلبه ، ونحن نحمد الله على أن اختار لتلك النار قلباً شاعراً واعياً كقلب نعيمه ، قلباً (يحول قضبان سجنه أوتار قيثارة) ويخلق لنا من لظى تلك النار واحات نقصدها كلما اشتد علينا قيظ هذه الحياة اللاهب ! . .

أسير فى طريق ... فى مهمه سحيق
ووحدتى رفيق ... ووجهتى الفضا
مطيتى التراب ... وخوذتى السحاب
ودرعى السراب ... ورائدى القضا
تسوقنى الثوانى ... فى موكب الزمان
ولست أدرى شانى ... فى معرض الورى
فلا القضا ينبينى ... ولا الرجا يهدينى
ولا السما تعطينى ... نوراً لكى أرى
أخالقى رحماكا ... بما برت يداك
إن لم أكن صداكا ... فصوتُ من أنا ؟
ربى ألا ترانى ... أساق كالجبان
ربى أما كفانى ... عماىَ والونى ؟
فابدل لظى نيرانى ... بجمرة الإيمان
واجعل من الحنان ... للقلب مرهما
إذ ذاك بالتهليل ... أسيرُ فى سبيلى
وخالقى دليلى ... ووجهتى السما !

هذا هو نعيمه الحائر بين موحيات الكتب التائه فى مفاوز الأديان وشعابها المطلسمة ، قد أضناه تساؤل العقل وأذابه حنين الروح للوصول إلى الحقيقة والإيمان ! ...

هذا هو نعيمه الذى استنجد بالسماء لتهبه راحة الإيمان فلما ضنت عليه السماء بتلك النعمة خلق من نفسه لنفسه سماء ولا كالسماء ونعيما ولا كالنعيم ، وتلك السماء وهذا النعيم اللذان أبدعهما نعيمة بصبره الطويل وتهجداته الروحية المضنية إن لم نجدهما فى (همس الجفون) فنحن واجدوهما فى (زاد المعاد) (والمراحل) (والبيادر) .

نعم وصل نعيمه إلى السماء أو (النرفانا) التى حج إليها من قبله (الغزالى ، وابن عربى ، والأسيزى) وطاف فى رحابها (ابن الفارض ، والجنيد ، والحلاج) وغيرهم ممن صفت نفوسهم وطهرت قلوبهم من أقذار الأرض وأوضارها .

(البقية فى العدد القادم)

مناور عويس

طرائف من العصر المملوكى

للأستاذ محمود رزق سليم

تمهيد :

قيضت لى الظروف الاطلاع على كثير من تاريخ العصر المملوكى وأدبه ، واجتماعياته . واستخلصت من ذلك كله مؤلفة موسوعة تصدر تباعا فى أجزاء . وأحببت أن أعجل إلى قراء الرسالة الغراء ؛ فأعرض على أنظارهم صورا شتى لنواحى هذا العصر ، آملا أن يجدوا فيها طرافة ، وأن يجدوا فى هذه الطرافة شيئاً نافعا يجلى أمامهم وجه هذا العصر وخصائصه ، ويزيل عن حواشيه ما اكتنفها من ظلام .

وستكون هذه الطرائف خليطاً منوعا ما بين تاريخية وأدبية واجتماعية ونحوها وإلى القارىء نبذة تاريخية سريعة تعرف بالعصر .

١ — التعريف بالعصر

العصر المملوكى فترة من فترات التاريخ المصرى الطويل ، وحقبة من أحقابه الواسعة ، تحتجز منه زهاء ثلاثة قرون بين سنتى ٦٤٨هـ — ٩٢٣هـ . وبدأت بدءاً هينالينا لا ضجة فيه ولا صخب إلا لماماً لـــماما ، كما بدأت عصور قبله . ثم أخذ فيه الضجيج يشتد ، والعجيج يزداد ، وما زال حتى انتهى بأن هوت البلاد تحت أعباء حادث جلل وخطب عظيم .

قامت الدولة الأيوبية بمصر بزعامة مؤسسها صلاح الدين الأيوبى وما زالت تعالج الحروب الصليبية وغيرها ، حتى ملك البلاد الملك الصالح نجم الدين الأيوبى أحد ملوك هذه الدولة . فوقعت فى عهده إحدى المعارك الحاسمة فى تلك الحروب وهى معركة « المنصورة » التى أسر فيها ملك فرنسا « لويس التاسع » . وكان الصالح نجم الدين قد استكثر من شراء المماليك من الأتراك ، ورباهم ، وابتنى لهم قلعة بجزيرة الروضة ، واتخذ منهم حاشية وحرساً وجندا ، ووجد فيهم وفاء وولاء ، كما وجـــد فيهم شجاعة وبلاء ، فى حوادثه المختلفة ...

مات الصالح نجم الدين ، والمعركة فى إبانها وريعانها . فكتمت زوجته « شجرة الدر » خبر وفاته ، لتحفظ على جيشه معنويته ، ريثما يعود ابنه « توران شاه » ويتسلم مقاليد الأمور .

عاد توران شاه ، فلم يستطع أن يستصفى زوجة أبيه « شجرة الدر » ولا أن يستخلص مماليك أبيه . فانتهى النزاع بينهما بأن قتلوه قتلة شنيعة .

حينذاك نصب الأمراء من المماليك « شجرة الدر » ملكة على البلاد ...

« وشجرة » الدر تعتبر — من ناحية — بقية من بقايا الأيوبيين ، فوجودها على العرش امتداد لوجودهم . ولكنها — من ناحية أخرى — كانت جارية من جوارى الملك الصالح ، وليست أيوبية من نسل الأيوبيين ، فوجودها على العرش يعتبر بدءاً للعصر المملوكى ، أو هو على الأقل إرهاص ببدئه .

قيل إن خليفة بغداد — إذ ذاك — المستعصم بالله العباسى أرسل إلى رجال مصر يعيرهم بها ، ويوبخهم لأنهم ولوا عليهم امرأة . فخشيت « شجرة الدر » مغبة الأمر ، وأخذ مركزها يتحرج ، وخشيت كذلك أن تتحرك أطماع الطامعين من بقايا الأيوبيين . فأرادت أن تتلافى الأمر ، وأن تحتمى هى وعرشها برجل صنيعة لها ، يكون له من الملك اسمه وشكله ، ويكون لها منه النفوذ والسلطان .

اختارت « شجرة الدر » لذلك مملوك زوجها وهو « أيبك الجاشنكير » وكان حينذاك أحد أمراء دولتها الكبار . فتزوجته وتنازلت له عن العرش ، فارتقاه ملكا ، وبقيت هى بجواره لها الأمر والنهى والحول والطول . وتلقب بالملك المعز ، وكان أول ملوك هذه الدولة .

تسنم الملك المزعرشه فى غير كثير من الجلبة والضوضاء — كما أشرنا — وبذلك انتقل الملك من دولة إلى دولة ، وبذلك أيضاً بدأت دولة الأرقاء .

ودرج الأمراء فيها على أن يعقدوا مجالس للشورى عند خلو العرش ، ليختاروا من بينهم أميراً يجلس عليه . فإذا تم الأمر لأحدهم كان إليه وحده الحكم والسلطان .

أما هؤلاء الأمراء فهم من المماليك المنتقين الذين وصلوا بذكائهم وبلائهم إلى هذه المرتبة . ولهم وحدهم حق اختيار سلطان

البلاد . لهذا كانت طريقة الحكم فى الدولة نمطا فريداً بين طرق الحكم المعروفة .

وقد عاشت هذه الدولة زهاء قرون ثلاثة — كما أشرنا — ويقسمها بعض المؤرخين إلى دولتين . البحرية والبرجية ، أو التركية والجركسية . وملوك الدولة البحرية من المماليك الأتراك ، وملوك الدولة البرجية من المماليك الجراكسة . ومؤسس الأولى الملك المعز « أيبك الجاشنكير » ، ومؤسس الثانية الملك الظاهر « برقوق ابن آنص » .

واتخذت كلتا الدولتين جنودها من المماليك ، إذ عنى الملوك والأمراء معاً بجلبهم وشرائهم من الأسواق الخارجية ، كما عنوا بتنشئتهم تنشئة عسكرية ، واتخذوا منهم بطانة وحرسا . ووكلوا إلى النابهين منهم — بعد عتقهم — مناصب الدولة . وكانت كلها مناصب عسكرية إذا استثنينا منها مناصب القضاء والكتابة وماإليها وتكون من هؤلاء الجنود والأمراء ومن السلطان ، الطبقة الحاكمة فى البلاد ، التى لها دون سواها من نابتة البلاد ، حق الحكم وتصريف الأمور .

واشتهر من ملوك الدولة البحرية غير أيبك . قطز وبيبرس وقلاوون وابنه الناصر محمد . واشتهر من ملوك الدولة الجركسية غير برقوق . ابنه فرج وقايتباى والغورى والأشرف طومان باى .

ولكل من هؤلاء أعمال مجيدة نافعة ما بين حروب خارجية وإصلاحات داخلية . ويعتبر بعض المؤرخين ، هذا العصر امتداداً للعصر الأيوبى ؛ لأن الدولة فى أغلب نظمها نهجت نهج النظم الأيوبية . ولكن — دون شك ورغم هذا — كان للعصر خصائصه ومميزاته التى تفصله عما عداه .

وحقاً احتفظ سلاطين العصر بسلطنتهم مستقلة مرفوعة اللواء عزيزة الجانب تضم بين ممتلكاتها البلاد الشامية والحلبية والحجازية فى أكثر أيامها . غير أنها امتازت ببعث الخلافة العباسية فى القاهرة وتجديدها . بعد ما وئدت فى بغداد على يد التتار عام ٦٥٦هـ . فأصبحت القاهرة بذلك محوراً دينياً للمسلمين ، وفى ذلك كسب أدبى عظيم كان له أثره فى تثبيت ملك سلاطين مصر فى هذه الحقبة ، وإكسابهم الشرعية اللازمة ، لأنهم كانوا عليها دخلاء . كما كان له أثره فى تلك الحركة العلمية المباركة التى نشطت فى القاهرة والمدن المصرية والمدن التابعة لمصر ، طول العصر .

وكان لها إنتاجها القيم فى ميدان العلوم والآداب الإسلامية والعربية ...

وكما امتازت سلطنة المماليك بإحياء الخلافة العباسية وبالنشاط العلمى ، امتازت بالنظام الرباعى فى القضاء ، إذ أصبح للبلاد أربعة قضاة ، من كل مذهب من المذاهب السنية قاضى قضاة .

وهكذا ترى أن للعصر المملوكى كثيراً من الخصائص والمميزات

ولا بد لنا من القول إن هذه الدولة كافحت ثلاثة أعداء ألداء خارج حدودها ، وهم التتار والفرنجة والعثمانيون عدا الخارجين عليها من أتباعها أو مخالفيها . ونجحت فى درء خطرهم إلى حد كبير ، وسجلت فى سبيل الذود عن مصر وعن الإسلام صفحات خالدة .

غير أن الفتن الداخلية والأطماع غير المشروعة التى نبتت فى رءوس أمرائها كانت علة مزمنة من عللها ، ظلت مضاعفاتها تنهك قوتها وتخضد شوكتها ، حتى أخذت تقربها من نهايتها .

وقد كانت هذه النهاية على يد السلطان سليم ملك العثمانية الذى احتل البلاد عام ٩٢٣هـ بعد حرب عنيفة طاحنة أبلى فيها الأشرفان الغورى وطومان باى البلاء الحسن . وهذا الاحتلال هو الحادث الجلل الذى أشرنا إليه .

هذه عجالة موجزة تعرف بالعصر . ونحاول فى المجالات القادمة أن نطرف القراء بما يجلى العصر ، ويكشف عن كثير من مميزاته وخصائصه .

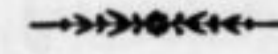
محمود رزق سليم

---

٦ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

نكبة الفيضان ! !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود



وأعنى بالفيضان مياه الخزن التى يبدأ ارتفاعها وفيضانها فى أوائل نوفبر من كل عام . ولا يستطيع إنسان كائناً ما كان أن ينكر خطر مياه الخزن على بلاد النوبة ، وما جرته على أهلها من ألم ونصب ، ومشقة وعناء ، وما جلبته من فقر وجدب ، وقحط ومسغبة ! !

قد يبدو ذلك عجيباً ، ولكنه ليس بعجيب ، غريباً ولكنه ليس بغريب ، لأنه الواقع لا مرية فيه . وهو وإن حاولنا إخفاءه وستره ، فإننا نخفى الواقع ، ونمارى فى الحق ، ونزيد الداء استفحالا ، والشر طغياناً .. ذلك أن الرجل فى بلاد النوبة يشعر بهذا الشعور ، ويبديه ولا يكتمه ، ويجعله مادة الحديث فى كل مجلس وكل مناسبة . . والمرأة فى بلاد النوبة تشعر بذلك وتحس به وتعلنه فى كل مكان . والصبى والصبية والطفل والطفلة يشعرون جميعاً بذلك ويعلنونه فى صراحة .

هذه الحقيقة على مرارتها ، يجب أن ننظر إليها وندخلها فى حسابنا لنطلب لهذا الداء ، وندرأ هذا الخطر

ولا داعى للمواربة ، ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد ، وخير طريق نعالج به ذلك الشعور القوى بالغبن الفادح ، والإحساس بالظلم المبين هو الإصغاء لشكاياتهم والعناية ببحث مشكلاتهم ، بحثاً يدفع بها إلى الحياة لا على طريقة البحوث الآلية التى جرت بها عادة الحكومات والتى لا يكون مآلها بعد تشكيل اللجان إلا زوايا النسيان .. ! !

والآن رُب سائل يقول : وهل كذب هؤلاء شعورهم ؟ وهل جانبوا الصواب حينما اعتقدوا هذا ، ورأوا فى سد أسوان نقمة لا نعمة ، وشراً لا خيرَ فيه ؟ ثم أصبح مع الأيام عقيدة راسخة ، متأصلة فى نفوسهم لا يبغون عنها حولا ؟ !

والجواب الحق ، لا . لم يكذب هؤلاء شعورهم ، ولم يحيدوا عن الحق ، فلقد دهمتهم هذه المياه مرات عديدة . . دهمتهم عند إنشاء السد ، فقالوا : شدة تزول ، ولن تعود . . ورتبوا حياتهم على ذلك واطمأنوا إلى هذه الحياة . فتركوا منازلهم الأولى ، وبنوا مساكن أخرى فى نجوة من الغرق . ومأمن من الخطر وساروا على هذا النهج حيناً حتى ألفوا هذه الحياة ، وكادوا ينسون حياتهم الأولى قبلَ أن ينتقص الفيضان ومياه الخزن أراضيهم التى يزرعونها ، ودورهم التى يسكنونها وبخاصة والمساحة التى أتلفتها مياه الخزن بعد بناء السد لم تكن مساحة واسعة ، بل كانت محدودة ضيقة ، والخسائر ، ليست فادحة ، بل هينة عوضتهم الحكومة بما رأت فيه الكفاية ، وارتضوا ذلك منها ، اعتقاداً منهم أن هذا الخطر على أراضيهم ومنازلهم لن يتكرر ولن يعود ، وبهذا ألفوا هذا الوضع ، على ما به من ألم وضنى .

ثم ماذا ؟ ثم كان ما كان من أمر التعلية الأولى ، فتشتت شمل الجميع ، وتفرقوا أيدى سبأ هنا وهناك ، لا يدرون ماذا يعملون . وكانت حيرة ، وكان اضطراب ، وكأنما هذا الماء المخزون أمام السد ، عدوٌ لدودٌ لهم ..ثم هدءوا وسكنوا ، وأنشأوا بيوتاً جديدة ولكن أرضهم انتقصت أكثر من ذى قبل وطمست مرافقها ، وتلف ذرعها . ووجدوا من عطف الحكومة عليهم ما أعاد إلى نفوسهم الجريحة شيئاً من الطمأنينة والسكينة والاستقرار ، ولكنهم ظلوا يرقبون الحوادث فى يقظة ، وكأنما علقت أنظارهم بالسد وارتبطت آذانهم بكل ما يقال عنه ، حتى تكونت فى نفوسهم عقدة نفسية تعجز عن حلها الأيام ؛ ثم طال الزمن وامتد ، فنسوا هذا كله ، ووجد أكثرهم فى الهجرة باباً من أبواب الكسب خير من الكد والعمل والزراعة والحرث ، فهاجروا إلى القاهرة والاسكندرية ، وإلى كثير من عواصم الأقاليم والمديريات .. وانبثوا فى نواحى القطر ، بحيث لا تكاد تخلو منهم بلدة من بلاده ، أو قصر من القصور ، أو مصلحة ما من مصالح الحكومة ووزاراتها ...

أما التعلية الثانية أيام صدقى باشا عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف

فقد أثارت كوامن النفوس ، ودخائل القلوب ، وطفح الكيل بأبناء النوبة وهم يرون منازلهم للمرة الثانية ، أو الثالثة فى بعض المناطق الواطئة ، القريبة من سطح النيل ، يفتك بها الماء ويطغى عليها فى ثورة حانقة ، واندفاع مغيظ ..

حدثنى أحد النوبيين فقال : كان أكثرنا يرى منزله يغرقه الماء رُويداً روَيداً ويقضى على ما به من غلات مختزنة ، وأثاث قليل ، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً ، لأنه مشغول بنفسه وأولاده الصغار ، وضعاف النسوة والشيوخ . !

ويمكنك أن تدرك ذلك واضحاً جلياً حينما ترتفع مياه الخزن وتبلغ ذروتها فى شهر فبراير ومارس تقريباً . . لقد كنا نخرج إلى النيل ، نسير بجانب الشاطىء ، فلا يتمالك الإنسان نفسه من الأسى واللوعة والحزن ، حينما يرى ذلك النخيل وأشجار الدوم الذى كان فى يوم من الأيام مورد ثروة وغنى لهؤلاء النوبيين ، ومظهر فخار ويسار ، يراه وقد تبدل الحال وتغير ، فإذا به رمز الفقر والبؤس ، تترقرق الدموع فى عيون أصحابه كلما يرونه على هذه الحال ، غريقاً فى النيل ، لا يبدو منه سوى رءوسه الخضر التى أخـذت هى الأخرى فى الذبول والانقراض بتوالى الأيام ، وكأنما هو عالم من البشر والمهالقة يبعث بآخر أنفاسـه من جراء طوفان أليم ..

لقد كان إيراد النخلة الواحدة عشرة جنيهات على الأقل ، فمن كان يملك عشر نخلات أو عشرين نخلة يحيا حياة سـعيدة منعمة ، كلها اليسر والرخاء . . أما الآن فقد نقص ثمار النخلة إلى حد كبير ، ولم تعد تغـل أكثر من عُشر ما كانت تغله قبل أن تغمرها مياه الخزن ، هذا فضلا عن النخيل الذى يتساقط على الدوام عاماً بعد عام .. أما قبل التعلية الثانيـة ، فكان عدد النخل وأشجار الدوم يتزايد يوماً بعد يوم ، وثمره يحلو ويكثر عاماً بعد عام ، وعناية الأهلين به تعظم كلما زاد دخلهم منه ، وتحقق أملهم فيه .. !!

ولا زلت أذكر تلك الثورات الصاخبة الطاهرة ، التى كانت تنبعث من قلوب تلاميذى فى الفصل ، وتهتف بها حناجرهم ، وتبدو مغيظة مدمّرة ، حينما كنت أتحدث معهم فى موضوع إنشائى ، يتناول سد أسوان ، منافعه وآثاره .. !

منافعه وآثاره ؟! إنه لا منفعة له ولا فائدة فيه ..

هكذا كانت عقيدة التلاميذ ، وهكذا كانوا يعلنون هـذه العقيـدة على الرغم من حديثى الطويل معهم ، ومناقشتى لهم ، وشرحى لعناصر الموضوع .. إن واحداً منهم لا يؤمن بهذا السد ولا يعترف به ، ولا يعتقد أنه أدى مصلحة ما إلى القطر عظمت أم حقرت ، بل على العكس من ذلك يجب أن يكون الموضوع ، وتمرض القضية ...

لقد عذرتهم حينذاك ، لأن كل واحد منهم ، لا يرى سوى أثره فى بلاده ، وخطره عليها ، وأضراره اللاحقة بها ، وأنه حرمهم اللقمة السائغة ، والنبتة الناضرة ، والدوحة الباسـقة ، والثمرة اليانعة ، والخير الوفير .. وطاردتهم المياه المحجوزة أمامه فى عنف وقسوة وجبروت ، وأخرجتهم من دورهم ، وهدمتها هدماً ، وطمست معالمها طمساً ، وظلت تطاردهم فى إلحاح ، حتى جعلتهم يسكنون قنن الجبال ، وذرى الهضاب حيث الصخر الصلد لا تؤثر فيه المعاول ، ولا ينبت فيه نبات .. !!

وبالغ بعض النوبيين فى تصوير هذه البلاد على صورة عجيبة غريبة ، لقـــد قال : إنها كانت قبل التعلية الثانية جنة فيحاء ينعم أهلها بالخيرات صنوفاً وألواناً ، ولا تـكاد تفترق بحال من الأحوال عن أنضر بقعة من بلاد القطر ، غنى وثراء ..!!

ولم يرقنى هذا القول كثيراً ، لِما فيه من المبالغة ، التى لا يجدر بالمخلص أن يتصف بها ، لأنها تضر أكثر مما تنفع ، فليس الوضع على ما يفهـمه المتطرفون ، من أنه عداء ونضال ، وبغية سلب هذه البـلاد خيرها ، وحظها من الخير والنعم ، بل هى الحاجة التى دفعت إليها مصلحة القطر المصرى كله ، كما أبنت عن هـذا آنفاً . . وهذه سنة الـكون ، وقانون الوجود .. فلا داعى إذن للمبالغة والمغالاة ، وتصوير الواقع فى غير صورته .. إذ أن المساحة المنزرعة قبل التعلية لا تـكاد تذكر ، ومهما كانت من الخصب والنماء ، فإنها يجب ألا تصور على هذه الصورة ، ولا تنال هذه المنزلة . . ويخيل إلى أن الغلوّ فى التصوير ، والمبالغـة فى التعبير ، قد أصبح قاعدة يسير عليها الناس ، حتى لا يكاد الباحث يدرك حقيقة الأمر كما يرجو ويحب ، قداسة ونزاهة .. وأعتقد أن الأمور لو وُزنت كما يجب أن توزن ، لعرفنا المهم والأهم

لا ذمـــة ولا شرف!

للأستاذ نقولا الحداد

أول مرة فى عمر الإنسانية نرى ونسمع أن أمم الأرض جماء وعددها ٥٧ أمة تؤلف منها محكمة تقضى فى مصير أمة صغيرة .

١ - من ندب هذه الأمم لهذا القضاء ؟ — الله ؟ — لا .

٢ — أين كانت هذه المحـكمة الأممية يوم كانت فلسطين الحديثة تعانى الأمرين تحت رق الانتداب البريطانى الذى كان يأخذ من العرب ويعطى لليهود ؟ كانت مبعثرة ينهش بعضها بعضاً ؟.

٣ — هل لهذه المحكمة الأممية ضمير الفيصل العادل ؟ لا .

٤ — هل لهذه المحكمة الأممية أن تنفذ الحكم الذى تصدره ؟ كيف ؟

٥ — هل جميع الأمم على الإطلاق خاضـعة لأحكام هذه المحـكمة ؟ لا ... بعضها تحت القانون . وبعضها فوق القانون ... أليس هكذا تـكون العدالة والمساواة ؟

أولا . أن الذين ندبوا السبع والخمسين دولة للقضاء فى هذه المحـكمة الأممية . هم ثلاثة أشخاص ، لا ثلاث أمم . هم زعيم روسيا وزعيم بريطانيا وزعيم أميركا يعنى ثلاثة آدميين يتحكمون بمصير ٥٧ أمة أو بمصير ألنى مليون آدمى .

من خوّل هؤلاء الثلاثة هذه السلطة ؟ ـ الذكاء السياسى ؟ العلم العملى ؟ ـ لا . لا . لا .

خوّلهم هذه السلطة الحسام المتشق . والدفع المنطلق . والأورانيوم المنبثق . أضف إلى هذه الثلاثة التوفيق الذى كان فى عالم الغيب وليس لهم فى تدبيره أقل نصيب .

ثانياً — كان أعضاء هذه المحـكمة أو بالأحرى كانت أممها الـكبيرة كالصغيرة تصخب كالخضم الهائج وتصرخ صراخ أهل الجحيم من شدة آلام ذلك الجنون الحربى المطبق . وأى جنون أفظع من أن يدمر الواحد فى ساعة مابناه فى قرن ، ومن أن يتلف الخيرات التى أغدقتها الطبيعة عليه ويصبح فى يوم وليلة حائراً يبحث عن الغذاء والـكساء والمأوى فلا يجدها .

كل تلك الثروات الطائلة ذهبت كالعاصفة تذريها الريح كيف يكون الجنون غير هذا ؟

هذه حال الأمم التى تقضى الآن فى مصير أمة صـغيرة هى جزء من ألفين من أمم الأرض .

عجباً ! ما بالها تترك الأمم الـكبرى التى تعد بمئات الملايين تهش بعضها بعضاً وهذه أحوج إلى الفيصل فى قضاياها من أمة صغيرة كفلسطين .

أليست هذه المحـكمة أجدر بأن تنصف روسيا من أميركا وبريطانيا أو تنصف أميركا من روسيا أو تنصف بريطانيا من هذه وتلك ؟

هل إذا تمّ قضاء هيئة الأمم ال ٥٧ على فلسطين يأمن العالم الحرب ويضمن السلام .

ثالثاً — هل لهذه المحـكمة الأممية ضمير الفيصل العادل ؟ يمكنك أن تحلف صادقاً بالله العظيم وبالأنبياء والرسل أجمعين أن أولئك الوفود المتكأكئين فى لايك سكسس وفلاشنغ ميدوز وهم ينظرون فى قضايا الأمم المظلومة خالون من الضـمير الصالح بتاتاً ، لا ذمة ولا شرف . ما معنى أن بعضهم يتغيبـون عن المحـكمة وبعضهم يمتنعون عن إعطاء أصواتهم ؟ . معناه أنهم ليسوا ذوى ذمة ولا ضمير ، لأنهم يساومون الأقطاب الـكبار أو يخافونهم أو يطمعون برشاوى مادية أو سياسية . وأخيراً ظهر أن دنيئاً منهم قبل رشوة ١٠ آلاف دولار . ألا تباً لهذه المحـكمة التى ضميرها المال وذمتها المال وشرفها الريال .

قضية فلسـطين واضحة كل الوضوح . وكل مندوب من

ولبدأنا بالأهم ، لأننا فى مسيس الحاجة إليه ، ولـكن المجتمع لا يسير على هذا النهج ، وإنما يجعل كل الأمور فى أعلى درجات الاهتمام فيختلط الأمر على ذويه ، وأصحاب الشأن ، فتتعطل حركة الإصلاح فى البلاد ..

ومهما يكن من شيء ، فقد أضرت مياه الخزن بهذه البلاد وأعنى بلاد النوبة ، بقدر ما أفادت بقية بلاد القطر ، ولقد فهمت ذلك جلياً جميع الحـكومات المصرية . ولـكن مجرد الفهم لا يكفى ، وإنما الواجب أن نسرع بتنفيذ المشروعات العظيمة ، المزمع إقامتها فى هذه البلاد ، وإن هذا الوقت وقتها ، وأخشى ما أخشاه أن تصبح فـكرة منسية فى زوايا التاريخ ..!!

عبد الحفيظ أبو السعود

مناديب ال ٥٧ أمة فاهمها تمام الفهم . ولكن الضمير الحرب واقف دونها . فكيف نثق بمحكمة ليس لأعضائها ضمائر ولا شرف ؟

حقاً . لم يعد عالم عصر الذرة والكهرباء الخ ممكناً أن يعيش بسلام إلا بقيام محكمة كهيئة الأمم . ولكن بكل أسف ليس لهذه المحكمة ضمير صالح ، هي محكمة شيطانية جهنمية ، وإبليس الرجيم هو الوحي لها ، فما ذا يكون مصير الأمم الصغيرة ، بل مصير الأمم الكبرى إذا كان إبليس رائدها ؟ الحرب طبعاً !

نحن لم ننته من الحرب لأنه لا يزال فى العالم بقية من الخير والعيش ، وإبليس لن يعود عن طغيانه على ملكوت الإنسان إلا متى دمر هذه البقية الباقية .

أصل السبب فى طغيان الشيطان هو أن الرأسمالية تستفحل كل يوم أكثر من يوم ، واليهود قابضون على زمامها لأنهم عباد المادة ، فما دام فى الأرض يهود فهناك أموال تكافح وتثير السلاح وتصنع المدافع والقنابل الخ وتدفع الرجال إلى أتون جهنم .

فلا سلام على الأرض ما دام اليهود يهوداً ، ليتهم يسمعون وصايا موسى ، وإن كانت بحجت بحقوق غير بنى إسرائيل .

ما هيئة الأمم هذه إلا ألعوبة صبيانية يلعبها ستالين وتشرشل ثم خلفه بيفن وروزفلت ، ثم خلفه ترومان .

ولكنها لعبة شريرة ، زعموا أنهم يريدون بها إنصاف الأمم الصغيرة من الأمم الكبيرة ، فإذا هم يضيفون ظلماً على ظلم .

أتعلم ما سبب نكبة فلسطين الأخيرة ؟

شخص واحد من ألفى مليون شخص له غرام بكرسى الرئاسة ، ولكنه ليس أهلا لها ولن يكونها ، فإن صارها كان ٥ ملايين يهودى يحكمون ١٤٠ مليون إنسان ، ويتصرفون بمقدرات ألفى مليون إنسان

رابعاً — هل لهذه المحكمة أن تنفذ الحكم الذى تصدره ؟ وكيف ؟

انكلترا التى هى أصل نكبة فلسطين من أول الأمر تتنصل من تبعة حكم محكمة هيئة الأمم ، لا تريد إلا أن يعلق العرب واليهود بعضهم ببعض وهى تتفرج ، والله أعلم أى الفريقين تساعد من تحت لتحت ، وأيهما تحرض سراً !

والأميركان لا يريدون أن يرسلوا أولادهم إلى الأرض المقدسة لكى تغسل دماءهم دم المسيح

وستالين يتمنى أن يحط رجله فى الأرض المقدسة ، ولكن أميركا وانكلترا تمنعانه ولو بحرب

إذن لا يبقى إلا أن العرب يطهرون أرضهم من جرائم الشر وحكم محكمة الأمم يصبح « طش فش » لا شىء !

ولما ذا نحن نتوقع من الأمم أن تكف شر الصهيونيين عنا ، ونحن نعلم أنه « ما حك جلدك غير ظفرك » !

أليس جديراً بنا الآن بل من قبل الآن أن ندفع إنذاراً إلى بريطانيا « العظمى » أن انتدابها الذى كان وبالا على فلسطين قد انتهى فلتتنح ، وتدعنا نحن نسوى حسابنا مع الصهيونيين الذين كانوا من صنع يديها .

وعلينا ، يا عرب جميعاً ، أن نحتل فلسطين ، ونقذف بالصهيونيين (لا باليهود) إلى البحر .

لا أتكلم هذا الكلام عن نفسى ، لأنى شخص ضعيف إلا بإيمانى ، بل أتكلمه عن لسان ستة وثلاثين مليون عربى .

نقولا الحداد



القرآن في شارع فؤاد !..

إن عجبت من هذا الذى يطالعك به العنوان فأنى أزيدك عجباً إذ أضيف إليه أن ذلك كان فى نحو الساعة العاشرة من مساء يوم الأحد ! حيث يمتلىء هذا الشارع وما تفرع منه بطلاب اللهو من الأجانب والمصريين فى عطلة الأسبوع ...

انعطفت وصديقٍ من شارع عماد الدين إلى شارع فؤاد فإذا بميكروفون عظيم يملأ الشارع كله بكلام الله فى صوت كان على شدة علوه من أحلى الأصوات وأبعثها للطرب ...

وعجبت وعجب صاحباى وقلنا ماهذا ؟ إنه والله للقرآن! ونظرنا فإذا متجر جديد جميل تزين الأنوار المتوهجة المتلألئة واجهته وجوانبه ، ومنه ينبعث هذا الصوت القوى الساحر بقول الله سبحانه « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ... »

وأسرعنا الخطى صوب النور الذى نرى، والنور الذى استشعرته نفوسنا فيما يشرق فى السمع من كلام الله ؛ ووجدنا أنفسنا وسط أصناف من خلق الله يذهب البصر فيهم هنا وهناك وهم حائمون على هذا النور كالفراش يقمون عليه من كل صوب وأرواحهم مستشرفة إلى هذا الصوت الجميل القوى يسترسل فى تنغيمه وتطريبه ، وآذانهم مرهفة وقلوبهم خاشعة وكأن عليهم الطير مما سكنوا ؛ وما أن يقف صاحب هذا اللحن العلوى عند قول الله « ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها » حتى تنبعث بالتصفيق أكفهم وتنطلق بعبارات الاستحسان حناجرهم ...

وأجلت منظارى فى الجمع المحتشد فإذا به خلق من كل طبقة ومن كل نمط ففيه المقبعون والمقبعات والمعممون والمطربوشون وفيه العلية يقفون إلى جوار سياراتهم الفخمة ، وفيه المتواضعون مثلى من عباد الله ممن يدبون على أقدامهم ، وفيه عدد من العمال والخدم والحوذية وسائقى سيارات الأجرة وغيرهم بيض وسود من كل سن وفى كل زى وفيه المسلمون وفيه لاريب النصارى واليهود والجميع ينصتون إلى الشيخ مصطفى اسماعيل يتلو آيات الله وينظرون إلى اسم الطرابيشى المصرى تلألئه الأنوار القوية على واجهة متجره الجميل الجديد ...

وامتلأ طوار الشارع حتى لم يبق فيه موضع ، وغص الشارع نفسه بالسيارات والعربات من كل نوع ، حتى الترام نفسه يبطىء سائقوه إذ ينصتون ويقفون على مقربة من المتجر فلا يحبون أن ينطلقوا فيبتعدوا عن هذا الصوت الندي الحلو الذى سحر الناس جميعاً ، والذى يرسله الميكروفون قوياً صافيا لا حشرجة فيه ولا تسلخ ولا كدرة فيملأ به الشارع .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »

بهذا التنزيل المجيد كان يصلصل حلق القارىء البارع فى صوت يرتفع إلى عنان السماء ثم يهبط إلى قرار قريب ، فتحس فيه تموج الشعاع وتأود الجدول وترسل الكروان وتنغيم البلبل ، وتجد نفسك مسحوراً بهذا الصوت اللين الحلو ، وهذا الإيقاع العبقرى الجميل فى إمالة سائغة لأواخر هذه الآيات الكريمة يهفو لها السمع وتترشفها النفس ، وكانت ترتفع مع اللحن نفوس السامعين وتهبط وهم صامتون خاشعون حتى يفرغ ذلك النفس الطويل ، نفس القارىء المفتن فتضج أصوات السامعين بلفظ الجلالة ...

كان المسلمون يطربون للتنزيل الحكيم وقد وجلت قلوبهم لذكر الله وزادتهم آياته إيمانا ، وكانوا يعجبون بذلك الصوت العبقرى القادر وهذا الترتيل الشجى الساحر ؛ وكان غير المسلمين مأخوذين بهذا التطريب المجيب الذين يحسون أثره ولا يتبينون سره ؛ وكان الأجانب مذهولين بهذا المتجر الذى ينبثق منه النور والذى جاء يزحم متاجرهم ويبدأ بهذا التحدى فيفتح أبوابه يوم الأحد ويذيع كلام الله فى شارع فؤاد ... !

ودخلنا على الرغم من الزحمة فناء المتجر فإذا به ممتلىء بالناس، وإذا باقات كبيرة من الزهر تبلغ الواحدة منها قامة الرجل طولا تزين جوانب الفناء وكلها مهداة إلى المتجر الجديد من أصحاب

المتاجر الكبيرة كما دلت على ذلك ما علق عليها من بطاقات .

وكان كل ما فى المتجر يملأ النفوس سحراً وشعراً فهذه الأنوار المتألقة وهذه الزهور الناضرة وهذه التلاوة العذبة ، ثم هذه البضائع الجديدة المنسقة على الرفوف اللامعة النظيفة فى أناقة وحسن ذوق كل أولئك كان يبعث البهجة فى النفوس ويلقى السحر فى الخواطر .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك »

وأخذ الشيخ اسماعيل يرتل هذه السورة ويرددها وقد أفرغ فيها كل فنه وبلغ صوته فيها غاية حلاوته والناس يهزون رؤوسهم فى تخشع ونشوة مما ويودون لو ظلوا وقوفاً يستمعون حتى ينصدع على الأفق عامود الصباح ...

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ... والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ما كاد الشيخ يقف عند هذا الوقف حتى انتزع الناس الزهور من الباقات وامطروه بها من كل جانب وهو فى الطابق الأوسط وتشققت حناجرهم بالهتاف ، حتى كأنما طاف بهم طائف من الجنون وقال أحدهم « والله هذا رجل انسرق من الجنة » .

وختم الشيخ تلاوته وأخذ الناس ينصرفون وملء نفوسهم البهجة من هذا الافتتاح الموفق ، ونظرت إلى المتاجر الأخرى فطاف برأسى معنى لعله طاف برؤوس غيرى من الناس ؛ وذلك أن المتاجر الأخرى على طوارى الشارع باتت تحس هذه الليلة ذل الغربة ، وكأنما كان هذا القرآن فتحاً فى هذا الحى الأفرنجى الذى ما شهدنا فيه مثل هذا من قبل ، وكأنما كان متجر الطرابيشى غزواً يباركه كتاب الله ... وشعرت بالعزة الوطنية حق العزة وأحسست لأول مرة فى هذا الشارع أن الدار دارى والأهل أهلى والوطن وطنى ... واغتلى خيالى وأنا الشاعر الذى يطير به الخيال كل مطير ، نخيل إلى أن الخافق لم يرتد عن نوابيه ، وأنى أسمع القرآن لا فى شارع فؤاد ولا فى القاهرة ولكن على ضفة السين !

مناقشة هادئة

خلود الروح

للشيخ محمد رجب البيومى

أبى أين تصير الروح حين يضيق بى عمرى
أتفنى الروح كالجسم إذا غيبت فى قبرى
سألت العقل إيضاحاً فقال العقل لا أدرى

بنى الروح حين تطير تمرح فى ربى الخلد
لها فى الأفق تغريد يثير كوامن الوجد
ستحيا الروح فى الأخرى ويفنى الجسم فى اللحد

أبى الجسم يرى بالعين أما الروح بالوهم
فهل تنجو من الموت ويمضى الموت للجسم !
كلام يأبى كالسحر يستعصى على فهمى

بنى الروح فى جسمك مثل الملح فى الماء
فهل تنكر أنت الملح إن لم يره الرائى
إذا وسوس إبليس فلا تهمم بإصغاء

أبى لست أمارى فى وجود الروح بالدنيا
ولكن حينما نمضى أتفنى الروح أم تحيا ؟
شكوك جففت حلقى وجئتك أنشد الريا

بنى العطر مقياس به يتضح الحكم
مضت أوراقه عنه وكل منه يشتم
كذاك الروح تبقى بعد ما ينعدم الجسم

أبى أوضحت بالتمثيل ما دق على فكرى
ففى جيبى زجاجات بها قسط من العطر
ستبقى مثله الروح ويمضى الجسم كالزهر

محمد رجب البيومي

تعقيبات

الإسلام .. والسلام

نشرت مجلة « تايم » الأمريكية صورة خيالية للنبى محمد عليه السلام ، وقد رسمته فى شكل زنجى يمتطى جواداً وبيده سيف ، وكتبت تحت الصورة « الإسلام لا يعرف السلام » ، وتقول الوكالة التى نقلت هذا النبأ إن سفير الباكستان كان هو الدبلوماسى المسلم الوحيد الذى احتج بشدة لدى سفير أمريكا على هذه الوقاحة ، وأن الدوائر الدبلوماسية فى لندن قد بذلت جهوداً جبارة لمنع الهنود المسلمين أبناء الباكستان من القيام بمظاهرات عدائية ضد أمريكا .

هذا ما كان من أبناء الباكستان فى لندن . أما عندنا فقد اكتفت الحكومة المصرية بمصادرة عدد المجلة ومنعه من دخول مصر ، وأنا أذكر أن حكومتنا هذه قد ألقت فى الأيام الأخيرة بصحفى مصرى فى غياهب السجون لأنه تطاول وتجاوز الحد إذ كتب كلمة خفيفة يقول فيها إن ملك اليونان وقع فى حب فتاة

ولا عجب ، فنحن ناس ظرفاء جداً ، ومجاملون جداً ، وإننا لنحاول أن نراعى مشاعر وإحساسات أولئك الذين يهوون فى غير مبالاة على مشاعرنا وإحساساتنا بالنعال ..

لقد كان من الواجب على حكومتنا أن تمنع تلك المجلة منعاً باتاً من دخول مصر وأن تتفاهم مع الجامعة العربية على منعها من دخول الأقطار العربية الإسلامية كلها ، حتى تؤدب أولئك القوم الذين تحركهم أموال الصهيونيين ، فهم يعيشون عبيد المال وأرقاء المنفعة ولو كلفهم ذلك التهجم على الكرامات والاستخفاف بالعواطف والإحساسات ..

وبعد ...

فهذه ليست أول وقاحة من نوعها ، ولن تكون كذلك آخر وقاحة من نوعها ، ونحن نقول لتلك المجلة ولبنى قومها : حقاً إن نبى « الإسلام لا يعرف السلام » مع الظلم والطغيان والزور والبهتان ، والاستعمار والاستعباد ، وما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلا ليحطم الأصنام ، ويدحض عبادة الإنسان للانسان ، وينادى أهل الأرض جميعاً إلى كلمة سواء ، هى التوجه إلى الله العلى الكبير ، ونحن أتباعه وأجناده «لن نعرف السلام» حتى نحطم طغيانكم ، ونبطل بهتانكم ، وندفع استعماركم الذى تطوقون به رقاب العباد .

نحن لا نعرف السلام إلا فى رعاية الإنسانية وخدمتها ، فمن مبلغ ذلك الكاتب الأحمق أن نبى الإسلام هو الذى نادى منذ أربعة عشر قرناً بأن « لا فضلَ لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. » على حين أن قومه الأمريكان يحلون فى هذا العصر — الذى يقولون عنه إنه عصر النور والحضارة — قتل الزنوج والهنود لأنهم يعتبرونهم أقل مرتبة فى الإنسانية . . وبعد هذا يتحدثون عن الإنسانية وعن المدنية وعن السلام ..

هذا المجمع اللغوى :

مر على إنشاء المجمع اللغوى خمسة عشر عاماً ، فقد أنشىء فى عام ١٩٣٢ ، ويذكر الذاكرون أن المرسوم الملكي الذى صدر بإنشاء المجمع قد حدد الأغراض التى طلب إليه تحقيقها وهى :

« ا » أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من التراكيب.
«ب» أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية وأن ينشر أبحاثاً دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها . «ج» أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

والآن ، وبعد أن مضت تلك السنوات الطويلة التى تغيرت فيها الدنيا ، وتغير العالم والتاريخ ، ماذا حقق المجمع من تلك الأعراض ، وماذا أجدى على اللغة من تلك المهمات التى رسمها المرسوم ؟ !

قالوا من زمن طويل إنه يشتغل بإنجاز معجم وسيط ، وأنه بعد المدة لوضع معجم مطول ، وهو إلى الآن عندما قالوا : فلا

المعجم الوسيط أخرج وأنجز ، ولا فى المعجم المطول فكر وبحث .

وقالوا إنه سيخرج معجما تاريخيا ، ثم قالوا إنه سيكتفى فى ذلك بإخراج معجم المستشرق الألمانى «فيشر» ، وإلى الآن لم يسمع أبناء العربية خبراً عن ذلك المعجم .

وقالوا إنه سينظم دراسات للهجات العربية ، وقالوا إنه سيضع ويحقق من الألفاظ العربية ما يوسع فى مادة اللغة ويجعلها وافية فى التعبير عن حاجات العصر ، وما أحس الناس أثراً لذلك ، وكل ما كان أن وضع المجمع جملة من الألفاظ والمصطلحات ولكنه طواها فى مضابطه التى لا ترى النور ، أو نشرها فى تلك المجلة التى يوزعها على الرجال الرسميين الذين لا يهمهم أمر اللغة فى شىء ..

والسبب فى ذلك أن حكومتنا نظرت إلى المجمع كأنه هيئة تشريفية ، لا هيئة عاملة ، فأخذت تلصق به من تريد تشريفهم وخدمتهم لا خدمة اللغة بهم ، فما أشبه المجمع فى حاله الراهنة بهيئة كبار العلماء ، فليس لأيهما أى أثر فى الحياة العلمية .

والعجيب أن الحكومة تعمد فى كثير من الأحيان إلى اختيار أعضاء فى المجمع من بين الرجال الذين لهم من مشاغلهم الخاصة وأعمالهم فى الدولة ما لا يسمح لهم بالتفكير فى اللغة ولا فى معاجمها ولا فى مجمعها ! !

أيها الناس ، لقد مرت خمسة عشر عاماً ، فقولوا لنا ماذا كسبت اللغة من هذا المجمع ، وماذا كانت تخسر لو لم يكن هذا المجمع ..

غيرة ! !

كتب أحد الكتاب مقالا فى إحدى الصحف يقول فيه : « إن من المؤسف حقاً أن يلاحظ الإنسان أن الصلة قد انقطعت أو كادت بين القراء المصريين والأدب الفرنسى المعاصر ، فبينما كان الجيل السابق من المثقفين المصريين يعرفون الكثير عن أناتول فرانس وأندريه جيد وفرانسوا مورياك وغيرهم من الأدباء الفرنسيين الذين بلغوا أوجهم بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٥ نجد القارىء المصرى المعاصر لا يكاد يعرف إلا القليل جداً عن الظاهرين من الأدباء والمفكرين الفرنسيين اليوم .. »

هذا ما قاله ذلك الكاتب بلغته وبأسلوبه ، وهذا هو مادعاه إلى التأسف والتحسر ، ونحن لا ندرى : أهى غيرة على الشعب المصرى ، أم على الأدب الفرنسى ؟ !

يا سيدى المتأسف : إن شبابنا منصرفون عن أدبهم ، عازفون عن تراث آبائهم وأجدادهم ، ولا يعنيهم أن يأخذوا منه ما يقوم ألسنتهم ويشعرهم بذاتيتهم وقوميتهم ، أفما كان الأولى أن نفزع لهذا بدل أن تفزع لذلك الأدب الفرنسى الغريب ...

لقد عنينا من قبل بأدب فرنسا ، وبحضارة فرنسا ، وأخلصنا لها المودة والمحبة ، وأنشدنا بها يوم كانت ، وبكينا عليها يوم ماتت ، ومع ذلك فقد خذلتنا وهى لما تزل ملفوفة فى أكفان الموت ، وأبت علينا حق الحرية والحياة والكرامة

أنشدوا أدبكم قبل أن تنشدوا أدب الناس ، واحرصوا على أن تكون لكم ذاتية فى تفكيركم ، واتجهوا إلى ما خلف لكم الآباء من ثروة فكرية فإنها ثروة ضخمة نافعة ، واعلموا أن التظرف بالكلمات الأعجمية وقراءة القصص الأوربية أصبح مظهراً من مظاهر التفاهة التى لا تليق بالرجال ...

ابن هشام والدكتور زكى مبارك :

عرض الدكتور زكى مبارك فى مقال له بجريدة « البلاغ » للحديث عن العلامة النحوى ابن هشام الأنصارى فامتدحه وقال إنه يعرف من فلسفة النحو ما لا يعرف سيبويه ، ثم انتقده فى قوله : « ويجب فى المؤكد كونه معرفة ، وشذ قول عائشة رضى الله عنها : ما صام رسول الله شهراً كله إلا رمضان . . »

فقال الدكتور : لأول مرة أستطيع الأخذ بتلابيب ابن هشام الأنصارى ، فالذى سمعناه وقرأناه أن السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وأنها زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأبوها عربى صريح ، وزوجها سيد العرب ، فكيف يكون فى كلامها شذوذ فى لغة العرب ؟ .

وهنا أحب أن ألفت نظر الدكتور زكى إلى مسألة تناولها العلماء من قبل بالبحث والمناقشة حول الاستشهاد بالحديث . فقد رأى جمهرتهم أن الأحاديث إنما رويت بالمعنى كما دخلها كثير من الأحاديث الموضوعة والمصنوعة فى العصر العباسى ، ولهذا منع

الأدب والفن في أسبوع

ملء كرسيين في المجمع اللغوي

كان يوم الاثنين موعد الجلسة التي عينها مجمع فؤاد الأول للغة العربية لانتخاب عضوين يشغل بهما كرسيين من الأربعة الخالية به ، وقد أسفرت عملية الانتخاب عن فوز معالي الأستاذ علي عبد الرازق وزير الأوقاف والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وقد جرى الانتخاب بين الذين رشحهم أعضاء المجمع في جلسة سابقة والمرشح هو من يزكيه عضوان مع بيان مؤهلاته ، وكان قد رشح ثمانية هم : الأستاذ علي عبد الرازق والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والأستاذ أحمد حسن الزيات ومحمد العشماوي باشا والأستاذ ابراهيم مصطفى والأستاذ محمد علي مصطفى والدكتور رمسيس جرجس والشيخ عبد السلام القباني . وكان الأستاذ الزيات تالياً في عدد الأصوات للأستاذ المازني

الكثيرون الاحتجاج بالحديث في اللغة ، ومنع بعض النحويين الاستشهاد بها في النحو ، وعلى هذا نجد النحويين يناقشون ألفاظ الأحاديث فيحكمون في بعض الأحيان بشذوذها ، وأحياناً بخطئها ، وأحياناً بضعفها ، ولو صح عندهم الحديث بلفظه لما كان لهم أن يحكموا بتلك الأحكام ، فابن هشام إنما يحكم على هذا الكلام المروي عن عائشة ، ولو أن الدكتور زكي مبارك رجع إلى ما قرره العلماء في هذا في كتب النحو المبسوطة ، وكتب الشواهد خاصة مثل خزانة الأدب للبغدادي لأفاد كثيراً ولما نعجل الأخذ بتلابيب ابن هشام . .

هذه مسألة ، وهناك مسألة أخرى يمكن أن يفطن إليها الباحث في النحو ، وهي أن أكثر الأحاديث التي يرى النحويون في ألفاظها مخالفة نحوية إنما رويت عن عائشة رضي الله عنها . . وليس تحت يدي الآن شيء من المصادر لأسرد كل ما ورد في ذلك ، وهي على أي حال مسألة جديرة بالنظر وبالبحث . .

« الجاحظ »

وقد عرفت مما سبق أن الكراسي الخالية بالمجمع أربعة : ثلاثة منها خلت بوفاة أعضاء مصريين ، وواحد خلا بوفاة عضو عراقي . وقد رأى المجمع الاقتصار الآن على شغل كرسيين بمصريين ، على أثر رغبة أبديت في زيادة عدد الأعضاء الأجانب وهم الآن ثمانية وقانون المجمع يفسح لهم المدى إلى عشرة ، على أن المجمع لم يتقيد بعد بشيء في هذا الصدد وليس في القانون ما يقيده

وبعد فليت مجمعنا الموقر يشغل الناس بانتاجه كما يشغلهم باختيار أعضائه وعقد جلساته وتأليف لجانه .

الثقافات العالية بالبلاد العربية

ألقى الأستاذ فريد أبو حديد بك محاضرة بنادي الخريجين المصري عنوانها « على هامش المؤتمر الثقافي » فبين أهمية المؤتمر الذي عقد بلبنان في الصيف الماضي ، من حيث أثره في التقريب بين وجهات النظر العربية وما أسفر عنه من نجاح في هذا وفي الموضوع الذي انعقد من أجله المؤتمر وهو وضع قدر ثقافي مشترك لطلبة التعليم الابتدائي والثانوي في جميع البلاد العربية . ثم قال إن ثمة أمراً هاماً يجب أن تلتفت إليه الجامعة العربية وتوليه عنايتها ، وهو رفع مستوى الثقافات العالية بالبلاد العربية حتى تساير في ذلك كبريات الأمم وتشارك في الحضارة العالمية مع هيئات العالم الثقافية التي اتجهت أخيراً إلى التقارب والتعاون بين جميع الأمم في العلوم والفنون والآداب ، والتي تنظم جهودها مؤسسة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة

وقال الأستاذ فريد بك إن رفع مستوى التعليم لإيجاد علماء وفنيين ممتازين ضروري لترقية المجتمع ورفع مستوى المعيشة والكرامة الإنسانية ، لأن هؤلاء الممتازين في العلوم والفنون المختلفة سيعكفون على الأبحاث ويضعون المشروعات التي تؤدي إلى استنباط موارد جديدة للثروة وإلى التقدم في ميادين الصناعة والزراعة .

أما قصر الاهتمام على نشر التعليم العام فإنه يؤدي إلى نتيجتين سيئتين : الأولى أن الذين يتعلمون ولا يجدون العيش اللائق بهم يلجؤون إلى الانحراف والثورات . والنتيجة الثانية أن المتعلم الذي يخرج إلى بيئة منحطة المستوى لا يلبث أن يندمج فيها ويفقد ما ناله من التعليم

وقد أفاض الأستاذ في شرح هـذه الفكرة وضرب الأمثلة لها . ومما قاله ان الحضارة الحديثة إنما قامت في الأمم الغربية على التخصص والتبحر ، أما نشر التعليم بين أفراد الشعوب فقد تلا ذلك بعد أن اتجهت الرغبات إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتهيئة الفرص للجميع .

مؤسسة دولية للآداب

من أنباء مؤسسة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة — أن لجنة البرنامج والميزانية بها أوصت مؤتمر المؤسسة العام بإنشاء مؤسسة دولية للآداب ، لتوطيد التفاهم بين الشعوب بفضل تبادل مؤلفات كبار أدبائها في نطاق واسع .

وهذه أنباء نرددها ، ولا ندرى أتستمر هـذه المؤسسات وتتحقق أهدافها حتى يجنى العالم ثمراتها أم ستقضى عليها قوى الشر المتغلغلة في دول الغرب والتي بدت أخيراً نواجذها البشعة الكريهة لمحاولة قضم فلسطين .

لم هذا ؟

كتب الأستاذ إبراهيم الابيارى في مجلة الثقافة كلمة بعنوان « أحمد الزين — كلمة رثاء ووفاء » بدأها هكذا : « أليلت أزع بلبالة صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت . فأممت أم دار الكتب ألتمس فرجاً في عملة ، وأنسابين زملة . فما وطئت أسكفة الباب حتى بدرني البائب ينمى إلى (أحمد) وما أحمد . هذا حميم أحم الله حمته فقضى ، وخليل أخل خله ومضى ؛ شكا إلى الطب داءه فما أشكاه ، واستأنى الأجل أجل صغير رعاه فما آناه »

وأنا أعرف الأستاذ الأبيارى رجلا طيباً دمثاً وديعاً موطأ الأكناف ، فعجبت كيف عمل هذه « العملة » ولم عنى نفسه بهذا العناء ؟ لم لم يقل : أتى على الليل وأنا أدافع هماً لزمني حتى الصباح ، بدل « أليلت أزع بلبالة صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت » وماذا جرى للبواب حتى صار « البائب » ؟ أمن الوفاء يا سيد إبراهيم أن ترثى صديقنا الراحل بمثل هذا ؟ وماذا جنى حتى تحصبه بمثل « هذا حميم أحم الله حمته » أو بكلمة « بقواك » في قولك « واما الإشفاق على بقواك فما أعوزنا معه إلى ذى حول يمين بقول » أو هذا جزاء الصديق من الصديق ؟!

أذكر أننى سمعت ثناء من فقيدنا الشاعر على الأستاذ الأبيارى لنبالته وسهولة خلقه ، فقد زامله في إخراج بعض الكتب ، ولكنه لم يكن يدرى أنه سيرثيه بـ « أليلت .. الخ » وفي « الثقافة » مجلة الأصدقاء !.

وبعد فما غاية هذا « التفاصح » أيريد الكاتب أن يعبر عن أساه ولوعته أم يريد أن يظهر اقتداره على التشدق بالغريب ؟ أما الثانية فله أن يحمد الله على نجاحه فيها وإن كان هذا النجاح لا يهم أحداً غيره . . وأما الأولى فليس سبيلها الجهد في تأليف الغريب وتكوين تلك التراكيب التي تصرف القارىء عن مضمونها إلى غرابتها والاستغراق في العجب من معاناتها ، كما صرفت الكاتب من قبل عن الموضوع إلى هذه المعاناة .. ورحم الله الزين .

الأناشيد أيضاً :

كتبت في الأسبوع الماضي كلمة عن « الأناشيد » بينت فيها ضعف ما لدينا منها وعدم وفائه بالغرض المنشود ، وأشرت إلى حاجتنا في الظرف الحاضر إلى نشيد قومى نابض بالحياة يردده الجميع . وأذكر اليوم أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان قد كتب في « المصرى » ينعي على الشعراء قصورهم في وضع الأناشيد القوية بمعانيها وحسن تعبيرها ، وفي يوم الإثنين نشرت « المصرى » ردوداً لجماعة من شعرائنا على عبد الوهاب .

قال الأستاذ على محمود طه بعد أن أبدى موافقته لعبد الوهاب في نقد الشعراء : « ورأى الأستاذ في التأليف الشعرى صائب وجيل ، ولكنه ينصب في كل ألفاظه ومعانيه على التأليف الموسيقى ، ويتهم صاحبه بألف دليل ودليل على أن موسيقانا في أغانينا أو أناشيدنا بعيدة أيضاً عن الأصالة الفنية والأحاسيس الإنسانية فإذا كان ينعي على الشعراء اصطناعهم لأناشيد لاتهز بالإحساس الإنسانى ولا تحتفل بالصدق فما له هو وأصحابه سادة الفن يؤلفون لها ألحاناً فيجىء التأليف الموسيقى فاتراً شاحباً أو تلفيقاً مزوقاً » .

وقال الأستاذ صالح جودت : « لحن عبد الوهاب بعض الأغنيات الوطنية مثل (نشيد العلم) و (هتف الداعى) وغيرهما ولكن التوفيق لم يحالفه فيها لأن عبد الوهاب يتميز باللون العاطفى الدافق بالحنان ، وهذا لا يعيبه مطلقا ، فهذا لونه ، وإنما يعيبه أن يخرج عن لونه ويلحن شيئاً ليس له صدى في نفسه » وقال : « ومن الخير لنا حين نهم بنظم أغنية وطنية ليلحنها عبد الوهاب أن تكون أغنية صادقة حقا ، من ناحيتنا ومن ناحيته ، وأن تكون عاطفية كطبيعتنا نحن المصريين وكطبيعة موسيقارنا

عبد الوهاب ، وتكون خالية من الألفاظ الجافة كقصف الرعود والدماء والفداء التى لا نصيب لها من الصحة فى حياتنا الوطنية »

وقال الأستاذ محمود حسن اسماعيل : « كل الأناشيد التى ظهرت حتى اليوم من جميع الشعراء المعاصرين مما أعدوه بقصد المسايرة والإجابة ومداجاة للظروف لا يدخل فى رأيى فى حساب الأناشيد الوطنية الحقة التى تصدر عن إثارة داخلية تدفع الشاعر دفعاً إلى هذا الفيض الوطنى ، ولا أذكر فى تاريخ الأدب الحديث شاعراً واحداً اندفع لشعوره الذاتى بالوطنية إلى إخراج نشيد وطنى واحد» ... وهكذا أجمع هؤلاء الثلاثة — وهم من شعرائنا المبرزين — على أن ما وضع من الأناشيد الوطنية إلى الآن كلام فارغ . ونقد بعضهم تلحينها من حيث أن الأداء الموسيقى غير صادق فى التعبير عن الإحساس والعاطفة ؛ وكل هذا يتلاقى مع ما أبديته من الرأى فى الأسبوع الماضى . والمهم الآن أن أسجل شعور فنانينا وشعرائنا بالنقص فى هذا الجانب من حياتنا الأدبية الفنية ، وأن أستبشر بهذا الشعور ، وأعده إرهاصا لما يرجى بعده .

بقى لى تعقيب على ما قاله الأستاذ صالح جودت من تميز عبد الوهاب باللون العاطفى وأن طبيعتنا عاطفية ووجوب موافقة الأغنية الوطنية لذلك ؛ فأقول له : إن عاطفة الحب والغرام غير عاطفة الوطنية ، والثانية تستلزم القوة من غير شك ، ونحن وإن كنا لا نبتغى هذه القوة من الكلمات الجوفاء فإننا نطلبها من الطاقة الوطنية التى يشعر بها الشاعر والملحن . وإذا كان تميز عبد الوهاب إنما هو فى العاطفة الغرامية اللينة فليس من اللازم أن يلحن الوطنيات

الأدب والثقافة بالإذاعة :

رفع إلى الجهات المختصة تقرير عن الإذاعة اللاسلكية المصرية كتبه الأستاذ عبد الحميد يونس مبيناً فيه أسباب فسادها ووسائل علاجها ، وتناول بهذا البيان النواحى المختلفة للاذاعة المصرية . وقد اطلعت على نسخة من هذا التقرير فوجدت به فقرات قيمة فى الأدب والثقافة بالإذاعة رأيت أن آتى بصفوتها للفائدة :

كانت الإذاعة فى العهد (الماركونى) مصرية العنوان انجليزية الجوهر والروح . استخدمها البريطانيون فى صرف الشعب عن جد الحياة بإيثار التسلية غير المفيدة والترفيه المسف على الإرشاد الخفيف والتثقيف المقبول ، مما لا تزال آثاره باقية إلى الآن ، فإذا كانت الإذاعة فى عهدها القومى تريد أن تكون أداة تقدم ورقى فيجب أن تمحو آثار العهد الاحتلالى وأن تزاوج بين الفائدة والتسلية . ولن تستقيم الإذاعة فى إدارتها وفيما يصدر عنها من فن أو ثقافة إلا إذا تم الفصل بين الإنتاج الفنى والإدارة الإذاعية ، وإلا إذا صلحت ضمائر الحاكمين على العمل الفنى وكانوا من المتأهلين له ، فينتفى بذلك ما يلاحظ من عدم التخصص ومن الوسائل التى يلجأ إليها المتقدم للاذاعة والتى أهونها التمليق والمصانعة

ولا ينبغى أن يكون عمل الأذاعة مقصوراً على الانتخاب مما يعرض عليها من الانتاج الفنى والعقلى ، وإنما يتعدى ذلك إلى إكمال النقص باستدعاء المواهب المبتعدة عن الاذاعة والاستعانة بالبارزين فى الحياة الفكرية مع عدم إغفال الموهوبين من الناشئين

وعرض التقرير للتمثيلية الاذاعية فندد بتفاهتها وانعدام الهدف والقوام الفنى فيها ، وما يتضمنه بعضها من أفكار فجة ومعوجة ، واقترح أن يحتفل بإنتاج الأدباء المبرزين فى القصة ، وأن يطلب إلى الأدباء إعداد برامج مستوحاة من القصص العربى والاقتباس من روائع الأدب الغربى فى القصة والتمثيل ، والاشادة بمفاخر مصر والإسلام والعرب ، والحذر من الفرعونيات لأن أبناء الأمم العربية الشقيقة يمقتونها مقتهم للأشورية والفينيقية وما إليهما

وقال التقرير إن الإذاعة كادت تهمل الأقصوصة يسردها مؤلفها ، وهى فن قد أصبحت له مكانة بين فنون الأدب ، وهى أقرب من « الحديث » إلى نفوس الناس ؛ وإن الاحتكار سرى إلى الأحاديث حتى أصبح بعض المحدثين يتصيد موضوعه تصيداً يجدو الحرج عليه وهو يلقيه ، وبعضهم يحشر فى موضوعاته المصطلحات الفنية التى لا تتفق وما ينبغى للعمل الإذاعى من التعميم ، وصار لبعضهم حقوق ارتفاق على أبواب بعينها ، كالتعريف بالكتب الذى عهد به إلى فرد معين أيا كانت كفايته الشخصية فإنها لا يمكن أن تستوعب العلوم والفنون جميعاً التى تؤلف فيها أشتات الكتب التى يقدمها . وكذلك سرى الاحتكار إلى الشعر ، فليس المعول فيه على حكم الرأى العام الأدبى ، إذ لا تعنى الإذاعة بتقديم الألوان المختلفة من الشعر ، وإنما كل ما هنالك القرب بين الشاعر ورجال الإذاعة

وأشار التقرير إلى الركن الثقافى الذى اختص به خريجو قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب الذى يذيع باللغة العربية ثمرات القريحة الانجليزية وصور الحياة البريطانية ويتفنن فى عرضها تفنناً لو استخدمه فى غير هذا الباب لمدحناه عليه ... وقال إن هذا الركن من أثر العهد الاحتلالى ، وإن التعاون الذى بينه وبين الإذاعة التى كان يختار موظفوها من خريجى هذا القسم — لم يقم تعاون مثله مع أية هيئة أخرى ...

« العباس »



الفضاء والعدم والأثير:

اطلعت على ما قاله الأستاذ أحمد محمد خلف فى العدد ٧٥٢ من الرسالة انتقاداً لما كتبته فى الرسالة فى موضوع «الفضاء والعدم».

وهو يستنكر قولى بحتمية وجود مادة فى الفضاء، ويحجنى بمنطقه أنى إذا كنت أجيز هذا الحتم فيجوز له أن ينقض قانون الجاذبية لأنه يمكن أن يوجد على الأرض أجسام تسقط من تحت إلى فوق خلافا لسنة الجاذبية التى تقضى بسقوط الأجسام إلى تحت (نحو مركز الجاذبية). ولم يعطنا مثلا أو شاهداً على هذا الفرض.

لست أيها الأستاذ أنقض ناموساً من نواميس الطبيعة، ولا أنا من يقول إن هـذا الفضاء مشغول حتما بمادة، وإنما عيناك العزيزتان حفظهما الله وعيناى ترى الحقيقة الناصعة، وهى أن أنوار النجوم تملأ الفضاء، وما هذه الأنوار إلا أمواج كهرطيسية من جملة الأمواج الكهرطيسية التى تحرك طبلة الراديو وترجها فتسمعنا الأصوات البعيدة، ولا فرق بين أن تكون هذه الأمواج فوتونية سابحة فى الفضاء من تلقاء نفسها، أو أن تكون تموجات أثيرية

أما الأثير فما نفاه أينشطين ولا أثبته وإنما قال: إن نظريته لا تحتاج إلى الأثير، فهى تثبت سواء ثبت وجود الأثير أو انتفى.

وإذا كانت عملية ميكلصن وموريلى لم تكشف لهما سرعة الأرض فى بحر الأثير، وبالتالى حكما بعدم وجود الأثير، فلأن هذين العالمين كانا موجودين مع جهازهما الذى جربا به عمليتهما، فخابت العملية التى كرراها مراراً بطرق مختلفة، ولم تنتج شيئاً لا سرعة الأرض فى الأثير ولا وجود الأثير نفسه، وكان يجب أن يكونا على غير الأرض لكى يكتشفا سرها.

وقد تحير جميع العلماء من خيبة العملية فى كشف سر الأثير مع أنها عملية محكمة علمياً تمام الإحكام لا غبار عليها. ولكن أينشطين انبرى من دون جميع العلماء مدركا السر، ومن جراء هذه العملية تجلى له سر النسبية، فقال لهم: لا تتعجبوا من اتفاق عملية ميكلصن وموريلى وهما على جهازهما على الأرض، فلو أمكنهما أن يراقبا العملية على الأرض من سطح القمر أو المريخ مثلا لكشفا سرعة الأرض فى الفضاء سواء كان الفضاء أثيرياً أو لا أثيريا، ولكنهما وهما على سطح الأرض مع جهازهما، فلا يمكن أن يكشفا شيئاً لا سرعة الأرض ولا سكونها، كما لو كنت على سطح سفينة ضخمة فلا تشعر بسرعة السفينة، ولكن إذا كنت على الشاطئ ومرت السفينة أمامك شعرت بسرعتها.

فالحركة أو السرعة تختلف باختلاف موقع الراصد، فالراصد على الأرض يرى الأرض ساكنة والفلك يدور حولها، ولكنه إذا كان فى مكان بعيد عن الأرض كالمريخ مثلا، يرى الأرض تسير فى الفضاء، فالأرض لأهلها ساكنة، ولكنها لأهل المريخ متحركة — هذه هى النسبية.

فإخفاق عملية ميكلصن ـ مورلى نجمت عن أن الراصد والمرصود كانا فى مكان واحد، والمكان يتحرك بهما وبجهازهما معاً فى وقت واحد، فهنا انتفت النسبية.

فالحركة، وأية حركة، يتوقف ظهورها على مكان الراصد بالنسبة إلى مكان المرصود، وهذا هو سبب الصعوبة فى تصور النسبية على من يحاول دراستها.

وحاصل القول أن إخفاق عملية ميكلصن ـ مورلى لم يثبت وجود الأثير ولا نفاه، لأن نتيجة العملية لا تتوقف على وجود الأثير أو عدمه، بل على انتفاء النسبية فيها، فلو كان الرصد فى مكان خارج عن الأرض كالمريخ مثلا لظهرت سرعة الأرض للراصد. ونحن على الأرض نكشف سرعة المريخ، ولو كنا فى المريخ لاستحال علينا أن نكشف سرعته الأبراقية ما فى الأفلاك من الأجرام.

نقولا الحداد

رد على رد:

اطلعت فى العدد الحادى عشر من المجلد الرابع من شهر تشرين الثانى على تعقيبين للاستاذين عدنان أسعد وعادل الغضبان فيما يتعلق بموضعين من المسرحية الشعرية للشاعر الفلسطينى العربى محمد حسن علاء الدين. (امرؤ القيس بن حجر) والموضعان هما فى البيت التالى ذكره وهو.

خليلى أما صاح بلبل سحبا فأطرب سكانا وأطرب رودا

والموضع الثانى هو الشعر الهمزى الذى أنطق به الشاعر قسما

من أشخاص المسرحية وبينهم همام بن سواد وصخر بن وقاص في الصفحة السادسة بعد المائة والذى أبياته تبتدىء بقول همام بن سواد

هو (الطماح) من أغرى به ، واندس وشاه

فالاستاذ عدنان أسعد والاستاذ عادل الغضبان توهما أن فعولن لا يجوز انقلابها إلى فعل فى البيت التالى وهو .

خليلى أما صاح بلبل سجا فأطرب سكانا وأطرب رودا

واليقين هو جواز ذلك خصوصاً إذا كان انسجاب الموسيقى الشعرية واضح فى البيت كما هو الأمر فى هذا البيت .

وأن توقيم الشعر لا تدخله الفوضى إلا عندما يصبح الارتكاز فى قواعده على أوهام لم يأت بها ذوو الآذان السليمة من نقادى الشعر ومن قائليه .

أما فيما يختص بالشعر الهمزى فإن ذهاب السيد عدنان أسعد إلى أن الشاعر حذف الحرف الأخير من (غداء) فى قوله .

طموح الشئوم غداء طموح الشئوم جياء

فهو وهم قاده إليه فيما يبدو إلينا جهله أن حرف المد يكون بعد كل حرف للتصريع سواء أ كان هذا الحرف فى آخر الشطر الأولى أو فى آخر الشطر الثانى .

وفى مواضع كثيرة معينة ينبغى أن لا يكتب هذا الحرف وإن كان يلفظ . ثم إن السيد عدنان لا يجمل ما كتبه واضحاً فيما يختص بأن البيت ليس فيه قبض . والسيد عدنان فيما كتبه يجعل كون البيت فيه قبض أو ليس فيه قبض متروكا فى حالة غامضة أمام أنظار القارىء .

وأما قول الأستاذ عادل الغضبان أن الشعر فيه مفاعيل واحدة فهو خطأ أيضاً ، ويظهر أن الوهم ذاته الذى جعل السيد عدنان يخطىء جعله يخطىء هو أيضاً ، فالأمر ليس أمر مفاعيل وإنما الأمر أن الشاعر جمع فى الشعر مفاعيلن ومفاعلتن وكلاهما يردان فى مجزوء الوافر .

وأما ذهاب الأستاذ عادل إلى أن التصريع يستجاد فقط فى مطالع الأشعار ، فهذا مناف كل المنافاة لأسلوب الشعر المتين . فالشاعر الجزل فى أسلوبه كثيراً ما يأتى فى الشعر الواحد له بأ كثر من بيت واحد مصرع ، ويكون مجيئه بالأبيات المصرعة أو بالبيتين المصرعين لغاية توقيمية موسيقية ، والتوقيع فى الشعر لا ينفصل عن معنى الشعر ومبناه

حيفا . إبراهيم عبد الستار

رئيس نادي الأنباء العربي

إلى الأستاذ الفاضل العباس :

قولك يا سيدى الأستاذ هو القول الفصل ؛ ولست أمارى فى أن الأبيات لعلية بعد الذى سقته من وجهة نظرك فى كلمتك البصيرة . ولعل مما يظاهر قولك قول أبى الفرج بعد أن أورد الأبيات (وجد الفؤاد بزينبا) ضمن زيانب يونس ، فقد قال : « غناء يونس ثقيلا أول الخ .. وهو مما يشك فيه من غناء يونس؛ ولعلية بنت المهدى فيه ثقيل أول آخر ولا يشك فيه أنه لها ، كنت فيه عن رشأ الخادم » .

الحق أقول ، إن هذا الشك فى غناء يونس لهذه الزينبية دون سائر الزيانب التى كان يغنيها من شعر ابن رهيمة ؛ هذا الشك من ناحية ، ثم ما تبعه من القول فيما يتعلق بعلية من ناحية أخرى ، كل أولئك كان قد جعلنى أتأرجح لحظات بين الهدى والضلال، ثم ما لبث أبو الفرج أن ساقنى معه فأضلنى — سامحه الله — إذ قال بعد ذلك . « ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها » أى لعلية .

لو قام اليوم أبو الفرج فقرأ تحقيق الأستاذ العباس لرجع إلى الحق واعترف بالخطأ ، ولندم على تسرعه فى قوله . (ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها) .

شكر الله للاستاذ العباس رفقه ولينه ، ومد فى عمره ، ونفع دولة الأدب بأدبه وعلمه وفضله .

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

تعبير حسابى :

أ كبر ظنى — إن لم يخطىء الظن — أن قول من قال « شر فى شر » الرسالة ص ١١٢٦ ، أو قول غيره « نور فى نور » أو « ظلام فى ظلام » بمعنى الزيادة ، هو « تعبير حسابى » .

وهذا التعبير لا ترضى به الضاد فى غير لغة الجداول والأعداد.

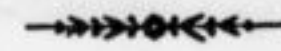
وإنما الصواب أن يقال « شر على شر أو فوق شر » والله تعالى يقول «فباؤوا بغضب فوق غضب» أو «ظلام فوق ظلام» والله تعالى يقول « كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » أو « نور على نور » والله يقول « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » . وبعد : فهذا قول الله وهذا حديثه . ومن أصدق من الله قيلا ؛ ومن أصدق من الله حديثاً ...

(الزيتون) عدنان



شــاعر ... !

بقـــلم الأديب كمال رستم



كان قد مضى موهن من الليل ، وهجدت الحركة ، ونامت الكائنات ، وتوارت النجوم وراء ستار الغمام ؛ فعمت العتمة وانبسط رواق الظلام !.

وكان هناك بصيص من نور يتسلل من خصاص نافذة منزل قائم على ناصية الطريق . . .

فى هذا المنزل وفى هذه الغرفة بالذات ؛ كان الشاعر يصغى إلى إحدى القطع الموسيقية تذاع من محطة « صوفيا » وقد غابت أفكاره فى عوالم من خيال ! . . .

— رحمة بشبابك يابنى . ألا تعطى جسدك حظاً من راحة ؟ قالتها أمه فى نغمة مريرة ، وراحت تنظر إليه بعينين قد رشحت فيهما الدموع ! . ولم يشأ أن يجيبها على قالتها وظل يدور على إيقاع الموسيق وهو شارد الذهن ، تائه النظر كأنما هو غائب عنها فى عالم آخر غير هذا العالم الأرضى ! ...

ولـكنه ما عتم أن استنبه إلى وجودها فجأة . فتوقف عن الرقص وقال أشبه ما يكون بالحالم :

— معذرة يا أماه . فإنى لألتمس راحة البدن ، وهدوء الضمير فى الإصغاء إلى هـذه الموسيق الإلهية ؛ فإنها لا تزال تنقلنى على نغماتها السماوية من آفاق إلى آفاق ، حتى ليخيل إلى أننى أفنى فى الوجود المطلق وأغدو ذرة مذعورة فيه ! . . .

وانطلق يدور فى خطوات رتيبة إلا أنها ساذجة فما كان بينها وبين النغم السارى تطابق أو اتفاق ! واستطرد يقول كمن يخاطب شخوصاً غير منظورة :

— أواه يا « أوتربى » يا ربة الموسيق ، أفيضى على كيـانى المكدود بموسيقاك العذبة فإنها غذاء روحى ، أنصتى يا أماه إلى هذا اللحن الحالم ... إنه « لموزار » ومن قبل استمعت إلى لحنين أحدهما « لباخ » والآخر « لبيتهوفن » ! ..

إن الناس هناك فى « صـوفيا » ليصحون على هذه الأنغام الخالدة ، وإنهم ليغفون عليها ، فتهدهد آلامهم ، وتحيى فيهم موات الأمل ! ...

... وتجاوبت فى نفس أمه أصداء الحـيرة ، وتكلمت فيها وساوسها فأشفقت على ابنها أن تكون مسته مواس الجنون قالت :

— يابنى نم ، واشفق على نفسك ، فإنك مجهد الحس ، مضعضع البدن !

... وتقدم منها فى وناء ومهل ، وأوسد راحتيه كتفيها وقال وهو يدفعها فى هينة ورفق إلى الباب :

— أحرى بك يا أماه أن تعودى إلى فراشك ، وأن تدعينى وحدى تسبح أفكارى وتنطلق شاعريتى ... إن الشاعر يا أماه لا يعيش لنفسه ، إنما يعيش لسواه ! ...

... وشاءت أن تتكلم إلا أن الـكلمات ماتت على شفتيها ... وصلت فيها دمعها يفصح عما استسر فى نفسها من ألم وكمد ، ووجدت أنه لامعدى لها من أن تغادره ، فمضت إلى حجرتها ...

وبرقت فى ذهنها ، وهى مسترخية على فراشها ، صورة ابنها يوم أن كان لا يزال فى المهد طفلا غريراً . وذكرت أنها أملت وقتها أن يكون لها فى المستقبل أمناً من الزمان ... ولـكن الفتى ما كاد أن يشب عن الطوق حتى صـدف عن الدرس واجتوى المدرسة إذ آنس فى نفسه رغبة مشبوبة فى قرض الشعر...

وبدا لأمه أنه لا غناء فى كل الجهود التى بذلتها ليعود ابنها إلى الدرس . وقد كبر فى وهمه أنه شاعر ... فغدا يتغنى بشعره الناس ، وغدا يتردد اسمه على الأفواه ويغدو ذكره ملء الأسماع . وكانت أمه تنصت إلى تلك الكلمات وإلى سواها ، وتبكى فى ابنها حظها العـاثر . فإن أقرانه قد واصلوا الدرس ، وما كادوا يحصلون على درجاتهم العلمية حتى تلقتهم الوظائف الممتازة . . . وكثيراً ما كان يستجلى فى عينها مايدور برأسها فكان يقول لنفسه :

— هذه أمى تبكينى حياً . لتبك اليوم ؛ فإنها لن تلبث أن تضحك طويلا حينما آخذ مكانى بين فحول الشعراء ، وكبار الأدباء

فإنهم ليقولون فى الأمثال الفرائد . إن من يضحك كثيراً لهو الذى يضحك أخيراً ...

... وبقى الفتى فى غرفته يدور على نغمات الموسيقى . وقد شبه له أنه يستند إلى صدر فتاة ناهد فى دورة راقصة . فكان يحتوى فراغا — يمثلها — بين ذراعيه ، حتى إذا ما انتهت الرقصة قال فى صوت يفيض رقة وحنانا :

— غداً نلتقى هنا يا غرامى فى نفس الموعد ... فإلى اللقاء ...

وراحت ذراعاه تطوقانها ، وسمت شفتاه إلى أن التقتا ، فى الخيال — بشفتيها فى قبلة طويلة حالمة ...

... إن أقسى اللحظات التى تمر بإنسان لهى التى يستشعر فيها أنه محروم من الحب . فإنه فى أعقاب هذا الشعور بالحرمان ، يجفل من الناس . ويعاف صحبتهم ، وينطوى على نفسه ويستوحد ولم تنشب هذه الحال السالبة أن تتحقق فى أحلام اليقظة ؛ فيكبر فى وهمه أنه قد أحبته فتاة وأنها صارت له خليصة فهى تقابله — فى الخيال — فى غفلة من الناس ، وتبثه لواعج الحب ، وتهبه كل ما أنكرته عليه حيـاة الناس . وإذا ما اختلفت على إنسان هذه الحال أدت به إلى جنون ...

... وما كادت صورة الفتاة تبرح خيال الشاعر حتى جلس إلى مكتبه وغيب يده فى درج من أدراجه ، وأخرج قرطاساً وقلماً وسطر بضع كلمات أنشأ مطلعها بصوت عال :

« اللحن الإلهى » ... ياله من عنوان !

وأكب على القرطاس يثبت ما عن له ، حتى إذا ما فرغ من كتابته نهض إلى النافذة ، وفتحها ووقف وراءها .

وراحت أنسام الفجر الندية تصافح وجهه ، وتاهت نظراته فى الفضاء والمحيط ثم ارتدت إليه مذعورة ؛ فأغلق النافذة ، وتراجع إلى فراشه ، وتطرح عليه ، وأسلم عينيه لإغفاءة طويلة معسولة ...

كان محمد أو الأستاذ محمد كما يحب أن يدعوه الناس ، واحداً من هؤلاء الشبان الذين يسلمون أنفسهم لقراءات غير منظمة ، وكان قد انقطع عن المدرسة فى أولى مراحلها فاعتمد على خبرته الضئيلة فى اختيار لون الثقافة الذى يتفق ومزاجه . فلم يفد شيئاً .

وكان يبعث بمحاولاته الساذجة إلى الصحف والمجلات فكانوا — كما هو منتظر — يغفلونها ولا ينشرونها . فانعكست هـذه الحال السالبة على نفسه ؛ فاستشعر لأصحاب الصحف والمحررين على السواء كراهة مرة .. وصور له الوهم أنهم يغارون منه ، وينفسون عليه موهبته الخالقة ...

وكثيراً ما كان يمضى فى الطريق محتضناً أفكاره ، حتى إذا ماصادف صديقاً لم يشأ أن يتركه قبل أن يلقى عليه إحدى قصائده ؛ وكانت خبراته بالدورات العاطفية التى تختلف على الناس منعدمة . فكان يقع على الواحد من أصدقائه وهو مرح الصدر ، غانم الخاطر يريد أن يسمعه إحدى قصائده . فيعتذر صاحبه من عدم إمكانه سماعها . فيناله من ذلك هم كبير ويقول فى نفسه :

— إن الناس عيت عقولهم عن فهم أشعارى ، وفيها تلك الالتماعات الذهنية التى لا تنقاد إلا لذهن جبار ! وإنى عهدتهم يتهافتون على ذلك اللون الرخيص من الأدب الذى تطالعهم به الصحف والمجلات ... أما أنت يا محمد ؛ فإن فى عنقك رسالة ينبغى أن تؤديها ، وإن أصحـاب الرسالات ليلاقون من عنت الناس وإجحافهم مالا قبل لغيرهم به . فلتثابر وإنك واصل بإذن الله ...

... ونهض من فراشـه فى رأد الضحى ... وأمر يده بين الوسائد وأخرج القرطاس الذى سطر عليه قصيدته « اللحن الإلهى » ونادى اخته ، فما إن أقبلت حتى قال لها :

— اجلسى فسألقى عليك قصيدتى الجديدة «اللحن الإلهى»

... وكانت الفتاة قد تمياها الجهد من تدبير البيت . وكان لا يزال أمامها عمل شـاق متواصل . فأجابته فى لهجة يشيع فيها الغضب المستور : إننى جد متعبة ولا قبل لى بسماع قصائدك

ومضت عنه إلى طهى الطعام وتنظيف الصحاف . وبقى هو فى فراشه بعض الوقت تتردد الحسرة بين جنبيه وتمتم

— حتى أنت ياشقيقتى تبالغين فى تحقير شعرى وامتهانه ...

... وكانوا قد أعدوا له طعام الإفطار . فما قاربه ، بل ارتدى ملابسه ، وانطلق إلى الطريق كمن ركبه الشيطان . وكان النهار قد انتصف ، وغامت السماء ، وآذنت بإمطار ...

ودرج فى الطريق وهو ذاهل لا يدرى أين تقوده قدماه ...

ونسى نفسه فراح يتغنى بقصيدته « اللحن الإلهى » . وخيل إليه أن الطبيعة أطرقت تنصت إليه ! لقد عدم فى الناس من يستمع إليه . فليحك إلى الطبيعة شعره وليبثها آلامه ... الطبيعة ... إنها أخته الخليصة ، فليس فيها مكر الناس وليس فيها خبثهم !

وهطل المطر مدراراً بينما تابع هو طريقه غير حافل حتى لاح له مقهى على رجع البصر فخف إليه !

وتهالك على المقعد فى إعياء ، وراح يرقب حبات البرد وهى تساقط على الأرض فى ثورة وغضب ...

وعن له أن يستعرض — وهو جالس — رحلة حياته فهاله أنه احتمل صنوف الهوان والذل ، والعسف والجور !

وأحس بالحزن ينوش صدره ، والألم يهصر قلبه ... وتزاحمت الصور فى رأسه وبرزت من بينها صورة أمه تتكلم فيها نظراتها بأن آمالها خابت فيه

ثم ومضت فى ذهنه لحظات السعادة الموهوبة التى استثمرها مرة يتيمة فى هدأة حب عابر . فأغمض عينيه على الذكرى الحبيبة يلتذ مقامها فما أسرع أن خبت فى الماضى البعيد !

وجثم على صدره ألم الحرمان ... الحرمان المروع ... وعندئذ جرت على شفتيه بسمة مريرة . وهانت لديه الحياة ، وود لو عاجله الموت ، وتمتم :

— إن من الموهوبين من لم يعرف الناس أقدارهم إلا بعد مماتهم ، وأنهم كانوا فى حياتهم مضطهدين ، محرومين . فلعلك أنت يا محمد أن يكتب لك الخلود بعد وفاتك ...

... وهدأ عند هذه الخاطرة وسكن إليها ، وأخرج القرطاس والقلم من جيبه وسطر عنواناً لقصيدة جديدة ... « الشاعر الخالد »

وجرى قلمه على الصفحة البيضاء كأنه ريشة رسام مفتن . ولما فرغ من تدوين أشعاره ونهض كانت حمرة الشفق قد انتشرت فى السماء ...

وكانت نظراته وهو يدرج فى الطريق عائداً إلى بيتـه قلقة مذعورة لا تثبت على شىء !

وكان ذهنه فى مثل نظراته من الغموض والشرود فراح يبرق بشتى ألوان التفكير .

وانطلق يضحك فى أعماق نفسه ، من وجوده هو ، بل من وجود الناس أجمعين . فما هى الحكمة الكبرى فى خلق هذه الجموع الآدمية ؟ . . . أليبقوا سنوات هى فى عمر الزمان لحظات قصار ، ثم تبتلعهم أمهم الأرض . وكأنهم لم يدرجوا عليها يوماً .

بدا له كل شىء على حقيقته ، وهم وقبض الريح . ماذا جناه من حياته ؟ لا شىء !. .

ولد ، وتألم ، ولن يلبث أن يمضى على الدنيا كآلاف غيره مشيعاً بحزن مصطنع ، وألم مفتعل ! ...

فمن العدم أقبل .. وإلى العدم يعود . وتبقى ذكراه بين الناس تبقى رسالته التى ضمنها أشعاره تلك التى لم يقدر لأحد أن يطلع عليها حتى اليوم . . من يدرى ؟...

لعل أحداً أن يقف عليها ، ولعل كاتباً منصفاً أن يكتب عنه ويسمه « بالشاعر العظيم » ...

وبلغ منزله خائراً مكدوداً فصافحه وجه أمه يشيع فيـه الألم كما يعهد به ! . ولما قدمت له الطعام . تناوله بشهوة منهومة . إذ كان جائعاً ! ...

ودلف إلى حجرته ، وأغلق الباب وراءه كما ألف أن يفعل كل مساء وتهالك على المقعد فى تراخى بدن مجهد ، وأخرج قصيدته « الشاعر الخالد » من جيبه وراح يستعيد قراءتها !..

وأدار مفتاح المذياع فتناهت إلى مسمعه نغمات موسيقى عذبة حنون وشالت به أفكاره إلى السماوات العلا وهو فى حال من خدر الحس وسكرة النفس ...

... ولما مضى موهن من الليل ، وهجدت الحركة ، ونامت الكائنات ؛ تسلل الشاعر فى خطوات مخنـوقة إلى غرفة أمه واستملى منها ومن أخته نظرات طويلة حانية ...

ولما قفل راجعاً إلى غرفته كانت تلتمع فى عينيه دمعات حرى وامتدت يده المرتعشة فى صلابة وعزم إلى زجاجة « الفيرونال » التى كانت أمه تتعاطى أقراصها لتطرد عنها السهر والأرق ، وأفرغ حباتها فى جوفه واحدة بعد الأخرى ...

وبينما كان اللحن ينساب فى هدأة الليل حزيناً مولولا ، كان الشاعر قد خارت قواه وهوى على أرض الغرفة ؛ جثة لا حراك بها !...

كمال رستم

سكك حـــديد الحكومة المصرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأنه تقرر ابتداء من يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٧ الآتى .

أولا — رفع القيود الموضوعة الآن على جميع وسائل النقل من ناحية سير القطارات ومحطات وقوفها فى جميع أنحـــاء القطر المصرى .

ثانياً — ملاحظة عدم صرف تذكرة لأى راكب من مصر أو محطات الوجه البحرى إلى محطات الوجه القبلى إلا الحامل شهادة تطعيم ضد الكوليرا بالصورة الشخصية معتمدة من مكتب الصحة المختص وأورنيك مراقبة صحية رقم ٢٥ صحة .

ثالثاً — الانتقال بطريق السكة الحديد داخل مديريتى جرجا وقنا لا يباح إلا للحاصلين على شهادة تطعيم قانونية واورنيك ٢٥ صحه .

رابعاً — القطارات التى تسير الآن بالوجه القبلى تقف بجميع محطات وقوفها المقررة بجدول المسير ابتداء من يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٧ .

خامساً — القطارات التى تسير حالياً يستمر مسيرها كجداولها وسيعلن بعد عن القطارات التى سيعاد سيرها تدريجياً .

سادساً — يعاد صرف تذاكر المقابلة بالمحطات المقفولة ابتداء من التاريخ المذكور .

مطبعة الرسالة



العدد ٧٥٤ – الاثنين ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

صليبية من نوع جديد ! ... ... : أحمد حسن الزيات ١٣٦٥
رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٣٦٦
ثلاثة رجال ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٣٦٨
كيف حاولت أن أكون خطيباً : الأستاذ زهدى الشواف ١٣٧١
ابن الوردى والخمول ... ... : الأستاذ محمود رزق سليم ... ١٣٧٤
مع ميخائيل نعيمة فى «همس الجفون» : الأستاذ مناور عويس ١٣٧٦
حس مرهف ... ... : الأستاذ ثروت أباظه ... ١٣٧٨
شكيب الشاعر ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ١٣٧٩
فن المسرح ... ... : الأستاذ عبد الفتاح البارودى ... ١٣٨١
«من وراء المنظار» : فتوات ميرى ! : الأستاذ محمود الخفيف ١٣٨٣
فصل الخطاب ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمود رمزى نظيم ... ١٣٨٤
« الأدب والفن فى أسبوع » : مهرجان شوقى – أبو محجن الثقفى ١٣٨٥
– شياطين الشعراء – مهرجان الشباب – ملاحظات على المهرجان –
فى منظار الخفيف ١٣٨٧
« البريد الأدبى » : تعليق على كلمة – إقرار – معارض الجمال أيضاً ١٣٨٨
– الفن القصصى فى القرآن ١٣٩٠
البائع والتمثال ... ... (قصة) { بقلم ألدوبالاتسزكى ... ... / الأستاذ محمد لطفى جمعة ... ... } ١٣٩١

٤٧ ، ٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد « الرســالة » السنوى الممتــاز

سيصدر عدد « الرسالة » الممتاز فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٩٤٨ حافلا على عادته بالبحوث الإسلامية والموضوعات العربية لنابهى الكتاب فى مصر والأقطار العربية .

15 em Année No. 754

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi — 15 — 12 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

صليبية من نوع جديد !

شتان بين الغزوات الصليبية الثمان التى شنتها أوربا النصرانية على الشرق المسلم فى مدى قرنين من العصر الوسيط ، وبين هذه الصليبية التاسعة التى تشنها أوربا وأمريكا على فلسطين فى هذه الأيام من عصرنا الحديث !

تلك غزوات كان مبعثها الفروسية المسيحية والعصبية الدينية ، صدرت عن الإيمان وابتغت مرضاة المسيح ، وهذه غزوة بعثتها اللصوصية الدولية والطاعية الدنيوية فصدرت عن الكفر وابتغت مرضاة يهوذا ! ويهوذا هو اليهودى الذى باع المسيح إلى عدوه بدوانق معدودة قبل أن يصيح الديك ؛ وهو الذى روّى بالدم المسفوح شجرة الصليب فأثمرت العذاب للناس والخراب للأرض!

ولا يزال يهوذا المسيح ينافس فى الشر إبليس آدم : يبغى الغوائل لأتباع عيسى كما ينصب الحبائل لأتباع محمد ؛ فلكل مصلح من يديه صليب ، ولكل نهضة من وساوسه نصيب ، ولكل أمة من دسائسه فتنة !

ومن أعجب الأمور أن تتعاون اليوم دول النصرانية على أن تجعل صانع الصليب سادناً لقبر المسيح وكاهناً لكنيسة القيامة !

لقد كان بطرس الناسك ولويس التاسع أدنى إلى الإيمان من بلفور الواعد وستالين المساعد وترومان المنفذ ! كانا يؤلبان حملة الصلبان على أن ينتزعوا مفاتيح الأقداس المسيحية فى فلسطين من أيدى المسلمين سدنتها الشرعيين ليضعوها فى أيدى النصارى الغربيين . أما هؤلاء فقد حملوا الأمم المتحدة المسيحية على أن تجود بها على سلائل (اسخربوط) من صهاينة اليهود ؛ والجود بما لا تملك على من لا يستحق أغرب حوادث الجود !

ليست المسألة إذن مسألة دين أو جنس ؛ إنما هى مسألة استعمار وتنافس . وليست مدافعة الصهيونيين عن قلب العروبة أمراً يعنى فلسطين وحدها أو المسلمين وحدهم ، إنما هو أمر يعنى الأقطار العربية جمعاء ، وبهم العرب مسلمين ومسيحيين على السواء !

ذلك لأن الهيضة ظهرت جراثيمها فى (القرين) ، ثم ظهرت أعراضها بعد أيام فى (قنا). والسرطان إذا نشبت جذوره فى عضو نجمت فروعه فى كل عضو . والصهيونية إذا عشش بومها فى خرائب (سليمان) طبقت أفراخها الأرض ما بين النيل والفرات . والعلق إذا فشا فى ماء شق على ذى الدم الحار أن يعيش فيه . واليهود علق البشرية يمتصون دمها ثم يفرزونه كالعنكبوت خيوطاً من الذهب يصيدون بها الذباب والبعوض من ساسة أوربا وأمريكا ! وما دام أمر الصهيونيين والمستعمرين قائماً على العدوان والجور ، فإن الفيصل بيننا وبينهم هو القوة . والقوة منذ جعلها الله قواماً لهذا الكون أودعها الإيمان والذهب والحديد . فأما الإيمان فيجيش فى الصدور العربية جيشان السيل المزبد الهادر فتسمع اصطخابه فى كل بلد . وأما الذهب فيفيض من الخزائن والجيوب ولن يبخل عربى على فلسطين بمال ولا ولد . وأما الحديد فسيصوغه الذهب بأساً للإيمان وروحاً للجيلاد ومنى للجلد . ومتى اجتمعت هذه الثلاثة للجيش المجاهد فهيهات أن يقف فى سبيله أحد !

احمد حسن الزيات

١٥ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

القلعة

وتوجهنا من مزار جلال الدين أكبر إلى تاج محل ، دخلناه بعد الغروب ثم عدنا إلى زيارته صباح اليوم التالي ومساءه — وسأفرد له مقالا .

ويوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى ذهبنا إلى قلعة أكرا . وهي قلعة كبيرة تمتد أسوارها ميلا ونصف ميل على نهر جمنه . وفيها من المساكن والدواوين والأبراج والمساجد ما لا أستطيع وصفه في هذا المقال .

وقد ذكرت من قبل قلعة دهلي ووصفت بعض ما فيها ، وهذه القلعة تشبهها سعة وضخامة وكثرة أبنية ، ولكن هذه أقدم ، بناها جلال الدين أكبر وزاد فيها ابنه جهانكير ثم شاهجهان أعظم سلاطين هذه الدولة عمارة ، وأجلهم آثاراً . برز في هذا الشأن سلفه وخلفه على عظم ما شادوا وجيل ما أثرعنهم في التاريخ وفخامة ما تركوا على الأرض .

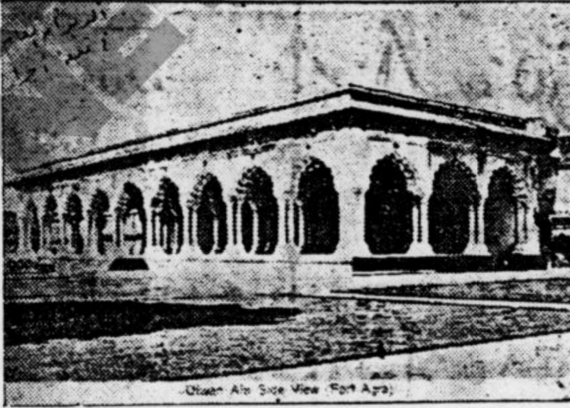
وفي قلعة أكرا آثار لأكبر على أسلوب العمارة الهندية القديمة كالدار التي بناها لزوجه الهندكية . وكان مولعاً بالجمع بين الأساليب المختلفة وقد أسلفنا أنه حاول أن يجمع الناس على دين واحد .

وقلعة دهلي فيها تأنق شاهجهان في التشييد والتجلة ، وهي فيما رأيت ، أحسن آثاراً وأجل بناء ، وأبقى رونقاً .

وكلتا القلعتين من شواهد الملك الضخم الفخم ، والحضارة ذات الثراء والصناعة ، والرفاهية والأبهة .

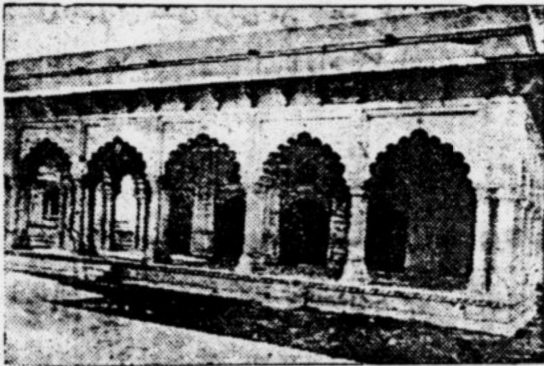
ومن آثار القلعتين الديوان الخاص وهو مجلس السلطان على خاصته ، والديوان العام وهو مجلسه للعامة .

ومع هذا المقال صورتا الديوان العام والخاص في قلعة أكرا ، والأول مبني بالحجر الوردي وعليه طلاء يخيل لرائيه أنه من الرخام . وطوله ١٩٨ قدماً في عرض ٦٧ بناه شاهجهان سنة ١٠٥٧ هـ



« الديوان العام » في قلعة أكرا وهو من الحجر الوردي يعطيه منظر الرخام ، طوله ١٩٨ قدماً في عرض ٦٧ ، عليه طلاء بناه شاهجهان سنة ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧ م)

والديوان الخاص من آثار شاهجهان كذلك بناه سنة ١٠٤٦ هـ وهو من الرمر مرصع بالجواهر . وطوله ٦٥ قدماً في عرض ٣٤ .



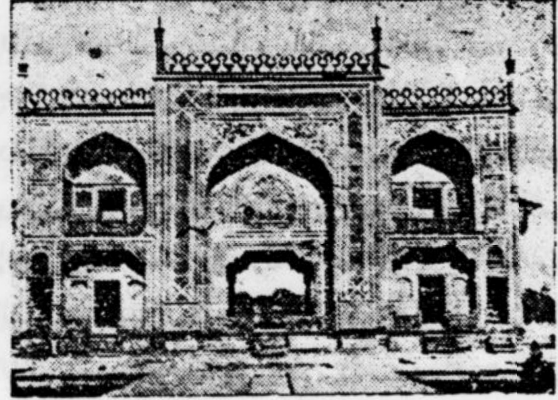
« الديوان الخاص » في قلعة أكرا من آثار شاهجهان ، وهو من الرمر مرصع بالجواهر ، وطوله ٦٥ قدماً في عرض ٣٤ قدماً ، بني سنة ١٠٤٦ هـ

مزار اعتماد الدولة

وبعد أن رأينا من آثار القلعة ، ما اتسع له الوقت خرجنا من بين الآثار العظيمة الكثيرة إلى أثر صغير جميل هو ضريح ميرزا غياث الدين الملقب اعتماد الدولة وهو وزير السلطان جهانكير وأبو نورجهان زوج السلطان .

وقد بنيت هذه الأعجوبة الهندسية نورجهان في عهد زوجها . تخليداً لذكرى أبيها .

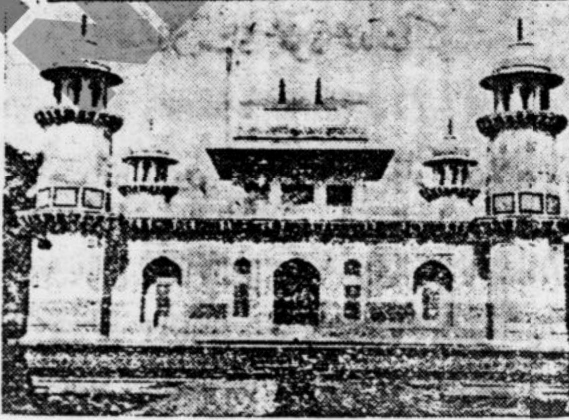
ومزار اعتماد الدولة يشبه فى مدخله وفنائه وخطته المزارات الأخرى التى شادتها هذه الدولة العظيمة ولكنه أضيق رقعة وأصغر حجما.



مدخل مزار اعتماد الدولة

وهو بناء مربع فى أركانه أربعة أبراج جميلة مصنمة وفوقه قبة أو ظلة مستطيلة . وفى وسط البناء تحت القبة قبران لاعتماد الدولة وزوجه . وفى جوانب البناء حجرات فيها قبور لأمراء وأميرات : حجرة فيها أصف جهان وامرأته ، وهما والدا ممتاز محل دفينة التاج . وسنذكرها فى مقال تاج محل ، وحجرة أخرى فيها كريم بك أخو اعتماد الدولة الخ .

وفى البناء جدره وقبته وأبراجه من إبداع الهندسة وعجائب التلوين بالرخام ، وأفانين الصناعة فى التخريم والترصيع مايسحر الزائر ويحيره ، وفيه من الجمال ما يأنس به الزائر ويسكن إليه ، إلى بساطة فى التخطيط تشيع النور فى أرجائه ، وتأذن للزائر وهو تحت القبة أن يسرح طرفه فى الفناء المحيط بالبناء .



مزار اعتماد الدولة فى أكر

وهو يشبه فى زينته وترصيعه تاج محل . وقد كمل هذا المزار قبل الشروع فى بناء التاج بثلاث سنوات . واستغرق بناؤه ثمانى سنوات.

وفى المقال الآتى أحاول وصف الأثر الجميل الذائع الصيت الذى يفىء ذكره فى الأجيال والآفاق . وذلكم تاج الآثار الإسلامية الهندية المسمى « تاج محل » .

عبد الوهاب عزام

فلسطين :

ثلاثة رجال

للأستاذ محمود محمد شاكر

أحب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لا بد منهما : الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . وأحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق

والثانية : أنى كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال أذكر الإسلام وأشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى أعدهم منا ومن أنفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون أنفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الإسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسألة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم حرصاً لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولا كيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الأخوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل فى هذه الكلمة مآثر لرجلين من أجل النصارى شأناً ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى أوربة وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الأقباط الأرثوذكس الأنبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فإذا الناس يفاجأون بمقدم القمص مثياس الأنطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الأعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى أكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الأنبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والأمانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فدل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الإدراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة .

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الأعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتها بريطانيا لإفساد ما بين المسلمين والأقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الأمة تفريقاً يجعل بعضنا لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الأقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على أدائه وإن أبوا هم أن يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الإخلاص والإيمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الإسكندرية » أى يهود مصر ، فأقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فأجابهم بأنه ما قال ما قال إلا وهو يعتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وأنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ،

وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الإسكندرية وإفريقية للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث أن غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لإنشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم . ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذه المحاولة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . ولهم العبرة فيما حاوله الإمبراطور جوليان الرومانى . ولا ندرى كيف فكرتا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية أولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعاتٍ وأفراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرساً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون إلى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين ، فإن الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فإننا نحن الروم الأرثوذكس نرى أنه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى ، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على أنهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوًى لشىء ولا رهبة لمكروه . فإن غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته وشبابه فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد أثبت حديث البطريق الأعظم بتمامه لأنه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لايتجزأ من تاريخ الإسلام ، ولأننا نحن المسلمين نحب أن نحمل المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها أحسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من أن مشايعة الدول الأوربية والأمريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الخفاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لايستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الإسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الإسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود . .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لاعقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين ، غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الإنصاف والحق كما ينظر نصارى الشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فإنه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة

وقبل أن أنتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارئ ، وأنبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى أنه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته . فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟ وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية ألقت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم

وننتهى من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حايم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبى يحتم على أن أتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فأبناء الطائفة الاسرائيلية التى أتشرف برياستهم الدينية هم جزء لايتجزأ

من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك في عواطفهم نحو أبناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لأبناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فإن واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمري إلى رجال الكنائس الاسرائيلية بإقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها أبناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين في هذا الظرف العصيب »

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته أنه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغي أن يعمل هو وأبناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، وأخشى أن أقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذي ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره أحد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود في ثغر الاسكندرية » كي يدثوا البطريق الأعظم للروم الأرثوذكس عن إذاعة حديثه . أهذا أيضاً إقحام للدين في السياسة

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش في أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا في المريخ ، وأننا نعلم علماً يقيناً أن جمهوراً كبيراً من شباب اليهود في مصر ، يجري بينهم الحديث وبين المصريين ، فلا نجد أحداً منهم يكتم مشايعته لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، بل يفرح بها ويصر على التصريح بأنها خير لبلادنا ، وأنه ينبغي علينا نحن العرب أن نعاون على إنشاء هذه الدولة ، وأن نعيش معاً في سعادة وأمن ورخاء !!!

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن هذه الساعة التي جاش فيها العالم الإسلامي والعربي ، ليدفع عن فلسطين الجور الذي أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التي تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هي ساعة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الإفصاح عن المعنى الذي ينطوي عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً كل الإفصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذي أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية تدعي أنها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذي يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولي على أرض إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور في كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيوني يستنكر التقسيم ثم رضي به على مضض ، لأنه الخطوة الأولى التي تفضي إلى استيلائهم على أرض بني إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع اللغوي العربي .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا في محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدي عليهم مسلم ولا عربي ما داموا في ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية نريد أن نقحم الدين فيها ، بل هي مصير العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر في مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هي عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتألم بألمها؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذي يجري الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء في كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وأنها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق في قراره ولو طالت مئة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التي يريدها لنفسه ، ويدخل هو وأبناء طائفته في الجهاد الذي كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكي ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربي يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذي سوف يبقى مذكوراً في تاريخ الإسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر ليعلم . وسيادته أن

كيف حاولت أن أكون خطيباً

للأستاذ زهدي الشواف

إنها محاولة لا أذكرها الآن إلا ضحكت من نفسي ... فلقد كانت نزوة من نزوات الشباب الطائش ، وهفوة من هفوات العاطفة الجموح ... وما أكثر ما تخطىء العاطفة ، وما أكثر ما تزل بالمرء في مزالق السخف ! .. ولو قُدر لنا أن نتحرر من ربقتها لبرئنا من الضحك من أنفسنا ، ولترفعنا عن كثير من المهازل التي تمثل على مسرح الحياة .

لقد عينتني وزارة المعارف معلماً في مدرسة ابتدائية فبادرت للعمل فرحاً ، ولم أكد أدخل الصف حتى ألفيت نفسي بين حشد من الأطفال لا يحصيهم عد ... لقد كانوا لحداثة عهدهم بالمدرسة أشبه بالمهارة الناشزة التي لم تروض على الركوب ، وكانوا مزيجاً غريباً من طبقات اجتماعية مختلفة ، متفاوتين فهماً وخلقاً وإدراكا

وما إن رأوني مقبلا عليهم حتى سكتوا لحظة ، ثم راحوا يتطاولون بأعناقهم فينظرون إلي . وبعد هنيهة عادوا إلى حديثهم وعكفوا على لهوهم ، كأني لم أحل بينهم أو كأنهم في ساحة البلد لا يجمعهم مدرسة ولا يهيمن عليهم نظام . ولقد فكرت في العصا ولكن التعاليم التربوية الحديثة تقول « إن الضرب ممنوع في المدارس ... » نعم إن الضرب ممنوع لأنه ينافي التعاليم التربوية ولكن حشر مائة طالب في غرفة واحدة لا ينافيها ! . هذا هو فهمنا للتعاليم ! .. وهذا هو مدى تطبيقنا إياها ! ...

وقد حاولت تأمين النظام بكل ما أوتيت من حكمة ولكن جهودي كلها ذهبت عبثاً . وأنى لي أن أفلح والطلاب منصرفون عني . فهم بين جالس على مقعد ، ومطجع على حصير ، وواقف خلف « درف » الشباك ... إن المقاعد لم تكن لتسعهم كلهم ... فما ذنبهم ؟.. وما ذنبي ؟...

لقد أتيت المدرسة مزوداً بالتعاليم الحديثة مشبعاً بالأفكار المثالية ولكن ما أسرع ما وجدت أن تلك التعاليم ظل لا حقيقة له ، وأن هذه الأفكار بعيدة عن متناول اليد بعد السماء عن الأرض .

وانتصفت الساعة الأولى وأنا حائر في أمري لا أجد مخرجاً لي مما أنا فيه . فلما يئست من إصلاحهم ركنت للحيلة ، وذكرت أني كنت رأيت قبيل مجيئي للمدرسة أناساً التفوا حول خطيب يتكلم بصوت جهوري ، وذكرت أنهم كانوا يصغون إليه هادئين صامتين فأحببت أن أقلد هذا الخطيب لعلي أظفر بهدوء الطلاب وصمتهم . فصعدت المنبر وانطلقت أتكلم بصوت جهوري : « أيها الطلاب ! ... » ولم أكد أنبس بأول كلمة حتى صمتوا وتوجهوا إلي بأنظارهم وأفكارهم ... يا للمعجزة ! ... لقد نجحت طريقتي على ما فيها من سخف !.. لقد عرفت لأول مرة أن النجاح في الحياة قد يقوم على السخف والتدجيل أكثر من أن يقوم على العبقرية ... لقد توارت التعاليم التربوية أمام التعاليم السوقية ، وتلاشت الأفكار المثالية أمام الأفكار الصحفية ، واصطنع السخف ما لم يستطع العقل له صنعاً .

وراحت الكلمات تنبعث من فمي كالرعد والأطفال صامتون . وما أدري أصمتوا متأثرين ببلاغتي ، أم سكتوا دهشين لرؤيتي أتكلم بكلام مستغلق لا معنى له . ومهما يكن في الأمر من شيء فقد أغراني هدوءهم فاسترسلت في الخطابة حتى نسيت أني في الصف وتملكني الحماس فرحت أقرع الطاولة بيدي ... ويبدو أن صدى صوتي قد ملأ أرجاء المدرسة فبادر المعلمون لاستطلاع الخبر ولكنهم لم يجسروا على فتح الباب وإنما لبثوا خلفه يسترقون السمع

ولقد أنصتوا وأنصتوا ولكنهم لم يفهموا شيئاً . وأنى لهم أن يفهموا كلاماً مزج الأدب بالتربية ، وخلط العلم بالفن ، فأصبح لا تربط بين أجزائه رابطة ، ولا تقوم بين عناصره علاقة ... إني لم أترك كلمة أحفظها « لوليم جيمس » إلا أتيت عليها . ولم أدع بيتاً أرويه للمتنبي إلا ذكرته . ولقد كان لقوانين الكيمياء والفيزياء النصيب الأوفى من محاضرتي فإني كنت لا أزال حديث

الأحداث أسرع من لمحات البرق في السحاب المتراكب ، فليبادر إلى الخير مبادرة من عرف وجه الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا إرهاب . إن عمل الحاخام الأكبر هو « الحد الفاصل » الذي ينتظره اليوم أربعمائة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب ، فلن يخدعهم بعد اليوم شيء عن الطريق الذي سار فيه آباؤهم من قبل ، فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر

المهد بها أحفظها عن ظهر قلب ...

وبينما أنا عاكف على إغراق طلابى فى بحار العلم والحكمة ، رفع أحدهم أصبعه فما كان منى إلا أن صحت به : « مالك ؟ » قال بأصبعه وبعينه نحو الباب ... فالتفت ... ويا لهول ما رأيت ... ويا للخجل !.. إنهم المعلمون .

وماتت الكلمات على شفتى فجأة ... لقد صحوت من النشوة التى كانت تمتادنى . ونزلت من عالم الوهم إلى عالم الحقيقة المرة ... يا إلهى أين كنت ؟ ...

وبادرنى أحد الزملاء قائلا : « لقد انتهى الدرس » فأمرت الطلاب بالخروج من الصف ثم انضممت إلى المعلمين ولم أترك لهم مجال النقد وإنما رحت أوهمهم بأن ما قمت به إن هو إلا تطبيق لقاعدة تربوية مشهورة ابتدعها المربى الكبير « أوغست كونت » وما سمع زملائى الأكارم بهذا الاسم حتى شرعوا يثنون على ويطرون طريقته هذه ... وإنى أعترف الآن أن الحظ ساعفنى فى تلك اللحظة فاستطعت أن أخرج من هذا المأزق الحرج ناصع الجبين ، محاطاً بهالة من إعجاب الزملاء والطلاب ... ولكنى خرجت من المدرسة ولم أعد إليها ، وما زال معلموها — أحسن الله إليهم — يذكرون اسمى مقرونا بالثناء العطر ، وما زال طلابها — وقد أصبحوا شباباً — يرون أنى المثال الذى يقتدى به علماً وأدباً

لقد خرجت من المدرسة ولم أعد إليها . ورمت بى الأيام مرامى شتى فغيرت من طبيعة عملى ولكنها لم تستطع أن تتطرق إلى فكرة بقيت كامنة فى قرارة نفسى ، تلك الفكرة هى : « أنى خلقت خطيباً ... فيجب أن أكون خطيباً ... »

ومرت أيام وأيام أصبحت بعدها محامياً فوجدت أن الخطابة أصبحت من لوازم مهنتى ولقيت الفرصة مناسبة « لإظهار مواهبى ثم إدركنى ما يدرك كل محام ناشىء فى « حماه » ففكرت بأننى قد درست المحاماة لا لأكون محامياً فحسب ، بل لأكون نائباً أدافع عن حقوق الشعب تحت قبة البرلمان .

وكيف لا أطمع فى النيابة وقد رأيت جارى « أبا نادر » زعيما يتصدر مجلس الحى ويبحث فى قانون روسيا ويناقشه ، ثم يحمل على أمريكا وينتقد دستورها وسياستها . « وأبو نادر » أمى يجهل حتى موقع روسيا على الخارطة ، ولا يعرف عن أمريكا إلا أنها البلد الذى كان يهاجر إليه السوريون لكسب الرزق ... لقد قرنت نفسى « بأبى نادر » فوجدت أنى أكثر منه أهلية وكفاية فأخذت أعد للزعامة عدتها فرحت أحترم الكبير وأعطف على الصغير وأحيى كل مار أصادفه فى الطريق ، وأغشى كل ندى وأزور كل سامر ... إنها مهمة شاقة ولكنها الوسيلة الوحيدة للزعامة فى هذا البلد .

وشعرت بحاجتى للخطابة ، وعاودنى الحنين إليها . وما إن خطبت مرة واحدة حتى أصبحت المجالس تشتاق لسماع صوتى . وأضحى القوم يشيرون إلىّ بالبنان ويعدوننى مجاهداً ... ما أعظم هذا اللقب !.. وما أرخصه فى هذا البلد !.. إنى — شهدالله — لم أحمل عصاً ولم أرم حجراً ، ولكنه لقب ساقه إلىّ القدر كما ساقه لغيرى ، فلا أفيدُ منه ، ولم لا أنتفع ببركاته . إن خطبة واحدة جعلتنى مجاهداً ، فكيف بى لو خطبت كثيراً ... إنى سأكون فى عداد الزعماء الخالدين ...

إن الكلام رأس مال الزعماء ، فلم لا أكون من أهل الكلام ؟ هذه حقيقة أيقنت بها فأحببت أن أروض نفسى على الخطابة ورحت أفتش عن مكان خال من الناس ، ناء عن المدينة ، فلم أجد خيراً من قبة « البرناوى » القائمة على مسافة كيلو متر من شمالى حماه الغربى ، على سفح منحدر ينتهى بطريق ضيقة تؤدى إلى البساتين النائمة فى أحضان « العاصى » .

وهناك كنت أقضى الآصال هانئاً بالوحدة ، ناعماً بمنظر الخضرة والماء . . وكنت أخطب فأطيل ولا أمل ؛ ويتملكنى الحماس فأرغى وأزبد ، ولا أجد من يسمع صوتى غير البقرات العائدات من البساتين ، وقد رحن يمشين مشياً وئيداً فى الطريق الضيقة فى أسفل المنحدر وخلفهن بعض القرويين التعساء ... وكن إذا ما مررن من أمامى بعيداً عنى وسمعن صوتى يقفن قليلاً ويعلن بعنقهن نحوى ثم يهززن رءوسهن ويعدن لسيرهن فيخيل إلىّ أنهن يقلن لى : « إذا أصبحت نائباً فأرخص لنا الشعير ... » فأجيبهن : « نعم سأرخص لكنّ الشعير أيتها البقرات العزيزات !... »

وقد ملكت الخطابة نفسى فأصبحت وكلامى كله يكاد يكون خطابة .. واتفق أن رجعت ذات مساء إلى البيت ودخلت غرفتى وأغلقت الباب وشرعت أخطب .. وما هى إلا لحظات حتى انفتح الباب ودخلت أمى والدموع تملأ عينيها : « سلم الله عقلك ! .. ماذا أصابك يا بنى !.» فلزمت الصمت ولم أحر جواباً .. ولكنها أردفت قائلة : « أريد أن تكون كجارنا أبى رشيد ...» وخيم الصمت علينا ثم انسحبت من الغرفة وأغلقت وراءها الباب . ولم أكد أخلو إلى نفسى حتى فكرت فيما قالته أمى .. وأصغيت قليلا

فإذا بصوت جارنا « أبى رشـيد » يخترق الظلام ويطرق سمعي . مسكين أبو رشيد !.. لقد مر عليه شهران والأغلال تلازم يديه والقيود تثقل رجليه .. إنهم يقولون إن به مسا من الجنون . إنه لم يؤذ جاراً ولم يضر إنساناً ولـكن أبناءه بصروا به يخطب فى الشوارع والأسواق فاقتادوه إلى بيته وحبسوه فى غرفته ... لقد بح صوته وهو يقول أن ليس به جنون . ولـكن ما من سامع! واختنق وهو يدعو للأخلاق القويمة .. ولـكن ما من يطيع !. وهـذا صوته يصل إلى أذنى ضئيلا وهو ينادى : « أيها القوم ! الدين لله والوطن للجميع !. إن بناء الوطن لا يقوم على الطين والأحجار ولـكن على المهج والأكباد .. المصلحة العامة رائدنا ونجاح الأمة غايتنا .. »

ما أعذب هذه الـكلمات !. لقد طالـما سمعتها تتردد فى كل مكان وعلى كل شـفة ، يا للعجب : . . هذه الكلمات التى رفعت أناساً إلى مصاف الزعماء والقادة تنحدر بأبى رشـيد إلى ظلام غرفته ووحشتها ... ورحت أفـكر طويلا فى أمر أبى رشيد !.. مسكين أبو رشيد !.. لقد حكمت عليه الهيئة الاجتماعية بالجنون ولا ذنب له غير الدعوة إلى الأخلاق القويمة .. ومن يعلم ؟. لعل بين جنبى أبى رشيد نفساً أجدر بالزعامة من كثير من النفوس التى تتبوأ عرش الزعامة ، ولـكن الهيئة الاجتماعية حكمت عليه بالجنون فكان مجنوناً . لقد كانت مقاييس الجنون طبية بحتة ، ولـكن المجتمع جعلها اجتماعية بحتة تخلق من الحمق قادة ، وجعل من العقلاء مجانين .

وكان الليل قد انتصف فاضطجعت فى فراشى وصورة « أبى رشيد » لا تبارح خيالى ، وصوته لا ينفك يطرق مسمعى ضئيلا ضعيفاً . ونمت وقد عولت على ترك الخطابة .. ونمت وقد شيعت كل آمالى وأحلامى ..

وما أشرقت شمس النهار حتى كنت أنهض من فراشى ... وما مالت الشمس للغروب حتى كنت أدرج إلى « البرناوى » لأنقع غليلى بالخطابة ... لقد سلوت أبا رشـيد ، ونسيت العظة البالغة التى حملها إلىَّ صوته فى الليلة البارحة ... لقد مضت تلك العظة مع الليل وما كان لإنسان أن يتعظ بما فات . .

ووقفت على المنحدر كسابق عهدى أرسل الجمل متتالية ، والـكلمات متداخلة حتى شعرت أن الأرض تهتز من وقع كلامى ورأيت أن الأشجار تتمايل فى أقصى البستان من هول خطابى . ولقد تملـكنى الحماس فرحت أكثر من الإشارات . ونشـأت أضرب الأرض برجلى . وفجأة شعرت بيد قوية تضغط على كتفى والتفت فإذا بمسدسين مصوبين إلى رأسى ، وإذا أنا أمام اثنين من رجال الشرطة الأشداء يتقدمان إلىَّ ويحاولان إلقاء القبض علىَّ ولقد سدَّت المفاجأة علىَّ منافذ التفـكير فلم أعد أدرى ما أصنع ، وهممت بالابتعاد عن الشرطيين ولـكنهما صاحا بصوت واحد :

— حذار أن تتحرك وإلا قتلناك ! ..

— وعلام ذلك . وما هذه المعاملة الشاذة !. احترموا الناس أنا محام .. أنا أستاذ .. أنا ..

— محام .. أستاذ .. هذا ما يخيله لك الجنون ! ..

— الجنون . . .

— اخرس وإلا قتلناك ! ...

ولـما أبصرت الجد فى كلامهما ، ورأيت أن من العبث مناقشتهما لزمت الصمت وانقدت إليهما فضربا على يدىَّ بالوثاق ورحنا نحث الخطى إلى مخفر « الحسنين »

ودخلنا المخفر مع الليل ، ولم نتخط القبة حتى كنا أمام المأمور « القومسير » ولقد كان هذا يعرفنى معرفة تامة فلم يكد يرانى حتى انتصب واقفاً ونظر إلى رجاله مشدوهاً ، وقلب يديه مستفهماً عن السر فى القبض علىَّ . فأجابه أحد رجاله :

— إنه يدعى أنه محام ... وأنه أستاذ ...

— من يكون إذاً ؟ ...

— إنه المجنون الذى أرسلتنا بطلبـه ، المجنون الذى روَّع المارة فى سفح البرناوى هذا الصباح بما كان يلقيه عليهم من حجارة تألم « القومسير » لهذه الـكلمات وارتسم الألم على محياه . ثم أسرع إلى الوثاق فحله وراح يستعذر إلىَّ عن فعل رجاله ، والتفت إليهما يؤنبهما .. وما ينفع الاعتذار !. وما يجدى التأنيب !. لقد كان ما كان ، وشدت يداى بالوثاق ، وأخذت كما يؤخذ المجرمون والمجانين ... لقد خرجت من المخفر وأنا لا أعى ما أصنع ... لقد كانت الصدمة أليمة أنستنى الخطابة ، وزهدتنى فى النيابة . ولم يدر أحد بما أصابنى فقد كتم رجال الشرطة — على غير عادتهم — الأمر ولقد كانت الطريق التى جزناها من البرناوى إلى المخفر مقفرة من المارة .. وإنى لا أزال أحمد الله كثيراً على أن الخبر لم ينتشر وإلا رغب الطامحون عن الخطابة كما رغبت ، وزهد المغرمون بالنيابة كما زهدت ، ولأمست حماه لا تسمع لخطيب صوتاً ولا ترى لنائب وجهاً

حماه (سوريا) **زهدى السَّواف**

طرائف من العصر المملوكي :

٢ ـ ابن الوردى والخمول

للأستاذ محمود رزق سليم

لست أدرى أيصلح « الخمول » مبدأ فلسفياً يعتنقه بعض الناس فى هذه الحياة ، ويستشمر من وراء اعتناقه سعادة وراحة ورضا .. وهل فى مكنة امرىء أن يدفع نفسه دفعاً فى زاوية من الخمول يقبع فيها قانع النفس راضى البال قرير العين بخموله ... أم أن المرء بظروفه وبيئته ، وبدرجة ذكائه وحظه من المعرفة ، قد يؤتى نصيباً من الشهرة والصيت ، وقد يحرم . يؤتى هذا النصيب قسراً عنه . ويحرمه قسراً عنه كذلك . وصحيح أن المرء بجده وكده واجتهاده وجلاده يكون عاملا من أهم العوامل فى شهرة نفسه ، وفى إيتائها نصيباً من الصيت والحظ الحسن . ولكن مما لا شك فيه أن عوامل أخرى خارجة عن إرادته ، ذات صلة وثيقة بإيجاد هذه الشهرة ، وخلق ذلك الصيت والحظ. قد تكون هذه العوامل معينة للمرء تأتى إليه طائعة مختارة وفق ما يهوى ويشتهى ، فيصل بها إلى ما يرجو من الشهرة ، فى سهولة ويسر . وقد تكون معوقة له واقفة فى سبيله حجر عثرة ، قاسية عاصية فلا يصل إلى ما يرجو إلا بعد لأى وشدة . وقد لا يصل . والدنيا ذات عجائب ، فكثيراً ما تسوق الشهرة إلى من يستحقها، وتضفى عليه ذيول النعمة ، ثم تنحيها عن رجل هو أهل لها ، وتحرمه أسباب الرضا . وقديماً قال الشاعر :

متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

وبدهى أن المرء الذى من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ليس امرأ عادياً ، بل قد أوتى من الذكاء وخصوبة الذهن ، ورزق من المعرفة وسمة التفكير ، والقدرة على الإنتاج ، حظاً واسعاً جديراً بأن يجعل منه رجلا مشهوراً من حقه أن تسمى إليه الدنيا، وأن تنبه شأنه . ودون شك ، هو يرى نفسه جديراً بهذا السمى والنباهة . فإن أوتى منهما حظاً سعد به . وإن حرم ، فإما أن يجدد جهاده وجلاده ، حتى يصل إلى ما تصبو إليه نفسه. وإما أن ييئس ويستنيم إلى الخمول ، ويتخذ منه مبدأ فلسفياً ، ومعتنقاً يعيش به ، ويتسلى باعتناقه ، ويجد لذة فى الائتناس به ، تعوضه عما فقده من شهرة ، وعما حرمه من نعمة الصيت ، وعما فاته من مباهج الحيلة . ولكننى — كما ذكرت — لست أدرى تماماً هل يجد الخامل — أو المتخامل — لذة فى خموله — أو تخامله — ويستشمر من ورائه سعادة وراحة ورضا . ؟ أم هى سعادة اليائس وراحة القانط ؟ وكم من سعادة فى اليأس ، وكم من راحة فى القنوط ..

ثم أيستطيع هذا الخامل — وقد وهب له الله عوامل النباهة مركبة فى طوايا نفسه — أن يستنيم طويلا إلى يأسه ، ويسكن زماناً إلى خموله ، والدنيا من حوله تتحرك ويسير ركبها . . . وأنداده فيها يصلون إلى منازل دونها منزلته ، ويسمون إلى مكانات من تحتها مكانته ، وتسمى إليهم الدنيا أكثر مما سمت إليه ، مع أنه يشآهم علماً وفقهاً وأدباً ، ويسبقهم ذكاء وحيلة .

وهل هذا الخمول الذى يدفع بنفسه بين أحضانه دفعاً ، يحلو له ويروقه على الدوام ، أم أنه نوبة من نوبات يأسه ، ومضاعفة من مضاعفات قنوطه ، عما قليل يفيق منها ثم يعود إلى سيرته الأولى من الكفاح والجلاد والدأب فى طلب الشهرة ، والجد فى سبيل نعيم الدنيا . .

على أننى أكاد أعتقد أن المرء الذى من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ولكنها حرمته النباهة ، فدس نفسه بين أحضان الخمول دساً ، إنما ابتغى من وراء ذلك الخمول ضرباً جديداً من نباهة الشأن . وما ذلك منه إلا الحيلة الأخيرة لليائس القانط . الحيلة الأخيرة يجربها ، فيدعى الخمول ، ويتخذه وسيلة إلى الشهرة . . ويمقت الدنيا لكى تسمى إليه ، ويتجمع عن الناس لكي يتساءلوا عنه . .

هذه كلها ضروب من المعانى تنتاب ذهن الإنسان عندما يقرأ طوائف من شعر ابن الوردى .

زين الدين بن الوردى — عمر بن مظفر — من أنبغ شعراء النصف الأول من القرن الثامن الهجرى . وقد توفى عام ٧٤٩ هـ وقد نشأ فى مدينة حلب ، وكانت إحدى نيابات المملكة المصرية حينذاك . وقد أوتى ابن الوردى نصيباً محموداً من الذكاء وحضور البديهة وسمة العلم . فقد كان أديباً كاتباً شاعراً فقيها . درس فقه الشافعى فبرع فيه وبذ إخوانه وأصبح من علماء هذا المذهب الأعلام ، حتى إنه اختير للنيابة فى الحكم — أى قاضياً فى الأقاليم — ينوب عن قاضى قضاة الشافعية ، وكان كفئاً فى منصبه .

ومال منذ حداثة سنه إلى الأدب ، فكتب وأنشأ ، ودبج الرسائل والإجازات العلمية والمقامات والمفاخرات . وقرض الشعر وافتن فيه ، ونظم فى أبواب منه شتى ، منها : الغزل والفخر والحماسة والمدح والهجاء والنقد والوصف والشكوى والزهد والاعتذار والإخوانيات والفكاهة والنصيحة والحكمة ونظم فى النصيحة والحكمة والنقد قصيدته اللامية المشهورة ذات الأبيات والأمثال السائرة . ونهج فى أسلوبه نهج شعراء عصره من الإغراق فى البديع وبخاصة التورية والتضمين والاقتباس ، مع رصانة وانسجام وقلة تكلف

ولم يقتصر اهتمامه بالأدب على النثر والشعر ، بل نظم فى العلوم وله فى ذلك « نظم البهجة الوردية » فى أكثر من خمسة آلاف بيت ، وهى فى الفقه . وضرب فى الشعر العامى بسهم ، ونظم المواليا والدوبيت .

وفوق ما تقدم برع فى النحو حتى أصبح فيه حجة ، وألف فيه مؤلفات نافعة . وله فى التاريخ كتاب « تتمة المختصر » وهو تذييل على مختصر أبى الفداء . وله فى التقويم كتاب « خريدة العجائب » .

وقد طوف ابن الوردى فى آفاق عدة من الديار الشامية ، وربما وفد على مصر . وذلك سعياً وراء الرزق ، وطلباً للعلم . فاستفاد من العلم شيئاً كثيراً ، وإن كان لم يستفد من الرزق ما يريد

وقد انعقدت فى خلال ذلك أواصر المحبة والمودة بينه وبين كثير من أفذاذ عصره — وقد كان جيله غاصاً بهم — ومنهم أبناء فضل الله العمرى وزراء البلاد الشامية وكتاب سرها . وجمال الدين بن نباتة الشاعر المصرى . وشهاب الدين بن المرحل النحوى المصرى . وعلاء الدين بن أيبك الأديب الدمشقى . والقاضى بدر الدين بن الخشاب المصرى ، والقاضى شمس الدين محمد بن النقيب ، والقاضى كمال الدين بن الزملكانى ، والمجتهد الفقيه ابن تيمية الحرانى . وغيرهم .

وكان ابن الوردى يجادل كلا من هؤلاء ، أو يقارضه الشعر ، مجادلة الند للند ، ومقارضة الصديق للصديق . وهكذا راسل وساجل . وربما كان من بينهم من هو أرفع منه منزلة وأعز جاها وأوسع مالا ، ولكن وشيجة الأدب والعلم كانت أقرب الوشائج بينهم وأسماها .

نحن لا نحاول هنا أن نترجم ترجمة وافية لابن الوردى . بل ولا نحاول أن نتحدث عن شعره حديثاً كاملا . . وكل ما نرمى إليه فى هذه الموجزة أن نتحدث عن خمول ابن الوردى . فكان لابد لنا من أن ننوه بمزاياه وبمنزلته بين العلماء والأدباء ، ليحق لنا أن نتساءل بعد ذلك : « هل كان ابن الوردى خاملا » ؟ . .

والخامل فى نظرنا رجل قليل الحيلة ضيق العطن قريب غور الذكاء . ولم يكن ابن الوردى كذلك . فقد قال :

أحسن مدارة الورى   يعد عليك نفعها
كم من يد قبلتها   كان بودى قطعها

لم يكن ابن الوردى قليل الحيلة ، ولا كان خاملا — كما رأينا — ولكنه مع ذلك ، اعتنق الخمول واتخذه عقيدة له ومبدأ . فمقت الدنيا وذم أهلها ، وانجمع عن الناس وابتعد عن مجالسهم ، وطلق المناصب وحمل على الساعين إليها . وكل هذا فى مرارة لديه ولوعة . قال :

أتهزأ بي لما أجد وتلعب   وتعجب من حالى وحالك أعجب
ألا طالما قد كنت مثلك ساعياً   لجاه ومال جاهداً أتطلب
وطال اجتنابى للخمول فذقته   فطاب فأحببت الذى أتجنب
وما العيش إلا فى الخمول مع الغنى
فشكراً لمن فى فضله أتقلب
رضيت كساوى واستخرت بطالتى
وقلبى مسرور وعيشى طيب
وما ذاك عن مال جزيل وإنما   كفانى كفاف والقناعة تغلب
ولو ذقتم طيب القناعة متم   عليها ولكن بدرها يتهيب
تركت لكم عز القضاء وجاهه   وأبعدت عنه خائفاً أترقب
فقوموا على ساق حديد وشمروا
لنيل علاء واهجروا النوم واطلبوا
وميلوا وجوروا واحكموا وتحولوا
وصولوا وطولوا وانبذوا الزهد وانهبوا
ستعلم نفس أى حمل تحملت   ليوم أمسى من هوله الطفل أشيب
لقد نلت من كنز القناعة بغيتى
وجانبت حرصى والحريص معذب
وعفت بنى الدنيا وغادرت برهم   لغيرى فلا أشكو ولا أتعتب

(يتبع)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

مع ميخائيل نعيمه

فى «همس الجفون»

للأستاذ مناور عويس

« تتمة »

ما قرأت نعيمه — شاعراً أو ناثراً — إلا أحسستُ بدبيب الروح يسرى فى عروق ، وما أصغيت إليه — خطيباً أومذيعاً — وأحسنت الإصغاء والاستجابة إلا خيل إلىأننى أسمع أنغاماً شجية علوية تنبعث من عالم سحرى مجهول ، ومن رآه يلقى خطابه سلام الله وسلام الناس ، فى قاعة جمعية الشبان المسيحية فى القدس خاله نبياً من أنبياء العهد القديم واقفاًعلىأحد تلال أورشليم يعلم ويعظ ويتوعد ! .

وما شعرت بأفضليتى على غيرى إلا توارد على خاطرى بيتاه اللذان يخاطب بهما الدودة :

ولولا ضباب الشك يادودة الثرى — لكنت الاقى فى دبيبك إيمانى
لعمرك «ياأختاه!» مافى حياتنا — مراتب قدر أو تفاوت أثمان !

سوف يأتى ذلك الزمن الذى يدرك فيه الناس قيمة نعيمه الأديب الشاعر الأنسان ، نعيمه الذى أدمى قدميه سرى الليل وقطع المهامة المخوفة ليصل إلى محراب الحياة ، ومداقل الذين وصلوا إلى ما وصل إليه نعيمه ! …

نعيمه الذى أذاب قلبه وسماه « همس الجفون » و « زاد المعاد » و « المواحل » و « البيادر » وما هى إلا روحه صاغها ألحاناً وسكبها كلمات ومقاطع ناشراً فى تضاعيفها الحب والخير والسلام والجمال بين الناس وساعياً إلى إيجاد عالم فاضل يليق بصورة الله ومثاله ! …

قال صديقى الأديب عندما قرأت له ما تقدم من الكلام : « أنك تغدق على نعيمه من الثناء كما لو كان نبياً ! فأجبته : » لو كان نعيمه شاعراً وكاتباً ومفكراً لحسب لما خلعت عليه هذا الوشاح من الإجلال ولما رأيت فيه الانسان الشامل للأديب الكامل ، فالشعراء والكتاب والفكرون كثيرون بحمد الله ولكن نعيمة إلى فنه الرائع وتفكيره العميق رسول من رسل الروح وثورة على المادية التى أرهقت الإنسان حتى كادت تصرعه .

هو صاحب رسالة إنسانية شاملة يؤديها عن طريق الأدب ، إنه ثورة على جمود القلب وتحجر الروح فى هذا الزمن الرقيع ! …

هو ناشر تعاليم الشرق الدينيـة والفلسفية وملبسها ثوبها القشيب ، هو باعث (غوتامابوذا ، ولاوتسو) من مرقديهما ومعيد بردة الشباب إليهما فى القرن العشرين ، هو غضبة من غضبات (يتيم قريش) فى زمن كثر فيه اليتامى والتعساء !

وأخيراً هو صرخة من صرخات (الناصرى) فى عصر كثر فيه الصراخ وارتفع العويل حتى كاد صوت الحديد يطغى على صوت الله !! …

إن من يقرأ « همس الجفون » يجد أن نعيمة قد مرت عليه مراحل كان فيها عرضة للتجارب التى لابد منها « للعارفين » ففى قصيدته « أنشودة » يقول :

ألقيت دلوى بين الدلاء — وقلت على أحظى بماء
فعـاد دلوى مع الدلاء — وليس فيـه إلا رجائى
علقت عودى على الغصون — وقلت على أسلو شجونى
فلم تردد على الغصون — أوتارُ عودى إلا جنونى !
علوت يوماً متن جوادى — ورشتُ سهمى على الأعادى
فخر ميتـاً تحتى جوادى — وعاد سهمى إلى فـؤادى !
أدرت وجهى نحو السحاب — وصحتُ : رب : خفف عذابى
فجاء صوت من التراب — يصيح : رب : خفف عذابى !

فى هذه الأنشودة نسمع صراخ روح نعيمه التى قابلت الشر بالخير والبغض بالحب فعاد خيرها عليها شراً وحبها بغضاً ، غيرأنه اهتدى فى المقطع الأخير من أنشودته إلى حقيقة استراح إليها وهى : أن الحياة حقل يستثمرة الإنسان وبقدر البذار والعمل ونوعيهما تكون الغلة .

والعيش حقـل تستثمرينه — يعطيك ممـا تستودعينه !

وقد توسع نعيمه فى هذا المنى فى فصله الرائع « موزع البريد » أو القدر فى كتابه الفريد المشهور (البيادر) .

وفى أنشودة نعيمه هذه صور ومشاهد من معترك الحياة اليومى ، فهو يصور نفسه فارساً يوقع أنشودته على خبب جواده كما يعرض علينا فصولا مألوفة من صراع الإنسان على هـذا الكوكب ، ففى كل مقطع من مقاطع الأنشودة صورة بارزة قد استوفت جميع خطوطها وألوانها ؛ وتلك ظاهرة جلية فى شعر نعيمة فلكل قصيدة من قصائده ألحانها التى تنسجم مع بحرها

وروبها وتتجاوب مع روحها .ومغزاها . فإذا اجتمع لنا الفكر الرجيح والخيال المجنح والموسيقى الشجية مع توفر الصدق والاحساس ودقة التعبير كان لنا أدب رائع يستحق أن نفاخر به الأمم والأجيال وكل ذلك متوفر فى شعر نعيمه ونثره ...

والآن أنتقل بك أيها القارىء إلى لون آخر من مائدة نعيمه الروحية فأعرض عليك شيئاً من شعره المتشائم الحزين . فقصيدته (قبور تدور) على ما فيها من تشاؤم من يبعث الألم والحزن فى القلوب ، حقيقة نعرفها ولكن لا نريد أن نصدقها ، وهو فى هذه القصيدة يمجد جمال الروح ويزدرى جمال الجسد كما يؤمن بأن الفناء بقاء وأن البقاء امتثال لإرادة الله كما أن الرجاء شقاء البقاء والمساء شقيق الصباح .

بعينيك نور تراه العيون ... جميلا فتضحك منها المنون
لأن المنايا تحدق فيك ... بعين الزمان التى لا تخون
فتبصر فى مقلتيك ترابا ... وتبصر دوداً وراء الجفون !
فخلى جمالا يراه الغرور ... وليست تراه عيون الدهور
وخلى الجهاد وخلى الطموح ... وخلى القصور وحى القبور
ودورى مع الكون جيلا فجيلا ... فهل نحن إلا قبور تدور؟!

إن نعيمه لا يريد لنا أن ننخدع بقشور الحياة عن لبابها ولا يحب لنا أن تعمينا أعراضها عن جوهرها ، لهذا لجأ إلى ذلك الأسلوب المنيف ليحد من شهواتنا ويهذب من غرائزنا التى تتهالك على الجمال الفانى تهالك الذباب على الحلوى ، ذلك الجمال الذى لا تكاد نعب منه حتى يزداد عطشنا ونحس بالجوع يمزق أحشاءنا ؛ وليس أسلوب نعيمه هذا بدعة فى الأساليب ، فقبله الأنبياء والمصلحون الروحيون قد استعانوا بهذا الأسلوب للحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة ، والأديان السماوية تقوم على الوعيد أكثر مما تقوم على الوعود ، ونعيمه فضلا عن تأثره العميق — روحاً وتفكيراً وأسلوباً — بالكتب المقدسة والديانات والفلسفات الهندية والصينية نرى للأدب الروسى عامة ولتستوى ودستويفسكى خاصة أثراً ملموساً فى بساطة تعبيره ونزعته الروحية الصوفية المشبعة بالحكمة العالية . . وظاهرة أخرى تلفت النظر فى شعر نعيمه وهى أن قصائده متقاربة التاريخ فآخر تاريخ لما نظمه بالعربية هو عام ١٩٢٥ ، فى شعره نجد الإيمان إلى جانب الشك والتسليم إلى جانب الثورة مما يدلنا على أنه فى فترة شبابه كان عرضة لتقلبات الأجواء الفكرية والنزعات الوجدانية ، فبينما نراه فى قصيدته (الطمأنينة) مؤمناً بأن سقف بيته من حديد وركنه من حجر ، لا يخشى عواصف الرياح ولا هطول المطر ، يستخف بالهموم والنحوس والشقاء والضجر ويتحدى خطوب الدهر أن تنزل به بالألوف لأن باب قلبه حصين من صنوف الكدر إذ حالف القضاء ورافق القدر ، نجده فى بعض قصائده الأخرى شاكا مرتاباً أو حزيناً متشائماً ، كما نراه فى قصيدته « الهم » يخشى أن يبعث معه الهم يوم القيامة :

أخاف أن مادفنــا ... يقوم يوم القيامة ! . . .

ثم اصغ إليه فى قصيدة (النهر المتجمد) كيف ينهى خطابه لذلك النهر .

يا نهر ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك وهو لا !

والذى أريد أن أخلص إليه هو أن نعيمه سجل فى شعره — على قلته — نبضات قلبه وخلجات روحه ، فشعره صورة صادقة معبرة عن حياته الفكرية والروحية . وأعيد القول بأن نعيمه هو ثورة على (التحجرية الأدبية) و (الانكماشات الانعزالية الإقليمية) ورسالته الإنسانية الشاملة لا تعرف للوطنية حدوداً (كرتونية) ولا للقومية عصبية قبلية دموية ، وهو وحد قول الشاعر

وطنى الدنيا ودينى خالق ... وأخى كل شقى فى البشر !

(يافا) **مناور عويس**

حس مرهف

للأستاذ ثروت أباظه

قالوا إنه فلان بك ! ألم تسمع به ؟ فلم أكد أجيب بالنفى حتى ضج القوم بالعجب وقالوا : إنه فلان بك ! فقلت : تشرفنا . فقالوا : كيف لا تعرفه؟ فاعتذرت من جهلى الفاضح وصوبت فى الرجل طرفى وصعّدته فإذا هو متراكب اللحم متراكم الشحم منبعج البطن صغير العينين أفطس الأنف ، له فم يوائم ضخامته يعلوه شاربان ينتهى سبالاهما عند أنفه ؛ وهكذا يرسم لك الشاربان والأنف بيضة كبيرة مكتملة ؛ فإذا نفث من فمه دخان شيشته كان من زمجرتها وركام دخانها أشبه بقطار خرب

وتكلم . . فوالله ما وجدت أنفه من قوله ، فمن حديث عن غنائه ، إلى نبذة عن هواه ، فإن سما فأخلاط غثة فى السياسة .. وهكذا .. وهكذا جرى الحديث أو وقف على نسر مايجرى حديث أويقف ، والرجل ماض فى الثرثرة وأنا على موعد فى هذا المكان فلا معدى لى عن السماع . إنه يدخل بلامناسبة فى حديث عن إحساسه وشعوره . . إنه مرهف يعيش على أعصابه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! هو مريض .. لا بأعصابه ، ولكن بحب المرض بأعصابه

وبعض الناس ينتابهم هذا المرض ، وهو داء خلقه الله ولم يخلق له دواء ؛ فإنك إن قلت للمريض به إنه غير مريض غضب واعترته هزة مصطنعة ، وراح يرعش يده ، ويبرق بعينيه ، ويهدر بألفاظه .. إن هذا المرض فى نظر أصحابه نوع من الرفاهية .

عرفت شاعراً مجيداً قرأت له قبل أن أعرفه ، وما كدت ألقاه حتى انطلق يذكر مصائبه فعرفت أنه موسر ، وأن زوجته حبيبته وملهمة وحيه ، وعرفت أن الحياة تعد له من أسباب السعادة وتطالمه بأبهى حللها . . عرفت هذا كله من مصائبه . . فهو يحول كل جميل إلى قبيح بمنظار داكن .. إنه مريض .. ولما حاولت أن آخذ بيده إلى الطريق جذب يده بعنف ، وآله أنى لا أحس بآلامه . ولو لا أنها المقابلة الأولى لرمانى بجمود العاطفة وبلادة الحس . . فصرحت كلما قابلته أرثى لحاله مهما كان مسروراً حتى أصبح يستطيب لقائى ويستروح عزائى !

انتبهت من هذه الخواطر على صوت موجيها الشهير وهو مازال يروى لى — وهو يظن أنى أسمعه — كيف بلغت أعصابه من الحدة مبلغاً لا يمكن للانسان أن يصل إليه ، ولكن لم يطل فقد وافته برقية قرأها فاستجمع فى ذهنه مظاهر الحزن التى يقرأ عنها ثم ألصقها على وجهه فبدا وكأنه حزين..فم مطبق، وجبين مقطب ، ورعشة يد غير منتظمة ! ولكنى أشهد الله لم يكن ثمة خلجة من حزن على وجهة . . ماذا ؟ . . قريب له قد مات . البقاء لله . . هكذا قلنا .. ورجاه الجالسون — وأنا معهم — أن يتصبر فصبر ، ثم أطلقت نكتة فضحك . . لم يبك الرجل ، ولم يقم ذو الشعور الرهيف إلى مصابه ، بل أقام فى مجلسه يكمل الحديث عن حس رقيق فى خلاله وشعور رقيق اختصه به الله ...

لم أطق صبراً فقلت له : يا سيدى .. إنك تتكلم عن أعصابك تصفها بالرفاهة والرقة حتى كدنا نعتقد أنك نسيج من أعصاب غير مغلف؛ وها أنت ذا تقدم أعصابك فى امتحان؛ وها هى ذى تنجح نجاحاً لا تجوزه أقوى الأعصاب نسجاً وأشدها متانة . ألم يمت لك قريب . ؟ ألم تضحك ؟ .. لا .. لا تقل إنك تعزى نفسك ، إن العزاء يكون بعد النعى بيوم ؛ هذا لمتين الأعصاب ، أما لمرهفها فعشرة على الأقل . . يا سيدى مل بنا عن هذا الحديث

أظننى كنت ثائراً .. ولا شك أننى فضولى ولكننى على أى حال (صاحب أعصاب أيضاً)

قام الرجل من جلسته ونظر إلىّ فى احتقار شديد وقال : أنت أهنتنى ، وليس من دأبى أن أرد الإهانة بمثلها ، فإلى اللقاء .

— متانة أعصاب أيضاً !

سمعها الرجل بظهره فلم يشأ أن يطيل الحديث فانصرف

— من هو ؟

— غنى يشترى أذناً صاغية لكلامه ، وحزناً لمزعوم آلامه ، بأن يدفع ثمن القهوة

— قسمة ضيزى ! لقد غبنكم الرجل

— نعم أحسسنا بهذا منذ أيام ، فشكراً لك على إنقاذنا منه

— العفو !

ثروت أباظة

الذكرى الأولى:

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛
فهما كفتان كلما رجحت الواحدة شالت الأخرى »

المنفلوطى

مات أمير البيان .

منذ عام كامل (١) خرجت الصحف على قرائها بهذا النبأ الفاجع فأشعلت القلوب حسرة ، وأرمضت الجوانح لوعة ، ولقد سقطت من عينى عبرات محرقة ، كأنى أطالع نعى صديق حبيب ، تصلنى به وشائج القرابة والصحبة ولاعجب فى ذلك ، فقد تتلمذت سنوات عديدة على أمير البيان ، أدرس كتبه فأستفيد ، وأحفظ قصائده فأنتفع ، كما أنظر إلى مواقفه الرائعة فى نصرة القضايا العربية ، فأتمنى أن يوجد بين زعماء الشرق من يقتفى أثره ، وينسج على منواله فى التضحية والفداء .

ولقد شعرت بحنين زائد ينازعنى إلى الكتابة عنه ، فكنت أسائل نفسى ما عسى أن أقول فى هذا الرجل ، وقد كان أمة وحده تسمى وراء العظائم ، وتضطلع بما تنوء به شم الفيالق ، وهو فوق ذلك بحاثة قدير تسير مؤلفاته مسير الشمس فى الكون ، وناثر موهوب تتزاحم عليه المعانى الفائقة فيختار منها كل جيل فائق ، وشاعر مطبوع تتطامن له رقاب القوافى ، ويسلس لديه كل أبى جموح .

غير أن الذين تكلموا عنه طيلة العام الفائت لم يتعرضوا إلى شعره الرائع بما ينبغى أن يلم به كل متحدث عن الأمير ، وكأنى بجهاده السياسى ، ونثره العلمى ، قد طغيا على ما تغنى به رحمه الله من فاتن النظم ، وبارع القصيد ، لذلك رأيت أن أتحدث عن فنه الرفيع ليعلم من يتشدقون اليوم بالهراء الغث كيف يكون القريض العربى فى ديباجته المشرقة ، وعاطفته الجياشة ، وليدرك القارىء هذا الفرق الواضح بين من يحافظ على عربيته الخالصة ، ولهجته الأصيلة ، وبين من يضله الله على علم ، فينقل ما وعاه من دواوين الفرنجة ، دون أن يشعر باحساس صادق لما يقول ، ويزيد فيجمل لغته قلقة مفككة تنادى على نفسها بالويل والثبور .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة عربية عريقة يتصل نسبها بالنعمان ابن المنذر عظيم الحيرة فى عهدها البسام ، فلا غرابة إذن حين نجد الأرسلانيين مفطورين على الطبائع العربية التى تحدث عنها تاريخنا المجيد ، من حب للمروءة ، وذود عن الحياض ، وتعلق بالشعر يسمعه العربى ، فتهتز أعطافه مرحا ، ويرقص قلبه طرباً على موسيقاه ، لأنه يفصح عن ذات نفسه أصدق إفصاح .

وسيصدق القارىء كلامى هذا حين يعلم أن الأمير شكيبا وأخويه الأميرين نسيباً وعادلا قد تركوا للشعر العربى كنزاً ثميناً يعتز بفرائده ويباهى بلآلئه وما ظنك بأشقاء ثلاثة فيهم الصناجة الصناع ، والذواقة المفن ، والطائر الصداح

وقد ولد شكيب بعد أخيه نسيب بسنة ونصف فنشأ كالتوأمين دخلا المدرسة معاً ، وتخرجا معاً ، وبدت مخايل شاعريتهما فى سن مبكرة ، وهل سمعت أن شاعراً نشر قصائده فى الصحف وهو فى الرابعة عشرة من عمره قبل شكيب ؟ وهل سمعت أن شاعراً كان الأول فى مسابقة شعرية عامة ، وهو فى السادسة عشرة قبل نسيب ! ؟ كل هذا كان بفضل الموهبة الشعرية التى أنتقلت إليهما عن طريق الوراثة ، والتى ترعرعت بما حفظاه فى عهد الحداثة من شعر جيد ، قد ارتقى بهما درجات فى سلم الكمال .

على أن القدر قد ساق إليهما فى ذلك العهد الشيخ محمد عبده إذ كان أستاذاً فى المدرسة السلطانية ببيروت ، فدلهما على شعر البارودى وهو كما نعلم إشراق لفظ وجودة معنى ، حيث أكبا على قصائده حفظاً واستظهاراً ، ولا تسل عما يفعله الشاعر المعاصر فى أبناء جيله ، فهو يقرب إليهم البعيد ، ويدنى منهم الشاسع ، كما يخلق فيهم الرغبة الملحة فى الارتقاء إلى منزلة ، والصعود إلى ذروته ، ومن هنا كان سامى نهراً صافيا فاض عليهما فى بيروت بالنمير العذب كما فاض على شوقى وحافظ بوادى النيل .

ولقد كان أثر البارودى فى شكيب أوضح منه فى نسيب ، فإنه جذب الأول إلى من يشابهونه من شعراء بنى العباس ، فكان قنطرة عبر منها الأمير إلى البحترى والمتنبى والشريف وأخيراً ممن قطف رب السيف والقلم أزاهيرهم الناضرة ؛ أما نسيب فقد عكف — كما يقول أمير البيان — على قراءة شعراء المعلقات ومن لف لفهم من المخضرمين والأمويين ، فجاء لفظه بدوياً وخياله جاهلياً

(١) كانت وفاة الأمير فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .

وأنت حين تقرأ له تحتاج إلى غير قليل من التريث والاطمئنان ، على أنه قد يتأثر بالبارودى فتراه وسطاً بين الجزالة والسلاسة كأن يقول فى قفير بائس .

يخد أديم الأرض خدا كأنما   له قبل الغبراء ثار مخلف
جبين برفض الصبيب مضمخ   وشعر بملتص الغبار مغلف
وجيد خفوق الأخد عين كأنما   تبينت من أوداجه الدم ينطف
إذا زلزلته سرعة الخطو أوشكت   أضالعه فى زوره تتقصف
كأن أزيز الجوف عند وجيبه   حسيس هشيم والندى يتوكف
يساقط نثر الطين عنه إذا مشى   كما فض ختم الدين سكران معنف
كأنى به إذ فرق الترب والحصى
يفتش هل فى باطن الأرض منصف
إذا استنجد الآمال عند اكتئابه
تبدى له ستر من القار مغرف

وعلى كل فقد كان أمير البيان أكثر توفيقا فى هيامه بالشعر العباسى وحده ، فقد نضح عليه من العذوبة والرقة ، ما جمل شعره حبيباً إلى نفوس قرائه . ومن نعم الله على شكيب أن هيأ له الأسماع التى تصيخ معجبة إلى إنتاجه من يوم أن عرفته العربية أديباً يافعا يتنقل بين حجرات درسه فكان لا ينشر فى الجرائد — مع حداثة عمره — قصيدة إلا تردد صداها فى ربوع الشام ، ولقد شجعه هذا على المضى فى سبيله ، فاستمر يظهر للعيون قلائده من حين إلى حين ، وما بلغ السابعة عشرة من سنه ، حتى جمع ما نشره متفرقاً فى الصحف بديوان صغير أسماه الباكورة ، وقد جعل إهداءه للأستاذ الإمام ، متودداً إليه فى تواضع ، معترفاً بضآلة هديته فى جانب ما يليق أن يهدى إلى حكيم الإسلام فهو يقول فى اهدائه .

هى دون ما يهدى إليك وطالما   قبل الكبير هدية من صاغر
أهديتها لا كى تليق وإنما   مثلى على ما فاق ليس بقادر

ومهما يكن من شىء فقد كان لظهور الباكورة رنين فى مختلف الصحف الشامية ، فهذه تقرظ ، وتلك تنقد ، مما أكسب الشاعر الناشىء منزلة فى القلوب ، والواقع أن فى ديوان الباكورة شاعرية غضة ، تدل على مستقبل زاهر ، إلا أنها — والحق يقال — لا تستأهل هذه الضجة الكبيرة ، إذا قيست بما يقال فى عهدنا الحاضر بعد تنوع المذاهب الشعرية ، ولكنها بالنسبة إلى زمنها السالف حميدة مقبولة ، لأنها محاكاة للشعر القديم فى دقة تدل على نظر ثاقب وفكر حصيف ، على أن الدقة كانت تخون الأمير فى بعض الأحايين ، فيظهر شعره معلناً عن أصله الذى قيس عليه وإليك قوله فى مطلع قصيدة .

بقلبى ما تهمى العيون وتأرق   وللعين ما يبلى الفؤاد ويرهق
وما كنت ممن يرهق العشق قلبه   ولكن من يدرى فنونك يعشق

فهذان البيتان يشهدان أنهما مأخوذان من قول المتنبى .

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى   وللشوق ما لم يبق منى وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومثل هذا التقليد فى « الباكورة » كثير .

وما كاد أمير البيان يتجاوز هذا الدور ويخطو فى العقد الثالث من عمره حتى تمكن من فنه واستوى على قمة مجده ، فصار جيد السبك ، وثاب الخيال ، بعيداً عما بيناه من المحاكاة والتقليد ، ولقد كان مولعا بأستاذه البارودى إلى درجة جعلته يكثر من التفكير فيه ، فصار لا يكتب مقالا فى جريدة أو بحثا فى مجلة ، إلا توجه بشعر سامى ، مبالغاً فى إطرائه ، وتشاء الأقدار أن تقع بعض هذه الكلمات فى يد رب السيف والقلم ، وهو نازح عن عرينه فى سرنديب ، فيدفعه شوق عاصف إلى من يثنى عليه ثم يغلو به الحنين فيكتب إلى الأمير على بعد الدار وتزوح المزار .

أشدت بذكرى بادئاً ومعقباً   وأمسكت لم أنبس ولم أتكلم
وماذاك ضنا بالوداد على امرىء   حبانى به لكن تهيبت مقدمى

ولك أن تتصور فرحة الأمير بكتاب أستاذه ، فقد حقق له أمله الكبير فى التعرف به ، فطفق يحمد الظروف الطيبة التى هيأت له ما يريد ، ثم كتب إليه قصيدة عصماء تشتمل وجداً وتندلع حناناً وفيها يقول .

ألى كل يوم فيك وجد كأنما   طوى جانحاً منى على نار ميسم
حلفت بما بين الحطيم وزمزم   وبالسدرة العليا ألية مقسم
لألفيت عندى دوس مشتجر القنا
وخوضى فى حوض من الدم مفعم
أقل لقلبى فى المواقف هيبة   وأهون من ذاك المقام المعظم

وهذا تصوير جميل يدلك على ما وصل إليه الأمير فى درجات الشعر وأظن الفرق بينه وبين الباكورة بعيد ، فهذا شعر قوى محكم اعتمد فيه الأمير على نفسه وانتزعه من ذات صدره ، فجاء

فن المســـرح

(تحية للأستاذ الفاضل زكى طليمات)

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

توافينا الأنباء الفنية الخارجية يوماً بعد يوم بدلالات كثيرة على اهتمام الأمم الراقية فى الأعوام الأخيرة بالمسرح اهتماما يوشك أن يعيد إليه اعتباراته الأدبية ومكانته الفنية الصحيحة مما حدا بكثير من النقاد إلى تسمية عصرنا الحـــاضر بعصر (بعث المسرح Rebirth of the Theatre) .

فنحن نجد مثلا أن بعض كبار الممثلين (وفى مقدمتهم شارلس لوتون) يقررون اعتزال السينما وقصر جهودهم على المسرح ! ونجد أيضا أن هيئة فنية لها قيمتها مثل « جمعية المسرحيات ذات الفصل الواحد » فى لندن لا تكتفى بمضاعفة نشاط المسرح الخاص بهـا مضاعفة جبارة بل تقرر علاوة على ذلك طبع ونشر أضخم عدد ممكن من روائع المسرحيات ليتسنى لمن لا يحظى بمشاهدتها مثلا أن يحظى بقراءتها متى أراد . وفعلا صدرت — فى فترة قصيرة — جملة مجموعات من بينها المجموعة المعروفة : « مسرحيات النساء » جمع واختيار الـكاتبة (اليزابيث إفرارد Elizabeth Everard) ونجد كذلك أن مؤتمر الخبراء المسرحيين التابع لمنظمة التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحدة يقرر — فيما يقرر — بجلسته المنعقدة بباريس فى يوليو الماضى : (اعتبار المسرح أداة ثقافية رفيعة ... وإنشاء معهد مسرحى عالى .. وتأليف جمعية دولية من المسرحيين العمليين والنظريين للنهوض بالمسرح وكفل أسباب التعاون بين رجاله فى العالم والمحافظة عليه من طغيان السينما ... الخ) .

هـذا فى الخارج ، أما فى مصر والشرق بصفة عامة فأغلب الظن أن المسرح لا يزال — بالرغم من جهود القائمين على شؤونه — من أقل الفنون شأناً بلا سبب واضح سوى جهلنا بحقيقته من جهة وعدم التفاتنا إلى مكافحة هذا الجهل من جهة أخرى . ومرد ذلك إلى أننا — فيما يبدو — لم نؤمن بعد هذا الفن العريق من حيث كونه « فناً » له ذاته وله موضوعاته الخاصة به وله مقوماته وله فوائده الأدبية والمادية ... بل لعلنا لم ندرك بعد — أو لم نكد ندرك — ما له من قِيَم ! !

لهذا سأبدأ بشرح موجز لأهم هذه القيم تاركا لمن يشاء حرية المناقشة فى حدود الفن الذى نرجو له كل نماء وازدهار :

المسرح وقيمته الفنية :

لعلنا لا نغـلو إذا قلنا إن الفن المسرحى أرفع الفنون الجميلة وأفضلها . وربما كان من السهل أن ندلل على ذلك بدليل بسيط معقول وهو أنه إذا كان كل فن من الفنون يؤدى رسالة ما وبجانب ذلك قد يشبع حاسة ما (الموسيقى تشبع حاسة السمع مثلا والتصوير يشبع حاسة البصر ... وهكذا) فإن الفن المسرحى باعتباره شاملا لـكثير من الفنون يؤدى بالطبع رسالاتها جميعاً أو معظمها وبجانب ذلك يشبع أغلب ما تشبعه من حواس . ولـكننا لا نريد أن نقف عند هـذا التدليل السطحى وإن كان منطقياً فإن للفن المسرحى فى ذاته ومن ذاته قيمة كبرى مستمدة من أنه ينفرد دون سائر الفنون بإبراز ما فى الحياة من صور إنسانية بطريقة حية وناطقة إبرازا « واقعياً » خالصاً . هذه مسألة هامة ودقيقة جدا لأنه قد يظن أحياناً أن التصوير الخيالى أروع من التصوير الواقعى .. وهذه غلطة شائعة . فالخيال إن لم يكن متصلا بالواقع اتصالا قوياً أصبح تخيلا أقرب إلى الوهم وأدعى إلى التضليل ! والفن المسرحى هو أكبر الفنون استئثاراً بالواقع على نحو نموذجى . وهذه ميزته .

ينطق ببراعة قائله الفنان ، وإنى لأعجب كيف اندفع البارودى إلى تلميذه الناشىء هذا الاندفاع الغريب ، فقد نظم فيه من الفرائد كما لو كان خدين شبابه ورفيق صباه ، كأن يقول .

أنا أهواك فطرة ليس فيها ... من مساغ للنقض والإبرام
جمعتنا الآداب قبل التلاقى ... بنسيم الأرواح لا الأجسام
فبلغنا بالود مالم ينـله ... بحنان القربى ذوو الأرحام
وإذا الحب لم يكن ذاد واع ... كان أرمى قواعدا من شمام

هذا وقد اتصلت المراسلات بين الشاعرين فترة غير قصيرة كان لها أثرها البين فى عظمة الأمير فقد تلفت الدهر بعينيه إلى من يحظى بمساجلة البارودى المظيم ، وتطلع محبو الأدب فى شتى بقاع العربية ، إلى الشاعر الجديد يحفظون قصائده ، ويقتنصون فرائده ، ويوازنون بين نثره ونظمه فيجدونه أهلا للحمد والاطراء وهذا بلا شك غنم كبير فاز به الأمير .

(له بقية) محمد رجب البيومي

فهو – لأصالته وقوته – أشد الفنون نفوراً من الشذوذ الخارق وأصدقها تعبيراً عن الحياة الإنسانية وما يخالجها ويحركها من عواطف مختلفة بحيث لا تخرج الظواهر الممثلة على المسرح عن الحدود الطبيعية . سلوك إنسانى فى عالم إنسانى مأهول يؤثر فى الناس ويتأثر بهم .

ولهذا يشترط فى المسرحية الناجحة أن تكون حوادثها محتملة الوقوع وخاتمتها طبيعية أى متمشية مع مجرى هذه الحوادث وبذلك تكون مرآة ناصعة يشاهد الجمهور فيها صورة من حياته ويلمس العوامل التى كونتها ... أى يرى « حقيقته على المسرح رؤية مجسمة ومركزة كما يحس جمال الفن فى أبدع مظاهره وأبهجها وفى هذا كله ما يثير رغبته فى تصحيح أوضاعه وتجميلها والتطلع إلى مثل عليا .

المسرح وقيمته الفكرية :

كاد يصح فى أذهان الناس أن المسرح مجرد متعة . وإنه لكذلك . ولكن ما نوع هذه المتعة ؟ أليس للفكر فيها نصيب ؟! وإلا فبماذا نفسر تطور المسرحيات من صراع بين قوتين إلى صراع بين عاطفتين إلى صراع بين الإنسان وبيئته وخواطره وملكاته ؟ وبماذا نعلل وجود (مسرحيات المشكلات Problematic Plays) فى أدب المدرسة الحديثة التى أنشأها إبسن النرويجى وتبعه برناردشو وسنج وغيرهما .

الواقع أن الفكر عامل هام من عوامل المسرح . وقد تصل أهميته أحيانا إلى حد اعتباره عاملا أساسياً . لأن المسرح فضلا عن كونه وسيلة للتسلية أو الترفيه فهو فى نفس الوقت وسيلة لتحقيق الاتصال بين تفكير مؤلف المسرحية وبين الجمهور .

وكل ما فى الأمر أن هذا التفكير يظل دائما مستخفياً وراء العناصر الظاهرة الأخرى ولكنه رغم ذلك عنصر ضرورى له ذاتيته الخاصة ويمتاز عن ضروب التفكير الأخرى بثلاث ميزات :

فميزته الأولى أنه لا يعنى بغير « الحقائق الكبرى » وعلامتها أن يكون لها أثر مباشر فى حياة الإنسان وإحساساته كالموت والقضاء والقدر والحب ونحو ذلك . وصحيح أن بعض أدباء فرنسا خاصة وأوربا عامة اتجهوا – فى العصر الحديث – إلى العناية بالحقائق التافهة ذات الأثر المؤقت استجابة لميول العوام وشغفهم بالجديد أياً كان إلا أن هذا يعتبر انحرافاً خطيراً على حساب الفن الصحيح .

وأخشى أن يفهم من ذلك أن المسرح فن محافظ أو رجعى التفكير وهذا خطأ . لأن الحقائق الكبرى خالدة . فالصراع بين القديم والجديد مثلا حقيقة خالدة نراها فى مسرحية (الضفادع) لأرستوفان . فى القرن الخامس قبل المسيح كما نراها فى المسرحيات الحديثة دون ملل أو استغراب . وحيرة الإنسان وضعفه حيال القضاء حقيقة خالدة يصورها أندريه جيد الآن كما كان يصورها شاعر الإغريق سوفوكليس بلا خلاف فى اللب والجوهر والصميم . وهكذا . . .

وميزته الثانية . أنه لا يعرض الحقائق الكبرى على العقول كقضايا جدلية فتستعصى على الفهم بل يثير الإحساسات والمشاعر فتصبح هذه الحقائق فى متناول مختلف العقليات غالباً . وفضلا عن ذلك فإنه يعرضها عرضاً اختيارياً بمعنى أن الناس لا يجبرون على مشاهدتها ومن هنا يسهل اتصال نفوسهم بها اتصالا مباشراً فيفهمونها من حيث يخيل إليهم أنهم « يتسلون بها » .

وميزته الثالثة : الحوار . ومعلوم أنه أبرع وأفضل أداة فى توضيح الاتجاهات المختلفة أو المتناقضة فى الموضوع الواحد لأنه يعرض الفكرة ثم يقرنها بأضدادها وأشباهها كذلك وحينئذ يتسنى للمشاهدين بالمقارنة أن يتبينوا أوجه الضعف أو القوة فيها . وكم من أفكار كانت بحكم العرف وغيره عقائد راسخة فى الأذهان ثم تناولها مسرحى ماهر مثل برناردشو فاستطاع أن يبين ما فيها من سخف بفضل الحوار الذى يواجه العقل باحتمالات تهز رواسبه وتستبقى ما يؤيده البرهان فقط .

وكل هذا لا ينقص من قيمة (المتعة) التى يجب أن يحس بها الشاهدون . فلا تزال هى الغرض الرئيسى للمسرح . غير أنها لا تخلو من عنصر « الفكر » وإن لم يعمدوا ظاهرياً إلى التفكير البحت ... وإنما يحسون فى نفوسهم بالسرور والانتشاء لأنهم – دون شعور ملحوظ – يحللون ما يشاهدونه على قاعدة تفضيل الأسمى والأجمل والأروع ... وهذا هو مناط التفكير السليم .

(للبحث بقية) عبد الفتاح البارودى



فتوات ميرى !

ما أحسبك أيها القارىء إلا قد اتجه ذهنك إلى ما أريد لأول وهلة ، فاستحضرت صورة نفر من شرطتنا الأبطال والعياذ بالله تعالى ، وإلا فمن غير هؤلاء يصدق عليهم هذا النعت وهم مصدر وحيه إلى كما يوحى الشيء الرائع بالمعنى الرائع ؟ .

ولست أكتم عنك أيها القارىء أنى بهؤلاء الأبطال ضائق أبداً ، يغيظنى مجرد مرآهم ، وأكدر الأصباح عندى صباح يطالعنى فيه بطل من هؤلاء قبل أن تقع عيناى على سواه من عباد الله . وإنه والله بعدها ليوم أسود ، أظل أسأل الله فيه العافية

ولست أتبين فى نفسى على وجه اليقين ماذا دس فيها الحفيظة على هؤلاء حتى لأطيق كل صنف غيرهم من الأرذال ، ولا أكاد أطيق حتى مجرد ذكرهم ، ولو تمثلت لى العفاريت وتراقصت حولى بأشكالها وألوانها عن يمين وشمال لأنست إليها ولألفتها قبل أن أستطيع أن أصبر على مرأى واحد من هؤلاء « الفتوات الميرى »

وأرجع بالذاكرة القهقرى ربع قرن فأرانى على سور نادى « سيروس » أتدلى لأهبط فى حديقته وأنا صبى فى الرابعة عشرة وفى يدى كتبى جئت بها من المدرسة مضرباً لأستمع إلى سعد يخطب بعد أوبته من جبل طارق ، وقد حال العساكر عند الباب بينى وبين آلاف غيرى من الدخول ، فما أدرى إلا وعصا شديدة تهوى على وسطى فأقع على ظهرى صارخاً وتتناثر كتبى ولا ينقذنى من الرعب والهلاك إلا أحد الضباط ، وأنسى الألم لفرحتى بالدخول إلى حيث أسمع سعداً . . أيكون مرد بغضى هذه الطائفة إلى ذلك الحادث ؟ ولكن بينى وبينه ربع قرن .

وتثب ذاكرتى إلى الأمس القريب فأجدنى أتهيأ للنزول من الترام ذات يوم ، فإذا بمتل من هؤلاء يتحمس وهو على السلم فى تحية أحد ضباطه ولكن يده الهابطة عن جبينه تقع فى عنف على منظارى فإذا به يطيرعن أنفى ؛ ولولا أنه استقرعلى ذراع أحد الواقفين على السلم لما وقفت له على أثر . على أننى وجدته قد تحطمت إحدى زجاجتيه ، ولا تسل عن مبلغ ما نال أنفى من ألم وما ركبه من ورم بضعة أيام . فهل كان هذا اللعين يثأر لنفسه ولطائفته مقدماً من هذا المنظار ؟ لست أدرى . . . وهل يرجع شيء من حفيظتى على هذه الطائفة إلى ذلك الحادث أيضاً؟ ولكنى ضائق بهم من قبل ذلك ضيقاً شديداً . .

ولقد زادنى غيظاً من هؤلاء وسخطاً عليهم مناظر تتابعت منذ أيام بعضها فى أثر بعض كأنما تآمرت بها الظروف على كيدى . .

هذا رجل ملق على الأرض ذات مساء على الطوار أمام الغرفة التجارية يقيء من فوق ومن تحت ، وقد أقيم على هذا الطوار ثلاثة من الشرطة غلاظ شداد ليمنعوا السابلة أن تطأ أقدامهم القيء حذر الموت وانتشار الوباء ، وكان أحدهم فى وسط الطوار ، والثانى فى طرفه الشرقى والثالث فى طرفه الغربى ، وكان ما كلفوا به من أمر جد خطير ، ولكنهم اجتمعوا ثلاثتهم يتحدثون وظهورهم إلى المريض والسابلة يطأون القيء ويحملون منه ما يكفى لأبادة القاهرة كلها ؛ ولست أدرى أين ذهب وقتذاك الأطباء والمسمفون ؛ وانزعج أحد المارة لتحذير الناس إياه وهو شاب كان يتأبه ويتنبل بعشيته وملابسه ، ولكنه وطىء القيء ونظرت فإذا به جن جنونه وراح يشتم هؤلاء ما وسعه الشتم ، ثم دخل صيدلية قريبة فطهر حذاءه ، وعاد يستأنف الشتم ويتم المعركة .. أتظن بعد ذلك يا قارئى العزيز أنهم — أعنى هؤلاء العساكر الأماثل — عاد كل إلى موقفه فلبث فيه ؟ .

كلا والله ، فما لبثوا أن تجمعوا ثانية يتحدثون ويضحكون والسابلة يطأون القيء وهم لا يعلمون مبلغ ما يخوضون من هول ، وكان يكتفى أحد الشرطة البواسل بأن يدير وجهه بين حين وحين فيقول لأحد المارة « ما قلنا يا سيدى ألف مرة بلاش مرور من هنا » ..

ورأيت مرة أخرى عدداً من هؤلاء وعلى رؤوسهم خوذات الحديد ، وقد جلسوا على مقاعد جلبوها من أحد المقاهى عند أول شارع قصر العينى فى مدخل ميدان الاسماعيلية وراحوا يمصون وعلى رؤوسهم الخوذات ، عيدان قصب السكر ! .. يا لطيف . . يا دافع البلاء يا رب ! هل يرى نزلاؤنا مسخرة فى مصر أروع من هذه المسخرة ؟ .

ورأيت مرة ثالثة ، فريقاً من هؤلاء — والعياذ بالله مما رأيت — كانوا يضربون بعض المتظاهرين بهراواتهم ، فهل رأيت « الفتوات » ذات مرة فى أحد أحيائنا البلدية يتهيأون لمركة ثم يعمنون فى الحى كله تحطيما وضرباً لا يبالون ماذا يحطمون ولا من يصيبون ؟ على هذا النحو انطلق « الفتوات الميرى » يضربون كل مار فيصيبون طبيباً أومهندساً أو شيخاً أو أستاذاً ، وكان آلم ما شاهدت ضربة فظيعة تهوى على ظهر تلميذ فى نحو الثانية عشرة فأبكاد يصرخ المسكين حتى تنحبس صرخته فى صدره فلا يستطيع إطلاقها من فرط ألمه ، وذقت معه الألم مرتين فقد ذكرت العصا التى « أكلتها » على سور نادى سيروس .

وتشاء المصادفات الأليمة أن « أصطبح منذ يومين باثنين من هؤلاء الشجعان ينظران فى أقفال الدكاكين ، فى الصباح الباكر وقد ألفيت نفسى حيالها فجأة عند منعطف فى أحد الشوارع ... ياحفيظ ! لقد كان يكفينى من الهم مجرد رؤيتهما ، فما بالك أيها القارىء وقد سمعت أحدهما يغنى ... أى والله يغنى وفى يده هروانه قائلا « أنا من ضيع فى الأوهام عمره » . ولست أدرى كيف يكون لهذا الحيوان عمر ؟ وكيف يضيع فى الأوهام عمره وما ضيعه إلا فى الجهل والإجرام ..

وبعد فلو أنى مضيت أسرد ما يغيظنى ويحفظنى على هؤلاء لضاق عنه أضعاف هذا المجال فبحسبى تفكهة للقارىء ودرءاً لما قد يكون ناله من سيرة هؤلاء البواسل من ضيق ، أن أقص عليهم تلك القصة .. أُمِر أحد شرطتنا فى حفلة من الحفلات منعاً للتزاحم أن يدخل الناس . اثنين اثنين ، ووقف الشرطى الهمام النبيه ، فجاء أحد الباشوات ومشى وحده فى غير زحمة ولكن الشرطى منعه من الدخول فهو لا يدخل حسب الأمر إلا اثنين ! وضحك الباشا وعاد فاستصحب سائق سيارته فما أسرع ما أفسح الجندى لهما الطريق ودخل الباشا يضحك ملء نفسه ويدق كفاً بكف ويقص النكتة على المحتفلين قائلا « دخلت بنفس هذا السائق »

وهنيئاً لحكومتنا « فتواتها الميرى » فأنا على يقين أنها تتنازل عن متاحفنا جميعاً فى يسر ولا تتنازل عن هـذا الطراز العجيب النادر من شرطتها الذين يحق أن تباهى بهم العالم وتبلغ فى مباهتها حد الأعجاز .

الخفيف

فصـــــل الخطاب

للأستاذ محمود رمزى نظيم

قم لنعكف على كؤوس الشراب ... وتزود من الشعاع المذاب

واسقنى باسم «غلوش» من عصير ... قـد براه الإله فى الإعناب

خمـرة أطلقت من الدن فافتر ... ت سروراً عن لؤلؤ من حباب

نورها الباهر المشعشع يسرى ... نشوة فى القلوب والأعصاب

تتنحى المعقول حين تراها ... أقبلت فى مواكب الأكواب

كرمها الأخضر الظليل تراها ... ثورة أعلنت على الألباب

مل إلى الحان واحتسيها وجاور ... معشراً تاله الهدى والصواب

واجعل اللهو والشراب سفيناً ... فى بحار الهموم والأوصاب

لا تكن زاهداً ففى العصر زهد ... هو زهـد المحتال والنصاب

ما احتفى الدين بالمظاهر لـكن ... بقلوب صفت صفاء الشراب

ودعاء اللسان من غير قلب ... طاهر ليس بالدعاء المجاب

كم قلوب فى الحان أصفى وأنقى ... من قلوب طغت على المحراب

هات هذا الأكسير ينسى شقائى ... فى ابتعادى عن موطنى واغترابى

لجمتنى الأيام فى خلق النا ... س وفى المشتهى من الآداب

إيه دنيا كم انهبوها فـالى ... متعة فى الحياة يا أترابى

أنا فى رحلة عن الملأ الأع ... لى وهذا التراب سوط عذابى

قد بلغت الستين عاماً وما ز ... لت كما كنت نيراً فى شبابى

صقلتنى الأيام صقلا عنيفاً ... فصفا جوهرى ورق حجابى

أنا بالله فى ثراء وجاه ... قد حمانى مذلة الأذناب

أهل جاه الدنيا ظلال أراها ... تتلاشى فمالها من إياب

رب ضخم الحياة منتفخ الاو ... داج أمست دياره فى خراب

تقتنى بالحياة ضيعها المو ... ت فولت ولم تعد فى حسابى

سبقت حكمة المشيئة فى النا ... س بأن يرجعوا لهذا التراب

وبعينى رأيت مدرجة المو ... ت توارى الأخيار من أحبابى

أنا فى إثرهم أجـــد ولى يو ... م احتضار يكون فيه ذهابى

خدعتنا حضارة الجيل باللين ... وأودت بنا بظفر وناب

الحياة التى نكابدها اليو ... م حياة الطغيان والإرهاب

قبضت كفها فهانت على الفضـ ... ـل وضاقت على ذوى الألباب

لا تقل فى الحياة ناس فما حو ... لك إلا فصائل من ذئاب

الأدب والفن في أسبوع

مهرجان شوقي :

... وأخيراً أقيم مهرجان شوقي ، وقدر لنا أن نعيش حتى نشهده . . . فمن نحو ستة أشهر تردد الصحف والمجلات أنباءه ، من تأجيل يتجدد ، ومكان يحدد ثم يغير ، وبرنامج يوضع ثم يبدل ، وكان لنا بلاء في تفنيد ما رأيناه منحرفاً فيما كانوا يعتزمون عدلوا عن (الأوبرج) إلى الأوبرا ، وأعلنوا أن من كان قد اشترى تذاكر (الأوبرج) يحتفظ بها للأوبرا مع استرداد ثمن العشاء . وقد دفعت جنيهين ثمن تذكرة الدخول في الأوبرا ، فليت شعرى كم كان ثمن العشاء في (الأوبرج) ؟!

وعلى كل حال نحمد الله على أن يسر إقامة المهرجان ، لأنه وإن لم يكن نحوا حافلا لائقاً بجلال الموضوع قد أراح الناس من تأجيلاته ودعاياته .

وما كان هـذا الحفل ليكون شيئاً لولا ثلاث كلمات من الأدب القيم ، هى كلمة نثرية لمعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا،

صافح البعض بعضهم مستريبـ ... ـين بأيدى خناجر وحراب

وغدت حالة الممالك فوضى ... ومشى حربها على الأبواب

ينشدون السلام في كل يوم ... كظماء مخدوعة بالسراب

كم تغنت بالسلم في القوم بوم ... جاوبتها أنشودة من غراب

ويل هذا السلام من كل جبا ... ر عنيد مخاتل كذاب

اتخذته الشعوب رباً وما زا ... ل يسوق القطيع للقصاب

ما لنا نجحد الحروب وفى الحر ... ب هلاك لا نحس الأرباب

أيها الرب إن خوفك رباً ... لم يزل وجهه العزيز الجناب

لا تغرر بالناس وافرح بما نا ... ت وباهى بالمجـد والألقاب

إن عبادك الذين يحابو ... نك ضلوا وخاسر من يحابى

أقرضوك الثناء منهم لشيء ... مثلما يقرض النقود المرابى

فارتقبها من السماء ففيما ... قدرته السماء فصل الخطاب

(أبو الوفا)

محمود رمزى نظيم

وقصيدة الأستاذ طاهر أبو فاشا وقصيدة الدكتور إبراهيم ناجى .

وبقية برنامج الحفل كلمة قصيرة لمحمد صلاح الدين بك ، وزجل من الأستاذ حسين السيد ، وإلقاء فتحى بك قصيدة « يا ناح الطلح » لشوقى ، وغناء المطربة لورداكاش قطعة من شعر شوقى ، وتمثيل الفرقة القومية فصلا من رواية مجنون ليلى .

ولم يكن الجمهور كبيراً ، من جراء هذا التسعير الفاحش . وقد علمت أن الحفل لم يكلف القائمين به مالا ، لأن المشتركين فيه حتى المطربة والفرقة التمثيلية كانوا متبرعين ، ولهذا لا أدرى ما سيصنعون بجنيهى . .

أبو محجن الثقفى :

كانت فرصة طيبة أن يسمع كثير من الناس الأستاذ الزيات من المذياع وطالما قرءوا له ولم يسمعوا صوته ، فقد أذاع يوم الجمعة حديثاً عن أبى محجن الثقفى ، وكانت مناسبة طيبة أيضاً أن يتحدث عن علم من أعلام الإسلام وبطل من أبطال موقعة القادسية فى هذا الوقت الذى يرجى فيه أن يكون للعرب بفلسطين مواقع كوقعة القادسية ، وما أحوج الشباب فى هذه الآونة العصيبة إلى أن تجلى لهم تلك النماذج الرائعة من الفتوة العربية الإسلامية .

اتجه الأستاذ فى حديثه إلى بيان مرحلة دقيقة فى تاريخ الفتوة العربية وهى مرحلة انتقال من الجاهلية إلى الإسلام ، واتخذ أبا محجن مثلا لها ، فهو فتى من فتيان العرب تقوم الفتوة عنده على الحب والخمر والحرب والتغنى بنشواتها فى رائع الشعر وتقوم إلى جانب ذلك على عزة تأبى الخضوع وتأنف أن ترتدع بالعقوبة ؛ وقد تمادى أبو محجن فى لهوه وشربه رغم إسلامه ، ومرة يؤتى به إلى الفاروق عمر وقد شرب مع ندمائه بوادى العقيق ، فيجلده عمر ، فيصر على الشرب ، فيعاود جلده ثم يأمر بنفيه ، فيتغلب على الشرطى المرافق له فى الطريق ، ويذهب إلى سعد بن أبى وقاص بالعراق فيحبسه : ثم ينشب القتال بين العرب والفرس ، فتهتاج نخوة أبى محجن ويتألم لقيده الذى يمسكه عن خوض المعركة ، ويعبر عن ألمه بأبيات من الشعر تسمعها زوج سعد بن أبى وقاص التى يطلب منها أن تطلقه ويعاهدها أن يرجع إلى قيده بعد انتهاء المعركة ، فتطلقه ، فينطلق إلى الحرب على متن البلقاء فرس سعد ، ويحمـل على جيش الأعداء حملة تفضى إلى

هزيمتهم ، ثم يرجع إلى قيده وفاء بعهده . وما يعلم سعد خبره حتى يفك قيده ويطلق سراحه ، ويعلن أنه لا ينبغى أن يحبس من كان ذلك بلاءه ، وأنه لن يحده إذا شرب . وهنا تتخذ الفتوة العربية صبغة الإسلام ، فيقسم أبو محجن لا يذوق الخمر قائلا إنه كان يشربها حتى لا يقال إنه ترك الخمر مخافة العقوبة ، أما الآن فإنه يتركها خشية الله .

شياطين الشعراء :

تذيع محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية فى بعض الأوقات جلسات أدبية تتكون من بعض الأدباء يتناقشون فى الموضوعات الأدبية المختلفة ، ومن طرائف هذه الجلسات ما سمعته فى الجلسة الأخيرة التى تألفت من الأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعادل الغضبان واسماعيل مظهر ، إذ تناقشوا فى « شياطين الشعر » فبدأ الأستاذ مظهر بطلب الكلام عن هذه الشياطين ، فأجاب الأستاذ عبد الغنى بأنه من العجب أن يكون للشعر شيطان عند العرب وإلهة عند اليونان ، كما أن من العجب أيضاً أن العرب يعتقدون أن الشيطان إذا مس إنساناً تخبط وخولط فى عقله ، ويعتقدون مع هذا أن الشيطان يوحى إلى الإنسان بالشعر ، فالشيطان عند العرب يوحى ويجنن ... ولم يكتف العرب بذلك بل جعلوا الشياطين أنفسهم شعراء ، ونسبوا إليهم شعراً . وكما سمى اليونان الآلهة بأسماء سمى العرب شياطين الشعر كذلك ، فمسحل شيطان الأعشى وشنقناق شيطان بشار ، وكان شيطان حسان من بنى الشيصبان وهى قبيلة من الجن . واستظرف الأستاذ قول أبى النجم الرجاز :

إنى وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

ثم قال الأستاذ عادل : ذكرت يا أخى عبد الغنى أسماء بعض شياطين الشعراء وأن شيطان حسان من بنى الشيصبان ، فاسمح لى أن أذكر بعض قول حسان فى شيطانه ، قال :

ولى صاحب من بنى الشيصبان فطوراً أقول وطورا هوه

وقد كان لشياطين الشعراء مدن وخيل وكلاب ، وكانوا فى مراتب مختلفة فلا بد أن يكون عليهم أمير ، وإلى هذا يشير القائل:

إنى وإن كنت صغير السن وكان بالعين نبو عنى
فإن شيطانى أمير الجن

وربما اختار العرب الشياطين للشعر ، لأنهم كانوا أهل حرب وجلاد ، ففتشوا على ما اعتقدوا أنه مصدر القوة فى ذلك ، وأما اليونان فكانوا أهل حكمة وفلسفة وفنون ، فاستوحوا مصدر الجمال ممثلا فى المرأة ، واستعانوا على خلق الجمال بربات الجمال .

ومما أذكره أنا لهذه المناسبة أن أحد النقاد المتقدمين قال : من عجائب أمر حسان أنه كان يقول الشعر فى الجاهلية فيجيد جداً ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك فلما أدرك الإسلام واستبدل بالشيطان الملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم أن الشيان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك .

وقد رأيت لأبى أسحق المتكلم من أصحاب الجاحظ كلاماً يتصل بهذا الموضوع ، قال بعد أن وصف حياة العرب المنقطعة فى الفلاة واستيحاشهم بالتفرد : « وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير فى صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت أخلاطه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ، ويتوهم على الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عليه الناشيء ، وربى عليه الطفل ، فصار أحدهم عند مايتوسط الفيافى ، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس ، فعند أول وحشة أو فزعة ، وعند صياح بوم أو مجاوبة صدى ، تجده وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان فى الجنس وأصل الطبيعة نفاجا كذابا ، وصاحب تشنيع وتهويل ، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة ، فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك فيقول قتلتها ، ثم يزيد فيقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها ... »

مهرجان الشباب

قلت قبل الآن إن المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف اعتزمت إقامة مهرجان أدبى وفنى للشباب الذين هم دون الخامسة والثلاثين من العمر لتشجيع الأدباء والفنانين منهم على حسن الإنتاج والتبريز فيه .

وقد تقرر أن يكون هذا المهرجان فى شهر فبراير سنة ١٩٤٨ فى مناسبة عيد الميلاد الملكى ، كما تقرر أن تكون مباريات المهرجان فى الموضوعات الأدبية والفنية الآتية :

١ — الشعر بألوانه المختلفة على ألا تتجاوز القصيدة ثلاثين بيتاً
٢ — أدب القصة القصيرة التى تستمد وحيها من صميم الحياة

٣ — أدب التمثيلية القصيرة الصالحة للمسرح أو الإذاعة

٤ — الأناشيد القومية والحماسية وأغانى الطبيعة المصرية والحصاد والأعياد والمناسبات الدينية والوطنية على اختلاف أنواعها

٥ — الموسيقى التصويرية والموسيقى الخفيفة والموسيقى الشعبية وغيرها فردية أو جماعية

٦ — نحت التماثيل المتوسطة الحجم والصغيرة من الجبر والبرنز والعاج والخشب وغيرها

٧ — الغناء الانفرادى والإجماعى

٨ — تمثيل المسرحيات القصيرة

٩ — الصور الشمسية والمائية والزيتية للمناظر الطبيعية والأشخاص والمعانى وبالأخص ما كان منها من واقع الحياة المصرية

١٠ — الأشغال اليدوية الدقيقة التى تتجلى فيها المقدرة على التصميم والتنفيذ .

ويشترط فى قبول الانتاج ، غير سن صاحبه ، أن يكون جيداً ومبتكراً لم يسبق عرضه أو نشره .

وباب الاشتراك فى المهرجان مفتوح للجنسين من أفراد الجمهور لطلبة وطالبات الجامعة والمعاهد العليا ومعاهد الفنون والمدارس الثانوية والجامعة الشعبية .

وقد جعل الأسبوع الثالث من شهر يناير سنة ١٩٤٨ غاية المدى لتقديم الإنتاج ، وهو يقدم إلى إدارة خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا بالقاهرة) وسوف تحرص لجان التحكيم على الفراغ من مهمتها فى الوقت المناسب حتى يتاح للمغنين والملحنين والفرق التمثيلية الحصول على أحسن إنتاج من الأغانى والأناشيد والمسرحيات الفائزة والاستعداد لإخراجها فى المهرجان .

وستخصص جوائز للفائزين فى جميع هذه المباريات ، ولم يستقر الرأى على تفصيلاتها بعد .

وسيلحق بالمهرجان معرض للكتب الصادرة سنة ١٩٤٧ يتألف من الكتب التى يوافى المراقبة بها مؤلفوها ودور النشر والمكتبات .

ملاحظات على المهرجان

ولا شك أن المهرجان سيكون عظيم الشأن جليل الأثر ، ولهذا أردت مناقشة بعض ما جاء فى برنامجه مشاركة فى العمل لبلوغ ما يرجى له من النجاح والتوفيق .

١ — جعلت لجنة المهرجان الغناء والتلحين والتمثيل مرتبطة بما سيفوز فى المباراة الأدبية من الأغانى والأناشيد والمسرحيات ، فليس لأحد من المتبارين فى هذه الفنون أن يستخدم فنه فى تأليف خارجى ، وفى هـذا تضييق على الفنان وتقييد له ، ولنفرض — مثلا — أن موسيقياً لديه تلحين جيد لنشيد استراح إليه فنه ، أيقدم النشيد أولا للجنة الأدب ويجعل لحنه رهن فوز النشيد فى المباراة ، فإذا لم يفز ضاع اللحن ؟ أم ماذا يصنع ؟

٢ — المفهوم من البرنامج أن التقدم فى مباراة التمثيل للفرق لا للأفراد ، فهل سيكون الحكم بالفوز أو عدمه للفرقة متضامنة أو ينظر إلى كل فرد منها ويحكم على كفايته ؟ وأظن أن الطريقة الثانية أقرب إلى التقدير والإنصاف .

٣ — لم تعين مقادير الجوائز بعد ، ولكن أستطيع بما فهمت من الجو المالى للمهرجان أن أقول إنها قليلة غير مغرية ، ولهذا يخشى ألا يقبل على المهرجان ذوو الإجادة والاعتزاز من الشباب ، فقد صرنا إلى حال تحسن فيها التقدير المالى لمختلف الفنون ، وبعض الشباب يتقاضون على إنتاجهم الفنى من الهيئات الأهلية أجوراً عادية تكاد تساوى الجوائز التى ستخصص فى المهرجان ، وأنا أعلم غيرة القائمين بالمهرجان على الأدب والفن ورغبتهم فى حسن التقدير والتشجيع ، ولكن يقف فى سبيلهم من بيدهم أمر الاعتماد المالى ، وهؤلاء أقل من أصحابنا بكثير فى الغيرة والرغبة السابقتين .

فى منظار الخفيف :

رأيتنى فى حاجة إلى أن أستعير المنظار من الزميل الألمعى الأستاذ محمود الخفيف ، لأستطلع به أمر صديق أديب موظف بوزارة المعارف ، وهو ممن يطالعون القراء برحيق الآداب ، ولكنه — ككثير من أمثاله — يضطر إلى الوظيفة الحكومية يؤدى فيها عمله ليأخذ فى مقابله الكفاف ، ويستجيب لدواعى فنه فيما فضل من وقته وجهده

لقيت هذا الصديق أمس فقلت له :

— كيف أنت ؟

— حى لا يرزق !

— لا بأس عليك . . ماذا جرى ؟

— أصدر السكرتير المالى بالوزارة أمراً بوقف صرف مرتبى



تعليق على كلمة :

نشر بهذا العنوان الأديب الفاضل إبراهيم الوائلي في الرسالة العدد (٧٥١) كلمة أخذ فيها على لفظاً استعملته في مقالي عن ضريح همايون في الهند وذلك أني قلت « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة » فقال الأستاذ :

وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد المصرفية لأن ثلاثيها وطد . وصوغ افتعل منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا »

ونقل بعد هذا ما أخذه صاحب المثل السائر على أبي تمام حين استعمل هذا اللفظ في قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطول

وحجتي في استعمال هذا اللفظ مسلم بن الوليد في قوله يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

أثبت سوق بني الإسلام فاطأدت يوم الخليج وقد قامت على زلل

وبيت أبي تمام المذكور . وإن لفظاً يستعمله مسلم وأبو تمام جدير أن يستعمل وإن لم تثبته المعاجم . وإن لم يكن بد من تخريج هذا اللفظ من مادة مثبتة في المعاجم فليس هو من وطد كما زعم ابن الأثير فغلط أبا تمام ؛ بل أقرب من هذا أن يكون من ط و د . جاء في القاموس المحيط : وطاد ثبت والطاد الثقيل وفي اللسان : الطادي الثابت ونقل عن أبي عبيد أنها مقلوبة عن واطد . وأرى أن قلبها عن طاود جائز كذلك بل أقرب .

وفي اللسان أيضاً : طاد إذا ثبت .

فإن لم يكن بد من رد اطأد إلى مادة في المعاجم ، وهذا ليس ضروريا ، فردها طود مع قلب عين الكلمة همزة .

وبعد فللأستاذ الوائلي الشكر على عنايته باللغة وتدقيقه .

عبد الوهاب عزام

إقرار :

قرأت الكلمة القيمة التي كتبها الأستاذ الكبير العقاد في صدر الرسالة في الأسبوع الفارط ، ولقد أنصف فيها صديقنا الأستاذ أدهم كما أنصفني ، فله أصدق الشكر وأطيبه . على أنني إلى جانب هذا الشكر حريص على الاعتذار له من ظهور ثبت المراجع لكتابي «ألحان الحان» عاطلا من اسمه . فلقد اقتصرت في أثناء

لأن يوم عينت بالحكومة كان تعييني (على بند ١١ إعانات) وتبين بعد ذلك أنه إجراء غير سليم . وعلى الرغم من أنني لم أكن قد طلبت تعييني على (بند ١١ إعانات) ولم يكن لي يد في هذا الإجراء الذي لم أعرف عنه شيئاً إلا عند ما وقف صرف مرتبي أخيراً — على الرغم من ذلك حاق بي ضرر ذلك التصرف ؛ وحل بغير جارمه العقاب !

وقابلت المختصين في الوزارة ، فقيل إن السكرتير المالي فعل ذلك ليضطر (إدارة المستخدمين) إلى تصحيح الوضع ، وقالوا لي « إلحق . . حتى لا تصرف بعد ذلك ! » وتلفت حولي لأرى كيف « ألحق » ثم قصدت (المستخدمين) فقالوا لي هناك أيضاً « إلحق ...» وحرت من « ألحق » ؟! ودرت دورة مررت فيها بعلي افندي في (قلم الماهيات) وأحمد افندي في (قلم الميزانية) ومحفوظ افندي في (قلم العلاوات) وكان كل منهم يحيلني إلى الآخر وينصحني بأن « ألحق.. الخ » ولم أخرج من هذا المطاف بطائل ، ولكني عرفت منه أن وزارة المعارف كروية الشكل .. لأني كنت أنتهي إلى حيث بدأت !

وسكت الصديق برهة ثم قال : أتدري ما الذي يهمني من كل ذلك ؟ إنه كيف أفهم أطفالي الأربعة أحكام (البند ١١ إعانات)

وقلت في نفسي : منذ قليل شيعنا الشاعر الرواية أحمد الزين وعرضت مأساته على صفحات « الرسالة » فهل ننتظر حتى يتهاوى الأدباء واحداً إثر واحد ثم نتفجع عليهم ! ولم لا نتفجع على الأحياء ... ؟

وهنا رأيت « المنظار » قد سود الدنيا في وجهي ، فأبعدته عن عيني وقلت للصديق :

— كيف تضار ومعالي الوزير السنهوري باشا رجل عادل !

— إنه لكذلك ، ولكن أين أنا منه ؟

« العباس »

اشتغالى بكتابى على الرجوع إلى بحثه الممتع فى عدد الهلال الخاص بأبى نواس، وغنى عن البيان أنى — كشأنى فى سائر ما أقرأ — أفدت منه كما أفدت من البحوث الأخرى، وقد أتيت على ذكر هذا العدد من الهلال فى ثبت المراجع ولم يخطر لى وجوب النص على أصحاب هـذه البحوث وجلهم من الأعلام وفى مقدمتهم أستاذنا العقاد. وأنا أقر بأن البحث المذكور يشتمل على التمييز بين أبى نواس وعمر الخيام بأن النواسى كان سكره عكوفا على لذة حسية، وأن الخيام كان سكره هرباً من مشكلة فلسفية.

بيد أنى أحب أن أقرر فى الوقت نفسه أن مثل هذا الرأى عن الخيام قرأته كذلك لغير العقاد. ومما يرجح أنه من الآراء الشائعة وروده فى بعض التراجم الفرنسية لرباعيات الشاعر الفارسى فى مقدمة لها غفل من توقيع صاحبها، وهذا نص العبارة:

Il prend une sorte de plaisir pervers à s'imaginer que ces Joies materielles peuvent le sat sfa re et apaiser l'ango sse de son esprit devant le problème de l'univers(1)

(1) Rubaiyat de Omar khayyam — L'Edition d'art H.piazza

وهذه ترجمتها إلى العربية: [فهو (أى الخيام) يستمرئ الوهم الفاسد بأن فى هذه اللذات الجسدية مرضاة لنفسه وتسكيناً لعذاب فكره أمام مشكلة الكون].

ومعاذ الله أن يكون مرادى التعريض بأن العقاد ينقل عن غيره، فهو — غير منازع — موفور الغنى بإدراكه وحسه، عظيم الاعتداد بنفسه. وإنما قصدت إلى أن يكون هذا المثال الذى قدمته شاهداً على أن الكاتب مهما أوتى من أصالة الابتكار، فلا يحق له الغلو فى القول بأن معانيه كلها أبكار، وأنه وحده صاحب عذرتها. فإن الحقائق قد يهتدى إليها أكثر من باحث. وفى الأدب المقارن مجال وأى مجال لمساق الشواهد وضرب الأمثال. وأحسب أن فى هذا ما يخفف بعض الشئ من شدة غيرة الأستاذ العقاد على أبكاره، وإن كان هـذا لا يعفينى من استيفاء ثبت مراجعى لولا ما تقدم من العذر.

أما التعليل الذى ذكره الأستاذ فلعله يعدل به إلى غيره إذا علم أنى لم أقدم أصول كتابى إلى دار المعارف إلا فى هذا العام. ذاك إذا كان قد أنسى ما نشرته عنه من الدراسات المستفيضة فى مختلف العهود، وإذا كان كذلك قد عدم الإيمان بأن الذى أحله لمن هو فى مثل فضله من الود والإكبار يغلب فى نفسى على كل اعتبار. وأعود فى الختام فأكرر للأستاذ الرجاء فى قبول عذرى مع خالص شكرى.

عبد الرحمن صدقي

(الرسالة) اتفق أن زارنا صديقنا الأستاذ العقاد ساعة جاءتنا هذه الرسالة فلما قرأها علق عليها بهذه الكلمة:

كل ما يقال فى التعقيب على هـذا الخطاب أنه رجوع إلى الحق من ناحية واحـدة. فإن الذى أوجب إغفال ذكر «العقاد» بهـذه الحجة ليوجب إغفال ذكر الآخرين ممن هم رأى شاركهم فيه غيرهم. فلماذا هذا النسيان من ناحية دون غيرها! هنا محل السؤال وقد نستغنى بذكره عن الجواب. وللأديب فضل الاعتراف بالخطأ على كل حال، وإن كان لم يخل من المؤاخذة لإشارته إلى كتاب فرنسى يعلم أنه لم يترجم إلى الانجليزية ولم يطلع عليه العقاد. فلا شبهة إذن فى استقلال العقاد بالرأى فى هـذا الموضوع.

معارض الجمال أيضاً:

منذ شهرين كتبنا فى هذه المجلة كلمة عن معارض الجمال. ويبدو أن الحديث عن هـذه المعارض لن ينتهى ما دمنا نركب رؤوسنا ويجرفنا التيار الفرنسى الخليع.

فقد أقيمت بعد نشرى الكلمة السابقة، مسابقة للجمال فى الإسكندرية، كان منظموها فرنسيين أيضاً!.

وأخذت بعد ذلك مجلة الإيماج — المصرية فى كل شىء إلا فى لسانها وأسلوبها — وأعلنت عن مسابقة (فتاة الحائط)، كما قالت الجريدة مجازاً... ولكن الإنجليز والأمريكان يسمون تلك الفتاة (فتاة الجاذبية)، أو فتاة التعليق Pin up Girl — ومعنى هـذا أنهم يعلقونها فى المخادع. وتعليق تلك الصور فى حجرات النوم — وخاصة بين اليافعين واليافعات — ذو أثر حميد فى اذكاء عواطف هؤلاء اليافعين.

أستغفر الله، بل فى اذكاء شعورهم!

ففى أى بلد نحن؟.

ولكنا نحمد الله، جل شأنه، فقد لاحظنا أن معظم الصور المسلسلة التى نشرتها الإيماج — المصرية بكل شىء إلا بلسانها وأسلوبها — أقول إن معظم تلك الصور لا تدل على أن صواحبها مصريات. أو الغالبية الكبرى منهن ... فليس فى المصريات تلك السحنات، وليس فى المصريات من ترضى أن تكون صاحبة وضع من هذه الأوضاع!

وهنالك شىء آخر.. بل كلمة أخيرة أهمس بها فى أذنك.. فهل سمعت عن مسابقة جمال بين الرجال؟.

إن لم تكن قد سمعت ، فاقرأ الجرائد الصادرة فى أواخر شهر أغسطس ، فإن فيها إعلاناً عن مسابقة لاختيار أجمل رجل .

أتدرى ممن أرادوا أن يكون هذا الرجل بين الرجال ؟ .

أرادوه من بين المصارعين المصريين !

قد أكون مخطئاً فى قراءة الإعلان ، ولكن أقسم لك إن هذا هو عين ما قيل ...

وهل تدرى — أخيراً — من هو منظم تلك الحفلة ؟

إنه والله أحد الفرنسيين — أيضاً — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

كتبنا هذا الكلام فى شهر سبتمبر الماضى ، وقد ظهر وباء الكوليرا وقتئذ فانصرفنا عن إرسال هذا الكلام للنشر ، وقلنا مكافحة وباء طارىء أجدى وأنجع من مكافحة وباء قديم . .

أما وقد اندثر الوباء الجديد ، أو كاد ، فقد عاد الوباء القديم للظهور .

هذه إعلانات جديدة تظهر فى الصحف المسلمة السيارة تعلن عن مسابقات لأجمل الوجوه وأحلى السيقان ... وتعقد الثانية فى أحد (الفنادق المعروفة) . وقال المشرفون عليها إن المتسابقات سيسرن وراء ستار حيث لا تظهر إلا سيقانهن فحسب . .

ما شاء الله ! ستظهر السيقان والأفخاذ وربما ظهر شىء أبعد من هذا ، ولكن الوجوه لا تظهر ... وقد ظهرت فعلا فى الجرائد ، فرأينا فيها الفتنة والإغراء .

إن الشهوات الدنيا لا تتحرك عن طريق الوجوه الجميلة ، فالوجه الجميل لا يثير الشهوة ، بل تدعو إلى التأمل والتسبيح .

فأما السيقان ، والنهود ، وغيرها ، فهى تجارة الحرب وما بعد الحرب ..

ولم أعلم من كان المشرف على هذه الحفلة أيضاً ، وسألت فقيل لى إنها ، والله أعلم ، (جريدة فرنسية) تصدر بالإسكندرية . وكانت أسماء المتباريات فرنسية أو متفرنسة .

ولكن الذى أعلمه حقاً هو أن ذلك الفندق ، بل أمثاله جميعاً ، ليست بيوتاً حراماً ، ولا تؤجر حجراتها لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة!

لقد ظهر الوباء من قبل ، ولكن حدته خفت بظهور وباء أخف منه هو وباء الكوليرا ..

وخفت حدة الكوليرا ، وعاد الوباء القديم ، الوباء الخطير ، يطل برأسه من جديد .

أليس عندنا طبيب نطاسى بارع يستأصل هذه الأوبئة والأدواء ؟

أليس عندنا جرىء يقول لهؤلاء الناس كلمة رادعة ؟ أم إن كلامنا لا يصل إلى أسماع هؤلاء الذين يعملون على انحلال الشعب المصرى ؟

وإذا كانت الأغلبية المتبارية من هؤلاء النسوة فرنسيات أو أجنبيات ، فهذا لا يغير أننا شعب مصرى شرقى محافظ ، وسنظل محافظين ، أقباطاً ومسلمين .

فبلدنا ليس إباحياً ، ولسنا نبقل هذه الاباحية الفرنسية ...

ومرة أخرى ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

حسين الغنام

الفن القصصى فى القرآن :

لما نشر تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن أطروحة الفن القصصى فى القرآن حاول صاحبها أن يتنصل مما نقل فيه ، كما أن الأستاذ الخولى المشرف على الرسالة والذى صرح بتأييده لصاحبها فى كل ما قاله ، طعن فى تقريرى الأستاذين أحمد أمين والشايب وقال إن ما نقلاه عن الأطروحة ليس فيها . وقد ألفت الجامعة لجنة للتحقيق فى ذلك من الأساتذة الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور زكى حسن والدكتور الشرقاوى ، وقدمت تقريراً جاء فيه:

اتفق الأستاذان أحمد أمين بك واحمد الشايب فى القول بأن أساس هذه الرسالة أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع .

واللجنة تقرر أن هذا صريح وواضح فى جملة مواضع من الرسالة ، وقد أيده الكاتب بما استشهد به من الأمثلة ؛ ففى ص ٢٦ سطر ١٠ قرر أن القرآن (أنطق اليهود بما لم ينطقوا به) وذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء (وقولهم إنا قتلنا المسيح الخ) وفى ص ٣٦ قرر كاتب الرسالة عن قوله تعالى فى سورة المائدة (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم الخ) . (إن هذا القول وهذا الحوار تصوير لموقف لم يحدث بعد ، بل لعله لن يحدث) وفى ص ٨٩ قرر الكاتب (إن قصة موسى فى الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة)

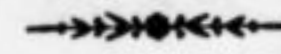
وتقرر اللجنة أن هذا مخالفة ظاهرة لقول الله تعالى « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ولقوله سبحانه « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى



السائح والتمثـــال

بقلم ألدو بالاتسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة



« يعد ألدو بالاتسزكي Aldo Palazzaschi من أكبر كتاب بولونيا فهو إيطالي الأصل وكانت له جولة وصولة في أدب بلاده وقد رأس تحرير جريدة « مارزوكو » وهي أشهر جريدة للنقد الأدبي في إيطاليا وكانت تصدر في فيرنزه المعروفة عند غير الطليان باسم فلورنس وهي مهد الفنون والآداب وموطن دانتي البحرى وسافورنارولا وما كيافيلي وبوكاشيو وميكال انجلو وغيرهم .

وقد نحا الأستاذ ألدو بالاتسزكي في الأدب القصصي نحواً جديداً وهو معالجة الحقيقة الانسانية عن طريق الخفاء والغموض . وله كلمات مأثورة في مقدمة قصصه القصيرة وهي « إن الغموض يجلو كثيراً » وسيرى القارىء العربي صحة هذا الرأي » .

— ١ —

... وكان عائداً من بلدة في الصين حيث يعبدون إلهاً بادناً ، راقداً في المعبد ويده تحت ذقنه ، ناظراً إلى بطنه وكأنها وعاء من اللحم الذي ملىء علماً ! معبود شبعان ريان متزن وأن لم يتذوق ثمر الخشخاش ولم ينشق أزهاره (١) لا يعبأ بجاره الذي حطمه ذووه وجرحوا جبينه بأشواك شجرة سقاها بعرقه ودمه وتعهدها ، فلما كبرت وأفرعت وأينعت صنعوا له من أخشابها ما صنعوا ، علوها الجود فكفرت بنعمة الذي زرعها وسقاها . ولكنَّ الجريح كان مشغولا عن دمه المهراق بالتفكير في العفو عنهم . ولا يسمع صوت سلفه الصالح الذي ساق جماعة بالعصى وشق بطون العصاة منهم بالمدى : العصاة والسكين وألواح الحجر الناطقة ، كان يزمجر ويبرق ويرعد ويدعو على الذين آذوا حفيده الأقصى ، ويدهش لسالمته وليونته واستسلامه وينعى عليه تسامحه ، أما الزمن فقد تغير وسار على عجل . والعصى التي كانت تسوق الجماعة ، أمست في أيديهم يسوقون بها الفتى الغريب ولا يبالون !! أليس يلقاهم بالكلام في السهل والجبل ويحاورهم بالكلام في الحقل والدار ، وعندما يحمي وطيس المعركة يجرد عليهم سيفه ويصوب نحوهم سهامه ويشرع في وجوههم رمحه ، ويخفي وجهه الهادىء وراء درعه ، ولكن السيف والسهام والرمح والمجن كلها ... كلام ... كلام ... كلام عذب ومر وحار وحار . ولكنه كلام لا عهد لهم به . ولكنه كلام سيوف وخناجر ومدافع وقنابل ودبابات ونسافات « ماشين جنز » هذا الأمل المنشود « تانكس » عز الطلب « افيون شلز » من نوع ممتاز (١)

كان السائح عائداً من بلدة في الصين ، ولكنها لم تكن وطنه بل كان وطنه وراء بحار الغرب والشمال . فهو هارب من الحضارة باحث عن الوحدة والعزلة الدائمة عن أهل الغرب والشمال . وقد ظن أن ما يسمى إليه قد يكون في الشرق وراء الجبال الشاهقة والبحار العميقة والصحارى المترامية الأطراف .

طوحت به الأيام إلى هيكل نيبوس إله النور في مدينة طاس كند ، وراء جبال هيدار ، وهي الشامخة المعتمة بالجليد ، طوال العام بحوان جليدها لا يذوب ولا يجرى ماء على سفوحها .

ولكنه يبقى أبداً مكتئلا ، ملتفاً ، ناصع البياض كأنه شعر جسم على رأس شيخ هم ، اشتعل شيباً ، وزاد على ممر الأعوام وضوحاً وشمها . ولم يعلم الكهنة كيف وصل هذا الغريب الأشعث إلى باب الهيكل فقد وجدوه مرتمياً على العتبات متشبثاً بالأحجار ، لم يسمعوا له صوتاً وما شهدوا له حركة ، فلما دنوا منه تبينوه ، فوجدوه خائر القوى ، منقطع الأنفاس ، مغمض العينين ، شاحب الوجه مكشوف البدن ، في معظم أجزائه ، ولمح أحد الكهنة أن قدميه تقطران دما . وكانت له لحية سوداء بلون البقية من شعره فهو بلا ريب شاب لم يتخط الثلاثين من عمره ، وإن كان النصب والهم والأمل الخائب قد خطت على جبينه سطوراً عميقة كأنها محفورة بقلم من فولاذ في صفحة من الرمر الأصفر . وكانت عيناه حادتين ، لم تتغلب الآلام على ما يشع منهما من دلائل الحيوية النابضة . وقد تمتد نظراته إلى ما وراء الأفق ، كأنه يرى شيئاً

(١) في الأصل « وأن الاتزان لا ينال إلا باحدى هاتين الوسيلتين »

(١) في الأصل هكذا ومعناها مدافع رشاشة ودبابات وقنابل طائرات

بعيداً انفرد هو وحده بشهوده فهو يراه يقيناً ولا يريد أن يشرك أحداً فى رؤيته ، ولذلك يخشى أن لا يصدقه أحد أو يشك فى صدقه هل هى رؤية أم رؤيا هل هى حلم أم حقيقة ، سراب أم ماء ؟ .

فلم يملك الكهنة أن يفتحوا الباب ويتركوا هـذا الميت الحى وراءهم نهباً للذئب والدب وليس فى وسعهم أن يدخلوه بدون تطهير من أدران الدنيا فهو غريب منبوذ ولا يجوز لأحدهم أن يمسه ولا يجوز له أن يمس أحداً . فهنا تفريق بين الطهر والدنس والنقاء والرجس . وهنا نظافة الجسم تحتمها طهارة النفس . لقد هلك كثير من القاصدين إليهم قبل أن يصلوا ، وضل السالكون عدة دون أن تدنوا أقدامهم من العتبات . . . ولكن كل من يلمس العتبة لا يرد ، ولا يطرد لأنه وصل . فإن كان على قيد الحياة فلا بد من الإذن بقبوله . فما ذنب هذا حتى يحرم ؟ ألم يقرأوا فى وصية نيبوس « بلوغ البـاب قرين الدخول » ولكنهم أغلقوا الباب ليعودوا إليه بعد لحظة بإذن الدخول . فينقلوه فلما فتحوا الباب والتمسوه لم يجدوه فى حدود الجدران فأخفقوا فى العثور به حتى الصباح

— ٢ —

وقال الأول : إن أثوابه أطهار بالية فهو أكثر تعرضاً للافتراس

والثانى : لقد نحل خداه وتجمدت يداه فمن يكون هذا المسكين الذى قادته قدماه إلينا أهارب لاجىء أم طـالب حكمة أم طالب قوت ؟ ... وقال ثالث : ليس طالب قوت ولا لاجىء . ولكنه ينشد الهدوء واطمئنان النفس ، أنه بلا شك فار من دمامة الحياة التى قضى نضارة عمره فى أحضانها . لقد تكشفت له عن حقيقتها ففر بالبقية الباقية من نفسه . ولكنهم كانوا يبحثون عنه قبل البحث عن سبب قدومه إليهم لأن نجاته من الهلاك أفضل من الكشف عن سر قدومه .

وقال أكبرهم سناً : صدقونى يا إخوتى أنكم تجيبون عن سؤالات يعجز صاحب الشأن نفسه عن الجواب عليها . فإن لمثل هـذا الرجل ناحية غير موجهة إلى تحقيق أغراض بعينها .

وإن كانت له أغراض فقد نسيها أثناء الجهود التى بذلها حين كان يحاول بلوغها . ولا بد له من هذا النسيان وسر ذلك راجع إلى أن القوى التى ينفقها هى من فيض ما أعده له الإله لتحقيق أغراضه فيه — وهو الهدف الأعلى .

فهمهم أحد الكهنة وكان قصير القامة نحيل البدن أصفر الوجه وقال : الهدف الأعلى ! ما فتئت أذكر الهدف الأعلى وأسمع عنه . .

فنظر إليه الذى كان يتكلم وقال :

الهدف الأعلى الذى يرمى إليه الإله هو نفس الغرض الذى كانت ترمى إليه الآلهة فى كل العصور — رفع النفس إلى مستواها الأعلى وتوسيع آفاق مسراتها — ولكننا نضيع وقتاً نفيساً فى الجدل وربما يكون أحـد الضوارى قد أنشب أظفاره فى ضيفكم ولعل وحشاً يقظاً كان يتتبع خطواته ، ويخشى أن يهاجمه وهو يوشك أن يلجأ إلى الهيكل ، فلما أن فتح الباب توارى الوحش وقد ضاع أمله فى الانقضاض على فريسته ، ولكنه لم يرض من الغنيمة بالإياب السريع . فلما أغلق الباب بعد فتحه ظن الوحش أنه قد خـلا له الجو وآن أوان الافتراس . ولكن الكهنة لم يلبثوا فى حيرتهم حتى سمعوا صوتاً داخل المحراب يستغيث بلسان غير لسانهم ، ويبتهل ويتضرع بقلب مقروح وكبد حرى . فإذا هو الغريب نفسه . وقد عرى من ثيـابه فقد أشفق عليه الإله فأمر بحمله إلى حرمه بلا واسطة ثم غمره فى حوض طهارته وألقى بثيابه الممزقة وراء جدار الهيكل ليغمرها الجليد فتختفى إلى الأبد عن الأعين . كان الغريب يصلى ويستغيث بعنف ، بصوت متهدج وكلام متقطع ، وكانت لحيته الكثة السوداء تضطرب ، وأسنانه تصطك وقد تبدى ذاهلا عمن حوله من الكهنة ، الذين تجمعوا ليحدجوه بعيونهم بعد أن رأوا الإله يخرق له العادة ويقبله فى المحراب

ولما فرغ من صلاته جلس وتكلم لهم بلغى البلاد التى جاب آفاقها وقد التقفها جميعاً من أفواه المتكلمين وهو فى سياحته ، فقدموا إليه طعاماً من الشعير والزيت والفاكهة فلم يتذوق منها إلا قليلا وكان يدير عينيه فى قلبه فيبدو عليه السرور أو الألم كما يبدو على وجه من يشاهد أنه فى الماضى القريب السحيق . ولم يكن فى الجمع بين هاتين الصفتين تناقض فإن ماضيه كان حافلا بالكفاح والجرى وراء الحقيقة : فهو غنى بالحوادث ولذا رآه قريبا وكذلك كان ماضيه محفوفاً بعذاب النفس وألمها فقد اكتوى بنار الحب بقدر ما تعلق بأهداب المثل الأعلى . وتلك التى عذبته لم تكن جديرة بحبه فهجرها وهو يعطف عليها وتخلى عنها وهو مشوق إليها . هذا طرف من الحوادث الواقعـة التى كان يتكلم عنها فيصغون إليه ، وهو يسح ويهضب بذكرياته ، كان غنياً وكان شاعراً فى بابلوس عاصمـة الدنيا المتحضرة ، وكان الناس متلهفين على آثاره والنساء متتبعات له متراميات على جسـده يحاولن أن ينهشـنه بأفواههن المحمرة ، أو ينشبن فيه أظفارهن

المحلاة بالخضاب المتعدد الألوان . وكان يرفه بشعره وحكمته عن الناس وينعش قلوبهم ، ويغذى نفوسهم بإبداع فكره ، ويفيض على حياتهم البشر والنور .

ولكنه لم يتزوج ولم يجن على أحد فقد وهبته العناية بصيرة بعيدة المرمى فأنف أن يتصل حياته بنسل ، ولمح النفاق والجحود والنميمة ونكران الجميل والسخرية من خلال البسمات والضحكات والبشاشة الكاذبة والكلمات المعسولة والتبذل فى ذكر الحب والإخلاص والوفاء ، فتزعزعت عقيدته فى دينه لأنه أمسى قوة تواطأت مع السلطان المطلق ومن حوله من السادات وامتنع عليها أن تسلخ الأيمان عن هذه المظالم .

فأنكرها وأنكر الأيمان ثم تزعزع اعتقاده فى الإنسانية والمجتمع بعنف لم يعهده وأحسَّ فى نفسه بنصل قاطع لا شفاء لجرحه وهو الاحتقار لكل ما يحيط به . لقد أحس الهارب بالاحتقار نحو المال والحب والمرأة التى أحبها حيناً وأحبته طويلا ونحو القوة القاهرة التى خنقت العدل وأحيت الظلم والمنافقين والأوغاد والضعفاء . وقد حاولت تلك التى أحبته « أينوبيا » أن تستل منه شعور الاحتقار نحو الدنيا والحكم عليها بالصغار ، فلم تستطع ، لأن أقوالها وأفعالها كانت تزيد إيمانه فى صحة حكمه عليها وعليهم . وبعد أن كان يؤمن بنفسه أمسى لا يؤمن بشىء فأخذ يبكى أحلامه وأمانيه العاثرة وهو يرى بعينى رأسه رجال المادة والقوة والملذات الجشعة متربصين على ركام الإنسانية ولا هم لهم سوى كسب الأموال وكنزها والتحكم فى أعناق الرجال التى أذلها الحرص وجال على أفواهها الجوع ورعى قلوبها الاحتياج والشقاء وتكشفت له الحياة عن بعض حقيقتها فهاهو الإنسان يستمتع بحواسه ولديه من الذهب والورق ما يستمد منه العظمة الكاذبة بقدر ما يملك منها ، حتى صار ميزان أقدار الرجال بما يملكون من النضار ، وبلغ بالفقراء يأس آخذ بالكايتين فآمنوا بالعذاب والأوهام قال الشريد للكهنة « فأقصرت يائساً وصرفت نفسى آسفاً وعولت على الفرار بالبقية الباقيـــة من حشاشتى ووجدانى واستكبرت أن أصبر على معاشرة الناس بعد الذى تحققته وبعد أن صرت أبغض المجالس والنوادى ولا أرتاح إلى أحاديثهم ، ولا أغتبط بالأصدقاء وصرت أجزع من الذين ادعوا محبتى ولا أرى لنفسى قدرة على احتمالهم » فقطع أحد الكهنة حديثه فى رفق وقال له « وتركت وراءك مالك ومكانتك فى بابلوس عاصمة العالم المتحضر وقضيت عشر سنين فى السياحة باحثاً عن الحقيقة . وخرجت من وطنك لتقلب الدنيا وتجملها كما يجب أن تكون ؟ .. أليست هذه غايتك وأمنيتك وحكمك ! فسكت السائح المجهول كأنه فى سكرة طويلة ونشوة مستمرة وقال كاهن آخر : لقد كان وصولك إلينا فى هيكل نيبوس إله النور إرهاصاً فإن الذين يضلون الطريق دون بلوغ كعبة الآله كثيرون . ووصولك إلى المحراب بدون وسيط علامة إكرام . فحملق السائح فى وجوههم الهادئة لأنه لم يعلم أنه جرد من الهلاهيل التى كانت حول بدنه ودخل فى حمى الإله بدون وسيط ، وأطال النظر فى الوجوه المستنيرة المطمئنة وأخذ ذهنه يكر إلى الوراء فجأة بغير إنذار وتنبه إلى عرائه فأطرق وأخذ يبكى حتى بلل لحيته .

(البقية فى العدد القادم)

محمد لطفى جمعة

إعـــــلان

تعلن وزارة الصحة العمومية أن الدراسة بمدارس مساعدات المولدات الزائرات الملحقة بمراكز رعاية الطفل بالقاهرة والأقاليم بطنطا والزقازيق وشبين الكوم وبنى سويف وأسيوط ستبدأ فى أول يناير سنة ١٩٤٨ فعلى راغبات الالتحاق أن يقدمن طلباتهن على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما بعنوان حضرة صاحب العزة مدير قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة (مدارس) بحيث يصل فى ميعاد لا يتجاوز ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ . وعلى راغبة الالتحاق إرفاق شهادة بأنها مصرية الجنس وغير متزوجة وأنها حسنة السير والسلوك — وكذلك شهادة الميلاد والشهادة الدراسية الحاصلة عليها . ويشترط فى الطالبة الا يقل سنها عن ١٧ سنة ولا يزيد عن ٢٥ وأن تكون حائزة على شهادة الكفاءة للمعلمات أو شهادة اتمام الدراسة الابتدائية أو التربية النسوية أو الأولى الراقية .

٨٥١٥

العدد ٧٥٥ — الاثنين ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة
عالم مشتبك! ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٣٩٣
التلمود خدع اليهود ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٣٩٥
شكيب الشاعر ... ... : الشيخ محمد رجب البيومي ... ١٣٩٧
طرائف من العصر المملوكي ... : الأستاذ محمود رزق سليم ... ١٤٠٠
الأدب والإصلاح الاجتماعي ... : الأستاذ أحمد محمد العظمة ... ١٤٠٢
نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١٤٠٤
« **نعقيبات** » : الروح العربية — النصر الأول — نشيد العروبة — ١٤٠٦
الدكتور ... أحمد أمين ١٤٠٧
« **الأدب والفن في أسبوع** » : حدث في الفكر الإسلامي — ١٤٠٨
تعقيب — كرسيان آخران في المجمع اللغوي — المسرح الأوربي بعد الحرب ١٤١٠
« **الكتب** » : رسائل الصاحب بن عباد — صححها وقدم لها الدكتور ١٤١١
عبد الوهاب عزام بك ، والدكتور شوقي ضيف : بقلم الدكتور أحمد فؤاد
الأهواني ... شجرة الدر — تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان : بقلم
الأستاذ العباس خضر ... معاني الفلسفة — تأليف الدكتور أحمد فؤاد
الأهواني : بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٤١٤
« **المسرح والسينما** » : رواية الناصر — تأليف الأستاذ عزيز أباظه ١٤١٤
باشا : بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوي ١٤١٧
« **البريد الأدبي** » : القضاء والعدم أيضاً — مؤلف تاريخ الأوزاعي ١٤١٨
— معرض كتب سنة ١٩٤٧ ... ... ١٤١٩
« **القصص** » : السائح والتمثال — ألدوبالاتزكي : بقلم الأستاذ محمد ١٤٢٠
لطفي جمعة ١٤٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٥٥ — الاثنين ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة
عالم مشتبك! ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ١٣٩٣
التلمود خدع اليهود ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ١٣٩٥
شكيب الشاعر ... ... : الشيخ محمد رجب البيومي ... ١٣٩٧
طرائف من العصر المملوكي ... : الأستاذ محمود رزق سليم ... ١٤٠٠
الأديب والإصلاح الاجتماعي ... : الأستاذ أحمد محمد العظمة ... ١٤٠٢
نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١٤٠٤
« تعقيبات » : الزوج العربية — النصر الأول — نشيد العروبة —
الدكتور ... أحمد أمين ١٤٠٧ ١٤٠٦
« الأدب والفن في أسبوع » : حدث في الفكر الإسلامي — ١٤٠٨
تعقيب — كرسيان آخران في المجمع اللغوي — المسرح الأوربي بعد الحرب ١٤١٠
« الكتب » : رسائل الصاحب بن عباد — صححها وقدم لها الدكتور ١٤١١
عبد الوهاب عزام بك ، والدكتور شوقي ضيف : بقلم الدكتور أحمد فؤاد
الأهواني ... شجرة الدر — تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان : بقلم
الأستاذ العباس خضر ... معاني الفلسفة — تأليف الدكتور أحمد فؤاد
الأهواني : بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٤١٤
« المسرح والسينما » : رواية الناصر — تأليف الأستاذ عزيز أباظه ١٤١٤
باشا : بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوي ١٤١٧
« البريد الأدبي » : القضاء والعدم أيضاً — مؤلف تاريخ الأوزاعي ١٤١٨
— معرض كتب سنة ١٩٤٧ ... ... ١٤١٩
« القصص » : البائع والتمثال — ألدوبالانزكي : بقلم الأستاذ محمد ١٤٢٠
لطفي جمعة ١٤٢١

٢٩٠٤٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 755

Lundi — 22 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
ـــــ
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٦٧ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عالم مشتبـــك

للأستاذ عباس محمود العقاد

تستعد الولايات المتحدة لمعركة الانتخاب التى تسفر عن انتخاب رئيس الجمهورية .

مسألة داخلية بين الأحزاب السياسية فى الولايات المتحدة ، ولوجرت الأمور فى حدود ظواهرها لما كان فى هذه المسألة مايهتم به العالم إلا من قبيل الاستطلاع أو التشاغل فى أوقات الفراغ بأخبار البلاد الخارجية .

وهكذا كان شأن هذه المسألة فى أوائل القرن العشرين ، أو قبيل الحرب العالمية الماضية .

ولـكنها فى هذه المرة تختلف كل الاختلاف من شتى الوجوه .

فقد اتفق أن الولايات المتحدة جمت فيها عشرات الألوف من الصهيونيين الذين يشتركون فى إعطاء الأصوات للرئيس .

واتفق أن هؤلاء الصهيونيين يحتكرون هناك شركات الاعلان ، وأن الصحف هناك لا تعيش بغير أجور الاعلانات ، لأنها تصدر فى عشرات الصفحات ، وقد تصدر أحياناً فى مئات الصفحات التى تزدان بالصور والرسوم فى أيام المواسم والأعياد . فعليها من التكاليف أضعاف ما تدره على أصحابها من الأرباح ، ولـكنها تنهض بتكاليفها وتضمن أرباحها كلما ازداد نصيبها من الاعلانات المأجورة ، أو كلما ازدادت حاجتها إلى شركات الصهيونيين .

اتفق هذا وذاك واتفق معهما أن الانجليز ضاقوا ذرعاً بفتنة الارهابيين فى فلسطين ، وأنهم قصدوا أو أذاعوا أنهم يقصدون التنحى عن وصايتهم على الأرض المقدسة .

فسنحت الفرصة للصهيونيين فى الولايات المتحدة ، ونقلوا معركة فلسطين إلى ميدان الانتخاب فى الولايات المتحدة ، فظفروا بما أرادوه هناك ، وخيل إليهم أنهم قد ظفروا بما أرادوه فى أرض الميعاد ، ولك أن تقول إن الولايات المتحدة هى التى ظفرت بتسخيرهم عن رضى منهم ، على رجاء النجاح فى السيطرة على منافذ الشرق القريب .

كذلك وصل إلى الشرق أثر النزاع بين الأحزاب السياسية فى دولة دستورية .

وقبل بضع عشرة سنة سقطت جميع الأحزاب السياسية فى دولة أوربية ، وقامت الدكتاتورية فى تلك الدولة ، وهى ألمانيا النازية .

فصبت نقمتها على اليهود لأنها اتهمتهم بالتواطؤ على هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الماضية .

وراحت إيطاليا الفاشية تحذو حذوها فى بلادها ، وتشبهت بهما دول أخرى فى أوربة الوسطى ، وتدفق اليهود من كل قطر من تلك الأقطار إلى أرض الميعاد ، أو أرض الوعيد !

كانت قضية الهجرة إلى فلسطين قضية معلقة ، أو مشكلة راكدة لا تفلح المساعى الصهيونية فى تحريكها .

فلما انتشر الحكم الدكتاتورى فى أوربة تحركت المشكلة بعد ركود ، وطغى على فلسطين مد البحر بعد جزره ، وتكسرت

أمامه المسدود أو فتحت له أبوابها وهى طائعة ، لأن أبوابها كانت بأيدى الإنجليز ، وكان الإنجليز فى حاجة إلى جماعة صهيون ، فقابلوهم على أبواب السدود بالإغضاء ، وزادوا على الاغضاء أحياناً فقابلوهم بالتشجيع والترحيب .

ثم دالت دولة النازيين والفاشيين .

وكان خليقاً بالمد أن ينحسر بعد أمان اليهود من بطش الصليب المعقوف ، وبأس « الحزمة » المضمومة .

ولكن اليهود لا يعملون فى غير أسواق .

وليس فى بلاد المهزومين أسواق تصلح للمساومة والاستغلال .

ولو راجت الأسواق فى أوربة لكسدت الصهيونية فى فلسطين ، ولارتد عنها كل صهيونى غيور ولو قيدوه فى مكانه بالسلاسل والأغلال .

كساد أوربة لم يكن نكبة على أهلها وكفى .

ولكنه كان نكبة على أرض عربية لا ذنب لها فى ذلك الكساد ، وكان نكبة على الشرق القريب كله من وراء تلك الأرض العربية ، ويوشك أن يكون فى الغد — أبعده الله — نكبة على العالم بشرقه وغربه ، ومن أدناه إلى أقصاه .

عالم مشتبك الأطراف .

عالم له جهاز عصبى واحد ، وقد كان منذ عهد قريب خمسين أو ستين بنية حية : كل بنية منها لها جهاز لا يضطرب فى مكانه إلا لما يعتريه .

هذه هى العبرة الكبرى من قضية فلسطين ، ومن كل قضية تشبهها فى هذا الزمان .

فأياً كان نظام الحكم فى قارة دانية أو قارة قاصية ، وأياً كان حال الرواج والكساد فى هذا القطر أو فى ذاك ، فالجهاز العصبى واحد ، والطعنة هنا يدمى لها الجسم هناك ، وقد يكون الطاعن فى المغرب هو الطعين فى المشرق إذا دارت الدورة فى مجراها ، وذهبت الأحداث مع جرائرها ، وعمت الطامة الكبرى وهى لا تخص أحداً فى هذا العالم المتشابك الأطراف .

ولقد كان عالم كهذا فى أشد الحاجة إلى السياسة العالمية العادلة ، لأن الظلم فيه حيث كان بلاء مطبق على كل وطن ، وكل إنسان .

لكنه وجد السياسة العالمية ، ولم يجد العدل فيها .

وجدها ناقصة مختلة ، وجدها منحرفة معتسفة ، وجدها خيبة أمل وقد أرادها مناط رجاء ومعقد يقين .

وهنا الحيرة كل الحيرة فى وزن هذا الرجاء .

فأما النكول عن « السياسة العالمية » فليس فى مقدور أحد يعيش اليوم فى هذا العالم ، وربط الحس والحركة بأعصاب ذلك الجهاز المتشعب الدقيق .

وأما الرضا بهذه السياسة العالمية فليس فى مقدور المصاب بها ولا فى طاقة الخاسرين فيها ، ونحن الشرقيين من أولئك الخاسرين .

لكننا نضع السؤال الذى تنقطع به الحيرة حين نقول : هذه هيئات عالمية تتعسف الطريق ، فما الحكم عليها جملة واحدة ؟ هل عدمها خير من وجودها أو وجودها خير من عدمها ؟

وهنا تنقطع الحيرة عند كل موازنة بين النتيجتين المتقابلتين .

فوجود هذه الهيئات العالمية خير من عدمها على كل حال ، لأن أميركا التى تعمل بالأساطيل والجيوش والأموال ، شر من أميركا التى تعمل بالمناورات واصطياد الأصوات ، والتزام المظاهر فى جميع هذه المناورات .

أو قل إن المجتمع الذى تقضى محاكمه أحياناً على البرىء ، وتفرج عن المتعدى ، خير من المجتمع الذى لا محكمة فيه .

وأجدر الأوقات أن نذكر فيه هذه الحقيقة هو الوقت الذى تملكنا فيه حمية الغضب فنسخط على الدنيا وما فيها ، وننسى الشر البعيد بما اشتمل علينا من شر قريب .

إن القوى فى المجتمع يستطيع أن يغلب الضعيف عنوة ويستطيع أن يغلبه بما يملكه من وسائل التأجير والتسخير .

يستطيع أن يضع يده على حقه علانية ، ويستطيع أن يضع حقه عليه ببذل المال للمحامى القدير ، وبذل الرشوة للقاضى المريب ، ودفع الحارس عن درك الحراسة ، وسوق الشهود إلى ساحة القضاء .

لكننا مع هذا كله لا نقول إن السطو علانية كالسطو بالحيلة والمحاولة ، ولا نستطيع أن نقول إن عدم المحاكم ووجودها سواء ، فضلا عن ذهابنا مع الغضب قائلين : إن عدمها خير من وجودها فى كل حال

وتلك هى العبرة التى ينبغى أن نذكرها غاضبين ، لأننا لن ننساها ونحن راضون .

فلتكن عند غيرتنا القوية على حقوقنا ، ولتكن كذلك عند فهمنا الصحيح لما حولنا ، وكل ما حولنا يقول لنا إننا فى عالم متشابك الأطراف ، متعاقد الأعصاب ، لا انفراد فيه ولا انعزال .

ولنقل فى الجماعات العالمية ما نشاء ، إلا أن عدمها ووجودها ســواء .

عباس محمود العقاد

التلمود خدع اليهود

للأستاذ نقولا الحداد

التلمود الذي فسر فيه اليهود التوراة على هواهم خدع اليهود لأنه زرع في عقولهم أن إلههم الذي سموه «يهوه رب الجنود» هو أقوى من سائر الآلهة وأنه اختصهم بعطفه دون سائر الأمم وأقنعهم بأنهم شعبه الخاص، وما لبث أن أفهمهم أن يهوه هو الله رب السموات والأرض. ولكن الله تعالى لا يقيم وزناً لهذه الوظيفة التي وظفه اليهود فيها. بل هو جل جلاله يعتبر جميع بني آدم على الإطلاق عباده ورعاهم بعين عنايته على السواء. ولكن ماذا تفعل بعقلية هؤلاء اليهود الذين يريدون أن يحتكروا الله - أستغفر الله - كما يحتكرون كثيراً من خيرات الأرض ونتاج الأمم!

وكان في قديم الزمان لعهد موسى عليه السلام آلهة أخرى للأمم الأخرى التي كانت أمة إسرائيل الهاربة من مصر تغزوها وتغتصب أملاكها وبيوتها ومواشيها وسائر أشيائها

وكان عندهم أن يهوه أقوى من جميع الآلهة التي يعبدها الكنعانيون والحثيون والجرزيون والفلسطينيون والصيدونيون إلى غير هذه القبائل التي كانت تقطن البلاد المسماة حديثاً فلسطين معتمدين على قوة يهوه رب الجنود كما كانوا يلقبونه باعتبار أنهم شعبه الخاص. فمنذ جاء الإسرائيليون إلى أرض كنعان كانت عقيدتهم أن جميع الأمم الأخرى ليست من عباد الله بل هي والسوائم سواء. ولهذا كان يهوه يبيح لهم أن يغزو تلك الأمم ويسلبوها أشياءها.

ولذلك كانوا طوال وجودهم في أرض كنعان التي كانوا يسمونها أرض الميعاد بدعوى أن الله وعدهم بها كانوا في حروب متوالية مع الأمم إلى أن غزاهم بختنصر ثلاث مرات وفي الثالثة سباهم إلى بابل مملكته. وبعد سبي سبعين سنة أطلق سراحهم كورش ملك فارس الذي فتح بابل، فعادوا إلى بلادهم. وما مكثوا طويلا حتى جعلت تتنازعهم دول الشرق والغرب والشمال والجنوب. فما مكثوا في بعض البقعة المسماة الآن فلسطين أكثر من ٣٢٠ سنة. ومع ذلك بقوا من ذلك العهد إلى اليوم يعتقدون أنهم شعب الله الخاص وأن إلههم يهوه أحل لهم سلب الأمم الأخرى بأية الوسائل حتى بالحرب من غير مبرر، وأنه ينصرهم على أعدائهم. ولكن التاريخ أثبت لهم أن يهوههم لم يكن قوياً كما كانوا يدعون أنه ينصرهم لأنهم كانوا دائماً يغلبون على أمرهم؛ وأخيراً تشتتوا في بلاد الله.

ولكنهم لا يزالون يتمسكون بعقيدة أنهم شعب الله الخاص وأنه أحل لهم (معاذ الله) أن يسلبوا أموال الأمم بأية الوسائل الشريفة وغير الشريفة؛ حتى إذا لم يستطيعوا أن يبتزوها بحرب ابتزوها بالحيل والأحابيل الاقتصادية واللاحقية. وعلى هذه العقيدة بنوا دستورهم الاجتماعي وعلى حسب هذه العقيدة سلكوا.

واستفحلت العقيدة في قلوبهم حتى قام شيوخ منهم ووضعوا لهم دستوراً غريباً عجيباً يسمى بروتوكولا وهو يتيح لهم أن يبذلوا كل جهد في إفساد الأمم الأخرى وقتل الفضيلة فيها تمهيداً لاستغلالها، وعليهم أن يبذلوا حتى الشرف لهذه الغاية. وحاصل القول أن عليهم أن يبذلوا كل عزيز وغال من أخلاقهم في سبيل جمع المال، وأن يتوسلوا بأية الوسائل للقبض على زمام السلطة تذرعاً إلى المال. والمال هو قوتهم الوحيدة. وفيما سواه هم نماج.

فإذا اقتضت الوسيلة أن يكون الواحد منهم مسلماً فليكن إلى حين، كما فعل بعضهم في سلانيك. وإذا اقتضى الواحد منهم أن يكون اشتراكياً فليكن. مع أن الاشتراكية تناقض مبادئهم لأنهم رأسماليون. وإذا اقتضى الأمر أن يكون شيوعياً فلا بأس أن يكون. كل الدروب تؤدي إلى هيكل المال.

فكانت نتيجة هذا السلوك أمرين خطيرين:

أولا أنهم امتلكوا القسم العظيم من ثروات العالم لا بالطرق القانونية الشريفة، وإنما بالاحتيال على النظام والقانون واختراع وسائل الابتزاز المختلفة كالنصيب وتقسيط أثمان السندات ذات النصيب والمقامرة والمراهنة والتأمين إلى غير ذلك من اختراعاتهم التي يحسبها لهم بعض المغفلين ذكاء.

وعلى الرغم من تكلفهم السلوك المستقيم في المعاملات التجارية

وغيرها تنفضح فيهم روح الجشع والطمع والقسوة والعنف فى المعاملات إلى أن صارت هذه الروح غريزة فيهم ولم يعودوا يشعرون فى أنفسهم أن أخلاقهم غير إنسانية بل يستغربون أن ينسب إليهم فقد الإنسانية ، وهم يظنون فى أنفسهم أنهم إنسانيون كسائر الناس ، ولسوء حظهم لا يراهم الناس هكذا .

هذه التربية التى صبغتهم بها التلمود والبروتوكول أفضت إلى الخطر الثانى ، وهو أن حقد عليهم الناس من كل قبيل وطائفة وجنسية. وهم يستغربون هذا الحقد من الناس أينما كانوا وأينما حلوا يتساءلون : لماذا يحقد عليهم الناس هكذا فى كل مصر وعصر؟ لماذا اضطهدهم الروس فى القرون الماضية ؟ لماذا قسا عليهم هتلر فطردهم من ألمانيا وصادر أملاكهم ؟ يستغربون هذا لأنهم يظنون أنهم بشر وأن أخلاقهم أخلاق بشر وقلوبهم قلوب بشر . ولسوء حظهم أنهم ليسوا كذلك لأن فى عقولهم عقيدة أنهم شعب الله الخاص وحيوات الأمم الأخرى حلال لهم . أليس التلمود قد خدعهم وضلهم فأضرهم ؟

وأخيراً كانوا يضطهدون فى أوروبا وكانوا يستغيثون بأهل الرحمة من نصارى أوربا وأميركا ، لأنهم يعلمون أن هؤلاء الأقوام قد تربوا تربية إنسانية بمقتضى تعاليم مسيحهم فيمكنهم أن يستغلوا فيهم هذه الإنسانية المسيحية فجعلوا يستنزفون أموالهم باسم إسعاف المنكوبين اليهود فى أوربا فجمع لهم المسيحيون فى أميركا ١٧٠ مليون دولار . وسئل مرجنتو العضو فى جمعية جمع الإعانات أين تذهب هذه الدولارات ؟ فقال ٤٠ بالمائة منها تذهب إلى فلسطين . فغضب رئيس الجمعية وقال أنا مستعف من الرئاسة لأنى كنت أظن أن هذه الأموال تذهب إلى المشردين من اليهود فى أوربا لا إلى فلسطين حيث يقيم الصهيونيون دولة على البارود .

ولولا وعد بلفور لعطف عليهم المسلمون أيضاً لأن تعاليم نبيهم لا تختلف عن تعاليم المسيح الإنسانية من حيث العطف والرفق والرحمة ؛ ولطالما عطف المسلمون عليهم فى التاريخ الماضى . ألم يعطف المسلمون عليهم بعد كارثة الأندلس فآووهم فى كبريات عواصمهم[(١)]

ومن أعاجيب فلسفة اليهود أنهم يعللون بغض الناس لهم بأنهم أذكياء فيحسدهم الناس على ذكائهم . وكانوا يذيعون هذه الفكرة حتى اليوم إلى أن تلوثت بها عقول بعض الناس من غير جنسهم وصاروا يقولون أن هؤلاء اليهود جمعوا الثروات بذكائهم وأنهم يستحقون هذا التفوق وهذا الفوز فى عالم المال جزاء للذكاء. وبعضهم يقول لك إنهم يستحقون فلسطين لأنهم عمروها إلى غير ذلك من السفسطات السخيفة .

ليس اليهود أذكى من سائر الأمم ، بل يمكنك أن تقول إنهم دون الوسط فى الذكاء . وإنما الفرق بينهم وبين الأمم الأخرى أن ذكاء هذه الأمم مقرون بالأخلاق الإنسانية من محبة وصدق ووداد وإخلاص وعطف ورحمة . وأما ذكاء اليهود فقرون بقلوب صم لا تفهم الانسانية ولا الرحمة . فأولئك يستحرمون المحرم وهؤلاء يحللون المحرم ؛ هؤلاء يثرون كثيراً وأولئك يثرون أقل

فهم متى راموا التبجح بالذكاء ذكروا لك اينشطين وبرجسون وغيرهما ، وأغضوا الطرف عن جايمس جينز وأدينغتون وأناطول فرنس وغيرهم . وإذا ذكروا رتشلد ذكرنا لهم ركفلر وكارنجى وفورد . ولكن ماذا فعل آل رتشلد من المبرات التى عملها هؤلاء ؟ ما سمعنا بمؤسسة خيرية للانسانية أسسها يهود …

ولما استفحل الجشع اليهودى فى أوربا وجعلت أوربا تنبذهم نبذ النواة ولوا وجوههم شطر الشرق وادعوا أن لهم ميراثاً فى فلسطين فلماذا لا يطالبون به ؟ والحقيقة أنهم لا يأتون إلى الشرق لكى يرثوا ميراثاً بل لكى يسهل عليهم الاستيطان فى بلاد أهلها مهملون فيمكنهم أن يثروا فيها بأسهل من أوربا .

فقصدوا إلى الشرق العربى لأنهم استضعفوا أهله ، ولكنهم منذ هذا الأسبوع انقلبت عقيدتهم فى العرب ورأوا أنهم قد ضلوا السبيل ، وأن هذا الصيد دونه أسد الثرى ، وسيعودون من حيث أتوا ، وسيعود ترومان حاميهم إلى الصومعة لأن الشعب الأميركى شرع منذ الآن لا يصدق دعاية الجرائد اليهودية . واليوم قرأنا أن الكونجرس الأميركى سيحقق فى مسألة ضغط ترومان على أعضاء هيئة الأمم .

نقولا الحداد

---

(١) وفى هذه الحرب الفلسطينية عثر العرب على رجل مقعد مفلوج تركه اليهود فى المنزل بلا رأفة ولا رحمة حين هجروا المنزل إلى تل أبيب . فحمله العرب إلى أحد منازلهم وعالوه إلى أن عثروا على وسيلة لارساله إلى قومه مع بعض الانكليز . هذه المأثرة مقابل إحراق اليهود طفله عربية فى السنتين من عمرها .

الذكرى الأولى :

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومي

— ٢ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛
فهما كفتان كلما رجحت الواحدة أشالت الأخرى »

المنفلوطي

كان الجو الأدبي في مبدأ هذا القرن بمصر يبشر بمستقبل بسام تزدهر فيه فنون الأدب ، فهناك مدرستان قويتان للنثر والنظم يتزعم الأولى محمد عبده ويقود الثانية سامي البارودي ، وفي تلامذة المدرستين أشبال فتية تقوى وتشتد بمرور الزمن ، وقد اتخذت من الصحافة ميداناً فسيحاً تتراكض في جهاته ، فتركت وراءها دوياً رناناً جعل الأنظار تتطلع إلى سماء الصحافة المصرية معجبة بأهلتها الجديدة ، تلك التي أخذت تتكامل وتتزايد حتى أمست بدوراً ساطعة تبعث في العقول ضوءها اللماح ، وتنشر في النفوس إشراقها اللامع ، وانظر إلى آثار شوقي والمنفلوطي وحافظ والمويلحي وسائر من تخرج في المدرستين السالفتين ، فإنك واجد ما حدثتك عنه من تألق وسطوع .

ونحن لا نعجب — والحالة كما وصفنا — إذا رأينا الأمير رحمه الله يؤثر الصحافة المصرية بنثره ونظمه ، ويزور وادي النيل بين الفينة والأخرى ، متصلا بأدبائه الذين يفردون معه على دوحة واحدة ، ومن هنا كان أمير البيان ذا صلة قوية بحملة الأقلام في مصر ، يؤثرهم على نفسه ، ويؤثرونه على أنفسهم ، وطالما اشتبك في حوار أدبي عفيف مع عشاق الأدب والمعرفة ، فكان ذا الحجة الدامغة ، والرأي الفاصل .

ونبادر فنعلن أن شكيباً كان يهتم بالنثر أكثر من اهتمامه بالشعر ، لأنه فوق مكانته الأدبية سياسي مجاهد ، له رأي ينفح عنه ، وعقيدة يبثها في أمته ، والسياسيون في حاجة إلى امتشاق القلم كل يوم ، ليعلم الرأي العام ما يدعون إليه ، فلو أنه اتكل على الشعر وحده ، لاستعصى عليه في بعض الأحايين أن يبرز رأيه في وضوح ، فكان لا بد من الاعتصام بالنثر ، حتى يفهم عنه الجمهور ما يريد .

وأنت حين تطالع أشعاره عامة ترى عليها مسحة التسرع والعجلة ، لأنه يترجم عن عواطفه بدون تكلف ، وله من جهاده ما يشغله عن التفكير في معنى غريب أو تشبيه نادر ، كما يصنع عبيد الشعر في كل زمان ومكان ، على أنه مع ذلك مطبوع على التصوير الفني ، والديباجة المشرقة ، واللفظ الموسيقى .

وإذا أردت أن تنظر لشكيب كشاعر متأنق ، فاقرأ مساجلاته مع الشعراء ومعارضاته لأقرانه الأفذاذ ، فهو حينئذ يحرص على أن يكون معهم في درجة واحدة — على رغم فراغهم واشتغاله — فتراه يغوص على المعاني الفائقة ، ويتفنن في التراكيب الممتازة ، ويطير مع الخيال في آفاقه الشاسعة ، وإليك قصيدته :

هل لسان أقواله الإلهام ... وبيان آياته الأحكام ؟

فإنه عارض بها قصيدة شوقي :

رضى المسلمون والإسلام ... فرع عثمان دُمْ فذاك الدوام

فكان شكيب رائعاً مبدعاً ، يسوق معانيه في تسلسل وانسجام ، حتى استطاع أن يوازي أمير الشعراء في دقته وبراعته ، ومن العجيب أنه يتواضع أكثر من اللائق فيقول في قصيدته :

أو أعارض فتى القريض فما عا ... رضَ ورد الحدائق القُلّام

وأحب أن ألفت القراء إلى قصيدة أخرى من هذا النوع ، أنشدها الأمير في حفلة خيرية أقيمت بمصر لمعاونة مجاهدي طرابلس الغرب ، وكان من شعرائها شوقي ومطران وشكيب ، وقد قرأت قصيدة الأمير فوجدته أكثر إبداعاً من غيره ، فقد كان نسجه عباسياً ، وخياله عربياً يحلق بك في أجواء حوّم فيها أبو تمام والمتنبي ، ويريك كيف تكون براعة المطلع وقوة الأداء فهو يقول :

سلا هل لديهم من حديث لقادم ... من الغرب يروى فيه غلة هائم

وهل نظروا من نحو (برقة) موهنا ... فلاح لهم منها بريق الصوارم

تألقُ في ليلىٰ ظلام وقسطل

فتنشئ سحب الدمع من طرف شائم

مواطن إخوان تملوا من الردى ... كؤوساً تساقوها بملء الحلاقم

تهيهم فيها العـدو مهاجماً   فجاء دبيب اللص فى ليل قاتم
ولـيّن فى إقدامه من إهابه   وهل يخدع الإنسان ابن الأراقم

ثم يمضى بعد ذلك فيصف أرانب (رومة) منهكما . ويمدح ضراغم هاشم معجباً وهو فى نظمه يجلجل جاجلة غريبة ، ويأتى بالحـكمة فذة رائعة كأن يقول :

وما طال نوم السيف إلا انتبهت   عيون الدواهى منه عن جفن نائم

وللقارىء أن يحكم بهذه القصيدة على شاعرية الأمير الناضجة وقريحته المتوقدة ، ولعله يتساءل مي أى مستقبل كان ينتظر الأمير فى عالم الشعر لو صرف كل همه إليه كما فعل شوقى وحافظ وأى منزلة يحتلها بين شعراء العربية الخالدين .

وتعجبنى علاقة شكيب بزملائه الشعراء فقد كانت ترضى أصحاب المثل العليا فى الأخلاق ، فهو لا يعجب بقصيدة يطالعها فى الصحف إلا ويسارع إلى تقريظها بما تستحق من ثناء ، ونحن نتلمس الآن هذه الروح الطيبة ، فلا نجدها فى معشر من الناس بل نجد ما يناقضها من الغل والحسد ، ولـكن شكيباً أفلاطونى يقود الناس إلى مدينته الفاضلة فليتهم اتبعوه ! !

ولقد كان يتحمل كثيراً من المصاعب فى نصرة زملائه الأدباء من كتاب وشعراء فقد وقف أمام اليازجى وهو من هو فى زمنه سمعة شهرة ، وصلابة رأى ، ليذب عن شوقى ، ويدفع الحملة التى شنها صاحب الضياء عليه ، وكلها هنات لغوية ، ومآخذ صرفية سطعت عليها شمس شكيب فبددت ضبابها الـكثيف وكان هذا الدفاع المجيد وشيجة قوية ربطت أمير الشعراء بأمير البيان فأصبح صفيه الأول ، وخدينه المختار ، وماذا تقول فى مودة عريقة مكثت أربعين سنة وهى فى كل يوم تنمو وتترعرع حتى خطف الموت شوقياً ، فكتب عنه شكيب سفراً قيما ورثاه بقصيدة جمعت إلى صدق اللوعة وحرارة العاطفة براعة الوصف ودقة التعبير ، فهو يبرز لك شعر شوقى فى صورة لا تنطبق على غيره ، ويرسمه أمامك رسماً تتجلى فيه ملامحه وخصائصه فهو يقول

رقت لنغمته القلوب فكيفما   غنى بها رقصت على نبراته
فترى الطبيعة قبل نظرته لهـا   غير الطبيعة وهى فى مرآته
والحسن يشرق فى العيون بذاته   وهنا يضىء بذاته وصفاته
لو بات يعبث بالشراب أضاف من   كاساته حببا إلى كاساته
أو خاض فى ذكر المذيب تشابهت   أعطاف مستمعيه مع باناته
يلقى على غمرات كل ملمة   قولا يزيل أجاجها بفراته
فإذا تحدث بالربيع ووشيه   أنساك بالتحبير وشى نباته

فأى وصف هنا لا ينطبق على شعر شوقى ، وأى تصور لا يوقفك على خصائص أبياته ؟ الحق أن هذا كلام ينبىء عن مكانة قائله الممتازة فى عالم الفن ، ويدل على الحد الذى وصل إليه رحمه الله فى الجودة والبراعة ، مما يجملك تصدق قول شاعر القطرين فى رثائه

ولى أخو الأفذاذ من شعرائها   فى جاهليتها وفى الإسلام
جارى الفحول فلم يقصر عنهمو   فى حلبة الإفصاح والإفهام
شتان بين الشاعر المطبوع فى   إحكامه واللاقط النظّام

***

ولقد نظم الأمير فى أكثر فنون الشعر من غزل ومديح وسياسة واجتماعيات ، بيد أنه كان سباقاً فى الرثاء والوصف ، وإبداعه فى الرثاء ليس بمستغرب منه فقد كان ذا وفاء نادر لأصحابه وإخوانه فإذا فجعه الدهر فى واحد منهم لجأ إلى القريض يبثه عاطفته ، ويشكو إليه تباريحه . والواقع أن دموعه الشعرية قد بينت لنا كيف يحافظ الصديق المثالى على مودة صديقه ، إذ بقى له أصدق وفاء فى القرب والنزوح ورثاء الأمير لصديقه أمين فكرى يؤكد ما نقوله فهو يقول :

حملت له بين الضلوع أمانة   لو احتملتها الشم ذابت تصدعا
وأصفيته منى إخاء لو انه   أعار الليالى صفوها رقن مشرعا
وما زلت أرعاه على البعد صاحباً   وقبلى لنجم الأفق من قد تطلعا
فإن يك هذا الأفق غرب بدره   فلا ازهرت فيه الـكواكب مطلعا
فكم من يد أضحت تدق بأختها   وكم شفة باتت تجاور إصبعا
أخلفت ثغراً بعد ثغرك باسماً   وطرفا تمنى أن ينام فيهجعا
أنا ديك لا راجى الجواب فقد مضى   ويا لهف نفسى أن أقول فتسمعا
فلو صادحات الأيك يدرين من ثوى   لمـا بتن إلا فى رثائك سجعا

وهو فى مراثيه لا يكتفى بسرد عواطفه بل يتعرض إلى مناقب الفقيد فيجلوها خلابة جذابة فى مرآة شعره ، لا كن يحشد فى مراثيه ما شاء من الأخيلة والتصاوير دون أن تتصل

اتصالا وثيقاً بسمات الفقيد. واقرأ معى رثاءه فى عبد العزيز شاويش فستجد المعنى المطابق والوصف الموافق إذ تراه يقول:

وإذا جررت على الطروس يراعة … بات الصرير براحتيك صليلا
تلك اليراعة ود أكبر قائد … لو أنها فى كفه ليصولا
تتجاوب الآفاق عن أصدائها … ويرتلون فصولها ترتيلا
لا فرق بين السامعين وقد وعوا … ما قلته والشاربين شمولا
تغدو أرق من النسيم فإن عدا … خطب غدوت الصارم المصقولا
ليث متى يزأر لأمة أحمـــد … (ورد الفرات زئيره والنيلا)

أما شعره الوصفى فقد بلغ فيه ذروة الإبداع ولا سيما حين يتحدث عن المعارك الدامية بين المسلمين والغاصبين، وقد يكون من المناسب اليوم أن ينظر القارىء إلى قصيدة الأمير فى آثار (حطين) فلن يجد فيها بيتاً عادياً مع أنها قد تجاوزت المائة والخمسين، وقد استهلها الشاعر بوصف نهر الأردن، مصوراً تعاريجه وتدفقه متفنناً فيما يسميه البديعيون بحسن التعليل، ثم خلص إلى بحيرة طبرية فقال فيها ما لم يخطر للمتنبي — وقد وصفها قبل ذلك — على بال.

وانتقل إلى المعركة الحامية فى حطين بين المسلمين والصليبيين، فتدفق حماسة وخاض حيوية، وقال فى حرارة واندفاع:

كأنما قومنا وقـــد وثبوا … شم حصون لها القنا جدر
كأنما قومنـــا وقد وثبوا … زعازع للحصون تهتصر
ذاق العدا من سلاف طعنهمو … كأساً بغير العنقود تختمر
ضراغم أجفلوا وقد نظروا … حمر المنايا — كأنهم حمر
لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا … وإنمـــا الليث دونه النمر
يوم تلاقى الجمعان وانتصف الميزان رهن انحرافه الظفر
عوقب بالأسر موقن بردى … وجـل ملكاً مع العمى العور

وفى هذه الطويلة وصف رائع لبطولة صلاح الدين، ولا عجب فقد كان الأمير كلفا بشجاعته ومروءته، وله فيه قصيدة أخرى لا يقولها غير متيم بمآثره، معجب ببطولته، ومن فى الدنيا لا يخفض رأسه إجلالا لصلاح الدين؟!

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى قصيدته فى آثار الأندلس فقد كانت دمعة حارة سكبها شكيب على الفردوس المفقود، وليت شعرى ما يقول العربى الأبى فى إرثه الضائع؟ ومجده السليب!

وهل تكون قوافيه غير جمرات مشتعلة تتقد فى النفوس، وزفرات ملتهبة تتصاعد من الصدور؟ على أن أمير البيان قد ملك زمام شاعريته فجاء بالمعنى الرائع والوصف المحكم حين قال فى وصف جامع قرطبة وأعمدته القائمة.

تراها صفوفاً قائمات كأنها … حدائق نصت من جماد مشجر
من العمد الأسنى فكل يتيمة … لها نسب من مقطع متخير
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت … لدى الفرى تهزا بالحديد المعصفر
ولكن لفضل الفن ألقت قيادها … فصال بها الصناع صولة عنتر
فبينا هى الصم الصلاد إذا انثنت … مقاطع جبن أو قوالب سكر
عرائس للتحريم فوق رؤوسها … أكاليل در فى قلائد جوهر

ثم يمضى الشاعر إلى نهاية قصيدته رافلا فى هذا الوشى البديع ولست محتاجاً — بعد ما قدمته من النماذج المختارة من شعر الأمير — إلى أن أنص على أنه كان حريصاً على مقاومة التيار الجديد الذى يبيح للشاعر ما يند عنه الذوق العربى من تهرب من الوزن، وتنصل من القافية، بل إنه ظل طيلة حياته يذب عن القديم بما يملك من بيان، وله فى ذلك أبحاث عديدة يمكنك أن تفهم خلاصتها من قوله التهكمى «ونحن نقول للذين يتكلمون فى القديم والجديد، ويزعمون أن لكل عصر مدرسة على قولهم فى الشعر، إن هذه المدرسة تكون فى العلم وتكون فى الصناعة وتكون فى الزراعة، وتكون فى كل شىء إلا فى الشعر؛ فإن مدرسته هى القلب وطريقته هى النفس، والنفس البشرية لم تتغير ولن تتغير، فهى هى فى أذواقها ومشاربها، وما سمعنا أن الإنجليز زهدوا فى شكسبير لكونه عاش قبل هذه الأيام بثلاثمائة سنة، ولا أن الألمان عابوا جوته لمجيئه قبل اليوم بمائة وخمسين سنة، فكيف نعيب المتقدمين!؟) وفى اعتقادى أن كلام الأمير جدير بالتأمل والانتباه، حتى يظهر الصبح لذى عينين.

أى نجم هوى بفقدك يا أمير البيان! وأى أمل تحطم حين ودعتك العروبة باكية إلى مقرك الأخير! وأى أرج عاطر يفوح من ضريحك الحبيب.؟!

سلام على القبر الذى ضم أعظما … تطوف المعالى حولها فتسلم

محمد رجب البيومي
كلية اللغة العربية

٣ – طرائف من العصر المملوكي :

ابن الوردي والخمـــــول

للأستاذ محمود رزق سليم

ما هي العوامل التي دفعت ابن الوردي دفعاً إلى أحضان الخمول فارتضاه لنفسه مذهباً وممتنقاً يجد فيه لذاذة وسعادة ؟ . . إن من كان في مثل فضله وعلمه ، من حقه على الدنيا أن تنبه شأنه ، وتسعى إليه ، وترفه عنه ، وتنوه به ، وتيسر له . فهل أبلغت الدنيا ابن الوردي آماله ، وأفسحت له سبيل المال والجاه ؟ كلا .. لقد روى أنه دخل الشام مرة ، وفقره باد في رثاثة هيئته ورداءة منظره ، فحضر مجلس القاضي نجم الدين بن صصرى من جلة شهوده . فاستخفوا به وأجلسوه منهم مجلساً بعيداً : ثم أرادوا كتابة مبايعة مِلك . فقال بعض الحاضرين مشيراً إلى ابن الوردي « أعطوا المعرى يكتب المبايعة » ، على سبيل الاستهزاء به . فقال ابن الوردي : « أكتبه لكم نظماً أم نثراً » فزاد استهزاؤهم وقالوا « بل نظما » فأملى لساعته نظما لطيفاً ذكر فيه اسم البائع والمشترى وحدود المبيع والشهود والتاريخ وما إلى ذلك . فأقبل القوم عليه معتذرين ، وقد عرفوا مكانته .

فنكران المنزلة وضيق الرزق وقلة الجاه في مقدمة أسباب خموله .

وقد كان ابن الوردي — فضلا عن علمه وأدبه — ذا نفس أبية تربأ به عن مواطن الذل ، وتنأى به عن مهاوي الخضوع ولو حرم في سبيل ذلك ما يشتاق إليه من المجد : يقول :

وما جهلت نفسي المعالي وطيبها ... ولكن رأت أن السلامة أطيب
أصون الذي علمته عن مـذلة ... فللعز في الدارين قد كنت أتعب
ورحت خفيف الظل عن حمل منة ... لفتضح بالمكر وهو محجب

ويقول :

ولو شئت فقت الكل حرصاً وجرأة ... وأرضي بجمعي وارثي وأعصـب
أأكثر أموالا وأحمل ثقلها ... وأتركها للوارثين وأذهب
على الله رزق الوارثين وغـيرهم ... فبعدا لشخص من سوى الله يطلب

وقد كان ابن الوردي — إلى جانب ذلك كله — ذا أسرة ضخمة ، فقد ترك له أبوه جلة من الأشقاء ، ورزقه الله عدة من البنات . وهذه حالة تتطلب السعي الدائم ، والكد والمجالدة ، وبذل الحيلة . ولكن إباء نفسه لم يدع له وسيلة إلى الخضوع في سبيل الحصول على الرزق . فهو لا يحني رأساً لرئيس ، ولا يقارف عملا يتنافى مع كرامته ، ولا يبذل ماء وجهه لقاء عرض الدنيا . يقول :

واكتساب الغنى بنظم ونثر ... فيه نقص للفاضل المشهور
أنا لفظي در النحور ومثلي ... لم يبع بالحطام در النحور
إن فقر النفوس ذل وشـين ... وغنى النفس عز كل فقير

ولا يسعى إلى منصب القضاء برشوة — وقد كانت ذائعة في عصره — بل عف عن المنصب جملة لما رأى فيه رقا لنفس الحر . فيقول بعد أن طلق القضاء :

ألرجم بعد العتق في الرق ثانياً ... فلا أم لي إن كان ذاك ولا أب

ولقد كان ابن الوردي — كما ذكرنا — قاضياً على حلب نائباً في قضائها عن قاضي القضاة الكمال بن الزملكاني وكان ابن الوردي قد مدحه بقصيدة طلية لأنه استنقذ كنيسة من اليهود بحلب وجعلها مدرسة للحديث . فقال له :

علا لك ذكر ليس يشبهه ذكر ... وأحرزت فخراً ليس يدركه فخر

ثم أرسل إليه ابن الزملكاني رسولا يطالبه بنقله إلى منبج . فلم يسترح إلى النقل ، وألح في العودة إلى حلب ، فلم يستمع له ابن الزملكاني . فانقلب ابن الوردي هاجياً شاكياً ، وكانت هذه الحادثة السبب المباشر في أنه كره المناصب وحياة الوظيفة ، ولجأ إلى الخمول يستعيض بالاطمئنان إليه ما فقده من جاه ورزق . قال مخاطباً ابن الزملكاني :

فعنـدما قال الذي قاله ... رسولكم أوضح ما أعضلا
وبان لي ما يقصد الدهر لي ... لكن رأيت الصبر بي أجملا
وانقطع البحث وزال المرا ... فقدموا الناقص والأجهلا
تالله لا باشرت من بعدها ... حكما ومن يرضى بهذا البلا

فضل ابن الوردي من ذلك الحين حياة الخمول على حياة

الكفاح . وارتضى عيش العزلة على المخالطة . ونشد السلو بين كتبه ودفاتره ، والعزاء بين أقلامه ومحابره ، وراح يرفل فى ثوب من الخمول ، كأنه يرفل فى ثوب من النعيم . وأمعن فى خموله واستمرأه حتى أصبح حبيباً إليه أثيراً عنده . راضياً بيأسه . قال :

قالوا تركت الحكم قلت تركته واعتضت عن خضر القضا باليأس
قتل الأنام على الحطام نفوسهم فصفعت دنياهم بألف مداس

وقد استقر فى نفسه أن الخمول هو نصيبه الحق من الحياة . لأنه قل أن يجتمع الحظ الحسن مع الذكاء . ويندر أن يلتئم الجاه الواسع مع البروز فى العلم والأدب . فذكاء المرء محسوب عليه . وخير لطالب الجاه أن يدع سبيل العلم والأدب ويخليها لغيره . قال :

لا تحرصن على فضل ولا أدب فقد يضر الفتى علم وتحقيق
ولا تعد من العقال بينهم فإن كل قليل العقل مرزوق
والحظ أنفع من خط تزوقه فما يفيد قليل الحظ تزويق
والعلم يحسب من رزق الفتى وله بكل متسع فى الفضل تضييق
أهل الفضائل والآداب قد كسدوا
والجاهلون فقد قامت لهم سوق
والناس أعداء من سارت فضائله وإن تعمق قالوا عنه زنديق

وقد بدا لنا من هذه الأبيات عقيدته فى الحظ ، وقد رددها فى أبيات متعددة فقال منها :

لى نفس تقية لم يعبها غير حظى وذا بغير اختيارى
جامع الحظ والذكاء قليل يصعب الجمع بين ماء ونار

غير أن هذه العقيدة لا يصاحبها الرضا بل السخط ، ولا يخالطها الاطمئنان بل المرارة والحسرة . ألا تراه يقول :

إن لمت حظى فلا تلمنى فإن لوى له بحق
للضد رزق بلا حساب ولى حساب بغير رزق

ويقول :

شتان يا ابن فلان تماستى وسمودك
أنا يدوّد قزى وأنت قزز دودك

وما دام أمر الحظ كذلك فلا داعى للسعى وليعش المرء ناعماً فى خموله ، لا عمل ولا نصب ، ولا كد ولا أدب ، ولا سيما بعد أن كافح ونافح ، ودرب وجرب ، فلم يظفر من وراء ذلك بشيء : قال :

ما طلبنا الخمول جهلا ولكن ذاك عن خبرة وعن تجريب
لو أمنا الزحام فيه لكنا نشتهيه لصاحب وحبيب . . .

ويبالغ ابن الوردى فيأسف على ما فات من الزمن فى غير الخمول ، كأنما فاته شيء من العز والجادة فيقول :

أسفى ! كيف كنت أطلب عزاً بالولايات وهى عين الهوان
كنت لا أعرف الخمول لجهلى ليتنى كنت خاملا من زمان

وقد أطلق له خموله حرية القول وفتح أمامه فجاج الحديث . ففخر بنفسه ليدل الناس على مفاخره ، ونقد مجتمعه ليبين لأفراده ضروب الفساد فيهم ، وجأر بالشكوى مما أصابه لعله يجد فيهم حميماً . وما كان خموله إلا شكوى صامتة واحتجاجاً سلبياً على حرمانه . فقنع ولكنها القناعة المرة . وقال :

أهملنى قوم وكم فاضل يود أن ينظرنى فى المنام

ثم يقول :

قنعت والقنع يعز الفتى لما رأيت الحرص ذل الكرام

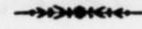
على أننا نعود إلى تساؤلنا ونقول : هل كان ابن الوردى خاملا ؟ وهل نال من وراء خموله ما يشتهى من الخمول الحق ؟ كلا . . . فإن بعد عن الناس ببدنه فقد قرب إليهم بفكره ، وإن اعتزلهم بجسده فقد عاشرهم بشعره . ونال من وراء انجماعه عنهم ما يكون كامناً فى نفسه من أمل الشهرة والذيوع*. وإن حرم الرزق والجاه . وقد مات ابن الوردى ولا يزال شعره يردد ، وذكره يجدد ، وعاش ومات فى النابهين الخالدين . وكان من الشعراء القلائل الذين تركوا للناس مبادىء ومذاهب عاشوا بها ودعوا إليها .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

(هامش) توفى ابن الوردى فى عام ٧٤٩ هـ .

الأديب والإصلاح الاجتماعي

للأستاذ أحمد محمد العظمة



لا مشاحة أن للأديب تأثيراً قوياً في النفوس والأفكار والعواطف والأخيلة، وأن له أثراً جلياً في حياة الأفراد والجماعات، وأن النهضة الأدبية كثيراً ما تمهد للنهضة السياسية والاجتماعية والدينية، وفي تاريخ الثورة الإسلامية والثورة الفرنسية مثلا مصداق ما نقول. ولا بدع فالأديب إذا بكا قلبه مثلا بكا راءه، وإذا ثارت نفسه ثار أسلوبه، فكأنما هو يكتب بمداد من الدماء يكفي أن يبصره الناس حتى يهيج دماءهم ويخف بها إلى ما يريد منها، وكأنما هو يخطب بأصوات من روحه لا من لسانه حسب الناس أن يسمعوها حتى تتصل بأرواحهم فتعمل فيها عمل العاصفة حيناً ثم تقذف بها حيث تريد (كجلمود صخر حطه السيل من عل). وهذا من أسرار تلك الكهربية الأدبية التي تعمل عملها في جوها الروحاني فلا يبلغ مبلغها إلاهيه. فليس الأديب إذن أديب الألفاظ الأصيلة ولا الأفكار الوزينة ولكن أديب الفن، والفن رعشة روحانية تصطفي ما تشاء ثم توحي به نغما أو رسما أو كلما تفكيراً أو عاطفة أو خيالا.

إذا كان للأديب هذا الأثر فتعالوا نتساءل عن مبلغ اهتمام معظم أدبائنا بنا وتأثيرهم الاجتماعي التقدمي فينا.

في ظني أن الجواب يحمل دون ما ينتظر من أكثرهم، فقد جروا مع الزمان كما أراد كأنهم ليس لهم في الإصلاح من مراد، إنهم يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بأوطانهم فلم يكونوا فاعليين بالهام الواجب، بل كانوا ظاهريين انفعاليين بعامل البيئة، ينظرون إلى ألوان الأشياء والحوادث وأشكالها ولا يتأملون في حقائقها ومآلها، كأنهم يهدفون إلى الجمال الظاهري الآني وحده ويجرون في ذلك وراء غيرهم جنوداً ولا يجرون في الطليعة قواداً، رأوا الناس استساغوا منهلا فنهلوا منه وعلوا، فبضاعتهم من الرأي تقليدية مخادعة لا ذاتية تأملية، وقد تكون هذه البضاعة من البهرج الدخيل في الأمة لا الجوهر الأصيل فيها، وقد يكمن فيها استعمار فكري أو انهيار خلقي أو إنذار سياسي، وقد تعقبها الواقعة فلا تجد الأمة لوقعتها دافعة.

غفل الناس عن ذلك كله فغفل الأدباء مثلهم أو تغافلوا فلم يكرثهم أمرهم ليروه حقيقاً بالاعتداد به والاحتفال له، وقد يكون من أسباب ذلك ظنهم أن الأدب ألهية الحياة فلم يجعلوه جهيراً للخير وبوقاً لليقظة وقد يتذممون منه إن رأوه كذلك في عيش يتغنونه رقيق الحواشي لا يعرف إلا هزلا.

وقد يلتمس بعضهم المذر لبعض وهو يراه على خطأ في الرأي وصدق في العاطفة الجامحة بأنه أديب والأديب مرآة يتراءى فيها كل ما يتجلى لها فليس في تبديل ما يعرض له يدان، وما ذلك بعذر لو كانوا ينصفون: فالأديب مرآة ولكنها عاقلة، يصحب تشهيها وتلهيها إيمانها وتفكيرها وثقافتها وإرادتها وغايتها، فليست مكرهة على أن تسف وتسخف، بل ينبغي أن تصطفي مما يعرض لها، وأن توجه الحوادث توجيهاً وتؤلف منها مظهراً جميلا لقصد رفيع تريغه، كما يؤلف الكيمائي من مختلف العناصر جسما لم يكن وهو يريده، وبذلك يثبت الأديب انفعاله بتأثير بيئته وعوامله الذاتية إثباتاً دفاعياً لا انخذالياً، كما ترى ذلك مثلا في العبرات للمنفلوطي ووحي القلم للرافعي.

أنا لست غافلا عما يؤلف في الإصلاح الاجتماعي، ولكني لست أعني الآن العلماء الباحثين والكتاب الصحفيين، إنما أعني الأدباء أولى الرعشات الروحانية الذين مهدت بالحديث عنهم، فما أقلهم وإن كثرت الكتب والصحف، وما أقل منهم حملة المصابيح في دياجير الحياة الذين يصدر أدبهم حيوياً تغذوه عقيدة راسخة وثقافة جامعة ناضجة فلا يستعبدهم هواهم ولا يستبدبهم ولا يسخرهم تقاليدهم ولا يسخر بهم. فأين أين ذاك الماء الزلال الذي يفيض عن معينه الثر الذي لا يعتكر، ويصدر معينه عن السماء تمده بطلها وإن كان هو في الأرض؟

إن الأدب العربي لا يتعذر الإصلاح عليه فهو يستطيع أن يحيط خبراً بما بين الناس وأن يجتذب ما يحتاجون إليه مما يقوم حياتهم ويدرأ عنهم ما يتهددهم من الآفات الاجتماعية التي انسلت إليهم من سواهم ثم تفشت فيهم وجعلتهم يتداعكون وهم بين أعداء لها يحذرونها وأنصار يفخرون بها ويحضون عليها، حتى لكأن أبا العتاهية يصدق فينا قوله:

إنا لفي زمن ملآن من فتن   فلا يعاب به ملآن من فرق

يستبين من هذا كله أن على الأدب العربى اليوم أن يجعل حظه عظيما من بحوث الأخلاق والاجتماع وما إليها ، حتى لا يلتبس عليه الحق بالباطل والشراب الآجل بالسراب العاجل ، فيأخذ نفسه بما صح عنده من أحكام ، وما كرم من أخلاق وما سما من مقاصد ، ويدعو لذلك غير متريث ولا متهيب ، وقد يدعو هذا إلى شيء من المطاولة والتروى والمصاولة ، فلا ضير ، بل يجب أن يكون كذلك حتى يكون الأدب أو بعض الأدب عميقاً معه برهانه فلا يتهلهل عند النظر ولا يضمحل إزاء الحجة ، ولا يتمهل أمام الواجب .

إن المعركة الخلقية والاجتماعية اليوم من الخطورة بمكان ، فهى عند مفترق الطرق ، وهى معركة مبادىء تتصاول ليذهب زبدها جفاء ، ويمكث حقها فى الأرض بعد ثبات أهله وصبرهم وجلادهم وحكمة قيادتهم .

إنها لمعركة مبـادىء تبقى بعد الأمة العربية عربية تهتز بتاريخها المجيد ، أو تغدو غربية تعتز بتاريخ من ليس لهم للحق تاريخ إلا من صفحات العدوان على حق خنقوه ودم سفكوه ومجتمع أضلوه . وإن وراء الحق عقيدة صادقة ، وخلقاً كريماً ، وعزة ، وضياء ، وإن وراء الباطل تحللا ، وسفهاً ، وذلة وعماء ، وما يبدى الباطل وما يعيد .

فمن غير الأديب العربى الحى الأنف يطارحنا بلحنه الأخاذ فيهز القلوب والمشاعر والأفكار ، بل يهز الأرواح هزاً منبهاً إلى السبيل السوى الذى يجد أهله بعده عزمهم وهداهم ونماهم فلا يضلون فى مهامه المذاهب الاجتماعية الكثيرة التى لا يكاد يتبين فيها السارى وضح الطريق ، وإنما يخشى ما فيها من متفجرات تدك بنيان النهضة من القواعد دكا ، ولا تلبث ذويه حتى يعودوا إلى أنفسهم نادمين فينشئوا الحياة ويبنوا المجد كبناء الأبوة الأمجاد .

إن الأمر حقيقة وجد وما هو بخيال وهزل ، فما أحرى الغيُر على يوم الأمة وغيرها أن يفكروا فى هذا الضرب من الأدب والأدباء ، ولعل من الخير أن يدعوا إلى مؤتمر أدبى علمى عربى يجتمع مؤتمروه فى إحدى عواصمنا كل عام ، فتعرض فيه مشكلاتنا الأخلاقية وآفاتنا الاجتماعية ويوجه نحوها الضياء ، ويوصف لها الدواء ، فيقوى الرجاء بأن العرب يسـيرون قدماً إلى الأمام ودائماً إلى الأمام بعد أن صدروا عن عكاظهم الجديد عكاظ الخير والأدب والوطن العربى الكبير .

دمشق **أحمد مظهر العظمة**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٣٣ — أمثال . . .

مجمع الأمثال للميداني :

لولا جلادى غُنم تلادى(١) .

لا بلاد لمن لا تلاد له(٢) .

الروم إذا لم تُغز غزت(٣) .

لا يفل الحديد إلا الحديد .

الشجاع موقّى(٤) .

٩٣٤ — أصيب زوجها وأخوها وأبوها

تاريخ الطبرى : مرّ رسول الله (صلوات الله عليه) بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بأحد ، فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل(٥) .

٩٣٥ — الجنة تحت البارقة

الفائق للزمخشرى : عمار : (الجنة تحت البارقة) هى السيوف لبريقها وهذا كقولهم : الجنة تحت ظلال السيوف .

وفيه : قال أبو هريرة يوم اليرموك : تزينوا للحور العين وجوار ربكم فى جنات النعيم ، فما رئى موطن أكثر قحفاً(١) ساقطاً وكفا طائحة من ذلك اليوم .

فى الفتوحات المكية : قال بعضهم فى حق المجاهدين :

لأبواب عدن مفتحات والحور منهن مشرفات

فاستبقوا أيما استباق وبادروا أيها الغزاة

فبين أيديكم جنان فيها حسان منعمات

يقلن والخيل سابقات مهورنا الصبر والثبات

٩٣٦ — نحن والله أهل الحرب

طبقات ابن سعد : قال عبد الله بن عمرو : نحن (والله) أهل الحرب غذينابها ، ومرنا عليها ، وورثناها عن آبائنا كابراً فكابراً. نرمى بالنبل حتى تفنى ، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر الرماح ؛ ثم نمشى بالسيوف فنضاربها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا .

٩٣٧ — . . . إلا بحيث ترى المنايا سودا

أبو تمام :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا(٢)

٩٣٨ — . . . فعليكم بالجهاد

كان خالد يقول : ما من ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أنا لها محب وأبشر منها بغلام — أحب إلى من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد فى سرية أصبح فيها العدو ، فعليكم بالجهاد .

وفى كتاب فتوح الشام للازدى : ثم إن خالداً سار فى الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول : يا أهل الإسلام ، إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر تنصرون ؛ فإن الصابرين هم الأعلون ، وإنه إلى الفشل ما يحور(٣) المبطل ، وإن المحق لا يفشل .

---

(١) الميدانى : لولا مدافعتى عن مالى سلب وأخذ

(٢) لا يقدر الفقير أن يقيم ببلاده وارضه لفقره بل يحتاج أن يرحل عنها (الميدانى) .

(٣) الميدانى : يعنى أن العدو إذا لم يقهر رام القهر ، وفى هذا حض على قهر العدو .

(٤) الميدانى : وذلك أنه قل من يرغب فى مبارزته خوفا على نفسه وهذا كما يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة . قلت : ومن أقوالهم : كم منية علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت . ومن كلام على (رضى الله عنه) النجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم (تلوم فى الأمر) تمكث فيه وانتظر .

(٥) الأساس : وهذا شىء جلل أى هين ، قال : الا كل شىء سواه جلل .

---

(١) الزمخشرى : القحف هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة .

(٢) المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(٣) الأساس : دعى إلى القتال ففشل أى جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أى نكل عنه ولم يمضه ، وفى التاج : الحور: الرجوع عن الشىء وإلى الشىء .

٩٣٩ — . . . عن أحسابكم ذودوا

عمرو القنا :

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا
من غمرة الموت فى حوماتها : عودوا
عادوا ، فعادوا كراماً لا تنابلة
عند اللقاء ولا رعش رعاديد
لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم
محرض الموت عن أحسابكم : ذودوا

٩٤٠ — لكنه الله يعرفهم

الخراج لأبى يوسف : حدثنى إسماعيل عن قيس عن مدرك ابن عوف الأحمسى . قال : بينا أنا عند عمر إذ أتاه رسول النعمان ابن مقرن فجعل عمر يسأله عن الناس ، فجعل الرجل يذكر من أصيب من الناس بنهاوند فيقول : فلان بن فلان وفلان بن فلان ، ثم قال الرسول : وآخرون لا نعرفهم ، فقال عمر : لكن الله يعرفهم .

وفيه : حدثنى مسعر عن سعد بن إبراهيم : مروا على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا) . فقال له رجل من أنت يا عبد الله ؟ فقال : رجل من الأنصار .

٩٤١ — كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

عمرو بن براقة الهمدانى(١) :

كذبتم (وبيت الله) لا تأخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

٩٤٢ — لعل الله يرزقنى الشهادة

طبقات ابن سعد : عن عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت

(١) وينسب لمالك بن حريم

أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يتوارى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال أخاف أن يرانى رسول الله فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله ، فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى عمير ، فأجازه رسول الله . قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر .

٩٤٣ — أحق من لم يكره المنية

ابن جؤجؤة الأعرجى :

أحق من لم يكره المنية
حزورٌ ليست له ذرية(١)

٩٤٤ — نساؤهم كرجالهم

طبقات ابن سعد : قال محمد بن عمر : شهدت أم عمارة ابن كعب أحداً مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها ، وخرجت معهم بشن لها فى أول النهار تريد أن تسقى الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسناً . وجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

***

قتلت أم حكيم يومئذ (يوم مرج الصفر) سبعة بعمود الفسطاط الذى بات فيه خالد بن سعيد العاص معرساً بها ، وكانت وقعة مرج الصفر فى المحرم سنة أربع عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب .

٩٤٥ — . . . فأنا أرابط حتى أموت

قال أبو فضالة الأنصارى : اصطحبت أنا وسهيل بن عمر ابن عبد شمس ليالى أغزانا أبو بكر الصديق فسمعت سهيلا يقول : سمعت رسول الله يقول : مقام أحدكم فى سبيل الله ساعة خير من عمله عمره فى أهله ، قال سهيل : فأنا أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً .

(١) التاج : يقال للغلام إذا راهق ولم يدرك بعد حزور ، وإذا أدرك وقوى واشتد فهو حزور أيضاً .

تعقيبات

الروح العربية :

لقد نديت عينى بالدمع ، وأحسست بقلبى كأنه يريد أن يثب من بين جوانحى وثباً وأنا أستمع لزعمــاء العرب وقادتهم وهم يتحدثون فى اجتماعهم الأول بوزارة الخارجية المصرية عن العمل لإنقاذ فلسطين وصيانة ذلك الوطن المقدس من طغيان الصهيونيين والإستماريين ...

قال لى سماحة الحاج أمين الحسينى : لقد حان وقت العمل ، ولا بد أن يلعب السيف دوره ، وإذا تكلم السيف فاسكت أيها القلم ... وسننتصر ... ولا بد أن ننتصر ... وإن ينصركم الله فلا غالب لــكم ...

وقال لى سعادة الأستاذ عبــد الرحمن عزام باشا : حتى أنت تريد منى أن أتكلم! إننا فى ميدان العمل ، وإنها لــكرامة العرب قاطبة ، وإنه لــكيان العروبة فى سائر أقطارها وأنصارها ، وإنه لتراث الآباء والأجداد نحمله أمانة بين أيدينا ، وإن دماءنا لأقل ما يبذل فى سبيل هذا كله ...

لم أكن أسمع كلاماً ، ولــكننى كنت أرى نفوساً تتوثب بالإباء فى قوة وعزيمة ، وقلوباً تتدفق بالحياة فى إصرار وحزم ، وعواطف ثائرة متأججة كأنها زفير الجحيم على الظلم والطغيان ، فأيقنت أن الروح العربية لا تزال بخير والحمد لله ، وأن العرب لن يضاموا ما دامت فيهم هذه الروح التى ورثوها عن آبائهم الصيد ، وأجدادهم الصناديد ، وأن فلسطين لن تذل ما دامت تحميها هذه الروح وتصونها من تناوش الذئاب .

لن يسرق العرب تحت عين الشمس مرة أخرى ، ولن تذهب فلسطين فريسة فى سوق السماسرة والتجار ، ولن تنحنى هاماتنا بعد اليوم أمام التهديد الغاشم والوعيد الظالم ، فقد تيقظ العرب ، وإذا تيقظ العرب ، فالويل ثم الويل للاستعمار وصنائع الاستعمار !

إننى وحدى أنفرد من بين أبناء العربية فأحمــد لهيئة الأمم قرارها ، وأزجى الشكر أضعافاً إلى الأمم التى أيدت قرار التقسيم ، لأنها بهــذا نادت على العرب أن يتيقظوا ، وأثارت فيهم روحاً كان يهدئ من ثائرتها ما طبعوا عليه من كرم وإنسانية ، وجعلتهم يواجهون الحقيقة حتى لا تعصف بهم الخديعة على غرة ، والأمر كما قال شوقى شاعر العرب :

وكم فى طريق الشر خير ونعمة وكم فى طريق الطيبات شرور

النصر الأول :

إنى أرى التاريخ يعيد نفسه اليوم !

فقد حدث من قبل أن طغى كسرى وبغى ، وصرع النعمان ابن المنذر شر مصرع ، ثم أرسل إلى هانىء بن قبيصة يطلب منه ما استودعه النعمان من الدروع والرماح ، حتى ابنته أيضاً ، فأبى هانىء عليه ذلك وفاء بحق العرب ، فأسرها كسرى فى نفسه ، وحشد على العرب زحفاً من جيوشه يسد عين الشمس ، وحسب أنه ساحقهم لا محالة ، وعلم بذلك الشاعر الأيادى لقيط بن معمر الذى كان يتــولى الكتابة فى ديوان كسرى ، ففزع لقومه ، وأرسل إليهم بهذه الصيحة التاريخية يقول :

ياأيها الراكب المزجى مطيته إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلـــل من سراتهم
إنى أرى الرأى — إن لم أعص — قد نصعا
إنى أراكم وأرضــاً تعجبون بها
مثــل السـفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخافون قوماً لا أبالــكم أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا
ياقوم إن لــكم من إرث أولــكم مجداً قد اشفقت أن يفنى وينقطعا
ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيُراً على نسائــكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذى يجتث أصلــكم فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلــكم ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقـــلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

ولقد استجاب العرب لهذه الصيحة ، واندفعوا على صداها يذودون عن شرفهم وحرماتهم ، ووقف هانىء بن مسعود على

جموع العرب يخطب خطبته المأثورة : يامعشر بكر! هالك معذور، خير من ناج فرور ، إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد ، فما من الموت بد !

وهب العرب أنفسهم للموت فى سبيل الشرف والكرامة ، فكتب الله لهم النصر والحياة ، ومكن لهم من الفرس وقهر الطغيان ، وبلغ الأمر إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان قد بعث ، فقال : «اليوم أول يوم انتصف فيه العرب لأنفسهم من العجم ، وبى نصروا » !

وابتدأ التاريخ من يومذاك يكتب للعرب صفحات مشرقة حافلة بالنصر بعد النصر على العجم ، وما زالوا حتى أورثهم الله أرضهم وديارهم !

ذلك ما كان من تاريخ النصر الأول للعرب ، حفز إليه طغيان كسرى ، وإن العرب اليوم ليمشون إلى النصر الخالد يحفزهم إليه قرار تلك الهيئة فى جانب الظلم والبهتان ، ويعلم الله أننا ما كنا نبغى العدوان ، ولكن الأمر كما قال أبو الطيب شاعر العربية :

غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

نشيد العروبة :

والآن ، وأبناء العروبة يمشون إلى ميدان الجهاد ، ويتحفزون للتضحية والفداء ، والشباب الفتىّ فى القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وعمان وفلسطين وسائر الأقطار العربية يستفزهم الغضب لكرامتهم والذود عن كيانهم ، ألا يجدر أن يكون لهم نشيد واحد يهتفون به لفلسطين ، ويكون حداؤهم المؤتلف فى مواكب الجهاد ضد الغاصبين ! ؟

أجل ، إنه لواجب أن ننحى أناشيدنا المحلية اليوم جانباً ، وأن يكون لنا اليوم « نشيد العروبة » يهتف به كل لسان ، ويفيض به كل وجدان ... فلعل شعراءنا ينسون أحاديث الغزل والهيام ، وينحدرون من أبراجهم العاجية إلى مواكب المجاهدين بأشعارهم وأناشيدهم !

إن الشاعر الذى سيكتب « نشيد العروبة » فى هذه الآونة الحاسمة ، سيكتب لا شك لنفسه الخلود . فيا ترى من هو الشاعر الذى سيكون لذلك الموقف ، ولذلك اليوم ؟ !

الدكتور . . . أحمد أمين :

حدثنى الثقة أن الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى كلية الآداب قد اجتمعوا فيما بينهم وقر رأيهم على أن يتقدموا إلى مجلس الجامعة بمنح الأستاذ أحمد أمين بك درجة الدكتوراه الفخرية تقديراً لعلمه ولجهوده فى خدمة الحياة الثقافية والعلمية .

والأستاذ أحمد أمين بك رجل أخذ حظه ومكانته ، فلن ترفع من قيمته دكتوراه فخرية ، ولا يغض من مكانته عدم حمله لهذا اللقب الذى يحسبه بعض الناس كل شىء فى العلم والمكانة ، وكم بيننا من « دكاترة » ليس لهم من أثر ومن صلة بالعلم إلا حمل هذا اللقب الضخم ، ولكنى أكبر هذا الوفاء من رجال كلية الآداب وأحمد لهم هذا التقدير الذى هو تقدير للعلم فى ذاته ، وإكبار له فى شخص رجل بذل فى سبيل العلم نور البصر ، وضحى بحياة الرفاهية والتقلب فى أعطاف الراحة .

أجل ، لقد وقف الأستاذ أحمد أمين حياته على خدمة العلم ، وقدم للمكتبة العربية تراثاً ضخماً من البحث والدرس يستحق به كل تقدير ، وسيمتد هذا التقدير فى نفوس الأجيال المتعاقبة ، ما دامت الثقافة العربية زاهرة مشرقة . أقول هذا ولعل القراء يذكرون أنى هجمت على هذا الأستاذ الفاضل منذ قريب فى الرسالة لرأى أبداه ولمست فيه شيئاً من الإسراف ، وحسب أستاذنا صاحب « الرسالة » أنى أجحد فضل هذا الرجل ... كلا ! ولكنى أفصل دائماً بين الرأى وصاحبه ، وإن خطأ من الأخطاء لا يحملنى على أن أجحد ما هناك من حسنات ، خاصة وليس فى نفسى شىء من أحد والحمد لله . وقد كنت فى دروسى آخذ بتلابيب أساتذتى ولكنى كنت أجلهم وأحبهم حبى لوالدى ، وما زالت هذه صلتى بهم . فلا عجب أن اغتبطت بهذا الخبر ، وأكبرت هذا التقدير لذلك الأستاذ الجليل ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

حدث في الفكر الإسلامي :

نشرت مجلة الثقافة[1] بحثاً كبيراً في مسألة تعدد الزوجات لمعالي الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا ، ذهب فيه إلى أن تعدد الزوجات إلى أربع غير قائم على سند من القرآن صالح لقيامه عليه ، وأنه بمقارنة بعض الآيات ببعض يظهر أن الأصل تحريم التعدد ، وقد وصل معاليه إلى هذه النتيجة من طريق تفهم الآيات القرآنية وتذوق بلاغتها ، فجاء بحثه تشريعياً أدبياً قيماً خطيراً ، قيمته في البراعة في معالجة الموضوع ، وخطره فيما انتهى إليه من الرأي ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جللا في تاريخ الفكر الإسلامي من غير شك .

اعتمد الباحث الكبير في رأيه على ثلاث آيات من سورة النساء ، هي :

١ — الآية الثانية من السورة وهي : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً »

٢ — الآية الثالثة ونصها : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا »

٣ — الآية التاسعة والعشرون بعد المائة ونصها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

قال : « إن الكلام في الآيتين الثانية والثالثة من السورة مسوق لتحقيق فضيلة العدل في المعاملة ، فأشار في أولاهما إلى ما كان حاصلا من أكل المخاطبين أموال اليتامى الذين في ولايتهم ومن العبث بها ، وقد أمرهم باجتناب هذا العبث وعدم التورط فيه لأنه إثم عظيم . ولما كان بعض اليتامى إناثاً في حجر المخاطبين وكان لهن أموال تحت يدهم ، وكان من عاداتهم السيئة أنهم يتخذون هؤلاء اليتامى زوجات لهم ويمسكونهن هن وأموالهن ضراراً ، وكان هذا أشنع مظهر من مظاهر أكل مال اليتامى ، فتتميماً لفكرة تحقيق العدل (التي في الآية الثانية من السورة) وتثبيتاً لها أشار في الآية الثالثة إلى هذا المنكر ، وأتى بأبلغ ما يكون من القول لصرفهم عنه . إنه يقول لهم : إذا فهمتم قولي في الآية السابقة وعلمتم أن أكل مال اليتامى مطلقاً (من ذكور وإناث) إثم كبير ، فلا تتذرعوا إلى هذا العبث بنكاح اليتيمات اللاتي في حجوركم ، بل تعففوا عن نكاحهن المفضي بكم إلى أكل أموالهن ، ولديكم ممن تستطيبونهن من غيرهن من النساء كثيرات ، تستطيعون أن تنكحوا منهن ما تشاءون ، لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ، ولا ثلاثاً واحدة بعد الاثنتين الأوليين ، بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أي جزافاً بلا حساب ولا عدد » ؛ وأشار إلى ما في التعبير بهذه الكيفية من الهزء والسخرية بالمخاطبين ، وإلى أن أساس القول في الآيتين فكرة العدل ، ثم دلل على أن الآية ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات بأدلة منها أن « تحديد عدد الزوجات من الأمور الأساسية في التشريع للعرب ، لأنه يصادم عادة متأصلة فيهم ، والقرآن أجل من أن يأتي بهذا الشأن الأساسي بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية بعيدة بظاهرها عن هذا الشأن ولا مناسبة بينها وبينه ؛ إذ الحق أن أحداً لا يستطيع أن يفهم ما هو الارتباط بين خوف عدم الإقساط في اليتامى وبين نكاح النساء وإلى أربع فقط . إن القرآن لأجل بلاغة من أن يأتي بهذه المفارقة » ؛ ومنها أن كلمة « ما » في قوله « ما طاب لكم » من أقوى ما يكون في إفادة العموم ، وليست موصولة ، ونبه إلى بلاغة القرآن في أنه استعمل كلمة « طاب » ولم يستعمل « حل » ، لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، وقال : « إن مثنى وثلاث ورباع » معناها المتفق عليه عند الجميع اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، لأنها أوصاف معدولة عن أصلها العددي ، يقصد بها التوزيع الجذاف لا تحديد العدد .

وتساءل الباحث كيف تطمئن قلوب المؤمنين إلى الأخذ بما

(١) العدد ٤٦٧ .

يرون من أن فلاناً وفلاناً كان تحته ثمانى نساء أو عشر ، فلما نزلت الآية كلم النبى فأمره بإمساك أربع ومفارقة الباقيات ، وهل يعقل أن أية شريعة تأتى بتشتيت الزوجات وما قد يكون لهن من أطفال ؟ وقال : « ومن ناحية أخرى فإن قوله : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) إن فرض أنه مسوق للتصريح بتحديد النساء إلى أربع فقط ، فإنه يقرر أيضاً حكما أساسياً هاماً هو وجوب الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل بين الأربع المزعومات . وهذا الحكم الأساسي كان يقتضى بطبيعة الحال أن يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة ، لأن الخوف يملأ كل نفس » .

ثم قال بأن المقصود من عبارة « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » إنما هو تنظيم الحالة الوقتية وهى حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول .

وقال : إن الدين الإسلامى عالج أحوال العرب بكل تؤدة ، وتدرج فى كثير من الأنظمة « وفى الموضوع الذى نحن بصدده الآن قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هذه الحرية نصاً أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه ، وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور ، فأوجب على المسلم عند ما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على زوجة واحدة ، ثم أكد هذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه بقوله : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ؛ فأصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » .

ثم قال بأنه يحل الخروج عن هذا الأصل إلى التعديد فى حالتين : الأولى إذا انعدم الشرط بأن انتفى موطن خوف الجور بتاتاً كحالة زوجة مريضة أصبحت نهائياً لا تصلح للمباشرة ؛ والحالة الثانية إذا قضت الضرورات الماسة إباحة التعديد كحالات الحروب التى يقتل فيها الرجال ، فلا محيص من تعديد الزوجات تكثيراً للنسل من الذكور .

ثم تناول مسألة خصوصيات النبى فقال : إنها فيما يتعلق بالزواج ليست خصوصيات تمتع ، بل خصوصيات حرمان أو تكاليف مست إليها الضرورة لتحقيق المصالح الدينية والاجتماعية ، وقضت بها السياسة الشرعية القائم هو دون غيره بإجرائها . وفصل القول فى الحالات التى تزوج فيها بعد نزول الآيات السابقة مبيناً مبرراتها التى منها — فى مسألة زينب بنت جحش — أن الغرض منها إبطال عادة التبنى وما يترتب عليها من تحريم مطلقة المتبنَّى أو المتوفى عنها ، وذلك بشىء عملى يبهر الناس ، فاختار الله النبى ليكون هو مثال المتبنِّى الذى يدور على شخصه تحقيق موجب التشريع ، وعلى هذا يكون الذى أخفاه فى نفسه هو تأذيه من أن يكون هو المبتلى بذلك .

ومن تلك المبررات لجوء المطلقات والأرامل والبائسات إليه ، وعد كل ذلك محناً وتكاليف مشوبة بالمشقة والحرمان ، ومن ذلك المؤمنة التى تهب نفسها للنبى ، ومثل لها بقوله : « بحسبك أن تتخيل أن الحكومة المصرية مثلا أصدرت قانوناً يلزم كل من تولى رياسة الوزراء أومشيخة الأزهر أن يتزوج أية امرأة مصرية مؤمنة تعرض نفسها عليه — بحسبك هذا لتدرك أن يوماً واحداً لا يكاد يمضى على صدور مثل هذا القانون حتى يضج الرئيس أو الشيخ ويفر من منصبه ، وهذا حتى لو كانت الوافدات أبكاراً مكنونات مكفيات المئونة ، لا أرامل أو مطلقات من السنات المستميتات » .

ثم بين كيف مال المسلمون إلى عدم التدقيق فى تأويل النص القرآنى وانحدروا إلى القول بإباحة الأربع إطلاقاً — بين ذلك باستعراض حال الجنود فى الحروب الإسلامية الأولى، واضطرارهم إلى الاختلاط الجنسى والزنا محرم عليهم فلم يجدوا إلا التزوج وتكريره مع تعدد الوقائع والتنقلات ، وتسوهل معهم فى ذلك لأن الجنود مدللون فى كل أمة ، ودام ذلك بدوام الحروب والثورات التى استمرت حتى جاء عصر التدوين ، وكانت عادة الأربع قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة التى سرت إلى غير الجنود فاضطر الفقهاء إلى مسايرتها ، وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .

تعقيب :

وقد سرت مع الباحث الكبير معجباً بقوة حجته ونصاعة بيانه ، ولكن عنّ لى فى بعض المواطن ما أدلى به فيما يلى :

١ — أباح التعدد فى حالتين ، حالة انتفاء موضع الجور ، وحالة الضرورات . فإذا سلمنا بالحالة الأولى لبطلان المشروط بانتفاء الشرط ، فمن أى باب ندخل إلى الحالة الثانية ؟ يقول من

باب « الضرورات تبيح المحظورات » والضرورات يمثلون لها فى الفقه بمثل من تحقق هلاكه إذا لم يأكل الميتة ، فهل ضرورات الحروب وما إليها تماثل ذلك ؟ ثم ألا يرى أن جواز التعدد فى الحالتين معناه إباحة التعدد إباحة مقيدة ؟

٢ — قال بأن الآيات (التى بنى عليها رأيه) نزلت وعند كثير من المسلمين وفى جلتهم النبى عدد من الزوجات ، فكان التشريع للمستقبل ، ونظمت الحال الواقعة بـ « فلا تميلوا كل الميل ... » ويفهم من هذا أن النبى وقع فى بعض عادات العرب السيئة التى أبطلها الإسلام ، والمأثور أن ذلك لم يكن .

٣ — الملاحظتان السابقتان من عمل الذهن ، أما الملاحظة الثالثة فهى شعورية ... فكم يصعب على أن أتصور المجتمع الإسلامى من الصدر إلى الآن — فى هذه الغفلة العجيبة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

كرسيان آخران فى المجمع اللغوى :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة يوم الإثنين شغل الكرسيين الخالبين فيه بعضو عراقى وعضو فلسطينى ، وحددت جلسة يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر الحالى للترشيح وتحديد جلسة بعد لانتخاب العضوين من بين من يرشحون .

وهذان الكرسيان هما الباقيان من الأربعة التى كانت خالية بالمجمع وشغل اثنان منها بانتخاب الأستاذين على عبد الرازق والمازنى منذ أسبوعين . ومما يذكر أن العضو العراقى سيحل محل الأب أنستاس مارى الكرملى الذى توفى فى هذا العام ، أما فلسطين فلم تكن ممثلة فى المجمع وسيأخذ مندوبها كرسيا كان مشغولا بمصرى من الثلاثة المتوفين . ومن الأسماء التى تتردد للترشيح عن فلسطين الأديب اللغوى الكبير الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى .

المسرح الأوربى بعد الحرب :

تحدث الأستاذ صلاح ذهنى بنادى الخريجين المصرى يوم الجمعة عن مشاهداته فى مسرح أوربا بعد الحرب ، فتناول فى حديثه المسرح فى إيطاليا ، وفى فرنسا ، وفى انجلترا ، فقال إن فن الأوبرا الذى عرفت إيطاليا بالتبريز فيه لا يزال على أوضاعه القديمة بحكمه الغناء والموسيقى ويخضع له التمثيل والإخراج ، أما المسرح الاستعراضى فقد أصبح فى إيطاليا ميدانا لتناحر المذاهب السياسية ، وعلى الأخص الشيوعية والديمقراطية المسيحية ، وهو وإن كان يعالج المسائل الوطنية والمشاكل القومية إلا أنه يلاحظ أن القوة اختفت منه ، والمراد بالقوة الدعوة المريضة التى كانت تردد أيام الحرب فى العهد الموسلينى . وقال الأستاذ إن استخدام المسرح فى الوطنيات بإيطاليا الآن يشبه ما كانت تصنعه الفرق الاستعراضية بمصر سنة ١٩١٩ ، وخاصة ما كان يلقى فيها من الأناشيد الحماسية

ثم وازن بين المسرح الانجليزى والفرنسى من حيث التجديد فقال إن الأول يسير على طبيعة الانجليزى فى المحافظة وعدم الإسراع فى استقبال التيارات الجديدة ، فتجد المسارح الكبيرة جارية على تقاليدها ولا تكاد ترى الجديد إلا فى المسارح الصغيرة ، أما فى فرنسا فالأمر على خلاف ذلك جريا على طبيعة الفرنسيين فى سرعة الاستجابة لدواعى التقدم ، ومن أمثلة التقدم فى الإخراج الفرنسى أن إحدى الروايات القديمة كان البطل فيها مصورا على أنه كاره للانسانية ، فجعله المخرج عصبيا يفسد باضطراب أعصابه أعماله وعلاقاته بالناس ، واستعان المخرج فى ذلك بعلم النفس وبالضوء إذ يرسل على الشخصية أشعة خاصة تهيج الأعصاب وقال إن عادة الترفيه أيام الحرب قد غلبت على المسرح الفرنسى فمن المشاهد أن يخرج الممثل عن دوره ليأتى بحركات ونكات مضحكة . وقال إن المسارح هناك تتمتع بحرية عجيبة فى عرض المبادئ السياسية ، والشيوعية هى المتغلبة هناك . أما ما عرفت به فرنسا قبل الحرب من المسارح المجونية المتهتكة فلا يزال كما هو .. ولم تستفد فرنسا من محنتها القاسية التى أوقعها فيها انحلالها الخلقى وانغماسها فى الترف واللذات ، كما قال بيتان .

وقال المحاضر إن انجلترا تشكو الفقر فى التأليف المسرحى ، وإن المسارح الناجحة فيها هى المسارح الأمريكية التى غزتها وتغلغلت فيها ، حتى أنك تجد المسرح الرائج الذى يمثل فيه ممثلون انجليز إنما تعرض عليه رواية أمريكية ، فالسائد هناك هو الفن الأمريكى . وقال إنه شاهد فى بعض المسارح الصغيرة نوعاً غريباً من التجديد ، فالمؤلف لا يضع إلا الفصل الأول يصور فيه المشكلة ، ثم تستدل الستارة ويؤخذ رأى الجمهور فى حل المشكلة ، وعلى حسب هذا الرأى يعمل المخرج فى إظهار المنظر التالى ... وهكذا حتى تنتهى الرواية ، وهى لهذا تأخذ وقتاً أطول من المعتاد

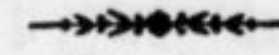
وختم المحاضر حديثه بأن المسرح يعيش فى أوربا لأن هناك جمهوراً ممثلا ورواية ، أما مصر ففيها ممثل ولكن ليس فيها جمهور ولا رواية .

« العباس »



رسائل الصاحب بن عباد

(صححها وقدم لها عبد الوهاب عزام بك ، وشوقى ضيف)



الصاحب بن عباد من أئمة أدباء القرن الرابع ، وهو تلميذ ابن العميد ، وكلاهما كان وزيراً فى دولة بنى بويه . وكانت آثار الصاحب بن عباد مطوية فى بطون المخطوطات حتى نهض الأستاذ العميد وصاحبه ، فأخرجاها إلى نور الطباعة ، مع العناية بالتصحيح والتحقيق ، وتجلية الصاحب بالتعريف والتقديم . فإذا بالجوهرة الخفية فى خزائن الدور ، تتكشف وتبرز إلى النور ، وهذا عزم من الأستاذ عزام مشكور ، يحمده له قراء العربية ، لأن إبراز كنوز الأدب القديم يعد الخطوة الأولى فى بناء الحضارة الإسلامية.

ولهذه الرسائل قيمة تاريخية ، وقيمة أدبية ، كما ذكرا فى المقدمة ، ونستطيع أن نضيف إليها قيمة اجتماعية كذلك . فالباب الأول فى البشائر والفتوح ؛ والثانى فى العهود ؛ والثالث فى الأمان والإيمان والموافقات والمناشير ؛ والرابع فى الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الثغور ؛ والخامس فى الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة والتودد إليهم بمباسطتهم وما يقارب ذلك ؛ والسادس فى إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين العقوق بين ذوى الأرحام ؛ والسابع فى المدح والتعظيم ؛ والثامن فى الذم والتهجين ؛ والتاسع فى التهانى والأجوبة ؛ والعاشر فى التعازى ؛ والحادى عشر فى الإخوانيات واللاطفات والمداعبات ، والثانى عشر فى التشكر وما يشاكله ؛ والثالث عشر فى الاستزارة والتقريع ؛ والرابع عشر فى التنصل والاسترضاء ؛ والخامس عشر فى الشفاعات ؛ والسادس عشر فى توصية العمال بتجلب المال وإظهار العفاف وحسن السياسة ؛ والسابع عشر فى الآداب والمواعظ . الخ

وقد عرضت فهرس هذه الرسائل لتعلم أنها تتشعب فى كل فن وتضرب فى كل باب ، حتى لتعد صورة صحيحة للعصر الذى كان يعيش فيه الصاحب ، بل هى مرآة للحياة الاجتماعية وما ينبغى أن يكون عليه أدب السلوك ، أو الأخلاق العملية كما نعبر اليوم . ولهذا كنت أحب ألا يقف المدخل الذى دبجته براعة العميد وصاحبه فى التقديم عند حد القيمة التاريخية والأدبية للرسائل . وفى الحق إن هذه الدراسة مثال لما ينبغى أن تكون عليه دراسة الأدباء فى تحقيق سيرهم ، ونقد أساليبهم ، لولا الطمع إذ كنا نشتهى المزيد . ولا تظن أن هذه الدراسة قصيرة فهى تقع فى عشرين صفحة من القطع الكبير .

أبرز صفة فى هذه الرسائل ، وهى مما يمتاز به الصاحب بن عباد أو قل إن شئت إنها سمة العصر كله ، التزام السجع وتكلف البديع أو كما انتهى المدخل إلى القول « ونرى من كل ما سبق أن الصاحب عنى فى رسائله بالسجع ، فلا ينفك عنه إلا نادرا ، كما عنى بطول الجمل وتحليتها بالبديع ، وخاصــة الجناسات والاقتباسات والتشبيهات والاستعارات » .

وعنـدى أن شيوع الزينة اللفظية ، والتنميق الخارجى للأساليب ، إنما يرجع إلى أن الحضارة الإسلامية وقفت عن الابتكار ، وانصرف الناس مع استتباب الملك وغنى الدولة إلى شغل الفراغ بالتأنق والتجمل ولهذا نجد الحلية والزركشة والزينة تدخل إلى صميم كل فن من الفنون . حلية فى الخط والكتابة ، وفى النقش والعمارة ، وفى الملابس والنسيج ، وفى الشعر والنثر كذلك .

وسأل المحققان فى دراستها أنفسهما سؤالا له قيمة عظيمة « أ كان للفارسية أثر فى كتابة الصاحب ، وقد قلنا آنفا إنه كان يتقن الفارسية ؟ » .

ويبدو أن عبد الوهاب عزام بك — وهو أستاذ الأدبين والعارف باللغة الفارسية — آثر التحوط فقال « وأما أن تركيب الجملة العربية طاوع تأثير الفارسية ، أو أن أسلوبا من أساليب العربية يعد محاكاة لأسلوب فارسى ، فأمر عويص ينبغى ألا يقدم عليه الباحث المتثبت إلا بعد بحث طويل دقيق » .

فأنت ترى أن علامة الاستفهام لا تزال موجودة أمام السؤال والطريق مفتوح أمام الباحثين .

وقد وقفت طويلا عند قول المحققين « ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » . فهذا البحث ، وأعنى به الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسى ، وكنت أحب أن أجد في الرسائل ما يشبع رغبتى ، صحيح إن ياقوت يقول عنه إنه كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » . غير أن قول ياقوت يحتاج إلى تأييد من نصوص الصاحب نفسه .

والذى اعتمد عليه المحققان فى نسبة الاعتزال إليه ما جاء فى الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاى يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف فى صنعه ، ولا يشك فى اقتران الصلاح بفعله » . وهما يعتمدان أيضاً على رسالتين فى الباب السابع عشر حيث يقول فى الرسالة الثانية إلى أحد الشيوخ بعد كلام « وعلى هذا الذكر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله وتوحيده والتصديق بوعده ووعيده . هذا وفى فقهائه وفور وفى الفضل به ظهور ... » وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل والصلاح .

وجاء فى الرسالة الثالثة تحت هذا الباب نفسه ، يكتب إلى إلى أهل الصيمرة « ... ووصل كتابكم ... إذ كنتم بحمد الله ومنه ، وطوله وفضله ، المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه فى وعيده ووعده ، وكان بلدكم من بين البلاد كغرة أدهم وشهاب فى ليل مظلم ، وما فى النعم أجل موقعا ، وأهنأ مشرعاً من النعمة فى القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع فى جهده ، أو جوره فى فعله فشك فى حسن نظره وطوله » وهذا نص آخر أكثر فى الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد ، والصدق فى الوعد والوعيد ، ونفى التشبيه ، وامتناع التجوير .

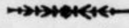
وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال . ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال » .

وبعد فإنا نهنىء المكتبة العربية بهذا الظفر الأدبى ، وبهذه الدراسة العميقة الممتعة ، ونرجو أن ينهج الذين يخرجون المخطوطات هذا النهج السليم .

أحمد فؤاد الأهوانى

شجرة الدر

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)



اتجه الأستاذ محمد سعيد العريان منذ زمن إلى القصص التاريخى الذى يجمع إلى عرض التاريخ وتحقيق حوادثه المتعة الفنية الأدبية ، وقد عنى بتاريخ مصر فى العصور الإسلامية ، يجول فى نواحيه بمصباح المؤرخ ، ويسرح بين وقائعه بخيال القاص الأديب . وأول عمل له فى هذا الحقل قصة « قطر الندى » ثم أخرج بعدها « على باب زويلة » وفى شهر نوفمبر الماضى أخرجت له دار المعارف قصة « شجرة الدر » فى سلسلتها الشهرية (اقرأ) .

تقع حوادث هذه القصة فى نحو ربع قرن من الزمان ، يقع فيها أواخر العصر الأيوبى وأوائل عصر المماليك البحرية ، تبدأ فى حصن كيفا الذى اتخذه الأمير نجم الدين أيوب قاعدة لإمارته فى المشرق حيث ظفر هناك بالجارية الصغيرة الحسناء « شجرة الدر » التى ولدت له فيما بعد وأصبحت زوجته ، وتنتقل حوادث القصة إلى الغرب مع ركب الأمير نحو مصر ، بعد أن بلغه نعى أبيه الملك الكامل ، وقد عول على أن ينتزع العرش من أخيه العادل الذى كان أبوهما قد ولاه العهد ، فيتم له ذلك بعد وقائع ومخاطر فى الطريق كانت شجرة الدر عونا له على اجتيازها والتغلب عليها ويصبح الأمر فى مصر للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر تعاونه بسديد رأيها وحكم تدبيرها . حتى يغزو الصليبيون مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فينزلون إلى دمياط ويهزمون الحامية ، ويقصدون إلى المنصورة التى اتخذها الملك الصالح قاعدة له فى ذلك الوقت ، وتتجمع القوى المصرية فتفتك بالصليبيين فتكا ذريعاً ، ويؤسر لويس التاسع ، ثم يضطر المعتدون إلى إغلاء فدية ملكهم ويخرج من بقى منهم إلى بلادهم مدحورين . وفى أثناء ذلك يموت الملك الصالح وتخفى شجرة الدر أمر موته حتى يحضر ولده الأمير توران شاه من المشرق فيأخذ مكان أبيه ، ثم يقتله أمراء الجيش من المماليك الذين كان يستعين بهم الملك الصالح فى حروبه ، وقد أبلوا فى قتال الصليبيين وهزيمتهم . فتتولى الملك شجرة الدر ثم تتزوج أحد أمراء المماليك (أيبك الجاشنكير) وتخلع نفسها وتوليه ، ثم تقتله ، وتمتنع فى برجها بالقلعة فى حماية مماليكها حتى تموت .

ساق الأستاذ العريان تفاصيل هذه الحوادث فى قالب من الخيال القصصى الممتع ، وتسير معه وهو ينسق أشتاتا من الأحداث

ويصور فنونا وألوانا من نوازع النفوس فتشعر بأنك تعيش في جوها وتعاشر أناسها ، كأن الكاتب سحرك فنقلك معه إلى حيث يضطرب خياله .. وقد بلغ الغاية في ذلك عندما هجم الصليبيون على قصر الملك الصالح بالمنصورة ، وتصدى لهم فرقة الحرس برياسة الأمير بيبرس ، وكانت شجرة الدر ترقب المعركة من النافذة وقد أهابت بفتاة من وصيفاتها يحبها بيبرس لتهتف به وتسمعه صوتها، فهتف الفتاة : « بيبرس بيبرس ! هذا يومك يا بيبرس ! » فيرفع إليها عينه ، ويجول بسيفه في الرقاب يقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهام ويجندل الأبطال ، ويقضي هو وجنوده على جيش العدو ، فلا يبقى منه إلا الفارون .

وهدف القصة الأول تحليل شخصية شجرة الدر . وما وصل المؤلف إلى أواخر القصة حتى وجه كل همه إلى هذا الغرض ، فصور نوازع هذه المرأة الطموح وهي تحرص على المجد والسلطان وصور طبيعتها الأنثوية في معاملة الزوج وفي غيرتها وانتقامها — أدق تصوير .

ومن المفهوم أن المؤلف في هذا اللون من القصص التاريخي يحافظ على الحقائق التاريخية التي يلبسها ما ينسج من أثواب الخيال ولهذا وقفت عند ما أتى الأستاذ سعيد بخبر مجيء توران شاه إلى مصر والمناداة به سلطانا عليها بعد أن انتهى أمر الصليبيين ، كأن توران شاه لم يشترك في قتالهم ، وقفت عند هذا ، لأني أعلم مما اطلعت عليه من كتب التاريخ أن توران شاه حضر وقت اشتباك الحرب وكان له في قتال الأعداء بلاء ، وعرض الأستاذ أمر العلاقة بين الأمير نجم الدين وبين شجرة الدر على أنها في أول الأمر جارية مملوكة له ، ولما ولدت له ابنه خليلا قال إنها أصبحت زوجته ، ومن نظم الأحوال الشخصية في الإسلام أن الجارية أم الولد غير الزوجة ، ولم يذكر الأستاذ أن الأمير عقد زواجه عليها ، ثم سار في القصة على أنها زوجته

وثمة شيء قد ارتضاه الأستاذ العريان في حبكة القصة، ولكني أخالفه فيه ، هو ذلك التنجيم ، من حيث الحديث عنه وسياقه على أنه محقق الوقوع . ولست أنكر ما كان للتنجيم من شأن وذيوع في تلك العصور ، ولكني أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل ، فلم أكن مع المؤلف في الرأي لما سخر الأقدار في تحقيق كل ما تنبأ به أبو زهرة المنجم بجملته وتفاصيله !

العباس خضر

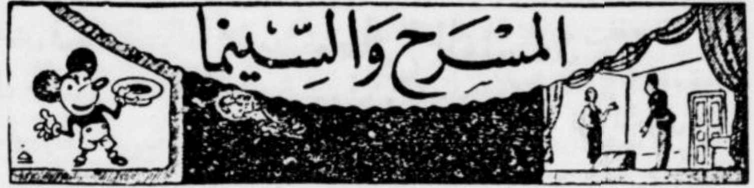
معاني الفلسفة

(تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني)

ما أقدر الله أن يجمع الفلسفة كلها — منذ نشأتها إلى اليوم — في كتاب محدود الصفحات . وذلك عمل يحتاج إلى التركيز والضغط أقل مما يحتاج إلى التفهيم والفهم . فإن ضغط الأسفار الضخام إلى سفر واحد صغير يبدو في ذاته عملا سهلا ومركبا هينا ، ولكنه في الحق يحتاج إلى أدوات من حسن الاستعداد وهضم المادة ومطاوعة التعبير حتى يكون طيعاً للمعاني الموجزة والأفكار المركزة .

وأظن هذه الأدوات قد اجتمعت للدكتور الأهواني فجاء كتابه في معاني الفلسفة على خير ما تجيء عليه كتب الخلاصات العلمية التي كونتها قراءات وأمدتها مطالعات بين القديم والحديث ، وبين العربي والإنجليزي والفرنسي .

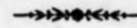
وقد فرح مؤلف الكتاب لأنه رأى الناس — يعني ناس العرب — يقبلون على الفلسفة ، بعد أن ظلوا بعيدين عنها نافرين منها . وهي فرحة الزارع حين يحصد ، لأن صديقنا المؤلف اشتغل بتعليم الفلسفة ولا يزال مشتغلا بها . ولكنه — أثابه الله — ما باله يضيع وقته ويفني عمره في تعليم الفلسفة مع أنه يقرر في الصفحات الأولى من الكتاب أن كل إنسان ما دامت له نظرة في الحياة فهو فيلسوف . وقد يكون هذا الكلام مقبولا من أديب أو شاعر ، أما أن يصدر من مشتغل بالفلسفة ومعلم لها فذلك ما لم أستطع أن أفهمه . وأنا أجد أن أصحاب الصناعات دائماً يحاولون تعميتها على غيرهم ويلبسونها ثوباً من الرهبة المحوطة بالغموض . ولكن الدكتور الأهواني يكشف بضاعته من الفلسفة في غير خفاء . ويهون في أول الكتاب من أمر الفلسفة حتى ليجعل الناس كلهم فلاسفة ؛ فإذا مضيت معه في ثنايا الكتاب وجدت الفلسفة على حقيقتها ليست شيئاً كما يحاول أن يجعلنا نتصوره . ووجدت في قوله بفلسفة كل إنسان في الحياة مغالطة في التعبير ؛ وأكاد أجزم أنها مغالطة مقصودة في أول الكتاب ليستدرجنا بها إلى آخره ... ودليلي على ذلك أن المؤلف استدرجني أنا إلى قراءة الكتاب لأميز على الأقل بين فلسفتي التي يزعمها في ، وبين فلسفة الذين كونوا تلك المذاهب العالية . فأدركت آخر الأمر أنني ككل إنسان عادي ...



رواية الناصر

[تأليف الأستاذ عزيز أباظه باشا]

للأستاذ حبيب الزحلاوي



ما أكثر النواحي الجذابة في هذه الرواية ، بل ما أكثر ما اضطرتنا مشاهدها إلى الالتفات إلى الدقائق التي يخالها البعض من النوافل ، وما هي في الحقيقة إلا في الصميم .

تجمع رواية الناصر بين بدائع الأدب الرفيع ، وروائع الفن الجميل ، وجلال الملك ولكل من هذه الخصائص روعة وجلال يهزان الشاعر ، ويطمئنان الروح ، ويثيران النخوة ، وقد فعلت فعلها في نفس كل من حضر تمثيل هذه الرواية على مسرح الأوبرا .

مؤلف هذه الرواية شاعر مطبوع على الشعر ، وفنان موهوب يساير سجيته بدون عنت ، ويماشي فنه بفطنة وبساطة ، لا يجنح جنوح المتفيهقين في التنقيب على الكلمات المهجورة يحشو بها شعره ، ولا يحذو حذو المتمالين المتمالين من أمثال الشعراء الرمزيين ، بل جمع عناصر إحساسه ، وحشد شوارد خياله في بوتقة شخصيته الخلاقة ، وجعل مشاعره تتأثر لتتفاعل فتتحول إلى حياة عاطفية وذهنية . وقد حتم على نفسه ، لأمر خاص ، أن يستمد موضوعه من وقائع التاريخ العربي في الأندلس ، الحافل بعظائم الأمور ، فاستمده ، في هذه المرة ، من ناحية متواضعة من حياة الناصر في قرطبة .

طبع الأستاذ الفنان عزيز أباظه روايته هذه بطابع خاص ، فخرجت تحمل سمات الوضوح ، والملاحظة ، والإنسانية ، والعطف والحب أيضاً ، كما خرجت أيضاً تحمل سمة تقرير الفكرة تقريراً مباشراً ، مصورة صوراً بديعة للجمال الطبيعي ، والوقائع المادية ، وخلجات النفس ، ولهثات الصدور ، ورعشات الأفئدة ، وبسمات الفرح مرسومة رسماً أميناً يستمد حسنه المنسجم من النور واللون ، والجرس والإيقاع ، ومن براعة اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني ،

لست فيلسوفا ولا مشتغلا بالفلسفة . وأدركت أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً . وإلا لكان زهير بن أبي سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التي وضعها في معلقته . أو كان أبو العلاء المعري فيلسوفاً بماله من وجهة نظر خاصة في الحياة

وقد قسم المؤلف الكلام على الفلسفة متمشياً مع تاريخ العصور ، فهو يبدأ من اليونان ثم الرومان ثم المسلمين حتى يصل إلى عصر النهضة الأوربية فالعصر الحديث . وهو تقسيم كان أكثر منطقاً لو أن المؤلف يؤرخ للفلسفة . ولكنه يشرح لنا معناها ؛ فما كان أغناه عن هذا التقسيم الزمني الذي لا تراعى فيه معاني الفلسفة — قربا وبعداً واختلافا واتفاقا — بقدر ما يراعى فيه تتابع العصور . وقد اضطره المنطق الصحيح للأشياء أن يتحدث عن التوفيق بين الفلسفة والدين عند المسلمين وهو يتحدث عن فلسفة الرومان — ص ٢٦ ؛ لأن المقام هنا ليس مقام زمان ولكنه مقام وحدة في الميزان .

ويقول المؤلف ص ٣١ إن صاعدا الأندلسي يذهب إلى أن الفلسفة الاسلامية عربية . وقد حيرني هذا الكلام فأن المؤلف ينقل في الصفحة نفسها عن صاعد الأندلسي قوله : (وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله — أي العرب — منه شيئاً ولا هيأ طباعهم للعناية به . ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي) . فكيف يتفق استنباط الدكتور مع قول صاعد نفسه ؟ ودع عنك أن الرواية الصحيحة لقول صاعد هي . فلم يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه — إلا أبا يوسف) بنصب أب بعد الاستثناء . هـ كتاب طبقات الأمم لصاعد ص ٧٠ طبعة السعادة » .

ويبقى كتاب معاني الفلسة بعد هذا معرضاً دقيقاً لماهية الفلسفة ومذاهبها المختلفة من أقدم عصورها إلى اليوم ، وهو معرض قدمه الدكتور الأهواني على مائدة ليس فيها ذلك الدسم الذي تتهوع له النفس ، ولكن فيها تلك البلغة التي يتزود بها العجلان .

محمد عبد الغني حسن

وقد صب ذلك كله فى قالب حلو كل الحلاوة ، مسبوك فى بحور عديدة من العروض متناسقة متناسبة شجية الإيقاع والنغمات .

***

لا يسأل المؤلف الروائى فيما كتب فأخطأ ، ولا يناقش فى أوضاع أرادها لأبطال روايته ، لأن واجب الناقد هو التعرف على مبلغ الجودة فيما ألف وصنف — وليس للجودة فى طبيعة الشعر سوى الذروة السامقة مقاماً — والشاعر أباظه باشا ، رسم لنا فى روايته هذه بعض مشاهد من أخريات حياة « الناصر » ولمحة من حياة ولديه « الحكم » ولى العهد ، وعبدالله ، أما الحكم فقد كان مفتوناً بحب الجارية « شفق » وهى فتاة أسبانية أسيرة تبناها الناصر وصنى قلبها إلى ولى عهده ، ولكنها متحيرة حيرة الوفاء ، وحيرة الإنصات إلى الهاتف الداعى إلى واجب الوطن والأهل . وكذلك رسم لنا صورة « لعبد الله » الطامع بعرش أبيه ، وأخرى للسيدة « الزهراء » زوجة الناصر وقد عرفت بالجمال الفاتن والرأى السديد ، وصورة ثالثة بالغة غاية الأمانة والصدق لشخص الجاسوسة « منى » وقد تركزت إرادتها فى العمل على دك سلطان العرب فى الأندلس ، واجتثاث حكمهم فيها ، وإعادة أهلها إلى الاستظلال بعرشهم المسلوب .

وهكذا دارت الرواية حول هؤلاء الأبطال الذين يضمهم القصر ، ويجذبهم العرش ، وتتعارض بينهم الأغراض والمآرب ، تارة فى حوار متصل أو متقطع بين شخصين اثنين أو أكثر من شخصين ، وتارة أخرى بنفس طويل صاخب أو رقيق همّاس ، أو بروح رضية عقلية أو وجدانية .

لا شك عندى فى أن المؤلف قد أجاد فى جعل شخصيته الخاصة تعيش فى المواقف التى تخيلها ، وكذلك أجاد مرة أخرى فى أنه سما فى شعره بجمل الشخصيات البارزة فى الرواية تقف الموقف المتخيل فى ذهنه هو . وإنى أقتبس بعض أبيات من مواقف « للحكم » من حبيبته « شفق » ومن موقف لهذه الجاسوسة « منى » ، وشذرات مما جاء على لسان الناصر للتدليل على ما ذهبت إليه فى وصف شعر الشاعر .

الحكم :

يا منية النفس قد أدركته أملا ... رفّت له النفس أعواماً وأعواما

أذكيت فى القلب وقداً قد سموت به ... فكان حباً وتقديســـاً وإعظاما

لو لم تكونى فدتك النفس غانية ... لكنت عتباً وأشواقاً وأحلاما

وكنت تسبيحة للروح هامسة ... زكت قصيداً وتوقيعاً وأنغاما

شفق :

وأنت إن لم تكن قوام مملكة ... لكنت فوق قلوب الغيد قواما

ترنو فتلهبها وجداً ، وتسعرها ... وقداً ، فتهتز آمالا وآلاما

فلا اللواهث من دقاتها هدأت ... ولا الذى نجّ من أجراحها التاما

وكنت أرفع ما ازدان الوجود به ... وحياً من الخلق الأسمى وإلهاما

ويقول فى موقف آخر :

بعض الحنان يا شـــفق ... حطم قلبى يا شـــفق

أكان ذنبـــاً يوم رفّ ... فاصـــطفاك فعشـــق ؟

وإنــــه قبـــلك ما ... ذاق الهـــوى ولا خفق ؟

وإنــــه ضمــــك فى ... حيـاته ثم انصـــفق ؟

لئن جـــنى فإنه ... عذب فوق ما استحق ؟

لو اســـتطاع لبكى ... ولو أطـــاق لنطق

ويحيى له إذا اشـتكى ... لألفــه فـلم يرق

وإن هفـــا لنظرة ... أو بســـمة فلم يذق

يصـــبح لم يغف فإن ... دجى له الليـــل أرق

حـــدثنى أنـــك أشـ ... ـفقت عليه ، هل صدق ؟

أتسمعين يا شـــفق ... أترحمين يا شـــفق ؟

شفق : أخى !

الحكم :

أخوك شفه ... وقد جفـــاك فاحترق

يا نفحـة النسمة تشـــتف جنى الروض العبـــق

يا طلعـة الفجـــر إذا ... الفجر من السحب انبثق

يا قبلة الطـــلّ إذا ... الطـــل على الزهر ائتلق

يا غفـوة الليـل شـــدا ... ها الليـل وهـو مغتبق

يا نظـــرة العتب إذا ... العتب استكان ورفق

يا رجفـة الشـوق إذا ... الثغـر على الثغـر انطبق

يا همسة الرضـا الكريم ... واللقـــاء يســـترق

لم ينطق اللفـــظ بهـا ... فالتمست عنـــد الحدق

وددت لو يتسع المجال فأقتبس من شعر الشاعر ما ينهض

الدليل الذى لا يدحض على أنه استطاع أن يجعل أبطال الرواية يعيشون فى المواقف التى تخيلها هو ، ولكن ذلك متعسر بسبب الحوار ، والحوار جماله فى سماعه ، وسحره فى تراشق المتجاورين بالكلام الممزوج بالانفعالات النفسية التى تتماوج مع الصوت ، وترتسم على الوجه ، وتبدو فى الحركة والاشارة . وبرغم ذلك أجدنى ملزماً بنقل قطعة من حوار غير متقطع قام بين الجاسوسة الأسبانية وبين الجارية الأسبانية التى تبناها الناصر وأحبها ولى عهده ، وإنى أدعو إلى الاستمتاع ببديع الحوار فى هذه الرواية كل محب لالتقاط المنثور من روائع الحيرة والحب والوفاء بين شفتى « شفق » أمينة رزق الممثلة البارعة ، والاستهداف لشظايا الضغينة والحقد والانتقام تقذفها من جوارحها « منى » فردوس حسن ، الممثلة الممتازة فى البراعة .

منى :

أمة أنت فى الذؤابة منها ذاقت الذل بعد عز رفيع
فى بلاد ديست وشعب تردى فى قرار من الهوان وضيع
هتك الغاصبون من كل عاج مسلم . . ستر مجدها الممنوع
أو سمونا مذلة يا ابنة العم فعشنا نلتذ طعم الخضوع
كالأرقاء والعبيد يرون البغى حقاً للسيد المتبوع

يا ابنة العم .

شفق :

فاصمتى لا تهيجى حزة النفس بعد طول هجوعى
أنا بنت الخليفة السمح أفد يه بنفسى وعترتى وجموعى
الوفاء الكريم يعمر قلبى والوداد المقيم ملء ضلوعى

منى :

أوفاء لمن رماك فاصمـ ـاك فاجلاك عن حماك المريع

لم يغفل المؤلف الشاعر عن تصوير جلال الملك وجلالة الملوك ، ولم يتورط فى رسم سجايا غير سجاياهم وخلائق ليست خلائقهم ، بل أطلق ريشة رسام « سيانى » تستوى عنده الفوضى والنظام ولكنه ينحرف عن جادة الحق والصدق فقال مرة بلسان « شفق » العاشقة الحيرى « غرام الملوك وشيك الزوال قصير المدى » فيردها عاشقها إلى الحق فيقول لها .

ظلمت الملوك ولم تنصفى فإن الملوك ملوك الهوى
عرفنا الهوى مهجاً تلتقى عطاشاً وأفئدة تكتوى

ويقول مرة بلسان الناصر :

قد خبرنا فلم نجد لصلاح الأمر إلا النهوض بالأمر فردا

ويقول أيضاً :

بنينا على هام الجزيرة دولة تأشب فى أعطافها العلم والمجد
فلما استقرت واستطالت ترادفت عليها من الأهل الخيانة والحقد

ويقول أيضاً :

أيرضى المعز الأمر يخرج من يدى ليخلفنا الأفرنج فى ملكنا قسرا
إذا ما تنازعنا شعوباً وقادة ومنا رسول الله ذقنا الردى طرا
وإن لم نجاهد جبهة عربية موحدة كنا لأعدائنا جزرا

ويقول :

ويحسبنا الناس أو فى الدنى نعيما وأسعد قطانها
لقد جهلوا إن أشقى الرؤو س رؤوس تنوء بتيجانها

وأخيراً يقول :

إلى ذروة المجد سر بالجيوش محوطاً بمأثور إيمانها
حياة الملوك ومجد الملوك لأوطانها وبأوطانها

هل استوفى المؤلف غايته من وضع هذه الرواية على النحو الذى وضعها فيه ، أو أنه أراد شيئاً آخر نخانه القلم ولم يسعفه التوفيق فجنحت سفينته عن غير قصد إلى الشاطىء الآخر ؟

هذا سؤال لا أطلب جوابه ، ولكنى أبيح لنفسى القول ، أن رواية الناصر فى وضعها الحالى ، إنما هى رواية أندلسية ، وأن الجانب العربى فيها ليس بالجانب المفضل بدليل أن عناصر القوة تجمعت فى الشخصيات الأندلسية ، وأن عنصر الضعف تمثل فى الخليفة العربى الشيخ الفانى ، وفى ولى عهده الشاب المتيم المفتون ، وفى ولده الثانى الخائن المؤتمر بعرش والده ، وفى كبير الوزراء والخصى الضالعين معه ، ولم يسلم من الضعف من الشخصيات العربية سوى « الزهراء » زوج الناصر ، هذا ما شجعنى على القول أن طابع الرواية أندلسى موشى بالذهب العربى ، وهذا ما يجعلنى أزعم أن الطابع الأندلسى هو الذى أزكى حدس النظارة فجعلهم يستشعرون بفطرتهم أن الرواية ليست روايتهم ، ولعل مرد ذلك إلى الشعور العربى السائد بيننا اليوم .

ليس يعنى هذا أن الرواية لم تلق نجاحاً عظيما ، بل أعنى أن عنصر النقد عند المؤلف البارع لم يكن حاد اليقظة ، ولكنى أقول بعقيدة وصدق أن الأستاذ الشاعر الكبير عزيز باشا أباظه يملك أكثر الخصائص الأدبية والفنية التى تؤهله لأن يكون أول مؤلف للمسرح بل المؤلف الموهوب الوحيد المعروف حتى الآن لمسرحنا العربى المرتجى .

***

الكلام فى فن الأستاذ زكى طليمات مخرج الرواية ، إنما هو تحصيل حاصل ، وتحصيل الحاصل هذا معناه التعريف بما هو معروف عن هذا الفنان المتتبع الدؤوب الذى لم تنقطع صلته بالمسرح قط ، والذى لم يغفل عن التطورات والمستحدثات وعن كل ما يمت إلى فن التمثيل بسبب . ولكن يطيب لى أن أضيف تعريفاً جديداً ، وهو أن للمؤلف المسرحى يدا مغنطيسية تجذب الأستاذ طليمات تارة إلى فوق ، وعندها تتبدى مواهبه ، وتشرق معلوماته المدخرة ، وتتفتق ابتكاراته الذاتية ؛ وتارة أخرى تجذبه يد المؤلف المسفّ إلى تحت ، وفى الحالتين يكون المسكين أسير الانجذاب .

لقد كانت يد الشاعر عزيز أباظه باشا قوية فى جذبها إلى فوق ، بل كانت روحه الشاعرية هى التى تغلغلت فى مُسارب مشاعر الأستاذ طليمات ، وقد انتفض كالنسر ، وتجرد للاخراج ، وأخذ يهدوء يكمل عمل المؤلف ، أولا ، باعطائنا صورة مجسمة للرواية ، ثانياً ، باشراك خيالنا مع ما أشركه الشاعر فى حسنا ، ثالثاً ، فى إدغام الخيال بالحس ليصيرا حياة واقعية عملية تتجسد فى أقوال الممثلين وفى حركاتهم وتنقلاتهم وإشاراتهم ، لترتفع بعدها إلى عرش الذهن المفكر

لقد ملأ المخرج بصرنا وسمعنا بالأنوار والمناظر ، بالتوجيه والالفات ، بالإشارة والإيماءة ، بالسرعة والبطء ، بالكثير الكثير من الدقائق الفنية التى يعيها ويدركها ، وقد لا يعيها ويدركها سوى الإنسان المثقف .

وليس أدل على ذلك من مواقف الممثلة أمينة رزق ، وقد كانت ندّابة نواحة ، غاضت البسمات فى صدرها ، وشُلت أوتار وجهها ، وانساحت دموعها فياضة ، فقد أعادها الأستاذ طليمات إلى قاعدتها ، وخلقها خلقاً جديداً ، فاسترد ثغرها ابتسامته الحلوة ، وطفت على وجهها صور نفسها ، وصارت دموعها تقطر لؤلؤاً على خدين فيهما إشراقة الفرح بالحياة .

أما فردوس حسن فقد انطلقت على سجيتها فى تمثيل دورها ، ونفضت ثوب الصناعة ، فبدت كما براها بارئها على اللدد والعنف والانتقام .

لقد تجلت عظمة هذه الممثلة فى عنفها وقسوتها ، فى نظراتها الحادة المشتعلة ، فى نبرات صوتها الجافية ، فى بصمات قدميها تطأ المسرح فيئن المسرح تحت قدميها ، فى كظمها ما غاظها من مواطنتها وقد تنكرت لوطنها وقومها ، فى استثارة نخوتها ، فى التوسل إليها والاستنجاد بها ، فى طمنتها النجلاء وقد أغمدت نصل خنجرها حتى قبضته ، فى الأنة وقد شفت غليل صدرها بالدم والقتل ! لقد سجلت فردوس حسن أعظم موقف فى تاريخ حياتها الفنية لأنه دور يوائم ما انفطرت عليه نفسها .

وددت لو أقف حيال بقية الممثلين والممثلات ، ولكنى ، لأمر ما .. أتجاوز عن هذا الموقف لأتقدم بتهنئة صادقة للمخرج والممثلات والممثلين ، الذين تساندوا وتكاتفوا فبلغوا المكانة التى دعاهم مؤلف الرواية إلى الاستواء عليها بجانب عرشه الفنى .

حبيب الزحلاوى



الفضاء والعدم أيضاً :

لا يؤاخذني الأستاذ نقولا الحداد بعدم اقتناعي بما جاء في تعليقه الأول والثاني ، عن حتمية وجود الأثير في الفضاء ، فإنه لا يخفى على حضرته أن علم الطبيعة لم تقم قوانينه أو نظرياته على الحتم بل هو كعلم الكيمياء وسائر الطبيعيات ابن التجارب ، فإذا أجريت تجربة في ناحية من النواحي وثبتت لها نتيجة تتفق والواقع أقيم على أساسها القانون ومنه تستخرج النظريات والمعادلات . والفرق بين القانون والفرض واضح ظاهر

فالقانون في العلوم الطبيعية تقرير يجمع عدداً عظيما من الحقائق ثبتت صحتها من التجارب ، إلا أن العقل البشرى لا يقنع بالحقائق بل يتساءل دائماً عن السبب ، ولذا توضع فروض لتفسير هذه الحقائق ، فإن أمكن استنباط كل الحقائق المعروفة من الفروض ، ارتقت إلى مرتبة النظرية العلمية .

فإذا كان كل من قرأت لهم من العلماء والطبيعيين أثناء دراستي لفن اللاسلكي يقولون إن هذا الأثير مجرد فرض علمي . فهل يجوز بعد هذا أن يقول الأستاذ بحتمية وجوده ، وليس في الإمكان قياسه ، أو الاستدلال عليه بأسباب علمية ملموسة ؟ ؟ فالدكتور البرت اينشتين ينكر نظرية الأثير التي يقدمها الكتاب كمحاولة ، لشرح عملية الإرسال في اللاسلكي . واينشتين يستهزىء بالوسط الأثيرى المزعوم ويقول أنه كأقصوصة أو رواية أو حيلة مبتكرة لشرح شيء لم يصل العلماء الطبيعيون إلى شرح صحيح له أو الكشف عنه . ثم هو يظن أنها ظاهرة كهرطيسية ، وشارل بروتوس ستينمتز يقول :

ليس هناك موجات أثيرية ؛ أما موجات اللاسلكي أو الضوء فهي من صفات قوة المجال الكهرطيسى الذى يمتد خلال الفضاء . ثم قال إن الطبعيين ليسوا في حاجة إلى أية فكرة عن الأثير ، بل من الواجب عليهم أن يفكروا جدياً في تعريف للموجات الكهرطيسية .

وقال بمثل ذلك E. N. Sa C. andrade في كتابه The Rechanism of Nature الذى ترجم أخيراً إلى اللغة العربية

وزاد على ذلك الأستاذ عاطف البرقوقي فقال في كتابه « الموج الساحر » من سلسلة إقرأ : لا يميل علماء الطبيعة إلى افتراض الفراغ التام من كل أثر أو وسط ؛ لذلك اخترعوا وسطاً لمثل هذه الموجات وسموه أثيراً . فليرجع الأستاذ نقولا إلى هذا وإلى غيره من المراجع التي سأورد أسماءها فيما بعد .

وأكبر الظن أنه ليس لدينا في مصر معامل طبيعية للبحث أو علماء طبيعيون وقفوا أنفسهم على هذا اللون من البحوث العالية الغالية التكاليف — إذا استثنينا أستاذنا العالمي الدكتور مشرفه باشا .

وقبل أن أختم ردى هذا أقول إننا جميعاً نعلم كيف تتدرج النظريات العلمية وأخصها النظرية الذرية منذ أن قال بها الأعريق ودالتون . . حتى وقتنا هذا وما أدخل عليها من تمديلات طبقاً لنتائج التجارب والأبحاث ، وتقدم العلم .

فإذا ثبت لدينا اليوم أو غداً بالبرهان والدليل القاطع والتجارب العلمية الصحيحة — لا مجرد الفروض — ما يقول بوجود هذا الأثير فأظن أنه لن يجرؤ كائن على إنكاره ، أما البراهين الكلامية فلا يعترف بها علم الطبيعيات .

وإذا كان أستاذنا الفاضل نقولا الحداد قد وقف على تجارب أو أبحاث أو على ما ينشره العلماء الطبيعيون ـ لا الكلاميون ـ تثبت أو تقيس أو تبرهن بوجود هذا الأثير فليدلني عليها — مشكوراً — حتى ازداد بذلك علماً .

أحمد محمد حلمي

مؤلف تاريخ الأوزاعي :

نقل المرحوم الأمير شكيب أرسلان في صفحتى ٦٢٤ ، ٢٥ من كتابه ترجمة السيد رشيد رضا عليه رحمة الله عن الأستاذ السيد محمد علال الفاسى أنه اطلع في فهرس دار الكتب المصرية على نسبة كتاب « محاسن المساعى في مناقب الإمام ابن عمرو الأوزاعى » وبأنه من تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢

وقد شك الأستاذ علال في هذه النسبة وقال للأمير شكيب ما نصه كما في صحيفة ٦٢٥ من الكتاب « وقد تعجبت كثيراً من هذه النسبة لأن النكتات من الوجهة الحديثية ليس في مقام الحافظ .

وراجعت بعض من ترجم لابن حجر فلم أر من نسب له كتاباً بهذا الاسم » إلى أن قال « فلم اطمئن إلى هذه النسبة من حيث كونها تدل على أن الكتاب فرغ منه قبل وفاته بسنتين وهو إذ ذاك قد بلغ غايته فى العلم والتحرير وأيا ما كان فيجب التثبت من هـذه النسبة والتحفظ فيها » . ولقد كان الأستاذ علال على حق فى شكه فى نسبة الكتاب للحافظ أحمد ابن حجر .

والصواب أن مؤلف تاريخ الأوزاعى هو أحمد بن زيد . فقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ﺣ ٢ ص ٧٢ فى ترجمة احمد ابن محمد الموصلى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن زيد المولود سنة ٧٨٩ والمتوفى بدمشق سنة ٨٧٠ أن ابن زيد ألف كتاباً فى مناقب الأوزاعى ، وهذه عبارته [وافرد مناقب كل من تميم الدارى والأوزاعى فى جزء سمى الأول تحفة السارى إلى زيادة تميم الدارى ، والثانى محاسن المساعى فى مناقب أبى عمرو الأوزاعى » ويبقى هنا البحث فى سبب نسبة الكتاب لابن حجر ، ويظهر لى والله أعلم أن سبب حصول هذا الخطأ هو تحريف كلمة ابن زيد إلى ابن حجر بأيدى جهلة الناسخين ولا سيما أن ابن زيد اسمه أحمد ولقبه شهاب الدين ، وابن حجر كذلك فى الاسم واللقب على أن ابن زيد معاصر لابن حجر ، وسمع منه فى رحلته إلى دمشق .

قال السخاوى ﺣ٢ ص ٧٢ « وسمع على شيخنا ابن حجر] بدمشق »

محمد صبرى عابدين

معرض كتب سنة ١٩٤٧ :

قررت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف لمناسبة إقامة المهرجان الأدبى والفنى فى فبراير القادم ، تنظيم معرض للكتب الصادرة عام ١٩٤٧ وقد بدأت إدارة خدمة الشباب « ٧ شارع سليمان باشا » تتلقى المؤلفات الصادرة فى ذلك العام من المؤلفين ودور النشر .

تصحيح :

وقع فى مقالى الذى رددت به على الأستاذ أحمد محمد خلف فى الرسالة العدد ٧٥٣ صفحة ١٣٦١ بعض أغلاط مطبعية أخفت المعنى المقصود فأدله عليها كى يصححها إذ يقرأ المقال .

السطر ٨ من العمود الأول — النرض والصواب الفرض . ميكلفن وردت مراراً بتهجئة ميكلهن . ورد فى السطر الثالث من أسفل العمود :

لا تتمجبوا من اتفاق — والصواب من إخفاق

السطر الأخير من المقال « الأبراقية » . وصوابه إلا بمراقبة

نقولا الحداد



السائح والتمثال

بقلم ألدوبالانسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وعند ما تنبه من غشيته رأى نفسه يرفل في ثياب جديدة كثياب الكهنة وقد حلق شعره وقلمت أظافره وأحس أنه قد تبدل وقد نسي ماضيه وكأنه يعيش في الهيكل منذ ولدته أمه . وإذ كان يشير في أحد أبهاء الهيكل ساهياً عن ماضيه ، لاهياً عن حاضره لمح تمثالا نصفياً من الحجر الأزرق .. يمثل مهاوة امرأة ، ويقوم على قاعدة صغيرة من المرمر الأبيض ، فشعر بهبوط في قوته وأن شيئاً خفياً يجذبه نحو التمثال الأزرق ولم يخطر بباله أنه تمثال إينوبيا ، تلك المرأة التي أحبته ونسيها ، ولكنها فجأة لاحت مهاوتها أمام عينيه فشعر أولا بأنه نسيها نسياناً مطلقاً .. ثم بدأت عوالم الشعور والأحلام والأفكار المطمورة في أعماق روحه — كما لو كانت في قرارة بحر عميق ، تهب وتنهض وتستيقظ وتبعث وتطفر وتقفز وتدور وتشتعل وتحيا من جديد ؛ وفي تلك اللحظة نفسها مر به الكاهن الذي ناقشه عند وصوله لخباء ، ووقف له كمن ينتظر أنه سوف يخاطبه أو يلق عليه سؤالا

وفي الواقع لم يخيب السائح رجاء الكاهن وقال له وهو لا يملك أن يحول نظره عن التمثال وقد استولت عليه رعشة ورجفة مصاحبتين للبعث الذي شعر به في روحه !

— ٣ —

— أتسمح يا سيدي أن أسأل عن صاحبة هذا التمثال من تكون ؟

— فقال الكاهن وهو يبدي عدم الاكتراث : إنه تحفة ثمينة وتكاد تكون مقدسة ، لأنه من صنع مثال لامرأة كان يحبها منذ خمسمائة سنة ... فبهت السائح ثم استجمع قوته وقال

— وما كان اسمها ياسيدي؟ أقصد إلى الفنان والمرأة ..

فسأله الكاهن «وهل يكرثك الأمر إلى حد أنك تود أن تقف على إسم فنان مطمور ، وتمثال صغير، مضى عليهما خمسة قرون؟ إن كان إسمهما يهمك فاعلم أن المرأة كانت تدعى إينوبيا ، والمثال فيدور . فدارت الدنيا بالسائح ، لأن فيدور كان إسمه هو، وأحس بأن الأرض تميد تحت قدميه ، ولكنه تجلد واستنجد بكل ما كان له من قوة إرادة وعزم ليبقى قائماً على عوده . وفي لحظة شعر بأنه لن يقوى على الوقوف فتحامل على قدميه حتى دنا من التمثال وارتكن إليه « فيدور — إينوبيا » وقد رأى الكاهن كل ماجرى له ، ولكنه لم يمد له يد المعونة ولم ينطق بكلمة وبقى كمن لا يريد أن يضن على صاحبه بجواب على سؤال ، ولان يتعدى هذه الحدود ، فلما ظن السائح أنه قد استعاد شيئاً من قوة جسمه وروحه قال :

أيمكن يا سيدي أن يتكرر اسم شخصين بعينهما وجنسهما وهيأتهما وخلقهما في فترتين من الزمن أو فترات عدة ؟

فقال الكاهن : لم أفهم سؤالك وإن كنت أوشك أن أستشف معنى بمض ما ترمى إليه . تقول إنك إذا كنت أنت فيدور وقد أحببت امرأة اسمها إينوبيا في حياتك هذه وعصرنا هذا فهل يمكن أن يكون قد عاش قبلكما في ماض قريب أو سحيق شخصان مثلكما مخلوقان على شاكلتكما ؟ وهل هذان الشخصان هما نفسهما اللذان عاشا في الماضي والحاضر ، أم أنهما خلقا على غرار السابقين لهما ؟ إن لم يكن إدرا كي قد اقترف جناية الخيانة العظمى فلا بد أن يكون هذا محور سؤالك أو نحوه .

فخارت قوى فيدور لحداثة عهده بقوة الروح التي توحي مثل هذا الكلام وذلك العلم الكشاف . وقال : نعم نعم هذا سؤالي بعينه . فابتسم الكاهن وقال : إن هذا الذي تخيلته من أبسط الأشياء . إنه الحقيقة بعينها ، وإنها لاتدعو إلى الحيرة التي تبدو عليك .. ثم قال له : ادنُ من التمثال والمسه .

فقال السائح : لن أجسر على لمسه . إنه في نظري أقدس من أن يمس . فقال الكاهن : لم يدر بخلدي أن شاعراً متحرراً مثلك يعيش في هذا القرن العشرين تستهويه تحفة مصنوعة منذ خمسمائة عام . على أن الجمال ليس مطلقاً ولا تاماً ولا قريباً من

الكمال فإن الأذنين أدق من الآذان الأنثوية وفى الأنف شذوذ لا يجعل صاحبته ذات فتنة .

فقال السائح سامحنى يا سيدى الكاهن إذا لم أوفق إلى رضائك بقبول نقدك فانك لا تعلم ما أعلم ولا تشعر بما أشـعر . فأدار الكاهن وجهه ليخفى ضحكة غامضة . واسـتمر فيدور فى حديثه فقال : إنه ليس شبهاً ، ولكنه صورة طبق الأصل ، ولعله أكثر من هـذا بعد الذى قلته لى فهو نوع من استعادة الحياة نفسها فى هـذا الحجر الأزرق وذاك المرمر المسنون . بالله عليك يا سـيدى الكاهن خبرنى كيف استطاع مثّال عاش فى القرن الخامس عشر أن يتخيل ثم ينحت فى الحجر الصلد الأزرق هاتين الأذنين الدقيقتين وأن يجعلهما جميلتين مرهفتين كما رأيتهما وشمرت بجمالهما ؟ فقال الكاهن : تقول إنه تخيل ثم نحت ؟ على رسلك ياسيدى ، إنه لم يتخيل ولكنه رأى وأحب وتعذب. فقال فيدور : رأى الأذنين الجميلتين المرهفتين كما رأيتهما وعرفتهما وشمرت بجمالهما ...

فقال الكاهن وهو يبتسم ابتسامة غامضة ماكرة : وهل تمكن ذلك المثال الحاذق أن يكسب العينين شيئاً من الشبه يقربهما إلى ذاكرتك كما صنع بالأذنين ؟

قال السائح : العينان تكادان تشمان بنورهما الإنسانى وهذه الجبهة العالية المشرقة التى خلعت على صاحبتها جمالا ونبلا ، ثم هذا الأنف الشاذ الذى كانت إينوبيا تزعم أنها عثرت وهى طفلة تجرى وتمرح فأصابها جرح جمل أنفها كما هو .

فقال الكاهن : عجباً عجباً ! أراك تتذكر كل شىء عن تلك التى أحبتك وهجرتها ، بل فررت منها ، ومن العالم الذى يحتويها .

— ٤ —

فقال السائح : الآن لا أفر منها وقد جمعتنى بها المقادير .

الكاهن : ولو كانت صخرة صماء لا تنطق كهذه ؟

السائح : لا تنطق ؟ إن فما بشفتيه الرقيقتين يكاد ينادينى !! بربك قل لى بأية معجزة تخلق امرأتان بهـذا الشبه المحير ، وتعيشان فى زمانين مختلفين ، وهل تظن أن تلك المرأة التى نقل عنها ذلك المثال البائد ، كانت تشبه إينوبيا كل المشابهة .

فتجهم وجه الكاهن وقال : لا تقل المثال البائد ، فاننا فى عالم لا تبيد فيه ذرة فكيف تبيد فيه الأرواح والإرادات ؟ وأظن أن المشابهة لم تكن مقصورة على الوجه بل كانت شاملة للخلق والروح . لا شك عندى فى ذلك يا سيدى !

وعند ما سمع السائح هذه الكلمات أسف على ما كان منه نحو تلك التى أحبته وشعر أن إينوبيا كانت ملكا أرسل إليه لانقاذه فى صورة خفية ، ونظر إلى الكاهن قائلا :

وهل استعادة الماضى مستحيلة ؟

ولماذا تريد أن تستعيد الماضى الذى خلصت منه ؟

— لقد كنت خادعاً ومخدوعاً ، فإنه لا يستطيع أحـد أن يخلص من ماضيه ، ولا أن يعيش بدونه مهما كان محفوفا بمكاره الذكريات . إنى أحاول جهدى أن أستجمع صورتها الكاملة فلا أقدر على ذلك .

فقال الكاهن : ليس هناك ماض ولا حاضر ولا مستقبل . الزمان واحد والمكان واحد . وليس الماضى آنية ثمينة تحطمت فتنحنى ثم تركع لتجمع شذراتها المتناثرة لتعيد إليها الحياة بالرتق والترقيع كالثوب القديم . إن الحياة وحدة منسجمة لا تتجزأ أو لا تتمزق ولا تتغير ألوانها . وسار الكاهن فى طريقه . فما كان أشد فرح السائح عندما ظفر بهذا الروح الجديد ينبعث إلى قلبه وعقله ! ورأى فى أول الأمر أن يتشبث بالتمثال فاستمسك به حيناً ، ثم استغنى عنه لأنه وجد التطهير فى قلبه ، وعلم أن تلك التى أهمل شأنها كانت هى التى أنقذته من الخبث والحقد والحسـد ومحاولة التحديق فى وجه خالقه ، وهى التى قادت قدميه فى غفـلة من إرادته ، ويقظة من روحه ، إلى هيكل نيبوس إله النور . إذا كانت إينوبيا وفيدور قد عاشا وتألما وتمتعا فى حياة سابقة على الحاضر بخمسمائة عام خلت ، فهذا هو الخلود نفسه ، وهـذا هو الدوام الذى لا فناء بعده . لقد قصد إلى الهيكل هارباً من الدنيا لما راعه ما بها من فساد وهاله ما فيها من تهتك ، وأدهشه ما رضيه أكثر أهلها من إباحة ، فماذا يصنع وهو لا يملك أن يطهر الدنيا ولا سـيما مدينته مما عراها ، ولا يقدر على أن ينفى أهل الخلاعة والخيانة والغـدر من أوطانهم ؟ وعند ما بلغ تلك النقطة من التفكير سمع صوتاً من نفسه يناديه :

فيدور ! أيها الهارب ! طهّر نفسك أولا ، فإذا بلغت هذه الغاية فقد صرت قادراً على تطهير الآخرين ...

محمد لطفى جمعه المحامى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٦ — الاثنين ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

حسن ، مرقس ، كوهين ... ... : أحمد حسن الزيات ١٤٢١

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٤٢٢

إياكم والهادنة ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٤٢٣

حجج تأريخية ... ... : الدكتور جواد على ١٤٢٦

التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ... ١٤٢٨

معارضات القرآن ... ... : الأستاذ على العمارى ١٤٣٠

الكأس والغواص ... ... { للشاعر الكبير جيته الألمانى بقلم الأديب عبد الموجود عبد الحافظ } ١٤٣٢

«مهوراء المنظار» : { فى حجرة صاحب ديوان } الأستاذ محمود الخفيف ١٤٣٤

تيمات الجلاء (قصيدة) ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... ١٤٣٦

ليلة عيد الميلاد » ... ... : الأستاذ زهير ميرزا ١٤٣٦

طمآن ... ... : الشاعر محمد قوره ١٤٣٧

على الأدب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ١٤٣٨

« الأدب والفن فى أسبوع » : الأدب المقارن — تعقيب — ١٤٤٠

الصفحات المزوقة — توفيق الحكيم أخيراً — اللغة العربية فى السوربون — مسابقة المجمع الأدبية ١٤٤٢

« البريد الأدبى » : حدث فى الفكر الإسلامى — كلمى الأخيرة فى ١٤٤٣

القضاء والعدم — أبو نواس ١٤٤٤

فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة ١٤٤٥

العدد ٧٥٦ — الاثنين ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

حسن ، مرقس ، كوهين ... ... : أحمد حسن الزيات ١٤٢١

رحلة إلى الهند ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ١٤٢٢

إياكم والمهادنة ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ١٤٢٣

حجج تأريخية ... ... : الدكتور جواد على ١٤٢٦

التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ... ١٤٢٨

معارضات القرآن ... ... : الأستاذ على العمارى ١٤٣٠

الكأس والنواس ... ... : للشاعر الكبير جيته الألمانى — بقلم الأديب عبد الموجود عبد الحافظ ١٤٣٢

« مهوراء المنظار » : في حجرة صاحب ديوان — الأستاذ محمود الخفيف ١٤٣٤

تبعات الجلاء (قصيدة) ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... ١٤٣٦

ليلة عيد الميلاد « ... ... : الأستاذ زهير ميرزا ١٤٣٦

ظمآن ... ... : الشاعر محمد قوره ١٤٣٧

نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١٤٣٨

« الأدب والفن فى أسبوع » : الأدب المقارن — تعقيب — ١٤٤٠

الصفحات المزوقة — توفيق الحكيم أخيراً — اللغة العربية فى السوربون —
مسابقة المجمع الأدبية ١٤٤٢

« البريد الأدبى » : حدث فى الفكر الإسلامى — كلمتى الأخيرة فى ١٤٤٣

الفضاء والعدم — أبونواس ١٤٤٤

فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة ١٤٤٥

٢٩٠٥١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

سكك حديد الحكومة المصرية

قطارات لنقل الجرايد والبريد والعفش المستعجل والطرود الطازجة يومياً ما بين القاهرة والاسكندرية وبالعكس

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه تقرر ابتداء من ١٥ ديسمبر سنة ٩٤٧ سير قطار جديد يومياً لنقل الجرائد والمجلات والبريد والطرود المستعجلة والطازجة من مصر إلى الأسكندرية ويعود منها ذات اليوم بالبريد والطرود إلى مصر ويقف بالمحطات المركزية وفقاً للمواعيد الآتية .

الذهاب

مصر : قيام الساعة ١٥ ر ٣ يقف بمحطات بنها وطنطا ودمنهور و كفر الدوار

الإسكندرية : وصول الساعة ٢٥ر٧ وسيدى جابر حسب الميعاد المقررة لمسيره

الاياب

الإسكندرية : قيام الساعة ٣٠ر٤ يقف بمحطات سيدى جابر و كفر الدوار وأبوحمص مصر وصول الساعة ٣٠ر٩ ودمنهور وايتاى البارود و كفر الزيات وطنطا و بركة السبع وقويسنا وبنها وطوخ حسب الميعاد

لا يجوز بأى حال من الأحوال سفر ركاب بهذا القطار سوى مندوبى وموزعى الجرائد ويجب أن يكون بيدهم تذاكر قانونية بعد اثبات شخصيتهم والتحقق من صفتهم الصحافية .

15 em Année No. 756

Lundi — 29 — 12 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٦٧ — ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

حسن ، مرقص ، كوهين

خرج الثلاثة من مسرح رتز ، ثم جلسوا في قهوة من قهوات عماد الدين يعقدون صفقة من صفقات الربا الفاحش ، يطلبها حسن ، ويطبخها مرقص ، ويقدمها كوهين . فلما اتفقوا وذهب حسن يشتري كمبيالة مطبوعة من مكان قريب ، أقبل مرقص السمسار على كوهين المرابي يسأله في خبث :

مرقص : أندري لما ذا يقترض حسن منك هذه الخمسمائة جنيه ليؤديها إليك بعد عام ستمائة وليس مأزوما ولا محروما ولا صاحب مشروع ؟

كوهين : وما فائدتي في أن أدري ؟ إن غاية ما يعنيني من شؤون زبوني أن أعرف مقدار الفائدة وميعاد الدفع . أما غير ذلك فهواء لا يملأ كيساً ولا يعمر خزانة !

م — ربما يعنيك في هذه المرة أن تعرف سبب الاقتراض !

ك — هل يريد حسن أن يفتح بهذا المال بنكا للصرافة ؟ أم هل يريد أن يُقرضه زبوناً آخر أقدر بفائدة أخرى أكبر ؟

م — لا هذا ولا ذاك

ك — إذن أرحني من الحديث في شيء لا يُمر ولا يُحلى .

م — وإذا كان يريد أن يتبرع بهذا القرض لفلسطين العربية ؟

ك يا رحمة الرب ! ويا لقسوة القدر ! ويا لرجم إسرائيل ! أنا ؟ أنا أعين على قوى بمالي ؟ ! ... ونظر فرأى حسناً مقبلاً وفي يده الكمبيالة ، فكظم على جِرَّته ، وبسط ما تغضن من جبهته ، ثم قال لحسن وهو يمد يده إليه بالكمبيالة ليملأها :

لقد بدا لي يا حسن بك أن أؤجل عقد الصفقة إلى موعد آخر ! ذلك أدنى أن تنظر في أمرك وأنظر في أمري ؛ فربما وجدتَ لك دائناً أسهل ، ووجدتُ لي مديناً أفضل !

فقال له حسن ومخايل الدهش والعجب والامتعاض تختلط على وجهه :

ح — ولكنك درست المسألة منذ أيام وانتهيت إلى أنني وفي مليّ ... فما عدا مما بدا ؟

فبادر مرقص إلى الجواب وفي عينيه نظارة توحي ، وعلى شفتيه بسمة تغري :

م — بلغه على ما يظهر أنك تقترض لتساعد عرب فلسطين !

ح — وما ذا في هذا ؟ أليس كوهين مصريًّا مثلي ومثلك ، وطنه مصر ، وقومه المصريون ، وإخوانه العرب ، وحاخامه ناحوم الذي قال : يهود مصر مصريون لا صهيونيون !

ك — نعم يا سيدي ! أنا كوهين بن بنيامين ، وطني الأرض الموعودة ، وقومي اليهود ، وإخواني الصهيونيون ، وحاخامي الحق هو الذي يتلو عليّ كل صباح قول الرب في سفر التكوين : (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) ؛ وإذا كان لك في فلسطين المسجد الأقصى ، ولمرقص مهد المسيح ، فإن لي فيها وعد إبراهيم ونسكه ، وهيكل سليمان وملكه ! ومن قال لك

١٦ - رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض فى المملكة السعودية

شاهجهان وزوجه

السلطان شهاب الدين شاه جهان بن جلال الدين أكبر وخامس الملوك التيموريين فى الهنـد تولى الملك سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٨ م) ودام له السلطان اثنتين وثلاثين سنة .

ولى والدولة فى عنفوانها ، قد ذلل له الصعاب ، ووطد له السلطان أبوه جلال الدين ، وكان كلفا بتشييد الأبنية الضخمة وتجميلها ، فترك أجمل آثار الهند ، بل آثار العالم كله .

تزوج الأمير خزّم (وهو اسم شاهجهان قبل أن يلى الملك) سيدة من قرابته اسمها أرجند بانو (أى السيدة الفاضلة) وهى التى لُقبت من بعد بلقب « ممتاز محل » .

وهذه السيدة بنت الوزير آصف جهان الذى ذكرناه قبلا ، وهو أخو السيدة نورجهان امرأة السلطان جهانكَير .

كان زواج الأمير خزم بالسيدة أرجند بانو سنة ١٠٢٢ هـ قبل أن يرث الملك بخمسة عشر عاماً ، وعاشا سـعيدين متحابين ، يأنس الأمير ثم السلطان بزوجه ويسكن إليها ، ويفزع فى الملمّات إلى رأيها ، ودامت صحبتهما ثمانية عشر عاماً .



وسنة ١٠٤٠ هـ لثلاث سنين مضت من ملك شاه جهان ، بينما السيدة ممتاز محل مع زوجها فى مدينة برهان بور ، ولدت للمرة الرابعة عشرة وليدة سميت جوهر آرا ، وماتت الأم أثر الوضع .

وقد أرخ أحد الشعراء موتها ببيتين بالفارسية ينتهيان بهذا المصرع « جاى ممتاز محل جنت باد » ، « لتكن الجنة مثوى ممتاز محل » . وحساب هذا المصرع بالجمّل : ١٠٤٠ .

صدعت وفاتها قلب زوجها ، فولّهه الحزن ، حتى صدف عن مُتع الدنيا ، وهمّ بأن يعتزل الملك والناس ، ثم صبر حزيناً لا تفارقه ذكرى صاحبته .

بقى جثمان السيدة فى برهانپور ستة أشهر ، ثم نقل إلى أكرا وأودع موضعاً فى حديقة تاج محل المعروفة اليوم ، وبعد ستة أشهر أودعت مستقرها الأخير الذى شيد عليه المزار الرائع المسمى « تاج محل » ، وسنذكره بعد .

أراد السلطان أن يشيد لزوجه بناء يضارع مكانتها فى قلبه ، ويعرب عن حبه ووفائه وحزنه ، فتحدى كل ما شاد الملوك ، وما أبدعت فيه أيدى الصناع ، فشاد هذا البناء جميلا كممتاز محل، عظيما كحب شاه جهان ووفائه ، بل أقام تمثالا للجمال والحب والوفاء ، كما أبدع فيها خيال الشعراء .

غير هذا من اليهود فقد اتّقاك ، والتقية من وصايا الدين والسياسة !

ح — لسنا ندافع عن فلسطين لأن فيها المسجد الأقصى والقريب الأدنى وحسب ، إنما ندافع عنها لأن فيها مع ذلك الخطر الذى تصرح به الآية التى تلوتها أنت من سفر التكوين ... وكان الظن بك يا كوهين ، ومن ترى مصر هذا الشحم الذى يترجرج عليك ، ومن نيل مصر ذلك الذهب الذى يجرى فى يديك ، أن تنهض لمثل ما أنهض له عن سماحة نفس وطيب خاطر . .

لم يستطع ابن يهوذا أن يسمع بقية الحديث ، فترك الكمبيالة على المائدة وقام حردان بده إلى مرقص ليصافحه ، وعينه إلى حسن ليقول له :

إن الدين والجنس والوطن هى الأقانيم اليهـودية ، ألفاظها ثلاثة ولكن معناها واحد !

احمد حسن الزيات

دعا المهندسين من أقطار الأرض، نخطوا ما شاءت خبرتهم وقدرتهم، فاختار واحدة من الخطط اتخذ لها نموذج من الخشب شيد على مثاله البناء الرائع، وحشر مهرة الصناع من الأقطار، وكان منهم النقاش محمد عيسى أفندى من الروم (تركيا)، ومحمد شريف من سمرقند، وكان لكل منهما ألف روبية فى الشهر.

وأشرف على العمارة الأمير عبد الكريم ومكرمت خان، وعملت أيدى البنائين والنحاتين والنقاشين، وقدرة السلطان وثروته فى هذا البناء ثمانية عشر عاماً كالحقبة التى أمضتها السيدة فى صحبة زوجها، فتم سنة ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) هذا التمثال المعجز فى بلاغة البناء.

« للكلام صلة » عبد الوهاب عزام

إياكم والمهــــادنة

« ما هكذا تورد يا سعد الإبل ! »

للأستاذ محمود محمد شــاكر

إنما حملت أمانة هذا القلم لأصدع بالحق جهاراً فى غير جمجمة ولا إدهان، ولو عرفت أنى أعجز عن حمل هــذه الأمانة بحقها لقذفت به إلى حيث يذل العزيز ويمتهن الكريم. وقد قصرت نفسى إلى هذا اليوم على مجلة « الرسالة » لأنها ملاذ الأقلام الحرة التى لا تثنيها عن الحق رهبة، ولا تصدها عن البيان مخافة.

وقد جاء اليوم الذى لم يعد يحل فيه لامرئ حر أن يكتم قومه شيئاً يعلم أنه الهدى، فمن كتمه فى قلبه فقد طوى جوانحه على جذوة من نار جهنم، تعذبه فى الدنيا ويلقى بها فى الآخرة أشد العذاب. وأنا جندى من جنود هذه العربية، لو عرفت أنى سوف أحمل سيفاً أو سلاحاً أمضى من هذا القلم لكان مكانى اليوم فى ساحة الوغى فى فلسطين، ولكنى نذرت على هذا القلم أن لا يكف عن القتال فى سبيل العرب ما استطعت أن أحمله بين أنا ملى، وما أتيح لى أن أجد مكاناً أقول فيه الحق وأدعو إليه، لا ينهانى عن الصراحة فيه شىء مما ينهى الناس أو يخدعهم أو يغرر بهم أو يغريهم بباطل من باطل هذه الحياة.

والأمر بيننا وبين يهود سافر كاشراق الصباح لا يغطيه شىء، ولا تعمى عن جلائه عين، فهو الحرب الضارية التى لا ترحم. فمن شك فى هذا فإنما يشك عن دخل وفساد لا عن يقين خطأ يلتمس فيه العذر. والحرب معنى معروف للبشر منذ كانوا على هذه الأرض، ولها أساليب لا يجهلها خبير بها ولا غير خبير، ومن جهل هذه الأساليب أو تجاهلها أو دعا قومه إلى اطراحها والإغماض عنها فإنما يدعوهم إلى الهلكة والفناء والخزى وذل المصور والآباد. فكل كلمة تقال منذ اليوم فى أمر هذه الحرب فهى إما تحريض على القتال، أو تثبيط عنه. وكل امرئ منا محاسب بما يقول علا شأنه أو سفل، فإن الحرب لا تعرف شريفاً ليس لسانه بشريف، ولا تتنكر لمغمور يضىء عنه بيانه أو عمله.

وقد قرأت فى هذه الأيام الأخيرة وسمعت كلمات لا يرفعها أو يشفع لها أن يكون قائلها فلان أو فلان. فإن قيادة هذه الحرب لن تكون لمن يهادن فى الحق الأبلج، أو يجامل فى المحنة المهلكة. فمن ذلك أنى سمعت الأئمة على منابر المسلمين تذكر الناس بأمر فلسطين وما حل بها وما يراد فيها، ثم تعقب على ذلك بتذكير الناس بأن فى بلادهم مواطنين من يهود — هم كما يقولون — أهل ذمة، لهم ما لأهل الذمة والمعاهدين من الأحكام فى ديننا ودين نبينا. وقرأت أيضاً بياناً من « هيئة وادى النيل » أذاعه رئيسها سعادة محمد على علوبة باشا يقول لنافيه: « إن لكم مواطنين من اليهود فى مصر، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم. وقد شاعت حولهم شائعات السوء فقيل إنهم يمدون الصهيونية بالمال، وإنهم يضنون بما لهم فلا يساهمون معكم فى رد عدوان الباغين. ونحن على يقين من أن إخواننا اليهود فى مصر — وهم أصحاب الملايين — سيبذلون من مالهم للعروبة فى محنتها كما تبذلون، وسيسارعون إلى تكذيب هذه الشائعات ببذلهم وعطائهم لا بأقوالهم وتصريحاتهم » . .

ولست أدرى ما الذى يحمل هؤلاء القوم على ركوب هــذا المركب فى تغطية عيون الناس عن أفاعيل يهود منذ كان لهم على هذه الأرض مكان يسرحون فيه ؟ فإذا كانوا يريدون أن لا تقم

الفتنة بين يهود مصر وبيننا ، فكفاهم أن يذكروا أن العرب والمسلمين منذ كانوا لم يضطهدوا هذا الجنس من خلق الله إلا عقاباً لشيء جنته أيديهم ، ثم يتركونهم وادعين لا يمسهم شر ولا عنت تحت ظل هذه الدول العربية والإسلامية . وإذا كانوا يريدون أن يفتوا الناس بأن يهود هم أهل ذمة لهم ما لأهل الذمة فى أحكام الإسلام ، فقد أخطأوا . ولا يستطيع متأول أن يتأول على دين الله أن هؤلاء اليهود أهل ذمة أو معاهدون كما توجب أحكام الإسلام لمن يوصف بهذه الصفة . وكان حسب هؤلاء أن يأمروا الناس بالتطوع للقتال والتبرع بالمال ، وأن يصفوا لهم هذه الحرب الملعونة التى تشنها علينا العصبية الصليبية من أوربة وأمريكا ، وأن ينفضوا قلوب الناس حتى يتدردوا صراكزهم فى صفوف المقاتلين ، فإن الحرب كما يقولون جدها جد وهزلها جد . فإذا كان هذا العبث مقبولا يوماً ما ، فإنه اليوم فت فى عضد الأمة المسكينة التى أحاطت بها الأمم لتأكلها « أكل الضروس حلت له أكلاؤه » . فليقلع هؤلاء الواعظون عن عظة فيها الهلاك لأقوامهم ، والذل لأبنائهم ، والعبودية لبلادهم .

أما النداء الذى أذاعه علوبة باشا فقد أفزع كل حريص على خير أمته وبلاده . وكيف لا يفزع امرؤ يقرأ نداء موجهاً إلى عامة الشعوب العربية ثم شعب مصر خاصة وفيه هذه الثقة المطلقة بأن اليهود برآء من كل قادحة تقدح فى إخلاصهم للقضية العربية ! ! وفيه هذا اليقين الذى لا يتزلزل بأنهم سوف يجودون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل فلسطين العربية ! ! ويأتى هذا البيان من رجل معروف الاسم ، مشتغل بالقضايا السياسية والوطنية والعربية ، ينظر إليه الشباب نظرة التوقير والإجلال لما يقول .

ونحن لا ندرى هل وقف على شيء غاب عن الناس جميعاً وعرفه هو ، فاستيقن أن ظاهر أمر يهود مصر غير باطنهم ، وأنهم إنما يرسلون الأموال إلى الصهيونية ذراً للرماد فى عيون الناس ، وأنهم يتولون تهريب الأسلحة إلى الصهيونية رحمة بالعرب ودفاعاً عن قضيتهم ، وأنهم يجمعون الشبان اليهود ليبثوا فيهم الدعوة إلى الهجرة إلى أرض الميعاد ، ليدخلوا فلسطين ويكونوا عوناً للعرب على إخوانهم من اليهود الصهيونيين ! !

حسبكم أيها الساسة القدماء ! لئن ظننتم أنكم بأمثال هذا الكلام تستطيعون أن تلينوا الصخر من قلوب يهود مصر حتى ينحازوا إليكم ، ويكونوا لكم أعواناً على أبناء جلدتهم ، فقد خاب ظنكم وخاض بكم الأباطيل المركومة . إنه ما من يهودى على ظهر هذه البسيطة إلا وهو صهيونى متعصب يخفى تحت ذلته ومسكنته غوائل الغدر والفتك . إن يهود العالم على قلب رجل واحد : يريدون أن يلتهموا هذا الشرق العربى كله ، ويكونوا سادته وكبراءه والحاكمين بأمرهم فى كل ثنية من ثنايا أرضه . لا نقول لكم اقرأوا كتب الصهيونية لتعلموا ، بل اقرأوا كتابهم الذى يدينون به ، واسترقوا السمع فيما يجرى على ألسنتهم وهم يتخافتون بينهم ، وادخلوا بيعهم ، وانظروا فى وجوههم ، وتفرسوا فى سمتهم وشمائلهم وحركاتهم ، فيومئذ تعلمون أن تحت هذه الصفحة البريئة المتلألئة أخطبوطاً سفاحاً قد قتله الظمأ إلى دمائكم ولوعه الشوق إلى فرائس أموالكم وبلادكم . وليس بسياسى من لم يعرف عدوه معرفته بنفسه التى بين جنبيه . وليس بسياسى من كتم هذه المعرفة عن قومه فى ساعة القتال والحرب . ولا تظنوا أن يهود تنخدع لكم عن أنفسها حتى تنالوا منها شيئاً تعلم أنه خذلان لدينها وعقائدها وأهوائها ومطامعها منذ كان لهم فى هذه الأرض مجال يتحركون فيه .

إن الذين نشروا هذا النداء إنما يخادعون أنفسهم وأهليهم عن حقائق ما يجرى على أعينهم وبمنظر منهم ومسمع ؛ وهذه صحف تنشر كل يوم من خبائث يهود فى أرض مصر ما يفزع ، وتضع أيديكم على الجريمة وهى تنشأ فى قلب بلادكم ، فكيف يتاح لكم أن توفقوا بين ثقتكم بغيب مكنون فى قلب اليهود ، وظاهر يأتيكم من أفعالهم علانية غير مستور أو محجوب ؟ نحن لا نريدكم أن تحرضوا الناس على الفتك باليهود ، فالعربى أنبل نفساً من أن يفتك ويغدر . بل نريدكم أن تدعوا هذه العظات والسياسات المتعفنة جانباً ، وأن تلقوا إلى قومكم بالحقائق مجردة من كل مهادنة

أو مراوغة ، حتى يعلم شباب العرب أن فى قلب بلادهم قوى يخشى أن تغلب عليهم وتنتزع منهم أمرهم ، وتفت فى محصدات عزائمهم ، ولتستولى على الأمد قبل أن نطيق نحن صدقاً أو عدلا فيما كتب علينا من هذا القتال المر .

أريد أن يعلم من كتب هذا النداء أشياء قد غابت عنه ؟ فليعلم أن يهود مصر يبذلون اليوم آلافاً مؤلفة من الأموال لشراء قطع متجاورات من الأرض فى مشارف مصر ، يدفعون فيها من المال ثلاثة أضعاف ثمنها أو أكثر . وليعلم هؤلاء أن يهود مصر قد فرغوا منذ عشر سنوات من الاستيلاء على تجارة الجملة كلها فى أرض مصر . وليعلم هؤلاء أن هذه الفئة القليلة من يهود قد استطاعت فى زمن الحرب أن تتغلغل فى نواح كثيرة من أعمال لم يكن ليهود مصر بها عهد . وما من شىء من هذا كله إلا وهم يأتونه على هدى وبصيرة وتدبير محكم ، ناظرين إلى شىء واحد ، هو أن الدولة اليهودية سوف تكون فى فلسطين ، وأنهم يومئذ مطالبون بأشياء يؤدونها لدولتهم ، وهى أشياء مفهومة معروفة ، الغرض منها أن تخفق راية يهود على هذه البقعة من الأرض ممتدة من شاطىء الفرات إلى ضفاف النيل .

أيها الناس لا تستهينوا بأمر يهود ! انظروا ماذا كان من أمرهم منذ عشرين سنة ، ثم انظروا إلى خبرهم اليوم ، من كان يظن أن لليهود شأناً أو خطراً فى هذه الدنيا منذ عشرين سنة ، إلا من هدى الله ؟ ثم انظروا اليوم إلى هذه الفئة القليلة من سكان هذه الأرض كيف استطاعت أن تغلب على عقول الأمم والساسة ، وأن تغطى على الحق وهو مشرق كمين الشمس ، وأن تدفع أكبر دولة فى الأرض وهى أمريكا إلى ارتكاب أبشم جريمة فى تاريخ الإنسانية ، وأن تدلس على الرأى العالمى كله حقائق هذه الجريمة ، وأن تشترى بأموالها القلوب والأمم والناس والأفراد . انظروا إلى هذا كله قبل أن تتكلموا ، واتقوا غضب الله قبل أن تزل ألسنتكم بالوعظ المهلك لأنفسكم وأهليكم .

الا تخافون أن تكون هذه القوة الملاحمة التى ذكرتموها فى ندائكم — قوة أصحاب الملايين — وسيلة لتسلط يهود يوماً ما على ساستكم ورجالكم وحكوماتكم ، وأن تكون تهديداً لكم ولأممكم بالمجاعات والاضطرابات الاقتصادية والسياسية ، وأن تكون أسلوباً من أساليب تأليب الأمم عليكم فى هذه المحنة حتى تمطوا القيادة ليهود وأنتم صاغرون ؟ أيها الساسة لا تستهينوا ، فمن استهان بعدوه فقد فرط ، ومن استهان بعدوه فقد مكنه من مقاتله ، ومن استهان بعدوه فقد منحه فرصة للفتك به .

واعلموا أنها الحرب بيننا وبين يهود . والحرب لا تلهو . وهذه الفئات التى تقيم فى أوطان العرب من اليهود سوف تكون يوماً ما « طابوراً خامساً » ، بل هى اليوم كذلك . واعلموا أن اليهود قد مرنوا على أساليب التجسس وتحسس الأخبار فى هذه الحرب ، وأنهم كانوا أعوانا للأمم المقاتلة فى حرب الأعصاب ، وأنهم قوم مردوا على النفاق منذ قديم الآزال ، فكيف تأمنون جانبهم ، وتطالبون قومكم أن يأمنوا جانبهم ؟

ثم أراكم تدعون يهود للتبرع بأموالها فى سبيل قضية العرب ، بل أن يبذلوا أموالهم لتقاتلوا بها أهلهم وعشيرتهم ، فبئس الشىء تطلبون . إن أول ما فى هذا الجهل بالطبيعة البشرية ، ثم غاية الجهل بطبيعة هذه الفئة من يهود التى ظلت أكثر من ألفى سنة تنطوى على نفسها ، وتحافظ على روابطها ، وتجعل دينها هو قوميتها ووطنها ، لا وطن لها ولا قومية إلا اليهودية صرفاً خالصة لا تشوبها شائبة من محبة وطن له أرض وسماء ، إلا أرض الميعاد — إلا فلسطين — إلا أرض اسرائيل من شاطىء الفرات إلى ضفاف النيل .

ثم ألا تخافون أن يتبرع لكم هؤلاء اليهود بآلاف من أموالهم أو أموالنا على الأصح ، يخادعونكم بها ثم يهربون إلى قومهم الملايين ، يمينون بها عليكم ، ويكسبون بها غفلتكم عنهم وعن حركاتهم وأعمالهم ودسائسهم فى قلب بلادكم ؟

أيها الساسة اطلبوا سياسة أخرى غير هذه تكفيكم شر يهود . إننا لا نريد منهم مالا ، ولا نريد منهم حباً للأوطان التى أظلتهم وحمتهم ، ولا نريد منهم رجالا يقاتلون فى صفوفنا ، وإن ديننا لينهانا عن أن نقبل منهم شيئاً . اطلبوا أيها الناس سياسة أخرى تضمن لكم أن تعرفوا خبء يهود ، وأن تصطنعوا من الأسباب ما يكفل لكم قطع أيديهم وألسنتهم من التدسس

حجج تاريخية

للدكتور جواد على

يطالب الصهاينة بأرض الميعاد ، أو « الأرض الموعودة » ويعنون بذلك ما جاء فى التوراة وعداً « لابرام » « إبراهيم » « وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم[١] » .

وفى هذه الآية وفى آيات أخرى أن إبرهيم جد العبرانيين الأعلى لم يكن من أرض « كنعان » أو «أرض فلسطين» بل كان من أرض أخرى وأن فلسطين كانت أرض « الكنعانيين » وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم إسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، ولاعنك المنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض[٢] » . وجاء بعد ذلك « وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض[١] » .

وقد خصصت هذه الأرض « أرض كنعان » « بإبراهيم » وبنسله ومن نسله العرب واليهود وفى القرآن الكريم أن إبراهيم هو أبو العرب ، والعرب يطالبون بحكم القرآن الكريم بحقهم كذلك فى أرض إبراهيم ، وقد حددت التوراة الأرض التى أعطاها الله لإبراهيم وذريته على النحو الآتى « فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[٢] » .

وجاء فى موضع آخر من التوراة « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل ، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم[٣] » .

وجاء فى التوراة كذلك «وشاخ يشوع تقدم فى الأيام فقال له الرب أنت قد شخت تقدمت فى الايام ، وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك هذه هى الأرض الباقية : كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذى هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى والأشقلونى والجتى والعقرونى والعويين ، من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التى للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة ، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين ، أنا أطردهم من أمام بنى إسرائيل[٤] » .

فأرض الميعاد التى تتغنى بها الصهيونية أرض واسعة تشتمل على العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن وكل الأراضى التى لم يتمكن أنبياء وملوك بنى إسرائيل من امتلاكها .

(١) سفر التكوين سفر ١٧ آية ٨ .
(٢) التكوين سفر ١٢ آية ١ — ٣ .

(١) تكوين سفر ١٢ آية ٧ .
(٢) تكوين سفر ١٥ آية ١٨
(٣) يشوع إصحاح ١ آية ١ — ٦ .
(٤) يشوع إصحاح ١٣ آية ١ — ٧ .

والتجسس والمكيدة والغدر . لا تأمروا الناس بالفتك بهم ، بل نحن العرب نحمى الذمار حتى عدونا نحمى ذماره ، ولكن دبروا أمركم وسنوا من القوانين ما ينهى يهود الأوطان العربية عن الغدر بهذه الأوطان التى حمتهم وهم مشردون مضطهدون قد مزقهم الناس كل ممزق .

إن العالم العربى اليوم قد استيقظ من غفوة طالت ، وهو اليوم لا يسمع للساسة القدماء إلا كما يستمع المقاتل البطل إلى صيحات الجبان الذعور ، فليعلم هؤلاء أنه أولى بهم أن يمنحوا الشباب من حكمتهم وتجاريبهم وعقلهم ما يهديهم ويقويهم ، لا أن يعظوهم بالمواعظ التى تحفر تحت أقدامهم هوة مظلمة بعيدة القعر ليس يسمع فى أرجائها إلا هماهم الموت وهو يدب والنار فى دم أو منشباً مخالبه فى فريسة . ارحموا الناس وارحموا أنفسكم أيها الرجال .

محمود محمد شاكر

والصهيونية تدين بالقومية المتطرفة التي تعلو على قومية « الوطنية النـازية » التي حاربها الحلفاء فإنهم ينظرون إلى أنفسهم بنظرية « الجنس المختار » و « الشعب الذي وضعه الله فوق الشعوب ، ولذلك فهي تنفر من سائر شعوب الأرض وتنظر إلى نفسها نظرة إعجاب وكبرياء وقد استمدت نظريتها هذه منذ القديم حيث جاء في التوراة « لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لـكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض[١] » . وتدين بالقوانين التي وضعها « عزرا » « فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة[٢] » . تلك القوانين التي غدت نموذجاً لقوانين « نورمبرك » .

إن الصهيونية لا تقبل إلا بإحياء الدولة اليهودية المتطرفة ، ولا ترضى بفلسطين وحدها ، جاء في كتاب « الدولة اليهودية تتحقق » « Judenstaat wird wirklichkeit » « لهـوبرت بولاك » « Hubert Pollack » أعلن بوضوح في المؤتمر الصهيـوني العشرين وفي مناسبات علنية أخرى أن مشروع تقسيم فلسطين هو أصغر من أن يحل المشكلة اليهودية ، ولهذا السبب فإن مثل هذه الدولة لا يمكن أن تتفق مع الأماني اليهودية ، ولا مع روحية الصهيونية ، ثم إن فلسطين نفسها لا يمكن أن تحل المشكلة اليهودية لأنها أصغر من أن تحل هذه المعضلة ، فلا بد من ضم شرق الأردن؛ لأنها في حالة ازدحام فلسطين ازدحاماً تاماً لا يمـكن أن تتسع لأكثر من سبعة ملايين نسمة . وفي حالة تقدم الدولة تقدماً كبيراً فسيكون بها حوالي ثلاثة ملايين من العرب ، ولذلك فإنه لا يمكن أن تتسع هذه الدولة في مثل هذه الظروف لأكثر من أربعة ملايين يهودي ، وإذن لا يمـكن أن تتكون دولة يهودية بدون شرق الأردن[٣] » .

وبحث عن المشكلة اليهودية فقال « إن هذه المشكلة لا يمكن حلها إلا إذا نزل الشعب اليهودي بأجمعه في أرضـه الأصلية كلها ، وتحت حماية دولته الوطنية ، وفي هذا المعنى فقط تحل

(١) التثنية الإصحاح الرابع عشر آية ٢ .
(٢) عزرا الإصحاح العاشر آية ١١ .
(٣) Judenstaat. P. 27 .

المشكلة اليهودية ولهذا الهدف تسمى الحركة الصهيونية[١] » .

وقال « هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونيـة في كتابه « الدولة اليهودية » « وفي حالة ما إذا أعطانا جلالة السلطان فلسطين فإننا سنتمكن عندئذ من الإشراف على مالية الامبراطورية العثمانية ، وتكون في متناول يدنا ، وسنكون بالنسبة لأوربا سداً منيعاً أمام آسيا ؛ وسنكون مركز حماية الثقافة أمام البربرية[٢] » .

ولمـا فشل في إقنـاع الحـكومة العثمانية بإعطاء فلسطين للصهاينة وضع مشروعاً سرياً لغزو فلسطين ، وقد نفذت المؤسسات الصهيونية هذا المشروع ، ويتلخص في أن يقوم اليهود بإقناع الدول الـكبرى بتأييد القضية الصهيونية وبالاعتراف بحق اليهود في تكوين دولة لهم بفلسطين وبتوجيه أنظار اليهود نحو فلسطين وحثهم على الهجرة إليها حتى تتكون فيها جاليات يهودية قوية تتمركز في الأرض المقدسة تشـتري الأرض والأملاك إلى أن يكون لليهود عدد كبير في فلسطين فيثور هؤلاء ، ويطالبون عندئذ بحقهم في تكوين الدولة اليهـودية . ومتى تكونت الدولة تطرد الأقليات العربية منها وتصبح الدولة اليهودية حقيقة واقعة[٣] » .

وقد اتخذت الصهيونية لها شعاراً هو « تقوية المركز اليهودي في فلسطين » « Starkuvg der Jüdischen Position in Palästina » .

وقد طبقت هذه السياسة فعلا ؛ ولا تزال تطبق هذه الخطة السرية لاحتلال كل الأراضي التي يطلقون عليها « أرض الميعاد » .

جواد علي

(١) Judenstaat. s. 28 .
(٢) Theodo· Herzl. Der Judenstaat, s. 33 .
(٣) Dubvow· Vol. 10 P. 316 .

التـــاريخ يعيد نفسه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

للتاريخ حكم يجرى فى الحاضر والمستقبل كما يجرى فى الماضى ، فلا يحزن المسلمون إذا رأوا اليهود يجازونهم الآن على إحسانهم إساءة ، وعلى إنصافهم ظلماً وعدوانا ، فقديماً أحسن المسلمون إلى اليهود فأساءوا إليهم ، وعرضوا عليهم أن يعيشوا فى وطنهم العربى إخواناً لهم ، فرفضوا هذا العرض الكريم ، وأبوا إلا أن تكون جاهلية يمرحون فيها وينهبون ، فكان جزاؤهم الطرد من هذا الوطن ، وسيطردون إن شاء الله من وطننا بفلسطين ، ويجازيهم الله على بغيهم الجديد ، كما جازاهم على بغيهم القديم . ولو تدبر اليهود حكم التاريخ لخففوا من غلوائهم ، وخافوا حكم الله والتاريخ فيهم ، ولكنهم قوم أعماهم حب النفس ، فلا ينظرون إلى المستقبل ، ولا تنفع فيهم عظة ولاعبرة ، وهذا هو الذى جلب عليهم بغض الشعوب ، وأوقعهم فى كل ما وقعوا فيه من النكبات

استولى الروم على بيت المقدس قبيل الميلاد المسيحى ، وطردوا اليهود منه ، فلجأ فريق منهم إلى بلاد العرب ، ونزلوا بجوارهم فى يثرب وغيرها من بلادهم ، فنزلوا بينهم فى أكرم منزل ، وعاشوا بينهم فى خسير جوار ، وكان العرب فى جاهليتهم دون اليهود علماً بشئون الحياة ، فاستغل اليهود جهلهم ، وأخذوا يقرضونهم الأموال بالربا الفاحش ، حتى صاروا أغنى أهل الحجاز وامتلكوا أخصب أرضه بيثرب وغيرها .

وقد كان العرب فى جاهليتهم يعيشون فى حروب دائمة لا تنقطع فشاركهم اليهود فى تلك الحروب ، وانغمسوا معهم فى تلك الجاهلية الآثمة ، وانقسموا على أنفسهم فيها ، كما انقسم العرب على أنفسهم فلم يحاولوا أن يقوموا بينهم بصلح ، أو يقضوا على شرور تلك الجاهلية ، لأنهم لا يهمهم فى هذه الدنيا إلا جمع المال ، ولا يهمهم شىء من هداية الشعوب إلى ما ينفعهم فى دنياهم أو أخراهم .

وكان أهل المدينة من العرب واليهود منقسمين قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما عرب الخزرج ومعهم بنو قينقاع وبنو النضير من اليهود ، وثانيهما عرب الأوس ومعهم بنو قريظة من اليهود وكان بين الفريقين حروب دائمة لا تنقطع ، وكان آخرها حرب بعاث ، وقد وقع قبل الهجرة بخمس سنين .

فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أراد أن يجمع بين أهل هذا الوطن من مسلمين ويهود ، وكان العرب من الأوس والخزرج قد اجتمعوا على الإسلام ، وبقى اليهود على دينهم فلم يسلموا ، فتركهم المسلمون أحراراً فى دينهم ، ولم يكرهوهم على أن يدينوا بالإسلام مثلهم .

فعقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين المسلمين واليهود ، كانت أول معاهدة فرقت بين الدين والوطن منذ الخليقة ، وجعلت الدين لله يحاسب عليه يوم الحساب ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وجعلت الوطن لجميع الناس ، يستوون فى حقوقه على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، فلا عصبية ولا قومية ولا غيرهما مما يفرق بين الناس فى الأرض ، ويثير الحروب والعداوات بينهم وهذه سنة جديدة فى السياسة لم يكن للناس عهد بها قبل الإسلام ، جاءت بأصلين عظيمين جديدين فى هذه الحياة : حرية الاعتقاد ، والمساواة بين الناس فى الوطن . فلم يكن قبل الإسلام أصل من هذين الأصلين ، بل كان أهل الأديان فى حروب دائمة على الدين ، وكانت الشعوب فى حروب دائمة على استعباد بعضهم لبعض ، فأبطل الإسلام الحروب الأولى ، ونادى بها صرخة مدوية فى الأرض (لا إكراه فى الدين) وأبطل الحروب الثانية أيضاً ، وجعل هدفه هداية الناس لا استعبادهم .

فلم يسع اليهود إلا أن يوافقوا فى الظاهر على هذه المعاهدة الكريمة ، حتى لا تظهر نيتهم الخبيثة لأهل هذا الوطن الذى آواهم وأكرمهم ، وحتى لا يظهروا بمظهر الكارهين لدينهم ، وهو يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ويرفض عبادة الأصنام كما يرفضون ، ثم أخذوا يكيدون فى الباطن لأهل هذا الدين الذين لا ذنب لهم عندهم إلا أنهم نهضوا من جاهليتهم ، ورفضوا عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى ، لأن اليهود لا يهمهم شىء من هذا ، وإنما يهمهم استغلال من يؤويهم فى وطنه ، ويرضيهم

كل الرضا أن يبقى جاهلا يعبد الأصنام ، إذا كان هذا مما يمكنهم من استغلاله ...

فأخذ اليهود يعملون على إثارة العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ، ليتفرق جمعهم ، ويتركوا هذا الدين الذى جمع بينهم . ومما عملوه فى ذلك أن شاس بن قيس اليهودى مر على نفر من الأوس والخزرج قد جمعهم مجلس واحد ، ترفرف عليهم فيه أعلام المحبة والإخاء ، وتظهر عليهم فيه آيات الإخلاص والولاء ، فغاظه هذا المظهر الكريم ، وقال . قد اجتمع ملأ قيلة بهذه البلاد(١) لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار . ثم أمر فتى من اليهود أن يعمد إليهم فيجلس معهم ، ويذكر يوم بعاث وما كان قبله من حروبهم ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيها من الأشعار ، ففعل الفتى ما أمره به شاس ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه . إن شئتم رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة(٢) السلاح السلاح . ثم خرجوا إلى تلك الحرة ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلوه ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين ، فلما وصل إليهم قال لهم : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟ فبكى القوم عند سماع هذه الكلمات ، وعانق بعضهم بعضا ، ورجعوا إلى ألفتهم واتحادهم .

فلما يئس اليهود من التفريق بين المسلمين انقلبوا إلى من بقى على الشرك من أهل المدينة ، وكان أكثرهم من المنافقين الذين يخفون الشرك ويظهرون الإسلام ، فحالفوهم على المسلمين ، ثم أخذوا يؤلبون القبائل العربية على حربهم ، وسموا إلى قريش فحالفوها عليهم ، ولم يتورعوا فى عداوتهم للاسلام عن تزيين الشرك وعبادة الأصنام لهذه القبائل ، وتفضيل هذا على الإسلام الذى يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ولم يهمهم أن يخرجوا بهذا على دينهم لأن القومية عندهم أهم من الدين ، وأمر الدنيا عندهم أهم من أمر الآخرة ، فلا يهمهم أن يبيعوا دينهم فى دنياهم ، وسعادة الآخرة فى سعادة الدنيا ، لأنهم الشعب المختار بين الشعوب ، ولا قيمة فى هذه الدنيا لغيرهم .

وكانت سياسة جهل وغباء من أولئك اليهود ، وكانت تدبيرات ظالمة باغية بإزاء ما أراده الإسلام لهم من العدل والإنصاف فجازاهم الله على هذا شر جزاء ، ونصر حق الإسلام على باطلهم ، ورفع ما يدعو إليه من العدل والإخاء والمساواة على ما يدعون إليه من الظلم والعداء والتفريق ، فذهب كل ما سوله الجهل لهم فى القضاء على الإسلام أدراج الرياح ، وفشلت سياستهم الباغية الجاحدة المفرقة ، ولم ينفعهم أولئك المنافقون الذين آثروا حلفهم على حلف المسلمين ، ولو كانوا عقلاء لعلموا أن المنافق لا يبقى على حلف ، ولا يفى بعهد ، ولا يقدر على نصر ، لأنه كاذب فى دينه ضعيف فى نفسه ، فلا ينفع ولا يضر ، وشر الرجال من يصل إلى هذا العجز ، ويكون هذا حاله فى الضعف .

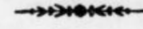
لقد أراد يهود المدينة أن تبقى فى جاهليتها ليستغلوا أهلها ، ورفضوا أن تكون وطنا لهم وللمسلمين ، فأبى الله إلا أن تكون وطنا للمسلمين وحدهم ، وأن يحرم منها أولئك اليهود الغرباء ، فنفوا منها إلى أذرعات وغيرها ، وسيعيد التاريخ حكمه فيهم ، وسنبين فيما يأتى كيف يكون هذا الحكم .

عبد المتعال الصعيدى

(١) قيلة هى أم الأوس والخزرج .
(٢) حرة بالمدينة .

معارضات القرآن

للأستاذ على العمارى



قرأت فى بعض المجلات لعالم فاضل مقالا تحت هذا العنوان، وقد تحدث عن ابتداء المعارضات، وأنها كانت من قوم لم يكن ينتظر صدورها منهم، وأن القرشيين — وهم أرباب الفصاحة والبلاغة — لم يحاولوا المعارضة؛ لأنهم خافوا أن يقولوا فيفتضحوا، ولكن بعض المتنبئين تجرأ فعارض القرآن، وذكر الكاتب من هذه المعارضات قول مسيلمة الكذاب: ياضفدع ابنة ضفدع، نقى ما تنقين، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين. وقوله: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وغشى. ثم قال: فهو فى المعارضة الأولى يخاطب الضفدع كأنها مخلوق يتعالى فيريد أن يضع من أمرها، ويحط من شأنها، والضفدع مخلوق ضعيف لايتعالى ولا يتكبر؛ فخطابه بهذا لا يطابق حاله، ومن شرط البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهو فى المعارضة الثانية لا يأتى من دقائق القدرة ما يتعالى إدراكه عن البشر كما قال تعالى فى القرآن الكريم «فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب». اهـ

وقد لفت ذهنى فى هذا الكلام أمران:

أولا: أنه يسوق هذه المعارضات سوق القضايا المسلمة، والأمر فيه نظر — كما يقولون —

وثانياً: أنه يزيف هذه المعارضات مستنداً إلى أمور معنوية دون نظر مطلقاً إلى الأسلوب وتهافته، فهو يرد المعارضة الأولى بأن الخطاب فيها غير مطابق لمقتضى الحال، ويرد الثانية بأن ما جاء فيها ليس من دقائق القدرة، ومع أن الأمر لا يقتصر على الناحية المعنوية بل لعل أظهر ما فى هذه المعارضات من ضعف هو ركاكة الأسلوب وسخفه، مع ذلك فان خطاب الضفدع مطابق لمقتضى الحال، لأن قوله «نقى ما تنقين» معناه ارفعى صوتك ما شئت. فانك لا تستطيعين وراء هذا التصويت — الذى يشعر بالجلبة والضوضاء والعظمة — ليس وراءه ما يمكن أن يكون له من أثر من تكدير الماء أو منع الشاربين ...

هذا، وقد كنت أعتقد من زمن بعيد أن هذه المعارضات وأشباهها من افتعالات الرواة، وتفكهات أصحاب القصص، وأضاحيك السمار فى المجالس والمجتمعات، وأن العرب انقطعوا عن المعارضات حقها وباطلها، ولم أكن أعتقد أن مسيلمة أوغيره من أعراب البادية ينزل إلى هذا المستوى، ويمخرق على قومه وهم فصحاء بلغاء بهذا الهراء، وكنت وما زلت أحفظ قول الجاحظ عن انقطاع العرب عن المعارضة: «ولم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده، ويحامى عليه، ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقارب وناقض» وهذا — ولا شك — نص وثيق صريح فى أن شيئاً من هذه المعارضات لم يكن وصل إلى علم الجاحظ، وهو ما هو، فاذا أضفنا إلى ذلك أن كل هذه المعارضات من التهافت وضعف التأليف بحيث يستحيل صدورها من عربى بله عربى يقول فيه المرحوم مصطفى صادق الرافعى أنه أفصح من المتنبى، وذلك حيث يقول فى كتابه إعجاز القرآن «وما المتنبى بأفصح عربية من العنسى ولا مسيلمة» على أن مما روى للمتنبى مما قالوا إنه عارض به القرآن. أقول من هذا ما يشبه أن يكون كلاماً مثل قوله «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفى إخطار، امض على سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه، وضل عن سبيله» فأين من هذا ما يلصقونه بمسيلمة؟

وفى محفوظى مما لست أستطيع أن أحققه الآن لبعدى عن كتبى، أن مسيلمة طلب منه قومه أن يأتيهم بقرآن فقال: هذا ما لا ينطق به لسان من عضل.

على أن الذى أثار دهشتى — ومن أجله كتبت هذه الكلمة — أن الرافعى عليه الرحمات، قد ساق هذه المعارضات سوق المسلمات وأخذ يشقق القول فيها ويصرفه، وجعل يعلل ضعفها وتهافتها، وذكر منها قول مسيلمة: «والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً

والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، اهالة وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه » وقوله « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تمجعون » وقوله « الفيل ما الفيل ، له ذنب وبيـل ، وخرطوم طويل » ثم قال الرافعى ، وما كان الرجل من السخف بحيث ترى ، ولا من الجهل بمعانى الكلام ، وسوء البصر به بمواضعه ، ولكن لذلك سبباً نحن ذاكروه »

وأقول أن هذا هو الحق ، وأن لنا أن نتخذ هذا القول نفسه عماداً نتكئ عليه فى أفكارنا أن يصدر مثل هذا عن مسيلمة ، فالمعارضة الأولى يلاحظ فيها الاستقصاء الذى لا يعرفه إلا أهـل الصناعة من محترفى الكتابة ، أما العربى الأول فما أظن أنه يبلغ به التتبع والاستقصاء إلى حد أن يبتدئ ببذر الزرع وينتهى بلقم الثريد ، وما بقى عليه بعد ذلك إلا أن يختم عبثه بالخاتمة الطبيعية لهذا الترتيب!

ولا شك عندى أن هذه المعارضة دليل واضح فى ذاتها على أنها من وضع فكه متظرف سخف فأجاد السخف ، وليس فيها تقليد للقرآن — كما يقول الرافعى فى سبب ضعفها — فان القرآن لم يكن يسترسل هكذا فى معنى واحـد حتى يصل به إلى غايته ، والمعارضة الثانية فيها تكرار من غير مناسبة ، والكلمة الأخيرة أشبه بأن تكون موضع الفكاهة فى السورة ! ! ، وأنا لا أدرى لماذا يعمد مسيلمة إلى وصف الفيل هذا الوصف الساذج ، وهو ليس من الحيوانات المألوفة عند العرب ، ولماذا اختار الضفدع ، وهو حيوان حقير صغير ، وهو بعد ليس مما يشغل ذهن العربى ؟

ويبدو لى أن الرافعى انساق فى تيار الجاحظ ، فقد جاء فى كتابه الحيوان عند الكلام على الضفدع قوله : ولا أدرى ما هيج مسيلمة على ذكرها ، ولم ساء رأيه فيها ، حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضفدع بنت ضفدعين ... الخ ولكنى أظن أن الجاحظ لم يقصد غير السخرية ، وأنه يعلم أن ذلك من موضوعات الظرفاء فجاراهم ، فانا إذا وضعنا هـذا القول بجانب قوله الذى نقلناه آنفاً خلصنا بهذه النتيجة .

من يطالع فى كتب الأدب يجد أن المتنبئين كانوا مادة دسمة للتظرف ، وكم من طرفته ألصقت بهم ، وما كان يصح أن يتركوا مسيلمة دون أن يتفكهوا به ، وهو أشهر متنبئ ، ولعل من ذلك ما حدثوا أنه أمهر سجاح التميمية حين تزوجها باسقاط صلاتين من الصلوات التى جاء بها محمد ، كأن مسيلمة كان يؤدى هو وأتباعه وأتباع زوجته النبية الصلوات الخمس ، ويتعبد بشريعة الاسلام !

ولذلك نجد المتظرفين والمتهكمين ينسبون القصة الواحدة فى بعض الأحايين إلى أكثر من واحد ، فهم لا يعنيهم إلا الحكاية ، أما عمن صدرت فذلك أمر ثانوى .

ذلك رأيى فى هذه المعارضات ، و ما كنت أحب أن تساق سوق القضايا المقطوع بها ، سواء كانت فى كتاب أو فى مجلة ، ولا سيما إذا جاء فى جو البحث العلمى لأن ذلك يوقع فى الأذهان أن ذلك أمر قد اتفق على ثبوته ، وليس حوله شبهة ولا عليه اعتراض .

على العمارى

مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

الكأس والغواص

للشاعر الكبير (هينه الألمانى)

بقلم الأديب عبد الموجود عبد الحافظ

وقف الملك وحوله حاشيته وأفراد شعبه يطلون على البحر من هذا العلو السامق ، ونظر الملك وأجال طرفه بين الحضور كأنه يبحث عن شيء ثم قال : « من منكم أيها الفتيان النبلاء والفرسان الشجعان يقدر على الاندفاع فى هذا البحر اللجىّ والهوة السحيقة ؟ لقد رميت قدحاً من ذهب فابتلعته المياه فى جوفها ، فمن آنس قدرة فى نفسه وحصل عليه فليحفظه فهو منحة له »

فما أتى الملك على آخر كلمته حتى ألقى من عالى الصخور المنحدرة المشرفة على البحر الهائج واللجج الهائلة ، قدحاً من عسجد فى قاع البحر وكرر قوله « من منكم يأنس فى نفسه الإقدام على غوص هذه الأعماق ؟ »

واستولى على الحضور سكون رهيب كأنه صمت القبور ، وما هى إلا هنيهة قصيرة حتى هب شاب من بين الجمع الحاشد تظهر عليه آثار الترف والنعم وقد جمع بين اللطف والإقدام ، والحسن والجرأة ، فتقدم فى ثبات وعزم وحلّ منطقته وخلع رداءه وتجرد من كل شيء ؛ فدهش القوم وبهتَ الرجال والنساء وازداد عجب الفتيات وأعجبوا جميعاً به أيما إعجاب . وقف الشاب على حافة الهاوية يتأمل هذا المهوى البعيد ، فسمع اللجج فى أغوارها تقصف كأنها الرعد .

زمجر الموج وأرغى البحر وأزبد وغلى غليان الماء فى المرجل وارتفع الرزاز حتى صافح الوجوه ، وتبعت الموجة موجة واللجة لجة ، وكأن قوة هذا الجبار المهلك تتجدد ولا تنفد .

ثم سكن هذا الطغيان الجارف وخفت وطأة الموج المتحدر ولمح الناس وسط الزبد الأبيض فوهة سوداء لا قرار لها فاغرة فاها كالجحيم لا تلبث أن تزدرد كل ما يهوى فيها من الموج الصاخب .

واعتمد الشاب على ربه وطلب منه العناية ... وألقى بنفسه فى هذه الفوهة المفتوحة ، وسمع وهو يهوى صياح الفزع والرعب وغاب هذا الغواص الجرىء وانطبق عليه فم الوحش الكاسر .

صمت كل شيء وأصبح القوم وكأن على رؤوسهم الطير ، ولكن الأنواء ما فتئت تدوى فى ظلمات الأغوار ، وطفق القوم يقولون والأسى يقطر من نفوسهم والدمع يسيل من عيونهم : « الوداع الوداع أيها العزيز » وما برح هزيم الهاوية يهبط رويداً رويداً حتى هلعت القلوب وحارت العقول وأمسك القوم أنفاسهم من شدة الهلع .

ثم قال أحد الحاضرين « والله لئن رميت تاجك فى هذا النور الهائل ، وقلت : الملك لمن يرده ما سولت لى نفسى التطلع إليه »

« وكم من فلك اختطفته هذه الأغوار ولم ينج منها إلا حطاماً وساريات مهشمة ودفن باقيها فى بطون الرموس ... »

وعلت زمجرة اللجج بغتة فغطت على بقية القول وهاجت عاصفة الموج وعلا كالطود وهجم على الشاطىء كأنه وحش مفترس تخيل للحضور أنه يريد أن يلتقمهم كما ابتلع قبل ثوان ذلك الشاب الجميل فخافوا وفزعوا .

وعلى غرة من القوم ندت صرخة فرح من أحدهم فقد شاهد بين صخب الموج وتلاطمه القوى المنيف ذراعاً وعنقاً مسدلا عليهما شعر أصفر صفرة الذهب . وما هى إلا لحظات حتى طفا الشاب يسبح بقوة وجبروت على سطح الماء يحمل فى إحدى يديه الكأس الذهبية والبشر باد على محياه فزاده نوراً على نور .

وعلا صياح الناس فرحين مستبشرين بنجاته من الغرق وقد تغلب على قوة هذا الجبار واقتحم مناطق الخطر وخرج منها سالماً مظفراً .

وتقدم الفتى فى زهو وخيلاء والتفت حوله الناس معجبين مهللين حتى بلغ مكان الملك فركع عند قدميه ومد يده بالكأس الذهبية يشع منها النور ، فأشار الملك إلى ابنته المحبوبة أن تأخذ الكأس وتملأها من رحيق فاخر وتقدمها للشاب الباسل ، وصاح الفتى يقول :

« أعمر الله سيدى ومولاى الملك ؛ إن من نعم الله على البشر

أن أسمدهم باستنشاق هذا الهواء النقى ؟ وإن هذه الهاوية لترتجف منها القلوب وترتاع منها النفوس لما فيها من أهوال وظلمات

« لقد هويت إلى البحر فى سرعة خاطفة فقذفتنى موجة جبارة فألقت بى إلى صخرة ، وأعقبتها أخرى أشد منها بأساً وقوة فلم أقو على الثبات أمامها وأعاننى ربى الذى توكلت عليه واستغثت به عند ما رأيت الهول محدقاً بى فرأيت نتوء فى الصخر فملقت به فنجوت من الموت .. وعلى قرب منى شاهدت الكأس معلقة فى شعبة من شعب المرجان فلم تهو إلى القاع السحيق .

وهالنى ما أبصرته من أعماق لا قرار لها فخارت قواى وارتعدت فرائصى ، وزادنى هولا ما شاهدته من وحوش البحر وحيتانه ، وزادنى هولا أنى لم أسمع صوتاً آدمياً ، وكنت أنظر إلى ما أنا فيه وأفكر فى مصيرى ، ولكنى تشجعت وسبحت حتى تناولت الكأس وقذفتنى موجة عاتية فحملتنى إلى سطح البحر فلم أصدق أنى نجوت .

فأثار كلامه إعجاب الملك وقال له هذه الكأس هبة لك وإني أهبك خاتماً مرصعاً بأغلى الجواهر ، فجرب حظك فى النزول مرة أخرى لتحدثنى بما تشاهد من عجائب .

فنظرت إليه ابنة الملك وظهر على وجهها عاطفة الحنان والشفقة وتوسلت إلى أبيها قائلة فى لهجة تشع بالحنان والعطف

اعدل أبت عن هذه المخاطرة القاسية فقد أقدم هذا الشاب الشجاع على ما لم يجد أحد فى نفسه القدرة على الإقدام عليه وعاد من أهوال لم يكتب لأحد منها النجاة قبله . فرحمة بشبابه يا أبت

ولم تتم كلامها حتى ألقى الملك الكأس وقال : أيها الفتى الشجاع ، إن أحضرت لى الكأس جعلتك من خاصة حاشيتى وزوجتك بمن توسلت إلىّ من أجلك .

فوجد فتانا فى نفسه قوة خارقة عند ما نظر إلى ابنة الملك فرأى وجهها وقد تورد حمرة ، وعيناها تنظران إليه يشع منهما النور والخوف معاً على هذا الشاب المقدام .

فعوّل على أن ينال هذه المنحة العظيمة وينال هذه الفتاة التى أحبته وأحبها لأول مرة فألقى بنفسه من شاهق إلى أفواه الموت مرة أخرى

وأنصت القوم لزمجرة الموج ورعده وقد ملك الهلع قلوبهم وارتعدت فرائصهم من الهول ، والموج يرتفع ويهبط ويرغى ويزبد ويثور ويزمجر ولكن هيهات أن يعود بالغواص مرة أخرى إلى الحياة .

« أسيوط » عبد الموجود عبد الحافظ



فى حجرة صاحب ديوان . . . !

استأذنت فسرعان ما أذن لى بالدخول عليه ، ولقينى بترحاب وبشاشة يعرفهما فيه كل من دخل حجرته ، وقل فى أصحاب الديوان من كان له مثل أريحيته ونبله على رفعة منصبه وسعة نفوذه ، فأن أكثرهم وا أسفاه لتسفل نفوسهم بارتفاع مناصبهم ، وإنهم ليتأبهون على الناس ويتكرهون لهم حتى لكأنهم يحيون ويميتون .. وليس لهم فى الواقع من الأمر شىء ..

وإنه لينزلنى منه منزلة الصديق وأنا تلميذه ، ويرفع مكانتى عنده ، ويحب « منظارى » ولا يفتأ يحدثنى عنه .

ومن أعظم ما حببه إلى على كثرة ما أحببت من صفاته ، أنه يستمع فى أناة عجيبة إلى كل شاك ، لا يتبرم ولا يقاطع ولا ينفد صبره ، ثم يقول ما له وما عليه ، لا يلتوى ولا يغالط ولا يتحفظ ..

كان على مقعد قريب من مكتبه وكيله فى العمل ، وهو يكبر رئيسه فيما أعلم بنحو سبعة أعوام ويسبقه فى التخرج بمثل هذه السنوات ، ولم يخف على منظارى أن بنفسه من ذلك شيئاً بل أشياء ..

واستبقانى الرئيس بعد أن أفضيت إليه بما جئت من أجله ؛ ودخل شاب بعد أن أذن له فسلم وظل واقفاً ، وقرأت فى وجهه أنه يكتم غضبه ؛ وأذن لقادم آخر فدخل وهو كهل فى أول الكهولة فيما قدرت ، وأشار إليه الرئيس فجلس على مقعد ينتظر دوره فى الكلام . . . . ولمحت كذلك فى وجهه أنه يمتلىء حفيظة وغضبا ..

وقال الرئيس للشاب : أظن أنه ينبغى أن تسافر فأن فلاناً بك مصر على ألا يقبلك بعد اليوم عنده ؛ ومشت فى هيكل الشاب رعدة وقال فى عبارة مضطربة وفى لهجة تصور مرارة نفسه . معنى ذلك أن الموظف بهيم لا إرادة ولا رأى ولا كرامة له ؟ لم لا يُفهم فلان بك أنه أخطأ حتى لا يعود ثانية إلى الخطأ ، وإلا فما وجه خطأى أنا كيلا أقع فيه من بعد ؟ .. ينبغى إذاً أن أصانع كل رئيس على حساب الحق والكرامة والصالح العام .. لا .. لا .. هذا كثير .

وظلت فى وجه الرئيس بشاشته على الرغم مما كان يرتسم على محياه من علامات الألم لما يقول الشاب ، وقبل أن يتكلم الرئيس ، انطلق ذلك الكهل الذى كان ينتظر دوره . وقد نهض كالخطيب فقال يخاطب الشاب : اسمح لى أن أنصح لك نصيحة مجرب : طلق الكرامة والذمة والحق والأمانة ما دمت قبلت الوظيفة كرامة ؟ رأى ؟ إرادة ؟ إنك يا بنى تحلم . أنت فى مصر . إنك تكلف نفسك رهقاً شديداً إذ تمسكت منذ الآن برأيك وحكمت ضميرك وأرضيت خلقك .. أنت يا بنى عبد .. لا تغضب فأنا عبد مثلك . . وكل موظف عبد من أكبر كبير إلى أصغر صغير وإنما يستعبد بعضنا بعضا ··· كرامة ؟ رأى ! ضمير ؟ ··· أنت فين ؟ ··· المسألة أكل عيش بأى شكل ، وكل واحد لا يهمه إلا نفسه ·· الصالح العام ؟ أين هو ··· احنا فين ؟ ··· داحنا فى مصر ···

وظل صاحب الديوان على هدوئه وبشاشته ، وجلس الخطيب الكهل بعد كلام طويل من هذا القبيل ؛ وأخرج الشاب ورقة من جيبه فدفعها إلى الرئيس فأذا هى استقالته ؛ وراجعه الرئيس متلطفاً ثم استمهله يومين لينظر فى الأمر ؛ وخرج الشاب ، والتفتُ إلى الكهل فأذا قضيته هى قضية ذلك الشاب ولكنه كما قال لا يستقيل لأن له بنين وبنات ينفق على تعليمهم وليس يملك غير مرتبه . . ووعد الرئيس كذلك أن ينظر فى أمره من أجل أولاده فانصرف وهو يقول حسبى الله ···

ونظر إلى الرئيس وقال باسما : كأنى أراك تكتب «منظارك»؛ وما كاد يلتفت حتى طلب الأذن مستأذن فأدخل ، فإذا بشاب فى نحو الخامسة والثلاثين دمث مهذب فيما يبدو ، فى وجهه من الهم والكدرة أكثر مما فيه من غضب ، وسلم وقال ، أنا فلان ، وسرد تاريخ حياته ، ثم ذكر أن فلاناً من فرقته رقى وهو ثانى الفرقة ، وأنه هو لم يرق وهو الأول ، ويحب أن يعلم لم تخطاه الثانى ، فإن كانت له عيوب فما يشفى نفسه أن يعرفها ، أما أن يقال له إنك « ممتاز » وأما أن يثنى عليه رؤساؤه جميعاً ثم يترك

ويرق من هو دونه فذلك ما لا يستطيع أن يسيغه ولا أن يحمل على قبوله عقله ، وهو ما لا تطيقه كرامته .

وعند ذلك انطلق الوكيل الذى ظل صامتاً منذ أن دخلت ، فأخذ دور ذلك الكهل الخطيب ، وقال فى اتزان ولكن فى كثير من التحمس : اسمع يا أستاذ ألا زلت من السذاجة ... لا تؤاخذنى ... ألا زلت من الطيبة بحيث تفهم أن الأمر أمر كفاية واستحقاق ... إبحث تجد صاحبك تزوج حديثاً فترق أو جرى فى ركاب عظيم فنال الأجر أو هو قريب فلان باشا أو علان بك ، أو غير ذلك مما أستحى أن أذكره ، فأن استطعت أن تفعل مثله أو يكون لك مثل ظروفه فستظفر بالرقى وإلا فستبقى حيث أنت إلى أن يشاء الله . أنت فى مصر على رأى صاحبنا الذى خرج ... أنت فى مصر يا بنى ... أنظر فها أنذا بينى وبين الستين أربعة أعوام وقد تخطانى من لا أحسبهم جاهدوا فى الحياة جهادى وخدموا البلد خدمتى ... ثم ضحك ضحكة مرة ونظرت فأذا فى وجه الرئيس شىء من الحرج وفى عينيه ما لا يخفى معناه من اختلاج ، وفطن الوكيل فتدارك الأمر قائلا ... لا مؤاخذة يا بك فأنت ذو فضل وما عنيتك بما أقول ... معاذ الله ، ثم ضحك ضحكة أخرى لم أدر أقصد بها التبسط أم قصد إظهار ما فى نفسه من غضاضة .

وقال الرئيس لهذا الأستاذ : اترك لى مذكرة فسأنظر فى أمرك ، وقال الأستاذ وهو يهم بالانصراف إنى سأقبل على عملى غير متأثر بشىء وإن كان الالم ملء نفسى ولكنى أخشى أن يأتى الوقت الذى أصبح فيه كالحصان تدفعه العربة إن لم يجرها ... وضحك الوكيل قائلا ... لست أول عبيط ولن تكون الأخير ... أتظن أن فى الرؤساء واحداً يعنى بأن يفكر فى هذا ؟ حسبه التفكير فى نفسه .

ونظر الرئيس إلى ضاحكا وقال . وأنت ما شكواك ؟ فقلت إنى أستكبر أن أشكو ... هل تكتب هذا الذى رأيت وسمعت ؟ قلت لست أصبر إلا بجهد حتى أكتبه .

وقال الوكيل وما جدوى كتابتك ؟ يظهر أنك عبيط آخر ... لا تؤاخذنى .. اكتب ما شئت إنك لا تسمع من فى القبور ... أتحسب هذه أموراً مجهولة تكشف عنها بما تكتب فتنبه ذا غفلة ؟ كلا إن ذلك كله معلوم ، وقد شاع الفساد حتى شمل الدولاب كله فماذا تقول ؟ وماذا تريد بكتابتك ... أأنت صاحب معجزة ؟ والله لو جاءتك معجزة ما استطعت أن تغير ما نحن فيه ... يا شيخ الله يفتح عليك .. أنت فى مصر .. ها .. ها .. ها .. غير الجيل كله وابدأ من جديد .

وتنهد الرئيس وقال لا أخفى عنكما وأحدكما زميلى والآخر تلميذى أنى كرهت العمل وأنى أعنى لو استطعت أن أفعل فعل ذلك الشاب الذى دفع إلى استقالته ... أتدرون ماذا يقول ؟ يقول إنه يريد أن يهاجر إلى الأرجنتين لينسى أنه مصرى ! . إنى أريد أن أعمل شيئاً فلا أستطيع .

لقد فسد الدولاب من فوق فنزل الفساد إلى كل جزء . . .

ها أنذا أسمع الشكايات طول يومى ثم أرفع الأمر إلى من هم فوق فلا أظفر بشىء . وأحمل الأوراق المكدسة إلى منزلى فأسهر الليل فى تصريفها وعملى لا يعدو أن يكون فى الغالب تنفيذ ما أومر به .

الخفيف

من الشعر السياسي :

تبعات الجلاء

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

أطلتم عليه في الظلام شجونه
وقرحتمو في الكهف نوماً جفونه
فلا تحسبوها رقدة الدهر إنه   أعد لهذا الفجر يوماً عيونه
أليس أذان الفجر من بعض دينه
فكيف غفلتم أن يلبي دينه ؟
هو الصبح نادى بالجلاء مبشراً   وقد أسمع الدنيا أما تسمعونه ؟
دفعتم به نحو الرقاد ... وإنما   إلى المجد كنتم والعلا تدفعونه
تريدونه أن لا يكون كأمسه   ويأبى عليه المجد أن لا يكونه
مضى لا تصد الكارثات سبيله   ولا تستريب الحادثات يقينه
هو الحر لا تلوى العوارض قصده   ولو تقف الدنيا العريضة دونه

فكنتم عن الليث الهصور وثاقه
وكنتم على الليث اقتحمتم عرينه
وحجتكم فيما مضى صون عرشه   فمن هو أولى منكما أن يصونه
إذا الليث لم يمنع ذمار عرينه   فأن الذئاب الطلس لا يمنعونه
إذا ما أعان المرء في الأمر نفسه   فما يمنع الأقدار من أن تعينه ؟
ومن مد للدنيا يمين مكافح   يمد له الله القوي يمينه
ظننا الجلاء الحلو مراً مذاقه   وما الأمر ألا حينما تجهلونه
ومن أعظم الأمر الجليل تهيبا   فأحزم شيء بعدها أن يهينه
إذا استصعب الأمر الفتى في ابتدائه
فأحرى به من بعد أن يستهينه

بني مصر حملتم أمانة أمة   وما العبء إلا كل ما تحملونه
فما الفوز بالشيء الذي تأخذونه   ولكنه الشيء الذي تبذلونه
حملتم من الماضي الصعاب كثيرة
فهيا احملوا صعب الزمان ولينه
وما ذلك الثوب الذي تخلعونه   بأيسر من هذا الذي تلبسونه
فما تبعات المجد أحلام حالم   ولا هي بالتمر الذي تأكلونه
ومن يضمن استقلال مصر بأسرها
إذا لم يجد في كل نفس ضمينه ؟
فلا تحسبوا ثوب الجلاء تزيننا   بشيء إذا لم نستطع أن نزينه

بني مصر !! غايات الحياة كثيرة
فلا تهنوا في موقف تقفونه
ولا تحمدوا عيد الجلاء ... وإنما   أعدوا غداة العيد ما تحمدونه
عليكم ديون للبلاد كثيرة   رعى الله من وافى فوفى ديونه
فلا تجعلوا لحن الخلود قوافيا   تنمق أبكار الكلام وعونه
فليس نشيد الخلد ما تنظمونه   ولكن نشيد الخلد ما تصنعونه

ليلة عيد الميلاد

للأستاذ زهير ميرزا

حدق أيتها الأرض ، فقد عم البلاء
وانظرى الأشلاء تطاير يذروها الفضاء
وانصتى ! فالكون أضحى محشراً فيه الجزاء
كل نفس أيقنت أن طال في الدنيا الثواء
والشباب اليافع البكر يواريه الفناء
ناشئ روعه الخطب وأصماه الشقاء
لم يذق من كوبة الدنيا سوى ما فيه داء
قدمته راحة الشيطان يحدوه الرجاء
وأقام اليوم أعراساً له فيها احتفاء
بعثت من فوهة المدفع نار وضياء
والأهازيج رعود وعويل ... لا غناء
رقص الناس بها هولاً وذعراً كيف شاءوا
وتغنى عازف البارود والدمع سخاء
هكذا الأعراس في العالم يزجيها الفناء

ليلة الميلاد ! أعيا منطق الداء الدواء
والتوى القول المبين اليوم إذ حم القضاء
لم يعد يمشى بعجنوز ... ففي ذاك الرخاء -
حيث يقضى المرء يلقى قبره . فيه الثواء
كفن في السلم من خز ، وفي الحرب دماء
يدفن الآباء أبناء لهم فيهم رجاء
ويوارون على — البعد — حشاشات أضاءوا
دمعة الشيخ جنون فاستعار فانطفاء

كم شرايين من المندم قـــدَّ الأبرياء
كى يروِّى منه أفرادٌ من السلم ظماء
قذفوا بالفوج تلو الفوج هُوجاً كيف شاءوا
فأحالوا الأرض أنهـاراً بها المندمُ ماء
سخروا (المريخ) فانقاد . وتغريه الدماء
وهــو الشرير فى أعطافه دوماً ظماء
فإذا الأبحار والأرضون والجو ســواء
كلها مذبحٌ جزار له الإنسانُ شاء
كلما ضحى بفوج ؛ سيق للموت الذماء
هكــذا سكينه مخضوبة فيها اشتهاء
كلما قيــل انتهينا . راعها ذا الانتهاء

ليلة الميــلاد ! إن الحرب شر وبلاء
لم نقل فيها ولكن طال فى اللين الثواء
حسب الظالم أن الشــبل يغريه الرياء
لم يعد فى القوس صــبر ... أرهقتنا الثؤباء
زمجرى أيتها الريح ... فلى منــك ارتواء
وابعثى العنف بأوصــالى ليحييها الرجاء
واعصفى فى رأسى البكر كما شئت وشاءوا
وانفضى عن كاهل العزة ما أبقى البــلاء
وابعثيها وثبة الحــر على من قد أساءوا
عذبتنى رقدة العانى يغــذيها ارتخــاء
والزمان الطفل يطوينا كما يطوى المســاء
نؤت بالأمس أداريه وفى النفس شــقاء
واحتملت الإثم فى جنبى . أنا منــه براء
عجز الطب ... فــلم يبق لنا إلا الفــداء
الأبى الحـــر لا يشرى كما تشرى الأماء
نحن إما لنعد نحيــا ... وإما فالفناء

مصر فى أحزانها غرقى . أمامها نجبــاء
أرهق المستعمر الجبس جناحيها يشــاء
وطنى حتى تنزى من أذاه الطلقــاء
ظامئ لم يروه بالأمس (نيــلٌ) ودماء
شرب المندم فى الكأس ... فنص الأبرياء
إن من فى لثتيه الـــترب لا يرويه ماء

ليلة الميــلاد ! هل عدت ببرديك الرجاء
هل يشير العام أن قد عاد للوادى الصفاء
وينار القلب بعد المين ... أم يقضى العلاء
وبشير الخــير أنت الآن أم سر خفــاء
أم ترى نمضى كما كنا وكان القــدماء
ونوارى العام مثل العام . . . يؤذينا التجاء ؟
أنت غيب ! — مثلما كنت وتبقين ... — وداء !
أســفى فالدمعــة الحمراء يدعوها الوفاء
إنمــا يبكى بدمع المقلتين الشهــداء
قد غفــو للحشر ... والجزار يقظان يشاء
حسرتى حسرة من من مثــله يرجى العزاء
نحن صوت الحق والتاريخ ... نحن الشعراء

ظمــآن . . .

« القلب مصر . . وأنت . أنت سودان »

للشاعر محمــد قوره

ظمآن . . والقلب فى جنبى ظمآن وأنت نبع وجنات وشطآن
ظمآن . والرى فى عينيك مؤتلق ظمآن . . والسحر فى جفنيك ريان
ظمآن . يازهرتى . والكأس مترعة وأنت خمر الهوى . والحسن ندمان
ظمآن . لا لوعتى تهدا على كبدى وكم يسعِّرها فى الحب حرمان
ظمآن . هل قبلة عذراء من شفة ما مسها فى الهوى من قبل إنسان
لا احتسى كأسها — يوماً — مشعشعة ولا يعاقرها — فى الحب — صديان

تذكرى . موعداً — بالشط — جمعنا والروح خفاقة . والقلب جــذلان
وصوتك العذب ألحان مولهة لها بروحى أهازيج وإرنان
كأن كل حصاة فى الثرى صدحت والموج قيثارة . والرمل ألحان
وكل عين رنت بالشط حاسدة وكل صب على الكثبان غيران
الكون ! ! . ما الكون ! ؟ والدنيا وبهجتها إذا التقينا وفى القلبين تحنان

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٤٦ – فهذا عزم لا يفله إلا الله

لما بلغ قتيبة حد الصين قيل له : قد أوغلت فى بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر . فقال : بثقتى بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة ، فقال الرجل : اسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفله إلا الله .

لى مدة لابدّ أبلغهـــا معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتنى الأسد ضارية لغلبتهـــا مالم يجِ الوقتُ

٩٤٧ – . . . كثرت السواد وحفظت المتاع

خرج سعيد بن المسيب إلى (الجهاد) وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ، فقال : استنفدنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكنى الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع .

٩٤٨ – وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم

الحسبة فى الإسلام لابن تيمية : العاجز عن الجهاد بنفسه يجب عليه الجهاد بماله ، ومن عجز عن الجهاد بالبدن لم يسقط عنه الجهاد بالمال ، كما أن من عجز عن الجهاد بالمال لم يسقط عنه الجهاد بالبدن .

٩٤٩ – وأخرج عشرة بدلا عن نفسه

تاريخ بغداد للخطيب : قال الحافظ النيسابورى : لما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت على (أحمد حسنيك) وهو يبكى ويقول : قد دخل الطاغى ثغر المسلمين طرسوس ، وليس فى الخزانة ذهب ولا فضة ، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجلّ ضياعه بخمسين ألف درهم ، وأخرج عشرة من الغزاة المتطوعة (١) الأجلاد بدلا عن نفسه .

(١) الأساس : هو من المطوعة : من الذين يتطوعون بالجهاد .

٩٥٠ – . . . البدايات عنوان النهايات

نفح الطيب : قال الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالا) ما صورته « ولقد نزل بنا العدو وقصمه الله تعالى » سنة سبع وعشرين وخمسمئة فجاس ديارنا ، وأسر جيرتنا ، وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيراً ، وإن لم يبلغ ما حدده . فقلت للوالى والمولى عليه : هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة ، فلتكن عندكم بركة ، ولتكن منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة ، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبق منهم أحد فى جميع الأقطار فيحاط بهم فإنه هالك لا محالة . وإن يسركم الله له فغلبت الذنوب ، ورجفت بالمعاصى القلوب ، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوى إلى وجاره ، وإن رأى المكيدة بجاره – فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !!! »

ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الأندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها ، والبدايات عنوان النهايات

٩٥١ – ليس المروءة أن تبيت منعماً

أبودلف :

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفاً على الأقداح
ما للرجال وللتنعم إنمـــا خلقوا ليوم كريهة وكفاح

٩٥٢ – فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

الحصين المرى :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

٩٥٣ – أو عاش منتصفا

العبسى :

من عاذ بالسيف لاق فرصة عجباً موتا على عجل أو عاش منتصفا

٩٥٤ – . . . خير من الدنيا وما فيها

جامع محمد بن اسماعيل البخارى : لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .

***

جامع مسلم بن الحجاج :

قال رجل : أى الناس أفضل يا رسول الله ؟

قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله .

٩٥٥ – ... فاقتلوه بالسيف كائناً من كان

جامع مسلم بن الحجاج :

ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاقتلوه بالسيف كائناً من كان ...

٩٥٦ – آيات

[يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] .

[انفروا خفافاً وثقالا ، (١) وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم لو كنتم تعلمون] .

[وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم (٢) ، واصبروا ؛ إن الله مع الصابرين] .

[ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات (٣)] .

الله أكبر !

أين العربُ ، أين العربُ ، أين المسلمون ؟ أين كماة وفداة مؤمنون ؟ أين المجاهدون ؟ أين أباة الضيم ، أين أبطال الجهاد ..؟

(١) الكشاف . خفافاً من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شباباً وشيوخا أو صحاحاً ومراضاً . وفى مفردات الراغب : القصد بالآية الحث بالنفر على كل حال تصعب أو تسهل .

(٢) الكشاف : الريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ، ونفذ أمره .

(٣) فى جامع محمد بن إسماعيل البخارى : لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا .

وزارة المعارف العمومية
منطقة قنا التعليمية
قلم المستخدمين

تعلن منطقة قنا التعليمية عن حاجتها إلى تعيين كتبة بديوانها وبالمدارس التابعة لها وموضح فيما يلى الشروط اللازمة فى هذه الوظائف :

١ – أن يكون المرشح مصرى الجنس لا يزيد عمره على ثلاثين سنة ولا يقل عن الثمانى عشرة سنة

٢ – أن يكون حاصلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية قسم ثان (البكالوريا) أو القسم الخاص أو دبلوم التجارة المتوسطة

٣ – أن يكون لائقاً فى الكشف الطبى أمام القومسيون الطبى العام .

٤ – أن يكون مستوفياً جميع مسوغات التعيين .

٥ – أن يكون التعيين فى الدرجة الثامنة الإدارية بأول مربوطها .

٦ – أن يؤدى امتحان المسابقة التى ستعقده المنطقة للمتقدمين لشغل هذه الوظائف . كما تعلن عن وجود وظائف محضرين خالية بها بالشروط السالفة الذكر عدا ما يأتى :

١ – أن يكون حاصلا على دبلوم الفنون والصناعات .

٢ – أن يكون التعيين فى الدرجة السابعة .

فعلى راغبى اللحاق بهذه الوظائف تقديم طلب استخدام على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح مرفقة بالشهادات الدراسية المنوه عنها وشهادة الميلاد أو مستخرج رسمى بتاريخ الميلاد وصورتين شمسيتين ٦ × ٩

وترسل هذه الطلبات باسم حضرة صاحب العزة مراقب منطقة قنا التعليمية فى ميعاد لا يتعدى ٥ يناير سنة ١٩٤٨ ٨٥٩٩

الأدب والفن في أسبوع

الأدب المقارن :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة فى نادى الخريجين المصرى يوم الجمعة ، عنوانها « الأدب المقارن وأثره فى التقريب بين الأمم » بدأها بتصويب كلمة « مقارن » رداً على من يخطئونها فقال : إن القرن فى اللغة الحبل الذى يقرن به بين بعيرين ، فما الذى يمنع أن نقرن بين شاعرين أو فكرتين لنرى ما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف ؟ بل إن « المقارنة » أدق من « الموازنة » التى يدعون إلى استعمالها ، لأن الموازنة تقتضى تفضيل شىء على شىء ، وليس فى المقارنة تفضيل .

ثم قال : إن الأدب المقارن ليس حديثاً كما يقولون ، لأن الناس منذ عصور قديمة قاسوا بعض الآداب إلى بعض ، كما فعل هيرودوت ، إذ تحدث عن تأثر اليونانيين ببعض الآداب المصرية القديمة ، وكما فعل العرب فى صدر العصر العباسى ، إذ ترجموا الآداب ، وتحدثوا عن التراث الفنى للأمم التى نقلوا عنها . أما فى العصر الحديث ، فقد تعمق المحدثون النظرات القديمة فى المقارنة بين الآداب ، ووضعوا لها أصولا وقواعد ، حتى تكوّن فن الأدب المقارن الذى يرجع البعض نشأته إلى أوائل القرن الماضى ، ويقول آخرون إنه نشأ فى أواسط القرن الماضى ، ويقول غيرهم إنه حديث جداً ، فمهده أوائل هذا القرن .

وتحدث بعد ذلك عن تأثر أدب الرومان بأدب اليونان وأثره فيه ، وعما نشأ من التفاعل بين الأدبين من ظهور ألوان فى الأدب هنا وهناك . وقال إن الأدب العربى بعد الإسلام يختلف عما كان قبله ، فقد فتح العرب الأمم المجاورة لهم واتصلوا بها وهى ذات حضارة قديمة ، فتأثروا بها ، وتغيرت حياتهم ، وتمتعوا بالترف المادى والترف المعنوى ، فلم يكتفوا بسكنى الدور والقصور ، بل استحدثوا ألواناً من الفن لم يكن لهم بها عهد . فشعراء الحجاز مثلا رأوا أنفسهم أمام فنون وافدة عليهم من الفرس والروم وغيرهم ، هى فنون الغناء والموسيقى والرقص ، فكان لها فى نفوسهم أبلغ الآثار ، فبرعوا فى الغزل واللهو على نحو لم يكن فى الجاهلية ، وحدث هذا فى الحجاز وبه الأماكن المقدسة ، فما بالك بالعراق وخاصة بغداد فى عصر العباسيين الذى امتاز بالدراسات الثقافية والفلسفية ، فلم يكتف الشعراء بملكاتهم ، بل أخذوا بهذه الدراسات وانتفعوا بنتائجها وأفكارها واستعملوا مصطلحاتها فى أشعارهم . وكذلك كان شأن العرب بالأندلس ، بل هم أكثر إمعاناً فى هذا السبيل لمتاخمتهم ومعاشرتهم للأوربيين الذين تأثروا هم أيضاً بالآداب العربية الأندلسية . وقال إن الأمة الفارسية بعدما استعادت لغتها القديمة ظلت تتابع الثقافات والآداب العربية وتتأثر بها .

ثم انتقل إلى أوربا فى عهد النهضة ، فبين كيف ازدهرت الآداب والفنون بإيطاليا فى القرن السادس عشر ، وأخذت أوربا الشمالية عنها هذه الآداب والفنون ، ثم ما كان بعد ذلك من تطلع الفرنسيين إلى الأدب الإنجليزى وانشغالهم به .

ساق الدكتور طه كل ذلك ليصل منه إلى ما يحدثه تبادل الآداب والفنون بين الأمم من التقريب والتأليف ، وأن ذلك حرى أن يصد تيار الجنون الذى يعترى الأمم فى فترات مختلفة ، ثم ليصل أخيراً إلى ما ينبغى أن نفعله الآن ، فقال إننا أخذنا بالحضارة الحديثة فى حياتنا المادية ، فلم نعد نركب الحمر ونتنقل بالإبل ، ولكننا لم نتقدم فى أدبنا عن ذلك ، فلا زلنا نكتفى بما عندنا ، ونزهد فى آداب غيرنا ، ونعمد فى مترجماتنا إلى ما يقصد به اللهو والتسلية ، فيجب أن نقبل على الآداب الأجنبية ، نتفهمها ، ونأخذ عنها ، ونحاكيها ، ثم نبتكر بعد الاستفادة منها ، ليكون لنا أدب يؤخذ عنا كما نأخذ عن غيرنا .

تعقيب :

الذى نعرفه أن الأدب المقارن هو الدراسة التى تقوم على المقارنة بين أدب وأدب للبحث عما يتشابهان وما يختلفان فيه من الخصائص والموضوعات وما إلى ذلك . وقد كان حديث الدكتور طه فى هذا فى أول المحاضرة عندما قال إن القدماء كان لهم نظرات فى قياس بعض الآداب إلى بعض ، وإن المحدثين تعمقوا تلك

النظرات ورسموا ونظموا الدراسات فى المقارنة بين الآداب . ولكن حديثه بعد ذلك — وهو معظم المحاضرة وموضوعها — كان فى شىء آخر — على ما نفهم — هو انتقال الآداب من أمة إلى أخرى وتأثير أدب فى آخر ، وأثر هذا فى التقريب بين الأمم ؛ وقد دعا فى ختام محاضرته إلى ألا نكتفى بأدبنا وإلى أن نأخذ من آداب غيرنا ، فهل الأخذ من الآداب الأجنبية يسمى أدباً مقارناً ؟

هذا وقد فجعنا الدكتور طه فى أدبنا المصرى ، الذى تكون من إنتاجه وإنتاج غيره من سائر أساتذتنا أدباء الجيل ، فهم منذ عشرات السنين يطلبون الآداب الأجنبية ويتفهمونها ويترجمونها ويحاكونها ، ونزعم أنهم ابتكروا بعد الاستفادة منها ، وإذا الدكتور طه حسين يقول إننا مكتفون بما عندنا وزاهدون فى آداب غيرنا ... بل يقول إنا واقفون فى حياتنا الأدبية عند ما يقابل ركوب الإبل والحمر فى حياتنا المادية ! ففيم كان ما كان ؟ ...

ومن طريف المفارقات أنه يقول ذلك فى نادى خريجى القسم الإنجليزى من كلية الآداب الذين يوجهون جهودهم الأدبية كلها إلى دراسة الأدب الإنجليزى وإذاعته بالإذاعة المصرية التى توليه من عنايتها ما لا يظفر به أدبنا !

الصفحات المزوقة

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب تخصص كل منها صفحة من صفحاتها للآداب والثقافة العامة ، وكانت تلك الصفحات تقدم للقراء زاداً فكرياً من ثمار الأقلام الناضجة ، ثم كانت الحرب وكانت أزمة الورق فاختفت تلك الصفحات . ولما فكت قيود تحديد الصفحات بعد الحرب عمد كثير من صحفنا إلى تخصيص بعض صفحاتها لـ .. لأى شىء ؟ لست أدرى اسم الذى تنشره هـذه الصفحات المزوقة المزركشة ، فشىء أحمر ، وشىء أخضر ، وشىء أصفر ... وكثير ما ترى فى وسط هـذا صورة فتاة فى وضع مثير ... ويختار لكل ذلك عناوين لا يتوخى فى وضعها أن تدل على الموضوع ، بل توضع على نحو يلفت الأنظار ولو لم يكن لها فى الموضوع أهمية ...

- كنت وما زلت أنظر إلى هـذه الصفحات وأقف عندها ، لأنى مبتلى بأمرين : الأول تتبع ما يكتب شبيها بالآداب والفنون ، الثانى الميل إلى تأمل معارض المحال التجارية « الفترينات » رغم ما يفزعنى من غلاء سلعها فى هذه الأيام مما يحملنى على الاكتفاء بالتأمل والمضى فى طريق ... وكذلك حالى مع تلك الصفحات ، إلا أن الذى يصدنى هنا ويحملنى على المضى هو رخص محتوياتها !

ومن الغريب ما رأيته مرة لأحد من يكتبون تلك الصفحات الملونة : أبيات ، تحت صورة امرأة ، يقول فيها إنها فتاة أحلامه .. فهل هى صورة لفتاة يحبها وينشرها على الناس ، أو هى صورة امرأة ، أية امرأة !

ولم أكن مع كل ذلك مستريح الضمير ، فكنت أتهم نفسى بغمط تلك « الآداب » التى قد تكون « رفيعة » ولكنها لا تلائم مزاجى ، ولكن خفف عنى هذا القلق النفسى الدكتور حسين مؤنس بما كتبه فى « البلاغ » تحت العنوان الذى يتخذه لكتابته يوم الأربعاء وهو « ما سمعت وما رأيت وما قرأت » وخص الموضوع الذى نحن بصدده بالكتابة عنه فيما رأى لا فيما قرأ قائلا إن هـذه المقالات ترى ولا تقرأ ، وقد ندد بما يصنعه كاتبوها ، لأن الواحد منهم كما قال « يلخص لك الكتاب لا يذكر لك شيئاً عن هذا الكتاب ولا شيئاً عن مؤلفه ... وهو يحسن إلى نفسه بهذا الأسلوب الغريب فى السطو على كتب الناس . يحسن إلى نفسه لأنه يحول بينك وبين تعرف الأصل وتعرف مقدار الأمانة التى يعرض عليك الكتاب بها ، وقد حاولت كثيراً أن أتعرف الأصول فلم أستطع » إلى أن قال : « وأغرب ما عند هؤلاء الشبان أنهم جميعاً مرضى المقول بشىء تستطيع أن تسميه « جنون الجنس » فكل مقالاتهم وفلسفاتهم تدور حول موضوع واحد : المرأة ! فهم يعرضون عليك قطعاً غرامية ومخاطرات نسائية لا أعرف أين يلتمسونها اللهم إلا إذا كانوا يأذنون لأنفسهم فى الاستقاء من صحف خليعة مما لا يقرأ فى البلاد الأوربية إلا خفية وفى كثير من الحياء » .

ثم جعل الدكتور مؤنس يسائل هؤلاء : لمن يكتبون هذا ؟ أللعقلاء وهم لا يرتاحون لمثل هذا الفحش ؟ أم المجانين وهم ليسوا بحاجة إلى من يزيدهم جنونا ؟ ولماذا يكتبونه ؟ ألتثقيف الناس بالكلام الفارغ ... أم للتسلية والارتزاق والشهرة التى خير منها الخمول . . ؟

توفيق الحكيم أخيراً

تبلغ — ولا شك — أذنى الأستاذ توفيق الحكيم ، ما يردد على الأقلام والألسنة من أنه شغل عن الإنتاج الأدبى القيم منذ سنوات بما يكتبه فى « أخبار اليوم » من أشياء أقل ما توصف به أنها ليست كسابق إنتاجه ، ولا بد أنه يشعر بهذا وإن لم يكن يسمعه ؛ ولذلك كتب أخيراً فى أخبار اليوم مقالا بعنوان « فتاة بين جيلين » ساق الحديث فيه على لسان شاب وفتاة أديبين كانا فى مكتبه ، سألت الفتاة وأجابها الشاب ، ومن السؤال والجواب نرى أن الأستاذ الحكيم يحاول أن يبرر ما آل إليه من الركود الأدبى والابتذال الصحفى ، بأن الناس حيروه ... إذا اعتصم بالبرج العاجى قالوا كيف لا يهبط إلى الناس يشعر بشعورهم ويدرس أحوالهم ويعرف أنباءهم ويعرض شكاواهم ويدافع عن حقوقهم ، فإذا فعل عادوا فقالوا أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة .

والمغالطة فى هذا الكلام ظاهرة ، لأنه لم يكن فى البرج العاجى يوم كتب « يوميات نائب فى الأرياف » وغيرها مما شعر فيه بشعور الناس ودرس أحوالهم ، فلم الحيرة ؟ أليس هناك إلا العزلة فى البرج وملء الصفحات بكلام لا نبض للفن فيه ..؟

وأراد أيضاً أن يقول إنه لم يهمل فنه ، وما عليه أن يسكت عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاريبه ، ويراقب أحوال الناس وتطورات المجتمع ، ويراجع أعماله القديمة ، ويبحث عن طرائق للتعبير الفنى جديدة ، ليصل إلى نوع من الفن لا علاقة له بكل ما عالج من قبل .

ولكن هل هو ساكت ..؟ أو لديه فراغ يدرس فيه ويزن ويختزن ويراقب ويراجع ويبحث ؟

لقد أراد توفيق الحكيم أن يطالع آلاف الناس ، وقدمته إليهم « أخبار اليوم » الواسعة الانتشار ، ولكنه كان (مقلباً) لتوفيق الحكيم ... فلم يؤد هذا التقديم إلا إلى تأخير ... أغلى من ثمنه !

وليت شعرى ، هل الإشارة إلى البحث عن فن جديد ، اعتذار أو إرهاص ؟ وإذا كان الثانى فكل ما نرجو ألا يكون الجديد من نوع « الحمار » و « وصينية البطاطس » ...

اللغة العربية فى السوربون

جاء من باريس أن الشيخ أحمد الزمورى قاضى الدار البيضاء ألقى محاضرة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بكلية الحقوق بباريس، عن مصادر الشريعة الإسلامية ، وأن هذه أول مرة يتاح فيها لخطيب عربى أن يعتلى منبر « السوربون » ويخطب باللغة العربية

والمعروف أن « السوربون » تلقى فيها محاضرات فى مختلف الثقافات والآداب ولكنها لا تكون إلا باللغة الفرنسية ، وعلى هذا قد خرق الذى جرت عليه لأول مرة وباللغة العربية .

والاستفهام التعجبى الذى يقوم بنفسى وبنفسك ، هو : أبلغ حب أبناء السين للغة أبينا يعرب بن قحطان إلى هذا الحد ؟ وهل يرون حقاً أنها اللغة الثانية فى العالم الجديرة بأن تأخذ مكانها إلى جانب لغتهم فى السوربون ؟

ولعلك تذكر — كما أذكر — تلك الصيحة التى انبعثت فى العام الماضى من المغرب — بلاد القاضى المحاضر — بالشكوى من منع الفرنسيين المحتلين وسائل الثقافة الصادرة فى البلاد العربية من كتب وصحف ، من الوصول إلى تلك البلاد التى يريدون أن يفرنسوها — نذكر هذا فنعجب لمن يتظاهرون بالتمكين للعربية فى باريس وهم الذين يعملون على كتم أنفاسها فى مواطنها ! .

أليس حقيقة الأمر أنها مظاهر استعمارية ؟ ستقول : ومالو (١) إنه كسب للغة العربية مهما تكن الدواعى إليه ؟ ألا تستبشر لأن العربية تزحف ؟ فأقول لك : الأمر كذلك ، ولكن لابد أن نلقى ضوءاً على مثل هذه الحركات لاستبانة مراميها التى هى غير مظاهرها .

مسابقة المجمع الأدبية

كان آخر نوفبر الماضى النهاية التى حددها مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لقبول الموضوعات التى تقدم للحصول على المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وهى فى الشعر وفى القصة وفى البحوث الأدبية ، كما بينت ذلك فى حينه .

---

(١) ومالو : تعبير عامى (بضم اللام) ولعل أصله فى سليم العربية بفتحها وتقدير الكلام : وما فى ذلك لوحدث .



حدث فى الفكر الإسلامى :

أخى العباس الفاضل :

لم يسعدنى الحظ بأن أقرأ فى مجلة الثقافة بحث الأستاذ الجليل معالى عبد العزيز فهمى باشا فى مسألة تعدد الزوجات ، ذلك البحث العظيم الذى عددته أنت « حدثاً فى الفكر الإسلامى » ، ولكنى سعدت بتلخيصك له وتعليقك عليه فى « الرسالة » الغراء .

وقد استرعى انتباهى فى هذا الموضوع نقطة واحدة ، هى من البحث كله بمنزلة الأساس من البناء ؛ تلك هى تفسير الأستاذ الجليل لقول الله تبارك وتعالى « مثنى وثلاث ورباع » ، إذ أنه ذهب فى هذا التفسير مذهباً لم يسبقه إليه سابق فيما أعتقد ، فقد ذكر « أن الكلام فى الآيتين (وآتوا اليتامى أموالهم ... وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) سوق لتحقيق فضيلة العدل فى المعاملة » بتحذير الأوصياء من الوقوع فى الإثم العظيم بأكل أموال اليتامى ظلماً . « ولما كان بعض اليتامى إناثاً فى حجر المخاطبين ، وكان لهن أموال تحت يدهم ، وكان من عاداتهم السيئة أنهم يتخذون هؤلاء اليتامى زوجات لهم ويمسكونهن هن وأموالهن ضراراً ، وكان هذا أشنع مظهر من مظاهر أكل مال اليتامى — فتتميما لفكرة تحقيق العدل (فى الآية الأولى) وتثبيتاً لها أشار (فى الآية الثانية) إلى هذا المنكر، وأتى بأبلغ ما يكون من القول لصرفهم عنه ؛ إنه يقول لهم : إذا فهمتم قولى فى الآية السابقة ، وعلمتم أن أكل مال اليتامى مطلقاً (من ذكور وإناث) إثم كبير ، فلا تتذرعوا إلى هذا العبث بنكاح اليتيمات اللاتى فى حجوركم ، بل تعففوا عن نكاحهن المفضى بكم إلى أكل أموالهن ، ولديكم ممن تستطيبونهن من غيرهن من النساء كثيرات ، تستطيعون أن تنكحوا منهن ما تشاءون ، لا واحدة ولا اثنتين (واحدة بعد أخرى) ، ولا ثلاثاً (واحدة بعد الاثنتين الأوليين) ، بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أى جزافاً بلا حساب ولا عدد » .

وقد غضضت النظر عن كل ما قاله المفسرون فى تفسير هاتين الآيتين ، وما استشهدوا به من كلام الرسول الكريم وعمله ، وما نقلوه من أقوال الأئمة عن الصحابة والتابعين ، ونظرت إلى المعنى مجرداً كما فسره الأستاذ الجليل ، فإذا هو يتلخص فى أن الله سبحانه وتعالى ينهى الأوصياء من المسلمين عن أكل أموال اليتامى ويحذرهم أن يحتالوا على أكل أموال اليتامى القاصرات بالزواج منهن ، ويقول لهم : إن من الخير لكم أن ترغبوا عن هذا الزواج الذى يفضى بكم إلى الإثم العظيم ، إلى زواج لا إثم فيه ولا حرج ، فإن كنتم لابد راغبين فى الزواج فانكحوا ما طاب لكم من النساء من غير هؤلاء القاصرات ، فإنكم واجدون بدل الواحدة اثنتين وثلاثا وأربعا وعدداً لا يحصى ولا يعد .

فليست الآية مسوقة — فى رأى الأستاذ الجليل — لتحديد عدد الزوجات ، ولا لإباحته بأكثر من واحدة ، وإنما هى مسوقة لتحذير الطامعين من الأوصياء فى أموال اليتامى والمحتالين لأكلها بحيلة الزواج منهن : ولفت أنظارهم إلى أن هذا التحايل لا يبعد بهم

وقد قرأت لجنة الأدب بالمجمع معظم الموضوعات المقدمة ، وتوشك أن تفرغ منها ، على أن تعلن نتيجة المسابقة وتحتفل بتوزيع الجوائز فى أوائل السنة المالية القادمة

ومما يذكر أنه قدم فى الشعر ٣١ ديواناً أصحابها من مصر والسودان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والحجاز ومن المهجر فى الولايات المتحدة والبرازيل ، منهم ثمانية معروفون . وقدم فى القصة ٢٥ فيها قصص تاريخية وأغلبها من الحياة الحاضرة ، وأصحابها من مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، منهم سبعة معروفون . وقدم فى البحوث الأدبية عدد أقل مما قدم فى القصة، وأصحابها كلهم مصريون ، فيهم شخصية لامعة .

والملاحظ أن المتقدمين على العموم قليلون ، والمصريون على الأخص أقل من المعتاد فى مثل هذه المسابقة . وقد حدثنى بعض الأدباء الذين دخلوا مسابقة المجمع فى السنة الماضية ، فعبروا عن ندمهم على دخولها ، وأبدوا ملاحظات منها ما كان من الإسراف فى تقديم بعض الفائزين فى الحفل الذى أقيم لتوزيع الجوائز ، وموطن الملاحظة أن هؤلاء معروفة صلاتهم ببعض الأعضاء البارزين فى لجنة الأدب بالمجمع .

« العباس »

عن مزالق الإثم : فإذا كانوا راغبين فى الزواج — من أجل الزواج — فالنساء من غير اليتامى كثيرات لا حصر لهن ولا عدد ، فليختاروا منهن ما يشاءون ، على ألا يكون للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة .

فإذا كان الأستاذ الجليل يرى أن الآية لا تحمل معنى إباحة التعدد فى الزوجات ، وأنها لا تبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة مهما طاب له من النساء ، فما معنى قوله تعالى بعد ذلك : «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» ؟ وما وجه الصلة بين هذا الشطر من الآية وبين شطرها الأول وهو قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ؟ أليس فى الشطر الثانى من الآية ما يشعر — إن لم يدل دلالة صريحة — بأن شطرها الأول يحمل معنى إباحة التعدد ، حتى يمكن أن يكون للرجل عدد من الزوجات يطلب إليه العدل بينهن ؟ وإلا فكيف يكون العدل ممكناً بين زوجة واحدة ؟ وهل العدل إلا توزيع الحقوق بالقسط بين أصحابها ؟ وإذا كان الله سبحانه لم يبح للرجل غير زوجة واحدة ، فكيف يطلب إليه أن يقتصر على واحدة إذا خاف ألا يعدل ؟ أليس هو مقتصراً على واحدة بحكم القانون الذى شرعه الله له ؟ وهل يستقيم نهج الكلام إذا كان المعنى كما يقول الأستاذ الجليل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء (مقتصرين على واحدة فحسب) ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ؟

أحسب أن نهج الكلام حينئذ لا يستقيم ، وأحسب أن الشطر الثانى بهذا التفسير يكون لغواً ، وكلام الله تبارك وتعالى منزه عن اللغو .

هذا هو جوهر الموضوع ولبابه ، أما أن القرآن « يأتى بهذا الشأن الأساسى بصفة عرضية » أو غير عرضية ، و « جواباً لعبارة شرطية » أو غير شرطية ، فليس أمراً ذا بال ، فالقرآن قانون شامل كامل يكمل بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، وقد يعلم الأستاذ الجليل أن القرآن قد استفرغ جهود المجتهدين من الأئمة والفقهاء ، حتى استنبطوا الأحكام من كل كلمة من كلماته ، بل من كل حرف من حروفه .

أمين دويدار

كلمتى الأخيرة فى الفضاء والعدم

أرجو من الأستاذ أحمد محمد حلمى أن يراجع مقالىَّ الأول والثانى ، وأن يدلنى أين قلت إن الأثير موجود حتماً . لم أقل هذا القول . بل قلت إن الأثير مفروض فرضاً ، ولم يثبت ببرهان علمى «وعملى» وأن أينشطين قال إن نظريته النسبية لا تحتاج إلى الأثير ، وسيان عنده وجد الأثير أم لم يوجد . وقد أوضحت هذا جلياً فى المقال الثانى .

على أن بعض العلماء الكبار قالوا لا غنى عن فرض الأثير سواء ثبت علمياً أو انتفى ، لأن فرضه يعلل بعض الظاهرات الطبيعية .

لم أحتم بوجود الأثير . وإنما حتمت بأن الفضاء ليس فراغاً « عدماً » بل هو متدفق بالأمواج الكهرطيسية ، لأن عيوننا ترى بعضها وهى أمواج النور ونحس بسائر الأمواج كأمواج اللاسلكى والراديو والرادار الخ . وهذه الأمواج مادية لا روحية ، هى شظايا الالكترونات السلبية والبروتونات الإيجابية . وتسمى ضويئات « فوتونات » . وطاقة المادة تأتينا فيها . ولا يهمنا إن كانت محمولة على أجنحة الأثير المفروض أو هى متدفقة فى الفضاء من تلقاء نفسها بلا أجنحة . بعد هذا البيان الواضح فى هذا المقال وفى مقالىَّ السابقين لم يبق لشرح الأستاذ أحمد محمد حلمى لزوم عندى لأنى أعرفه ولا أنكره .

نقولا الحداد

أبو نواس :

فى مقال للأستاذ سلامة موسى بمجلة النداء تحت عنوان « الأديب بين العزوبة والزواج » جاء فيه أن أبا نواس الشاعر لم يكن متزوجاً ولذا كان ابتداعياً يهدف فى شعره إلى الثورة على ما سماه الأستاذ ، أوهام المجتمع الزائفة ، وهذا خطأ محض ، إذ أن كل دارس لشعر الحسن بن هانىء يعرف أنه قد ذكر زوجه فى أكثر من بيت فى قصائده وخمرياته حتى ذهب بعض من أرخوا لأبى نواس من قدامى ومحدثين أنه قد أنجب أولاداً من زوجه

محمد الشاذلى حسن

تصويب : جاء في مقال الأستاذ الزحلاوى المنشور فى العدد الماضى فى أواخر العمود الأول من صفحة ١٤١٦ : ولكنه ينحرف عن جادة الحق . والصواب لم ينحرف كما هو ظاهر من السياق .

فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة

الموضوع	صفحة
(ا)	
ابن الوردى والخمول	١٣٧٤
ابنى !	٧٥٧
أبو نواس	١٤٤٣
« أبو هريرة » (كتاب)	٣٢١
أبو هريرة والصيدى	٥٧٥
الأبيات لابن رهيمة وليست لعلية	١٢٧٩
اتقوا غضبة الشعب !	٩٧٢
أحزان غالية (قصة)	١٠٨٠
أحمد عرابى المفترى عليه	٨٣١
« « الزعيم المفترى عليه (كتاب)	١٠٢٢
الأحلام الناجحة	١٣٤٤
أحلام وردة	٨٢٧
أخت (قصة)	٢٩٧
الاختيار الذى كسر قلبى (قصة) ٥٤٩ ، ٥٧٧	
الأخطل والمرأة	٥٦١
أخي ابراهيم (كتاب)	١٠٧٦
أثر أدبى قديم	٦٦
أثر الشرق فى الغرب	٤٣٤
أدباء العروبة	٦٨
الأدب بين الوجدان والتفكير	٨٠٢
الأدب بين مصر ولبنان	٨٨٤
أدب العروبة فى الميزان ٨٧٥ ، ٩٥٨ ، ٩٨٧ ، ١٠١٣ ، ١٠٧٨ ،	
الأدب والفن فى أسبوع ٦٣ ، ٩٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٣١٨ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، ٤٠٤ ، ٤٥٩ ، ٤٨٨ ، ٥٤٢ ، ٥٧١ ، ٥٩٥ ، ٦٢٩ ، ٦٥٤ ، ٦٨٣ ، ٧٠٩ ، ٧٤١ ، ٧٦٨ ، ٧٩٦ ، ٨٢٤ ، ٨٤٨ ، ٨٧٨ ، ٩٠٨ ، ٩٣٦ ، ٩٦٤ ، ٩٩٣ ، ١٠١٧ ، ١٠٤٩ ، ١٠٧٣ ، ١١٠٢ ، ١١٣١ ، ١١٦٣ ، ١١٩١ ، ١٢١٥ ، ١٢٤٥ ، ١٢٧٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٣١ ، ١٨٥٨ ، ١٣٨٥ ، ١٤٠٨ ، ١٤٤٠	
أرمنى وقبطى	٦٥٧
أروع القصص (كتاب)	١٥٣
أروقة سود	٨٨١
الأزهر بين الجامع والجامعة	٣٠٥
الأساطير الإسلامية	١٠٩

الموضوع	صفحة
أسأل « الرسالة »	٧١٤
أساطير الآخرين	١١١١
أسئلة	١٢٢٩
الأديب والإصلاح الاجتماعى	١٤٠٢
الاستعمار الثلاثى	٨٨٥
الاستعمار الفرنسى فى الجزائر العربية	٩٤٨
الاستعمار الهولندى يعتدى على جمهورية أندونيسيا الحرة	٨٣٣
أسد إفريقية	٦٧٠
الأسطورة والإعجاز القرآنى	١٢٠٥
أسف واعتذار	٨٢٨
الإسلام فى الهند	٩
اشتراك فى الإثم (قصة)	٨٥٧
إشراقة الفجر (قصيدة)	١٣٠٠
الأشغال الشاقة المؤبدة ٨٤٤ ، ٨٨٢	
أشهر الرسائل العالمية	٧٥
إصلاح بيتين لأبى العلاء	٧٤٤
أطياف	١٣٣٧
أعلام المحاماة فى كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى	٢١٢
إعلان حرب !	١٠٥٨
أعوذ بالله !	٦٨
أغنية	١٣٠٠
أفراح الحياة وآلامها	١٣٢
أفى مصر أيضاً ؟	٨٥٢
اقتراح	٥٤٥
إقرار	١٣٨٨
أكان معاوية كاتب وحى ؟	١٠٥٢
اكتبوا للأطفال	١٤٤
إلى أبى العلاء المعرى	٩٣٣
إلى اخوتنا فى أعالى الوادى	٤٥
إلى الأديب محمد الديب	٨٨٠
إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى	٨٢٩
إلى الأستاذ (أبو بكر النمرى)	٨٢٨
إلى الأستاذ جميل	٧٤٥
« « (الجاحظ) ٩٦٧ ، ٩١٢ ، ٩٩٦	
« « خلف الله	١٢٥٠
« « السهمى ٩٩٦ ، ١٢٢٠	
« « الطنطاوى	٥١٧
« « عباس خضر	٩٨
« « على الطنطاوى ٥٧٥ ، ٦٠٠ ، ٧٤٤	
« « العمارى	١١٣٤
« « الفاضل العباس	١٣٦٢

الموضوع	صفحة
إلى الأستاذ محمود شاكر ٩٨ ، ٨٨١	
« « محمود بك تيمور	٤٠٧
« « محمود عماد	٨٨٠
« « محمود الخفيف	٨٥٤
« « يوسف أسعد داغر	٩٩٦
« أصدقاء أحمد محرم	٥٧٦
« الجاحظ ٦٦٠ ، ٧٧٢	
« الجارم بك	٦٥٩
ألحان ثائرة (قصيدة)	١٠٩٧
إلى خلف الله العامرى	١١٠٥
« رحمة الله	١٢٥١
« رياض الفيوم (قصيدة)	١٢٣
« سائلين	٨٨١
« السماء ... ! (قصيدة)	٥٦
« الشيخ محمد رجب البيومى	٨٨١
« « أبى العيون	٨٢٨
« العاتبين على الأستاذ الزيات	٢٩٥
« علماء الشيعة	٥٠١
« عنيبة	٨١٤
« مؤلف الكتب المدرسية	٦٨٨
« معالى عبد العزيز فهمى باشا	٤٩١
ألغاز الحياة والموت	٦٠٣
إلكيا الهراسى ٤٨٠ ، ٥٠٨	
الله	٥٤٧
اللهم عفوك	٧١٨
ألوان (قصة)	٤٣٦
إليها	٥٩٩
الامتيازات الطائفية القضائية	٤٤٦
إنشاء كرسى باسم شوقى بك	٤٢٩
إلياس (قصة)	٦٦١
إمام الحرمين بين المتقدمين والمتأخرين	١١٥
أمانة النقل ٦٨٦ ، ٧١٢	
أمانى	٨٦٩
أمس بين الإعراب والبناء	٧٤٤
أم كلثوم تلقى درسا	٢٧٩
أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء (كتاب)	١٥٣
« المؤمنين	٣٢٣
الأموات يحكمون الأحياء	٧١٨
أمى (قصيدة)	١١٨٧
أنا وكيل نيابة !	٧٣٥
أنات غريب (كتاب)	١٢١٨
انجلترة فى مرآة حافظ ١١٧٣ ، ١٢٠٨ ، ١٢٥٠	
أندريه جيد صاحب جائزة نوبل هذا العام	١٢٨١
أندونسيا الحرة	٨٣٣

الموضــــوع	صفحة
أنديتنا الموسيقية	٥٦٥
إنذار !	٦٦٨
الإنسان الآلى معجزة القرن العشرين	١٥٠
أنسى الأزهر المراغى ؟	١٥٢
أنستاس الكرملى	١٦٦
إنصاف البيت المظلوم	١١٩٨
أنطاكية وخليج الاسكندرونة فى الحرب العظمى الأولى	٣٨٦
أنغام الحب (قصيدة)	٨٧٥
إنه جهاد لا سياسة !	٢٧١
إن هنا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم	٢١٥
أنوار الجحيم (قصيدة)	١١٣٠
أوراق	٣٠١
أولياء ... وأعداء	١٣١
أوهام (قصيدة)	٢٦١
أيد ثلاثة	٧١٩
أى الحكمين أقسى ؟	٧١٨
« القولين أصدق ؟	٤٠٧
إياكم والمهادنة	١٤٢٣
الإيمان والروح (كتاب)	٦٩١
(ب)	
بحث فى الكوليرا ١٢٦٥ ، ١٢٩٢	
البحر والقمر (قصيدة)	٧٦٤
بدع التشبيه	٢٢٩
البراءة الملكية بالجائزة	٥١٤
برقية من صاحب (الأديب)	٣٢١
بشر وشياطين (قصة)	٣٢٥
بطل الريف ابن عبد الكريم الخطابى (قصيدة)	٢٠٣
بطل الريف	٢٦٧
بعد المعركة (قصة)	٢٤١
بكم تبيع	١٢٠
بل أى الأقوال أصدق ؟	٤٩١
بلبلة	١١٩٩
« بله لا بلهاء »	٩٩٧
بمناسبة حادث الشيخ أبى العيون	١٦٣
البنفسج (قصيدة)	١٢١٤
بوابة المتولى ١٠٥٣ ، ١١٦٢	
بول وفرجينى (قصة)	١٥٦
بوليس الأمن الدولى	١١٧٦
بيان ١١٦٦ ، ١٢٧٥	
بيت فى قصيدة	١٣٣٥
بين أدب المرأة وأدب الرجل ٦٣٧ ، ٦٧٠	
« الأزهر والجامعة	١١٩٥
« الروحانية والمادية	٨٨٧

الموضــــوع	صفحة
بين الزوجين	٦١٠
« العلم والأدب	٣٧٩
« الوحوش والبهائم !	٥٥٤
« رياض المنصورة (قصيدة)	٤٥٨
« مصر ولبنان	٤٤٢
« معالى عبد الرحمن عزام باشا والأستاذ محمد بهجة الأثرى	٢٣٥
« معمم ومقبع ومطربش (منظار)	٧٠٣
(ت)	
التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود	١٤٢٨
تاريخ المساجد الأثرية التى صلى فيها جلالة الملك فريضة الجمعة (كتاب)	١٣٣٦
تاريخ النوبة	٧٤٥
تبعات الجلاء (قصيدة)	١٤٣٨
تحقيقات	١٠٢٠
تحقيقات تاريخية ٥٤٥ ، ٦٣٢ ، ٦٦٥	
التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال	٢٠٤
تحية الإمام (قصيدة)	٥٧٤
« البطلين	٧٢٤
« بغداد (قصيدة)	٦٥٣
تذكير	١٢٧٩
« مؤنث	٦٨٦
ترجمة الآداب الثقافية العالمية	٢٩٣
« مائة كتاب	٩٢
تصحيح آية	٢٣٩
« بيت	٩١١
تعبير حسابى	١٣٦٢
تعقيب ٢٩٥ ، ١٣١٦	
تعقيبات ٦١ ، ٦٢٦ ، ٦٨١ ، ٧٣٩ ، ٧٦٦ ، ٧٩٦ ، ٨٢٢ ، ٨٤٦ ، ٨٧٦ ، ٩٠٦ ، ٩٣٤ ، ٩٦٢ ، ١٠٤٧ ، ١١٠٠ ، ١١٢٨ ، ١١٥٩ ، ١١٨٩ ، ١٢٤٨ ، ١٣٠١ ، ١٣٥٦ ، ١٤٠٦	
تعليق	١١٦٦
« على تعليق	٥٤٥
« « كلمة ٣٠٦ ، ١٣٨٨	
« وتعقيب	٢٦٧
« مختصر على خبر	١٠٣٤
تفرعن ، فرعون	١٠٧٨
تفسير الأحلام ٣٣٤ ، ٤١٣ ، ٤٤٤ ، ٤٧٢ ، ٥٠٤ ، ٥٨٩ ، ٦٤٧ ، ٧٠١ ، ٧٨٤ ، ٨١١ ، ٩٣١ ، ٩٨٣	
تقدير كريم لكتاب (الرسالة الخالدة)	١٥٢

الموضــــوع	صفحة
تقدير كريم لكتاب قيم	١٢٢٠
تكذيب خبر	١١٦٧
تلفون الأرواح	٤٧١
التلمود خدع اليهود	١٣٩٥
التلميذ مرآة أستاذه	١١٨٥
تهجم لا داعى له	٤٦٤
توقيع (قصيدة)	٣١٦
تولستوى ! ١٤١ ، ١٦٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، ٣٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٤ ، ٤١٨ ، ٤٥١ ، ٤٧٧ ، ٥١١	
تيسير الكتابة العربية	٤٢٩
(ث)	
ثب وثباً	٣٠٢
ثبات عظيم ! (منظار)	٥٩٢
ثلاثة رجال	١٣٦٨
(ج)	
الجاسوسة العاشقة (قصة) ٣٩٤ ، ٥٢١	
جامع وجامعة	١٨٧
جامعة أدباء العروبة	٩٢
الجامعة الإسلامية بعد الجامعة العربية	٤٣
« « هى الغاية	٧١٩
جامعة عربية أم اتحاد فرنسى ؟	٥٦٦
الجبل الملهم	١١٤٩
جد أم هزل ؟	٩٩٦
جراح	٨٢٧
الجزاء (قصة)	١١٣٧
جغرافية البلاد	١١٥١
الجمهورية اللبنانية تكرم النشاشيبى	٦٠٠
جنة الحب	٣١٧
الجهاد الوطنى فى مراكش	٦٢٠
جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول	٣٨١
« فؤاد العلمية	٥١٤
« المجمع للبحث والشعر والقصة	٤٢٩
الجلاء الأعظم	٣٨٣
(ح)	
حاشرة زنزانة	١٥٢
الحب	٩٠١
حبة من القمح كبيضة الدجاج ! (قصة)	١١٩٦
الحجاج فى الميزان (كتاب)	٦٠٢
حجج تاريخية ١٠٦٠ ، ١٤٢٦	

الموضــوع	صفحة
حجرة التحمس (منظار)	٦٥١
» »	٦٨٦
حجة تأريخية ٨٦٣ ، ٨٦٧ ، ٩٢٤ ، ١٠٠٢	
حدث فى الفكر الإنساني	١٤٤٣
الحدود الإنسانية	٣٥١
حديث المدفع	٣٧٥
حذار يا سيدى	٧٥٩
حرية الرأى وتبعة الرأى	١٢٢٥
حديث الدولتين	١١٤٠
» عن دمشق	٣٥٩
» غد	١٤
حسن ومرقص وكوهين	١٤٢١
حس مرهف	١٣٧٨
حق الاعتراض (الفيتو)	١٠٩٥
حقوق المرأة	٦١٨
الحكر فى مصر	٥٤٧
الحكم العدل	٤٩٦
الحكومات الأوربية	٤٦٣
حمار آخر ! (منظار)	١٢٤٤
حول (أغنية السودان)	٣٦٧
» تاريخ النوبة	٧٧١
» التنويم المغناطيسى	٨٩٧
» جدل فى الجامعة ١١٨٢، ١٢٣٤ ، ١٢٦٨ ، ١٢٨٩	
» خبر فى النجوم الزاهرة	١٣٠٦
» خطأ عروضى	٦٦٠
» » » شائع	٦٨٠
» رسالة (القصص الفنى فى القرآن)	١٢٧٩
» الفن القصصى فى القرآن الكريم ١١٢١ ، ١١٩٥	
» اكتشاف واحة الكفرة	٣٢١
» الزنزانة وأسماؤها	٩٩٧
» انطلى عليه	٥١٧
الحمى (قصة)	١١٠٨
حنين إلى الموطن الأول (قصة)	٣١٦
حول أبى هريرة	٤٩٢
» «اكتبوا للأطفال» ٢٦٧، ٢٩٥	
» جدل في الجامعة ١٠٦٧، ١١٠٥	
» « الشاعر الطموح »	٢١٠
» المسرح الشعبي	١٠٢١
» « قصيدة »	١١٣٤
» قطربل	١٥٢
» كتاب « الرسالة الخالدة »	٢٣٥
» مؤتمر الآثار بدمشق	١١٤٧
الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر	١٧٣
حيفا تحت أضواء القمر « قصيدة »	٩٣٣

الموضــوع	صفحة
(خ)	
خبر الخلان والزمان ٨٦٨ ، ٩٥٥ ، ٩٦٨	١١٦٦
خشية الالتباس	١١٦٦
خصومة فى الحب	٤٦٥
خضراء الدمن	١٣٣٥
خطأ عروضى	٢٦٧
» » شائع	٦٠١
خلود الروح « قصيدة »	١٣٥٥
الخمرة النصرانية ومجالسها فى العصر العباسى	٩٥١
خنازير تدس أفواهها فى وضوء المسلمين	٤٠
الخلان والزمان بين أبى فراس والبارودى	١٠٤٣
الخيانة العظمى ..!	٣٢٧
خير الأمور الوسط	٨٨٤
» » » أيضاً	٩١١
الخير والشر « قصة »	٢٧٠
خليل مطران (تكريمه)	٣٢١
(د)	
داء قديم	٩٦
داخل أسوار الفقر « قصة »	١٠٣٣
داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ٥١ ، ٨٨ ، ١٢١	
درجات المتفوقين	٥١٤
الدكتور قاسم غنى سفير ايران فى مصر	١٢٢٠
دمك يؤثر على تفكيرك	٥٣٨
دولة المماليك البحرية	٢٩٣
الدولار	١٠١١
الديارات وملحقاتها	٢٥١
ديوان شعر « قصيدة »	١١٥٧
(ذ)	
ذات صباح	١١٢٤
ذكرى باعث الشرق	٦٨
» عيد الجهاد الوطنى	١٢٥٣
» الرافعى	٦٥٩
الذكرى العاشرة للرافعى	٥٣١
ذكريات عشرين عاما فى مصحة حلوان « كتاب »	١٨٣
ذكرينى	٧٣٨
ذلك نصيبى من التبنة	١٠٥٢
(ر)	
الراجم فى هبته	١٢١٧
رأس النقب وخليج العقبة	٢٢١
رأى الأكثرية فى السياسة الشرعية ٧٨٧ ، ١١٤٥	

الموضــوع	صفحة
رأيت الناصر	١٢٧٩
ربيعي فى قلبى « قصيدة »	١٣٢٩
رثاء الأستاذ الأكبر	٣٩٠
رجعة إلى مويس « قصيدة »	٣١٦
رجل فى ملابس النساء	٩٤٥
رحلة إلى الهند ٧٢٠ ، ٧٥٢ ، ٧٧٥ ، ٨٠٥ ، ٨٣٢ ، ٩٧٥ ، ١٠٠١ ، ١٠٣٦، ١٢٠٢، ١٢٢٧، ١٢٥٦، ١٣١٠، ١٣٦٦، ١٤٢٢	
رحلة الدكتور عزام إلى الهند	٧١٢
رحم الله أودلف هتلر !	١٠٣
رحمة « قصيدة »	٤٢٦
رحيل »	٣٧٥
رد على رد	١٣٦١
رسالة « الفن القصصى فى القرآن » والأزهر	١٣٣٥
الرسالة الأولى « قصيدة »	٨٥١
» الثانية »	١٠٦٤
» الثالثة »	١٢١٣
رسائل الصاحب بن عباد	١٤١١
رسالة الوعظ والإرشاد	٣٥٢
رفاهية العلماء	٦٦
رمضان « كتاب »	٨٥٥
» « قصيدة »	٩٠٥
رواية الناصر	١٤١٤
روح اليابان	٤٦٧
رنين الذكرى « قصيدة »	١٠٤٦
روح وجسد « كتاب »	١٢١٨
(ز)	
زرقاء العيون (قصيدة)	٣٤٦
الزعيم شكوكو	٦٨٦
الزنزانة وأسماؤها	٩٤٠
زهرة وزهرة (منظار)	١١٨٨
(س)	
السائح والتمثال (قصة) ١٣٩١ ، ١٤٢٠	
السادهانا أو كنه الحياة	٤٣٤
ساعة مع الحاج أمين	١٢٤١
سبق قلم	٩٩٦
سد أسوان	١٢٩٥
السعادة	٥٢٨
سعد الله الجابرى	٧٦٥
سفير الفن المصرى	١٢١٧
سمو (قصيدة)	٩٠٥
سـؤال	٨٠١
» وجواب	٩٣٩
« سياسة » أرسطو	١٠٥٥
السيد عدنان يجيب	٧٤٤

الموضوع	صفحة
(ش)	
الشاعر خليل مطران	٣٦٢
شاعر (قصة)	١٣٦٣
شاعران فى المنى ٥٠٦ ، ٥٣٦ ، ٥٧٠	
الشيخ شامل زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين ٦٤٩ ، ٦٧٧ ، ٧٠٤ ، ٧٣٦	
الشباب والفراغ والجدة	٦٢٢
شجرة الدر (كتاب)	١٤١١
الشرارة الأولى	١١١٩
شرف (منظار)	٩٢٩
شخصية عمرو بن العاص	٧٧١
الشر فى طبيعة المستعمر	١١٢
الشريد	٥١٩
الشطار والعيارون	١٠٠٨
شعاب قلب	٥١٧
شعب واحد وقضية واحدة !	٧٢٢
الشعر	٦٥٢
الأمير شكيب أرسلان وحركة الإصلاح	٤٦
شكيب الشاعر ١٣٧٩ ، ١٣٩٧	
الشمس تغنى	٥١٤
شهر النصر	٨٣٥
شهيد ميلون	١١
شيء من الصراحة	١٠٦٥
شيخ الأندلس (قصة)	٨٨٦
شيخ الأندلس (قصة) ٩١٣ ، ٩٤١ ، ٩٦٨	
« وشيخ (منظار)	٨٧٤
(ص)	
الصحف الأجنبية فى أمريكا	٦٥٧
الصداقة والعلاقة	٦٥٧
الصدق فى الأدب	١٢٣٧
الصعلوك (قصة)	١٠٠
الصفقة الرابحة	٩١
صليبية من نوع جديد	١٣٦٥
صوت من الشمال (قصيدة)	١٢١٤
صور (قصيدة)	١١٥٦
صورتان للخير والشر	٣٣٣
صور من حياة الانجليز الاجتماعية فى القرن الثامن عشر	٣١١
(ض)	
ضبط الأعلام (كتاب)	٣٢٣
ضدان	١٣٣٥
الضريبة والحية	١٥٠
ضمير قلق	٧٤٤

الموضوع	صفحة
(ط)	
طائفة المستعمرين فى شمال أفريقيا	٤٧٥
الطابور الخامس فى حرب الكوليرا	١١٣٩
« طاعة » الشام !	٨٩٩
طانيوس عبده وشريعة اليونان	٩٦
طباق قلعة القاهرة	٢٦٧
الطبيب الكامل	٦٥٧
طرائف ٨٢٨ ، ٨٥٢	
« من العصر المملوكى ١٣٤٨ ، ١٤٠٠	
طرس وعود (قصيدة)	١٢٦٤
طريق الدوفر (قصة)	١٢٥٢
طريق الهجرة النبوية ٩٦ ، ١٢٧	
طريقة جديدة فى معالجة السعال الديكى	٤٦٣
طلاب لهو وطلاب قوت وطلاب موت	٧٩٣
الطير الأبابيل فى تفسير الأستاذ الإمام	١٢٧٥
(ظ)	
ظمآن (قصيدة)	١٤٣٩
(ع)	
العاقل لا يعدم حيلة	٦٦
عالم مشتبك	١٢٩٣
العام والسنة	٣٨٠
عالم إيطالى يدافع عن تعدد الزوجات	٤١٦
عبر لمن يعتبر	٩١٥
العبقرى المجهول	٧٠٨
عبيد الرياح (قصيدة)	٩١
عثمان بن عفان (كتاب)	٨٨١
عجائب الشحاذين وأصحاب الملايين	٥٧٩
العجز قوة	١٣٧
عجول وأناسى	١٢١٢
العجول والأناسى	١٢٧٩
عدد سكان العالم ومذاهبهم	١١٦٧
عدوان على مصر !	١٠٧
عرس فى مأتم	٥٩٨
عروض شائع	٧٧١
عشاق الطعام ٨٣٩ ، ٨٧٢ ! !	
عشرة أيام فى الشام	٨٦٤
العقل المصرى	٥١٤
العلاقات الدبلوماسية الجديدة بين أندونيسيا وهولندا	٨٧٠
على ثلوج (حزرن) ٧٤٩ ، ٧٨٠ ، ٨٦٣ ، ٨٩٢ ، ٩٢٢	
على الحصان (قصة)	١٨٤
على مضجع الآمال ! (قصيدة)	٤٨٥
على هامش كتاب (دفاع عن البلاغة)	٦٣٢
« « المعركة	١٠٨٧

الموضوع	صفحة
علية ابنة المهدى فى طيرناباز	٩٨
العمل للعمل	٧١٨
العمل والموت والمرض (قصة)	٨٣٠
عود إلى ترجمة	٤٩١
عود إلى الردود والنقود	٩٤٣
العيد	٨٩٥
(غ)	
غروب شمس (قصيدة)	٢٩٠
غزل علية	١٢١٥
الغزل فى شعر المرأة ١١٥٣ ، ١٣٢٦	
(ف)	
الفروسية	٨٨٠
فصل الخطاب (قصيدة)	١٣٨٤
الفضاء والعدم ١٢٠٤ ، ١٣٣٤ ، ١٤١٨	
الفضاء والعدم والأثير	١٣٦١
الفن القصصى فى القرآن	١٢٩٤
الفائزون بالجوائز	٥١٤
فتربصوا حتى يأتى الله بأمره	٨
فرعون	١١٣٤
الفرق بين سنة وعام	١٢٥٠
فرنسا ومستعمراتها ٥٥٤ ، ٦١٣ ، ٦٤٠ ، ٦٩٣ ، ٧٢٧ ، ٨٠٧ ، ٨٥٩ ، ٨٨٩ ، ٩١٨ ، ٩٨٠	
فعلاء	١١١٣
« الحائرة	١٠٥٢
الفقر آفة البشر	٥
فقيد العلم والإسلام	٢٣٩
الفلاسفة الاسلاميون بين المعتزلة والأشاعرة	٧٣٣
فلسفة الأمل	١١٤
فلسفة جديدة للألم	٣٥٠
فلسطين رمز جهاد العرب (قصيدة)	١١٥٦
فلسفة طاغور فى العلم والعمل ١٠٩٣ ، ١١٢٥	
الفلسفة العربية وكيف تدرس ؟	٧٨٩
فلسفة الفأس	٢٥٤
فلاح مصر	٣٦١
فن وتجارة	٢٣٩
الفن القصصي فى القرآن	١٣٩٠
فن المسرح	١٣٨١
فتاة ... !	٣١٣
فهارس المكتبة العربية فى الخافقين (كتاب)	١٢١٨
فن وتجارة	٢١٠
فى أساس البلاغة	٧٥٤
فى أعقاب الثورة المصرية (كتاب)	٨٨١
فى الباخرة	٩٩٠

الموضوع	صفحة
في بيت المقدس	٢٢
في الترام	٥٨١
في تكريم الأستاذ خليل بك مطران	٤٠٧
في التصوف الاسلامي وتأريخه	٩٣٩
في حجرة البك الناظر (منظار)	١٣٣٠
في حجرة صاحب الديوان (منظار)	١٤٣٤
في حديقة الأزبكية	١٩٢
في الخضم (قصيدة)	٤٢٦
في الربيع (قصيدة)	٨٧٧
في الماضي	٨٦٠
في زوايا الطريق ! (منظار)	١٢٩٨
في اللغة ١٥٢، ٢٦٧، ٣٨٠، ٤٣٣، ٦٨٦، ٩١١	
في جنح الليل	١٠٧١
في حيرة اليد (قصيدة)	٢٣٢
في ديوان البحتري	٣٥٢
في روضات الفيوم (قصيدة)	١٢٤
في سيدي بشر (قصيدة)	٧٩٤
في صلاة الصحراء	٤٢
في العراق الشقيق	١٠٦٢
في العروض	٦٠٠
في فلسطين العربية	٥٤٧
في فن الإخراج المسرحي	١٣٢١
في قصيدة	٨٢٩
في موكب الجلاء والحرية	٩٢
في موكب الشعر	١٧٦
في منظار «الخفيف»	١٢٨٤
في ميدان عابدين	١٥٩
فارس الخوري أو عبقرية البيان	٩٩٩
(ق)	
القبر تحت قوس النصر	٧٠
قبل الرحيل	٢٦١
القائد المفقود (قصة تاريخية)	١٣٠٨
قافلة الشعر (قصيدة)	١٢٣
قبلة الملكة (قصة)	٩٩٨
القبلة (قصة)	١٠٥٤
القرآن والفرقان	٨٨١
القرآن والنظريات العلمية	١١٦٩
القرقور في القاموس	١٣٠٦
قصائد تكريم مطران في الميزان	٤٠١
« « خليل مطران في الميزان ٤٢٥، ٤٥٤	
قصة فاشودة أو قصة الاستعمار الانجليزي في السودان	٤٠٢
قصص من الحياة (كتاب)	١٥٣
قصة الهواجس (قصة)	٨٠٢
القضايا الكبرى في الاسلام	٤٣٤
قضى الأمر	٦٠٨
قصة الرحيل	٢٦٢
قصة الروح	٢٩٥
القطة الصغيرة «قصة»	٧٧٣
القفنجاق	٥٥٧
قلعة مصر القاهرة	٤٠٧
قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا	١٠٢٧
القوة هي الحق	٩٧١
قيادتنا الروحية	٢٧
(ك)	
كتاب أبو هريرة	٤٠٩
كتابان قيمان	٦٣٥
الكأس والغواص	١٤٣٢
الكتابة والحديث	٦٥٧
كتابة الأعداد وقراءتها	٩٦
كتاب الله	١١٣٦
الكتاب المريب	١٢٧
كتاب مقاييس اللغة لابن فارس	٨١٨
كرنكو وفعلاء والأب أنستاس	١١٩٤
كلمتي الأخيرة في الفضاء والعدم	١٤٤٣
كلمة أخيرة حول خطأ	٧٧١
كلمة أخيرة في أبي هريرة	٦٠٠
الكلمة الأخيرة	١٢٢٠
كلمة صغيرة	٥٧٥
كلمة في بيت	١٢٧
كلوادي	١٠٨٩
الكميت بن زيد شاعر العصر المرواني «كتاب»	١٥٣
كيف حاولت أن أكون خطيباً	١٣٧١
كيف ننشيء أطفالنا	٣٣
كيف يسوس الرجل زوجه ؟	٦٥٧
(ل)	
لا إله اليوم إلا الهوى	١٣٠٩
لابد للأرض من هداية السماء	١٧
لا تدابروا أيها الرجال !	٢١٨
لا ذمة ولا شرف	١٣٥٢
« لا غير » أيضاً	٩٨
لاهوادة بعد اليوم	١٠٨٤
لبنان والعربية	٦٤٥
لبيك يا فلسطين	١٣١٣
لذة الحب لحظة «قصة»	١٣٠
لسان الدين بن الخطيب	٨٠٩
لسان السياسة البريطانية	١٢٥٨
اللغة العلمية والحروف اللاتينية	٧٣١
لغة المبيد ... !	١٣٤
لفظة لازاريت	١٢٢٣
لماذا ينتحر الناس ؟	٧٦٢
لمن الملك اليوم ؟	١
لن تقوم في الأرض مملكة يهودية فلسطينية	٦٦
لو أقر المجتمع ؟	١١٧١
لوازم الحديث	٥٢٣
لويز للكاتب الإنجليزي سومرست موم	٢١٣
ليالي الحصاد (قصيدة)	٦٨٠
ليس	٣٥٠
ليلة عيد الميلاد (قصيدة)	١٤٣٨
ليلة الماشوش وليلة الكنفشة	١٠٤٠
ليل وقلب «قصيدة»	١٠١٦
ليس هذا هو الطريق يا مسيو ديهامل !	٢٢٥
الذي قال أنا ربكم الأعلى	٧٧
(م)	
ماء الحياة «قصة»	٦٨٨
مائدة السمر «كتاب»	١٥٣
ما أعرفه عن فارس الخوري	٩٧٧
ما جرى من أرى !	٨٥٢
ماربحه الدين من العلم في الزمن الأخير	١٢
ما زال الضمير قلقاً ٨٥٤ ، ٨٨٠	
مبادىء مالية في الإسلام	١١٧٩
المبدأ الأول للحكمة	٧١٨
المترو «قصة»	٦٠٤
المجدد المنتظر	٣٨
محاضرات في التفسير	٣٧٢
المحسنة «قصة»	٣٨٣
محمد والأمن العام ١٦٠ ، ١٩٥	
« عبد المطلب ٥٩٣ ، ٦٢٤	
محنة الأدب المصري	٤٢٩
مخطوط غريب لابن خلدون	١٠٢٠
مداعبة	٤٣٣
مدى الثقة في هيئة الأمم المتحدة ١٠٣٨، ١٠٦٩	
مذكرات سجين	١٢٧٩
مذياع (منظار)	٦١٧
المرأة	٨٤٥
المرأة والمساواة	٨٢٨
مرايا «كتاب»	١٢١٩
المربي «كتاب»	٤١١
مرحى توفيق الحكيم!	٢٣٩
المسألة الاسلامية في الهند	٣
مسألة القضاء والقدر	٢٤٣
مسابقة المجمع اللغوي	٧١٢
مستقبل الأدب	١٠٠٥
مشروع التقسيم	٦٧٣
مشروع ري حمص «كتاب»	١٣٣٧
مصر العربية	٢٧٤
مصر ملجأ الاحرار	٧١٢
مصر هي السودان	١٠٤
مصطفى عبد الرزاق الشيخ الأكبر الذي فقدناه !	٣٩٠
مضحكات مبكيات ٣٩٧ ، ٤٦٤	
مع ملاحي الشلال الأول	١٣٢٣
مع ميخائيل نعيمة في (زاد المعاد)	٩٨٥
مع ميخائيل نعيمة في «همس الجفون» ١٣١٨ ، ١٣٤٦	

الموضوع	صفحة
معارض الجمال أيضاً	١٣٧٦
معارضات القرآن	١٤٣٠
معانى الفلسفة (كتاب)	١٣٨٨
معاوية بين يدى عائشة	٢٨١
معجم أدباء الأطباء	٣٧٩
معرض الأدب والتاريخ الاسلامى « كتاب »	٦٠٢
معرض كتب سنة ١٩٤٧	١٤١٩
معروف الرصافى	٣٥٥
معهد الجزيرة العربية	١٣٣٤
مقالة بلا موضوع !	٣٣٠
مقالة الخوارزمى فى الشعراء	١٠٣١
مقاييس وأصول في النقد والشعر	٤١١
مكافحة المسكرات عند قدماء المصريين	١٥٠
مكتبة الأطفال العربية	٩٢٧
مكتبة دنفر	١١٣٥
مكتبة لوزارة العدل السورية	٤٠٧
ملك الموت « قصة »	١١٦٨
الملك والناسك	٣٥٤
من الأعماق	٨٠
من البطل فوزى القاوقجى إلى الشاعر على طه	٦٩٩
من تجارب المؤلفين	٧٤٧
من حديث الجهاد	٢٤٥
من خوف السكوليرا فى كوليرا	١٠٩٨
من خبر الجامعة	١٣٠٧
من دمشق إلى « دير الزور »	٦٤٢
من ذكريات الطفولة	١٠٨٣
من شوارد الشواهد ١١١٥، ٢، ١١: ، ١٢٦١ ، ١٢٧٩	
من صميم الواقع	٨٣٧
من صور الطريق	١٢٣٩
من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف « نهاية الطريق »	١٢٧
من مذكرات سجين (قصة)	١٢٢٣
من مذكراتى اليومية	٤٩٥
من مذكراتى اليومية	٥٥١
من مذكراتي اليومية	٦٠٧
من معجزات القرآن ٤٩٩ ، ٥٢٥	
من نشيد الحرية « قصيدة »	٥٤٠
من وراء الأفق « كتاب »	٨٥٥
من يكون إذن ؟	٨٢٨
مناظرة لا داعى لها	٦٥٩
مكافحة المرأة	٦٩١
منذئذ	٦٠٠
المنشىء والحاسب ، أبو حيان الحريرى	٩٦٧
منطق الحاجة	٧٣٤
منطقة إنطاكية وخليج الاسكندرونة	٣٥٧
مهرجان الربيع « قصيدة »	٥١٣
مؤتمر آثار الشرق	٥٦٤
مؤتمر المستضعفين	١٠٢٨
مؤلف تاريخ الأوزاعى	١٤١٨

الموضوع	صفحة
الموت الأحمر	٤٢٩
موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم	٢١٠
الموسيقي الإيرانية وأثرها في العالم	٤٦٢
الموسيقى القديمة والحديثة	٤٣٣
مولد شاعر	١٢١
مولانا أبو الكلام	٥١٤
مولانا أبو الكلام وترجمة القرآن	٦٣٣
(ن)	
الناحية العلمية من إعجاز القرآن ٣٦، ٥٤	
الناصر	١٢١٥
ناظم حكمت أكبر شعراء الترك ينظم وهو فى السجن	٩٦
نجم يهوى	٢٩٣
نحن العرب	٤٣٩
نحن والظالم أمام القضاء !	٨٥٩
نحن والانجليز ... « قصيدة »	٩٩٢
نسبة خاطئة يكذبها التاريخ	٦٥٩
نسبة عرب الشمال إلى إسماعيل	٤٣٢
نشر ديوان الشريف الرضى	٢٩٥
نشر ما انطوى « قصيدة »	٤٣١
نشيد الحرية فى عيد الهجرة	٢٠
نشوة الخيام « قصيدة »	٩٦٠
نشيد فلسطين أيضاً	٨٥٤
نشيد فلسطين ٦٧٥ ، ٧٧١	
نصيحة للمؤلفين	٧١٨
النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا؟ ٣٠٨ ، ٣٤١	
النطق وكيف نشأ فى النوع الإنساني وفى الحيوانات العليا ؟	٢٤٧
نظرات حادة « قصة »	١٢٧٩
النظرية الحديثة فى تفسير الأحلام	١٢٣١
نظرة العجلان فى أغراض القرآن « كتاب »	٦٠٢
نظرية المعرفة عند شوبنهور ٣٩٢ ، ٤٢١	
نعت الأسم المجموع بفعل	٣٥٢
نعم الضمير مطمئن	٩١١
النفوذ اليهودى بين الصحف الأمريكية والصحف العربية	١٢٨٧
نقبل منهم	٤٢٤
نقل الأديب ١٧١ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٨٨ ، ٣١٤ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣ ، ٣٩٨ ، ٤٢٧ ، ٤٥٦ ، ٤٨٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٣٦	
نكبة الفيضان	١٣٥٠
نموت ولا نسلم « كتاب »	٤١٠
نيف . عام	٢٩٥
نهاية دجال	٨١٦
النهضة الأدبية فى طرابلس	٢٦٧
نهضة العراق الأدبية فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة	٥١٧
النهضة العلمية فى مصر	٥١٤

الموضوع	صفحة
(هـ)	
هجرة الرسول والطبع العربى	٣٠
هذا ضمير مطمئن له أهميته	٧٧١
هذا الطوفان ...!	١٠٩٩
هذه الألفاظ الأثرية.	٧٩١
هذه بلادنا	٧٧٧
هذه طبيعة العرب	١٠٢٠
الهزج والوافر	٦٨٦
هزيمة السكوليرا	١١١٨
هل كان حلماً ؟ « قصة »	٧٤٦
هل كان معاوية كاتب وحى ؟	١١٠٧
هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟ ٥٣٣ ، ٥٦٨	
هل هى : فلاشيب الله قرنه ؟	٩٤٠
هوى المرأة	٨٤٢
هوى وفقر « قصيدة »	٨٢٧
هو الوجد « قصيدة »	٤٥٨
هى الحرية	٥٥٢
(و)	
واحة الكفرة	٢٦٧
واحدة بواحدة	٧١٨
وإذا أتى يوماً « قصيدة »	٧٠٧
واضع علوم البلاغة	٩٠٢
الواعظ الضرير	٤٠٠
الوالدان « قصة »	٦٣٤
والآن ايها العرب أماتزالون تنتظرون ؟	١٩٠
وباء السكوليرا « قصة »	١٢٤٣
وجهة النظر الجديدة فى الحياة ٥٨ ، ٨٦	
وحى الشرق	٣٥
وزارة للفكر	٥١٤
وظيفة للضحك	٧١٨
الوقائع الحربية فى الشعر العربي	٤٤٩
وقفة على الفسطاط	٦٩٦
وكم فى مصر من بنات أمبان !	٤٦٩
ولكنى كسبت القضية « منظار »	٨٢١
وطن الأحرار فى سوق العبيد	١٣٤٢
(ى)	
يا إخوتنا فى وادى النيل	٣٦٦
يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولاتقولوا آمنا	١١٩٧
ياخسارة « منظار »	٧٦٥
ياسيدى يارسول الله !	١٣٨
ياليل ! ٤٨ ، ٨٣ ، ١١٨	
يد وشكرها	٧١٨
يسألونك « كتاب »	١٥٣
ياصاحب الحوض المطهر « قصيدة »	١٢٧
يقول الأحباش فى أمثالهم	٦٥٨
يقول زنوج أفريقيا فى أمثالهم	٧٠١٩
يقظة « قصيدة »	١٧٥
يا للاغنياء للفقراء « قصيدة »	١٢٩٩
يوم بدر « قصيدة »	٨٧٤
يوم من أيام العلم	٥١٤
يوم من أيام بغداد	٢٧٦
يوم ميسلون « كتاب »	٥١٩